

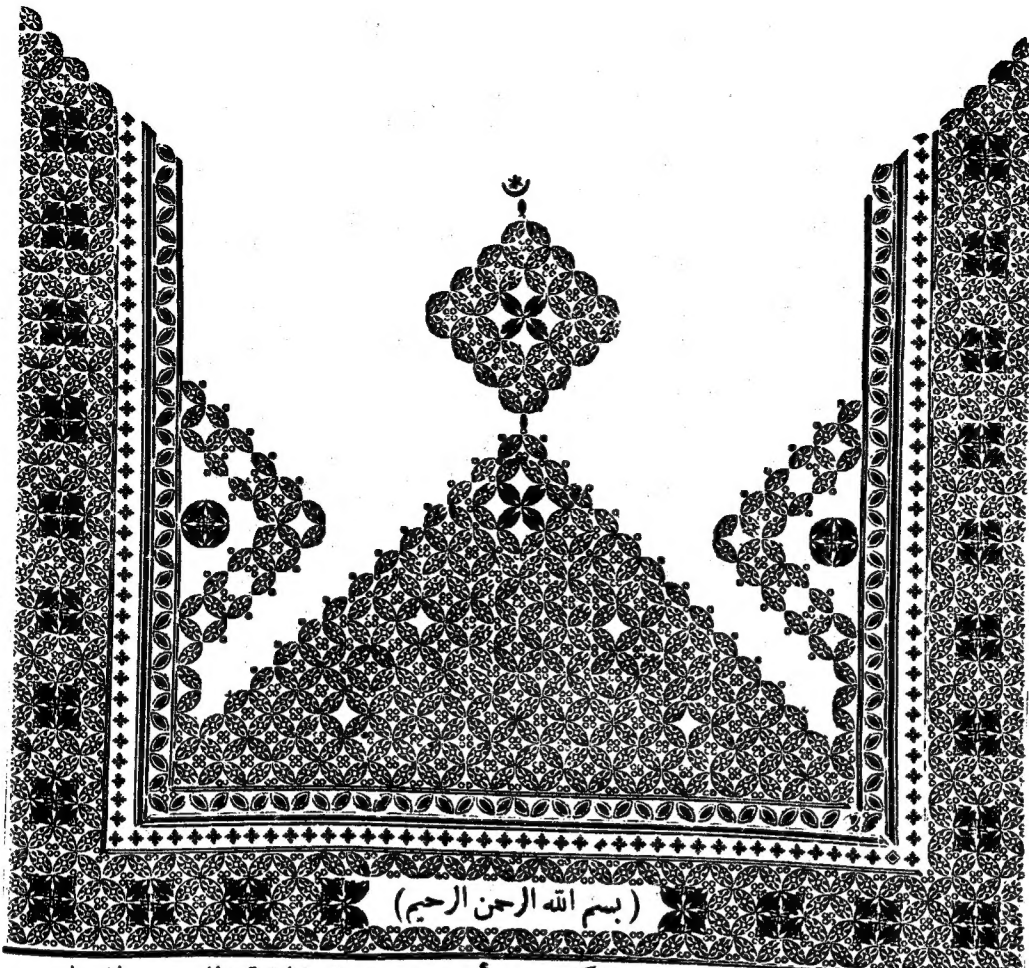
كِتَابُ
المَوَاعِظِ وَالْإِعْتِبَارِ
بِذِكْرِ الْخَطِّ وَالْأَشْأَرِ
المعروف بالخط المقرئ

تأليف
تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقرئ
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

الجزء الأول

طبعة جديدة بالأوفست

دار صادر
بيروت



الحمد لله الذي عرّف وفهم وعلم الانسان ما لم يكن يعلم وأسبغ على عبادہ نعمًا باطنة وظاهرة ووالى عليهم من مزيد آلائه من منافع متظافرة متواترة وبثهم في ارضه حينًا يتقلبون واستخلفهم في ماله فهم به يتعممون وهدى قوما الى اقتناص شوارد المعارف والعلوم وشوقهم للتقن في مسارج التدبر والركض ببيادين الفهم وأرشد قوما الى الانقطاع من دون الخلق اليه ووقفهم للاعتقاد في كل امر عليه وصرف آخرين عن كل مكرمة وفضيلة وقبض لهم قراء قادوهم الى كل ذميمة من الاخلاق وورذيلة وطبع على قلوب آخرين فلا يكادون بيقظة قولًا ونبطهم عن سبل الخيرات فما استطاعوا قوة ولا حولا ثم حكّم على الكل بالفناء ونقلهم جميعا من دار التعصيص والابتلاء الى برزخ البيود والبلاء وسجّسهم اجمعين الى دار الجزاء ليوفي كل عامل منهم عمله ويسأله عما اعطاه وخوله وعن موقفه بين يديه سبحانه وما اعتدله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون احمده سبحانه حمد من علم أنه لا يعبد الاياه ولا خلق للخلق سواء جدا يقتضى المزيد من النعماء ويوالى المن يتجدد الالات وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله ونبه وخيله سيد البشر وأفضل من مضى وغير الجامع لمحاسن الاخلاق والسبر والمستحق لاسم الكمال على الاطلاق من البشر الذى كان نبيا وادم بين الماء والطين ورقم اسمه من الازل في عليين ثم تنقل من الاصلاب الفاخرة الزكية الى الارحام الطاهرة المرضية حتى بعثه الله عز وجل الى الخلائق اجمعين وختم به الانبياء والمرسلين وأعطاه ما لم يعط أحد من العالمين وعلى آله وصحبه والتابعين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين * وبعد فان علم التاريخ من اجل العلوم قدرا وأشرفها عند العقلاء مكانة وخطرا لما يحويه من المواعظ والانذار بالرحيل الى الآخرة عن هذه الدار والاطلاع على مكارم الاخلاق ليقتدى بها واستعلام مذام الافعال ليرغب عنها اولوا النهى لاجرم ان كانت الانفس الفاضلة به راقية والهمم العالية اليه ماثلة وله عاشقه وقد صنف فيه الائمة كثيرا وضمن الاجلة كتبهم منه شيئا كبيرا وكانت مصر هي مسقط راسي وملعب اتراي وجمع ناسي ومغني عشيرتي وحامتي وموطن خاصتي وعاشتي وجو جوى الذى ربي جناحي في وكره وعش ما ربي فلا تهوى الانفس غير ذكره لازلت منذ ذورت العلم وآتاني ربي الفطنة والفهم ارجب في معرفة اخبارها وأحب الاشراف على الاعتراف من آبارها وأهوى مسائلة الركبان عن سكان ديارها

فقيدت بخطى في الاعوام الكثيرة وجعت من ذلك فوائد قل ما يجمعها كتاب او يحويها العزتها وغرايتها
 اهاب الانها ليست بمرتبة على مثال ولا مهذبة بطريقة مانسج على منوال فأردت أن الخص منها انباء ما بديار
 مصر من الآثار الباقية عن الامم الماضية والقرون الخالية وما بقي بفسطاط مصر من المعاهد غير ما كاد
 يفنيه البلى والقدم ولم يبق الا ان يحورسهما الفناء والعدم واذكر ما بديشة القاهرة من آثار القصور
 الزاهرة وما اشتملت عليه من الخطط والاصقاع وحوته من المباني البديعة الاوضاع مع التعريف
 بحال من اسس ذلك من اعيان الامائل والتنويه بذكر الذي شاهدها من سراة الاعاظم والافاضل
 وأثر خلل ذلك نكالا لطيفه وحكا بديعة شريفة من غير اطالة ولا اكنار ولا اجفاف مخجل بالغرض
 ولا اختصار بل وسط بين الطرفين وطريق بين فلها اسميته (كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط
 والاثار) واني لارجو أن يحظى ان شاء الله تعالى عند الملوك ولا ينبوعه طباع العاظم والصالحين
 ويجله العالم المنتهى ويعجب به الطالب المبتدى وترضاه خلائق العابد الناسك ولا يجهه سمع الخليل الفانيك
 ويتخذاه اهل البطالة والرافية سمرا وبعده اولوا الرأي والتدبير موعظة وعبرا يستدلون به على عظيم قدرة
 الله تعالى في تبديل الابدال ويعرفون به عجائب صنع ربنا سبحانه من تنقل الامور الى حال بعد حال فان
 كنت احسنت فيما جعت وأصبت في الذي صنعت ووضعت فذلك من عيم من الله تعالى وجزيل فضله
 وعظيم انعمه على وجليل طوله وان انا اسأت فيما فعلت واخطأت اذ وضعت فما جدر الانسان بالاساءة
 والعيوب اذ لم يعصمه ويحفظه علام الغيوب

وما أبرئ نفسي اني بشر * اسهو وأخطئ ما لم يحمى قدر

ولا ترى عذرا الى بذى زلل * من أن يقول مقرا اني بشر

فليسبل الناظر في هذا التأليف على مؤلفه ذيل ستره ان مرت به هضوه وليغض قبا وزا وصفحان وقف منه على
 كسوة اذنبوه فأى جواد وان عنق ما يكبو وأى غضب مهند لا يكل ولا ينبو لاسما واخلط بالافكار
 مشغول والعزم لالتواء الامور وتسررها فآثر محلول والذهن من خطوب هذا الزمن القطوب كليل
 والقلب اتوا الى المحن وتواتر الاحن عليل

يعاندني دهرى كأنى عدوه * وفى كل يوم بالكرمية يلقانى

فان رمت شيأ جاءنى منه ضده * وان راقى لي يوما تكدر فى الثانى

اللهم غفر ما هذان التبرم بالقضاء ولا التجبر بالمقدور بل أنه سقيم ونفثة مصدور يستروح ان ابدى التوجع
 والابتن ويجد خفا من ثقله اذ اباح بالشكوى والحنين

ولو نظروا بين الجوائح والحشا * رأوا من كتاب الحب فى كبدي سطرأ

ولو جربوا ما قد لقيت من الهوى * اذا عذرونى أوجعلت لهم عذرا

والله اسأل أن يحلى هذا الكتاب بالقبول عند الجلة والعلماء كما عوذ به من تطرق ايدى الحساد اليه
 والجهلاء وأن يهديني فيه وفيما سواه من الاقوال والافعال الى سواء السبيل انه حسبنا ونعم الوكيل
 وفيه جلت قدرته لي سلو من كل حادث وعليه عز وجل اتوكل في جميع الحوادث لا اله الا هو ولا معبود سواه

* (ذكر الرؤس الثمانية) *

اعلم أن عادة القدماء من المعلمين قد جرت أن يأتوا بالرؤس الثمانية قبل افتتاح كل كتاب وهى الغرض
 والعنوان والمنفعة والمرتبة وصحة الكتاب ومن أى صناعة هو وكل فيه من اجزاء وأى النحاء التعاليم المستعملة
 فيه فنقول (أما الغرض) فى هذا التأليف فانه جمع ما تفرق من اخبار ارض مصر وأحوال سكانها كى يلتئم من
 مجموعها معرفة جل اخبار اقليم مصر وهى التى اذا حصلت فى ذهن انسان اقتدر على أن يخبر فى كل وقت بما كان
 فى ارض مصر من الآثار الباقية والبايدة ويقص احوال من ابتدأها ومن حلها وكيف كانت مصار امورهم
 وما يتصل بذلك على سبيل الاتباع لها بحسب ما تحصل به الفائدة الكلية بذلك الاثر (وأما عنوان هذا الكتاب)
 اعنى الذى وسمته به فانى لما فصحت عن اخبار مصر وجدتها محتلفة متفرقة فلم تهيا لى اذ جعلتها أن جعل
 وضعها من تساعلى السنين اعدم ضبط وقت كل حادثة لاسمى فى العصر الخالية ولا أن اضعها على اسماء الناس

لعل اخر تطهر عند تصفح هذا التأليف فلهذا افترقتها في ذكر الخطط والآثار فاحتوى كل فصل منها على ما يلائم
وبشا كله وصار بهذا الاعتبار قد جمع ما تفرق وتبدد من اخبار مصر ولم التحاش من تكرار الخبر اذا احتجت اليه
بطريقة يستحسنها الا ريب ولا يستجنى الفطن الا ديب كي يستغنى مطالع كل فصل بما فيه عما في غيره
من الفصول فلذلك سميته (كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) * (وأما منفعة هذا الكتاب) فان
الامر فيما يتبين من الغرض في وضعه ومن عنوانه اعني أن منفعته هي أن يشرف المرء في زمن قصير على ما كان
في ارض مصر من الحوادث والتغيرات في الأزمنة المتطاولة والاعوام الكثيرة فتتهذب بتدبر ذلك نفسه
وترتاض اخلاقه فيحب الخير ويفعله ويكره الشر ويتجنبه ويعرف فناء الدنيا فيحفظ بالاعراض عنها والاقبال
على ما ينبغي (وأما مرتبة هذا الكتاب) فانه من جملة أحد قسي العلم اللذين هما العقلي والنقلي فينبغي أن
يتفرغ لمطالعة وتدبر مواعظه بعد اتقان ما تجب معرفته من العلوم النقلية والعقلية فانه يحصل بتدبر لمن
ازال الله اكنته قلبه وغشاوة بصره نتيجة العلم بما صار اليه أبناء جنسه بعد التحول في الاموال والجنود من
الفناء والبيود فاذا مرتبه بعد معرفة اقسام العلوم العقلية والنقلية ليعرف منه كيف كان عاقبة الذين كانوا
من قبل (وأما واضع هذا الكتاب ومرتبه) فاسمه احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد ويعرف بالمقريري
رحمه الله تعالى ولد بالقاهرة الممزية من ديار مصر بعد سنة ستين وسبع مائة من سني الهجرة المحمدية ورتبته من
العلوم ما يدل عليه هذا الكتاب وغيره مما جمعه وألفه (وأما من أي علم هذا الكتاب) فانه من علم الاخبار وبها
عرفت شرائع الله تعالى التي شرعها وحفظت سنن انبيائه ورسله ودون هداهم الذي يقتدي به من وقته الله
تعالى الى عبادته وهداه الى طاعته وحفظه من مخالفته وبها نقلت اخبار من مضى من الملوك والقرا عنه
وكيف حل بهم سخط الله تعالى لما اتوا ما نهوا عنه وبها اقتدر الخليفة من انباء البشر على معرفة ما دقوه
من العلوم والصنائع وتأني لهم علم ما غاب عنهم من الاقطار الشاسعة والامصار النائية وغير ذلك مما لا ينكر
فضله ولكل امة من امم العرب والعجم على تباين آرائهم واختلاف عقائدهم اخبار عندهم معروفة مشهورة
ذائعة بينهم ولكل مصر من الامصار المعمورة حوادث قدمرت به يعرفها علماء ذلك المصفر في كل عصر
ولو استقصيت ما صنف علماء العرب والعجم في ذلك لتجاوز حد الكثرة وعجزت القدرة البشرية عن حصره (وأما
أجزاء هذا الكتاب فانها سبعة) * اولها يشتمل على جمل من اخبار ارض مصر وأحوال نيلها وخراجها
وجبالها * وثانيها يشتمل على كثير من مدنها واجناس اهلها * وثالثها يشتمل على اخبار فسطاط مصر ومن
ملكها * ورابعها يشتمل على اخبار القاهرة وخلائقها وما كان لهم من الآثار * وخامسها يشتمل على ذكر
ما أدركت عليه القاهرة وظواهرها من الاحوال * وسادسها يشتمل على ذكر قلعة الجبل وملوكها * وسابعها
يشتمل على ذكر الاسباب التي نشأ عنها خراب اقليم مصر * وقد تضمن كل جزء من هذه الاجزاء السبعة عدة
اقسام * وأما أي انحاء العالم التي قصدت في هذا الكتاب) فاني سلكت فيه ثلاثة انحاء وهي النقل من
الكتب المصنفة في العلوم والرواية عن ادركت من شجرة العلم ووجه الناس والمجاهد لما عاينته ورأيت *
فأما النقل من دواوين العلماء التي صنفوها في انواع العلوم فاني اعزو كل نقل الى الكتاب الذي نقلته منه
لاخلص من عهده وأبرأ من جريرته فكثيرا من ضمني واياء العصر واشتمل علينا المصرا لقله اشرافه
على العلوم وقصور بابه في معرفة علوم التاريخ وجهل مقالات الناس بهجم بالانكار على ما لا يعرفه ولو أنصف
لعلم أن العجز من قبله وليس ما تضمنه هذا الكتاب من العلم الذي يقطع عليه ولا يحتاج في الشريعة اليه
وحسب العالم أن يعلم ما قبل في ذلك ويقف عليه * وأما الرواية عن ادركت من الجسلة والمشايخ فاني
في الغالب والاكثر اصرح باسم من حدثني الا ان لا يحتاج الى تعيينه أو اكون قد أنسيته وقل ما يتفق
مثل ذلك * وأما ما شاهدته فاني ارجو أن اكون والله الحمد غير متهم ولا ظنين * وقد قلت في هذه الروس
التيانية ما فيه قنع وكفاية ولم يبق الا أن اشرع فيما قصدت وعزى أن اجعل الكلام في كل خط من الاخطاط
وفي كل اثر من الآثار على حدة ليكون العلم بما يشتمل عليه من الاخبار أجمع وأكثر فائدة واسهل
تناولا والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وفوق كل ذي علم عليم

بعده القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاي كتاب المنعوت المختار في ذكر الخطط والامارات في سنة سبع وخمسين واربعمائة قبل سني الشدة قدرأكثر ما ذكر اه ولم يبق الا ببلغ وموضع يقع بمحل بمصر من سني الشدة المستنصرية من سنة سبع وخمسين الى سنة اربع وستين واربعمائة من الغلاء والوباء فمات اهلها وغربت ديارها وتغيرت احوالها واستولى الخراب على عمل فوق من الطرفين بجاني القسطنطينية والشرق فأما الغربي فمن قنطرة بني وائل حيث الوراقات الآن قريسا من باب القنطرة خارج مدينة مصر الى الشرف المعروف الآن بالصدوانت مارا الى القرافة الكبرى واما الشرقي فمن طرف بركة الحبش التي تلي القرافة الى نحو جامع احمد بن طولون ثم دخل امير الجيوش بدر الجبالى مصر في سنة ست وستين واربعمائة وهذه المواضع خاوية على عروشها خالية من سكانها وأيسها قد آبادهم الوباء والتباب وشتمهم الموت والخراب ولم يبق بمصر الا بقايا من الناس كانهم اموات قد اصقرت وجوههم وتغيرت بحمهم من غلاء الاسعار وكثرة الخوف من العسكرية وفساد طوائف العبيد والمهية ولم يجد من يزرع الاراضى هذا والطرق قد انقطعت بجرا وبرأ الانحطارة وكافة كثيرة وصارت القاهرة أيضا يابا دثرة فأباح للناس من العسكرية والمهية والاربن وكل من وصلت قدرته الى عمارة أن يعمر ماشاء في القاهرة مما خلا من دور القسطنطينية بموت اهلها فأخذ الناس في هدم المساكن ونحوها بمصر وعمرها في القاهرة وكان هذا أول وقت اختط الناس فيه بالقاهرة ثم كان المنبه بعد القضاي على الخطط والتعريف بها تليده أبو عبد الله محمد بن بركات النحوي في تاليف لطيف به فيه الافضل أبا القاسم شاهنشاه بن امير الجيوش بدر الجبالى على مواضع قد اغتصبت وتلكت بعد ما كانت اجبا سا ثم كتب الشريف محمد بن اسعد الجوالى كتاب النقط بعجم ما شكل من الخطط به فيه على معالم قد جهلت واما قد دثرت وآخر من كتب في ذلك القاضي تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج كتاب ايعاظ المتأمل وايقاظ المتغفل في الخططين فيه جلا من احوال مصر وخططها الى اعوام بضع وعشرين وسبعمائة قد دثرت بعده معظم ذلك في وباء سنة تسع وأربعين وسبعمائة ثم في وباء سنة احدى وستين ثم في غلاء سنة ست وسبعين وسبعمائة وكتب القاضي محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر كتاب الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ففتح فيه بابا كانت الحاجة داعية اليه ثم تزايدت العمارة من بعده في الايام الناصرية محمد بن قلاوون بالقاهرة وظواهرها الى ان كادت تضيق على اهلها حتى حل بها وباء سنة تسع وأربعين وسنة احدى وستين ثم غلاء سنة ست وسبعين وغربت به عادة اما كن فلما كانت الحوادث والحزن من سنة ست وثمانمائة شمل الخراب القاهرة ومصر وعامة الاقليم وسأورد من ذكر الخطط ما اتصل اليه قدر في ان شاء الله تعالى

* (ذكر طرف من هيئة الافلاك) *

اعلم انه لما كانت مصر قطعة من الارض تعين قبل التعريف بموقعها من الارض وتبين موضع الارض من الفلك ان اذكر طرفا من هيئة الافلاك ثم اذكر صورة الارض وموضع الاقليم منها واذكر محل مصر من الارض وموضعها من الاقليم واذكر حدودها واشتقاقها وفضائلها وعجايبها وكنوزها وأخلاق اهلها واذا ذكرينها وخلقها وكورها ومبلغ خراجها وغير ذلك مما يتعلق بها قبل الشروع في ذكر خطط مصر والقاهرة فأقول علم النجوم ثلاثة اقسام الاول معرفة تركيب الافلاك وكية الكواكب واقسام البروج وأبعادها وعظمها وحركتها ويقال لهذا القسم علم الهيئة والقسم الثاني علم الزيج وعلم التقويم والقسم الثالث معرفة كيفية الاستدلال بدوران الفلك وطوال البروج على الحوادث قبل كونها ويسمى هذا القسم علم الاحكام والغرض هنا ايراد نبذة من علم الهيئة تكون نواة لما يأتي ذكره * اعلم أن الكواكب اجسام كريات والذى ادرك منها الحكما بالصد ألف كوكب وتسعة وعشرون كوكبا وهى على قسمين سيارة وثابتة فالسيارة سبعة وهى زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر وقد انطمت في بيت واحد وهو زحل شري مرتيحه من شمس * فتزاهرت بعطارد الاقار

ويقال لهذه السبعة الخنس وقيل انها التي عنها الله تعالى بقوله فلا قسم بالخنس الجوارى الكنس والتي عنها الله تعالى بقوله فالمدبرات أمرا وقيل لها الخنس لاستقامتها في سيرها ورجوعها وقيل لها الكنس لانها تتجوز في البروج ثم تكنس أى تسترك كما يكنس الطبى وقيل الكنس والخنس منها خمسة وهى ما سوى الشمس

والقمر سميت بذلك من الانحناس وهو الانقباض وفي الحديث الشيطان يوسوس للعبد فإذا ذكر الله
خنس أي انقبض ورجع فيكون الخنس على هذا في الكواكب بمعنى الرجوع وسميت بالكنس من قولهم كنس
الطبي إذا دخل الكناس وهو مقمره فالكنس على هذا في الكواكب بمعنى اختفائها تحت ضوء الشمس ويقال لهذه
الكواكب المحيرة لأنها ترجع أحياناً عن سمت مسيرها بالحركة الشرقية وتتبع الغربية في رأي العين فيكون
هذا الارتداد لها شبه التحير وهذه الأسماء التي لهذه الكواكب يقال إنها مشتقة من صفاتها فزحل مشتق من
زحل فلان إذا أبطأ سمي بذلك لبطء سيره وقيل للزحل والزحل الحقد وهو يزعمهم يدل على ذلك ويقال أنه المراد
في قوله تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب والمشتري سمي بذلك لحسنه كأنه اشترى
الحسن لنفسه وقيل لأنه نجم الشراء والبيع ودليل الريح والمال في قولهم والمريخ مأخوذ من المرخ
وهو شجر يحنك بعض أغصانه ببعض فيورى ناراً سمي بذلك لاجاراه وقيل المريخ سهم لاريش له إذا رمى به
لا يستوى في مجزءه وكذا المريخ فيه التواء كثير في سيره ودلالته بزعمهم تشبه ذلك والشمس لما كانت
واسطة بين ثلاثة كواكب علوية لأنهم من فوقها وثلاثة سفلية لأنهم من تحتها سميت بذلك لأن الواسطة التي في
المنطقة تسمى شمسة والزهرة من الزاهر وهو الأبيض النير من كل شيء وعطارد هو النافذ في كل الأمور ولذلك
يقال له أيضاً الكاتب فإنه كثير التصرف مع ما يقارنه ويلبسه من الكواكب والقمر مأخوذ من القمرية وهي
البياض والاقتران الأبيض ويقال لزحل كيوان وللمشتري نبروالبرجيس أيضاً والمريخ بهرام وللشمس
مهر وللزهرة أباهيدوس دحت أيضاً ولعطارد هرمس وللقمر ماه وقد جمعت في بيت واحد وهو هذا
لازلت تبقى وترقى للعلي أبدا * مادام للسبعة الافلاك احكام

مهر و ماه و كيوان و تير معا * و هرمس و أباهيد و بهرام

ويقال للماعدا هذه الكواكب السبعة من بقية نجوم السماء الكواكب الثابتة سميت بذلك لثباتها في الفلك
بموضع واحد وقيل لبطء حركتها فإنها تقطع الفلك بزعمهم بعد كل ستة وثلاثين ألف سنة شمسية مرة واحدة *
ولكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة فلك من الافلاك يخصه والافلاك اجسام كريات مشقات بعضها
في جوف بعض وهي تسعة اقربها اليها فلك القمر وبعده فلك عطارد ثم بعده فلك الزهرة وبعده فلك الشمس
وفوقه فلك المريخ ثم فلك المشتري وفوقه فلك زحل ثم فلك الثوابت وفيه كل كوكب يرى في السماء سوى
السبعة السيارة ومن فوق فلك الثوابت الفلك المحيط وهو الفلك التاسع ويسمى الاطلس وفلك الافلاك وفلك
الكل وقد اختلف في الافلاك فقل هي السموات وقيل بل السموات غيرها وقيل بل هي كرية وقيل غير
ذلك وقيل الفلك الثامن هو الكرسي والفلك التاسع هو العرش وقيل غير ذلك وهذا الفلك التاسع دائم
الدوران كالدولاب ويدور في كل اربعة وعشرين ساعة مستوية دورة واحدة ودورانه يكون ابدًا من المشرق
الى المغرب ويدور بدورانه جميع الافلاك الثمانية وما حوته من الكواكب دوراناً حركته قسرية لادارة التاسع
لها وعن حركة التاسع المذكور يكون الليل والنهار فالتأخر مدة بقاء الشمس فوق افق الارض والليل مدة غيبوبة
الشمس تحت افق الارض وذلك الكواكب الثابتة مقسوم باثني عشر قسماً كجز البليخة كل قسم منها يقال له
برج وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس
والجدى والدلو والحوت وكل برج من هذه البروج الاثني عشر ينقسم ثلاثين قسماً يقال لكل قسم منها
درجة وكل درجة من هذه الثلاثين مقسومة ستين قسماً يقال لكل قسم منها دقيقة وكل دقيقة من هذه
الستين مقسومة ستين قسماً يقال لكل قسم منها ثانية وهكذا الى الثوابت والاربع والخوامس الى
الثوابت عشر وما فوقها من الاجزاء وكل ثلاثة بروج تسمى فصلاً فالزمان على ذلك اربعة فصول وهي الربيع
والصيف والخريف والشتاء * وجهات الاقطار اربعة الشرق والغرب والشمال والجنوب *
والاركان اربعة النار والهواء والماء والتراب * والطبائع اربعة الحرارة والبرودة والرطوبة
واليبوسة * والاخلط اربعة الصفراء والسوداء والبلمم والدم * والارياح اربعة الصبا والدبور
والشمال والجنوب * فالبروج منها ثلاثة ربيعية صاعدة في الشمال زائدة النهار على الليل وهي الحمل
والثور والجوزاء وثلاثة صيفية هابطة في الشمال آخذة الليل من النهار وهي السرطان والاسد
والسنبلة

والسنبله وثلاثة خريفية هابطة في الجنوب زائدة الليل على النهار وهي الميزان والعقرب والقوس
 وثلاثة شتوية صاعدة في الجنوب آخذة النهار من الليل وهي الجدى والدلو والحوت * والفلك المحيط
 كما تقدم دائم الدوران كالذوالب يدور أبدا من المشرق الى المغرب فوق الارض ومن المغرب الى المشرق تحتها
 فيكون دائما نصف الفلك وهو ستة بروج بمثابة وثمانين درجة فوق الارض ونصفه الآخر هو ستة بروج بمثابة
 وثمانين درجة تحت الارض وكلما طلعت من أفق المشرق درجة من درجات الفلك التي عدتها ثمانمائة وستون
 درجة غرب نظيرها في أفق المغرب من البرج السابع فلا يزال دائما ستة بروج طلوعها بالنهار وستة بروج
 طلوعها بالليل * والافق عبارة عن الحد الفاصل من الارض بين المشرق والمغرب من السماء والفلك يدور على
 قطبين شمالي وجنوبي كما يدور الحلق على قطبي المخروطية ويقسم الفلك خط من دائرة تقسمه نصفين متساويين
 بعدهما من كلا القطبين سواء ونسب هذه الدائرة دائرة معدل النهار فهي تقاطع فلك البروج ودائرة فلك البروج
 تقاطع دائرة معدل النهار ويميل نصفها الى الجانب الشمالي بقدر أربع وعشرين درجة تقريباً وهذا النصف
 فيه خمسة البروج الستة الشمالية وهي من أول الحمل الى آخر السنبله ويميل نصفها الثاني عنها الى الجنوب بمثل
 ذلك وفيه خمسة البروج الستة الجنوبية وهي من أول برج الميزان الى آخر برج الحوت وموضع تقاطع هاتين
 الدائرتين اعني دائرة معدل النهار ودائرة فلك البروج من الجانبين هما نقطتا الاعتدالين اعني رأس الحمل ورأس
 الميزان ومدار الشمس والقمر وسائر النجوم على محاذ دائرة فلك البروج دون دائرة معدل النهار وتزخر الشمس على
 دائرة معدل النهار عند حلولها بنقطتي الاعتدالين فقط لانها موضع تقاطع الدائرتين وهذا هو خط الاستواء
 الذي لا يختلف فيه الزمان بزيادة الليل على النهار ولا النهار على الليل لان ميل الشمس عنه الى كلا الجانبين
 الشمالي والجنوبي سواء فالشمس تدور الفلك وتقطع الاثنى عشر برجاً في مدة ثمانمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم
 بالتقريب وهذه هي مدة السنة الشمسية وتقيم في كل برج ثلاثين يوماً وكسر من يوم وتكون ابداً بالنهار ظاهرة
 فوق الارض وبالليل بخلاف ذلك واذا حلت في البروج الستة الشمالية التي هي الحمل والثور والجوزا
 والسرطان والاسد والسنبله فانها تكون مرتفعة في الهواء قريبة من سمت رؤسنا وذلك زمن فصل الربيع وفصل
 الصيف واذا حلت في البروج الجنوبية وهي الميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت كان فصل
 الخريف وفصل الشتاء وانحطت الشمس وبعدت عن سمت الرأس وزعم وهب بن منبه أن أول ما خلق الله
 تعالى من الازمنة الاربعة الشتاء فجعله بارداً رطباً وخلق الربيع فجعله حاراً رطباً وخلق الصيف فجعله حاراً
 يابساً وخلق الخريف فجعله بارداً يابساً وأول الفصول عند أهل زماننا الربيع ويكون فصل الربيع عندما تنتقل
 الشمس من برج الحوت وقد اختلف القدماء في البداية من الفصول فمنهم من اختار فصل الربيع وخبره أول
 السنة ومنهم من اختار تقديم الانقلاب الصيفي ومنهم من اختار تقديم الاعتدال الخريفي ومنهم من اختار
 تقديم الانقلاب الشتوي فاذا حلت أول جزء من برج الحمل استوى الليل والنهار واعتدل الزمان وانصرف
 الشتاء ودخل الربيع وطاب الهواء وهب النسيم وذاب الثلج وسالت الاودية ومدت الانهار فيما بعد امصر ونبت
 العشب وطال الزرع ونما الحشيش وتلاّ الزهور وأورق الشجر وتفتح النور واخضر وجه الارض وتجت البهائم
 ودرت الضروع وأخرجت الارض زخرفها وازينت وصارت كصية شامية قد تزينت للتأطرين والله در القائل
 وهو الحافظ جمال الدين يوسف بن احمد العمري رحمه الله تعالى

واستنشقوا الهواء الربيع فانه * نعم النسيم وعنده الطاف

يغذى الجسوم نسيمة وكأنة * روح حواها جوهر شفاف

وقال ابن قتيبة ومن ذلك الربيع يذهب الناس الى انه الفصل الذي يتبع الشتاء ويأتي فيه النور والورد ولا يعرفون
 الربيع غيره والعرب تختلف في ذلك فمنهم من يجعل الربيع الفصل الذي تدر فيه الثمار وهو الخريف وفصل
 الشتاء بعده ثم فصل الصيف بعد الشتاء وهو الوقت الذي تدعوه العامة الربيع ثم فصل القيظ وهو الذي تدعوه
 العامة الصيف ومن العرب من يسمي الفصل الذي يعتدل وتدر فيه الثمار وهو الخريف الربيع الاول ويسمى
 الفصل الذي يتلو الشتاء ويأتي فيه الكمام والنور الربيع الثاني وكلهم مجتمعون على أن الربيع هو الخريف فاذا
 حلت الشمس آخر برج الجوزاء وأول برج السرطان تنال أطول النهار وقصر الليل وابتدأ نقص النهار وزيادة

الليل وانصرم فصل الربيع ودخل فصل الصيف واشتد الحر وحى الهواء وهبت السماء ونقصت المياه الابصر
وبس العشب واستحكم الحب وأدرك حصاد الغلال ونضجت الثمار وسمنت البهايم واشتدت قوة الابدان ودرت
أخلاف النعم وصارت الارض كأنها عروس فاذا بلغت آخر برج السنبلة وأول برج الميزان تساوى الليل والنهار
مرة ثانية وأخذ الليل في الزيادة والنهار في النقصان وانصرم فصل الصيف ودخل فصل الخريف فبرد الهواء
وهبت الرياح وتغير الزمان وجفت الابرار وغارت العيون واصفر ورق الشجر وصرت الثمار ودرست البيادر
واختزن الحب واقتنى العشب واغبر وجه الارض الابصر وهزلت البهايم وماتت الهوام وانجبرت الحشرات
وانصرف الطير والوحش يريد البلاد الداغمة وأخذ الناس يحزنون القوت للشتاء وصارت الدنيا كأنها امرأة
كهلة قد أدبرت وأخذ شبابها يولى ولله در القائل وهو الامام عز الدين أبو الحسن أحمد بن علي ابن معقل
الازدي المهلبى الجصى حيث يقول

لله فصل الخريف المستلذه * برد الهواء لقد أبدى لنا عجا
اهدى الى الارض من اوراقه ذهباً * والارض من شأنها أن تهدى الذهباً

وقال أيضاً

لله فصل الخريف فصلاً * رقت حواشيه فهو رائق
فالماء يجري من قلب سال * والدمع يبدو بوجه عاشق
فبرد هذا ولون هذا * يلهذه ذاتق وواثق

وقال أيضاً

انى فصل الخريف بكل طيب * وحسن معجب قلباً وعينا
ارانا الدوح مصفراً نضاراً * وصافى الماء مبيضاً لجينا
فأحسن كل احسان الينا * وانعم كل انعام علينا

وقال آخر يذم الخريف

خذ فى التدثر فى الخريف فانه * مستوبل ونسيمه خطاف
يجرى مع الاجسام جرى حياتها * كصديقها ومن الصديق يخاف

وقال آخر

يا عاباً فصل الخريف وغائباً * عن فضله فى ذمه لزمانه
لا شئ ألفت منه عندى موقفاً * ابدا يعزى الغصن من قصانه
وتراء يفرش تحته أثوابه * فاجب رأفته وفرط حنانه
وألد ساعات الوصال اذا دنا * وقت الرحيل وحان حين اوانه

فاذا حلت الشمس آخر برج القوس وأول برج الجدى تناهى طول الليل وقصر النهار وأخذ النهار في الزيادة والليل
في النقصان وانصرم فصل الخريف وحل فصل الشتاء واشتد البرد وخشن الهواء وتساقط ورق الشجر ومات
أكثر النبات وغارت الحيوانات فى جوف الارض وضعف قوى الابدان وعزى وجه الارض من الزينة ونشأت
الغيوم وكثرت الانداء وأظلم الجو وكل وجه الارض الابصر وامتنع الناس من التصرف وصارت الدنيا كأنها
بجوز هرمة قد دنا منها الموت فاذا بلغت آخر برج الحوت وأول برج الحمل عاد الزمان كما كان عام أول وهذا دأبه
ذلك تقدير العزيز العليم وتدير الخبير الحكيم لا اله الا هو وقد شبه بطليموس فصل الربيع برمان الطفولية
وفصل الصيف بالشباب والخريف بالكهولة والشتاء بالشيخوخة وعن حركة الشمس وتقلها فى البروج
الاثنى عشر المذكورة تكون ازمان السنة وأوقات اليوم من الليل والنهار وساعاتها وعن حركة القمر فى البروج
الاثنى عشر تكون الشهور القمرية والسنة القمرية فالقمر يدور البروج الاثنى عشر ويقطع الفلك كله فى مدة
ثمانية وعشرين يوماً وبعض يوم ويقع فى كل برج يومين وثلاث يوم بالتقريب ويقع فى كل منزلة من منازل القمر
الثمانية والعشرين منزلة يوماً وليلة فيظهر عند اهلاله من ناحية الغرب بعد غروب جرم الشمس ويزيد نوره فى كل
ليلة قدر نصف سبع حتى يكمل نوره ويمتلئ فى ليلة الرابع عشر من اهلاله ثم يأخذ من الليلة الخامسة عشر

في النقصان فينقص من نوره في كل ليلة نصف سبع كما بدا الى أن يحق نوره في آخر الثمانية وعشرين يوما من اهلالة
ويتم في هذه المدة منذ يفارق الشمس ويدور في ناحية الغرب ويستمر الى أن يجامعها بثمانية وعشرين منزلة وهي
السرطان والبطين والثريا والذبران والهنعة والهنعة والذراع والنثرة والظرف والجبهة
والزبرة والصرفة والعوا والسماك والغفر والزبانا والاكيل والقلب والشولة والنعائم
والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية والفرع المقدم والفرع المؤخر
وبطن الحوت * وحساب ذلك كتب موضوعة وفيما ذكر كفاية والله يعلم وانتم لاتعلمون

(ذكر صورة الارض وموضع الاقاليم منها)

ولما تقدم في الافلاك من القول ما يتبين به لمن ألهمه الله تعالى كيف تكون الحركة التي بها الليل والنهار وتركب
الشهور والاعوام منها ما جاز حينئذ الكلام على الارض فأقول * الجهات من حيث هي ست الشرق وهو
حيث تطلع الشمس والقمر وسائر الكواكب في كل قطر من الافق والغرب وهو حيث تغرب والسماء وهو
حيث مدار الجدي والفرقدين والجنوب وهو حيث مدار سهيل والفوق وهو ممالي السماء والتحت وهو
ممالي مركز الارض * والارض جسم مستدير كالكرة وقيل ليست بكرة الشكل وهي واقفة في الهواء بجميع
جبالها وبحارها وعامرها والهواء محيط بها من جميع جهاتها كالخ في جوف البيضة وبعدها من
السماء متساو من جميع الجهات واسفل الارض ما تحقيقه هو عرق باطنها ممالي مركزها من أي جانب كان
ذهب الجمهور الى أن الارض كالكرة موضوعة في جوف الفلك كالخ في البيضة وأنها في الوسط وبعدها
في الفلك من جميع الجهات على التساوي وزعم هشام بن الحكم أن تحت الارض جسما من شأنه الارتفاع
وهو المانع للارض من الانحدار وهو ليس محتاجا الى ما بعده لانه ليس يطلب الانحدار بل الارتفاع وقال ان
الله تعالى وقفها بلا عماد وقال ريمقرطس انها تقوم على الماء وقد حصر الماء تحتها حتى لا يجرد مخرجها فيضطر
الى الانتقال وقال أخرى واقفة على الوسط على مقدار واحد من كل جانب والفلك يجذبها من كل وجه فذلك
لا تميل الى ناحية من الفلك دون ناحية لان قوة الاجزاء متكافئة وذلك كحجر المغناطيس في جذبه الحديد فان
الفلك بالطبع مغناطيس الارض فهو يجذبها فهي واقفة في الوسط وسبب وقوفها في الوسط سرعة تدبير الفلك
ودفعه اياها من كل جهه الى الوسط كما اذا وضعت ترابا في قارورة وأدبرتها بقوة فان التراب يقوم في الوسط وقال
محمد بن احمد الخوارزمي الارض في وسط السماء والوسط هو السفلى بالحقيقة وهي مدورة مضرسة من جهة
الجبال البارزة والوهاد الغائرة وذلك لا يخرجها عن الكرية اذا اعتبرت بجملة الان مقادير الجبال وان شئت
يسيرة بالقياس الى كورة الارض فان الكرة التي قطرها ذراع أو ذراعان مثلا اذا تأمتها شيء أو غار فيها
لا يخرجها عن الكرية ولا هذه التضاريس لاحاطة الماء بها من جميع جوانبها وغرها بحيث لا يظهر منها شيء
حينئذ تبطل الحكم المؤدية المودعة في المعادن والنبات والحيوان فسيحان من لا يعلم أسرار حكمه
الاهو * وأما سطحها الظاهر المماس للهواء من جميع الجهات فانه فوق والهواء فوق الارض يحيط بها ويجذبها
من سائر الجهات وفوق الهواء الافلاك المذكورة فيما تقدم واحدا فوق آخر الى الفلك التاسع الذي هو أعلى
الافلاك ونهاية المخلوقات بأسرها وقد اختلف فيما وراء ذلك فقيل خلاه وقيل لا خلاه ولا ملاء وكل موضع
يقف فيه الانسان من سطح الارض فان رأسه ابدى يكون ممالي السماء الى فوق ورجلاه ابدى تكون اسفل
ممالي مركز الارض وهو دائري من السماء نصفها ويستتر عنه النصف الآخر حدية الارض وكلما انتقل
من موضع الى آخر ظهر له من السماء بقدر ما خفي عنه * والارض غامرة بالماء كعنبه طافية فوق الماء
قد انحسر عنها شحو النصف وانحسر النصف الآخر في الارض وصار المنكشف من الارض نصفين كائنا قسم
بخط مسامت لخط معدل النهار يمر تحت دائرته وجميع البلاد التي على هذا الخط لا عرض لها البتة والقطبان غير
مرتبين فيها ويكونان هناك على دائرة الافق من الجانبين وكلما بعد موضع بلد عن هذا الخط الى ناحية
الشمال قدر درجة ارتفاع القطب الشمالي الذي هو الجدي على اهل ذلك البلد درجة وانخفض القطب
الجنوبي الذي هو سهيل درجة وهكذا ما زاد ويكون الامر فيما بعد من البلاد الواقعة في ناحية الجنوب
كذلك من ارتفاع القطب الجنوبي وانحطاط القطب الشمالي وبهذا عرف عرض البلدان وصار عرض

البلد عبارة عن ميل دائرة معدل النهار عن سمت رؤس اهلها وارتفاع القطب عليهم وهو ايضا بعد ما بين سمت
رؤس اهل ذلك البلد وسمت رؤس اهل بلد لا عرض له فأما ما أنكشف من الارض مما يلي الجنوب من خط
الاستواء فإنه خراب والنصف الآخر الذي يلي الشمال من خط الاستواء فهو الريع العامر وهو المسكون
من الارض وخط الاستواء لا وجود له في الخارج وانما هو فرض بوهمننا أنه خط ابتداء من المشرق الى المغرب
تحت مدار رأس الحمل وسمي بذلك من اجل أن النهار والليل هناك ابد اسواء لا يزيد ولا ينقص أحدهما عن الآخر
شيأ البتة في سائر أوقات السنة كلها ونقطتنا هذا الخط ملازمان للافق احدهما على مدار سهيل في ناحية
الجنوب والاخرى مما يلي الجدي في ناحية الشمال * والعمارة من المشرق الى المغرب مائة وثمانون درجة من
الجنوب الى الشمال من خط اريس الى بنات نعش ثمان واربعون درجة وهو مقدار ميل الشمس مرتين وخلف
خط اريس وهو مقدار ستة عشر درجة وبجولة معمور الارض نحو من سبعين درجة لا اعتدال مسير الشمس
في هذا الوسط ومرورها على ما وراء الحمل والميزان مرتين في السنة وأما الشمال والجنوب فالشمس لا تتأخر فيهما
الامرة واحدة ولان اوج الشمس مرتين في جهة الشمال كانت العمارة فيه لا ارتفاعها واتقاء ضرر قوتها غير
ساكنة ولان حضيضها في الجنوب عدت العمارة هناك * وقد اختلف الناس في مسافة الارض فقيل مسافتها
خمسمائة عام ثلث عمران وثلث خراب وثلث بحار وقيل المعمور من الارض مائة وعشرون سنة تسعون ليا جوج
وما جوج واثنا عشر للسودان وثمانية للروم وثلاثة للعرب وسبعة لسائر الامم وقيل الدنيا سبعة اجزاء ستة
ليا جوج وما جوج وواحد لسائر الناس وقيل الارض خمسمائة عام البحار ثلثمائة ومائة خراب ومائة عمران
وقيل الارض اربعة وعشرون ألف فرسخ للسودان اثنا عشر ألف وللروم ثمانية آلاف ولقارس ثلاثة آلاف
وللعرب ألف * وعن وهب بن منبه ما العمارة من الدنيا في الخراب الا كسطاط في الصحراء وقال ازدشير بن
تابك الارض اربعة اجزاء جزء منها للترك وجزء للعرب وجزء للفرس وجزء للسودان وقيل الاقاليم سبعة
والاطراف اربعة والدواحي خمسة واربعون والمدائن عشرة آلاف والرسائق مائة ألف وستة
وخمسون ألفا وقيل المدن والحصون احدى وعشرون ألفا وستة مائة مدينة وحصن في الاقليم الاول ثلاثة
آلاف ومائة مدينة كبيرة وفي الثاني ألفان وسبع مائة وثلاثة عشر مدينة وقرية كبيرة وفي الثالث ثلاثة
آلاف وتسعون مدينة وقرية وفي الرابع وهو بابل ألفان وتسعمائة وأربع وسبعون مدينة وفي الخامس
ثلاثة آلاف مدينة وست مائة وفي السادس ثلاثة آلاف واربع مائة وثمان مدن وفي السابع ثلاثة آلاف
وثلاث مائة مدينة في الجزائر وقال الخوارزمي قطر الارض سبعة آلاف فرسخ وهو نصف سدس الارض
والجبال والمفاوز والبحار والباقي خراب يباب لانيات فيه ولا حيوان وقيل المعمور من الارض مثل طائر
رأسه الصين والجنح الايمن الهند والسند والجنح الايسر الخزر وصدره مكة والعراق والشام ومصر وذنبه
الغرب * وقيل قطر الارض سبعة آلاف وأربعمائة واربعه عشر ميلا ودورها عشرون ألف ميل واربع مائة
ميل وذلك جميع ما احاطت به من بر وبحر * وقال أبو زيد أحمد بن سهل البلخي طول الارض من اقصى المشرق
الى اقصى المغرب نحو اربعمائة فرسخ وعرضها من حيث العمران الذي من جهة الشمال وهو مساكن
يا جوج وما جوج الى حيث العمران الذي من جهة الجنوب وهو مساكن السودان مائة وثمان وعشرون فرسخا
وما بين برارى يا جوج وما جوج الى البحر المحيط في الشمال وما بين برارى السودان والبحر المحيط في الجنوب
خراب ليس فيه عمارة ويقال أن مسافة ذلك خمسة آلاف فرسخ وهذه اقوال لا دليل على صدقها * والطريق في
معرفة مساحة الارض أن نألوسرنا على خط نصف النهار من الجنوب الى الشمال بقدر ميل دائرة معدل النهار عن
سمت رؤسنا الى الجنوب درجة من درج الفلك التي هي جزء من ثلاثمائة وستين جزءا وارتفاع القطب علينا درجة
نظير تلك الدرجة فانا تعلم اننا قد قطعنا من محيط جرم الارض جزءا من ثلاثمائة وستين جزءا وهو قطري ذلك الجزء من
الفلك فلو قسمنا من ابتداء مسيرنا الى انتهاء مكاننا الذي وصلنا اليه حيث ارتفاع القطب علينا درجة فانا نجد
حقيقة الدرجة الواحدة من الفلك قد قطعت من الارض ستة وخمسين ميلا وثلثي ميل عن خمسة وعشرون
فرسخا فاذا ضربنا حصة الدرجة الواحدة وهو ما ذكر من الاميال في ثلاثمائة وستين خرج من الضرب
عشرون ألفا واربع مائة ميل وذلك مساحة دور الارض فاذا قسمنا هذه الاميال التي هي مساحة دور الارض

على ثلاثة وسبع خرج من القسمة ستة آلاف وأربعمائة وأربعون ميلا وهي مساحة قطر الارض فلوضربنا هذا القطر في مبلغ دور الارض بلغت مساحة بسط الارض $\frac{1}{2}$ كسيرا مائة ألف ألف واثنين وثلاثين ألف ألف وستمائة ألف ميل بالتقريب فعلى هذا مساحة ربع الارض المسكون بالتكسير ثلاثة وثلاثون ألف ألف ميل ومائة وخمسون ألف ميل وعرض المسكون من هذا الربع بقدر بعده مدار السرطان عن القطب وهو خمسة وخمسون جزءا وسدس جزء وهذا هو سدس الارض واتنهاؤه الى جزيرة تولى في برطانية وهي آخر المعمور من الشمال وهو من الاميال ثلاثة آلاف وسبعمائة وأربعة وستون ميلا فاذا ضربنا هذا السدس الذي هو مساحة عرض الارض في النصف وهو مقدار الطول كان للعمور من الشمال قدر نصف سدس الارض واما الطول فانه يقل لتضايق اقسام كرة الارض ومقداره مثل خمس الدور وهو بالتقريب اربعة آلاف وثمانون ميلا وفي الربع المسكون من الارض سبعة أبحر كبار وفي كل بحر منها عدة جزائر وفيه خمسة عشر بحيرة منها ملح وعذب وفيه ما تساجل طوال وما تانهر وأربعون نهرا طوالا ويشتمل على سبعة اقاليم تحتوي على سبعة عشر ألف مدينة كبيرة وقال في كتاب هروشيوس لما استقامت طاعة بوليس الملقب قبصر الملك في عانة الديناخيرا أربعة من الفلاسفة سماهم فأمرهم أن يأخذوا له وصف حدود الدينا وعدة بحارها وكورها ارباعا فولى أحدهم أخذ وصف جزء الشرق وولى آخر أخذ وصف جزء المغرب وولى الثالث أخذ وصف جزء الشمال وولى الرابع أخذ وصف جزء الجنوب فتمت كتابة الجميع على ايديهم في نحو من ثلاثين سنة فكانت جملة البحار المسماة في الدينا تسعة وعشرين بحرا قد سموا منها بحيرة الشرق ثمانية وبحيرة الغرب ثمانية وبحيرة الشمال أحد عشر وبحيرة الجنوب اثنان وعدة الجزائر المعروفة الامهات احدى وسبعون جزيرة منها في الشرق ثمان وفي الغرب ست عشرة وفي جهة الشمال احدى وثلاثون وفي جهة الجنوب ست عشرة وعدة الجبال الكبار المعروفة في جميع الدينا ستة وثلاثون وهي أمتها الجبال وقد سموا فيها فاسر ومنها في جهة الشرق سبعة وفي جهة الغرب خمسة عشر وفي الشمال اثناعشر وفي الجنوب اثنان والبلدان الكبار ثلاثة وستون منها في المشرق سبعة وفي المغرب خمسة وعشرون وفي الشمال تسعة عشر وفي الجنوب اثناعشر وقد سموا والكور الكبار المعروفة تسع ومائتان منها في المشرق خمس وسبعون وفي المغرب ست وستون وفي الشمال ست وفي الجنوب اثنان وستون والانهار الكبار المعروفة في جميع الدينا ستة وخمسون منها في المشرق سبعة عشر وجزء الغرب ثلاثة عشر وجزء الشمال تسعة عشر وجزء الجنوب سبعة والاقاليم السبعة كل اقليم منها كانه بساط مفروش قدمه طول من الشرق الى الغرب وعرضه من الشمال الى الجنوب وهذه الاقاليم مختلفة الطول والعرض فالاقليم الاول منها يمتد وسطه بالمواضع التي طول نهارها الاطول ثلاثة عشر ساعة والسابع منها يمتد وسطه بالمواضع التي طول نهارها الاطول ست عشر ساعة لان ما حاذى حد الاقليم الاول الى نحو الجنوب يشتمل عليه البحر ولا عمارة فيه وما حاذى الاقليم السابع الى الشمال لا يعلم فيه عمارة فجعل طول الاقاليم السبعة من المشرق الى الغرب مسافة اثني عشرة ساعة من دور الفلك وصارت عرضها تتفاضل نصف ساعة من ساعات النهار الاطول فأطولها وأعرضها الاقليم الاول وطوله من المشرق الى المغرب نحو ثلاثة آلاف فرسخ وعرضه من الشمال الى الجنوب مائة وخمسون فرسخا وأقصرها طولاً وأعرضها الاقليم السابع وطوله من المشرق الى الغرب ألف وخمسمائة فرسخ وعرضه من الشمال الى الجنوب نحو من سبعين فرسخا وبقية الاقاليم الخمسة فيما بين ذلك وهذه الاقاليم خطوط متوهمة لا وجود لها في الخارج وضعها القدماء الذين جالوا في الارض ليقتفوا على حقيقة حدودها ويتقنوا مواضع البلدان منها ويعرفوا طرق مسالكها هذا حال الربع المسكون وأما الثلاثة الارباع الباقية فانها خراب فجأة الشمال واقعة تحت مدار الجدى قد أفرط هناك البرد وصارت ستة أشهر ليلا مستمرة وهي مدة الشتاء عندهم لا يعرف فيها نهار ويظلم الهواء ظلمة شديدة وتجمد المياه لقوة البرد فلا يكون هناك نبات ولا حيوان ويقابل هذه الجهة الشمالية ناحية الجنوب حيث مدار سهيل فيكون النهار ستة أشهر بغير ليل وهي مدة الصيف عندهم فيجى الهواء ويضرب بموجات يهلك بشدة جزءه الحيوان والنبات فلا يمكن سلوكه ولا السكنى فيه وأما ناحية الغرب فيمنع البحر المحيط من السلوك فيه لتلاطم امواجه وشدة ظلماته وناحية الشرق تمنع من سلوك الجبال الشاخنة وصار الناس اجتمعهم قد انحصروا في الربع المسكون من الارض

ولا علم لاحد منهم بالارض أى بالثلاثة الأرباع الباقية والارض كلها بجميع ما عليها من الجبال والبحار نسبتها الى القللك كنقطة في دائرة وقد اعتبرت حدود الأقاليم السبعة بساعات النهار وذلك أن الشمس اذا حلت برأس الحمل تساوى طول النهار والليل في سائر الأقاليم كلها فاذا انتقلت في درجات برج الحمل والنور والجوزاء اختلفت ساعات نهار كل اقليم فاذا بلغت آخر الجوزاء وأول برج السرطان بلغ طول النهار في وسط الاقليم الاول ثلاث عشرة ساعة سواء وصارت في وسط الاقليم الثاني ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة وفي وسط الاقليم الثالث اربع عشرة ساعة وفي وسط الاقليم الرابع اربع عشرة ساعة ونصف ساعة وفي وسط الاقليم الخامس خمس عشرة ساعة وفي وسط الاقليم السادس خمس عشرة ساعة ونصف ساعة وفي وسط الاقليم السابع ست عشرة ساعة سواء وما زاد على ذلك الى عرض تسعين درجة يصير نهارا كله * ومعنى طول البلد هو بعدها من اقصى العمارة في الغرب وعرضها هو بعدها عن خط الاستواء وخط الاستواء كما تقدم هو الموضع الذي يكون فيه الليل والنهار طول الزمان سواء فكل بلد على هذا الخط لا عرض له وكل بلد في اقصى الغرب لا طول له ومن اقصى الغرب الى اقصى الشرق مائة وثمانون درجة وكل بلد يكون طوله تسعين درجة فانه في وسط ما بين الشرق والغرب وكل بلد كان طوله اقل من تسعين درجة فانه اقرب الى الغرب وأبعد من الشرق وما كان طوله من البلاد اكثر من تسعين درجة فانه أبعد عن الغرب واقرب الى الشرق * وقد ذكر القديما أن العالم السفلى مقسوم سبعة اقسام كل قسم يقال له اقليم فأقليم الهند وحمل واقليم بابل للمشرق واقليم الترك للمغرب واقليم الروم للشمس واقليم مصر لعطارد واقليم الصين للقمر * وقال قوم الحمل والمشرق لبابل والجدى وعطارد للهند والاسد والمغرب للترك والميزان والشمس للروم ثم صارت السنة على اثني عشر برجاً فالحمل ومثله للمشرق والنور ومثله للجنوب والجوزاء ومثله للمغرب والسرطان ومثله للشمال فالواو في كل اقليم مدينتان عظيمتان بحسب بين كل كوكب الاقليم الشمس واقليم القمر فانه ليس في كل اقليم منهما سوى مدينة واحدة عظيمة وجميع مدائن الاقاليم السبعة وحصونها أحد وعشرون ألف مدينة وستمائة مدينة وحصن بقدر دقائق درج القللك وقال هرمس اذا جعلت هذه الدقائق روابيع كانت اناس هذه الاقاليم واذا مات أحد ولد نظيره ويقال أن عدد مدن الاقليم الاول من مطلع الشمس وقراها ثلاثة آلاف ومائة مدينة وقرية كبيرة وأن في الثاني ألفان وسبع مائة وثلاث عشرة مدينة وقرية كبيرة وفي الثالث ثلاثة آلاف وتسع وسبعون وفي الرابع وهو بابل ألفان وتسعمائة وأربع وسبعون وفي الخامس ثلاثة آلاف وست مدن وفي السادس ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمان مدن وفي السابع ثلاثة آلاف وثلاثمائة مدينة وقرية كبيرة في الجزائر * فالاقليم الاول يمر وسطه بالمواضع التي طول نهارها الاطول ثلاث عشرة ساعة ويرتفع القطب الشمالي فيها عن الافق ست عشرة درجة وثلاثاد درجة وهو العرض وانتهى عرض هذا الاقليم من حيث يكون طول النهار الاطول فيه ثلاث عشرة ساعة وربع ساعة وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض عشرون درجة ونصف درجة وهو مسافة اربعمائة واربعين ميلا وابتدأه من اقصى بلاد الصين فيتر فيها الى مايلي الجنوب ويمر بسواحل الهند ثم ببلاد المسند ويمر في البحر على جزيرة العرب وارض اليمن ويقطع بحر القلزم فيمر ببلاد الحبشة ويقطع نيل مصر الى بلاد الحبشة ومدينة دنقله من ارض النوبة ويمر في ارض المغرب على جنوب بلاد البربر الى نحو البحر المحيط وفي هذا الاقليم عشرون جبلا فيها ما طوله من عشرين فرسخا الى ألف فرسخ وفيه ثلاثون نهرا طويلا منها ما طوله ألف فرسخ الى عشرين فرسخا وفيه خمسون مدينة كبيرة وعامة اهل هذا الاقليم سودا اللون ولهذا الاقليم من البروج الحمل والقوس وله من الكواكب السيارة المشتري وهو مع فرط حرارته كثير المياه كثير المروج وزرع اهله الذرة والارز الا أن الاعتدال عندهم معدوم فلا يثمر عندهم كرم ولا حنطة والبقر عندهم كثير لكنثرة المروج وفي مشرقه البحر الخارج وراء خط الاستواء ثلاث عشرة درجة وفي مغربه النيل وبحر الغرب ومن هذا الاقليم يأتي نيل مصر وشرة هم معمور بالبحر الشرقي الذي هو بحر الهند واليمن * والاقليم الثاني حيث يكون طول النهار الاطول ثلاث عشرة ساعة ونصف ويرتفع القطب الشمالي فيه قدر أربعة وعشرين جزءا وعشر جزء وعرضه من حد الاقليم الاول الى حيث يكون النهار الاطول ثلاث عشرة ساعة ونصف وربع ساعة وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض سبعة وعشرون درجة ونصف درجة ومساحة هذا الاقليم اربعمائة ميل

ويتبدى من بلاد الشرق مارا ببلاد الصين الى بلاد الهند والسند ثم يلتقي البحر الاخضر وبحر البصرة ويقطع جزيرة العرب في أرض نجد وتهامة فيدخل في هذا الاقليم اليمامة والبحران وهجر ومكة والمدينة والطائف وأرض الحجاز ويقطع بحر القلزم فيتر بصعيد مصر الاعلى ويقطع النيل فيصير فيه مدينة قوص واخميم واسنى وأنصنا واسوان ويمر في أرض المغرب على وسط بلاد أفريقية فيتر على بلاد البربر الى البحر في المغرب وفي هذا الاقليم سبعة عشر جبلا وسبعة عشر نهرا طوالا واربع مائة وخمسون مدينة كبيرة وألوان اهل هذا الاقليم ما بين السمرة والسواد وله من البروج الجدى ومن السيارة زحل ويسكن هذا الاقليم الرحالة في المغرب منهم حداله وصنهاجه ولتونه ومسوفه ويتصل بهم رحالة مصر من الواح وفي هذا الاقليم يكون يحمل وفيه مكة والمدينة ومن السماوة من اهل العراق الى رحالة الترك * والاقليم الثالث وسطه حيث يكون طول النهار الاطول اربع عشرة ساعة وارتفاع القطب وهو العرض ثلاثون درجة ونصف وخمس درجة وعرض هذا الاقليم من حد الاقليم الثاني الى حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة وربع ساعة وارتفاع القطب وهو العرض ثلاث وثلاثون درجة ومساقته ثلاثمائة وخمسون ميلا ويتبدى من الشرق فيمر بشمال الصين وبلاد الهند وفيه مدينة الهندهار ثم بشمال السند وبلاد كابل وكرمان ومجستان الى سواحل بحر البصرة وفيه اصطخر وسابور وشيراز وسيراف ويمر بالاهاواز والعراق والبصرة وواسط وبغداد والكوفة والاباروهيت ويمر ببلاد الشام الى سلبية وصور وعكا ودمشق وطبرية وقيسارية وبيت المقدس وعسقلان وعزة ومدين والقلزم ويقطع اسفل أرض مصر من شمال انصنا الى فسطاط مصر وسواحل البحر وفيه القيوم والاسكندرية والعرواوتيس ودمياط ويمر ببلاد برقة الى افريقية فيدخل فيه القيروان وينتهي في البحر الى الغرب وبهذا الاقليم ثلاث وثلاثون جبلا كبارا واثنان وعشرون نهرا طوالا ومائة وعشرون مدينة واهل سمر الألوان وله من البروج العقرب ومن السيارة الزهرة وفي هذا الاقليم العمار المتواصلة من اوله الى آخره اه * والاقليم الرابع وسطه حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة ونصف ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض ست وثلاثون درجة وخمس درجة وحت هذا الاقليم من حد الاقليم الثالث الى حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة ونصف وربع ساعة والعرض تسعا وعشرين درجة وثلاث درجة ومسافة هذا الاقليم ثلاثمائة ميل ويتبدى من الشرق فيمر ببلاد البيت وخراسان ومجندة وفرغانة وسمرقند وبخارى وهراة ومرو والروندوسرخس وطوس ونيسابور وخران وقومس وطبرستان وقزوین والمديلم والرى واصفهان وهمذان ونهاوند ودينور والموصل ونصيبين وآمدوراس العين وشميساط والرقه ويمر ببلاد الشام فيدخل فيه بالسن ومسح وملطية وحلب وانطاكية وطرابلس والصبيصة وحماه وصيدا وطرسوس وعمورية واللاذقية ويقطع بحر الشام على جزيرة قبرس ورودس ويمر ببلاد طنجة فينتهى الى البحر المغرب وفي هذا الاقليم خمسة وعشرون جبلا كبارا وخمسة وعشرون نهرا طوالا ومائة وثلاث عشرة مدينة وألوان اهل ما بين السمرة والبياض وله من البروج الجوزاء ومن السيارة عطارد وفيه البحر الرومى من مغربه الى القسطنطينية ومن هذا الاقليم ظهرت الانبياء والرسل صلوات الله عليهم اجمعين ومنه انتشر الحكماء والعلماء فانه وسط الاقاليم ثلاثة جنوبية وثلاثة شمالية وهو في قسم الشمس وبعده في الفضيلة الاقليم الثالث والخامس فانهم اعلى جنبه وبقية الاقاليم منخطة اهلها ناقصون ومخطون عن الفضيلة لتسماجة صورهم وتوحش اخلاقهم كالزنج والحبيشة واكلهم الاقليم الاول والثاني والسادس والسابع يا جوج وما جوج والتغرغر والصقالبه ونحوهم * والاقليم الخامس وسطه حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض احدى واربعون درجة وثلاث درجة وابتداءه من نهاية عرض الاقليم الرابع الى حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف ساعة والعرض ثلاثا واربعين درجة ومساقته خمسون مائتا ميل ويتبدى من المشرق الى بلاد يا جوج وما جوج ويمر بشمال خراسان وفيه خوارزم واسيجاب واذر بيجان وبردعه ومجستان وأردن وخلط ويمر على بلاد الروم الى رومية الكبرى والاندلس حتى ينتهى الى البحر الذى في المغرب وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال ثلاثون جبلا ومن الانهار الكبار خمسة عشر نهرا ومن المدائن الكبار ما تامة واهلها بيض الألوان وله من البروج الدلو ومن السيارة القمر * والاقليم السادس وسطه حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض خمسة

واربعين درجة وخمسي درجة وابتداءً من حدتهاية عرض الاقليم الخامس الى حيث يكون النهار الاطول
خمس عشرة ساعة ونصف وربع ساعة والعرض سبعة واربعين درجة وربع درجة ومسافة هذا الاقليم مائتا
ميل وعشرة اميال ويتبدى من المشرق فيتر بمسكن الترك من ابخر خير والتغرغر الى بلاد الخزر من شمال
تجومهم على اللان والشير وارض برحان والقسطنطينية وشمال الاندلس الى البحر المحيط الغربي وفي هذا
الاقليم من الجبال الطوال اثنان وعشرون جبلا ومن الانهار الطوال اثنان وثلاثون نهرا ومن المدن الكبار
تسعون مدينة واكثر اهل هذا الاقليم ألوانهم ما بين الشقرة والبياض وله من البروج السرطان ومن السيارة
الترنج * والاقليم السابع وسطه حيث يكون النهار الاطول ست عشرة ساعة سواء وارتفاع القطب الشمالي
وهو العرض ثمانيا واربعين درجة وثلاثي درجة وابتداء هذا الاقليم من حدتهاية الاقليم السادس الى حيث
يكون النهار الاطول ست عشرة ساعة وربع ساعة والعرض خمسين درجة ونصف درجة ومسافته مائة وخمسة
وثمانون ميلا قتيبن أن ما بين أول حد الاقليم الاول وآخر حد الاقليم السابع ثلاث ساعات ونصف وأن ارتفاع
القطب الشمالي ثمانية وثلاثون درجة تكون من الاميال ألفين ومائة واربعين ميلا ويتبدى الاقليم
السابع من المشرق على بلاد يا جوج وما جوج ويمر ببلاد الترك على سواحل بحر جرجان مما يلي الشمال ويقطع
بحر الروم على بلاد جرجان والى مقابلة الى أن ينتهي الى البحر المحيط في المغرب وبهذا الاقليم عشرة جبال
طوال واربعون نهرا طوالا واثنان وعشرون مدينة كبيرة وأهل شقرة الألوان وله من البروج الميزان ومن
السيارة الشمس وفي كل اقليم من هذه الاقاليم السبعة امة مختلفة اللسان والالوان وغير ذلك من الطبايع
والاخلاق والآراء والديانات والمذاهب والعقائد والاعمال والصنائع والعبادات والعبادات لا يشبه بعضهم
بعضا وكذلك الحيوانات والمعادن والنسب مختلفة في الشكل والطعم واللون والريح بحسب اختلاف
اهوية البلدان وترتبة البقاع وعذوبة المياه وملوحتها على ما اقتضته طوابع كل بلد من البروج على افقه وممر
الكواكب على مسامحة البقاع من الارض ومطارج شعاعاتها على المواضع كما هو مقرر في مواضعه من كتب
الحكمة ليتدبرا ولوالته ويعتبر ذروا والحجي بتدبير الله في خلقه وتقديره لما يشاء وفعله لما يريد لا اله الا هو ومع ذلك
فإن الربع المسكون من الارض على تفاوت اقطاره مقسوم بين سبع امة كبارهم الصين والهند والسودان
والبربر والروم والترك والفرس فجنوب مشرق الارض في يد الصين وشماله في يد الترك ووسط جنوب الارض
في يد الهند وفي وسط شمال الارض الروم وفي جنوب مغرب الارض السودان وفي شمال مغرب الارض البربر
وكانت الفرس في وسط هذه الممالك قد أحاطت بهم الامم الست

* (ذكر محل مصر من الارض وموضعها من الاقسام السبعة) *

واذ ينسب الله سبحانه بذكر اجل احوال الارض ومعرفة ما في كل اقليم من اقاليم الارض فلنذكر محل مصر من
ذلك فنقول ديار مصر بعضها واقع في الاقليم الثاني وبعضها واقع في الاقليم الثالث فما كان منها في الصعيد
الاعلى كقوص واخمى واسنى وأنصنا واسوان فان ذلك واقع في اقسام الاقليم الثاني وما كان من ديار مصر في جهة
الشمال من انصنا وهو الصعيد الادنى من سيوط الى فسطاط مصر والقيوم والقاهرة والاسكندرية والغرما
وتنيس ودمياط فان ذلك من اقسام الاقليم الثالث وطول مدينة مصر الفسطاط والقاهرة وهو بعد مائة من أول
العمارة في جهة المغرب خمس وخمسون درجة والعرض وهو البعد من خط الاستواء ثلاثون درجة وطول النهار
الاطول اربع عشرة ساعة وغاية ارتفاع الشمس في الفلك بها ثلاث وثمانون درجة وثلاث وربع درجة وفسطاط
مصر مع القاهرة من مكة شرقيها الله تعالى واقعان في الربع الجنوبي الشرقي والصعيد الاعلى اشد تشريفا
لبعد عن مدينة الفسطاط بأيام عديدة في جهة الجنوب فيكون على ذلك مقابلا لمكة من غربيها ومصر
لا يتوصل اليها الا من مقارعة في شرقيها ببحر القلزم من وراء الجبل الشرقي وفي غربيها صحراء المغرب وفي جنوبها
مقارعة النوبة والحبشة وفي شمالها البحر الشامي والرمال التي في ما بين بحر الروم وبحر القلزم بين مصر وبغداد
على ما ذكره ابن جرداديه في كتاب المهالك والمسالك ألف وسبع مائة وعشرة اميال يكون خمسمائة وسبعين
فرسخا ومائة وبضعا واربعين بريدا وبين مصر والشام اعني دمشق ثلاثمائة وخمسة وستون ميلا تكون من
الفرسخ مائة واحدى وعشرين فرسخا وثلاثي فرسخ عنها ثلاثون بريدا وكسر وقال ابن جرداديه ارض الحبشة

والسودان مسيرة سبع سنين وأرض مصر جزء واحد من سنتين جزءاً من أرض السودان وأرض السودان جزء واحد من الأرض كلها وفي كتاب هردوشيش بلد مصر الأدنى شرقه فلسطين وغربه أرض ليسيه وأرض مصر الأعلى تمتد إلى ناحية الشرق وحدثه في الشمال خليج القرب وفي الجنوب البحر المحيط وفي الغرب مصر الأدنى وفي الشرق بحر القلزم وفيه من الاجناس ثمانية وعشرون جنساً

* (ذكر حدود مصر وجهاتها) *

اعلم أن التصديق هو صفة الحدود على ما هو عليه والحد هو نهاية الشيء والحدود تكثر وتقل بحسب الحدود والجهات التي تحتها المساكن والبقاع أربع جهات وهي جهة الشمال التي هي إشارة إلى موضع قطب الفلك الشمالي المعروف من كواكب الجدي والفرقدان ويقابل جهة الشمال الجهة الجنوبية والجنوب عبارة عن موضع قطب الفلك الجنوبي الذي يقرب منه سهيل وما يتبعه من كواكب السفينة والجهة الثالثة جهة المشرق وهو مشرق الشمس في الاعتدالين الذين هما رأس الحمل أول فصل الربيع ورأس الميزان أول فصل الخريف والجهة الرابعة جهة المغرب وهو مغرب الشمس في الاعتدالين المذكورين فهذه الجهات الأربع ثابتة بثبوت الفلك غير متغيرة بتغير الاوقات وبها تحدد الاراضي ونحوها من المساكن وبها يمتدى الناس في اسفارهم وبها يستخرجون سمك محار يربهم فالمشرق والمغرب معروفان والشمال والجنوب جهتان مقاطعتان لجهة المشرق والمغرب على تربيع الفلك فالخط المار بنقطتي الشمال والجنوب يسمى خط نصف النهار وهو مقاطع للخط المار بنقطتي المشرق والمغرب المسمى بخط الاستواء على زوايا قائمة وأبعاد ما بين هذين الخطين متساوية فالمستقبل للجنوب يكون أبداً مستديراً الشمال وبصير المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره وهذه الجهات الأربع هي التي ينسب اليها ما يحده من البلاد والاراضي والدور الآن أهل مصر يستعملون في تحديدهم بدلاً من الجهة الجنوبية لفظة القبلة فيقولون الحد القبلي ينتهي إلى كذا ولا يقولون الحد الجنوبي وكذلك يقولون الحد البحري ينتهي إلى كذا ويريدون بالبحري الحد الشمالي وقد يقع في هاتين الجهتين الغلط في بعض البلاد وذلك أن البلاد التي توافق عروضها عرض مكة إذا كانت أطولها أقل من طول مكة فإن القبلة تكون في هذه البلاد نفس الشرق بخلاف التي توافق عروضها عرض مكة إلا أن أطولها أطول من طول مكة فإن القبلة في هذه البلاد تكون نفس الغرب فمن حدد في شيء من هذه البلاد ارضاً أو مسكاً بحدود أربعة فانه يصير حدان منها حد واحد وكذلك جهة البحر لما جعلوا قبالة جهة القبلة وحددوا ما بينهما من الاراضي والدور بما يسامتها منه فانهم أخطأوا بذلك أن القبلة والبحر يكونان في بعض البلاد في جهة واحدة فإذا عرفت ذلك فاعلم أن أرض مصر لها حد يأخذ من بحر الروم من الاسكندرية وزعم قوم من برقة في البر حتى ينتهي إلى ظهر الواحات ويمتد إلى بلد النوبة ثم يعطف على حدود النوبة في حد اسوان على حد أرض السبعة في قبلي اسوان حتى ينتهي إلى بحر القلزم ثم يمتد على بحر القلزم ويحاذي القلزم إلى طور سيناء ويعطف على تبة بني اسرائيل ماراً إلى بحر الروم في الجفار خلف العريش وريح ويرجع إلى الساحل ماراً على بحر الروم إلى الاسكندرية ويصل بالحد الذي قدمت ذكره من نواحي برقة وقال أبو الصلت امية بن عبد العزيز في رسالته المصرية أرض مصر بأسرها واقعة في المعمورة في قسمي الاقليم الثاني والاقليم الثالث ومعظمهما في الثالث وحكي المعنونون باخبارها وتواريخها أن حدّها في الطول من مدينة برقة التي في جنوب البحر الرومي إلى ايلة من ساحل الخليج الخارج من بحر الحبشة والريج والهند والصين ومسافة ذلك قريب من اربعين يوماً وحدّها في العرض من مدينة اسوان وما سامتها من الصعيد الأعلى المتاخمة لارض النوبة إلى رشيد وما حاذها من مساقط النيل في البحر الرومي ومسافة ذلك قريب من ثلاثين يوماً ويكتشفها في العرض إلى منتهاها جبلان أحدهما في الضفة الشرقية من النيل وهو المقطم والآخر في الضفة الغربية منه والنيل متشرف فيما بينهما وهما جبلان أجردان غير شامخين يتقاربان جداً في وضعهما من لدن اسوان إلى أن ينتهي إلى القسطاط ثم يتسع ما بينهما وينفرج قليلاً ويأخذ المقطم منهما مشرقاً والآخر مغرباً على وراب في مأخذيهما وتفرج في مسلة بينهما فتتسع أرض مصر من القسطاط إلى ساحل البحر الرومي الذي عليه القرماء وتيس ودنياط ورشيد والاسكندرية فهناك تنقطع في عرضها الذي هو مسافة ما بين اوغلا في الجنوب وأوغلا في الشمال وإذا نظرتنا بالطريق البرهانية في مقدار

هذه المسافة من الامسال لم تبلغ ثلاثين ميلا بل تنقص عنها نقصا تاما له قدر وذلك لان فضل ما بين عرض مدينة اسوان التي هي اوغها في الجنوب وعرض مدينة تنيس التي هي اوغها في الشمال تسعة اجزاء ونحو سدس جزء وليس بين طولها افضل له قدر يعتد به ونوب ذلك نحو خمسمائة وعشرين ميلا بالتقريب وذلك مسافة عشرين يوما أو قريب منها وفي هذه المدة من الزمان تقطع السفار ما بين البلدين بالسير المعتدل أو أكثر من ذلك لما في الطريق من التعويج وعدم الاستقامة وقال القضاي الذي يقع عليه اسم مصر من العريش الى آخر لوبيه ومراقبه وفي آخر أرض مراقبه تلقى أرض انطابلس وهي برقة ومن العريش فصاعدا يكون ذلك مسيرة اربعين ليلة وهو ساحل كله على البحر الرومي وهو بحري أرض مصر وهو مهب الشمال منها الى القبلة شيئا ما فاذا بلغت آخر أرض مراقبه عدت ذات الشمال واستقبلت الجنوب وتسير في الرمل وانت متوجه الى القبلة يكون الرمل من مصبه عن يمينك الى افرقة وعن يسارك من أرض مصر الى أرض الفيوم منها وأرض الواحات الاربعة فذلك غربى مصر وهو ما استقبلته منه ثم تعوج من آخر أرض الواحات وتستقبل المشرق سائرا الى النيل تسير عما في ساحل الى النيل ثم على النيل فصاعدا وهي آخر أرض الاسلام هناك ويلها بلاد النوبة ثم يتقطع النيل فتأخذ من اسوان في المشرق منكبا عن بلد اسوان الى عيذاب ساحل البحر الحجازي فمن اسوان الى عيذاب خمس عشرة فرساجلة وذلك كله قبلى أرض مصر ومهب الجنوب منها ثم يتقطع البحر الملح من عيذاب الى أرض الحجاز فينزل الحوراء أقول أرض مصر وهي متصلة بأعراض مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا البحر المحدود هو بحر القلزم وهو داخل في أرض مصر بشرقيه وغربيه وبحريه فالشرقي منه أرض الحوراء وطنسه والنبك وأرض مدين وأرض ايلة فصاعدا الى المقطم بمصر والغربي منه ساحل عيذاب الى بحر النعام الى المقطم والبحري منه مدينة القلزم وجبل الطور ومن القلزم الى الفرما مسيرة يوم وليلة وهو الحاجر فيما بين البحرين بحر الحجاز وبحر الروم وهذا كله شرقي أرض مصر من الحوراء الى العريش وهو مهب الصبا منها فهذا المحدود من أرض مصر وما كان بعده من الحد الغربي فمن قنوج اهل مصر وثغورهم من البرقة الى الاندلس

* (ذكر بحر القلزم) *

القلزم الدواهي والمضايقة ومنه بحر القلزم لانه مضيق بين جبال ولما كانت أرض مصر منحصرة بين بحرين هما بحر القلزم من شريقها وبحر الروم من شماليها وكان بحر القلزم داخل في أرض مصر كما تقدم صار من شرط هذا الكتاب التعريف به فنقول هذا البحر انما عرف في ناحية ديار مصر بالقلزم لانه كان بساحله الغربي في شرقي أرض مصر مدينة تسمى القلزم وقد خربت كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى في موضعه من هذا الكتاب عند ذكرى قرى مصر ومدنها فسمى هذا البحر باسم تلك المدينة وقيل له بحر القلزم على الاضافة ويقال له بالعبرانية ثم تسوب وهذا البحر انما هو خليج يخرج من البحر الكبير المحيط بالارض الذي يقال له بحر اقيا ناس ويعرف أيضا ببحر الظلمات لتكاثف البحار المتصاعده منه وضعف الشمس عن حله فيغلظ وتشتد الظلمة ويعظم موج هذا البحر وتكثر اهواله ولم يوقف من خبره الا على ما عرف من بعض سواحله وما قرب من جزائره وفي جانب هذا البحر الغربي الذي يخرج منه البحر الرومي الا في ذكره ان شاء الله الجزائر الخالدات وهي فيما يقال ست جزائر يسكنها قوم متوحشون وفي جانب هذا البحر الشرقي مما يلي الصين ست جزائر أيضا تعرف بجزائر السلي نزلها بعض العلويين في أول الاسلام خوفا على انفسهم من القتل ويخرج من هذا المحيط ستة اجزاء عظمتها اثنان وهما اللذان عناهما الله تعالى بقوله مرج البحرين يلتقيان وقوله وجعل بين البحرين حاجزا فأحدهما من جهة الشرق والاخر من جهة الغرب فالخارج من جهة الشرق يقال له البحر الصيني والبحر الهندي والبحر الفارسي والبحر البيني والبحر الحبشي بحسب ما يمر عليه من البلدان وأما الخارج من الغرب فيقال له البحر الرومي فأما البحر الهندي الخارج من جهة الشرق فأن مبدأ خروجه من مشرق الصين وراء خط الاستواء بثلاثة عشر درجة ويجري الى ناحية الغرب فيمر على بلاد الصين وبلاد الهند الى مدينة كنبانه والى التعير من بلاد كران فاذا صار الى بلاد كران ينقسم هناك قسمين أحدهما يسمى بحر فارس والاخر يسمى بحر الصين فيخرج بحر الصين من ركن جبل خارج في البحر يسمى هذا الركن رأس الجمجمة فيمتد من هنالك الى مدينة طافار ويسير الى المسجور وساحل بلاد حضر موت الى عدن والى باب المندب وطول هذا البحر الهندي ثمانية

ألف ميل في عرض ألف وسبعمائة ميل عند بعض المواضع وربما ضاق عن هذا القدر من العرض فإذا انتهى إلى باب المندب يخرج إلى بحر القلزم والمندب جبل طوله اثنا عشر ميلا وسعة فوهته قدر ما يرى الرجل الآخر من البر تجاهه فإذا فارق باب المندب مرقى جهة الشمال بساحل زبيد والحرون إلى عثر وكانت عثر مقر الملك في القديم ويتر من هنالك على حلى إلى عسفان وأما وهي فرضة المدينة النبوية على الحال بها أفضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام ومنها على ما يقابل الحفة حيث يسمى اليوم رايخ إلى الحوراء ومدين وإيلة والطور وفاران ومدينة القلزم فإذا وصل إلى القلزم انعطف من جهة الجنوب ومز إلى القصير وهي فرضة قوص ومن القصير إلى عذاب وهي فرضة التحية ويمتد من عذاب إلى بلد الزيلع وهو ساحل بلاد الحبشة ويتصل ببربر ووطول هذا البحر ألف وخمسمائة ميل وعرضه من أربع مائة ميل إلى مادونها وهو بحر كربة المنظر والرائحة وفي هذا البحر مصب دجلة والفرات وعلى أطرافه بلاد السند وبلاد اليمن كأنها جزائر احاط بها الماء من جهاتها الثلاث وهو نهر يردع مهران كردع البحر الرومي لنيل مصر وفيه فيما بين مدينة القلزم ومدينة إيلة مكان يعرف بمدينة فاران وعند هاجبل لا يكاد ينبو منه مركب لشدة اختلاف الرياح وقوة عزمها من بين شعبي جبلين وهي بركة سعتها ستة أميال تعرف ببركة الغرندل يقال أن فرعون غرق فيه ما إذا هبت ريح الجنوب لا يمكن سلوك هذه البركة ويقال أن الغرندل اسم صنم كان في القديم هنالك قد وضع ليجس من خرج من أرض مصر مغاضبا للملك أوفارامنه وأن موسى عليه السلام لما خرج بيني إسرائيل من مصر وسار بهم مشرقا أمره الله سبحانه وتعالى أن ينزل تجاه هذا الصنم فلما بلغ ذلك فرعون ظن أن الصنم قد حبس موسى ومن معه ومنعهم من المسير كما يعهدونه منه فخرج بجندوه في طلب موسى وقومه ليأخذهم بزعمه فكان من غرقه ما قصه الله تعالى وسير دخبر موسى عليه السلام عند ذكر كنيسة دموه من هذا الكتاب في ذكر كائس اليهود وفي بحر القلزم هذا خمس عشرة جزيرة منها أربع عامرات وهي جزيرة دهلج وجزيرة سواكن وجزيرة النعمان وجزيرة السامري ويخرج من هذا البحر خليجان خليج لطيف ببلاد الهند المتصلة بالبحر الأعظم وخليج يحول بين بلاد السودان وبلاد اليمن عرض دفاقه نحو من فرسخين ويقرب هذا البحر من البحر الرومي في أعمال بلاد الشام وبلاد مصر حتى يكون بينهما نحو يوم

(ذكر البحر الرومي)

ولما كانت عدة بلاد من أرض مصر مغطاة على البحر الرومي كمدينة الاسكندرية ودمياط وتينس والفرما والعريش وغير ذلك وكان حد أرض مصر ينتهي في الجهة الشمالية إلى هذا البحر وهو نهاية مصب النيل حسن التعريف بشئ من أخباره وقد تقدم أن يخرج البحر الرومي هذا من جهة الغرب وهو يخرج في الأقاليم الرابع بين الأندلس والغرب سائرا إلى القسطنطينية ويقال أن اسكندر الجبار خفره وأجراه من البحر المحيط الغربي وأن جزيرة الأندلس وبلاد البر كانت أرضا واحدة يسمى كنها البربر والاشبان فكان بعضهم يغير على بعض إلى أن ملك اسكندر الجبار بن سلقوس بن أعر يس بن دويان فرغب إليه الاشبان في أن يجعل بينهم وبين البربر خليجان من البحر يسمى كنها به احتراز كل طائفة عن الأخرى فحفر زقا طوله ثمانية عشر ميلا في عرض اثني عشر ميلا وبني بجائيه سكرين وعقد بينهما قنطرة يجاز عليها وجعل عندها حرسا يمنعون البربر من الجواز عليها إلا بأذن وكان قاموس البحر أعلى من أرض هذا الزقاق فطما الماء حتى غطى السكرين مع القنطرة وساق بين يديه بلادا كثيرة وطني على عدة بلاد ويقال أن المسافرين في هذا الزقاق بالبحر يخبرون أن المراكب في بعض الاوقات يتوقف سيرها مع وجود الريح فيجدون المانع لها كونها قد سلكت بين شرافات السور وبين حائطين ثم عظم هذا الزقاق في الطول والعرض حتى صار مجرا عرضه ثمانية عشر ميلا ويذكر أن البحر إذا جزر ترى القنطرة حينئذ وهذا الخبر أظنه غير صحيح فان أخبار هذا البحر وكونه بسواحل مصر لم يزل ذكره في الدهر الأول قبل اسكندر بزمان طويل فاما أن يكون ذلك قد كان في أول الدهر مما علمه بعض الأوائل وأما أن يكون خيرا وأهيا والافزمان اسكندر حادث بعد كون هذا البحر والله اعلم * وهذا الزقاق صعب السلوك شديد الهول متلاطم الامواج وإذا خرج البحر من هذا الزقاق مرقا مشرقا في بلاد انبربر وشمال الغرب الأقصى إلى وسط بلاد المغرب على أفريقية وبرقة والاسكندرية وشمال التيه وأرض فلسطين والسواحل من بلاد الشام ثم يعطف

من هناك الى العلالي وانطاكيا الى ظهر بلاد القسطنطينية حتى ينتهي الى البحر المحيط الذي خرج منه وطول هذا البحر خمسة آلاف ميل وقبل ستة آلاف ميل وعرضه من سبعة مائة ميل الى ثلثمائة ميل وفيه مائة وسبعون جزيرة عامرة فيها امم كثيرة معروفة الا انه ليس من شرط هذا الكتاب منها مقلية وصورقه واقريطش وقبالة البحر الهندي من جهة المغرب ببحر خارج من المحيط في مغرب بلاد الرنج ينتهي الى قريب من جبل القمر وفيه مصب النيل المار على بلاد الحبشة وفي اسفله جزائر الخالدات التي هي منتهى الطول في المغرب ويقابل البحر الشامي من ناحية المشرق ببحر جرجان وقيل انه يتصل بالبحر المحيط من بين جبال شامخة وبحر الصليب ببحر يخرج من جهة المغرب بين الاقليم السادس والاقليم السابع وهو متسع وفيه جزائر كثيرة ومنها جزيرة الاندلس الا انها تتصل بالبر الكبير وهو جبل كالذراع يتصل بهذا البر عند برسلونه ولهم بحر يعرف بأجوج وما أجوج غزير وفيه عجائب الا انه ليس من شرط هذا الكتاب ذكرها ويقال ان مسافة هذا البر الرومي نحو أربعة اشهر وقال أبو الريحان محمد بن احمد البيروني في كتاب تحديد نهايات الاماكن لتعظيم مسافات المساكين وقد كان حترض بعض ملوك الفرس في بعض استبلائهم على مصر على أن يحفر واما بين البحرين القانم والرومي ويرفعوا من بينهما البرزخ وكان أولهم شاسيس بن طراطس الملك ثم من بعده دارنوش الملك فلم يتمكن لهم ذلك لارتفاع ماء القانم على ارض مصر فلما كانت دولة اليونانيين جاء بطليموس الثالث ففعل ذلك على يد أرسدس بحيث يحصل الغرض بلا ضرر فلما كانت دولة الروم القاصرة طموه منع المان يصل اليهم من اعدائهم وذكر بعض اصحاب السمر من الفلاسفة أن ما بين الاسكندرية وبلادها وبين القسطنطينية كان في قديم الزمان ارضاً تبت الجيز وكانت مسكونة وخجة وكان اهلها من اليونانية وأن الاسكندر خرق اليها البحر فغلب على تلك الارض وكان بها فيمار يعمون الطائر الذي يقال له قنقس وهو طائر حسن الصوت واذا حان موته زاد حسن صوته قبل ذلك بسبعة ايام حتى لا يمكن أحد يسمع صوته لانه يغلب على قلبه من حسن صوته ما عيت السامع وأنه يدركه قبل موته بأيام طرب عظيم وسرور فلا يهدأ من الصباح وزرعوا أن عامل الموسيقى من الفلاسفة أراد أن يسمع صوت قنقس في تلك الحال فغشى ان هجم عليه أن يقتله حسن صوته فسد اذنيه سداً محكما ثم قرب اليه فجعل يفتح من اذنيه شيئاً بعد شيء حتى استكمل فتح الاذنين في ثلاثة ايام ثم يد أن يتوصل الى سماعه رتبة بعد رتبة فلا ينفخه حسنه في أول مرة فيأق عليه وزرعوا أن ذلك الطائر هلك ولم يبق منه ولا من فراخه شيء بسبب هجوم ماء البحر عليه وعلى رهطه بالليل في الاوكار فلم يبق له بقية ويقال ان بعض الفلاسفة اراد ملك من الملوك قتله فأعطاه قدحاً فيه سم ليسر به فأعلمه بذلك فظهر منه مسرة وفرح فقال له ما هذا أيها الحكيم فقال هل اعجز أن اكون مثل قنقس

* (ذكر اشتقاق مصر ومعناها وتعداد أسماؤها) *

ويقال كان اسمها في الدهر الاول قبل الطوفان جرله ثم سميت مصر وقد اختلف اهل العلم في المعنى الذي من اجله سميت هذه الارض بمصر فقال قوم سميت بمصر ابن مراكيل بن دوايل بن عرياب بن آدم وهو مصر الاول وقيل بل سميت بمصر الثاني وهو مصرام بن يعراوش الجبار بن مصر يم الاول وبه سمي مصر بن بنصر بن حام بعد الطوفان وقيل بل سميت بمصر الثالث وهو مصر بن بنصر بن حام بن نوح وهو اسم اعجمي لا ينصرف وقال آخرون هي اسم عربي مشتق فأما من ذهب الى أن مصر اسم اعجمي فإنه استدل بما رواه اهل العلم بالاخبار من نزول مصر بن بنصر بهذه الارض وقسمها بين اولاده فعرفت به اهـ وذكر الحسن بن احمد الهمداني أن مصر ابن حام وهو مصر يم وقيل أن بنصر بن هرمس بن هر دوس جد الاسكندر قال ونلح لوما بن حام بنت شاويل ابن يافث بن نوح فولدت له بوقير وقبط أباً القبط قبط مصر ومن ههنا أن مصر بن حام وانما هو مصر بن هرمس ابن هر دوش بن بيطون بن زروي بن ليطي بن يونان وبه سميت مصر فهي معدونية وذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب اخبار الزمان أن بن آدم لما تنحسا وادبني عليهم بنو افايل بن آدم ركب بقراوش الجبار ابن مصر يم ابن مراكيل بن دوايل بن عرياب بن آدم عليه السلام في ثيف وسبعين راكبا من بنى عرياب جبارة كلهم يطمبون موضعاً من الارض يقطنون فيه فراراً من بنى ابيهم فلم ير الا عيشون حتى وصلوا الى النيل فأطالوا المشي عليه فلما رأوا سعة البلد فيه وحسنه اعجبهم وقالوا هذه بلد زرع وعمارة فأقطنوا فيه واستوطنوا وبنا فيه الابنية

الحكمة والصنائع العجيبة وبني نقر اوس مصر وسماها باسم ابيه مصريم وكان نقر اوس جبارا له قوة وكان مع ذلك عالما وله اتمر الحق في هلاك بني ابيه ولم يزل مطاعا وقد كان وقع اليه من العلوم التي كان زواميل علمها لا دم عليه السلام ما قهر به الجبابرة الذين كانوا قبله وملوكهم ثم امر حين ملك ببناء مدينة في موضع خيمته فقطعوا له الصخور من الجبال وأثاروا معادن الرصاص وبنوا مدينة سماها المسوس وأقاموا فيها أعلاما طول كل علم منها مائة ذراع وزرعوا وعمروا الارض ثم امرهم ببناء المدائن والقرى وأسكن كل ناحية من الارض من رأى ثم حفروا النيل حتى أجروا ماء اليهم ولم يكن قبل ذلك معتدل الجرى انما كان ينقطع ويتفرق في الارض حتى يتوجه الى النوبة فهندسوه وساقوا منه انهارا الى مواضع كثيرة من مدنها التي بنوها وساقوا منه نهرا الى مدنتهم امسوس يجرى في وسطها ثم جمعت مصر بعد الطوفان بمصر بن بنصر بن حام بن نوح وذلك أن قليمون الكاهن خرج من مصر ولحق بنوح عليه السلام وآمن به هو وأهله وولده وتلامذته وركب معه في السفينة وزوج ابنته من بنصر بن حام بن نوح فلما خرج نوح من السفينة وقسم الارض بين اولاده وكانت ابنته قليمون قد ولدت لبنصر ولدا سماه مصرايم فقال قليمون لنوح ابعت معي يا بني الله اخي حتى امضي به بلدي واظهره على كنوزي وأوقفه على علومه ورموزه فأثقفه معه في جماعة من اهل بيته وكان غلاما مرفها فلما قرب من مصر بنى له عرشا من اغصان الشجر وستره بجنيش الارض ثم بنى له بعد ذلك في هذا الموضع مدينة وسماها درسان اي باب الجنة فزرعوا وغرسوا الاشجار والاجنة من درسان الى البحر فصارت هناك زروع وأجنة وعمارة وكان الذي مع مصرايم جبابرة فقطعوا الصخور وبنوا المعالم والمصانع وأقاموا في أرغد عيش ويقال ان اهل مصر أقاموا عليهم مصرايم بن بنصر ملكا في ايام تالف بن عامر بن شاخ ابن أرغشد بن سام بن نوح فلك مصر وهي مدينة منبغة على النيل وسماها باسمه ويقال أن مصرايم غرس الاشجار بيده وكانت ثمارها عظيمة بحيث يشق الاترجة نصفين فيحمل على البعير نصفها وكان القناء في طول أربعة عشر شبرا ويقال انه أول من صنع السفن بالنيل وان أول سفينة كانت ثلثمائة ذراع طولا في عرض مائة ذراع ويقال أن مصرايم نكح امرأة من بني الكهنة فولدت له ولدا فسماه قطيم ونكح قطيم بعد سبعين سنة من عمره امرأة ولدت له أربعة نفر قطيم واشمون وأتريب وصافف كثروا وعمروا الارض وبورلك لهم فيها وقيل أنه كان عدد من وصل معهم ثلاثين رجلا فبنوا مدينة سموها نافة ومعنى نافة ثلاثون بلغتهم وهي منف وكشف اصحاب قليمون الكاهن عن كنوز مصر وعلومهم وأثاروا المعادن وعلوهم علم الطبسمات ووضعوا لهم علم الصنعة وبنوا على غير البحر مدنا منها رقودة مكان الاسكندرية ولما حضر مصرايم الوفاة عهد الى ابنه قطيم وكان قد قسم ارض مصر بين بنيه فجعل لقطيم من قسط الى اسوان ولاشمون من اشمون الى منف ولاتريب الخوف كله ولصام من ناحية صا البحرية الى قرب برقة وقال لاختيه فاروق من برقة الى الغرب فهو صاحب افريقه واولاد الافارق وامر كل واحد من بنيه أن يبنى لنفسه مدينة في موضعه وامرهم عند موته أن يحفروا له في الارض سراوا وان يفرشوه بالمرمر الابيض ويجعلوا فيه جسده ويدفنوا معه جميع ما في خزائنه من الذهب والجوهر ويزروا عليه اسماء الله تعالى المانعة من اخذه فحفروا له سرايا طوله مائة وخمسون ذراعا وجعلوا في وسطه مجلسا مصفيا مصفايح الذهب وجعلوا اربعة ابواب على كل باب منها تمثال من ذهب عليه تاج مرصع بالجوهر وهو جالس على كرسى من ذهب قوائمه من زبرجد وزبروا في صدر كل تمثال آيات مانعة وجعلوا جسده في جدر مرصع بالذهب وزبروا على مجلسه مات مصرايم بن بنصر ابن حام بن نوح بعد سبع مائة عام مضت من ايام الطوفان ولم يعبد الا صنما اذ لا هرم ولا سقام ولا حزن ولا اهتمام وحسنه باسماء الله العظام ولا يصل اليه الا ملك ولدته سبعة ملوك تدين بدين الملك الديان ويؤمن بالمبعوث بالفرقان الداعي الى الايمان آخر الزمان وجعلوا معه في ذلك المجلس ألف قطعة من الزبرجد والخروط وألف تمثال من الجوهر النفيس وألف برنية مملوءة من الدر القاهر والصنعة الالهية والعقار والطبسمات العجيبة رساتلك الذهب وسقفوا ذلك بالصخور وهالوا فوقها الزمال بين جبلين وولى ابنه قطيم الملك قال أبو محمد عبد الملك بن هشام في كتاب التحالف أن عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود أخى عاد ابن عامر ابن شاخ بن أرغشد بن سام بن نوح عليه السلام واسم عبد شمس هذا عامر وعرف بعبد شمس لانه أول من عبد

من هنا الى قوله وقال ابو القاسم ساقطة من كثير من التسخ فاعلمنا من زيادة من اطلع على الكتاب

الشمس وقيل له أيضا سببا لانه أول من سبأ وهو سببا الاكبر ابو جبر وكهلان ملك بعده أيه يشعب بأرض اليمن جمع بني لحطان وبني هود عليه السلام وحشهم على الغزو ثم سار بهم الى ارض بابل فتفكحها وقتل من كان بها من الثوار حتى بلغ ارض ارمينية وملك ارض بني يافث بن نوح وأراد أن يعبر من هناك الى الشام وأرض الجزيرة فقيل له ليس لك مجاز غير الرجوع في طريقك فبنى قنطرة على البحر وجاز عليها الى الشام فأخذ تلك الاراضى الى الدرب ولم يكن خلف الدرب اذ ذاك أحد ثم نهض يريد بلاد العرب قتل على النيل وجمع اهل مشورته وقال لهم اني رأيت أن أبني مصرا الى حد بين هذين البحرين يعني بحر الروم وبحر القزم فيكون فاصلا بين الشرق والغرب فقالوا نعم الرأي أيها الملك فبنى مدينة سماها مصر وولى عليها ابنه بابليون ومضى الى بني حام بن نوح وهم نزول في البراء الى بمونية وبعومونية القبط فأوقع تجميع تلك الطوائف وسبى ذرايعهم كما فعل بلاد الشرق فقيل له من اجل ذلك سببنا ثم عاد الى مصر ومضى فيها الى الشام يريد الحجاز وأوصى ابنه بابليون عند رحيله اه

الاقبل لبابليون والقول حكمة • ملكك زمام الشرق والغرب فاجل
وخذ لبني حام من الامر وسطه • فان صدقوا يوما عن الحق فاقبل
وان جنحوا بالقول للرفق طاعة • يريدون وجه الحق والعدل فاعدل
ولا تظهرن الرأي في البأس يعبروا • عليك به واجعله ضربة فيصل
ولا تأخذن المال في غير حق • وان جاء لاتدينه فحولك وابذل
وداوى ذوى الاحقاد بالسيف انه • متى يلق منك العزم ذوا الحقد يحمل
وجد لذوى الاحساب لينا وشدة • ولانك جبار اعليهم وأجل
وكن لسؤال الناس غوثا ورجة • ومن يك ذا عرف من الناس يسأل
وابالك والسفر القريب فانه • سيغنى بما يوليه في كل منهل

ثم عاد الى اليمن وبني سد مأرب وهو سد فيه سبعون نهرا ويصل اليه السيل من مسيرة ثلاثة اشهر في مثلها ثم مات عن خمسمائة سنة وقام من بعده ابنه جبر بن سبأ فبنا بنو حام على بابليون وأرادوا تخريب مصر فاستدعى أخاه جبر لينجده عليهم فقدم عليه مصر ومضى الى بلاد المغرب فأقام به مائة عام بيني المدائن ويتخذ المصانع فمات بابليون بن سبأ بمصر وولى بعده ابنه امرئ القيس بابليون ثم مات جبر بن سبأ عن اربع مائة سنة وخمس واربعين سنة منها في الملك اربع مائة سنة وأقام من بعده ويل بن جبر ثم مات فقام من بعده ابنه سليل بن وائل الذي يقال له مققع الحمد وقد اقترق ملك جبر فخارب الثوار وسار الى الشام فلقبه عمرو بن امرئ القيس بن بابليون بن سبأ بالرملة وقد ملك بعده ابنه وقدم له هدية فأقره على مصر حتى قدم عليه ابراهيم الخليل عليه السلام ووهبه هاجر • وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر وأخبارها عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال كان لنوح عليه السلام أربعة من الولد سام وحام ويافث ويخطون وأن نوحا رغب الى الله عز وجل وسأله أن يرزقه الاجابة في ولده وذريته حين تكاملوا بالنماء والبركة فوعدته ذلك فنادى نوح ولده وهم نيام عند السحرة فنادى ساما فأجابته يسعي وصاح سام في ولده فلم يجبه أحد منهم الا ابنه أرغشدد فانطلق به معه حتى أتياه فوضع نوح يمينه على سام وشماله على أرغشدد بن سام وسأل الله عز وجل أن يبارك في سام افضل البركة وأن يجعل الملك والنبوة في ولد أرغشدد ثم نادى حاما وتلفت يمينها وشمالا فلم يجبه ولم يقم اليه هو ولا أحد من ولده فدعا الله عز وجل نوح أن يجعل ولده أذلاء وأن يجعلهم عبيد الولد سام وكان مصر بن نصر بن حام نائما الى جنب جده فلما سمع دعاء نوح على جده وولده قام يسعي الى نوح وقال يا جدي قد أجبتك اذ لم يجبك جدي ولا أحد من ولده فاجعل لي دعوة من دعائك ففزع نوح ووضع يده على رأسه وقال اللهم انه قد اجاب دعوتي فبارك فيه وفي ذريته وأسكنه الارض المباركة التي هي أم البلاد وغوث العباد التي نهريها افضل انهار الدنيا واجعل فيها افضل البركات وسخر له ولولده الارض وذلها لهم وقوم عليها ثم دعا ابنه يافث فلم يجبه أحد من ولده فدعا الله عليهم أن يجعلهم شرارا خلقي وعاش سام مباركا الى أن مات وعاش ابنه أرغشدد بن سام مباركا حتى مات وكان الملك الذي يحبه الله والنبوة والبركة في ولد أرغشدد بن سام وكان اكبر ولد حام

كنعان بن حام وهو الذي حمل به في الرحى في الفلك فدعا عليه نوح فنوح أسود وكان في ولده الملك والجبروت والجفاء
 وهو أبو السودان والحبش كلهم وابنه الثاني كوش بن حام وهو أبو السند والهند وابنه الثالث قوط بن حام وهو
 أبو البربر وابنه الأصغر الرابع بنصر بن حام وهو أبو القبط كلهم فولد بنصر بن حام أربعة مصريين بنصر وهو أكبرهم
 والذي دعا له نوح بمادعاه وفارق بن بنصر وماح بن بنصر وقيل ولد مصراً أربعة فقط بن مصر وأثنى بن مصر وأتريب
 ابن مصر وصا بن مصر وعن أبي لهيعة وعبد الله بن خالد أول من سكن مصر بنصر بن حام بن نوح عليه السلام بعد
 أن أغرق الله تعالى قومه وأول مدينة عمرت بمصر منف فسكنها بنصر بولده وهم ثلاثون نفساً منهم أربعة أولاده
 قد بلغوا وترتوجوا وهم مصر وفارق وياح وماح وكان مصر أكبرهم فبنوا مصر وكان أقامتهم قبل ذلك بسبع المظلم
 ونفروا هنالك منازل كثيرة وكان نوح عليه السلام قد دعا مصر أن يسكنه الله الأرض الطيبة المباركة التي هي أم
 البلاد وغوث العباد ونهرها أفضل الأنهار ويجعل له فيم الفضل البركات ويسخر له الأرض ولولده وبذلها لهم
 ويقوم بهم عليها فأسأله عن أوصافها وأخبرها قالوا وكان مصر بن بنصر مع نوح في السفينة لمادعاه وكان بنصر
 بن حام قد كبر وضعف فساق ولده مصر وجميع أخوته إلى مصر فترلوها وبذلك سميت مصر فلما قرأ بنصر وبنيه
 بمصر قال لمصر أخوته فارق وياح بنوا بنصر قد علمنا أنك أكبرنا وأفضلنا وأن هذه الأرض التي أسكنك إياها
 جدك نوح ونحن نصيق عليك أرضك وذلك حين كثروا له وأولادهم ونحن نطلب اليك البركة التي جعلها فيك جدينا
 نوح أن تبارك لنا في أرض نلقى بها ونسكنها وتكون لنا ولادنا فقال نعم عليكم بأقرب البلاد إلى ولا تسعدوا
 متى فإن لي في بلادى مسيرة شهر من أربعة وجوه أحوزها لنفسى فتكون لي ولولدى ولولادهم فجاز مصر
 ابن بنصر لنفسه ما بين الشجرتين التي بالعريش إلى اسوان طولا ومن برقة إلى ايلة عرضا وحاز فارق لنفسه ما بين
 برقة إلى أفريقية وكان ولده الافارقة ولذلك سميت أفريقية وذلك مسيرة شهر وحاز ماح ما بين الشجرتين من منتهى
 حدم مصر إلى الجزيرة مسيرة شهر وهو أبو قبط الشام وحاز ياح ما وراء الجزيرة كلها ما بين البحر إلى الشرق مسيرة
 شهر وهو أبو قبط العراق ثم توفي بنصر بن حام ودفن في موضع دير أبي هرميس غربي الأهرام فهي أول مقبرة قبر
 فيها بأرض مصر وكثر أولاد مصر وكان الأكبر منهم فقط وأتريب وأثنى وصا والقبط من ولده مصر هذا ويقال
 أن قبط أخو فقط وهو بلسانهم قبطيم وقبطيم ومصر ايم قال ثم أن بنصر بن حام توفي واستخلف ابنه مصر وحاز
 كل واحد من أخوة مصر قطعة من الأرض لنفسه سوى أرض مصر التي حازها لنفسه ولولده فلما كثر ولد
 مصر وأولاد أولادهم قطع مصر لكل واحد من ولده قطعة يحوزها لنفسه ولولده وقسم لهم هذه النيل فقطع لابنه
 فقط موضع فقط فسكنها وبه سميت فقط فقط وما فوقها إلى اسوان وما دونها إلى اشمون في الشرق والغرب
 وقطع لأثنى من اشمون فادونها إلى منف في الشرق والغرب فسكن اثنى من اشمون فسميت به وقطع لأتريب ما بين
 منف إلى صافسكن اترى فسميت به وقطع لصا ما بين صا إلى البحر فسكن صا فسميت به فكانت مصر كلها على
 أربعة أجزاء جزءين بالصعيد وجزءين بأسفل الأرض قال البكري "مصر مؤنثة قال تعالى أليس لي ملك
 مصر وقال ادخلوا مصر وقال عامر بن أبي وائلة الكوفي "لما وبه أما عمرو بن العاص فأقطعت مصر وأما قوله
 سبحانه اهبطوا مصر فإنه أراد مصر آمن الأمصار وقرأ سليم الأعشى اهبطوا مصر وقال هي مصر التي عليها
 سليم بن علي فلم يجرها وقال القضاي وكان بنصر بن حام قد كبر وضعف فساقه ولده مصر وجميع
 أخوته إلى مصر فترلوها وبذلك سميت مصر وهو اسم لا ينصرف في المعرفة لأنه اسم مذكر سميت به
 هذه المدينة فاجتمع فيها التأنيت والتعريف فتعناها الصرف ثم قيل لكل مدينة عظيمة بطرقها السفار مصر فإذا
 اراد مصر من الأمصار صرف لزال إحدى العلتين وهي التعريف وأما قوله تعالى أخبارا عن موسى عليه
 السلام اهبطوا مصر فإن لكم ما سألتهم فانه مصر وف في قراءة سائر القراء وفي قراءة الحسن والأعشى غير
 مصروف فنصرفها لله وجهان أحدهما أنه أراد اهبطوا مصر من الأمصار لأنهم كانوا يومئذ في التيه
 والآخر أنه أراد مصر هذه بعينها وصرفها لأنه جعل مصر أسماء البلاد وهو مذكر راسم سمي به مذكر
 فلم يمنع الصرف وأما من لم يصرفه فإنه أراد بمصر هذه المدينة وكذلك قوله تعالى أخبارا عن يوسف عليه السلام
 ادخلوا مصر إن شاء الله آمين وقول فرعون أليس لي ملك مصر أم ماذا مصر هذه فاما المصر في كلام العرب
 فهو الحديثين الأرضين ويقال إن أهل هجر يقولون اشتريت الدار بصورها أي بجودها وقال الجاحظ

في كتاب مدح مصر انما سميت مصر بمصر لمصير الناس اليها واجتماعهم بها كما سمي مصير الجوف
مصيرا ومصرا لمصير الطعام اليه قال ويجمع المصر من البلدان أمصارا ويجمع مصير الطعام مصرا وليس لمصر
هذه جمع لانها واحدة قال وقال الاخطل همت بالاسلام ثم توقفت عنه قيل ولم ذلك قال اتيت امرأة لي وأنا
جائع فقلت أطلعيني شيئا فقالت يا جارية ضعي لابي مالك مصيرا في النار ففعلت فاستجبتها بالطعام فقالت يا جارية
ابن مصير أبي مالك قالت في النار قال فتطيرت وهمت بأن اسلم فتوقفت وقال الجوهرى في كتاب الصحاح
مصر هي المدينة المعروفة تذكروا ثوبت عن ابن السراج والمصران الكوفة والبصرة وقال ابن خالويه
في كتاب ليس أحد فسر لنا لم سميت مصر مقدونية قديما الا في اللسان العبراني قال مقدونية مغيث وانما
سميت مصر لما سكنها بنصر بن حام وتزعم الروم أن بلاد مقدونية جميعا وقف على الكنيسة العظمى التي
بالقسطنطينية ويسمون بلاد مقدونية الاوصفية وهي عندهم الاسكندرية وما يضاف اليها وهي مصر كلها بأسرها
الا الصعيد الأعلى ويقال لمصر ام خنوز وتفسره النعمة والمصر الفرق بين الشيشين قال الشاعر يصف الله
تعالى

وجاعل الشمس مصر الاخفاه * بين النهار وبين الليل قد فصلا

هذا البيت قائله عدى بن زيد العبادي ويروي لامية بن الصلب الثقفي وهو من ابيات أولها
اسمع حديثا كما يؤما تحته * عن ظهر غيب اذا ما سائل سألا
كيف بدا ثم رب الله نعمته * فيها وعلمنا آياته الا ولا
كانت رياح وسيل ذوكرانية * وظلمة لم تدع قفقا ولا خلا
فامر الظلمة السوداء فأنكشت * وعزل الماء عما كان قد شغلا
وبسط الارض بسطا ثم قدرها * تحت السماء سواميل وما نقلها
وجاعل الشمس مصر الاخفاه * بين النهار وبين الليل قد فصلا
وفي السماء مصابيح قضى لنا * ما ان تكلفنا زينا ولا قتلا
قضى لسته ايام من خلقته * وكان آخر شئ صور الرجل
فاخذ الله من طين فصوره * لما رأى أنه قد تم واعتدلا
دعا آدم صوتا فاستجاب له * فتفخ الروح في الجسم الذي جبلا
ثم اورثه الفردوس يسكنها * وزوجه صلعة من جنبه جعلها
لم يشبهه ربه عن غير واحدة * من شجر طيب ان شم أو كلا
وكانت الحية الرقشاء اذ خلقت * كما ترى ناقة في الخلق او جبلا
فلامها الله اذ أطفئت بخلقته * طول اللبالي ولم يجعل لها اجلا
تمشي على بطنها في الارض ما عمرت * والترب تأكله حزا وان سهلا

وقال الحافظ أبو الخطاب محمد الدين عمر بن دحية ومصر أخصب بلاد الله وسماها الله بمصر وهي هذه دون غيرها
باجماع القراء على ترك مصيرها وهي اسم لا يشصرف في معرفة لانه اسم مذكر سميت به هذه المدينة واجتمع فيه
التأنيث والتعريف فنعاء الصرف وهي عندنا مشتقة من مصرت الشاة اذا أخذت من ضرعها اللبن فسميت
مصر لكثرة ما فيها من الخير مما ليس في غيرها فلا يخالوسا كنهما من خير يد ر عليه منها كالشاة التي يتفجع بلبنها
وصوفها وولادتها وقال ابن الاعرابي المصر الوعاء ويقال للمعاصر وجمعه مصران ومصارين وكذلك هي
خزائن الارض قال أبو نضرة الغفاري من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصر خزائن الارض كلها
ألا ترى الى قول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني خفيظ عليم فأعانه الله بمصر يومئذ
وخزائنهم كل حاضر وبأد ذكره الحوفي في تفسيره وقال البكري أم خنوز بفتح أوله وتشديد ثانيه
وبالراء المهمل اسم لمصر وقال أرطاة بن شعبة قال ذبيان ذودوا عن دما تكم * ولا تكونوا كقوم أم خنوز
يقول لا تكونوا أذلاء يئالكم من اراد يأخذ منكم من حب كما يمتار مصر وهي أم خنوز قال كراع أم خنوز
النعمة ولذلك سميت مصر أم خنوز لكثرة خيرها وقال علي بن حمزة سميت أم خنوز لانها يساق اليها

القصار الاعمار ويقال للضبع خنور وخنوز بالاء والزاي وقال ابن قتيبة في غرائب الحديث ومصر الحد
 واهل هجر يكتبون في شروطهم اشترى فلان الدار بمصورها كلها أي بحدودها وقال عدى بن زيد
 وجاعل الشمس مصر الاخفاء به * بين النهار وبين الليل قد فصلا
 أي حدا

(ذكر طرف من فضائل مصر)

ولمصر فضائل كثيرة منها ان الله عز وجل ذكرها في كتابه العزيز بضعا وعشرين مرة تارة بصريح الذكور وتارة ايماء *
 قال تعالى اهبطوا مصر افا لكم ما سألتم قال أبو محمد عبد الحق بن عطية في تفسيره وجهور الناس يقرؤون
 بمصر بالتونين وهو خط المصاحف الا ما حكى عن بعض مصاحف عثمان رضي الله عنه وقال مجاهد وغيره
 من صرفها اراد مصر امن الامصار غير معين واستدلوا بما اقتضاه القرآن من امرهم بدخول القرية وبما تظاهرت
 به الرواية أنهم سكنوا الشام بعد التيه وقالت طائفة ممن صرفها اراد مصر فرعون بعينها واستدلوا بما في
 القرآن ان الله تعالى اورث بن اسرائيل ديار فرعون وآثاره وأجازوا صرفها قال الاخفش خلقتها وشبهها
 بهند ودعدو وسيبويه لا يبحر هذا وقال غير الاخفش اراد المكان فصرف وقرأ الحسن وابان بن ثعلب وغيرهما
 اهبطوا مصر بترك الصرف وكذلك هي في مصحف أبي بن كعب وقال هي مصر فرعون قال الاعشى هي مصر التي
 عليها صالح بن علي وقال اشهب قال لي مالك هي عندي مصر قرنتك مسكن فرعون قال تعالى ادخلوا مصر
 ان شاء الله آمنين قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن فرقد الشنخي قال خرج يوسف عليه السلام
 يتلقى يعقوب عليه السلام وركب اهل مصر مع يوسف وكانوا يعظمونه فلما دنأ أحدهما من صاحبه وكان
 يعقوب يمشي وهو توكأ على رجل من ولده يقال له يهوذا فنظر يعقوب الى الخليل والى الناس فقال يا يهوذا هذا
 فرعون مصر قال لا هذا انتك فلما دنأ كل واحد منهما من صاحبه قال يعقوب عليه السلام عليك يا ذاهب
 الاحزان عني * هكذا قال يا ذاهب الاحزان عني وقال تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبا القوم كما بمصر
 يوتوا واجعلوا بيوتكم قبله واقموا الصلاة قال الطبري عن ابن عباس وغيره كانت بنوا اسرائيل تخاف فرعون
 فأمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد يصلون فيها قال قتادة وذلك حين منعهم فرعون الصلاة فأمروا أن يجعلوا
 مساجدهم في بيوتهم وأن يوجهوا نحو القبلة وعن مجاهد بيوتكم قبله قال نحو الكعبة حين خاف موسى
 ومن معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة فأمروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبل الكعبة
 يصلون فيها سرا وعن مجاهد في قوله أن تبا القوم كما بمصر يوتوا قال الاسكندر بن * وقال تعالى مخبر عن
 فرعون انه قال أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون قال ابن عبد الحكم وأبو سعيد
 عبد الرحمن بن احمد بن يونس وغيرهما عن أبي زهم السماعي انه قال في قوله تعالى أليس لي ملك مصر وهذه
 الانهار تجري من تحتي قال ولم يكن يومئذ في الارض ملك اعظم من ملك مصر وكان جميع اهل الارضين
 يحتاجون الى مصر وأما الانهار فكانت قناطر وجسورا بتقدير وتدير حتى أن الماء يجري من تحت منازلها
 وأقنيتها فيجسونه كيف شاؤا فهذا ما ذكره الله سبحانه في مصر من أي الكتاب العزيز بصريح الذكر (وأما)
 ما وقعت اليها الاشارة فيه من الايات فعده * قال تعالى ولقد بوأنا بن اسرائيل مبوأ صدق وقال تعالى
 وأويناها الى روبة ذات قرار ومعين قال ابن عباس وسعيد بن المسيب ووهب بن منبه هي مصر وقال
 عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن ابيه هي الاسكندرية وقال تعالى فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم
 وقال تعالى كم تر كما من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين قال ابن يونس
 في قول الله سبحانه فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم قال أبو زهم كانت الجنات بحافتي النيل
 من أوله الى آخره من الجانبين ما بين اسوان الى رشيد وسبعة خلج خلج الاسكندرية وخليج منحا وخليج
 دمياط وخليج سردوس وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنى متصلة لا يتقطع منها شيء عن شيء وزروع
 ما بين الجبلين كله من أول مصر الى آخرها مما يلغى الماء وكان جميع ارض مصر كلها تروى يومئذ من
 ستة عشر ذراعا لما قد دروا من قناطرها وجسورها قال والمقام الكريم المنابر كان بها ألف منبر وقال
 مجاهد وسعيد بن جبير المقام الكريم المنابر وقال قتادة ومقام كريم أي حسن ونعمة كانوا فيها فاكهين

ناعين قال أي والله أخرجه الله من جثائه وعبونه وزرعه حتى ورطه في البحر وقال سعيد بن كثير بن عفيرا
 بقبة الهواء عند المأمون لما قدم مصر فقال لنا ما أدري ما أعجب فرعون من مصر حيث يقول أليس لي ملك مصر
 قلت أقول يا أمير المؤمنين فقال قل يا سعيد قلت ان الذي ترى بقية مدمر لآن الله عز وجل يقول ودمرنا
 ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون قال صدقت ثم أمسك وقال تعالى ونريد أن من على الذين
 استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكِّن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان
 وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقال تعالى مخبرا عن فرعون انه قال يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين
 في الارض وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه
 وما كانوا يعرشون وقال تعالى مخبرا عن قوم فرعون أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض يعني ارض مصر
 وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام انه قال اجعلني على خزانة الارض اني حفظ عليم وروى ابن يونس
 عن أبي نصر الغفاري رضي الله عنه قال مصر خزانة الارض كلها وسلطان الارض كلها لا ترى الى
 قول يوسف عليه السلام ملك مصر اجعلني على خزانة الارض ففعل فاغيت بمصر وخزائنها يومئذ كل حاضر
 وباد من جميع الارض وقال تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض حيث يشاء فكان ليوسف
 بسططانه بمصر جميع سلطان الارض كلها لاجتهد اليه والى ما تحت يديه وقال تعالى مخبرا عن موسى عليه
 السلام انه قال ربنا انك آتيت فرعون وملاؤه زينة واموالا في الحياة الدنيا ربنا لياضوا عن سبيلك ربنا اطمس على
 اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وقال تعالى عسى وبكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم
 في الارض فينظر كيف تعملون وقال تعالى وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف أن يبدل
 دينكم وأن يظهر في الارض السفاد يعني ارض مصر وقال تعالى ان فرعون علا في الارض يعني ارض مصر
 وقال تعالى حكاية عن بعض اخوة يوسف عليه السلام فلن ابرح الارض يعني ارض مصر وقال تعالى أن تريد الا
 أن تكون جبارا في الارض يعني ارض مصر قال ابن عباس رضي الله عنه سميت مصر بالارض كلها في عشرة
 مواضع من القران فهذا ما يحضر في مما ذكرت فيه مصر من آي كتاب الله العزيز وقد جاء في فضل مصر أحاديث
 روى عبد الله بن لهيعة من حديث عمرو بن العاص انه قال حدثني عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه انه سمع رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتح الله عليكم بعدى مصر فاتخذوا فيها جندا ككتياف ذلك الجند خيرا أجناد
 الارض قال أبو بكر رضي الله عنه ولم ذلك يا رسول الله قال لانهم في رباط الى يوم القيامة وعن عمرو بن الحق
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكون قسمة السلم الناس فيها أو خير الناس فيها الجند العربي قال فلذلك
 قدمت عليكم مصر وعن يسع بن عامر الكلاعي قال اقبلت من الصائفة فقلت أبا موسى الاشعري رضي
 الله عنه فقال لي من اين انت قلت من اهل مصر قال من الجند العربي قلت نعم قال الجند الضعيف قال قلت
 اهو الضعيف قال نعم قال أما انه ما كادهم أحد الا كفاهم الله مؤنته اذهب الى معاذ بن جبل حتى يحدثك
 قال فذهبت الى معاذ بن جبل فقال لي ما قال لك الشيخ فاخبرته فقال لي وأي شيء تذهب به الى بلادك احسن من
 هذا الحديث اكتب في أسفل ألواحك فلما رجعت الى معاذ اخبرني أن بذلك اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وروى ابن وهب من حديث صفوان بن عسال قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فتح الله بابا للتوبة
 في الغرب عرضه سبعون عاما لا يعلق حتى تطلع الشمس من فجوة وروى ابن لهيعة من حديث عمرو بن
 العاص حدثني عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل
 سيقع عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم منكم صبرا وذمة وروى ابن وهب قال اخبرني حرملة
 ابن عمران الجعفي عن عبد الرحمن بن شماسة المهري قال سمعت أبا ذر رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول انكم ستفتقون ارضا يذكركم فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورجا
 فاذا رايتهم رجلان يقتتلان في موضع لبنة فاخرجوا منها قال فتربربعة وعبد الرحمن ابن شرحبيل يتنازعا
 في موضع لبنة فخرج منها وفي رواية ستفتقون مصر وهي ارض يسمي فيها القيراط فاذا افتقتموها فاحسنوا الى
 اهلها فان لهم ذمة ورجا وقال ذمة وصبرا الحديث ورواه مالك والبيهقي وزاد فاستوصوا بالقبط خيرا اخرجه
 مسلم في الصحيح عن أبي الطاهر عن ابن وهب قال ابن شهاب وكان يقال ان أم اسماعيل منهم قال الليث بن سعد

قلت لابن شهاب ما رجعهم قال ان أم اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهم منهم وقال محمد بن اسحاق قلت للزهري ما الرجم التي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت هاجر أم اسماعيل منهم وروى ابن لهيعة من حديث ابي سالم الجديشاني أن بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم ستكونون اجنادا وان خير اجنادكم اهل الغرب منكم فأتقوا الله في القبط لاتأكلوهم اكل الخضر وعن مسلم بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استوصوا بالقبط خيرا فانكم ستجدونهم نعم الاعوان على قتال العدو وعن يزيد بن ابي حبيب أن اباسلة ابن عبد الرحمن حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصى عند وفاته أن يخرج اليه ومن جزيرة العرب وقال الله في قبط مصر فانكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة واعوانا في سبيل الله وروى ابن وهب عن موسى بن ايوب الغافقي عن رجل من الزند أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض فأنجي عليه ثم افاق فقال استوصوا بالادم الجعد ثم أنجي عليه الثانية ثم افاق فقال مثل ذلك ثم أنجي عليه الثالثة فقال مثل ذلك فقال القوم لولسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادم الجعد فافاق فسألوه فقال قبط مصر فانهم اخوال واصهار وهم اعوانكم على عدوكم واعوانكم على دينكم قالوا كيف يكونون اعوانا على ديننا يا رسول الله قال يكفونكم اعمال الدنيا وتفرغون للعبادة فاراضى بما يؤتيهم كالفاعل بهم والكاره لما يؤتي اليهم من الظلم كالمتمنزه عنهم وعن عمرو بن حريب وابي عبد الرحمن الحلبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم ستقدمون على قوم جعد رؤسهم فاستوصوا بهم خيرا فانهم قوة لكم وبلاغ الى عدوكم باذن الله يعني قبط مصر وعن ابن لهيعة حدثني مولى عفرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله في اهل المدرة السوداء السجيم الجعد فان لهم نسبا وصهرا قال عمرو مولى عفرة صهرهم أذر رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى فيهم ونسبهم ان أم اسماعيل عليه السلام منهم قال ابن وهب فاخبرني ابن لهيعة ان أم اسماعيل هاجر من أم العرب قرية كانت امام القرما من مصر وقال مروان القصاص صاهرا الى القبط من الانبياء ثلاثة ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام تسرى هاجر ويوسف تزوج بنت صاحب عين شمس ورسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى مارية وقال يزيد بن ابي حبيب قرية هاجر باق التي عندها أم ذنين وقال هشام العرب تقول هاجر وأجر فيبسدلون من الهاء الالف كما قالوا هراق الماء وأراق الماء ونحوه وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال الامصار سبعة * فالمدينة مصر والشأم مصر ومصر والجزيرة والبحرين والبصرة والكوفة وقال مكحول اول الارض خرابا ارمينة ثم مصر وقال عبد الله بن عمرو قبطه مصر اكرم الاعاجم كلها واسمعهم يدا وفضلهم عنصرا وأقرهم رجبا بالعرب عاتمة وبقريش خاصة ومن اراد أن يذكر الفردوس او ينظر الى مثلها في الدنيا فليتنظر الى ارض مصر حين يخضر زرعها وتور غمارها وقال كعب الاحبار من اراد أن ينظر الى شبه الجنة فليتنظر الى مصر اذا خرفت وفي رواية اذا ازهرت * (ومن فضائل مصر) * انه كان من اهلها السحرة وقد آمنوا جميعا في ساعة واحدة ولا يعلم جماعة اسلمت في ساعة واحدة اكثر من جماعة القبط وكانوا في قول يزيد بن ابي حبيب وغيره اثني عشر ساحرا رؤساء تحت يد كل ساحر منهم عشرون عريفا تحت يد كل عريف منهم ألف من السحرة فكان جميع السحرة مائتي الف واربعين الفا ومائتين واثنين وخمسين انسانا بالرؤساء والعرفاء فلما عاينوا ما عاينوا أيقنوا أن ذلك من السماء وأن السحرة لا يقوم لامر الله فخرت الرؤساء الاثنا عشر عند ذلك سجدا فاتبعهم العرفاء واتبع العرفاء من بني وقالوا آمناب رب العالمين رب موسى وهارون قال تبع كانوا من اصحاب موسى عليه السلام ولم يفتن منهم احد مع من اقتن من بني اسرائيل في عبادة العجل قال تبع ما آمن جماعة قط في ساعة واحدة مثل جماعة القبط وقال كعب الاحبار مثل قبط مصر كالغنيضة كلما قطعت نبتت حتى يخترب الله عز وجل بهم وبصنائعهم جزائر الروم وقال عبد الله بن عمرو خلقت الدنيا على خمس صور على صورة الطير برأسه وصدوره وجناحيه وذنبه فالرأس مكة والمدينة واليمن والصدر الشأم ومصر والجناح الايمن العراق وخلف العراق امة يقال لها اواق وخلف اواق امة يقال لها اواق وخلف ذلك من الامم ما لا يعلمه الا الله عز وجل والجناح الايسر السند وخلف السند الهند وخلف الهند امة يقال لها ناسك وخلف ناسك امة يقال لها منسك وخلف ذلك من الامم ما لا يعلمه الا الله عز وجل والذنب من ذات الحمام الى مغرب الشمس وشر ما في الطير الذنب وقال الجاحظ الامصار عشرة * الصناعة بالبصرة * والفصاحة بالكوفة

والخنيث ببغداد * والعي تباري * والجفابنيسابور * والحسن بهرة * والطرمدة بسمرقند * والمروية ببلخ
 والتجارة بمصر * والنجل بمر * الطرمدة كلام ليس له فعل وعن يحيى بن داخر الحافري أنه سمع عمرو بن
 العاص يقول في خطبته واعلموا انكم في رباط الى يوم القيامة ~~لم~~ كث الاعداء حولكم ولاشرف قلوبهم
 اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية وعن عبد الرحمن بن غنم الاشعري أنه قدم
 من الشام الى عبد الله بن عمرو بن العاص فقال ما قدمك الى بلادنا قال كنت تتحدثني ان مصر أسرع الارض
 خرابا ثم اراك قد اتخذت منها وبيت فيها انقصور واطمأنت فيها قال ان مصر قد أوفت خرابها حطمتها
 الجنة نصر فلم يدع فيها الا السباع والضباع فهي اليوم اطيب الارضين ترابا وبعدها خرابا ولا يزال فيها
 بركة مادام في ثنى من الارض بركة ويقال مصر متوسطة الدنيا قد سلمت من حر الاقليم الاول والثاني ومن
 برد الاقليم السادس والسابع ووقعت في الاقليم الثالث فطاب هواها وضعف حرها وخف بردها وسلم أهلها
 من مشاق الاهواز * ومصايف عمان * وصواعق تهامة * ودما بيل الجزيرة * وجرب اليمن وطواعين
 الشام * وبرسام العراق * وعقارب عسكر مكرم * ولحمال البحرين * وحج خيبر * وأمنوا من غارات الترك *
 وجيوش الروم * وهجوم العرب * ومكايد الديلم * وسرايا القرامطة * ونزف الانهار * وقط الامطار وروها
 ثمانون كورة ما فيها كورة الاوهم اطراف وعجائب من انواع البر والابنية والطعام والشراب والفاكهة وسائر
 ما تنتفع به الناس وتذخره الملوك يعرف بكل كورة وجهاتها وينسب كل لون الى كورة فصعيداها ارض حجازية
 حره حر العراق وينبت النخل والارز والقرط والدوم والعشر واسفل ارضها شامى يحيط بمطر الشام وينبت ثمار
 الشام من الكروم والزيتون واللوز والتين والجوز وسائر الفواكه والبقول والياحين ويقع به الثلج والبرد * وكورة
 الاسكندرية ولوية ومراقبة برارى وجبال وغياض تنبت الزيتون والاعناب وهي بلاد ابل وامشية وعسل ولبن
 وفي كل كورة من كورة مصر مدينة في كل مدينة منها آثار كريمة من الابنية والعمارة والرخام والعجائب وفي يملها
 السفن التي تحمل السفينة الواحدة منها ما يحمله خمسمائة بغير وكل قرية من قرى مصر تصلح أن تكون مدينة
 يؤيد ذلك قول الله سبحانه وتعالى وابعث في المدائن حاشرين ويعمل بمصر معامل كالسائر يعمل بها البيض
 بصنعة يوقد عليه فيحياكى نار الطبيعة في حضنة الدجاجة لبيضها ويخرج من تلك المعامل الفراريح وهي معظم
 دجاج مصر ولا يتم عمل هذا بغير مصر وقال عمر بن ميمون خرج موسى عليه السلام ببني اسرائيل فلما اصبح
 فرعون امر بشاة فأتى بها فأمر بها أن تذبح ثم قال لا يفرغ من سلخها حتى يجمع عندي خمس مائة ألف من
 القبط فاجتمعوا اليه فقال لهم فرعون ان هؤلاء لشدة قليلون وكان اصحاب موسى عليه السلام ستمائة ألف
 وسبعين ألفا ووصف بعضهم مصر فقال ثلاثة اشهر لؤلؤة بيضاء وثلاثة اشهر مسكة سوداء وثلاثة اشهر زمرذة
 خضراء وثلاثة اشهر سبيكة ذهب حراء فأما اللؤلؤة البيضاء فان مصر في اشهر اريب ومصرى ولوت يركبها
 الماء قبرى الدنيا بيضاء وضياها على روابي وتلال مثل الكواكب قد احيطت بها الماء من كل وجه فلا سبيل
 الى قرية من قراها الا في الزوارق واما المسكة السوداء فان في اشهر باب وها نور وكيك ينكشف الماء عن
 الارض فتصير ارض اسوداء وفي هذه الاشهر تقع الزراعات وأما الزمرذة الخضراء فان في اشهر طوبه وامشير
 وبرمهات يكثر نبات الارض وريبعها تصير خضراء كأنها زمرذة وأما السبيكة الحراء فان في اشهر بربر مودة
 وبشنس وبونة يتورد العشب ويبلغ الزرع المصاد فيكون كالسبيكة التي من الذهب منظارا ومنفعة * وسأل بعض
 الخلفاء الليث بن سعد عن الوقت الذي تطيب فيه مصر فقال اذا غاض ماؤها وارتفع وباءها وجف ثراها
 وأمكن مرعاها * وقال آخرها عجب وأرضها ذهب وخيرها جلب * وملكها سلب ومالها رغب
 وفي أهلها عجب وطاعتهم رهب وسلامهم شعب * وحرهم حرب * وهي لمن غلب * وقال آخر مصر من سادات
 القرى ورؤساء المدن * وقال زيد بن اسلم في قوله تعالى فان لم يصبروا بل فطل هي مصر ان لم يصبروا فطل
 وان اصابهم مطر اضعفت قاله المسعودي في تاريخه ويقال لما خلق الله آدم عليه السلام مثل له الدنيا شرقا
 وغربا وسهلا وجبالها وانهارها وبحارها ونباتها وخرابها ومن يسكن من الامم ومن يملكها من الملوك
 فلما رأى مصر ارضا سهلة ذات نهر جار ماذته من الجنة تنحدر فيه البركة ورأى جبلا من جبالها مكثوا نورا لا يتخلو
 من ظن الرب اليه بالرجة في سفعه اشجار مثمرة وفروعها في الجنة تسقى بماء الرحة فدعا آدم عليه السلام في النمل

بالبركة ودعا في ارض مصر بالرحمة والبر والتقوى وبارك في نيلها وجبلها سبع مرات وقال يا أيها الجبل المرحوم
 سفحك جنة وترتك مسكة يدفن فيها غراس الجنة ارض حافظة مطيعة رحيمة لا تخلفك يا مصر بركة ولا زال بك
 حفظ ولا زال منك ملك وعز يا ارض مصر فيك الخبايا والكنوز ولاك البر والثروة وسال نهرك عسلا كثيرا الله
 زدك وذر ضرعك وزكي نباتك وعظمت بركتك وخسبت ولا زال فيك خير ما لم تصبري وتكبري او تخوفي
 فاذا فعلت ذلك عد الشرم يغور خيرك فكان آدم اول من دعا لها بالرحمة والخصب والراقة والبركة وعن ابن
 عباس ان فوحا عليه السلام دعا مصر بن يصبر بن حام فقال اللهم انه قد أجاب دعوتي فبارك فيه وفي ذريته وأسكنه
 الارض المباركة التي هي أم البلاد وغوث العباد التي نهرها أفضل انهار الدنيا واجعل فيها افضل البركات
 وحضر له ولولده الارض وذلك اللهم وتوهم عليها وقال كعب الاحبار لولا رغبتي في بيت المقدس لما سكنت
 الا مصر فقيل له لم فقال لانها بلد معافاة من الفتن ومن ارادها بسوء كبه الله على وجهه وهو بلاد مباركة لاهله
 فيه وقال ابن وهب اخبرني يحيى بن ايوب عن خالد بن يزيد عن ابن ابي هلال ان كعب الاحبار كان يقول اني
 لاحب مصر واهلها لان مصر بلد معافاة واهلها اصحاب عافية وهم بذلك مفارقون ويقال ان في بعض الكتب
 الالهية مصر خزانة الارض كلها فمن ارادها بسوء قصمه الله تعالى وقال عمرو بن العاص ولاية مصر جامعة
 تعمل الخلافة يعني اذا جمع الخراج مع الامارة وقال احمد بن مديبر يحتاج مصر الى ثمانية وعشرين الف الف
 فدان واثماني عشر منها الف الف فدان وقد كشفت ارض مصر فوجدت عامرها اضعاف عامرها ولواشغل
 السلطان بعماريتها الوقت له بفراج الدنيا وقال بعضهم ان خراج العراق لم يكن قط او فر منه في ايام عمر
 ابن عبد العزيز فانه بلغ الف الف درهم وسبعة عشر الف الف درهم ولم تكن مصر قط اقل من خراجها في ايام
 عمرو بن العاص وانه بلغ اثني عشر الف الف دينار وكانت الشامات باربعة عشر الف الف سوى الثغور ومن
 فضائل مصر انه ولد بها من الانبياء موسى وهارون ويوشع عليهم السلام ويقال ان عيسى بن مريم صلوات
 الله عليه اخذ على سفح الجبل المقطم وهو سائر الى الشام فالتفت الى امته وقال يا اماء هذه مقبرة امته محمد صلى الله
 عليه وسلم ويذكر انه ولد في قرية اهناس من نواحي مصر وانه كانت به نخلة يقال انها النخلة المذكورة
 في القرآن بقوله سبحانه وتعالى وهزي النخلة يجذع النخلة وهذا القول وهم فانه لا خلاف بين علماء الاحبار من
 اهل الكتاب ومن يعتمد عليه من علماء المسلمين ان عيسى صلوات الله عليه ولد بقرية بيت لحم من بيت المقدس
 ودخل مصر من الانبياء ابراهيم خليل الرحمن وقد ذكر خبر ذلك عند ذكر خليج القاهرة من هذا الكتاب
 ودخلها ايضا يعقوب ويوسف والاسباط وقد ذكر ذلك في خبر القيوم ودخلها ارميا وكان من اهلها مؤمن
 آل فرعون الذي اتى عليه الله جل جلاله في القرآن ويقال انه ابن فرعون اصبه وأظنه انه غير صحيح
 وكان منها جلساء فرعون الذين ابان الله فضيلة عقلهم بحسن مشورتهم في امر موسى وهارون عليه
 السلام لما استشارهم فرعون في امرهما فقال تعالى قال للملائكة حوله ان هذا الساحر علم يريد ان يخرجكم من
 ارضكم بسحره فماذا اتاكم من قلوب ارجه واخاه وابعث في المداين حاشرين يأكلون بكل ساحر علم واين هذا من
 قول اصحاب التورود في ابراهيم صلوات الله عليه حيث اشاروا بقتله قال تعالى حكاية عنهم قالوا احرقوه وانصروا
 آلهتكم ان كنتم فاعلين ومن اهل مصر امرأة فرعون التي مدحها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله وضرب الله
 مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذا قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم
 الظالمين ومن اهلها ماشطة بنت فرعون وآمنت بموسى عليه السلام فسطها فرعون بامشاط الحديد كما يشط
 النكان وهي ثابتة على ايمانها بالله وقال ماعد اللغوى في بكتا مطبقات الامم ان جميع العلوم التي ظهرت قبل
 الطوفان انما صدرت عن هرمس الاول الساكن بصعيد مصر الاعلى وهو اول من تكلم في الجواهر العلوية
 والحركات الجوية وهو اول من اتى الهياكل ومجد الله فيها واول من نظرت في علم الطب وأتته لاهل زمانه
 قصائد موزونة في الاشياء الارضية والسموية وقالوا انه اول من اندر بالاعوان ورأى ان آفة سماوية تصيب
 الارض من الماء والنار تخاف ذهاب العلم واندراس الصنائع فبنى الاهرام والبرابي التي في بصعيد مصر
 الاعلى وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم فيها صفات العلوم حرصا على تخليدها لمن بعده وخيفة أن
 يذهب رتبها من العالم وهرمس هذا هو ادريس عليه السلام وقال أبو محمد الحسن بن اسماعيل بن

الفرات في اخبار مصر ان الخضر جاز البحر مع موسى عليه السلام وكان مقدما عنده وكان بمصر من الحكماء
 جماعة ممن عرفت الدنيا بكمالهم وحكمهم وتدبرهم وكان من علومهم علم الطب وعلم النجوم وعلم المساحة
 وعلم الهندسة وعلم الكيمياء وعلم الطلسمات ويقال كانت مصر في الزمن الاول يسير اليها طلاب العلوم لتزكو
 عقولهم وتجوذاً ذهانهم وتميز عندهم الذكاء وتندق الفطنة * ومن فضائل مصر انها تمير اهل الحرمين وتوسع عليهم
 ومصر فرضة الدنيا يحمل خيرها الى ما سواها فساحلها بمدينة القلزم يحمل منه الى الحرمين واليمن والهند
 والصين وعمان والسند والشجر وساحلها من جهة تنيس ودمياط والقرمافرة بلاد الروم والافرنج وسواحل
 الشام والثغور الى حدود العراق وثغر اسكندرية فرضة اقريطس وصقلية وبلاد المغرب ومن جهة الصعيد
 يحمل الى بلاد الغرب والنوبة والبحبة والحبشة والحجاز واليمن وبمصر عدة من الثغور المعدة للرباط في سبيل الله
 تعالى وهي البراس ورشيد والاسكندرية وذات الحمام والبحيرة واخنا ودمياط وشطا وتنيس والاشتوم والقرما
 والورادة والعريش واسوان وقوص والواحات فيغزى من هذه الثغور الروم والفرنج والبربر والنوبة والحبشة
 والسودان وبمصر عدة مشاهد وكثير من المساجد وبها النيل والاهرام والبرابي والاديار والكنائس
 واهلها يستغنون بها عن كل بلد حتى انه لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور لاستغنى اهلها بما فيها عن جميع
 البلاد وبمصر دهن البلسان الذي عظم منفعته وصارت ملوك الارض يطلبه من مصر وتعتني به وملوك
 النصرانية تتراعى على طلبه والنصارى كافة تعتقد تعظيمه وترى انه لا يتم نصير نصرا في الا بوضع شيء من دهن
 البلسان في ماء المعمودية عند تغطيسه فيها وبها السقنقور ومنافعه لا تنكرونها بالنس والعرس وله ما في اكل
 الثعابين فضيلة لا تنكر فقد قيل لولا العرس والنس لما سكنت مصر من كثرة الثعابين وبها السمكة الرعادة
 ونفعها في البرء من الحمى اذا علق على المحوم عجيب وبمصر حطب السنط ولا تطير في معناه فلو وقد منه تحت
 قدر يوما كاملا لما بقي منه رماد وهو مع ذلك صلب الكسر سريع الاشتعال بطيء الخلود ويقال انه انبوس غيره
 بقعة بمصر فصاها حجر وبها الافيون عصارة الخشخاش ولا يجهل منافعه الا جاهل وبها السنج وهو غرقدر
 اللوز الاخضر كان من محاسن مصر الا انه انقطع قبل سنة سبعمائة من الهجرة وبها الاترج قال ابو داود
 صاحب السير في كتاب الزكاة شربت ثمانية بمصر ثلاثة عشر شبرا ورأت اترجة على بعير قطعتين وصيرت مثل
 عدلين قال السعدي في التاريخ والاترج المدق رحل من ارض الهند بعد الثلاثمائة من سني الهجرة وزرع بعمان
 ثم نقل منها الى البصرة والعراق والشام حتى كثر في دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغور الشامية وفي انطاكية
 وسواحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا يعرف فعدت منه الازاهج الحمراء الطيبة واللون الحسن
 الذي كان فيه بارض الهند لعدم ذلك الهواء والترية وخاصة البلاد وفي مصر معدن الزمرد ومعدن النفط والشب
 والبرام ومقاطع الرخام ويقال كان بمصر من المعادن ثلاثون معدنا واهل مصر يأكلون صيد بحر الروم
 وصيد بحر اليمن طريا لان بين البحر من مسافة ما بين مدينة القلزم والقرما وذلك يوم وليلة وهو الحاجر المذكور
 في القرآن قال تعالى وجعل بين البحرين حاجزا قبل هما بحر الروم وبحر القلزم وقال تعالى مرج البحرين يلتقيان
 بينهما برزخ لا يبغيان قال بعض المفسرين البرزخ ما بين القلزم والقرما ومن محاسن مصر انه يوجد بها
 في كل شهر من شهور السنة القبطية صنف من الماء كحل والمشموم دون ما عدا من بقية الشهور فيقال رطب
 قوت ورماني باب وموزها توروسم كيمك وماء طوبه وخروف امشير وابن برمهاث وورد برموده ونبق بشنس
 وتين بونه وعسل ابيب وعنب مسرى * ومنها ان صيفها خريف كثيرة فواكهه وشتاءها ربيع لما يكون
 بمصر حينئذ من القرط والكتان ومن محاسنها ان الذي يتقطع من الفواكه في سائر البلدان ايام الشتاء يوجد
 حينئذ بمصر ومنها ان اهل مصر لا يحتاجون في حر الصيف الى استعمال الخيش والدخول في جوف الارض
 كما يهانيه اهل بغداد ولا يحتاجون في برد الشتاء الى لبس القرو والاصطلا بالنار الذي لا يستغنى عنه اهل الشام
 كما انهم ايضا في الصيف غير محتاجين الى استعمال الثلج ويقال بربجد مصر وقباطي مصر وجبر مصر
 وتعاين مصر ومنافعها في الدرباق جليله * ومن فضائل مصر ان الرخامة التي في الحجر من الكعبة من مصر
 بعث فيها محمد بن طريف مولى العباس بن محمد في سنة احدى واربعين ومائتين مع رخصة اخرى خضراء هدية
 للحجر فجعلت احدى الرخامين على سطح مدر الكعبة وهما من احسن الرخام في المسجد خضرة وكان المتولي

عليهما عبد الله بن محمد بن داود ذرعهما ذراع وثلاث اصابع قاله الفاكهي في اخبار مكة * ومن فضائل مصر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى من اهلها وولده صلى الله عليه وسلم من نساء مصر ولم يولد له ولد من غير
نساء العرب الا من نساء مصر * قال ابن عبد الحكم لما كانت سنة من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية بعث الى المولود فحضره حاطب بن ابي بلتعقة بكتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى الاسكندرية وجد المقوقس في مجلس مشرف على البحر فركب البحر فلما حاذى
مجلسه اشار بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصبعيه فلما رآه امر بالكتاب فقبض وأمر به فأوصل اليه
فلما قرأ الكتاب قال ما منعه ان كان نبيا أن يدعو علي فيسلط علي فقال له حاطب ما منع عيسى بن مريم
أن يدعو علي من ابي عليه ان يفعل به ويفعل فوجه ساعة ثم استعاده فأعادها عليه حاطب فسكت فقال له
حاطب انه قد كان قبلك رجل زعم انه الرب الاعلى فاتقم الله به ثم اتقم منه فاعتبر بغيرك ولا تعتبر بك وان لك
دينان تدعه الامما وخير منه وهو الاسلام الكافي الله به فقد ماسواه وما بشارة موسى بعيسى الا بكشارة
عيسى بمحمد وما عارنا اليك الى القرآن الا كدعائك اهل التوراة الى الانجيل ولست انت اله عن دين المسيح
ولكننا امرنا به * ثم قرأ الكتاب فاذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط
سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام فأسلم تسلم يوثق الله ابرك مرتين ويأجل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا اربابا من دون الله
فان تولوا فقلوا اشهدوا بانا مسلمون) فلما قرأه اخذه فجعله في حق من عاج وختم عليه * وعن ابان بن صالح
قال ارسل المقوقس الى حاطب ليله وليس عنده احد الا ترجمان فقال له ألا تخبرني عن امور أسألك عنها فاني
اعلم ان صاحبك قد تخبرك حين بعثك قلت لا تسألني عن شيء الا صدقتك قال الى ما يدعو محمد قال الى ان تعبد
الله ولا تشرك به شيئا وتخلص ماسواه وأمر بالصلاة قال فكيف تصلون قال خمس صلوات في اليوم والليلة وصيام
شهر ربه رمضان وحج البيت والوفاء بالعهد وينهي عن اكل الميتة والدم قال من اتباعه قال الفتيان من قومه
وغيرهم قال وهل يقبل قوله قال نعم قال صفه لي قال فوصفته بصفة من صفته ولم أت عليه قال قد بقيت اشياء
لم ازل ذكرتها في عيني حرة قل ما تفارقه وبين كنفية خاتم النبوة يركب الحمار ويلبس الشملة ويجترى بالقرات
والكسرا ليلالي من لاق من عم ولا ابن عم قلت هذه صفته قال قد كنت اعلم ان نبيا بقي وقد كنت اظن ان مخرجه
الشام وهناك كانت تخرج الانبياء من قبله فأراه قد خرج في ارض العرب في ارض جهد وبؤس والقبط
لانفا وعنى في اتباعه ولا احب أن تعلم بمخاورتي اياك وسيظهر على البلاد ويترك اصحابه من بعده بسا حشا هذه
حق يظهر واعلى ما ههنا وأنا لا اذكر لك القبط من هذا حرقا فارجع الى صاحبك قال ثم دعي كاتبيا يكتب بالعربية
فكتب (لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو
اليه وقد علمت ان نبيا قد بقي وقد كنت اظن ان نبيا يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين
اهما مكان في القبط وبكسوة واهديت اليك بغلة لتركها والسلام) * وعن عبد الرحمن بن عبد القاري
قال لما مضى حاطب بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل المقوقس الكتاب واكرم حاطبا واحسن نزله
ثم شرحه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له كسوة وبغلة يسرجهما وجاريتين احدهما ام ابراهيم
ووهب الاخرى بلهم بن قيس العبدري فهي ام زكريا بن جهم الذي كان خليفة عمرو بن العاص على مصر
ويقال بل وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة الانصاري ويقال بل لاحية بن خليفة الكلبي
وقيل بل لحسان بن ثابت * وعن يزيد بن ابي حبيب أن المقوقس لما اتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمه
الى صدره وقال هذا زمان يخرج فيه النبي الذي شجده نعتة وصفته في كتاب الله تعالى وانا لنجد صفته انه لا يجمع
بين اثنين في ملك بين ولا نكاح وانه يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة وان جلساه المساكين وان خاتم النبوة بين
كنفيه ثم دعا رجلا عاقلا ثم لم يدع بمصر احسن ولا اجل من مارية واختها وهما من اهل جفن يفتح آوله وسكون
ثانيه ثم فون بعده من كورة انصافا فبعث بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له بغلة شهباء وحمارا
اشهب وثيابا من قباطي مصر وعسلا من غسل بها وبعث اليه بمال صدقة ويقال ان المقوقس اهدى الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم اربع جوارى وقيل جاريتين وبغلة اسمها الدلدل وحمار اسمه يعفور وقبأ وألف مثقال

ذهبوا وعشرين ثوباً من قباطى مصر وخصيه اسمى ما يور ويقال انه ابن عم مارية وفر ما يقال له الكثر اروقدا
من زجاج وعسل من غسل بها فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم ودعا فيه بالبركة وقال ضن الحديث بملكه ولا بقاء
للملكه فان المقوقس قال خيرا واكرم حاطب ابن ابي بلتعقة وقارب الامر ولم يسلم * وقال ابن سعد اخبرنا محمد بن عمر
الواقدي ابو يعقوب ابن محمد بن ابي صعصعة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي صعصعة قال اهدى المقوقس
صاحب الاسكندرية الى النبي صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من الهجرة مارية واختها سيرين وألف مثقال ذهباً
وعشرين ثوباً وبغلة الدلدل وحماره عفيرا وخصيه يقال له ما يور فعرض حاطب على مارية الاسلام فأسلت هي
واختها ثم اسلم الخصي بعد وكان الذي بعثه المقوقس مع مارية اسمه ابن عبد الله القبطى مولى بنى عسار قال ابن
عبد الحكم وامر رسوله أن يتظر من جلساؤه ويتظر الى ظهوره هل يرى شامة كبيرة ذات شعر ففعل ذلك الرسول
فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم اليه الاختين والدائتين والعسل والشباب وأعلمه ان ذات كاه
هدية فتقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدية وكان لا يرد هاتين احد من الناس قال فلما نظر الى مارية واختها
اعجبتهما وكره ان يجمع بينهما وكانت احدهما تشبه الاخرى فقال اللهم اختر ليك فاختر الله له مارية وذلك
الله لما قال لهما اسمدا ان لا اله الا الله وان محمد عبده ورسوله فبادرت مارية فتشهدت وآمنت قبل اختها ومكثت
اختها ساعة ثم تشهدت وآمنت فوهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اختها لمسلمة بن محمد الانصارى وقال بعضهم
بل وهبها لخدمة بن خليفة الكلبى * وعن يزيد بن ابي حبيب عن عبد الرحمن بن شامة المهري عن عبد الله بن عمر
قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام ابراهيم ام تولده القبطية فوجد عندها نسيباً لها كان قدم معها
من مصر وكان كثير ما يدخل عليها فوقع في نفسه شئ فرجع فلقبه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعرف ذلك
في وجهه فسأله فاخبره فاخذ عمر السيف ثم دخل على مارية وقرئها عندها فأهوى اليه بالسيف فلما رأى ذلك
كشف عن نفسه وكان محبوباً ليس بين رجله شئ فلما رآه عمر رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل اتاني فاخبرني ان الله عز وجل قد برأها وقرئها وان في بطنها غلاماً منى
وانه اشبه الخلق بي وأمرني ان اسميه ابراهيم وكانى بأبي ابراهيم * وقال الزهري عن انس لما ولدت ام ابراهيم ابراهيم
كانه وقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم منه شئ حتى جاءه جبريل فقال السلام عليك يا ابا ابراهيم ويقال
ان المقوقس بعث معها نخصى كان يأوى اليها وقبل ان المقوقس اهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم جوارى
منهن ام ابراهيم وواحدة وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي جهنم بن حذيفة وواحدة وهبها لحسان بن ثابت
فولدت مارية رسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم وكان احب الناس اليه حتى مات فوجد به وكان سنه
يوم مات ستة عشر شهرا وكانت البغلة والحمار احب دوابه اليه وسمى البغلة الدلدل وسمى الحمار يعقورا وأعجبه
العسل فدعا في غسل بها بالبركة وبقيت تلك الثياب حتى كفن في بعضها صلى الله عليه وسلم وكان اسم اخت مارية
قيصر وقيل بل كان اسمها سيرين وقيل حنة * وكلم الحسن بن علي معوية بن ابي سفيان في ان يضع الجزية عن جميع
قرية ام ابراهيم لحرمتها ففعل ووضع الخراج عنهم فلم يكن على احد منهم خراج وكان جميع اهل القرية من اهلها
وأقربائهم فانقطعوا * وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لولبي ابراهيم ما تركت قبطيا الا وضعت
عنه الجزية وماتت مارية في محرم سنة خمس عشرة بالمدينة وقال ابن وهب اخبرني يحيى بن ايوب وابن لهيعة
عن عقيل عن الزهري عن يعقوب بن عبد الله بن المغيرة بن الاخفش عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
دخل ابليس العراق ففضى حاجته منها ثم دخل الشام فطردوه حتى دخل جبل شاق ثم دخل مصر فباض فيها
وفرخ وبسط عقره حديث صحيح غريب وقد عاب بعضهم مصر فقال محاسنها مجلوبة اليها حتى العناصر الاربعة
الماء وهو في النيل مجلوب من الجنوب والتراب مجلوب في حل الماء والا فهي رمل محض لا تنبت الزرع والنار
لا يوجد بها شجرها والهواء لا يهب بها الا من احد البحرين امامن الروم وامامن القلزم وقد زاد هذا في تحامله
* وقال كعب الاحبار الجزية آمنة من الخراب حتى تخرب ارمينه ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة
والكوفة آمنة من الخراب حتى تكون المهمة

* (ذكر العجائب التي كانت بمصر من الطلسمات والبرابي ونحو ذلك) *

ذكر في كتاب عجائب الحكايات وغرائب الماخرات انه كان بمصر حجر من جع كعبه عليه تقياً جميع ما في جوفه
قال

قال القاضي ذكر الجاحظ وغيره أن عجائب الدنيا ثلاثون أعجوبة منها بسائر الدنيا عشر أعجوبات وهي مسجد دمشق وكنيسة الرها وقنطرة سنجر وقصر غمدان وكنيسة رومية وصنم الزيتون وإيوان كسرى بالمداين وبيت الرمح بدمر والخورنق والسدير بالحيرة والثلاثة الأخرى عليك وذكرنا هيات المشتري والزهره وأنه كان لكل كوكب من السبعة بيت فيها قهدة (ومنها بمصر عشرون أعجوبة) فمن ذلك الهرمان وهما الطول بناء وأعجبه ليس على وجه الدنيا بناء باليد حجر على حجر أطول منهما وإذا رأيتهما ظننت أنهما جبلان موضوعان ولذلك قال بعض من رآهما ليس من شيء إلا وأنا أرحمه من الدهر إلا الهرمين فاني لأرحم الدهر منهما * ومن ذلك صنم الهرمين وهو يلهو به ويقال يلهيت ويقال انه طلسم للرمل لتلايقاب على ابلز الجيزة * ومن ذلك بربا ممنود وهو من أعاجيبها وذكر عن أبي عمرو الكندي أنه قال رأيت به وقد خزن فيه بعض عماله اقترظا فرأيت الجمل اذا دام من بابه بحمله واراد ان يدخله سقط كل ديب في القوط لم يدخل منه شيء الى البربا ثم خرب عند الحسيق والثمانه * ومن ذلك بربا أعجيب من عجائب بما فيه من الصور وأعاجيب وصور الملوك الذين يملكون مصر وكان ذوالنون الاخي يقرأ البرابي فرأى فيها حكما عظيمة فأفسد أكثرها * ومن ذلك بربا دندره وهو بربا أعجيب فيه ثمانون ومائة كوة تدخل الشمس كل يوم من كوة منها ثم الثانية حتى تنتهي الى آخرها ثم تكثر راجعة الى موضع بدايتها * ومن ذلك حائط العجوز من العريش الى اسوان يحيط بأرض مصر شرقا وغربا * ومن ذلك الاسكندرية وما فيها من العجائب من عجائب المنارة والسواري والملاعب الذي كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنة ثم يرمون بكرة فلا تقع في حجر أحد الملوك مصر وحضر عديدا من أعيادهم عربون العاص فوقع الكرة في حجره فملك البلد بعد ذلك في الاسلام ثم يحضر هذا الملاعب ألف ألف من الناس فلا يكون فيهم أحد الا وهو يتظر في وجه صاحبه ثم ان قرئ كتاب معوه جميعا اولع نوع من انواع الالعاب رآوه عن آخرهم لا يتناولون فيه بأكثر من المراتب العلية والسفلية * ومن عجائبها المستنان وهما جبلان قائمان على سرطانات نحاس في اركانها كل ركن على سرطان فلما أراد مر يد أن يدخل تحتها شيا حتى يبره من جانبها الآخر ففعل * ومن عجائبها عودا الاعيا وهما عودان ملقيان وراء كل عود منهما جبل حصبا كصبرا الجمار يعني يقبل المعنى اتعب النصب بسبع حصيات حتى يلتقي على احدهما ثم يرمي وراءه السبع ويقوم ولا يلتفت ويغضي لحيته فكأنما يحمل حمالا يحس بشيء من تعب ومن عجائبها القبة الخضراء وهي اعجب قبة ملبسة نحاسا كأنه الذهب الابريز لا يليه القدم ولا يحلقه الدهر * ومن عجائبها منية عقبة وقصر فارس وكنيسة اسفل الارض ثم هي مدينة على مدينة ليس على وجه الارض مدينة بهذه الصفة سواها ويقال انها ارم ذات العماد سميت بذلك لان عدها ورنماها من البدحنا والاصطنيدس المخطط طولها وعرضا * ومن عجائب مصر أيضا الجبال التي هي بصعيدها على نيلها وهي ثلاثة اجبل فمنها جبل الكهف ويقال الكف ومنها الطيلون ومنها جبل زما جيز الساحرة يقال ان فيه حلقة من الجبل ظاهرة مشرفة على النيل لا يصل اليها احد يلوح فيها خط مخلوق باهك الالهم * ومن عجائبها شعب البوقيرات بناحية اشمون من ارض الصعيد وهو شعب في جبل فيه صدع تأتبه البوقيرات في يوم من السنة كان معروفًا تعرض انفسها على الصدع فكلما ادخل بوقير منها منقاره في الصدع مضى لسبيله فلا يزال يفعل ذلك حتى ياتي الصدع على بوقير منها فتحبسه وتغضي كلها ولا يزال ذلك الذي يحبسه متعلقا حتى يتساقط ويتلاشى * ومن عجائبها عين شمس وهي هيكل الشمس وبها العمودان اللذان لم ير أعجيب منهما ولا من شأنهما طولهما في السماء فجو من تحسب ذراعا وهما محمولان على وجه الارض وفيهما صورة انسان على دابة وعلى رأسهما شبه الصومعتين من نحاس فاذا جاء النيل قطرن من رأسهما ماء وتستبينه وتراه منهما وانحبا ينبع حتى يجري في اسفلهما فينبت في اصلهما العوسج وغيره واذا حلت الشمس دقيقة من الجدى وهو اقصر يوم في السنة انتهت الى الجنوبي منها فطلعت عليه على قمة رأسه وهي منتهى الميلين وخط الاستواء في الواسطة منهما ثم خارت بينهما ذاهبة وجائبة سائر السنة كذا يقول اهل العلم بذلك * ومن عجائبها منف وعجائبها وأصنامها وأبنيتها ودقائنها وكنوزها وما يذكرفها أكثر من ان يحصى من آثار الملوك والحكام والانباء لا يدفع ذلك * ومن عجائبها القرما وهي اكثر عجائبها وأكثر آثارا * ومن عجائبها الفيوم * ومن عجائبها نيلها ومن عجائبها الحجر المعروف بجعر الخلل يطفو على الخلل ويسبح فيه كأنه سمكة

وكان يوجد بها حجر اذا أمسكه الانسان بكتا يديه تقابا كل شئ في بطنه وكان بها خرقة تجعلها المرأة على حقوها فلا تجبل وكان بها حجر يوضع على حرف التنور فينساقل خبزه وكان يوجد بصعيدا حجارة رخوة تكسر فتقتد كلها صبيح * ومن عجائبا حوض كان بدالات تدور من حجارة يركب فيها الواحد والاربعة ويحتركون الماء بشئ فيعبرون من جانب الى جانب لا يعلم من عمله فأخذ كافر الاخشيدى الى مصر فنظر اليه ثم اخرج من الماء فالتقى في البر وكان في اسفله كتابة لا يدري ما هي ثم بطل * ومن عجائبا ان بصعيدا ضاعفة تعرف بدشني فيما سئطة اذا تهددت بالقطع تدبل وتجتمع وتضمر فيقال لها قد عفونا عنك وتركناك فتراجع والمشهور وهو الموجود الآن سئطة في الصعيد اذا نزلت اليه عليها دبلك واذا رفعت عنها تراجمت وقد حملت الى مصر وشهدت وبها نوع من الخشب يرسب في الماء كالابنوس وبها الخشب السسنت الذي يوجد منه القدر الكبير في الزمان الطويل فلا يوجد له رماد * وذكر ابن نصر المصري انه كان على باب القصر الكبير الذي يقال له باب الرجمان عند الكنيسة المهلمة صنم من نحاس على خلقه الجمل وعليه رجل راكب عليه عمامة مشكبة قوسا عريية وفي رجليه نعلان كانت الروم والقبط وغيرهم اذا اقبلوا يذبحون واعتيدي بعضهم على بعض تجاروا اليه حتى يقفوا بين يدي ذلك الجمل فيقول المظلوم للظالم انصفني قبل ان يخرج هذا راكب الجمل فيأخذ الحق في منك شت ام ايت يعنون بالراكب النبي محمد صلى الله عليه وسلم فلما قدم عمرو بن العاص غيبت الروم ذلك الجمل لئلا يكون شاهدا عليهم قال ابن لهيعة بلغني ان تلك الصورة في ذلك الموضع قد أتى الآن عليها سنيين لا يدري من عملها * قال القاضي * فهذه عشرون اعجوبة من جملتها ما يتضمن عدة عجائب فلو بسطت لجاء منها عدد كثير ويقال ليس من بلده شئ غريب الا وفي مصر مثله اوشيه به * ثم فضل مصر على البلدان بعجائبا التي ليست في بلد سواها وفي كتاب تحفة الالباب انه كان بمصر بيت تحت الارض فيه رهبان من النصارى وفي البيت سرير صغير من خشب تحت صبي ميت ملفوف في قطع اديم مشدود يجبل وعلى السرير مثل الباطية فيها انبوب من نحاس فيه قنبل اذا اشتعل القنبل بالنار وصار سررا خارج من ذلك الانبوب الزيت الصافي الحسن الطاق حتى تمتلئ تلك الباطية وينطفي السراج بكثرة الزيت فاذا انطفأ لم يخرج من الدهن شئ فاذا خرج الصبي الميت من تحت السرير لم يخرج من الزيت شئ والباطية يريتها الانسان فلا يرى تحتها شيئا ولا موضعا فيه ثقب واولئك الرهبان يتعبدون من ذلك الزيت يشتميه الناس منهم فينتفعون به * وقال الاساذ ابراهيم بن وصيف شاه عديم الملك ابن تقطريم كان جبارا لبطاق عظيم الخلق فأمر بقطع الصنوبر ليعمل هرما كما عمل الاولون وكان في وقته الملكان اللذان ابعيا من السماء وكانا في بئر يقال له افتاراه وكانا يعلمان اهل مصر السحر وكان يقال ان الملك عديم بن اليهودشير استكن من علمهما ثم اتقلا الى بابل واهل مصر من القبط يقولون انهما شيطانان يقال لهما ماله وبهاله وليس بهما الملكين والملكين يسايل في بئر هناك يغشاها السحرة الى ان تقوم الساعة ومن ذلك الوقت عبدت الاصنام وقال قوم كان الشيطان يظهر وينصبها لهم وقال قوم اول من نصبها بدوره واول صنم اقامه صنم الشمس وقال آخرون بل الترو الاول امر الملوك بنصبها وعبادتها وعديم اول من صلب وذلك ان امرأة زنت برجل من اهل الصناعات وكان لها زوج من اصحاب الملك فأمر بصلبها على منارين وجعل ظهر كل واحد منهما الى ظهر الآخر وزبر على المنارين اسمهما وما فعلاه وتاريخ الوقت الذي عمل ذلك بهما فيه فاتمى الناس عن الزنى وبني اربع مسددين وأودعها صنوفا كثيرة من عجائب الاعمال والطلسمات وكثر فيها كنوزا كثيرة وعمل في الشرق منار او اقام على رأسه صفا موجهها الى الشرق ماذا يديه يمنع دواب البحر والرمال ان تتجاوز حدة وزير في صدره تاريخ الوقت الذي نصبه فيه ويقال ان هذا المنار قائم الى وقتنا هذا ولولا هذا الغلب الماء الملح من البحر الشرقي على ارض مصر وعمل على النيل قنطرة في اول بلاد النوبة ونصب عليها اربعة اصنام موجهة الى اربع جهات الدنيا في يدي كل واحد من الاصنام حربتان يضرب بهما اذا اتاهم آت من تلك الجهة فلم تزل بجبالها الى ان دهمها فرعون موسى عليه السلام وعمل البرابعا على باب النوبة وهو هناك الى وقتنا هذا وعمل في احدى المداين الاربع التي ذكرناها حوضا من صوان اسود مملوء ماء لا يتقص طول الدهر ولا يتقصر ماؤه لانه اجتلب اليه من رطوبة الهواء وكان اهل تلك الناحية واهل تلك المدينة يشربون منه ولا يتقص ماؤه وعمل ذلك لبعدهم عن النيل وذكر بعض كهنة القبط ان ذلك الماء ثم لقربه من البحر الملح فان الشمس ترفع بجزرها بجزر البحر فينحصر

من ذلك

من ذلك البضار جزأ بالهندسة أو بالسحر وتجعله يحيط ذلك في ذلك الموضع بالجواهر مثل الظل وتمتد بالهواء فلا يتقص بذلك ماؤه على الدهر ولو شرب منه العالم وعمل قدحاً لطيفاً على مثل هذا العمل وأهداه حوميل الملك إلى اسکندر اليوناني وملكهم عديم مائة وأربعين سنة ومات وهو ابن سبع مائة وثلاثين سنة ودفن في إحدى المدائن ذات العجائب وقيل في صحراء فقط * وذكر بعض القبط أن ناووس عديم عمل في صحراء فقط على وجه الأرض تحت قبة عظيمة من زجاج أخضر برّاق معقود على رأسها كرة من ذهب عليها طائر من ذهب موثق بجوهر منشور الجناحين يمنع من الدخول إلى القبة وكان قطرهما مائة ذراع في مثلها وجعل جسده في وسطها على سرير من ذهب مشبك وهو مكشوف الوجه وعليه ثياب منسوجة بالذهب المغرور بالجواهر المنظوم وطول القبة أربعون ذراعاً وجعل في القبة مائة وسبعين مصحفاً من الحكمة وسبع موائد بأوانيها مائدة من درّمانى آجر وأوانيها منها ومائدة من ذهب قلو في أوانيها منها ومائدة من حجر الشمس المضيء بأينتها وهو الزبرجد الذي إذا نظرت إليه الأفاعى سالت أعينها ومائدة من كبريت آجر مدبر بأينتها ومائدة من ملح أبيض مدبر برّاق بأينتها ومائدة من زيت معقود وجعل في القبة جواهر كثيرة وبراقى صنعة مدبرة وحوله سبعة أسياخ وأتراش من حديد أبيض مدبر وتماثيل أفراس من ذهب عليها أسروج من ذهب وسبعة نوايت من دنابر عليها صورته وجعل معه من أصناف العقاقير والسمومات والأدوية في برارى من تجارة وقد ذكر من رأى هذه القبة أنهم أقاموا بالماقادروا على الوصول إليها وأنهم إذا قصدوها كانوا منها على غاية أذرع دارت القبة عن إيمانهم أو عن شمالكهم * ومن أعجب ما ذكره أنهم كانوا يحاذون أراجها أراجاً من أراجها فلا يرون غير الصورة التي يرونها من الأزج الآخر على معنى واحد وذكروا أنهم رأوا وجه الملك قدر ذراع ونصف بالكبير وحيته كبيرة مكشوفة وقد رءوا طول بدنه عشرة أذرع وزيادة وذكر هؤلاء الذين رأوها أنهم خرجوا الحاجة فوجدوها أتصافوا وأنهم سألوا أهل فقط عنها فلم يجدوا أحداً يعرفها سوى شيخ منهم وأوصى عديم الملك بأنه شهاب بن عديم أن ينصب في كل حين من أحياء ولايته منارا ويرز عليه اسمه فالتحقه إلى الأشمونين وعمل منارا تهاويز عليها اسمه وعمل بهاملاعب وعمل في صحرائها منارا أقام عليه صنابر أسين على اسم كوكبين كانا مقترنين في الوقت الذي خرج فيه إلى اثريب وبني فيها قبة عظيمة مرتفعة على عمد وأسطين بعضها فوق بعض وعلى رأسها صنما صغير من ذهب وعمل هيكل الكواكب ومضى إلى حيز صاف عمل فيه منارا على رأسه امرأة من اخلاط توري الأقاليم ورجع وعمل شهاب بن عديم هيكل أرمست وأقام فيه صنما باسم الكواكب من جميع المعادن وزينه بأحسن الزينة ونقشه بالجواهر والزجاج الملون وكساء الوشي والديباج وعمل في المدائن الداخلة من أنصنا هيكل وأقام فيه باتريب وهيكل الشرقى الاسكندرية وأقام صنما من صوان اسود باسم زحل على عبرة النيل من الجانب الغربى وبني في الجانب الشرقى مدائن في أحدها صورة صنم قائم وله أحليل إذا أنه المعقود والسحور ومن لا يتشركه فسخه بكفى يديه تشركه وقوى على البناء وفي أحدها بقرة لها ضرعان كبيران إذا انعقد لبن امرأته اتها ومسحتها يديها فانه يدربسها وجمع القناسيخ بطاسم عمله بناحية أسيوط فكانت تنصب من النيل إلى أخميم أنصبا بآيقن لها ويستعملها جلود في السفن وغيرها * وعمل منقاوس الملك بيتا دوربه تماثيل بجميع العلل وكتب على رأس كل تمثال ما يصلح من العلاج فأتفع الناس بها زمانا إلى أن أسدوها بعض الملوك وعمل صورة امرأة متبسمة لا يراها مهموم إلا زال همه ونسيه فكان الناس يتناولونها ويطوفون حولها ثم عبدوها من جهة ما عبدوه بعد ذلك * وعمل تماثلا من صخر مذهب يتجناحين لا يجتره زان ولا زانية إلا كشف عورته بيده وكان الناس يتحنون به الزناة فامتنعوا من الزنا فرقامنه فلما ملك ولكن عشقت خطبة عنده رجلا من خدمه وخافت أن تتحن بذلك الصنم فأخذت في ذكر الزواني مع الملك وأكثرت من سبهن وذمتهن فذكر كلكن ذلك الصنم وما فيه من المنافع فقالت صدق الملك غير أن منقاوس لم يصب في امره لانه اتعب نفسه وحكامه فيما جعله لا صلاح العامة دون نفسه وكان حكم هذا أن ينصب في دار الملك حيث يكون نساؤه وجواريه فان اقترفت احداهن ذنبا علم بها فيكون رادعاً لهن متى عرضن بقلوبهن شيء من الشهوة فقال كلكن صدقت وظن أن هذا منها نصح فأمر بنزع الصنم من موضعه ونقله إلى داره فبطل عمله وعملت المرأة ما كانت همت به * وبني هيكل على جبل القصير للسحرة فكانوا لا يطلقون الرياح للمراكب المقلعة إلا

بضريبة يأخذونها منهم للملك * وبني مناوس بن منقاوس في صحراء الغرب مدينة بالقرب من مدينة السحرة تعرف
بقنطرة ذات عجائب وجعل بوسطها قبة عليها كالسحابة تمطر ثنائاً وصيفاً مطراً خفيفاً وتحت القبة مطهرة فيها ماء
أخضر يدأوى به من كل داء فيبريه وعمل في شرقها برناً لطيفاً له أربعة أبواب لكل باب عضدان في كل عضادة
صورة وجه يخاطب كل واحد منهم ما صاحبه بما يحدث في يومه فن دخل البراء على غير طهارة فتخاف وجهه
فأصابه رعدة قطيعة لا تفارقه حتى يموت وكانوا يقولون ان في وسطه مهبط النور في صورة العمود من اعنتقه
لم يتجيب عن نظره شيء من الروحانية وسمع كلامهم ورأى ما يعملون وعلى كل باب من أبواب هذه المدينة صورة
راهب في يده مصحف فيه علم من العلوم فن احب معرفة ذلك العلم اني تلك الصورة تحسبها بيديه وأمره ما على
صدره فثبت ذلك العلم في صدره ويقال ان هاتين المدينتين بنيتا على اسم هرمس وهو عطار وأنهما بجبالهما
(وحكى عن رجل انه اني عبد العزيز بن مروان وهو أمير مصر فخره انه تاه في صحراء الشرق فوقع على مدينة
خراب فيها شجرة تحمل كل صنف من الفاكهة وأنه اكل منها وتردد فقال له رجل من القبط هذه إحدى مدينتي
هرمس وفيها كنوز كثيرة فوجه عبد العزيز معه جماعة معهم ماء وزاد فأقاموا يطوفون تلك الصحاري شهراً
فلم يقفوا لها على اثر * وعملت ام ميلاطس الملك بركة عظيمة في صحراء الغرب وجعلت في وسطها اعموداً طوله ثلاثون
ذراعاً وفي اعلاه قصعة من حجارة يقور منها الماء فلا ينقص ابدًا وجعلت حول البركة اصناماً من حجارة ملونة
على صور الحيوانات من الوحش والطير والبهائم فكان كل جنس يأتي الى صورته ويألفها فيؤخذ باليد
وينتفع به * وعملت لانيها منزهة لانه كان يحب الصيد فجعلت فيه مجالس مراكبة على اساطين من مرمر مصفح
بالذهب مرصع بالجواهر والزجاج الملون وزخرفته بالتصاوير العجيبة والنقوش فكان الماء يطلع من قورات
وينصب الى انهار قد صفحت بالفضة تجري الى حدائق فيها بديع الفروشات وقد أقيم حولها عمائل تصفر
بانواع اللغات وأرخت على المجلس ستورا من ديباج واختارت لانيها من حسان بنات عمه وبنات الملوك
وازوجته وحولته الى هذه الجنة وبنيت حول الجنة مجالس للوزراء والكهنة وأشرف اهل الصناعات فكانوا
يرفعون اليه جميع ما يعملونه فاذا فرغوا من اعمالهم جل اليهم الطعام والشراب وكان ميلاطس تقلد الملك بعد
ايه مرقوه وهو وصي وكانت امه مدبرة الملك وهي حازمة مجتربة فأجرت الامور على ما كانت عليه في حياة ابيه
واحسنّت وعدلت في الرعية ووضعت عنهم بعض الخراج وكانت ايامه سعيدة كلها في الخصب الكثير والسعة
للناس والعدل وكان له يوم يخرج فيه الى الصيد ويرجع الى جنته فيأمر لكل من معه بالجواز والاطعمة ويجلس
للتنظر يوما في مصالح الناس وقضاء حوائجهم ويحكي يوم ما ينسائه وكان ملكه ثلاث عشرة سنة وحدثت فمات
* وعمل فرسون بن قياون بن اتريب منارا على بحر القلزم وعلى رأسه امرأة تجذب بها المراكب الى شاطئ البحر
فلا يمكن ان تبرح الا ان تعشر فاذا عشت سرت المرأة حتى تجوز المراكب وأقام فرسون مائتي سنة وستين سنة
وعمل لنفسه ناووسا خلف الجبل الاسود الشرقي في وسطه قبة حولها اثنا عشر بيتا في كل بيت اعجوبة لا تشبه
الآخرى وزبر عليها اسمه ومدة ملكه * وكان مرقوس الملك حكيماً محبا للتجويد والعلوم والحكمة فعمل
في ايامه درهما اذا ابتاع به صاحبه شيئا اشترط ان يزن له ما يتساعه منه بوزن الدرهم ولا يطلب عليه زيادة فيعثر
البائع بذلك ويقبل الشرط فاذا تم ذلك بينهما وقع في وزن الدرهم ارطال كثيرة تساوي عشرة اضعافه وكان
اذا احب أن يدخل في وزنه اضعاف تلك الارطال دخل وقد وجد هذا الدرهم في كنوزهم ثم في خزانة بني امية
وكان الناس يتعجبون منه ووجدوا دراهم اخرجت في وقته ايضا فيكون الدرهم منها في ميزان الرجل
فاذا اراد أن يتساع حاجة اخذ ذلك الدرهم وقبله وقال اذكر العهد وابتاع به ما اراد فاذا اخذ السلعة ومضى
الى بيته وجد الدرهم قد سبقه الى منزله ويجد البائع موضع ذلك الدرهم ورقة آس او قرطاسا او مثل ذلك بدور
الدرهم وفي وقته عملت الآتية الزجاج التي توزن فاذا ملئت ماء او غيره ثم وزنت لم تزد عن وزنها الا قليلا وعمل
في وقته الآتية التي اذا جعل فيها الماء صار خرا في لونه ورائحته وقوله وقد وجد من هذه الآتية باطفيج في امارة
هارون بن جاريه بن احمد بن طولون شربة جزع بعروة زرقاء بيضاء وكان الذي وجدها ابو الحسن الصانع
الخراساني هو ونقر معه فأكلوا على شاطئ النيل وشربوا بها الماء فوجدوا سكروا منه وقاموا بالرقصوا
فوقعت الشربة فانكسرت عدة قطع فاعثم الرجل وجاء بها الى هارون فاسف عليها وقال لو كانت صحيحة لاشتريتها

بعض ملكي * واما الآلية النحاسية التي تجعل الماء سخرا فانها منسوبة الى قابطرة بنت بطليموس ملكة الاسكندرية فكثير وفي وقته عملت الصور الخشبية من الفخار والذهب والفضة والعقارب وسائر الحشرات وكانت اذا جعلت في موضع اجتمع اليها ذلك الجنس ولا يقدر على مفارقة تلك الصورة حتى يقتل وكأنه يعمل اعماله كلها بصور درج القلابة واسماها وطوال العها فيتم له من ذلك ما يريد * وعمل في صحراء الغرب ملعبا من زجاج ملون في وسطه قبة من زجاج اخضر صافي اللون فاذا طلعت عليها الشمس ألقت شعاعها على مواضع بعيدة وعمل في جوانب الاربعة اربعة مجالس عالية من زجاج كل مجلس لون ونقش عليها بغير لون لها طلسمات عجيبه ونقوشات غريبة وصورا بديعة كل ذلك من زجاج مطلق يشف وكان يقيم في هذا الملعب الايام وعمل له ثلاثة اعياد في كل سنة فكان الناس يحجون اليه في كل عيد ويندبحون له ويقومون فيه سبعة ايام ولم يزل هذا الملعب تقصده الامم فانه لم يكن له نظير ولا عمل في العالم مثله الى ان هدمه بعض الملوك لجزءه عن عمل مثله * وكانت ام مرقونس ابنة ملك النوبة وكان ابوها بعيد الكوكب الذي يقال له السم او يسميه الهاسا قالت ابنتها ان يعمل لها هيكل يفردها به فعمله وصفه بالذهب والفضة وأقام فيه صنما وأرخت عليه الستور الحرير فكانت تدخل اليه بجوارحها وحشها وتسجد له في كل يوم ثلاث مرات وعملت لكل شهر عبدا تقرب له قرابين وتبخره ليله ونهاره ونصبت له كاهنا من النوبة يقوم به ويقرب له ويخبره ولم تزل بابنتها حتى سجد له ودعى الى عبادته فلما رأى الكاهن الامر في عبادة الكواكب قد تم واحكم من جهة الملك احب ان يكون لكوكب السهاما لا في الارض على صورة حيوان يتجده فاقام يعمل الحيلة في ذلك الى ان اتفق ان العقبان كثرت بمصر وأضرمت بالناس فأحضر الملك هذا الكاهن وسأله عن سبب كثرتها فقال ان الهك ارسلها لتعمل لها نظيرا ليسجد له فقال مرقونس ان كان يرضيه ذلك فانا فاعله فقال ان ذلك رضاء فأمر بعمل عقاب طوله ذراعا في عرض ذراع من ذهب مسبوكة وعمل عينيه من ياقوتتين وعمل له وشاحين من لؤلؤ منظوم على انايب جوهر اخضر وفي منقاره درة معلقة وسروله بالدر الاخر وأقامه على قاعدة من فضة منقوشة قد ركت على قائمة زجاج ازرق وجعله في ازج عن عین الهيكل وألقى عليه ستور الحرير وجعل له دخنة من جميع الاقاييه والصمغ وقرب له عجلا اسود وبكارة الفرائج وبأكورة الفواكه والياحين فلما تمت له سبعة ايام دعاهم الى السجود اليه فأجابته الناس ولم يزل الكاهن يجهد نفسه في عبادة العقاب وعمل له عبدا فلما تم لذلك اربعون يوما نطق الشيطان من جوفه * وكان اول مادعاهم اليه ان يخبره في انصاف الشهور بالمندل ويرش الهيكل بانجر العتيقة التي تؤخذ من رؤس الخوابي وعرفهم انه قد ازال عنهم العقبان وضررها وكذلك يفعل في غيرها مما يخافون فسر الكاهن بذلك وتوجه الى ام الملك بعرفها ذلك فسارت الى الهيكل وسمعت كلام العقاب فسرها بذلك واعظمته وبلغ الملك فركب الى الهيكل حتى خاطبه وامره ونهاه فسجد له وأقام له سدة وأمر ان يزين باصناف الزينة وكان مرقونس يقوم بهذا الهيكل ويسجد لتلك الصورة ويسألها عما يريد فتخبره * وعمل من الكيمياء ما لم يعملها احد من الملوك فقال انه دفن في صحراء الغرب خمسمائة دفين * ويقال انه عمل على باب مدينة صاعود اعليه صنم في صورة امرأة جالسة وفي يدها مرآة تنظر اليها وكان العليل يأتي الى هذه المرأة وينظر فيها وينظر له احد فمما كان كان يموت من علته تلك رؤى ميتا وان كان يعيش رآه حيا وينظر فيها ايضا للمسافر فان رأوه مقبلا بوجهه علموا انه راجع وان رأوه مواليا علموا انه يتأذى في سفره وان كان مريضاً وميتاً رأوه كذلك في المرأة * وعمل بالاسكندرية صورة راهب جالس على قاعدة وعلى رأسه ككالبرنس وفي يده كالكاز فاذا مرت به تاجر جعل بين يديه شيئا من المال على قدر بضاعته فان تجاوزه ولو عن بعد من غير ان يضع بين يديه المال لم يقدر على الجواز وبث قائما مكانه فكان يجتمع من ذلك مال عظيم يفرق في الزمنى والضعفا والفقراء * وعمل في زمنه كل اعجوبة طريفة وامر ان يبرز اسمه عليه وعلى كل علم وكل طلسم وكل صنم * وعمل لنفسه ناووسا في داخل الارض عند جبل يقال له سدام وعمل تحته ازجا يقال ان طوله مائة ذراع وارتفاعه ثلاثون ذراعا وعرضه عشرين ذراعا وصفحه بالمرمر والزجاج الملون وسقفه بالجيزة وعمل فيه اداة مساطب مبطنة بزجاج على كل مسطبة اعجوبة وفي وسط الأزج دكة من زجاج على كل ركن من اركانها صورة قنقذ الدوا اليه وبين كل صورتين منارة عليها حجر مضى وفي وسط الدكة حوض من ذهب فيه جسده بعد ما ضمه بالادوية المسكة ونقل اليه دخايره من الذهب والجوهر وغيره وسند باب الازج

الخنزور والرصاص وهيل عليها الرمال وكان ملكه ثلاثا وسبعين سنة وعمره مائتين وأربعين سنة وكان جميلا ذا وفرة حسنة فتسكت نساؤه ولزم الهيكل من بعده وملك بعده ابنه ايساد ثم صا بن ايساد وقيل صا بن مرقونس اخو ايساد فعمل امرأة في مدينة منف ترى الاوقات التي تخصب فيها مصر وتجذب وبنى بداخل الواحات مدينة ونصب قرب البحر أعلاما كثيرة * وعمل خلف المقطم صنما يقال له صنم الحيلة فكان كل من تعذر عليه امر يأتيه ويخبره فيتيسر ذلك الامر له وجعل بحافة البحر الملح منارا يعلم منه امر البحر وما يحدث فيه من اقصى ما يصل اليه البصر على مسيرة ايام وهو اقل من اتخذها ويقال انه بنى اككرومدية منف وكل بنيان عظيم بالاسكندرية * ولما ملك بدارس بن صا الاحياز كلها بعد ابيه وصفا له ملك مصر بنى في غربي مدينة منف بيتا عظيما للكب الزهرة وأقام فيه صنما عظيما من لازورد مذهب وتوجه بذهب يلوح برقة وسقوره بسوارين من زبرجد أخضر وكان الصنم في صورة امرأة لها ضفيران من ذهب اسود مدبر وفي رجليها خلتان من حجر اشفاف ونعلان من ذهب ويدها قضيب مرجان وهي تشير بسبابتها كأنها مسلمة على من في الهيكل وجعل بجذاتها تمثال بقرة ذات قرنين وضرعين من نحاس احمر موه بذهب موشحة بحجر اللازورد ووجه البقرة تجاه وجه الزهرة وبينهما مطهرة من اخلاط الاجساد على عود رخام مجزع وفي المطهرة ماء مدبر يستشفى به من كل داء وفرش الهيكل بحشيشة الزهرة يبدلون في كل سبعة ايام وجعل في الهيكل كراسي للكهننة قد صفت بالذهب والفضة وقرب لهذا الصنم ألف رأس من الضأن والمعز والوحش والطير وكان يحضر يوم الزهرة ويطوف به وفرش الهيكل وستره وجعل فيه تحت قبة صورة رجل راكب على فرس له جناحان ومعه حربة في سنانها رأس انسان معلق ولم يزل هذا الهيكل الى ان هدمه بخت نصر في ايام مالبق بن بدارس وكان موحدًا على دين قبطيم ومصر ايم خرج في جيش عظيم في البر والبحر فغزا البربر وأرض افريقية وبلاد الاندلس وأرض الافرنج الى البحر وعمل في البحر أعلاما زبر عليها اسمه ومسيرة ورجع فها به ملوك الارض وكان في غربي مصر مدينة يقال لها قريشيد بها قوم قد ملكوا عليهم امرأة ساحرة فغزاها فلم يزل منهم قصدا ورجع فأرادت ملكتهم افساد مصر فعملت من مصر داء وامرت فأتى في النيل قفاض الماء على المزارع حتى افسدها وكثرت القمام والصفادع وفشت الامراض في الناس وانبت فيهم الثعابين والعقارب فاحضر مالبق الكهننة والحكماء في دار حكمتهم وألزمهم بالنظر لذلك فنظروا في نجومهم فرأوا ان هذه الآفة اتتهم من ناحية الغرب وان امرأة عملته وألقته في النيل فعلوا حينئذ انه من فعل تلك الساحرة واجتهدوا في دفع ذلك بما عندهم من العلم حتى انكشف عنهم الماء القاسد وهدكت الدواب المضرة وجهزوا قائدا في جيش الى المدينة فلم يجدوا بها غير رجل واحد فأخذوا من الاموال والجواهر والاصنام ما لا يحصى * فمن ذلك صورة كاهن من زبرجد اخضر على قائمة من حجر الاسباديم وصورة روحاني من ذهب رأسه من جوهر أحمر وله جناحان من دروي في يده مصحف فيه كثير من علومهم في دقتين مرصعتين بجوهر ومطهرة من ياقوت ازرق على قاعدة زجاج اخضر فيهما ماء لدفع الاسقام وفرس من فضة اذا عزم عليه بعزائمه ودخن بدخنه وركبه احد طاربه فأحضر ذلك وغيره من عجائب السحرة وأصنامهم والاموال والجواهر الى مصر ومعهم الرجل فسأله الملك عن أعجب اعمالهم قال قصدهم بعض ملوك البربر يجمع كثيف وتخاييل هائلة فأغلق اهل مدينتنا حصنهم ولبوا الى الاصنام فأتى الكاهن الى بركة عظيمة بعيدة القعر كانوا يشربون منها فجلس على حافتها وأحاط رؤساء الكهننة بها واخذ يزمرم على الماء حتى فاروخرج من وسطه نار في وسطها وجه كدارة الشمس لها ضوء نخر الجماعة لها سجودا وتلك الصورة تعظم حتى صعدت وخرقت القبة وسبع منها قد كفيتم شرعدوكم قماموا واذا بعدوهم قد هلك وسائر من معه وذلك ان صورة الشمس التي ظهرت من الماء مرت فصاحت عليهم صيحة هلكوا بها * ولما ملك كلكن مصر بعد أبيه خريسا كان الثرود في وقته فاتصل بفرود خبر حكمته وسمره فاستزاره ووجه اليه ان يلقاه وكان الفرود يسكن سواد العراق وغلب على كثير من الامم فأقبل كلكن على اربعة افراس تحمله لها اجنحة قد أحاطت به كالنار وحوله صور هائلة قد خل بها وهو متوشح بعبان ومحزم ببعضه وذلك التين فاغرقاه ومعه قضيب آس اخضر كلما حركه التين رأسه ضربه بالقضيب فلما رأى الثرود ذلك هاله واعترف له بجليل الحكم * وتقول القبط ان كلكن كان يرتفع فيجاس على الهرم الغربي في قبة تلوح على رأسه وكان اهل البلد اذا ذاهمهم امر اجتمعوا حول الهرم

ويقولون انه ربما اقام على رأس الهرم اياما لا يأكل ولا يشرب ثم انه استمر مدة حتى فوهموا انه هلك فطمع المولوك في مصر وقصد هائله من المغرب يقال له سادوم في جيش عظيم الى ان بلغ وادى هيب فأقبل كلكن وجلاهم من سحره بشئ **ك**ك الغمام شديد الحرارة وهم تحته اياما لا يدرون اين يتوجهون ثم ارتفع وصار بمصر يعترفهم ماعل وأمرهم فخرجوا فاذا بالقوم ودوابهم قد ماتوا فها به جميع الكهنة وصوروه في سائر الهياكل وبني هيكل لرحل من صوان اسود في ناحية الغرب وجعل له عبدا * (وفي ايام دارم بن الريان) وهو الفرعون الرابع الذي يقال له عند اقبط دريموش ظهر معدن فضة على ثلاثة ايام من النيل فانار وامنه شيا عظيما وعمل صنما على اسم القمر لان طالعه كان برج السرطان ونصبه على القصر الرخام الذي بناه ابوه في شرقي النيل ونصب حوله اصناما كلها من الفضة والبسما الحريز الاحمر وعمل للصنم عبدا كلما دخل برج السرطان ولما ولي اكساييس الملك بعده آييه معدان بن معاد يوس بن دارم بن دريموس وهو الفرعون السادس اقام اعلاما كثيرة حول منف وجعل عليها اساطين عيشي من بعضها الى بعض وعمل برقودة وصا ومدائن الصعد وامقل الارض اعلاما ومنائر للوقود وطلسمات **ك**كثيرة وعمل كودة من فضة ونقش عليها صورة الكواكب ودونها بالدهن الصيني وأقامها على منار في وسط منف وعمل في هيكل آييه روحاني زحل من ذهب اسود مدبر وعمل في وقته ميزانا يعتبر به الناس كفته من ذهب وعلاقته من فضة وسلاسله من ذهب فكان معلقا في هيكل الشمس وكتب على احدى كفتيه حق والاخرى باطل وتحتة فصوص قد نقش عليها اسماء الكواكب فيدخل الظالم والمظلوم يأخذ كل منهما فصا من تلك الفصوص ويسمي عليه ما يريد ويجعل احد القصين في كفة والاخرى في كفة تستقل كفة الظالم وترتفع كفة المظلوم ومن أراد سفرا أخذ قصين وذكر على أحدهما اسم السفر وعلى الآخر الإقامة وجعل كل واحد في كفة فان ثقلا جميعا ولم يرتفع أحدهما على الآخر لم يسافر وان ارتفعا سافروا وان ارتفع أحدهما آخر السفر ثم سافر وكذا من عليه دين ومن له غائب أو يتظر في صلاح أمره وفساده * ويقال ان تحت مصر لما دخل الى مصر حمل هذا الميزان معه فمات الى بابل وجعله في بيت من بيوت النار وعمل في ايامه تنورا ابضا يشوي فيه من غير نار ويطيخ فيه بغير نار وسكنات نصب فاذا رآها شئ من البهايم أقبل حتى يذبح نفسه بها وعمل ماء يستحيل نارا وزجاجا يستحيل هواء وشيا من النيران تجليات والنوايس * (واما البرابي) فذكر ابن وصيف شاه أن سوريد الذي بنى الاهرام هو الذي بنى البرابي كلها وعمل فيها الكنوز وزبر عليها علوما وكل بهار روحانية تحفظها عن يدها وقال في **ك**كتاب الفهرست وبمصر أبنية يقال لها البرابي من الحجارة العظيمة الكبيرة وهي على اشكال مختلفة وفيها مواضع الصحن والسحق والحل والعتد والتقطير تدل على انها عملت لصناعة الكيمياء وفي هذه الابنية قروش وكبابات لا يدري ما هي وقد أصيبت تحت الارض فيما هذه للعلوم مكتوبة في التوز وهي صفائح الذهب والنحاس وفي الحجارة * وذكر الحسن بن احمد الهمداني أن برابي مصر تنسب الى براب بن الدرسميل بن نحويل بن خنوخ بن قار بن آدم عليه السلام * وذكر ابو الرحمان محمد بن احمد البروني في كتاب الاشارات الباقية عن القرون الخالية أن كنيسة في بعض قرى مصر قد شاهد الموثوق بقولهم المأخوذ برأيهم المأمون من جهة الرواية عنهم في سارداب ينزل اليه بنيف وعشرين مرفاة وفيه سرير تحته رجل وصبي مشدودين في نطع وفوقه ثور رخام في جوفه باطية زجاج يدخلها قنينة من نحاس في جوفها قنبلة كان توفد فيصب فيها زيت فلا يلبث الا ان تغلي الباطية الزجاج زيتا وتفيض الى الثور الرخام فينفق على تلك الكنيسة وقناديلها * وذكر الجهماني أنه صار اليه من وثوبه ورفع الباطية عن الثور وأفرغ الزيت من الباطية والثور جميعا وأطفأ النار وأعادها جميعا الا الزيت فانه صب زيتا من عنده وأبدله قنبلة اخرى وأشعلها فمالبت الزيت ان فاض الى الباطية الزجاج ثم فاض الى الثور الرخام من غير مدد ولا عنصر * وذكر الجهماني انه اذا خرج الميت من تحت السرير انطفأت النار ولم يفيض الزيت * وذكر عن اهل القرية أن المرأة المتوهمه في نفسها حلا تحمل ذلك الصبي وتضعه في حجرها فتحتل ولدها في البطن ان كان الحمل حقيقة أو تياس ان لم تحس بحركة * قال المؤلف رحمه الله أخبرني داود بن رزق الله بن عبد الله وكانت له سياحات كثيرة بأراضي مصر ومعرفة احوالها أنه عبر في مغارة كبيرة يقال لها مغارة شة لم يقل بالوجه القبلي فاذا فيها كوم عظيم من سندروس وانه غطاه ومضى فاذا شئ كثير الى الغاية من السلك وجميعها ملقوفة بشباب كأنها قد كفت بعد الموت وانه أخذ منها سمكة وقشها

فاذا في فهاد ينار عليه كتابة لا يحسن قراتها وانه صار يأخذها سمكة سمكة ويخرج من فم كل واحدة ديناراً حتى اجمع له من ذلك عدة دنائير وانه أخذ تلك الدنائير ورجع ليخرج حتى جاء الى الكوم السندروس واذا به ارتفع حتى سده عليه الموضع فعاد الى السمك وأعاد الدنائير الى مواضعها وخرج فاذا السندروس كما كان اولاً بحيث يتجاوز و يخرج فعاد وأخذ الدنائير و منى يخرج بها فاذا السندروس قد ارتفع حتى سده عليه الموضع فعاد الى السمك وأعاد الدنائير الى مواضعها وخرج فاذا السندروس على حاله كما كان اولاً بحيث يتجاوز و يخرج وأنه كثر أخذ الدنائير واعادتها مراراً والحال على ما ذكر حتى خشى الهلاك فتركها وخرج فلما كان مدة سكن موضعها فرأى جرافاً جداراً وقد قور ووضع حجر آخر فحاول الجراف الآخر حتى رفعه فاذا تحته ستة دنائير من تلك الدنائير التي وجدها في افواه السمك فأخذ منها واحد وترك البقية في موضعها وأعاد الجراف على الجرف وقد رآه بعد ذلك أنه ركب النيل ليعدي من البر الشرقي الى البر الغربي قال فلما توسط البحر واذا بالاسماك تنب من الماء وتلقى نفسها في المركب حتى كدنا نفرك من كثرتها فصاح الركاب خوفاً من الهلاك قال فذكرت الدنيا را الذي معي وان هذا ربما كان بسببه فأخرجته من جيبي وألقيته في الماء فتوانبت الاسماك من المركب وألقت نفسها في الماء حتى لم يبق منها شيء * قلت واخبرني قديماً بعض من لا تهمة أنه ظفر بطلمس من هذا المعنى وانه عنده وأراد أن يربى السمك يبيت من الماء فلم يقدر لي أن أرى ذلك قال ابن عبد الحكم لما أغرق الله آل فرعون بقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من اشراف اهلها احد ولم يبق بها الا العبيد والابرار والنساء فاتفق من بمصر من النساء أن يولين منهم أحداً وأجمع رأيهن أن يولين امرأة منهن يقال لها دلوك بنت زبا وكان لها عقل ومعرفة وتجارب وكانت في شرف منهن وموضع وهي يومئذ بنت مائة وستين سنة فملكوها فخافت أن يتنا ولها الملوكة فجمعت نساء الاشراف وقالت لهن ان بلادنا لم يكن يطمع فيها أحد ولا يمد عينه اليها وقد هلك اكبرنا وأشرافنا وذهب السحرة الذين كانوا يقوى بهم وقد رأيت أن أبني حصناً احدى به جميع بلادنا فأضع عليه المحارس من كل ناحية فانا لا نأمن أن يطمع فينا الناس فبنت جداراً أحاطت به على جميع أرض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجاً يجري فيه الماء وأقامت القناطر والترع وجعلت فيه محارس ومسالخ على كل ثلاثة اميال محرس ومسلخة وفيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل وجعلت في كل محرس رجالاً وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم ان يحرسوا بالاجراس فاذا أناهم أت يخافونه ضرب بعضهم الى بعض الاجراس فأنابهم الخبر من اى وجه كان في ساعة واحدة فنظروا في ذلك فغضت بذلك مصر عن ارادها و فرغت من بنائه في ستة اشهر وهو الجدار الذي يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد منه بقايا كثيرة قال المسعودي وقيل انما يئته خوفاً على ولدها وكان كثير القنص فخافت عليه سباع البر والبحر واغتيال من جاور أرضهم من الملوكة والبوادي فحوطت الحائط من التماسيح وغيرها وقد قيل غير ما وصفنا فلكتهم ثلاثين سنة في قول قال المؤلف رحمه الله قديني من حائط العجوز هذا في بلاد الصعيد بقايا أخبرني الشيخ المعمر محمد بن المسعودي انه سار في بلاد الصعيد على حائط العجوز ومعه رفقة فاقتلع أحدهم من البنية فاذا هي كبيرة جدا فتخالف المعهود الآن من اللبن في المقدار فتساووا القوم واحد بعد واحد يتأملونها وينبهاهم في رؤيتها اذ سقطت الى الارض فانقلعت عن حبة فول في غاية الكبر الذي يتوجب منه لعدم مثله في زماننا فقشروا ما عليها فوجدوها سالمة من السوس والعيب كأنها قرية عهد بمصادها لم يتغير فيها شيء ألبتة فأكلها الجماعة قطعة قطعة وكانها انما خبئت لهم من الزمن القديم والاعصر الخالصة انه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها * قال ابن عبد الحكم وكان ثم عجوز ساحرة يقال لها بدور وكانت السحرة تعظمها وتتدماها في علمهم وسحرهم فبعثت اليها دلوك ابنة زبا انقادا حجتنا الى معرك وفزعنا اليك ولانا من أن يطمع فينا الملوكة فاعلى لنشيبا تغلب به من حولنا فقد كان فرعون يحتاج اليك فكيف وقد ذهب اكابرنا يعني في الفرق مع فرعون موسى وبقي أقلنا فعمات برابا من حجارة في وسط مدينة منف وجعلت لها أربعة ابواب كل باب منها الى جهة القبلة والبحر والغرب والشرق وصورت فيه صور الخيل والبغال والحمير والسفن والرجال وقالت لهم قد عملت لكم علامات على كل جهة من أرادكم من كل جهة تؤتون منها بزا أو بحرا وهذا يغنيكم عن الحصن ويقطع عنكم مؤنة من أناكم من كل جهة فانهم ان كانوا في البر على خيل او بغال أو ابل أو في سفن او رجالة تحركت هذه الصير من جهتهم التي يأتون منها

منها فاعلمت بالصوم من شيء أصابهم ذلك في أنفسهم على ما تفعلون بهم فلما بلغ الملوك حوالهم أن امرهم قد صار إلى ولاية النساء طمعوا فيهم وتوجهوا اليهم فلما دنوا من عمل مصر تحزكت تلك الصور التي في البريا فطفقوا لا يهيجون تلك الصور بشيء ولا يفعلون بها شيئا إلا أصاب ذلك الجيش الذي كان أقبل اليهم مثله أن كان خيلا خافعلوا تلك الخيل المصورة في البريا من قطع رؤسها أو سوقها أو فقه عيونها أو بقربطونها ثم مثل ذلك بالخيل التي أرادتهم وأن كانت سفنا أو رجالة مثل ذلك وكانوا أعلم الناس بالسحر وأقواهم عليه وانتشر ذلك قتيادهم الناس وكان نساء أهل مصر حين غرق فرعون وقومه ولم يبق إلا العبيد والأجراء لم يصبرن عن الرجال فطفقت المرأة تعشق عبيدها وتزوجه وتزوجه وتزوجه الأخرى أجبرها وشترطن على الرجال أن لا يفعلوا شيئا إلا باذنهن فاجابوهن في ذلك فكان امر النساء على الرجال قال يزيد بن أبي حبيب أن نساء القبط على ذلك إلى اليوم أتباعا لمن مضى منهم لا يبيع أحد منهم ولا يشتري الا قال استأمر امرأتى فملكتهم دلوكه بنت زبا عشر من سنة تدبر أمرهم عصر حتى بلغ صبي من أبناء اكبرهم واشرافهم يقال له دركون بن بلوطس فلكوه عليهم فلم تزل مصر ممتلئة بتدبير تلك العجوز نحو من اربع مائة سنة وكلما انهدم من ذلك البريا الذي صور فيه الصور لم يقدر أحد على إصلاحه الا تلك العجوز وولدها وولدها وكانوا أهل بيت لا يعرف ذلك غيرهم فانقطع أهل ذلك البيت وانهدم من البريا موضع في زمان لقاس بن مريوس فلم يقدر أحد على إصلاحه ومعرفة علمه وبقى على حاله وانقطع ما كان يقهرون به الناس وبقوا كغيرهم الا أن الجمع كثير والمال عندهم فلما قدم بجنت نصر بيت المقدس وظهر على بني اسرائيل وسباهم وخرج بهم إلى ارض بابل قصد مصر وخرب مدائنهم وقراها وسبي جميع أهلها ولم يترك بها شيئا حتى بقيت مصر اربعين سنة خرابا ليس فيها ساكن يجري نيلها ويذهب لا ينتفع به ثم ردا أهل مصر إليها بعد اربعين سنة فعمروها ولم تزل مقهورة من يومئذ * وقال بعض الحكماء رأيت البرابي وأخذت أتأملها فوجدتها مستحكمة على جميع أشكال الفلك والذي ظهر لي أنه لم يعلمها حكيم واحد بل تولى عملها قوم بعد قوم حتى تكاملت في دور كامل وهو ستة وثلاثون ألف سنة شمسية لان مثل هذه الاعمال لا تعمل الا بالارصاد ولا يتكامل رصد المجموع في أقل من هذه المدة المذكورة وكانوا يجعلون الكتاب حفرا ونقرا في الصخور ونقشا في الحجارة بحلقة مركبة في البنيان وربما كان الكتاب هو الحفر اذا كان متضمنا لامر جسيم أو عهدا لامر عظيم أو مدوغة يرتقي نفعها أو احياء شرف يريدون تخليده ذكره وقد كتب غير المصريين كذلك كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سميرقدو وعلى عمود مارب وعلى ركن المستقر وعلى الابلق المفرد وعلى باب الرها وكانوا يعهدون إلى الاماكن الشريفة والمواضع المذكورة فيضعون الخط في ابعدها المواضع من الدور وأمنعها من الدروس وأحذر أن يراها من مرتبها ولا ينسى على طول الدهر * وقال المسعودي واتخذت دلوكه بمصر البرابي والصور وأحكمت آلات السحر وجعلت في البرابي صور من يرد من كل ناحية ودوابهم ابلا كانت أو خيلا وصورت فيها من يرد من البحر في المراكب من بحر الغرب والشام وجعت في هذه البرابي العظيمة المشيدة البنيان اميرار الطبيعة وخواص الاجبار والنباتات والحيوانات وجعلت ذلك في اوقات فلكية واتصالها بالموثرات العلوية وكانوا اذا ورد اليهم جيش من نحو الحجاز واليمن عورت تلك الصور التي في البريا من الابل وغيرها فيستعور ما في ذلك الجيش وينقطع عنهم ناسه وحيوانه واذا كان الجيش من نحو الشام فعل في تلك الصور التي من تلك الجهة التي أقبل منها جيش الشام ما فعل بما وصفنا فيحدث في ذلك الجيش من الافات في ناسه وحيوانه ما صنع في تلك الصور التي من تلك الجهة وكذلك من ورد من جيوش الغرب ومن ورد في البحر من رومية والشام وغير ذلك من الممالك فهذه الملوك والامم ومنعوا ناحيتهم من عدوهم واتصل ملكهم بتدبير هذه العجوز واتقانا الزم اقطار المملكة واحكامها السياسية * (وقد تكلم من سلف وخلف في هذه الخواص واميرار الطبيعة التي كانت يلا دمصر وهذا الخبر من فعل العجوز مستفيض لا يشكون فيه والبرابي بمصر من صعيدها وغيره باقية إلى هذا الوقت وفيها انواع الصور مما اذا صورت في بعض الاشياء احدثت افعالا على حسب ما رسمت له وصنعت من اجله على حسب قولهم في الطبائع والله اعلم بكيفية ذلك (قال) وأخبرني غير واحد من بلاد اخيم من صعيد مصر عن ابي القبيص ذي النون بن ابراهيم المصري الاخي الزاهد وكان حكيمًا وكانت له طريقة بآتيها ونحلة يعصدها وكان عن يقر على اخبار هذه البرابي وامتنع كثيرا مما صور فيها

ورسم عليهم من الكتابة والصور قال رأيت في بعض البرابي كتابا تدبرته فاذا هو احذر العبيد المعتقين والاحداث
والجند المتعبدين والنبط المستعربين ورأيت في بعضها كتابا تدبرته فاذا فيه يقدّر المقدر والقضاء يضحك وفي
آخره كتابة تثبتها في ذلك العلم فوجدتها تدبر بالنجوم ولست تدري * ورب الخيم يفعل ما يريد
قال وكانت هذه الامة التي اتخذت هذه البرابي لهجة بالنظر في احكام النجوم من المواطنين على معرفة اسرار
الطبيعة وكان عندها مجادلات عليه احكام النجوم أن طوقا باسبيكون في الارض ولم يقطع على ذلك الطوفان ما هو
أنارتا في على الارض فحرق ما عليها او ماء يغرفها اوسيف يبيد أهلها فخافت دثور العلوم وفناء هابناء أهلها
فاتخذت هذه البرابي ورسمت فيها علومها من الصور والتماثيل والكتابة وجعلت بنياتها نوعين طيناً وحجارة
وفرزت ما بنى بالطين مما بنى بالحجارة وقالت ان كان هذا الطوفان نارا استحجر ما بنى بالطين وان كان الطوفان الوارد
ماء أذهب ما بنى بالطين ويبقى ما بنى بالحجارة وان كان الطوفان سيفاً بقي كل من التويعين مما هو من الطين
وما هو من الحجر وهذا ما قيل والله أعلم انه كان قبل الطوفان وأن الطوفان الذي كانوا يرقبونه ولم يعينوه أنار
هو أم ماء أم سيف كان سيفاً اتى على جميع اهل مصر من لثة غشيتهم اوملك نزل عليها فأباد أهلها ومنهم من رأى
أن ذلك الطوفان كان وباعهم أهلها ومصادق ذلك ما يوجد بيلا دتيس من التلال المتقدرة من الناس من صغير
وكبير وذكر وانثى كالجبال العظيم وهي المعروفة بيلا دتيس من ارض مصر بذات الكوم وما يوجد بيلا د مصر
وصعد بها من الناس المنكسين بعضهم على بعض في الكهوف والغيران والنواويس ومواقع كثيرة من
الارض لا يدري من اى الامم هم فلا النصارى تخبر عنهم انهم من اسلافهم ولا اليهود تقول انهم من اوانلهم
ولا المسلمون يدرون من هؤلاء ولا تاريخ يبيّن عن حالهم وعليهم اوابهم وكثيرا ما يوجد في تلك البرابي والجبال
من حليتهم * والبرابي بيلا د مصر بنيان قائم عجيب كك البرابي التي بأخيم والتي بسمنود وغير ذلك

(ذكر الدفاتن والكنوز التي تسميها اهل مصر المطالب)

الاصل في جواز تتبع الدفاتن ما رواه ابو عمرو بن عبد البر والبيهقي في الدلائل من حديث ابن عباس أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف مترقب قبر أبي رغال فقال هذا قبر أبي رغال وهو ابو ثقيف
كان اذا هلك قوم صاح في الحرم فتمعه الله فلما خرج من الحرم رماه بقارعه وآية ذلك أنه دفن معه
عمود من ذهب فابتدر المسلمون قبره فنبشوه واستخرجوا العمود منه ومن حديث عبد الله بن عمر سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه الى الطائف فمرنا بقبر فقال هذا قبر أبي رغال وكان بهذا
الحرم يدفع عنه فلما خرج اصابت النقرة التي اصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك أنه دفن معه عصا
من ذهب ان نبشتم عليه اصبتوه معه فابتدره الناس فأخرجوا العصا الذي كان معه * وبمصر كنوز يوسف
عليه السلام وكنوز الملوك من قبله والملوك من بعده لانه كان يكثر ما يفضل عن النفقات والمؤن لنواب
الدهر وهو قول الله عز وجل فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ويقال ان علم الكنوز في كنيسة
القسطنطينية نقلت اليها من طلمطلة ويقال ان الروم لما خرجت من الشام ومصر اكتنبت كثير من اموالها
في مواضع اعتدتها لذلك وكتبت كتباً بعلام مواضعها وطرق الوصول اليها وأودعت هذه الكتب قسطنطينية
ومنها استفاد معرفة ذلك وقيل ان الروم لم تكتب وانما ظفرت بكتب معالم كنوز من ملك قبلها من اليونانيين
والكلدانيين والقبط فلما خرجوا من مصر والشام حملوا تلك الكتب معهم وجعلوها في الكنيسة وقيل انه
لا يعطى من ذلك احد حتى يخدم الكنيسة مدة فيدفع اليه ورقة تكون حظه قال المسعودي ولما
اخبار عجيبة من الدفاتن والبنيان وما يوجد في الدفاتن من دنائر الملوك التي استودعها الارض وغيرهم
من الامم من سكن تلك الارض وتدعى بالمطالب الى هذه الغاية وقد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا
* (فن اخبارها) ما ذكره يحيى بن بكير قال كان عبد العزيز بن مرزبان عاملاً على مصر لآخيه عبد الملك
ابن مروان فأتاه رجل متصح فساله عن نصحه فقال بالقبة الفلانية كنز عظيم قال عبد العزيز وبما مصداق
ذلك قال هو أن يظهر لنا بلاط من المرمر والرخام عند يدبر من الحفر ثم ينتهي الى الحفر الى باب من الصفر تحته
عمود من الذهب على اعلاه ديك عيشاء يا قوتان تساويان ملك الدنيا وجناتها مضر حان بالياقوت والزمرد
ورأسه على مفاتيح من الذهب على اعلى ذلك العمود فأمر له عبد العزيز بنيفقة لاجرة من يحفر من الرجال

في ذلك ويعمل فيه وكان هنالك تل عظيم فاحتقروا حفرة عظيمة في الارض والدلائل المقدم ذكرها من
الرخام والمرمر تظهر فازداد عبد العزيز حرصا على ذلك وأوسع في النفقة وأكثر من الرجلة ثم انتهوا في حفرهم
الى ظهور رأس الديك فبرق عند ظهوره لمعان عظيم لما في عينيه من البياض ثم بان جناحه ثم بان قوائمه
وظهر حول الغمود عود من البنيان بأنواع الحجارة والرخام وقنطرة منقطة وطافات على ابواب معقودة
ولاحت منها تماثيل وصور اشخاص من انواع الصور الذهب وأجربة من الاجمار قد أطبق عليها أغطيها
وسبكت فركب عبد العزيز بن مروان حتى أشرف على الموضع فنظر الى ما ظهر من ذلك فأسرع بعضهم ووضع
قدمه على درجة من نحاس يتهدى الى ما هنالك فلما استقرت قدماه على المرقاة ظهر سيفان عاديان عن يمين
الدرجة وشمالها فالتفتا على الرجل فلم يدركا حتى جزأه قطعاه وهوى جسمه سفلا فلما استقر جسمه على بعض
الدرج اهتز العمود وصفر الديك صغيرا عجيبا السمع من كان بالبعد من هنالك وحرك جناحيه وظهرت من تحته
اصوات عجيبية قد عملت بالكواكب والحركات اذا مال وقع على بعض تلك الدرج شئ او ما سها شئ انقلبت
فتهاوى من هنالك من الرجال الى اسفل تلك الحفرة وكان فيها من يحفر ويعمل وينقل التراب وينظر ويحول
وبأمر وينهى نحو ألف رجل فهلكوا جميعا فخرج عبد العزيز وقال هذا ردم عجيب الامر ممنوع النبل نعوذ
بالله منه وامر جماعة من الناس فطرحوا ما اخرج من هنالك من التراب على من هلك من الناس فكان الموضع
قبرا لهم * قال المسعودي وقد كان جماعة من اهل الدفائن والمطالب ومن قد اعتنى وأغرى بحفر الخفايا وطلب
الكنوز ودخائر الملوك والامم السالفة المستودعة بطن الارض ببلاد مصر قد وقع اليهم كتاب ببعض الاقلام
السالفة فيه وصف موضع ببلاد مصر على اذرع يسيرة من بعض الاهرام بأن فيه مطلبا عجيبا فأخبروا الاخشيدي
محمد بن طفيح بذلك فأمرهم بحفره وأباحهم استعمال الحيلة في اخراجه فحفروا حفرا عظيما الى ان انتهوا الى ازج
واقباء وحجارة مجوفة في صخرة منقورة فيها تماثيل قائمة على ارجلها من الخشب قد طلى بالاطلعة المانعة من
سرعة البلاء وتفرق الاجزاء والصور مختلفة فيها صور شيوخ وشبان ونساء وأطفال اعينهم من انواع
الجواهر كالياقوت والمرمر والبرجد والقيز وزج ومنها ما وجوهها ذهب وفضة فكسر بعض تلك التماثيل
فوجدوا في اجوافها رمايا بالية واجساما فانية الى جانب كل تمثال منها نوع من الابنية كالبرابي وغيرهما من
المرمر والرخام وفيه من الطلي الذي قد طلى منه ذلك الميت الموضوع في التماثيل الخشب والطلاء دواء مسحق
واخلط معه ولة لارائحة لها فجعل منه على النار شئ ففاح منه ريح طيبة مختلفة لاتعرف في نوع من انواع
الطيب وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة ما فيه من الناس على اختلاف اسنانهم ومقادير أعمارهم
وتباين صورهم وبازاء كل تمثال تمثال من الحجر المرمر أو من الرخام الاخضر على هيئة الصنم على حسب عبادتهم
للتماثيل والصور عليها انواع من الكتابات لم يقف احد على استخراجها من اهل الملل وزعم قوم من اهل الدراية
ان لذلك القلم منذ فقد من ارض مصر أربعة آلاف سنة وفيما ذكرناه دلالة على ان هؤلاء ليسوا بيهود ولا نصارى
ولم يؤدوهم الحفر الا لما ذكرناه من هذه التماثيل وكان ذلك في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وقد كان من
سلف وخلف من ولاية مصر من احمد بن طولون وغيره الى هذا الوقت وهو سنة ثنتين وثلاثين وثلاثمائة لهم اخبار
عجيبة فيما استخرج في ايامهم من الدفائن والاموال والجواهر وما اصيب في هذه المطالب من القبور وقد أتينا
على ذكرها فيما تقدم من تصنيفنا * (وركب) احمد بن طولون يوما الى الاهرام فاتاه الحجاب يقوم عليهم
ثياب صوف ومعهم المساحي والمعاول فسألهم عن ما يعملون فقالوا نحن قوم نطلب المطالب فقال لهم لا تخرجوا
بعدها الا بمشورتى اورجل من قبلى وأخبروه أن في سميت الاهرام مطلبا قد عجزوا عنه فضم اليهم الرافي وتقدم
الى عامل الحيلة في اعانتهم بالرجال والنفقات وانصرف فأقاموا مدة يعملون حتى ظهر لهم فركب احمد بن
طولون اليهم وهم يحفرون فكشفوا عن خوض ملوء دنائير وعليه غطاء مكتوب عليه بالبربطية فأحضر من قرأه
فأذا فيه انا فلان بن فلان الملك الذي ميز الذهب من غشه ودنسه فن اراد ان يعلم فضل ملكي على ملكه فلينظر
الى فضل عيار دينا رى على عيار دينا رى فان مخلص الذهب من الغش مخلص في حياته وبعد وفاته فقال احمد
ابن طولون الحمد لله ان ما بهتني عليه هذه الكتابة احب الى من المال ثم امر اكل من القوم المطالبية بما تاتي
دينا ر منه ولكل من الصناعات بخمسة دنائير بعد توفية اجرة عمله والرافقي بثلاثمائة دينار ولتسيم الخادم بألف

دينار وجعل باقي الدنانير فوجدها أجود من كل عيار وشد من حينئذ في العيار بمصر حتى صار عيار دينار
الذي عرف بالاجدي أجود عيار وكان لا يطل الا به

*** (ذكر هلاك اموال اهل مصر) ***

قال الله عز وجل وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائكته واما في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك
ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد اجبت دعوتكما هذا
دعاء من موسى عليه السلام على فرعون وقومه من اهل مصر لكفرهم أن يملك الله اموالهم قال الزجاج طمس
الشيء اذهابه عن صورته * عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وعن محمد بن كعب القرظي انهما قال
صارت اموال اهل مصر ودراهمهم حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وأثلاثا وأنصافا فلم يبق معدن
الا طمس الله عليه فلم يتفع به احد بعدهم وقال قتادة بلغنا ان اموالهم وزرورهم صارت حجارة وقال مجاهد
وعطية اهلكها الله تعالى حتى لا ترى يقال عين مطموسة اي ذاهبة وطمس الموضع اذا عفا ودرس وقال ابن
زيد صارت دنانيرهم ودراهمهم وفرشهم وكل شيء لهم حجارة وقال محمد بن كعب وكان الرجل منهم يكون مع
اهله وفراشه وقد صار اجيرين قال وقد سألتني عمر بن عبد العزيز فذكرت ذلك فدعا بخريطة اصيبت بمصر فأخرج
منها القواكه والدرهم والدنانير وانها حجارة وقال محمد بن شهاب الزهري دخلت على عمر بن عبد العزيز فقال
يا غلام اتيتني بالخريطة فجاء بخريطة تثر ما فيها فاذا فيها دراهم ودنانير وتروجوز وعدس وفول فقال كل يا ابن
شهاب فأهويت فاذا هو حجارة فقلت ما هذا يا امير المؤمنين قال هذا مما اصاب عبد العزيز بن مروان في مصر
اذ كان عليها واليا وهو مما طمس الله عليه من اموالهم وقال المضارب بن عبد الله الشامي اخبرني من رأى النخلة
بمصر مصروعة وانها حجر واقدرايت ناسا كثيرا قايما وقعودا في اعمالهم لورأيتهم ماشيا ككفت فيهم قبل ان
تدنو منهم أنهم اناس وانهم حجارة واقدرايت الرجل من رقيقهم وانه لحارث على ثورين وانه وثوريه لحجارة ونقل
وصية بن موسى في قصص الانبياء أن فرعون لما هلك وقومه وأمنت بنو اسرائيل بما نلتهم نذير موسى عليه السلام
من نقباته الاثني عشر نقيبين احدهما كالب بن موقيا والآخر يوشع بن نون مع كل واحد من سبطه اثنا عشر
ألفا وأرسلهما الى مصر وقد دخلت من حاميهما الفرق اهلها مع فرعون فأخذوا دخائر فرعون وكنوزه وعادوا
الى موسى فذلك ثوريتهم أرض مصر يعني قول الله عز وجل عن قوم فرعون فاخرجناهم من جنات وعيون
وكنوز ومقام ككرم كذلك وأورثناها قوما آخرين وقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاريها التي باركنا فيها يعني أرض مصر وأورثناها بني اسرائيل لانهم هم المستضعفون الذين
كانوا فيها بدليل قوله تعالى وزيد أن ممن على الذين استضعفوا في الارض وتجعلهم أئمة وتجعلهم الوارثين ونمكن
لهم في الارض * قال جامعهم ومؤلفه رحمه الله تعالى أخبرني داود بن رزق بن عبد الله وكانت له سياحات
كثيرة بأرض مصر أنه عبر الى واد بالقرب من القلون بالوجه القبلي فرأى فيه مقصات كثيرة ما بين بطيخ
وقناه ونفاح وكلاهما حجارة وكان قد أخبرني قديما ببعض الاعيان أنه شاهد في سفره الى البلاد من أرض مصر
بطيخا كثيرا كله حجارة وكذلك البطيخ من الصيف الذي يقال له العبدلي

*** (ذكر اخلاق اهل مصر وطبائعهم وأمزجتهم) ***

قال ابو الحسن علي بن رضوان الطبيب بمصر اسم فيما نقلت الرواة يدل على احد اولاد نوح النبي عليه السلام
فانهم ذكروا أن مصر هذا نزل بهذه الارض فأنسل فيها وعمرها فسميت باسمه والذي يدل عليه هذا الاسم اليوم
هو الارض التي يفيض عليها النيل ويحيط بها حدود أربعة وهي أن الشمس تشرق على أقصى العمارة بالشرق
قبل ان تغيب عن آخر العمارة بالغرب بثلاث ساعات وثلاث ساعة فيجب من ذلك أن تكون هذه الارض في النصف
الغربي من الربع العام والنصف الغربي من الربع العام على ما قال أبو قراط ويطلموس اقل حرارة واكثر
رطوبة من النصف الشرقي لانه قسم كوكب القمر والنصف الشرقي في قسم كوكب الشمس وذلك ان الشمس
تشرق على النصف الشرقي قبل شروقها على النصف الغربي والقمر يهل على النصف الغربي قبل النصف
الشرقي وقد زعم قوم من القدماء أن أرض مصر في وسط الربع من المعمور من الارض بالطبع فأما بالقياس
فعلى ما ذكرنا من انها في النصف الغربي والحد الثالث هو أن اول بعد هذه الارض عن خط الاستواء

في جهة الجنوب اسوان وبعدها عن خط الاستواء اثنان وعشرون درجة ونصف فالشمس تسامت رؤس
اهلها مرتين في السنة عند كونها في آخر الجوزاء او في اول السرطان وفي هذين الوقتين لا يكون للقائم
باسوان نصف النهار ظل اصلا فالحرارة واليبس والاحراق غالب على مزاجها لان الشمس تنسف رطوباتها
ولذلك صارت ألوانهم سودا وشعورهم جعدة لاحتراق ارضهم والحد الرابع هو أن آخر بعد أرض مصر عن خط
الاستواء في جهة الشمال طرف بحر الروم وعليه من أرض مصر بلدان كثيرة كالاسكندرية ورشيد
ودمياط وتنبس والقرما وبعدها دمياط عن خط الاستواء في الشمال احد وثلاثون جزءا وثلاث وهذا البعد هو
آخر الاقليم الثالث وأول الاقليم الرابع فالشمس لا تبعد عنهم كل البعد ولا تقرب منهم كل القرب فالغالب عليهم
الاعتدال مع ميل يسير الى الحرارة فان الموضع المعتدل على الصحة من البلدان العامرة وهو أول وسط الاقليم
الرابع وأيضا فعبارة دمياط للبحر واحاطته بها تجعلها معتدلة بين الحار والبرد خارجة عن الاعتدال الى
الرطوبة فيكون الغالب عليها المزاج الرطب الذي ليس بحار ولا بارد ولذلك صارت ألوانهم سمرا وأخلاقهم سهلة
وشعورهم سبطة وإذا كان أول مصر من جهة الجنوب الغالب عليه الاحتراق وآخرها من جهة الشمال
الغالب عليها الاعتدال مع ميل يسير نحو الحرارة فبما بين هذين الموضعين من أرض مصر الغالب عليه
الحرارة وتكون قوة حرارته بقدر بعده من اسوان وقربه من بحر الروم ومن أجل هذا قال أبقراط وجالينوس
ان المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة قال وجبل لوطا في مشرق هذه الأرض يعوق عنها ريح الصبا فانه
لم يوجد بفسطاط مصر صبا خالصة لكن متى هبت الصبا عندهم هبت نكباين المشرق والشمال او المشرق
والجنوب وهذه الرياح يابسة مانعة من العفن وقد عذمت اهل مصر هذه الفضيلة ومن أجل ذلك صارت
المواضع التي تهب فيها ريح الصبا من أرض مصر أحسن حالا من غيرها كالاسكندرية وتنبس ويعوق
أيضا هذا الجبل اشراق الشمس على أرض مصر وإذا كانت على الأفق فيكون زمان لبث الشعاع على
هذه الأرض أقل من الطبيعي ومثل هذه الحال سبب ركود الهواء وغلظه وأرض مصر أرض كثيرة
الحيوان والنبات جدا لاتكاد تجد فيها موضعاً خلوا من الحيوان والنبات وهي أرض مختلفة فأنك تراها
عند انصراف النيل بمنزلة الحماة فإذا حلت الحرارة ما فيها من الرطوبة تشقت شقوفا عظيما والمواضع الكثيرة
الحيوان والنبات أرض كثيرة العفونة وقد اجتمع على أرض مصر حرارة مزاجها وكثرة ما فيها من
الحيوان والنبات فأوجب ذلك احتراقها وسواد طينها فصارت أرضا سوداء وما قرب منها من الجبل سخج
اما بورق واما ملح ويظهر من أرض مصر بالعشبات بخارا سودا وأغبر وخاصة في ايام الصيف وأرض مصر
ذات اجزاء كثيرة ويختص كل جزء منها بشئ دون غيره وعلة ذلك ضيق عرضها واشتغال طولها على عرض الاقليم
الثاني والثالث فان الصعيد فيه من الخلل والسنط وآجام القصب والبردى ومواضع احراق القمح وغير ذلك
شئ كثير والقيوم فيه من النقايع وآجام القصب ومواضع تعطين السكتان شئ كثير وأسفل أرض مصر فيه
من النباتات انواع كثيرة كالقلقاس والاوز وغير ذلك وبالجملة فكل بقعة من أرض مصر لها اشياء تختص بها
وتتفصل عن غيرها قال والنيل يربط بين الصيف والخريف فقد استبان أن المزاج الغالب على أرض مصر
الحرارة والرطوبة الفضلية وانما ذات اجزاء كثيرة وأن هواءها وماءها رديان وقد بين الاوائل أن المواضع
الكثيرة العفن يتحلل منها في الهواء فضول كثيرة لاتدعه يستقر على حال لاختلاف تصعدها وقد كان استبان
أن هواء أرض مصر يسرع اليه التغير لان الشمس لا تثبت على أرض مصر شعاعها المدة الطبيعية فمن أجل
هذين كثر اختلاف هواء أرض مصر فصار يوجد في اليوم الواحد على حالات مختلفة مرة حارة ومرة برد
ومرة يابس واخرى رطب ومرة متحرك واخرى ساكن ومرة الشمس صاحبة ومرة قد سترها الغيم وبالجملة هواء
مصر كثير الاختلاف غير لازم لطريقة واحدة فيصير من أجل ذلك في الاوعية والعروق من اخلاط البدن
لا يلزم حدا واحدا وأيضا فان ما يتحلل كل يوم من البخار الرطب بأرض مصر يعوقه اختلاف الهواء وقلة
سبك الجبال وكثرة حرارة الأرض عن الاجتماع في الجوف فاذا برد الهواء يبرد الليل فلهذا هذا البخار على
وجه الأرض فيتولد عنه الضباب الذي يحدث عنه الطل والتدا وربما تحلل هذا البخار بالتحلل الخفي فاذا
يتحلل كل يوم ما كان اجتمع من البخار في اليوم الذي قبله من أجل هذا لا يجمع الغيم المطر بأرض مصر

ألا في الندرة وظاهر أيضا أن أرض مصر يترطب هو أو ما في كل يوم بما يترقى إليه من البخار الرطب وما يمتلئ (وقد قال) بعض الناس أن الضباب يتكون من استحالة الهواء إلى طبيعة الماء فإذا انضاف هذا إلى ما قلناه كان ازدياد في بيان سرعة تغير الهواء بأرض مصر وكثرة العفونة فيها وقد استبان أن أرض مصر كثيرة الاختلاف كثيرة الرطوبة الفضلية التي يسرع إليها العفن (والعلة القصوى في جميع ذلك هو أن أخص الأوقات بالخصاف في الأرض كلها يكثر فيه بمصر الرطوبة لأنها تترطب في الصيف والخريف بماء النيل وفيه وهذا يختلف ما عليه البلدان الآخر * وقد علمنا بأقراط أن رطوبة الصيف والخريف فضلية أعنى خارجة عن المجرى الطبيعي * كـ رطوبة المطر الحادث في الصيف ومن أجل هذه قلنا أن رطوبة مصر فضلية وذلك أن الحرارة واليبس هو بالحقيقة مزاج مصر الطبيعي * وانما عرض له ما أخرجه عن اليبس إلى الرطوبة الفضلية بماء النيل في الصيف والخريف ولذلك كـ كثر العفونات بهذه الأرض فهذا هو السبب الأعظم في أن صارت أرض مصر على ما هي عليه من سخافة الأرض وكثرة العفن ورداءة الماء والهواء الآن هذه الأشياء لا تحدث في أبدان المصريين استحالة محسوسة إذا جرت على عادتها من أجل الف المصريين لهذه الحال ومشاكله أبدانهم لها فان كل ما يتولد بأرض مصر من الحيوان والنبات مشابه لما عليه مصر في سخافة الأبدان وضعف القوى وكثرة التغير وسرعة الوقوع في الأمراض وقصر المدة كالخطة بمصر فأنما وشبكة الزوال سريع إليها العفن في المدة البسيرة ولا مطعن أن أبدان الناس وغيرهم تخالف ما عليه الخطة من سرعة الاستحالة وكيف لا يكون الأمر كذلك وأبدانهم مبنية من هذه الأشياء فحال ما يتولد بأرض مصر من من النبات والحيوان في السخافة وكثرة الفضول والعفن وسرعة الوقوع في الأمراض كحال سخافة أرضها وغنى وفضولها وسرعة استحالتها لأن النسبة واحدة ولذلك أمكن حياة الحيوان فيها ونبات النبات بها فان هذه الأشياء من حيث ناسبتها ولم تعد من مشاكلها أمكن حياتها (فأما) الأشياء الغريبة فانها إذا دخلت إلى مصر تغيرت في أول قسائها لهذا الهواء حتى إذا استقرت وألفت الهواء واستقرت عليه صحت مشاكلة لأرض مصر * قال وأما جنس ما يؤكل ويشرب بأرض مصر فإن الغلات سريعة التغير خفيفة متخلطة تنفس في الزمان البسر كالخطة والشعير والعدس والحبس والبقلاء والجلبان فان هذه تسوس في المدة القليلة ليس لشي من الأغذية التي تعمل منها إذا ما نظره في البلدان الآخر وذلك أن الخبز المعمول من الخطة بمصر متى لبث يوما واحدا بطلته لا يؤكل وان أكل لم يوجد له لذة ولا تماسك لبعضه ببعض ولا يوجد فيه علوكة ولكنه يتكثر في الزمان السير وكذلك الدقيق وهذا خلاف أخبار البلدان الآخر وكذلك الحال في جميع غلات مصر وفواكهها وما يعمل فيها فانها وشبكة الزوال سريعة الاستحالة والتغير فأما ما يحمل من هذه إلى مصر فظاهر أن مزاجها يتبدل باختلاف الهواء عليها ويستحيل عما كانت عليه إلى مشاكلة أرض مصر إلا أن ما كان حديثا قريب العهد بالسفر فقد بقيت فيه من جودته بقايا صالحة فهذا حال الغلات (وأما) الحيوان الذي يأكله الناس فالبلدي منه مزاجه مشاكل لمزاج الناس بهذه الأراضي في السخافة وسرعة الاستحالة فهو على هذا ملائم لطباعهم والمجلوب كالبكاش البرقية فالسفر يحد في أبدانها خللا ويساوا خللا لا تشاكل خللا المصريين ولهذا إذا دخلت مصر مرض أكثرها فإذا استقرت زمانا صالحا تبدل مزاجها ووافق مزاج المصريين (وأهل مصر) يشرب الجمهور منهم من ماء النيل وقد قلنا في ماء النيل ما فيه كفاية وبعضهم يشرب مياه الآبار وهي قريبة من مشاكلهم والمياه الخزونة قتل من يشربها بأرض مصر وأجود الاشربة عندهم الشمسي لأن العسل الذي فيه يحفظ قوته ولا يدعه يتغير بسرعة والزمان الذي يعمل فيه خالص الحر فهو ينفضه والزييب الذي يعمل منه مجلوب من بلاد أجود هواه (وأما الخمر) فقل من يعصرها الا وبقى معها عسلا وهي معتصرة من كرومهم فتكون مشاكلة لهم ولهذا صاروا يختارون الشمسي عليها وما عدا الشمسي والخمر من الشراب بأرض مصر قردى لا خير فيه لسرعة استحالاته من فساد مادته التبدل القوي والمطبوخ والمزج المعمول من الخطة * وأغذية أهل مصر مختلفة فان أهل الصعيد يغتذون كثيرا بتمر النخل والخلاوة المعمولة من قصب السكر ويحملونها إلى القسطنطين وغيرها قبايع هنالك وتؤكل وأهل أسفل الأرض يغتذون كثيرا بالقلقاس والجلبان ويحملون ذلك إلى مدينة القسطنطين وغيرها قبايع هنالك وتؤكل وكثير من أهل مصر يكثر من أكل

السمك طريا وما لحا وكثيرا يكثر اكل الالبان وما يعمل منها وعند فلاحهم نوع من الخبز يدعى كعكا يعمل من جريش الحنطة ويخفف وهو اكثر اكلهم السنة كلها وبالجملة فكل قوم منهم قد استت ابدانهم من اشياء بأعيانها وألفتها ونشأت عليها الآن الغالب على أهل مصر الاغذية الرديئة وليست تغير من اجهم مادامت جارية على العادة وهذا أيضا مما يؤكدهم في السخافة وسرعة الوقوع في الامراض وأهل الريف اكثر حركة ورياضة من أهل المدن ولذلك هم أصح ابدانا لان الرياضة تصلب أعضاءهم وتقويهم وأهل الصعيد اخلاطهم أرق واكثر خانية وتخللا وسخافة لشدة حرارة أرضهم من أسفل الارض وأهل أسفل الارض بمصر أكثر استقراغ فضولهم بالبراز والبول لفتور حرارة أرضهم واستعمالهم للاشياء الباردة والغليظة كالقلقاس (واما اخلاط المصريين فبعضها شبيه ببعض لان قوى النفس تابعة لمزاج البدن وابدانهم بخيفة سريعة التغير قليلة الصبر والجلد وكذلك اخلاقهم يغلب عليها الاستحالة والتقل من شيء الى شيء والدعة والخبث والقنوط والشح وقلة الصبر والرغبة في العلم وسرعة الخوف والحسد والتمية والكذب والسعي الى السلطان وذم الناس وبالجملة فيغلب عليهم الشرور الدينية التي تكون من دناءة النفس وليس هذه الشرور عامة فيهم ولكنهم موجودون في اكثرهم ومنهم من خصه الله بالفضل وحسن الخلق وبرأه من الشرور ومن أجل توليد أرض مصر الجبن والشرور الدينية في النفس لم تسكنها الاسود اذ دخلت ذات ولم تناسل وكلاهما اقل جراءة من كلاب غيرها من البلدان وكذلك سائر ما فيها اضعف من نظيره في البلدان الاخر ما خلا ما كان منها في طبعه ملائمة لهذه الحال كالحمار والارنب وقال ان جالينوس يرى أن فصل الربيع طبيعته الاعتدال ويناقض من ظن أنه حار رطب ومن شأن هذا الفصل أن تصح فيه الابدان ويوجد هضمها وتنثر الحرارة لغريزية فيه ويصفو الروح الحيواني لا اعتدال الهواء وصفاته ومسأوة ليله لثاره وغلبة الدم والهواء المعتدل هو الذي لا يحس فيه يبرد ظاهر ولا حر ولا رطوبة ولا يس ويكون في نفسه صافيا نقيا فيقوى فيه الروح الحيواني لهذا السبب وتصح الابدان ويكثر نشاط الحيوان وتنمو الاشياء وترتد وتوالدوا اذا طلبنا بأرض مصر مثل هذا الهواء لم نجد في وقت من السنة الا في امشير وبرمهات وبرمودة وشنس عندما تكون الشمس في النصف الاخير من الدلو والحوت والحمل والثور فانا نجد بمصر في هذا الزمان اياما معتدلة نقية صافية لا يحس فيها بحر ظاهر ولا برد ولا رطوبة ولا يوسه وتكون الشمس فيها نقية من الغيوم والهواء ساكنا لا يتحرك الا أن يكون ذلك في برمودة وشنس فانه يحتاج الى أن تهب ريح الشمال ليعتدل يبردها حر الشمس وفي هذا الزمان تكثر حركة الحيوان وسفاده وتحسن اصواته وتورق الاشجار ويعقد الزهر وتقوى القوة المولدة ويغلب كيموس الدم وهذا الفصل في أرض مصر يتقدم زمانه الطبيي بمقدار ما ينقص عن آخره وعلة ذلك قوة حرارة هذه الارض وقد يعرض في أول هذا الفصل ايام شديدة البرد وذلك في امشير اذا هبت ريح الشمال وكانت الشمس غير نقية من الغيوم وعلة ذلك دخول فصل الربيع في فصل الشتاء فاذا هبت ريح الشمال يبرد يبردها الهواء فأعادته بعد الاعتدال الى البرد ولكثرة ما يصعد من الارض في هذا الزمان من البخار الرطب يرطب الهواء ويعود الى حاله في فصل الشتاء وبرمهات بارد الهواء من هبوب رياح اخر فان ريح الجنوب التي هي أشد الرياح حرارة اذا هبت في هذا الزمان اكتسبت برودة من الارض والماء الذين قد يتردهما هواء الشتاء فاذا مرت بشئ يترده يبرودتها العرضية حتى اذا دام هبوبها اياما كثيرة متوالية عادت الى حرارتها وأخضت الهواء وأحدثت فيه يسا والدليل على ان برد رياح الجنوب التي تعرفها المصريون بالمريسي يتولد من برد مياه مصر وأرضها لا يشئ طبيعي لها أنه لا يجتمع في الجو في ايام هبوبها الضباب الذي يجتمع من تحليل الحرارة للبخار الرطب بالنهار وجمع البرودة له بالليل فحرارة ريح الجنوب تفرق البرودة عن جمعه وتبدده في الهواء واذا دام هبوب هذه الرياح أخضت الماء والارض وعادت الى طبيعتها في الحرارة واذا كان فصل الربيع يتقدم زمانه الطبيي ويختلف هذا الاختلاف والهواء في الاصل بمصر يختلف بكثرة استحالاته وما يرق اليه من البخار فاطنك بغيره من الفصول ولذلك كثرت فيه الرياح وأخر الاطباء فيه سقى الادوية المسهلة الى أن يستقر أمره في شمس الحمل مع الثور ثم يدخل فصل الصيف في آخر بشنس وبؤنة واييب وبعض مسرى عندما تكون الشمس في الجوزاء والسرطان والاسد وبعض السنبل فيشتد الحر واليبس في هذا الزمان وتجف الغلات وتنضج التمار ويجمع من اكلها في الابدان كيموسات رديئة واذا نزلت الشمس في السرطان

أخذ النيل في الزيادة والفيض على أرض مصر فتميز من أوج الصيف الطبيعي بكثرة ما يترقى إلى الهواء من بخار الماء ويوجد في أول هذا الفصل عندما تكون الشمس في الجوزاء أيام دشا كل هواؤها والرياح عند ما تكون الشمس مستوية بالغيوم وتكون الرياح الشمال هابية ولهذا يغلط كثير من الأطباء ويسبق الأدوية المسهلة في هذا الزمان لظنه أن فصل الربيع لم يخرج الأمن كان منهم أحد حق فهو يختار ما كان من هذه الأيام أسكن حرارة والاكثر لا يشعرون ألبتة بهذه الحال * وفي آخر الصيف يكون فيض النيل فظاها أن هذا الفصل يتقدم دخوله الزمان الطبيعي بقدر ما يتقدم آخره وأنه كثير الاضطراب بكثرة ما يرقى إليه من بخار الأرض فلو لا استمرار أبادتهم على هذا الاختلاف ومشاكلتهم لهذه الحال لحدثت فيهم الأمراض التي ذكرنا بقرائنها تحدث إذا سكن الصيف رطباً * ثم يدخل فصل الخريف وطبيعته يابسة من النصف الأخير من مسرى ثم توت وبابة وبعض أيامها توت وتكون الشمس في آخر السنبلة والميزان والعقرب فتكمل زيادة النيل في أول هذا الفصل ويطلق على الأرضين فيطبق أرض مصر ويرتفع منه في الجوف بخار كثير فينتقل من أوج الخريف عن اليس إلى الرطوبة حتى أنه يما وقع فيه الأمطار وكثرة الغيم في الجوف ويوجد في هذا الفصل أيام شديدة الحزن لانهاء على الحقيقة ضعيفة فإذا نفي الجوف من البخار الرطب عادت إلى طبيعتها من الحرارة وفيه أيضاً أيام شديدة الشبه بأيام الربيع تكون عندما يساوي الليل النهار ويرطب الماء ليس الهواء ويستبد في هذا الفصل اضطراب الهواء بكثرة ما يترقى إليه من البخار الرطب فيكون مرة حارة وأخرى باردة ومرة يابسة وأكثر أوقاتة يغلب عليه الرطوبة فلا يزال كذلك يخرج حتى يغلب عليه رطوبة الماء في آخر الأمر ويصاد في أيام الخريف من النيل أسماك كثيرة جداً يولدا كلها في الأبدان اختلاطاً زجاجة وكثيراً ما يستحيل إلى الصفرا إذا صادفت في البدن خلطاً صفراً أو باقناً أجل ذلك يضطرب ما في الأبدان من الروح الحيواني وتخرج الاخلط ويفسد الهضم في البطون والاعوية والعروق ويتولد من ذلك كيموسات رديئة كثيرة الاخلط بعضها مرة صفراء وبعضها مرة سوداء وبعضها بلغم لزج وبعضها خلط خام وبعضها مرة مختلقة وكثير منها يتركب من هذه الأشياء فتشرب الأمراض حتى إذا انصرف النيل في آخر الخريف وانكشف الأرض وبرد الهواء وكثرت الأسماك واحتقن البخار وكثر ما يرتفع به من الأرض من العفونة واستحكم عند ذلك وجود العفن تزايدت الأمراض ولولا أن أهل مصر لهذه الأشياء لكان ما يحدث فيهم من الأمراض أكثر من ذلك ثم يدخل فصل الشتاء وطبيعته باردة رطبة من النصف الآخر من هاتور ثم كيهك وطوبه وذلك عندما تكون الشمس في القوس والجدي وبعض الدول وذلك أقل من ثلاثة أشهر والعلة في ذلك قوة حرارة أرض مصر وكون الأبدان مضطربة وتنكشف الأرض في أول هذا الفصل وتحترق وتغفن بالجملة لكثرة ما يلقى فيها من البرور وما فيها من ازبال الحيوان وفضولها ولانها سخيفة وهي كالجملة في هذا الزمان فيتولد فيها من أنواع القسار والدود والنبات والعشب وغير ذلك ما لا يحصى كثرة ويخيل منها في الجوف أبحرة كثيرة حتى يصير الضباب بالغدوات سائراً للأبصار عن الألوان القريبة ويصاد أيضاً من الأسماك المحبوسة في المياه المخزونة شيء كثير وقد داخلها العفن لقله حركتها فيولدا كلها في الأبدان فضولاً كثيرة لزجة شديدة الاستعداد للعفن فتقوى الأمراض في أول هذا الفصل حتى إذا اشتد البرد وقوى الهضم في الأبدان واستقر الهواء على شيء واحد وعادت الحرارة الغريزية إلى داخل وتطبقت الأرض بالنبات وسكنت عفونتها صحت عند ذلك الأبدان وهذا يكون في آخر كيهك أو في طوبه فقد استبان أن الفصول بأرض مصر كثيرة الاختلاف وأن أوقات السنة عندهم وأكثرها أمراضاً هو آخر الخريف وأول الشتاء وذلك في شهر هاتور وكيهك فإذا اختلفت الفصول مشاكل لما عليه أرضهم من الرداءة فحضره الفصول إذا بالابدان في أرض مصر أقل منها في البلدان الأخرى إذا اختلفت هذا الاختلاف واستبان أيضاً أن السبب الأول في ذلك هو مدة النيل في أيام الصيف وتطبيقه الأرض في أيام الخريف بخلاف ما عليه مياه الأنهار في العمارة كلها فانها إنما تمتد في أخص الأوقات بالرطوبة وهو الشتاء والربيع * قال وقد استبان مما تقدم أن الرطوبة الفضلية بأرض مصر كثيرة وظاهر أن أمراضهم البلدية تكون من نوع هذه الرطوبة فإني أنا قلنا رأيت أمراضهم البلدية تكون من نوع هذه كلها لا يشوبها في أول أمرها البلغم والخلط الخام والأمراض كلها تحدث عندهم في الأوقات كلها كما قال ابن قراط وأكثر أمراضهم هي الفضلية أعني العفنة من اختلاط صفراوية وبلغمية على ما يشاكل مزاج

ارضهم وما ذكرناه فيما تقدم يوجب حدوث الامراض كثيرا الا ان مشاكلة هذه بعضها بعضا واتفاقها في سنة واحدة تمنع من أن تكون في انفسها ممرضة متى لزمّت العادة فأما اذا خرجت عن عاداتها فهي تحدث مرضا وخروجهما عن عاداتهما بمصر هو الذي اعتده اختلافا مرمضا لا الاختلاف الموجود فيها على الدائم والنيل ليس يحدث في الابدان كل سنة مرضا ولكنه اذا أفرطت زيادته ودام مدة تزيد على العادة كان ذلك سببا لحدوث المرض الوافد فان قيل اذا كانت ابدان الناس بأرض مصر من السخافة على ما ذكرت فلعلها في مرض دائم فالجواب لسنا نبالي بهذا كيف كان لان المرض هو ما يضر بالفعل ضررا محسوسا من غير توسط فن اجل ذلك ليس ابدان المصريين في مرض دائم ولكنها كثيرة الاستعداد نحو الامراض قال أما امراض مصر الباردة فقد ذكرنا من امراضها ما فيه كفاية وظهران اكثرها الامراض الفضلية التي يشوبها صفراء وخام على ان باقي الامراض تحدث عندهم بسرعة وقرب وخاصة في آخر الخريف وأول الشتاء * وأما الامراض الوافدة ومعنى المرض الوافد هو ما يعم خلقا كثيرا في بلد واحد وزمان واحد ومنه نوع يقال له الموتان وهو الذي يكثر معه الموت وحدثت الامراض الوافدة تكون عن اسباب كثيرة يجمع في اجناس اربعة وهي تغير كيفية الهواء وتغير كيفية الماء وتغير كيفية الاغذية وتغير كيفية الاحداث النفسانية فالهواء تغير كيفية على ضربين احدهما اتغيره الذي جرت به العادة وهذا لا يحدث مرضا وافدا وليس تغيرا مرضا والثاني التغير الخارج عن مجرى العادة وهذا هو الذي يحدث المرض الوافد وكذلك الحال في الاجناس الباقية وخروج تغير الهواء عن عادته يكون اما بأن يسخن أكثر أو يبرد أو يربط أو يجهف أو يخالطه حال عفنة والحالة العفنة اما أن تكون قريبة او بعيدة فان اقربا وجالينوس يقولان انه ليس يمنع من أن يحدث ببلد اليونانيين مرض واحد عن عفونة اجتمعت في بلاد الحبشة وتراقت الى البحر وانحدرت على اليونانيين فأحدثت فيهم المرض الوافد وقد يتغير أيضا مزاج الهواء عن العادة بأن يصل وفد كثير قد أثبت ابدانهم طول السفر وسائر اخلاطهم فيخالط الهواء منها شيء كثير ويقع الاعداء في الناس ويظهر المرض الوافد والماء أيضا قد يحدث المرض الوافد اما بأن يفرط مقداره في الزيادة والنقصان او يخالطه حال عفنة ويضطر الناس الى شربه وبعض به أيضا الهواء المحيط بأبدانهم وهذه الحال تخالطه اما قريبا او بعيدا بمنزلة ما يمر في جريانه بموضع جرب قد اجتمع فيه من جيف الموتي شيء كثير أو بمياه تقاطع عفنة فيجرها معه ويخالط جسمه والاغذية تحدث المرض الوافد اما اذا لحقها البرقان وارتفعت اسعارها واضطر الناس الى اكلها واما اذا اكثر الناس منها في وقت واحد كالذي يكون في الاعياد فيكثر فيهم التخم ويمرضون مرضا شديدا واما من قبيل فساد مرضي الحيوان الذي يؤكل او فساد الماء الذي يشرب والاحداث النفسانية تحدث المرض الوافد متى حدث في الناس خوف عام من بعض الملوئ فيطول سيرهم وتفكرهم في الخلاص منه وفي وقوع البلاء فيسوء هضمهم وتتغير حرارتهم الغريزية ورجعا اضطرروا الى حركة عنيفة في هذه الحال او يتوقعوا لخط بعض السنين فيكثر من الحركة والاجتهاد في ادخال الاشياء ويشد غمهم بما سيحدث فجميع هذه الاشياء تحدث في ابدان الناس المرض الوافد متى كان المتعرض لها خلق كثير في بلد واحد ووقت واحد وظاهر أنه اذا اكثر في وقت واحد المرضى بمدينة واحدة ارتفع من ابدانهم بخار كثير فيتغير مزاج الهواء فاذا صادف بدنا مستعدا امراضه وان كان صاحبه لم يتعرض لما يتعرض اليه الناس فالامراض الوافدة بمصر تحدث اما عن فساد لم تجر به العادة بعرض الهواء سواء كان مادة فساد من أرض مصر أو من البلاد التي تجاورها ككالسودان والجزائر والشام وبرقة او بعرض للنيل بأن تفرط زيادته فتكثر زيادة الرطوبة والعفن او تنقل زيادته جدا فيجف الهواء عن مقدار العادة ويضطر الناس الى شرب مياه رديئة او يخالطه عفونة تحدث عن جرب يكون بأرض مصر أو ببلاد السودان أو غيرها يموت فيها خلق كثير ويرتفع بخار جيفهم في الهواء فيعفنه ويصل عفنه اليهم أو يسيل الماء ويحمل معه العفن او يغلو السعرا ويلحق الغلات آفة او يدخل على البكاش ونحوها مضرة او يلحق الناس خوف عام او قنوط وكل واحد من هذه الاسباب يحدث في ارض مصر مرضا وافدا يكون قوته بمقدار قوة السبب المحدث له وان كان اكثر من سبب واحد كان ذلك المرض أشد واغوى وأسرع في القتل * قال فزاج ارض مصر حار رطب بالرطوبة الفضلية وما قرب من الجنوب بأرض مصر كان اسخن وأقل عفنا في ماء النيل

مما كان منها في الشمال ولا سيما من كان في شمال القسطنطينية مثل أهل البشور فان طباعهم اغلظ والبله عليهم
 اغلب وذلك انهم يستعملون اغذية غليظة جدا ويشربون من الماء الردي * وأما اسكندرية وتينس وامثال هذه
 فقرى من البحر وسكون الحرارة والبرد عنهم وظهور الصبا فيهم مما يصلح امرهم ويرق طباعهم ويرفع همهم
 ولا يعرض لهم ما يعرض لأهل البشور من غلظ الطبع والجمادية والحاطة البحر بمدينة تينس توجب غلبة
 الرطوبة عليها وما يسر اخلاق أهلها قال انه لما كانت ارض مصر وجميع ما فيها خفيفة الاجسام سرعما
 اليها التغير والعفن وجب على الطبيب أن يختار من الاغذية والادوية ما كان قريب العهد حديثا لان قوته
 تعد باقية عليه لم تتغير كل التغير وأن يجعل علاجه ملائما عليه الابدان بأرض مصر ويجتهد في أن يجعل
 ذلك الى الجهة المضادة أميل قليلا ويجنب الادوية القوية الاسهال وكل ما له قوة مفرطة وان نكبة هذه
 الابدان سرعما وابدان المصريين سرعما الوقوق في النكبات ويختار ما يكون من الادوية المسهلة
 وغيرها ألين قوة حتى لا يكون على طبيعة المصريين منها كلفة ولا يلحق ابدانهم مضرة ولا يقدم على الادوية
 الموجودة في كتب اطباء اليونانيين والفرس فان اكثرها عملت لابدان قوية البنية عظيمة الاخلط وهذه الاشياء
 قلما توجد بمصر فلذلك يجب على الطبيب أن يتوقف في اعطاء هذه الادوية للمرضى ويختار ألينها ينقص عن
 مقدار شرباتها ويبدل كثيرا منها بما يقوم مقامه ويكون ألين منه فيتحذ السكبيين السكري في مقام العسلي
 والجلاب بدل من ماء العسل واعلم ان هواء مصر يعمل في المجونات وسائر الادوية ضارة فاقدر اعمار الادوية
 المفردة والمركبة المنجونة منها وغير المنجونة بمصر اقصر من اعمارها في غير مصر فيحتاج الطبيب بمصر الى تقدير
 ذلك وتمييزه حتى لا يشتبه عليه شئ مما يحتاج اليه واذا لم يكف في تقوية البدن بالدواء المسهل دفعة واحدة فلا بأس
 باعادته بعد أيام فان ذلك اجد من اراد الدواء الشديد القوة في دفعة واحدة قال ولكون ارض مصر تولد
 في الاجسام سخافة وسرعة قبول للمرض وجب أن تكون الابدان على الهيئة الفاضلة بأرض مصر قليلة جدا
 فأما الابدان الباقية فكثيرة وأن تكون الصحة التامة عندهم على الامر الاكثر في القرية من الهيئة الفاضلة
 والطريق الاولى التي تدبرها الابدان ان في الهيئة الفاضلة يحتاج فيها بأرض مصر الى أن يدبر الهواء والغذاء
 والماء وسائر الاشياء تدبر ايصير به في غاية الاعتدال ولان الهضم كثيرا ما يسوء بأرض مصر وكذلك الروح
 الحيواني فيجب صرف العناية الى مراعاة امر القلب والدماغ والكبد والمعدة والعروق وسائر الاعضاء الباطنة
 في تجويد الهضم واصلاح امر الروح الحيواني وتنظيف الاوساخ الاحمة وقال في شرح كتاب الاربعة
 لبطليموس وأما سائر اجزاء الربع الذي يميل الى وسط جميع الارض المسكونة اعني بلاد بركة وسواحل البحر
 من مريوط الى الاسكندرية ورشيد ودمياط وتينس والقرما وأسفل الارض بمصر وتواحي مدينة منف
 ومدينة القسطنطينية وما يلي شرقي النيل من صعيد مصر والقيوم الى اعلى الصعيد مما في غرب النيل وارض
 الواحات وارض النوبة والوجه والارض التي على البحر في شرقي بلاد النوبة والحبشة فان هذه البلاد موضوعة
 في الزاوية التي تؤثر في جميع الربع الموضوع فيما بين الدبور والجنوب وهي من جهة النصف الغربي من الربع
 المعمور والكوكب الخمسة المتخيرة فشرقي تدبرها فصار أهلها محبين لله ويعظمون الجن ويحبون النوح
 ويدفنون موتاهم في الارض ويحرقونهم ويستعملون سننا مختلفة وعادات وآراء شتى ملتهم الى الاسرار التي
 تدعو كل طائفة منهم الى امر من الامور الخفية فيعتقده ويوافقها جماعة ومن اجل هذه الاسرار كان المستخرج
 للعلوم الدقيقة كالفنسة والنجوم وغيرها في الزمان الاول اهل مصر ومنهم تفرقت في العالم واذا ساسهم غيرهم
 كانوا اذلاء والغالب عليهم الجن والاستحذاء في الكلام واذا ساسوا غيرهم كانت انفسهم طيبة وهمهم كثيرة
 ورجالهم يتخذون نساء كثيرة وكذلك نساؤهم يتخذون عدة رجال وهم من - يكون في الجماع ورجالهم كثير
 النسل ونساؤهم سريعات الحمل وكثير من ذراتهم تكون انفسهم ضعيفة مؤنثة * وقال أبو الصلت وأما سكان
 ارض مصر فأخلط من الناس مختلفوا الاصناف والاجناس من قبط وبروم وعرب واكراد وديلم وحباشان
 وغير ذلك من الاصناف الا أن جمهورهم قبط قالوا والسبب في اختلاطهم تداول المالكين لها والمتغلبين
 عليها من العمالة واليونانيين والروم وغيرهم فلذلك اختلطت انسابهم واقتصر امن التعريف بأنفسهم على
 الإشارة الى مواضعهم والانتفاء الى مساقطهم فيها وحكى انهم كانوا في الزمن السالف عبدا اصناما ومدبري هياكل

الى أن ظهر دين النصرانية وغلب على ارض مصر فنصر وابقوا على ذلك الى أن فتحها المسلمون فأسلم بعضهم
وبقى بعضهم على دين النصرانية وأما اخلاقهم فالغالب عليها اتباع الشهوات والانهمالك في اللذات والاشتغال
بالترهات والتبديد بالمحالات وضعف المراتر والعزائم ولهم خبرة بالكيد والمكر وفيهم بالقطرة قوة علية
يرتلف فيه وهداية اليه لما في اخلاقهم من الملق والبشاشة التي أربوا فيها على من تقدم وتأخر وخصوصا بالافراط
فيها دون جميع الامم حتى ما رأهم في ذلك مشهورا والمثل بهم مضر وبأوفي خبيثهم ومكرهم يقول أبو نواس

محضتكم يا أهل مصر نصيحتي * الانخذوا من ناصح نصيب

وما كم أمير المؤمنين بحجة * أكل الحيات البلاد شروب

فان يك باق أنك فرعون فيكم * فان عصا موسى بكف خصيب

قال مؤلفه رحمه الله تعالى وقد مر لي قديما ان منطقة الجوزاء تسامت رؤس اهل مصر فلذلك يتحدثون
بالاشياء قبل كونها ويخبرون بما يكون وينذرون بالامور المستقبلية ولهم في هذا الباب اخبار مشهورة (قال
ابن الطوير وقد ذكر استيلاء الفرنج على مدينة صور فعاد الحفظ والحراسة على مدينة عسقلان فازالت بحجة
بالابدال المجردة اليها من العساكر والاساطيل والدولة تضعف أولا فأتوا باختلاف الآراء فنقلت على الاجناد
ركبناهم هاعندهم واشتغلوا عن افضايقها الفرنج حتى اخذوها في سنة ثمان واربعين وخمسائة ولقد سمعت
رجلا قبل ذلك بسنين يحدث بهذه الامور ويقول في سنة ثمان تؤخذ عسقلان بالامان * ومن هذا الباب واقعة
الكائنات التي للنصارى وذلك انه لما كان يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وسبعمائة والناس
في صلاة الجمعة كانوا قدامي في اقليم مصر كله من قوص الى الاسكندرية بهدم الكنائس فهدم في تلك الساعة بهذه
المسافة الكبيرة عدد كثير من الكنائس كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر كائنات النصارى ومن هذا
الباب واقعة ألامر الذي خرج الامير الدهر امير جند اربيد الحج من القاهرة في سنة ثمان وخمسائة
وكانت قسنة بمكة قتل فيها ألامر يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة فاشيع في هذا اليوم بعينه في القاهرة ومصر
وقلة الجبل بأن وقعة كانت بمكة قتل فيها ألامر فطار هذا الخبر في ريف مصر واشتهر فلم يكترث الملك الناصر محمد بن
قلاوون بهذا الخبر فلما قدم المبشرون على العادة اخبروا بالواقعة وقتل الامير سيف الدين ألامر في ذلك اليوم الذي
كانت الاشاعة فيه بالقاهرة قال جامع السيرة الناصرية كنت مع الامير علم الدين الخازن في القرية وقد خرج اليها
كاشفا فلما صليت انا وهو صلاة الجمعة وعدنا الى البيت قدم بعض غلمانه من القاهرة فأخبرنا انه اشيع بأن قسنة
كانت بمكة قتل فيها جماعة من الاجناد وقتل فيها الامير الدهر امير جند اربيد فقال له الامير علم الدين هل حضر احد
من الحجاز بهذا الخبر قال لا فقال ويحك الناس ما تحضر من منى بمكة الا نالت يوم بعد غد النحر فكيف سمعتم
هذا الخبر الذي لا يسمعه عاقل فقال قد استفيض ذلك وكان الامر كما اشيع (ووقع لي في شهر رمضان
من شهر سنة احدى وتسعين وسبعمائة في مررت في الشارع بين القصرين بالقاهرة بعد العمة فاذا العاتة
تحدث بأن الملك الظاهر برقوق خرج من سجنه بالكر والجمع عليه الناس فضبطت ذلك فكان اليوم الذي
خرج فيه من السجن وفي هذا الباب من هذا كثير * (ومن اخلاق أهل مصر قلة الغيرة وكفالة ما قصه الله سبحانه
وتعالى من خير يوسف عليه السلام ومراودة امرأة العزيز له عن نفسه وشهادة شاهدين من أهلها عليه بما بين
لزوجها منها السوء فلم يعاقبها على ذلك بسوى قوله استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين * وقال ابن عبد
الحكم وكان نساء أهل مصر حين غرق من غرق منهم مع فرعون ولم يبق الا العبيد والاجراء لم يصبروا عن الرجال
فطفت المرأة تعتق عبدها وتزوجه وتزوجه الاخرى اجبرها وشرطن على الرجال أن لا يفعلوا شيئا الا باذنهن
فأجابوهن الى ذلك فكان امر النساء على الرجال فحدثني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ان نساء القبط على ذلك
الى اليوم اتباعا لما مضى منهم لا يبيع احدهم ولا يشتري الا قال أستاذ امرأتى وقال ان فرعون لما غرق
ومعه اشرف مصر لم يبق من الرجال من يصلح للملكة فعد الناس في مراتبهم بنت الملك ملكة وبنت الوزير وزيرة
وبنت الوالى وبنت الحاكم على هذا الحكم وكذلك بنات القواد والاجناد فاستوت النساء على المملكة مدة
سنتين وتزوجن بالعبيد واشترطن عليهم ان الحكم والتصرف لهن فاستقر ذلك مدة من الزمان ولهذا صارت
لوان أهل مصر من اجل انهم اولاد العبيد السود الذين تكهوا نساء القبط بعد الغرق واستولدوهن

وأخبرني الأمير الفاضل الثقة ناصر الدين محمد بن محمد بن الغرايبي الكركي رحمه الله تعالى انه منذ سكن مصر محمد من نفسه رياضة في اخلاقه وترخصا لاهله ولينا ورقة طبع من قلة الغيرة ومما نزل نسمعه دائما بين الناس ان شرب ماء النيل ينسب الغريب وطنه * ومن اخلاق أهل مصر الاعراض عن النظر في العواقب (فلا تجدهم يتخرون عندهم زادا كما هي عادة غيرهم من سكان البلدان بل يتناولون اغذية كل يوم من الاسواق بكرة وعشيا ومن اخلاقهم الانهم مالك في الشهوات والامعان من الملاذ وكثرة الاستهتار وعدم المبالاة قال لي شيخنا الاستاذ أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله تعالى أهل مصر ككأنما فرغوا من الحساب وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سأل كعب الاحبار عن طبائع البلدان واخلاق سكانها فقال ان الله تعالى لما خلق الاشياء جعل لكل شئ شئ فقال العقل انما لاحق بالشام فقالت الفطنة وانا معك وقال الخصب انما لاحق بمصر فقال الذل وانا معك وقال الشقاء انما لاحق بالبادية فقالت الصحة وانا معك * ويقال لما خلق الله الخلق خلق معهم عشرة اخلاق الايمان والحساب والنجدة والفطنة والكبر والنفاق والغنى والفقر والذل والشقاء فقال الايمان انما لاحق باليمن فقال الحياء وانا معك وقالت النجدة انما لاحق بالشام فقالت الفطنة وانا معك وقال الكبر انما لاحق بالعراق فقال النفاق وانا معك وقال الغنى انما لاحق بمصر فقال الذل وانا معك وقال الفقر انما لاحق بالبادية فقال الشقاء وانا معك وعن ابن عباس رضي الله عنهما المكر عشرة اجزاء تسعة منها في القبط وواحد في سائر الناس ويقال اربعة لا تعرف في اربعة السخاء في الروم والوفاء في الترك والشجاعة في القبط والعمر في الزنج * ووصف ابن العربية أهل مصر فقال عبيد بن غلب أكلت الناس صفارا واهلهم بكارا (وقال المسعودي) لما فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك كتب الى حكامهم من حكماء العصر ان الناس عرب قد فتح الله علينا البلاد وزيد ان تبوء الارض ونسكن البلاد والامصار فصف لي المدن وأهوليتها ومساكنها وما تؤثره التربة والاهوية في سكانها فكتب اليه وأما ارض مصر فأرض قوراء غوراء ديار الفراعنة ومساكن الجبابرة ذمة ما أكثر من مدحها هو أوها كدر وحرها زائد وشرها ما تدكر الالوان والظن وتركب الاحن وهي معدن الذهب والجوهر ومغارس الغلات غير أنها تسمى الابدان وتسود الانسان وتخوفها الاعمار وفي أهلها مكر ورياء وخبث ودهاء وخديعة وهي بلدة مكسب ليست بلدة مسكن لتراصف فتنها واتصال شرورها وقال عمر بن شبة ذكر ابن عبيدة في كتاب اخبار البصرة عن كعب الاحبار خير نساء على وجه الارض نساء أهل البصرة الا ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من نساء قريش وشر نساء على وجه الارض نساء أهل مصر وقال عبد الله بن عمرو لما هبط ابليس وضع قدمه بالبصرة وفرخ بمصر وقال كعب الاحبار ومصر ارض نجسة كالمرأة العاذل يطهرها النيل كل عام * وقال معاوية بن أبي سفيان وجدت أهل مصر ثلاثة اصناف فثلث ناس وثلث يشبه الناس وثلث لاناس فأما الثلث الذين هم الناس فالعرب والثلث الذين يشبهون الناس فالموالي والثلث الذين لاناس المسالمة يعني القبط

* (ذكر شئ من فضائل النيل) *

اخرج مسلم من حديث أنس رضي الله عنه في حديث المعراج أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم رفعت لي سدة المنتهى فاذا نبتة هامة مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قلت ماذا يا جبريل قال هذه سدة المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات وفي التوراة وخلق فردوسا في عدن وجعل الانسان فيه واخرج منه نهران فسميها اربعة اجزاء جيحون المحيط بأرض حو بلا وسيحون المحيط بأرض كوش وهونيل ومصر ودجلة الاخذ الى العراق والفرات * وروى ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال نيل مصر سيد الانهار مخبر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب فاذا اراد الله أن يجري نيل مصر أمر كل نهر أن يمتد فتمتد الانهار بماؤها وأجر الله له الارض عموما فأجرته الى ما اراد الله عز وجل فاذا انتهت جريته اوحى الى كل ماء أن يرجع الى عنقه وعن يزيد بن ابي حبيب ان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سأل كعب الاحبار هل تجد لهذا النيل في كتاب الله خبرا قال اي والذي فلق البحر لموسى اني لاجده في كتاب الله ان الله يوحى اليه في كل عام مرتين يوحى اليه عند جريته ان الله يأمره أن تجري فيجري ما كتب الله له ثم يوحى اليه بعد ذلك يا نيل عد حيدا وعن كعب الاحبار أنه قال اربعة انهار من الجنة وضعها الله

في الدنيا النيل نهر العسل في الجنة والقرات نهر الخمر في الجنة وسيحان نهر الماء في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة وقال المسعودي نهر النيل من سادات الانهار وأشرف البحار لانه يخرج من الجنة على ما ورد به خبر الشريعة وقد قال ان النيل اذا زاد غاضت له الانهار والاعين والآبار واذا غاض زادت فزيادته من غيضا وغبضه من زيادتها وليس في انهار الدنيا نهر يسمى ببحر اغير نيل مصر لكبره واستبحاره * وقال ابن قتيبة في كتاب غريب الحديث وفي حديثه عليه السلام نهران مؤمنان ونهران كافرين أما المؤمنان فالنيل والقرات وأما الكافران فدجلة ونهر بلخ انما جعل النيل والقرات مؤمنين على التشبيه لانهما يفيضان على الارض ويسقيان الحرث والشجر بلا تعب في ذلك ولا مؤنة وجعل دجلة ونهر بلخ كافرين لانهما لا يفيضان على الارض ولا يسقيان الاشياء قليلا وذلك القليل يتعب ومؤنة فهذان في الخير والنفع كالؤمنين وهذان في قلة الخير والنفع كالكافرين

* (ذكر مخرج النيل وابعائه) *

اعلم ان البحر المحيط بالمعمور اذا خرج منه نهر الهند افترق قطعا كما تقدم وكان منه قطعة تسمى ببحر الزنج وهي بمابلي بلاد اليمن وبحر بربر وفي هذه القطعة عدة جزائر منها جزيرة القمر بضم القاف واسكان الميم وراء مهجلة ويقال لهذه الجزيرة أيضا جزيرة ملاي وطولها اربعة اشهر في عرض عشرين يوما الى أقل من ذلك وهذه الجزيرة تحاذي جزيرة سرنديب وفيها عدة بلاد كثيرة منها قرية واليها ينسب الطائر القمري ويقال ان بهذه الجزيرة خشب ينبت من الخشب ساق طوله ستون ذراعا يحذف على ظهره مائة وستون رجلا وان هذه الجزيرة ضاقت بأهلها فبنوا على الساحل محلات يسكنونها في سفح جبل يعرف بهم يقال له جبل القمر * واعلم ان الجبال كلها متشعبة من الجبل المستدير بغالب المعمور الارض وهو المسمى بجبل قاف وهو أم الجبال كلها تشعب منه فيتصل في موضع وينقطع في آخر وهو كالأثر لا يعرف له أول اذ كان كالحلقة المستديرة لا يعرف طرفاها وان لم يكن استدارة كرية ولكنها استدارة احاطة وزعم قوم ان اقمات الجبال جبالان خرج أحدهما من البحر المحيط في المغرب أخذ اجنوبا وخرج الآخر من البحر الرومي أخذ شمالا حتى تلاقيا عند السد وهو الجنوبي قاف وسما الشمال قاقونا والآخر انه جبل واحد ومحيط بغالب بسيط المعمور وانه هو الذي يسمى بجبل قاف فيعرف بذلك في الجنوب ويعرف في الشمال بجبل قاقونا ومبدأ هذا الجبل المحيط من كتف السد أخذ من وراء صنم الخط المشجوج الى شعبته الخارجة منه المعمول بها باب الصين أخذ على غربي صين الصين ثم ينطف على جنوبه مستقيما في نهاية الشرق على جانب البحر المحيط مع الفرجة المنفرجة بينه وبين البحر الهندي الداخلة ثم ينقطع عند مخرج البحر الهندي المحيط مع خط الاستواء حيث الطول مائة وسبعون درجة ثم يتصل من شعبة البحر الهندي الملاقى لشعبة المحيط الخارجة الى بحور الظلمات من الشرق بجنوب كثير من وراء مخرج البحر الهندي في الجنوب وتبقى الظلمات من هاتين الشعبتين شعبة المحيط الجبائية على جنوب الظلمات شرقا مغربا ومخرج البحر الهندي الجبائية على الظلمات حتى تتلاقى الشعبتان عند مخرج هذا الجبل كتفصيل السراويل ثم ينفرج رأس البحر بين شعبتان على مبدأ هذا الجبل ويبقى الجبل بينهما كأنه خارج من نفس الماء ومبدأ هذا الجبل هنا وراء قبة ادين عن شرقها وبعده منها خمس عشرة درجة ويقال لهذا الجبل في أوله المجرثم ثم تمتد حتى تنتهي في القسم الغربي الى طوله الى خمس وستين درجة من أول المغرب وهناك يتشعب من الجبل المذكور جبل القمر وينصب منه النيل وبه ابحار بركة كالفضة تتلأأ تسمى ضخكة الباهت ككل من نظرها ضحك وانصق بها حتى يموت ويسمى مغناطيس الناس ويتشعب منه شعب تسمى اسيني اهلها كالوحوش ثم ينفرج منه فرجة ويمر منه شعب الى نهاية المغرب في البحر المحيط يسمى جبل وحشية به سباع لها قرون طوال لاتطاق وينطف دون تلك الفرجة من جبل قاف شعاب منها شعبتان الى خط الاستواء يكتنفان مجرى النيل من الشرق والغرب فالشرقي يعرف بجبل قاقول وينقطع عند خط الاستواء والغربي يعرف بادهرية يجري عليه نيل السودان المسمى ببحر الدامد وينقطع لتقاء مجالات الحبشة ما بين مدينته سفرة وحشي وراء هذه الشعبة يمتد منه شعبة هي الام من الموضع المعروف فيه الجبل بأسني المذكور الى خط الاستواء حيث الطول هناك عشرون درجة ويعرف هناك بجبل كرسقا به وبه وحوش ضاربة ثم ينتهي الى البحر المحيط وينقطع دونه بفرجة وذات وراء التكرور عند مدينة قلتبور او وراء هذا الجبل سودان يقال لهم غم يأكلون الناس ثم تتصل الام من ساحل

البحر الشامي في شماله شرقي رومية الكبرى مسامنا للشعبة المسماة اذ مدمه المنقطعة بين سمعرة وحمي لا يكاد يخطوها حيث الطول خمس وثلاثون درجة ويقع منشأ اتصال هذه الام على عرض خمسين درجة وكذلك تقع شعبها الاخذة في الجنوب على عرض خمسين درجة عند آخرهما بين سردانة وبلنسية وتنتهي وصاله هذه الام الى البحر المحيط في نهاية الشمال قبالة جزيرة بركانية وتبقى سوسية داخل الجبل ثم تعد هذه الام بعد انقطاع لطيف وينعطف انعطافا خرجة البحر المحيط في المغرب على الصقلب المسماة ببحر الانفاسين ممتدا الى غاية المشرق ويسمى هناك بجبل قاقونا ويبقى وراء البحر جامدا الشدة البرد ثم ينقطع من الشمال الى المشرق جنوبا بتغريب الى ككتف السدة الشمالي فيتلاقى هناك الطرفان وينتهي في الفرجة المنفرجة سوى ذوا القرنين بين الصدفين وفي جودرة القمر ثلاثة انهارا أحدهما في شرقها من قنطورا ومعلانايتها في غربها ينصب من جبل قدم آدم على مدينة سببا ويأخذ ما را على مدينة فردرا وينجر هناك بحيرة في جنوبها مدينة كما حيث محل السودان الذين يأكلون الناس وثالثها في غربها ايضا ويخرج من الجبل المشبه ماء محدوب الذيل يطوف بمدينة دهما فتبقى مدينة دهما في جزيرة بينهما يكون هو محيطا بها شرقا وجنوبا وغربا وبصير ذلك كالجزيرة ويتصل شمالها بالبحر الهندي وتقع مدينة قواره في غربها حيث يصب في البحر الهندي ومن جبل القمر يخرج نهر النيل وقد كان يتبدد على وجه الارض فلما قدم قراوش الحداد بن مصرم الاول بن مراكيل بن دوايسل ابن عرباب ابن آدم عليه السلام الى ارض مصر ومعه عتقة من بنى عرباب واستوطنتها وبنوا بها مدينة امسوس وغيرها من المداين حفرو النيل حتى اجروا ماء اليهم ولم يكن قبل ذلك معتدل الجرى بل ينقطع ويتفرق في الاض حتى وجه الى النوبة الملك قراوش فهندسوه وساقوا منه انهارا الى مواضع كثيرة من مدنها التي بنوها وساقوا منه نهر الى مدينة امسوس ثم لما خربت ارض مصر بالطوفان وكانت ايام البودشيرين فقط بن مصر بن يصر بن حام ابن نوح عليه السلام عدل جاني النيل تعدى لانيابعد ما اتلفه الطوفان قال الاستاذ ابراهيم ابن وصيف شاه تلك البودشير وتجب وهو أول من تكهن وعمل بالسحر واحتجب عن العيون وقد كانت اعمامه اثني واربعة وصاملو كاعلى احبازهم الا انه فهرهم بحجرونه وقوته فكان الذكركه كما تجبر ابوه على من قبله لانه كان اكبرهم وكذلك اغضوا عنه فيقال انه ارسل هرمس الكاهن المصري الى جبل القمر الذي يخرج النيل من تحته حتى عمل هناك القنائل الخماس وعدل البطيخة التي ينصب فيها ماء النيل ويقال انه الذي عدل جاني النيل وقد كان يفيض وربما انقطع في مواضع وهذا القصر الذي فيه قنائل الخماس يشتمل على خمس وثلاثين صورة جعلها هرمس جامعة لما يخرج من ماء النيل بمعاقد ومصاب مدورة وقنوات يجري فيها الماء وينصب اليها اذا خرج من تحت جبل القمر حتى يدخل من تلك الصور ويخرج من حلوقها وجعل لها قياسا معلوما بمقاطع واذرع مقدرة وجعل ما يخرج من هذه الصور من الماء ينصب الى الانهار ثم يصير منها الى بطيختين ويخرج منهما حتى ينتهي الى البطيخة الجامعة للماء الذي يخرج من تحت الجبل وعمل لتلك الصور مقادير من الماء الذي يكون معه الصلاح بأرض مصر وينفع به أهلها دون الفساد وذلك الالهة المصلح ثمانية عشر ذراعا بالذراع الذي مقداره اثنان وثلاثون اصبعاً وما فضل عن ذلك عدل عن عين تلك الصور وشمالها الى مسارب يخرج ويصب في رمال وغياض لا ينتفع بها من خلف خط الاستواء ولولا ذلك لغرق ماء النيل البلدان التي يمر عليها قال وكان الوليد بن درمع العملي قد خرج في جيش كثيف ينقل في البلدان ويظهر ملوكها ليسكن ما يوافقه منها فلما صار الى الشام انتهى اليه خبر مصر وعظم قدرها وان امرها قد صار الى النساء وباد ملوكها فوجه غلاما له يقال له عون الى مصر وسأولها بعدة واستباح أهلها وأخذ الاموال وقتل جماعة من كهنتها ثم سخر له أن يخرج ليقتل على مصب النيل فيعرف ما بحاقيقه من الامم فأقام ثلاث سنين يستعد لخروجه وخرج في جيش عظيم فلم يمر بأمة الا ابادها وتمر على ام السودان وجاوزهم وتمر على ارض الذهب فرأى فيها قضايا نابتة من ذهب ولم يزل يسير حتى بلغ البطيخة التي ينصب ماء النيل فيها من الانهار التي تخرج من تحت جبل القمر وسار حتى بلغ هيسكل الشمس وتجاوزها حتى بلغ جبل القمر وهو جبل عال وانما سمي جبل القمر لان القمر لا يطلع عليه لانه خارج من تحت خط الاستواء وتطير الى النيل يخرج من تحته فيمر في طرائق وانهار دفاق حتى ينتهي الى حظيرتين ثم يخرج منهما في نهرين حتى ينتهي الى حظيرة اخرى فاذا جاوز خط الاستواء مدته

عين تخرج من ناحية نهر مكران بالهند وتلك العين أيضا تخرج من تحت جبل القمر الى ذلك الوجه ويقال ان نهر مكران مثل النيل يزيد وينقص وفيه القمامة والاسماك التي مثل اسماء النيل ووجد الوليد بن دوعم القصر الذي فيه القنابل الخماس التي عليها هريس الاقل في وقت البودشير بن قنطير بن قبطيم ابن مصرام وقد ذكر قوم من اهل الاثر ان الانهار الاربعة تخرج من امل واحد من قبة في ارض الذهب التي من وراء البحر المظلم وهي سيجون وجيجون والفرات والنيل وأن تلك الارض من ارض الجنة وأن تلك القبة من زبرجد وأنهما قبل ان تسلك البحر المظلم احلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور ومن جاء بهذا رجل من ولد العيص بن اسحاق ابن ابراهيم عليه السلام وصل الى تلك القبة وقطع البحر المظلم وكان يقال له حديد وقال آخرون تنقسم هذه الانهار على اثنين وسبعين قسما حذاء اثنين وسبعين لسانا للامم وقال آخرون هذه الانهار من ثلوج سكاكف ويذهبها الحر فيسبيل الى هذه الانهار وتسقى من عليها لما يريد الله عز وجل من تدبير خلقه قالوا ولما بلغ الوليد جبل القمر رأى جبلا عاليا فعلم حيلة الى ان صعد اليه ليرى ما خلفه فأشرف على البحر الاسود الزرقى المنتن ونظر الى النيل يجري عليه كالانهار الدقاق فأتته من ذلك البحر روايح منقنة هلك كثير من اصحابه من اجلها فأسرع النزول بعد أن كاد يهلك * وذكر قوم انهم لم يروا هناك شمس ولا قمر الا نورا أحمر كنور الشمس عند غايها وأما ما ذكر عن حديد وقطعه البحر المظلم ما شيا عليه لا يصدق بقدمه منه شيء وكان فيما يذكر نبيا وافر حكما وأنه سأل الله تعالى ان يريه منتهى النيل فأعطاه قوة على ذلك فيقال انه أقام يمشي عليه ثلاثين سنة في عمران وعشرين سنة في خراب قالوا وأقام الوليد في غيبته اربعين سنة وعاد ودخل منف وأقام بمصر فاستعبد أهلها واستباح حرهم واموالهم وملكهم مائة وعشرين سنة فأبغضوه وسثموا الى ان ركب في بعض ايامه متصيدا فألقاه فرسه في وهداة قتلته واستراح الناس منه

وقال قدامة بن جعفر في كتاب الخراج انبعث النيل من جبل القمر وراء خط الاستواء من عين تجري منها عشرة انهار لكل خمسة منها صب الى بطيخة ثم يخرج من كل بطيخة نهران وتجرى الانهار الاربعة الى بطيخة كبيرة في الاقليم الاول ومن هذه البطيخة يخرج نهر النيل وقال في كتاب نزهة المشتاق الى اختراق الآفاق ان هذه البحيرة تسمى بحيرة كورى منسوبة لطائفة من السودان يسكنون حولها متوحشين يأكلون من وقع اليهم من الناس ومن هذه البحيرة يخرج لهم نهر غانة وبحر الحبشة فاذا خرج النيل منها يشق بلاد كورى وبلادينه وهم طائفة من السودان بين كاتم والنوبة فاذا بلغ دنقلة مدينة النوبة عطف من غريبها وانحدر الى الاقليم الثاني فيكون على شطبه عمارة النوبة وفيه هناك جزائر متسعة عامرة بالمدن والقرى ثم يشرق الى الجنادل * وقال المسعودي رحمه الله تعالى رأيت في كتاب جعفر النيل مصورا ظاهرا من تحت جبل القمر ومنبعه ومبدأ ظهوره من اثني عشرة عينا فتصب تلك المياه الى بحيرتين هنالك كالبطائح ثم يجتمع الماء منهما جارا فيمر برمال هنالك وجبال ويحرق ارض السودان فيما يلي بلاد الزنج فينشعب منه خليج يصب في بحر الزنج ويجري على وجه الارض تسعمائة فرسخ وقيل ألف فرسخ في عامر وغامر من عمران وخراب حتى يأتي اسوان من صعيد مصر * وقال في كتاب هر دسوس نهر النيل يخرج من ريف بحر القلزم ثم يميل الى ناحية الغرب فيصير في وسطه جزيرة وآخر ذلك يميل الى ناحية الشمال فيسقي ارض مصر وقيل ان مخرجه من عين فيما يجاوز الجبل ثم يغيب في الرمال ثم يخرج غير بعيد فيصير له محبس عظيم ثم يسار البحر المحيط على قفار الحبشة ثم يميل على اليسار الى ارض مصر فيمحق ما يظن بهذا النهر أنه عظيم اذ كان مجراه على ما حكيناه قال ونهر النيل وهو الذي يسمى باون مخرجه حتى ولكن ظاهرا قبله من ارض الحبشة وبصير له هنالك محبس عظيم مجراه الى ما تامل وذكر مخرجه حتى ينتهي الى البحر قال وكثيرا ما يوجد في نهر النيل القمامة والاسماك التي من ارض الحبشة ليس يختلف فيه أحد وعدة امياله من مخرجه المعروف الى موقفه مائة الف وتسعون الفا وتسعمائة وثلثون ميلا وما النيل عكر مرمل عذب وفي انتهى والنيل اذا وصل الى الجنادل كان عند انتهاء امك النوبة المنحدار او امراكب الصعيد اقلاعا وهنالك حجارة مضره لامرور للمراكب عليها الا في ايام زيادة النيل ثم ياخذ على الشمال فيكون على شريقه اسوان من الصعيد الاعلى ويميز بين جبلين يكتمفان اعمال مصر أحدهما شرقي والاخر غربي حتى يأتي مدينة فسطاط مصر فتكون في بره الشرقي فاذا تجاوز فسطاط مصر بمائة يوم صار فرق بين فرقة قمر

حتى تصب في بحر الروم عند دمياط وتسمى هذه الفرقة ببحر الشرق والفرقة الاخرى هي عمود النيل ومعظمه يقال لها بحر الغرب تمر حتى تصب في بحر الروم ايضا عند رشيد وكانت مدينة كبيرة في قديم الزمان * ويقال ان مسافة النيل من منبعه الى ان يصب في البحر عند رشيد سبع مائة وعثمانية واربعون فرسخا وانه يجري في الخراب اربعة اشهر وفي بلاد السودان شهرين وفي بلاد الاسلام مسافة شهر * وذهب بعضهم الى ان زيادة ماء النيل انما تكون بسبب المدا الذي يكون في البحر فاذا فاض ماؤه تراجع النيل وفاض على الاراضي ووضع في ذلك كتابا حاصله ان حركة البحر التي يقال لها المدا والجزر توجد في كل يوم ولبلة مرتين وفي كل شهر قرى مرتين وفي كل سنة مرتين * فالمد والجزر البوي تابع لقرص القمر ويخرج الشعاع عنه من جنبي حرم الماء فاذا كان القمر وسط السماء كان البحر في غاية المد وكذا اذا كان القمر في وتد الارض فاذا بزغ القمر طالع من الشرق او غرب كان الجزر والمد الشهري يكون عند استقبال القمر للشمس في نصف الشهر ويقال له الامتلاء ايضا عند الاجتماع ويقال له السرار والجزر يكون ايضا في وقتين عند تربع القمر للشمس في سابع الشهر وفي ثاني عشره * والمد السنوي يكون ايضا في وقتين احدهما عند حلول الشمس آخر برج السنبلة والاخر عند حلول الشمس بآخر برج الحوت فان اتفق ان يكون ذلك في وقت الامتلاء او الاجتماع فانه حينئذ يجتمع الامتلاء الشهري والسنوي ويكون عند ذلك البحر في غاية الفيض لاسيما ان وقع الاجتماع او الامتلاء في وسط السماء ووقع مع النيرين او مع احدهما احد الكواكب السيارة فانه بعظم الفيض فان وقع كوكب فصاعدا مع احد النيرين تزايد عظم الفيض وكانت زيادة النيل تلك السنة عظيمة جدا وازاد ايضا نهر مهران فان كان الاجتماع او الامتلاء في وسط السماء وليس مع احد النيرين كوكب فان النيل ونهر مهران لا يملغان غاية زيادتهما لعدم الانوار التي تثير المياه ويكون عصر في السنة الغلا والجزر السنوي يكون عند حلول الشمس برأسى الجدى والسرطان فاما المد البوي الدافع من البحر المحيط فانه لا ينتهي في البحر الخارج من المحيط اكثر من درجة واحدة فلكية ومساحتها من الارض نحو من ستين ميلا ثم ينصرف وانصرفه هو الجزر وكذلك الاودية اذا كانت الارض مهددة والمد الشهري ينتهي الى اقاصى البحار وهو يسكبها حتى لا تنصب في البحر المحيط وحيث ينتهي المد الشهري فهناك منتهى ذلك البحر وطرفه واما المد السنوي فانه يزيد في البحار الخارجة عن البحر المحيط زيادة بينة ومن هذه الزيادة تكون زيادة النيل وامتلاؤه وامتلاء نهر مهران والديلة والذى يلاذ السند (قال ولما جاء ارسطو الى مصر مع الاسكندر ورأى مصب النيل وعلم ان من المحال ان يكون النيل في اسوان واد من الاودية وكلما اسفل اتسع حتى ان عرضه في اسفل ديار مصر لينتهي الى مائة ميل عند غاية الفيض وله افواه كثيرة شارعة في البحر تسع كل ما يهبط من الميزان في ذلك الصنع فرأى محالا ان يكون الوادى بحيث يضيق اسفله عن حل ما ياتي به اعلاه مع ضيق اعلاه وسعة اسفله فلما رأى ذلك قال ان رياحا تستقبل جرية الماء وتردعه فيفيض لذلك وقال الاسكندرون من المحال ان يكون الريح يردع المياه السائل في الوادى حتى يفيض اكثر من مائة ميل ولو كانت الريح تفعل ذلك لكان الماء ينقلت من اسفل الوادى وبسبيل الى البحر لان البحر لا يسلك الاعلاه ولكن الريح تقذف الرمل في افواه تلك الشوارع التي تفضى الى البحر فيعثر بها شبه الردم فيفيض قال واغفل ان الرمل جسم متخلخل فالما يتخلله وينقذه سائلا الى البحر مع ان الرمل لم يعثر اعلاه يظهر للحسن والماء سائل في كل حين على حلق تينس ودمياط وحلق رشيد وحلق الاسكندرية فقطنوا الاستحالة كونه سائلا عن سيل حامل ونسبوا توقفه الى الريح والرمل وهم استقصوا الهواء واستقصوا الارض واغفلوا الاستقصاء الثابت الذى هو الماء لانهم لم يعرفوا حركة البحر السنوية لانها لا تبلغ الغاية الا في ثلاثة اشهر فلا يظهر مقدار صعودها في كل يوم للحسن ولذلك وضع امير مصر المقياس بديار مصر * قال والمد كاه واحد وهو ان القمر يقابل الماء كما تقابل الشمس الارض فنور القمر اذا قابل كرة الارض ممتعا كما تسخن الشمس الهواء المحيط فيعثرى الهواء المحيط بالماء بعض تسخين يذيب الماء فيفيض وينى بخاصته كالمرآة المحرقة الملهبة للجو حتى تحرق القطنة الموضوعة بين المرأة والشمس فهذا مثاله في المقابلة ومثاله في المسراكون الزجاجية المملوءة ماء يلقى الشعاع الى حلقه فيحترق القطنة ايضا فالقمر جسم نورى ياكسبه ذلك من الشمس فاذا حال بين الشمس والارض خرج عن جانبي الماء شعاع نافذ يمر مع جنبي الماء فيسخن ما قابله فينمو والماء جسم شفاف عن جانبيه

يخرج الشعاع كما يخرج عن جاني الزباجه فيحدث لها نور يستن الهوا الذي يحيط بالزباجة او بالارض فيقترف الماء شبه تسخين ينحى به ويزيد وذلك قبالة القرص وقبالة مخرج الشعاع من قبالة وتند القصر فهذا هو المدد انما ويستدير باستدارة الفلك وتدويره لفلك القمر وتدوير فلك القمر للقمر والمدة الشهرى هو أن يقابل القمر الشمس او يستتر تحتها لانه ليس الا كون القمر قبالة الشمس لكونه في تربع الشمس اضعف وفي المقابلة اقوى وكذلك اذا قابلها على وسط كرة الارض بحيث تكون الحركه اشده والاكتناف للماء والارض اعم فذلك هو المدة السنوى

*** (فصل في الردع على من اعتقد ان النيل من سيل يفيض) ***

أما العمامة فليس عندهم ما يجي على وجه الارض انه سيل ومن تظن الى عظمه واتساعه في اسفله وضيقه في اعلاه ولم ينظر الى ماء ولا ارض ولا هوا نسب ذلك الى الخيال المحض كما فعل صاحب كتاب المسالك والممالك الذي زعم ان الماء يسافر من كل ارض وموطن الى النيل تحت الارض فيمده لان النيل انما يفيض في الخريف والعيون والا يبارى ذلك الوقت يقل ملؤها والنيل يكثر فربا أو كثرة وقلة فأضافوا احدهما الى الآخر بالخيال وما يدل على انه ليس عن سيل يفيض ان السيل يكون في غير وقت فيض البحر ولا يفيض النيل لكون البحر في الجزر فصل السيل ويمر نحو البحر فلا يردعه رادع (ومنها ان فيض النيل على تدرج مدة ثلاثة اشهر من حلول الشمس رأس السرطان الى حلولها باسحر برج السنبلة والناس يحسبون به قبل فيضه بمدة شهرين واعمال مصر في وسط النيل مقام موضع وهو سارية فيها خطوط يسمونها اذراعا يعلم بها مقدار صعوده في كل يوم (ومنها ان فيضه ابدى في وقت واحد فلو كان بالسيل لاختلف بعض الاختلاف (ومنها انه قديم السيل في غير هذا الوقت فلا يفيض (ومنها ان الحداق بمصر اذاروا الحر يزيد علوا أن النيل سيريد لان شدة الحر تذيب الهوا فيذيب الماء ولا يكون الا عن زيادة كوكب ودون نور ومنها أن موضع مصبه من اسوان انما هو واد من الودية وما اسجل اتسع حتى يكون عرض انساخه نحو من مائة ميل واسوان هو منتهى بلوغ الردع فما ظنك بسيل مسيره نصف شهر لان نسبة بين مصب اعلاه واسفله كيف كان يكون اعلاه لو كان امتلاء اسفله عن السيل ومنها ان اهل اسوان انما يرقبون بلوغ الردع المهم مراقبة ومحافظون عليه بالنهار محافظة فاذا جن الليل اخذوا حقة خرف فوضعوا فيها مصباحا ثم يضعونه على حجر معدن عندهم لذلك وجعلوا رقبته فاذا طنى المصباح بطفو الماء عليه علوا ان الردع قد وصل غايته المعهودة عندهم باخذ في الجزر فيكتبوا بذلك الى امير مصر يعلموه ان الردع قد وصل غايته المعهودة عندهم وانهم قد اخذوا بقسطهم من الشرب فينتدوا بمركب الاسداد التي على افواه قرص المشارب فيفيض الماء على ارض مصر دفعة واحدة (ومنها أن جميع تلك المشارب تستعد عند ابتداء النيل بالخشب والتراب ليجمع ما يسيل من الماء العذب في النيل ويكثر ويم جمع ارضهم وينع بحملته دخول الماء الملح عليه فلو كان سبيلا ما احتاج الى ذلك ولتحت له افواه قرص المشارب عند ابتداء ظهوره (ومنها ان الخيلان اذا سدت ولم يكن لها رادع من البحر كان السيل من جنبه الى البحر اذا سفل النيل اوسع وأخفض من اعلاه (ومنها ان ماء البحر يصعد اكثر من عشرين ميلا في حلق رشيد وتينس ودمياط كما يفعل في سائر الودية التي تدخل المد والجزر فلو كان النيل خاليا من الماء العذب وصل البحر من اسوان الى منتهى بلوغ الردع لان الماء يطلب بطبيعته ما انخفض من الارض وان يكون في صفعة كرة مستوية الخطوط الخارجة من النقطة الى المحيط متساوية (ومنها انما اذا فحت تلك الاسداد وكسرت الخيل وفاض النيل على بطائح ارض مصر شعر بذلك اهل اسوان للبحر وقالوا في هذه الساعة كسرت الخيل وفاض ماء النيل على ارض مصر لان ذلك يقين لهم يتحول الماء دفعة فلو كان سبيلا وهم على اعلى المصب لقالوا قد ارتفع المطر عن الارض التي يسيل منها السيل (ومنها ان قسيمه الذي يمر ببلاد الحبشة المتبعث وياه من جبل القمر لا يفيض كمدة فيض النيل ثلاثة اشهر ولا يقيم على وجه الارض مدة مقامه لكنه اذا كثرفه السيل غمر جواته على قدر انبساطها واذا انصبت ما ذره اردع عليه فلو كان فيض النيل عن السيل وهو من شعب واحد لكان شأنهما واحدا ولا تقول ان فيض النيل بسبب فيض البحر فقط اذ لو كان سبيل ماء المدخل رادع البحر اليه ولما كان شاطئ ديار مصر كسائر السواحل المجاورة له ولولا السيل السائل فيه لردمه البحر اذا عاده البحر ردم السواحل وانما دخل

الشك على اهل مصر في ايام النيل لانهم لم يشاهدوا منشأ ولا عاينوا مبدأه من جبل القمر لانه في موضع لا ساكن عليه ولا تحققوا المدة السنوى الرادع له فلم يتحققوا شيئا من امره لانه بعيد من اذهان العاثة ان يعلموا ان ماء البحر يعظم في ايام الصيف لان المعهود عندهم في البحر ان يعظم في ايام الشتاء وطمو البحر في الشتاء انما يكون عن الرياح الهابة عليه من احد جانبيه فيفيض ويخرج الى الجانب الاخر الا ما كان من البحر المحيط فانه يتحرك ابدان داخل البحر الى البر وهو ان المحيط يطلب بطبعه ان يكون على وجه الارض والارض ليست بسيطة فهي تابعة بما فيها من التركيب فهو يطلب ابدان يعلوها ويركها يبردها قال والسبب في عظم المدة والحزر كثرة الاشعة فاذا زاحمت الشمس والقمر الكواكب السيارة عظم فيض البحر واذا عظم فيض البحر فاضت الانهار وكذلك اذا نهض القمر لمقاابلة احد السيارة ارتفع البخار وصعد الى كورة الزمهرير ونزل المطر فاذا فارق القمر الكواكب ارتفع المطر لكثرة التحليل كما يكون في نصف النهار عند توسط الشمس لرؤس الخلق وكما يكون عند حلول الكواكب الكبيرة على وسط خط اربن والله تعالى اعلم بالصواب

قال مؤلفه رحمه الله تعالى الذي تحصل من هذا القول ان النيل يخرج من جبل القمر وان زيادته انما هي من فيض البحر عند المدة فاما كون مخرجه من جبل القمر فلم اذلا نزاع في ذلك واما كون زيادته لا تكون الا من ردة البحر بما حصل فيه من المد فليس كذلك نعم تو الى هبوب الرياح الشمالية على وفور الزيادة وودع البحر اعانة على الزيادة ومن تأمل النيل علم ان سبلا سال فيه ولا بد فانه لا يزال ايام الشتاء واول فصل الربيع ماؤه صافيا من الكدرة فاذا فرغت ايام زيادته وكان في غاية نقصة تغير طعمه ومال لونه الى الخضرة وصار بحيث اذا وضع في اناه يرسب منه شبه اجزاء صغيرة من طحلب وسبب ذلك ان البطيخة التي في اعالي الجنوب تردها القيلة ونحوها من الوحوش حتى يتغير ماؤها فاذا كثرت امطار الجنوب في فصل الصيف وعظمت السيول الهابطة في هذه البطيخة فاض منها ما تغير من الماء وجرى الى ارض مصر فيقال عند ذلك فوجم النيل ولا يزال الماء كذلك حتى يعقبه ما متغير ويزاد عكسه بزيادة الماء فاذا اوضح منه ايام الزيادة شئ في اناه يرسب باسفله طين لم يعهد فيه قبل ايام الزيادة وهذا الطين هو الذي تحمله السيول التي تنصب في النيل حتى تكون زيادته منها وفيه يكون الزرع بعد هبوط النيل والافاض مصر سبعة لا تثبت ولا يثبت منها الا ما تر عليه ماء النيل وركد منه هذا الطين وقوله ان السيل يكون في غير وقت فيض البحر ولا يفيض النيل لكون البحر في الجزر في فصل السيل ويمر نحو البحر فلا يردعه رادع غير مسلم وان العادة ان السيول التي عليها زيادة ماء النيل لا تكون الا عن غزارة الامطار ببلاد الجنوب وامطار الجنوب لا تكون الا في ايام الصيف ولم يعهد قط زيادة النيل في الشتاء واول دليل على ان كون زيادته عن سيل بسيل فيه انما يزيد بتدرج على قدر ما يهبط فيه من السيول وانما استدلاله بصب النيل في اسوان واتساعه اسفل الارض فانما ذلك لانه يصب من علو في مخرق بين جبلين يقال لهما الجنادل وينبسط في الارض حتى يصب في البحر فاتساعه حيث لا يجد حاجزا يحجزه عن الانسياب واما قوله ان الاسداد اذا كثرت فاض الماء على الارض دفعة فليس كذلك بل يصير الماء عند كسر كل سد من الاسداد في خليج ثم يفتح ترع من الخليج الى الخليج الى بناء على جانبه من الاراضى حتى يروى فن تلك الاراضى ما يروى سريعا ومنها ما يروى بعد ايام ومنها ما لا يروى لعلوه واما قوله ان جميع تلك المشارب تستند عند ابتداء صعود النيل لاجتماع ما بهيل من الماء في النيل ويكثر في جميع ارضهم وينع بجملة دخول الماء الملح عليه فغير مسلم ان تكون السداد كما ذكر بل اراضى مصر اقسام كثيرة منها عال لا يصل اليه الماء الا من زيادة كثيرة ومنها من ينخفض يروى من يسير الزيادة والاراضى متفاوتة في الارتفاع والانخفاض متفاوتا كثيرا ولذلك احتج في بلاد الصعيد الى حفر الترع وفي اسفل الارض الى عمل الجسور حتى يحبس الماء ليروى اهل النواحي على قدر حاجتهم اليه عند الاحتياج والافه ويريد اولا في غير سقى الاراضى حتى اذا اجتمع من زيادته المقدار الذي هو كفاية الاراضى في وقت خلو الاراضى من الغلال وذلك غالبا في اثناء شهر مسمى فتح سد الخليج حتى يجرى فيه الماء الى حدم معلوم ووقف حتى يروى ما تحت ذلك الحد الذي وقف عنده الماء من الارض ثم فتح ذلك الحد في يوم النور حتى يجرى الى حد آخر ووقف عنده حتى يروى ما تحت هذا الحد الثاني من الاراضى ثم يفتح هذا الحد في يوم عيد الصليب بعد النور واربعة عشر يوما حتى يجرى الماء ووقف على حد ثالث حتى يروى ما تحت هذا الحد من الاراضى

ثم يفتح هذا المد فيجري الماء ويرى ما هنالك من الاراضي ويصب في البحر الملح هذا هو الحال في سدود
 اراضي مصر وقوله ان ماء البحر يبعد أكثر من عشر زيرملا في حلق رشيد وتيس ودمياط فلو كان خاليا
 من الماء العذب لوصل البحر من اسوان الى منتهى بلوغ الردع فبقول هذا قول من لم يعرف أرض مصر فان
 النيل عند مصبه بأعلى اسوان يكون أعلى منه عند كونه أسفل الارض بقامات عديدة فاذا قاض ماء البحر
 حبسه أن يتدفع هو وماء النيل وربع أغلب ماء البحر ماء النيل في أيام نقصان النيل حتى يملح ماء النيل فيما بين
 دمياط وفارس كوروا ما في أيام زيادة النيل فاني شاهدت مصب النيل في البحر من دمياط وكل من ساءل يدافع
 الآخر فلا يطيقه حتى صار امتناعين عبرة لمن اعتبر وقوله ان الاسد اذا اقتحت علم أهل اسوان بذلك في الحال
 غير مسلم بل لم نزل نشاهد النيل في الاعوام الكثيرة اذا دفع منه خليج أو انقطع مقطع فأغرق ماؤه أراضي كثيرة
 لا يظهر النقص فيه الا في اقرب من ذلك الموضع وما برح المفرد يخرج من قوص بشاره وفاة النيل وقد أوفى
 عندهم ستة عشر ذراعا فلا يوفي ذلك المقياس بمصر الا بعد ثلاثة أيام ونحوها وأما قوله ان ما كان من النيل يمر
 سلاسل الحبشة يخالفه فليس كذلك بل الزيادة في النيل أيام زيادته تكون سلاسل النوبة وما وراءها في الجنوب
 كما تكون في أرض مصر ولا فرق بينهما الا في شئين أحدهما انه في أرض مصر يجري في حدوده وهناك يتبدد
 على الاراضي والثاني أن زيادته تعتبر بالمقياس في أرض مصر وهناك لا يمكن قياسه لتبدده ومن عرف أخبار
 مصر علم أن زيادة ماء النيل تكون عن امطار الجنوب * ويقال ان النيل يصب من عشرة انهار من جبل القمر
 المتقدم ذكره كل خمسة انهار من شعبة ثم تتجمع تلك الانهار العشرة في بحرين كل خمسة انهار تتجمع بحيرة بذاتها
 ثم يخرج من البحيرة الشرقية بحر لطيف يأخذ شرفا على جبل قاقولي ويمتد الى مدن هناك ثم يصب في البحر
 الهندي ويخرج من البحرين ستة انهار من كل بحيرة ثلاثة انهار وتجتمع الانهار الستة في بحيرة متسعة تسمى
 البطيخة وفيها جبل يفرق الماء نصفين يخرج أحدهما من غرب البطيخة وهو نيل السودان ويصير نهر يسمى بحر
 الدمام ويأخذ مغربا ما بين سمغرة وغانة على جنوبي سمغرة وشمال غانة ثم ينطف هناك منه فرقة ترجع جنوبا
 الى غانة ثم تمر على مدينة برنسه وتأخذ تحت جبل في جنوبها خارج خط الاستواء الى زفيله ثم تتجمع في بحيرة هناك
 وتستمر الفرقة الثانية مغربة الى بلاد مالي والتكرور حتى تنصب في البحر المحيط شمالي مدينة قلمبو ويخرج
 النصف الآخر متشاملا أخذ على الشمال الى شرقي مدينة حيماء ثم ينشعب منه هناك شعبة تأخذ شرقا الى
 مدينة سحرت ثم ترجع جنوبا ثم تعطف شرقا في جنوب الى مدينة سحرت ثم الى مدينة مركه وتنتهي الى خط الاستواء
 حيث الطول خمس وستون درجة ويتجمع هناك بحيرة ويسمى عود النيل من قبالة تلك الشعبة شرقي مدينة
 شبي متشاملا أخذ على أطراف بلاد الحبشة ثم يتشامل على بلاد السودان الى مدينة دنقلة حتى يرمي على
 الجنادل الى اسوان وينحدر وهو شق بلاد الصعيد الى مدينة فسطاط مصر ويمر حتى يصب في البحر الشامي
 وقد استفيض بلاد السودان أن النيل ينحدر من جبال سوديين على بعد كأن عليها الغمام ثم يفرق نهرين
 يصب أحدهما في البحر المحيط الى جهة بحر الظلة الجنوبي والآخر يتصل الى مصر حتى يصب في البحر الشامي
 ويقال انه في الجنوب يفرق سبعة أنهار تدخل في صحراء منقطعة ثم تجتمع الانهار السبعة وتخرج من تلك
 الصحراء نهر واحد في بلاد السودان

* (ذكر مقياس النيل وزيادته) *

قال ابن عبد الحكم أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام وضع مقياسا بمنف ثم وضعت العجوز دلوكة
 ابنة زباوهي صاحبة حائط العجوز مقياسا بانصنا وهو صغير الذرع ومقياسا باخيم ووضع عبد العزيز بن مروان
 مقياسا بجولان وهو صغير ووضع أسامة بن زيد التسوخي في خلافة الوليد مقياسا بالجزيرة وهو أكبرها قال
 يحيى بن بكير أدركت القياس بقياس منف ويدخل بزيادته الى القسطاط * وقال القاضي كان
 أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام وبني مقياسا بمنف وهو أول مقياس وضعه عليه السلام وقيل
 ان النيل كان يقاس بمصر بأرض علوة الى أن بنى مقياس منف وان القبط كانت تقس عليه الى أن بطل ومن
 بعده دلوكة العجوز بنت مقياسا بانصنا وهو صغير الذرع وآخر باخيم وهي التي بنت الحائط المحيط بمصر وقيل انهم
 كانوا يقيسون الماء قبل أن يوضع المقياس بالرصاص فلم يزل المقياس فيما مضى قبل الفتح بقياسه الا كسبة

ومعالمه هنالك الى أن ابني المسلمون بين الحصن والجبرأ بنيتهم الباقية الآن وكان للروم أيضاً مقياس بالقصر
 خلف الباب مينة من دخل منه في داخل الزقاق اثره قائم الى اليوم وقدي بنى عليه وحواليه * ثم بنى عمرو بن
 العاص عند فتحه مصر مقياساً باسمه بنى بموضع يقال له دندرة ثم بنى في أيام معاوية مقياساً بانصاف فلم يزل
 يقاس عليه الى أن بنى عبد العزيز بن مروان مقياساً بجحلولان وكانت منزله وكان هذا المقياس صغيراً الذرع
 فأما المقياس القديم الذي بنى في الجزيرة فالذي وضعه أسامة بن زيد وقبل أنه كسره في ألقى أوقية وهو الذي بنى
 بيت المال بمصر ثم كتب أسامة بن زيد التنوخي عامل خراج مصر لسليمان بن عبد الملك بطلانه فكتب اليه
 سليمان بأن يبنى مقياساً في الجزيرة فبناه في سنة سبع وتسعين ثم بنى المتوكل فيها مقياساً في أول سنة سبع
 وأربعين ومائتين في ولاية يزيد بن عبد الله التركي على مصر وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد وأمر بأن
 يعزل النصارى عن قياسه فجعل يزيد بن عبد الله التركي على المقياس أبا الرزاد المعلم واسمه عبد الله بن عبد
 السلام بن عبد الله بن أبي الرزاد المؤذن كان يقول القمى أصله بالبصرة قدم مصر وحدث بها وجعل على قياس
 النيل وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب خراج مصر يومئذ سبعة ذنانير في كل شهر فلم يزل المقياس من ذلك
 الوقت في يد أبي الرزاد وولده الى اليوم وتوفي أبو الرزاد سنة ست وستين ومائتين ثم ركب أحمد بن طولون سنة
 تسع وخسين ومائتين ومعه أبو أيوب صاحب خراجه وبكار بن قتيبة القاضي فنظروا الى المقياس وأمر بإصلاحه
 وقدره ألف دينار فعمرو بنى الحارث في الصناعة مقياساً واثرة باقى لا يعتد عليه * وقال ابن عبد الحكم
 ولما فتح عمرو بن العاص مصر أتى أهلها الى عمرو حين دخل بؤنة من أشهر الحجم فقالوا له أيها الامير ان لنيلنا
 هذا سنة لا يجرى الا بها فقال لهم وما ذالك قالوا انه اذا كان لثني عشرة ليلة تحلوا من هذا الشهر عدنا الى
 جارية بكر من ابويها فأرضينا ابويها وجعلنا عاها من الحلي والنياب افضل ما يكون ثم ألقيناها في النيل
 فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما كان قبله فأقاموا بؤنة وابتدعوا مسرى وهو
 لا يجرى قليلاً ولا كثيراً حتى هموا بالجللاء فلما رأى عمرو ذلك كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك فكتب
 اليه عمر أن قد أصبت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وقد بعثت اليك بطاقة فألقها في داخل النيل اذا نالك كتابي
 فلما قدم الكتاب الى عمرو فتح البطاقة فاذا فيها من عبد الله أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى
 من قبلك فلا تجروا ان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك فألقى عمرو
 البطاقة في النيل قبل يوم الصليب يوم وقد تها أهل مصر للجللاء والخروج منها لانه لا يقوم بمصلحتهم فيها الا
 النيل واصبحوا يوم الصليب وقد أجزأ الله تعالى ستة عشر ذراعاً في ليلة وقطع تلك السنة السوء عن أهل
 مصر * وذكر بعضهم أن جاحلاً الصدفى هو الذي جاءه بطاقة عمر رضي الله عنه الى النيل حين توقف فجري بأذن
 الله تعالى وقال يزيد بن أبي حبيب ان موسى عليه السلام دعا على آل فرعون فحبس الله عنهم النيل حتى أرادوا
 الجللاء فطلبوا الى موسى أن يدعو الله فدعا الله رجاء أن يؤمنوا وذلك ليلة الصليب فاصبحوا وقد أجزأ الله
 في تلك الساعة ستة عشر ذراعاً فاستجاب الله بطوله لعمر بن الخطاب كما استجاب لموسى عليه السلام
 قال القاضي ووجدت في رسالة منسوبة الى الحسن بن محمد بن عبد المنعم قال لما فتحت العرب مصر عرف عمر
 ابن الخطاب رضي الله عنه ما يليق أهلها من الغلاء عند وقوف النيل عن حذه في مقياس لهم فضا عن تقاصره
 وان فرط الاستشعار يدعوهم الى الاحتكار وان الاحتكار يدعو الى تضاعف الاسعار بغير حط فكتب عمر الى
 عمرو يسأله عن شرح الحال فاجابه اني وجدت ما تروى به مصر حتى لا يقطع أهلها أربعة عشر ذراعاً والحد الذي
 يروى منه سائرهما حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ستة عشر ذراعاً والنهاية ان الخوقان
 في الزيادة والنقصان وهما الظما والاستبحار اثنا عشر ذراعاً في النقصان وثمانية عشر ذراعاً في الزيادة هذا
 والبلد في ذلك الوقت محفور الانهار معقود الجسور عند ما تسلموه من القبط وخيرة العمارة فيه فاستشار أمير
 المؤمنين عمر رضي الله عنه عليا رضي الله عنه في ذلك فأمره أن يكتب اليه أن يبنى مقياساً وأن ينقص ذراعين
 من اثني عشر ذراعاً وأن يقر ما بعدها على الاصل وأن ينقص من كل ذراع بعد الستة عشر ذراعاً اصبعين
 ففعل ذلك وبناه بجحلولان فاجتمع له بذلك كل ما أراد من حل الارياض وزوال ما منه كان يخاف بأن جعل الاثني
 عشر ذراعاً أربع عشرة لان كل ذراع أربع وعشرون اصبعاً فجعلها ثمانية وعشرين من أولها الى الاثني عشر

ذراعاً يكون مبلغ الزيادة على الاثنى عشر ثمانياً وأربعين اصبعاً وهي الذراعان وجعل الاربع عشرة ستة عشرة
والست عشرة ثمانى عشرة والثمانى عشرة عشرين * قال القضاى وفى هذا الحساب نظرى وقتنا زيادة فساد
الانهار وانتقاض الاحوال وشاهد ذلك أن المقياس القديمة الصعيدية من أولها الى آخرها أربع وعشرون
اصبعاً كل ذراع والمقياس الاسلامية على ما ذكر منها المقياس الذى بناء اسامة بن زيد السؤخى بالجيزة وهو
الذى هدمه الماء وبني المأمون آخر باسفل الارض بالبرودات وبني المتوكل آخر بالجيزة وهو الذى يقاس
عليه الماء الآن وقد تقدم ذكره * قال ابن عفير عن القبط المتقدمين اذا كان الماء فى اثنى عشر يوماً من مسرى
اثنى عشرة ذراعاً ففي سنة ماء والا فالماء ناقص واذا تم ست عشرة ذراعاً قبل التوروز فالماء يتم فاعلم ذلك وقال
أبو الصلت وأما النيل وينبوعه فهو من وراء خط الاستواء من جبل هناك يعرف بجبل القمر فانه يتدفق فى
التزايد فى شهر ابيب والمصريون يقولون اذا دخل ابيب كان للماء ديب وعند ابتدائه فى التزايد تغير جميع
كيفيةاته ويفسد والسبب فى ذلك مرور بقاء مياه آخنة بحالها فيجب عليها معه الى غير ذلك مما يحتمل فاذا بلغ
الماء خمسة عشر ذراعاً وزاد من السادس عشر اصبعاً واحداً كسر الخليل وكسره يوم معدود ومقام
مشهود ومجتمع خاص يحضره العام والخاص فاذا كسر قحت الترع وهي فوهات الخيلان ففاض الماء وساح
وغمر القيعان والبطاح وانضم الناس الى اعلى مساكنهم من الضياع والمنازل وهي على اكلم وربما لا يتبقى الماء
اليها ولا يتسلط السيل عليها فتعود أرض مصر بأسرها عند ذلك بحراً غامراً المابين جبلها ريثما يبلغ الحد
المحدود فى مشيئة الله عز وجل له واكثر ذلك يحوم حول ثمانى عشرة ذراعاً ثم يأخذ عائداً في صبه الى مجرى
النيل ومسرىه فينضب اولاً عما كان من الارض عالياً ويصير فيما كان منها من نظامنا فيترك كل قرارة كالدهرم
ويغادر كل ملقة كالبرد المسهم وقال القضاى ابو الحسن على بن محمد الماوردى فى كتاب الاحكام السلطانية
وأما الذراع السوداء فهي اطول من ذراع الدور بأصبع وثلاث اصبع واول من وضعها امير المؤمنين هارون
الرشيد قد رها بذراع خادم اسود كان على رأسه قائماً وهي التى تتعامل الناس بها فى ذرع البز والتجارة
والابنية وقياس نيل مصر * واكثر ما وجد فى القياس من النقصان سنة سبع وتسعين ومائة ووجد فى المقياس
تسعة اذرع وأحد وعشرون اصبعاً واول ما وجد منه سنة خمس وستين ومائة فانه وجد فيه ذراع واحد
وعشر اصابع وأكثر ما بلغ فى الزيادة سنة تسع وتسعين ومائة فانه بلغ ثمانية عشر ذراعاً وتسعة عشر اصبعاً
وأقل ما كان فى سنة ست وخمسين وثلثمائة الهلالية فانه بلغ اثنى عشر ذراعاً وتسع عشرة اصبعاً وهي أيام
كافور الاخشيدي * والمقياس عمود رخام ايض ممن فى موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه اليه وهذا
العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعاً كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسماً متساوية تعرف بالا صابع
ما عدا الاثنى عشر ذراعاً الاولى فانها مفصلة على ثمان وعشرين اصبعاً كل ذراع * وقال المسعودى قالت
الهند زيادة النيل ونقصانه بالسيل ونحن نعرف ذلك بتوالى الانواء وكثرة الامطار * وقالت الروم لم يزد قط
ولم ينقص وانما زيادته ونقصانه من عيون كثر واتصلت * وقالت القبط زيادته ونقصانه من عيون فى شاطئه
يراه من سافر ولحق بأعاليه وقيل لم يزد قط وانما زيادته بريح الشمال اذا كثرت واتصلت بحبس فيفيض على
وجه الارض وقال قوم سبب زيادته هبوب ريح تسمى ريح الملتن وذلك انها تحمل السحاب المطر من خلف
خط الاستواء فيطر بلاد السودان والحشة والنوبة فيأتى مدده الى أرض مصر بزيادة النيل ومع ذلك فان
البحر الملح يقف مأؤه على وجه النيل فيستوقف حتى يروى البلاد وفى ذلك يقول

فاسمع فللسامع اعلى بدا * عندي وأسمى من يد الحسن * فالنيل ذو فضل ولكنه * الشكر فى ذلك للامتن
ويتدفق النيل بالنفس والزيادة بقية بؤنة وهو خيزران وايبب وهو تموز ومسرى وهو آب فاذا كان الماء زائداً
زاد شهر توت كله وهو ايلول الى انتضاءه فاذا انتهت الزيادة الى الذراع الثامن عشر ففيه تمام الخراج
وخصب الارض وهو صار بالهائم لعدم الرعى والكلا * وأتم الزيادات كلها العائمة النفع للبلاد كله سبعة
عشر ذراعاً وفى ذلك كفايتها ورى جميع ارضها واذا زاد على ذلك وبلغ ثمانية عشر ذراعاً وغلقتها استجر من
أرض مصر ايج وفى ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرنا من الاستبحار واذا كانت الزيادة على ثمانية عشر ذراعاً
كانت العاقبة فى انصرافه حدوث وباءوا اكثر الزيادة ثمان عشرة ذراعاً * وقد بلغ فى خلافة عمر بن عبد العزيز

اثنى عشر ذراعا ومساحة الذراع الى أن يبلغ اثنى عشر ذراعا ثمان وعشرون اصبعاً ومن اثنى عشر ذراعا الى ما فوق ذلك يكون الذراع أربعاً وعشرين اصبعاً وأقل ما يبقى في قاع المقياس من الماء ثلاثة أذرع وفي تلك السنة يكون الماء قليلاً والاذرع التي يستسقى عليها بمصر هي ذراعا نسيان منكر أو نسيان كبر أو هي الذراع الثالث عشر والذراع الرابع عشر فإذا انصرف الماء عن هذين الذراعين وزيادة نصف ذراع من الخمس عشرة استسقى الناس بمصر فكان الضرر الشامل لكل البلدان وإذا تم خمس عشرة ودخل في ست عشرة ذراعا كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يستسقى فيه وكان ذلك نقصاً من خراج السلطان والنيل يتخذ بمصر من ماء طوبة وهو كائون الثاني بعد الغطاس وهو عشرة تمضي من طوبة وأصفي ما يكون ماء النيل في ذلك الوقت وأهل مصر يقتخرون بصفا ماء النيل في هذا الوقت وفيه يحزن الماء أهل تنيس ودمياط وقونة وسائر قرى البحيرة * وقد كانت مصر كلها تروى من ست عشرة ذراعا عامرها واما ما حكوا من جسورها وبناها قناطرها وتقيتها خلبانها وكان الماء اذا بلغ في زيادته تسع أذرع دخل خليج المنهي وخليج القيوم وخليج سرديوس وخليج سخا * قال والمعمول عليه في وقتنا هذا هو ستة خمس وأربعين وثلاثمائة انه ان زاد على الستة عشر ذراعا ونقص عنها نقص من خراج السلطان وقد تغير في زماننا هذا عامة ما تقدم ذكره فساد حال الجسور والترع والخلجان وقانونه اليوم انه يزيد في القبط اذا حلت الشمس برج السرطان والاسد والسنبلة حين تنقص عامة الانهار التي في المعمور ولذلك قيل ان الانهار تمتد بمائها عند غيضا فتكون زيادته وتبتدى الزيادة من خامس بؤنة وتظهر في ثاني عشره وأول دفعه في الثاني من ايب وتنتهي زيادته في ثامن بابه ويأخذ في النقصان من العشرين منه فتكون مدة زيادته من ابتدائها الى أن ينقص ثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوماً وهي ايب ومسرى وقوت وعشرون يوماً من بابه ومدة مكثه بعد انتهاء زيادته اثنا عشر يوماً ثم يأخذ في النقصان * ومن العادة أن ينادى عليه دائماً في اليوم السابع والعشرين من بؤنة بعد ما يؤخذ قاعه وهو ما بقي من الماء القديم في ثالث عشر بؤنة ويقف الخليلج الكبير اذا اكمل الماء ستة عشر ذراعا وأدركت الناس يقولون نعوذ بالله من اصبع من عشرين وكان عهد الماء اذا بلغ أصابع من عشرين ذراعا فاض ماء النيل وغرق الضياع والبساتين وفارت البلايع وهاتين في زمن منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة اذا بلغ الماء في سنة اصبعاً من عشرين لا يعم الارض كلها لما قد فسد من الجسور وكان الى ما بعد الخمسمائة من الهجرة قانون النيل ستة عشر ذراعا في مقياس الجزيرة وهي في الحقيقة ثمانية عشر ذراعا وكانوا يقولون اذا زاد على ذلك ذراعا واحدة زاد خراج مصر مائة الف دينار لما يروى من الاراضي العالية فان بلغ ثمانية عشر ذراعا كانت الغاية القصوى فان الثمانية عشر ذراعا في مقياس الجزيرة اثنا عشر ذراعا في الصعيد الاعلى فان زاد على الثمانية عشر ذراعا واحداً نقص من الخراج مائة الف دينار لما يستخرج من الارض المنخفضة * قال ابن ميسر في حوادث سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وفيها بلغت زيادة ماء النيل تسعة عشر ذراعا وأربعة أصابع وبلغ الماء الباب الجديد أول الشارع خارج القاهرة وكان الناس يتوجهون الى القاهرة من مصر من ناحية المقابر فلما بلغ الخليفة الحافظ لدين الله أبنا الميمون عبد المجيد بن محمد أن الماء وصل الى الباب الجديد أظهر الحزن والانقطاع فدخل اليه بعض خواصه وسأله عن السبب فأخرج له كتاباً فاذا فيه اذا وصل الماء الباب الجديد اتقل الامام عبد المجيد ثم قال هذا الكتاب الذي تعلم منه أحوالنا وأحوال دولتنا وما يأتي بعد هذا فرض الحافظ في آخر هذه السنة ومات في أول سنة أربع وأربعين وخمسمائة * وقال القاضي الفاضل في مجلدات سنة ست وسبعين وخمسمائة وفي يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر ربيع الأول وهو السادس عشر من مسرى وفي النيل على ستة عشر ذراعا وهو الوفاء ولا يعرف وقاؤه هذا التاريخ في زمن متقدم وهذا أيضاً مما تغير فيه قانون النيل في زماننا فإنه صار يوفي في أوائل مسرى ولقد كان الوفاء في سنة اثنى عشر وثمانمائة في اليوم التاسع والعشرين من ايب قبل مسرى يوماً وهذا من أعجب ما يورخ في زيادات النيل واتفق أن في الحادي عشر من جادى الاولى سنة تسع وسبعمائة وفي النيل وكان ذلك اليوم التاسع عشر من بابه بعد النوروز بتسعة وأربعين يوماً قال وفي ناسع عشره يعني شوال سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة كسر بجر الى المنى وبأمر الملك العزيز عثمان كسره وزاد النيل فيه اصبعاً وهي الاصبع الثامنة عشرة من ثمان عشرة ذراعا وهذا الحديث يسمى عند أهل

قوله فتكون مدة زيادته الخ هو غير موافق لما قبله بل مقتضى ما ذكره من التفصيل قبله أن مدة الزيادة من ابتدائها الى أن ينقص أربعة أشهر وخمسة عشر يوماً قليلاً مثل اه معجمه

مصر اللجة الكبرى فانظر كيف يسمى القاضي الفاضل هذا القدر اللجة الكبرى وانه والعياذ بالله لو بلغ ماء النيل في سنة هذا القدر فقط لحل بالبلاد غلاء يخاف منه أن يهلك فيه الناس وما ذاك الا لما اهل من عمل الجسور ويحصل لاهل مصر بوفاء النيل ست عشرة ذراعا فرح عظيم فان ذلك كان قانون الري في القديم واستمر ذلك الى يومنا هذا ويتخذ ذلك اليوم عيدا يركب فيه السلطان بعساكره وينزل في المراكب لتخليق المقياس * وقد ذكرنا ما كان في الدولة الفاطمية من الاهتمام بفتح الخليج عند ذكر مناظر اللؤلؤة وقال بعض المفسرين رحمه الله تعالى ان يوم الوفا هو اليوم الذي وعد فرعون موسى عليه السلام بالاجتماع في قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وقد جرت العادة ان اجتماع الناس للتخليق يكون في هذا الوقت * ومن احسن السياسات في امر النداء على النيل ما حكاه الفقيه ابن زولاقي في سيرة العزيز لدين الله قال وفي هذا الشهر يعني شوال سنة اثنتين وستين وثلاثمائة منع المعز لدين الله من النداء بزيادة النيل وان لا يكتب بذلك الا اليه والى القائد جوهر فلما تم اباح النداء يعني لما تم ست عشرة ذراعا وكسر الخليج قنابل ما أبدع هذه السياسة فان الناس دائما اذا توقف النيل في أيام زيادته أو زاد قليلا لقنن ويحدثون انفسهم بعدم طلوع النيل فيقبضون ايديهم على الغلال ويمنعون من بيعه ارجاء ارتفاع السعر ويحتمدون انفسهم بعدم خزن الغلة اما لطلب السعر أو لطلب ادخار قوت عياله فيحدث بهذا الغلاء فان زاد الماء انحل السعر والا كان الجذب والتعط في كتمان الزيادة عن العائنة اعظم فائدة وأجل عائنة وقال المسيحي في تاريخ مصر وخرج امر صاحب القصر الى ابن حيران بتحرير ما يستفتح به القياسون كلامهم اذا نادوا على النيل فقال نعم لا تحصى من خرائن الله لا تفنى زاد الله في النيل المبارك كذا ومن عادة نيل مصر اذا كان عند ابتداء زيادته اخضر ماؤه فتقول عامة اهل مصر قد نوحم النيل ويرون أن الشرب منه حينئذ مضر ويقال في سبب اخضراره ان الوحوش سيما القيلة ترد البطيحات التي في أعلى النيل وتستنعق فيها مع كثرة عدد هاشدة الحر هناك فيتغير ماء تلك البطيحات فاذا وقع المطر في الجهة الجنوبية في أوقاته عندهم تكاثرت السيول حينئذ في البطيحات فخرج ما كان فيها من الماء الذي قد تغير ومز الى مصر وجاء عقيبها الماء الجديد وهو الزيادة بمصر وحينئذ يكون الماء محمرا لما يخاطبه من الطين الذي تأتي به السيول فاذا تناهت زيادته غشى أرض مصر فتصير القرى التي في الاقاليم فوق التلال والروابي وقد أحاط بها الماء فلا يتوصل اليها الا في المراكب او من فوق الجسور الممتدة التي يصرف عليها اذا عمت كما ينبغي ريع الخراج ليحفظ عند ذلك ماء النيل حتى ينتهي رى كل مكان الى الحد المحتاج اليه فاذا تكامل رى ناحية من النواحي قطع اهلها الجسور المحيطة بها من أمكنة معروفة عند خولة البلاد ومشايخها في اوقات محدودة لا تتقدم ولا تتأخر عن أوقاتها المعتادة على حسب ما يشهده قوانين كل ناحية من النواحي فتروى كل جهة مما يليها مع ما يجتمع فيها من الماء المختص ولولا اتقان ما هنالك من الجسور وحفر الترع والخجان لقل الانتفاع بماء النيل كما قد جرى في زماننا هذا وقد حكى أنه كان يرصد امارة جسور أراضى مصر في كل سنة ثلث الخراج لعنايتهم في القديم بها من أجل أنه يترتب على علمها رى البلاد الذي به مصالح العباد وستقف ان شاء الله تعالى عن قريب على ما كان من اعمال القدماء ومن بعدهم في ذلك وكان للمقياس في الدولة الفاطمية رسوم لكس مجارى الماء خسون دينار في كل سنة تطلق لابن ابي الرداد

* (ذكر الجسر الذي كان يعبر عليه في النيل) *

اعلم انه كان في النيل جسر من سفن فيمابين القسماط والجزيرة يعرف اليوم بالروضة وكان فيمابين الجزيرة والجزيرة أيضا جسر في كل جسر منها ثلاثون سفينة

* (ذكر ما قيل في ماء النيل من مدح وذم) *

قال الرئيس ابو علي ابن سينا عفا الله عنه وقوم يفرطون في مدح النيل افرطاشديدا ويجمعون محامده في أربعة بعد منبعه وطيب مسلكه ومغوره وأخذه الى الشمال عن الجنوب فأخذه الى الشمال عن الجنوب ملدغ لما يجرى فيه من المياه وأما مغوره فيشاركه فيها غيره قال فأفضل المياه مياه العيون ولا كل العيون ولكن مياه العيون الحرة الأرض التي لا يغلب على تربتها شئ من الاحوال والكيفيات الغريبة او تكون مجريه

فككون اولى بأن لاتعفن عفونة الارضية لكن التي هي من طينة حرة خيرة من الحجرية ولا كل عين حرة بل التي هي مع ذلك جارية ولا كل جارية بل الجارية المكشوفة للشمس والرياح وان هذا مما يكسب الجارية فضيلة وأما الراكدة فربما اكتسبت بالكشف رداءة لا تكسبها بالغور والستر * واعلم أن المياه التي تكون طيبة المسيل خيرة من التي تجري على الاجبار فان الطين ينقي الماء ويأخذ منه المعزجات الغريبة ويروقه والحجارة لاتقبل ذلك لكنه يجب أن يكون طين مسيله حر الاحادة ولا سجة ولا غير ذلك فان اتفق ان كان هذا الماء غمرا شديدا الجارية يحيل بكثرة ما يخالطه الى طبيعته فان كان يأخذ الى الشمس في جريانه فيجري الى المشرق وخصوصا الى الصيف منه فهو أفضل لاسيما اذا بعد جدتا من ميدانه ثم ما توجه الى الشمال والمتوجه الى المغرب والجنوب ردىء خصوصا عند هبوب ريح الجنوب والذي يتحد من مواضع عالية مع سائر الفضل افضل وما كان بهذه الصفة كان عذبا يخيل انه حلوا ولا يشتمل الخمر اذا مرج به منه الا قليلا وكان خفيف الوزن سريع البرد والتسخين لتخلطه باردا في الشتاء حارا في الصيف لا يقلب عليه طم البتة ولا رائحة ويكون سريع الانحدار من الشرا سيف سريعا هري ما هري فيه وطبخ ما يطبخ فيه قال الرئيس علاء الدين علي بن ابي الحرم بن نفيس في شرح القانون هذه المحامد التي ذكرها ليست علامات للعمد بل هي من الاشياء الموجبة لكونه محمدا وأحد هذه الاربعة بعد منبعه وقد بينا أن ذلك يوجب لطافة الماء بسبب كثرة حركته واعلم أن منبع النيل من جبل يقال له جبل القمر وهذا الجبل وراء خط الاستواء بأحدى عشرة درجة وثلاثين دقيقة فهاهنا اعظم دائرة في الارض بثلاثمائة درجة وستين وابتداء هذا الجبل من السادسة والاربعين درجة وثلاثين دقيقة من اول العمارة من جهة المغرب وآخره عند آخر احدى وستين درجة وخسين دقيقة فيكون امتداد هذا الجبل مقدار خمس عشرة درجة وعشرين دقيقة مما به اعظم دائرة في الارض ثلثمائة وستون درجة ويخرج من هذا الجبل عشرة انهار من اعين فيه ترمى كل خمسة منها الى بحيرة عظيمة مدورة واحدى هاتين البحيرتين مركزها حيث البعد من ابتداء العمارة بالمغرب خمسون درجة والبعد من خط الاستواء في الجنوب سبع درج واحدى وثلاثون دقيقة ومركز الثانية حيث البعد عن اول العمارة بالمغرب سبع وخمسون درجة وحيث البعد من خط الاستواء في الجنوب سبع درج واحدى وثلاثون دقيقة وهاتان البحيرتان متساويتان وقطر كل واحدة منهما مقدار خمس درج ويخرج من كل واحدة من البحيرتين اربعة انهار ترمى الى بحيرة صغيرة مدورة في الاقليم الاول بعد مركزها عن اول العمارة بالمغرب ثلاث وخمسون درجة وثلاثون دقيقة وعن خط الاستواء من الشمال درجتان من الاقليم الاول ومقدار قطرها درجتان ويصب كل واحد من الانهار الثمانية في بحيرة وفي هذه البحيرة نهر واحد وهويل مصر ويمر ببلاد النوبة نهر آخر ابتداءه من غير مركزها على خط الاستواء كبيرة مستديرة مقدار قطرها ثلاث درج وبعد مركزها من اول العمارة بالمغرب ثلاث واربعون درجة ويلقى نهر هذه العين انهر النيل حيث البعد من اول العمارة بالمغرب ثلاث واربعون دقيقة واذا اعتدى النيل مدينة مصر الى بلاد يقال له شطونف يفرق هنالك الى نهرين يريان الى البحر المالح احدهما يعرف بحر رشيد ومنه يكون خليج الاسكندرية وثانيهما يعرف ببحر دمياط وهذا البحر اذا وصل الى المنصورة يفرغ منه نهر يعرف ببحر اشمون يرمى الى بحيرة هناك وباقية يرمى الى البحر المالح عند دمياط وزيادة النيل هي من امطار كثيرة ببلاد الحبشة والله اعلم (واعلم أن الموزون من الدسورات المنتجة من حال الماء فان الاخف في اكثر الاحوال افضل فهذا ما ذكره الرئيس ابن سينا من صفات المياه الفاضلة واعتبر ما قاله تجد ذلك قد اجتمع في ماء النيل * فاقوله أن ماء النيل عين تمر على اراضى حرة ولا يقلب على ترابه ما يتر به شئ من الاحوال والكيفيات الردية كعادن النفط والشب والاملاح والكازيت ونحوها بل يمر على الاراضى التي تثبت الذهب بدليل ما يظهر في الشطوط من قراضات الذهب وقد عانى جماعة تصويل الذهب من الرمل المأخوذ من شطوط النيل فربما ومنه مالا وفضيلة كون الذهب في الماء لا يتكرر * الثاني أن النيل في جريانه ابداء مكشوف للشمس والرياح * الثالث أن طينه من طين مسيل مياه مجتمعة من امطار تمر على اراضى حرة ويظهر لذلك من عطرية روائح الطين اذا نديته بماء * الرابع غمورة ماء النيل وشدة جريته التي تكاد تنصف العمدة اذا اعترضتها وتدفع الاثقال العظيمة اذا عارضتها * الخامس بعد مبدا خروجه من مصبه في البحر المالح وقد تقدم

من طول مساقته مالا يجده في نهر غيره من انهار المعمور * السادس انحداره من علوقان الجنوب من تفع
عن الشمال لاسيما اذا صار الى الجنادل الخط من اعلى جبل من تفع الى وادي مصر * وذكر ابن قتيبة
في كتاب غريب الحديث من حديث جرير بن عبد الله الجلي * حين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن منزله
يلتسه فذكره الى أن قال وماؤنا يمنع ان يجري من علوق فقال النبي صلى الله عليه وسلم خير الماء السمن اي
ما كان ظاهرا على وجه الارض والسمن الماء على وجه الارض وكل شئ علاشياً فقد تسمنه مأخوذ من
سنام البعير اعلوه وقال بعض المفسرين في قوله تعالى ومن ارجه من تسنيم اي يمزج بما ينزل من علوق * السابغ
أنه يمر من الجنوب الى الشمال قد يستقبله ريح الشمال الطيبة دائماً * الثامن خفته في الوزن وقد اعتبر ذلك غير مرة
مع غيره من المياه نخف عنها في الوزن * التاسع عذوبة طعمه وحسن اثره في هضم الغذاء واحداً من المعده
بحيث أنه يحدث بعد شربه جشاء وهذه صفات ان كنت ممن مارس العلم الطبيعى * وعرف الطب فانه يهضم عنده
قد رماه النيل وتبين لك غزارة ففعه وكثرة محاسنه * ويقال ان ذا القرنين كتب كتاباً فيه ما شاهده من عجائب
الدينا فضمنه كل اعجوبة ثم قال في آخره وليس ذلك بعجب بل العجب نيل مصر وقال بهض الحكاء لولا ما جعل
الله في نيل مصر من حكمة الزيادة في زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل ري البلاد وهبوط الماء عنها عند
بدء الزراعة لفسد اقليم مصر وتعدرسه كنهائه لانه ليس فيه امطار كافية ولا عيون جارية تعم ارضه الا بعض
اقليم القيوم والله در القائل

واها لهذا النيل اي بحبيبة * بكر بمنل حديثها لا يجمع
يلقى الثرى في العام وهو مسلم * حتى اذا مامل عاد يودع
مستقبل مثل الهلال فدهره * ابدان يد كما يريد ويرجع
وقال آخر

كأن النيل ذو فمهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى حين حاجتهم اليه * ويمضى حين يستغنون عنه
وقال تميم بن المعمر

يوم لنا بالنيل مختصر * ولكل يوم مسرة قصر
والسفن تجري كالخيول بنا * صعدا وجيش الماء منحدر
وكأنما مواجعه عكن * وكأنما داراته سرر
وقال ايضا

اما ترى الرعد بكى واشتكى * والبرق قد أوهض واستضحكا
فاشرب على غيم بصنع الدبحى * يضحك وجه الارض لما بكى
وانظر لماء النيل في مده * كأنما صندل او مستك
وقال آخر

والله يجرى النيل منه اذا الصبا * اريناه من برها عسكرا يجرا
بشط بنهر السهوية دبلا * وموج بنهر البيض هندية بترأ
اذا مر حاكى الورد غضا وان صفا * حكي ماءه لونا ولو بعينه مرأ

وقال ابو الحسن محمد بن الوزير في تدرج زيادة النيل وعظم منفعة

ارى ابدان كثير من قليل * وبدرافى الحقيقة من هلال
فلا تعجب فكل خليج ماء * بمصر مسيب مجلج مال
زيادة اصبع في كل يوم * زيادة اذرع في حسن حال
وقال الشهاب احمد بن فضل الله العمري

بمصر فضل باهر * لعيشها الرغد النضر
في سفح روض يلتقى * ماء الحياة والخضر

وقال ابن قلاقس

انظر الى الشمس فوق النيل غاربة * وانظر لما بعدها من حرة الشفق
غابت وأنت شعاعا منه يحلقها * كأنما احترقت بالماء في الفرق
وللهلال فيها وافي لينفدها * في اثرها زورق قد صيغ من ورق

وقال بشرى الملك ابن المنجم

يارب سامية في الجوفت بها * امتد طرفي في ارض من الافق
حيث الغشمية في التمثيل معتزل * اذا رآها جبان مات للفرق
للشمس غاربة للغرب ذاهبة * بالنيل مصفزة من هجمة الغسق
وللهلال انعطاف كالسنان بدا * من سورة الطعن لامن دمة الشفق

وقال القاضي الفاضل رحة الله تعالى عليه وأما النيل فتقدم الماء البقاع واتقل من الاصبع الى الذراع فكأنما غار على الارض فغطاها وأنار عليها فاستقعدها وما تخطاها فما يوجد بمصر قاطع طريق سواء ولا مرغوب مرهوب الاياه * ونيل مصر مخالف في جريته لغالب الانهار فانه يجري من الجنوب الى الشمال وغيره ليس كذلك الانهران فانهم ما يجريان كما يجري النيل وهما انهم مكران بالسند ونهر الاربط وهو الذي يعرف اليوم بنهر العاصي في جهات احدى مدائن الشام * وقد عاب ماء النيل قوم قال ابو بكر ابن وحشية في كتاب الفلاحة البيطية وأما ماء النيل فخرجه من جبال وراء بلاد السودان يقال لها جبال القمر وحلاوته وزيادته يدلان على موقعه من الشمس أنها احرقته لاكل الاحراق بل أسختته اسخانا طويلا لئلا ترتفع الحرارة ولا تقوى عليه بحيث تبدد أجزاءه الرطبة وتبقى أجزاءه الراسخة بل يعتدل عليه فصار ماءه لذلك حلو اجدا وصار كثرة شربه يهفن البدن ويحدث البثور والدمامل والقروح وصار أهل مصر الشاربون منه دمويين محتاجين الى استقراغ الدم عن ابدانهم في كل مدة قصيرة فمن كان عالما منهم بالطبيعة فهو يحسن مداواة نفسه حتى يدفع عن جسمه ضرر ماء النيل والافهو يقع فيما ذكرنا من العفونات وانتشار البثور والدمامل وذلك أن هذا الماء ناقص البرد عن سائر المياه قد صير له الطبخ قواما هو أنخن من قوام الماء فصار اذا خالط الطعام في الابدان كثر فيها الفضول الردية العفنة فيحدث من ذلك ما ذكرناه ودواء اهل مصر الذي يدفع عنهم ضرر ماء النيل ادمان شرب ربوب الفاكهة الحامضة القاضية وأخذ الادوية المستفرغة للفضول ولوزادت حرارة الشمس على ماء النيل وطال طبعها له لصار ما لم يجز له ماء البحار الا كدة التي لا حركة لها الا وقت جزر البحر وهبوب الرياح وهو أوفق للزروع والمنابت من الحيوان وقال ابن رضوان والنيل يتر بأهم كثيرة من السودان ثم يصير الى أرض مصر وقد غسل ما في بلاد السودان من العفونات والاوزاخ وبشق مارا بوسط أرض مصر من الجنوب الى الشمال الى أن يصب في بحر الروم ومبدأ زيادته في فصل الصيف وتنتهي زيادته في فصل الخريف ويرتقى في الجوف منه في اوقات مده رطوبات كثيرة بالتجلل الخفي فيرطب ذلك بيس الصيف والخريف واذا مده التهر فاض على أرض مصر فغسل ما فيها من الاوزاخ بحجوف الحيوانات وأزبالها وفضول الآجام والنبات ومياه النقاغ واحذر جميع ذلك معه وخالطه من تراب هذه الارض وطينها مقدار كثير من اجل سخاقتها وباض فيه من السمك الذي تربى فيه وفي مياه النقاغ ومن قبل ذلك تراه في اول مدة يخضر لونه بكثرة ما يخالطه من مياه النقاغ العفنة التي قد اجتمع فيها العرمض والطلب واخضر لونهما من عفنها ثم يتعكر حتى يصير آخر أمره مثل الحماة واذا صفا اجتمع منه في الاناء طين كثير ورطوبة لزجة لها سهوكة ورائحة منكروة وهذا من اوكدا الاشياء في ظهور رداءة هذا الماء وعفنه وقد بين بقراط وجالينوس أن أسرع المياه الى العفن ما طفته الشمس بمياه الامطار ومن شأن هذا الماء أن يصل الى أرض مصر وهو في الغاية من اللطافة من شدة حرارة بلاد السودان فاذا اختلط به عفونات أرض مصر زاد ذلك في استحالتة ولذلك يتولد منه من انواع السمك شيء كثير جدا فان فضول الحيوانات والنبات وعفونة هذا الماء وبيض السمك يصير جميعها موادا في تكون هذه الاسماك كما قال ارسططاليس في كتاب الحيوان وذلك شيء ظاهر للحس فان كل شيء يتعفن يتولد منه الحيوان ولهذا صار ما يتولد من الدود والفأر والثعابين والعقارب والزناير والذباب وغيرها بأرض مصر كثيرا فقد استبان أن المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة

والرطوبة الفضلية وانها ذات اجزاء كثيرة وان هواءها وماءها رديان وربما انقطع النيل في آخر الربيع واقل الصيف من جهة الضبط فبعض بكثرة ما يلقى فيه الى ان يبلغ غفنه الى ان يصير له رايحة منكرة محسوسة وظاهر ان هذا الماء اذا صار على هذه الحالة غير مزاج الناس تغير محسوسا وينبغي ان يستقي ماء النيل من الموضع الذي فيه جريه أشد والعفونة فيه أقل ويصفي كل انسان هذا الماء بحسب ما يوافق مزاجه أما المهروررون في ايام الصيف فبالطباشير والطين الارمني والمغرة والنبق المرضوض والزعرور المرضوض والخل وأما المبرودون في ايام الشتاء فاللوز المزودا خل نوى الشمس والصعتر والشب وينبغي أن يتظف ما يروق ويشرب وان شئت أن تصفيه بأن تجعله في آنية الخزف والفخار والجلود وما يحصل من ذلك بالرشح وان شئت طبعته بالنار وجعلته في هواء الليل حتى يروق ثم تطفت منه ما يروق واستعملته * واذا ظهرت فيه كفيات رديات فاطبخه بالنار ثم برده تحت السماء في برودة الليل وصفه بأخلاق الادوية التي ذكرتها وأجود ما اتخذ هذا الماء أن يصفي مرارا وذلك بأن يسخنه أو يطبخه ثم يبرده في هواء الليل وبطء ما يروق منه فتصفيه أيضا بعض الادوية ثم تأخذ ما يروق فتجعله في آنية تنصل في برد الليل وتأخذ الرشح فتشربه واجعل آنية هذا الماء في الصيف الخزف والفخار المعمولين في طوبة والظروف الحجرية والقرب ونحوها مما يبرد وفي الشتاء الآنية الزجاج والمدهون وما يعمل في الصيف من الفخار والخزف ويكون موضعه في الصيف تحت الاسراب وفي مخاريق ريح الشمال وفي الشتاء بالمواضع الحارة ويبرد في الصيف بأن يحاط معه ماء الورد ويؤخذ خرقة نظيفة ويشد فيها طباشير ويزر رجله أو خشناسا أيضا أو طين ارمني أو مغرة ويلقى فيه كيميا يأخذ من بردها ولا يخاطه جسمها وتغسل ظروفه في الصيف بالخزف المدقوق ويدقق الشعير والباقلاء والصندل وفي الشتاء بالاشنان والسعد ويجرب المصطكي والعود وأردأ ما يكون ماء النيل بمصر عند فضه وعند وقوف حركته فعند ذلك ينبغي ان يطبخ ويبالغ في تصفيته بقلوب نوى الشمس وسائر ما يقطع لزوجه وأجود ما يكون في طوبة عند تكامل البرد ومن اجل هذا عرفت المصريون بالتجربة أن ماء طوبة أجود المياه حتى صار كثير منهم يخزنه في القوارير الزجاج والصيني ويشربه السنة كلها ويرغم انه لا يتغير وصاروا أيضا لا يصفونه في هذا الزمان لظنهم أنه على غاية الخلاص وأما أنت فلا تسكن الى ذلك وصفه على اى حاله كان فالماء المخزون لا بد أن يتغير فهذا ما عندي من ذم ماء النيل وحاصله أن الماء يتغير كيفيته بماء يمر عليه لأن ذاته رديئة فلا يبرئ من ذلك ما تمع في الامر الا ما قلت ان واذا كان الضرر بحسب ما تغير من كيفيته لامن كَيْتِه فقد عرفت ما تعالجه به كي يزول ما يخاطه من الكيفيات الرديئة والله الموفق بمنه وكرمه

• (ذكر عجائب النيل) •

ومن عجائب النيل فرس البحر قال عبد الله بن احمد بن سليم الاسواني في كتاب اخبار النوبة ومسافة ما بين دنقلة الى اول بلد علوة أكثر عجائب دنقلة واسوان وفي ذلك من القرى والضياع والجزائر والمواشي والنخل والشجر والمقل والزرع والكرم اضعاف ما في الجنبان الذي يلي أرض الاسلام * وفي هذه الاماكن جزائر عظام مسيرة ايام فيها الحيات والوحوش والسباع ومفاوز يخاف فيها العاش وماء النيل ينطف من هذه النواحي الى مطلع الشمس والى مغربها مسافة ايام حتى يصير الصعيد كالنجد وهي الناحية التي تبلغ العطوف من النيل الى المعدن المعروف بالشتكة وهي بلدة معروف بشنقير ومنه يخرج القمري وفرس البحر يكثر في هذا الموضع * وحدثنى سميون صاحب عهد علوة أنه أحصى في جزيرة سبعة من دابة منها وهي من دراب الشطوط في خلق القرس في غلظ الجواموس قصيرة القوائم لها خف وهي في ألوان الخيل بأعراف وأذان مغاركا ذات الخيل وأعناقها كذلك وأذنانها مثل اذنان الجواميس ولها خرطوم عريض يظن الناظر اليها أن عليها مخللة لها صهيل وأنياب لا يقوم حذاءها تمساح وتعرض المراكب عند الغضب فتقرقها ورعيها في البر العشب وجلدها فيه متانة عظيمة يتخذ منه دبابيس انتهى * وهو كفرس البر الا انه اكبر عرفا وذنباً وحسن لونا وحافره مشقوق كحافر البقر وجنته أكبر من الجمار بقليل وهو ياكل التمساك كلا ذرعا ويقوى عليه قوة ظاهرة وربما خرج من الماء ونزا على فرس البر فينولد بينهما فرس في غاية الحسن * واتفق أن بعض الناس نزل على طرف النيل ومعه حجرة فخرج من الماء فرس أدهم عليه نقط بيض فترا على الحجرة فحملت منه وولدت مهر

عجب الصورة فطمع في مهر آخر فجاء بالجرة والمهر الى ذلك الموضع فخرج الفرس من الماء وشم المهر ساعة ثم وثب الى الماء ومعه المهر فصار الرجل يتعهد ذلك المكان كثيرا فلم يعد الفرس ولا المهر اليه * (قال المسعودي) وفي نيل مصر وأرضها عجائب كثيرة من الحيوانات فمن ذلك السمك المعروف بالرعاد والواحدة فهو الذراع اذا وقعت في شبكة الصياد ارتعدت يده وعضده فيعلم بوقوعها فيبادر الى أخذها واخراجها من شبكتها ولو أمسكها بخشب أو قصب فعلت ذلك وقد ذكرها جالينوس وانما ان جعلت على رأس من به صداع شديدة أو شقيقة وهي في الحياة هدأ من ساعته قال ابن البيطار عن جالينوس هو الحيوان البحري الذي يحدث الخدر وزعم قوم انه اذا دنف من رأس من يشتكى الصداع سكن صداعه وان أدنى من مقعدة من انقلبت مقعدته اصلها ولكن انا جربت الامرين جميعا فلم أجده يفعل ولا واحد منهما فقه كثر اني أدنيته من رأس المصدوع والحيوان ما هو حي لانني ظننت انه على هذه الحال يكون دواء يمكن أن يسكن الصداع بمنزلة الادوية فوجدته ينفع مادام حيا قال ديسقوريدوس هو سمكة بحرية مخدرة اذا وضعت على الرأس الذي عرض له الصداع المزمع سكن شدة وجعه واذا احتمله ذوا المقعدة التي تبرز الى خارج اصلها وقال يونس الزيت الذي يطبخ فيه يسكن اوجاع المفاصل الحريفة اذا دهنت به قال ابن البيطار رأيت بساحل مدينة مالقة من بلاد الاندلس سمكة عريضة لون ظاهرها لون رعاد مصر سواء وباطنها أبيض وفعلها في تخدير ما سكها كفعل رعاد مصر وأشد الا انها لا تؤكل ألبتة وقال بعضهم اذا علق المرأة شيئا من الرعاد عليها لم يطق زوجها البعد عنها وكذلك ان علق منها الرجل عليه لم تكذب المرأة ان تفارقه * والسقنقور وهو صنف يتوالد من السمك والتمساح فلا يشاكل السمك لان له يدين ورجلين ولا يشاكل التمساح لان ذنبه أجرد أملس عريض غير مضرس وذنب التمساح ضخم مضرس ويتعالم بنحيم السقنقور للجماع ولا يكون بمكان الا في النيل وفي نهر مهران من أرض الهند ولقد بلغني أن أقوا ماشوه أوأكلوا منها فأتوا كلهم في ساعة واحدة * والسقنقور قال ابن سينا هو ورن يصاد من نيل مصر يقولون انه من نسل التمساح وأجود ما يصطاد في الربيع وقال آخر انه فرخ التمساح فاذا خرج من البيض فما قصد الماء صار تمساحا وما قصد الرمل صار سقنقورا وقال ابن البيطار هو جنس من الجراد يحفف في الخريف اذا شرب منه وزن درهمين من الموضع الذي يلي ككلاء بشراب انض الجماع وهو شديد الشبه بالورن يوجد بالرمال التي تلي نيل مصر في نواحي صعيدها وهو مما يسعي في البر ويدخل في الماء يعني النيل واهذا قيل له الورن المائي لشبهه به ولدخوله في الماء وهو يتولد من ذكر واثني ويوجد للذكر خصيتان كخصيتي الديك في خلقهما وموضعهما واناه تبيض فوق العشرين بيضة وتدفعها في الرمل وللدكر من السقنقور احليلان وللاثنى فرجان والسقنقور يعض الانسان ويطلب الماء فان وجدته دخل فيه وان لم يجده بال وتمترغ في بوله واذا فعل ذلك مات العضوض لوقته وسلم السقنقور فان اتفق ان سبق العضوض الى الماء فدخله قبل دخول السقنقور الماء وتمترغه في بوله مات السقنقور لوقته وسلم العضوض والا فضل الذي كرمته والا بلغ في نفع الباهل هو الخصوص بذلك دون الاثنى واختار من أعضائه ما يلي اصل ذنبه ومحاذي سترته والوقت الذي يصاد فيه الربيع فانه يكون فيه هائجا للسهة فيكون في هذا الوقت المبلغ نفعها فاذا أخذ ذكي في يوم صيده فانه ان ترك حيا زال شحمه وهزل لحمه وضعف فعله ثم يقطع رأسه وطرف ذنبه من غير استئصال ويشق جوفه طولا ويلقى ما فيه الا كلاء وكيسه فاذا انظف حشئ لحمه وخيط الشق وعلق من كوسا في ظل معتدل الهواء حتى يجف ويؤمن فسادا ثم يرفع في اناء متخترقة للهواء كالسلال المظفورة من قضبان شجر الصفصاف والخصوص ونحوه الى وقت الحسابة ولحمه طري حار رطب والمجفف أشد حرارة وأقل رطوبة ولا يوافق استعماله من مزاجه حار يابس وانما يوافق ذوى الامزجة الباردة الرطبة وخاصة لحمه وشحمه انما يصح شهوة الجماع ويهيج الشبق ويقوى الانعساظ وينفع امراض العصب الباردة وخاصة ما يلي سترته ومحاذي ذنبه وينفع مفردا ومزجا كبا واستعماله مفردا أبلغ والمقدار منه بعد تحفيفه من مثقال الى ثلاثة مثاقيل بحسب السن والمزاج والبلاد والوقت الحاضر يستحق ويذاب بشراب أو ماء العسل او تنقيع الزبيب او يذر على صفرة البيض الدجاج التيمرشت ويتحشى وكذلك يفعل بلحمه اذا أخذ منه من درهم الى درهمين وذرت على صفرة البيض بمفرده او مع مثله بزر جرير مسحوق ولا يوجد السقنقور الا في بلاد القيوم خاصة واكثر صيده في الاربعينات اذا اشتد البرد وخرج

من الماء الى البر فحينئذ يصاد * وقال المسعودي والفرس الذي يكون في نيل مصر اذا خرج من الماء واتهمى وطؤ الى بعض المواضع من الارض علم اهل مصر أن النيل يزيد الى ذلك الموضع بعينه غير زائد عليه ولا مقصر عنه لا يتخلف ذلك عندهم لطول العادات والتجارب وفي ظهوره من الماء ضرر بأرباب الارض والغلات رعيه الزرع وذلك أنه يظهر من الماء في الليل فينتهي الى موضع من الزرع ثم يولى عائدا الى الماء فيرى في حال رجوعه من الموضع الذي انتهى اليه مسيره ولا يرى من ذلك الذي قدر عامه شيئا في ممره واذا رعى ورد الماء وشرب ثم قذف ما في جوفه في مواضع شتى فينبث ذلك مرة ثانية واذا أكثر ذلك من فعله واتصل ضرره بأرباب الضياع طرحوا له من التمسح الذي يعرف بخروجه منه مكاكي كثيرة بمدراميسوطا فيأكله ثم يعود الى الماء فاذا شرب منه ربا التمسح في جوفه وانتفخ فينشق جوفه منه ويموت ويطفو على الماء ويقذف به الى الساحل والموضع الذي يرى فيه لا يرى به تمسح وهو على صورة الفرس الا ان حوافره وذنبه بخلاف ذلك وجهته واسعة * وقال المسيحي ان الصنف المعروف بالبلطي من اصناف السمك اول ما عرف بنيل مصر في ايام الخليفة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله ولم يكن يعرف قبله في النيل وظهر في ايامه أيضا سمك يعرف بالليس وانما سمى بالليس لانه يشبه البوري الذي بالبحر الملح فالتبس به وغالب الظن انهما من اسماء البحر الملح دخلت في الحلو * ومن حيوان البحر التمسح قال ابن البيطار التمسح حيوان معروف يكون في الانهار والكبار وفي النيل كثيرا ويوجد في نهر مهران وقد يوجد في بلاد السودان وهو الورن النيل * وقال بن زهران كل حيوان يحرك فكه الاسفل اذا اكل ما خلا التمسح فانه يحرك فكه الاعلى دون الاسفل وشحم التمسح اذا عجن بالسن وجمد فيه قبيلة واسرج في نهر أو أجة لم ينقض فسادها مادامت تقدر ان طيف بجلد تمسح حول قرية ثم علق على سطح دهليز لم يقع البرد في تلك القرية واذا عض التمسح انسانا فوضع على العضة شحم التمسح برأ من ساعته وان لطخ بشحمه جهة كبش نطاح نفرك كبش ينطحه وهرب منه ومرارته يكحل به البياض في العين فيذهب وكبد به بجزء المجنون فيبرأ وزيل التمسح يزيل البياض من العين الحديث والقديم وان قلعت عيناه وهو حي وعلفت على من به جذام أو قفه ولم يزد عليه شيء وان علق شيء من التي بالجانب الايمن على رجل زاد في جماعه وعينه اليمنى لمن يشتمكي عينه اليمنى وعينه اليسرى لمن يشتمكي عينه اليسرى وشحمه اذا اذيب بدهن ورد نفع من وجع الصلب والكليتين وزاد في البلاء واذا أخذ دم التمسح وخلط به هليلج واملج وطلي به على الوضع اذهب غير لونه واذا طلي به على الجبهة والصدغين نفع من وجع الشقيقة واذا اكل لحمه اسفد باجاسن البدن الخفيف وشحمه اذا قطر بعد ان يذاب في الاذن ألحجة نفعها وان أدمن تطهيره في الاذن نفع من الصمم واذا دهن به صاحب حتى الريح سكنت عنه ولجه ردى الكيموس وقال المسعودي وكذلك التمسح آفته من دوية تكون في سواحل النيل وجزائره وهو أن التمسح لا دبر له وما يأكله يتكون في بطنه دودا فاذا اذاه ذلك خرج الى البر فاستلقى على قفاه فاغراقاه فينتفض اليه طير الماء وقد اعتاد ذلك منه فيأكل ما يظهر من جوفه من ذلك الدود العظيم وتكون تلك الدوية قد كتبت في الرمل فتنب الى حلقه ونصير الى جوفه وتخرج فيخبط بنفسه الى الارض ويطلب قعر النيل حتى تأتي الدوية على حشو جوفه ثم تحرق جوفه وتخرج ورما قتل نفسه قبل أن تخرج فتخرج بعد موته وهذه الدوية تكون نحو الذراع على صورة ابن عرس ذات قوائم شتى ومخالب ويقال ان يجبال فسطاط مصر طلسم معمول بها وكان التمسح لا يستطيع القرب حوله بل كان اذا بلغ حدوده اقلب واستلقى على ظهره فيعشب به الصبيان الى أن يجاوز نهاية المدة ثم يعود مستويا ويعود الى طباعه ثم ان هذا الطلسم كسر فبطل فعله ويقال ان التمسح يبض كبيض الاوز وربما تولد فيه جرادين صغيرا ثم تكبر حتى يبلغ طولها عشرة اذرع وتزداد طولها كلما عرت والتمسح يرتعش ستين مرة في حركة واحدة ومحل واحد وسنه اليسرى نافعة للنافض

* (ذكر طرف من مقدمة المعرفة بحال النيل في كل سنة) *

قال ابن رضوان في شرح الاربع وقد يحتاج امر النيل الى شروط منها أن تكون الامطار متوالية في نواحي الجنوب قبل مده وفي وقت مده ولذلك وجب ان يكون النيل متى كانت الزهرة وعطارد مقترنين في مدخل الصيف كثيرا لزيادة لطوبة الهواء ومتى كان المريخ او بعض المنازل في ناحية الجنوب في مدخل الربيع

او الصيف كان قليلا قلة الامطار في تلك الناحية ومنها ان تكون الرياح شمالية لتوقف جريه فأما الجنوبية فانها تسرع انحداره ولا تدعه يلبث فاذا علمت ما يكون في ناحية الجنوب من كثرة الامطار او قلتها وفي ناحية مصر من هبوب الرياح في فصل الربيع والصيف فقد علمت حال النيل كيف يكون وتعلم من حاله ما يعرض بمصر من الخصب والجذب وقال ابو سمر ابن يونس المتجسم عن بطليموس اذا أردت أن تعلم مقدار النيل في الزيادة والنقصان فانظر حين تحل الشمس برج السرطان الى الزهرة وعطارد والقمر فان كانت احوالها جيدة وهي برية من العوس فالنيل يمتد وتبلغ الحاجة به وان كانت احوالها بخلاف ذلك وهي ضعيفة فأنكس القول فان ضعف بعضها وصلح البعض توسط الحال في النيل والضابط أن قوة الثلاثة تدل على تمام النيل وضعفها على توسطه واتحاسها او احتراقها أو وقوعها في بهدها الا بعد من الارض على النقص وانه قليل جدا الا أن احتراق الزهرة في برج الاسد يستتزل الماء من الجنوب وقال ابو معشر بطريرك عند انتقال الشمس الى برج السرطان للزهرة وعطارد والقمر فان كانت في سيرها الاكبر فان زيادة النيل عظيمة وان كانت في سيرها الاوسط فاعرف كم اكبر مسيرها وكم اقله وانسبه بحسب ما تراه وان كانت بطيئة السير فزيادة النيل قليلة وان اختلف مسير هذه الثلاثة فكان بعضها في مسيرها الاكبر وبعضها بطيء السير فقلب اقوالها وامزج الدلالة وقل بحسب ذلك * وقالت القبط ينظرون اول يوم من شهر برمودة ما الذي يوافق من ايام الشهر العربي فما كان من الايام فزد عليه خمسة وثمانين فما بلغ خذ سدسه فانه يكون عدد مبلغ النيل من الاذرع في تلك السنة قالوا ومن المعتبر أيضا في امر النيل أن تنظر اليوم الذي تظفر فيه النصارى البعاقبة بمصر وما بقي من الشهر العربي فزد عليه الربعا وثلاثين فما بلغ أسقطه اثني عشر فان بقي بعد ذلك الاسقاط من العدد زيادة على اثني عشر فهو زيادة النيل من الاذرع في تلك السنة مع الاثني عشر وان بقي اثني عشر فهي سنة رديئة قالوا واذا كان العاشر من الشهر العربي موافقا للشهر ايب والقمر في برج العقرب فان كان مقارنا لقلب العقرب كان النيل مقصرا والافهو جيد قالوا وينظر اول يوم من بؤنة فان هبت الريح شمالا في بكرة النهار كان النيل عاليا وان هبت وسط النهار فانه متوسط وان هبت آخر النهار كان نيلًا قاصرا وان لم هب لم يطلع تلك السنة وقبل يعتبر هكذا اول خميس من بؤنة * ومن المعتبر الذي جرت به أناسين وأخبرني بعض شيوخنا أنه جرت به وأخبره من جرت به فصح أن ينظر اول يوم من مسرى كم مبلغ النيل فزد عليه ثمانية اذرع فما بلغ فهو زيادة النيل في تلك السنة ومما اشتهر عند اهل مصر وجرت به ايضا فصح أن يؤخذ قبل عيد ميكائيل بيوم في وقت الظهور من الطين الذي تر عليه ماء النيل قطعة زنتها ستة عشر درهما سواء وترفع في اناه مغطى الى بكرة يوم عيد ميكائيل وتوزن فما زاد على وزنه من الخراب كان مبلغ النيل في تلك السنة بقدر عدد ذلك الخراب لكل خربة ذراع ومن ذلك أخذ شيء من دقيق القمح وعجنه بماء النيل في اناه فخار وقد عمل من طين تر عليه النيل وتركه مغطى طول ليلة عيد ميكائيل فاذا وجد بكرة يوم العيد قد اخضر بنفسه كان النيل تاما وافيًا وان وجد لم يختر دل على قصور هذا النيل ثم ينظرون مع ذلك بكرة يوم عيد ميكائيل الى الهواء فان هبت طيبا فهو نيل كبير وان هبت غير طيبا فهو نيل مقصر لا سيما ان هبت مر يسا فانه يكون نيلًا كاف والشان عندهم انما هو في دلالة العلامات الثلاث على شيء واحد فأما اذا اختلف فالجواب لا يكاد يصح * وقال ابو الريحان محمد بن احمد البيروني في كتاب الاثمار الباقية عن القرون الخالية وذكر اصحاب التجارب أنه اذا تقدم فعمد الى لوح وزرع عليه من كل زرع ونبات حتى اذا كانت الليلة الخامسة والعشرون من شهر تموزا أحد شهور الروم وهي آخر ايام الباحور ثم وضع اللوح بارزا لطلوع الكواكب وغروبها لا يحول بينه وبين السماء شيء فان كل ما لا يزكو في تلك السنة من الزروع يصح اصفر وما يصلح ربعه منها يبقى أخضر وكذلك كانت القبط تفعل ذلك وقد جرت انا على ما أفادني بعض الكتاب انه اذا حصل مطر ولو قل في شهر بابة ينظر ما ذلك اليوم من النهر القبطي فانه يبلغ سعر الوية القمح تلك السنة من الدراهم بعدد ما مضى من ايام شهر بابة واول ما جرت به هذا انه وقع مطر في بابة يوم الخميس الخامس عشر منها فبقيت الوية تلك السنة بخمسة عشر درهما

* (ذكر عيد الشهيد) *

ومما كان يعمل بمصر عيد الشهيد وكان من ائمه فرج مصر وهو اليوم الثامن من بشنس أحد شهور القبط

وزعمون

ويرعون أن النيل بمصر لا يزيد في كل سنة حتى يلقى النصارى فيه تابوتاً من خشب فيه اصبع من اصابع اسلافهم الموقى ويكون ذلك اليوم عيداً ترحل اليه النصارى من جميع القرى وبركبتهم فيه الخيل ويلعبون عليها ويخرج عامة اهل القاهرة ومصر على اختلاف طبقاتهم وينصبون الخيم على شطوط النيل وفي الجزائر ولا يبق مغن ولا مغنية ولا صاحب لهو ولا رب ملعوب ولا بقى ولا مخنت ولا ماجن ولا خليع ولا فاك ولا فاسق الا ويخرج لهذا العيد فيجتمع عالم عظيم لا يحصى الا خالقهم وتصرف اموال لا تنحصر ويتجأه هناك بما لا يحتمل من المعاصى والفسوق وتشورقن وتقتل الناس ويساع من الخمر خاصة في ذلك اليوم بما ينفى على مائة ألف درهم فضة عنها خمسة آلاف دينار ذهباً وباع نصراني في يوم واحد بأثنى عشر ألف درهم فضة من الخمر وكان اجتماع الناس لعيد الشهيد دائماً ناحية شبرى من ضواحي القاهرة وكان اعتماد فلاحي شبرى دائماً في وفاة الخراج على ما يدعونه من الخمر في عيد الشهيد ولم يزل الحال على ما ذكر من الاجتماع كذلك الى أن كانت سنة اثنتين وسبع مائة والى السلطان يومئذ بدار مصر الملك الناصر محمد بن قلاوون والقائم بتدبير الدولة الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وهو يومئذ استاذ ارسطو السلطان والامير سيف الدين سلاو نائب السلطنة بدار مصر ققام الامير بيبرس في ابطال ذلك قديماً عظيماً وكان اليه امير بدار مصر هو والامير سلاو والناسر تحت حجرهما لا يقدر على شئ من بطنه الا من تحت ايديهما فتقدم امر الامير بيبرس أن لا يرمى اصبع في النيل ولا يعمل له عيد ونذ الحجاب ويوالى القاهرة لمنع الناس من الاجتماع بشبرى على عادتهم وخرج البريد الى سائر أعمال مصر ومعهم الكتب الى الولاة باجهاار النداء واعلانه في الاقاليم بأن لا يخرج احد من النصارى ولا يحضر لعمل عيد الشهيد فشق ذلك على اقباط مصر كلهم من اظهر الاسلام منهم وزعم أنه مسلم ومن هو باق على نصرانيته ومنشئ بعضهم الى بعض وكان منهم رجل يعرف بالتاج بن سعد الدولة يما في الكتابة وهو يومئذ في خدمة الامير بيبرس وقد احتوى على عقله واستولى على جميع اموره كما هي عادة ملوك مصر وامراتهم من الازراك في الاقتصاد لكتابهم من القبط سواء منهم من أسير الكفرو من جهريه وما زال الاقاط بالتاج الى أن تحدث مع مخدومه الامير بيبرس في ذلك وخيل له من تلف مال الخراج اذا بطل هذا العيد فان أكثر خراج شبرا انما يحصل من ذلك وقال له متى لم يعمل العيد لم يطلع النيل ابداً ويخرب اقليم مصر لعدم طلوع النيل ونحو ذلك من هتف القول ونتيق المكر فتبت الله الامير بيبرس وقواه حتى اعرض عن جميع ما زخرقه من القول واستقر على منع عمل العيد وقال للتاج ان كان النيل لا يطلع الا بهذا الاصبع فلا يطلع وان كان الله سبحانه هو المتصرف فيه فكذب النصارى فبطل العيد من تلك السنة ولم يزل منقطعاً الى سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة وعمر الملك الناصر محمد بن قلاوون الجسر في بصر النيل ليرى قوة التبار عن بصر القاهرة الى ناحية الجيزة كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب فطالب الامير ببلغا الجياوى والامير الطنبغا الماردى من السلطان أن يخرج الى الصيد ويغيما مدة فلم تطب نفسه بذلك لشدة غرامه بهما وتنهك في محبتهم ما أراد صرفهما عن السفر فقال لهما نحن نعيد عمل عيد الشهيد فيكون نفر جكم عليه أئزه من خروجكم الى الصيد وكان قد قرب او ان وقت عيد الشهيد فريضاً منه بذلك وأشيع في الاقليم اعاده عمل عيد الشهيد فلما كان اليوم الذى كانت العادة بعمله فيه ركب الامراء النيل في الثغائر بغير حرايق واجتمع الناس من كل جهة وبرز ارباب الغناء واصحاب اللهو والملاعة فركبوا النيل وتجاهاوا بما كانت عادتهم المجاهرة به من انواع المنكرات وتوسع الامراء في تنوع الاطعمة والحلاوات وغيرها توسعاً خرجوا فيه عن الحد في الكثرة البالغة وعم الناس منهم ما لا يمكن وصفه لكثرتة واستقر واعلى ذلك ثلاثة ايام وكانت مدة انقطاع عمل عيد الشهيد منذ ابطله الامير بيبرس الى أن أعاده الملك الناصر ستاً وثلاثين سنة واستقر عمله في كل سنة بعد ذلك الى أن كانت سنة خمس وخمسين وسبع مائة تحرك المسلمون على النصارى وعملت اوراق بما قد وقف من اراضى مصر على كنائس النصارى ودياراتهم وأزم كتاب الامراء بتحرير ذلك وحمل الاوراق الى ديوان الاحباس فلما تحقرت الاوراق اشتملت على خمسة وعشرين ألف فدان كلها موقوفة على الديارات والكنائس فعرضت على امراء الدولة القائمين بتدبير الدولة في ايام الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون وهم الامير شيخو العمري والامير صرغمش والامير طاز فتقرر الحال على أن ينعم بذلك على الامراء زيادة على اقطاعهم وأزم النصارى بما يلزمهم من الصغار وهدمت لهم عدة كنائس كما هو مذكور في موضعه من هذا الكتاب

عند ذكر الكنائس فلما كان العشر الاخير من شهر رجب من السنة المذكورة خرج الحاجب والامير علاء الدين على ابن الكوراني والى القاهرة الى ناحية شبراخيت من ضواحي مصر فهدمت كنيسة النصرى وأخذ منها اصبغ الشهيد في صندوق واحضر الى الملك الصالح واحرق بين يديه في الميدان وذرى رماده في البحر حتى لا يأخذه النصرى فبطل عيد الشهيد من يومئذ الى هذا العهد والله الحمد والمنة

*** ذكر الخلبان التي شقت من النيل ***

اعلم أن النيل اذا انتهت زيادته فتحت منه خلبان وترع يتخرق الماء فيها يمينا وشمالا الى البلاد البعيدة عن مجرى النيل واكثر الخلبان والترع والجسور والاخوار بالوجه البحرى وأما الوجه القبلى وهو بلاد الصعيد فان ذلك قليل فيه وقد ذهبت معالمه ودرست رسومه من هنالك والمشهور من الخلبان خليج منبجا * وخليج منف وخليج المنى وخليج اشوم طنح وخليج سردوس وخليج الاسكندرية وخليج دمياط وخليج القاهرة وبحر أبى المنجا وخليج النصرى ظاهر القاهرة * قال ابن عبد الحكم عن ابى رهم السماعى قال كانت مصر ذات قناطر وجسور بتقدير وتدبير حتى ان الماء ليجرى تحت منازلها واقفيتا فيحسبونه كيف شاؤا ويرسلونه كيف شاؤا فذلك قوله تعالى عما حكى عن قول فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتى افلا تبصرون ولم يكن يومئذ فى الارض ملك اعظم من ملك مصر وكانت الجنات بمحاقتى النيل من اوله الى آخره فى الجانبين معا جميعا ما بين اسوان الى رشيد وسميع خليج الاسكندرية وخليج منبجا وخليج دمياط وخليج منف وخليج القيوم وخليج المنى وخليج سردوس جنات متصلة لا يقطع منها شئ عن شئ والزرع ما بين الجانبين من اول مصر الى آخرها مما يبلغه الماء (وكان جميع ارض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا لما قدر واودبروا من قناطرها وخليجها وجسورها فذلك قوله تعالى كم تر كوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم قال والمقام الكريم المنابر كان هم ألف منبر (خليج سخا) وخليج سخا حفرة ندارس بن صا ابن قبطيم بن مصر ايم بن بصير بن حام بن نوح وهو أحد ملوك القبط القدماء الذين ملكوا مصر فى الدهر الاول * قال ابن وصف شاه ندارس الملك اقل من ملك الاحياز كلها بعد ابيه ما وصفه له ملك مصر وكان ندارس محتسكا محتربا اذا أيد وقوة ومعرفة بالامور فأظهر العدل وأقام الهياكل وأهلها قايما ما حسنا ودبر جميع الاحياز ويقال انه الذى حفرت خليج سخا وارتفع مال البلد على يده مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار وقصد به بعض عمالقة الشام فخرج اليه واستباحه ودخل فلسطين وقتل بها خلقا وسبى بعض حكمائها وأسكنهم مصر وهابته الملوك وعلى رأس ثلاثين من ملكه طمع السودان من الزنج والنوبة فى ارضه وعاثوا وافسدوا وجمع الجيوش من اعمال مصر وأعد المراكب ووجه قائد ايقال له فلوطس فى ثمان مائة ألف وقائدا آخر فى مثلها ووجه فى النيل ثمان مائة سفينة فى كل سفينة كاهن يعمل عجوبة من العجائب ثم خرج فى جيوش كثيرة فلقى جمع السودان وكانوا فى زهاء ألف ألف فهزمهم وقتل اكثرهم ابرح قتل وأسروهم خلقا وبعثهم جيوشه حتى وصلوا الى ارض القبط من بلاد الزنج فأخذوا منها غداة ومن الثور والوحوش وساقوها الى مصر فذللها وعمل على حدود بلاده منار وأبرز عليه مسيره وظفره والوقت الذى سار فيه ومات بمصر فدفن فى ناووس نقل اليه شيئا كثيرا من اصناف الكواكب ومن الذهب والجوهر والصيغة والتماثيل وزبر عليه اسمه وتاريخ هلاكه وجعل عليه طلسمات تمنع منه وعهد الى ابنه مالىق بن ندارس (خليج سردوس) حفرة هاما قال ابن وصف شاه طالبا بن قومس الملك جلس على سرير الملك وسأز جميع ما كان فى خزائنها وهو الذى تذكر القبط انه فرعون موسى * فأما أهل الانتر فيزعمون أنه الوليد ابن مصعب وأنه من العمالقة وذكروا ان الفرعنة سبعة وكان طالما فى ما حكى عنه قصيرا طويلا للعبة اشهل العينين صغير العين اليسرى فى جبينه شامة وكان اعرج وزعم قوم انه من القبط ونسب أهل بيته مشهور عندهم وذكر آخرون انه دخل منف على اتان عليها نظرون جاء ليبيعه وكانوا قد اضطربوا فى تولية الملك فرضوا أن يملكوا عليهم أول من يطرا من الناس فلما رأوه ملكوه عليهم ولما جلس فى الملك بذل الاموال وقرب من اطاعه وقتل من خالفه فاعتدل امره واستخلف هاما وكان يقرب منه فى نسبه وأثابه بعض الكتوز وصرفها فى بناء الدائن والعمارات وحفر خلبانا كثيرة ويقال انه الذى حفرت خليج سردوس وكان كلما عرجه الى قرية من قرى الحوف حمل اليه أهلها مالا حتى اجتمع من ذلك مال كثير فأمر برده على أهله * وقال ابن عبد الحكم

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان فرعون استعمل هامان على حفر خليج سر دوس فلما ابتدأ حفره أتاه أهل كل قرية يسألونه أن يجرى الخليج تحت قريتهم ويعطونه مالا قال وكان يذهب به الى هذه القرية من نحو الشرق ثم يردّه الى قرية من نحو دبر القبله ثم يردّه الى قرية في الغرب ثم يردّه الى أهل قرية في القبله و يأخذ من أهل كل قرية ما لا يحصى اجتمع له من ذلك مائة ألف دينار فأتى بذلك يحمله الى فرعون فسأله عن ذلك فأخبره بما فعل في حفره فقال له فرعون ويحك انه ينبغي للسيد أن يعطف على عباده ويفض عليهم ولا يرغب فيما بأيديهم رد على أهل كل قرية ما أخذت منهم فردّه كله على أهلها قال فلا يعلم بمصر خليج اكثرا نعطافا منه لما فعل هامان في حفره وكان هامان نبطيا (خليج الاسكندرية) قال ابن عبد الحكم ويقال ان الذي بنى منارة الاسكندرية فليطيرة الملكة وهي التي ساقّت خليجها حتى ادخلته الاسكندرية ولم يكن يدخلها الماء كان يعدل من قرية يقال لها كسا قبالة الكريون فحفره حتى ادخلته الاسكندرية وهي التي بلطت قاعته وقال المكندى ان الحارث بن مسكين قاضى مصر حفر خليج الاسكندرية وقال الاسعد بن محمّاتى في كتاب قوانين الدواوين خليج الاسكندرية عليه عدة ترع وطوله من فم الخليج ثلاثون ألف قصبة وستمائة قصبة وعرضه من قضبتين ونصف الى ثلاث قضبات ونصف ومقام الماء فيه بالنسبة الى النيل فان كان مقصرا قصرت مدة اقامته فيه وان كان عاليا أقام فيه ما يزيد على شهرين * ورأيت جماعة من أهل الخبرة وذوى المعرفة يقولون انه اذا عملت من قبالة منية تيج الى تيج زلاقة استقر الماء فيه صيفا وشتاء ورأيت البحيرة جميعها وحوف ودميس والكفور والشاسعة وقد زرعت عليه القصب والقاقاس والنيلة وأنواع زراعة الصبغى وجرى مجرى بحر الشرق والحلة ونضا عفت عليه البلاد وعظم ارتفاعها واقامة هذه الزلاقة ممكنة لوجود الحجارة فى ربوة والطوبى فى البحيرة وانهم قد روا ما يحتاج اليه فوجدوه يتأهز عشرة آلاف دينار ويقال انه كان الماء فيه جاريا طول السنة وكان السمك فيه غايه من الكثرة بحيث تصيده الاطفال بالخرق فضمنه بعض الولاة بمال ومنع الناس من صيده فعدم منه السمك ولم يربعه ذلك فيه سمكة قصار يخرج بالشبال (خليج القيوم والمنى) مما حفره نبي الله يوسف الصديق عليه السلام عندما عمر القيوم كما هو مذكور فى خبر القيوم من هذا الكتاب وهو مشتق من النيل لا يتقطع جريه أبدا واذا قابل النيل ناحية دورة مريام التي تعرف اليوم بدورة الشريف يعنى ابن يغلق النائب فى الايام الظاهرة ببيرس تشعبت منه فى غربيه شعبة تسمى المنهل تستقل نهر ا يصل الى القيوم وهو الآن عرف بحري يوسف وهو نهر لا يتقطع جريانه فى جميع السنة فىسقى القيوم عادة سقياد دائما ثم ينجر فضل مائه فى بحيرة هناك ومن العجب انه يتقطع مأوّه من فوهته ثم يكون له بال دون المكان المندى ثم يجرى جريا ضعيفا دون مكان البلل ثم يستقل نهر ا جارا لا يتقطع الا بالسفن ويتشعب منه انهار وينقسم قسميهم القيوم يسقى قراه ومزارعه وبساتينه وعامة ما كنه والله أعلم (خليج القاهرة) هذا الخليج بظاهر القاهرة من جانبها الغربى فيما بينها وبين المتقس عرف فى اول الاسلام بخليج امير المؤمنين وتسميه العامة اليوم الخليج الحماكى وبخليج اللولة وهو خليج قديم أول من حفره طوطيس بن مالبأ أحد ملوك مصر الذين سكنوا مدينة منف وهو الذى قدم ابراهيم الخليل صلوات الله عليه فى ايامه الى مصر وأخذ منه امرأته سارة وأخذ منها هاجر أم اسماعيل صلوات الله عليهما فلما اخرجها ابراهيم هى وابنها اسماعيل الى مكة بعثت الى طوطيس تعرفه انها يمكن جذب وتستغيثه فأمر بحفر هذا الخليج وبعث اليها فيه بالسفن تحمل الخنطة وغيرها الى جدة فأحيا بلدا الحجاز ثم ان اندروماتوس الذى يعرف بابيليا أحد ملوك الروم بعد الاسكندر بن فلبيس المحدث جدد حفر هذا الخليج وسارت فيه السفن وذلك قبل الهجرة النبوية بنيف واربع مائة سنة ثم ان عمرو بن العاص رضى الله عنه جدد حفره لما فتح مصر واقام فى حفره ستة اشهر وجرى فيه السفن بحمل الميرة الى الحجاز فسمى خليج امير المؤمنين يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانه هو الذى اشار بحفره ولم تزل تجرى فيه السفن من فسطاط مصر الى مدينة القلزم التي كانت على حافة البحر الشرق حيث الموضع الذى يعرف اليوم على البحر بالسويس وكان يصب ماء النيل فى البحر من عنده مدينة القلزم الى أن أمر الخليفة أبو جعفر المنصور ببطمه فى سنة خمس ومائة فطم وبقي منه ما هو موجود الآن وسبأ فى الكلام عليه مبسوطا ان شاء الله تعالى عند ذكر طواهر القاهرة من هذا الكتاب (بحر أبى المنجأ) هذا الخليج تسميه العامة بحر أبى المنجأ الذى حفره الافضل بن امير الجيوش

في سنة ست وخمس مائة وكان على حفره أبو المنجب بن شعيب اليهودي فعرف به وقد ذكر خبر هذا الخليج عند ذكر مناظر الخلفاء ومواضع نزلهم من هذا الكتاب (الخليج الناصري) هذا الخليج في ظاهر المقس حفره الناصر محمد بن قلاوون في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقد ذكر في موضعه من هذا الكتاب

*** (ذكر ما كانت عليه ارض مصر في الزمن الاول) ***

قال المسعودي وقد كانت ارض مصر على ما زعم أهل الخبرة والعناية بأخبار شأن العالم يركب ارضها ماء النيل وينسط على بلاد الصعيد الى أسفل الارض وموضع القسطاط في وقتنا هذا وكان بدء ذلك من موضع يعرف بالجنادل بين اسوان والنوبة الى أن عرض لذلك موانع من انتقال الماء وجريانه وما يتصل من النوبة بتياره من موضع الى موضع فنضب الماء عن بعض المواضع من بلاد مصر وسكن الناس بلاد مصر ولم يزل الماء ينضب عن ارضها قليلا قليلا حتى امتلأت ارض مصر من المدن والعمائر وطرق الماء وحفرها والخليجان وعقدوا في وجهه المسببات الى أن خفي ذلك على ساكنيها لان طول الزمان ذهب بمعرفة أول سكناهم كيف كان انتهى قلت ومما ذكره أرسططاليس في كتاب الاسرار العلوية أن ارض مصر كان النيل ينسط عليها فيطبقها كأنها بحر ولم يزل الماء ينضب عنها ويبس ما عدا منها أولا فأتوا ويسكن الى أن امتلأت بالمدن والقرى والناس ويقال ان الناس كانوا قبل سكني مدينة منف يسكنون بسفح الجبل المقطم في منازل كثيرة ونقروها وهي المغاير التي في الجبل المقابل لمنف من قبلي المقطم في الجبل المتصل بدير القصير الذي يعرف بدير البغل المطل على ناحية طرى ومن وقف عند اهرامهم يراى المغاير في الشرق وبينهما النيل ومن صعد من طرا الى الجبل وسار فيه دخلها وهي مغاير متسعة وفيها مغاير تنفذ الى القلزم تسع المغارة منها أهل مدينة واذا دخلها أحسد ولم يمتد على ما يده على المخرج هلك في تحيرها ويقال كانت مصر حرداء لانيات بها فاقطعها متوشلح بن اخنوخ بن برد بن مهلايل بن قتيان ابن انوس بن نسب بن آدم لطائفة من اولاده فلما نزلوها وجدوا فيها اقدس ما بين الجبلين فنضب الماء عن ارض زروعها فأخرجت الارض بركاها ثم بعد زمان اخذها عنقاص الاول بن عرياب ابن آدم بالقلبة ونسل بها خلقا عظيما وجهز لقتال اولاد برديس سبعين ألف مقاتل وحفر من البحر الى الجبل نهرا عرضه اربعون قصبة لينبع من ياتيه فأتاه بنو برد فلم يجدوا اليه سبيلا ففزعوا الى الله تعالى فبعث على ارض مصر نارا

*** (ذكر اعمال الديار المصرية وكورها) ***

اعلم ان ارض مصر كانت في الزمن الاول الغابر مائة وثلاثا وخمسين كورة في كل كورة مدينة وثلاثمائة وخمس وستون كورة فلما عمرت ارض مصر بعد بخت نصر صارت على خمس وثمانين كورة ثم تناقصت حتى جاء الاسلام وفيها اربعون عامرة بجميع قرأها لا تنقص شيئا ثم استقرت ارض مصر كما في الجلالة على قسمين الوجه القبلي وهو ما كان في جهة الجنوب من مدينة مصر والوجه البحري وهو ما كان في شمال مدينة مصر * وقد قسمت الارض جميعها قبلها وبحر بها على ستة وعشرين عملا وهي الشرقية والمرتاحية والدقهلية والايوانية ونغر دمياط * الوجه البحري جزيرة قويسنا والغربية والسمنودية والدنجاوية والمنوفية والستراوية وقوه والمزاجيتين وجزيرة بني نصر والبحيرة واسكندرية وضواحيها وحوف دميس * والوجه القبلي الحيزة والاطفيحية والبوصيرية والقيومية والبهنساوية والاشمونين والمنفلوطية والاسيوطية والاشخمية والقوصية وهي أيضا ثلاثون كورة وهي كورة القيوم وفيها مائة وست وخسون قرية ويقال انها كانت ثلثمائة وستين قرية وكورة منف ووسيم خمس وخسون قرية وكورة الشرقية وتعرف بالاطفيحية سبع عشرة قرية وقرى اهناس ومنها قري وكورتا دلاص وبوصيرت قري وكورة اهناس خمس وتسعون قرية سوى الكفور وكورة البهنسا مائة وعشرون قرية وكورة القشن سبع وثلاثون قرية وكورة طجا سبع وثلاثون قرية وحوز سنودة ثمان قري وكورة الاشمونين مائة وثلاث وثلاثون قرية وكورة أسفل انصنا احدى عشرة قرية وكورة سيوط سبع وثلاثون قرية وكورة شطب ثمان قري وكورة اعلا انصنا ثمانية عشرة قرية وكورة قهوه سبع وثلاثون قرية وكورة اخيم والدور ثلاث وستون قرية وكورة السبابة والواحات ثلاث وستون قرية سوى الكفور وكورة هو عشرون قرية وكورة فاو ثمان قري وكورة قناس سبع قري وكورة دندرة عشر قري وكورة فقط ثمان وعشرون قرية وكورة الاقصر خمس قري وكورة اسنا خمس قري وكورة أئمنت سبع قري وكورة

اسوان سبع قرى بجميع قرى الصعيد ألف وثلاث واربعون قرية سوى المنى والكفور في ثلاثين كورة * كورة
أسفل الارض الحوف الشرقي خمس وستون قرية كورة اتريب مائة وثمان قرى سوى المنى والكفور كورة
بنو سبع وثمانون قرية سوى المنى والكفور كورة ثمان مائة وخمسون قرية سوى المنى والكفور كورة بسطة
تسع وثلاثون قرية كورة طراية ثمان وعشرون قرية منها السدير والهامة وفاقوس كورة هريبط ثمان
عشرة قرية سوى المنى والكفور كورة صا وابليل ست واربعون قرية منها سنهور والفرما والعريش بجميع
قرى الحوف الشرقي خمسمائة وتسع وعشرون قرية سوى المنى في سبع كور بطن الريف كورتا دميس
ومنوف مائة واربع قرى سوى المنى والكفور كورة ناطورة منوف اثنتان وسبعون قرية سوى المنى
والكفور كورة ثمان مائة وخمس عشرة قرية كورة بسدة والا فراحون ثلاث وعشرون قرية سوى المنى
والكفور كورة البشرود أربع وعشرون قرية كورة نفرا ثمان عشرة قرية سوى المنى كورة بيا وبوصير
ثمان وثمانون قرية سوى المنى والكفور كورة سمند مائة وثمان وعشرون قرية سوى المنى والكفور كورة
نوسا احدى وعشرون قرية سوى المنى كورة الاوسية اربعون قرية سوى المنى كورة النجوم اربعون قرية سوى
المنى تنيس ودمياط ثلاث عشرة قرية سوى المنى وهي ثلث كورة * الاسكندرية الحوف الغربي كورة صا ثلاث
وسبعون قرية سوى المنى والكفور كورة شباس اثنان وعشرون قرية سوى المنى والكفور كورة البندقون
ثلاث واربعون قرية سوى المنى والكفور كورة حيز البندقون تسع وعشرون قرية سوى المنى والكفور كورة الشران والقرى
كورة ترنوط ثمان قرى كورة خربا اثنان وستون قرية سوى المنى والكفور كورة قرطسا اثنان وعشرون
قرية سوى المنى والكفور كورتا مصيل والمليد تسع واربعون قرية سوى المنى كورتا احنور ورشيد سبع
عشرة قرية البحيرا والحصن بالاسكندرية والكرومات والبعل ومربوط ومدينة الاسكندرية ولوية
ومراقبه مائة واربع وعشرون قرية سوى المنى فالحوف الغربي أربع مائة وتسع واربعون قرية سوى المنى
في ثلاث عشرة كورة قال المسيحي في تاريخه تصير قرى مصر أسفل الارض الف وأربع مائة وتسع وثلاثون قرية
ويكون جميع ذلك بالصعيد وأسفل الارض ألفين وثلاثمائة وخمسة وتسعين قرية * وقال القاضي أبو عبد الله محمد
ابن سلامة القضاي أرض مصر قسمين فمن ذلك صعيدا وهو ما يلي مهب الجنوب منها وأسفل أرضها وهو ما يلي
مهب الشمال منها قسم الصعيد على ثمان وعشرين كورة فمن ذلك كورة الف يوم كلها وكورتا منف ووسيم
وكورة الشرقية وكورتا دلاص وأبوصير وكورة اهناس وكورتا الفشن والهنسا وكورة طما وحيز سنوده
وكورة بويط وكورتا الاشموين وأسفل انصنا وأعلاها وشطب قوص قام وكورة سيوط وكورة قهقهوه وكورتا
انجيم والدير وابشاية وكورة هو وأقنا وفاو وندرة وكورة فقط والاقصر وكورة اسنا وارمنت وكورة اسوان
فهذه كورة الصعيد ومن ذلك كورة أسفل الارض وهي خمس وعشرون كورة وفي نسخة ثلاث وثلاثون كورة
وفي نسخة ثمان وثلاثون كورة فمن ذلك كورة الحوف الشرقي كورتا اتريب وعين شمس وكورتا بنى ونى وكورتا
بسطة وطراية وكورة هريبط وكورة صا وابليل وكورة الفرما والعريش والجفار ومن ذلك كورة بطن الريف
من أسفل الارض كورة بيا وبوصير وكورتا سمند وبوسا وكورتا الاوسية والنجوم وكورة دقه وكورتا تنيس
ودمياط ومنها كورة الجزيرة من أسفل الارض وكورة دميس ومنوف وكورة طوه ومنوف وكورة سخا وبسدة
والا فراحون وكورة مقين وديسا وكورة البشرود * ومن ذلك كورة الحوف الغربي كورة صا وكورة شباس
وكورة البندقون وحيزها وكورة الخيس والشران وكورة خربا وكورة قرطسا ومصيل والمليد وكورتا
اخنا والبحيرة ورشيد وكورة الاسكندرية وكورة مربوط وكورة لوية ومراقبه * ومن كورة القبله كرى الحجاز
وهي كورة الطور وقاران وكورة راية والقلم وكورة ايله وحيزها ومدين وحيزها والعويند والحوراء وحيزها
ثم كورة بدوشغب * وذكر من له معرفة بالخارج وأمر الديوان انه وقف على جريدة عتيقة بخط ابن عيسى بنطر
ابن شغا الكاتب القبطي المعروف بالبوس متولى خراج مصر للدولة الاخشيدية يشغل على ذكر كورة مصر
وقراها الى سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ان قرى مصر بالصعيد اثنان وستون قرية وأسفل الارض ألفان وثلاثمائة وخمس
وتسعون قرية منها بالصعيد تسعمائة وست وخمسون قرية وبأسفل الارض ألف وأربع مائة وتسع وثلاثون قرية
وهذا عدددها في الوقت الذي جردت فيه الجرايد المذ كورة وقد تغيرت بعد ذلك بجرايب ما خرب منها * وقال

ابن عبد الحكم عن الليث بن سعد رضى الله عنه لما ولي الوليد بن رفاعه مصر خرج ليحصى عدة أهلها و ينظر في تعديل الخراج عليهم فأقام في ذلك ستة أشهر بالصعيد حتى بلغ أسوان ومعه جماعة من الكتاب والاعوان يكفونه ذلك بجدة وتسمير وثلاثة أشهر بأسفل الأرض وأحصوا من القرى أكثر من عشرة آلاف قرية فلم يحصر في أصغر قرية منها أقل من خمسمائة جمجمة من الرجال الذين تفرض عليهم الجزية يكون جملة ذلك خمسة آلاف ألف رجل والذي استقر عليه الحال في دولة الناصر محمد بن قلاوون أن الوجه القبلي ستة أعمال وهي من قوص وهو أهلها ومنه أسوان وغرب قولة وعمل اخميم وعمل سيوط وعمل منفوط وعمل الاشمونين وبها الطحاوية وعمل الهندساية الغربية وهو عبارة عن قرى على غربي المنى المار إلى الفيوم وعمل الفيوم وعمل اطفح وعمل الجزيرة والوجه البحري ستة أعمال عمل البحيرا وهو متصل بالبر بالاسكندرية وبرقة وعمل الغربية جزيرة واحدة يشتمل عليها ما بين البحرين وهما البحر المار مسكبه عند دمياط ويسمى الشرقي والبحر الثاني مسكبه عند رشيد ويسمى الغربي والمنوفية ومنها ابيارو جزيرة بنى نصر وعمل قليب وعمل الشرقية وعمل اسبوم طناح ومنها الدقهلية والمرتاحية وهذا الموقع نجر البرلس ونجر رشيد والمنصورة وفي هذا الوجه الاسكندرية ودمياط ولا عمل لهما * واما الواحات فمقطعة وراء الوجه القبلي مغاربة لم تعد في الولايات ولا في الاعمال ولا يحكم عليها والى الاله لطان وانما يحكم عليها من قبل مقطعتها والله تعالى أعلم

ذكر ما كان يعمل في اراضي مصر من حفر الترع وعمارة الجسور ونحو ذلك من أجل ضبط ماء النيل وتصريفه في اوقاته

قال ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب وكانت فريضة مصر بحفر خليجها واقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع جزائرها مائة ألف وعشرين ألفا معهم المساحي والطوريان والاداة يعتقبون ذلك لا يدعون شتاء ولا صيفا * وعن أبي قبيل قال زعم بعض مشايخ أهل مصر أن الذي كان يعمل به بمصر على عهد ملوكها انهم كانوا يقررون القرى في ايدي أهلها كل قرية بكذا معلوم لا ينقص عنهم الا في كل أربع سنين من أجل الظلم وتنقل اليسار فاذا مضت أربع سنين نقص ذلك وعدل تعديلا جديدا فيرقق بمن استحق الرقيق ويزاد على من احتل الزيادة ولا يحمل عليهم من ذلك ما يشق عليهم فاذا انجى الخراج وجمع كان للملك من ذلك الربع خالصا لنفسه يصنع به ما يريد والربع الثاني لحنده ومن يقوى به على حربه وجباية خراجها ودفع عدوه والربع الثالث في مصلحة الأرض وما يحتاج اليه من جسورها وحفر خليجها وبناء قناطرها والقوة للزراعيين على زرعهم وعمارة أرضهم والربع الرابع يخرج منه ربع ما يصيب كل قرية من خراجها فيدفع ذلك للناطقة تنزل او جائحة باهل القرية فكانوا على ذلك والذي يدفع في كل قرية من خراجها هي كنوز فرعون التي يتحدث الناس بها انهم استظهروا فبطلميا الذين يتبعون الكنوز * وذكر ان بعض فراعنة مصر جري خراج مصر اثنين وسبعين ألف ألف دينار وان من عمارته انه ارسل ويسة قمح الى أسفل الأرض والى الصعيد في وقت تنظيف الأرض والترع من العمارة فلم يوجد لها أرض فارغة تزرع فيها وذكر انه كان عند تنهاى العمارة يرسل بأربع وبيات برسيم الى الصعيد والى أسفل الأرض والى أى كورة فان وجد لها موضعا خاليا فرعت فيه ضرب عنق صاحب الكورة وكانت مصر يومئذ عمارتها متصلة أربعين فرسخا في مثلها والفرسخ ثلاثة أميال والبريد أربعة فراسخ فتكون عشرة برد في مثلها ولم تنزل الفراعنة تسلك هذا المسلك الى أيام فرعون مومسي فانه عمرها عدلا وبمناحة وتتابع الظم ثلاث سنين في أيامه قتل لاهل مصر خراج ثلاث سنين وأنفق على نفسه وعساكره من خرائمه ولما كان في السنة الرابعة اضعف الخراج واستقر فاعتاض ما أنفق * وكتب عمرو بن الخطاب رضى الله عنه الى عمرو بن العاص رضى الله عنه ان اسئل المقوقس عن مصر من اين تأتي عمارتها وخراجها فساءله عمرو فقال له المقوقس عمارتها وخراجها من وجوه خمسة ان يستخرج خراجها في ابان واحد عند فراغ أهلها من زروعهم ويرفع خراجها في ابان واحد عند فراغ أهلها من عصر كرومهم ويحفر في كل سنة خليجها وتستترعها وجسورها ولا يقبل مطل أهلها يريد البنى فاذا فعل هذا فيها عمرت وان عمل فيها بخلافه خربت * وعن زيد ابن اسلم عن أبيه قال لما استبطأ عمرو بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن العاص رضى الله عنه في الخراج كتب اليه ان ابعث الى رجلا من أهل مصر فبعث اليه رجلا قديما من القبطه فاستخبره عمرو بن الخطاب رضى الله عنه عن

مصر وخراجها قبل الاسلام فقال يا امير المؤمنين ان لا يؤخذ منها شيء الا بعد عمارتها وعاملها لا ينظر الى العماره وانما يأخذ ما ظهر له كأنه لا يريد لها الا لعام واحد يعرف عمر رضى الله عنه ما قال وقبل من عمرو ما كان يعتذره * وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه للمقوقس انت وليت مصر فم تكون عمارتها قال بخصال ان تحفر واجلناهم واتستجسورها وترعها ولا يؤخذ خراجها الا من غلتها ولا يقبل مطل أهلها ويوفى لهم بالشروط ويدرا الارزاق على العمال لئلا يرتشوا ويرتفع عن أهلها المعاون والهدايا ليكون قوتهم قبل ذلك تعمر ويرجى خراجها * ويقال ان ملوك مصر من القبط كانوا يقسمون الخراج أربعة اقسام قسم لخاصة الملك وقسم لارزاق الجند وقسم لمصالح الارض وقسم يدخر لحادثة تحدث فينفق فيها * ولما ولي عبيد الله ابن الحجاج مصر خراج مصر لهشام بن عبد الملك خرج بنفسه فمخ ارض مصر كلها عامرها ونامرها بما يركبه النيل فوجد فيها مائة ألف ألف فدان والباقي استبحر وتلف واعتبر مدة الحرث فوجد هاستين يوما والحرثان يحرق خمسين فداناً وكانت محتاجة الى أربع مائة ألف وثمانين ألف حرث

*** (ذكر مقدار خراج مصر في الزمن الاول) ***

قال ابن وصيف شاه وكان متقوا وس قسم خراج البلاد أرباعا فربع للملك خاصة يعمل فيه ما يريد ويربع يتفق في مصالح الارض وما يحتاج اليه من عمل الجسور وحفر الخلق وتقوية أهلها على العماره ويربع يدفن لحادثة تحدث أو نازلة تنزل ويربع للجند وكان خراج البلد ذلك الوقت مائة ألف ألف وثلاثة آلاف الف دينار وقسمها على مائة وثلاث كورة بعدة الآلاف ويقال ان كل دينار عشرة مثاقيل من مثاقيلنا الاسلامية وهى اليوم خمس وثمانون كورة أسفل الارض خمس وأربعون كورة والصعيد أربعون كورة وفى كل كورة كاهن يدبرها وصاحب حرب وارتفع مال البلد على يد نارس بن صا مائة ألف ألف دينار وخمسين ألف الف دينار وفى أيام كلكن بن خربنا بن مالىق بن نارس مائة ألف الف دينار وبضعة عشر ألف ألف دينار ولما زالت دولة القبط الاولى من مصر وملكها العمالقة أختل أمرها وكان فرعون الاول يجيئها تسعين ألف ألف دينار يخرج من ذلك عشرة آلاف ألف دينار لمصالح البلد وعشرة آلاف ألف دينار لمصالح الناس من أولاد الملوك وأهل التعفف وعشرة آلاف ألف دينار لاولياء الامر والجند والكتاب وعشرة آلاف ألف دينار لمصالح فرعون ويكنفون لفرعون خمسين ألف ألف دينار * وبلغ خراج مصر فى أيام الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف عليه السلام سبعة وتسعين ألف ألف دينار فاحب ان يته مائة ألف ألف دينار فأمر بوجوه العمارات واصلاح جسور البلد والزيادة فى استنباط الارض حتى بلغ ذلك وزاد عليه * وقال ابن دحية وجيئ مصر فى أيام القراعنة فبلغت تسعين ألف ألف دينار بالدينار الفرعونى وهو ثلاثة مثاقيل من مثاقيلنا المعروف الآن بصرا الذى هو أربعة وعشرون قيراطا لكل قيراط ثلاث حبات من قمح فيكون بحسب ذلك مائتى ألف ألف وسبعين ألف ألف دينار مصرية وذكر الشريف الخزانى انه وجد فى بعض البرابى بالصعيد مكتوبا باللغة الصعيدية مما نقل بالعربية مبلغ ما كان يستخرج لفرعون يوسف عليه السلام وهو الريان بن الوليد من أموال مصر بحق الخراج مما يوجبه الخراج وسائر وجوه الجبايات لسنة واحدة على العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير تأول ولا اصطهاد ولا مشاحة على عظيم فضل كان فى يد المؤدى (سبحه وبعد) وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان نظر الاعاملين وتقوية لحالهم من العين أربعة وعشرون ألف ألف دينار واربع مائة ألف دينار وذكر ما فيه كافي خبر الحسن بن على الاسدى * وقال الحسن بن على الاسدى اخبرنى أبى قال وجدت فى كتاب قبطى باللغة الصعيدية مما نقل الى اللغة العربية ان مبلغ ما كان يستخرج لفرعون مصر بحق الخراج الذى يوجد وسائر وجوه الجبايات لسنة كاملة على العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير اصطهاد ولا مناقشة على عظيم فضل كان فى يد المؤدى (سبحه وبعد) وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان رفقاً بالمعاملين وتقوية لهم من العين أربعة وعشرين ألف ألف دينار وأربع مائة ألف دينار من جهات مصر وذلك ما يصرف فى عماره البلاد لحفر الخلق واتقان الجسور وسد الترع واصلاح السبل والساسة ثم فى تقوية من يحتاج التقوية من غير رجوع عليه بها لاقامة العوامل والتوسعة فى البدار وغير ذلك وثمان الآلات واجرة من يستعان به من الاجراء لجل الاصناف وسائر نفقات تطرئ على اراضيهم من العين ثمان مائة ألف دينار ولما يصرف فى ارزاق الاولياء الموسومين بالسلاح وحملته والعلمان واشيائهم مع ألف كاتب موسومين

بالداوين سوى اتباعهم من الخزان ومن يجري مجراهم وعدتهم مائة ألف وأحد عشر ألف رجل من العين ثمانية
 آلاف ألف دينار وما يصرف في الارامل واليتام فراضا لهم من بيت المال وان كانوا غير محتاجين اليه حتى لا يتخلو
 آمالهم من يتصل بهم من العين اربع مائة ألف دينار وما يصرف في كهنة برايههم وأئمتهم وسائر بيوت صلواتهم
 من العين مائة ألف دينار وما يصرف في الصدقات وينادي في الناس برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة
 فليحضر فلا يرعد عند ذلك أحد والامناء جلوس فاذا روي رجل لم تجر عادة بذلك افرد بعد قبض ما يقبضه حتى اذا
 فرق المال واجتمع من هذه الطائفة عدة دخل امناء فرعون اليه وهنوه بتفرقة المال ودعوا له بالبقا والسلامة
 وأمنوا حال الطائفة المذكورة فيأمر بتغيير شعنها بالحمام واللباس وبمعة الاسمطة وبأكلون ويشربون ثم يستعلم
 من كل واحد سبب فاقته فان كان من آفة الزمان رده عليه مثل ما كان واكثر وان كان عن سوء رأى وضعف تدبير
 ضمه الى من يشرف عليه ويقوم بالامر الذي يصلح له من العين ما يتألف دينار فذلك جملة ماتين وفصل في هذه
 الجهات المذكورة من العين تسعة آلاف ألف وثمانمائة ألف دينار ويحصل بعد ذلك ما يتسلمه فرعون في بيوت
 أمواله عدة لنواب الدهر وحادثات الزمان من المئين اربعة عشر ألف ألف دينار وستة مائة ألف دينار وقيل
 لبعضهم متى عقدت مصر تسعين ألف ألف دينار قال في الوقت الذي ارسل فرعون بوية فتح الى اسفل الارض
 والى الصعيد فلم يجداهما موضعا تبذرفيه لشغل جميع البلاد بالعمارة

(ذكر ما عمله المسلمون عند فتح مصر في الخراج وما كان من أمر مصر في ذلك مع القبط)

قال زهير بن معاوية حدثنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت العراق
 درهمها وقنبرها ومنعت الشام مدها ودينارها ومنعت مصر أربها وعدتم من حيث بدأتم قال أبو عبيد قد
 اخبرني الله عليه وسلم بما لم يكن وهو في علم الله كانت فتحة لفظه على لفظ الماضي لانه ماض في علم الله وفي
 اعلامه بهذا قبل وقوعه ما دل على اثبات نبوته ودل على رضاه من عمر رضى الله عنه ما وظفه على الكفرة من
 الخراج في الامصار وفي تفسير المنع وجهان * أحدهما انه علم انهم سيملون ويسقط عنهم ما وظف عليهم فصاروا
 مانعين باسلامهم ما وظف عليهم بدل عليه قوله وعدتم من حيث بدأتم * وقيل معناه انهم يرجعون عن الطاعة
 والاول احسن * وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن لهيعة لما فتح عمرو بن العاص مصر صولح على جميع
 من فيها من الرجال من القبط بمن راق الحلم الى ما فوق ذلك ليس فيهم امرأة ولا صبي ولا شيخ على دينارين
 دينارين فأحصوا ذلك فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف وعن هشام بن أبي ربيعة النخعي ان عمرو بن العاص
 لما فتح مصر قال لقبط مصر ان من كتمني كتم اعنده فقد ردت عليه قتله وان قبطيا من أرض الصعيد قال له بطرس
 ذكر لعمر وان عنده كثر فارسل اليه فساءله فأذكر ووجدت في السجين وعمر ويسأل عنه هل تسمعونه يسأل عن
 أحد فقالوا لا انما سمعناه يسأل عن راهب في الطور فأرسل عمرو الى بطرس فترع خاتمه ثم كتب الى ذلك الراهب
 ان ابعث الى بما عندك وختمه بخاتمه فجاء الرسول بقله شامية محتومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة
 مكتوب فيها ما لكم تحت الفسقية الكبيرة فأرسل عمرو الى الفسقية فحبس عنها الماء ثم قلع البلاط الذي تحتها
 فوجد فيها اثنين وخمسين اردبا ذهبيا مصر يامضروبة فضرب عمرو رأسه عند باب المسجد فاخرج القبط كنوزهم
 شققا ان ينبغي على أحد منهم فيقتل كما قتل بطرس * وعن يزيد بن أبي حبيب ان عمرو بن العاص استحل مال قبطي
 من قبط مصر لانه استقر عنده انه يظهر الروم على عورات المسلمين ويكتب اليهم بذلك فاستخرج منه بضعا وخمسين
 اردبا دنائير قال ابن عبد الحكم وكان عمرو بن العاص رضى الله عنه يبعث الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه
 بالجزية بعد حبس ما كان يحتاج اليه وكانت فريضة مصر لحفر خلجها واقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع
 جزائرها مائة ألف وعشرين الفامعهم الطور والمساحي والاداة يعقبون ذلك لا يدعون ذلك صيفا ولا شتاء
 ثم كتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان تختم في رقاب أهل الذمة بالرصاص ويظهروا مناطقهم ويجزوا
 نواصيهم ويركبوا على الاكف عرضا ولا يضربوا الجزية الاعلى من جرت عليه الموسى ولا يضربوا على النساء
 ولا على الولدان ولا تدعهم يتشبهون بالمسلمين في ملبوسهم * وعن يزيد بن أسلم ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه
 كتب الى امرأه الاجنادان لا يضربوا الجزية الاعلى من جرت عليه الموسى وجزيتهم اربعون درهما على أهل
 الورق وأربعة دنائير على أهل الذهب وعليهم من ارزاق المسلمين من الحنطة والزيت مئتان من حنطة وثلاثة

اقساط من زيت في كل شهر لكل انسان من أهل الشام والجزيرة وودك وعسل لادري كم هو ومن كان من أهل مصر فأردب في كل شهر لكل انسان ولا أدري كم الودك والعسل وعليهم من البر الكسوة التي يكسوها أمير المؤمنين الناس ويضيقون من نزلهم من أهل الاسلام ثلاثة أيام وعلى أهل العراق خمسة عشر صاع لكل انسان ولا أدري كم لهم من الودك وكان لا يضرب الجزيرة على النساء والصبيان وكان يختم في اعناق رجال أهل الجزيرة وكانت وية عمر في ولاية عمرو بن العاص ستة امداد قال وكان عمرو بن العاص لما استوثق له الامراء أقرب قطبها على جباية الروم فكانت جبايتهم بالتعديل اذا عمرت القرية وكثراً أهلها زيد عليهم وان قل أهلها وخربت نقصوا فيجتمع عزافوا كل قرية وامراءها ورؤساء أهلها فيتناظرون في العجالة والخراب حتى اذا أقروا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة الى الكور ثم اجتمعوا هم ورؤساء القرى فوزعوا ذلك على احوال القرى وسعة المزارع ثم يجتمع كل قرية بقسمهم فيجمعون قسمة وخراج كل قرية وما فيها من الارض العاصرة فيبتدون ويخرجون من الارض فدادين لكتائبهم وجباياتهم ومعدياتهم من جلة الارض ثم يخرج منها عدد الضيافة للمسلمين ونزول السلطان فاذا فرغوا نظروا لما في كل قرية من الصنائع والاجراء فقسموها عليهم بقدر احوالهم فان كانت فيهم جالية قسموا عليها بقدر احوالها وقلبا كانت تكون للرجل الشاب أو المتزوج ثم ينظرون ما بقي من الخراج فيقسمونه بينهم على عدد الارض ثم يقسمون ذلك بين من يريد الزرع منهم على قدر طاقتهم فان عجز أحد منهم وشكا ضعفا عن زرع أرضه وزعوا ما عجز عنه على ذوى الاحتمال وان كان منهم من يريد الزيادة اعطى ما عجز عنه أهل الضعف فان تشاحوا قسموا ذلك على عدتهم وكانت قسمة على قراريط الدنانير أربعة وعشرين قراريطا يقسمون الارض على ذلك ولذلك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انكم ستفقدون أرضا كثر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا وجعل لكل فدان عليهم نصف أردب قمح وويتين من شعير الا القيراط فلم يكن عليه ضريبة والوية ستة امداد وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأخذ من صالحه من المعاهد من ماسي على نفسه لا يضع من ذلك شيئا ولا يزيد عليه ومن نزل منهم على الجزيرة ولم يسم شيئا يؤدبه نظر عمر في امره فاذا احتاجوا خفف عنهم وان استغنوا زاد عليهم بقدر استغنائهم * وقال هشام بن ابي رقية اللخمي قدم صاحب اخنا على عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال له اخبرنا ما على أحدنا من الجزيرة فنصيرها فقال عمرو وهو يشير الى ركن كنيسة لوأعطيتني من الارض الى السقف ما أخبرتك ما عليك انما انتم خزنة لئان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم ومن ذهب الى هذا الحديث ذهب الى ان مصر قحت عنوة * وعن يزيد بن ابي حبيب قال قال عمر بن عبد العزيز ايماناً في أسلم فان اسلامه يحوز له نفسه وماله وما كان من أرض فانما من في الله على المسلمين واما يقوم صالحوا على جزيرة يعطونها فمن أسلم منهم كانت داره وارضه لبيقتهم * وقال الليث كتب الى يحيى بن سعيد أن ما باع القبط في جزيتهم وما يؤخذون به من الحق الذي عليهم من عبد أو ولادة أو دين أو برة أو دابة فان ذلك جائز عليهم فمن ابتاعه منهم فهو غير مردود عليهم ان أسبروا وما أكرأوا من أرضهم بخائز كراؤه الا ان يكون يضر بالجزيرة التي عليهم فلعل الارض ان ترد عليهم ان اضرت بجزيتهم وان كان فضلا بعد الجزيرة فانما نرى كراهة جازا لمن يكرهاه منهم قال يحيى فتعني نقول الجزيرة جزيتان جزية على رؤس الرجال وجزية جلة تكون على أهل القرية يؤخذ بها أهل القرية فمن هلك من أهل القرية التي عليهم جزية مسمومة على القرية ليست على رؤس الرجال فانما نرى أن من هلك من أهل القرية ممن لا ولادة ولا وارث ان أرضه ترجع الى قريته في جلة ما عليهم من الجزيرة ومن هلك ممن جزيته على رؤس الرجال ولم يدع وارثا فان أرضه للمسلمين وقال الليث عن عمر بن عبد العزيز الجزية على الرؤس وليست على الارضين يريد أهل الذمة * وكتب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح أن يجعل جزية موتى القبط على احيائهم وهذا يدل على أن عمر كان يرى أن أرض مصر قحت عنوة وان الجزيرة انما هي على القرى فمن مات من أهل القرى كانت تلك الجزيرة ثابتة عليهم وان مات منهم لا يضع عنهم من الجزية شيئا قال ويحتمل أن تكون مصر قحت بصلح فذلك الصلح ثابت على من بقي منهم وان مات من مات منهم لا يضع عنهم من الجزية شيئا * قال الليث وضع عمر بن عبد العزيز الجزية على من أسلم من أهل الذمة من أهل مصر والحق في الديوان صلح من أسلم منهم في عشائره من أسلموا على يديه وكانت تؤخذ قبل ذلك ممن أسلم وأول من اخذ الجزيرة ممن أسلم من أهل الذمة الحجاج بن يوسف ثم كتب عبد الملك بن مروان الى

عبد العزيز بن مروان ان يضع الجزية على من اسلم من اهل الذمة فكلهم ابن عجيبة في ذلك فقال اعبدك باالله
 ايها الامير ان تكون اول من سن ذلك بمصر فوالله ان اهل الذمة ليتحملون جزية من ترهب منهم فكيف نضعها
 على من اسلم منهم فتركهم عند ذلك * وكتب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح ان تضع الجزية عن اسلم
 من اهل الذمة فان الله تبارك وتعالى قال فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور
 رحيم وقال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدنون من
 الحق من الذين اتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون * وكتب حيان بن شريح الى عمر بن
 عبد العزيز اما بعد فان الاسلام قد اضر بالجزية حتى سلفت من الحارث بن ثابتة عشرين ألف دينار اتمت
 بها عطاء اهل الديوان فان رأى امير المؤمنين ان يامر بقضائها فعل * فكتب اليه عمر اما بعد فقد بلغني كتابك
 وقد وليتك جند مصر وانا عارف بضعفك وقد امرت رسولك بضربك على رأسك عشرين سوطا فضع الجزية عن
 من اسلم قبج الله وأيك فان الله انما بعث محمد صلى الله عليه وسلم هاديا ولم يعنه جابيا ولعمري لعمر أشق من
 أن يدخل الناس كلهم الاسلام على يديه قال ولما استبطن عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخراج من قبل عمرو
 ابن العاص ككتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر امير المؤمنين الى عمرو بن العاص سلام
 الله عليك فاني اجد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فاني فكرت في امرك والذي انت عليه فاذا ارضك
 ارض واسعة عريضة رقيقة وقد أعطى الله أهلها عددا وجلدا وقوة في بتر وبحر وأنفا قد عالجتها القراعنة
 وعملوا فيها عملا محكما مع شدة عنتهم وكفرهم فنجبت من ذلك وأعجب مما عجت انها لا تؤدى نصف ما كانت
 تؤدیه من الخراج قبل ذلك على غير قحوط ولا جدب ولقد اكرت في مكاتبك في الذي على ارضك من الخراج
 وظننت أن ذلك سيأتينا على غير نزر ورجوت أن تنفيق قترفع الى ذلك فاذا أنت تأتيني بعمار يض تعبا بها
 لا توافق في نفسي لست قابلا منك دون الذي كانت تؤخذ به من الخراج قبل ذلك ولست أدري مع ذلك
 ما الذي نفرلك من كتابي وقبضك فلن كنت محجرا با كافيما صححنا البراءة لنا فعة وان كنت مضيعا نطعان الامر
 لعلي غير ما تحدث به نفسك وقد تركت ان ابني ذلك منك في العام الماضي رجاء أن تنفيق قترفع الى ذلك وقد
 علمت انه لم ينعك من ذلك الا أن عمالك عمال السوء وما قال الس عليك وتلفف اتخذوك كهفا وعندي باذن الله دواء
 فيه شفاء عما سألك فيه فلا تجزع اباعبد الله أن يؤخذ منك الحق وتعطاه فان النهر يخرج الدر والحق أبلج
 ودعني وما عنه تلجلج فانه قد برح الخفا والسلام * فكتب اليه عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم لعبد
 الله عمر امير المؤمنين من عمرو بن العاص سلام الله عليك فاني اجد الله الذي لا اله الا هو اما بعد فقد بلغني
 كتابك امير المؤمنين في الذي استبطن في فيه من الخراج والذي ذكر فيها من عمل القراعنة قبلي وأعجابه من
 خراجها على ايديهم ونقص ذلك منها ما كان الاسلام ولعمري للخراج يومئذ أوفر واكثر والارض اعمر لانهم
 كانوا على كفرهم وعنتهم أرغب في عمارة أرضهم منها ما كان الاسلام وذكرت ان النهر يخرج الدر ولحباتها حلبا
 قطع درهما واكثر في كتابك واثبت وعرضت وترتبت وعلت أن ذلك عن شيء تحقيقه على غير خبر فجت لعمرى
 بالقطعات المقتدعات ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم بليغ صادق ولقد عملنا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ولن بعده فكلنا محمد الله مؤدين لآماناتنا حافظين لما عظم الله من حق ايماننا في غير ذلك قبضا
 والعمل به شيئا فتعرف ذلك لنا وصدق فيه قلبنا معاذ الله من تلك الطعم ومن شر السليم والاجترأ على كل مأثم
 فأمرض عمالك فان الله قد نزهنى عن تلك الطعم الدينية والرغبة فيها بعد كتابك الذي لم نستبق فيه عرضا ولم تكرم فيه اخوا
 والله يا ابن الخطاب لانا حين يراد ذلك مني أشد غضبا لنفسي ولها انزاهها واكراما وما علمت من عمل ارى عليه فيه
 متعلقا ولكني حفظت ما لم تحفظ ولو كنت من يهود يثرب ما زدت يغفر الله لك ولنا وسكت عن اشياء كنت بها عالما
 وكان اللسان بهامني ذلولا ولكن الله عظم من حقل ما لا يجهل * فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه من
 عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص سلام الله عليك فاني اجد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فاني قد عجبت من
 كثرة كتبك اليك في ابطائك بالخراج وكتابك الى بني سنان الطرق وقد علمت اني لست ارضى منك الا بالحق البين
 ولم اقدمك الى مصر أجملها لك طعمة ولا لقومك ولا كني وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن
 سياستك فاذا اتاك كتابي هذا فاحمل الخراج فانما هو في المسلمين وعندي من قد تعلم قوم محصورون والسلام *

فكتب اليه عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص سلام عليك فاني اجد الملك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فقد اتاني كتاب امير المؤمنين يستبطني في الخراج ويزعم اني احيد عن الحق وانكثت عن الطريق واني والله ما ارجع عن صالح ما تعلم ولكن اهل الارض استنظروني الى ان تدرك غلظتهم فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيرا من ان تخرق بهم فيصيروا الى بيع مالا غنياهم عنه والسلام * وقال الليث بن سعد رضى الله عنه جباها عمرو بن العاص رضى الله عنه اثني عشر ألف ألف دينار وجباها المقوقس قبله لسنة عشرين الف دينار فعند ذلك كتب اليه عمر بن الخطاب بما كتب وجباها عبد الله بن سعد بن سرخ حين استعمله عثمان رضى الله عنه على مصر أربعة عشر الف دينار فقال عثمان لعمر بن العاص بعد ما عزله عن مصر يا ابا عبد الله درت اللقحة بأكثر من درها الا قول قال أضررتهم بولدها فقال ذلك ان لم يمت الفصيل * وكتب معاوية بن ابي سفيان الى وردان وكان قدولى خراج مصر أن زد على كل رجل من القبط قبرا ما فكتب اليه وردان كيف يزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزد عليهم شيء فعزله معاوية وقيل في عزل وردان غير ذلك * وقال ابن لهيعة كان الديوان في زمان معاوية أربعين ألفا وكان منهم أربعة آلاف في مائتين مائتين فأعطى مسلمة بن مجاهد أهل الديوان عطياتهم وعطيات عيالهم وارتاقهم ونواب البلاد من الجسور وأرزاق الكتبة وحلان القمح الى الحجاز ثم بعث الى معاوية بسمائة ألف دينار فضل * وقال ابن عفير فلما نهضت الابل لقيهم برح بن كسحل الممرى فقال ما هذا ما بال مالنا يخرج من بلادنا ردوه فردوه حتى وقف على باب المسجد فقال أخذتم عطياتكم وأرزاقكم وعطاء عيالكم ونوابكم قالوا نعم قال لا بارك الله لهم فيه خذوه فساووا به * وقال بعضهم جى عمرو بن العاص عشرة آلاف دينار فكتب اليه عمر بن الخطاب بعجزه ويقول له جباية الروم عشرون ألف ألف دينار فلما كان العام المقبل جباها عمرو اثني عشر ألف ألف دينار * وقال ابن لهيعة جى عمرو بن العاص الأسكندرية الجزية ستمائة ألف دينار لانه وجد فيها ثلاثمائة ألف من اهل الذمة فرض عليهم دينارين دينارين والله تعالى أعلم

* (ذكر انتقاض القبط وما كان من الاحداث في ذلك) *

خرج الامام ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال **ك**يف أنتم اذا لم تجبوا دينارا ولا درهما قالوا وكيف نرى ذلك كاشيا ابا هريرة قال اى والذي نفس أبى هريرة بيده عن قول الصادق المصدوق قالوا نعم ذلك قال تنتهك ذمته وذمة رسوله فيشد الله عز وجل قلوب اهل الذمة فيمنعون ما في أيديهم قال ابو عمرو ومحمد بن يوسف الكندى في **ك**تاب امراء مصر وفي امرأة الحر بن يوسف أمير مصر كتب عبد الله بن الحجاج صاحب خراجها الى هشام بن عبد الملك بأن ارض مصر تحتل الزيادة فزاد على كل دينار قبرا ما فاتت كورة تنودى وقرى بطرأيه وعامة الحوف الشرقى فبعث اليهم الحر بأهل الديوان فخار بهم فقتل منهم بشر كثير وذلك اول انتقاض القبط بمصر وكان انتقاضهم في سنة سبع ومائة ورابط الحر بن يوسف بمياط ثلاثة أشهر ثم انتقض اهل الصعيد وحارب القبط عمالهم في سنة احدى وعشرين ومائة فبعث اليهم حنظلة بن صفوان أمير مصر اهل الديوان فقتلوا من القبط ناسا كثيرا وظفر بهم وخرج بجيش رجل من القبط في سمود فبهت اليه بعبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير أمير مصر فقتل بجيش في كثير من اصحابه وذلك في سنة اثنين وثلاثين ومائة وخالفت القبط برشيد فبعث اليهم مروان بن محمد الجعدى لما دخل مصر فارا من بنى العباس بعثمان بن ابي تسعة فهزمهم وخرج القبط على يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة أمير مصر بناحية سخاونا بدوا العمال وأخرجوهم وذلك في سنة تسعين ومائة وصاروا الى شبرا سنباط وانضم اليهم اهل الشروذ والاريسية والنجوم فأتى الخبر يزيد بن حاتم فعقد لنصر بن حبيب المهلبى على أهل الديوان ووجوه مصر فخرجوا اليهم فبهم القبط وقتلوا من المسلمين قاتلى المسلمون النار في عسكر القبط وانصرف المسلمون الى مصر منهم زمين وفي ولاية موسى بن علي بن رباح على مصر خرج القبط يلهيب في سنة ست وخسين ومائة فخرج اليهم عسكر فهزمهم ثم انتقضوا مع من انتقض في سنة ست عشرة ومائتين فأوقع بهم الافشين في ناحية الشروذ حتى نزلوا على حكم أمير المؤمنين عبد الله المأمون فحكم فيهم بقتل الرجال وبيع النساء والاطفال فبيعوا وسبي أكثرهم ومن حينئذ أذل الله القبط في جميع أرض مصر وخذل شوكتهم فلم

يقدر أحد منهم على الخروج ولا القيام على السلطان وغلب المسلمون على القرى فغاد القبط من بعد ذلك إلى كبد الاسلام وأهله بأعمال الحيلة واستعمال المكر وتكتوا من النكاية بوضع أيديهم في كآب الخراج وكان للمسلمين فيهم وقائع يأتي خبرها في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

* (ذكر نزول العرب بريف مصر واتخاذهم الزرع معاشا وما كان في نزولهم من الاحداث) *

قال الكندي وفي ولاية الوليد بن رفاعه الفهمي على مصر نقلت قيس إلى مصر في سنة تسع ومائة ولم يكن بها أحد منهم قبل ذلك الا ما كان من فهم وعدوان فوفد ابن الحجاب على هشام بن عبد الملك فسأله أن ينقل إلى مصر منهم ابياتا فأذن له هشام في لحاق ثلاثة آلاف منهم وتحويل ديوانهم إلى مصر على أن لا ينزلهم بالقسطاط فعرض لهم ابن الحجاب وقدم بهم فانزلهم الخوف الشرقي وقرتهم فيه ويقال ان عبيد الله بن الحجاب لما ولاه هشام بن عبد الملك مصر قال ما أرى لقيس فيها حظا الا الناس من جديله وهم فهم وعدوان فكتب إلى هشام ان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قد شرف هذا الحى من قيس ونعشهم ورفع من ذكركم واني قدمت مصر ولم أر لهم حظا الا ابياتا من فهم وفيما كور ليس فيها أحد وليس بضر بأهلها نزولهم معهم ولا يكسر ذلك خراجا وهي بليس فان رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحى من قيس فليفعل فكتب إليه هشام انت والذنبعت إلى البادية فقدم عليه مائة أهل بيت من بني نضر ومائة أهل بيت من بني سليم فانزلهم بليس وأمرهم بالزرع ونظر إلى الصدقة من العصور فصر فيها اليهم فاشترؤا ابلا فكانوا يحملون الطعام إلى القفر وكان الرجل يصيب في الشهر العشرة ديناروا أكثر ثم أمرهم باشتراء الخيول فجعل الرجل يشتري المهر فلا يمكث الا شهرا حتى يركب وليس عليهم مؤونة في علف ابليهم ولا خيلهم بلجودة مرعاهم فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحملاوا اليهم فوصل اليهم خمسمائة أهل بيت من البادية فكانوا على مثل ذلك فأقاموا سنة فأتاهم نحو من خمسمائة أهل بيت فصار بليس ألف وخمسمائة أهل بيت من قيس حتى اذا كان زمن مروان بن محمد وولى الحويزة بن سهيل الباهلي مصر مالت إليه قيس فبات مروان وبها ثلاثة آلاف أهل بيت ثم تولدوا وقدم عليهم من البادية من قدم * وفي سنة ثمان وسبعين ومائة كشف اسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس أمير مصر أمر الخراج وزاد على المزارعين زيادة اجحفت بهم فخرج عليه اهل الخوف وعسكروا فبعث اليهم الجيوش وحاربهم فقتل من الجيش جماعة فكتب إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد يخبره بذلك فعقد له رثمه بن اعين في جيش عظيم وبعث به إلى مصر فقتل الخوف وتلقاه أهله بالطاعة وأذعنوا بأداء الخراج فقبل هرثة منهم واستخرج خراجهم كله ثم ان اهل الخوف خرجوا على الليث بن الفضل البيهقي أمير مصر وذلك انه بعث بمساح يحسبون عليهم أراضي زرعهم فالتصوا من القسبة اصابع قتل الناس إلى الليث فلم يسمع منهم فعسكروا وساروا إلى القسطاط فخرج اليهم الليث في أربعة آلاف من جندهم في شعبان سنة ست وثمانين ومائة فالتقى معهم في رمضان فانهزم عنه الجند في ثاني عشره وبقى في نحو المائتين فحمل بن معه على اهل الخوف فهزهم حتى بلغ بهم غيفة وكان التناؤهم على أرض جب عميرة وبعث الليث إلى القسطاط بثمانين رأسا من رؤس القيسية ورجع إلى القسطاط وعاد اهل الخوف إلى منازلهم ومنعوا الخراج فخرج ليث إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد في محرم سنة سبع وثمانين ومائة وسأله أن يبعث معه بالجيوش فانه لا يقدر على استخراج الخراج من اهل الخوف الا بجيش يبعث معه وكان محفوظ بن سالم يباب الرشيد فرغ محفوظ إلى الرشيد بضمن له خراج مصر عن آخره بلا سوط ولا عصا فولاه الخراج وصرف ليث بن الفضل عن صلات مصر وخراجها وفي ولاية الحسين بن جليل امتنع اهل الخوف من أداء الخراج فبعث أمير المؤمنين هارون الرشيد يحيى بن معاذ في أمرهم فقتل بليس في شوال سنة احدى وتسعين ومائة وصرف الحسين بن جليل عن اماره مصر في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين ومائة وولى مالك بن دلهام وفرغ يحيى بن معاذ من أمر الخوف وقدم القسطاط في جمادى الآخرة فورد عليه كتاب الرشيد يأمره بالخروج إليه فكتب إلى اهل الخوف ان اقدموا حتى أومئى بكم مالك بن دلهام وأدخل بينكم وبينه في أمر خراجكم فدخل كل رئيس منهم من اليمانية والقيسية وقد أعد لهم القيود فأمر بالابواب فأخذت ثم دعا بالاسدي فقيدهم وتوجه بهم للنصف من رجب منها * وفي اماره عيسى بن يزيد الجلودى على مصر ظلم صالح ابن شيرزاد عامل الخراج الناس وزاد عليهم في خراجهم فالتص أهل اسفل الارض وعسكروا فبعث

عيسى بانه محمد في جيش لقتالهم فنزل بليس وحاربهم فنجح من المعركة بنفسه ولم ينج أحد من أصحابه وذلك في
صفر سنة اربع عشرة ومائتين فعزل عيسى عن مصر وولى عمير بن الوليد التميمي فاستعد لحرب اهل الحوف
وسار في جيوشه في ربيع الآخر فزحفوا عليه واقتتلوا فقتل من اهل الحوف جمع وانهمزوا فقتلهم عمير في
طائفة من أصحابه فغطف عليه كمين لاهل الحوف فقتلوه لست عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر فولى عيسى
الجلودي ثانيا وسار اليهم فلقى بهم فمات منهم فماتت بينهم وقعة آلت الى أن انهمز منهم الى القسطنطين واحرق ما نقل
عليه من رحله وخندق على القسطنطين وذلك في رجب وقدم ابو اسحاق بن الرشيد من العراق فنزل الحوف
وأرسل الى أهله فامتنعوا من طاعته فقاتلهم في شعبان ودخل وقد ظفر بعدة من وجوههم الى القسطنطين في شوال
ثم عاد الى العراق في المحرم سنة خمس عشرة ومائتين يجمع من الاسارى فلما كان في جمادى الاولى سنة
ست عشرة ومائتين انتفض أسفل الارض بأسره عرب البلاد وقبضها وأخرجوا العمال وخلعوا الطاعة لسوء
سيرة عمال السلطان فيهم فكانت بينهم وبين عساكر القسطنطين حروب امتدت الى أن قدم الخليفة عبد الله أمير
المؤمنين المأمون الى مصر لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين فمخط على عيسى بن منصور والرافقي
وكان على اماره مصر وأمر بحمل لوائه وأخذ بهلباس البياض عقوبة له وقال لم يكن هذا الحدث العظيم الا عن
فعلك وفعل عمالك حملت الناس ما لا يطيقون وكتمتني الخبر حتى تفاقم الامر واضطرب البلد ثم عقد المأمون على
جيش بعث به الى الصعيد وارتحل هو الى سخا وبعث بالافشين الى القبط وقد خلعوا الطاعة فأوقع بهم في ناحية
البشر ودوحصرهم حتى زلوا على حكم أمير المؤمنين فحكم فيهم المأمون بقتل الرجال وبيع النساء والاطفال
فسي اكثرهم وتبع المأمون كل من بوى اليه بخلاف فقتل ناسا كثيرا ورجع الى القسطنطين في صفر ومضى الى
حلوان وعاد فارتحل لثمان عشرة خلت من صفر وكان مقبلا بالقسطنطين وسخا وحلوان تسعة واربعين
يوما وكان خراج مصر قد بلغ في أيام المأمون على حكم الانصاف في الجباية اربعة آلاف ألف دينار ومائتي ألف
دينار وسبعة وخمسين ألف دينار ويقال ان المأمون لما سار في قرى مصر كان يبنى له بكل قرية دكة يضرب
عليها سراقده والعساكر من حوله وكان يقيم في القرية يوما وليله فترقبه بقال لها اطاء النمل فلم يدخلها
لحقارته فلما تجاوزها خرجت اليه عجوز تعرف بمارية القبطية صاحبة القرية وهي نصيح قطن المأمون مستغيثة
متظلة فوقها وكان لا يبشى أبدا الا والتراحة بين يديه من كل جنس فذكروا له ان القبطية قالت يا أمير المؤمنين
نزلت في كل ضيعة وتجاوزت ضيعتي والقبط تعبرني بذلك وانا أسأل أمير المؤمنين ان يشرفني بحلولة في ضيعتي
ليكون لي الشرف ولعقبى ولا تشمت الاعداء بي وبكت بكاء كثيرا فرقها المأمون ونحى عنان فرسه اليها ونزل
فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وسأله كم تحتاج من الغنم والدجاج والفراخ والسمك والتوابل والسكر والعسل
والطيب والشع والفاكهة والعلوفة وغير ذلك مما جرت به عادته فأحضر جميع ذلك اليه بزيادة وكان مع المأمون
اخوه المعتمد وابنه العباس وأولاد أخيه الوائلي والمتوكل ويحيى بن اكنم والقاضي أحمد بن داود فأحضرت
الكل واحد منهم ما يخصه على انفراد ولم تكل أحد منهم ولا من القواد الى غيره ثم أحضرت للمأمون من
فاخر الطعام ولذيذه شيئا كثيرا حتى انه استعظم ذلك فلما أصبح وقد عزم على الرحيل حضرت اليه ومعهما عشر
وصائف مع كل وصيفة طبق فلما عاينها المأمون من بعد قال لمن حضر قد جاءكم القبطية بهدية الريف الكاخي
والصنماء والصبر فلما وضعت ذلك بين يديه اذا في كل طبق كيس من ذهب فاستحسن ذلك وأمرها باعادته فقالت
لا والله لأفعل فتأمل الذهب فاذا به ضرب عام واحد كله فقال هذا والله اعجب وربما يعجز بيت ما لتناع مثل
ذلك فقالت يا أمير المؤمنين لا تكسر قابضنا ولا تحتقر بنا فقال ان في بعض ما صنعت لكفاية ولا تحب التثقل عليك
فردى مالك بارك الله فيك فأخذت قطعة من الارض وقالت يا أمير المؤمنين هذا واشارت الى الذهب من هذا
واشارت الى الطينة التي تناولتها من الارض ثم من عدك يا أمير المؤمنين وعندى من هذا اثني عشر فأمر به
فأخذ منها وأقطعها عدة ضياع وأعطاهما من قرىها اطاء النمل مائتي فدان بنير خراج وانصرف متجها من كبر
مروءتها وسعة حالها

ذكر قبالات اراضي مصر بعد ما فشا الاسلام في القبط ونزل العرب في القرى وما كان من ذلك الى الزول
الاخير الناصري

وكان من خبر أراضى مصر بعد نزول العرب بأريافها واستيطانهم وأهاليهم فيها واتخاذهم الزرع معاشا وكسبا
وانقياد جمهور القبط الى اظهار الاسلام واختلاط أنسابهم بأنساب المسلمين لنكاحهم المسلمات أن متولى خراج
مصر كان يجلس في جامع عمرو بن العاص من القسطاط في الوقت الذى تنهى فيه قبالة الاراضى وقد اجتمع الناس
من القرى والمدن فيقوم رجل ينادى على البلاد صفقات صفقات وكأب الخراج بين يدي متولى الخراج يكتبون
ما ينهى اليه مبالغ الكور والصفقات على من يتقبلها من الناس وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها بالاربع سنين
لأجل الظنم والاستبحار وغير ذلك فاذا انقضى هذا الامر خرج كل من كان تقبل أرضا وضمنها الى ناحيته
فيتولى زراعتها واصلاح جسورها وسائر وجوه اعمالها بنفسه وأهله ومن يتدبه لذلك ويحمل ما عليه من
الخراج في ابائه على ما قساط ويحسب له من مبلغ قبائله وضمائنه لتلك الاراضى ما ينقعه على عمارة جسورها
وسد تراعيها وحفر خلجها بضرابه مقدرة في ديوان الخراج ويتأخر من مبلغ الخراج في كل سنة في جهات الضمان
والمقبولين يقال لما تأخر من مال الخراج البواقى وكانت الولاة تشدد في طلب ذلك مرة وتسامح به مرة فاذا
مضى من الزمان ثلاثون سنة حوّلوا السنة ورا كوا البلاد كلها وعدلوا تعديلا جديدا فزيد فيما يحتمل الزيادة
من غير ضمان البلاد ونقص فيما يحتاج الى التنقيص منها ولم يزل ذلك يعمل في جامع عمرو بن العاص الى ان
عمر أحمد بن طولون جامعهم وصار العسس كمنزلا امراء مصر فنقل الديوان الى جامع أحمد بن طولون ثم نقل
ايام العزيز بالله نزار الى دار الوزير يعقوب بن كلس فلما مات الوزير نقل الديوان الى القصر بالقاهرة واستقر به مدة
الدولة الفاطمية ثم نقل منه بعد هاوسا تلوا عليك من نبأ ذلك ما يتضح به ما ذكرت قال ابن ذولاق في كتاب اخبار
الماردانيين كتاب مصر وحضر أبو الحسن وهب بن اسماعيل مجلس أبي بكر بن علي المارداني في المسجد
الجامع وهو بعد الضياع فقال له أبو بكر الساعة أمر بالنداء على صفقة فخذها شركة بيني وبينك فنودي على
صفقة فقال أبو بكر اعقدوها على أبي الحسن فعقدت عليه وتحملها فأفضل له اربعين ألف دينار فاستنص
عشرين ألف دينار ولم يدر ما يعمل فيها الى ان اجتمع مع أبي يعقوب كاتب أبي بكر ليتحدثا فقال أبو يعقوب
رأيت الشيخ يعني أبا بكر المارداني في اليوم مشغول القلب اراد جمع مال وقد عجز عنه فقال له أبو الحسن
عندي نحو عشرين ألف دينار فقال جئني بها فأفندها اليه وجاء خطه بالمبلغ فانفق ان مضى أبو الحسن
الى أبي بكر المارداني فقال له تلك الصفقة قد غلقت ما عليها وفضل اربعون ألف دينار وقد حصل عندي
عشرون ألف دينار حملتها الى أبي يعقوب وأرسلت في استخراج الباقي فاجله فقال المارداني ما هذا العجز
انما قلت لك تكون بيني وبينك خوفا من تفرطك وانما اردت حفظ المال عليك ثم امر أبا يعقوب أن يرد عليه
مادفعه اليه وقال لابي الحسن رد عليه خطه فقبض مادفعه الى أبي يعقوب وبلغ خراج مصر في السنة التي
دخل فيها جوهر القائد ثلاثة الاف ألف دينار واربعمائة ألف دينار ونيقا وقال في كتاب سيرة المعز لدين الله
معد ولسنت عشرة بقت من المحترم سنة ثلاث وستين وثلاثمائة قلدا المعز لدين الله الخراج ووجوه الاموال وغير
ذلك يعقوب بن كلس وعسلاوج بن الحسن وجلسا في هذا اليوم في دار الامارة في جامع ابن طولون للنداء على
الضياع وسائر وجوه الاموال وحضر الناس للقبالات وطلبوا البقايا من الاموال معالي المالكين والمتقبولين
والعمال وقال جامع سيرة الوزير الناصر لدين الحسن بن علي البازوري اراد أن يعرف قدر ارتفاع الدولة
وما عليها من النفقات ليقايس بينهم ما تقدم الى اصحاب الدواوين بأن يعمل كل منهم ارتفاع ما يجرى في ديوانه
وما عليه من النفقات فعمل ذلك وسله الى متولى ديوان المجلس وهو زمام الدواوين فنظم عليه عملا جامعاً
وأحضره اياه فرأى ارتفاع الدولة أنى ألف دينار منها الشام ألف ألف دينار ونفقته بازا ارتفاعه ومنها
الريف وباقي الدولة ألف ألف دينار يقف منها عن معلول ومنكسر على موتى وهزأب ومفقود ما ثلث ألف دينار
ويبقى ثمانمائة ألف دينار يصرف منها للرجال عن واجباتهم وكساويهم ثلثمائة ألف دينار وعن ثمن غله للقصور
مائة ألف دينار وعن نفقات القصور ما ثلث ألف دينار وعن عمارت وما يقام للضيوف الواصلين من الملوك
وغيرهم مائة ألف دينار ويبقى بعد ذلك مائة ألف دينار خاضعة يحملها كل سنة الى بيت المال المصون فخطى
بذلك عند سلطانه وخف على قلبه قال وانهى ارتفاع الارض السفلى الى ما لانسبة له من ارتفاعها الاول يعنى
بعد موت البازوري وحدث الفتن وهو قبل سنى هذه الفتن يعنى في ايام البازوري ستمائة ألف دينار

كانت تحمل في دفعتين في السنة في مستهل رجب ثلاثمائة ألف دينار وفي مستهل المحرم ثلثمائة ألف دينار فاقض
الارتفاع وعظمت الواجبات وقال ابن ميسرة وأمر الأفضل بن أمير الجيوش بعمل تقدير ارتفاع ديار مصر فجاء
خمسة آلاف ألف دينار وكان متحصل الأهراء ألف ألف اردب وقال الأمير جمال الدين والملك موسى بن المأمون
البطائحي في تاريخه من حوادث سنة إحدى وخمسمائة ثم رأى القائل أبو عبد الله محمد بن فائق البطائحي
من اختلال احوال الرجال العسكرية والمقطعين وتضررهم من ككون اقطاعهم قد خسر ارتفاعها وساءت
احوالهم لقله المتحصل منها وان اقطاع الامراء قد تضاعف ارتفاعها وازدادت عن غيرها وان في كل ناحية من
الفواضل للديوان جلة تجي بالعسف ويتردد الرسل من الديوان الشريف بسببها فخطب الأفضل ابن أمير الجيوش
في أن يحل الاقطاعات جميعها وبروكها وعرفه ان المصلحة في ذلك تعود على المقطعين والديوان لان الديوان
يحصل له من هذه الفواضل جلة يحصل بها بلاده قورة فأجاب الى ذلك وحل جميع الاقطاعات وراكمها
وأخذ كل من الاقوياء والمميزين يتضررون وبذكرون ان لهم بسايتين واملاكا ومعاصر في نواحيهم فقال له من
كان له ملك فهو باق عليه لا يدخل في الاقطاع وهو محكم ان شاء بآءه وان شاء آجره فلما حلت الاقطاعات
أمر الضعفاء من الاجناد أن يتزايدوا فيها فوقعت الزيادة في اقطاعات الاقوياء الى أن انتهت الى مبلغ
معسوم وكتبت السجلات بأنها باقية في ايديهم الى مدة ثلاثين سنة لا يقبل عليهم فيها زائدوا حضر الاقوياء
وقال لهم ما تكرهون من الاقطاعات التي كانت سيد الاجناد قالوا كثرة غيرها وقله متحصلها وخرايبها
وقلة الساكن بها فقال لهم ابدلوا في كل ناحية ما تحمله وتقوى رغبتكم فيه ولا تنظروا في العبرة الاولى فعند ذلك
طابت نفوسهم وتزايدوا فيها الى أن بلغت الى الحد الذي يرغب كل منهم فيه فأقطعوا به وكتب لهم السجلات
على الحكم المتقدم فشملت المصلحة الفريقين وطابت نفوسهم وحصل للديوان بلاد مقورة بما كان مفرقا
في الاقطاعات بما مبالغه خسون ألف دينار وقال في حوادث سنة خمس عشرة وخمسمائة وكان قد تقدم امر
الاجل المأمون بعمل حساب الدولة من الهلال والخراج وجعل نظمه على جملتين احدهما الى سنة عشر
 وخمسمائة الهلالية الخراجية والجملة الثانية الى آخر سنة خمس عشرة وخمسمائة هلالية وما وافقها من
الخراجية فعقدت على جملة كثيرة من العين والاصناف وشرحت بأسماء اربابها وتعيين بلادها فلما حضر
أمر يكتب سجل يتضمن المساحة بالبواقي الى آخر سنة عشر وخمسمائة ونسخته بعد التصدير ولما انتهى البناء
حال المعاملين والضمانات المتصرفين وما في جهاتهم من بقاء ما عملاتهم انعمنا بما تضمنه هذا السجل من المساحة
قصدا في استخلاص ضامن طالت غفلته وخربت ذمته واتقذا عامل الجحف به من الديوان طلبه وتوقير الرغبة
على عمارتها وجرها فيها على قديم عاداتها ولما كان ذلك من جبل الاحدثة التي لم يسبق اليها ولا شاركها
ملك فيها اقتضت الحال ان يرادها في هذا الكتاب وايداعها هذا الباب لما اطلعنا عليه مما انتهت اليه احوال
الضمان والمعاملين بالملكية من الاختلال وتجمد البقايا في جهاتهم والاموال عطفنا عليهم برأفة ورحمة وطالعنا
المقام الاشرف النبوي بالتفصيل من امورهم والجملة واستخرجنا الامر العالي بوضع ذلك في الحال
وانشاء السجلات الكريمة مقصورة على ذكر هذا الاحسان وتنفيذها الى جميع البلدان ليقرأ على رؤس
الاشهاد بسائر البلاد ومبلغ ما انتهت اليه هذه المساحة الى حين ختم هذا السجل من العين ألف ألف وسبعمائة
ألف وعشرون ألفا وسبعمائة وسبعة وستون ديناراً ونصف وثلث وثلثان وربع قيراط ومن الفضة النقرة
اربعة دراهم ومن الورق سبعة وستون ألفاً وخمسة دراهم ونصف وسدس درهم ومن الغلة ثلاثة آلاف ألف
وثمان مائة ألف وعشرة آلاف ومائة وتسعة وثلاثون اردبا وثمان ونصف سدس وثلاثي قيراط ومن العناب ربع
اردب ومن ورق الصباغ ألفان وأربعمائة وثلاثة ارباب ونصف ومن زريعة الوسمه عشرة ارباب وربع ومن
الصباغ ألف واربع مائة وثمانون قنطاراً وورطل ونصف ومن القوة اربعمائة وسبعون رطلاً ومن الشب
تسعمائة وثلاثة عشر قنطاراً ونصف ومن الحديد خمسمائة رطل واحد وثلاثون رطلاً ومن الزفت ألف وثلثمائة
وثلاثة ارباط وربع وسدس ومن القطران تسعة عشر رطلاً وثلث ومن الثياب الحلبي ثلاثة ارباب ومن المنابر
مائة مئزر صوف ومن الغرايب مائة وسبعون غراباً ومن الاغنام مائة ألف وخمسة وثلاثون ألفاً وثلثمائة
وخمسة ارباب ومن البسر ثلثمائة وثلاثة عشر قنطاراً وثمانية وثلاثون رطلاً ومن السجل ثلاثمائة ألف

وخمسة وسبعون ألفاً وخمسمائة وخمسون باعاً ومن الجريد اربعمائة ألف وثمانية وثلاثون ألفاً وسبعمائة
 وثلاثة وخمسون جريدة ومن السلب ألف واربعمائة وثلاثة وعشرون سلبة ومن الاطراف ستة آلاف وسبعمائة
 وثلاثة اطراف ومن الملح ألفان وسبعمائة وثلاثة وتسعون اردبا وثلاث ومن الاشنان أحد عشر اردبا ومن
 الرمان ألفاً وخمسة ومن العسل النحل خمسمائة واحد واربعون قنطارا وستون ومن الشهد اثنان وثلاثون
 زيرا وقادوسا واحد ومن الشمع اربعمائة واربعون رطلا ومن الخلايا ثلاثة آلاف واربعمائة وخمسة
 ومن عدل القصب مائة وثمانية وثلاثون قنطارا ومن الاجار اثنان وعشرون ألفاً ومائة واربعة وستون
 رأساً ومن الدواب اربعة وسبعون رأساً ومن السمن ألفان وتسعمائة وستة وتسعون مطرا وستون ومن
 ومن الجبن ثلثمائة وعشرون رطلا ومن الصوف اربعة آلاف ومائة وثلاثة وعشرون جرة ومن الشعر ستة
 آلاف وخمسون رطلا وربع ومن بيوت الشعر بيتان وفصل ذلك بجهاته ومعاملاته قال ولما انتهى الى المأمون
 ما يعقد في الدواوين من قبول الزيادات وفسخ عقود الضمانات وانتزاعها ممن كان فيها المشقة والتعب
 وتسليمها الى باذل الزيادة من غير كلفة ولا نصب انكر ذلك ومنع من ارتكابه ونهى عن اللولج في بابه وخرج امره
 باعفاء الكافة اجمعين والضمائم والمعاملين من قبول الزيادة فيما يتصرفون فيه ويستولون عليه ماداموا
 مغلقين وبأقساطهم قائمين وتضمن ذلك منشور قرئ في الجامعين الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر وديوانى
 المجلس والخاص الامر بين السعيدين ونسخته بعد التصدير * ولما انتهى الى حضر تنامى بعد في الدواوين
 ويقصده جماعة من المتصرفين والمستخدمين من تضمين الابواب والرباع والبساتين والجماعات والقياسر
 والمسالك وغير ذلك من الضمانات للراغبين فيها ممن تستمر معاملته ولا تنكسر طريقته فما هو الا أن يحضر
 من يزيد عليه في ضمانه حتى قد نفقض عليه حكم الضمان وقبل ما يبدل من الزيادة كائناً من كان وقبض يد
 الضامن الاول عن التصرف ومكن الضامن الثاني من التصرف من غير رعاية للعقد على الضامن الاول
 ولا تحترز في فسخه الذي لا يبيحه الشرع ولا يتأول انكرنا ذلك على معتقديه وذمنا من قصدهنا عليه ومركبيه
 اذ كان الحق محجاً وعن مذهب الصواب ذاهباً وعرضنا ذلك بالمواقف المقدسة المطهرة ضاعف الله انوارها
 واعلى ابدانها واستخرجنا الاوامر المطاعة في كتب هذا المنشور الى سائر الاعمال بأنه اى أحد من
 الناس ضمن ضماناً من باب اربع او بستان او ناحية او كفر وكان لا قسط ضمانه مؤدياً وما يلزمه من ذلك
 مبدئياً والحق متبعا فان ضمانه باق في يده لا تقبل زيادة عليه مدة ضمانه على العقد المعقود عملاً بالواجب والنظام
 المحمود واتباعاً لما امر الله تعالى به في كتابه المجيد اذ يقول جل من قائل يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود
 الى أن تنقضى مدة الضمان ويؤول حكمها ويذهب وضعها ورسما على قضية الواجب وسندها واعتمادا
 على حكم الشريعة التي ماضل من اهتدى بفرائضها وسندها فاما من ضمن ضماناً ولم يقيم بما يجب عليه فيه وأصر
 على المدافعة والمغالطة التي لا يعتمد عليها الاكل ذميم الطباع ففيه فذلك الذي فسخ حكم ضمانه بنقضه الشروط
 المشروطة عليه وحكمه حكم من اذا زيد عليه في ضمانه نقل عنه واخرج من يديه لانه الذي بدأ بالفسخ وأوجد
 السبيل اليه فليعتمد كافة ارباب الدواوين وجميع المتصرفين والمستخدمين العمل بما تضمنه هذا المنشور وامتنال
 الامور وجل هؤلاء الضمائم والمعاملين على ما نص فيه والحذر من تجاوزه وتعتيه بعد بثوته في ديوانى المجلس
 والخاص الامر بين السعيدين وبحيث ثبت مثله ان شاء الله تعالى قال ووصلته المكاتب من والى والمشارف
 ومن كان ندب صحبته لكشف الاراضى والسواقي ومساحتها متضمنة ما ظهره الكشف واوضحته المساحة
 على من يده السواقي وهم عدة كثيرة ومن جلتها ساقية مساحتها ثمانية وستون فدانا تشتمل على النخل
 والكرم وقصب السكر بمدينة اسناخراجهما في السنة عشرة دنانير وما يجري في الاعمال هذا الجرى وانهم
 وضعوا يد الديوان على جميعها وطلبوا من ارباب السواقي ما يدل على ما بأيديهم فذكروا أنها انتقلت اليهم
 ولم يظهر ما يدل عليها وقد سيروا ملاكها الى الباب تحت الحوطة ليخرج الامر بما يعتمد عليه في امرهم وعند
 وصولهم اوقع الترسيم عليهم الى أن يقوموا بما يجب من الخراج عن هذه السواقي فان الاملاك بجملة ما
 لا تقوم بما يجب عليها فوقف المذكورون للمأمون في يوم جلوسه للمظالم فأمر بحضورهم بين يديه وتقدم الى
 القاضي جلال الملك أبو الحجاج يوسف بن أبي ايوب المغربي وهو يومئذ قاضى القضاة لمحاكمتهم بجرى له معهم

مقاوضة اوجبت الحق عليهم وألزمهم بالقيام بما يستغرق اموالهم واملاكهم فحصل من تضررهم ما اوجب العاطفة عليهم واخذهم بالخراج من بعد وأن يضرب عمات تقدم صفحا وكتب منشور نسخته قد علم الكافة ماترهم من افاضة سحب العدل عليهم والاحسان والنظر في مصالح ~~كل~~ قاص منهم ودان وانا لاندع ضررا يتوجه الى أحد من الرعية الاحسناء ولا نعلم صلاحا يعود دفعه عليه الا قويا سببه ووصلناه حسب ما يتعين على رعاية الامم وعملها الواجب في البعيد والامم وسلوك الحجج الدولة الفاطمية خلد الله ملكها القويمة واستقرارها على قضايها وبحباياها الكريمة ولما كنا ترى النظر في مصالح الرعايا امر او اجبا ونصرف الى سياستهم عزما ماضيا ورأيا ناقبا كذلك نرى النظر في امور الدواوين واستيفاء حقوقها المصروفة الى حماية البيضة والحماية عن الدين وجهاد الكفرة والمحدثين ليكون مائرا اعيه وتنظر فيه جاريا على سنن الواجب محروسانم الخلل باذن الله من جميع الجوانب * ومن الله نستقدم مواد التوفيق في الحل والعقد * ونسأله الارشاد الى سواء السبيل والقصد وما توفيقنا الا بالله عليه نتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل * وكان القاضي الرشيد بن الزبير ايام مشارفته الصعيد الاعلى قد طالع المجلس الافضل بحال ارباب الاملاك هناك وانهم قد استضافوا الى اماكنهم من املاك الدواوين اراضي اغتصبوها ومواضع مجاورة لاملاكهم تعبدوا عليها وخطوطها بها وحازوها ورسم له كشفها وتظم المشاريع بها وارتجاعها للدويوان وان يعتقد في ذلك ما يوجب حكم العدل المنبئ في كل قطر ومكان وبآخر ذلك سيرنا من الباب من يكشف ذلك على حقيقته وانها تله على طيبته فاعتمدوا ما امروا به من الكشف في هذه الاملاك ووردت المطالعة منهم بأنهم التسوا من بيده ملكا واساقية ما يشهد بصحة ملكه ومبلغ فنده وذكر حدوده فلم يحضر أحد منهم كتابا ولا أوضح جوابا وأصدروا الى الدويوان المشاريع بما كشفوه وأوضحوه فوجدوا التعدي فيه ظاهرا وباب الحيف والنظم غير متقاصر والشرع يوجب وضع اليد على ما هذه حاله ومطالبة صاحبه بريعه واستغلاله لاسيما وليس بيده كتاب يشهد بصحة الملك رأسا ولا يستند في ذلك الى حجة اذخرها احترازا عن مجاهدة سبيله واحتراسا ولكن فحكم بما نراه من المصلحة للرعية والعدل الذي اتفاناه واجينا معاملة وآثاره مع الرغبة في عمارة البلاد ومصالح احوالها واستنباط الارضين الدائرة وانشاء الغروس واقامة السواق بها امرنا بكتب هذا المنشور وتلاوته بأعمال الصعيد الاعلى باقرار جميع الاملاك والارضين والسواق بايدي اربابها الآن من غير انتزاع شيء منها ولا ارتجاعه وأن يقرر عليها من الخراج ما يجب تقريره ويشهد الدويوان على امثالهم بعهده احسانا اليهم لم نزل تابع مثله ونواليه وانما ما يبرحنا نعيده عليهم ونبيده وقد ائتمنا وتجاوزنا عما سلف ونهيننا من يستأنف وسامحننا من خرج عن التعدي الى المألوف وجرينا على سنننا في العفو والمعروف وجعلنا هاتوية مقبولة من الجماعة الجائين ومن عاد من الكافة اجمعين فلينتقم الله منه وطولب بمسأئته وأمسه وبرئت الذمة من ماله ونفسه وتضاعفت عليه الغرامة والعقوبة وسدت في وجهه ابواب الشفاعة والسلامة وقد فقهنا مع ذلك لكل من يرغب في عمارة ارض خلفاء دائرة وادارة بئر مهجورة معطلة في أن يسلم اليه ذلك ويقاس عليه ولا يؤخذ منه خراج الا في السنة الرابعة من تسليمه اياه وان يكون المقر على كل فدان ما توجه زراعتة مثله خراجا مؤبدا وأمرامو كذا فليعتمد ذلك التواب وحكام البلاد ومن جرت العادة بحضوره عقد مجلس واحضار جميع ارباب الاملاك والسواق واشعارهم ما شملهم من هذا الاحسان الذي تجاوزا مالهم في احابتهم الى ما كانوا يسألون فيه وتقرير ما يجب على الاملاك المذكورة من الخراج على الوضع الذي مثلناه ويحيز الدويوان تقريره ويرضاه مع تضمين الاراضي الدائرة والابار المعطلة لمن يرغب في ضمها وتظم المشاريع بذلك واصدارها الى الدويوان ليخلد فيه على حكم امثاله بعد ثبوت هذا المنشور بحيث يثبت مثله قال ولما سرت هذه المصالح الى جميع أهل هذه الاعمال حصل الاجتهاد في تحصيل مال الدويوان وعمارة البلاد * واعلم انه لم يكن في الدولة الفاطمية بديار مصر ولا فيما مضى قبلها من دول امرام مصر لعساكر البلاد اقطاعات بمعنى ما عليه الحال اليوم في اجناد الدولة التركية وانما كانت البلاد تضمن قبالات معروفة لمن شاء من الامراء والاجناد والوجوه وأهل النواحي من العرب والقبط وغيرهم لا يعرف هذه الابدنة التي يقال لها اليوم الفلاحة ويسمى المزارع المقيم بالبلد فلا سقارا فيصير عبدنا لمن اقطع تلك الناحية الا انه لا يرجو قط ان يباع ولا ان يعتق بل هو قرن مابق ومن ولده كذلك بل كان من اختار زراعة أرض يقبلها كما تقدم وحل ما عليه ليت المال فاذا صار مال

الخراج بالديوان اتفق في طوائف العسكر من الخزائن وكان مع ذلك اذا انحط ماء النيل عن الاراضى وتعلقت نواحي مصر باصناف الزراعات تدب من الحضرة من فيه نباهة وخرج معه عدول يوثق بهم وكانت لهم معرفة بعلم الخراج وكثيرا ما كان هذا الكاتب من النصارى الاقباط ويخرج الى كل ناحية من ذكرنا فيجتررون مساحة ما شمله الرى من الاراضى مما له بارا وشرق ويكتب بذلك مكلفات واضحة بالفسدن والقطائع على جميع الاصناف المزروعة ويحضر الى دواوين الباب فاذا مضى من السنة القبطية أربعة أشهر ندب من الاجناد من عرف بالحناسة وقوة البطش وعين معه من الكتاب العدول من قد اشتهر بالامانة وكاتب من نصارى القبط غير من خرج عند المساحة وساروا الى كل ناحية كذلك فاستخرج مباشر واكل بلد ثلث ما وجب من مال الخراج على ما شهدت به المكلفات فاذا حضر هذا الثلث صرف في واجبات العساكر وهكذا العمل في استخراج كل قسط طول الزمان من كل سنة وكانت تبقى في جهات الضمان والمتقبلين جملة بواق وكانت بلاد مصر اذا نال تقبل بعين وغلة واصناف وقد عرف ذلك من نسخة المسموح الذى تضمن ترك البواقى في ايام الخليفة الامر بأحكام الله ووزارة المامون البطائحي ورأيت بخط الاسعد بن مهذب بن زكريا بن عيسى الكاتب المصرى سألت القاضي الفاضل عبد الرحيم كم كانت عدة العساكر في عرض ديوان الجيش لما كان سيدنا يتولى ذلك في أيام رزيق ابن الصالح فقال أربعين ألف فارس ونيفا وثلاثين ألف راجل من السودان وقال أبو عمرو عثمان النابلسي في كتاب حسن السرية في اتخاذ الحصن بالجزيرة ان ضرغام الممار على شاور وفرشاور الى السلطان نور الدين محمود بن زنكي بدمشق يستجده على ضرغام ويعدده بأنه يكون نائب عنه بمصر ويحمل اليه الخراج انشاء نور الدين عزما لم يكن فجهر ألف فارس وقدم عليهم اسد الدين شيركوه وأمره بالتوجه فأبى وقال لا مضى أبدا فان هلاكى ومن معى وسوء ما سمعه السلطان معلوم من هنا وكيف مضى بالف فارس الى اقليم فيه عشرة آلاف فارس ومائة سبعمائة فيها عشرة آلاف مقاتل وأربعون ألف عبد وقوم مستوطنون في اوطانهم فرأيت حرايتهم ونحن نأتيهم من تعب السفر بهذه العدة القليلة قال ثم اجابه بعد ذلك هذا اعزك الله بعد ما كانت عساكر أحمد بن طولون ماستراة في ذكرا القطائع ان شاء الله تعالى ثم ما كان من عساكر الامير أبي بكر محمد بن طغج الاخشيدي وهى على ما حكاه غير واحد منهم ابن خلكان انها كانت اربع مائة ألف ولما انقضت دولة الفاطميين بدخول الغزن من بلاد الشام واستولى صلاح الدين يوسف بن ايوب على مملكة مصر تغير الحال بعض التغير لا كله * قال القاضي الفاضل في متجذبات سنة سبع وستين وخمسائة في ثامن المحرم خرجت الاوامر الصلاحية بركوب العساكر قديما وجديدا بعد ان اندر حاضرها وغائبها وتوافى وصولها وتكامل سلاحها وخيولها فحضر في هذا اليوم جموع شهد كل من علاسنة وقرطس ظنه ان ملكا من ملوك الاسلام لم يحزم مثلها وشاهدت رسل الروم والفرنج ما أرغم انوف الكفرة ولم يتكامل اجتياز العساكر موكبا بعد موكب وطلب ابعدهم وطلب بلغة الغز هو الامير المتقدم الذى له علم معقود وبوق مضروب وعدة من مائتي فارس الى مائة فارس الى سبعين فارسا الى ان انقضى النهار ودخل الليل وعاد ولم يكمل عرضهم وكانت العدة الحاضرة مائة وسبعة وأربعين طلبا والغائب منها عشرون طلبا وتقدير العدة يناهز أربعة عشر ألف فارس اكثرها طواشية والطواشي من رزقه من سبعمائة الى ألف الى مائة وعشرين وما بين ذلك وله برك من عشرة رؤس الى ماذونها ما بين فرس وبردون وبغل ووجل وله غلام يحمل سلاحه وقر اغلامية تمة الجملة قال وفي هذه السفارة عرض العربان الخدامين فكانت عدتهم سبعمائة ألف فارس واستقرت عدتهم على ألف وثلثمائة فارس لا غير وأخذ بهذا الحكم عشر الواجب وكان اصله ألف ألف دينار على حكم الاعتداد الذى يتأصل ولا يتحصل وكلف التغالبة ذلك فامتصوا ولوحوا بالتحيز الى الفرنج * وقال في متجذبات شهر رجب سنة سبع وسبعين وخمسائة استمر انتصاب السلطان صلاح الدين في هذه السنة للنظر في أمور الاقطاعات ومعرفة غيرها والنقص منها والزيادة فيها واثبات الحرم وزيادة المشكورا الى ان استقرت العدة على ثمانية آلاف وست مائة وأربعين فارسا امراء مائة وأحد عشر أميرا طواشية ستة آلاف وتسعمائة وستة وسبعون قر اغلامية ألف وخمس مائة وثلاثة وخمسون والمستهرة لهم من المال ثلاثة آلاف ألف وست مائة ألف وسبعون الفا وخمس مائة دينار وذلك خارج عن المحلولين من الاجناد الموسومين بالحوالة على العشر وعن عدة العربان المقطعين بالشرقية والبحيرة وعن الكاسين والمصريين والفقهاء وانقضاة

والقضاة والصوفية وعما يجري بالديوان ولا يقصر عن ألف ألف دينار * وقال في متجددات سنة خمس وثمانين وخمسمائة اوراق بما استقر عليه عبر البلاد من اسكندرية الى عيذاب الى آخر الرابع والعشرين من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة خارجا عن الثغور وابواب الاموال الديوانية والاحكار والحبس ومنفلوط ومنقبط وعدة فواح اوردت اسماءها ولم يعين لها في الديوان عبرة من جملة أربعة آلاف ألف وستمئة ألف وثلاثة وخمسين ألفا وتسعة عشر ديناراً بعد ما يجري في الديوان العادلي السعيد وغيره عن الشرقية والمراتحية والدقهلية وبوش وغير ذلك وهو ألف ألف ومائة ألف وتسعون ألفا وتسعمائة وثلاثة وعشرون ديناراً (تفصيل ذلك) الديوان العادلي سبعمائة ألف وثمانية وعشرون ألفا ومائتان وثمانية واربعون ديناراً الا حرام والاجناد المرسوم بابقاء اقطاعهم بالاعمال المذكورة مائة ألف وثمانية وخمسون ألفا ومائتان وثلاثة دنائير ديوان السور المباركة والاشراف ثلاثة عشر ألفا وثمانمائة وأربعة دنائير العربان مائتا ألف واربعة وثلاثون ألفا ومائتان وستة وتسعون ديناراً الكنانة خمسة وعشرون ألفا وأربعمائة واثنا عشر ديناراً القضاة والشيوخ سبعة آلاف واربعمائة وثلاثة دنائير القيمارية والصالحية والاجناد المصريون اثنا عشر ألفا وخمسمائة وأربعة دنائير الغزاة والعساقلة المركزة بمياط وتنيس وغيرهم عشرة آلاف وسبعمائة وخمسة وعشرون ديناراً البارز ثلاثة آلاف ألف واربعمائة ألف واثنتان وستون ألفا وخمسة وتسعون ديناراً (الوجه البحري) ألف ألف ومائة ألف واحد وخمسون ألفا وستمئة وثلاثة وخمسون ديناراً (تفصيله) ضواحي نغرا الاسكندرية ثمانمائة ألف ومائة وثمانية وثلاثون ديناراً نغرا رشيد ألفا دينار البحيرة مائة ألف وخمسة عشر ألفا وخمسمائة وستة وسبعون ديناراً حوفر ميسس اثنتان وتسعون ألفا وأربعمائة وثلاثة دنائير قوه والمزاحيتين عشرة آلاف ومائة وخمسة وعشرون ديناراً النبراوية خمسة عشر ألفا وثلاثمائة وخمسة دنائير جزيرة بني نصر مائة ألف واثنا عشر ألفا وستمئة وستة واربعون ديناراً جزيرة قوسين مائة ألف وثلاثون ألفا وخمسمائة واثنتان وتسعون ديناراً الغربية ستمائة ألف واربعة وسبعون ألفا وستمئة وخمسة دنائير السمودية مائتا ألف وخمسة واربعون ألفا واربعمائة وتسعة وسبعون ديناراً الدنجابية ستة واربعون ألفا ومائتان واربعة وسبعون ديناراً المنوفية مائة ألف وثمانية واربعون ألفا وثلاثمائة وسبعة واربعون ديناراً (الوجه القبلي) ألف ألف وستمئة ألف وعشرة آلاف واربعمائة واحد واربعون ديناراً (تفصيل ذلك) الجزيرة مائة ألف وثلاثة وخمسون ألفا ومائتان وأربعة دنائير الاطفيحية تسعة وخمسون ألفا وسبعمائة وثمانية وعشرون ديناراً البوصيرية ستون ألفا واربعمائة وستة وستون ديناراً الفيومية مائة ألف واثنتان وخمسون ألفا وستمئة وأربعة وثلاثون ديناراً الهنسية ثلثمائة ألف واثنتان وخمسون ألفا وستمئة وأربعة وثلاثون ديناراً الواحات الداخلة والخارجتين وواح الهنسا خمسة وعشرون ألف دينار الاثني مائة ألف وسبعة واربعون ألفا وسبعمائة واثنتان وثلاثون ديناراً السيوطية خارجا عن منفلوط ومنقبط اثنتان وسبعون ألفا وخمسمائة وأربعة دنائير الاخميمية مائة ألف وثمانية آلاف وثمانمائة واثنا عشر ديناراً الاعمال القوصية ثلثمائة ألف واثنتان وستون ألفا وخمسمائة دينار نغرا اسوان خمسة وعشرون ألف دينار نغرا عيذاب يجري في غير هذا الديوان * وقال في متجددات سنة ثمان وثمانين وخمسمائة والذي انعقد عليه ارتفاع الديوان السلطاني ثلثمائة ألف وأربعة وخمسون ألفا وأربعة واربعون ديناراً والذي يميز زائد الارتفاع لسنة سبع وثمانين وخمسمائة على ارتفاع سنة ست وثمانين اثنتان وعشرون ألفا واربعمائة وخمسة واربعون ديناراً والذي انساق من البواقي للسنة المذكورة أحد وثلاثون ألفا وستمئة واثنتان وعشرون ديناراً والذي اشقل عليه متحصل ديوان الخصاص الملكي الناصري بالديار المصرية لسنة سبع وثمانين وخمسمائة ثلثمائة ألف واربعة وخمسون ألفا وأربعمائة وخمسون ديناراً ونصف وثلاث وثمان

* (ذكر الروا الاخير الناصري) *

وكان الجندى اقطاعه بمفرده وله سبع واحد من عشرين ألف درهم الى ثلاثين وفيهم من اقطاعه خمسة عشر ألفا واقلهم عشرة آلاف وذلك سوى الضيافة وبلغ خمسة آلاف درهم في الاقطاع الثقيل وكان الجندى يخرج الى أسكان بطول الخيل ويخرج مقدم الحلقة كأمير عشرة وتكون مضافته اذا نزل حوله واكثرهم بأكل على حماطه

منها منافع كثيرة لا تحصى ويحل بالناس من ذلك بلاء شديد وتعب عظيم من المغارم والظلم فان مظالمها كانت تتعد ما بين نواتية نسرقي وكالين تخس وشاذين وكأب يريد كل منهم شيئاً وكان مقررا لاربد درهمين للسلطان ويلحقه نصف درهم غير ما ينهب ويسرق وكان لهذه الجهة مكان يعرف بنخص الكيالة في ساحل بولاقي يجلس فيه شاد وستون متعمداً بين كتاب ومستوفين وناظر وثلاثون جندياً مباشرين ولا يمكن احداً من الناس أن يبيع قدحاً من غلة في سائر النواحي بل تحمل الغلات حتى تباع في خص الكيالة بولاقي وبما ابطال أيضاً نصف السمسة وهو عبارة عن أن من باع شيئاً من الاشياء فانه يعطى أجرة الدلال على ما تقرر من قديم عن كل مائة درهم درهمين فلما ولي ناصر الدين الشنخي الوزارة تقرر على كل دلال من دلالته درهمان من كل درهمين فصار الدلال يعمل معدله ويحتمد حتى ينال عادته وتصير الغرامة على البائع قيسر الناس من ذلك واودوا فلم يغاثوا حتى ابطال ذلك السلطان وبما ابطال رسوم الولاية وكانت جهة تتعلق بالولاية هي المتقدمين فيحبها المذكورون من عرفاء الاسواق وبيوت الفوايح وهذه الجهة ضامن وتحت يده عدة صبيان وعليها جند مستظهون وامراء وغيرهم وكانت تشتمل على ظلم شنيع وفساد قبيح وهتك قوم مستوزين وهم بيوت اكثر الناس وبما ابطال مقررا لخواص والبغال من المدينة وسائر أعمال مصر كلها من الوجه القبلي والبحري فكان على ككل من الولاية والمقدمين مقرر يحمل في كل قسط من أقساط السنة الى بيت المال عن ثمن حياصة ثلثائة درهم وعن ثمن بغل ثمانية درهم وعلى هذه الجهة عدة مقطعين ويفضل منها ما يحمل وكان يصيب الناس من هذه الجهة ما لا يوصف ويصل بهم من عسف الرقاصين ما يهون معه الموت ومن ذلك مقررا للسجون وهو عبارة عما يؤخذ من ككل من يسجن فلا سخان على حكم المقررة ستة دراهم سوى كلف اخرى وعلى هذه الجهة عدة مقطعين ويرغب فيها الضمان ويتزايدون في مبلغ ضمانها لكثرة ما يتحصل منها فانه كان لو تخاصم رجل مع امرأته او ابنه رفته الى الولاية الى السجن فبجبر دمايدخل السجن ولو لم يقم به اللحظة واحدة اخذ منه المقررة وكذلك كان على سجن القضاة أيضاً * (ومن ذلك مقرر طرح القرار ييج) ولها ضمان عدة في سائر نواحي أرض مصر يطرحون على الناس القرار ييج فيتم بضعفاه الناس من ذلك بلاء عظيم وتقاسى الارامل من العسف والظلم شيئاً كثيراً وكان على هذه الجهة عدة مقطعين ولا يمكن احداً من الناس في جميع الاقاليم أن يشتري فروجاً فافاً فوقة الامن الضامن ومن عثر عليه أنه اشترى أو باع فروجاً من سوى الضامن جاءه الموت من كل مكان وما هو بميت * (ومن ذلك مقرر القربان) وهو عبارة عما يجيبه ولاية النواحي من سائر البلاد فلا يؤخذ درهم مقرر حتى يفرم عليه صاحب درهمين ويقامى الناس فيه اهوا الاصعبة * (ومن ذلك مقرر الاقصاب والمعاصر) وهو ما يجبي من مزارعي قصب السكر ومن المعاصر ورجال المعاصر * (ومن ذلك مقرر رسوم الافراح) ويجبي من سائر النواحي ولهذه الجهة عدة ضمان ولا يعرف لهذه الجهة اصل البتة وانما يجبي بضرائب ينال الناس فيوامع المقررة غرامات وروعات * (ومن ذلك حماية المراكب) وهي عبارة عما يؤخذ من كل مركب بتقرير معين يعرف بمقرر الحماية وكانت هذه الجهة اشد ما ظلم به الناس فيؤخذ من كل من ركب البحر للسفر حتى من السؤال والمكدين * (ومن ذلك حقوق القينات) وهو عبارة عما يجتمع من الفوايح والمنكرات فيحببه مهتاراً لسطحاناه السلطانية من اوباش الناس * (ومن ذلك شد الزعماء) وهي جهة مفردة وحقوق السودان وكشف المراكب ومقرر ما على كل جارية او عبد حين نزولهم بالخانات لعمل الفاحشة فيؤخذ من كل ذكر وانثى مقرر معين ومتوفر الجراريف وهو ما يجبي من سائر النواحي فيحمل ذلك مهندسوا البلاد الى بيت المال باعانة الولاية لهم فيتحصيل ذلك وعلى هذه الجهة عدة مقطعين من الجند ومقرر المشاعلية وهو عبارة عما يؤخذ عن كسح الاقنية وحمل ما يخرج منها من الوسخ الى الكيمان فكان اذا امتلأ سراج جامع او مدرسة او مسجد او تربة او منزل من منازل سائر الناس لا يمكنه ولو بلغ من العظيمة ما عسى أن يبلغ التعرض لذلك حتى يأتيه ضامن الجهة ويقاؤه على كسح ذلك بما يريد وكان من عادة الضامن الاضطاط في السوم وطلب اضعاف القيمة فان لم يرض رب المنزل بما يطلب الضامن والتركه وانصرف فلا يقدر على مقاساة ترك الوسخ ويضطر الى سؤاله ثانياً فيعظم تحكمه ويستند باسه الى أن يرضيه بما يختار حتى يتمكن من كسح فثاته ورفع ما هنالك من الاقدار * (ومن ذلك ابطال المباشرين من النواحي) وكانت بلاد مصر كلها من الوجهين القبلي-

والبحرى مامن بلاد صغير وكبير الا وفيه عدة من كآب وشاة ونحو ذلك فأبطل السلطان المباشرين وتقدم
منعهم من مباشرة النواحي الامن بلاد في مال السلطان فقط فأراح الله سبحانه الخلق بإبطال هذه الجهات
من بلاء لا يقدر قدره ولا يمكن وصفه * ولما أبطل السلطان هذه الجهات وفرغ من تعيين الاقطاعات للامراء
والاجناد افرز لخاص السلطان من بلاد ارض مصر عدة نواح مما كان في اقطاعات البرجية وهي الجزيرة
واعمالها وهو الكوم الاحمر ومنفلوط والمرج والخصوص وغير ذلك مما بلغ عشرة قراريط من الاقليم وصار
لاقطاعات الامراء والاجناد وغيرهم أربعة عشر قراطا ومكر الاقباط فيما أمكنهم المكرفيه فسدوا بأن
اضعفوا عسكر مصر ففرقوا الاقطاع الواحد في عدة جهات فصار بعض الجبى في الصعيد وبعضه في الشرقية
وبعضه في الغربية اتعابا للجندي وتكثيرا للكلفة وأفردوا جوالى الذقة من الخاص وفرقوها في البلاد التي
أقطعت للامراء والاجناد فان النصرارى كانوا مجتمعين في ديوان واحد كما استنق عليه ان شاء الله تعالى
فصار نصرارى كل بلد يفعلون جاليتهم الى مقطع تلك الضيعة فأتسع مجال النصرارى وصاروا ينتقلون في القرى
ولا يفعلون من جزيتهم الا ما يريدون فقل متحصل هذه الجهة بعد كثرة وافردوا ما بقى من جهات المكوس
برسم الخوايج خاناه التي تصرف للسماط ليتناولوا ذلك ويوردوا منه ماشاؤا ثم يتولوا صرف ما يحصل منه
في جهات تستهلك بالاكل وصارت جهات المكوس مما يتحدث فيه الوزير وشاد الدواوين * ثم نظر السلطان
فيما كان بيد الاميرين بريس الجاشنكير وسلار نائب السلطنة من البلاد فأخذ ما كان باسم كل منهم واباسم
حواشيه ولم يدع من ذلك شيئا مما كانوا قد وقفوه حتى حله وجعل الجميع اقطاعات واعتد في سائر الاقطاعات
بما كان يستهديه المتطوع من فلاحه فحسب ذلك وأقامه من جلة عبر الاقطاع وأبطل الهدية فلم يتهيا له الفراغ
من ذلك الى آخر السنة فلما أهل المحرم من سنة ست عشرة وسبعمائة وقد نظمت الحسابات على ثلث مغل
سنة خمس عشرة جلس السلطان في الايوان الذي استجده بقلعة الجبل وقد تقدم لسائر نقباء الاجناد على
لسان نقيب الجيش بالحضور باجنادهم وجعل للعرض في كل يوم أميرين من الامراء المقدمين بمضافيهم
فكان الامير مقدم الالف يقف ومعه مضافوه وناظر الجيش يستدعيهم من مقدمة ذلك الامير باسمائهم على
قدر منازلهم فيقدم نقيب الجيش الواحد بعد الواحد من يد نقيب الى ما بين يدي السلطان فاذا مثل بحضوره سأل
السلطان بنفسه من غير واسطة عن اسمه وأصله وجنسه ووقت حضوره الى ديار مصر ومع من قدم والى من صار
من الامراء وغيرهم وعن مشاهدته التي حضرها في الغزو وعمايه عرفه من صناعة الحرب وغير ذلك من
الاستقصاء فاذا انتهى استفهامه اياه ناو له بيده مثالا من غير تأمل بحسب ما قسم الله له فلم يجزبه في مدة
العرض احد الا وقد عرفه وأشار الى الامراء بذلك من خبره هذا وقد تقدم الى سائر الامراء بأسرهم بأن
يحضروا الى الايوان عند العرض ولا يعارض احد منهم السلطان في شيء يفعل فكلوا يحضرون وهم سكوت
لا يتكلم احد منهم خوفا من مخالفة السلطان لما يقوله وأخذ السلطان في واربة الامراء فمأثروا على احد
في مجلس العرض الا وأعطاه السلطان مثالا باقطاع ردى فلما علموا ذلك أمسكوا عن الكلام معه جلة وانفرد
بالاستبداد باموره دونهم فاعرف منه أنه قدّم اليه احد الاوسأله ان كان مملوكا عن اقدمه من التجار وسائر
ما تقدم وان كان شيعيا فعن أصله وسننه وكم مصاف حضرها حتى أتى على الجميع وأفرد المشايخ العاجزين فلم
يعطهم اقطاعات وجعل لكل منهم مرتبا يقوم به فاتمى العرض في طول المحرم ونوفركثير من مشلات الاجناد
فبلغ عدة مائتي مثال ثم أخذ في عرض أطباق الممالك السلطانية ووفر من جوامكهم كثيرا وقطع عدة
رواتب من رواتبهم وعوضهم عن ذلك اقطاعات وجعل جهة مكس قطيا لضعفاء الاجناد ممن قطع خبزه فجعل
لكل منهم في السنة ثلاثة آلاف درهم * وكان لبيبرس وسلار الجوكندار تعلقات كثيرة في بيت المال وفي
الاعمال كـ الجزيرة والاسكندرية من منجر وحمايات فارتجع ذلك وأبطله وماشابهه وأضاف ما لم يقطعه الى
ديوان الخاص ومما أمر به في مدة العرض أن لا يرد أحد مما لا أخذه من السلطان ولو استقله ولا يشفع أمير في
جندي وان من خالف ذلك ضرب وحبس ونفي وقطع خبزه فعضمت مهابة السلطان وقويت حرمة ولم يجسر
أحد أن يرد عليه مثالا أخذه من السلطان ولا استطاع أمير أن يتكلم لاحد وصار كثير ممن كان اقطاعه مثالا
الف دينار الى اقطاع مائتي دينار ونحوها وكثير ممن كان اقطاعه قليلا الى اقطاع معتبر فانه كان يعطى المثال

من غير تأمل كيف ما وقعت يده عليه وقدر الله سبحانه وتعالى أن السلطان كان من جملة صبيان مطبخه رجل مضحك يمزل بحضرة فيضحك منه ويحب به ولا يعترض فيما يقول من السخف فجلس السلطان في بعض أيام العرض في البستان بقلعة الجبل وعنده الخاصة من الامراء فدخل هذا المضحك وأخذ في السخرية على عادته ليضحك السلطان الى أن قال وجدت بعض أيتاد الروك الناصري وهو راكب الاكديش وخرجه خلفه ورمحه فوق ككتفه بقصده هذا السخرية والطعن فغضب السلطان غضبا شديدا وصاح خذوه وعزوه ثيابه فقباده الاعوان وجزوه برجله ونزعوا ثيابه وربطوه في الساقية مع القواديس واكثر ما من ضرب الاقارب حتى اسرعت بدوران الساقية فصار المسكين يتقلب مع القواديس ويغطس في الماء نارة ويرقى اخرى ثم يتكس والماء يتر عليه مقدار ساعة الى أن اقطع حسه وأشرف على الهلاك واشتد رعب الامراء لمارأوا من قوة غضب السلطان ثم تقدم الامير طغاي الدوادار في طائفة من الامراء الخاصة واعتذروا عن هذا المسكين بأنه لم يرد الا أن يضحك السلطان من كلامه ولم يقصده عيب الاجناد ولا اتقاءهم ونحوه هذا من القول الى أن أمر بجملة فاذا ليس فيه حركة فمحب ورسم السلطان بأنه ان كان حيا لا يبيت بديار مصر فأخرج من وقته منفيا وحده الله كل من الامراء على ما وافقه من السكون عن الكلام في حال العرض وما زال الامر بمصر على ما رسمه الملك الناصر في هذا الروك الى أن زالت دولة بني فلاون بالملثا ظاهري برقوق في شهر رمضان سنة اربع وثمانين وسبعمائة فأبقى الامر على ذلك الا أن اشياء منه اخذت تلاشي قليلا قليلا الى ان كانت الحوادث والمحن في سنة ست وثمانمائة حيث حدث من انواع التغيرات وتوقع الظلم ما لم يخطر ببال أحد وسيمت بك جعل من ذلك عند ذلك أسباب خراب اقليم مصر ان شاء الله تعالى وكانت لاراضي مصر تقاوم مخلدة في نواحيها وهي على قسمين تقاوم سلطانية وتقاوم بلدية فالتقاوى السلطانية وضعها الملوك في النواحي وكان الامير أو الجندى عند ما يستقر على الاقطاع يقبض ماله من التقاوى السلطانية فاذا خرج عنه طوبى بها فلما كان الروك الناصري خلدت تقاوى كل ناحية بها وضبطت في الديوان السلطاني فبلغت بجمعها مائة الف وستين ألف أردب سوى التقاوى البلدية

* (ذكر الديوان) *

قال أقضى القضاة ابو الحسن الماوردي الديوان محفوظ بحفظ ما تعلق بحقوق السلطنة من الاعمال والاموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال وفي تسمية ديوانا وجهان احدهما أن كسرى اطلع ذات يوم على كتاب ديوانه فراهم يحسبون مع انفسهم فقال ديوانه اى مجانين فسمى موضعه بهم بهذا الاسم ثم حذفت الهاء عند كثرة الاستعمال تخفيفا للاسم فقبل ديوان والثاني أن الديوان اسم بالفارسية للشياطين فسمى الكتاب باسمهم لحذقهم بالامور ووقفهم على الجلي والخي وجعهم لما شذو وتفرق واطلاعه على ما قرب وبعد ثم سمي مكان جلوسهم باسمهم فقبل ديوان انتهى واعلم أن كتابة الديوان على ثلاثة أقسام كتابية الجيوش وكتابة الخراج وكتابة الانشاء والمكاتب ولابد لكل دولة من استعمال هذه الاقسام الثلاثة وقد افرده العلماء في كتابة الخراج وفي كتابة الانشاء عدة مصنفات ولم أر أحد اجمع شيئا في كتابة الجيوش والعساكر وكانت كتابة الدواوين في صدر الاسلام أن يجعل ما يكتب فيه صحفا مدرجة فلما انقضت ايام بني أمية وقام عبد الله بن محمد ابو العباس السفاح استوزر خالد بن برمك بعد أبي سلمة حفص بن سليمان الخليل فجعل الدفاتر في الدواوين من الجلود وكتب فيها وترك الدروج الى أن تصرف جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك في الامور أيام الرشيد فاتخذ الكاغد وتداوله الناس من بعده الى اليوم * وذكر ابو الفراء قال حدثني ابو حازم القاضي قال قال لي ابو الحسن بن المذبر لو عمرت مصر كلها لوقت بأعمال الدنيا وقال ان أرض مصر مساحتها للزراعة ثمانية وعشرون ألف ألف فدان وانما المعمر منها ألف ألف فدان قال وقال لي ابن المذبر انه كان يتقلد ديوان المشرق وديوان المغرب قال ولم أبت قط ليلة من الليالي حتى أنهيه ولا بقيته وتقلدت مصر فكنت ريمنا وت قد بقي على شيء من العمل فاستمته اذا اصبحت

* (ذكر ديوان العساكر والجيوش) *

يقال ان اول من وضع ديوان الجند بجيولهم كبراسف أحد ملوك الطبقة الثانية من القرس وان كيقباز قبله

كان قد أخذ العشر من الغلات وضرفه في أرزاق جنده وأما في الإسلام فما خرج البخاري ومسلم من حديث
 حذيفة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اكتبوا لي من تليظ بالاسلام من الناس فكتبنا له ألفاً
 وخمسمائة رجل الحديث ذكره البخاري في باب كتابة الامام الناس والبخاري من حديث عبد الله بن عباس
 رضي الله عنهما قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اكتب في غزوة كذا وكذا
 وامر اني حاجة قال ارجع فاحج مع امرأتك وقال عمرو بن منبه عن معمر عن قتادة قال آخر ما أتى به النبي
 صلى الله عليه وسلم ثمانمائة ألف درهم من البحرين فما قام من مجلسه حتى أمضاه ولم يكن للنبي صلى الله عليه
 وسلم بيت مال ولا لابي بكر وأول من اتخذ بيت مال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال ابن شهاب عمر اول
 من دون الدواوين وروى ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها قالت قسم أبي النبي عام أول فاعطى الحرة عشرة
 والماء لولك عشرة والمرأة عشرة وأمتها عشرة ثم قسم العام الثاني فاعطاهم عشرين عشرين فقبل ان سببه أن
 أباه ريرة رضي الله عنه قدم على عمر رضي الله عنه بمال من البحرين فقال له عمر ما ذا جئت به فقال خسمائة
 ألف درهم فاستكثره عمر وقال أتدري ما تقول قال نعم مائة ألف خمس مرات فقال عمر أطيع هو قال لا أدري
 فصعد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس قد جاءنا مال كثير فان شئتم كلنا لكم كيلاوان شئتم
 عددنا لكم عدا فاقام اليه رجل فقال يا امير المؤمنين قد رأيت الاعاجم يدقون ديوانا اللهم فدقون أنت ديوانا
 فدقون عمر * وقيل بل سببه أن عربت بعشا وعنده الهرمزان فقال له عمر هذا بعث قد أعطيت اهل الاموال
 فان تخلف منهم رجل من اين يعلم صاحبك به فأنتم اهلهم ديوانا فأسأله عن الديوان حتى فسر له فاستشار المسلمين
 في تدوين الدواوين فقال على بن ابي طالب تقسم كل سنة ما اجتمع عندك من المال ولا تمسك منه شيئا
 وقال عثمان رضي الله عنه أرى ما لا كثيرا يسع الناس فان لم يحصوا حتى يعرف من أخذ من لم يأخذ خشيت
 أن يتشتر الامر وقال خالد بن الوليد رضي الله عنه قد كنت بالشام فرأيت ملوكها دقوا ديوانا وجندوا
 جنودا فدقون ديوانا وجند جنودا فأخذ بقوله ودعا عقيلا بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم
 وكانوا كتاب قريش فقال اكتبوا الناس على منازلهم فبدوا يئس هائم وكتبوهم ثم اتبعوهم ولادأى بكر
 وقومه ثم عرو قومه وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة ثم رفعوا ذلك الى عمر رضي الله عنه فلما نظر فيه قال لا
 ولكن ابدوا بقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقرب فالاقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله فشكره
 العباس رضي الله عنه على ذلك وقال وصلت رحمك وقد اختلف في السنة التي فرض فيها عمر رضي الله عنه
 الاعطية ودقن الدواوين فقال الكلبي في سنة خمس عشرة وحكى ابن سعد عن عمر الواقدي أنه جعل ذلك
 في سنة عشرين قال الزهري وكان ذلك في المحرم سنة عشرين من الهجرة وقيل لما فتح الله على المسلمين
 القادسية وقدمت على عمر رضي الله عنه الفتح من الشام جمع المسلمين وقال ما يحل لاولي من هذا المال
 فقالوا جميعا أما الخاصة فقوته وقوت عياله لاوكس ولا تملط وكسونه وكسوتهم للشتاء والصيف ودابتان
 الى جهاده وحوادثه وحملاته الى محبته وعمرته والقسم بالسوية وأن يعطى اهل البلاد على قدر بلادهم ويرم
 امور الناس بعد وبعاهدتهم في الشدائد والنوازل حتى تنكشف ويبدأ بأهل التي ثم يجوزهم الى كل مغلوب
 ما بلغ التي وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما لما افتتحت القادسية وصالح من صالح من اهل
 الاسود واقتحت دمشق وصالح اهل الشام قال عمر رضي الله عنه للناس اجتمعوا فاحضروني عليكم فيما افاء
 الله على اهل القادسية واهل الشام فاجتمع رأي على وعمر رضي الله عنهما أن يأخذوه من قبل القرآن فقالوا
 ما افاء الله على رسوله من اهل القرى يعني من الخمس لله وللرسول يعني من الله الامر وعلى الرسول القسم ولذي
 القرى واليتامى والمساكين ثم فسر واذل بالآية الاخرى التي تليها الفقراء المهاجرين الآية فأخذوا اربعة
 الاخماس على ما قسم عليه الخمس فمن بدى به وثني وثلاث وأربعة أخماس لمن افاء الله عليه المقتن ثم استشهدوا
 على ذلك بقوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسة الآية من تلك الطبقات الثلاث وأربعة أخماس لمن
 افاء الله عليه فقسم الاخماس على ذلك فاجتمع على ذلك عمر وعلي وعمل به المسلمون بعد ذلك فبدأ بالمهاجرين ثم
 الانصار ثم التابعين الذين شهدوا معهم وأعانوهم ثم فرض الاعطية من الجزا على من صالح اودعوا الى الصلح من
 حراية فردة عليهم بالمعروف وليس في الجزا أخماس الجزا لمن منع الذمة ووفى لهم ممن ولي ذلك منهم ولمن لم يلق

قوله وقال الضحاك
 الخ لا تخلو هذه
 العبارة عن نظرا

فأعانهم بأسوة الآن يواسوا بفضلَه عن طيب انفس منهم من لم يثل مثل الذي نالوا وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال عمر رضي الله عنه اني مجند المسلمين على الاعطية ومدونتهم ومختصري الحق فقال عبد الرحمن بن عوف وعثمان وعلى رضي الله عنهم ابدأ بنفسك قال لا يبدأ الا بعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الاقرب فالاقرب منهم من رسول الله ففرض للعباس وبدأ به ثم فرض لاهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ثم فرض لمن بعد بدر الى الحديبية أربعة آلاف اربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديبية الى أن اقلع ابو بكر رضي الله عنه عن اهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ودخل في ذلك من شهد الفتح وقاتل عن أبي بكر ومن ولى الايام قبل القادسية كل هؤلاء على ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ثم فرض لاهل القادسية وأهل الشام اصحاب اليرموك ألفين ألفين وفرض لاهل البلاد النازح منهم ألفين وخسمائة ألفين وخسمائة فقبل له لو ألحقت أهل القادسية بأهل الايام فقال لم اكن لالحقهم بدرجة من لم يدركوا لاهل الله اذن وقيل له قد سويتهم على بعد دارهم من قد قربت داره وقاتل عن فئته فقال هم كانوا أحق بالزيادة لانهم كانوا رداء الحق ونجى للعدو وايم الله ما سويتهم حتى استعطيتهم فهلا قال المهاجرون مثل قولهم حين سويتنا بين السابقين من المهاجرين وبين الانصار وقد كانت نصرة الانصار بفنائهم وهاجروهم المهاجرون من بعد وفرض الروادف الذين ردوا بعد افتتاح القادسية واليرموك بعد الفتح ثلثمائة ثلثمائة سوى كل طبقة في العطاء ليس بينهم تفاضل قويمهم وضعفهم عريتهم واجمعهم في طبقاتهم سواء حتى اذا حوى اهل الامصار من حو ومن سبباياهم وردفت المربع من الروادف فرض لهم على خمسين ومائتين وفرض لمن ردف من الروادف الخمس على مائتين فكان آخر من فرض له عمر رضي الله عنه اهل هجر على مائتين ومات عمر على ذلك وأدخل في أهل بدر أربعة من غير اهل بدر الحسن والحسين وأبازر وطلحان وقال ابو سلمة فرض عمر للعباس على خمسة وعشرين ألفا وقال الزهري على اثني عشر ألفا وجعل نساء اهل بدر الى الحديبية على اربعمائة اربعمائة ونساء من بعد ذلك الى الايام قبل القادسية على ثلثمائة ثلثمائة ثم نساء اهل القادسية على مائتين مائتين ثم سوى بين النساء بعد ذلك وجعل للصبيان من اهل بدر وغيرهم مائة مائة ثم مدعاستين مسكيناً فأطعمهم خبزاً بلع فأحصوا ما اكوه فوجدوه يخرج من جزيتين ففرض لكل انسان يقوم بالامر له ولعيله جزيتين جزيتين في كل شهر مسلمهم وكافرهم وفرض لارواح النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف الامن جرى عليه البيع فقالت امتهات المؤمنين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضلنا عليهم في القسمة ولكن كان يسوى بيننا فوطيننا فجعلهن على عشرة آلاف عشرة آلاف وفضل عائشة رضي الله عنها بألفين فأبى فقال الفضل منزلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا اخذتها فشاؤك وكان الناس اعشاراً فكانت العرفاء ثلاثة آلاف عريف كل عريف على عشرة ورزق الخليل على اعرافها نمازوا كذلك حتى اخنطت الكوفة والبصرة فغيرت العرفاء والاعشار وجعلت اسبعا وجعل مائة عريف على كل مائة ألف درهم عريف وكانت كل عرافة من القادسية خاصة ثلاثة واربعين رجلاً وثلاثاً واربعين امرأة وخمسين من العيال لهم مائة ألف درهم وكل عرافة من أهل الايام عشرين رجلاً على ثلاثة آلاف وعشرين امرأة ولكل عيل مائة على مائة ألف درهم وكل عرافة من الرادفة الاولى ستين رجلاً وستين امرأة واربعين من العيال عن كان رجالهم الحقوا على ألف وخسمائة على مائة ألف درهم وكان العطاء يدفع الى امراء الاسباع واصحاب الرايات والرايات على ابادى العرب فيدفعونه الى العرفاء والقباء والامناء فيدفعونه الى أهله في دورهم فمات عمر رضي الله عنه والامر على ذلك وقد عزم قبل موته أن يجعل العطاء اربعة آلاف اربعة آلاف وقال لقد هممت أن أجعل العطاء اربعة آلاف اربعة آلاف ألف يخلفها الرجل في أهله وألف يتزودها معه في سفره وألف يتجهزها وألف يترفق بها فمات وهو في ارتيا ذلك قبل أن يفعل وكان يقرى البعوث على قدر المسافة ان كان بعيداً فسنه وان كان دون ذلك فسنه اشهر فاذا اخل الرجل بشعره نزعت عمامته واقم في مسجد حيه فقيل هذا فلان قد اخل وقال سيف بن عمر أول عطاء أخذ سنة خمس عشرة وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه يبعث من مصر الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجزية بعد حبس ما كان يحتاج اليه فلما استخلف عثمان رضي الله عنه ثلاث مضي من المحرم سنة اربع وعشرين زاد الناس مائة وكان اول من زاد ورقد أهل الامصار وهو اول من رقد هم وصنع فيهم الصنائع فاستن به الخلفاء في الزيادة وكان عمر قد فرض لكل نفس منقوسة من اهل النقي في رمضان

درهما في كل يوم وفرض لامهات المؤمنين درهمين فقيل له لو صنعت لهم به طعاما لجمعتهم عليه فقال اشبعوا الناس في يومهم فأقر عثمان رضى الله عنه ذلك وزاد فوضع لهم طعام رمضان وقال هو لامة عبد الذي يتخلف في المسجد ولابن السبيل والمعترين بالناس في رمضان فاقتهى به الخلفاء من بعده * وكان بمصر في خلافة معاوية بن أبي سفيان أربعون ألفا وكان منهم أربعة آلاف في مائتين مائتين وكان انما يحمل الى معاوية ستمائة ألف دينار عن فضل اعطيات الجند وما يصرف الى الناس وكان معاوية قد جعل على كل قبيلة من قبائل العرب بمصر رجلا يصبح كل يوم فيدور على المجالس فيقول هل ولد الله فيكم مولود وهل نزل بكم نازل فيقال ولد لفلان غلام ولفلان جارية فيكتب اسماءهم ويقال نزل بهم رجل من أهل كذا بعيله فيسميه وعيله فاذا فرغ من القيل اتي الديوان حتى يثبت ذلك واعطى مسئلة بن محمدا الانصارى امير مصر أهل الديوان اعطياتهم واعطيات عيالهم وارزاقهم ونوائب العباد من الجصور وأرزاق الكتبة وحلجان القمح الى الخجاز وبعث الى معاوية ستمائة ألف دينار فضلا واول تدوين كان بمصر على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه ثم دون عبد العزيز بن مروان تدوين ثانيا ودون قرة بن شريك التدوين الثالث ثم دون بشر بن صفوان تدوين رابعا ثم لم يكن بعد تدوين بشر شئ له ذكر الا ما كان من الحماق قيس بالديوان في خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان فلما انقرضت دولة بني أمية وغلبت المسودة بنو العباس احدثوا الاشياء حتى اذا مات عبد الله المأمون بن هرون الرشيد لسبع خلون من رجب سنة ثمانى عشرة ومائتين وبويع اخوه المعتصم أبو اسحاق محمد بن هرون كتب الى كندر بن نصر الصفدى امير مصر يا امره باسقاط من في ديوان مصر من العرب وقطع العطاء عنهم ففعل ذلك وكان مروان بن محمد الجعدي آخر خلافة بني أمية قطع عن أهل مصر العطاء سنة ثم كتب اليهم كتابا بعثه فيه اني انما حبست عنكم العطاء في السنة الماضية لعدو حضرتي فاحتجت الى المال وقد وجهت اليكم بعطاء السنة الماضية وعطاء هذه السنة فكلوه هنيئا وأعوذ بالله أن أكون أنا الذي يجري الله قطع العطاء على يديه ولما قطع كندر عطاء أهل مصر خرج يحيى بن الوزير الجروى في جمع من نظم وجداد وقال له هذا امر لا يقوم فينا افضل منه لاننا منعنا حقنا وفيه نافعنا فاجتمع اليه نحو خمسمائة رجل ومات كندر في ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين وولى ابنه المظفر مصر من بعده فسار الى يحيى وقاتله في بحيرة تبتس وأخذته اسيرا فانقرضت دولة العرب من مصر وصار جندها العجم والموالي من عهد المعتصم الى أن ولى الامير ابو العباس احمد ابن طولون مصر فاستكثر من العبيد وبلغت عدته ثم زبادة على أربعة وعشرين ألف غلام تركى وأربعين ألف اسود وسبعة آلاف حر مرتقى ثم استجده ابنه الامير ابو الجيش خوارويه بعد عدة من شناعة خوف مصر فلما كانت اماره الامير ابى بكر محمد بن طغج الاخشيد على مصر بلغت عدة عساكره بمصر والشام اربعمائة ألف تشتمل على عدة طوائف ثم ان الاستاذ أبا المسك كافورا الاخشيدى استجده عدة من السودان في ايام تحكمه بمصر فلما تغلب الامام المعز لدين الله ابو تميم معدة الفاطمى على مصر صارت عساكرها ما بين ستمائة وزوبله ونحوها من طوائف البربر وفيهم الروم والصقالبة وهم في العدد كما قيل * ومنهم مائة * ولم تكن جيوشه تعد * ولما اوتيه كان حدة * من كل ما يسد عليه حدة * وحتى قيل انه لم يبطأ الارض بعد جيش الاسكندر بن قليس المقدونى اكثر عدد من جيوش المعز فلما قام في الخلافة بمصر من بعده ابنه العزيز بالله ابو منصور نزار استخدم الديلم والأتراك واختص بهم * وذكر الامير المختار عبد الملك المسيحى في تاريخه أن خزنة الخصاص حملها لما خرج العزيز الى الشام عشرون ألف رجل خارجا عن خزائن القواد وأكابر الدولة * وذكر ابن ميسر في تاريخه أن عبيد السيدة أم المستنصر بالله ابى تميم معد بن الظاهر لا عزاز دين الله ابى الحسن على بن الحاكم بامر الله ابى على منصور بن العزيز بالله خاصة فكانت عدتهم حسين ألف عبد سوى طوائف العسكر ورأيت بخط الاسعد بن مماتي ان عدة الجيوش بمصر في ايام رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك كانت أربعين ألف فارس وستة وثلاثين ألف راجل وزاد غيره وعشرة شواني بحرية فيها عشرة آلاف مقاتل وهذا عند انقراض الدولة الفاطمية فلما زالت دولتهم على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب أزال جند مصر من العبيد السود والامراء المصريين والعربان والارمن وغيرهم واستجده عسكر من الأكراد والأتراك خاصة وبلغت عدة عساكره بمصر اثني عشر ألف فارس لا غير فلما مات اقرقت من بعده ولم يبق بمصر مع ابنه الملك العزيز

وقيل بل رزقه ألف دينار وهو أشبه

• (ذكر القطنع والاقطاعات) •

يقال اقتطع طائفة من الشيء أخذها والقطعة ما اقتطعه منه وأقطعني أناها اذن لي في اقتطاعها واستقطعه أناها

سأله أن يقطعه أياها وأقطعه نهر أو أرضا باح له ذلك وقد أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتألف على الاسلام
 قوما وأقطع الخلفاء من بعده من رأوا في اقطاعه مصلحا * روى ابن أبي نجيح عن عمرو بن شعيب عن أبيه أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع أناسا من مزينة أوجهينة أرضا فلم يعمروها فجاء قوم فعمروها فجاءهم
 الجهمينيون والمزينيون إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر لو كانت مني أو من أبي بكر لدتها ولكنها قطيعة
 من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من كانت له أرض ثم تركها ثلاث سنين لا يعمرها فعمرها قوم آخرون
 فهم أحق بها * وقال هشام بن عروة عن أبيه أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير أرضا فيها نخل من أموال
 بني النضير وذكر أنما أرض يقال لها الجرف * وذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقطع العقيق أجمع
 الناس حتى جازت قطيعة عروة فقال ابن الزبير المستقطعون فند اليوم فإن يك فيه خير فكت قد قدي قال خوات
 ابن جبير أقطعني فأقطعه أياه وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم
 المدينة أقطع أبا بكر وأقطع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وقال اشعث بن سوار عن حبيب بن أبي ثابت عن
 صلت المكي عن أبي رافع قال أعطى النبي صلى الله عليه وسلم قوما أرضا فمجنزوا عن عمارتها فباعوها في زمن عمر
 ابن الخطاب رضي الله عنه بثمانية آلاف دينار وأثنى ثمانية الف درهم فوضعوا أموالهم عند علي بن أبي طالب رضي
 الله عنه فلما أخذوها وجدوها ناقصة فقالوا هذا ناقص قال أحسبوا وزكاته قال فحسبوا وزكاته فوجدوه وافيها
 فقال أحسبتم أن أمسك ما لا ولا ازكبه وقد سألت عيم الداري رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطعه عيون
 البلد الذي كان منه بالشام قبل فتحه ففعل وسأله أبو ذؤلمة الخثمي أن يقطعه أرضا كانت بيد الروم فأعجبه
 ذلك وقال ألا تسمعون ما يقول فقال والذي بعثك بالحق ليقفن عليك فكتب له بذلك وكانا قال ثابت بن سعد عن
 أبيه عن جده أن الأبيض بن جبال استقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملح مارب فأقطعه فقال الأقرع بن
 حابس التميمي يا رسول الله أتى وردت هذا الملح في الجاهلية وهو بأرض ليس فيها ملح من ورده أخذوه وهو مثل
 الماء العذب بالأرض فاستقال الأبيض فقال قد أقلتك على أن تجعله مني صدقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
 هو منك صدقة وهو مثل الماء العذب من ورده أخذه وقال كثير بن عبد الله بن عوف المزني عن أبيه عن جده
 أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال بن الحارث المعادن القبلية جليته وأغورثها وقال مالك عن ربيعة
 عن قوم من علمائهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع بلال بن الحرث المزني معادن بناحية القرع * وعن
 ربيعة عن الحرث بن بلال عن أبيه بلال بن الحرث أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع العقيق أجمع وعن جاد بن
 سلمة عن أبي مكين عن أبي عكرمة مولى بلال بن الحرث قال أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا أرضا فيها
 جبل معدن فباع بنو بلال عمر بن عبد العزيز أرضا منها فظهر فيها معدن أو قال معدنان فقالوا إنما بعنا الأرض
 حرث ولم نبعل المعادن وجاءوا بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم لهم في جريدة فقبلها عمر وفتح وسحبها عينيه وقال لقيته
 انظر ما خرج منها وما انفتحت ففأصهم بالنفقة ورد عليهم الفضل واصطفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أرض
 السوداء أموال كسرى وأهل بيته وما هرب عنه أربابه أو هلكوا فكان مبلغ غلته تسعة آلاف ألف درهم كان
 يصرفها في مصالح المسلمين ولم يقطع شيئا منها ثم أن عثمان رضي الله عنه أقطعها لأنه رأى أقطاها وأوفر لغلتها
 من تعطيلها وشرط على من أقطعها أن يأخذ منه حق النقي فكان مبلغ غلته خمسين ألف ألف درهم كان
 منها صلاته وعطاياه ثم تناقلها الخلفاء بعده فلما كان عام الحجاج سنة اثنتين وثلاثين في فتنة عبد الرحمن بن الأشعث
 أحرق الديوان وأخذ كل قوم ما يليهم وأقطع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابن سندر منية الأصبع فخاز منها
 لنفسه ألف فدان وقال وكيع عن سفيان عن جابر الجعفي عن عامر لم يقطع أبو بكر ولا عمر ولا علي رضي الله عنهم
 وأول من أقطع القطائع عثمان رضي الله عنه وبيعت الأرضون في خلافة عثمان قال الليث بن سعد ولم يبلغنا أن
 عمر بن الخطاب أقطع أحدا من الناس شيئا من أرض مصر إلا ابن سندر فإنه أقطعه أرض منية الأصبع فلم تزل له
 حتى مات فاشتراها الأصبع بن عبد العزيز بن مروان من ورثته فليس بمصر قطيعة أقدم منها ولا أفضل
 وقال الأعمش عن إبراهيم بن المهاجر عن موسى بن طلحة قال أقطع عثمان رضي الله عنه عبد الله بن مسعود
 التمرين وعامر بن ياسر أسنسا وأقطع خبابا وصهيبا وأقطع سعد بن أبي وقاص قرية هروم وكان عبد الله
 ابن مسعود وسعد يعطيان أرضهما بالثلث والرابع * وقال سيف بن عمر عن عمرو بن محمد عن عامر

قال اقطع الزبير وخباب وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وابن هبار ازمان عثمان فان يكن عثمان اخطأ فالذين قبلوا منه اخطأوا وهم الذين اخذنا عنهم ديننا واطع عمر بن الخطاب رضي الله عنه طلحة وجبرير ابن عبد الله والربيع بن عمرو واقطع ابا مضر ذار النبل في عتة بمن اخذنا عنه وانما القطائع على وجه النقل من خمس ما آفاه الله وكتب عمر رضي الله عنه الى عثمان بن حنيف مع جوير بن عبد الله الجبلي أما بعد فأقطع جبرير ابن عبد الله قدر ما يقوته لاوكس ولاشطط فكتب عثمان الى عمر ان جبرير اقدم على بكتاب منك نقطعه ما يقوته فكرهت أن أمضى ذلك حتى اراجعت فيه فكتب اليه صدق جبرير فأنفذ ذلك وقد أحسنت في مؤامرتي وأقطع أبو موسى الأشعري وأقطع علي بن أبي طالب رجة كردوس بن هاني وأقطع سويد بن غفلة الجعفي قال سيف عن ثابت بن هريرة عن سويد بن غفلة قال استقطعت عليا فقال اكتب هذا ما أقطع على سويد ارضا الدواب ما بين كذا الى كذا ما شاء الله وذكر أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ما اقطعه معاوية بن أبي سفيان ومن بعده من الخلفاء من دور مصر فلورد شيئا كثيرا وقد كان خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس يقطعون الاراضي من ارض مصر النفر من خواصهم لا كما هو الحال اليوم بل يكون مال خراج ارض مصر يصرف منه اعطية الجند وسائر الكلف ويحمل ما يفضل الى بيت المال وما اقطع من الاراضي فانه بيد من اقطعه وأما منذ كانت أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى يومنا هذا فان اراضي مصر كلها صارت تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده وارض مصر اليوم على سبعة اقسام قسم يجري في ديوان السلطان وهذا القسم ثلاثة اقسام منه ما يجري في ديوان الخاص ومنه ما يجري في الديوان المفرد وقسم من اراضي مصر قد اقطع للأمراء والايمناد وقد ذكر تفصيل ذلك عند ذكر الروك الناصري وقسم ثالث جعل وقفا محسنا على الجوامع والمدارس والخوانك وعلى جهات البر وعلى ذرازي واقفي تلك الاراضي وعتقاتهم وقسم رابع يقال له الاحباس يجري فيه اراض بأيدي قوم بأكلونها اما عن قياسهم بمصالح مسجد أو جامع وأما تكون لهم لافي مقابلة عمل * وقسم خامس قد صار ملكا لبياع ويشترى ويورث ويوهب لكونه اشترى من بيت المال * وقسم سادس لا يزرع العجوز عن زراعته فقرعاه الموائى او بنيت الحطب ونحوه * وقسم سابع لا يشمله ماء النبل فهو فقر وهذا القسم منه ما لم يزل كذلك منذ عرفت احوال الخليفة ومنه ما كان عامرا في الدهر الاول ثم خرب وسائر هذه الاقسام مذكورة اخبارها في هذا الكتاب تجدها ان أثبت تأملته ان شاء الله تعالى وقال أبو عبد الله القاسم بن سلام في كتاب الاموال في الكلام على حديث معمر بن عبد الله بن طاوس عن أبيه طاوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عادى الارض لله ولرسوله ثم هي لكم قلت ما معنى ذلك قال تكون اقطعا هذا الخبر أصل في الاقطاع والعاذى كل ارض كان لها سكان فانقرضوا أى فصارت خرابا فان حكمها الى الامام قال وأما الارض التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الناس وهي عامرة لها أهل فأعطاه الامام يكون على وجه النقل ومن ذلك ما أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا الدارى فانه أعطاه ارضا بالشام من قبل أن يفتح الشام وقبل ان يملكها المسلمون فجعلها له فغلا من اموال أهل الحرب اذا ظهر عليهم كما فعل نأبيه نقيله لما وهبها الشيباني قبل اقتتاح الحيرة فأعطاه له خالد بن الوليد رضي الله عنه وكذلك أمضى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتعيم الدارى لما فتحت فلسطين ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم نقيله انتهى فقد خرج أبو عبد الله هذه العاطية المعلقة مخرج النقل الذي ينقله الامام بعض مقاتله * وقال أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي في الاحكام السلطانية والاقطاع ضربان اقطاع استغلال واقطاع تمليك والثاني ينقسم الى موات وعامر والثاني ضربان أحدهما ما يتعين مالكة ولا تنظر للسلطان فيه الا تلك الارض في حق لبيت المال اذا كانت في دار الاسلام فان كانت في دار الحرب حيث لم يثبت للمسلمين عليها يد فأراد الامام أن يقطعها لملكها المقطع عند الظفر بها فانه يجوز فقد سأل تميم الدارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيه يحون البلد الذي كان منه قبل ان يفتح الشام ففعل وسأله أبو ثعلبة الخشني أن يقطعه ارضا كانت بيد الروم فأعجبه ذلك وقال ألا تسمعون ما يقول هذا فقال والذي بعثك بالحق ليقيم عليك فكتب له بذلك كتابا قال الماوردي وهكذا الواسطهوب أحد من الامام ملأ في دار الحرب وهو على ملك أهلها أو استوهبه شيئا من سبيلها أو ذراريها ليكون احق به اذا فتحت جاز وصحت العاطية منه مع الجاهل بها المتعلقة بالامور العامة وقد روى الشعبي ان خزيمه بن اوس الطائي قال للنبي صلى الله عليه

وسلم ان فتح الله عليك الحيرة فأعطني بنت نفيله فلما أراد خالد صلح أهل الحيرة قال له خزيمه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاني بنت نفيله فلا تدخلها في صلحك فشهد له بشر بن سعد ومحمد بن مسلمة فاستثنىها من الصلح ودفعها الى خزيمه فاشترى بألف درهم وكانت عجزت وحالت عماء عهد منها فقبل له قدر خصتها وكان أهلها يدفعون لك اضعاف ما سألت فقال ما كنت اظن ان عدد ايكون اكثر من ألف قال الماوردي واذا صح الاقطاع والتملك على هذا الوجه نظر حال الفتح فان كان صلحا خلصت الارض لمقطعها وكانت خارجة عن حكم الصلح بالاقطاع السابق وان كان الفتح عنوة كان المقطع والمستوهب احق بما استقطعه واستوهبه من الغنائم ونظر في الغنائم فان كانوا اعموا بالاقطاع أو الهبة قبل الفتح فليس لهم المطالبة بعوض وان لم يعلموا حتى فتحوا واعاوضهم الامام بما يستطيب نفوسهم من غير ذلك من الغنائم وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى لا يلزم الامام استجابة نفوسهم منه ولا من غيره من الغنائم اذا رأى المصلحة في ذلك

* (ذكر ديوان الخراج والاموال) *

يقال لكتابة الخراج قلم التصريف وأول ما دون هذا الديوان في الاسلام بدمشق والعراق على ما كان عليه قبل الاسلام وكان ديوان الشام بالرومية وديوان العراق بالفارسية وديوان مصر بالقبطية فنقلت دواوين هذه الامصار الى العربية والذي نقل ديوان مصر من القبطية الى العربية عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة سبع وثمانين ونسخها بالعربية وصرف انتناش عن الديوان وجعل عليه ابن يربوع الفزاري ممن أهل خص وأول من نقل الدواوين من الفارسية الى العربية الوليد بن هشام بن مخزوم ابن سليمان بن ذكوان ووفى سنة اثنتين وعشرين ومائتين والاكثرون على ان الذي نقل ديوان العراق الى العربية صالح بن عبد الرحمن كاتب الخجاج وكان مولى لبني سعد وهو يومئذ صاحب دواوين العراق وذلك بعد سنة ثمانين وسبب ذلك ان صالح بن عبد الرحمن هذا كان أبوه من سبي سجستان ومهر صالح في الكتابة وكتب لزادان فروح كاتب الخجاج بن يوسف الثقفي وخط بين يديه بالفارسية والعربية تخف على قلب الخجاج تخاف من زادان وقال له انت الذي رفيتني حتى وصلت الى الامير واره قد استخفني ولا آمن أن يقدمني عليك فتسقط منزلتك فقال زادان لا تظن ذلك هو أحوج الى مني اليه لانه لا يجد من يكفيه حسابه غيري فقال صالح والله لو شئت ان احوّل الحساب الى العربية لحولته قال فقول منه امطرا حتى أرى ففعل فقال له تمارض فتمارض فبعث اليه الخجاج بطيبيه فشق ذلك على زادان وأمره ان لا يظهر للخجاج فاتفق عقيب ذلك ان زادان قتل في قسنة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وهو خارج من موضع كان فيه الى منزله فاستكتب الخجاج بعده صالحا فأعلم الخجاج بما جرى له مع زادان في نقل الديوان فأعجبه ذلك وعزم عليه في امضائه فنقله من الفارسية الى العربية وشق ذلك على الفرس وبذلوا له مائة ألف درهم على أن لا يظهر النقل فأبى عليهم فتقال له مروان شاه بن زادان فروح قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية وكان عبد الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما أعظم منته على الكلب وأما ديوان الشام فان الذي نقله من الرومية الى العربية أبو ثابت سليمان بن سعد كاتب الرسائل واختلف في وقت نقله فقبل نقل في خلافة عبد الملك بن مروان وقيل في خلافة هشام بن عبد الملك وكان الذي يكتب على ديوان الشام سرجون بن منصور النصراني في أيام معاوية بن أبي سفيان ثم كتب بعده ابنه منصور ابن سرجون

* (ذكر خراج مصر في الاسلام) *

أول من جبي خراج مصر في الاسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه فكانت جبايته اثني عشر ألف ألف دينار بفرضة دينارين دينارين من كل رجل ثم جبي عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر أربع عشرة ألف ألف دينار فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لعمر بن العاص يا أبا عبد الله درت اللقعة باكثر من درها الا اقول فقال اضر رتم بولدها وهذا الذي جباه عمرو ثم عبد الله انما هو من الجاهل خاصة دون الخراج وان خط خراج مصر بعدهما النخو الفساد مع الزمان وسريان الخراب في اكثر الارض ووقوع الحروب فلم يجبا بنو امية وخلفاء بني العباس الا دون الثلاثة آلاف ما خلا أيام هشام بن عبد الملك فانه وصى عبيد الله بن الحجاج عامل مصر بالعمارة

فيقال انه لم يظهر من خراج مصر بعد تناقصه كثرة الا في وقتين * أحدهما في خلافة هشام بن عبد الملك عند ما ولي الخراج عبيد الله بن الحجاب فخرج بنفسه ومسح العامر من أراضي مصر والغامر بمباركبه ماء النيل فوجد قانون ذلك ثلاثين ألف ألف فدان سوى ارتفاع الجرف ووسخ الارض فراكها كلها وعدلها غاية التعديل فعمدت معه أربعة آلاف ألف دينار وهذا السعر راخ والبلد بغير مكس ولا ضريبة وفي سنة سبع ومائة لا قول أيام هشام بن عبد الملك ونظف ابن الحجاب بمصر طبقات معاومة منسوبة في الدواوين ولم تزل الى ما بعد ذهاب بني أمية ومبلغها ألف ألف دينار وسبع مائة ألف دينار وثمانمائة وسبعة وثلاثون ديناراً منها على كور الصعيد ألف ألف واربع مائة دينار وعشرون ديناراً ونصف والباقي على كور أسفل الارض ويقال ان اسامة بن زيد جباها في خلافة سليمان بن عبد الملك مبلغ اثني عشر ألف ألف دينار * والوقت الثاني في امانة أحمد بن طولون لما تسلم أرض مصر من أحمد بن محمد بن مدبر وقد خربت أرض مصر حتى بقي خراجها ثمانمائة ألف ألف دينار فاستقصى أحمد بن طولون في العمارة وبالف فيها فعمدت معه أربعة آلاف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار وجباها ابنه الأمير أبو الجيوش خازن به بن أحمد أربعة آلاف ألف دينار مع رءاء الاسعار أيامئذ فانه ربما يبيع في الايام الطويلة القمح كل عشرة أرا داب ديناراً * وذكر ابن خرداذبه ان خراج مصر في أيام فرعون كان ستة وتسعين ألف ألف دينار وان ابن الحجاب جباها التي ألف وسبع مائة الف وثلاثة وعشرين الفاً وثمانمائة وتسعة وثلاثين ديناراً وهذا وهم منه فان هذا القدر هو ما حمله الى بيت المال بدمشق بعد أعطية أهل مصر وكفها قال وحمل منها موسى بن عيسى الهاشمي ألفي ألف ومائة ألف وثمانين ألف دينار يعني بعد العطاء والمؤن وسائر الكلف قال وكان خراج مصر اذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعاً وعشر اصابع أربعة آلاف ألف دينار ومائتي ألف وسبعة وخمسين ألف دينار والمقبوض عن الفدان دينارين في خلافة المأمون وغيره وبلغ خراج مصر في أيام الأمير أبي بكر محمد بن طنج الاخشيد التي ألف دينار سوى ضياعه التي كانت ملكاً له والاخشيد أول من عمل الرواتب بمصر وكان كاتبه ابن كلاً قد عمل تقديرًا بحرف فيه المرتب عن الارتفاع مائتي ألف دينار فقال له الاخشيد كيف نعمل قال حط من الجرايات والارزاق فليس هؤلاء اولي من الواجب فقال غدا تجيئني ونذر هذا فلما اتاه من الغد قال له الاخشيد قد فكرت فيما قلت فاذا اصحاب الرواتب الضعفاء وفيهم المستورون وأبناء النعم ولست آخذ هذا النقص الامنك فقال ابن كلاً سبحان الله فقال تسبيحاً وما زال به الاخشيد حتى أخذ خطه بالقيام بذلك فعوتب على ما صنع فقال يا قوم اسمعوا ايش كان يعمل جاءه أحمد بن محمد بن المارداني فقال له ما بيني وبين السلطان معاملة ولا للاخشيد على طريق وهذه هدية عشرة آلاف دينار للاخشيد وألف دينار لك فجاءني وقال لك قبل ابن المارداني مطالبة فقلت لا فقال هذه ألف دينار قد جاءتك على وجه الماء فاعطاني ألفاً وأخذ عشرة آلاف دينار واهدي الى محمد بن علي المارداني في وقت عشرين ألف دينار على يده فاستمات لها فلما اجتمعنا عاتبته فقال لي ارسلت اليك مائة ألف دينار ولا بن كلاً كاتبك عشرين ألف دينار فأخذ المائة واعطاني العشرين الفاً فذكرت قول محمد بن علي له فقال ما بردها هذا حفظت لك المائة ألف لوقت حاجتك تريد اذها خذها وان اعلم انك تتلفها * (وبلغت الرواتب) في أيام كافور الاخشيدى خمس مائة ألف دينار في السنة لارباب النعم والمستورين واجناس الناس ليس فيهم أحد من الجيش ولا من الخاشية ولا من المتصرفين في الاعمال فحسن له علي بن صالح الروذبادي الكاتب ان يوفر من مال الرواتب شيئاً ينتقصه من ارزاق الناس فساعة جلس يعمل حكمة جبينه فحكمة بقله والحكاك يزيد به الى ان قطع العمل وقام لمابه فعولج حينئذ بالحديد حتى مات في رمضان سنة سبع وأربعين وثلثمائة وهذه موعظة من الله لمن توسط للناس بالسوء قال تعالى ولا يحق المكر السيئ الا باهله * ولما مات كافور نزلت محن شديدة كثيرة بمصر من الغلاء والفناء والفتن فاتضع خراجها الى ان قدم جوهر القائد من بلاد المغرب بعساكر مولاه المعز لدين الله أبي تميم معد فجني الخراج لسنة ثمان وخمسين وثلثمائة ثلاثة آلاف ألف دينار واربع مائة ألف دينار ونيقاً وأمر الوزير الناصر لدين أبو الحسين عبد الرحمن اليانزوري وزير مصر في خلافة المستنصر بالله بن الظاهر ان يعمل قدر ارتفاع الدولة وما عليها من النفقات فعمل ارباب كل ديوان ارتفاعه وما عليه وسلم الجميع لمتولي ديوان المجلس وهو زمام الدواوين فنظم عليه عملاً جامعاً وأناه به فوجد ارتفاع

الدولة أثنى ألف دينار منها الشام ألف الف دينار ونفقته بأزاء ارتفاعه والريف وباقي الدولة ألف ألف دينار
 * قال القاضي أبو الحسن في كتاب المنهاج في علم الخراج وقفت على مقايضة عملت لامير الجيوش بدر الجاني
 حين قدم مصر في أيام الخليفة المستنصر وغلب على امره ما هو به من كان بها من المفسدين شرح فيها ان الذي
 اشتمل عليه الارتفاع في الهلالى لسنة ثلاث وثمانين واربعمائة وفي الخراجى على ما يقتضيه الديوان فيه
 بما كان جاريا في الاعمال المصرية من الخراج وما يجرى معه والمضمون والمقطع والمورد بغيره والمحاول بالقاهرة
 ومصر وضواحيهما وناحيتي الشرقية والغربية من أسفل الارض واعمالها وتينس ودمياط واعمالهما
 والاسكندرية والبحيرة والاعمال الصعيدية العالية والدانية ووحدات وعيذاب لسنة ثمانين واربعمائة الخراجية
 على الرسوم المصرية وما كان من الاعمال الشامية التي اولها من حد الشجرتين وهو اول الاعمال الفلسطينية
 والاعمال الطرابلسية لسنة ثمان وسبعين واربعمائة الخراجية على ما استقرت عليه الجملة عينا ثلاثة
 آلاف ألف ومائة ألف دينار وان الذي استقر عليه جملة ما كان يتأدى في سنة ست وستين واربعمائة
 الهلالية قبل نظر امير الجيوش الواقعة لسنة ثلاث وستين واربعمائة الخراجية فكان مبلغها الى ألف
 وثمانمائة ألف دينار وكان الزائد للسنة الجيوشية عما قبلها ثلثمائة ألف دينار عما عرّب عنه حسن العمارة
 وشمول العدل وكان نظم هذه المقايضة سنة ثلاث وثمانين واربعمائة * وذكر ابن ميسران الافضل بن امير
 الجيوش امر بعمل تقدير ارتفاع ديار مصر فجاء خمسة آلاف ألف دينار * وذكر القاضي الفاضل في ميادينه انه
 عبر البلاد من اسكندرية الى عيذاب لسنة خمس وثمانين وخسمائة خارجا عن الثغور وارباب الاموال الديوانية
 وعدة نواح اربعة آلاف الف وستمائة الف وثلاثة وخمسين الفا وتسعة وعشرين دينارا ثم ناقصت الى ان
 جباها القاضي الموفق أبو الكرم بن معصوم العاصمى التنبسى عينا خالصا الى بيت المال بعد المئون والكلف
 ألف ألف دينار ومائتى ألف دينار الى آخر سنة اربعين وخسمائة ثم بعده لم يجبا هذه الجبلية أحد حتى
 انقرضت الدولة الفاطمية * وسبب انقضاء خراج مصر بعد ما بلغ مع الروم في آخر سنة ملكوا قبل فتح مصر
 عشرين ألف ألف دينار أن المملوك لم تسمح نفوسهم بما كان ينفق في كلف عمارة الارض فانها تحتاج ان ينفق
 عليها ما بين ربع متحصلها الى ثلثه وأخر ما اعتبر حال ارض مصر فوجد مدة حزمها ستين يوما ومساحة ارضها
 مائة ألف ألف وثمانين الف فدان يزرع منها في مباشرة ابن مدير اربعة وعشرون ألف ألف فدان وانه لا يتم
 خراجها حتى يكون فيها اربعمائة ألف وثمانون ألف حراث يلزمون العمل فيها دائما فاذا اقيم بها هذا القدر
 من العمال في الارض تمت عمارتها وكممل خراجها وأخر ما كان بها مائة ألف وعشرون ألف مزارع
 في الصعيد سبعون ألفا وفي أسفل الارض خمسون ألفا وقد تغير الا أن جميع ما كان بها من الاوضاع القديمة
 واختلت اختلا فاضحا

* (ذكر اصناف اراضي مصر واقسام زراعتها) *

اعلم ان اراضي مصر عدة اصناف اعلاها قيمة وأوفاهاسعرا وأعلاما قطيعة الباق وهو أثر القرط والمقاي فانه
 يصلح لزراعة القمح وبعد الباق رى الشراقي وهو الارض التي ظلمت في الخالية فلما رويت في الاتية وصارت
 مستريحة من الزرع وزرعت أنجب زرعها والبراب وهو أثر القمح والشعير وسعرها دون الباق لضعف الارض
 بزراعة هذين الصنفين فحتى زرعت على اثر أحدهما لم ينجب كنجابة الباق والبراب صالح لزراعة القرط والقطن
 والمقاي فان الارض تستريح بزراعة هذه الاصناف وتفسير في القابل ارض باق والسقماهي اثر الكنان فان
 زرعت قمحا خسر والتشوية اثر ما روى وبار في السنة الماضية وهو دون الشراقي والسلاجح ما روى وبار خث
 وتعطل وهو مثل رى الشراقي فان زرعه يكون ناجبا والنقا كل ارض خلت من اثر مزارع فيها ولم يبق بها شغل
 عن قبول ما يزرع فيها من اصناف الزراعات والوسخ كل ارض استحكم وسخها ولم يقدر الزراعون على ازاخته
 كله منها بل حرقوا وزرعوا فيها فجاء زرعها مختلطا بالملء ونحوها والغالب كل ارض حصل فيها نبات شغلها عن
 قبول الزراعة ومنع كثرته من زراعتها وصارت مراعى والخرس كل ارض فسدت بما استحكم فيها من موانع
 قبول الزرع وكانت بها مراعى وهو أشد من الوسخ الغالب واذا ادمن على ازالة ما فيها من الموانع تم بها صلاحها
 والشراقي كل ارض لم يصل اليها الماء بالقصور ماء النسل أو علو الارض أو سدة طريق الماء عنها أو غير ذلك

والمستجير كل ارض وطينة حصل بها الماء ولم يجده صر فاحتي فات اوان الزرع وهو باق في الارض والسباخ كل ارض غلب عليها الملح حتى ملحت ولم يتفتح بها في زراعة الجبوب ورمجازرعت ما لم يستحكم السباخ فيها غير الجبوب كالهليون والبادنجان ويزرع فيها القصب الفارسي * ومما لا غنى لاراضى مصر عنه الجصور وهى على قسمين سلطانية وبلدية فالجصور السلطانية هى العامة النفع فى حفظ النيل على البلاد كافة الى حين يستغنى عنه ولها رسوم موظفة على الاعمال الشرقية والاعمال الغربية وكانت فى القديم تعمل من أموال النواحي ويتولى عملها مستقبلا الاراضى ويعتدلهم بمصارف عليها مما عليهم من قبالات الاراضى ثم صار بعد ذلك يستخرج برسم عملها من هذين العاملين مال بايدى المستخدمين من الديوان ويصرف عليها وبفضل من المال بقية تحمل الى بيت المال ثم صار يتولى ذلك اعيان امراء الدولة الى أن حدثت الحوادث فى ايام الناصر فرج فصار يجبى من البلاد مال عظيم ولا يصرف منه شئ البتة بل يرفع الى السلطان ويتفرق كثير منه بايدى الاعوان ويستخرج اهل البلاد فى عمل الجصور فيجاء الخلل كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى عند ذكر اسباب الخراب * وأما الجصور البلدية فانها عبارة عما يخص نفعا ناحية دون ناحية ويتولى اقامتها المقطعون والفلاحون من اصل مال الناحية ومحل الجصور السلطانية من القرى محل سور المدينة الذى يتعين على السلطان الاهتمام بعمارته وكفاية الرعية امره ومحل الجصور البلدية محل الدور التى من داخل السور فيلزم صاحب كل دار أن يصلحها ويزيل ضررها ومن العادة أن المقطع اذا انفصل وكان قد انفق شيئا من مال اقطاعه فى اقامة جسر لاجل عمارة السنة التى انتقل الاقطاع عنه فمما فان له أن يستعيد من المقطع الثانى نظير ما انفق من مال سنته فى عمارة سنة غيره * واصلى مازرع القمح فى اثر الباق والشرافى وكان يزرع بالصعيد القمح على اثر القمح لكثرة الطرح ورمجازرعت هناك على اثر الكتان والشعير ويزرع القمح من نصف شهر بابه الى آخره وتور وهذا فى العوالى من الارض التى تخرج بدريا وأما البحار المتأخرة فتمتد وقت الزرع فيها الى آخر كيهك ومقدار ما يحتاج اليه الفدان الواحد من بذر القمح يختلف بحسب قوة الارض وضعفها وورقتها وتوسطها وما يزرع فى اللوق وما يزرع فى الحرث واكثر البذر من اردب الى خمس وبيات وأربع وبيات أيضا ويوجد فى الصعيد اراض تحتل دون هذا وفى حوف رمسيس اراض يكفى الفدان منها لمحج الويتين ويدرك الزرع بمصر فى شمس وهو نيسان ويختلف ما يخرج من فدان القمح بحسب الاراضى فيرمى من اردبين الى عشرين اردبا وقال ابو بكر بن وحشية فى كتاب الفلاحة وذكر أن فى مصر اذا زرعوا يخرج من المدة ثلثمائة مد والعلة فى ذلك حرارة هواء بلادهم مع سمن أرضهم وكثرة كدورة ماء النيل * ولما كان فى سنة ست وثمانمائة انحسر الماء عن قطعة أرض من بركة القيوم التى يقال لها اليوم بحر يوسف فزرعت وجاء زرعها بحسب ربحى الفدان منها أحدا وسبعين اردبا من شعير بكيل القيوم وأردبها تسع وبيات وكانت قطعة فدان القمح يلاذ الصعيد فى ايام الفاطمية ثلاثة أرداب فلما مسحت البلاد فى سنة اثنين وسبعين وخمسمائة تقرر على كل فدان اردبان ونصف ثم صار يؤخذ اردبان عن الفدان وأما اراضى اسفل الارض فيؤخذ عنها عين لاغلة * ويزرع الشعير فى اثر القمح وغيره فى الارض التى غرقت وهى رطبة ويتقدم زراعته على زراعة القمح بأيام وكذلك حصاده فانه يحصد قبل القمح ويحتاج الفدان منه أن يبذرفه بحسب الارض ويخرج اكثر من القمح ويكون ادراكه فى برمودة وهو أدار * ويزرع الفول فى الحرث اثر البراب من اول شهر بابه ويؤكل وهو أخضر فى شهر كيهك ويحتاج الفدان من البذر منه الى ثلاث وبيات ونحوها ويدرك فى برمودة ويتحصل من فدان ما بين عشرين اردبا الى مادون ذلك * ويزرع العدس والحص من هتور الى كيهك والجلبان لا يزرع الا فى ارق الاراضى حرثا من الارض العالية ويزرع تلويقا فى الاراضى الخرس ويدرك فى كل فدان من الحص من اردب الى ثمان وبيات ومن الجلبان من اردب الى أربع وبيات ومن العدس من وبيتين الى مادونهما وتدرك هذه الاصناف فى برمودة ويتحصل من فدان الحص من أربعة ارداب الى عشرة ومن الجلبان من عشرة ارداب الى مادونها والعدس من عشرين اردبا مادونها * وأنجب ما يكون الكتان ذازرع فى البرش ويحتاج أن يسج بتراب سباح وهو اذا طال رقة ويقلع قضباناً ويسج حينئذ اسلافاً وينثر فى موضعه حتى يجف فاذا جف حل وهدر وعزل جوزه فيخرج منه برز الكتان ويستخرج منه الزيت

الحار ويزرع الصكتان في شهر هاتور ويحتاج القدان أن يذرفيه من البرز ما بين اردب وثلاث الى مادون ذلك ويدرك في شهر برمودة ويخرج من القدان ما بين ثلاثين شدة الى مادون ذلك ومن البرز من ستة ارادب الى مادونها وكانت قطعة القدان منه في القديم بأرض الصعيد من خمسة دنانير الى ثلاثة وفي دلاص ثلاثة عشر ديناراً * وفيما عدا ذلك ثلاثة دنانير * ويزرع القرط عند أخذ ماء النيل في النقصان ولا ينبغي تأخير زرعها الى أوان هبوب الريح الجنوبية التي يقال لها المربسية وأول ما يذرف في شهر يابه وربما زرع بعد النوروز والحراثي منه يزرع في كيهك وطوبه ويزرع أحياناً في هاتور ويذرف في كل فدان من ويتين ونصف الى ما حولها ويدرك الاخضر منه في آخر شهر كيهك ويدرك الحراثي في طوبه وأمشير ويتحصل من القدان الحراثي ما بين اردبين الى أربع ويات * ويزرع البصل والثوم من شهر هاتور الى نصف كيهك ويذرف في فدان البصل من نصف وربيع وية الى وية والثوم من مائة حزمة الى مائة وخمسين حزمة ويدرك ذلك في برمودة والبصل الذي يخرج ليزرع زريعة فانه يزرع من أول كيهك الى العاشر من طوبه ويخرج من زريعته عشرة ارادب من القدان ويدرك في بشنس * ويزرع الترمس في طوبه وزريعته لكل فدان اردب ويدرك في برمودة ويتحصل من القدان ما بين عشرين اردب الى مادونها وهذه هي الاصناف الستوية * (وأما الاصناف الصيفية) فان البطيخ واللوبياء يزرعان من نصف برموهات الى نصف برمودة * ويزرع في القدان قدحان ويدرك في بشنس * ويزرع السمسم في برمودة وزريعته ربع وية للقدان ويدرك في أييب ومسرى ويتحصل من القدان ما بين اردب الى ستة ارادب * ويزرع القطن في برمودة وزريعته أربع ويات حب للقدان ويدرك في ثوت فيخرج من القدان من ثمانية قناطير بالجروي الى مادونها * ويزرع قصب السكر من نصف برموهات في اثر الباق والبرش وتبرش أرضه سبع سكاك وأنجبه ما تكامل له ثلاث غرافات قبل انقضاء شهر بشنس ومقدار زريعته ثمن فدان وما حوله لكل فدان ويحتاج القصب الى أرض جيدة دمنة قد شالها الري وعلاها ماء النيل وقلع ما بها من الخلفاء وتظفت ثم برشت بالقلقات وهي محارث ككبار ستة وجوه وتجرى حتى تقعد ثم تبرش ستة وجوه أخرى وتجرى ومعنى البرش الحرث فاذا ضلحت الأرض وطابت ونعمت وصارت زاباناً عاوتساوت بالتجريف شقت حينئذ بالقلقات ويرى فيها القصب قطعتين قطعة مثناة وقطعة مفردة بعد أن تجعل الأرض أحواضاً وتفرز لها جداول يصل الماء منها الى الأحواض ويكون طول كل قطعة من القصب ثلاثة أبايب كواصل وبعض انبوبة من أعلى القطعة وبعض أخرى من أسفلها ويختار ما قصرت انابيه وكثرت كعوبه من القصب ويقال لهذا الفعل النصب فاذا اكمل نصب القصب اعبد التراب عليه ولا بد في النصب أن تكون القطعة ملقاة لافأمة ثم يسقى من حين نضبه في أول فصل الربيع لكل سبعة أيام مرة فاذا نبت القصب وصار أورافاً ظاهرة نبت معه الخلفاء والبقلة الخفاء التي يسميها أهل مصر الرحلة فعند ذلك تعزق أرضه ومعنى العزاق أن تنكش أرض القصب ويتظف ما نبت مع القصب ولا يزال يعضد ذلك حتى يغزر القصب ويقوى ويتكاثف فيقال عند ذلك طرد القصب عزاقه فانه لا يمكن عزاق الأرض ولا يكون هذا حتى يبرز الانبوب منه ومجموع ما يسقى بالقادوس ثمانية وعشرون ماء والمادة أن الذي ينصب من الاقصاب على كل مجال بحرا في أي مجاور للبحر اذا كانت مزاحة الغلة بالابصار الجساد مع قرب رشال الآبار ثمانية أفدنة ويحتاج الى ثمانية ارؤس بقر فان كانت الآبار بعيدة عن مجرى النيل لا يمكن حينئذ أن يقوم المجال بأكثر من ستة أفدنة الى أربعة فاذا طلع النيل وارتفع سقى القصب عند ذلك ماء الراحة وصفة ذلك أن يقطع عليه من جانب جسر يكون قد أدير عليه ليقبه من الفرق عند ارتفاع النيل بالزيادة فيدخل الماء من ثلثه في ذلك الجسر حتى يعلو على أرض القصب نحو شبر ثم يست عنه الماء حتى لا يصل اليه ويترك الماء فوق الأرض قدر ساعتين أو ثلاث الى أن يسكن ثم يصرف من جانب آخر حتى ينضب كله ويجدد عليه ماء آخر كذلك فيعاهد ما ذكرنا من اراضي أيام متفرقة بقدر معلوم ثم ينظم بعد ذلك فاذا عمل ما قلناه وفي القصب حقه فان نقص عن ذلك حصل فيه الخلل ولا بد للقصب من القطران قبل أن يحلوح حتى لا يسوس ويكسر القصب في كيهك ولا بد من حرق آثار القصب بالنار ثم سقيه وعزقه كما تقدم فنبت قصبا يقال له الخلفة ويسمى الأول الرأس وقنود الخلفة أجود غالباً من قنود الرأس ووقت ادراك الرأس في طوبه والخلفة في نصف هاتور وغاية ادارة معاصر القصب الى النوروز يحصل من القدان ما بين

أربعين أبوحة قند الي ثمانين أبوحة والابوحة تسع قطارا فمأحوله * ويزرع القلقاس مع القصب ولكل
فدان عشرة قساطير قلقاس جروية ويدرك في هاتور * ويزرع الباذنجان في برمهاث وبرموده وبشنس وبؤونة
ويدرك من بؤونة الى مسرى * وتزرع النيلة من بشنس والزريعة للفدان وية ويدرك من أيب * ويزرع الفجل
طول السنة ورربعة الفدان من قدح واحد الى قدحين * ويزرع الفيت في أيب ورربعة الفدان قدح واحد
ويدرك بعد أربعين يوما * ويزرع الخس في طوبه شتلا ويؤكل بعد شهرين * ويزرع الكرنب في توت شتلا
ويدرك في هاتور * ويغرس الكرم في أمشير نقلا وتحويلا * ويغرس التين والتفاح في أمشير * ويقلم التوت
في برمهاث * ويغرس ويل اللوز والخوخ والشمش في ماء طوبة ثلاثة ايام وهي قضبان ثم يغرس ويحول
شجرها في طوبة * ويزرع نوى التمر في توت وديافينقل * ويدفن بصل الترجس في مسرى * ويزرع الياسمين
في أيام النسي * وفي أمشير * ويزرع المرسين في طوبه وامشير غرسا * ويزرع الريحان في برموده * ويزرع حب
المنثور في أيام النيل * ويزرع الموزا الشستوى في طوبة والصيفي في أمشير * ويحول الخيار شنب في برمهاث *
وتقلم الكروم على ربح الشمال الى لبال من برمهاث حتى تخرج العين منها * وتقلم الاشجار في طوبه وامشير
الا اسدر وهو شجر السبق فانه يقلم في برموده * وتسقى الاشجار في طوبة ماء واحدا ويسمونه ماء الحياة وتسقى
في أمشير ثانيا عند خروج الزهر وتسقى في برمهاث ماءين آخرين الى أن ينقعد التمر وتسقى في بشنس ثلاث مياه
وتسقى في بؤونة وأيب ومسرى ماء في كل سبعة أيام وتسقى في توت وبابة مرة واحدة تغريقيا من ماء النيل
وتسقى في هاتور من ماء النيل بتغريق المساطب ويسقى البعل من الكروم في هاتور من ماء النيل مرة واحدة
تغريقا * وجميع أراضي مصر تقاس بالفدان وهو عبارة عن أربع مائة قصبة حاكسة طولها في عرض قصبة
واحدة والقصبة ستة أذرع وثلاث أذرع بذراع القماش وخسة أذرع بذراع الخبار تقريبا وقال القاضي
ابو الحسن في كتاب المتهاج خراج مصر قد ضرب على قصبة في المساحة اصطلح عليها زرع المزارع على حكمها
وتسمى الفدان اربع مائة قصبة لانه عشرون قصبة طولها في عشرين قصبة عرضا وقصبة المساحة تعرف
بالحاكية وهي تقارب خمسة أذرع بالخباري

* (ذكر أقسام مال مصر) *

اعلم أن مال مصر في زماننا ينقسم قسمين أحدهما يقال له خراجي والآخر يقال له هلالى فالمال الخراجي
ما يؤخذ مساهمة من الاراضى التي تزرع حبوبا وتخلوا وعبا وفاكهة وما يؤخذ من الفلاحين هدية مثل الغنم
والدجاج والكشك وغيره من طرف الزيف * والمال الهلالى عدة ابواب كلها أحد ثوها وولاية السوء شيأ بعد شيأ
وأصل ذلك في الاسلام أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلغه أن تجارا من المسلمين بأون أرض
الجند فبأخذون منهم العشر فكتب الى ابى موسى الاشعري وهو على البصرة أن خذ من كل تاجر عتريك من
المسلمين من كل مائتي درهم خمسة دراهم وخذ من كل تاجر من تجار العهد يعنى اهل الذمة من كل عشرين
درهما درهما ومن تجار الحرب من كل عشرة دراهم درهما وقيل لابن عمر كان عمر يأخذ من المسلمين العشر
قال لا ونهى عمر بن عبد العزيز عن ذلك وكتب ضعوا عن الناس هذه المكوس فليس بالمكس ولكنه
التجس * وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتاه ناس من اهل الشام فقالوا أصبنا دواب وأموالنا فخذ
منها صدقة تطهرنا بها فقال كيف أفعل ما لم يفعل من كان قبلى وشاور فقال على بن ابى طالب رضى الله عنه
لا بأس به ان لم يأخذ من بعدك فأخذ من العبد عشرة دراهم وكذلك عن القرص وعن الهجين ثمانية وعن
البرذون والبغل خمسة * وأول من وضع على الخوايت الخراج في الاسلام أمير المؤمنين ابو عبد الله محمد بن
ابى جعفر المنصور في سنة سبع وستين ومائة وولى ذلك سعيد الجرسى * وأول من أحدث ما لا سوى مال
الخراج بمصر احمد بن محمد بن مذهب لما ولى خراج مصر بعد سنة خمسين ومائتين فانه كان من دهاة الناس
وشياطين الكتاب فابتدع في مصر يدعاصرت مستقرة من بعده لا تنقض فأحاط بالنظرون وجبر عليه بعد ما كان
مباحا لجميع الناس وقدر على الكلاء الذي ترعاه الهياثم ما لا اسماء المرائى وقدر على ما يطعم الله من البحر ما لا
وسماه المصايد الى غير ذلك فاقسم حينئذ مال مصر الى خراجي وهلالى وكان الهلالى يعرف في زمانه وما بعده
بالرافق والمعاون فالأولى الامير ابو العباس احمد بن طولون اماره مصر وأضاف اليه أمير المؤمنين المعتمد على الله

الخراج والنغور الشامية رغب وتزده عن أدناس المعاون والمرافق وكتب باسقاطها في جميع أعماله وكانت تبلغ
بمصر خاصة مائة ألف دينار في كل سنة وله في ذلك خبر فيه اكبر معتبر قد ذكرته عند ذكر أخبار الجامع
الطولوني من هذا الكتاب ثم اعيدت الاموال الهلالية في اثناء الدولة الفاطمية عندما ضعفت وصارت
تعرف بالكوس فلما استتب السلطان الناصر صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن ايوب ملك مصر امر باسقاط
مكوس مصر والقاهرة فكتب عنه القاضي الفاضل هزسوما بذلك وكان جملة ذلك في كل سنة مائة ألف
دينار تفصيلها مكس البهار وعماله ثلاثة وثلاثون ألفا وثلاثمائة وأربعة وستون ديناراً مكس البضائع
والقوافل وعماله تسعة آلاف وثلاثمائة وخمسون ديناراً منفلت الصناعة عن مكس البزوار واليه والنحاس
والقزدير والمجان والفاضلات خمسة آلاف ومائة وثلاثة وتسعون ديناراً الصادر عن الصناعة بمصر ستة
آلاف وستمائة وستة وستون ديناراً سمرة القمر ثلثمائة دينار الفندق بالمنية عن مكس البضائع ثمانمائة
دينار وستة وخمسون ديناراً رسوم العلب المنسوبة الى بليس والبوري مائة دينار رسوم التفيش بالصناعة
ستمائة وستة وستون ديناراً رسوم العلب المنسوبة الى بليس والبوري مائة دينار رسوم التفيش بالصناعة
عن البهار وغيره مائتان وسبعة عشر ديناراً خيمة أرمنت عن الوارد اليها سبعة وستون ديناراً فندق القطن ألفاً
دينار سوق الغنم بالقاهرة ومصر والسمرة وعبور الاغنام بالجيزة ثلاثة آلاف وثلثمائة واحد عشر ديناراً عبور
الاغنام والكتان والابقار بباب القنطرة ألف ومائتان ديناراً واجب ما ورد من الكتان الحطب الى الصناعة
مائتان ديناراً رسوم واجب الغلات كالحبوب الواردة الى الصناعة والمقس والمنية والجسر والتبائن ومقاتل
جزيرة الذهب وطموه ومنبر الدرج ستة آلاف دينار مكس ما يرد الى الصناعة من الاغنام ستة وثلاثون
ديناراً الاغنام اليتومية اثنا عشر ديناراً العرصة والسر سناوى بالجيزة ومكس الاغنام مائة وتسعون ديناراً
منفلة القيوم عما يرد من الكتان من القبلة ومن البضائع الواردة من القيوم وغيره أربعة آلاف ومائة وستون
ديناراً مكس الورق المجلوب الى الصناعة ورسم التفيش مائتان ديناراً الحصة بساحل الغلة والاقوات والرسائل
سبع مائة وثمانية وستون ديناراً دار التفاح والرطب بمصر والعرصة بالقاهرة ألف وسبع مائة دينار رسم ابن
الملحي مائتان ديناراً دار الجبن ألف دينار مشاركة الخزان مائتان وأربعون ديناراً واجب الحلي الوارد من
الوجه البحري والقطن ألف وعشرون ديناراً رسم سمرة الصفا ألف ومائتان ديناراً منفلة الصعيد مائة
واحد وستون ديناراً خاتم الشرب والديقي ألف وخمسمائة دينار مكس الصوف مائتان ديناراً نصف المورد
بساحل المقس أربعة عشر ديناراً ذك السمسار ثلثمائة وخمسون ديناراً منفلة العريف بالصناعة وجملة البهار
والبضائع مائتان وستة عشر ديناراً الخلفاء الواردة من القبلة مائة وخمسة وثلاثون ديناراً الوقود والسرقين
والطمع بدار التفاح ومنفلة القبلة بالتبائن والجسر خمسة وثلاثون ديناراً رسوم الصفا والجراء ورسوم دار
الكتان ستون ديناراً حياية الغلات بالمقس ودار الجبن مائة وأربعون ديناراً الخلفاء الواردة على الجسر
ومعدية المقياس مائة دينار خمس البرية بالجيزة عشرون ديناراً تل التعريف بالصناعة ثمانية وعشرون ديناراً
منفلة الغلات بمعدية جزيرة الذهب عشرة دنائير رسوم الحمام بساحل الغلة ثمانمائة وأربعة وثلاثون ديناراً
واجب الحناء الواردة في البر ثمانمائة دينار واجب الخلفاء والقصاب ثلاثة وستون ديناراً مكس ما يرد من
البضائع الى المنية مائة وأربعة وثلاثون ديناراً مستحقة شسطوف والبرانية مائتان ديناراً سوق السكر بين خمسون
ديناراً رسوم خيمة الجلي بالشارع وسوق وردان تسعة عشر ديناراً واجب الفحم الوارد الى القاهرة عشرة
دنائير معدية الجسر بالجيزة مائة وعشرون ديناراً خيمة البقري أربعون ديناراً الخلية بدار الدباغة تسعة عشر
ديناراً سمرة الجبس الجيوشي ثلثمائة واثنا عشر ديناراً دكان الدهن ومصرة الشيرج والخل بالقاهرة خمسمائة
ديناراً لخل الحامض وماء مائة ديناراً بيوت الغزل والمصاطبة ثلثمائة وخمسون ديناراً ذبائح الابقار ألف
ديناراً سوق السمك بالقاهرة ومصر ألف ومائتان ديناراً رسوم الدلالة ثلثمائة ديناراً سمرة الكتان ثلثمائة ديناراً
رسوم حياية الصناعة عشرين أربع مائة ديناراً حربة العسل مائتان واثان وثلاثون ديناراً معادي جزيرة الذهب
وغيرها ثلثمائة ديناراً خاتم الشمع بالقاهرة ثلاثة وستون ديناراً زريبة الذبيحة سبع مائة ديناراً معدية المقياس وانابة
مائتان ديناراً حولة السلم ثلثمائة وثلاثون ديناراً ذك الدباغ ثمانمائة ديناراً سوق الرقيق خمسمائة ديناراً معمل الطبرى

مائتان وأربعون ديناراً سوق منبوبة مائة وأربعة وستون ديناراً ذبائح الضأن بالجينة ورسوم ساحل السنت
عشرة دنانير فخ السهم خمسة دنانير تنور الشوى مائة دينار نصف الرطل من مطابخ السكر مائة وخمسة وثلاثون
ديناراً سوق الدواب بالقاهرة ومصر أربع مائة دينار سوق الجمال مائتان وخمسون ديناراً قبان الخناء ثلاثون
ديناراً واجب طاقات الأدم ستة وثلاثون ديناراً منفلت الخيام بالشاشين ثلاثة وثلاثون ديناراً أولة القصار
أربعون ديناراً بيوت القزوح ثلاثون ديناراً الشعر والطارات أربعة دنانير رسوم الصبغ والحري ثمانية وأربعة
وثلاثون ديناراً وزن الطفل مائة وأربعون ديناراً معمل المزرا أربعة وثلاثون ديناراً الفاخور بمصر والقاهرة
مائتان وستة وثلاثون ديناراً * وذكر ابن أبي طي أن الذي أسقطه السلطان صلاح الدين والذي ساع
به لعدة سنين آخرها سنة أربع وستين وخمسمائة مبالغه عن نصف ألف دينار وألف ألف اردب ساع بذلك
وأبطله من الدواوين وأسقطه عن المعاملين فلما ولي السلطان الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف أعاد
الركوس وزاد في شئنائها قال القاضي الفاضل في متجددات سنة تسعين وخمسمائة وكان قد تابع في شعبان
اهل مصر والقاهرة في اظهار المنكرات وترك الانكار لها وابعاد اهل الامر والنهي لها وتفاحش الامر
فيها الى أن غلا سعر العنب لكثرة من يعصره واقبت طاحون بحجارة المحوذية لطحن حشيش المزروا فردت
برسمة وجبت بيوت المزروا واقبت عليها الضرائب الثقيلة فتمها ما انتهى أمره في كل يوم الى ستة عشر ديناراً ومنع
المزرا البيوت ليتوفر الشراء من البيوت المحبسة وجلت او اى الخمر على رؤس الاشهاد وفي الاسواق من غير منكر
وظهر من عاجل عقوبة الله عز وجل وقوف زيادة النيل عن معتادها وزيادة سعر الغلة في وقت ميسورها * وقال
في متجددات سنة اثنيتين وتسعين وخمسمائة وآل الامر الى وقوف وظيفة الدار العزيزية من خبز ولحم الى أن
يحمل في بعض الاوقات لا كاهالبعض ما يبلغ به من خبز وكم كثير ضحيهم وشكواهم فلم يجمع ووقف الحال
فيما ينق في دار السلطان وفيما يصرف الى عياله وفيما يقنات به اولاده وما يغصب من أربابه وأفضى هذا الى
غلاء الاسعار فان التعيشين من ارباب الدكاكين يزيدون في أسعار المأكولات العامة بمقدار ما يؤخذ منهم الدار
السلطانية فأفضى ذلك الى النظر في المكاسب الخفية وضمن المزروا والخربا ثني عشر ألف دينار وفتح في اظهار
منكره والاعلان به والبيع له في القاعات والخوانيت مع قرب استئلال رجب وما استطاع احد من العامة
الانكار لا باليد ولا باللسان وصار هذا السحت مما ينفر د السلطان به لنفقه وطعامه وانتقل مال الثغور ومال
الجواري الحل الطيب الى أن يصير حوالا لمن لا يسالى من ابن أخذ المال ولا يفرق بين الحرام والحلال وفي
شهر رمضان غلا سعر الاعناب لكثرة العصير منها وتظاهره أربابه لتحكير تضمينه السلطان واستيفاء رسمه بأيدي
مستخدميه وبلغ ضمه لثمة سبعة عشر ألف دينار وحصل منه شئ حمل اليه فبلغني أنه صنع به آلات لشراب
ذهبيات وفضيّات وكثرا اجتماع النساء والرجال في شهر رمضان لاسيما على الخليج لما فتح وعلى مصر لما زاد
الماء وتلقى فيه النيل بمعاصر نسال الله أن لا يؤاخذنا بها وأن لا يعاقبنا على ما يجراء أهلها * وقال جامع
السيرة التركية ولما استقل الملك المعز الدين أيلك الترك في الصالحية بمملكة مصر في سنة ثنتين وستمائة
بعد انقراض دولة بني ايوب استوزر شخصاً من بظار الدواوين يعرف بشرف الدين هبة الله بن صاعد القاتري
احد كتاب الاقباط وكان قد أظهر الاسلام من ايام الملك الكامل وترقى في خدمة الكتابة فقرر في
وزارته اموالاً على التجار وذوى اليسار وأرباب العقار ورتب مكوساً وضمائنات سموها حقوقاً ومعاملات
ولما ولي الملك المنظر سيف الدين قطز مملكة مصر بعد خلعه الملك المنصور على بن المعز أيلك احدث عند سفره
الذي قتل فيه مظام كثيرة لاجل جمع المال وصرفه في الحركة لقنال جوع الترم منها تصقيع الاملاك
وتقويعها وزكاتها وحدث على كل انسان ديناراً يؤخذ منه وأخذ ثلث التركات الاهلية فبلغ ذلك ستمائة
الف دينار في كل سنة فلما قتل قطز وجلس الملك الظاهر وكن الدين بيبرس بعده على سرير الملك بقلعة الجبل
ابطل ذلك جميعه وكتب به مسامح قرئت على المنابر ثم ابطل ضمان المزروجهاته في سنة اثنيتين وستين
وسمائة وكتب وهو بالشام الى الامير عز الدين الحلبي نائب السلطنة بمصر أن يبطل بيوت المزروعه في آثاره
ويخرب بيوته ويكسر مواعينه ويسقط ارتفاعه من الديوان فان بعض الصالحين تحدث معي في ذلك وقال
القمح الذي جعله الله تعالى قوتاً للعالم يداس بالارجل وقد تقررت الى الله تعالى بابطاله ومن ترك شيئاً لله عوضه

خير امنه ومن كان له على هذه الجهة شئ يعرضه الله من المال الحلال فأبطل الخلى ذلك وعوض الما قطعين عليه بدله وفي سنة ثلاث وستين أبطل حراسة النهار بالقاهرة ومصر وكانت جملة مستكثرة وكتب بذلك توقيعا وأبطل من أعمال الدقهلية والمرتاحية عن رسوم الولاية أربعة وعشرين ألف دينار وفي خامس عشر شهر رمضان سنة اثنتين وستين وسقانة قرئ بجامع مصر مكتوب بأبطل ما قرر على رسوم ولاية مصر من الرسوم وهي مائة ألف درهم مصرية فبطل ذلك وأبطل ضمان الحشيش من ديار مصر كلها في سنة خمس وستين وسقانة وأمر بارقة الخجور وأبطل المنكرات وتعقبة بيوت المسكرات ومنع الخانات والخواطى بجميع اقطار مملكة مصر والشام فظهرت من ذلك البقاع ولما وردت المراسيم بذلك على القاضي ناصر الدين احمد بن المنير قال ليس لابلين عندنا أرب * غير بلاد الامير مأواه

حرقته الخمر والحشيش معا * حرمتا مأوه ومرعاه

وقال الاديب الفاضل ابو الحسين الجزار

قد عطل الكوب من حبابه * وأخلى الثغر من رضابه

وأصبح الشيخ وهو يكي * على الذى فات من شبابه

وفي تاسع جنادى الآخرة سنة ست وستين وسقانة أمر الملك الظاهر ببيس بارقة الخجور وأبطل الفساد ومنع النساء الخواطى من التعرض للبغاء من جميع القاهرة ومصر وسائر الاعمال المصرية فقطهرت أرض مصر من هذا المنكر ونهت الخانات التى كانت معدة لذلك وسلب اهلها جميع ما كان لهم ونفى بعضهم وحسبت النساء حتى يتزوجن وكتب الى جميع البلاد بمثل ذلك وحط المال المقر على البغايا من الديوان وعوض الحاشية من جهات حل بنظيره وفي سابع عشر ذى الحجة سنة تسع وستين وسقانة اريقت الخجور وأبطل ضمانها وكان كل يوم ألف دينار وكتب توقيع بذلك قرئ على المنابر وافتتح سنة سبعين بارقة الخجور والتشد في ازالة المنكرات وكان يوما مشهودا بالقاهرة وبلغه في سنة اربع وسبعين عن الطواشي شجاع الدين عنبر المعروف بصدر الباز وكان قد تمكن منه تمكنا كثيرا أنه يشرب الخمر فشنته تحت قلعة الجبل * ولما ولى الملك المنصور سيف الدين قلاون الاثني مملكة مصر أبطل زكاة الدولة وهو ما كان يؤخذ من الرجل عن زكاة ماله أبدا ولو عدم منه واذا مات يؤخذ من ورثته وأبطل ما كان يجبي من اهل اقليم مصر كله اذا حضر مبشر بفتح حصن او نحوه فيؤخذ من الناس بالقاهرة ومصر على قدر طبقاتهم ويجمع من ذلك مال كثير وأبطل ما كان يجبي من اهل الذمة وهود ينار سوى الجالية برسم نفقة الاجناد في كل سنة وأبطل مقر جباية الدينار من التجار عند سفر العسكر والغزاة وكان يؤخذ من جميع تجار القاهرة ومصر من كل تاجر دينار وأبطل ما كان يجبي عند وفاء النيل مما يعمل به شوى وحلوى وفاكهة في المقامس وجعل مصر فذلك من بيت المال وأبطل اشياء كثيرة من هذا النمط * وأبطل الملك الناصر محمد بن قلاون عدة جهات قد ذكرت في الروك الناصري وآخر ما أدركنا ابطاله ضمان الاغانى وضمان القراير في سنة ثمان وسبعين وسبع مائة على يد الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون * فأما ضمان الاغانى فكان بلاء عظيم وهو عبارة عن أخذ مال من النساء البغايا فلو خرجت اجل امرأة في مصر تزيد البغاء حتى نزلت اسمها عند الضامنة وقامت بما يلزمها لما قدر أكبر أهل مصر على منعها من عمل الفاحشة وكان على النساء اذا تنفسن او عترسن امرأة او خضبت امرأة يدها بجناء او أراد أحد أن يعمل فرحا لا بد من مال بتقرير تأخذه الضامنة ومن فعل فرحا بأغان او نفس امرأة من غير اذن الضامنة حل به بلاء لا يوصف * وأما ضمان القراير فانه كان يؤخذ من كل من باع ملكا عن كل الف درهم عشرون درهما وكان متحصل هاتين الجهتين ما لا كثيرا جدا * وأبطل الملك الظاهر برقوق ما كان يؤخذ من اهل البرلس وشورى وبلطيم شبيه الجالية في كل سنة ستين الف درهم وأبطل ما كان على التمتع من مكس يؤخذ من الفقراء بشغرد مياط ممن يتساع من اردبين فساد ونهما وأبطل ما كان يؤخذ مكسا من معمل الفروج بالتحريية والاعمال الغربية وأبطل ما كان يؤخذ تقدمه لمن يسرح الى العباسية من الخيل والجمال والغنم وغير ذلك وأبطل ما كان يؤخذ على الدريس والحلفاء بباب النصر خارج القاهرة وأبطل ضمان الاغانى بمنية ابن خصيب بأعمال الاشمونين وبزفة بالاعمال الغربية

وأبطل الأبقار التي كانت ترمى بالوجه الجري عند فراغ الجسور وأبطل الأمير بلبغا السالمى لماولى استأدار
السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق في سنة إحدى وثمانمائة تعرف الغلال بمسبة ابن خضيب وضمان العرصة
بها وأخصاص الغسالين وكانت من المظالم القبيحة وأبطل من القباهرة ضمان بحيرة البقر ثم أعاده القبط من
بعده * وقد بقيت إلى الآن من المكوس بقايا أخبرني الأمير الوزير المشير الاستأدار بلبغا السالمى في أيام وزارته
أن جهات المكوس بديار مصر تبلغ في كل يوم بضعا وسبعين ألف درهم وأنه اعتبرها فلم يجد لها نصرف في شيء من
مصالح الدولة بل انما هي منافع القبط وحواشيهم وكان قد عزم على إبطال المكوس فلم يهمل * (والمال الهلالى)
عبارة عما يستأدى مشاهرة كاجر الاملاك المسققة من الأدر والحوائث والحمامات والافران والطواحين
وعداد القنم والجهة الهوائية المضمونة والمحلولة وعد بعض الكتاب احكار البيوت وربع البساتين التي تستخرج
اجرها مشاهرة ومصايد السمك ومعاصر الشيرج والزيت في المال الهلالى * ومن اصطلاح كتاب مصر
القدماء أن يورد جزية أهل الذمة من اليهود والنصارى قلما واحدا مستقبلا بذاته بعد الهلالى وقبل الخراجى
وذلك انما تستأدى مساهمة وكافوا يرون وجوبها مشاهرة وفائدة فيمن أسلم او مات أثناء الحول فانهم كانوا
يلزمونه بقدر ما مضى من السنة قبل اسلامه أو وفاته فذلك أوردت فيما بين الهلالى والخراجى * وكانوا
في الاقطاعات الجبسية يحجرونها بحجرى المال الهلالى عند خروج الاقطاع من يقطع ودخول آخر على ذلك
الاقطاع فانما كانت تستخرج على حكم الشمور الهلالية لا الشمسية بحيث لو تجلها مقطع في غرة السنة على
العادة في ذلك وخروج الاقطاع عنه في أثناء السنة بوفاة أو نقله إلى غيره استحق منها نظير ما مضى من شهر
السنة إلى حين انتقال الاقطاع عنه لا على حكم ما استحق من الغل ويستحق المتصل من استقبال تاريخ
منشوره كعادة النقود والمختل بينهما من المدة مستحق ذلك الديوان فيرد من جملة المحلولات من الاقطاعات
وكان من ابواب الهلالى جهات تسمى المعاملات وهي الزكاة والمواريث والثغور والتجر والشب والنظرون
والجبس الجبوشى ودار الضرب ودار العمار والجاموس وأبقار الجبس والاغنام والغروس والبساتين والاحكار
والرباع والمراب وما يستأدى من الذمة غير الجوالى وساحل السنط والخراج والقرط ومقر الجسور وموظف
الابان ومقر القصب ومقر البريد ومقر البسط وعشر العرق وغير ذلك من جهات المكوس فأما الجزية
وتعرف في زمننا بالجوالى فانما تستخرج سلفا وتجيلا في غرة السنة وكان يحصل منها مال كثير فيما مضى *
قال القاضي الفاضل في متجددات الحوادث الذي انعقد عليه ارتفاع الجوالى لسنة سبع وثمانين وخمسمائة
مائة الف وثلاثون الف دينار وأما في وقتنا هذا فان الجوالى قلت جدا الكثرة اظهر النصارى للاسلام في
الحوادث التي مرت بهم ولما استبد السلطان الملك المؤيد شيخ بلك مصر بعد الخليفة العباس بن محمد أمير
المؤمنين المستعين بالله ولى رجلا جباية الجوالى فكثر الاستقصاء عن الذمة والكذب في الاستخراج منهم فبلغت
الجوالى في سنة ست عشرة وثمانمائة احدى عشر الف دينار وأربع مائة دينار سوى ما غرم للاعوان وهو قدر
كثير * وأما المراسى وهو الكلا المطلق المباح الذي أنبته الله تعالى رعى دواب بنى آدم فأول من ادخلها
الديوان بمصر احمد بن مدبر لما ولى الخراج وصير لذلك ديوانا وعاملا جلد يحظر على الناس أن يتبايعوا المراسى
أو يشتروها الا من جهته وادركها المراسى بلاد الصعيد مما يضاف إلى الاقطاعات فأخذ الأمير ممن رعى دوابه
في أرض بلده الكتيح في كل سنة مالا عن كل رأس فيجبي من صاحب الماشية بعدد أنعامه فلما اختل أمر
الصعيد في الحوادث الكائنة منذ سنة ست وثمانمائة تلاشى الأمر في ذلك وكانت العادة القديمة أن يندب
للمراسى مشد وشهود وكان يبعثون المواشى ويستخرجون من اربابها عن كل رأس شيئا ولا يكون ذلك
الا بعد هبوط النيل ونبات الكلا واستهلاك المراسى * وأما المصايد فهي ما اطعم الله سبحانه وتعالى من صيد
البحر وأول من ادخلها الديوان أيضا ابن مدبر وصير لها ديوانا واحتشم من ذكر المصايد وشناعة القول
فيها فأمر أن يكتب في الديوان خراج مضارب الاوتار ومغارس الشب الشفاستمر ذلك وكان يندب لما يشرتها
مشد وشهود وكان إلى عدة جهات مثل خليج الاسكندرية وبحيرة الاسكندرية وبحيرة نسترو ونغر دمياط
وجنادل نغراسوان وغير ذلك من البرك والبحيرات فيخرجون عند هبوط النيل ورجوع الماء من المزارع
إلى بحر النيل بعد ما تكون أفواه الترغ قد سكرت وأبواب القناطر قد سدت عند انتهاء زيادة النيل كما يتراجع

الماء ويتكاثر مما يلي المزارع ثم تنصب شبك وتصرف المياه فيأقي السمك وقد اندفع مع الماء الجاري قتصده الشباك عن الانحدار مع الماء ويجمع فيها فيخرج الى البر ويوضع على التناخ ويلج ويوضع في الامطار فاذا استوى بيع وقيل له الملوحة والصبر ولا يكون ذلك الا فيما كان من السمك في قدر الاصبع فادونه ويسمون هذا الصنف اذا كان طريا بسارية فتوكل مشوية ومقلية ويصاد من بحيرة نسترو وبحيرة تيس وبحيرة الاسكندرية اسماء تعرف بالبورى وقيل لها ذلك لانها كانت تصاد عند قرية من قرى تيس يقال لها بورة وقد خربت والنسبة اليها البورى ونسب اليها جماعة من الناس منهم بنو البورى وقيل لهذا السمك البورى اضافة الى القرية المذكورة وقد بطل في زمننا اليوم امر هذه المصايد الا من بحيرة نسترو بالبرلس وبحيرة تيس يدماط فقط وهاتان البحيرتان تجريان في ديان الخاوص وهما مضطتان وما يخرج منهما من البورى وغيره من انواع السمك فللسلطان لا يقدر احد ان يتعرض لصيد شئ منه الا ان يكون من صياديهما القائمين بالضمان وما عدا هاتين البحيرتين من البرك والاملاق والخجان فليست للسلطان واما بحيرة اسكندرية فقد جفت ودفن اسوان فقد خرج عن يد السلطنة وتغلب عليه اولاد الكفرة وثم ترك بأيدي اقوام كبركة الفيل سيد اولاد الملك الظاهر ببركة الرطلي سيد اولاد الامير بكتمر الحاجب وغير ذلك فان اسماء كلها مضنعة لهم يبيعونها ومع ذلك لا يمنع احد الصيد منها * واما بحر النيل فخاصية مضنعة يحمل الى دار السمك بالقاهرة فيباع ويؤخذ منه مكس السلطان الآن الامير جمال الدين يوسف الاستاد ارزاد فيما كان يؤخذ من الصيادين مكسا ومن حينئذ قل السمك بالقاهرة متوغلا سعره وقال ابو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس في تاريخ مصر ان سمنا كان بالاسكندرية يقال له شرا حبل على حشفة من حشاف البحر مستقبلا باصبع من كفه قسطنطينية لا يدري اكان بماء له سليمان النبي ام عمله الاسكندر فكانت الحيتان تدور بالاسكندرية وتصاد عنده فيما زعموا قال زيد ابن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم اخبرني ابي عن ابيه انه انبطح على بطنه ومتديده ورجليه فكان طوله طول قدم الصنم فكتب رجل يقال له اسامة بن زيد كان عاملا على مصر للوليد بن عبد الملك امير المؤمنين ان عندنا بالاسكندرية صنما يقال له شرا حبل من نحاس وقد غلت علينا الفلوس فان رأى امير المؤمنين ان ينزله ويضربه فلوسا فعل وان رأى غير ذلك فليكتب الى من امره فكتب اليه لا تنزله حتى ابعث اليك ضمنا يحضر وانه فبعث اليه رجلا امانا حتى انزل من الحشفة فوجدوا عينيه باقوتين حراوين ليس لهما قية فضربه فلوسا فانطلقت الحيتان فلم ترجع الى ما هنالك * واما الزكاة فان السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب اول من جباها بمصر قال القاضي الفاضل في مجتدات سنة سبع وستين وخمسمائة ثالث عشر ربيع الآخر فترقت الزكوات بعد ما جعلت على الفقراء والمساكين وانباء السبيل والغارمين بعد ان رفع الى بيت المال السهام الاربعة وهي سهام العاملين والمؤلفة وفي سبيل الله وفي الرقاب وقررت لهم فريضة واستودى على الاموال والبضائع وعلى ما يقرر عليه من المواشي والنخل والخضراوات قال والذي انعقد عليه ارتفاع الجواز للسنة سبع وثمانين وخمسمائة ثلاثون ألف دينار والزائد في معاملته الزكاة ودار الضرب لست وست وثمانين وخمسمائة واحد وعشرون ألف دينار وثمانمائة واحد وستون دينارا وقال في سنة ثمان وثمانين واستخدم ابن جلدان في ديوان الزكاة وكتب خطه بما يبلغه اثنان وخمسون ألف دينار لسنة واحدة من مال الزكاة وجعل الطواشي قراغش الشاذ في هذا المال وان لا يتصرف فيه بل يكون في صندوق مودع الله مات التي يؤمر بها ولما قدم ابن عنين الشاعري من عند الملك العزيز سيف الاسلام طفتكين بن نجم الدين ايوب بن شادي ملك اليمن الى مصر وقد أجزل صلته عندما وفد عليه وفارقه وقد أترى ثراء كثيرا قبض ارباب ديوان الزكاة بمصر على ما قدم به من المتجر وطالبوه بركاة مامعه وكان ذلك في ايام الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شادي فقال

ما كل من يتسمى بالعزيز لها * أهمل ولا كل برق صحبه غدقه

بين العزيزين فرق في فعالهما * هذا يعطى وهذا يأخذ الصدقة

ثم ان العزيز كشف عما يستأدى من الزكاة فانه انتهى اليه فيها اقوال شنيعة منها انه أخذ من رجل فقير يبيع الملح في قفة على رأسه زكاة عما في القفة وأنه يبيع جل بخمسة دنانير ذهب فأخذ زكاتها خمسة دراهم فأمر بتقويض

أمرها إلى أرباب الأموال ومن وجب عليه حق ثم لما كانت سلطنة الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل
أبي بكر بن أيوب أخرج من زكاة الأموال التي كانت تجبي من الناس سهمي الفقراء والمساكين وأمر بصرفهما
في مصارفهما الشرعية ورتب من جلة هذين السهمين معالم الفقهاء والصلحاء وأهل الخير تجرى عليهم
فاستحسن ذلك من فعله وجملة إلى ديوان الزكاة قبل منه ومن لم يحمل لآيته عرض إليه فبطل الأغنياء من زكاة
أموالهم حتى تضرر الفقراء والمساكين وأخذ السعاة يبدلون في ضمانها الأموال لتعود إلى ما كانت عليه
فولى النظر في ديوان الزكاة القاضي الأسعد شرف الدين أبو المكارم أسعد بن مهذب بن مماتي فاستخرج الزكاة
من أربابها ثم ضمنت بمال كثير وعاد الأمر فيه إلى ما كان عليه من العسف والخور وكانت أعوان متولى
الزكاة تخرج إلى منية ابن خصيب وأخيم وقوص لكشف أحوال المسافرين من التجار والحجاج وغيرهم فيجثون
عن جميع ما معهم ويدخلون أيديهم أوساط الرجال خشية أن يكون معهم مال ويحلفون بالجميع بالإيمان
الحرجة على ما بأيديهم وما عندهم غير ما وجدوه وتقوم طائفة من مردة هذه الأعوان وبأيديهم المسال
الطوال ذوات الأنصبه فيصعدون إلى المراكب ويجسسون بمسالمهم جميع ما فيها من الأجل والغرائب مخافة أن
يكون فيما يأتى من بضاعة أموال فيبالغون في البحث والاستقصاء بحيث يقبض ويستشنع فعلمهم ويقف الحجاج
بين يدي هؤلاء الأعوان مواقف خزي ومهانة لما يصدرونهم عند تقشيش أوساطهم وغراثر أزرادهم ويحل بهم
من العسف وسوء المعاملة ما لا يوصف وكذلك يفعل في جميع أرض مصر منذ عهد السلطان صلاح الدين
ابن أيوب * وأما النغور فهي دمياط وتينيس ورشيد وعيذاب واسوان والاسكندرية وهي أعظمها قدرا
فانه كان فيما عدا هذه الجهات منها الخمس والمتجر فأنس ما يستأدى من تجار الروم والواردين في البحر عما معهم من
البضائع للمتجر بمقتضى ما صولحو عليه وربما باع ما يستخرج منهم ما قيمته مائة دينار ومائتان وخمسة وثلاثون
دينارا وربما انحط عن عشرين دينارا ويسمى كلاهما خسا ومن أجناس الروم من يؤخذ منهم العشر ولذلك
ضرائب مقررة وقال القاضي الفاضل والحاصل من خمس الاسكندرية في سنة سبع وثمانين وخمس مائة ثمانية
وعشرون ألف دينار وست مائة وثلاثة عشر دينارا والمتجر عبارة عما يتباع للديوان من بضائع تدعو إليها الحاجة
ويقتضيه طلب الفائدة * قال جامع سيرة الوزير البازوري وقصر النيل بمصر في سنة أربع وأربعين وأربع مائة
ولم يكن في مخازن القلات شئ فاشتدت المسغبة بمصر وكان نخلو المخازن سبب أوجب ذلك وهو أن الوزير
الناصر للدين لما اضيف إليه القضاء في أيام أبي البركات الوزير كان يتباع للسلطان في كل سنة غلة بمائة ألف
درهم وتجعل متجرا فنقل القاضي بحضرة الخليفة المستعين بالله وعرفه أن المتجر الذي يقام بالغلة فيه أو في مضرة
على المسلمين وربما انحط السعر عن مشتراه فلا يمكن بيعها فتتغن في المخازن وتتلف وانه يقيم متجرا لا كلفة
فيه على الناس ويضد اضعاف فائدة الغلة ولا يخشى عليه من تغيره في المخازن ولا انحطاط سعره وهو الخشب
والصابون والحديد والرصاص والعلل وما أشبه ذلك فأمر القاضي السلطان له مارآه واستمر ذلك ودام الرخاء
على الناس فوسعوا فيه مدة سنين ثم عمل الملوك بعد ذلك ديوانا للمتجر وآخر من عمله الظاهر برقوق * وأما الشب
فإن معادنه بالصعيد وكانت عادة الديوان الاتفاق في تحصيل القطار منه بالليثي يبلغ ثلاثين درهما وكانت
العربان تحضره من معادنه إلى ساحل أخيم وسيوط والهنس ليحمل إلى الاسكندرية أيام النيل في الخليج ويشتري
بالقطار الليثي ويباع بالقطار الجروي فيباع منه على تجار الروم قدر اثني عشر ألف قطار بالجروي بسعر أربعة
دنانير كل قطار إلى ستة دنانير ويباع منه بمصر على اليهوديين والصباغين نحو الثمانين قطارا بالجروي سعر
ستة دنانير ونصف القطار ولا يقدر أحد على ابتياعه من العربان ولا غيرهم فان عثر على أحد أنه اشترى منه
شيأ أو باعه سوى الديوان بكل به واستهلك ما وجد معه منه وقد بطل هذا * (وأما النظرون) فيوجد في البر
الغربي من أرض مصر بناحية الطرانة وهو أحر وأخضر ويوجد منه بالفاقوسية شئ دون ما يوجد في
الطرانة وهو أيضا مما خطر عليه ابن مدبر من الأشياء التي كانت مباحة وجعله في ديوان السلطان وكان من
بعده على ذلك إلى اليوم وقد كان الرسم فيه بالديوان أن يحمل منه في كل سنة عشرة آلاف قطار ويهبط
الضمان منها في كل سنة قدر ثلاثين قطارا يتسلمونها من الطرانة قتيبا في مصر بالقطار المنصري وفي بحر
الشرق والصعيد بالجروي وفي دمياط بالليثي قال القاضي الفاضل وباب النظرون كان مضمونا إلى آخر سنة

خمس وثمانين وخمسمائة بمبلغ خمسة عشر ألفاً وخمسمائة دينار وحصل منه في سنة ست وثمانين مبلغ سبعة آلاف وثمانمائة دينار وأدرنا النظر في أقطاع العدة أجناد فلما تولى الأمير محمود بن علي الاستادارية وصار مديراً للدولة في أيام الظاهر برقوق حاز النظر ونجح له مكانه لا يساع في غيره وهو إلى الآن على ذلك * (وأما الحبس الجيوشي) فكان في البرين الشرقي والغربي ففي الشرقي بهتين والاميرية والمنية وكانت تسجل هذه النواحي بعين وفي الغربي سق ونها ووسيم وهذه النواحي حبسها أمير الجيوش بدر الجبال على عقبه هي والبساتين ظاهر باب الفتوح فلما مات وطال العهد استأجرها الوزراء بأجرة يسيرة طلباً للفائدة ثم ادخلت في الديوان قال ابن المأمون في تاريخه وجميع البساتين المختصة بالورثة الجيوشية مع البلاد التي لهم لم تزل في مدة أيام الوزير المأمون البطائحي بأيديهم لم يخرج عنهم بضمان ولا غيره فلما تولى الخليفة الآخر بأحكام الله وجلس أبو علي بن الأفضل بن أمير الجيوش في الوزارة أعاد الجميع إلى الملاك لتكون نصيبه في ذلك الأوفر فلما قتل واستبد الخليفة الحافظ لدين الله أمر بانهض على جميع الأملاك وحل الأحباس المختصة بأمير الجيوش فلم يزل يأنس به لأنه غلام الأفضل والوزير في ذلك الوقت وعز المالك غلام الواحد بن أمير الجيوش يتلفان ويراجعان الخليفة مع الكتب التي أظهرها الورثة وعليها خطوط الخلفاء إلى أن أبقاها عليهم ولم يخرجها عنهم ثم ارتفعت الحوطة عنها في سنة سبع وعشرين وخمسمائة للديوان الحافظي ولما خدم الخطير والمرضى في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة في وزارة رضوان بن ولحي أعاد البساتين خاصة دون البلاد على الورثة بحكم ما آل أمرها إليه من الاختلال ونقص الارتفاع ولما انقرض عقب أمير الجيوش ولم يبق منه سوى امرأة كبيرة أفتى فقهاء ذلك العصر بطلان الحبس فقبضت النواحي وصارت من جملة الأموال السلطانية فنها ما هو اليوم في الديوان السلطاني ومنها ما صار وقفاً ورزقاً لأحباسية وغير ذلك * (وأما دار الضرب) فكان بالقاهرة دار الضرب وبالإسكندرية دار الضرب وبقوص دار الضرب ولا يتولى عياد دار الضرب إلا قاضي القضاة أو من يستخلفه ثم رذلت في زماننا حتى صار يلجأ إلى مسالة فسقة اليهود المصريين على الفسق مع أديانهم الإسلام وكان يجتهد في خلاص الذهب وتحجير عياده إلى أن أفسد الناصر فرج ذلك بعمل الدنانير الناصرية فجاءت غير خالصة وكانت بمصر المعاملة بالورق فأبطلها الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب في سنة بضع وعشرين وضرب الدرهم المدور الذي يقال له الكامل وجعل فيه من النحاس قدر الثلث ومن الفضة الثلثين ولم يزل يضرب بالقاهرة إلى أن أكثر الأمير محمود الاستادار من ضرب الفلوس بالقاهرة والإسكندرية فبطأت الدراهم من مصر وصارت معاملة أهلها إلى اليوم بالفلوس وبها يقوم الذهب وسائر المبيعات وسبب ذلك أن شاء الله تعالى عند ذكر أسباب خراب مصر وكانت دار الضرب يحصل منها للسلطان مال كثير فقل في زماننا لقله الأموال ودار الضرب اليوم جارية في ديوان الخاص * (وأما دار العيار) فكانت مكاناً يختلط فيه للرعية وتصلح موازينهم ومكاييلهم به ويحصل منها السلطان مال وجعلها السلطان صلاح الدين من جملة أوقاف سور القاهرة وقد ذكرت في خطط القاهرة من هذا الكتاب * (وأما الأحكار) فأنها جرة مقرر على ساحات بمصر والقاهرة فنها ما صار دور السكني ومنها ما انتهى بساتين وكانت تلك الأجر من جملة الأموال السلطانية وقد بطل ذلك من ديوان السلطان وصارت أحكار مصر والقاهرة وما بينهما أوقافاً على جهات متعددة * (وأما الغروس) فكانت في الغربية فقط عدة أراض يؤخذ منها شبه الحكر عن كل فدان مقرر معلوم وقد بطل ذلك من الديوان * (وأما مقرر الجسور) فكان على كل ناحية تقرير بعدة قطع معلومة يجبي منها عن كل قطعة عشرة دنانير لتصرف في عمل الجسور فيفضل منها مال كثير يحمل إلى بيت المال وقد بطل هذا أيضاً وجدد الناصر فرج على الجسور حوادث قد ذكرت في أسباب الخراب * (وأما موظف التبن) فكان جميع تبن أرض مصر على ثلاثة أقسام قسم للديوان وقسم للمقطع وقسم للفلاح فيجبي التبن على هذا الحكم من سائر الأقاليم ويؤخذ في التبن عن كل مائة حل أربعة دنانير وسدس دينار فيحصل من ذلك مال كثير وقد بطل هذا أيضاً من الديوان * (وأما الخراج) فإنه كان في الهندساية وسقط ريشين والاشمونين والاسيوطية والახيمية والقوصية أشجار لا تحصى من سنط لها حراس يحمونها حتى يعمل منها ما ركب الأسطول فلا يطع منها إلا ما تدعو الحاجة إليه وكان فيها ما تبلغ قيمة العود الواحد منه مائة دينار * وكان يستخرج من هذه النواحي مال يقال له رسم

الخراج ويحتج في جبايته بأنه تطير ما تقطعه اهل النواحي وتنتفع به من اخشاب السنط في عمارها ومقر آخر كان يجبي منهم يعرف بمقرر السنط فيصرف من هذا المقر أجرة قطع الخشب وحزه بضريبة عن كل مائة حل دينار وعلى المستخدمين في ذلك أن لا يقطعوا من السنط ما يصلح لعمل مراكب الاسطول لكنهم انما يقطعون الاطراف التي ينتفع بها في الوقود فقط ويقال لهذا الذي يقطع حطب النار فيباع على التجار منه كل مائة حل بأربعة دنانير ويكتب على ايديهم زنة ما بيع عليهم فاذا وردت المراكب بالحطب الى ساحل مصر اعتبرت عليهم وقوبل ما فيها بما عين في الرسالة الواردة واستخرج الثمن على ما في الرسالة وكانت العادة أنه لا يباع مما في اليمنسا الا ما فضل عن احتياج المصالح السلطانية وقد بطل هذا جميعه واستولت الايدي على تلك الاشجار فلم يبق منها شيء البتة ونسي هذا من الديوان * (وأما القرط) فانه ثم ثجير السنط وكان لا يتصرف فيه الا الديوان ومتى وجد منه مع أحد شيء اشتراه من غير الديوان نكل به واستهلك ما وجد معه فاذا اجتمع مال القرط أقيم منه مراكب تباع ويؤخذ من ثمنها الربع عند ما تصل الى ساحل مصر بعد ما تقوم أو ينادى عليها وكان فيها حيف كبير وقد بطل ذلك * (وأما ما يستأدى من اهل الذمة) فانه كان يؤخذ منهم عمارد ويصدر معهم من البضائع في مصر والاسكندرية واخميم خاصة دون بقية البلاد ضرائب بتقرير الديوان وقد بطل ذلك أيضا * (وأما مقر الجاموس ومقرر بقر الخيس ومقرر الاغنام) فانه كان للسلطان من هذه الاصناف شيء كثير جدا فيؤخذ من الجاموس للدايون على كل رأس من الراتب في تطير ما يتحصل منه في كل سنة من خمسة دنانير الى ثلاثة دنانير ومن الالاحق بحق النصف من الراتب وأقل ما تنتج كل مائة خسون الى غير ذلك من ضرائب مقررة على الجاموس وعلى ابقار الخيس وعلى الغنم البيض والغنم الشعاري وعلى النحل وقد بطل ذلك جميعه لقلة مال السلطان واعراضه عن العمارة وأسبابها وتعاطى أسباب الخراب * (وأما الموارث) فانها في الدولة الفاطمية لم تكن كما هي اليوم من أجل أن مذهبهم بوريث ذوى الارحام وأن البنت اذا انفردت استحققت المال بأجمعه فلما انتقلت أيامهم واستولت الايوبية ثم الدولة التركية صار من جملة اموال السلطان مال الموارث الحشرية وهي التي يستحقها بيت المال عند عدم الوارث فتعدل فيها الوزارة مرة وتعلم اخرى (وأما المكوس) فقد تقدم حدودها وما كان من الملوك فيها والذي بقي منها الى الآن بديار مصر يلي أمره الوزير وفي الحقيقة انما هو نفع للاقباط يتحولون فيه بغير حق وقد تضاعفت المكوس في زمننا عما كانت عليه منذ عهد تحذت الأمير جمال الدين يوسف الاستادار في الاموال السلطانية كما ذكر في اسباب الخراب * (وأما البراطيل) وهي الاموال التي تؤخذ من ولاية البلاد ومحتسبها وقضاها وعماها فأقول من عمل ذلك بمصر الصالح بن رزيق في ولاية النواحي فقط ثم بطل وعمل في أيام العزيز بن صلاح الدين أحيانا وعمله الأمير شيخون في الولاية فقط ثم أخش فيه الظاهر بقوق كما يأتي في أسباب الخراب (وأما الحجايا والمسأجرات) فنسئ حدث في أيام الناصر فرج وصار لذلك ديوان ومباشرون وعمل مثل ذلك الامراء وهو من أعظم اسباب الخراب كما يذكر في موضعه ان شاء الله تعالى

* (ذكر الاهرام) *

اعلم أن الاهرام كانت بأرض مصر كثيرة جدا منها بناحية بوصير شيء كثير بعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين ولبن واكثرها حجر وبعضها مدرج واكثرها مخروط املس وقد كان منها بالجيزة تجاه مدينة مصر عدة كثيرة كلها صغار هدمت في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب على يد قراقوش وبني بها قلعة الجبل والصور المحيطة بالقاهرة ومصر والقناطر التي بالجيزة وأعظم الاهرام الثلاثة التي هي اليوم قائمة تجاه مصر وقد اختلف الناس في وقت بنائها واسم بانيها والسبب في بنائها وقالوا في ذلك اقوال متباينة اكثرها غير صحيح وسأقص عليك من بناء ذلك ما يشفي ويكفي ان شاء الله تعالى * قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب في أخبار مصر وعجائبها في اخبار سوريد بن سهلوق بن سرياق بن توميدون بن بدرسان بن هوصال أحد ملوك مصر قبل الطوفان الذين كانوا يسكنون في مدينة أمسوس الا أن ذكرها عند ذكر مدائن مصر من هذا الكتاب وهو الذي بنى الهرم العظيم بمصر المنسوبين الى شتاد بن عاد والقبط تنكر أن تكون العادية دخلت بلادهم لقوة سحرهم وسبب بناء الهرمين أنه كان قبل الطوفان بثلاثة سنة قدر رأى سوريد في منامه

كأن الأرض انقلبت بأهلها وكأن الناس قد هربوا على وجوههم وكأن الكواكب تساقط ويصدم بعضها بعضاً بأصوات هائلة فعمه ذلك ولم يذكروا أنه سيحدث في العالم أمر عظيم ثم رأى بعد ذلك بأيام كأن الكواكب الشابتة نزلت إلى الأرض في صور طيور بيض وكأنها تحتطف الناس وتلقهم بين جبلين عظيمين وكأن الجبلين قد انطبقا عليهم وكأن الكواكب المنيرة مظلمة مكسوفة فاتبعه مرعوباً مذعوراً ودخل إلى هيكل الشمس وتضرع وترغ خديه على التراب وبكى فلما أصبح جمع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر وكانوا مائة وثلاثين كاهناً فخلابهم وحدثهم ما رآه أولاً وأخيراً فلو به بأمر عظيم يحدث في العالم فقال عظيم الكهان ويقال له اقليلون أن أحلام الملوك لا تجري على محال لعظم أقدارهم وأنا أخبر الملك برؤيا رأيتها منذ سنة ولم اذكرها لاحد من الناس رأيت كأنني قاعد مع الملك على وسط المنارة الذي بأمسوس وكأن الفلك قد انحط من موضعه حتى قارب رؤسنا وكان علينا كالقبة المحيطة بنا وكأن الملك قد رفع يديه نحو السماء وكواكبها قد خالطتها في صور شتى مختلفة الاشكال وكأن الناس قد جفوا إلى قصر الملك وهم يستغيثون به وكأن الملك قد رفع يديه حتى بلغ رأسه وأمرني أن افعل كما فعل ونحن على وجل شديد أذ رأينا منها موضعاً قد انفتح وخرج منه نور مضى وطلعت علينا منه الشمس وكأنا استغننا بالشمس فخطبتنا ان الفلك سيعود إلى موضعه فانتبهت مرعوباً ثم فرأيت كأن مدينة أمسوس قد انقلبت بأهلها والأصنام تهوى على رؤسها وكأن أناساً نزلوا من السماء بأيديهم مقامع من حديد يضربون الناس بها فقلت لهم ولم تفعلون بالناس كذا قالوا انهم كفروا بالله هم قتل فنانا بقي لهم من خلاص قالوا نعم من أراد الخلاص فليلق بصاحب السفينة فانتبهت مرعوباً فقال الملك خذوا الارتفاع للكواكب وانظروا هل من حادث فبلغوا غايتهم في استقصاء ذلك وأخبروا بأمر الطوفان وبعد بال نار التي تخرج من برج الاسد تحرق العالم فقال الملك انظروا هل تلحق هذه الآفة بلادنا فقالوا نعم تأتي في الطوفان على أكثره ويلحقه خراب يقيم عدة سنين قال فانظروا هل يعود عامراً كما كان اوبقى مغموراً بالماء دائماً قالوا بل تعود البلاد كما كانت ونعمر قال ثم ماذا قالوا يقصدها ملك يقتل اهلها ويغنم مالها قال ثم ماذا قالوا يقصدها قوم مشوهون من ناحية جبل النيل ويملكون اكثرها قال ثم ماذا قالوا ينقطع نيلها وتخلو من اهلها فأمر عند ذلك بعمل الاهرام وأن يعمل لها منابر يدخل منها النيل إلى مكان بعينه ثم يفيض إلى مواضع من أرض الغرب وأرض الصعيد وملاها طلسمات وعجائب واموالاً وأصناماً وأجساد ملوكهم وأمر الكهان فزبروا عليهم جميع ما قالته الحكماء وزبروها وفي سقوفها وحيطانها واسطواناتها جميع العلوم الغامضة التي يتدبرها اهل مصر وصورها صور الكواكب كاهها وزبر عليها اسماء العقاقير ومنافعها ومضارها وعلم الطلسمات وعلم الحساب والهندسة وجميع علومهم مفسر المن يعرف كتابتهم ولغتهم * ولما شرع في بنائها أمر بقطع الاسطوانات العظيمة ونشر البلاط الهائل واستخراج الرصاص من أرض المغرب واحضار الصخور من ناحية اسوان فبنى بها أساس الاهرام الثلاثة الشرقي والغربي والملون وكانت لهم مصائف وعليها كتابة اذا قطع الحجر وتم احكامه وضعوا عليه تلك الصحائف وضربوه في بعد تلك الضربة قدر مائة سهم ثم يعاودون ذلك حتى يصل الحجر إلى الاهرام وكانوا يمدون البلاطة ويجمعون في ثقب بوسطها قطباً من حديد قائماً ثم يركبون عليه بلاطة اخرى مثقوبة الوسط ويدخلون القطب فيها ثم يذاب الرصاص ويصب في القطب حول البلاطة بهندام واتقان إلى أن تكتل وتجعل لها ابواباً تحت الأرض بأربعين ذراعاً فأما باب الهرم الشرقي فانه من الناحية الشرقية على مقدار مائة ذراع من وسط الحائط وأما باب الهرم الملون فانه من الناحية الجنوبية على مقدار مائة ذراع من وسط الحائط فاذا حضر بعد هذا القياس وصل إلى الباب الازج المبني ويدخل إلى باب الهرم وجعل ارتفاع كل واحد من الاهرام في الهواء مائة ذراع بالذراع المسكي وهو بذراعهم خمسمائة ذراع بذراعنا الآن وجعل طول كل واحد من جميع جهاته مائة ذراع بذراعهم ثم هندسها من كل جانب حتى تحدت أعاليها من آخر طولها على ثمانية اذرع بذراعنا وكان ابتداء بنائها في طالع سعيد اجتمعوا عليه وتخبروه فلما فرغت كساها ديباجاً ملوناً من فوقها إلى أسفلها وعمل لها عيداً حضرها اهل مملكتهم بأجمعهم ثم عمل في الهرم الغربي ثلاثين مخزناً من حجارة صوان ملون وملئت بالاموال الجملة والاكات والقائيل المعمولة من

الجواهر النفيسة وآلات الحديد الفاخر من السلاح الذي لا يصد أو الزجاج الذي ينطوى ولا يتكسر والطلسمات
الغريبة وأصناف العقاقير المفردة والمؤلفة والسموم القاتلة وعمل في الهرم الشرقي أصناف القباب الفلكية
والكواكب وماعمله أجداده من القنابل والدخن التي يتقرب بها إلى الكواكب ومصاحفها وكوّن الكواكب
الثابتة وما يحدث في أدوارها وقاوتها وما عمل لها من التواريخ والحوادث التي مضت والاقوات التي ينتظر
فيها ما يحدث وكل من يلي مصر إلى آخر الزمان وجعل فيها المظاهر التي فيها المياه المدبرة وما أشبه ذلك وجعل
في الهرم الملون أجساد الكهنة في نوايت من صوّان أسود ومع كل كاهن مصحف فيه عجائب صناعاته
وأعماله وسيرته وما عمل في وقته وما كان وما يكون من أول الزمان إلى آخره وجعل في الحيطان من كل
جانب أصناماً تعمل بأيديهم جميع الصنائع على مراتبها وأقدارها وصفة كل صنعة وعلاجها وما يصلح
لها ولم يترك عالماً من العلوم حتى زبره وروحه وجعل فيها أموال الكواكب التي أهدبت إلى الكواكب وأموال
الكهنة وهو شيء عظيم لا يحصى وجعل لكل هرم منها خادماً الهرم الغربي صنم من حجارة صوّان مجزع
وهو واقف ومعه شبه حربة وعلى رأسه حية قد تطوق بها من قرب منه وثبت إليه وطوقت على عنقه وقتلته ثم
تعود إلى مكانها وجعل خادماً الهرم الشرقي صنم من جزع أسود مجزع بأسود وأبيض له عينان مفتوحتان
بتراقان وهو جالس على كرسي ومعه حربة إذا نظراً أحد إليه سمع من جهته صوتاً يفرع منه فيجتر على وجهه
ولا يبرح حتى يموت وجعل خادماً الهرم الملون صنم من حجارة البت على قاعدة منه من نظره إليه جذبه حتى يلتصق به
فلا يفارقه حتى يموت فلما فرغ من ذلك حصن الأهرام بالارواح الروحانية وذبح لها الذبائح لتنع عن أنفسهم من
إرادتها إلا من عمل لها أعمال الوصول إليها وذكر القبط في كتبهم أن عليها منقوشاً تفسيره بالعربية أناس يريد
الملك بنيت هذه الأهرام في وقت كذا وكذا وأتممت بناءها في ست سنين فمن أتى بعدى وزعم أنه ملك مثلي
فلعندمها في ستمائة سنة وقد علم أن الهدم يسر من البنين وأنى كسوتها عند فراغها بالديباج فليكنها بالخصر
فمنظرها فوجدوا أنه لا يقوم بهدمها شيء من الأزمان الطوال وحكي القبط في كتبهم أن روحانية الهرم الشمالي
غلام امرأ أصفر اللون عريان في فمها أنياب كالأنياب كالأنياب في فمها أنياب كالأنياب في فمها أنياب كالأنياب في فمها
أنياب كالأنياب في فمها أنياب كالأنياب في فمها أنياب كالأنياب في فمها أنياب كالأنياب في فمها أنياب كالأنياب في فمها
من مجامير الكائنات بخبرها وقد رأى غير واحد من الناس هذه الروحانيات مراراً وهي تطوف حول الأهرام
وقت القائلة وعند غروب الشمس قال ولما مات سوريد دفن في الهرم ومعه أمواله وكنوزه وقالت القبط أن
سوريد هو الذي بنى البرابي وأودع فيها كنوزاً ووزر عليها علوماً وكل بها روحانيات تحفظها من يقصدها قال وأما
الأهرام الذهبية فيقال إن شذات بن عديم هو الذي بناها من الحجارة التي كانت قد قطعت في زمن أبيه وشذات
هذا يزعم بعض الناس أنه شذات بن عاد وقال من أنكر أن يكون العاديين دخلت مصر أنما غلطوا باسم شذات
ابن عديم فقالوا شذات بن عاد لكثرة ما يجري على السنتهم شذات بن عاد وقلة ما يجري على السنتهم شذات بن عديم
والأما قدر أحد من الملوك يدخل مصر ولا قوى على أهلها غير يجت نصر والله أعلم وذكر أبو الحسن المسعودي
في كتابه أخبار الزمان ومن أباده الخلد أن الخليفة عبد الله المأمون بن هارون الرشيد لما قدم مصر وأتى على
الأهرام أحب أن يهدم أحداهل يعلم ما فيها فقبل له أنك لا تقدر على ذلك فقال لا بد من فتح شيء منه ففتحت له الثلثة
المفتوحة الآن بنار نوقد وداخل يرش ومعاول وحدادين يعملون فيها حتى انفق عليها أموالاً عظيمة فوجدوا
عرض الحائط قريبان من عشرين ذراعاً فلما انتهوا إلى آخر الحائط وجدوا خلف الثقب مطهرة خضراء فيها ذهب
مضروب وزن كل ديناراً وقيمة وكان عددها ألف دينار فجعل المأمون يتعجب من ذلك الذهب ومن جودته ثم أمر
بجملته ما انفق على الثلثة فوجدوا الذهب الذي أصابوه لا يزيد على ما انفقوه ولا ينقص فعجب من معرفتهم بقدر
ما ينفق عليه ومن تركهم ما يوزنه في الموضع عجباً عظيماً وقيل إن المطهرة التي وجد فيها الذهب كانت من زبرجد
فأمر المأمون بجملتها إلى خزائنه وكان آخر ما عمل من عجائب مصر وأقام الناس سنين يقصدونه وينزلون فيه
الزلافة التي فيه فمنهم من يسلم ومنهم من يهلك فاتفق عشرون من الأحداث على دخوله وأعدوا لذلك
ما يحتاجون من طعام وشراب وحبال وشع ونحوه وزلوا في الزلافة فرأوا فيها من الخفاش ما يكون كالعقبان
يضر بوجوههم ثم أنهم أدلوا أحداهم بالحبال فانطبق عليه المكان وحاولوا جذبه حتى أعياهم فسمعوا صوتاً

اربعهم فغشي عليهم ثم قاموا وخرجوا من الهرم فيينا هم جلوس يتجيبون مما وقع لهم اذا خرجت الارض صاحبهم
حيامن بين ايديهم يتكلم بكلام لم يعرفوه ثم سقط ميتا فحملوه ومضوا به فأخذهم الخفراء واتوا بهم الى الوالى فخذثوه
خبرهم ثم سألو عن الكلام الذى قال صاحبهم قبل موته فقيل لهم معناه هذا جراح من طلب ما ليس له وكان الذى
فسر لهم معناه بعض أهل الصعيد * وقال على بن رضوان الطيب فكرت فى بناء الاهرام فأوجب علم الهندسة
العملية ورفع الثقل الى فوق أن يكون القوم هندسوا سطحا مربعا وفتحوا الحجارة ذكرا واثني ورصوها بالجس
البحرى الى أن ارتفع البناء مقدار ما يمكن رفع الثقل وكانوا كل واحد واضعوا البناء حتى يكون السطح الموازى
للمربع الاسفل مربعا أصغر من المربع السفلى ثم عملوا فى السطح المربع الفوقانى مربعا أصغر بمقدار ما بقى
فى الحاشية ما يمكن رفع الثقل اليه وكانوا رفعوا حجرا مهندما رصوه اليه ذكرا واثني الى أن ارتفع مقدار مثل المقدار
الاول ولم يزلوا يفعلون ذلك الى أن بلغوا غاية لا يمكنهم بعدها أن يفعلوا ذلك فقطعوا الارتفاع وفتحوا الجوانب
البارزة التى فرضوها لرفع الثقل ونزلوا فى التحت من فوق الى اسفل وصاروا الجسيع هرما واحدا * وقياس الهرم
الاول بالذراع التى تقاس بها اليوم الابنية بمصر كل حاشية منه اربعة مائة ذراع يكون بالذراع السوداء التى طول
كل ذراع منها أربعة وعشرون اصبعاً خمسمائة ذراع وذلك أن قاعدته مربع متساوى الاضلاع والزوايا ضلعا من
منهما على خط نصف النهار وضلعان على خط المشرق والمغرب وكل ضلع بالذراع السوداء خمسمائة ذراع
والخط المتحدر على استقامة من رأس الهرم الى نصف ضلع المربع اربعة مائة وسبعون ذراعا يكون اذا تم
ايضا خمسمائة ذراع وأحيط بالهرم اربع مثلثات ومربع كل مثلث منها متساوى الساقين كل ساق منه اذا تم
خمسمائة وستون ذراعا والمثلثات الاربعة تجتمع رؤسها عند نقطة واحدة وهى رأس الهرم اذا تم فيلزم أن
يكون عموده اربعة مائة وثلاثين ذراعا وعلى هذا العمود مركزا ثقله ويكون تكبير كل مثلث من مثلثاته
مائة وخمسة وعشرين ألف ذراع اذا اجتمع تكبيرها كان مبلغ تكبير سطح هذا الهرم خمسمائة ألف ذراع
بالسوداء وما احسب على وجه الارض بناء اعظم منه ولا احسن هندسة ولا اطول والله أعلم * وقد فتح المامون
نقبا من هذا الهرم فوجد فيه زلاقة تصعد الى بيت مربع مكعب ووجد فى سطحه قبر رخام وهو باق فيه الى اليوم
ولم يقدر احد يحيطه وبذلك اخبر جالينوس انها قبور قتال فى آخر الحامسة من تدبير الصحة بهذا اللفظ وهم يسمون
من كان فى هذا السن الهرم وهو اسم مشيتق من الاهرام التى هم اليها صائرون عن قريب وقال الحوقلى فى صفة
مصر وبها الهرمان اللذان ليس على وجه الارض لهما نظير فى ملك مسلم ولا كافر ولا عمل ولا يعمل لهما وقرأ بعض
بنى العباس على أحدهما الى قد بنيت ههنا من كان يدعى قوة فى ملكه فليهدمها فالحهدم ايسر من البنيان فهم بذلك
وأظنه المأمون أو المعتصم فاذا خراج مصر لا يقوم به يومئذ وكان خراجها على عهده بالانصاف فى الجباية وتوخي
الرفق بالارعية والمعدلة اذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعا وعشر اصابع اربعة آلاف ألف ومائتى ألف وسبعة وخسين
ألف دينار والمقبوض على الفدان دينارين فأعرض عن ذلك ولم يعد فيه شيئا * وفى حذ الفسطاط فى غربى
النيل ابنية عظام يكثر عددها مفترشة فى سائر الصعيد تدعى الاهرام وليست كالهرمين اللذين تجاه الفسطاط
وعلى فرسخين منها ارتفاع كل واحد منهما اربعة مائة ذراع وعرضه كارتفاعه مبنى بججارة الكدان التى سلك الحجر
وطوله وعرضه من العشر اذرع الى الثمان بحسب مادعت الحاشية الى وضعه فى زيادته ونقصه وأوجبه
الهندسة عندهم لانهما كلما ارتفعا فى البناء ضا قاحتي يصيرا علاهما من كل واحد منهما مثل مبرك بجل وقد مثلت
حيطانهما بالكاتب اليونانية وقد ذكر قوم انه ما قبران وليس كذلك وانما جمل صاحبهما على عملهما انه قضى
بالطوفان انه يهلك جميع ما على وجه الارض الا ما حصن فى مثلها مخزن ذخائره وأمواله فيها واتى الطوفان
ثم نصب فصارا كان فيما الى مصر بن مصر ايم بن حام بن نوح وقد خزن فيها بعض الملوك المتأخرين وجعلهما
هراء والله أعلم * وقال أبو يعقوب محمد بن اسحاق النديم الوراق فى كتاب الفهرست وقد ذكر هرمس البابلى قد
اختلف فى أمره فقيل انه كان أحد السدنة السبعة الذين رتسوا لحفظ البيوت السبعة وانه كان لترتيب عطارده
وباسمه سمي فان عطارده باللغة الكلدانية هرمس وقيل انه انتقل الى أرض مصر بأسباب وانه ملكها وكان له
أولاد منهم طاو واثني واثني ووقفه وانه كان حكيم زمانه وانه لما قو فى دفن فى البناء الذى يعرف بمدينة مصر
بأبي هرمس ويعرفه العامة بالهرمين فان أحدهما قبره والاخر قبر زوجته وقيل قبر ابنة الذى خلفه بعد موته

وهذه البنية يعنى الاهرام طولها بالذراع الهاشجى اربع مائة ذراع وثمانون ذراعاً على مساحة اربع مائة
وثمانين ذراعاً ثم ينحصر البناء فاذا حصل الانسان فى رأسه كان مقداره سطحه اربعين ذراعاً هذا بالهندسة وفى
وسط هذا السطح قبة لطيفة فى وسطها شبيهة بالمقبرة وعند رأس ذلك القبر صخرتان فى نهاية النظافة والحدس
وكثرة التلون وعلى كل واحدة منهما شخصان من حجارة صورة ذكرواثنى وقد تلاقيا بوجهيهما ويبد الذكرواح
من حجارة فيه كتابة ويبد الاثنى امرأة والرف ذهب نقشه نقاش وبين الصخرتين برنية من حجارة على رأسها
غطاء ذهب فلما تلع فاذا فيها شبيه بالشار بغير رائحة قديس وفيها حقة ذهب تبرز رأسها فاذا فيها دم عيط
ساعة قرعه الهواء جمد كما يجمد الدم وجف وعلى القبر ورا غطية حجارة فلما قلعنا اذ ارجل ناظم على قفاه على نهاية
العصاة والخصاف بين الخلقة ظاهر الشعور والى جنبه امرأة على هيئة قال وذلك السطح منفرج نحو قامة كاي دور
مثل المسار ذات اراج من حجارة فيها صور وثمانيل مطروحة وقائمة وغير ذلك من الآلة التى لا تعرف أشكالها
* وقال العلامة موفق الدين عبد الطيف بن أبى العز يوسف بن أبى البركات محمد بن على بن سعد البغدادي
المعروف بابن المطحن فى سيرته وجاء رجل جادل بعمى تخيل الى الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف
أن الهرم الصغير تحته مطلب فاخرج اليه الجمارين واكثر العسكر وأخذوا فى هدمه واقاموا على ذلك شهورا
ثم تركوه عن عجز وخسران مبين فى المال والقل ومن يرى حجارة الهرم يقول انه قد استوصل الهرم ومن يرى
الهرم لا يجده الا تشعبا يسيرا وقد أشرفت على الجمارين قفلت لمقدمهم هل تقدررون على اعادته فقالوا بئذ لنا
السلطان عن كل حجر ألف دينار لم يكذلك * وقال أبو الحسن المسعودى فى مروج الذهب وأما الاهرام فطولها
عظيم وبنائها عجيب عليها انواع من الكتابات باقلام الامم السالفة والممالك الدائرة لا يدري ما تلك الكتابات
ولا المراتبها وقد قال من عني بتقدير ذرعها ان مقدار ارتفاع الهرم الكبير ذهابا فى الجوف نحو اربع مائة
ذراع أو أكثر وكلما بعد ذلك والعرض نحو ما وصفنا وعليها من الرسوم علوم وخواص وصحروا ممرار
الطبيعة وان من تلك الكتابات مكتوبا انا بنيناها نحن يدعى موازاتنا فى الملك وبلغ القدرة واتتهأ أمر السلطان
فأبهمها ولبزل رمتها فان الهدم أبسر من البناء والتفريق اسهل من التأليف * وقد ذكر ان بعض ملوك الاسلام
شرع يهدم بعضها فاذا خراج مصر لا يبق بقاعها وهى من الحجر والرخام وأنما تبقو للملك وكان الملك منهم
اذا مات وضع فى حوض من حجارة ويسمى بصرو والشام الجرون واطبق عليه ثم بنى من الهرم على مقدار
ما يريدون من ارتفاع الاساس ثم يحمل الحوض ويوضع وسط الهرم ثم ينظر عليه البنيان ثم يرفعون البناء
على المقدار الذى يرونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم ثم يحفر له طريق فى الارض وبعد قد أريج طوله تحت
الارض مائة ذراع أو أكثر والكل هرم من هذه الاهرام باب مدخله على ما وصفت قال وكن القوم يبنون
الهرم من هذه الاهرام مدورا حمارا كالدراج فاذا فرغوا انحتوه من فوق الى أسفل فهذه كانت جبلتهم وكانوا
مع ذلك لهم قوة وصبر وطاعة * وقال فى كتاب البنية والاشراف والهرمان اللذان فى الجانب الغربى من
فسطاط مصر هما من عجائب بانيان العالم كل واحد منهما اربع مائة ذراع فى عمك مثل ذلك مبدان بالحجر
العظيم على الرياح الاربع كل ركن من اركانها يقابل ريحاً منها فأعظمها فيهم انثرا ريح الجنوب وهى المربسى
وأحد هذين الهرمين قبرا عاديون والاخر قبر هر مس وبينهم ما نحو ألف سنة وأعاد عيون المتقدم وكان سكان
مصر وهم الاقباط يعتقدون نبوتهم ما قبل ظهور النصرانية فيسم على ما يوجب رأى الصابئين فى النبوات لا على
طريق الوحى بل هم عندهم نفوس طاهرة صفت وتهذب من ادناس هذا العالم فالتحدث بهم مواد علوية
فأخبروا عن الكائنات قبل كونها وعن سرائر العالم وغير ذلك وفى العرب من اليمانية من يرى انهما قبر شداد
ابن عاد وغيره من ملوكهم السالفة الذين غلبوا على بلاد مصر فى قديم الدهر وهم العرب العاربة من العماليق
وغيرهم وهى عند من ذكرنا من الصابئين قبورا أجساد طاهرة * وذكر أبو زيد البلخى أنه وجد مكتوبا على
الاهرام بكتابتهم خط فعرّب فاذا هو بنى هذان الهرمان والنسر الواقع فى السرطان فحسبوا من ذلك الوقت الى
الهجرة النبوية فاذا هو ست وثلاثون ألف سنة شمسية مرتين يكون اثنتى وسبعين ألف سنة شمسية
* وقال الهمداني فى كتاب الاكليل لم يوجد مما كان تحت الماء وقت الغرق من القرى قرية قديمة سوى نهاوند
وجدت كما هى اليوم لم تتغير واهرام الصعيد من أرض مصر * وذكر أبو محمد عبد الله بن عبد الرحيم القيسى

في كتاب تحفة الالباب ان الاهرام مربعة الجملة مثلثة الوجوه وعدد هائمية عشرة هرما في مقابلة مصر الفسطاط
ثلاثة اهرام اكبرها دوره الفا ذراع في كل وجه خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وكل حجر من حجارتهما ثلاثون
ذراعا في غلط عشرة اذرع قد احكم الصاقه ونحته ومنها عند مدينة فرعون يوسف هرم اعظم واكبر دوره ثلاثة
آلاف ذراع وعلوه سبعمائة من حجارة كل حجر خمسون ذراعا وعند مدينة فرعون موسى اهرام اكبر واعظم
وهرم آخر يعرف بهم مدون كانه جبل وهو خمس طبقات وفتح المامون الهرم الكبير الذي تبحاه الفسطاط قال
وقد دخلت في داخله فرأيت قبة مربعة الاسفل مدورة الاعلى كبيرة في وسطها بئر عميقة عشرة اذرع وهي مربعة
ينزل الانسان فيها فيجد في كل وجه من ترسيع البئر بابا يفضى الى دار كبيرة فيها موقى من بنى آدم عليهم
اكفان كثيرة اكثر من مائة ثوب على كل واحد قد بات بطول الزمان واسودت واجسامهم مثلنا ليسوا طوالا
ولم يستط من اجسامهم ولا من شعورهم شئ وايس فيهم شيخ ولا من شعره ابيض واجسادهم قوية لا يقدر
الانسان أن يزيل عضوا من اعضائهم البتة ولكنهم خفوا حتى صاروا كالغناط طول الزمان وفي تلك البئر أربعة
من الدور علوة باجساد الموتى وفيها خفاش كثير وكانوا يدنون ايضا جميع الحيوان في الرمال ولقد وجدت ثيابا
ملفوفة كثيرا مقدار جرمها اكثر من ذراع وقد احترقت تلك الثياب من القدم فازلت الثياب الى أن ظهرت خرق
صباح قوية بيض من كان أمثال العصائب فيها أعلام من الحرير الاحمر وفي داخلها هدميت لم ينشأ من
ربشه ولا من جسده شئ كانه قد مات الآن * وفي القبة التي في الهرم باب يفضى الى علو الهرم وليس فيه درج
عرضه نحو خمسة اشبار يقال انه صعد فيها في زمان المامون فأفضوا الى قبة صغيرة فيها صورة آدمى من حجر أخضر
كالدهن فخرجت الى المامون فاذا هي مطبقة فلما فتحت وجد فيها جسد آدمى عليه درع من ذهب مزين
بأنواع الجواهر وعلى صدره نصل سيف لاقية له وعند رأسه حجرا ياقوت أحمر كبضعة الدجاجة يضي كالهب النار
فأخذ المامون * وقد رأيت الصنم الذي أخرج منه ذلك الميت ملقى عند باب دار الملك بمصر في سنة احدى
عشرة وخسمائة * وقال القاضي الجليل أبو عبد الله محمد بن سلامة القاضي روى علي بن الحسن بن خلف
ابن زيد عن يحيى بن عثمان بن صالح عن محمد بن علي بن صخر التميمي قال حدثني رجل من عجم مصر من قرية
من قرأها تدعى قنط وكان عالما بأموال مصر وأحوالها وطالب الكتب القديمة ومعادنها قال وجدنا في كتبنا القديمة
قال وأما الاهرام فان قوما احتفروا قبرا في دير أبي هريرة فوجدوا فيه ميتا في اكفانه وعلى صدره قرطاس
مافوف في خرق فاستخرجوه من الخرق فأرأوا كتابا لا يعرفونه وكان الكتاب بالقبطية الاولى فطلبوا من يقرأهم
فلم يقدر واعليه فقيل لهم ان بدير القامون من أرض الفيوم راهبا يقرأ فخرجوا اليه وقد ظنوا انه في الضبعة
فقرأهم وكان فيه كتب هذا الكتاب في اول سنة من ملك ديقليطانس الملك وانا استنسخناه من كتاب نسخ
في اول سنة من ملك فيلبس الملك وان فيلبس استنسخه من صحيفة من ذهب فرق كتابها حرفا حرفا وكان من
الكتاب الاوّل ترجمه له اخوان من القبط يقال لاحدهما ايلو والاخر ثاوان الملك فيلبس سألهما عن سبب
معرفة ما جاء به الناس من قرأته فذكر انهما من ولد رجل من أهل مصر الاوائل لم ينج من الطوفان من أهل مصر
أحد غيره وكان سبب نجاته انه اتى نوحا عليه السلام فآمن به ولم يأت من أهل مصر غيره فحمله معه في السفينة فلما
نضب ماء الطوفان أتى مصر ومعه نفر من ولد نوح وكان بها حتى هلك فورث ولده علم كتاب أهل مصر الاوّل
فورثاه عنه كبرا عن كبر وكان تاريخه الذي مضى الى أن استنسخه فيلبس ألفا وثلاثمائة واثنين وسبعمائة سنة وان
الذي استنسخه في صحيفة من ذهب فرق كتابها حرفا حرفا على ما وجد فيلبس وان تاريخه الى أن استنسخه ألف
وسبعمائة سنة وخمس وثمانون سنة * وكان الكتاب المنسوخ انا نظرنافيل لتدل عليه النجوم فرأينا أن آفة
نازلة من السماء وخارجة من الأرض فلما بان لنا الكون نظرنا ما هو فوجدناه ماء مفسد الارض وحيوانها ونباتها
فلما تم اليقين من ذلك عندنا فالتكاسور يد بن سلق مريضا افروشات وقبرا لاهل بيتك فبنى لهم الهرم
الشرقي وبني لآخيه هوجيت الهرم الغربي وبني لابن هوجيت الهرم الملقون وبنى افروشات في أسفل مصر
واعلاها فكتبنا في حيطانها علم غاض أمر النجوم وعلاها والصنعة والهندسة والطب وغير ذلك مما ينفع ويضر
ملخصا مفسرا لمن عرف كلامنا وكاتبنا وان هذه الآفة نازلة باقطار العالم وذلك عند نزول قلب الاسد في اول
دقيقة من رأس السرطان ويكون الكوكب عند نزوله اياها في هذه المواضع من الفلك الشمس والقمر في اول

دقيقة من رأس الجبل وقوريس في درجة وثمان وعشرين دقيقة من الجبل وراويس في الحوت في تسع وعشرين درجة وثمان وعشرين دقيقة وآويس في الحوت في تسع وعشرين درجة وثلاث دقائق وأفردوبتر في الحوت في ثمان وعشرين درجة ودقائق وهرمس في الحوت في سبع وعشرين ودقائق والجوزهر في الميزان وواج القمر في الاسد في خمس درجات ودقائق * ثم نظرنا هل يكون بعده هذه الآفة كون مضر بالعالم فأصبنا الكواكب تدل على أن آفة نازلة من السماء الى الارض وانها ضد الآفة الاولى وهي نار محرقة اقمار العالم ثم نظرنا متى يكون هذا الكون المضر فראينا ان يكون عند حلول قلب الاسد في آخر دقيقة من الدرجة الخامسة عشر من الاعداد ويكون ابليس معه في دقيقة واحدة متصلة بقوريس من ثلث ازامي ويكون راويس مشترى في اول الاسد في آخر احتراقه ومعنه آويس في دقيقة ويكون سليس في الدلو مقابلا لبليس الشمس ومعنه الذنب في اثنتين وعشرين ويكون كسوف شديده مكث يوازي القمر ويكون هرمس عطارد في بعده الابدأ مامها مقبلين أما أفردوبطن فلا ستقامه وأما هرمس فلرجعة * قال الملك فهل عندكم من خبر توفقه وناعليه غير هاتين الآفتين قالوا اذا قطع قلب الاسد ثلثي سدس ادواره لم يبق من حيوان الارض متحرك الا تلف فاذا استتم ادواره تحلت عقد الفلك وسقط على الارض قال لهم وای يوم فيه التحلل القلك قالوا اليوم الثاني من بدو حركة الفلك فهذا ما كان في القرطاس * فلما مات الملك سوريد بن مملوك دفن في الهرم الشرقي ودفن هو حيث في الهرم الغربي ودفن كروريس في الهرم الذي اسفله من حجارة اسوان واعلاه كدان * واهذه الاهرام ابواب في ارج تحت الارض طول كل ارج مائة وخمسون ذراعا * فأما باب الهرم الشرقي فن الناحية البحرية وأما باب ارج الهرم الموزر فن الناحية القبلية * وفي الاهرام من الذهب وحجارة الزمرذ ما لا يحصى الوصف * وان مترجم هذا الكتاب من القبطي الى العربي ارجل التاريخين الى اول يوم من توت وهو يوم الاحد طلوع شمسه سنة خمس وعشرين ومائتين من سني العرب فبلغت اربعة آلاف وثلثمائة واحدى وعشرين سنة لسنی الشمس ثم نظر كم مضى للطوفان الى يومه هذا فوجد افسا سبعمائة واحدى وأربعين سنة وتسعة وخمسين يوما وثلاث عشرة ساعة وأربعة اجناس ساعة وتسعة وخمسين جزءا من اربعة مائة جزء من ساعة فالتقاهما من الجبله فبقى معه ثلثمائة وتسع وتسعون سنة ومائتان وخمسة ايام وعشر ساعات واحد وعشرون جزءا من اربعة مائة جزء من ساعة فعمل ان هذا الكتاب المؤرخ كتب قبل الطوفان بهذه السنين والايام والساعات والكسور من الساعة * وأما الهرم الذي يدعى هرميس فانه قبر قرياس وكان فارس اهل مصر وكان يدي بألف فارس فاذا اقيم لم يقدروا به وانهم مات فجزع الملك عليه جزعا بالغ منه واصل ماتت لموته الرعية فدفعوه بدير هرهريس وبنوا عليه الهرم مدرجا وكان طينه الذي بنى به مع الحجارة من القيوم وهذا معروف اذا نظر الى طينه لم يعرف له معدن الا بالقيوم وليس ينف ووسيم له شبه من المين * وأما قبر الملك صاحب قرياس هذا فانه الهرم الكبير من الاهرام التي في بحري دير أبي هرميس وعلى بابه لوح كدان مكتوب فيه باللازورد طول اللوح ذراعان في ذراع وكاه ملوه كتب امثل كتب البرابي يصعد الى باب الهرم بدرج بعضها صحيح لم ينخرم وفي هذا الهرم ذخائر صاحب من الذهب وحجارة الزمرذ وانما سد بابه حجارة سقطت من اعاليه ومن وقف عليه رءاه بيتا * وقال ابن عفير عن اشباخه ان جياذ بن مياد بن شمر بن شداد بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ملك الاسكندرية كانت تسمى ارم ذات العماد فطال ملكه وبلغ ثلثمائة سنة وهو الذي سار وبني الاهرام وزبر فيها اناجياذ بن مياد بن شمر بن شداد الشاذ بزراعة الواد المويذ الاوتاد الجامع الصخر في البلاد المجند الاجناد الناصب العماد الكند الكاد فخرجه امة اسم نبيه احاد آية ذلك اذا غشي بلد البلاد سبعة ملوك اجناس السواد تاريخ هذا الزبر ألف سنة وأربع مائة سنة عداد * وقال ابن عفير وابن عبد الحكم وفي زمان شداد ابن عاد بنيت الاهرام فيما ذكر بعض الحديث ولم نجد عند احد من اهل العلم من اهل مصر معرفة في الاهرام ولا خبر ثبت * وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ما أجيب الاهرام بنيت الا قبل الطوفان لانها لو بنيت بعده لكان علم عند الناس * وقال عبد الله بن شبرمة الجرهمي لما نزلت العم اليق ارض مصر حين أخرجها من مكرهم من مكة بنت الاهرام واتخذت لها المصانع وبنيت فيها العجائب ولم تزل بمصر حتى أخرجها مالك بن دعر الخزامي * وقال محمد بن عبد الحكم كان من وراء الاهرام الى المغرب اربعة مائة مدينة سوى القرى من مصر الى

المغرب في غربي الأهرام * وقال ابن عفير ولم يزل مشايخنا من اهل مصر يقولون الأهرام بناها شتاد بن عاد وهو الذي بنى المغار وجند الاجناد فالمغار والاجناد هي الدفائن وكانوا يقولون بالرجعة واذ مات احداهم دفن معه ماله كما تناما كان وان كان صانع دفن معه آلة صنعت به وكانت الصابئة تنهج الى الأهرام * وقال ابو الريحان البيروني في كتاب الاسمار الباقية عن القرون الخالية والفرس والمجوس تنكر الطوفان وأقربه بعض الفرس لكنهم قالوا كان بالشام والمغرب منه شيء في زمان طهمورث ولكنه لم يعم العمران كله ولم يتجاوز عقبة حلوان ولم يبلغ عمالك الشرق وان اهل المغرب لما اندربه حكماؤهم بنوا البنية كالهرمين بمصر ليدخلوها عند الآفة وان آثار ماء الطوفان وتأثيرات الامواج كانت بينة على أنصاف الهرمين لم تتجاوزهما انتهى ويقال ان الطوفان لما نضب ماؤه لم يوجد تحت الماء قرية سوى ثم اوند وجدت كما هي واهرام مصر وبرايتها وهي التي بناها هرميس الاول الذي تسميه العرب ادريس وكان قد الهمة الله علم النجوم فدلته على أنه سبزل بالارض آفة وانه سيبقى بقية من العالم يحتاجون فيه الى علم فبنى هو وأهل عصره الأهرام والبرابي وكتب علمه فيها * وقال ابو الصلت الاندلسي في رسالته وقد ذكر أخلاق اهل مصر الا انه يظهر من امرهم انه كان فيهم طائفة من ذوى المعارف والعلوم وخصوصا علم الهندسة والنجوم وبذل على ذلك ما خلقوه من الصنائع البديعة المعجزة كالأهرام والبرابي فانها من الآثار التي حيرت الازهار الشاقبة واستعجزت الافكار الراجحة وتركت لها شغلا بالتحجب منها والتفكير فيها وفي منها ما يقول ابو العلاء احمد بن سليمان المعري من قصيدته التي يرثي فيها

نضل العقول الهيريات رشدها * ولا يسلم الرأى القويم من الافن

وقد كان ارباب الفصاحة كلها * رأوا احسانه من صنعة الجن

وأى شيء أعجب وأعجب بعد مقدورات الله عز وجل ومصنوعاته من القدرة على بناء جسم جسيم من اعظم الججارة مربع القاعدة مخروط الشكل ارتفاع عوده ثلثمائة ذراع وتسعة عشر ذراعا يحيط به اربعة سطوح مثلثات متساويات الاضلاع طول كل ضلع منها اربعة مائة ذراع وستون وهو مع العظم من احكام الصنعة واتقان الهندام وحسن التقدير بحيث لم يتأثر الى هلم جزا يعصف الرياح وهطل السحاب وزعزعة الازل وهذه صفة كل واحد من الهرمين المذايين للقسطاط من الجانب الغربي على ما شاهدناه منه او قد ذكرت عجائب مصر وان ما على وجه الارض بنية الا وانا أرى لها من الليل والنهار الا الهرمان فأنا أرى ليل والنهار منهما وهذا الهرمان اهما انشرف على ارض مصر واطلال على بطائنها واصعدا في جوفها وهما اللذان أراد ابو الطيب المتنبي بقوله شعر

ابن الذي الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصراع

تختلف الاسمار عن سكاكها * حينما ويدركها الفناء فتنبع

وانفق يوما انا جرجنا اليهم فلما طفتناهم ما واستدنا حوالها كثيرا التحجب منهم اذ قال بعضنا

بعيشك هل ابصرت اعجب منظرها * على طول ما ابصرت من هرمى مصر

انا فاعنا نال السماء وأشرفا * على الجواشرف السماء والنسر

وقد وافيا نشز من الارض عاليا * كأنهم ما نمدان قاما على صدر

وزعم قوم ان الأهرام قبور ملوك عظام آثروا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم كما غيروا عنهم في حياتهم وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسيمى على نطاوول الدهور وترأخى العصور * ولما وصل الخليفة المأمون الى مصر أمر بفتحها فقب أحد الهرمين المذايين للقسطاط بعد جهد شديد وعناء طويل فوجدوا داخله مهاوى ومراقي يمول امرها ويعسر السلوك فيها ووجدوا في اعلاها بيتا مكعبا طول كل ضلع من أضلاعه نحو من ثمانية اذرع وفي وسطه حوض رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يجدوا فيه غير رمة بالية قد أنت عليها العصور الخالية فعند ذلك أمر المأمون بالكف عن نقب ما سواه ويقال ان النفقة على نقبه كانت عظيمة والمؤنة شديدة * ومن الناس من زعم أن هرمس الاول المدعو بالملك بالنبوة والملك والحكمة وهو الذى تسميه العبرانيون خنوخ بن برد بن مهلايل بن قتيان بن افوش بن شيث بن آدم عليه السلام وهو ادريس عليه السلام استدل من احوال الكواكب على كون الطوفان بعم الارض فأكثر من بيان الأهرام وايداعها الاموال وصحائف العلوم وما يشفق عليه من

الذهب والدروس حفظها واحتياط عليها ويقال ان الذي بناها ملك اسمه سوريد بن سهلوق بن سرياق وقال آخرون ان الذي بنى الهرمين المخاضين للفسطاط شداد بن عاد لربها رآها واقبض تنكر دخول العمالة بلد مصر وتحقق أن بناها سوريد لربها رآها وهي أن آفة تنزل من السماء وهي الطوفان وقالوا انه بناهما في مدة ستة اشهر وغشاها بالدياج الملون وكتب عليهم ما قد بيناها في ستة أشهر قل لمن يأتي من بعدهمهما في ستانة سنة فالهدم ايسر من البناء وكوناهما بالدياج الملون فليكسهما حصرا فالحصر أهون من الدياج ورأينا سطوح كل واحد من هذين الهرمين مخطوطة من أعلاها الى أسفلها بسطور متضايقة متوازية من كتابة بناها لاتعرف اليوم أحرفها ولا تفهم معانيها وبالجملة الامر فيها عجيب حتى ان غاية الوصف لها والاعراق في العبارة عنها وعن حقيقة الموصوف منها بخلاف ما قاله علي بن العباس الرومي وان تباعد الموصوف وتباين المقصود ان اذيقول

اذا ما وصفت امر الأمرى * فلا تغل في وصفه واقصد

فانك ان تغل تبد الظن * ن فيه الى الغرض الابعد

فيصغر من حيث عظمت * الفضل المغيب على المشهد

ويقال ان المأمون أمر من سعد الهرم الكبير أن يبنى حبلًا فكان طوله ألف ذراع بالذراع المكي وهو ذراع وخسان وتربعه أربعة مائة ذراع في مثلها وكان صعوده في ثلاث ساعات من النهار وانه وجد مقدار رأس الهرم قدر مبرك ثمانية جمال * ويقال انه وجد على المقبور في الهرم حلة قد بليت ولم يبق منها سوى سلوكها من الذهب وأن نخانة الطلاء الذي عليه قدر شبر من متر وصبر * ويقال انه وجد في موضع من هذا الهرم ابوان في صدره ثلاثة ابواب على ثلاثة بيوت طول كل باب منها عشرة أذرع في عرض خمسة أذرع من رخام ونحت بحكم الهندام وعلى صفحاته خط أزرق لم يحسنوا قراءته وانهم أقاموا ثلاثة أيام يعملون الحيلة في فتح هذه الابواب الى أن رأوا أمامها على عشرة أذرع منها ثلاثة أعمدة من مرمر وفي كل عمود خرق في طوله وفي وسط الخرق صورة طائر في الأول من هذه العمدة صورة حمام من حجر أخضر وفي الاوسط صورة بازى من حجر أصفر وفي العمود الثالث صورة ديك من حجر أحمر فخر كوا البازى فتحرك الباب الاول الذي في مقابله فرفعوا البازى قليلا فارتفع الباب وكان بحيث لا يرفعه مائة رجل من عظمه فرفعوا التتالين الاخرين فارتفع البابان الاخران فدخلوا الى البيت الاوسط فوجدوا فيه ثلاثة سرر من حجارة شفافة مضيئة وعليها ثلاثة من الاموات على كل بيت ثلاث حلال وعند رأسه مصحف بخط مجهول ووجدوا في البيت الاخر عدة رفوف من حجارة عليها أسفاط من حجارة فيها أوان من الذهب عجبة الصنعة مرصعة بأنواع الجواهر ووجدوا في البيت الثالث عدة رفوف من حجارة عليها أسفاط من حجارة فيها آلات الحرب وعدد السلاح فقيس منها سيف فكان طوله سبعة أشبار وكل درع من تلك الدروع اثنا عشر شبرا فأمر المأمون بحمل ما وجد في البيوت وأمر فحطت العمدة فانطبقت الابواب كما كانت * ويقال كانت عدة الاهرام ثمانية عشر هراما منها اتجاه مدينة الفسطاط ثلاثة اكبرها دوره ألف ذراع وهو مربع في كل وجه من وجوهه الاربعة خمسمائة ذراع ويقال ان المأمون لما فتحه وجد فيه حوضا من حجر مغطى بلوح من رخام وهو ملوئ بالذهب وعلى اللوح مكتوب بقلم عرب فكان اناعمرنا هذا الهرم في ألف يوم وأبجنا لمن يهدمه في ألف سنة والهدم أسهل من العمارة وكسونا جميعه بالدياج وأبجنا لمن يكسوه الحصر والحصر ايسر من الدياج وجعلنا في كل جهة من جهاته مالا بقدر ما يصرف على الوصول اليه فأمر المأمون أن يحسب ما صرف على النقب فبلغ قدر ما وجد في الحوض من غير زيادة ولا نقص * ويقال انه وجد فيه صورة آدمي من حجر أخضر كالدخيل فيها طبق كالدواة ففتح فاذا فيه جسد آدمي عليه درع من ذهب مزين بأنواع الجواهر وعلى صدره نعل سيف لاقية له وعند رأسه حجر من ياقوت أحمر في قدر بيضة الدجاجة فأخذ المأمون وقال هذا خير من خراج الذهب * وذكر بعض مؤرخي مصر أن هذا الصنم الاخضر الذي وجدت الرمة فيه لم يزل معلقا عند دار الملك بمدينة مصر الى سنة احدى عشرة وستمائة من سنى الهجرة * وكان عند مدينة فرعون هرمان وعند ميدوم هرم وهذا آخرها * وفي سنة تسع وسبعين وخمسمائة من سنى الهجرة ظهر بترية بوسير من ناحية الجزيرة بيت هرميس ففتح القاضي ابن الشهرزوري

وأخذ منه أشياء من جملتها كعباش وقرود وضفادع من حجر باهر وقوارير من دهنج وأصنام من نحاس * وقال ابن جرادة من عجيب البنيان أن الهرمين بمصر سمك كل واحد منهما أربع مائة ذراع وكلما ارتفع ذق وهما من رخام ومرمر والطول أربع مائة ذراع في عرض أربع مائة ذراع مكتوب عليهما باليد كل حجر وكل عجيب من الطب ومكتوب عليهما اني بنيتهما فن يدعى قوة في ملكه فليد مهما فان الهدم أيسر من البناء فاعتبر ذلك فاذا خراج الدنيا لا يفي بهدمهما * وقال في كتاب عجائب البنيان عن الاهرام قد انقردت مصر بهذه الاشكال فليس لها بغيرها مثال يظنهما الناظر للديار المصرية نهدين ويحسبهما القابل أن مكارم اهلها قد أعدت ما للكرام البوجين تراهما العين على بعد المسافة واذا حدثت عن عجائبهما يظن انه حديث خرافه وقد اكر الناس في ذكر الاهرام ووصفها ومساحتها وهي كثيرة العدد جدا وكما سبتر الجزيرة على سمت مصر القديمة تمتد نحواً من مسافة ثلاثة أيام وفي بوسير منها شئ كثير وبعضها بكار وبعضها صغار وبعضها طين وبعضها لبن واكثرها حجر وبعضها مدرج واكثرها مخروط أملس * وقد كان منها بالجزيرة عدد كثير كما صغار هدمت في زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب على يد الطوائش بهاء الدين قراقوش اخذ حجارتها وبنى بها القناطر في الجزيرة وقد بقي من هذه الاهرام المهدومة ثلثها * وأما الاهرام المتحدث عنها فهي ثلاثة اهرام موضوعة على خط مستقيم بالجزيرة قبالة القسوط وبينها مسافات كثيرة وزوايا متقابلة نحو الشرق واثنان عظيمان جدا في قدر واحد وهما متقاربان ومبنيان بالحجارة البيض وأما الثالث فصغير عنهما نحو الربع لكنه مبني بحجارة الصوان الاحمر المنقط الشديد القوة والصلابة ولا يكاد يؤثر فيه الحديد الا في الزمان الطويل وتجده صغيرا بالقياس الى ذينك فاذا أتيت اليه وافردته بالنظر هالك مرآه وحير النظر في تأمله * وقد سلك في بناء الاهرام طريق عجيب من الشكل والاتقان ولذلك صبرت على عمر الايام لا بل على عمرها صبر الزمان فانك اذا تأملت ما وجدت الاذهان الشريفة قد استعملت فيها والعقول الصافية قد افرغت عاليا بمجوهدها والانفس النيرة قد افاضت عليها أشرف ما عندها والمكاتب الهندسية قد اخرجتها الى الفعل مثالا في غاية امكانها حتى انها تكاد تحدث عن قوة قومها وتخبر عن سيرتهم وتنطق عن علومهم واذهانهم وترجم عن سيرهم وأخبارهم وذلك أن وضعها على شكل مخروط ويتدنى من قاعدة مربعة وينتهي الى نقطة * ومن خواص الشكل المخروط أن مركز ثقله في وسطه يتساند على نفسه ويتواقع على ذاته ويتحمل بعضه على بعض وليس له جهة اخرى يتساقط عليها * ومن عجيب وضعه أنه شكل مربع قد قوبل بزواياه مهباب الرياح الاربع فان الريح تنكسر سورتها عند مسامتتها الزاوية وليست كذلك عند ما تلقى السطح * وذكر المساح أن قاعدة كل من الهرمين العظيمين أربعة مائة ذراع بالذراع السوداء وينقطع المخروط في أعلاه عند سطح مساحته عشرة اذرع في مثلها وذكر أن بعض الزمارة رمى سهماً في قطراً أحدهما وفي سمكه فسقط السهم دون نصف المسافة وذكر أن ذراع سطحها أحد عشر ذراعاً بذراع اليد وفي أحد هذين الهرمين مدخل لجهة الناس يفضى بهم الى مسالك ضيقة وأسراب متنافذة وآبار ومهاالك وغير ذلك على ما يحكيه من يلمه وإن اناسا كثيرين لهم غرام به وتحيل فيه فيتوغلون في أعماقه ولا بد أن ينتهوا الى ما يعجزون عن سلوكه * وأما السلوك المطروق كثيرا فزلاقة تفضي الى أعلاه فيوجد فيه بيت مربع فيه ناوس من حجر وهذا المدخل ليس هو الباب في اصل البناء وانما هو مقوب تقباصادف اتفاقا وذكر أن المأمون قبحه * وحكي من دخله وصعد الى البيت الذي في أعلاه فلما نزلوا حدثوا بعظيم ما شاهدوه وانه مملوء بالخفافيش وأبوالها وتغظم فيه حتى تكون قدر الحمام وفيه طاقات وروازن نحو أعلاه كأنها علمت مسالك للريح ومنافذ للضوء بحجارة جافية طول الحجر منها من عشرة اذرع الى عشرين ذراعاً وسمكه من ذراعين الى ثلاثة اذرع وعرضه نحو ذلك * والعجب كل العجب من وضع الحجر على الحجر بهندام ليس في الامكان أصح منه بحيث لا نجد بينهما مدخل ابرة ولا خلل شعرة وبينهما طين لونه الزرق لا يدرى ماهو ولا صفته وعلى تلك الحجارة كتابات بالعلم القديم المجهول الذي لم يوجد بديار مصر من يزعم أنه سمع من يعرفه وهذه الكتابات كثيرة جدا حتى لو نقل ما عليها الى صحف لكنت قدر عشرة آلاف صحيفة وقرأت في بعض كتب الصابئة القديمة أن أحد هذين الهرمين قبراً عاديين والآخر قبر هرمس ويزعمون أنهم ما بينان عظيمان وان عاديين أقدم وأعظم وانه كان يحج اليهما ويهدي اليهما من أنظار البلاد * وكان

الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب المستقل بالملك بعد أبيه سؤل له جهله أصحابه أن يهدم هذه
الاهرام فبدأ بالصغير الآخر فأخرج اليه النقبان والحجارين وجساعة من أمراء دولته وعظماء مملكته وأمرهم
بهدمهم فخدموا عنده وحشروا الرجال والصناع ووفروا عليهم النفقات وأقاموا نحو ثمانية أشهر يخيلهم ويرجلهم
يهدمون بكل يوم بعد الجهد واستفراغ بذل الوسع الجروا الحجرين فقوم من فوق يدفعونه بالأسافين وقوم من
أسفل يجذبونه بالقلوس والاشطان فاذا سقط جمع له وجبة عظيمة من مسافة بعيدة حتى ترجف الجبال وتزلزل
الأرض ويغوص في الرمل فيتعبون تعباً آخر حتى يخرجوه ويضربون فيه بالأسافين بعدما يتقنون لها موضعاً
ويثبتون فيها فيه فتقطع قطعاً وتسحب كل قطعة على العجل حتى ياتي في ذيل الجبل وهي مسافة قريبة فلما طال
نواءهم ونفدت نفقاتهم وتضايف نصيبهم ووهت عزائمهم كففوا محسورين لم ينالوا بغية بل شقوا الهرم
وأبأنوا عن عجز وفشل وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين وخمسائة ومع ذلك فإن الرائي لجارة الهرم يظن أنه قد
استوصل فإذا عاين الهرم ظن أنه لم يهدم منه شيء وإنما سقط بعض جانب منه وحين ماشوه دت المشقة التي
يجدونها في هدم كل حجر مثل مقدم الحجارين فقبل له لو بذل لكم السلطان ألف دينار على أن تردوا حجراً واحداً
إلى مكانه وهدمته هل كان يمكنكم فأقسم بالله أنهم ليجزون عنه ولو بذل لهم أضعاف ذلك * وبازاء الاهرام
مغاير كثيرة العدد كبيرة المقدار عميقة الأغوار لعل الفارس يدخلها برمح ويتخللها يوم الجمع ولا ينهيها بالكبرها
وسعتها وبعدها ويظهر من حالها أنها مقاطع ججارة الاهرام * وأما مقاطع ججارة الهرم الآخر فيقال أنها
بالقزم وبأسوان وعند هذه الاهرام آثاراً بنية جبابرة ومغاير كثيرة منقبة وقلاترى من ذلك شياً الا ترى
عليه كتابات بهذا القلم المجهول ولله در الفقيه عمارة النبي حيث يقول

خليلي ما تحت السماء بنية * تماثل في انقائها هرمى مصر

بناء يخاف الدهر منه وكل ما * على ظاهرها الدنيا يخاف من الدهر

تنزه طرفى في بديع بنائها * ولم يتنزه في المراد بها فكرى

أخذ هذا من قول بعض الحكماء كل شئ يخشى عليه من الدهر الا الاهرام فانه يخشى على الدهر منها وقال

عبد الوهاب بن حسن بن جعفر بن الحاجب ومات في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة

انظر الى الهرمين اذ برزا * للعين في علو وفي صعود

وكأنما الأرض العريضة قد * ظمئت لطول حرارة الكبد

حسرت عن الثديين بارزة * تدعو الاله لفرقة الولد

فأجابها بالنيل يشبعها * ربا وينقذها من الكمد

للكرامة المولى المقيم بها * خير الانام مقوم الاود

وقال سيف الدين بن جبابرة

لله اى عجيبه وغريبة * فى صنعة الاهرام للالباب

اخفت عن الاسماع قصة اهلها * ونضت عن الابداع كل نقاب

فكأنما هي كالحياض مقامه * من غير ما عمد ولا اطناب

وقال آخر

انظر الى الهرمين واسمع منهما * ما يرويان عن الزمان الغابر

وانظر الى سر البالى فيهما * نظرا بعين القلب لا بالناظر

لوي نطقان لخبرانا بالذى * فعل الزمان بأقول وبأخر

واذا هما بدىا لعيني ناظر * وصفاله اذنى جواد عائر

وقال الامام ابو العباس احمد بن يوسف التيفاشى

الست ترى الاهرام دام بناؤها * ويفى لدينا العالم الانس والجن

كأن رضى الافلاك اكوارها على * قواعدها الاهرام والعالم الطعن

وقال

قد كان للماضين من * سكان مصرهم * فالفضل عنهم فضلة * والعلم فيهم علم
ثم انقضت أعلامهم * وعلمهم واحتطموا * وانظر تراها ظاهرا * بادعيا الهرم
وقال

تخلي لي لآباق على الحدثان * من الأول الباقي فيحدث ثاني
إلى هري مصر تناهت قوى الوري * وقدهرمت في دهرها الهرمان
فلا تنجبا أن قدهرمت فانما * رما في بقدان الشباب زمان
وعوجا بقرطاجنة فانظرا بها * جنائقي العادين نتخبان
وايوان ككسرى فانظرا فانه * يخبرك بالصدق كل اوان
فلا تحسبا أن الفناء يخصني * ألا كل ما فوق البسيطة فاني
ووجدت بخط الشيخ شهاب الدين احمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني أنشدني القاضي فخر الدين عبد الوهاب
المصري لنفسه في الأهرام سنة خمس وخسين وسبع مائة وأجاد

أما في الأهرام كم من واعظ * صدع القلوب ولم يفه بلسانه
اذ كرني قولاً تقادم عهده * اين الذي الهرمان من نيسانه
هن الجبال الشاخات تكاد أن * تمتد فوق الارض عن كيوانه
لو أن كسرى جالس في سفحها * لاجل مجلسه على إيوانه
ثبتت على حر الزمان وبرده * مددا ولم تأسف على حدثانه
والشمس في احراقها والريح عن * دهبوها والسيل في جريانه
هل عابد قد خصها بعبادة * فباني الأهرام من أوثانه
أو قاتل يقتضي برجي نفسه * من بعد فرقته إلى جثمانه
فاختارها لكنوزها ولجسمه * قبرا ليأمن من أذى طوفانه
أو أنها للساكنات مرصد * يختار راصدا اعز مكانه
أو أنها وصفت شؤون كواكب * احكام فرس الدهر أو يونانه
أو أنهم نقشوا على حيطانها * علماء الفلك في تبيانها
في قلب رائيها يعلم نقشها * فكري بعض عليه طرف بنانه

(ذكر الصنم الذي يقال له أبو الهول) *

هذا الصنم بين الهرمين عرف اولا بلهيب وتقول اهل مصر اليوم أبو الهول * قال القاضي صنف الهرمين
وهو بلهوبه صنف كبير من حجارة فيما بين الهرمين لا يظهر منه سوى رأسه فقط تسميه العامة بابي الهول
ويقال بلهيب ويقال انه طلسم للرمل لئلا يغلب على ابلان الحيز * وقال في كتاب عجائب البنيان وعند
الأهرام رأس وعنق بارزة من الارض في غاية العظم تسميه الناس بابا الهول ويرعون أن جثته مدفونة تحت
الارض ويقتضي القياس بالنسبة إلى رأسه أن يكون طوله سبعين ذراعا فصاعدا وفي وجهه حجرة ودهان
يلع عليه رونق الطراوة وهو حسن الصورة مقبولها عليه مسحة بهاء وجمال كأنه يضحك تبسما * وسئل
بعض الفضلاء عن عجيب ما رأى فقال تناسب وجه أبي الهول فان أعضاء وجهه كالانف والعين والاذن
متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة فان انف الطفل مثلا مناسب له وهو حسن به حتى لو كان ذلك
الانف لرجل كان مشوها وكذلك انف الرجل لو كان أصبي لتشوهت صورته وعلى هذا سائر الاعضاء
فكل عضو ينبغي أن يكون على مقدار ماهيته بالقياس إلى الصورة وعلى نسبتها والعجب من مصوره كيف قدر
أن يحفظ التناسب للاعضاء مع عظمها وأنه ليس في أعمال الطبيعة ما يحاكيه * ويقال له في بر مصر قريبا
من دار الملك صنف عظيم الخلقة والهيئة متناسب الاعضاء كما وصف وفي حجره مولود وعلى رأسه ماجور الجميع
صقوان مائع يزعم الناس أنه امرأة وانما سريته أبي الهول المذكور وهي بدرب منسوب اليها ويقال لو وضع على
رأس أبي الهول خيط ومد إلى سريته لكان على رأسها مستقيما ويقال ان ابا الهول طلسم الرمل ينفعه عن

النيل وإن السرية طلسم الماء يجمعه عن مصر * وقال ابن المتوج زقاق الصنم هو الزقاق الشارع أوله
 بأول السوق الكبير نجوار درب عمار ويعرف الصنم بسرية فرعون وذكر أنه طلسم النيل لتلا يغلب على البلد
 وقيل إن بلهيب الذي عند الأهرام يقابله وأن ظهر بلهيب إلى الرمل وظهر هذا إلى النيل وكل منهما مستقبل
 الشرق وقد نزل في سنة إحدى عشرة وسبعمائة أمير يعرف بيلاط في نفر من الحجارين والقطاعين وكسروا الصنم
 المعروف بالسرية وقطعوه أعتابا وقواعدنا أن يكون تحتها مال فلم يوجد سوى أعتاب من حجر عظيمة خفر
 تحتها إلى الماء فلم يوجد شيء وجعل من حجره قواعد تحتانية للعمد الصوان التي بالجوامع المستجدة بظاهر مصر
 المعروف بالجوامع الحديدية الناصرية وأزيل عين هذا الصنم من مكانه والله اعلم * وفي زمننا كان شخص
 يعرف بالشيخ محمد صائم الدهر من جملة صوفية الخلفاء الصلاحية سعيد السعداء قام في نحو من سنة ثمانين
 وسبعمائة لتغيير أشياء من المنكرات وسار إلى الأهرام وشق وجه أبي الهول وشعته فهو على ذلك إلى اليوم
 ومن حينئذ غلب الرمل على أراض كثيرة من الجزيرة وأهل تلك النواحي يرون أن سبب غلبة الرمل على الأراضي
 فساد وجه أبي الهول والله عاقبة الأمور وما أحسن قول ظافر الحداد

تأمل هيئة الهرمين وأعجب * وبينهما أبو الهول العجيب
 كعمارتين على رحيل * محبوين بينهما رقيب
 وماء النيل تحتها دموع * وصوت الريح عندهما نجيب
 وظاهر سجن يوسف مثل صب * تخلف فهو محزون كتيب

ويقال إن أتريب بن قبط بن مصر بن يصر بن حام بن نوح أوصا أخاه صا عند موته أن يحمله في سفينة ويدفنه
 بجزيرة في وسط البحر فلما مات فعل ذلك من غير أن يعلم به أهل مصر فاتهمه الناس بقتل أتريب وحاربوه تسع سنين
 فلما مضى من حربهم خمس سنين مضى بهم حتى أوقفهم على قبر أتريب فخفروه فلم يجدوا به شيئا وقد نقلته الشياطين
 إلى موضع أبي الهول ودقنته هناك بجانب قبر أبيه وجده يصرفازدادوا له تهمة وعادوا إلى مدينة منف
 وتحاربوا فأتاهم إبليس فدلهم على قبر أتريب حيث نقله فأخرجوه من قبره ووضعوه على سرير قسكهم إلهم الشيطان
 على لسانه حتى افتتنوا به وسجدوا له وعبدوه فيما بعد وامن الأصنام وقتلوا صا ودفعوه على شاطئ النيل فكان
 النيل إذا زاد لعل قبره فافتتن به طائفة وقالوا قد قتل صا ظلموا صاروا يسجدون لقبره كما يسجدوا لثلك لا تريب
 فعمد آخرون إلى حجر فحتموه على صورة أشعورم وكان يقال له أبو الهول ونصبوه بين الهرمين وجعلوا يسجدون
 له فصار أهل مصر ثلاث فرق ولم تزل الصابئة تعظم أبا الهول وتقرب له الديكة البيض وتجزره بالصندروس

* (ذكر الجبال) *

اعلم أن أرض مصر بأسرها محصورة بين جبلين آخذين من الجنوب إلى الشمال قليلا الارتفاع وأحدهما أعظم
 من الآخر والأعظم منهما هو الجبل الشرقي المعروف بجبل لوقا والغربي جبل صغير وبعضه غير متصل ببعض
 والمسافة بينهما تضيق في بعض المواضع وتتسع في بعضها وأوسع ما يكون أسفل أرض مصر وهذان الجبلان
 أقرعان لا يثبت فيهما نبات كما يكون في جبال البلدان الأخرى وعلته ذلك أنهما بورقيان ما لسان لا قوة طين مصر
 تجذب منهما الرطوبات الموافقة في التكوين ولأن قوة الحرارة تحلل منهما الجوهر اللطيف العذب وكذلك مياه
 الآبار منهما مالحة وهذان الجبلان يجففان ما يدفن فيهما فان أرض مصر بالطبع قابلية الأمطار * وجبل لوقا
 في مشرق أرض مصر يعوق عنها ريح الصبا فعدمت مصر هذا الريح ويعوق أيضا اشراق الشمس على أرض
 مصر إذا كانت على الأفق وتتعدد أسماء هذين الجبلين بحسب مواضعهما من الأقليم فيطل على القسطنطين وعلى
 القاهرة الجبل المقطم

* (ذكر الجبل المقطم) *

اعلم أن الجبل المقطم أوله من اشرق من الصين حيث البحر المحيط ويمر على بلاد الطاهر حتى يأتي فرغانة إلى جبال
 اليم الممتدة بها نهر السغد إلى أن يصل الجبل إلى جيحون فيقطعها ويمضي في وسطه بين شعبتين منه وكأنه قطع ثم في
 وسطه ويستمر الجبل إلى الجورجان ويأخذ على الطالقان إلى أعمال مرو والورد إلى طوس فيكون جميع مدن طوس
 فيه ويتصل به جبال أصهبان وشيراز إلى أن يصل إلى البحر الهندي وينعطف هذا الجبل ويمتد إلى شهرزور فيمر على

الجلجلة ويتصل بجبل الجودي موقف سفينة نوح عليه السلام في الطوفان ولا يزال هذا الجبل مستقرا من
أعمال آدم وميثافارقين حتى يترثغور حلب فيسمى هناك جبل اللكام الى أن يعتدى الثغور فيسمى نهرا حتى
يجاوز حص فيسمى لبنان ثم يمتد على الشام حتى ينتهي الى بحر القلزم من جهة ويتصل من الجهة الاخرى ويسمى
المقطم ثم يتشعب ويتصل واخر شعبه بنهاية الغرب ويقال انه عرف بمقطم بن مصر بن بصر بن حام بن نوح عليه
السلام * وجبل المقطم يمر على جانبي النيل الى النوبة ويعبر من فوق الفيوم فيتصل بالغرب الى أرض مرقاة
ويعضى مغربا الى سجلماسة ومنها الى البحر المحيط مسيرة خمسة اشهر * وقال ابراهيم بن وصيف شاه وذكر محبي
مصر ايم بن بصر بن حام بن نوح الى أرض مصر وكشف اصحاب اقليمون الكاهن عن كنوزه صر وعلومهم التي
هي بخط البرابي وآثارهم والمعادن من الذهب والزرجد والفيروزج وغير ذلك ووصفوا لهم عمل الصنعة يعني
الكيمياء فجعل مصر ايم امرها الى رجل من اهل بيعة يقال له مقيطام الحكيم فكان يعمل الكيمياء في الجبل
الشرقي فسمى به المقطم من أجل أن مقيطام الحكيم كان يعمل فيه الكيمياء واختصر من اسمه وبقي ما يدل عليه
فتقل له جبل المقطم يعني جبل مقيطام الحكيم وقال البكري رحمة الله تعالى عليه المقطم بضم اوله وفتح ثانيه
وتشديد الطاء المهملة وفتحها جبل متصل بمصر يوارون فيه موتاهم وقال القاضي المقطم ذكر أبو عبد الله
البيهقي أن هذا الجبل نسب الى المقطم بن مصر بن بصر بن حام بن نوح وكان عبدا صالحا فأنقذ عبادة الله عز
وجل فيه فسمى الجبل باسمه وليس هذا بصحيح لانه لا يعرف لمصر ولدا اسمه المقطم * والذي ذكره العلماء أن المقطم
مأخوذ من القطم وهو القطع فكأنه لما كان منقطع الشجر والنبات سمي مقطما ذكر ذلك علي بن الحسن الهنائي
الدوسي النبوذ بكرا وع غيره * وروى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم عن الليث بن سعد رضي الله عنه قال
سال المقوقس عمرو بن العاص رضي الله عنه أن يبيعه سفح الجبل المقطم بسبعين ألف دينار وفي نسخة بعشرين
ألف دينار فغضب عمرو من ذلك وقال أكتب بذلك الى أمير المؤمنين فكتب بذلك الى عمرو بن الخطاب رضي الله عنه
فكتب اليه عمر لم أعطاك به ما أعطاك وهي لا تزرع ولا يستنبط به ماء فسأله فقال انالجد صفها في الكتب
أن فيما غراس الجنة فكتب بذلك الى عمر فكتب اليه انالاعلم غراس الجنة الا المؤمنين فاقبر فيما من مات قبلك
من المؤمنين ولا تبعه بشئ فكان أول من قبر فيما رجلا من المهاجرين قال له عامر فليل عمرت فقال المقوقس لعمر
وما ذلك وما على هذا عاهدتنا فقطع لهم الحد الذي بين المقبرة وبينهم * وذكر عمر بن ابي عمر الكندي في فضائل
مصر أن عمرو بن العاص رضي الله عنه سار في سفح الجبل المقطم ومعه المقوقس فقال له ما الجبل لكم هذا أفرع
ليس به نبات كجبال الشام فلو شققنا في أسفله نهرا من النيل وغرسناه نخلا فقال المقوقس وجدنا في الكتب
انه كان اكثر الجبال اشجارا ونباتا وفاكهة وكان منزل المقطم بن مصر بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام
فلما كانت الليلة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام اوحى الله الى الجبال اني مكلمت نبيا من انبيائي على جبل منكم
فسمت الجبال كلها ونشأ تحت الا جبل بيت المقدس فانه هبط ونصا غرأ وحي الله اليه لم فعلت ذلك وهو به أخبر
فتنازل اعظاما واجلالا لك يا رب قال فأمر الله سبحانه الجبال أن يحبوه كل جبل بما عليه من النبات فجاءه
المقطم بكل ما عليه من النبات حتى بقي كما ترى فأوحى الله اليه اني معوضك على فعلك بشجر الجنة أو غراس الجنة
فكتب بذلك عمرو بن العاص رضي الله عنه الى عمرو بن الخطاب رضي الله عنه فكتب اليه عمرو بن الخطاب
رضي الله عنه اني لا أعلم شجر الجنة غير المؤمنين فاجعله لهم مقبرة ففعل فغضب المقوقس من ذلك وقال لعمر
ما على هذا صالحتي فقطع له عمر قطيعا نحو الحبش تدفن فيه النصارى قال وروى أن موسى عليه السلام
سجد فسجد معه كل شجرة من المقطم الى طرا * وروى أنه مكتوب واذا فتح مقدسي يري وادي مسجد موسى
عليه السلام بالمقطم عند مقطع الحجارة فان موسى عليه السلام كان ينادي ربه بذلك الوادي * وروى أسد بن
موسى قال شهدت جنازة مع موسى بن لهيعة فجلسنا حوله فرفع رأسه فنظر الى الجبل فقال ان محمدي بن مريم
عليه السلام مرت بسفح هذا الجبل وعليه جبة صوف وقد شد وسطه بشريط واقفه الى جانبه فالتفت اليها وقال
يا امة هذه مقبرة امة محمد صلى الله عليه وسلم وروى عبد الله بن لهيعة عن عياش بن عباس أن كعب الاحبار رضي
الله عنه سأل رجلا يريد مصر فقال له أهديني تربة من سفح مقطمها فأتاها منه بجراب فلما حضرت كعبا الوفاة
امر به فجعل في لحده تحت جنته * وروى عن كعب انه سئل عن جبل مصر فقال انه اقدس ما بين القصير الى

اليحوم قال ابن ابيجة والمقطم ما بين القصير الى مقطع الجبارة وما بعد ذلك فن الحوم وفي هذا الجبل حجر الجوهر وثني من الفولاذ وهو يمتد الى اقاصي بلاد السودان

(الجبل الاحمر)*

هذا الجبل مطل على القاهرة من شرقها الشمالي ويعرف باليحوم قال القاضي الجاهلي في الجبال المتفرقة المطلة على القاهرة من جانبها الشرقي وجباها وتنتهي هذه الجبال الى بعض طرق الجب وقيل لها الجاهلي لاختلاف ألوانها واليحوم في كلام العرب الاسود المظلم * وقال ابن عبد الحكم عن سعي بن عبيد انه لما قدم مصر وأهل مصر قد اتخذوا مصلى بجذاء ساقية أبي عون التي في العسكر فقال ما لهم وضعوا مصلاهم في الجبل الملعون وتركوا الجبل المقدس يعني المقطم * وقال ابن عبد الظاهر الجبل الاحمر ذكر القاضي أن الحوم هو الجبل المطل على القاهرة ولا أرى جبلا يطل على القاهرة غيره * وقال البكري الحوم بفتح أوله واسكان ثانيه قال الحرابي الحوم جبل بمصر * وروى من طريق أبي قبيل عن عبد الله بن عمرو أنه سأل كعبا عن المقطم الملعون قال ليس بملعون ولكنه مقدس من القصير الى الحوم * وذكر البكري أيضا أن عابدا بالباء الموحدة والبدال المهملة على وزن فاعل جبل بمصر قبل المقطم

(جبل يشكر)*

هذا الجبل فيما بين القاهرة ومصر عليه الجامع الطولوني قال القاضي جبل يشكر هو يشكر بن جديلة من خلم وهو الذي عليه جامع ابن طولون ويشكر بن جديلة قبيلة من قبائل العرب احتطت عند الفتح بهذا الجبل فعرف بجبل يشكر لذلك * قال ابن عبد الظاهر وجامع ابن طولون على جبل يشكر وهو مكان مشهور بأجابه الدعاء ومكان مبارك وقيل ان موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات وكان هذا الجبل يشرف على النيل وليس بينه وبين النيل شيء وكان يشرف على البركتين اعني بركة الفيل والبركة التي تعرف اليوم ببركة فارون وعلى هذا الجبل كانت تنصب المجانيق التي تجرب قبل ارسالها الى الثغور * (الكيش) هو جبل يجوار يشكر كان قديما يشرف على النيل من غربيه ثم لما اختط المسلمون مدينة القسطنطين بعد فتح أرض مصر صار الكيش من جملة خطة الجراء القسوى وسمى الكيش * (الشرف) اسم لثلاثة مواضع فاشان منها فيما بين القاهرة ومصر وواحد فيما بين بركة الحبش وفسطاط مصر فاما الذي بظاهر القاهرة فأحد هما عليه الآن قلعة الجبل وهو من جملة الجبل المقطم والآخر فيما بين الجامع الطولوني ومصر فيشرف غربيه على جهة الخليج الكبير ويصير فيما بين كوم الخارج وخط الجامع الطولوني وكان من خطة تجيب ثم صار من جملة العسكر وأما الشرف الثالث فيعرف اليوم بالرصد وهو يشرف على راشدة وكان يقال للشرف سند والسند ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح ويقال فلان سند أي معتد

(ذكر الرصد)*

هذا المكان شرف يطل من غربيه على راشدة ومن قبله على بركة الحبش فيحسبه من رآه من جهة راشدة جبلا وهو من شرقيه سهل يتوصل اليه من القرافة بغير ارتقاء ولا صعود وهو محاذ للشرف الذي كان من جملة العسكر والشرف الذي يعرف اليوم بالكيش وكان يقال له قديما الجرف ثم عرف بالرصد من أجل أن الأفضل أبا القاسم شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي أقام فوقه كرة رصد الكواكب فعرف من حينئذ بالرصد قال في كتاب عمل الرصد وحمل الى الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر من الشام تقا ويم لما يستأنف من السنين لاستقبال سنة خمسمائة من سني الهجرة قبل مائة تقويم أو نحوها وكان منجم والحضرة يومئذ ابن الحلبي وابن الهيثمي وسهلون وغيرهم يطلق لهم الجارى في كل شهر والرسوم والكسوة على عمل التقويم في كل سنة وكان كل منهم يجتهد في حسابه وما اتصل قدرته اليه فاذا كان في غرة السنة حمل كل منهم تقويمه فيقابل بينها وبين التقويمات المحضرة من الشام فيوجد بينها اختلاف كثير فذكر ذلك فلما كان غرة ثلاث عشرة وخمسمائة عند احضار التقويم على العادة جمع المنجمين والحساب وأهل العلم وسألهم عن السبب في الخلف بين التقويم فقالوا الشامي يحسب ويعمل على رأى الزيج المهور المأموني ونحن نعمل على رأى الزيج الحاكى لقرب عهده وبين المتقدم والمتأخر تفاوت وخلف وقد اجمع القدماء أن القريب العهد أصح من المتقدم لتقل الكواكب وتغير الحساب وتحدثوا في معنى ذلك بما هو مذکور في موضعه وأشاروا عليه بعمل رصد

مستجذب يصحح به الحساب ويخرج به المعور والتفاوت وتحصل به المنفعة العظيمة والفائدة الجلية والسعة الثريفة والذكر الباقي فقال من يتولى ذلك فقال صاحب دسسته ومشيده الشيخ الاجل ابو الحسن بن أبي أسامة هذا القاضي ابن أبي العيش الطرابلسي المهندس العالم الفاضل وكان ابن أبي العيش صهره زوج ابنته وهو شيخ كبير السن والقدر كثير المال وساعده على ذلك القائد أبو عبد الله الذي تقلد الوزارة بعد الفضل ودعى بالأمون بن البطائحي فاستصوب الفضل ذلك وقال مروءتهم بذلك ويستدعي ما يحتاج اليه فكان أول ما بدأ به لما حصل ذلك أن مدح نفسه وكان الفضل غيوراً على كل شيء أشد ما عليه من يتفخر أو يلبس ثياباً مذكورة ثم قال هذه الآلات عظيمة وخطرها جسيم ولا كل أحد يقوم عليها ولا يحسنها وأكثر الكلام والتوسعة وقال يحتاج أن الذي يتولى ذلك يعتمد معه الانعام والاکرام لتطيب نفسه للمباشرة وينشرح صدره ويقدر خطره لما يعمل في حقه فضجر الفضل من ذلك وقال لقد أكثر في مدح نفسه ولدته وما يعاملنا بعد لا حاجة الي معاملة ثم أشار القائد بن البطائحي وقال هنا من يبلغ الغرض بأسهل مأخذ وأقرب وقت وأسرع وأطف معني ابو سعيد بن قرقة الطبيب متولى خزائن السلاح والسروج والصناعات وغير ذلك فأخضره للوقت فاتفق له من الحديث الحسن السهل وما سبب عمل الآلات ومن ابتدأها من الاول وذكر القدماء في العلم ومن رصد منهم واحداً واحداً الى آخرهم شرحاً مستوفياً كأنه يحفظه ظاهراً او يقرأه من كتاب فأعجب الفضل والحاضرين وقال اي شيء تحتاج فقال ما تحتاج ككبيراً مروءة والامور سهلة وكل ما احتاجه في خزائن السلطان خلد الله ملكه الخناس والرصاص والآلات وكل ما احتاج أستدعيه أولاً اولاً الالنفقات وأجرة الصنائع فيسولها غيري فأعجب به وقال يطلق له جاري لنفسه فقال أنا مستخدم في عدة خدم بخوارى تكفي فأنام لولك الدولة ما احتاج الى جاري واذا بلغت الغرض وأنهيت الاشغال فهو المقصود وكان قبل الفضل هذا الرصد يحتاج الى اموال عظيمة فقال كم تقول يحتاج اليه فقال ما يتفق عليه الامثل ما يتفق على مسجد أو مستنظر فرجع يكثر عليه القول فقال ها تو اورقة فكتب فيها المملوك يقبل الارض وينهي دعت الحاجة الى خروج الامر العالي الى دار الوكالة باطلاق مائتي قنطار من الخناس النجف وثمانين قنطاراً من الخناس القضيب الاندلسي وأربعين قنطاراً من الخناس الاحمر ومن الرصاص ألف قنطار ومن الحطب ومن الحديد والقولاذ من الصناعة ما لعله يحتاج اليه ومن الاخشاب ومن النفقة مائة دينار على يد شامد يتفق عليه فاذا فرغت أستدعي غيرها واختار موضعاً يصلح الرصد فيه ويكون العمل والصناعة فيه ومباشرة السلطان فيما يتوقف عليه وما يستأمر فيه فاستصوب الفضل جميع ذلك وأراد أن يجمع عليه فقال القائد هذا فيما بعد اذا شوهت أعماله فقدم من أول الحال الى آخرها ولم يحصل له الدرهم الفرد لانه كان يستحي أن يطلب وهو مستخدم عندهم وكانوا بأجمعهم يؤملون طول المدة والبقاء فقتل الفضل ثاني سنة وتغيرت الاحوال ثم انهم اختاروا الرصد مسجد التنور فوق المقطم فوجدوه بعيداً عن الحوائج فأجمعوا على سطح الحرف بالمسجد المعروف بالقبيلة الكبير وكان قد صرف على المسجد خاصة ستة آلاف دينار فحفرها في مسجد القبيلة تقرأ في الجبل مكان الصهر يبع الآن فعلم فيه قباب الحلقة الكبيرة وقطرها عشرة اذرع ودورها ثلاثون ذراعاً وهدموا حترروها أياماً وعمل حوله عشرة هرج على كل هرجة منفذان وفي كل هرجة أحد عشر قنطاراً نحاساً وأقل وأكثر والجميع مائة قنطار وكسرت حترروها على الهرج وطرح فيها النار من العصر ونفخوا الى الثانية من النهار وحضر الفضل بكرة وجلس على كرسى فلما تهيأت الهرج ودارت أمر الفضل بفتحها وقد وقف على كل هرجة رجل وأمرها بفتحها في لحظة ففتحت وسال الخناس كالماء الى القباب وكان قد بقي فيه بعض النداء فلما استقر به الخناس بجمارته تقعع المكان الندي فلم تتم الحلقة ولم يبردت وكشف عنها اذهى تامة ما خلا المكان الندي فضجر الفضل وضاق صدره ورعى الصنائع بكيس فيه ألف درهم وغضب وركب فلاطفه ابن قرقة وقال مثل هذه الآلة العظيمة التي ما مع قط بمثلها لو أعيد سبكها عشر مرات حتى تصح ما كان كثيراً فقال له الفضل اهتم في اعادة تفاسيكت وصحت ولم يحضر الفضل في المرة الثانية ففرح بصحتها وعلمت ورفعت الى سطح مسجد القبيلة وأحضرت لها جميع صنائع الخناس وعمل لها بركار خشب من السنديان وهو بركار عجيب وبني في وسط الحلقة مسطبة حجارة منقبة لرجل البركار وهو قائم مشعل عروس الطاحون وفيه

ساعد مثل ناف الطاحون وقديس بالحديد والجميع سندان جيد وطرف الساعد منها العدة فنون تارة لتصحيح وجه الحلقة وتارة لتعديل الاجناب وتارة للخطوط والخزوز وأقام في التصحيح فيها وأخذ زوائد بالمبارد مدة طويلة وجماعة الصناعات والمهندسين وأرباب هذا العلم حاضرون واستدعى لهم خيمة عظيمة ضربت على الجميع وعقد تحت الحلقة اقباء وثيقة وأراد اقيامها على سطح مسجد القيلة فلم يتهبأ لهم فانهم وجدوا المشرق لا قبل بوزن الشمس مسدودا فانفقوا على نقلها الى المسجد الجيوشي بمجاورة الانطاكي المعروف أيضا بالرصد وكان الافضل بناءه ألتف من جامع القيلة ولم يكمل فلما صار يرسم الرصد كل فخر الافضل في نقل الحلقة من جامع القيلة الى المسجد الجيوشي وقد حضرت الصواري الطوال العظام والسيريات والمخيمات من الاسكندرية وغيرها وجعت الاسطولية ورجال السودان وبعض اصحاب الركاب والهند حتى ادلوه وجاؤه على العجل الى مسجد الرصد الجيوشي وثاني يوم حضر وأبأ جمعهم حتى رفعوه الى السطح وكملوه وأقاموا الحلقة وجعلوا تحت أكتافها عمودين من رخام سبكوهما بالرصاص من أسفلهما وأعلاههما حتى لا يرتجى ثقل النحاس وجعل في الوسط عمود رخام وبأعلاه قطب العضادة مسبوك بالنحاس الكثير لتدور عليه العضادة وعلمت من نحاس نما تمارست ولا دارت فعملوها من خشب ساج وقطبها واطرافها من نحاس صفائح الخيف الدوران ثم رصدوا بها الشمس بعد كلفة وكانت الحلقة ترخي الدرجة والدقائق كل وقت للثقل فعمل عمود من نحاس فوق عمود الرخام ليسك رخوها وغلبوا بعد ذلك فكانت تختلف لشدتها ما كانوا يجزرونها بالشواقل وعضادة الخشب وتردد اليها الافضل مع كبر سنه وهو يرتعش والقائد يحمله الى فوق وبقدر زمانا من التعب لا يتكلم ويده ترتعش فرصدوا قدامه وفي خلال ذلك قتل الافضل ليلة عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسة مائة وقيل للافضل عن ابن قرقة انه اسرف في كبر الحلقة وعظم مقدارها فقال له الافضل لو اخضرت منها كان أهون فقال وحق نعمتيك لو أمكني أن أعمل حلقة تكون رجلها الواحدة على الاهرام والاخرى على التنور فعلت فكما كبرت الآلة صح التحرير وأين هذا في العالم العلوي ثم اكثروا عليه فعمل حلقة دونها في الموضع المهندم بالطوب الاحمر تحت المسجد الجيوشي كان قطرها أقل من سبعة اذرع ودورها نحو احد وعشرين ذراعا فلما كمل قتل الافضل ولم ينفق من مال السلطان في الابرة والمؤن وما لا بد منه سوى نحو مائة وستين ديناراً فلما تمت الوزارة للمأمون البطاحي أحب أن يكملها ويقال له الرصد المأموني المصحح كما قيل للاول الرصد المأموني الممتحن فأخرج الامر بنقل الرصد الى باب النصر بالقاهرة فنقل على الطريقة الاولى بالعتالين والاسطولية وطوائف الرجال وكان يدفع لهم كل يوم برسم الغداء بجملة دراهم فلما صار فرق العجل مضوا به على الخندق من وراء الفتح على المشاهد الى مسجد الذخيرة من ظاهر القاهرة وتعبوا في دخوله من باب النصر تعباً عظيماً لخوفهم أن يصدف فيغير فنصبوا الصواري على عقد باب النصر من داخل الباب ونكثوا الرجال في جذب المباحين من أسفل ومن فوق حتى وصل الى السطح الكبير ثم نقلوه من السطح الكبير الى السطح الفوقاني وأوقفوا له العمل مدة كما تقدم ذكره ورصدوا بالحلقة الكبرى كما رصدوا بها على سطح الجرف فصح لهم ما أرادوا من حال الشمس فقط ثم اهتموا بعمل ذات حلق يكون قطرها خمسة اذرع وسبكت في فندق بالاطوفية من القاهرة وكان الامر فيها سهلاً عندما لحقهم من العناء العظيم في الحلقة الكبيرة والحلقة الوسطى وتجرد المأمون اعمالها والحلث فيها وكان ابن قرقة يحضر كل يوم دفعتين ويحضر أبو جعفر بن حسنداي وأبو البركات بن ابي الليث صاحب الديوان ويسدها الحل والعقد فقال له المأمون اطاع اليهم كل يوم وای شئ طلبوه وقع لهم به من غير مؤامرة وكان قصده ما أطمعوه فيه من أن يقال الرصد المأموني المصحح فلما أراد ان يبق المأمون قليلاً كان كل جميع رصد الكواكب لكنه قبض عليه ليلة السبت ثالث شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسة مائة وكان من جملة ما تعدد من ذنوبه عمل الرصد المذكور والاجتهاد فيه وقيل أطمعته نفسه في الخلقة بكونه سماه الرصد المأموني ونسبه الى نفسه ولم ينسبه الى الخليفة الامر بأحكام الله وأما العامة والغوغاء فكانوا يقولون أرادوا أن يخاطبوا زحل وأرادوا أن يعلموا الغيب وقال اخرون منهم عمل هذا للسحر ونحو ذلك من الشناعات فلما قبض على المأمون بطل وأنكر الخليفة على عمله فلم يجسر أحد أن يذكره وأمر فكسر وحمل الى المناخت وهرب المستخدمون ومن كان فيه من الخاص وكان فيه من المهندسين

رسم خدمته وملازمته في كل يوم بحيث لا يتأخر منهم أحد الشيخ أبو جعفر بن حسنداي والقاضي بن أبي العيش والخطيب أبو الحسن علي بن سليمان بن أيوب والشيخ أبو التجاني سند الساعاتي الاسكندراني المهندس وأبو محمد عبد الكريم الصقلي المهندس وغيرهم من الحساب والمنجمين كابن الحلبي وابن الهيثمي وأبي نصر تليذ سهلون وابن دياب والقلعي وجاعة يحضرون كل يوم إلى ضحوة النهار فيحضر صاحب الديوان ابن أبي الليث وكان ابن حسنداي رجلاً تأخر في بعض الأيام فإنه كان أمراً عظيماً صاحب كبرياء وهيبة وفي كل يوم يبعث المأمون من يتفقد الجماعة ويطلعه بمن غاب منهم لأنه كان كثيراً التفقد للأمور كلها وله نمازون وأصحاب أخبار لا تنام ولا يكاد يفوته شيء من أحوال الخاصة والعامة بمصر والقاهرة ومن يتحدث وجعل في كل بلد من الأعمال من يأتيه بسائر أخبارها وأنا أدركت هذا الموضع الذي يعرف اليوم بالرد حيث جامع القلعة عامراً فيه عدة مساكن ومساجد وبه أناس مقيمون دائماً وقد خرب ما هناك وصار لا ينسب به وكان الملك الناصر محمد بن قلاوون قد أنشأ فيه سواقي لنقل الماء من أماكن قد حفر لها خليج من البحر بجوار رباط الآثار النبوية فإذا صار الماء في سفح هذا الجرف المسمى بالرد نقل بسواقي هناك قد أنشئت إلى أن يصير إلى القلعة فمات ولم يكمل ما أراد من ذلك كما ذكر في أخبار قلعة الجبل من هذا الكتاب وما زال موضع هذا الرصد منتزهاً لاهل مصر ويقال إن المزلدين الله معداً لما قدم من بلاد المغرب إلى القاهرة لم يعجبه مكانها وقال للقائد جوهر فأنك بناء القاهرة على النيل فهلا كنت بنيتها على الجرف يعني هذا المكان ويقال إن اللعم علق بالقاهرة فتغير بعد يوم وليلة وعلق قلعة الجبل فتغير بعد يومين وليتين وعلق في موضع الرصد فلم يتغير ثلاثة أيام ولياليها لطيب هوأته ولله در القائل

يا ليلة عاش مروري بها * ومات من يحسدنا بالكمد

وبت بالمعشوق في المشتى * وبات من يرقبنا بالرد

(ذكر مدائن أرض مصر)

قال ابن سيده مدن بالمكان أقام والمدينة الحصن بيني في اسطحة الأرض مشتق من ذلك والجمع مدائن ومدن ومن هنا حكم أبو الحسن فيما حكى الفارسي عنه أن مدينة فاعيلة وقال العلامة أثير الدين أبو حيان المدينة معروفة مشتهرة من مدن فهي فاعيلة ومن ذهب إلى أنها مفعلة من دان فقوله ضعيف لاجتماع العرب على الهمز في جمعها فانهم قالوا مدائن بالهمز ولا يحفظ مدائن بالياء ولا ضرورة تدعو إلى أنها مفعلة من دان ويقطع بأنها فاعيلة جمعهم لها على فعل فانهم قالوا مدن كما قالوا صحف في صحيفة واعلم أن مدائن مصر كثيرة منها ما دثر وجهل اسمه ورسمه ومنها ما عرف اسمه وبقي رسمه ومنها ما هو عامر * وأول مدينة عرف اسمها في أرض مصر مدينة امسوس وقد حفر الطوفان رسمها ولها أخبار معروفة وبها كان ملك مصر قبل الطوفان ثم صارت مدينة مصر بعد الطوفان مدينة منف وكان بها ملك القبط والفراعنة إلى أن خربها بخت نصر فلما قدم الاسكندر بن فيلبش المقدوني من مملكة الروم عمر مدينة الاسكندرية عمارة جديدة وصارت دار المملكة بمصر إلى أن قدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين وفتح أرض مصر فاخترت فسطاط مصر وصارت مدينة مصر إلى أن قدم جوهر القائد من الغرب بعساكر المعزدين الله أبي تميم معد وملك مصر واختط القاهرة فصارت دار المملكة بمصر إلى أن زالت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فبنى قلعة الجبل وصارت القاهرة مدينة مصر إلى يومنا هذا * وفي أرض مصر عدة مدائن ليست دار ملك وهي مدينة الفيوم ومدينة دلاص ومدينة اهناس ومدينة الهنسا ومدينة القيس ومدينة طلحا ومدينة الاشمونين ومدينة انصنا ومدينة قوص ومدينة سيوط ومدينة فاو ومدينة اخميم ومدينة البلينا ومدينة هو ومدينة قنا ومدينة دندره ومدينة فقط ومدينة الاقصر ومدينة اسنا ومدينة أرمنت ومدينة ادفو ونغراسوان وادركاه ومدينة هذه مدائن الوجه القبلي وكان اهل مصر يسمون من سكن من القبط بالصعيد انريس ومن سكن منهم أسفل الأرض يسمونه البجا وفي الوجه البحري مدينة فوب من الحوف الشرقي أسفل الأرض ومدينة عين شمس ومدينة اتريب ومدينة تنوا ومن قراها ناحية زنكلون ومدينة قني ومدينة بسطه ويعرف اليوم موضعها بتل بسطه ومدينة قريط ومدينة البنتون ومدينة منوف ومدينة طره ومدينة منوف

يضاً ومدينة سخا ومدينة الاوسه وهى دميره ومدينة تيسه ومدينة الافراحون ومن جله قراها نسا
ومدينة بقيه ومدينة بنا ومدينة شبراساط ومدينة سمند ومدينة نوسا ومدينة سبقي ومدينة النجوم
وقد غلب على مدينة النجوم المال والسباح ويعرف اليوم منها قرية أدكو على ساحل البحر بين اسكندرية ورشيد
ومدينة تنيس ومدينة دمياط ومدينة القرمه ومدينة العريش ومدينة صا ومدينة برونوط ومدينة قرطسا
ومدينة أخنو ومدينة رشيد ومدينة مريوط ومدينة لوبية ومراقية وليس بعد لوبية ومراقية الأرض
الطابلس وهى بترية وفى كورا القبلة مدينة فاران ومدينة القلزم ومدينة رايه ومدينة ايله ومدينة مدين
واكثر هذه المدائن قد خرب ومنها ماله أخبار معروفه وقد استحدث فى الاسلام بعض مدائن وساقى من
أخبار ذلك ان شاء الله ما يكفى * وديار مصر اليوم وجهان قبلى وبحرى جلتها خمس عشرة ولاية * فالوجه
القبلى اكبرهما وهو تسعة أعمال عمل قوص وهو اجلها ومنه اسوان وغرب قولة واسوان حد المملكة
من الجنوب وعمل أخميم وعمل سيوط وعمل منفوط وعمل الاشمونين وبها الطحاوية وعمل البهنسا وعمل الفيوم
وعمل اطفح وعمل الجيزة * والوجه البحرى ستة أعمال عمل البحيرة وهو متصل البر بالاسكندرية وبرقة وعمل
الغربية وهى جزيرة واحدة يشتمل عليها ما بين البحر بين بحر دمياط وبحر رشيد والمنوفية ومنها ابيار التى تسمى
جزيرة بنى نصر وعمل قليوب وعمل الشرقية وعمل اشمر وطناح ومنها الدقهلية والمراتية وهما موضع ثغر
البرلس وثغر رشيد والمنصورة وفى هذا الوجه الاسكندرية ودمياط وهما مدينتان لاجل لهما * وذكر
ابو الحسن المسعودى فى كتاب أخبار الزمان أن الكوكبة وهى اتمه من اهل ايله ملكوا الارض وقسموا الصعيد على
ثمانين كورة وجعلوه اربعة أقسام وكان عدد مدن مصر الداخلة فى كورها ثلاثين مدينة فيها جميع العجائب
والكور مثل اخميم وقفت وقوص والفيوم ويقال ان مصر بن بصر قسم الارض بين اولاده فأعطى ولده
أشمون من حد بلده الى رأس البحر الى دمياط وأعطى ولده انصنا من حد أنصنا الى الجنادل وأعطى ولده صا
من صا أسفل الارض الى الاسكندرية وأعطى ولده منوف وسط الارض السفلى منف وما حولها وأعطى ولده
قفت غربى الصعيد الى الجنادل وأعطى ولده اتريب شرق الارض الى البرية بترية فاران وأعطى لبناته الثلاثة
وهن القرمه وسريام وبدورة قساعا من أرض مصر محددة فيما بين اخوتهم

* (ذكر مدينة أمسوس وعجائبها ولو كها) *

قال الاسنان ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب فى كتاب أخبار مصر وعجائبها وكانت مصر القديمة اسمها
أمسوس وأول من ملك أرض مصر نقراوش الجبار بن مصر ايم ومعنى نقراوش ملك قومه الاول ابن مركايل
ابن دوايل بن عراب بن آدم عليه السلام ركب فى سيف وسبعين راكبا من بنى عراب جبابرة كلهم يطلبون موضعا
يقطنون فيه فراروا من بنى آيهم عندما بنى بعضهم على بعض وتحاسدوا وبغى عليهم بنو قاييل بن آدم فلم يزلوا
يمشون حتى وصلوا الى النيل فلما راوا سعة البلد فيه وحسنه اعجبهم فأقاموا فيه وبنوا الابنية المحكمه وبنى
نقراوش مصر وهما هابا اسم آيهم مصر ايم ثم تركها وأمر ببناء مدينة سماها أمسوس وقال ابن وصيف شاه وكان
قد وقع اليه علم ذلك من العلوم التى تعلمها دوايل من آدم عليه السلام فى الاعلام وأقام الاساطين وعمل
المصانع واستخرج المعادن ووضع الطلسمات وشق الانهار وبنى المدائن فكل علم جليل كان فى ايدى
المصريين انما هو من فضل علم نقراوش واصحابه كان ذلك مرورا على الحجارة ففسره قليمون الكاهن الذى
ركب مع نوح عليه السلام فى السفينة ونقراوش هو الذى بنى مدينة أمسوس وعمل بها عجائب كثيرة منها طائر
يصفر كل يوم عند طلوع الشمس مرتين وعند غروبها مرتين فيستدلون بصفيره على ما يكون من الحوادث حتى
يتهاون لها ومنها صنم من حجر أسود فى وسط المدينة تنجاهه صنم مثله اذا دخل الى المدينة سارق لا يقدر أن
يزول حتى يسلك بينهما فاذا دخل بينهما اطبعا عليه فيؤخذوعلى صورة من نحاس على منارعال لا يزال عليها
سحاب يطلع فكل من استطرها أمطرت عليه ماشاء وعمل على حد البلاد أصناما من نحاس مجوفة وملاها
كبريتا ووكل بها روحانية النار فكانت اذا قصدهم قاصدا رسلت تلك الاصنام من أفواهها نارا احرقته وعمل
فوق جبل بطرس منارا يفور بالماء ويسقى ما حوله من المزارع ولم تزل هذه الآثار حتى أزالها الطوفان
ويقال انه هو الذى أصح مجرى النيل وكان قبله يتفرق بين الجبلين وأنه وجهه الى بلاد النوبة جماعة هندسوه

وشقوا نهرًا عظيمًا منه بنوا عليه المدن وغرسوا الغروب وأحب أن يعرف مخرج النيل فسار حتى بلغ خلف خط الاستواء ووقف على البحر الاسود الزفتي ورأى النيل يجري على البحر مثل الخيط حتى يدخل تحت جبل القمر ويخرج منه إلى بطن البحر ويقال أنه هو الذي عمل التماثيل التي هنالك وعاد إلى أمسوس وقسم البلاد بين أولاده فجعل لابنه الأكبر واسمه تقاوش الجانب الغربي ولابنه شورب الجانب الشرقي وبني لابنه الأصغر واسمه مصرايم مدينة برسان وأسكنه فيها وأقام ملكًا على مصر مائة وثمانين سنة ولما مات لطنج جسده بأدوية ماسكة وجعل في تابوت من ذهب وعمل له ناوس مصفح بالذهب ووضع فيه ومعه كنوز واكسير وأوان من ذهب لا يحصى ذلك لكثرة وزبروا على الناوس تاريخ موته وأقاموا عليه طليسمانًا ينع من الحشرات المفسدة * وملك بعده ابنه تقاوش بن نقراوش وكان كأيبيه في علم الكهانة والطلسمات وهو أول من عمل بمصر هيكلًا وجعل فيه صور الكواكب السبعة وكتب على هيكل كل كوكب منافعه ومضاره وألبسها كلها الثياب الفاخرة وأقام لها خدمة وسدنة وخرج من أمسوس مغربًا حتى بلغ البحر المحيط وأقام عليه أساطين على رؤسها أصنام تسرج عيونها في الليل ومضى على بلاد السودان إلى النيل وأمر ببناء طائفة على جنب النيل وعمل له ابوابًا يخرج منها الماء وبني في صحراء الغرب خلف الواحات ثلاث مدن على أساطين مشرفات من حجارة ملقونة شفافه وفي كل مدينة عدة خزائن من الحكمة وفي أحدها صنم للشمس على صورة إنسان وجسد طائر من ذهب وعيناه من جوهر أصفر وهو جالس على سرير من مغناطيس وفي يده مصحف العلوم وفي أحدها صنم رأس إنسان بجسد طائر ومعه صورة امرأة جالسة قد علمت من زئبق مة وقد دلها ذؤابان في يدها مراماة وعلى رأسها مورة كوكب وقد رفعت المراة يديها إلى وجهها وفي أحدها مطهرة فيها سبعة ألوان من سائل يرد إليها ولا يغير بعضها لون بعض وفي بعضها صورة شيخ جالس قد عمل من الفير وزج وبين يديه صبية جالوس كلهم من عقيق وفي بعضها صورة هرمس يعني عطارد وهو ينظر إلى مائدة بين يديه من نوحا در على قوائم من كبريت أحمر وفي وسطها مصفحة من جوهر وجعل فيها صورة عقاب من زبرجد أخضر وعيناه من ياقوت أصفر وبين يديه حبة زرقاء من فضة قد لوت ذنبها على رجليه ورفعت رأسها كأنها تنفخ عليه وجعل فيها مصفحة المزنج وهو راكب على فرس وفي يده سيف مسلول من حديد أخضر وجعل فيها عمودا من جوهر أحمر وعليه قبة من ذهب فيها صورة المشتري وجعل فيها قبة من آنك على أربعة أعمدة من جزع أزرق وفي سقفها صورة الشمس والقمر متحاذيين في صورة رجل وامرأة يتحاذيان وجعل فيها قبة من كبريت أحمر فيها صورة الزهرة على هيئة امرأة ممسكة بصفائرها وتحتها رجل من زبرجد أخضر في يده كتاب فيه علم من علومهم كأنه يقرأ فيه عليها وجعل في بقية الخزائن من كنوز الأموال والجواهر والحلي واكسير الصنعة وصنوف الأدوية والسموم القاتلة ما لا يحصى كثرة وجعل على باب كل مدينة طليسمان يمنع من دخولها أو إخراجها مسارب تحت الأرض ينفذ بعضها إلى بعض طول كل سرب ثلاثة أسبال وبني أيضا مدينة بأرض مصر اسمها حلجمة وعمل فيها جنة صفح حيطانها بالجواهر الملونة بالذهب وغرس فيها أصناف الأشجار وأجرى تحتها الأنهار وغرس فيها شجرة مولدة طعام سائر القواكه وعمل فيها قبة من رخام أحمر على رأسها صنم يدور مع الشمس ووكل بها شياطين إذا خرج أحد من بيته في الليل هلك وأقام بها أساطين زبر على جميع العلوم وصور العقاقير ومنافعها ومضارها وجعل لهذه المدينة مسارب تتصل بمسارب تلك المدن الثلاث بين كل سرب منها وبين هذه المدينة عشرون ميلا فلم تزل هذه المدائن حتى أفسدها الطوفان ولما مات بعد مائة وتسع سنين من ملكه على مصر جعل في ناوس مطليسم ودفن فيه * وذلك بعده أخوه مصرايم بن نقراوش الجبار بن مصرايم ويقال به سميت مصر وكان حكمًا فعمل هيكلًا للشمس من مرمر موهو بذهب أحمر وفي وسطه فرس من جوهر أزرق عليه صورة الشمس من ذهب أحمر وعلى رأسه قنديل من الزجاج فيه حجر مدبر يضئ أكثر من السراج ثم أنه ذال الاسد وركبها وسار إلى البحر المحيط وجعل في وسطه قلعة بيضاء عليها صنم للشمس وزبر عليه اسمه وصفته وعمل صنمًا من نحاس زبر عليه أنام مصرايم الجبار ككاشف الأسرار الغالب القهار وضعت الطليسمات الصادقة وأتت الصور بالاطقة وتصبب الاعلام الهائلة على البحار السائلة ليعلم من بعدى أنه لا يهلك أحد أشد من أيدي وعاد إلى أمسوس واحتجب عن الناس ثلاثين سنة واستخلف رجلا يقال له عيقام من ولد عرياب بن

آدم وكان كاهنا ساحرا فلما مضت المدة أحب أهل مصر أن يروه فجمعهم عيقاتهم بعد ما أعلم مصراهم فظهر لهم في أعلى مجلس مزين بأصناف الزينة في صورة مائنة ملأت قلوبهم رعبا فخرؤا له ساجدين ودعوا له ثم أحضر اليهم الطعام فأكلوا وشربوا وأمرهم بالرجوع إلى مواضعهم ولم يروه بعد هذا * فلما بعده خلفته عيقاتهم وقد حكى عنه أهل مصر حكايات لا تصدقها العقول ويقال إن أدريس عليه السلام رفع في أيامه وأنه رأى في علمه كرون الطوفان فبنى خلف خط الاستواء في سفح جبل القمر قصر من نحاس وجعل فيه خمسة وعشرين عمالا من نحاس يخرج ماء النيل من حلقها ويصب في بطحاء تنتهي إلى مصر وسار إليه من أمسوس فشاهد حكمة بنيانه وزخرفة حيطانه وما فيها من النقوش من صور الأفلان وغيرها وكان قصره اتسرج فيه المصابيح وتنصب فيه الموائد وعلمها من كل الأطعمة الفاخرة في الأواني النفيسة ما لو كل منها عسكر لما نقصت ذرة ولا يعرف من علمها ولا من وضعها وفي وسط القصر بركة من ماء جامد الظاهر وترى حركته من وراء ما جدد منه فأعجب بما رأى وعاد إلى أمسوس واستخاف ابنه عرياق وقلده الملك وأوصاه وعاد إلى ذلك القصر وأقام به حتى هلك وإلى عيقاتهم هذا يعزى مصحف القبط الذي فيه تواريتهم وجميع ما يجري في آخر الزمان * فقام من بعده ابنه عرياق ويقال أرياق بن عيقات ويقال له الأثيم فعمل أعمالا عجيبا منها شجرة صفراء لها أغصان من حديد بخرطيف إذا قرب الظلم منها أخذته تلك الخيطاطيف ولا تفارقه حتى يقر بظلمه ويخرج منه نطسه ومنها صنم من كد ان اسود سماء عبد زحل كانوا يتحاشون اليه من زاع عن الحق ثبت في مكانه ولم يقدر على الخروج منه حتى ينصف خصمه من نفسه ولو أقام سنة ومن كانت له حاجة قام ليلا ونظر إلى الكوكب ونضرب وذكرا سم عرياق فإذا أصبح وجد حاجته على بابه وعمل شجرة من حديد ذات أغصان ولطخها بدواء مدبر فكانت تجلب كل صنف من الدواب والسباع والوحوش إليها حتى يتمكن من صيدها وكان إذا غضب على أهل أقليم سلط عليهم الوحوش والسباع وتارة يجعل ماءهم من الأيداق ويقال إن هاروت وماروت كانا في زمانه وأنه بنى جنة عظيمة واغتصب النساء الحسنات واسكنن فيها فعملت عليه امرأة منهن وبنته فهلك * وملك بعده لوجيم بن نقاروش ويقال بل هو من بنى نقاروش الجبار ويعرف بلوجيم القتي وهو الذي أخذ الملك من عرياق بن عيقات الكاهن وردة لبي نقاروش بعد ما خرج منهم بالحرب ولا قتل وكان عالما بالكهانة والطبسمات فعمل أعمالا عجيبا منها أن الغداف والغراب كثر في أيامه وأتلف الزرع فعمل أربع منارات في جوانب مدينة أمسوس الأربع وعلى كل منارة صورة غراب في فمه حية قد التوت عليه فنشرت عنهم الطيور المضرة من حينئذ ولم تقر بهم حتى زالت المنارات بالطوفان وكان حسن السيرة منصف للريعية عادلا مقربا للكهنة ولما مات دفن في ناوس ومعه كنوز وعمل عليه طلسم يمنع * وملك بعده ابنه خالص وكان فاضلا عالما كاهنا فعمل أعمالا عجيبا وهو أول من عمل مقياس الزيادة ماء النيل بأن جمع أرباب العلوم والهندسة فقدروا بيتا من رخام على حافة النيل وفي وسطه بركة صغيرة من نحاس فيها ماء موزون وعليها من جانبها عقابان من نحاس أحدهما ذكر والاخر أنثى فإذا كان أول الشهر الذي يزيد فيه النيل فتح هذا البيت وجمع الكهان فيه بين يديه وزمزم الكهان بكلامهم حتى يصغروا حد العقابين فان صفرا ذكر كان الماء تاما وان صفرت الانثى كان الماء ناقصا فيستعدون عند ذلك للغلاء الاسعار بما يصلحون به شأنهم وهو الذي بنى القنطرة ببلاد النوبة على النيل ولما مات جعل في ناوس ومعه كنوز وعمل عليه طلسم * وملك بعده ابنه هو مال ويقال يوصال ومعناه خادم الزهرة ويقال سومال بن لوجيم الملك النقراوشي من بنى نقاروش الجبار ويقال إن نوحا عليه السلام ولد في أيامه وكان فاضلا كاهنا عالما بالسحر والطبسمات فعمل عجائب منها أنه بنى مدينة عمل في وسطها صنما للشمس يدور بدورانها ويبيت مغربا ويصبح مشرقا وعمل سربا تحت النيل فشق الأرض وخرج منه مستكرا حتى بلغ مدينة بابل وكشف أعمال الملوك وكان نوح عليه السلام في زمانه وولده عشرون ولدا فجعل مع كل واحد منهم قطرا وهو رأس الكهنة وأقام في الملك مائة وسبع عشرة سنة ثم لزم الهياكل وأقام أولاده على حالهم كل منهم في قسمه الذي أعطاه آياه أبوه مدة سبع سنين * ثم اجتمعوا على واحد منهم وملكوه عليهم وكان اسمه تدرشان وقيل تدرسان فلما ملك نفى جميع إخوته إلى المدائن الداخلة في الغرب واقتصر على امرأته من بنات عمه وكانت ساحرة وعمل له قصرا من خشب منقوشا فيه صورة الكواكب وبسطه بأحسن القرش وحمله على الماء وصار

يجلس فيه فينجاها وفيه ذات يوم اذهبت ريح شديدة اضطرب منها الماء فانقلب القصر وتكسر فغرق هو ومن كان معه في القصر * وملك بعده أخوه عمرو الجبار ويقال شمرود بن هوصال فأحسن السيرة وأنصف الرعية وبسط العدل وجمع اخوته وفرق عليهم كنوز أخيهم فسر الناس به وطلب امره أذ أخيه الساحرة فقترت منه بانيها الى مدينة ميلاد الصعيد وامتنعت عليه بسحرها وأقامت مدة واجتمع السحرة الى ابنها وكان اسمه توميدون وحاوله على طلب الملك فسار وخرج اليه شمرود واخوته فاقتتلوا قتالا عظيما كان فيه الظفر لتوميدون فقتله * وملك من بعده فقام توميدون بن تدرسان بالملك في مدينة أمسوس وكان عالما فاضلا فتقوى بسحر أمه وعلمت له أعمالا عجيبه منها قبة من زجاج على هيئة الكرة تدور بدوران الفلك وصورت فيها صور الكواكب فكأنوا يعرفون بها أسرار الطبائع وعالوم العالم فلما ماتت أمه الساحرة بعد ستين سنة من ملكه طلى جسدها بما يدفع عنه التن والحشرات ودفنت تحت صنم القمر ويقال انها كانت بعد موتها تسمع من عندها صوت بعض الارواح وتخبرهم بمخائب وتحيب عما تسأل عنه ولما مات توميدون بعد مائة سنة من ملكه عمل له صورة من زجاج مقسومة نصفين وأدخل فيها بعد ما طلى بالادوية المانعة من التن وأطبقت الصورة عليه حتى التحمت واقيم في هيكل الاصنام ودفنت كنوزه عنده وصار يعمل له في كل سنة عيد * وملك بعده ابنه شرياق ويقال له شرياق بن توميدون بن تدرسان بن هوصال وكان كأي به في علم الكهانة والسحر والطلسمات فعمل أعمالا عجيبه منها على باب مدينة أمسوس هيئة بطة من نحاس قائمة على اسطوانة اذا دخل غريب من ناحية من النواحي صفقت بجناحيها وصرخت فيؤخذ ذلك الغريب ويكشف أمره حتى يعرف فيما قدم وشق من النيل نهرا يمر الى مدائن الغرب وبني عليه أعلاما ومداونا ومنتزهات وسار ملك من بني فراثي بن آدم ويقال من بني صوانتي بن آدم خرج من ناحية العراق في أيامه وغلب على بلاد الشام وقصد مصر لياخذ ملكها فقبل له انك لا تقدر عليها السحر أهلها فتكر ودخل في جماعة من خواصه ليكشف حال اهل مصر فلما وصل الى أول حد مصر حبسه الموكلون بذلك الحد هو ومن معه حتى يأمر الملك فيهم بأمره وبعثوا اليه بصفتهم وكان قد رأى في منامه كأنه على منارعال وكان طائر عظيم انقض عليه ليخطفه فحاده حتى كاد يقطع من المنار فخاوزه الطائر وسلم منه فاتبه مذعورا وقص رؤياه على كبير الكهنة فقال يطلبك ملك ولا يقدر عليك وتقار في نخومه فرأى الملك الذي يطلب ملكه قد دخل الى مصر وكان ذلك هو الوقت الذي قدم عليه فيه الرسل بصفات الذين وصلوا الى حده مصر فأمر باحضارهم اليه بعد ما يطاف بهم على عجائب مصر كلها البروها فأوثقهم وساروا بهم وأوقفهم على عجائب أرض مصر وما فيها من الطلسمات حتى بلغوا الى الاسكندرية ثم الى أمسوس ثم الى الجنة التي عملها مصرام وكان الملك شرياق مقيما فعند ما وصلوا اليها أظهرت السحرة القنائل العجيبة فدخلوا عليه وحوله الكهنة وبين يديه نار لا يصل اليه احد حتى يحوضها فمن كان بريأ لم تضربه ومن كان يريد بالملك سوا أو أضمر له مكرها أخذته النار فشق القوم في وسط النار واحد بعد واحد من غير أن تضربهم حتى انتهى الامر الى ملك العراق فعند ما دنا من النار أخذته بحجرها فولى هاربا فأتاه نعو حتى أخذوه وأوقفوه بين يدي شرياق فلم يزل به حتى اعترف فأمر بصلبه فعلم على الحصن الذي أخذ منه ونودي عليه هذا جزء من طلب ما لا يصل اليه وعفان الباقي فساروا من مصر وتحدثوا بما رأوه من العجائب فانقطع طمع ملوك الارض عن طلب ملك مصر ومات شرياق بعد ما ملك مصر مائة وثلاثين سنة فجعل في ناوس ومعه أمواله وطلسم يحفظه ممن يقصده * وملك بعده ابنه شهلوق وكان عالما بالكهانة والطلسمات فقسم ماء النيل موزونا يصرف الى كل ناحية قسطها ورتب الدولة وعمل بيت نار وهو أول من عبد النار وعمل بأمسوس عجائب منها شجرة على أعلى الجبال تقسم بها الرياح التي تمنع من أراد مصر بأذى أو فساد من جنى أو أنسى أو سبغ أو طائر وعمل بالمدينة قبة مربعة على سبعة أركان ولها سبعة ابواب على كل ركن باب وفي وسط القبة قبة من صفر وفي أعلاها صور الكواكب السبعة وتحت القبة قبة أخرى معلقة على سبع أساطين وعلى الباب الاوّل من القبة أسد ولبوة من صفر وهما راياضان كان يذبح لهما جروا أسود ويحضرهما بشعره وعلى الباب الثاني ثور وبقرة يذبح لهما مجلا ويحضرهما بشعره وعلى الباب الثالث خنزير وخنزيرة يذبح لهما خنوصا ويحضرهما بشعره وعلى الباب الرابع كبش وشاة يذبح لهما سحله ويحضرهما شعرها وعلى الباب الخامس ثعلب وثعلبة يذبح لهما فرخ

ثعلب ويخترهما بشعره وعلى الباب السادس عقاب وانشاء يذبح لهما فرخ عقاب ويخترهما بريشه وعلى الباب السابع نسر وانشاء يذبح لهما فرخ نسر ويخترهما بريشه ويلطخ كلا منهما بدم ما ذبح له وتحرق سائر القرابين ويوضع زماها تحت عتبات ابواب القبة وجعل لهذه القبة سدة يشعلون المصابيح ليلا ونهارا وقسم الناس بمصر سبع مراتب لكل مرتبة منهم باب من ابواب تلك القبة فكان الخضم اذا تقدم الى شئ من تلك الصور وكان ظالما فانه يلتصق بها ولا يتخلص منها حتى يخرج من الحق الذي عليه الذكر لذكر والاني للاني فيعرفون بذلك الظالم من المظلوم ولم تزل هذه القبة بأمسوس حتى أزالها الطوفان ويقال انه رأى أباه في النوم وهو يأمره أن ينطلق الى جبل وصفه له من جبال مصر فان فيه كوة صفحتها كذا على بابها أفعى لها رأسان اذا قبل اليها كشرت في وجهه فخذ معك طائر من صغيرين ذكر وانثى فاذهبهما اليها وألقهما اليها ما فانها تأخذ برأسيهما وتنتهي بهما الى سرب فاذا غابت ادخل الكوة تجديفها امرأة عظيمة من نور حار يابس فانها تسطع لك وتحسن بجرارتها فلا تدن منها تتحرق وان كان اقعدها هاهنا وسلم عليا فانها تخاطبك فانهم ما تقول لك واعمل به فانك تشرف بذلك وتذلك على كنوز جدك مصرام فانها حافظة لها فلما اتبه عمل ما امره ابوه فلما اقعده بجانب المرأة وسلم قالت له أتعرفني قال لا قالت أنا صورة النار المعبودة في الامم الخالية وقد أردت أن تنجي ذكرى وتجدد لي بيتا تقدي في فيه نارا دائمة بقدر واحد وتخذلها عيذا في كل سنة تحضره أنت وقومك فانك تتخذ ذلك عندى يدا اينك يا شرفا الى شرفك وملكا الى ملكك وأمنع عنك من يطلبك بسوء وأذلك على كنوز جدك مصرام فضمن لها أن يفعل كل ما أمرته به فدلته على الكنوز التي تحت الدائن المعلقة وعلمته كيف يصير اليها وكيف يحترس من الارواح الموكلة بها وما ينبغي منها ثم قال لها كيف لي بأن أراك في وقت آخر قالت لا تعد فان الافعى لا تمكث ولكن بجري بيتك كذا فاني آتيك بذلك وغابت عنه وخرج ففعل ما أمرته به من عمل بيت النار وأخذ كنوز مصرام ولما مات جعل في ناوس ومعه سائر امواله وكنوزه وجعل عليه طلسم يحفظه ممن يقصده *

وملك بعده ابنه سوريد وكان حكيما فاضلا وهو أول من جبي الخراج بمصر وأول من امر بالانفاق على المرضى والزمنى من خزائنه وأول من سن رقعة الصباح وعمل أعمالا عجيبا منها امر أن يخلط كان ينظر فيها الى الاقاليم فيعرف فيما ما حدث من الحوادث وما ينجب منها وما يجذب وأقام هذه المرأة في وسط مدينة أمسوس وكانت من نحاس وعمل في أمسوس صورة امرأة جالسة في حجرها صبي ترضعه وكانت المرأة من نساء مصر اذا أصابها علة في موضع من جسمها أتت هذه الصورة ومسحت ذلك الموضع من جسدها بمثل ذلك الموضع من الصورة فتزول عنها العلة وان قل لبنها مسحت ثديها بشدي الصورة فيغزر لبنها وان قل حبضها مسحت فرجها بفرج الصورة فيكثر حبضها وان كثر دمها مسحت أسفل ركبها بمثل ذلك من الصورة وان عسرت ولادة امرأة مسحت رأس الصبي الذي في حجر الصورة فتضع حملها وان أرادت التحبب الى زوجها مسحت وجهها وتقول اقم لي كذا وكذا فاذا وضعت الزانية يدها عليها ارتعدت حتى تنوب ولم تزل هذه الصورة الى أن أزالها الطوفان وفي كتب القبط انهم اوجدت بعد الطوفان وأن اكثر الناس عبدها وعمل سوريد صنما من أخلاط كثيرة فكان من أصابته علة في موضع من جسده غسل ذلك الموضع من الصنم بماء وشرب الماء فانه يبرأ وسوريد هذا هو الذي بنى الهرمين العظيمين بمصر المنسوبين الى شدد ابن عاد والقبط تنكر أن تكون العادة دخلت بلادهم لقوة سحرهم ولما مات سوريد دفن في الهرم ومعه كنوزه ويقال انه كان قبل الطوفان بثلاثة سنة وانه ملك مائة سنة وتسعين سنة * فلما بعده ابنه هر جيب وكان كائيه حكيما فاضلا في علم السحر والطلسمات فعمل أعمالا عجيبا واستخرج معادن كثيرة واظهر علم الكيمياء وبنى اهرام دهن ورجل اليها اموالا عظيمة وجواهر نفيسة وعقائير وسمومات وجعل عليها ارواحيات تحفظها وشجرجل رجله بقطع اصابعه وسرق رجله مالا فلما المسروق له رق السارق ولما مات دفن في الهرم ومعه جميع امواله وذخائره * وملك بعده ابنه مناوس ويقال منقاوس وكان كائيه في الحكمة الا انه كان جبارا فاسقا سفا كاللدماء يتزع النساء من ازواجهن ويبيع ذلك لخواصه وعمل أعمالا عجيبا واستخرج كنوزا بنى قصورا من ذهب وفضة وأجرى فيها الانهار وجعل حصباء هامة اصناف الجواهر النفيسة وسلط رجلا جبارا اسمه قرناس على الناس ووجهه لمحاربة الامم الغريبة فقتل منهم خلائق ولما مات دفن في بعض قصوره ومعه امواله وعمل عليه طلسم يحفظه ويمنعه من كل طالب

* ومالك بعده ابنه افروس وكان كاتبة في العلم والحكمة ولما ملك أظهر العدل وأحسن السيرة ورد النساء اللاتي غصبن في أيام أبيه على أزواجهن وعمل قبة طولها خمسون ذراعاً في عرض مائة ذراعاً وركب في جوانبها طيوراً من صفر تصفر بأصوات مختلفة مطربة لا تفتقر ساعة وعمل في وسط مدينة أمسوس مناراً عليه راس إنسان من صفر كلما مضى من النهار أو الليل ساعة صاح صيحة يعلم من سمعها بمضى ساعة وعمل مناراً عليه قبة من صفر مذهب ولطخها بالطونخات فإذا غربت الشمس في كل ليلة اشتعلت القبة نورا نضى له مدينة أمسوس طول الليل حتى يصير مثل النهار لا تطفئها الرياح ولا الأمطار فإذا طلع النهار خدضوها وأهدى لبعض ملوك بابل مدهناً من زبرجد قطره خمسة أشبار ويقال أنه وجد بعد الطوفان وعمل في الجبل الشرقي صنماً عظيماً قائماً على قاعدة وهو مصبوغ مصفر بالذهب ووجهه إلى الشمس يدور معها حتى تغرب ثم يدور بلا حتى يحاذي المشرق مع الفجر فإذا شرقت الشمس استقبلها بوجهه وبني بصحرآء الغرب مدناً كثيرة وأودعها كنوزاً عظيمة وتكج ثمانية امرأة ولم يولد له ولدان الله تعالى كان قد أعقم الأرحام لما يريد من إهلاك العالم بالطوفان ووقع الموت في الناس والبهائم ولما مات وضع في ناوس بالجبل الشرقي ومعه أمواله وطلسم عليه * ومالك بعده ارما لينوس فعمل أعمالاً عجيبية وبني مدناً ومصانع وجدد الطلسمات وكان له ابن عم يسمى فرعان وكان جباراً فأبعده وجعله على جيش ساربه عنه فقهر ملوكاً وقتل أمماً عظيمة وغنم أموالاً كثيرة وعاد فشغقت به امرأة من نساء الملك وما زالت به حتى اجتمع بها وتأنفوا فأقاما على ذلك مدة فخافا الملك أن يظن بهم ما فعلت المرأة لارما لينوس سمى في شرابه هلاك منه * ومالك بعده ابن عمه فرعان بن مشور فلم ينازعه أحد لشجاعته وسياسته ولم تطل أعمامه حتى رأى قليمون الكاهن كان طيوراً أيضاً قد نزلت من السماء وهي تقول من أراد الحياة فليلق بصاحب السفينة وكان عندهم علم بحدوث الطوفان من أيام سوريد وبنائه الأهرام لأجل ذلك واتخذ الناس سرايب تحت الأرض مصفحة بالزجاج قد حبست الرياح فيها تدبير وعمل منها فرعان لنفسه ولاه عدة فما كذب أن جمع أهله وولده وتلاميذه ولحق بنوح عليه السلام وآمن به وأقام معه حتى ركب في السفينة وجاء الطوفان في أيام فرعان فأغرق أرض مصر كلها وخرب عمارتها وأزال تلك المعالم كلها وأقام الماء عليها ستة أشهر ووصل إلى أنصاف الهرم بين العظيمين وسأى خبر ذلك أن شاء الله تعالى عند ذكر من مصر من هذا الكتاب ويقال أن فرعان كان عاتياً متجبراً يغصب الأموال والنساء وأنه كتب إلى الدرشيل بن لحويل يسأل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام وأنه استخف بالكهنة والهيما كل فتمسدت في أيامه أرض مصر ونقص الزرع واجدبت النواحي لانهما كه في ضلاله وظلمه وأقبله على لهوه ولعبه وأن الناس اقتدوا به ففشا ظلم بعضهم لبعض وأنه لما قبل الطوفان وسحت الأمطار قام سكران يريد الهرب إلى الهرم فتخلخت الأرض به وطلب الأبواب فحاطته رجلاه وسقط يخور حتى هلك وهلك من دخل الأسراب بالغم والله تعالى أعلم

* (ذكر مدينة منف وملوكها)

هذه المدينة كانت في غربي النيل على مسافة اثني عشر ميلاً من مدينة فسطاط مصر وهي أول مدينة عمرت بأرض مصر بعد الطوفان وصارت دار المملكة بعد مدينة أمسوس التي تقدم ذكرها إلى أن أخرجها بخت نصر وقد ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها قال الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتاب جامع البيان في تفسير القرءان عن السدي أنه قال كان موسى عليه السلام حين كبر يركب كراكب فرعون ويلبس مثل ما يلبس وكان انما يدعى ابن فرعون ثم أن فرعون ركب مركباً وليس عنده موسى فلما جاء موسى عليه السلام قيل له أن فرعون قد ركب مركباً في أثره فأدركه المقييل في أرض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد تعلقت أسواقها وليس في طرقها أحد وهي التي يقول الله جل ذكره ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن لهيعة أول من سكن بمصر بعد أن أغرق الله قوم نوح عليه السلام يصير بن حام بن نوح فسكن منف وهي أول مدينة عمرت بعد الطوفان هو وولده وهم ثلاثون نفساً منهم أربعة أولاد قد بلغوا وتزوجوا وهم مصر وفارق وماج وياج بنو يصير وكان مصر أكبرهم فبذل ذلك سميت مافه ومافه بلسان القبط ثلاثون وكانت أقامتهم قبل ذلك بسفح المقطم ونقروا هناك منازل كثيرة وقال ابن جرير داويه في كتاب المسالك والممالك ومدينة منف هي مدينة فرعون التي كان ينزلها واتخذها

سبعين باباً من حديد وجعل حيطان المدينة من الحديد والصفير وفيها كانت الانهار تجري من تحت سريريه وهي أربعة ويروى أن مدينة منف كانت قناطر وجسورا بتدبير وتقدير حتى أن الماء ليجري تحت منازلها وأقنيتها فيحبسونه كيف شاؤوا ويرسلونه كيف شاؤوا فذلك قوله تعالى حكاية عن فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون وكان بها كثير من الاصنام لم تزل قائمة الى أن سقطت فيما سقط من الاصنام في الساعة التي أشار فيها النبي صلى الله عليه وسلم الى الاصنام يوم فتح مكة بقضيب في يده وهو يطوف حولها ويقول جاء الحق وزهق الباطل أن الباطل كان زهوقاً فما أشار الى صنم منها في وجهه الا وقع لقفاه ولا أشار لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بق منها صنم الا وقع وفي تلك الساعة سقطت أصنام الارض من الشرق الى الغرب وبقي اصحابها متعجبين لا يعلمون لها سبباً اوجب سقوطها وبقيت أصنام مدينة منف ساقطة من ساعته وفيها الصنمان الكبيران الجاوران للبيت الأخضر الذي كان به صنم العزيز وكان من ذهب وعيناه باقوتان لا يقدر على مثلها مائتم قطعت الاصنام والبيت الأخضر من بعد سنة ست مائة * ويقال كانت منف ثلاثين ميلاً طولاً في عشرين ميلاً عرضاً وإن بعض بني يافث بن نوح عمل في أيام مصر ايم الله تحمل الماء حتى تلقى به على أعلى سور مدينة منف وذلك انه جعلها درجاً مجوفة كلما وصل الماء الى درجة امتلأت الاخرى حتى يصعد الماء الى أعلى السور ثم ينحط فيدخل جميع بيوت المدينة ثم يخرج من موضع الى خارج المدينة * وكان بمنف بيت من الصوان الأخضر المانع الذي لا يعمل فيه الحديد قطعة واحدة وفيه صور منقوشة وكتابة وعلى وجهه باب بصور حبات ناشرة صدورها والواجمع ألوف من الناس على تحريكه ما قدروا لعظمه وثقله والصابئة تقول انه بيت القمر وكان هذا البيت من حلة سبعة بيوت كانت بمنف للسكك السبعة وهذا البيت الأخضر هدمه الامير سيف الدين شيخون العمري بعد سنة خمسين وسبعمائة ومنه شيء في خانقاهه وجامعه الذي بخط الصليبية خارج القاهرة وقال ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن القيسي في كتابه تحفة الالباب ورأيت في قصر فرعون موسى بيتاً كبيراً من صخرة واحدة اخضر كالأس فيه صورة الافلاك والنجوم لم نرغباً احسن منه * وقال ابو الصلت امية بن عبد العزيز الاندلسي وكانت دار الملك بمصر في قديم الدهر مدينة منف وهي في غربي النيل على مسافة اثني عشر ميلاً من القسطنطينية الاسكندرية مدينة الاسكندرية رغب الناس في عمارتها فكانت دار العلم ومقر المحكمة الى أن فتحها المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه واخط عروب بن العاص مدبنته المعروفة بالقسطنطينية فانتشر أهل مصر وغيرهم من العرب والعجم الى سكناها فصارت قاعدة ديار مصر ومركزها الى وقتنا هذا * وقال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب وقد ذكر أخبار مدينة أمسوس وخراب عمارات أرض مصر بطوفان نوح عليه السلام ونازل الماء كان أول من ملك مصر بعد الطوفان يبصر بن حام بن نوح وكان معه ثلاثون من الحسابة من اهله وولده فاجتمعوا وبنوا مدينة منف ونزلوا بها وكان قايئون الكاهن الذي تقدم ذكره في خبر مدينة أمسوس من جملتهم وكان قد تزوج ابنته ببصر المذكور وجاءت معه الى مصر وولدت منه ولداً سماه مصر ايم فلما مات يبصر دفن في موضع ديار أبي هرميس ويقال ديار أبي هرميس غربي الاهرام ويقال انها أول مقبرة دفن بها بأرض مصر وكان موته بعد ألف وثمانمائة وست سنين مضت من وقت الطوفان وقال غيره ثم بنى مصر ايم مدينة سماها باسمه فجاءه رجل من بني يافث فعلم له سوراً قائماً وصنع له درجاً وأجرى الماء الى أن بقي يصعد الى أعلى السور بحكمة اتقنها ثم نزل ذلك الماء من أعلى السور الى المدينة فينتفع به فيها بغير مشقة ولا كلفة ثم يخرج من ناحية أخرى وكتب على السور هذه الصناعة من يموت لا صنعت من يدوم * وملك بعد يبصر ابنه مصر ايم (ويقال له مصر) بن يبصر فأظهره قليمون الكاهن على كنوز مصر وعلمه قراءة خطهم وأطلعهم على حكمهم وبنى مصر ايم المدن وشق الانهار وغرس الاشجار وبنى مدينة عظيمة سماها درسان وهي العريش ونكح امرأة من اولاد الكهنة فولدت له ابناً سماه قفطيم وبنى مدينة رقودة مكان الاسكندرية ولما مات مصر ايم جعل له منبر طوله مائة وخمسون ذراعاً وبسط بالمرمر الأبيض وعمل في وسطه مجلس مصفح بصفائح الذهب وله أربعة ابواب على كل باب تمثال من ذهب على رأسه تاج من ذهب وهو جالس على كرسي من ذهب قوائمه من زبرجد وتتش في صدر كل تمثال آيات مانعة وحبسوا جسده في جسد من زبرجد أخضر شبه تابوت طوله اربعون ذراعاً دفن فيه ومعه جميع ما كان في خزانته من ذهب وفضة وجوهر

من اولاد الكهنة فقلها فعمل شجرة من نخاس عليها غراب منشور الجناحين وفي منقاره حية وعلى ظهره اسطر
فكانت الغربان تقع على هذه الشجرة ولا تبرح حتى تموت وكانت الرمال قد كثرت في ايامه على أرض مصر من
ناحية الغرب فعمل صنمان صوان اسود على قاعدة منه وفوق كتفه قفة فيها سمحة ونقش على وجهه وصدره
وذراعيه كناية وجعل وجهه الى الغرب فأنكشت الرمال ورجعت به الريح الى ورائها وصارت تلالا عالية وبعث
بهرمس الحكيم الى جبل القمر الذي يخرج منه النيل فعمل تماثيل النحاس وعدل جانبي النيل وكان قبله يفيض في
مواقع ويتقطع في مواضع وسار مغتربا ينظر ما وراء ذلك فوقع على أرض واسعة ينحرق فيها الماء والاشجار
فبنى فيها منزهات وأقام بها وحول اليها عدة من اهلها فعمروا تلك النواحي حتى صارت أرض الغرب كلها
معمورة ثم خالطهم البربر وحرت بينهم حروب كثيرة اقتسمهم فخربت تلك البلاد ولم يبق منها الا الواحات ثم ان
البوديسير احتجب عن الناس وصار يبرز وجهه من مقعده في النادر ويرى خاطبهم من حيث لا يرونه * وذكر
ابو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان أن اول من تحقق بالكهانة وغير الدين وعبد الكواكب البوديسير
وتزعم القبط أن الكواكب كانت تخاطبه وأن له عجائب كثيرة منها انه استتر عن الناس عدة سنين من ملكه
وكان يظهر لهم وقتا بعد وقت مرة في كل سنة وهو حاول الشمس في برج الحمل ويدخل الناس اليه فيخاطبهم
وهم يرونه فيأمرهم وينهاهم ويحذرهم مخالفة امره ثم بنيت له قبة من فضة مطلية بذهب فصار يجلس في اعلاها
وله وجه عظيم فيخاطبهم * (فلما مات ملك بعده ابنه ارقليمون) وكان كاهنا ساحرا فعمل أعمالا عظيمة
منها أنه كان يجلس في السحاب فيرويه في صورة انسان عظيم وأقام مدة على ذلك ثم انه غاب عن اهل مصر وصاروا
بغير ملك ثم رأوا صورة بمجده جرم الشمس عند حلولها اول برج الحمل فامرهم أن يقلدوا الملك عديم بن
قسطيم وأعلمهم أنه مابقي يعود اليهم * (فولوا عليهم عديم بن قسطيم) وكان جبارا عظيما وهو اول من صلب
وذلك أن امرأة ورجلا زينا فلبسهما وجعل ظهر كل منهما لظهر الآخر وبنى اربع مدائن أودعها كنوزا عظيمة
وجعل عليها طلسمات وعدة عجائب وعمل منارا على البحر الشرقي وعليه صنم الى الشرق حتى لا يغلب البحر
على أرض مصر وعمل قنطرة على النيل في أرض النوبة وأقام ملكا مائة واربعين سنة ومات وعمره سبعمائة
وثلاثون سنة * (وملك بعده ابنه شدات بن عديم) وهو الذي تسميه العامة شداد بن عاد وكان عالما
كاهنا ساحرا ويقال انه هو الذي بنى الاهرام الدهشورية وعمل أعمالا عظيمة وطلسمات عجيبه وبنى في الجناح
الشرقي مدائن وفي ايامه بنيت قوص وغزا الحبشة وسباهم وأقام ملكا تسعين سنة وهو اول من اتخذ الجوارح
وصاد بها وولد الكلاب السلوقية وعمل في بركة سبيوط خمس منسوبة تنصب اليها التماسيح من النيل
انصبا بافقتلها ويلقى جلودها في السفن واتفق أنه طرد صيدا فكباه فرسه في وهدة فهلك وكان قد غضب
على بعض خدمه فرماه من جبل عال فتقطع فرأى أنه يصيبه مثل ذلك ولما هلك وضع في ناوس ودفنت معه
امواله وعمل عليه طلسم يمنعه من يقصده وكتب عليه لا ينبغي لذي القدرة أن يخرج عن الواجب ولا يفعل
مالا يجوز له فعله فيجازي بعده هذا ناوس بن شدات بن عديم فمل ما لا يحل له ففعله فمكوفى عليه بمثل * (وملك
بعده ابنه منقاوش وكان حكيمافاضلا كاهنا عمل أعمالا عجيبه وبنى اشياء مجيبة منها انه عمل هيكلا لصور
الكواكب على ثمانية فرائخ من منف وكثر من الاموال ما لا يحصى وفتح عليه من المعادن ما لم يفتح به على غيره
وسار في الجنوب يوما ثم سار مغتربا يوما وبعض آخر فاتهى في اليوم الثالث الى جبل اسود فعمل تحته أسرابا
ومغاري ودفن فيها امواله ووزر عليها حتى انه من كثرتها يقال انه دفن حمل اثني عشر ألف عجلة ذهباً وجواهر
وأقام اربع سنين يرسل في كل سنة بجلا كثيرة يدفنها وقيمت آثار العجل ترى فيما بين منف والغرب زمانا طويلا
وبنى هيكلا للقمر ويقال انه هو الذي بنى مدينة منف لبنانه وكن ثلاثين بيتا وانه ألزم الناس بعمل الكيمياء
فكانوا لا يفترقون عن علمها ليل ولا نهار حتى اجتمع عنده مال عظيم وجوهر كثير وهو الذي بنى مدينة عين شمس
وقسم خراج مصر ارباعا جعل الربع للملك والربع للجند والربع يتفق في مصالح الارض والربع الرابع يدفن لحادثة
تحدث وهو الذي قسم أرض مصر على مائة وثلاثين كورة وأقام ملكا احدى وتسعين سنة ومات * (فملك
بعده ابنه عديم بن منقاوش) وكان جبارا لا يطاق وفي ايامه كان نزول الملكين اللذين يعلمان الناس السحر
والقبط تزعم انهما نزلا بأرض مصر ثم نقلا الى بابل * (ثم ملك بعده أخوه منقاوش وكان عالما كاهنا

فاضلابني مواضع كثيرة في الجبال والصحارى وكثر فيها كنوز عظيمة وأقام عليها أعلاما وبني في صحراء الغرب مدينة وأقام لها منارا وكثر حولها كنوزا عظيمة وجعل فيها شجرة تطلع كل لون من الفاكهة وهو أول من عبد البقر بمصر وكان يطلب الحكمة ويستخرج كتبها وكذا كان كل من ملك منهم يجتهد في أن يعمل له غريبة من الاعمال لم تعمل لمن كان قبله وثبت في كتبهم وتزبر على الحجارة * (ولمات ملك بعده ابنه هرميس) وكان قليل الحكمة فلم يعمل شيئا مما عمله آباؤه ومات وقد أقام إحدى عشرة سنة * (فلما بعده اشمون بن قبطيم بن مصر بن بصير بن حام بن نوح وكان حيزه من اشمون الى منف في الغرب وحيزه في الشرق الى حد البحر الملح مما يحاذي برقة وهو آخر حد مصر ومن بلاد الصعيد الى حدود اخميم وكانت منزله بمدينة الاشمونين وكان طولها اثني عشر ميلا في مثلها وبني في شرقي النيل مدينة انصنا وبني بها قصرا عظيما واتخذ بها أبنية وملاعب وعجائب كثيرة وبني مدينة طهر اطميس وهو أول من لعب بالكرة والصولجان ويقال انه بنى مدنا كثيرة عمل فيها عجائب منها مدينة في سفح الجبل لها أربعة ابواب من كل ناحية باب فعمل الباب الشرقي صورة عقاب وعلى الباب الغربي صورة ثور وعلى الباب الشمالي صورة أسد وعلى الباب الجنوبي صورة كلب وفي هذه الصور روحانيات تنطق فاذا قدم غريب لا يقدر على الدخول اليها الا باذن الموكلين بها ودفن تحت كل شكل من هذه الاشكال الاربعة صنفان من الكنوز وغرس في هذه المدينة شجرة مولدة تترك كل لون من الفاكهة ونصب منارا طوله ثمانون ذراعا فوقه قبة تتلون كل يوم لونا حتى تمضي سبعة ايام ثم تعود الى اللون الاول فكانت تلك المدينة تكسى من تلك الالوان شعاعا مثل لونها وجرى حول المنار ماء شق من النيل وجعل فيه سمكا من كل لون وأقام حول المدينة طلسمات في هيئة اناس رؤسها كالقردة وأسكن هذه المدينة السحرة وعرفت بمدينة السحرة وكانوا يعملون فيها أصناف السحر وبني بالقرب منها مدينة عرفت بذات العجائب وبني بجبال مصفحة بزجاج ملون في وسط النيل وبني سربا تحت الارض من الاشمونين الى انصنا وقيل انه هو الذي بنى مدينة عين شمس وانه ملك ثمانمائة سنة وان قوم عاد انتزعوا منه الملك بعد ست مائة سنة وأقاموا بمصر تسعين سنة فأصابهم وباء خرجوا منه الى المدينة بطريق الجبال الى وادي القري فعاد اشمون بعد خروج العادية الى ملك مصر وهو أول من عمل النوروز بمصر وفي زمانه بنيت مدينة الهنسا ولمامات جعل له ناوس في آخر حد الاشمونين ودفن فيه ومعه كنوزه العظيمة وعجائبه الكثيرة منها ألف برية من العقاقير المدبرة لفنون الاعمال وزبروا على ناوسه اسمه ونسبه وجعل عليه طلسم يمنع عنه من يقصده * (وملك بعده ابنه صا) ثم بعد صا ابنه تدراس * (وقيل ملك مناقيوش) وكان شجاعا فاضلا فاستأنف العمارة وبني القري ونصب الاعلام وعمل العجائب الهائلة وبني مدائن منها مدينة اخميم وحول الكهنة اليها وأقام ملكا فيها وأربعين سنة ومات ودفن في الهرم الشرقي ومعه كنوزه * (وملك بعده ابنه وقد اختلف في اسمه وكان فاضلا جازما معظما عند أهل مصر وهو أول من عمل المارسستان وأول من عمل الميدان للرياضة وفي ايامه بنيت مدينة سترية في صحراء الواحات ثم ان نساء تغاريين عليه فقتلته احداهن بسيفين فدفن في ناوس ومعه امواله وعمل عليه طلسم يحفظه * (وملك بعده ابنه مرة وره) وكان حكيما كاهنا وهو أول من ذل السباع وركبها وبني المدن وعمر الهياكل وأقام الاصنام ولمامات جعل له ناوس في صحراء الغرب ودفن معه ماله * (وملك بعده ابنه بلاطس) وكان صيبا فدبرت امة امر الملك وكانت حازمة فأجرت الامور على أحسن ما يكون وأظهرت العدل ووضعت عن الناس الخراج فأحبوها ولما كبر ابنها أحب الصيد فعملت له امة أعمالا عجيبا وأقام ملكا ثلاث عشرة سنة ووجدت فمات وانتقل الملك الى أعمامه * فلما بعده اتريب بن قبطيم بن مصر ايم وهو الثالث عشر من ملوك مصر بعد الطوفان وهو الذي بنى مدينة اتريب وعاش خمسة مائة سنة منها مائة ملكة ثلثمائة وستون سنة ويقال ان النيل وقف في أيام اتريب مائة واربعين سنة حتى اكات البهاثم بأرض مصر ولم يبق بها بيمة ورؤى اتريب ماشيا وهو يبسط يديه ويقبض هماما من الجوع ومات عامة اهل مصر جوعا ثم اغيثوا بعد ذلك وكثر الرخاء ودام مدة مائتي سنة ويبيع كل أردب بدائق وأقل ولمامات اتهم اخوه صابقة له وحاربه اهل مصر تسع سنين وقتلوه * (فلما بعده ابنه تدرورة) وكانت كاهنة ساحرة فساقت الملك احسن سياسة ودبرت الملك أجود تدبير وعملت طلسمات عجيبا منها طلسم منع الوحش والطير أن يشرب من النيل حتى مات اكثرها عطشا

ووقعت في زمانه اصبحة ارتجت لها الارض فهلكت * (وملك بعدها أخوها قليون بن اتريب) وكان حكمهما
فاضلا فبنى البنيان وعمل الطلسمات وفي أيامه بنيت مدينة نينس الاولى وبنيت مدينة دمياط وأقام ملكا تسعين
سنة ومات فدفن في ناوس * (وملك بعده ابنه فرسون) وكان فاضلا كاهنا بنى المدائن وجدد الهياكل وكان
حذرا فقصده بعض ملوك حمير في جوع عظيمة فخرج اليهم وابقه بمدينة ايليا وقاتله قتالا شديدا حتى تضافى من
الفريقين معظمهما وأظهر المصريون اشياء من سحرهم فانهم زعم الحميري في طائفة يسيرة وقتل فرسون عامة
اصحابه وأخذ ما كان معهم وعاده ظفرا الى مدينة منف وعمل منارا على بحر القلزم في رأسه امرأة تجذب
المراكب الى الساحل حتى يؤخذ منها ما هو مقرر عليها من المال وأقام ملكا مائتي سنة وستين سنة ومات
فدفن في ناوس خلف الجبل الاسود الشرقي وعمل فيه قبة تحتوي على اثني عشر بيتا في كل بيت اعجوبة ودفن
معه ماله وعمل عليه طلسم يحفظه * (وملك بعده نحو أربعة وصار الملك الى صابن قبطيم) وكان اصغر ولداً ليه
وأحبهم اليه * (ولمات ملك بعده نوية الكاهنة) وكانت ساحرة فكانت تجلس على سرير من نار فاذا تحاكم
اليها أحد وكان صادقا شق تلك النار من غير أن تضره وان كان كاذبا أخذته تلك النار وكانت تتصور
كل يوم في صور كثيرة الاشكال ثم بنت قصرا واحتجبت فيه وجعلت في سورها أنابيب من نحاس مجوفة
وكتبت على كل أنبوب فتانمن الفنون التي يتحكم الناس بها اليها فكان من أتاها في محاسبة وقف عند
الانبوب الذي فيه محاسبته وتكلم بما يريد وسأل عنه بصوت خفي فاذا فرغ جعل اذنه في الانبوب فيأبته منه
جواب ما سأل ولم يزل هذا القصر والانابيب حتى أتلفه بخت نصر * (وملك بعدها مرقونس) وكان
فاضلا حكيما كانت امه بنت ملك النوبة فعملت عجائب وصنع في أيامه كل غريبة وملك ثلاثا واربعة
سنة ومات وعمره مائتان وأربعون سنة * (فملك بعده ابنه ايساد وهو ابن خمس وأربعين سنة) وكان
جبارا طماع العين فانتزى امرأة أبيه وانكشف أمره معها وكانا كبرهه اللهو واللعب فجمع كل مله في مملكته
ورفض العلوم وأهمل أمر الهياكل والكهنة وترك النظر في أحوال الناس وبني قصورا على النيل لبيتزده فيها
وأتلف كثيرا الاموال في اللعب فكرهه الناس وكرههم الى أن سمعوا نجات عن مائة وعشرين سنة * (وملك
بعده ابنه صا) ويقال ان صا هو ابن مرقونس وهو أخو ايساد ولما ملك سكن منف ووعد الناس بخير
وملك الاحياز كلها وعمل بها عجائب وطلسمات ورد الكهنة الى مراتبهم ونفى الملهين وأهل الشر ونصب العقاب
الذي عمله أبوه وترقى هيكله ودعا اليه وبني بداخل الواحات مدينة ونصب قرب البحر أعلاما كثيرة وجعل على
الاطراف اصحاب أخبار يرفعون اليه ما يجري في حدودهم وعمل على حافتي النيل منابر يوقد عليها اذا حرقهم
أمر أو قصد هم أحد وجعل بحافة بحر الملح منابر يعلم به أمر البحر ويقال انه بنى اكثر مدينة منف وكل
بنيان عظيم بالاسكندرية وكان للملك البلد بأسره جمع الحكما ونظر في النجوم وكان بها حاذقا فرأى أن مصر
لا بد أن تغرق من نيلها وانها تنخر على يد رجل يأتي من ناحية الشام فجمع كل فاعل بمصر وبني مدينة في الواح
الاقصى وقصده ملك الافرنجة وملك منه مدينة منف وقدم معه ألف مراكب وهدم اكثر الاسكندرية ودخل
الى النيل من رشيد حتى أخذ منف وفتر منه صا الى المدائن الداخلة وتخصن بها من عدوه فامتنعت بالطلسمات
أياما كثيرة ثم كانت العاقبة له وعاد عدوه من زما ورجع الى منف فتبع الكهنة وقتل منهم كثيرا وأقام ملكا
سبعًا وستين سنة وعاش مائة وسبعين سنة * (وملك ابنه تدراس واستولى على الاحياز كلها واصفاه الوقت
وملك مصر وكان محتكما محترما أيد وقوة ومعرفة بالامور فأظهر العدل وأقام الهياكل واهلها قايما احسنا
وبني بيتا للزهرة وحفر خليج سخا وحارب بعض عمالة الشام ودخل الى فلسطين وقتل بها خلقا وسبى بعض
اهلها الى مصر وغزا السودان من الزنج والحبشة ووجه في النيل ثلاثمائة سفينة فلقى السودان وكانوا زهاء ألف
ألف فهزموهم وقتل اكثرهم وأسروهم خلقا كثيرا وساق القليلة والنمور الى مصر وعمل على حدود بلده منارات
زبر عليها اسمه ومسيره وظفروه وفي أيامه بعث الله نبيه صالحا الى ثمود ويقال انه هو الذي انزل النوبة حيث هي
وذلك أنه لما أوغل في أرض الحبشة وقتل ام السودان وجد فيهم امة تقرأ أحصاف آدم وشيث وادريس فمن عليها
وأزلها على نحو من شهر من أرض مصر فسموا النوبة ومات بمنف * (فملك بعده ابنه مانيق) وكان عادلا كريما
حسن الصورة محترما خالفا لبيه وأهل مصر في عبادة الكواكب والبقر ويقال انه كان موحدا على دين أجداده

قبطيم ومصر ايم وكانت القبط تذمه لذلك وأمر الناس بالتخاذ كل فاره من الخيل واقتنى السلاح وأكثرا الاسفار
وانشأ في بحر المغرب مائتي سفينة وخرج في جيش عظيم في البر والبحر وأتى البربر فنهزمهم واستأصل اكثرهم
وبلغ أفريقيا وسار الى الاندلس يريد الافرنجة فلم يزل يمازى الأبادها فخذله ملك الافرنجة وحاربه شهرا ثم طلب
صلحه وأهدى اليه فسار عنه ودوخ الامم المتصلة بالبحر الاخضر والقبط تذكر أنه رأى سبعين أعجوبة وعمل
أعمالا على البحر وزبر عليها اسمه ومسيره وخرب مدن البربر ورجع فلقاه اهل مصر بأصناف الرياحين وأنواع
الاهو وفروشت له الطرقات فهياه الملوك وحملوا اليه الهدايا وما زال موحد حتى مات * (فلما بعده ابنه حزابا)
وكان ليثا سهل الخلق قد عرفه ابوه التوحيد ونهاه عن عبادة الاصنام فرجع عن ذلك بعده الى دين قومه وغزا
الهند والسودان بعد ما عمل مائة سفينة على شكل سفن الهند وتجهز وحمل معه امرأته ووجوه اصحابه
واستخلف ابنه كلكلي على مصر وكان صيا وجعل معه وزيرا كاهنا فخر على ساحل اليمن وعاش في مدائنه وبلغ
سرنديب وأوقع بأهلها وبلغ جزيرة بين الهند والصين فأذن له اهلها وتقل في تلك الجزائر سنين فيقال انه
أقام في سفره سبع عشرة سنة ورجع غائما فها به الملوك وبني عدة هياكل وأقام بها الاصنام للكهنة
ثم غزا نواحي الشام فأطاعه اهلها ورجع فغزا النوبة والسودان وضرب عليهم خراجا يحملونه اليه ورفع أقدار
الكهنة ومصاحفهم وكان يرى أن هذا الظفر بمعونة الكواكب له ومات وقد ملك خساوس سبعين سنة
* (فقام ابنه كلكلي) وعقد له بالاسكندرية فأقام بها شهرا ثم قدم الى منف وكان أصناما فسر به اهل مصر
وكان يحب الحكمة واطهار العجائب ويقرب اهلها ويحجزهم وعمل الكيمياء وخزن اموالا عظيمة بصحارى الغرب
وهو أول من أظهر علم الكيمياء بمصر وكان علمها مكتوما وكان من تقدمه من الملوك امرأته وابتكر صنعا
فعملها كلكلي وملا دورا الحكمة منها حتى لم يكن الذهب في زمن بمصر اكثر منه في وقته ولا الخراج لانه كان مائة
ألف ألف وبضعة عشر ألف ألف متقال فاستغنوا عن ائارة المعادن وعمل أيضا من الحجارة الملوثة التي تشبه
شياء كثيرا وعمل من الفيروز وغيره اشياء واخترع امورا تخرج عن حد العقل حتى سعى حكيم الملوك وغلب
جميع الكهنة في علومهم وكان يخبرهم بما يغيب عنهم وكان عمرو ابراهيم عليه السلام في وقته فافصل بمرود خبر
حكيمته ومحرره فاستزاره وكان النمرود جبارا مشو الخلق يسكن السواد من العراق وآتاه الله قوة وقدرة
وبطش اغلب على كثير من الامم فتقول القبط ان النمرود لما استزار كلكلي وجهه اليه أن يلقاه بموضع كذا فسار
الى الموضع على أربعة أفراس تحمله ذوات أجفحة وقد لهاط به نور كالنار وحوله صور هائلة وقد خيل بها وهو
متوشح بشعبان متحزم ببعضه وقد فغرفاه وهو يضربه بقضيب أس فلما رآه النمرود هاله وأقرله بجليل الحكمة
وسأله أن يكون ظهيرا له ويقال انه كان يرتفع ويجلس على الهرم الغربي في قبة تلوح على رأسه فاذا هم اهل
البلاد امر اجمعوا حول الهرم فيقيم اياما لا يأكل ولا يشرب ثم استمرت حتى توهوا أنه هلك فطمع فيه
الملوك وقصدوه ملك من الغرب في جيش عظيم حتى قدم وادى هيب فأقبل حتى جلاهم من سحره بشيء كالغمام
شديد الحرق فأقاموا تحته أياما متعبرين ثم طار الى مصر وأمرهم بالخروج الى الجيش فوجدوهم قد ماتوا وهم
ودواهم فهياه الكهنة مهابة لم يهابوها أخذوا قبله وعمر طويلا وغاب فلم يعلم خبره * وقال ابن عبد الحكم ان كلكلي
ابن حزابا ملكهم نحو مائة سنة ثم مات ولولده * (فلما أخوه ماليا بن حزابا قال ابن وصيف شاه وقام اخوه
ماليا) وكان شرها كثيرا لا كل والشرب منفردا بالرافية غير ناظر في شيء من الحكمة وجعل أمر البلاد الى وزيره
واشتغل بالنساء وكان له من النساء ثمانون امرأة فهجم عليه ابنه طوطيس وهو سكران فقتله وقتل امرأته
كانت عنده * (وملك بعده ابنه طوطيس) ويقال انه عمرو بن امرئ القيس بن يابليون بن حير بن سباب بن شجب بن
يعرب بن قحطان ويقال الوليد بن الريان وانه أحد فراعنة مصر من ولدان بن فلولج بن امرأ بن أشود بن سام
ابن نوح وقيل فراعنة مصر من ولد عملاق الاول بن لاود بن سام بن نوح وكان جبارا جريا شديدا لباس مهابة
والقبط تزعم أنه أول الفراعنة بمصر وهو فرعون ابراهيم عليه السلام ويقال ان الفراعنة سبعة هياكلهم وحفر
نهر في شرقي مصر بسفح الجبل حتى انتهى الى مرقا السفن في البحر الملح وكان يحمل الى هاجر أم اسماعيل
التي أعطاها ابراهيم عليه السلام الخنطة وأصناف الغلات فوصل الى جدة فأحصى بلاد الحجاز مدة ويقال ان كل
ما حليت به الكعبة في ذلك العصر مما أهدها ملك مصر واكثر ما حمل الى الحجاز منته العرب من جرهم

الصادوق * وفي كآب هروشيش أن سلطان المصريين في زمن ابراهيم الخليل عليه السلام كان بأيدى قوم يدعون بني فاليق بن دارش ودام ملكهم بمصر مائة وعشرين سنة وقال ابن اسحق عن بعضهم أن فراعنة مصر من ولد دان بن فهلوج بن امرأ بن اشود بن سام بن نوح قال والمشهور أنهم من العماليق منهم الريان بن الوليد ويقال الوليد بن الريان فرعون يوسف والوليد بن مصعب فرعون موسى ومنهم سنان بن علوان قال ابن وصيف شاه وانما قيل له فرعون لانه اكدر القتل ولم يرزق غير ابنة وكانت عاقلة تخافت لكثرة قتله الناس فقتلته بسم وله في الملك مائة وسبعون سنة * (وملكت بعده جورياق) فوعدت الناس بالاحسان وجعت الاموال وقدمت الكهنة واهل الحكمة ورؤساء الصحرة ورفعت أقدارهم وجددت الهياكل وصار من لم يرضها الى مدينة اتريب وملكوها رجلا من ولد اتريب وقد تقدم خبره في الاسكندرية وجورياق أول امرأة ملكت مصر من ولد نوح عليه السلام وماتت * (خلكت بعدها ابنة عمها زلي بنت مامون) وكانت عذراء عاقلة فوعدت الناس بالجميل وقام عليها أمين الاتريبي واستنصر بملك العمالة فسير معه قائد فأخرجت اليه جيشا فالتقوا بالعريش واقتتلوا حتى فنى منهم كثير من الناس ثم انهزم اصحاب زلي الى منف وهم في أقيمتهم فخرجت زلي الى الصعيد ونزلت الاشموين فكان بين اويين عساكر العمالة حروب انهزم موافها وخرجوا عن منف بعدما عاؤا فيها وعدوا الى الجرف فاستنعبوا وصارت مصر بينهم نصفين ثم ان زلي عاودت الحرب فاستمرت ثلاثة اشهر حتى انهزمت الى قوص وأمين خلفها فلما أيقنت انها تؤخذ سمت نفسها فهلك وقال ابن عبد الحكم ثم توفى طوطيس بن ماليا فاستخلفت ابنته جورياق ابنة طوطيس ولم يكن له ولد غيرها ثم توفيت جورياق فاستخلفت ابنة عمها زلي ابنة مامون بن ماليا فعمرت دهر اطويلا وكثروا ونمو اوملا وأرض مصر كلها فطمعت فيهم العمالة فغزاهم الوليد بن دوع فقاتلهم قتالا عظيما ثم رضوا أن يملكوه عليهم فلكهم نحو مائة سنة فطغى وتكبر وأظهر الفاحشة فسلط الله عليه سباعا فاقترسه واكل لحمه * والذي ملك مصر من الفراعنة خمسة * وملك امين وتجبور وقاتل خلقا من حاربه وكان الوليد بن دوع العملي قد خرج في جيش كثيف فبعث غلاما يقال له فرعون الى مصر فقصفها ثم قدم بعده واستباح اهل مصر وأخذ أموالهم ثم خرج ليقتل على مصب النيل فرأى جبل القمر وأقام في غيبته أربعين سنة ورجع الى مصر وقد خالفه فرعون وقرمنه فاستعبد اهل مصر وملكهم مائة وعشرين سنة حتى هلك * (وملك ابنه الريان بن الوليد بن دوع) أحد العمالة وكان أقوى اهل الارض في زمانه وأعظمهم ملكا * والعمالة ولد عليق بن لاود بن سام بن نوح وهو فرعون يوسف عليه السلام والقبط تسمية نهراوش وقيل فرعون يوسف اسم الريان بن الوليد بن ليث بن فاران ابن عمرو بن عليق بن بلقع بن عابر بن اسليخ بن لود بن سام بن نوح وقيل فرعون يوسف هو جد فرعون موسى ابو آية واسمه برخو وكان عظيم الخلق جليل الوجه عاتلا فوعد الناس الجليل وأسقط عنهم الخراج لثلاث سنين وقرق المال فيهم * وملك رجلا من اهل بيته يقال له اطفين وهو الذي يقال له العزيز وكان عاتلا أديا مستعملا للعدل والعمارة فأمر أن ينصب له سرير من فضة في قصر الملك يجلس عليه ويخرج وجميع الكآب والوزراء بين يديه فكفى نهراوش ما خلف ستره وقام بجميع اموره وخلاه للذاته فأقام على قصفه مدة والبلد عامر فقصدته رجل من العمالة وسار الى مصر في جبهوشه فخرج اليه وقاتله وهزمه وسار خلفه ودخل الشام وعاث هناك فهايته الملوكة ولا طفته وقيل انه بلغ الموصل وضرب على اهل الشام خراجا وخرج اغزو بلاد المغرب في تسعمائة ألف ومتر بأرض البربر وجلا كثيرا منهم ومتر الى البحر الاخضر وسار الى الجنوب فقدم النبوة وعاد الى مدينة منف وكان من خبر يوسف معه ما ذكر عند ذكر القيوم * (وملك بعده ابنه دريموش) ويقال له دارم بن الريان وهو الفرعون الرابع فخالف سنة آية وملك يوسف خليفته فيقبل منه تارة ويخالفه تارة وظهر في أيامه معدن فضة فأثار منه شيا عظيما وفي أيامه مات يوسف عليه السلام فاستوزر بعده رجلا حمله على أذى الناس وأخذ أموالهم فبلغ ذلك منهم مبلغا عظيما ثم زاد في التجري حتى اقتلع كل امرأة جميلة بمدينة منف من اهلها فكان لا يسمع بأمرأة حسنة في موضع الا وجه اليها فحملت اليه فاضطرب الناس وشنعوا عليه وعطلوا الصنائع والاعمال والأسواق فعد عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وزاد الامر حتى اجتمعوا على خلعه فبرز لهم وأسقط عنهم خراج ثلاث سنين وانفق فيهم مالا فسكتوا وفي أيامه ثار القبط على بني امرا ئيل وطلبوا

من الوزير أن يخرجهم من مصر فزال بهم حتى أمسكوا وبلغ الملك ذلك وكان قد خرج إلى الصعيد فتوعد أهل مصر فشغبوا عليه وحشدوا له غاربه فقتل منهم خلقا كثيرا وظفر بمن بقي فقتلهم وصلبهم على حافتي النيل وعاد إلى أعظم ما كان عليه من أخذ الأموال والنساء واستخدم أشرف القبط وبنى إسرائيل فأجمع الكل على ذمته فركب النيل للزهوة وثأربه ربح عاصف فغرق فلم يوجد إلا بناحية شظوف وقيل فيما بين طراو حلاوان * (فقدّم الوزير ابنه معاد يوس) وكان صبيبا ويقال له معدان فأسقط عن الناس ما أسقطه أبوه من الخراج ووعد بالاحسان فاستقام له الأمر وردّ نساء الناس وهو خامس الفراعنة وحدث في زمانه طوفان مصر وكثربنوا إسرائيل وعابوا الاصنام فأفردوا ناحية عن البلد بحيث لا يختلط بهم غيرهم وأقطعوا موضعا في قبلي منف فاجتمعوا فيه وبنوا فيه معبدا وغلب بعض الكنعانيين على الشام ومنع من الضريبة التي كانت على أهل الشام ملك مصر فاجتمع الناس إلى معدان وحشوه على المسير لحره فامتنع من المسير ولزم الهيكل فزعوا أنه قام في هيكل زحل للعبادة فتحلى له زحل وخاطبه وقال له قد جعلتك رباً على أهل بلادك وحبوتك بالقدرة عليهم وعلى غيرهم وسأرفعك إلى * فلا تحل من ذكرى فمظم عند نفسه وتجبر وأمر الناس أن يسموه رباً وترفع عن أن ينظر في شيء من أمر الملك وجعل عليه ابنه اكسامس * (فقام ابنه اكسامس في الملك) ويقال كامس بن معدان فرتب الناس مراتب وقسم الكور والأعمال وأمر باستنباط العمارات وإظهار الصناعات ووسع على الناس في أرزاقهم وأمر بتنظيف الهيكل وتجديد لباسها وأوانها وزاد في القرابين وهو الذي يقال له كاشم بن معدان ابن دارم بن الريان بن الوليد بن دومع العملي وهو سادس الفراعنة وسموا فراعنة بفرعان الأول فصار اسما لكل من تجبر وعلا أمره فطال ملكه وأقام أعلاما كثيرة حول منف وعمل مدنا كثيرة ومنابر للوقودات وطلسمات وأقام سبع سنين بأجل أمر فلما مات وزيراً به استخلف رجلا من أهل بيت المملكة يقال له ظلما ابن قومس وكان شجاعا ساعرا كاهنا كاتباً حكيماً متصرفاً في كل فن وكان نفسه تنازعه الملك فأصلح أمر الملك وبنى مدنا من الجناين ورأى في نجومه أنه سيكون حدث فبنى بناحية رفودة والصعيد ملاعب ومصانع وشكا إليه القبط من الأسريين فقال هم عبيدكم فأذلّوهم من حينئذ وخرج إلى ناحية البر فعات وقيل وسبي وفي أيامه بنيت منارة الاسكندرية وهاج البحر الملح فغرق كثيرا من القرى والجنان والمصانع ومات اكسامس وكان ملكاً إحدى وثلاثين سنة منها إحدى عشرة سنة يدير أمره ظلما فلما مات اضطرب الناس واتهموا ظلما أنه سمع ققام * وولي لا طيس بن اكسامس) وكان جرياً محبباً صلفاً فامر ونهى وأزم الناس أعمالهم وقال أنا مستقيم ما استقيمتم وإن ملتم عن الواجب ملت عنكم وحط جماعة عن مراتبهم وصرف ظلما عن خلافته واستخلف غيره وأنفذ ظلما إلى الصعيد في جماعة من الأسريين وجدد بناء الهيكل وبنى القرى وأثار معادن كثيرة وكثر في صحراء الشرق عدّة كنوز وكان يجب الحكمة ثم تجبر وعلا أمره وأمر أن لا يجلس أحد في مجلسه ولا في قصر الملك لا كاهن ولا غيره بل يقومون على أرجلهم حتى يمضوا وزاد في أذى الناس والعنف بهم ومنع فضول ما بأيديهم وقصرهم على القوت وجع أموالهم وطلب النساء وانتزع كثيراً منهن وفعل أكثر مما فعله من تقدم قبله واستعبد بنى إسرائيل وقتل جماعة من الكهنة فأبغضه الخاص والعلم وثأر ظلما بالصعيد وكاتب وجوه الناس فكتب لا طيس بصرفه عن العمل فامتنع وحارب عساكره وزحف حتى دخل منف * ظلما بن قومس فرعون موسى يقال إن اسمه الوليد بن مصعب بن اراهن بن الهلوت بن قاران بن عمرو ابن عمليق بن بلقع بن عابر بن اسليخا بن لود بن سام بن نوح وأنه من العماليقة وكان قصيرا طويلاً الوجه أشمل العين اليمنى صغير العين اليسرى أعرج وزعم قوم أنه من القبط وإن نسبه ونسب أهل بيته مشهور عندهم وقيل غير ذلك وكان من خبره ما ذكرنا في كنيسة دمويه وقال ابن عبد الحكم ولما أغرق الله فرعون بقيت مصر بعد غرقه ليس فيها من أشرف أهلها أحد ولم يبق إلا العبيد والأجراء والنساء فأعظم أشرف من بمصر من النساء أن يولين منهم أحدا وأجمع رأيين أن يولين امرأة يقال لها دلوكة * (فلكت دلوكة ابنة زبا) ويقال دلوكة بنت قاران وكان لها عقل وتجارب ومعرفة وكانت في شرف منهن وهي يومئذ بنت مائة وستين سنة فبنت جدرا حصنت به مصر من الأعداء وكان من حدثنج إلى افر يقية إلى الواحات إلى بلد النبوة على كل موضع منه حرس قيام ليهم ونهارهم يقدون النار ووقود الايطفاً أبداً أحاطت به على جميع أرض مصر كلها

في ستة أشهر وهو حائط الجوز وفي أيامها بنت تدورة الساحرة البراني في وسط منف فملكهم دلوكة عشرين سنة حتى بلغ صبي من أبناء الكبارهم يقال له * دركون بن بلاطس ثم مات واستخلف ابنه نودست ثم توفي نودست بن دركون فاستخلف أدقاش فلم يملك الا ثلاث سنين حتى مات فاستخلف أخوه مريتا بن مريئوس ثم توفي فاستخلف استادس بن مريتا فطغى وتكبر وسفك الدم وأظهر الفاحشة فخلعوه وقتلوه وبايعوا رجلا من أشرفهم يقال له بلاطوس بن مينا كليل فملكهم أربعين سنة ثم توفي فقام ابنه مالوس ثم توفي مالوس فاستخلف أخوه مينا كليل بن بلاطوس بن مينا كليل فملكهم زمانا ثم توفي واستخلف ابنه نوله بن مينا كليل فملكهم مائة وعشرين سنة وهو الاعرج الذي سبى ملك بيت المقدس وقدم به الى مصر وكان قد تمكن وطغى وبلغ مبلغا لم يبلغه احد من قبله بعد فرعون فصرعته دابته فأت وقيل له الاعرج لانه لما غزا اهل بيت المقدس ونهبهم وسبى ملكهم يوشيا بن أمون بن منشابن حزقياهم أن يصعد على كرسى نبي الله سليمان بن داود وكان بلوب لا يمكن أحدا أن يصعد عليه الا برجليه جميعا فصعد برجل واحدة وهي اليمنى فدار اللولب على ساقه الاخرى فاندقت فلم يزل يجمع بها الى أن مات فلذلك سمي الاعرج * فاستخلف مريئوس بن نوله فملكهم زمانا ثم توفي واستخلف ابنه قرقورة فملكهم ستين سنة ثم توفي واستخلف أخوه نقاس بن مريئوس وانهدم البراني زمنه فلم يقدر أحد على اصلاحه ثم توفي نقاس واستخلف ابنه قوميس بن نقاس فملكهم دهرا وحاربه بجنت نصر وقتله وخرّب مدينة منف وغيرها من المدائن وسبى اهل مصر ولم يترك بها أحدا حتى بقيت أرض مصر أربعين سنة خرابا ليس فيها ساكن * وذكر في ترجمة كتاب هرودوت الاندلسي في وصف الدول والحروب أن فيما بين غرق فرعون موسى الى مائة وسبع سنين كان بمصر ملك يسمى نوسردس كان يقتل الغرباء والاضياء ويذبحهم لاوثانه ويجعل دماهم قربانا لها وأن بعد غرق فرعون الى ثمانمائة وثمان وعشرين سنة كان بمصر ملك يسمى يرويه وكان عظيم المملكة قوى السلطان أخذ بالحرب أكثر نواحي الجنوب بتراب وبعرا وهو أول من حارب الروم الذين قيل لهم بعد ذلك الغوط وكان قد أرسل اليهم يدعوه الى طاعته ويخوفهم حربهم فاجابوه ليس من الرأي المحمود للملك الغنى محاربة قوم فقراء لكثرة نوازل الحروب واختلاف حوادثها بالظفر والهلاك وان لا ننظر مجيئك بل نسرع لغارتك وأتبعوا قولهم عملا وخرج فرعون اليهم فخرجوا مسرعين اليه وهزموا جيوشه ونهبوا عساكره وامواله وعدده وجميع ذخائره ومضوا فنهبوا أرض مصر حتى كادوا يغلبون عليها لولا وحول عرضت لهم منعهم مما خلفها ثم انصرفوا الى بلاد الشام بحروب متصلة حتى أذلوا اهلها وجعلوهم يؤذون اليهم المغارم وأقاموا محاربين لمن خالفهم في غزوتهم خمس عشرة سنة ولم ينصرفوا الى بلادهم حتى اتهم من نساءهم من يظن لهم اما أن تنصرفوا واما أن تتخذوا الازواج ونطلب النسل من عند المجاورين لنا فعند ذلك انصرفوا الى بلادهم وقدامتلات ايديهم اموالا وأوقارا جنة وقد خافوا وراءهم ذكرهم فمزعا ويقال ان ملوك مدين ملكوا مصر خمسمائة عام بعد غرق فرعون وهلاك دلوكة حتى اخرجهم منها نبي الله سليمان بن داود فعاد الملك بعدهم الى القبط واتّ جالوت ابن جالوت لما قتله داود سار ابنه جالوت بن جالوت الى مصر وبها ملوك مدين فأنزله ملك مصر بالجانب الغربي فأقام بهامدة ثم سار الى بلاد الغرب ويقال ان القبط ملكوا مصر بعد دلوكة وابنهامدة ستمائة سنة وعشرين سنة وعثرتهم سبعة وعشرون ملكا هم ديوسقوليطا ومثنه ثمان وسبعون سنة وقيل ثمان وثمانون سنة ثم ملك بعده سمانادوس ستا وعشرين سنة وقام بعده سوماناس مدة مائة سنة ثم ملك مفغراس أربع سنين ثم ملك امانافوناس تسع سنين ثم اسخوردس ست سنين ثم فسيدناخس تسع سنين ثم فسوسانس خساو ثلاثين سنة ثم ملك سسوناخوسيس احدى وعشرين سنة ثم ملك اساليون خمس عشرة سنة ثم طافالونيس ثلاث عشرة سنة ثم نطافاناسطلس خساو عشرين سنة ثم اساراثون تسع سنين ثم ملك فساهرس عشرين سنين ثم اوفانيواس أربعة وأربعين سنة ثم ساياقورثني عشرة سنة ثم شخص الحبشي ثني عشرة سنة ثم طراحوش الحبشي عشرين سنة ثم امراس الحبشي ثني عشرة سنة ثم استطا فينياس سبع سنين ثم باخناسوس ست سنين ثم ياخو ثمان سنين ثم فساماملطيقوش أربعة وأربعين سنة ثم بنحوقاست سنين ثم فساهرتاس سبع عشرة سنة ثم وافر س خساو عشرين سنة ثم اما سلس اثنتين وأربعين سنة * وملك بعده هولاء

مصر خمسة ملوك من ملوك بابل وهم امرطيوش ست سنين ثم ماخرطاس سبع سنين ثم اوخرس اثنتي عشرة سنة ثم فساموت مدة سنتين ثم ملك موتا طوس سبع سنين * ثم ملك ثلاثة ملوك من ائور وهم الجرامقة الذين ملكوا الموصل والجزيرة وهم نافاطابوش ثلاث عشرة سنة ثم طوس سبع سنين ثم نافاطا ناس ثمان عشرة سنة * ثم انتقل ملك مصر منهم الى الاسكندر بن فيليبش اليوناني وهذه اسماء رومية ولعلها اوبعضها متداخل فيما تقدم ذكره من ملك بعدد لوكه وبين بخت نصر وبين الطوفان ألفا سنة وثلاثة وست وخسون سنة واشهر ويجمع من حساب ما وقع في التوراة أن بين الطوفان وبين خراب بيت المقدس على يد بخت نصر من السنين ألفا وست مائة وأربع وثمانين سنة وهذا خلاف ما نقله المسعودي والله تعالى أعلم بالصواب

* (ذكر مدينة الاسكندرية) *

هذه المدينة من اعظم مدائن الدنيا وأقدمها وضعا وقد بنيت غير مرة فأول ما بنيت بعد كون الطوفان في زمان مصر ايم بن بصر بن نوح وكان يقال لها اذ ذاك مدينة رقودة ثم بنيت بعد ذلك مرتين فلما كان في ايام اليونانيين جتدها الاسكندر بن فيليبش المقدوني الذي قهر دارا وملك ممالك الفرس بعد تغريب بخت نصر مدينة منف بمائة وعشرين سنة شمسية فعرفت به ومنذ جتدها الاسكندر المذكور انتقل تحت المملكة من مدينة منف الى الاسكندرية فصارت دار المملكة بديار مصر ولم تزل على ذلك حتى ظهر دين الاسلام وقدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين وفتح الحصن والاسكندرية وصارت ديار مصر أرض اسلام فانتقل تحت الملك حينئذ من الاسكندرية الى فسطاط مصر وصار القسطنطين بعد الاسكندرية دار مملكة ديار مصر * وسأقص عليك من أخبار الاسكندرية ما وصل اليه على ان شاء الله تعالى * (ذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب اخبار الزمان أن الكوكبة وهي امة في غابر الدهر من اهل ايله ملكوا الارض وقسموها على ثلاثين كورة واربعه اقسام كل قسم عدل وبنوا في كل عمل مدينة بها ملك يجلس على منبر من ذهب وله بياو هي بيت الحكمة وله هيكل على اسم كوكب فيه اصنام من ذهب وجعلوا الاسكندرية واسمها رقودة خمس عشرة كورة وجعلوا فيها كبار الكهنة ونصبوا في هياكلها من اصنام الذهب اكثر مما نصبوا في غيرها فكان ما بها ما تناسخ من ذهب وقسموا الصعيد ثمانين كورة على أربعة اقسام وثلاثين مدينة فيها جميع العجائب * وذكر بطليموس في كتاب الاقاليم ووصف الجزائر والبحار والمدن أن مدينة الاسكندرية لبرج الاسد ودليلها المزيخ وساعاتها اربع عشرة ساعة وطولها ستون درجة ونصف درجة يكون ذلك أربع ساعات مستوية وثلاث عشرة ساعة * وقال ابن وصيف شاه في ذكر أخبار مصر ايم بن بصر بن نوح وعليهم ايضا عمل الطليسمات وكانت تخرج من البحر دواب تفسد زرعهم وجنانهم ويذبحونهم فعملوا اله الطليسمات فغابت ولم تعد وبنوا على غير البحر مدنا منها مدينة رقودة مكان الاسكندرية وجعلوا في وسطها قبة على أساطين من نحاس مذهب والقبة مذهبة ونصبوا فوقها امرأة من اخلاط شتى قطرها خمسة أشبار وارتفاع القبة مائة ذراع فكانوا اذا قصدهم قاصد من الامم التي حولهم فان كان مما يهيمهم وكان من البحر عملوا تلك المرأة عملا فالت شعاعها على ذلك الشيء فأحرقته فلم تزل الى أن غلب البحر عليها ويقال ان الاسكندر انما عمل المنارة تشبيها بها وكان عليها ايضا امرأة يرى فيها من يقصدهم من بلاد الروم فاحتمل عليهم بعض ملوكهم ووجه اليها من أزالها وكانت من زجاج مدبر قال وذكر بعض القبط أن رجلا من بني الكهنة الذين قتلهم ايساد ملك مصر صار الى ملك كان في بلاد الافرنجة فذكر له كثرة كنوز مصر وعجايبها وضمن له أن يوصله الى ملكها واما الهها ويرفع عنه أذى طليسماتها حتى يبلغ جميع ما يريد فلما اتصل بصاحب مصر قونس أخى ايساد وهو ملك مصر يومئذ أن صاحب بلاد الافرنجة يتجهز اليه عمدا الى جبل بين البحر الملح وشرقي النيل فأصعد اليه اكثر كنوزه وبني عليها قبابا مصفحة بالراصاص وظهر صاحب بلاد الافرنجة في ألف مركب فكان لا يرى بشي من أعلام مصر ومنازلها الاهدمه وكسر الاصنام بجمعونة ذلك الكاهن حتى اتى الاسكندرية الاولى فعات فيها وفيما حولها وهدم اكثر معالمها الى أن دخل النيل من ناحية رشيد وصعد الى منف واهل النواحي يحاربونه وهو ينهب ما تر به ويقتل ما قدر عليه الى أن طلب المدائن الداخلة

بنبيه ويزال من ليلته من يفعل ذلك وهل في ثباته من حيلة فسألهما الراعي عن ذلك فقالت ان دواب البحر التي تنزع بنيانكم فقال فهل من حيلة قالت نعم تعملون نوايت من زجاج كثيف بأغطية وتجعلون فيها أقواما يحسنون التصوير ويكون معهم صحف وأنفاس وزاد يكفهم أيا ما وتحمل التوايت في المراكب بعد ما نشد بالحبال فاذا توسطوا الماء أمروا المصورين أن يصوروا جميع ما يترجم ثم ترفع تلك التوايت فاذا وقفت على تلك الصور فاعملوا لها أشباها من صفر أو حجارة أو رصاص وانصبوها قدام البنيان الذي تبنونه من جانب البحر فان تلك الدواب اذا خرجت ورأت صورها هربت ولم تعد فتراف الراعي صاحب ذلك ففعله وتم البنيان وبني المدينة * وقال قوم ان صاحب البناء والغنم هو جبرون كان قصدهم قبل الوليد وانما اتاهم الوليد بعد جورياق وقهرهم وملك مصر * وذكروا أن الاموال التي كانت مع جبرون فقدت كلها في تلك المدينة ولم تتم فأمر الراعي أن يخبر الجارية فقالت ان في المدينة التي خربت ملعبا مستديرا حوله سبعة عمد على رؤسها تماثيل من صفر قدام فتراب لكل تمثال منها قورا سمينا واطح العمود الذي تحته من دم الثور ويحرقه بشعر من ذنبه وشئ من ثمانية قرونه وأطلافه وقل له هذا قربانك فأطلق لي ما عندك ثم قس من كل عمود الى الجهة التي توجه اليها وجه التمثال مائة ذراع واحفر عند امتلاء القمر واستقامة زحل فانك تنتهي بعد خمسين ذراعا الى بلاطة عظيمة فلطنها بجمرة الثور وأقلها فانك تنزل الى سرب طوله خمسون ذراعا في آخره خزانة مقفلة ومفتاح القفل تحت عتبة الباب فخذها واطح الباب ببقية الماراة ودم الثور ويحرقه بثمانية قرونه وأطلافه وشعر ذنبه وادخل فانه يستقبلك صنم في عنقه لوح من صفر مكتوب فيه جميع ما في الخزانة فخذ ما شئت ولا تعترض ميتا تجده ولا ما عليه وكذلك كل عمود وتمثاله فانك تجد مثل تلك الخزانة وهذه نواويس سبعة من الملوك وكنوزهم فلما سمع ذلك سبه وامثله فوجد ما لا يدرك وصفه ووجد من العجائب شيا كثيرا فتم بناء المدينة وبلغ ذلك جورياق فساءها وكانت قد أرادت اتعابه وهلاكه بالحيلة ويقال انه وجد فيما وجد درجا من ذهب مختوما فيه مكحلة زبرجد فيها ذرور اخضر ومعها عرق احمر من اكحل من ذلك الذرور بالعرق وكان اشيب عاد شابا واسود شعره وأضاء بصره حتى يدرك الروحانيين ووجد تمثالا من ذهب اذا ظهر عمت السماء وأمطرت ومثال غراب من حجر اذا سئل عن شئ صوت وأجاب عنه ووجد في كل خزانة عشر عجوبات * فلما فرغ من بناء المدينة وجهه الى جورياق يحثها على القدوم اليه فحملت اليه فرسا فاخر البيسطة في المجلس الذي يجلس فيه وقالت له اقسم جيشك أن لا تأثا فأنفذ الى ثلثة حتى اذا بلغت ثلث الطريق فأنفذ الثلث الآخر فاذا جرت نصف الطريق فأنفذ الثلث الباقي ليكونوا من وراءى ثلثا يراى احدا اذا دخلت عليك ولا يكون عندك الاصية تنق بهم يخدمونك فاني اوافيك في جوارتك فكيف الخدمة ولا احتشمت ففعلت وأقامت تحمل الجهازا اليه والاهوال حتى علم بمسيرها فوجه اليها ثلث جيشه فعملت لهم الاطعمة والاشربة المسمومة وأنزلهم جواريا وحشها وقتلوا اليهم الاطعمة والاشربة والطيب وأنواع اللهو فلم يصح منهم احد حيا وسارت فلقبها الثلث الآخر فعملت به مثل ذلك وهي توجه اليها انها انفذت جيشه الى قصرها وملكها يحفظونها وسارت حتى دخلت عليه هي وظنرها وجواريا فنفخت ظنرها في وجهه فنفخت بهت اليها ورشت عليه ما كان معها فارتعدت أعضاؤه وقال من ظن أنه يغلب النساء فقد كذبه نفسه وغلبته النساء ثم انها قصدت عروقه وقالت دماء الملوك شفاء وأخذت رأسه ووجهت به الى قصرها ونصبت عليه وحوات تلك الاموال الى مدينة منف وبت منارا بالاسكندرية وزبرت عليه اسمها واسمه وما فعلت به وتاريخ الوقت فلما بلغ خبرها الملوك هابوها وأطاعوها وهادوها وعلمت بمصر عجائب كثيرة وبت على حد مصر من ناحية النوبة حصنا وقنطرة يعبرى ماء النيل من تحتها واعتلت فقلدت ابنة عمها زلني بنت مامون وماتت * وقال ابن جر داويه روى أن الاسكندرية بنيت في ثمانمائة سنة وأن اهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها بالنهار الا بخرق سود مخافة على أبصارهم من شدة بياض حيطانها ومنارتها العجيبة على سرطان زجاج في الجروانه كان فيها سوى اهلها ستمائة ألف من اليود دخول لاهلها * وقال ابن وصيف شاه وكانت العمارة ممتدة في رمال رشيد والاسكندرية الى برقة فكان الرجل يسير في أرض مصر فلا يحتاج الى زاد لكثرة القواكه والخيرات ولا يسير الا في ظلال تسترته من حر الشمس وعمل الملك صابن قبطيم في تلك الصحارى قصورا وغرس فيها غروسا وساق اليها من النيل أنها افكان يسلك من الجانب الغربي الى حد

الغرب في عمارة متصلة فلما انقرض أولئك القوم بقيت آثارهم في تلك الصحارى وخربت تلك المنازل وبادأ أهلها ولا يزال من دخل تلك الصحارى يحكى ما رآه فيها من الآثار والنجائب * وقال ابن عبد الحكم وكان الذي بنى الاسكندرية وأسس بناءها ذوالقرنين الرومى واسمه الاسكندرو وبه سميت الاسكندرية وهو أول من عمل لوثى وكان أبوه أول القياصرة وقيل انه رجل من اهل مصر اسمه مرزبان مرزبه اليونانى من ولد يونان بن يافث بن نوح صلى الله عليه وسلم وقيل كان من أهل لوبية كورة من كورة مصر الغربية وقال ابن لهيعة وأهلها روم ويقال هو رجل من جبر قال تبع

قد كان ذوالقرنين جدى مسلما * ملكا تدين له الملوك بمحمد

بلغ المغارب والمشارق يتسنى * أسباب علم من حكيم مرشد

فرأى مغيب الشمس عند غروبها * فى عين ذى خلب وثنا طحرد

ويروى قد كان ذوالقرنين قبلى مسلما وحدثني عثمان بن صالح حدثني عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم عن سعد بن مسعود التميمي عن شيخين من قومه قالوا كتابا بالاسكندرية فاستطلنا أيونا فقلنا لوانا فقلنا الى عقبة بن عامر تحدث عنده فاطلقنا اليه فوجدناه جالساً في داره فأخبرناه اننا استطلنا أيونا فقال وأنما مثل ذلك انما خرجت حين استطلته ثم أقبل علينا فقال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته فاذا أنا برجال من اهل الكتاب معهم مصاحف او كتب فقالوا استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنصرف اليه فأخبرته بمكانهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي وإلهم يسألوني عما لا أدري انما أنا عبد لا أعلم الا ما علمني ربي ثم قال ابغني وضوءاً فتوضأ ثم قام الى مسجد بيته فركع ركعتين فلم ينصرف حتى عرفت السرور في وجهه والبشر ثم انصرف فقال أدخلهم وذن وجدت بالباب من اصحابي فأدخله قال فأدخلهم فلما وقفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم ان شئتم أخبرتكم عما أردتم أن تسألوني قبل أن تتكلموا وان احببتكم تكلمتم وأخبرتكم قالوا بلى أخبرنا قبل أن تسلكم قال احببتكم أن تسألوني عن ذى القرنين وسأخبركم عما تجدونه مكتوباً عندهم ان اول امره انه غلام من الروم اعطى مذكفاً سار حتى أتى ساحل البحر من أرض مصر فابتنى عنده مدينة يقال لها الاسكندرية فلما فرغ من بنائها أتاه ملك فخرج به حتى استقله فرفعه فقال انظر ما تحتك فقال أرى مدينتي وأرى مدائن معها ثم عرج به فقال انظر فقال قد اختلطت مدينتي مع المدائن فلا اعرفها ثم زاد فقال انظر فقال أرى مدينتي وحدها ولا ارى غيرها قال له الملك انما تلك الارض كلها والذى ترى يحيط بها هو البحر وانما أراد ربك أن يريك الارض وقد جعل لك سلطاناً فيها سوف يدلم الجاهل ويثبت العالم فسار حتى بلغ مغرب الشمس ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس ثم أتى السدين وهما جبلان لينان يرتقى عنهما كل شئ فينبى السدة ثم جازى بأجوج ومأجوج فوجد قوماً وجوههم وجوه الكلاب يقفون يا جوج ومأجوج ثم قطعهم فوجد أمة قصار ايضاً تلون القوم الذين وجوههم وجوه الكلاب ووجد أمة من الغرائق يقفون القوم القصار ثم مضى فوجد أمة من الحيات تلتقم الحية منها الصخرة العظيمة ثم أفضى الى البحر المدير بالارض فقالوا نشهد أن امره هكذا كما ذكرت وانما نجد هكذا في كتابنا * وعن خالد بن معدان الكلاعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال ملك مسح الارض من تحتها بالاسباب قال خالد وسع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلاً يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا أما رضىتم أن نسموا بالانبياء حتى نسميهم باللائكة * وقال قتادة عن الحسن كان ذوالقرنين ملكاً وكان رجلاً صالحاً قال وانما سمى ذا القرنين لان علياً رضى الله عنه سئل عن ذى القرنين فقال لم يكن ملكاً ولا نبياً ولكن كان عبداً صالحاً أحب الله فأحبه الله ونصح الله فنصحه الله بعنه الله عز وجل الى قومه فضر به على قرنيه فمات فسمى ذا القرنين وبقيت القرون لانه جاوز قرن الشمس من المغرب والمشرق ويقال انما سمى ذا القرنين لانه كان له غديرتان من شعر رأسه يطافيهما وقيل بل كان له قرنان صغيران نواريهما العمامة * وعن ابن شهاب انما سمى ذا القرنين لانه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مشرقها * وعن عبيد الله بن عمرو بن العاص انه قال كان أول شان الاسكندرية أن فرعون اتخذها مصانع ومجالس وكان أول من عمرها وبني فيها فلم تزل على بنائه ومصانعه ثم تداولها ملوك مصر بعده فبنت دلوكة بنت زبا منارة الاسكندرية ومنارة بوقير بعد فرعون فلما ظهر سليمان بن داود عليهما السلام على الارض اتخذها مجلساً

وبني فيها مسجدا ثم ان ذا القرنين ملكها فهدم ما كان من بناء الملوك والفراعنة وغيرهم الا بناء سليمان لم يهدمه ولم يغيره واصلاح ما كان رث منه واقر المنارة على حالها ثم بنى الاسكندرية من اولها بناء يشبه بعضه بعضا ثم تداولها الملوك بعده من الروم وغيرهم ليس من ملك الا يكون له بها بناء يضعه بالاسكندرية يعرف به وينسب اليه * قال ابن لهيعة وبلغني أنه وجد بالاسكندرية حجر مكتوب فيه أنا شداد بن عاد وأنا الذي نصب العماد وحيد الاحياد وشهد بذراعه الواد بنيتن اذ لاشيب ولا موت واذ الحجارة في اللين مثل الطين وفي رواية وكثرت في البحر كثر على اثني عشر ذراعا لن يخرج به أحد حتى تخرجه أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن لهيعة والاحياد كالغار وقال ابو علي القالي في كتاب الامالي وأنشد ابن الاعرابي وغيره

تسألني عن السنين كم لي * فقلت لوعمرت عمر الحسل * او عمر نوح زمن القطعل
لواني اوتيت علم الحسل * وعشت دهر ا زمن القطعل * لكنت رهن هرم او قتل

وفي رواية

علم سليمان كلام النمل * ايام كان الصخر مثل الوحل

وقال آخر زمن القطعل اذ السلام رطاب * وعندهم ان زمن القطعل زمان كان بعد الطوفان عظم فيه الخصب وحسنت احوال اهله وقال بعضهم زمن القطعل زمن لم يخلف بعد قوله علم الحسل الحسل ما لا يسمع صوته من الحيوان وهذا الرجز روية بن الججاج بن روية بن ليبيد بن صخر بن كيشف بن حيي بن بكر بن ربيعة بن سعد ابن مالك بن زيد مناة بن تميم وذلك أنه ورد ما لعكل فرأى فتاة فأعجبته فخطبها فقالت أرى سنا فهل من مال قال نعم قطعة من ابل قالت فهل من ورق قال لا قالت يا آل عكل اكبروا واما عار فقال روية

لما زدرت قدرى وقلت ايلي * تألفت وانصلت بعكل * خطي وهزت رأسها تستبلي
تسألني عن السنين كم لي * فقلت لوعمرت عمر الحسل * او عمر نوح زمن القطعل

والصخر مبتل كطين الوحل

وفي رواية

لواني اوتيت علم الحسل * علم سليمان كلام النمل

وسألت أبا بكر بن دريد عن زمن القطعل فقال تزعم العرب أنه زمان كانت فيه الحجارة رطبة * قال ابن عبد الحكم ويقال ان الذي بنى الاسكندرية شداد بن عاد والله أعلم * وكانت الاسكندرية ثلاث مدن بعضها الى جنب بعض منيعة وهي موضع المنارة وما والاها والاسكندرية وهي موضع قصبة الاسكندرية اليوم ونقطة وكان على كل واحدة منهم سور وسور من خلف ذلك على الثلاث مدن يحيط بهن جميعا وقيل كان على الاسكندرية سبعة حصون منيعة وسبعة خنادق قال وان ذا القرنين لما بنى الاسكندرية رخمها بالرخام الا يرض جدرها وأرضها فكان لبائسهم فيها السواد والحجرة فمن قبل ذلك لبس الرهبان السواد من نصوص الرخام ولم يكونوا يسرحون فيها بالليل من بياض الرخام واذا كان القمر أدخل الرجل الذي يحيط بالليل في ضوء القمر مع بياض الرخام الخيط في ثقب الابرة * ويقال بنيت الاسكندرية في ثلثمائة سنة وسكنت ثلثمائة سنة وخرت ثلثمائة سنة ولقد مكثت سبعين سنة ما يدخلها أحد الا وعلى بصره خرقة سوداء من بياض جصها وبلاطها ولقد مكثت سبعين سنة ما يستسرح فيها قال وكانت الاسكندرية بيضاء تضيء بالليل والنهار وكانوا اذا غربت الشمس لم يخرج احد من بيته ومن خرج اختطف وكان منهم راعي يرعى على شاطئ البحر فكان يخرج من البحر شيء فياخذ من عنقه فكمين له الراعي في موضع حتى خرج فاذا جارية قد نفست شعرها ومانعتة عن نفسها فتقوى عليها فذهب بها الى منزله فأنسب به فرأتهم لا يخرجون بعد غروب الشمس فسألتهم فقالوا من خرج منا اختطف فهايت لهم الطلسمات فكانت اول من وضع الطلسمات بمصر في الاسكندرية وقيل كان الرخام قد سخر لهم حتى يكون من بكرة النهار كالبحر فاذا اتصف النهار اشتد * وقال المسعودي ذكر جماعة من اهل العلم أن الاسكندر المقدوني لما استقام ملكه في بلاده وسار حتى يختار أرضا صحيحة الهواء والتربة والماء حتى انتهى الى موضع الاسكندرية فأصاب فيها اثريين وعمدا كثيرة من الرخام وفي وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند وهو اقل من الاول من أقلام حير وملوك عاد أنا شداد بن عاد شددت بسا عدى الواد وقطعت عظيم

العماد وشواخ الجبال والاطواد وبنيت ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وأردت أن آتي هنا مدينة كرم وأقل اليها كل ذي قدم وكرم من جميع العشار والأيام وذلك اذ لا خوف ولا هرم ولا اهتمام ولا سقم فأصابني ما عجزني وعمأ أردت قطعني ومع وقوعه طال همي وشجني وقل نومي وسكني فارتحلت بالامس عن داري لالتهم ملك جبار ولا خوف جيش جزار ولا عن رغبة ولا عن صغار ولكن لتقام المقدار وانقطاع الآثار وسلطان العزيز الجبار فن رأيت أثرى وعرف خبري وطول عمري ونفاد بصري وشدة حذري فلا يغتر بالدينا بعدى فانها غزارة غدارة تأخذ منه ماته على وتسترجع منه ماتوني وكلام كبير يرى فناء الدنيا وينع من الاعتزاز بها والسكون اليها * قتل الاسكندر مفكراته دبر هذا الكلام ويعتبره ثم يهت يحشر الصناع من البلاد وخط الاساس وجعل طولها وعرضها أميالاً وجع اليها العمدة والرخام وأتته المراكب فيها انواع الرخام وانواع المرمر والاجار من جزيرة صقلية وبلاد اقريقية واقريطش واقاصي بحر الروم مما يلي مصبه بحر اقيا نوس وحمل اليه أيضاً من جزيرة رودس وأمر الفعلة والصناع أن يدوروا بحارسم لهم من أساس سور المدينة وجعل على كل قطعة من الارض خشبة قائمة وجعل من الخشبة الى الخشبة حبالاً منوطة بعضها ببعض وأوصل جميع ذلك بمحمود من الرخام وكان أمام مضرته وعلق على العمود جرساً عظيماً مصوتاً وأمر الناس والقوام على البنائين والفعلة والصناع انهم اذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الجبال وقد علق على كل قطعة منها جرساً صغيراً حرسوا على أن يضعوا أساس المدينة دفعة واحدة من سائر أقطارها وأحب الاسكندر أن يجعل ذلك في وقت يختاره وطالع سعد فترك الاسكندر رأسه وأخذته نفسه في حال ارتقابه الوقت المحمود فجاء غراب فجلس على حبل الجرس الكبير الذي فوق العمود فخرقه وخرج صوت الجرس وتحركت الجبال وخفق ما عليها من الاجرام الصغار وكان ذلك معمولاً بمركات هندسية وحيل حكمية فلما رأى الصناع تلك الجبال قد تحركت وسمعوا الاصوات وضعوا الاساس دفعة واحدة وارتفع الضجيج بالحميد والتقديس فاستيقظ الاسكندر من رفته وسأل عن الخبر فأخبر بذلك فأعجب وقال أردت أمراً وأراد الله غيره ويأبى الله الا ما يريد أردت طول بقائها وأراد الله سرعة فناءها وخرابها ونداء اول الملوك اياها وازال الاسكندر لما أحكم بناءها وثبت أساسها وجن الليل عليهم خرجت دواب الجرفأت على جميع البنين فقال الاسكندر حين أصبح هذا بدوا الخراب في عمارتها وتحقق مراد الباري سبحانه من زوالها فقطير من فعل الدواب فلم تزل البناء في كل يوم تنفي وتحكم ويوكل من يمنع الدواب اذا خرجت من البحر فيصجون وقد خرجت وخربت البنين قتل الاسكندر لذلك وراعه ما رأى من الجرفأ قبل يفكر ما الذي يصنع وأي حيلة تتفعل في ذلك حتى تدفع الازية عن المدينة فسخت له الحيلة عند خلقه بنفسه وايراده الامور واصدارها فلما أصبح دعا الصناع فأتخذوا له تابوتاً من الخشب طوله عشرة اذرع في عرض خمسة اذرع وجهته فيه جامات من الزجاج قد أحاط بها خشب التابوت باستدارتها وقد أمسك ذلك بالقار والزفت وغيره من الاطلية الدافعة للماء حذر من دخول الماء الى التابوت وقد جعل فيها مواضع للعمال ودخل الاسكندر في التابوت ورجلان من كآبه من له علم باقان التصوير وأمر أن تستد عليه الابواب وأن تطل بما ذكرنا من الاطلية وأمر بركيين عظيمين فأخرجوا الى طرفة البحر وعلق في التابوت من اسفله منقلا الرصاص والحديد والحجارة لتتوى بالتابوت سفلاً وجعل التابوت بين المركبين وألصقهما بخشب بينهما ثلايفتراً وشد حبال التابوت الى المركبين وطول حباله فغاص التابوت حتى انتهى الى قرار البحر فنظروا الى دواب البحر وحيواته من ذلك الزجاج الشفاف في صفاء ماء البحر فاذا بصور الشياطين على مثال الناس وفيهم من له مثل رؤس السباع وفي أيديهم القوس مع بعضهم وفي أيدي بعضهم المناشير والمقامع يحكون بذلك صناع المدينة والفعلة وما في أيديهم من آلات البناء فأبنت الاسكندر ومن معه تلك الصور وحكوها بالتصوير في القراطيس على اختلاف انواعها ونشوه خلقها وقدودها ثم حرك الجبال فلما أحس بذلك من في المركبين جذبوا الجبال واخرجوا التابوت فخرج الاسكندر وأمر صناع الحديد والنحاس والحجارة فعملوا تماثيل تلك الدواب على ما صور فلما فرغوا منها وضعت على العمدة بشاطئ البحر ثم أمرهم فبنوا فلما جرت الليل ظهرت الدواب والآفات من البحر فنظرت الى صورها على العمدة مقابلة الى البحر فرجعت ولم تعد بعد ذلك فبنيت الاسكندرية وشيدت وأمر الاسكندر أن يكتب على ابواب هذه الاسكندرية أردت أن

أنيهم على الفلاح والنجاح والبن والسعادة والسرور والثبات في الدهور ولم يرد الباري عز وجل ملك السموات والأرض ومعنى الامم أن يشبها كذلك فبنيتها وأحكمت بنائها وشيدت سورها وآتاني الله عز وجل من كل شيء علما وحكمة وسهل لي وجوه الأسباب فلم تعذر علي في العالم شيء مما أردته ولا امتنع عني شيء مما طلبته لطف من الله عز وجل وصنع عالى وصلاحة لعباده من اهل عصرى والحمد لله رب العالمين لا اله الا هو رب كل شيء ورسم بعده هذه الكتابة كل ما يحدث بيلايه من الاحداث بعده في مستقبل الزمان من الاوقات والعمران والخراب وما يؤول امرها اليه الى وقت دنور العالم * (وكان بناء الاسكندرية طبقات وتحتها قناطر مقطرة عليها دور المدينة يسير تحتها القارس ويده مرجح لا تضيق به حتى يدور جميع تلك الأراج والقناطر التي تحت المدينة وقد عمل لتلك العقود والأراج مخاريق ومنفسات للغياء ومنافذ للهواء وقد كانت الاسكندرية تضي بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمر وكانت اسواقها وشوارعها وأزقة مقطرة كلها لا يصيب اهلها شيء من المطر وكان عليها سبعة اسوار من انواع الحجارة المختلفة الالوان بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول وربعا تعلق في المدينة شقاق الحرير الاخضر لا تخطاف بياض الرخام أبصار الناس لشدة بياضه فلما أحكم بناءها وسكنها اهلها كانت آفات البحر وسكانه على مازعم الاخباريون من المصريين والاسكندريين تحتفظ بالليل اهل المدينة فيصبحون وقد فقد منهم العدد الكثير فلما علم بذلك الاسكندر اتخذ الطلسمات على اعمدة هنالك تدعى المسال وهي باقية الى هذه الغاية كل واحد من هذه الاعمدة على هيئة السرو وطول كل واحد منها ثمانون ذراعا على عمد من نحاس وجعل تحتها صورا وأشكالاً وكتابة * قال مؤلفه رحمه الله فيما تقدم من حكاية ابن وصيف شاه ما يتبين به وهم ما نقله المسعودى من أن الاسكندر هو الذى عمل التابوت حتى صوروا أشكال حيوانات البحر فان ابن وصيف شاه اعرف بأخبار أهل مصر وكذلك ما ذكره المسعودى من أن المسال من عمل الاسكندر وهم أيضا بل هذه المسال هي المنابر التي كان يتور عليها والأعلام التي كانت ملوك مصر القدماء تنصبها وهي من أعمال ملوك القبط الاول ومن أعمال الفراعنة الذين ملكوا مصر من قديم الزمان

* (نذكر الاسكندر) *

هو الاسكندر بن فليش بن آمنه (ويقال آمناس) بن هرقلش (ويقال هرقل) الجبار الذى هو ابن الاسكندر الاعظم ولى ابوه فليش الملك في بلاد مقدونية (ويقال مقدونية) خسا وعشرين سنة استنبت فيها ضربا من المكر واستدع انواعا من الشر تقدم فيها كل من ولى الملك بها قبله * وكان في اول امره قد جعل له أخوه الاسكندر رهينة عند أمير من الروم فأقام عنده ثلاث سنين وكان فيلسوفا تعلم عنده ضروب الفلسفة فلما قتل أخوه الاسكندر اجتمع الناس على تولية فليش فولوه أميرا فقام في السلطان مقاما عظيما فخارب الروم وغلب عليهم ومضى الى البرية فقتل بها من الناس ألفا وغلب على مدائن فاجتمع له جمع لا يقاود جيش لا يرام فأذل جميع الروم ونهبت عنده في بعض الحروب وغمر البلدان والمدائن عمارة وهدمها وسبها واتها بانها جميع اهل بلاد الروم وعبي عسكريا فيه مائتا ألف راجل وخمسون ألف فارس سوى من كل فيه من اصحابه المقدونيين ومن غيرهم من اجناس اليونانيين يريد غزو الفرس * فينها ويجمع هذا الجمع نظر في تزويج ابنته يقال لها قنوطره من ختنه أخى امرأته وخال ولده الاسكندر وجلس قبل العرس يومين يتحدث قواده اذ سئل عن اى الموتات احق أن يمتهاها الانسان فقال الواجب على الرجل القوى الظافر المجرب يريد نفسه أن لا يتنى الموت الابا بالسيف فجأة لتلا يعذبه المرض وتحل قوته الاوجاع فجعل له ما تمنى في ذلك العرس وذلك أنه حضر لعا كان على الخيل بين ولده الاسكندر وخنه الاسكندر فينها هو في ذلك غافله أحد أحداث الروم بطعنة فقتله بها نائرا نأبيه عندما تمكن منه منفردا فولى الاسكندر الملك بعد أبيه فليش وكان اول شيء اظهر فيه قوته وعزمه في بلاد الروم وكانوا قد خرجوا عن طاعة المقدونيين الى طاعة الفرس فدرسهم واستأصلهم وخرب مدنها وجعلهم سبيامبيعا وجعل سائر بلادهم وكورهم تؤدى اليه الخراج ثم قتل جميع أختانه واكثر أقاربه في وقت تعبته لمحاربة الفرس وكان جميع عسكريه اثنين وعشرين ألف فارس وستين ألف راجل وكانت مزأكبه خمسمائة مركب وثمانين مركبا فترك بهذه العدة كبار ملوك الدنيا وسار الى الاسكندرية

ودخل بيت المقدس وقرب فيه لله تعالى قربانا وخرج يريد محاربة دارا وكان في عسكر دارا ملك الفرس في أول ملاقاته اياه ستمائة ألف مقاتل فغلبه الاسكندر وكانت اذ ذاك على الفرس وقعة شنعاء ونكبة دهياء قتل فيها منهم عدد لا يحصى ولم يقتل من عسكر الاسكندر الا مائة وعشرون فارسا وتسعون راجلا * ومضى الاسكندر ففتح مدائن واتهب ما فيها فبلغه أن دارا قد عبي وأقبل نحوه بجميع عظيم نخاف أن يلحقه في ضيق الجبال التي كان فيها فقطع نحواً من مائة ميل في سرعة عجبية حتى بلغ مدينة طرسوس وكاد يهلك لفرط البرد حتى انقبض عصبه فلاقاه دارا في ثلثمائة ألف راجل ومائة ألف فارس فلما التقى الجمع ان كاد الاسكندر يفر لكثرة ما كان فيه دارا وقلة ما كان فيه ووقع القتال بينهما وبأشر القواد الحرب بأنفسهم وتنازل الابطال واختلف الطعن والضرب وضاق القضاء بأهل فباشر كلا الملكين الحرب بأنفسهم مادارا والاسكندر وكان الاسكندر اكل اهل زمانه فروسية واشجعهم وأقواهم جسماً فباشر احدى جرا جميعاً وتعادى الحرب بينهما حتى انهزم دارا ونزلت الوقعة بالفرس فقتل من راجلهم نحو من ثمانين ألفاً ومن فرسانهم نحو من عشرة آلاف وأسر منهم نحو من اربعين ألفاً ولم يسقط من عسكر الاسكندر الا مائتان وثلاثون راجلاً ومائة وخمسون فارساً فاتهب الاسكندر جميع عسكر الفرس وأصاب فيه من الذهب والفضة والامثلة الشريفة ما لا يحصى كثرة وأصيب من جملة الاسارى أم دارا وزوجته واخوته وابنتاه فطلب دارا من الاسكندر فديتهن بنصف ملكه فربح به الى ذلك فعبي دارا مرة ثالثة وحشد الفرس عن آخرهم واستجاش بكل من قدر عليه من الامم فبعث الاسكندر قائداً في أسطول للغارة على بلاد الفرس ومضى الاسكندر الى الشام فلقاه هنالك ملوك الديار خاضعين له فعفا عن بعض ونفى بعضا وقتل بعضا ومضى الى احرار طرسوس وكانت مدينة زاهرة قديمة عظيمة الشأن وأهلها قد وثقوا بعبود اهل افرية لهم لصهر كان بينهم فحاصروهم فيها حتى افتتحها ومضى منها الى رودس وإلى مصر فاتهب الجميع وبني مدينة الاسكندرية بأرض مصر وقال هرودوتس وله في بنائها أخبار طويلة وسياسات كرهنا تطويل كتابها * ثم ان دارا المايس من مصالحته أقبل في أربع مائة ألف راجل ومائة ألف فارس فالتقى الاسكندر مبعثاً من ناحية مصر في أعمال مدينة طرسوس فكانت بينهما معركة عجبية شنيعة اجتهدا من الروم على ما كانوا خبروه واعنادوا من الغلبة والظفر واجتهدا من الفرس بالتوطين على الهلاك وتفضيل الموت على الرق والعبودية فقلما يحكى عن معركة كان القتل فيها اكثر منه في تلك المعركة فلما نظر دارا الى أصحابه يتغلب عليهم ويهزمون عزم على استئجال الموت في تلك الحرب بالمباشرة لها بنفسه والصبر حتى يقتل معترضاً للقتل فلطف به بعض قواده حتى سلوه فانهم وذبحت قوة الفرس وعزهم وذل بعدد اسلحتهم وصار بلد المشرق كله في طاعة الروم وانقطع ملك الفرس مدة أربع مائة عام وخمسين عاماً واشتغل الاسكندر بتحصيل ما أصاب في عسكر الفرس والنظر فيه وقسمته على عسكره ثلاثين يوماً ثم مضى الى مدينة الفرس التي كانت رأس مملكتهم والتي اجتمعت فيها اموال الدنيا ونعمها فهدمها ونهب ما فيها فبلغه عن دارا أنه صار عند قوم مكبلاً في كبول من فضة قتيلاً وخرج في ستة آلاف فوجده بالطريق مجروحاً جراحات كثيرة فلم يلبث أن هلك منها فأظهر الاسكندر الحزن عليه والمرثية له وأمر بدفنه في مقابر الملوك من اهل مملكته وكان في أمر هذه الثلاث معارك عبرة لمن اعتبر ووعظ لمن اتعظ اذ قتل فيها من اهل مملكة واحدة نحو من خمسة عشر ألف ألف بين راجل ورجل من اهل بلاد آسيا وهي العراق وقد كان قتل من اهل تلك المملكة قبل ذلك بنحو من ستين سبعة نحو تسعة عشر ألف ألف الى ألف ألف ما بين راجل ورجل من اهل بلاد العراق والشام وطرسوس ومصر وجزيرة رودس وجميع البلدان الذين درهمهم الاسكندر أجمعين وكان سلطان الدنيا مقسوماً بين قواده بعدد ما نزل به واهبه العظيمة العالم كله وعم اهل بعضا بالمالا القضيعة وبعضا بالتوطين عليها والمباشرة لاهوالها وأوصى عند وفاته أن يلقب كل قائم في اليونانيين بعده ببطليموس ثمويلاً للاعلاء لآل معناه الحربى فهذا هو الصحيح من خبر الاسكندر فلا يلتفت الى ما خالفه * ويقال انه كان أشقر أزرق وهو أول من سمر بالليل وكان له قوم يضحكونه ويحكونه له انحرافات يريد بذلك حفظ ملكه وحراسة نفسه لا اللذة به اقمضى الملوك في السمر واتخاذ المضحكين والمخزفين

قال ابو الريحان محمد بن احمد البيروني تاريخ الاسكندر اليوناني الذي يلقبه بعضهم بنبي القرنين على سبيل الروم وعليه عمل اكثر الامم لما خرج من بلاد يونان وهو ابن ست وعشرين سنة لقتال دارا ملك الفرس * ولما ورد بيت المقدس امر اليهود بترك تاريخ داود وموسى عليهما السلام والتحول الى تاريخه فأجابوه وانتقلوا الى تاريخه واستعملوه فيما يحتاجون اليه بعد ان علموه من السنة السادسة والعشرين لميلاده وهو اول وقت تحركه ليتقوا ألف سنة من لدن موسى عليه السلام وبقوا معتصمين بهذا التاريخ ومستمعين له وعليه عمل اليونانيون وكانوا قبله يورخون بخروج يونان بن نوح عن بابل الى المغرب * وأول تاريخ الاسكندر يوم الاثنين اول تشرين الاول وموافق اليوم الرابع من بابه ومبادئ الايام عندهم من وقت طلوع الشمس الى وقت غروبها والى ان يصبح الصباح وتطلع الشمس فقد كل يوم بيليته ومبادئ الشهور ترجع الى عدد واحد له نظم يجري عليه دائما وعدد شهور سنتهم اثنا عشر شهرا يخالف بعضها بعضا في العدد وهذه أسماءها وعدد أيام كل شهر منها (تشرين الاول) أحد وثلاثون يوما (تشرين الثاني) ثلاثون يوما (كانون الاول) أحد وثلاثون يوما (كانون الثاني) أحد وثلاثون يوما (شباط) ثمانية وعشرون يوما (آذار) أحد وثلاثون يوما (نيسان) ثلاثون يوما (ايار) أحد وثلاثون يوما (حزيران) ثلاثون يوما (تموز) أحد وثلاثون يوما (آب) أحد وثلاثون يوما (أيلول) ثلاثون يوما فسبعة أشهر كل شهر منها أحد وثلاثون يوما وأربعة أشهر كل شهر منها ثلاثون يوما وشهر واحد ثمانية وعشرون يوما ورابع يوم وذلك انهم جعلوا شباط كل ثلاث سنين متواليات ثمانية وعشرين يوما وجعلوه في السنة الرابعة تسعة وعشرين يوما فيكون عددا أيام سنتهم ثلثمائة وخمسة وستين يوما ورابع يوم ويجعلون السنة الرابعة ثلثمائة وستة وستين يوما ويسمون السنة الكبيسة وانما زادوا الرابع في كل سنة ليقترب عدد أيام سنتهم من عدد أيام السنة الشمسية حتى تبقى امورهم على نظام واحد فتكون شهور البرد وشهور الحار وأوان الزرع ولقاح الشجر وجنى الثمر في وقت معلوم من السنة لا يتغير وقت شيء من ذلك البتة وكان ابتداء الكبيس في السنة الثالثة من ملك الاسكندر وبين يوم الاثنين اول يوم من تاريخ الاسكندر هذا وبين يوم الخميس اول شهر المحرم من السنة التي هاجر نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة تسعمائة سنة وثلاث وثلاثون سنة ومائة وخمسة وخمسون يوما وبين يوم الجمعة اول يوم من الطوفان ألف سنة وسبع مائة سنة واثنان وتسعون سنة ومائة وثلاثة وتسعون يوما وبين ابتداء ملك بخت نصر وبين اول تاريخ الاسكندر أربع مائة وخمس وثلاثون سنة شمسية وما تاليوم وثمانية وثلاثون يوما * وقال ابو بكر احمد بن علي بن قيس بن وحشية في كتاب الفلاحة النبوية الشهر المسمى تموز فيما ذكر القبط بحسب ما وجدت في كتبهم اسم رجل كانت له قصة عجيبه طويلة وهو أنه دعا ملكا الى عبادة الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر وان الملك قتله وعاش بعد القتل ثم قتله قتلات بعد ذلك فبيضة وفي كلها يعيش ثم مات في آخرها وان شهورهم هذه كل واحد منها اسم رجل فاضل عالم كان في القديم من النبط الذين كانوا مكان اقليم بابل قبل الكسديين وذلك أن تموز هذا ليس من الكسديين ولا الكنعانيين ولا العبرانيين ولا الجرارة ولا النما هو من الحضاريين الاولين ولذلك يقولون في كل شهورهم انها اسماء رجال مضوا وان تشرين الاول والثاني اسماء اخوين كانا فاضلين في العلوم وكذلك كان كانون الاول وكانون الثاني وان شباط اسم رجل تكلم ألف امرأة أبكارا كلهن ولم ينسل نسلا ولا ولد ولا جفاه في آخر الشهور لنقصانه عن النسل فصار النقصان من العدد فيه والصابثون من البابليين والحزناسيين جميعا الى وقتنا هذا ينوحون ويكونون على تموز في الشهر المسمى تموز في عيد لهم فيه منسوب الى تموز ويعتدون تعديدا عظيما وخاصة النساء فانهم يقيمون ههنا جميعا ويصنعون ويكسبون على تموز ويهذبن في أمره ههنا ناطولا وليس عندهم علم من أمره اكثر من أن يقولوا هكذا وجدنا اسلافنا ينوحون ويكونون على تموز في هذا العيد المنسوب الى تموز والتصارى تذكر أنهم يعملونه لرجل يسمى جورجيس أحد حوارى عيسى عليه السلام دعا ملكا من الملوك الى دين النصرانية فعذبه الملك بثلث القتلات فلا أدري وقع الى النصرى قصة تموز فأبدا لوما كان اسم جورجيس وخالقوا الصابثين في الوقت لان الصابثين يعملون ذكران تموز اول يوم من شهر تموز والنصارى يعملون لجورجيس في آخر نيسان ويقال ان بعض ملوك رومية زاد في شهور الروم كانون الثاني وشباط فان شهورهم كانت الزمانه عشرة أشهر كل شهر

سنة وثلاثون يوما * ويقال ان فيوفوس اول من ملك مدينة رومية وانه اقام ملكا ثلاثا واربعين سنة وزاد
 كانون الثاني وشباط في شهر الروم بحكم انها كانت الى ذلك الزمان عشرة اشهر كل شهر ستة وثلاثون يوما وكان
 سبب قص شباط يومين وقوع غارة في ايام فيطن رئيس جيش الروم مع خلف وحروب بينه وبين فروروريوس آلت
 الى نصرة فيطن واخذ مملكة الروم وامر بفروروريوس فنودي عليه اعيامه ديا وتفسيره اخرج يا شباط ثم غرق
 في البحر وسما شهر شباط فروروريوس ليكون تذكار سوء له فان هذا الفعل كان في يوم التاسع والعشرين
 والثلاثين من شباط فنقصوهما من شباط وزادوهما في تموز وكانون الثاني فجعلوا كل شهر منهم احدى وثلاثين
 يوما ثم بعد زمان جاء ملك آخر فقال لا يحسن أن يكون شباط في وسط السنة فنقله الى آخرها ولم يزل
 الروم من ذلك الوقت يتطيرون من شباط

* ذكر الفرق بين الاسكندر وذى القرنين وانهم ارجلان *

اعلم أن التحقيق عند علماء الاخبار أن ذا القرنين الذى ذكره الله في كتابه العزيز فقال ويسألونك عن ذى القرنين
 قل سألوه عنكم منه ذكرا انا مكاله في الارض وآتيناه من كل شئ سبيبا الايات عربى قد كثر ذكره في أشعار
 العرب وأن اسمه الصعب بن ذى مرثد بن الحارث الراس بن الهسبال ذى سد بن عاد ذى مخ بن عامر الملقاط
 ابن سكسك بن وائل بن جبر بن سبأ بن شجب بن يعرب بن قحطان بن هود بن عابر بن شالح بن ارغش بن سام بن
 نوح عليه السلام وانه ملك من ملوك جبر وهم العرب العاربة ويقال لهم ايضا العرب العرباء وكان ذوا القرنين تبعا
 متوجا لماولى الملك تجبر ثم نواضع قه واجتمع بالخضر وقد غلط من ظن أن الاسكندر بن فلينش هو ذوا القرنين
 لذى بنى السد فان لفظة ذو عربية وذوا القرنين من ألقاب العرب ملوك اليمن وذلك روى يوناثى قال ابو جعفر
 الطبرى وكان الخضر في ايام افريدون الملك بن الضحالك في قول عامة علماء اهل الكتاب الاول وقبل موسى بن
 عمران عليه السلام وقيل انه كان على مقدمة ذى القرنين الاكبر الذى كان على ايام ابراهيم الخليل عليه السلام
 فان الخضر بلغ مع ذى القرنين ايام مسيره في البلاد نهر الحياة فشرب من مائه وهو لا يعلم به ذوا القرنين ولا من معه
 فخلد وهو حي عندهم الى الآن وقال آخرون ان ذا القرنين الذى كان على عهد ابراهيم الخليل عليه السلام هو
 افريدون بن الضحالك وعلى مقدمته كان الخضر * وقال ابو محمد عبد الملك بن هشام في كتاب التيجان في معرفة
 ملوك الامان بعد ما ذكر نسب ذى القرنين الذى ذكرناه وكان تبعا متوجا لما الى الملك تجبر ثم نواضع واجتمع بالخضر
 بيت المقدس وسار معه مشارق الارض ومغاربها وأوى من كل شئ سبيبا كما اخبر الله تعالى وبني السد على
 يا جوج وما جوج ومات بالعراق * وأما الاسكندر فانه يوناثى ويعرف بالاسكندر المجدونى (ويقال المقدونى)
 سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن ذى القرنين من كان فقال من جبر وهو الصعب بن ذى مرثد الذى مكنه الله
 تعالى في الارض وآناه من كل شئ سبيبا فبلغ قرنى الشمس ورأس الارض وبني السد على يا جوج وما جوج
 قيل له فالاسكندر قال كان رجلا صالحا روميا حكيميا بنى على البحر في افريقية منار او أخذ أرض رومية وأتى بحر
 الغرب وأكثر عمل الاثمار في الغرب من المصانع والمدن * وسئل كعب الاحبار عن ذى القرنين فقال الصحيح
 عندنا من اخبارنا وأسلافنا انه من جبر وانه الصعب بن ذى مرثد والاسكندر كان رجلا من يونان من ولد
 عيصو بن اسحق بن ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهم ما ورجال الاسكندر أدرى كوا المسيح ابن مريم
 عنهم جالينوس وأرسطاطليس * وقال الهمداني في كتاب الانساب وولد كهلان بن سبأ زيدا فولد زيدا زيدا
 ومالكوا وغالبوا وعيمكرب وقال الهيثم عيمكرب بن سبأ أخو جبر وكهلان فولد عيمكرب أبا مالك فدرحا
 ومهليل بن عيمكرب وولد غالب جنادة بن غالب وقد ملك بعد مهليل بن عيمكرب بن سبأ وولد عريب عمرا فولد
 عمرو زيدا والهميسع ويكنى أبا الصعب وهو ذوا القرنين الاول وهو المساح والبناء وفيه يقول النعمان بن بشير
 فمن ذابعد نادى الناس معشرا * كراما وذوا القرنين منا وحام

وفيه يقول الحارثي

سموا لنا واحدا منكم فنعرفه * في الجاهلية لاسم الملك محمدا
 كالتبعين وذى القرنين يقيه * اهل الحلي فأحق القول ما قبلنا
 وفيه يقول ابن ابى ذئب الخزاعي

ومنا الذي بالخافقين تغربا * واصعد في كل البلاد وصوبا
فقد نال قرن الشمس شرقا ومغربا * وفي ردم بأجوج بني ثم نصبا
وذلك ذو القرنين تفخر حجير * بعسكر قبل ليس يحصى فيحسبا

قال الهمداني وعلماء همدان تقول ذو القرنين الصعب بن مالك بن الحارث الاعلى بن ربيعة بن الجبار بن مالك
وفي ذي القرنين اقاويل كثيرة وقال الامام فخر الدين الرازي في كتاب تفسير القرآن الكريم ومما يعترض به
على من قال ان الاسكندر هو ذو القرنين ان معلم الاسكندر كان ارسطاطاليس بأمره ياتر وبنهيه ينهى
واعتقاد ارسطاطاليس مشهور وذو القرنين نبى فكيف يقتدى نبى بأمر كافر في هذا الاشكال * وقال
الملاحظ في كتاب الحيوان ان ذا القرنين كانت أمه آدمية وابوه من الملائكة ولذلك لما سمع عمر بن الخطاب رضى
الله عنه رجلا ينادى رجلا يذا القرنين قال افرغتم من اسماء الانبياء فارفعتم الى اسماء الملائكة وروى المختار
ابن ابي عبيد ان عليا رضى الله عنه كان اذا ذكر ذا القرنين قال ذلك الملك الامرط والله اعلم

* (ذكر من ولي الملك بالاسكندرية بعد الاسكندر) *

قال في كتاب هرودوتس ان الاسكندر ملك الدنيا اتقى عشرة سنة فكانت الدنيا ماسورة بين يديه طول ولايته
فلما مات تركها بين يدي قواده المستخلفين تحته فكان مثله معهم كمثل الاسد الذي ألقى صيده بين يدي اشباله
فتقاتلت عليه تلك الاشبال بعده وذلك انهم اقساموا البلاد فصارت مصر وافريقية كلها وبلاد الغرب الى فائده
وصاحب خيله الذي ولي مكانه وهو بطليموس بن لاوى ويقال بطليموس بن اربا المنطقى وذكر بقية ممالك القواد
من اقصى بلاد الهند الى آخر بلاد المغرب ثم قال فنارت بينهم حروب وسدوها رسالة فكانت خرجت من عند
الاسكندر بأن يرجع جميع الغرباء المنفيين الى بلادهم ويسقط عنهم الرق والعبودية فاستنقل ذلك ملك بلاد الروم
اذخاف أن يكون الغرباء والمنفيون اذ ارجعوا الى بلادهم ومواطنهم يطالبون النعمة لانفسهم فكان هذا
الامر سبب خروجه عن طاعة سلطان المجدونيين * وقال غيره وبطليموس هذا سبى بنى معتد به ما غزا فلسطين
ثم اطلقهم وجباهم بأثمة جوهر وضعت في بيت المقدس وملك عشرين سنة وقال غيره ولى اربعين سنة
وقيل ثمانيا وثلاثين سنة وقيل ان اسمه فيلدفوس وهو محب الاب وكان مجدونيا وهو الذى غنم اليهود
وقتل كثير منهم الى مصر وفي زمانه كان زينون الفيلسوف وكان هذا الملك فيلسوفا وأقبل برديقا أحد
قواد الاسكندر الى مصر بعسكر عظيم وجيش عرمرم فتفرق سلطان مجدونية على قسمين ثم ان بطليموس
جمع عساكر مصر وافريقية ولاقى برديقا فهزمه وأصاب عسكره ثم قتله وأصاب ما كان معه وحارب عدة
من قواد الاسكندر * وقال غيره وكان بطليموس هذا حكيما عالما شاملا بامدبر او هو أول من ابقى البزاة ولعب
بها وضراها وكان من قبله من الملوك لا يلعب بها * ولما مات ملك الاسكندرية بعده بطليموس الثانى واسمه
فيلوذوفوس ويقال له محب الاخ وكانت مدة ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وهو الذى أطلق اليهود الذين كانوا
مأسورين بأرض مصر ورد الاواني المقدسة على عزيز النسي وهو الذى تخير السبعين مترجما من علماء
اليهود الذين ترجوا كتب التوراة والانبياء من اللسان العبرانى الى اللسان الرومى اليونانى واللاتينى وكان
فيلسوفاً منجما ومات فولى بعده ابنه بطليموس اوراخيطة المعروف بمحب الاب ستا وعشرين سنة * ثم ولى
بعده أخوه بطليموس فيلو بطور سبع عشرة سنة وهو الذى قتل من اليهود نحو اثنى عشر ألفا وغلب
عليهم ويقال انه صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطى * ثم ملك بعده ابنه بطليموس أسفنديش
محب الام أربعاً وعشرين سنة * ثم ولى بعده ابنه بطليموس فلوناطره وهو الصانع خبسا وثلاثين سنة وهو
الذى غلب ملك الشام وحمل اليهود انواع البلاء والعذاب * ثم ملك الاسكندرية بعده ابنه بطليموس ابرياطش
وهو الاسكندر الثانى تسعاً وعشرين سنة وفي زمانه غلب الرومانيون على الاندلس واحترفت مدينة
قرطاجنة بالنار وأقامت النار فيها سبعة عشر يوماً فهدمت وحولت أساساتها حتى صار رخام أسوارها
غبارا وذلك الى تسعمائة سنة من وقت بنائها ويبيع جميع اهلها رقيقا الا قليلا من خيارهم وأشرفهم وكان
المتولى لتخريبها قواد رومة * ثم ولى بعده ابنه بطليموس شوطار الذى يقال له الحديدي سبع عشرة سنة وكان
فبيح السيرة تزوج باخته ثم فارقها على أفعج حال مما تزوجها عليه في خبره ثم تزوج ربيته التى كانت بنت

أخته ثم تزوجها من ابنه المولود له من اخته وكثرت فواحيه حتى نفاها أهل الاسكندرية لخات منقيا * وولى أخوه بطليموس الاسكندر وهو الخوالع عشر سنين * ثم ولى بعده ابنه بطليموس ديونيش ثمانيا وثلاثين سنة وفي زمانه غلب قائد الرومانيين على بيت المقدس وجعل اليهود يؤدون اليه الجزية * وظهرت في ذلك الزمان علامات في السماء مهولة منها انه ظهر في السماء بناحية مطلع الشمس من مدينة رومة مما يلي ناحية الجنوب نار ملتبة عظيمة وكسرقوم خبزا في صنع لهم فانفجر من الخبز دم سائل ونزل بمدينة رومة مدة سبعة ايام متواليه برد كان يوجد في داخله حجارة وشقاف وانفتحت الارض فصارت فيها غور عظيم وخرج منه لهب اشتعل حتى ظنوه بلغ السماء ونظر أهل رومة يومئذ الى عود من الارض الى السماء لونه لون الذهب وكان من عظمته تكاد الشمس أن تغيب منه * ثم ولى الاسكندرية بعده كلوباطرة ستين فدامت مملكة الاسكندرية وهي الدولة المجدونية الى اول ملوك قيصر الذي هو اول ملوك الرومانيين مائتين واحدى وعشرين سنة فبعث قيصر قائدين بهما كثرية لفتح مصر فتزوج أحدهما كلوباطرة ابنة ديونيش الملقب بطليموس وقتل القائد الآخر وخالف قيصر فسار اليه قيصر بنفسه وجرت امور آلت الى فتح الاسكندرية بعد حروب واستولى قيصر على مملكة مصر وقتل كلوباطرة وولدها وقتل القائد الذي تزوجها ويقال بل سميت نفسها عند ما بقيت غلبة قيصر لها ويقال انها كانت ذات حزم ومعرفة وتدبير وانما حفرت خليج الاسكندرية وأجرت فيه الماء من مصر وبنت بالاسكندرية أبنية عجيبه منها هيكل زحل وعملت فيه صنمان نحاس اسود وكان أهل مصر والاسكندرية يعملون له عيدا في اليوم الثاني والعشرين من هاتور ويحج اليه اليونانيون من سائر الاقطار ويذبحون له ذبائح لا تحصى فلما ظهرت مله النصراني في الاسكندرية جعلوا هيكل زحل كنيسة ولم تزل الى أن هدمها جيوش المعزدين الله عند قدومهم من المغرب الى أرض مصر في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة من سني الهجرة النبوية * ويقال ان كلوباطرة هي التي بنت حائط العجوز بمصر ويشبه أن يكون هذا غير صحيح ويقال انها بنت مقياسا بمدينة اخميم ومقياسا آخر بأصنا ويقال كانت مدة ملكها ثلاثين سنة وليس بصحيح وبموت كلوباطرة انقطعت مملكة مصر وصارت تحت يد ملوك الروم من أهل مدينة رومة ثم تحت يد ملوك الروم من أهل قسطنطينية فلم تزل تحت أيديهم يولون فيها من قبلهم من شاءوا فيصير الى الاسكندرية ويقوم بها الى أن قدم عمرو بن العاص بالمسلمين وفتح الله على يده الحصن والاسكندرية وجميع أرض مصر ويقال معنى كلوباطرة الباككية فكان جميع المدة التي ما بين ذهاب دولة البطالسة من الاسكندرية وقدوم عمرو بن العاص الى مصر وفتحها ستائة سنة وبضعا وسبعين سنة وفي خلال هذه المدة قوى جانب ملوك الفرس على القيصرية وملكوا منهم بلاد الشام واستولوا على أرض مصر والاسكندرية في أيام كسرى أبرويز بن هرمز فبعث قائدا الى مصر وملك الاسكندرية وقتل الروم وأقاموا بالاسكندرية مدة عشر سنين فلما استبدها رقل بمملكة الروم وخرج من القسطنطينية لجمع الاموال من سائر مملكته اخذ حياه ودمشق وسار الى بيت المقدس وقد خربها الفرس فأمر ببنائها وسار منها الى أرض مصر ودخل الاسكندرية وقتل من بها من الفرس وأقام بها بطريقا ثم عاد الى قسطنطينية فاستمرت مصر بعد تحت ايلة الروم حتى ملكها المسلمون ويقال ان كل بناء بمصر من أجزائه وللفرس وما فيها من بناء حجر فهو للروم والله أعلم

* (ذكر منارة الاسكندرية) *

قال المسعودي فأما منارة الاسكندرية فذهب الاكثرون من المصريين والاسكندرانيين عن أخبار بلدهم أن الاسكندر بن فيليب المقدوني هو الذي بناها ومنهم من رأى أن دلوكة الملكة بنتها وجعلتها مرقبة لمن يرد من العدو الى بلدهم ومن الناس من رأى أن العاشر من فراعنة مصر هو الذي بناها ومنهم من رأى أن الذي بنى مدينة رومة هو الذي بنى مدينة الاسكندرية ومنارتها والاهرام بمصر وانما اضيفت الاسكندرية الى الاسكندر لشهرته باستيلائه على الاكثر من ممالك العالم فظهرت به وذكروا في ذلك أخبارا كثيرة يستدلون بها على ما قالوا والاسكندر لم يطرقه في هذا البحر عدو ولا هاب ملكا يرد اليه في بلده ويفرضه في داره فيكون هو الذي جعلها مرقبا وان الذي بناها جعلها على كرسى من الزجاج على هيئة السرطان في جوف البحر وعلى طرف اللسان الذي هو داخل في البحر من البر وجعل على أعلاها تماثيل من النحاس وغيره منها تمثال قدأشار بسبابته من يده

اليمنى نحو الشمس اينما كانت من الفلك واذا علت في الفلك فأصبغه يشير بها نحوها فاذا انخفضت صارت يده
سفلا تدور معها حيث دارت ومنها تمثال يشير بيده الى الجبر اذا صار العدومنه على نحو من ليلة فاذا دنا وجاز أن
يرى بالبصر اقرب المسافة سمع لذلك التماس صوت هائل يسمع من مسيرة ميلين او ثلاثة فيعمل اهل المدينة أن
العدو قد دنا منهم فيمقهونه بأبصارهم ومنها تمثال كلما مضى من الليل والتمار ساعة سمعوا له صوتا بخلاف
ما صوت في الساعة التي قبلها وصوته مطرب * وقد كان ملك الروم في ملك الوليد بن عبد الملك بن مروان أنفذ
خادما من خواص خدمه ذارأى ودهاء نجاء مستأمننا الى بعض الثغور فوردبأ له حسنة ومعه جماعة نجاء
الى الوليد فأخبره أنه من خواص الملك وانه أراد قتله لموجدة وحال بلغته عنه لم يكن لها اصل وانه استوحش
ورغب في الاسلام فأسلم على يد الوليد وتقرّب من قلبه وتنصح اليه في دفاث استخرجها له من بلاد دمشق وغيرها
من الشام يكتب كانت معه فيها صفات تلك الدفاث فلما صارت الى الوليد تلك الاموال والجواهر شرهت نفسه
واستحكمت طمعه فقال له الخادم يا امير المؤمنين ان هاهنا اموالا وجواهر ودفاث للملوك فسأله الوليد عن الخبر
فقال تحت منارة الاسكندرية اموال ملوك الارض وذلك أن الاسكندرا احتوى على الاموال والجواهر التي
كانت لشذا بن عاد وملوك مصر فبقى لها ازجاحت الارض ونظر لها الاقباء والقناطر والسراديب وأودعها
تلك الذخائر من العين والورق والجواهر وبني فوق ذلك هذه المنارة وكان طولها في الهواء ألف ذراع والمرأة في
علومه والبدابة جلوس حوله فاذا انظروا الى العدو في البحر في ضوء تلك المرأة صرخوا بالمرأة فاعلموا
فيها من بعد منهم فتحذر الناس وتنذر البلد فلا يكون للعدو عليهم سبيل فبعث الوليد مع الخادم بجيش
واناس من ثقاته وخواصه فهدم نصف المنارة من اعلاها وازيلت المرأة فضج الناس من هذا وعلموا انها مكيدة
وحيلة في امرها فلما علم الخادم استفاضة ذلك وانه سينبئ الى الوليد وانه قد بلغ ما يحتاج اليه هرب في الليل
في مركب كان قد أعدّه وواطأ على ذلك فتمت حيلته وبقيت المنارة على ما ذكرنا الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين
وثلاثين وثلاثمائة وكان حوالى منارة الاسكندرية في البحر مغاص يخرج منه قطع من الجوهر يتخذ منه فصوص
للخواتم انواعا من الجواهر يقال ان ذلك من آلات اتخذها الاسكندرا للشراب فلما ماتت كسرتها أمه ورمت بها
في تلك المواضع من البحر ومنهم من رأى أن الاسكندرا اتخذ ذلك النوع من الجواهر وغرقه حول المنارة لكيلا
يتخلو من الناس حوالها الا من شأن الجوهر أن يكون مطلوبا أبدا في كل عصر ويقال ان هذه المنارة انما
جعلت المرأة في اعلاها لان ملوك الروم بعد الاسكندرا كانت تحارب ملوك مصر والاسكندرية فجعل من كان
بالاسكندرية من الملوك تلك المرأة ترى من يرد في البحر من عدوهم وكان من يدخلها يتيه فيها الا أن يكون عارفا
بالدخول والخروج فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها ومرتباتها وقد ذكر أن المغاربة حين وافوا في خلافة المقتدر
في جيش صاحب المغرب دخل جماعة منهم على خيولهم الى المنارة قناها وافيها وفي طرق توول الى مهاوتهم وى
الى السرطان الزجاج وفيه مخارق الى البحر فتهورت دوابهم وقعد منهم عدد كثير وعلم بهم بعد ذلك وقيل ان
تهوّرهم كان على كرسى لها قد اقامها وفي المنارة مسجد في هذا الوقت يرا بفيه مطوعة المصريين وغيرهم
وفي سنة سبع وسبعين وسبع مائة سقط راس المنارة من زلزلة ويقال ان منارة الاسكندرية كانت مبنية بحجارة
مهندمة مضببة برصاص على قناطر من الزجاج وتلك القناطر على ظهر سلطان وكان في المنارة ثلثمائة بيت
بعضها فوق بعض وكانت الدابة تصعد بحملها الى سائر البيوت من داخل المنارة ولهذه البيوت طاقات تشرف
على البحر وكان على الجانب الشرقى من المنارة كناية عزبت فاذا هي بت هذه المنطرة قريبا بت مريئوس
البونانية (صد الكواكب * وقال ابن وصيف شاه وقد ذكر أخبار مصر ايم بن بصير بن حام بن فوح وبنو اعل
الجبرمدان منهار قودة مكان الاسكندرية وجعلوا في وسطها قبة على أساطين من نحاس مذهب والقبة مذهب
ونصبوا فوقها منارة عليها امرأة من اخلاط شتى قطرها خمسة اشبار وكان ارتفاع القبة مائة ذراع فكانوا اذا
قصدهم قاصد من الامم اتى حولهم فان كان مما يهيمهم ومن البحر عملوا تلك المرأة علما نقلت شعاعها على ذلك
الشيء فاحرقته فلم تزل على حالها الى أن غلب عليها البحر ففسدها ويقال ان الاسكندرا انما عمل المنارة لى كان شبيها
بها وقد كان ايضا عليه امرأة يرى فيها من يقصدهم من بلاد الروم فاحتال بعض ملوك الروم فوجه من أزالها
وكانت من زجاج مدبر * وقال المسعودى في كتاب التنبيه والاشراف وقد كان وزير المتوكل عبيد الله بن

يحيى بن خاقان لما أمر المستعين بنفيه الى برقة في سنة ثمان وأربعين ومائتين صار الى الاسكندرية من بلاد مصر
فرأى حمرة الشمس على علو المنارة التي بها وقت المغيب فقد رأى أنه يلزمه أن لا يفطر اذا كان صائماً وتغرب الشمس
من جميع أقطار الارض فأمر اناساً أن يصعدوا الى أعلى منارة الاسكندرية ومعه حجر وأن يتأكل موضع سقوط
الشمس فإذا سقطت رمى بالحجر ففعل الرجل ذلك فوصل الحجر الى قرار الارض بعد صلاة العشاء الآخرة فدخل
افطاره بعد صلاة العشاء الآخرة فيما بعد اذا امام في مثل ذلك الوقت وكان عند رجوعه الى ستر من رأى لا يفطر
الا بعد عشاء الآخرة وعنده أن هذا فرضه وأن الوقتين متساويان وهذا غاية ما يكون من قلة العلم بالفرض
ومجاري الشرق والغرب وقد ذكر اسطاطاليس في كتاب الآثار العلوية أن بناحية المشرق الصفي
جبلان شامخا جدا وأن من علامة ارتفاعه أن الشمس لا تغيب عنه الى ثلاث ساعات من الليل وتشرق عليه قبل
الصبح ثلاث ساعات * ومنارة الاسكندرية أحد بنيان العالم المحيبي بناها بعض البطالسة ملوك اليونانيين
بعد وفاة الاسكندر بن فيليبس الملك لما كان بينهم وبين ملوك رومة من الحروب في البر والبحر فجعلوا هذه المنارة
مرقباً في أعمالها مآة عظيمة من نوع الاحجار المشقة ليشاهد منها مراكب البحر اذا اقبلت من رومة على مسافة
تجوز الابصار عن ادراكها فكانوا يراعون ذلك في تلك المآة فيستعدون لهم قبل ورودهم وطول المنارة في هذا
الوقت على التقريب مائتان وثلاثون ذراعاً وكان طولها قد بناها نحو مائة وأربع مائة ذراعاً فهدمت على طول
الازمان وترادف الزلازل والامطار لأن بلاد الاسكندرية قطر وليس سبيلها سبيل فسطاط مصر اذا كان
الاعلى عليها أن لا قطر الا اليسير وبنائها ثلاثة اشكال فقريب من النصف واكثر من الثلث مربع الشكل بناؤه
بأحجار بيضاء يكون نحو مائة ذراعاً وعشرة أذرع على التقريب ثم من بعد ذلك ثمن الشكل مبني بالحجر
والحصص نحو من نصف وستين ذراعاً وحواليه فضاء يدور فيه الانسان وأعلىها مدور * وكان احمد بن
طولون رمت شيئاً منها وجعل في أعلاه قبة من الخشب ليصعد اليها من داخلها وهي مبدوعة مربعة بغير درج
وفي الجهة الشمالية من المنارة كتابة برصاص مدفون بقلم يوناني طول كل حرف ذراع في عرض شبر
ومقدارها على جهة الارض نحو من مائة ذراعاً وماء البحر قد بلغ اصلها وقد كان تهتم احادها
الغربية مما يلي البحر فيها ابوالجيش خاويو بن احمد بن طولون وبينها وبين مدينة الاسكندرية في هذا الوقت
نحو من ميل وهي على طرف لسان من الارض قد ركب البحر جنبتيه وهي مبنية على فم ميناء الاسكندرية وليس
بالميناء القديم لأن القديم في المدينة العتيقة لا ترسى فيه المراكب لبعده عن العمران والميناء هو الموضع
الذي ترسى فيه مراكب البحر * وأهل الاسكندرية يخبرون عن اسلافهم انهم شاهدوا بين المنارة وبين البحر نحو
مما بين المدينة والمنارة في هذا الوقت فغلب عليه ماء البحر في المدة اليسيرة وأن ذلك في زيادة قال وتهتم في شهر
رمضان سنة اربع وأربعين وثلاث مائة نحو من ثلاثين ذراعاً من اعاليها بالزلازل التي كانت يلاذ مصر وكثير من بلاد
الشام والمغرب في ساعة واحدة على ما وردت به علينا الاخبار المتواترة ونحن بفسطاط مصر وكانت عظيمة جدا
مهولة عظيمة اقامت نحو نصف ساعة زمانية وذلك لنصف يوم السبت ثمان عشرة ليلة خلت من هذا الشهر وهو
الخميس من كانون الآخر والتاسع من طوبة وكان لهذه المنارة مجمع في يوم خيس العدس يخرج سائر أهل
الاسكندرية الى المنارة من مساكنهم بمآكلهم ولا بد أن يكون فيها عدس فيفتح باب المنارة ويدخله الناس فثم
من يذكر الله ومنهم من يصلي ومنهم من يلهو ولا يزالون الى نصف النهار ثم ينصرفون ومن ذلك اليوم يحترس على
البحر من هجوم العدو * وكان في المنارة قوم مرتبون لوقود النار طول الليل فيقصد ركب السفن تلك
النار على بعد فاذا رأى أهل المنارة ما يريهم اشعلوا النار من جهة المدينة فاذا راها الحرس ضربوا الابواق
والاجراس فيتحرك عند ذلك الناس لمحاربة العدو * ويقال ان المنارة كان بعيداً عن البحر فلما كان في أيام
قسطنطين بن قسطنطين هاج البحر وغرق مواضع كثيرة وكناس عديدة بمدينة الاسكندرية ولم يزل يغلب عليها
بعد ذلك ويأخذ منها شيئاً بعد شيء * وذكر بعضهم أنه قاسه فكان مائتي ذراعاً وثلاثة وثلاثين ذراعاً وهي ثلاث
طبقات الطبقة الاولى مربعة وهي مائة واحدى وعشرون ذراعاً ونصف ذراعاً والطبقة الثانية ممتدة
وهي احدى وثلاثون ذراعاً ونصف ذراعاً والطبقة الثالثة مدورة وهي احدى وثلاثون ذراعاً ونصف ذراعاً *
وذكر ابن جبير في رحلته أن منار الاسكندرية يظهر على ازيد من سبعين ميلاً وأنه ذرع احدى جوانبه الاربعة

في سنة ثمان وسبعين وخمسة فأناف على خمسين ذراعاً وان طول المنار أزيد من مائة وخمسين قامة وفي اعلاه مسجد يتبرك النام بالصلاة فيه * وقال ابن عبد الحكم ويقال ان الذي بنى منار الاسكندرية كلو باطرة الملكة وهي التي ساقط خليجها حتى ادخلته الاسكندرية ولم يكن يبلغها انما كان يعدل من قرية يقال لها كسا قبالة الكبرون حفرة حتى ادخلته الاسكندرية وهي التي بالبط قاعه * ولما استولى احمد بن طولون على الاسكندرية بنى في أعلى المنار قبعة من خشب فأخذتها الرياح وفي أيام الظاهر بيبرس تداعى بعض اركان المنار وسقط فأمر ببناء ما انهدم منه في سنة ثلاث وسبعين وستمائة وبنى مكان هذا القبعة مسجداً وهدم في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعمائة عند حدوث الزلزلة ثم بنى في شهر سنة ثلاث وسبعمائة على يد الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وهو باق الى يومنا هذا والله در الوجهه الدرورى حيث يقول في منار الاسكندرية

وسامية الارجاء تهدي أخطا السرى * ضياء اذا ما خندس الليل أظلم
لبست بها بردا من الانس صافيا * فكان بتدكار الاحبة معلما
وقد ظلتني من ذراها بقبسة * ألا حظ ثياب من صحابي انجما
فخيل أن البحر تحتي غمامة * وأنى قد خفيت في كبد السما
وقال ابن قلاؤس من ابيات

ومنزّل جاوز الجوزاء مرتقيا * كأنما فيه للتسرين اوكار
راسى القرارة ساقى القرع في يده * للنون والنور أخبار واخبار
اطلقت فيه عنان النظم فاطردت * خيل لها في بديع الشعر مضمار
وقال الوزير أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عبدربه

لله در منار اسكندرية كم * يسعوا اليه على بعد من الحدق
من شاخ الاف في عرينه شحم * كأنه باغت في دارة الافق
للمنشآت الجوارى عند رؤيته * كم وقع النوم في أحضان ذى أرق

وقال عمر بن ابي عمر الكندي في فضائل مصر ذكر اهل العلم أن المنارة كانت في وسط الاسكندرية حتى غلب عليها البحر فصارت في جوفه ألا ترى الابنية والاساسات في البحر الى الآن عيانا * وقال عبد الله بن عمرو بن عتبة الدنيا أربعة مرآة كانت معلقة بمنارة الاسكندرية فكان يجلس الجالس تحتها فيرى من بالقسطنطينية وبينهما عرض البحر وذكر الثلاثة

* (ذكر الملعب الذي كان بالاسكندرية وغيره من العجائب)

قال القاضي ومن عجائب مصر الاسكندرية وما بها من العجائب فمن عجائبها المنارة والسواري والملعب الذي كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنة ثم يرمون بأكرة فلا تقع في حجر أحد الملوك مصر وحضر عيدان أعيادهم عمرو بن العاص فوقع الأكرة في حجره فلك البلد به ذلك في الاسلام ثم حضر هذا الملعب ألف ألف من الناس فلا يكون فيهم أحد الا وهو ينظر في وجه صاحبه ثم ان قرئ كتاب سمعوه جميعا ولعب لون من اللعب رأوه عن آخرهم لا يتظامون فيه باكثر من مراتب العلية والسفلية * وقال ابن عبد الحكم فلما كانت سنة ثمان عشرة من الهجرة وقدم عمرو بن الخطاب رضى الله عنه الحامية خلا به عمرو بن العاص واستأذنه في المسير الى مصر وكان عمرو قد دخل في الجاهلية مصر وعرف طرقها ورأى كثرة ما فيها وكان سبب دخوله اياها أنه قدم الى بيت المقدس لتجارة في نفر من قريش فاذا هم بشماس من شمامسة الروم من اهل الاسكندرية قدم للصلاة في بيت المقدس فخرج في بعض جبالها يسبح وكان عمرو يري الله وابل اصحابه وكانت رعية الابل نوبا بينهم فبينما هم و يري الله اذ مر به ذلك الشماس وقد أصابه عطش شديد في يوم شديد الحر فوقف على عمرو فاستسقاءه فسقاه عمرو من قربة له فشرب حتى روى ونام الشماس مكانه وكانت الى جنب الشماس حيث نام حفرة فخرجت منها حية عظيمة فبصر بها عمرو فترع لها بسهم فقتلها فلما استيقظ الشماس نظر الى حية عظيمة قد انجاء الله منها فقال لعمر ما هذه فأخبره عمرو انه رماها فقتلها فأقبل الى عمرو فقبل رأسه وقال قد أحيا في الله بك مرتين مرة من شدة العطش ومرة من هذه الحية فما قدمك هذه البلاد قال قدمت مع اصحاب لي نطلب الفضل في تجارنا فقال له

الشماس وكم ترالك ترجوان نصيب في تجارتك قال رجاءى أن اصيب ما اشتري به بعيرا فاني لا املك الا بعيرين
فأمل أن اصيب بعيرا آخر فتكون ثلاثة أبخرة فقال له الشماس رأيت ذبابة احدثكم بينكم كم هي قال مائة من الابل
فقال له الشماس لسنا اصحاب ابل انما نحن اصحاب دنائير قال تكون ألف دينار فقال له الشماس اني رجل
غريب في هذه البلاد وانما قدمت أصلى في كنيسة بيت المقدس وأسبح في هذه الجبال شهر اجعلت ذلك نذرا على
نفسى وقد قضيت ذلك وأنا اريد الرجوع الى بلادى فهل لك أن تتبعنى الى بلادى ولك على عهد الله وميثاقه
أن أعطيك دينين لأن الله عز وجل احياى بك مرتين فقال له عمرو اين بلادك قال مصر في مدينة يقال لها
الاسكندرية فقال له عمرو لا أعرفها ولم ادخلها قط فقال له الشماس لو دخلتها علمت انك لم تدخل قط مثلها فقال
له عمرو وثنى لى بما تقول ولى عليك بذلك العهد والميثاق فقال له الشماس نعم لك والله على العهد والميثاق أن افي
لك وأن أردك الى اصحابك فقال له عمرو كم يكون مكثى في ذلك قال شهر اطلق معى ذاهبا عشر اوتقيم عندنا
عشرا وترجع في عشر ولك على أن أحفظك ذاهبا وأن أبعث معك من يحفظك راجعا فقال له عمرو أنظرنى
حتى اشاء وأصحبانى في ذلك فانطلق عمرو الى اصحابه فأخبرهم بما عاهد عليه الشماس وقال لهم تقيمون على حتى
ارجع اليكم ولكم على العهد أن أعطيكم شطر ذلك على أن يصحبنى رجل منكم أنس به فقالوا نعم وبعنوا مع رجل
منهم فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس حتى اتوها الى مصر فرأى عمرو من عمارتها وكثرة اهلها وما بها من
الاموال والخير ما أعجبه فقال عمرو للشماس ما رأيت مثل ذلك ومضى الى الاسكندرية فنظر عمرو الى كثرة
ما فيها من الاموال والعمارة وجودة بنائها وكثرة اهلها فازداد عجبها ووافق دخول عمرو الاسكندرية عيدا فيها
عظيما يجمع فيه ملوكهم وأشراقيهم ولهم كورة من ذهب مكالة يتراعى بها ملوكهم وهم يتلقون ابائهم كما هم وفيها
اختبروا من تلك الكورة على ما وصفها من مضي منهم انهم وقعت الكورة في كاه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم
* فلما قدم عمرو والاسكندرية اكرمه الشماس الاكرام كله وكساه ثوب ديباج ألبسه اياه وجلس عمرو والشماس
مع الناس في ذلك المجلس حيث يترامون بالكورة وهم يتلقون ابائهم كما هم فرمى بها رجل منهم فأقبلت تهوى حتى
وقعت في كم عمرو فحجبوا من ذلك وقالوا ما كذبنا هذه الكورة قط الا هذه المرة أترى هذا الاعرابي يملكنا هذا
ما لا يكون أبدا وان ذلك الشماس مشى في اهل الاسكندرية وأعلمهم أن عمرا أحياء مرتين وانه قد ضمن له ألفى
دينار وسألهم أن يجتمعوا ذلك له فيما بينهم ففعلوا ودفعوها الى عمرو فانطلق عمرو وصاحبه وبعث معهما الشماس
دليلا ورسولا وزودهما وأكرمههما حتى رجع هو وصاحبه الى اصحابهما فما بذل ذلك عرف عمرو ومدخل مصر
ونجرجها ورأى منها ما علم انها أفضل البلادوا كثرها مالا فارجع عمرو الى اصحابه دفع اليهم فيما بينهم ألف
دينار وأمسك لنفسه ألفا قال عمرو وكان اول مال اعتقده وتأثله

* (ذكر عود السواري) *

هذا العمود حجر أحمر منقط وهو من الصوان المانع كان حوله نحو أربع مائة عمود كسرها قراجا الى الاسكندرية
في ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب ورماها بشاطئ البحر ليوعر على العدو وسالوك اذا قدموا وبذكر أن
هذا العمود من جملة أعمدة كانت تحمل رواق ارسطاطاليس الذى كان يدرس به الحكمة وانه كان دار علم وفيه
خزانة كتب أخرى عمرو بن العاص بإشارة عمرو بن الخطاب رضى الله عنه ويقال ان ارتفاع هذا العمود
سبعون ذراعا وقطره خمسة اذرع وذكر بعضهم أن طوله بقاعدته اثنتان وستون ذراعا وسدس ذراع وهو على
نشر طوله ثلاثة وعشرون ذراعا ونصف ذراع بجملة ذلك خمسة وثمانون ذراعا وثلاث ذراع وطول دأعته
السفلى اثنا عشر ذراعا وطول القاعدة العليا سبعة اذرع ونصف * قال المسعودى وفي الجانب الغربى
من صعيد مصر جبل رخام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العمود وغيرها وكانوا يحملون ما علوا بعد النقر فاما
العمود والقواعد والرؤس التى يسميها اهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فقلنا نقرها الا ولون قبل حدوث
النصرانية بمئين من السنين ومنها العمود التى بالاسكندرية والعمود بها الضخم الكبير لا يعلم بالعالم عمود مثله
وقد رأيت في جبل اسوان أخا هذا العمود وقد هندس ونقر ولم يفصل من الجبل ولم يحمل ما ظهر منه وانما كانوا
ينتظرون به أن يفصل من الجبل ثم يحمل الى حيث يريد القوم انتهى * وكان بالاسكندرية من العمود العظيم
وأشهر الحجارة والرخام الذى لا تقل القطعة منه الا بألوف من الناس وقد علق بين السماء والارض على فوق

المائة ذراع وفوق رؤس أباطين دائر الاسطوانة مابين الخمسة عشر ذراعا الى العشرين ذراعا والحجرة فوقه عشرة اذرع في عشرة اذرع في سلك عشرة اذرع بغرائب الالوان * وكان بالامكندرية قصر عظيم لا نظيره في معمور الارض على ربوة عظيمة بازاء باب البلد طوله خمسمائة ذراع وعرضه على النصف من ذلك وبابه من اعظم بناء واتقنه كل عضادة منه حجر واحد وعقبته حجر واحد وكان فيه نحو مائة اسطوانة وبازائه اسطوانة عظيمة لم يسمع بمثلا عظمتها ستة وثلاثون شبرا وعلوها بحيث لا يدرك أعلاها فاذا ف حجر وعلوها رأس محكم الصناعة يدل على انه كان فوق ذلك بناء وتحتها قاعدة حجر آخر محكم الصناعة عرض كل ضلع منه عشرون شبرا في ارتفاع ثمانية اشبار والاسطوانة منزلة في عمود من حديد قد خرق به الارض فاذا اشتدت الرياح رأيتها تتحرك وتربط وضع تحتها الحجارة فطعنتم لشدتها حركتها وكانت هذه الاسطوانة احدى عجائب الدنيا وقد زعم قوم انها عملها الجن لاسليمان بن داود عليهم السلام كما هي عادتهم في نسبة كل ما يستعظمون عنه الى انه من صنيع الجن وليس كذلك بل كانت مما عملها القدماء من اهل مصر * وكان في وسطه قبة ومن حولها أساطين وعلى الجميع قبة من حجر واحد رخام ابيض كالحسن ما أنت راى من الصنائع * ويقال ان بعض ملوك مصر دخل الاسكندرية فأعجبته هذا القصر وأراد أن يبني مثله فجمع الصناع والمهندسين ليقموا له قصر اعظما على هيئته فامنهم الامن اعترف بهجزه عن مثله الاشياء منهم فانه التزم أن يصنع مثله فسمي الملك ذلك وأذن له في طلب ما يحتاج اليه من المون والالات والرجال فقال اتوني بشورين مطبقين وبحيلة كبيرة فللحال أتى بذلك فضى الى المقابر القديمة وحفر منها قبرا أخرجه منه حجمة عظيمة رفعها عدة من الرجال على العجلة فما جرّها الثوران مع قوتهم ما الا بعد جهد وعناء فلما وقف بها بين يدي الملك قال أصلح الله سيدنا ان أتيتني بقوم رؤسهم مثل هذا الرأس عملت لك مثل هذا القصر قيقن الملك عند ذلك عجزا هل زمانه عن إقامة مثل ذلك القصر * وقد ذكر أنه كان بالاسكندرية ضرس انسان عند قصاب يز به اللهم زنته ثمانية ارطال * ويقال ان عمود السوارى الموجود الآن خارج مدينة الاسكندرية أحد سبعة أعمدة أتى بأحدها البتون بن مرة العادى وهو يحمله تحت ابطه من جبل بريم الاحمر قبل اسوان الى الاسكندرية فانكسر ضلعه لانه كان ضعيف القوى في قومه فشق ذلك على يعمر بن شداد بن عاد وقال ليتنى فديته بنصف ملكي وجاء بعمود آخر جدد بن سنان التمودى وكان قويا لحمله من اسوان تحت ابطه وجاء بقية رجالهم كل رجل بعمود فأقام العمود السبعة الجارود بن قطن المؤتفكي وكان بناءها بعد أن اختاروا لها اطبا لعا سعيدها كما هي عادتهم في عامة أعمالهم وقد ذكر غير واحد أن الصخور في القديم من الدهر كانت تلبس فعمل منها أعمدة ناعط ومارب وبينون وماثر البين وأعمدة دمشق ومصر ومدين وتدمر وان كل شيء كان يتكلم قال أمية بن ابى الصلت

واذهب للبوس لهم عمارة * واذا صخر السلام لهم رطاب

وقال قوم عمود السوارى من جملة أعمدة كانت تحمل روايا يقال له نلت الحكمة وذلك حيث انتهت علوم اهل الغرب الى خمس فرق وهم اصحاب الرواق هذا واصحاب الاسطوانة وكانوا يعجبون واصحاب المظال وهم باظاكية واصحاب البرابي وكانوا يصعد مصر والمشاورون وكانوا بمقدونية وكانى بن قل - علمه ينكر على - ايراده هذا الفصل ويراه من قبيل المحال ومما وضعه القصاص ويحجزم بكذب فلا يؤحسنك حكايتي له واسمع قول الله تعالى عن عاد قوم هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة اى طولا وعظم جسم قال عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا وهذه الزيادة كانت على خلق آبائهم وقيل على خلق قوم نوح وقال وهب بن منبه كان رأس أحدهم مثل قبة عظيمة وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم وروى شهر بن حوشب عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال ان كان الرجل من قوم عاد ليحمل المصر اعين لواجتمع عليه خمس مائة من هذه الامة لم يطيقوه وان كان أحدهم ليغمز بقدمه الارض فيدخل فيها وروى عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافى عن ابن بجرة قال استظل سبعون رجلا من قوم موسى عليه السلام في تحف رجل من العماليق وعن زيد بن أسلم بلغنى أن الضبعة وأولادها ريين في حجاج عين رجل من العماليق وقال تعالى ألم تركيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد قال المبرد وقولها يعنى الخنساء رفيع العماد انما تزيد الطول يقال رجل معمد يريد طويلا ومنه قوله تعالى ارم ذات

العماد أي الطويل وقال البغوي سمو ذات العماد لانهم كانوا اهل عمد سبارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبى ورواية عطاء عن ابن عباس وقال بعضهم سمو ذات العماد لطول قاماتهم قال ابن عباس يعني طولهم مثل العماد قال مقاتل كان طول أحدهم اثني عشر ذراعا وفي كشف الزمخشري لم يخلق مثلها مثل عاد في البلاد عظم أجرام وقوة كان طول الرجل منهم أربع مائة ذراع وكان يأبى الصخرة العظيمة فيحملها فيلقها على الحى فهلك بهم وقد ذكر غير واحد أنه وجد في خلافة المقدربا لله أبي الفضل جعفر بن المعتضد كنز بمصر فيه ضلع انسان طوله أربعة عشر شبرا في عرض ثلاثة اشبار * واعلم أن أعين بن آدم ضيقة وقد نشأت نفوسهم في محل صغير فاذا حدث القوم بما يتجاوز مقدار عقولهم أو يبلغ أجسامهم مما ليس له عندهم اصل فيسونه عليه الا ما يشاهدونه أو يألّفونه علّوا الى الارتياب فيه وسارعوا الى الشك في الخبر عنه الا من كان معه علم وفهم فانه يفحص عما يلقه من ذلك حتى يجد دليلا على قبوله أو ردّه وكيف يرتد مثل هذه الاخبار وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله آدم طوله ستون ذراعا في السماء ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن وقد كرم محمد ابن عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع القيسي الغرناطي في كتاب تحفة الالباب قال نقل الشعبي في كتاب سير الملوك أن الضحالك بن علوان لما هرب منه لام بن عامر الى ناحية الشمال أرسل في طلبه أمير بن مع كل أمير طائفة من الجبارين خرج أحدهما فاصدا الى بلغار والآخر الى باشقرد فأقام اولئك الجبارون في أرض بلغار وفي باشقرد قال الاقليشي وقد رأيت صورهم في باشقرد ورأيت قبورهم بها فكان مزارية شبهة أحدهم طولها أربعة اشبار وعرضا شبران وقد كان عندى في باشقرد نصف اصل الثنية أخرجت لي من فكة الاسفل فكان عمرها شبرا ووزنها ألف مثقال وما تماثقال انا ووزنها يدي وهى الآن في داري في باشقرد وكان دور فلن ذلك العادي سبعة عشر ذراعا وفي بيت بعض أصحابي في باشقرد عضد أحدهم طوله ثمانية وعشرون ذراعا واضلاعه كل ضلع عرضه ثلاثة اشبار واكثر كاللوح الرخام وأخرج الى نصف رسغ يداً أحدهم فكانت لأقدرا أن ارفعه بيد واحدة حتى ارفعه يدي جميعا قال ولقد رأيت في بلد بلغار سنة ثلاثين وخمسمائة من نسل العاديين رجلا طولا كان طوله اكثر من سبعة أذرع وكان يسمى دنق وكان يأخذ الفرس تحت ابطه كما يأخذ الانسان الطفل الصغير وكان اذا وقع القتال تلك الناحية يقاتل بشجرة من شجر البلوط يمسكها كالعصا في يده لو ضرب بها القبل قتلوه وكان خيرا متواضعا كلما التقى سلم على ورحب بي واكرمني وكان رأسي لا يسل الى حقوه وكان له اخت على طوله رأيتها في بلغار مرارعة قال لي القاضي يعقوب بن النعمان يعني قاضي بلغار ان هذه المرأة الطويلة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان من أقوى اهل بلغار ضمته الى صدرها فكسرت اضلاعه خات من ساعته قال ولم يكن في بلغار حام تسعهم الاحام واحدة واسعة الابواب انتهى * وقد حدثني الحفاظ ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد القرطبي عن أبيه أنه شاهد قبرا احتقر بمدينة قرطاجنة من افريقية فاذا جنة رجل قدر عظم رأسه ككثورين عظيمين ووجد معه لوح مكتوب بالقلم المسند وهو قلم عاد وحروفه مقطعة مانعه انا كوش بن كنعان ابن الملوك من آل عاد ملكت بهذه الارض ألف مدينة وبنيت بها على ألف بكر وركبت من الخيل العتاق سبعة آلاف حمر وصفر وشهب وبيض ودهم ثم لم يبق عنى ذلك شيئا وجاءني صائح فصاح بي صيحة أخرجتني من الدنيا فمن كان عاقلا ممن جاء بعدى فليعتبر بي وأنشد

يا واقظاري عي السهي * برسم ربيع قد وهى

قف واسق ثم اعتبر * ان كنت من اهل النهى

بالامس كافوقها * واليوم صرنا تحتها

لكل حد غاية * لكل امر منتهى

قال فأمر السلطان ابوبكر بن يحيى الخفصى صاحب تونس بطمه فطمم القبر قال مؤلفه رحمه الله تعالى وأنا أدركت شيئا من ذلك وهو أنه ترافع في بعض الايام طائفة من الجبارين الى السلطان الملك الظاهر برقوق أعوام بضع وتسعين وسبعمائة وقد اختلفوا على مال وجد وميجيل المقطم وهو أنهم كانوا يقطعون الجبارة من مغارفيها على قلعة الجبل من بحريها فانه كشف لهم حجرا سود عليه كتابة فاجتمعوا على قطع ما بين يدي هذا الحجر طمعا في وجود مال فاتمى بهم القطع الى عمود عظيم قائم في قلب الجبل فلججتهم أقبلوا اجمعوا ولهم عليه حتى تكسر قطعها فاذا

هو مجوف وانسان قائم على قدميه بطوله وتناثر لهم من جهة رأسه دنائير كثيرة فاقسموها وتنافسوا في قسمتها واختلفوا حتى اشتهر أمرهم وترافعوا الى السلطان فبعث من كشف المغار فوجد الحجر والعمود وقد تكسر فآخذ منهم ما وجد بأيديهم من الدنانير ولم يجد من يعرف ما قد كتب على الحجر وتسامع الناس بالخبر فأقبلوا الى المغار وعثروا برمة الميت فأخبرني من شاهد سنان اسنان هذا الميت انها سوداء بقدر الباذنجانة وان عظم ساقه فيما بين قدمه الى ركبته خمسة اذرع فيبي. هذا من حساب طوله عشرين ذراعا وأزيد ودماغ سن واحدة من اسنانه في قدر الباذنجانة ما هو الا كالقبة الكبيرة وأخبرني السيد الشريف قاضي القضاة بدمشق شهاب الدين احمد بن علي بن ابراهيم الحسيني المعروف بابن عدنان وابن أبي الجن انه وقف في سنة أربع عشرة وثمانمائة بمقبرة باب الصغير من دمشق على قبر ليدفن فيه ميت لهم فلما انتهى القبر ولم يبق الا أن يدلى فيه الميت انخسف وخرج من الخسف ذباب كثير كبار زرق الالوان حتى كادت تظلمهم فنزل الحفار في الخسف فاذا قبر طوله اثنان وعشرون ذراعا وفيه بطوله ميت قد صار كالرماد وأخبرني أيضا انه شاهد هذه المقبرة فحضر انسان وله ثلاث شعب وقد سقطت منه قطعة وهو في قدر البطيخة وانه وزن بمحضرة فبلغ رطلين وتسع اواق بال رطل الشامي وان القطعة التي انكسرت منه نحو اوقيتين بالشامي فيكون على هذا ازنه هذا الضرس نحو اثني عشر رطلا بالمصري والله تعالى أعلم

*(ذكر طرف مما قيل في الاسكندرية) *

قال ابو عمرو الكندي أجمع الناس انه ليس في الدنيا مدينة على ثلاث طبقات غير الاسكندرية ولما دخل عبد العزيز بن مروان الاسكندرية سأل رجلا من علماء الروم عنها وعن عدد أهلها فقال والله أيها الأمير ما أدرك علم هذا أحد من الملوك والذي أخبرك كم كان فيها من اليهود فان ملك الروم أمر باحصائهم فكانوا ستمائة ألف قال فما هذا الخراب الذي في اطرافها قال بلغني عن بعض ملوك فارس حين ملكوا مصر انه أمر بفرض دينار على كل محتمل لعمران الاسكندرية فأتاه كبراء أهلها وعلماؤهم وقالوا أيها الملك لا تعب فان الاسكندرية أقام الاسكندر على بنائها ثلثمائة سنة وعمرت ثلثمائة سنة وانها خراب منذ ثلثمائة سنة ولقد أقام أهلها سبعة سنين لا يعيشون فيها نارا الا يحرق سود في أيديهم خوفا على أبصارهم من شدة بياضها * ومن فضائلها ما قاله بعض المفسرين من أهل العلم انها المدينة التي وصفها الله عز وجل في كتابه العزيز فقال ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وقال احمد بن صالح قال لي سفيان بن عيينة يا مصري أين تسكن قلت أسكن القسطاط فقال أأتاني الاسكندرية قلت نعم قال تلك كاتبة الله يجعل فيها خيار سهامه * وقال عبد الله بن مرزوق الصدفي لما نعي لي ابن عمي خالد بن يزيد وكان قد توفي بالاسكندرية لقيني موسى بن علي بن رباح وعبد الله بن لهيعة والديت ابن سعد متفرقين كلهم يقول أليس مات بالاسكندرية فأقول نعم فيقولون هو حي عند الله يرزق ويجري عليه اجر رباطه ما أقامت الدنيا وله اجر شهيد حتى يحشر على ذلك وقال الذين ينظرون في الاهوية والبلدان وترتب الاقاليم والامصار انه لم تطل أعمار الناس في بلد من البلدان طولها بمربوط من كورة الاسكندرية ووادي فرغانة وقال الحسن بن صفوان وأما الاسكندرية وتينس وأمنالهما فقر بها من البحر وسكون الحرارة والبرد عندهم وظهور ربح الصبا فيهم مما يصلح أمرهم ويرق طباعهم ويرفع همهم وليس يعرض لهم ما يعرض لاهل اليمن من غلظ الطبع والحجارة وقد وصف أهل الاسكندرية بالجل قال جلال الدين بن مكرم بن أبي الحسن بن احمد الخزرجي ملك الحفاظ

نزول سكندرية ليس يقرى * بغير الماء او نعت السواري
ويتحف حين يكرم بالهواء * ملائق والاشارة للمنازل
وذكر البحر والامواج فيه * ووصف مراكب الروم الكبار
فلا يسمع نزيلهم بخبر * فما فيها لذلك الحرف قاري

وقال احمد بن جرداديه من القسطاط الى ذوات الساحل أربعة وعشرون ميلا ثم الى مربوط ثلاثون ميلا ثم الى كوم شريك ثلاثون ميلا ثم الى كريون أربعة وعشرون ميلا ثم الى الاسكندرية أربعة وعشرون ميلا وقال آخر وطريق الاسكندرية اذا انصب ماء النيل يأخذ بين المدائن والضياح وذلك اذا أخذت من شطونف الى

سبيل العبيد فهو منزل فيه منية لطيفة وبينهما اثنا عشر سقسا ومن سبيل الى مدينة منوف وهي كبيرة فيها حمامات وأسواق وبها تقوم فيها يسار ووجوه من الناس وبينهما ستة عشر سقسا ومن منوف الى محلة تصرد وفيها منبر وحمام وفنادق وسوق صالح ستة عشر سقسا ومن محلة تصرد الى سخا وهي مدينة كبيرة ذات حمامات وأسواق وعمل واسع واقليم جليل له عامل بعسكر وچندوبه الكنان الكثير وزيت القبل وقوح عظيمة ستة عشر سقسا ومن سخا الى شبركية وهي مدينة كبيرة بها جامع واسواق ستة عشر سقسا ومن شبركية الى مسير وهي مدينة بها جامع واسواق ستة عشر سقسا ومن مسير الى سنهور وهي مدينة ذات اقليم كبير وبها حمامات وأسواق وعمل كبير ستة عشر سقسا ومن سنهور الى النخوم وهي اقليم وبها حمامات وفنادق وأسواق ستة عشر سقسا ومن النخوم الى نسترو وكانت مدينة عظيمة حسنة على بحيرة الاشعرون عشرون سقسا ومن نسترو الى البرلس وهي مدينة كثيرة الصيد في البحيرة وبها حمامات عشر سقسا ومن البرلس الى اخنا وهي حصن على شط بحر الملح عشر سقسا ومن اخنا الى رشيد وهي مدينة على النيل ومنها يصب النيل في البحر من فوهة تعرف بالاشتوم وهي المدخل ثلاثون سقسا وكان بها أسواق صالحة وحمام وبها نخيل وضريبة على ما يحمل من الاسكندرية * وهذا الطريق الاخذ من شطوف الى رشيد ربما امتنع سلوكه عند زيادة النيل والسياب المتسوجة بالاسكندرية لا نظير لها وتحمّل الى أقطار الارض وفي ثياب الاسكندرية ما يباع الكنان منه اذا عمل ما يباع لها الشرب كل زنة درهم بدرهم فضة وما يدخل في الطرز فيباع بنظير وزنه مرات عديدة

* (ذكر فتح الاسكندرية) *

قال أبو عمرو الكندي لما حاز المسلمون الحصن بمخافه أجمع عمرو على المسير الى الاسكندرية فسار اليها في ربيع الاول سنة عشرين وقال غيره بل سار في جادى الاخرة منها * وذكر سيف بن عميرة بن عمرو بن العاص بعث الى الاسكندرية وهو على عين شمس عوف بن مالك قتل عليها وبعث يقول لاهلها ان شئتم ان تنزلوا فلكم الامان فقالوا نعم فراسلهم وترى صواهل عين شمس وسار المسلمون من بين ذلك * وقال ابن عبد الحكم ويقال ان المقوقس انما صالح عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية حاصر اهلها ثلاثة اشهر وألح عليهم فخافوه وسأله المقوقس الصلح عنهم كما صالحه على القبط على أن يستنظر رأي الملك فخذ شاذ بن أبي حبيب ان المقوقس الرومي الذي كان ملكا على مصر صالح عمرو بن العاص على أن يسير من أراد من الروم المسيحيين من أراد من الروم على أمر قد سماه فبلغ ذلك عمر قتل ملك الروم فسهط أشد السخط وأكبر أشد الانكار وبعث الخيوش فأغلقوا أبواب الاسكندرية وأذنوا بحرب فخرج اليه المقوقس فقال أسألك ثلاثا قال ماهن قال لا تبدل للروم ما بذلت لي فاني قد نصحت لهم فاستغشوني ولا تنقض القبط فان النقض لم يأت من قبلهم وأن تأمرني اذا مت فادفني في بجنس فقال عمرو وهذه أهون من علينا قال فخرج عمرو بالمسلمين حين أمكنهم الخروج وخرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد أصلحو الهم الطرق وأقاموا الهم الجسور والاسواق وصارت لهم القبط أعوانا على ما أرادوا من قتال الروم وسمعت بذلك الروم فاستعدت واستجاشت وقدمت عليهم مراكب من أرض الروم فجمع عظيم من الروم بالعدة والسلاح فخرج اليهم عمرو من القسطنطينية متوجها الى الاسكندرية فلم ير منهم أحدا حتى بلغ مر بوط فلقى فيها طائفة من الروم فقاتلهم قتالا خفيفا فهزمهم الله ومضى عمرو بمن معه حتى لقي جمع الروم يكوم شريك فاقبلوا ثلاثة أيام ثم فتح الله على المسلمين وولى الروم أكافهم * ويقال بل أرسل عمرو بن العاص شريك بن سمي في أنارهم فأدركهم عند الكوم الذي يقال له كوم شريك فهزمهم وكان على مقدمة عمرو وعمرو بن بوط فالجأوه الى الكوم فاعتصم به وأحاطت به الروم فلما رأى ذلك شريك بن سمي أمر ابا ناعمة مالك بن ناعمة الصدي وهو صاحب الفرس الاشقر الذي يقال له أشقر صدف وكان لا يجارى سرعة فانخط عليهم من الكوم وطلبته الروم فلم تدركه حتى أتى عمرا فأخبره فأقبل عمرو متوجها وسمعت به الروم فانصرف ثم التقوا بسلطيس فاقبلوا قتالا شديدا ثم هزمهم الله تعالى ثم التقوا بالكريون فاقبلوا بها بضعة عشر يوما وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو فأصاب عبد الله بن عمرو وجراحات كثيرة فقال يا وردان لو تقهرت قليلا نصيب الروح فقال وردان الروح تريد الروح امامك وليس خلفك فتقدم عبد الله فجاءه رسول أبيه يسأله عن جراحه فقال

أقول لها اذا جشأت وجاشت * رويدك تحمدى أو تستريحي
وهذا البيت لعمر وابن الاطنابة وهو أن رجلا من بني النجار كان مجاورا للمعاذ بن النعمان فقتل فقال معاذ لا أقتل به
الا عمرو وابن الاطنابة وهو يومئذ أشرف الخزرج فقال عمرو

ألا من مبلغ الاكفاء عني * وقد تهدي النصيحة للنصيح
بأنكم وما تزجون شطري * من القول المرغى والصريح
سبقدم بعضكم بعلا عليه * وما أثر اللسان الى الجروح
أبتلى عفتي وأبى بلاني * وأخذى الحمد بالثمن الريح
واعطاني على المكروه مالى * واقداى على البطل المشيع
وقولى كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحي
لادفع عن مآثر صالحات * وأحى بعد عن عرض صحيح
بذى شطب كالون الملح صاف * ونفس لم تقتر على القبيح

الشطب سعف الخلل الاخضر الواحدة شطبة وجشأت ارتفعت من حزن او فزع وجاشت دارت للفتيان وقيل
هما بمعنى ارتفع والشيخ الباردا المتكلم * فرجع الرسول الى عمرو فأخبره بما قال فقال عمرو هو ابني حقا وصلى
عمرو يومئذ صلاة الخوف ثم فتح الله للمسلمين وقتل منهم المسلمون مقتلة عظيمة واتبعوهم حتى باغوا الاسكندرية
فحصن بها الروم وكان عليها حصون متينة لا ترام حصن دون حصن فقتل المسلمون ومعهم رؤساء القبط يمدونهم
بما احتاجوا اليه من الاطعمة والعلوفة فأقاموا شهرين ثم تحول فخرجت عليه خيل من ناحية البحيرة مستترة
بالحصن فواقعوه فقتل يومئذ من المسلمين اثنا عشر رجلا ورسلك الروم تختلف الى الاسكندرية في المراكب
بمادة الروم * وكان ملك الروم يقول لئن ظهرت العرب على الاسكندرية فني ذلك انقطاع الروم وهلاكهم لانه
ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الاسكندرية وانما كان عياد الروم حين غلبت العرب على الشام بالاسكندرية
فقال الملك لئن غلبونا على الاسكندرية هلك الروم وانقطع ملكها فأمر بجهازه ومصلحته نظروا وجهه الى
الاسكندرية حتى يباشر قناها بنفسه فلما فرغ من جهازه صرعه الله عز وجل فأماه وكفى المسلمين مؤتته وكان
موته في سنة تسع عشرة فبكى الله بموته شوك الروم فرجع جمع كثير ممن كان قد توجه * وقال الليث مات
هرقل في سنة عشرين وفيها فتحت قيسارية الشام قال واستأسدت العرب عند ذلك وألحت بالقتال على اهل
الاسكندرية فقاتلواهم قتالا شديدا وخرج طرف من الروم من باب حصن الاسكندرية فحملوا على الناس قتلوا
رجلا من مهرة واحتزوا رأسه ومضوا به فجعل المهيرون يتغضبون ويقولون لاندفعه الا برأسه فقال عمرو
تغضبون كأنكم تتغضبون على من يبالي بغضكم اهلوا على القوم اذا خرجوا فاقبلوا منهم رجلا ثم ارموا برأسه
يرمونكم برأس صاحبكم فخرجت الروم اليهم فاقبلوا فقتل من الروم رجل من بطارتهم فاحتزوا رأسه ورموا به
الروم فرمت الروم برأس المهيرو اليهم فقال دونكم الآن فادفنوا صاحبكم * وكان عمرو يقول ثلاث قبائل من
مصر أم مهرة تقوم يقتلون ولا يقتلون وأما عافى تقوم يقتلون ولا يقتلون وأما بلى فأكثرها رجلا صاحب النبي
صلى الله عليه وسلم وأفضلها فارسا وقال رجل لعمر ولو جعلت المنجنيق ورميته بهم به لهدم حائطهم فقال عمرو
نستطيع أن يفنى مقامك من الصف وقيل له ان العدو قد غشوك ونحن نخاف على رايطة يريدون امر أنه قتال
اذا اتخذوا رايطة كثيرة * ولما استجبر القتال بارز رجل من الروم مسلمة بن مخلد فصرعه الرومي وألقاه عن فرسه
وهوى اليه ليقتله حتى حماه رجل من اصحابه وكان مسلمة لا يقاوم ولكنهما مقادير ففرحت بذلك الروم وشقى على
المسلمين وغضب عمرو بن العاص لذلك وكان مسلمة كثيرا للجم ثقیل البدن فقال عمرو عند ذلك ما بال الرجل الستة
الذي يشبه النساء يتعرض مداخل الرجال ويتشبه بهم فغضب من ذلك مسلمة ولم يراجع ثم اشتد القتال حتى
اقتحموا حصن الاسكندرية فقاتلهم العرب في الحصن ثم جاشت عليهم الروم حتى أخرجوهم جميعا من الحصن
الا اربعة نفر تفرقوا في الحصن وأغلقوا عليهم باب الحصن أحدهم عمرو بن العاص والاخر مسلمة ولم تحفظ
الاخرين وحاولوا بينهم وبين اصحابهم ولا يدرى الروم من هم فلما رأى ذلك عمرو بن العاص واصحابه التجأوا الى
ديعاس من حماهم فدخلوا فيه فاحتزوا به فأمر واروميا أن يكلاههم بالعريفة فقال لهم انكم قد صرتم بأيدينا

اسارى فاستاسروا ولا تقتلوا أنفسكم فامتنعوا عليه ثم قال لهم ان في ايدي اصحابكم منازجلا أسروهم ونحن نعطيكم العهود نفادى بكم أصحابنا ولا تقتلهم فأبوا عليه فلما رأى ذلك الروم منهم قال لهم هل لكم الى خصلة وهي نصف فان غلب صاحبنا صاحبكم استأسرت لنا وأمكنتمونا من أنفسكم وان غلب صاحبكم صاحبنا خلينا سيبلكم الى اصحابكم ففرضوا بذلك وتعاهدوا عليه وعمر ومسلمة وصاحباهما في الحصن في الدياس فعدا عوا الى البراز فبرز رجل من الروم وقد وثقت الروم بنجدة وشدة وقالوا يبرز رجل منكم لصاحبنا فإراد عمرو أن يبرز فذمه مسلمة وقال ما هذا تخطئ مرتين تشذ من اصحابك وأنت امير وانما قوامهم بك وقلوبهم معلقة نحوك لا يدرون ما أمرك ولا ترضى حتى تبارز وتعرض للقتل فان قتلت كان ذلك بلاء على اصحابك مكانك وانا كفيت ان شاء الله تعالى فقال عمرو دونك فريما فترجها الله بك فبرز مسلمة للروم فنجبا ولا ساعة ثم اعانه الله عليه فقتله فكثر مسلمة واصحابه ووفى لهم الروم بما عاهدوهم عليه ففتحوا لهم باب الحصن فخرجوا ولا يدري الروم أن امير القوم فيهم حتى بلغهم بعد ذلك فأسفوا على ذلك وأكلوا أيديهم تغيطا على ما فاتهم فلما خرجوا استحي عمرو وما كان قال لمسلمة حين غضب فقال عمرو عند ذلك استغفر لي ما كنت قلت لك فاستغفر له وقال عمرو ما أخشيت قط الا ثلاث مرار مرتين في الجاهلية وهذه الثالثة وما مننت مرة الا وقد ندمت وما استحييت من واحدة منهم أشد مما استحييت مما قلت لك والله اني لارجو أن لا أعود الى الرابعة ما بقيت قال وأقام عمرو ومحاصر الاسكندرية أشهر فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ما بطؤوا بالفتح الا لما أحدثوا وكتب الى عمرو بن العاص أما بعد فقد عجبت لاباطاككم عن فتح مصر انكم تقاتلونهم منذ سنين وما ذاك الا لما أحدثتم وأحببتهم من الدنيا ما أحب عدوكم فان الله تبارك وتعالى لا ينصر قوما الا يصدق نيابتهم وقد كنت وجهت اليك أربعة نفر وأعلمت أن الرجل منهم مقاوم ألف رجل علي ما كنت أعرف الا أن يكونوا غيرهم ما غير غيرهم فاذا أتاك كذابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ودرغهم في الصبر والنية وقدم اولئك الاربعة في صدور الناس ومرت الناس جميعا أن يكونوا لهم صدمة واحدة كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فانها ساعة تنزل الرحمة ووقت الاجابة وليعج الناس الى الله ويسألوه النصر على عدوهم فلما أتى عمرو بن العاص رضى الله عنه الكتاب جمع الناس وقرأ عليهم كتاب عمر رضى الله عنه ثم دعا اولئك النصر ففقدتهم امام الناس وأمر الناس أن يتطهروا ويصلوا وكعين ثم رغبوا الى الله تعالى ويسألوه النصر ففعلوا ففتح الله عليهم * ويقال ان عمرو بن العاص استشار مسلمة فقال أشتر على في قتال هؤلاء فقال له مسلمة أرى أن تنظر الى رجل له معرفة وتجارب من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعقله على الناس فيكون هو الذي يباشر القتال ويكفيك فقال عمرو من ذلك قال عبادة بن الصامت فدعاه عمرو فأتاه وهو راكب على فرسه فلما دان منه أراد النزول فقال له عمرو عزمت عليك ان نزلت ناو لي سنان رحمتك فذاوله اياه فنزع عمرو وعامته عن رأسه وعقله وولاه قتال الروم فتقدم عبادة مكانه فصادف الروم وقتلهم ففتح الله على يديه الاسكندرية من يومهم ذلك وكان حصار الاسكندرية بعد موت هرقل تسعة أشهر وخسة أشهر قبل ذلك وفتحت يوم الجمعة لمسهل المحترم سنة احدى وعشرين وقال ابو عمرو الكندي وحاصر عمرو الاسكندرية ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة وهو الفتح الاول ويقال بل فتحها عمرو ولمسهل المحترم سنة احدى وعشرين * قال القضاة عن الليث أقام عمرو بالاسكندرية في حصارها وفتحها ستة أشهر ثم انتقل الى الفسطاط فاتخذها دارا في ذي القعدة * وقال ابن عبد الحكم فلما هزم الله تعالى الروم وفتح الاسكندرية هرب الروم في البر والبحر فخلف عمرو بالاسكندرية ألف رجل من اصحابه ومضى ومن معه في طلب من هرب من الروم في البر فراجع من كان هرب من الروم في البحر الى الاسكندرية فقتلوا من كان فيها من المسلمين الا من هرب منهم وبلغ ذلك عمرا فكثر راجعا ففتحها وأقام بها وكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان الله قد فتح علينا الاسكندرية بغير عقد ولا عهد فكتب اليه عمر رضى الله عنه يقبح رأيه ويأمره أن لا يجاوزها قال ابن لهيعة وهو فتح الاسكندرية الثاني وكان سبب فتحها هذا أن رجلا يقال له ابن بسامة كان يوابا فسأل عمرا أن يؤتمنه على نفسه وأرضه وأهل بيته ويفتح له الباب فأجابه عمرو الى ذلك ففتح له ابن بسامة الباب فدخل عمرو وقتل من المسلمين من حين كان من أمر الاسكندرية ما كان الى أن فطحت اثنتان

وعشرون رجلا وبعث عمرو بن العاص معاوية بن خديج وافدا الى عمر بن الخطاب بشيرا له بالفتح فقال له معاوية ألا تكتب معي فقال له عمرو وما أصنع بالكتاب أليس ترحلنا عرييا تلغ الرسالة وما رأيت وحضرت * فلما قدم على عمر أخبره بفتح الاسكندرية فخر عمر ساجدا وقال الحمد لله وقال معاوية بن خديج بعثني عمرو بن العاص الى عمر رضي الله عنه بفتح الاسكندرية فتقدمت المدينة في الظهيرة فأخفت راحلتي بياب المسجد ثم دخلت المسجد فبينما أنا قاعد فيه اذ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرأيتني شاحبا على ثياب السفر فأتتني وقالت من أنت فقلت أنا معاوية بن خديج رسول عمرو بن العاص فانصرفت عني ثم أقبلت تشد أسمع حفيف ازارها على ساقها حتى دنت مني ثم قالت قم فأجب أمير المؤمنين يدعوك قتيبتا فلما دخلت فاذا بعمر يتناول رداءه باحدى يديه ويشد ازاره بالآخرى فقال ما عندك فقلت خيرا يا أمير المؤمنين ففتح الله الاسكندرية فخرج معي الى المسجد فقال للمؤذن أذن في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس ثم قال لي قم فأخبر أصحابك فقامت فأخبرتهم ثم صلى ودخل منزله واستقبل القبلة فدعا بدعوات ثم جلس فقال يا جارية هل من طعام فأتت بخبز وزيت فقال كل فأكلت حياء ثم قال كل فان المسافر يحب الطعام فلو كنت آكلا لا كنت معك فأصبت على حياء ثم قال يا جارية هل من تمر فأتت تمر في طبق فقال كل فأكلت على حياء ثم قال ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد قال قلت أمير المؤمنين فائق قال بئس ما قلت أو بئس ما ظننت لأن تمت النهار لاضيعن الزمة ولئن تمت الليل لأضيعن نفسي فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية * ثم كتب عمرو بن العاص بعد ذلك الى عمر بن الخطاب أما بعد فاني فكتحت مدينة لا أضف ما فيها غير أني أصبت فيها أربعة آلاف بنية بأربعة آلاف حمام وأربعين ألف يهودي عليهم الجزية وأربعمائة ملهى للملوك وعن أبي قبيل ان عمرا لما فتح الاسكندرية وجد فيها اثني عشر ألف بقال يبيعون البقل الاخضر وترحل من الاسكندرية في الليلة التي دخلها عمرو وفي الليلة التي خافوا فيها دخول عمرو سبعون ألف يهودي * وكان بالاسكندرية فيما أحصى من الحمامات اثنا عشر ألف ديماس أصغر ديماس منها يسع ألف مجلس كل مجلس يسع جماعة نفر وكان عدة من بالاسكندرية من الروم مائتي ألف رجل فلقق بأرض الروم اهل القوة وركبوا السفن وكان بها مائة مراكب من المراكب الكبار فحمل فيها ثلاثون ألفا مع ما قدروا عليه من المال والمتاع والاهل وبقى من بقي من الأسارى من بلغ الخراج فأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان فاختلف الناس على عمرو في قسمها فكان أكثر الناس يريدون قسمها فقال عمرو لا أقدر على قسمها حتى اكتب الى أمير المؤمنين فكتب اليه يعلمه بفتحها وشأنها ويعلمه أن المسلمين طلبوا قسمها فكتب اليه عمر لا تقسمها واذرها يكون خراجها فيا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فأقرها عمرو وأحصى أهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر صلحا كلها بفرضة دينارين على كل رجل لا يزداد على أحد منهم في جزية رأسه أكثر من دينارين الا أنه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الارض والزرع الا الاسكندرية فانهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم لان الاسكندرية فكتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا ذمة * وقد كانت قرى من قرى مصر قاتلت ففسدوا منها قرية يقال لها بلهيب وقرية يقال لها الخيس وقرية يقال لها سلطيس فوقع سببا بهم بالمدينة وغيرها فردتهم عمر ابن الخطاب الى قراهم وصبرهم وجماعة القبط اهل ذمة * وعن يزيد بن أبي حبيب ان عمرا سبي اهل بلهيب وسلطيس وقرطيا وصحافتهم فواو بلغ اولهم المدينة حين نقضوا ثم كتب عمرو بن الخطاب الى عمرو بردهم فردتهم وجد منهم وفي رواية ان عمرو بن الخطاب رضي الله عنه كتب في اهل سلطيس خاصة من كان منهم في أيديكم فخيروه بين الاسلام فان أسلم فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم وان اختار دينه فخلوا بينه وبين قريته فكان البلهيب خير يومئذ فاخترنا الاسلام * وفي رواية ان اهل سلطيس وصاو بلهيب ظاهروا الروم على المسلمين في جمع كان لهم فلما ظهر عليهم المسلمون استحلوهم وقالوا هؤلاء لنا في مع الاسكندرية فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر أن تجعل الاسكندرية وهؤلاء الثلاث قريات ذمة للمسلمين وتضرب عليهم الخراج ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط قوة للمسلمين على عدوهم ولا يجعلون فيثا ولا عبيدا ففعل ذلك * ويقال انهم ردتهم عمر رضي الله عنه لعهد كان تقدم لهم وقال ابن لهيعة جي عمرو جزية الاسكندرية ستمائة ألف دينار لانه وجد ثلثمائة ألف من اهل الذمة فقد راعاهم دينارين دينارين فبلغت ذلك وقيل كانت جزية الاسكندرية

ثمانية عشر ألف دينار فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك بلغت ستة وثلاثين ألف دينار ويقال ان عمرو ابن العاص استبق اهل الاسكندرية فلم يقتل ولم يسب بل جعلهم ذمة كاهل النوبة

*** (ذكر ما كان من فعل المسلمين بالاسكندرية واتقاض الروم) ***

قال ابن عبد الحكم فأما الاسكندرية فلم يكن بها خطط وانما كانت أخاند من أخذ منزلا نزل فيه هو وبنو ابيه وان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية أقبل هو وعبادة بن الصامت حتى علوا الكوم الذي فيه مسجد عمرو ابن العاص فقال معاوية بن خديج تنزل فتنزل عمرو القصر وتنزل أبوذر منزلا كان غربي المصلى الذي عند مسجد عمرو ومعايل البحر وقد انهدم ونزل معاوية بن خديج فوق التل وضرب عبادة بن الصامت خباء فلم يزل فيه حتى خرج من الاسكندرية ويقال ان أبا الدرداء كان معه والله أعلم قال فلما استقامت لهم البلاد قطع عمرو بن العاص من أصحابه لرباط الاسكندرية ربع الناس وربع في السواحل والنصف مقيمون معه وكان يصير بالاسكندرية خاصة الربع في الصيف بقدر ستة أشهر ويعقب بعدهم شاة ستة أشهر وكان اكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه واتخذوا فيه أخاند * وعن يزيد بن أبي حبيب أن المسلمين لما سكنوا الاسكندرية في رباطهم ثم قفلوا ثم غزوا البندروا فكان الرجل منهم يأتي المنزل الذي كان فيه صاحبه قبل ذلك فيبتدره فيسكنه فلما غزوا قال عمرو اني أخاف أن تحزبوا المنازل اذا كنتم تتعاورونها فلما كان عند الكريون قال لهم سيروا على بركة الله فمن ركم منكم رمحه في دار فهي له ولبنى فيه فكان الرجل يدخل الدار فيركز رمحه في منزل منها ثم يأتي الآخر فيركز رمحه في بعض بيوت الدار فكانت الدار تكون لقبيلتين وثلاث وكانوا يسكنونها حتى اذا قفلوا سكنوا الروم وعليهم مرمتها وكان يزيد بن أبي حبيب يقول لا يحل من كرائها شيء ولا يبيعها ولا يورث منها شيء انما كانت لهم يسكنونها في رباطهم * وعن يزيد بن أبي حبيب ان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبنائها مفرغا منها هم أن يسكنها وقال مساكن قد كفيناها فكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستأذنه في ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بيني وبين المسلمين ماء قال نعم يا أمير المؤمنين اذا جرى النيل فكتب عمر الى عمرو اني لأحب أن تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم شتاء ولا صيفا فتحول عمرو بن العاص الى القسطاط قال وكتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبي وقاص وهو نازل بمداين كسرى الى عامه بالبصرة والى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية أن لا تجعلوا بيني وبينكم ماء متى ما أردت أن أركب اليكم را حلتى حتى أقدم عليكم فحدث فتحول سعد بن أبي وقاص من مداين كسرى الى الكوفة وتحول صاحب البصرة من المكان الذي كان فيه فنزل بالبصرة فتحول عمرو ابن العاص من الاسكندرية الى القسطاط وكان عمر بن الخطاب يبعث في كل سنة غازية من اهل المدينة ترابط بالاسكندرية وكان على الولا لا يغلها ويكلف مرابطها ولا يأمن الروم عليها وكتب عثمان رضي الله عنه الى عبد الله بن سعد بن أبي سرح قد علمت كيف كان هم أمير المؤمنين بالاسكندرية وقد نفقت الروم مرتين فالزم الاسكندرية مرابطها ثم أجز عليهم ارزاقهم وأعقب بينهم في كل ستة أشهر قال وكانت الاسكندرية اتقضت وجاءت الروم عليهم منوبيل الخصى في المراكب حتى أرسوا بالاسكندرية فأجابهم من بها من الروم ولم يكن المقوقس تحرك ولا نكت وقد كان عثمان رضي الله عنه عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله ابن سعد بن أبي سرح فلما نزلت الروم سال اهل مصر عثمان أن يقر عمر ا حتى يفرغ من قتال الروم فان له معرفة بالحرب وهيبة في العدو ففعل وكان على الاسكندرية سورها خلف عمرو بن العاص لئلا يظفروا الله عليهم ليهدم من سورها حتى يكون مثل بيت الزانية يؤتى من كل مكان فخرج اليهم عمرو في البر والبحر ففضوا الى المقوقس من أطاعه من القبط وأما الروم فلم يطعه منهم أحد فقال خارجة بن حذافة لعمر وناضهم قبل أن يكثر مددهم فلا آمن أن تنقض مصر كلها فقال عمرو لا ولكن أدهم حتى يسيروا الى فانهم يصيبون من مزاياه فيجزى الله بعضهم ببعض فخرجوا من الاسكندرية ومعهم من قرض من اهل القرى فجعلوا ينزلون القرية فيشربون خورها وياكلون أطعمتها ويتهبون مازوا به فلم يتعرض لهم عمرو حتى بلغوا نفوس فلقوهم في البر والبحر فبدأت الروم القبط فرموا بالشباب في الماء رميا شديدا حتى أصابت الشباب يومئذ فرس عمرو في لبتة وهو في البر فحققر قتل عنه عمرو ثم خرجوا من البحر فاجتمعوا هم والذين في البر ففجعوا المسلمين بالشباب فاستأخر المسلمون عنهم

شيأ وجلاو على المسلمين حلة ولى المسلمون منها وانهم شريك بن سمي في خيله وكانت الروم قد جعلت صفوفها خالف
صفوف وبرز يومئذ بطريق من جاء من ارض الروم على فرسه عليه سلاح مذهب فدعا الى البراز فبرز اليه رجل
من زبيد يقال له حومل يكنى أبا مذبح فاقتنلا طويلا برمحين يتطاردان ثم ألقى البطريق الرمح وأخذ السيف
فألقى حومل رمحه وأخذ سيفه وكان يعرف بالجدعة فجعل عمرو يصيح أبا مذبح فيجيبه لييك والناس على شاطئ
النيل في البر على تعبيتهم وصفوفهم فحبوا ولا ساعا بالسيف ثم حمل عليه البطريق فاحمله وكان نحيفا فأخترط
حومل خنجر كان في منطقته اوفى ذراعه فضرب به نحر العليج اوترقوته فأثبته ووقع عليه فأخذ سلبه ثم مات
حومل بعد ذلك بأيام رحمه الله فرى عمرو يحمل من ربه بين عمودي نعشه حتى دفنه بالمقطم ثم شدا المسلمون عليهم
فكانت هزيمتهم فطلبهم المسلمون حتى ألقوه بهم بالاسكندرية ففتح الله عليهم وقتل منويل افضى وقتلهم عمرو
حتى أمعن في مدينتهم فكلم في ذلك فأمر برفع السيف عنهم وبني في ذلك الموضع الذي رفع فيه السيف مسجدا
وهو المسجد الذي بالاسكندرية الذي يقال له مسجد الرحمة سمي بذلك لرفع عمرو السيف هناك وهدم سور هنا
كله وجعل ما أصاب منهم بجاءه اهل تلك القرى ممن لم يكن نقض فقالوا قد كاعلى صلحنا وقدمت علينا هؤلاء
الاصوص فأخذوا متاعنا ورواينا وهو قائم في يدك فرد عليهم عمرو ما كان لهم من متاع عرفوه وأقاموا عليه
البينة وقال بعضهم لعمر ما حل لك ما صنعت بنا كان لنا أن نقاتل عنا لاننا في ذمتك ولم تنقض فأما من نقض
فأبعده الله فقدم عمرو وقال يا بني كنت لقيتهم حين خرجوا من الاسكندرية وكان سبب نقض الاسكندرية
هذا أن ظلمي صاحب اخنا قدم على عمرو فقال أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فيصير لها فقال عمرو وهو
يشير الى ركن كنيسة لو أعطيتني من الركن الى السقف ما أخبرتك انما أنتم خزنة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم
وان خفف عنا خففنا عنكم فغضب صاحب اخنا وخرج الى الروم فقدم بهم فهزمهم الله تعالى وأسرفا في به
الى عمرو فقال له الناس اقتله فقال لا بل انطلق فحننا بجيش آخر وسوره وتوجه وكساه برنس أرجوان
فرضى باداء الجزية فقبل له لو أنيت ملك الروم فقال لو أنيت لقتاني وقال قتلت اصحابي وعن أبي قبيل أن عتبة
ابن أبي سفيان عقد لعقمة القطيني على الاسكندرية وبعث معه اثني عشر الفا فكتب لعقمة الى معاوية
ابن أبي سفيان يشكو عتبة حين غزربه وعن معاوية فكتب اليه معاوية اني قد أمددتك بعشرة آلاف من اهل الشام
وبخمسة آلاف من اهل المدينة فكان في الاسكندرية سبعة وعشرون ألفا وفي رواية أن لعقمة بن يزيد كان
على الاسكندرية ومعه اثنا عشر ألفا فكتب الى معاوية انك خلقتني بالاسكندرية وليس معي الا اثنا عشر ألفا
ما يكاد بعضنا يرى بعضا من القلة فكتب اليه معاوية اني قد أمددتك بعبد الله بن مطيع في أربعة آلاف
من اهل المدينة وأمرت معن بن يزيد السلمي أن يكون بالرملة في أربعة آلاف معسكين بأعنة خيولهم
مضى بلغهم عنك فزع يعبروا اليك قال ابن لهيعة وقد كان عمرو بن العاص يقول ولاية مصر جامعة تعدل
الخلافة * وكان عمرو حين توجه الى الاسكندرية خرب القرية التي تعرف اليوم بخربة وردان * واختلف
عائنا السبب الذي خربته فمخدتنا سعيد بن عفيرة أن عمر لما توجه الى نفيسوس لقتال الروم عدل وردان لقضاء
حاجته عند الصبح فاختلفاه اهل الخربة فغيبوه ففقد عمرو وسأل عنه ووفقا أثره فوجدوه في بعض دورهم
فأمر باخرايها واخراجهم منها وقيل كان اهل الخربة رهبا نا كلهم ففقدروا يقوم من ساقاة عمرو فقتلهم
بعد أن بلغ عمرو الكريون فأتاهم عمرو ووجه اليهم وردان فقتلهم وخربها فهي خراب الى اليوم وقيل كان
اهل الخربة اهل تويت وخبث فارسيل عمرو الى أرضهم فأخذله منها جراب فيه تراب من ترابها فكلهم
فلم يجيبوه الى شيء فأمر باخرايهم ثم أمر بالتراب ففرش تحت مصلاه ثم قد عليه ثم دعاهم فكلهم فجابوه
الى ما أحب ثم أمر بالتراب فرفع ثم دعاهم فلم يجيبوه الى شيء فعل ذلك مرارا فلما رأى عمرو ذلك قال هذه بلدة
لا يصلح أن توطأ فأمر باخرايها فلما هزم الله الروم أراد عثمان رضي الله عنه أن يكون عمرو بن العاص
على الحرب وعبد الله بن سعد على الخراج فقال عمرو انا اذا كسك البقرة بهرينها وآخر يجلها فأبى عمرو وكان فتح
عمرو هذه اعنوة قسرا في خلافة عثمان سنة خمس وعشرين وبينه وبين الفتح الاول أربع سنين وقال الليث كان
فتح الاسكندرية الاول سنة اثنتين وعشرين وكان فتحها الاخر سنة خمس وعشرين وأقامت الجيوش ٣
من السماء يقاتلون الناس سبع سنين بعد أن قمت مصر مما يقتلون عليهم من تلك المياه والغياض قال ثم غزا

٣ قوله واقامت الخ هكذا
في الاصول التي بيدي وانظر
ما معنى هذه العبارة فانها
لا تخلو عن سقط او تحريف
فاحش وكذا قوله قلبها
باسطرا اهل تويت وخبث
فانه بعد المراجعة لم يفهم له
معنى ولعله محرف عن برنة
وجبت ومعناها الخدانة
بالامر والحر وحرزها

عبد الله بن سعد بن أبي سرح ذا الصوارى فى سنة أربع وثلاثين وكان من حديث هذه الغزوة أن عبد الله بن سعد لما نزل ذوالصوارى أنزل نصف الناس مع بسر بن أرطاة فى البر فقاموا أى أت إلى عبد الله بن سعد فقال ما كنت فاعلا حين ينزل بك ابن هرقل فى ألف مركب فافعله الساعة وكانت مراكب المسلمين ما تقي مركب وينافق قام عبد الله بن سعد بن ظهري الناصر فقال بلغنى أن ابن هرقل قد أقبل اليكم فى ألف مركب فأشيروا على فمأكله رجل من المسلمين فجلس قليلا لترجع اليهم أفقدتهم ثم قام الثانية فمأكلهم فمأكله أحد فجلس ثم قام الثالثة فقال انه لم يبق شئ فأشيروا على فقام رجل من أهل المدينة كان متطوعا مع عبد الله بن سعد فقال أيا الامير ان الله جل ثناؤه يقول كم من قلة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فقال عبد الله اركبوا فركبوا وانما فى كل مركب نصف شخصته لانه قد خرج النصف الآخر الى البر مع بسر فلقوهم فاقتلوا بالنبل والنشاب وتأخر ابن هرقل لثلاث تصيبه الهزيمة وجعلت القوارب تحتلف اليه بالاختبار فقال ما فعلوا قالوا اقتلوا بالنبل والنشاب فقال غلب الروم ثم أتوه فقال ما فعلوا قالوا قد نفذ النبل والنشاب فهم يرمون بالجارة فقال غلب الروم ثم أتوه فقال ما فعلوا قالوا قد نفذت الجارة وربطوا المراكب بعضها ببعض فقتلوا بالسيوف قال غلب الروم وكانت السفن اذ ذل تقرب بالسلاسل عند القتال قال فقرر مركب عبد الله يومئذ هو الامير بمركب من مراكب العدو فكان مركب العدو يجتر مركب عبد الله اليهم فقام علقمة بن يزيد القطيفي وكان مع عبد الله بن سعد فى المركب فضرب السلسلة بسيفه فقطعها فسأل عبد الله امرأته بعد ذلك بسياسة ابنة حزة بن يشرح وكانت مع عبد الله يومئذ وكان الناس يعزون بنسائهم فى المراكب من رأيت أشد قتالا قالت علقمة صاحب السلسلة وكان عبد الله قد خطب بسياسة الى ايها فقال له ان علقمة قد خطبها وله على فيها رأى فان تركها أفعل فكم عبد الله علقمة فتركها فترجها عبد الله بن سعد ثم هلك عنها عبد الله فترجها بعده علقمة بن يزيد ثم هلك عنها علقمة فترجها بعده كريب بن أبرهة وماتت تحته وقيل مشى الروم الى قسطنطين ابن هرقل فى سنة خمس وثلاثين فقالوا أتترك الاسكندرية فى أيدي العرب وهى مدينتنا الكبرى فقال ما أصنع بكم ما تقدرون أن تمالكوا ساعة اذا لقيتم العرب قالوا اخرج على انا موت قتيابوا على ذلك فخرج فى ألف مركب يريد الاسكندرية فسار فى أيام غالبية الرياح فبعث الله عليهم ريحا ففترقتهم الاقسطنطين فانه نجيا بمركبه فألقته الرياح بصقلية فسأله عن أمره فأخبرهم فقالوا شئت النصرانية وأفنت رجالها لودخلت العرب عابنا لم نجد من يردهم فقال خرجنا مقتدرين فأصابنا هذا فصنعوا له الحمام ودخلوا عليه فقال ويلكم يذهب رجالكم وتقتلون ملككم قالوا كانه غرق معهم ثم قتلوه وخلوا من كان معه فى المركب قال ابو عمرو الكندي وانما سميت غزوة ذى الصوارى لكثرة صوارى المراكب واجتماعها

* (ذكر بحيرة الاسكندرية) *

قال ابن عبد الحكم كانت بحيرة الاسكندرية كروما كلها لامرأة المقوقس فكانت تأخذ خراجها منهم الخمر بفريضة عليهم فكثرت الخمر عليها حتى ضاقت به ذرعا فقالت لا حاجة لى فى الخمر أعطوني دنائير فقالوا ليس عندنا فأرسلت اليهم الماء ففترقتهم فصار بحيرة يصاد فيها الحيتان حتى استخرجها الخلفاء من بنى العباس فسدوا جسورها وزرعوها ثم صارت بحيرة طولها اقلاع يوم فى عرض يوم ويصير اليها الماء من اشتوم فى البحر الرومى ويخرج منها الى بحيرة دونها فى خليج عليه مدينتان احدهما الحديثة والاخرى اكدرو وهى كثيرة المقاني والنخل وكها فى الرمل ويصب فى هذه البحيرة خليج من النيل يسمى الحافر طوله نصف يوم اقلاعا وهو كثير الطير والسمك والعشب وكان السمك بوجود هذه البحيرة فى الاسكندرية غاية فى الكثرة يباع بأقل القيم وأجنس الاثمان ثم انقطع الماء عن هذه البحيرة منذ

* (ذكر خليج الاسكندرية) *

يقال ان كلوا بطرة الملكة هى التى ماقت خليج الاسكندرية حتى ادخلته اليها ولم يكن يبلغها الماء فحفرته حتى ادخلته الاسكندرية وبلطت قاعه بالرغام من اوله الى آخره ولم يزل يوجد ذلك فيه وقال ابو الحسن الخزوى فى كتاب المنهاج أما خليج الاسكندرية فانه من فوهة الخليج الى ترعة بودة ليس على شئ منها سد بومنخرج بحلة

بولساينة اورين محلة فرفو محلة حسن منية طراد وتعرف بالقاعة محلة انصر ومسروق فأما ترعة لقانه فانها
 تفتح بعد سبعة أيام من توت والترعة الجديدة تفتح في السادس عشر من توت وترعة بودرة تفتح بعد سبعة أيام من
 توت وترعة بويحي وترعة بوالسحما وترعة القهوقية ليس على شئ من ذلك سدة وترعة الشراك تفتح بعد سبعة
 أيام من توت وترعة بوخراشة وترعة البريط يشرب منها ديسو وسخراط وشيرنوبه ومنية حماد وسنادة وبعض
 محلة مارية وترعة قنشة بلخا تفتح في ثاني عشر توت وجرت العادة أن تفتح في النوروز ترعة بويط ومقطع سمدية
 يفتح في الثاني والعشرين من توت ومقطع ياطس يفتح في تاسع عشر توت ولما سدت المقطع المذكور عملت بعد ذلك
 ترعة تروى الصفة القبلية منها فتفتح في يوم النوروز ولما استحدثت ترعة افلاقة وخرجت في ارض ياطس جرت
 العادة اذا رويت الصفة القبلية من افلاقة تطلق الترعة المذكورة على القسم البحري من ياطس الى أن يروى
 وترعة القاروة محدثة وترعة بفوها تفتح في ثاني عشر توت وترعة افلاقة تفتح في عاشر توت وترعة اسكنيدة تفتح
 في سادس توت * تراع بحر دمنور تفتح في العشرين من مسرى الى سادس توت ويروى منها بعض طاموس
 وبعض كنيسة الغيط وبعض قرطسا ودمنور * ترعة القواديس منها تشرب شبرا الخلعة وكوم التلول وتراعى شبرا
 الخلعة تفتح على أعاليها من أول توت وترعة بسطرى تفتح في خامس عشر مسرى وترعة مسيد تفتح في ثامن توت
 وترعة مندوبه تفتح في ثامن عشر توت وبحر دمشقية تفتح في العشرين من مسرى ومنه تشرب منية رزقون
 وسقط كرداسة ودمشوية ومحلة الشيخ ومصيل وترعة دمشقية تفتح في تاسع توت ويقيم الماء عليها
 سبعة عشر يوما وتفتح الى محلة الشيخ ومصيل يقيم الماء عليها ثلاثين يوما ويستد بعد ذلك على دمشقية
 سبعة أيام وعلى سقط ومنية رزقون ترعة برسيق كانت تفتح في أول توت * محلة برسيق ليس عليها سدة * محلة
 الكروم تفتح في ثامن توت ومنها تشرب عدة أما كن وهي محلة الكروم وكفورها وهي دنيصة وكوم الولائد
 وكوم الحفرة ودير امس والصفاصف وما يخرج عن كفورها وهي تلسا والجللون من حقوق محلة كبل ومنه
 تشرب الجهة الغربية * شبرا بارليس عليها سدة وترعة قافله كانت تفتح في ثامن توت وليس عليها الآن سدة وترعة
 بلقمار وكفورها كانت تفتح في تاسع توت وليس عليها الآن سدة * ترعة الراهب ليس عليها سدة وترعة دسونس
 المتقاربى تسقى الحفافية وتفتح في ثامن توت وكذلك ترعة مر حنار للمعينة وترعة يلامنة ويشارى وآخر تراعى
 الحبيجة وترعة الكريون تفتح في ثامن توت وترعة السلقون كانت تفتح في سادس توت وليس عليها الآن سدة وترعة
 ارمياخ تفتح في ثاني عشر توت وترعة ابوق تفتح في سادس توت وأما جون رمسيس فان بحر رمسيس كان
 يضرب السد فيه على تراعى رمسيس من أول النيل الى سابع عشر توت والذي يشرب من السد المذكور من
 النواحي والكفور رمسيس ومحلة جعفر وفليشان وبعض أبنية البعيدى وبعض خربا وبعض البلكوس وبعض
 بولين وبعض محلة وافد والبيضاء وبعض طيلاس ثم يفتح سدة دكدولة وهو محدث يقيم الماء عليه عشرة أيام
 وتشرب منه دكدولة ومحلة من ومنية أسامى وبعض صيفية ثم يقطع سدة الفطامى وهو محدث ومنه يشرب
 بعض جنبوبة وبلانة البحرية والسرة وأبو حمار والهوط ثم يقطع سدة رسونس وأبو دينار وترعة طبرينة
 فيشرب منه دنسال وطلوس يقيم الماء عليها ستة أيام ومنه تشرب منية عطية وسلطيس * وأما بحر دمنور فانه
 يستد على سلطيس الى سابع عشر توت ومنه تشرب سلطيس وزهرا وبعض طابوس وبعض قرطسا وبعض كنيسة
 الغيط ودمنور ثم يقطع سدة نديية وهو محدث فيقيم ثمانية أيام ومنه تشرب نديية ودقرس والعميرية والسريرين
 ثم يفتح ويستد على محلة خفص ومحلة ككيل ومحلة غير ثم يقطع سدة سلطيس وهو محدث فيقيم عشرة أيام
 بعد اختلاط الماء من بحر دمنور ورمسيس ثم يقطع جسر ملولة ومنه تشرب تروجة وأرسيس والمراسى وغابة
 الاعساس وبعض سمرو ومحلة غير ويبقى هنالك الى انقضاء النيل * وأما ترعة طبرينة فهي محدثة واذا رويت
 طبرينة تطلق على دسونس أم دينار ثم تقطع على طاموس بمقدار رما ثم تطلق في النيل العالي على ارض قراقس
 ويطلق الماء على قرطسا وكنيسة الغيط وخليج الطبرينة اذا خرج الماء منه يسقى منه في أول النيل الى أن يضرب
 جسر شراوسيم فيسقى منه شبراوسيم وبعض البلكوس وخفيرة الزعفرانى وبعض بولين ومسجد غانم والصواف
 وكوم شريك ومنية مغين وتل الفطامى ومحلة وافد ثم يقطع جسر دلجة ومنه يشرب بعض خربا وبعض فليشان
 وبعض بولان والبيضاء ودنست وبلانة الابراج وتل بقا والحدين واليودية والنسوم وابوصادة والحسن

وقلاوة بن عبيد وطوخ دخاية ودرشاوسقرا ودليجة ولحة وطيبة ثم يقطع على منية وزراقة الحجر والمخزون وبعض حيارس وافزيم وابوسمار وأتم الضروع * خليج ابن زلوم ويعرف بخليج ابن ظلوم وستخرج التبعدي لا يفتح الى عشرة أيام من نوت ومنه يشرب شاوور وكنيسة مبارك وبعض سرسيقة وبعض دموشة ومنية يزيد وحوض الماصلي وحصة سلون وبعض سنيت وبعض التبعدي وبعض فليشان ثم يفتح فيشرب منه أمليط وبعض انباى وبعض كنيسة عبد الملك وبعض أرمنية وميسنا وبعض محلة عبيد وسفط خالد وبرنامة وشراوبة وكيمان شراس وبعض دمشق وتقام الخراس على جسر سفط ويشرب من خليج الاسكندرية وما يفيض منه اهل الباطن واهل البحيرة في فجاج وأودية فيكون ذلك الماء صله وهم قبيل من دناته والرحانة وبني زان وقبائل البربر ويزرعون عليه فيستوفى منهم الخراج وبين مشارق القرمان ناحية جوجير وقاقوس وبين آخر ما يشرب من خليج الاسكندرية مسيرة شهر كان عامرا كله في محلول ومعقود الى ما بعد الخمسين وثلاثمائة من سنى الهجرة وقد خرب معظم ذلك * وقال ابو بكر الطرطوسي عن حدثه من مشايخ البحارنة قال شاهدت الاسكندرية والصيد في الخليج مطلق للرعية والملك فيه بطفو الماء به كثرة حتى تصيده الاطفال بالخرق ثم يحمله الوالى ومنع الناس من صيده فذهب حتى كاد لا يرى فيه الا الواحدة بعد الواحدة الى يومنا هذا * وقال ابو عمرو الكندي في كتاب الموالى عن الحارث بن مسكين انه تقلد قضاء مصر من قبل أمير المؤمنين الواثق بالله في سنة تسع وثلاثين ومائتين فذكر سيرته وقال وحفر خليج الاسكندرية وورد الكتاب بصرفه في شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين ومائتين * وقال جامع السيرة الطولونية وفي ربيع الاول سنة تسع وخمسين ومائتين أمر أحمد بن طولون بحفر خليج الاسكندرية * وقال المسعودي وقد كان النيل انقطع عن بلاد الاسكندرية قبل سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وقد كان النيل في هذا الخليج من النيل وكان عليهما معظم ماء النيل فكان يسقي الاسكندرية وبلاذ مربوط وكانت بلاد مربوط في نهاية العمارة والحنان المتصلة بارض برقة وكانت السفن تجرى في النيل وتتصل بأسواق الاسكندرية وقد بطلت ارض خليجها في المدينة بالأحجار والمرمر وانقطع الماء عنها العوارض سدت خليجها ومنعت الناس دخوله فصار يشربهم من الآبار وصار النيل على يوم منهم * وذكر المسبحي أن الحاكم بأمر الله أبان منصور بن العزيز أطلق لحفر خليج الاسكندرية في سنة أربع وأربع مائة خمسة عشر ألف دينار فحفره وفي سنة اثنتين وستين وستمائة بعث الملك الظاهر بيبرس الأمير عليا أمير جندار لحفر خليج الاسكندرية وقد امتلأت فوهته بالطين وقل الماء في الاسكندرية فابتدأ بالحفر من التبعدي وأنشأ هناك مسجدا وتولى مباشرة هذا الحفر المعلم تعاسيف ناظر الدواوين ثم بعث السلطان في سنة أربع وستين وستمائة لحفر هذا الخليج الأمير علم الدين سنجر المسروري ثم سار بعامة الامراء والجناد وباشر الحفر بنفسه وعمل فيه الامراء وجميع الناس الى أن زالت الرمال التي كانت على الساحل بين التبعدي ونم الخليج ثم عدى الى باربار وغزق مراكب هنالك وبني عليها بالحجارة فلما تم الغرض عاد الى قلعة الجبل ثم تعطل استقرار بحر يان الماء فيه بطول السنة وصار يحفر سر يعا بعد شهرين او نحوهما من دخول الماء اليه واحتاج اهل الاسكندرية في طول السنة الى الشرب من الصهاريج التي يخزن فيها الماء الى أن كانت سنة عشر وسبعمائة فقدم الأمير بدر الدين بكتوت الخزنداري المعروف بأمير شكار متوليا الاسكندرية الى قلعة الجبل وحسن للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون حفره وذكر له ما في ذلك من المنافع اولها جمل الفلال وأصناف التجار الى الاسكندرية في المراكب وفي ذلك توفير لكاف وزيادة في مال الديوان وثانيها عمارة ما على حافى الخليج من الاراضى بإنشاء الضياع والسواقي فينجو الخراج بهذا نموا كثيرا وثالثها ارتفاع الناس به في عمارة بساتينهم وشرب ما نه دأبنا أعجب السلطان ذلك وتذب الأمير بدر الدين محمد بن كند عدى بن الوزير مع بكتوت لعمله وتقدم الى جميع امراء الدولة باخراج مباشرهم لاحضار رجال النواحي الجارية في اقطاعهم لعمل الحفر وكتب لولاية الاعمال بالوقوف في العمل فاجتمع من النواحي نحو الاربعين ألف رجل جمعت في نحو العشرين يوما ووقع العمل في شهر رجب من السنة المذكورة وأفرد لكل اهل ناحية قطعة يحفرونها حتى كل فجاء قاس الحفر من فم بحر النيل الى ناحية شبار ثمانية آلاف قصبة حاكية ومن شبار الى الاسكندرية مثلها وكان الخليج الاصلى يدخل الماء اليه من حذ شبار فجعل فم هذا البحر يرمى عليه وعمل عمقه ست قصبات

في عرض ثمانى قصبات فلما انتهوا الى حد الخليج الاول - فقرأ ايضا على نظير الخليج المستجدة فصارا بجرا واحدا
وركبت عليه السدود والقطار ووجد في الخليج الاول عند حفرة من الرصاص المني تحت الصهاريج شئ كثير
جدا فلم يعترض السلطان لشيئ منه وأنعم به على الامير بكتوت وعظمت المشقة في حفر هذا الخليج فان الذي
تجاوز البحر منه غلب عليه الماء فصارت الرجال تغطس فيه وترفع الطين من أسفله ثم كثرا الماء فركبت السواقى
حتى نزحت منه الآن عظيم النفع به سهل جميع ذلك فان السفن جرت فيه طول السنة واستغنى اهل الاسكندرية
عن شرب ماء الصهاريج وبادر الناس للعمارة على جاني الخليج فلم يمس غير قليل حتى استجدة عليه ما يزيد على
مائة ألف فدان زرعت بعدما كانت سباحا وما ينف على ستمائة ساقية برسم القلقاس والنبيلة والسهم
وفوق الاربعين ضبعة وأزيد من ألف غيط بالاسكندرية وعمرت منه عدة بلاد كثيرة ونحو عالم عظيم الى سكى
ما استجدة عليه * وفيه وما فرغ العمل في الخليج شرع الامير بكتوت في عمل جسر من ماله فان الناس كانوا في وقت
هيجان البحر يجدون مشقة عظيمة لغلبة الماء على أراضي السباح فأقام ثلاثة أشهر حتى بنى رمي فادك أساسه
بالخمر والرماس وأعلاه بالخمر والكلس وعمل فيه ثلاثين قنطرة وأنشأ خانا ينزل الناس ورتب فيه الخفراء
ووقف على مصالحه رزقة فبلغ مصروفه نحو الستين ألف دينار مصرية سوى ما أخذ من الحجارة التي بعضها
من قصر قديم كان خارج الاسكندرية وسوى ما وجد من الرصاص في سرب بأسفل هذا القصر ينتهي عن
يمشى فيه الى قريب البحر وسوى ما أنعم به عليه من الرصاص الموجود بالخليج ولم يزل الخليج فيه الماء طول السنة
الى ما بعد سنة سبعين وسبع مائة فاقطع الماء منه وصار الماء لا يدخل اليه الا في أيام زيادة ماء النيل فقط
ثم ينف عند قصه قنطرة من أجل هذا أكثر بساكنين الاسكندرية وخربت وتلاشى كثير من القرى التي كانت
على هذا الخليج * وسبب اقطاع الماء عنه غلبة الروم على الاشتوم الذي كان يعبر منه ماء ببحر الملح الى بحيرة
الاسكندرية حتى جفت وصار الرمل تلقى الرياح في الخليج فانطم فيه وعلا قاعه وقصد من أدركاه من ملوك مصر
حفر هذا الخليج غير مرة فلم يتهيا ذلك الى أن كانت سلطنة الملك الأشرف برسباي فندب لحفره الامير جرباش
الكرمي المعروف بعاشق فتوجه اليه وجمع له من قدر عليه من رجال النواحي فبلغت عدتهم ثمانمائة وخمسة
وسبعين رجلا ابتدوا في حفره من حادى عشر جمادى الاولى سنة ست وعشرين وثمانمائة الى حادى عشر
شعبان ثمان تسعين يوما فاتهى عملهم ومشى الماء في الخليج حتى انتهى الى حده من مدينة الاسكندرية
وجرت فيه السفن فسر الناس به سرورا كبيرا وجي ما تنفق على العمال في الحفر من أرباب النواحي التي
على الخليج ومن أرباب البساكنين بالاسكندرية ولم يكن في حفره كبير شناعة مما جرت به عادة الولاة في مثل ذلك
ولله الحمد وعند ما انتهى قدم الامير جرباش الى قلعة الجبل فخلع السلطان عليه وشكره ثم عمله حاجب الحجاب فلم
يستمر ذلك الا قليلا حتى انطم بالرميل وتعذر سلوك الخليج بالمراكب الا في أيام النيل فقط

* (ذكر جل حوادث الاسكندرية) *

وفي سنة تسع وتسعين ومائة عظمت الحروب بديار مصر بين المطلب بن عبد الله الخزاعي أمير مصر وبين
عبد العزيز بن الوزير الجروى الثائر بتونس فعقد المطلب على الاسكندرية لمحمد بن هبيرة بن هاشم بن خديج
فاستخلف محمد خاله عمر بن عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج الذي يقال له عمر بن ملاك ثم عزله
المطلب بعد ثلاثة أشهر بأخيه الفضل بن عبد الله بن مالك وكانت بالاسكندرية مراكب الاندلسيين قد قفلوا
من غزوهم وكان سبب قدوم هذه المراكب ما جرى لاهل قرطبة بوقعة الرض مع الحكم بن هشام في سنة اثنتين
وثمانين ومائة فأخرج جماعة منهم فوصلوا الى نهر الاسكندرية زيادة على عشرة آلاف وكان سبب ثورتهم
أن قضايا من الاسكندرية روى وجه رجل منهم بكرش فأنفوا من ذلك وصاروا الى ما صاروا اليه وذلك
لما نزلوا رمل الاسكندرية ليتأعوا ما يصلحهم وكذلك كانوا على الزمان وكانت الامراء لا يتيحهم دخول
الاسكندرية انما كان الناس يخرجون اليهم فيبايعونهم فلما عزل عمر بن ملاك كتب اليه عبد العزيز الجروى
يامره بالوثوب على الاسكندرية والدعاء اليه فابعت عمر بن ملاك الى الاندلسيين فدعاهم الى القيام معه
في اخراج الفضل عنها فساروا معه وأخرج الفضل ودعا للجروى فوثب اهل الاسكندرية على الاندلسيين
وأخرجوهم وردوا الفضل وقتل من الاندلسيين نفروا ونهزم الباقون الى مراكبهم فعزل المطلب أخاه وولى عليها

اسحاق بن أبرهة بن الصباح في شهر رمضان سنة تسع وتسعين ثم عزله بأبي ذكر بن جنادة المعافري فلما اقتتل السري بن الحكم هو والمطلب بن عبد الله وغلب السري على مصر وثب عمر بن ملاك على أبي ذكر وأخرجه من الاسكندرية ودعا الجروى وأقبل الاندلسيون اليه فأفسدوا فأمرهم بالخروج الى مراكبهم فشق ذلك عليهم وظهروا بالاسكندرية طائفة يسمون بالصوفية يأمرون بالمعروف ويمنعون السلطان في اموره قرأ عليهم رجل منهم يقال له ابو عبد الرحمن الصوفى فصاروا مع الاندلسيين يدا واحدة واعتصموا بلحم وكانت لهم اعز من في ناحية الاسكندرية نفوصم ابو عبد الرحمن الصوفى الى عمر بن ملاك في امرأة قضى على أبي عبد الرحمن فوجدنى نفسه من ذلك وخرج الى الاندلسيين فأثب بينهم وبين لحم ورجا اهل الاندلس أن يدركوا ثارا من عمر بن ملاك فساروا الى عمر بن ملاك وهم زهاء عشرة آلاف فحصروه في قصره وخشى أن القصر لا يمنعهم وخاف أن يدخلوا عليه عنوة فيفضح في حرمة قاعاته وتخط وتكن وأمر أهله أن يدلوه اليهم فدلوا فأتته السيوف فقتل ثمولى أخوه محمد بن عبد الله الذى يلقب بجيوس فقتل ثمولى عليهم عبد الله البطال ابن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج فقتل ثمولى عليهم أخوه ابو هبيرة الخارث فقتل ثمولى عليهم خديج بن عبد الواحد فقتل وانصرف القوم وذلك في ذى القعدة ثم فسد ما بين لحم والاندلسيين عند مقتل ابن ملاك واقتتلوا فانهزم لحم فظفر الاندلسيون بالاسكندرية في ذى الحجة فولدوا أبا عبد الرحمن الصوفى فبلغ من الفساد والنهب والقتل ما لم يسمع عنه فعزله الاندلسيون وولوا رجلا منهم يعرف بالكثاني ثم حاربت بنو مدج الاندلسيين فظفر بهم الاندلسيون ونفروهم عن البلاد فلم يقدر بنو مدج على الرجوع الى ارض الاسكندرية حتى طلب السري من الاندلسيين أن يردهم فأذنوا لهم حينئذ ورجعوا وكان ابو قبيل يقول أنا على الاسكندرية من أربعين مركبا مسلمين وليسوا بمسلمين تأتى في آخر الصيف أخوف منى عليها من الروم فيقال له ما هذه الاربعون مركبا في هذا المخلوق لو كانت نيرانا تضطرم فيقول اسكت ويك منها ومن فيها يكون خراب الاسكندرية وما حولها وبلغ عبد العزيز الجروى قتل ابن ملاك فسار في خمسين ألفا حتى نزل على حصن الاسكندرية وحصرها حتى أجهد من فيها فبلغه أن السري بن الحكم يهت الى تنيس بعثا فكتب راجعا في المحرم سنة احدى ومائتين فدعا الاندلسيون للسري ثم لما خلع اهل مصر المأمون ودعوا لبرهم بن المهدي وقام الجروى بذلك سار الى الاسكندرية وحصر الاندلسيين حتى دخلها صلحا ودعى له بها ثم سار عنها الى القسطنطينية فحارب السري وقتل ابنه ثم انصرف فسار الاندلسيون بهامل الجروى وأخرجوه من الاسكندرية وخلصوا الجروى ودعوا للسري فسار اليهم الجروى في شهر رمضان سنة ثلاث ومائتين فعارضته القبط بسجنا وأمدتهم بنو مدج وهم في نحو من مائتي ألف فهزموهم وبعث بجيوشه الى الاسكندرية فحاصروها وكانت بين السري وبين اهل الصعيد حروب ثم اتى الجروى سار الى الاسكندرية سيره الرابع وحاصرها ونصب عليها المجانيق سبعة أشهر من أول شعبان سنة أربع ومائتين الى سلخ صفر سنة خمس فأصاب الجروى قلعة من حجر مخبئة فمات سلخ صفر سنة خمس ومائتين وقام من بعده ابنه على فلم تزل الفتن بالاندلسيين في الاسكندرية متصلة الى أن قدم عبيد الله بن طاهر الى مصر من قبل أمير المؤمنين المأمون وأخرج عبيد الله بن السري من مصر وسار الى الاسكندرية في قواد العجم من اهل نراسان مستهل حفر سنة اثني عشرة ومائتين فحاصرها بضعة عشرة ليلة حتى خرج اليه اهلها بأمان وصالحه الاندلسيون على أن يسيرهم من الاسكندرية حيث أحبوا على أن لا يخرجوا في مراكبهم أحدا من اهل مصر ولا عبدا ولا أبقا فان فعلوا فقد حلت له دماؤهم ونكت عهدهم وتوجهوا فبعث ابن طاهر من يفتش عليهم مراكبهم فوجدوا فيها جعانا الذين اشترط عليهم أن لا يخرجوهم فأمر بإحراق مراكبهم فساألوه أن يردهم الى شرطهم ففعل وساروا الى جزيرة اقريطس وملكوها وكان الأمير معهم ابو حفص عمر بن عيسى ثم ملكها ولده من بعده وعمرها الاندلسيون الى أن غزاها الروم سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وملكها بعد حصار طويل وولى على الاسكندرية الياس بن أسد بن سامان ورجع الى القسطنطينية في جمادى الآخرة ثم سار الى العراق ولما انتقض أشفل الارض في جمادى الاولى سنة ست عشرة ومائتين وحاربهم الافشين ومعه عيسى بن منصور الراقى أمير مصر وبعث عبيد الله بن يزيد بن يزيد الشيباني الى الغريسة فانهزم الى الاسكندرية واستجاشت عليه بنو مدج وحصره في شوال فسار الافشين وأوقع بين

في طريقه حتى قدم الاسكندرية في جنوده فلقية طائفة من بني مدح فهزمهم مرتين واسر منهم وقتل ودخل
الاسكندرية لعشرين بقين من ذي الحجة ففر منه رؤساؤها وكان عليها معاوية بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن
ابن معاوية بن خديج فأصلح أمرها ثم خرج الى اهل البشرد فامتنعوا عليه حتى قدم المأمون الى مصر فصار
الى البشرد والافشين قد أوقع بالقبط بها كما تقدم ذكره * ولما ولي ابراهيم بن احمد بن محمد بن الاغلب افريقية
في سنة احدى وستين ومائتين حسنت سيرته فكانت القوافل والتجارات تسير في الطرق وهي آمنة وبني الحصون
والمحارس على ساحل البحر حتى كانت وقد النار من مدينة سبتة الى الاسكندرية فيصل الخبر منها الى الاسكندرية
في ليلة واحدة وبينهم ما مسيرة أشهر * وفي سنة اثنتين وثلاثمائة دخل حباسة في جيوش افريقية الى الاسكندرية
في الحرم ومعه مائة ألف اوزياد عليها وقد مات الجيوش من المشرق مدد التمكن أمير مصر وسار حباسة
من الاسكندرية ونودي بالنصير في القسطنطينية لعشرين بقين من جمادى الآخرة فلم يتخلف عن الخروج الى الجيزة
أحد من الخاصة والعامة الا من هز عن الحركة لمرض أو عذروا تاهم حباسة فلحقوه وهزموه ثم دار عليهم
فقتل من اهل مصر نحو من عشرة آلاف ونهض حباسة الى افريقية وأقاموا بمصر مضطربين فأقبل مونس
الخادم من العراق في رمضان بجيوش كثيرة فصر في تكين في ذي القعدة وولى ذكاء الاعور في صفر سنة ثلاث
وثلاثمائة فخرج في جيوشه الى الاسكندرية وتبع كل من يوما اليه بكاتبة صاحب افريقية فنجح منهم وقتل
كثيرا وجلا اهل لوية ومراقة الى الاسكندرية في شوال سنة أربع وثلاثمائة خوفا من صاحب برقة
* وفي سنة سبع وثلاثمائة سارت مقدمة المهدي عبيد الله من افريقية مع ابنه أبي القاسم الى لوية فهرب اهل
الاسكندرية وجعلوا عنها وخرج منها مظفر بن ذكاء الاعور في جيشه ودخلت اليها العساكر يوم الجمعة لثمان خلون
من صفر وقرأ اهل القوة من القسطنطينية الشأم فخرج ذكاء أمير مصر الى الجيزة وعسكر بها ثم مرض ومات
على مصافه بالجيزة في ربيع الاول فولى تكين بعده ولابته الثانية من قبل المقدور ونزل الجيزة وأقبلت مراكب
صاحب افريقية الى الاسكندرية عليها سليمان الخادم فقدم على الخادم صاحب مراكب طرسوس فالتقيا
برشيد في شوال فاقتتلا فبعث الله رجا على مراكب سليمان ألقها الى البر فسكر اكرها وأخذ من فيها أخذوا
باليد وقتل اكثرهم وأسر من بقي وسبقوا الى القسطنطينية فقتل منهم نحو مائة رجل وسار أبو القاسم
ابن المهدي من الاسكندرية الى القيوم وملك جزيرة الاشموين والقيوم وأزال عنها جند مصر فمضى على الخادم
في مراكبه الى الاسكندرية فقاتل من بها من اهل افريقية فظفر بهم ونقل اهل الاسكندرية الى رشيد وعاد
الى القسطنطينية ومضى في مراكبه الى اللاهون ولحقته العساكر فدخلوا الى القيوم في صفر سنة سبع وثلاثمائة
فخرج أبو القاسم بن المهدي الى برقة ولم يكن بينهما قتال ورجعت العساكر الى القسطنطينية وما زالت الاسكندرية
بأعمالها في اضطراب الى أن قدمت جيوش المعز لدين الله مع القائد جوهر في سنة ثمان وخسين وثلاثمائة
فلما كتبها وما برحت الى أن قام بها نزار بن المستنصر وكان من أمره ما قد ذكر عند ذكر خزان القصر * وفي سنة
ثنتي عشرة وسبعمائة اجتمع بالاسكندرية ثلاثة آلاف من تجار الفرنج وقد تمت بطسة الى المينا فيها من ملوك الفرنج
ملككان فهموا أن يشوروا ويقتلوا اهل البلد ويملكوها فتوجه الملك العادل أبو بكر بن أيوب اليها وقبض
على التجار المذكورين وعلى من بالبطسة واستصفي أموالهم وسجنهم ومجن الملكين وجرحت خطوط حتى أطلق
السلطان نساءهم وعاد الى القاهرة * وفي سنة أربع وخسين وخمسمائة بنى الملك الصالح طلائع بن رزيك
على بليس حصنا من لبن * وفي سنة اثنتين وستين وخمسمائة كانت وقعة البابين بين الوزير شاور وأسد الدين
شيركوه فانهزم عسكر شيركوه ومضى منهم طائفة الى الاسكندرية ثم كانت لشيركوه على شاور فانهزم منه الى
القاهرة ومضى شيركوه الى الاسكندرية فخرج اليه اهل الثغر وفيهم نجم الدين محمد بن مصال والى الثغر
وقاضيه الاشرف بن الخباب وناظره القاضي الرشيد بن الزبير وسروا بقدمه وسلموه المدينة ثم سار منها
يريد بلاد الصعيد واستخلف ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب على الثغر في ألف فارس قتل عليه شاور
ومعه مائة من ملوك الفرنج فقام معه اهل الثغر واستعدوا لقتال شاور فكان ما أخرجوه أربعة وعشرين ألف
فارس فوعدهم شاور أن يضع عنهم المكوس والواجبات ويعطيهم الخيل اذا سلموه صلاح الدين فأبوا ذلك وألحوا
في قتاله فحصرهم حتى قل الطعام عندهم فتوجه اليهم شيركوه وقد حشد من العربان جوعا كثيرة فبعث اليه

شاوور وبذل له خمسة آلاف دينار على أن يرجع إلى الشام فأجاب به إلى ذلك وفجئت المدينة وخرج صلاح الدين إلى مري ملك الفرنج وجلس معه فما زال به شاوور أن يسلمه صلاح الدين فلم يوافق له بل سيره إلى عمه شيركوه من البحر على عكا بمن معه إلى دمشق ودخل شاوور إلى الاسكندرية في سابع عشر شوال فاستتر ابن مصال وفر إلى الشام وقبض على ابن الخياط وعوقب حتى فداه أهله بمال جزيل ولم يقدر على ابن الزبير وخرج إلى رشيد هذا وقد امتنع الفقيه أبو الطاهر بن عوف وجماعة كثيرة بالنار فوقهم عليهم شاوور فقال له ابن عوف أعذرنا يا أمير الجيوش وسامحنا بما فعلناه فعفا عنهم وولى القاضي الأشرف أبا القاسم عبد الرحمن بن منصور بن نجما ناظرا على الأموال وخرج ومعه مري ملك الفرنج إلى القاهرة ثم توجه مري إلى بلاده * وفي سنة إحدى وسبعين وسبعمائة ورد الخبر بحركة الفرنج إلى تغور مصر فاهتم الملك الظاهر بيبرس بأمر الشواني ونصب على أسوار الاسكندرية نحو مائة منجنيق * وفي يوم الخميس خامس شهر رجب سنة سبع وعشرين خرج بعض تجار الفرنج إلى ظاهر باب البحر حيث تجتمع العامة للفرجة وتعرض إلى صبي أمرد راوده عن نفسه فأكر ذلك بعض من هؤلاء المسلمين وقال هذا ما يحل فأخذ الفرنج خفا كان بيده وضربه على وجهه فصاح بالناس فأتوه فقام الفرنج مع صاحبهم واتسع الخرق إلى أن ركب متولى النغر وأغلق أبواب المدينة وطلب من أئثار الفتنة ففروا وعاد إلى داره وترك الأبواب مغلقة وكان بظاهر المدينة خلق كثير قد توجهوا على عادتهم في حوائجهم فحبل بينهم وبين بيوتهم وجاء الليل وهم قيام على الأبواب يصيحون ويصيحون فمضى أعيان البلد إلى المتولى وما زالوا به حتى فتح لهم فدخلوا مبادرين وهم يزجون فئات منهم زيادة على عشرة أنفس وتلفت أعضاء جماعة وذهب من عمام الناس ومناديلهم وغير ذلك شئ كثير وعظم البكاء والصراخ طول الليل فلما كان من الغد ركب الوالي لكشف أحوال الناس فكثروا عليه ورجوه فانهمزم منهم إلى داره فقبضوه وقتلوه فقاتلهم من أعلى الدار حتى سفكت بينهم دما كثيرة وأحرقوا بابه ونهبوا دورا بجانبه فكتب يستجد والى دمنور ومن حوله من العربان فأتوه واحتاطوا بالمدينة وسرح الطائر إلى السلطان بمخرج أهل الاسكندرية عن الطاعة فاشتد غضبه وخشى من اطلاعهم الأمر المسجونين وبعث إلى القضاة فجمعهم واستفتاهم في قتالهم فكتبوا بما يجب وخرج إليهم الوزير مغلطاي الجمالي وطوغان شاذالداوين وأبدى أمير جندار وعتدة من المماليك السلطانية وناظر الخاص ومع الوزير تذكرة بركة دماء أهل الفساد ومصادرة جماعة وأخذ أموال أهل البلد والقبض على الأسلحة المعدة بها للغزاة وامسالة القاضي والشهود وحمل الأمراء المسجونين إلى القاهرة فساروا في عشرين يوما وقدموا النغر بعد ثلاثة أيام ونزل الوزير بالخيس وفرض على الناس خمسمائة ألف دينار مصرية وأحضر قاضي القضاة عماد الدين ونائبه في الحديد وأكر عليهم ما كونهما شهرا النداء في البلد بالغزاة في سبيل الله فأكر وقوع هذا منهم ما أنهما لم يكن في قدرتهم ماردة السواد الأعظم فضرب نائبه ابن الشيبى ضربا مبرحا وأزمه بحمل ستمائة ألف درهم وأزم القاضي بخمسمائة ألف درهم وكان قد رسم بشنقه فتلطف في مكتبة السلطان واعتذر عنه وبرأه حتى عفا عنه وتبع العامة فوسط منهم ثلاثين رجلا في يوم الجمعة ثالث عشره فسار على الناس إلى دورهم من الخوف فذهبت عدة عمام واشتد الخوف مدة عشرين يوما وكتب السلطان تنواليا بإيقاع بأهل النغر وأخذ أموالهم والوزير يحسن في الجواب إلى أن جهز الأمراء المسجونين وسار من النغر وقد استعرض ما به من السلاح فوجد ستة آلاف عدة كاملة جعلها جميعها في قاعة وختم عليهم وبلغت الجباية من الناس ما ينيف على مائتين وستين ألف دينار فكانت هذه من الحزن العظيمة والحوادث الشنيعة والله الأمر من قبل ومن بعد

* (ذكر مدينة أتراب)

هذه المدينة بناها أتراب بن قبطيم بن مصر بن بيزر بن حام بن نوح عليه السلام قال ابن وصيف شاه وكان أتراب قد انتقل إلى حيزه بعد موت أبيه قبطيم وهي المدينة التي كان أبوه بناها وكان طولها اثني عشر ميلا ولها اثنا عشر بابا وجعل في شوارعها الأعظم ثلاث قباب عالية على أعمدة بعضها فوق بعض منها قبة في وسط المدينة وقبتان في طرفيها وجعل على كل قبة مرقبا كبيرا وفي كل ناحية منها ملعبا ومجالس ومنزهات تشرق وشق في غربيها نهرا وعقد عليه قناطر وجعل من فوقها مجالس متصلة وحولها المنازل تدور بالخليج متصلة بالقناطر على رياض

مزرعة من خلفها الجنان والبساتين وعلى كل باب من الابواب عجوبة من تماثيل وأصنام متحركة وأصنام تمنع من يؤذى وجعل في داخل كل باب صورة شيطانين من صفر فاذا قصدها أحد من اهل الخبر فقهقه الشيطان الذي عن يمين الباب وان كان من اهل الشربكى الشيطان الذي عن يسرة الباب وجعل في كل منزلة منها من الوحش الآلف والطيور المغتردة كل مستحسن وفوق قباب المدينة صوراً تصفر اذا هبت الرياح ونصب مرآة ترى البلاد البعيدة وبني حذاءها في الشرق مدينة وجعل فيها ملاعب وأصناماً بارزة في صور مختلفة وفي وسطها بركة اذا مرت بها الطير سقط عليها فلا يبرح حتى يؤخذ وجعل لها حصناً باثني عشر باباً على كل باب تمثال يعمل بعجوبة وعمل حوالها جناتاً وجعل بالقرب منها في ناحية الشرق مجلساً منقوشاً على ثمانى أساطين وفوقه قبة عليها طائر منشور الجناحين يصفر في كل يوم ثلاث تصفيرات بكرة ونصف النهار وعند غروب الشمس وأقام فيها أصناماً وعجائب كثيرة وبني مدناً كثيرة وأقام فيها رجلاً يقال له برسان يعمل الكيمياء وضرب منها دنانير في كل دينار سبعة مناقيل عليها صورته وعاش اربع مملكات ثلثمائة وستين سنة وبلغ من العمر خمسمائة سنة وعمل له نائوس في جبل بالشرق حفرة تحته سرب بطن بالزجاج والمرمر وجعل على سرب من ذهب مرصع وحملت اليه ذخائره وجعلوا على بابه صورة تينين لا يدنونه أحد الا أهلكه وسقوا عليه الرمال ووزروا عليه اعمه وتاريخ وقته * وقال ابن الكندي أربع كور بمصر ليس على وجه الارض أفضل منها ولا تحت السماء لها نظير * كورة القيوم * وكورة اتريب * وكورة عمود * وكورة انصنا * وكورة اتريب من جملة كور أسفل الارض وهي مائة وثمانى قرى وكان يقال مدائن الصحرة من ديار مصر سبع * وهي أرممت * وينا * وبوصير * وانصنا * وصان * واطريب * وصا

* (ذكر مدينة تنيس) *

تنيس بكسر التاء المنقوطة بالثنتين من فوقها وكسر النون المشددة وباء آخر الحروف وسين مهملة بلدة من بلاد مصر في وسط الماء وهي من كورة الخليج سميت بتنيس بن حام بن نوح ويقال بناها قليمون من ولد اتريب بن قبطيم أحد ملوك القبط في القديم * قال ابن وصيف شاه وملكت بعد اتريب ابنته فدرت الملكاً وساسته بأيد وقوة خسا وثلاثين سنة وماتت فقام بالملك من بعدها ابن أختها قليمون الملك فرد الزوار الى مراثيهم وأقام الكهان على مواضعهم ولم يخرج الامر عن رأيهم وجد في العمارات وطلب الحكم * وفي أيامه بنيت تنيس الاولى التي غرقها البحر وكان يئس وينهائي كثير وحولها الزرع والشجر والكروم وقرى ومعاصر للتمر وعمارة لم يكن أحسن منها فأمر الملك أن يبني له في وسطها محاسن وينصب له عليهما قباب وتزين بأحسن الزينة والنقوش وأمر بفرشها واصلاحها وكان اذا بدا النيل يجري انتقل الملك اليها فأقام بها الى النوروز ورجع وكان للملك بها أمراء يقسمون المياه ويعطون كل قرية قسطها وكان على تلك القرى حصن يدور بقناطر وكان كل ملك يأتي بأمر بعمارتها والزيادة فيها ويجعلها له منزلاً * ويقال ان الحسنين اللتين ذكرهما الله تعالى في كتابه العزيز اذ يقول واضرب لهما مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل الآيات كاتلاً اخوين من بيت الملك أقطعهم ذلك الموضع فأحسنا عمارته وهندسته وبنائه وكان الملك يتزعمهما ويؤتي منهما بغرائب الفواكه والبقول ويعمل له من الاطعمة والاشربة ما يستطيبه فحجب بذلك المسكان أحد الاخوين وكان كثير الضيافة والصدقة ففرق ماله في وجوه البر وكان الآخر ممسكاً بسخر من أخيه اذا فرق ماله وكلما باع من قمحه شيئاً اشتراه منه حتى بقي لا يملك شيئاً وصارت تلك الجنة لأخيه واحتاج الى سؤاله فأتته وطرده وعيره بالتبذير وقال قد كنت أنصحك بصيانة مالك فلم تفعل ونفعني امساكي فصرمت اكثر منك مالا وولداً وولى عنه مسروراً بماله وجنته فأمر الله تعالى البحر فركب تلك القرى وغرقها جميعها فأقبل صاحبها يولول ويدعو بالشبور ويقول يا ليتني لم أشرب لربي أحد اقال الله جل جلاله ولم تكن له فتنة ينصرونه من دون الله * وفي زمان قليمون الملك بنيت دمياط وملكت قليمون تسعين سنة وعمل لنفسه نائوساً في الجبل الشرقى وحول اليه الاموال والجواهر وسائر الذخائر وجعل من داخله تماثيل تدور باليوب في أيديها سيوف من دخل قطعته وجعل عن يمينه ويساره اسدين من نحاس مذهب بلوالب من أناه حطما وزبر عليه هذا قبر قليمون بن اتريب بن قبطيم بن مصر عمر

دهرا وأتاه الموت فما استطاع له دفعاً فن وصل إليه فلا يسلبه ما عليه ولياً خذ من بين يديه * ويقال إن تنيس أخ لدمياط وقال المسعودي في كتاب مروج الذهب وغيره تنيس كانت أرضاً لم يكن بمصر مثلها استواء وطيب تربة وكانت جناتاً وفخلاً وكرماً وشجراً ومزارعاً وكانت فيها بحار على ارتفاع من الأرض ولم ير الناس نادياً أحسن من هذه الأرض ولا أحسن اتصالاً من جناتها وكرمها ولم يكن بمصر كورة يقال إنها تشبهها إلا القيوم وكان الماء منحدرًا إليها لا ينقطع عنها صيفا ولا شتاء يسقون جناتهم إذا شاءوا وكذلك زروعهم وسائرهم يصب إلى البحر من جميع خلجائه ومن الموضع المعروف بالاشتوم وقد كان بين البحر وبين هذه الأرض مسيرة يوم وكان فيها بين العريش وجزيرة قبرس طريق مسلول إلى قبرس تسلكه الدواب يسالون بين العريش وجزيرة قبرس في البحر سير طويل حتى علا الماء الطريق الذي كان بين العريش وقبرس فلما مضت لداقطة نفوس من ملكه ما بثان واحد وخمسون سنة هجم الماء من البحر على بعض المواضع التي تسمى اليوم بحيرة تنيس فأغرقه وصار يزيد في كل عام حتى أغرقها بأجمعها فكان من القرى التي في قرارها غرق وأما الذي كان منها على ارتفاع من الأرض فبقي منه ثوبه وبورا وغير ذلك مما هو باق إلى هذا الوقت والماء محيط بها وكان أهل القرى التي في هذه الحيرة يتقلون موتاهم إلى تنيس فبشواهم واحداً بعد واحد وكان استحكام غرق هذه الأرض بأجمعها قبل أن تفتح مصر بمائة سنة قال وقد كان الملك من الملوك التي كانت دارها القرماع أركون من أراكنة البلينا وما اتصل بها من الأرض حروب علمت فيها خنادق وخلجان فتحت من النيل إلى البحر يمنع بها كل واحد من الآخر وكان ذلك داعياً للشعب الماء من النيل واستيلائه على هذه الأرض * وقال في كتاب أخبار الزمان وكانت تنيس عظيمة لها مائة باب وقال ابن بطالان تنيس بلد صغير على جزيرة في وسط البحر ميسله إلى الجنوب عن وسط الأقليم الرابع خمس درج وأرضه سبخة وهو آؤه مختلف وشرب أهلها من مياه مخزونة في صهاريج عملاقة في كل سنة عند عذوبة مياه البحر يدخل ماء النيل إليها وجميع حاجاتها مجلوبة إليها في المراكب، وأكثر أغذية أهلها السمك والحب واللبان البقر فان ضمان الحب السلطاني سبعمائة دينار حساباً عن كل ألف قالب دينار ونصف وضمان السمك عشرة آلاف دينار وأخلاق أهلها مهله منقادة وطبائعهم مائلة إلى الرطوبة والاثونة قال أبو السري الطبيب أنه كان يولد بها في كل سنة ما تناحنت وهم يحبون النظافة والدماثة والغناء واللذة وأكثرهم يبيتون سكارى وهم قليلو الرياضة لصيق البلد وأبدانهم ممتلئة الاخلاط وحصل بها مرض يقال له الفواق التنيسي أقام بأهلها ثلاثين سنة * وقال جامع تاريخ دمياط وكان على تنيس رجل يقال له أبو ثور من العرب المنصورة فلما فتحت دمياط سار إليها المسلمون فبرز إليهم نحو عشرين ألفاً من العرب المنصورة والقبط والروم فكانت بينهم حروب آلت إلى وقوع أبي ثور في أيدي المسلمين وانهم زام أصحابه فدخل المسلمون البلد وبنوا كنيسة جامعاً وقسموا الغنائم وساروا إلى القرماع فلم تزل تنيس بيد المسلمين إلى أن كانت امرأة بشر بن صفوان الكلبي على مصر من قبل يزيد بن عبد الملك في شهر رمضان سنة إحدى ومائة قتل الروم تنيس فقتل من أحمر بن مسلمة المرادي أميرها في جمع من الموالى وفيهم يقول الشاعر

الم تربع في خبرك الرجال * بما لا في بتنيس الموالى

وكانت تنيس مدينة كبيرة وفيها آثار كثيرة للأوائل وكان أهلها ميسراً أصحاب ثراء وأكثرهم حاكمة وبها بحالك ثياب الشروب التي لا يصنع مثلها في الدنيا وكان يصنع فيها الخلقة ثوب يقال له البدنة لا يدخل فيه من الغزل سدهاء ولحمة غير أوقيتين وينسج باقيه بالذهب بصناعة محكمة لا تتحوج إلى تفصيل ولا خياطة تبلغ قيمته ألف دينار وليس في الدنيا طراز ثوب كان يبلغ الثوب منه وهو سادج بغير ذهب مائة دينار عينا غرير طراز تنيس ودمياط وكان النيل إذا أطلق يشرب منه من مشارق القرماع من ناحية جرجير وفاقوس من خليج تنيس فكانت من أجل مدن مصر وإن كانت شطاً وديفو ودميرة وثونة وما قاربها من تلك الجزائر يعمل بها الرقيق فليس ذلك يقارب التنيسي والدمياطي وكان الحمل منها إلى ما بعد سنة ستين وثلاثمائة يبلغ من عشرين ألف دينار إلى ثلاثين ألف دينار بلها زالعراق فلما تولى الوزير يعقوب بن كلس تدبير المال استأمل ذلك بالنواب وكان يسكن بمدينة تنيس ودمياط نصارى تحت الذمة وكان أهل تنيس يصيدون السماني وغير ذلك من الطير على أبواب دورهم والسماني طائر يخرج من البحر فيقع في تلك الشباك وكانت السفن تركب من تنيس إلى القرماع

وهي على ساحل البحر * ولما مات هرون الرشيد وقام من بعده ابنه محمد الأمين وأراد الغدر والنكث
بالمأمون كان على مصر حاتم بن هرثمة بن عيين من قبل الأمين فلما ثار عليه اهل تنو وغي بعث اليهم السري بن
الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجروي فغلبا بعد الثمانية من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ثم ولي الأمير جابر
ابن الاشعث الطائي مصر وصرف حاتم بن هرثمة وكان جابر ليما تابعا لما بين محمد الأمين وبين أخيه عبد الله
المأمون وخلع محمد أخاه من ولاية العهد وترك الدعاء له على المنابر وعهد الى ابنه موسى ولقبه بالشديد ودعى له
تكلم الجند بمصر بينهم في خلع محمد غضبا للمأمون فبعث اليهم جابر بنهماهم عن ذلك ويخوفهم عواقب الفتن
وأقبل السري بن الحكم يدعو الناس الى خلع محمد وكان ممن دخل الى مصر في أيام الرشيد من جند
الليث بن الفضل وكان خافا لا ترفع ذكره بقيامه في خلع محمد الأمين * وكتب المأمون الى أشرف مصر يدعوهم
الى القيام بدعوتهم فأجابوه وبانعوا المأمون في رجب سنة ست وتسعين ومائة ووثبوا بجابر فأخرجوه وولوا عباد
ابن محمد فبلغ ذلك محمد الأمين فكتب الى رؤساء الحوف بولاية ربيعة بن قيس الجرشى وكان رئيس قيس
الحوف فانتقاد أهل الحوف كلهم معه يمتدوا ويساهوا وأظهروا دعوة الأمين وخلع المأمون وساروا الى القسطنطينية
لحاربة اهلها واقتتلوا فكانت بينهم ماقبلي ثم انصرفوا وعادوا مرارا الى الحرب ففقد عباد بن محمد لعبد العزيز
الجروي وسيره في جيش ليحارب القوم في دارهم فخرج في ذي القعدة سنة سبع وتسعين ومائة وحاربهم
بعمريط فانهم زعم الجروي ومضى في قومه من ظلم وجدام الى فاقوس فقال له قومه لم لا تدع نفسك انت بدون
هؤلاء الذين غلبوا على الارض فخصي فيهم الى تنيس فزالها ثم بعث بعماله يجيئون الخراج من أسفل الارض فبعث
ربيعة بن قيس يمدد من الجبابرة وسار أهل الحوف في المحرم سنة ثمان وتسعين الى القسطنطينية واقتتلوا وقتل جمع
من الفريقين وبلغ أهل الحوف قتل الأمين فتفرقوا وولى امره مصر مطلب بن عبد الله الخزاعي من قبل المأمون
فدخلها في ربيع الاول وولى عبد العزيز الجروي شرطته ثم عزله وعقد له على حرب أسفل الارض ثم صرف
المطلب وولى العباس بن موسى بن عيسى في شوال فولى عبد العزيز الشرطة فلما ثار الجند وأعادوا المطلب في
المحرم سنة تسع وتسعين هرب الجروي الى تنيس وأقبل العباس بن موسى بن عيسى من مكة الى الحوف فقتل
يبليس ودعا قيسا الى نصرته ثم مضى الى الجروي بتنيس فأشار عليه أن ينزل دار قيس فرجع الى بلبيس في
جمادى الآخرة وبها مات مسموما في طعام دسه اليه المطلب على يد قيس فدان أهل الاحواف للمطلب وبابيهوه
وسارعوا الى جب عميرة وسالموه عندما القوه وبعث الى الجروي يأمره بالشخص الى القسطنطينية فامتنع من
ذلك وسار في مراكبته حتى نزل شطون فبعث اليه المطلب السري بن الحكم في جمع من الجند يسألونه الصلح
فأجابهم اليه ثم اجتهد في الغدر بهم فتيقظوا له فخصي راجعا الى بنا فاتبه وطاربه ثم عاد فدعاهم الى الصلح
ولاطف السري فخرج اليه في زلاج وخرج الجروي في مثله فالتقيا في وسط النيل فقابل سندا فوعدا أعد
الجروي في باطن زلاجه الحبال وأمر أصحابه بسندا اذا الصق بزلاج السري أن يمزجوا الحبال اليهم فلتصق
الجروي بزلاج السري فربطه في زلاجه وجز الحبال وأسرا السري ومضى به الى تنيس فنجنه بها وذلك في
جمادى الاولى ثم كثر الجروي وقاتل فلقبه جموع المطلب بسفط سليف في رجب فظفر واما عزل عمر بن ملاق
عن الاسكندرية ثار بالاندلسيين ودعا للجروي فأقبل عبد الله بن موسى بن عيسى الى مصر طالبا بدم أخيه
العباس في المحرم سنة مائتين فقتل على عبد العزيز الجروي فسار معه في جيوش كثيرة العدد في البر والبحر حتى
نزل الجيزة فخرج اليه المطلب في اهل مصر فحاربوه في صفر فرجع الجروي الى شريقون ومضى عبد الله بن
موسى الى الجناز وظهر المطلب على أن أبا حرملة فرجا الاسود هو الذي كاتب عبد الله بن موسى وخرطه على
المسير فطلبه ففر الى الجروي وجده المطلب في أمر الجروي فأخرج الجروي السري بن الحكم من السجن
وعاهده وعاقده على أن يشور بالمطلب ويخلعه فعاهده السري على ذلك فأطلقه وألقى الى اهل مصر أن كتابورد
بولايتهم فاستقبله الجند من اهل خراسان وعقدوا له عليهم وامتنع المصريون من ولايته فقتل داره بالجراء وأمدته
قيس يجمع منهم وحارب المصريون فهزمهم وقتل منهم فطلب المطلب منه الامان فأمنه وخرج من مصر واستبنت
السري بن الحكم بأمر مصر في مستهل شهر رمضان * فلما قتل الاندلسيون عمر بن ملاق بالاسكندرية سار اليها
الجروي في خمسين ألفا فبعث السري الى تنيس بعثا فكثر الجروي راجعا الى تنيس في محرم سنة احدى

وما تين فلما نار الجند بالسرى في شهر ربيع الاول وبايعوا سليمان بن غالب قام عباد بن محمد عليه وخلعه وقام بالامر على بن حنيفة بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس في مسهل شعبان فامتنع عباد أن يبايعه وخلق بالجروى ثم خلق به أيضا سليمان بن غالب فكان معه وعاد السرى الى ولاية مصر في شعبان وقوى سلطانه فلما كان في المحرم سنة اثنين ومائتين ورد كتاب المأمون اليه يأمره بالبيعة لولى عهده على بن موسى الرضى فبوجع له بمصر وقام في فساد ذلك ابراهيم بن المهدي يبعث دوا وكتب الى وجوه الجند بمصر يأمرهم بخلع المأمون وولى عهده وبالوثوب على السرى فقام بذلك الحارث بن زرع بن محرم بالقسطاوع بعد العزيز بن الوزير الجروى بأسفل الارض ومسلمة بن عبد الملك الطحاوى الازدى بالصعيد وخالقوا السرى ودعوا الى ابراهيم بن المهدي وعقدوا على ذلك الامر لعبد العزيز بن عبد الرحمن الازدى فخاربه السرى وظفر به في مصر وخلق كل من كره بيعة على الرضى بالجروى لمنعته بتيس وشدة سلطانه فسار الى الاسكندرية وملكها ودعى له بها وبيلا الصعيد ثم سار في جمع كبير لمحاربة السرى واستعدت كل منه الصاحبه بأعظم ما قدر عليه فبعث اليه السرى ابنه ميمونا فالتقى بشظوف فقتل ميمون في جمادى الاولى سنة ثلاث ومائتين وأقبل الجروى في مراكبته الى القسطاوع لخرقه اخرج اليه اهل المسجد وسألوه الكف فانصرف عنها وحارب الاسكندرية غير مرة وقتل بها من حجر أصابه من مخبئه في آخره فرسنة خمس ومائتين ومات السرى بعده بثلاثة اشهر في آخر جمادى الاولى وقام بهد الجروى ابنه على بن عبد العزيز الجروى فخارب أبانصر محمد بن السرى امير مصر بعد أبيه بشظوف ثم التقى بدمهور فيقال ان القتلى بينهما يومئذ كانوا سبعة آلاف وانهم زعم ابن السرى الى القسطاوع فبعثه مراكب ابن الجروى ثم عادت فدخل ابو حرملة فرج بينهم حتى اصطالحا ومات ابن السرى في شعبان سنة ست ومائتين فولى بعده أخوه عبيد الله بن السرى فكف عن ابن الجروى وبعث المأمون محمد بن يزيد بن حمزة الشيباني الى مصر في جيش من ربيعة فامتنع عبيد الله بن السرى من التسليم له ومانعه فاقتتلوا وانضم على بن الجروى الى خالد بن يزيد وأقام له الانزال وأغاثة وسار حتى نزل على خندق عبيد الله بن السرى فاقتتلوا في شهر ربيع الاول سنة سبع ومائتين وجرحت بينهم حروب بعد ذلك آلت الى ترفع خالد الى أرض الحوف فكره ذلك ابن الجروى ومكره حتى أخرجه من عمله الى غربى النيل فنزل بها وانصرف ابن الجروى الى تنيس فصار خالد في ضرر وجهد وعسكر له ابن السرى في شهر رمضان وأمره وأخرجه من مصر الى مكة في البحر وبعث المأمون بولاية عبيد الله بن السرى على ما في يده وهو فسطاط مصر وصعيدا وغربها وبولاية على بن عبد العزيز الجروى تنيس مع الحوف الشرقى وضمنه خراجه وأقبل ابن الجروى على استخراج خراجه من أهل الحوف فأنهوا وكتبوا الى ابن السرى يستمدونه عليه فأمدهم بأخيه فالتقى بكورة بنا في بلقينة فاقتتلوا في صفر سنة ثمان ومائتين وامتدت الحروب بينهم الى أثناء ربيع الاول وهم منه فون فانصرف ابن الجروى فيمن معه الى دمياط فسار ابن السرى الى محلة شريقون ونهبها وبعث الى تنيس ودمياط فملكهما وخلق ابن الجروى بالفرما وسار منها الى العريش فقتل فيما بينها وبين غزوة ثم عاد وأغار على القرما في جمادى الآخرة ففر أصحاب ابن السرى من تنيس وسار ابن الجروى الى شظوف فخرج اليه ابن السرى واقتتلا فكانت لابن الجروى في اول النهار ثم اتاه كين ابن السرى فأنهم زعم ذلك في رجب فغضى الى العريش وسار ابن السرى الى تنيس ودمياط ثم أقبل ابن الجروى في المحرم سنة عشر ومائتين وملك تنيس ودمياط بغير قتال فبعث اليه ابن السرى بالبعوث فحاربهم فبينما هم في ذلك اذ قدم عبد الله بن طاهر قتلناه ابن الجروى بالاموال والانزال وانضم اليه ونزل معه ببليس فامتنع ابن السرى ودافع ابن طاهر قترأخي له وبعث فجي المال ونزل زفتا وبعث الى شظوف عيسى الجلودى على جسر عقده من زفتا وجعل ابن الجروى على سفنه التي جاءت من الشام لمعرفته بالحرب فهزم مراكب ابن السرى في المحرم سنة احدى عشرة وصالح ابن طاهر عبيد الله بن السرى في مصر وخلع عليه وأجازة بعشرة آلاف دينار وأقره بالخروج الى المأمون فسكنت قن مصر بعبد الله بن طاهر * وفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ولدت بتيس معزى جد باله قرون عدة ورأسه مع صدره وبذنه وقدمه بصوف أبيض وموخره بشعر أسود وذنبه ذنب شاة وولدت امرأة سمكة لها رأس مدقور ولها يدان ورجلان وذنب ولثلاث بقين من ذى الحجة من هذه السنة حدث بتيس وعد وبرق وريح

شديدة وسواد عظيم في الجوف ثم ظهر وقت السحر في السماء عمود نار اجرت منه السماء والارض أشد حرة وخرج غبار ودخان بأخذ بالانفاس فلم يزل الى الرابعة من النهار حتى ظهرت الشمس ولم يزل كذلك خمسة أيام * وفي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة حضر عند قاضي تنيس أبي محمد عبد الله بن أبي الريس رجل وامرأة فطالبت المرأة الرجل بفرض واجب عليه فقال الرجل تزوجت بها منذ خمسة أيام فوجدت لها مال الرجال ومال النساء فبعث اليها القاضي امرأة لتسرف عليها فأخبرت أن لها فوق القبل ذكرًا بخصيتين والفرج تحتها والذكر أظف وأنها رابعة الحسن فطلقها الزوج * قال أبو عمرو الكندي حدثني أبو نصر أحمد بن علي قال حدثني يس بن عبد الاحد قال سمعت أبي يقول لما دخل عبد الله بن طاهر مصر كنت فيمن دخل عليه فقال حدثنا عبد الله بن لهيعة عن أبي قبيل عن سبيع قال يا أهل مصر كيف بكم اذا كان في بلدكم قتل فوليكم فيما الاعوج ثم الاصفر ثم الامر ثم ياتي رجل من ولد الحسين لا يدفع ولا يمنع تبلغ رايته البحر الاخضر علاها عدل فقلت كان ذلك كانت الفتنة فولياها السري وهو الاعرج والاصفر ابنه ابو النصر والامر دعي عبد الله بن السري وأنت عبد الله بن طاهر بن الحسين ثم ان عبد الله بن طاهر سار الى الاسكندرية وأصلح امرها وأخرج ابن الجروي الى العراق ثم قدم به الافشين الى مصر في ذي الحجة سنة خمس عشرة وقد أمر الافشين أن يطالبه بالاموال التي عنده فان دفعها اليه والاقية فطالبه ولم يدفع اليه شيئا فقدمه بعد الاضحية ثلاث فقتله * وفي جادى الآخرة سنة تسع عشرة ومائتين نار يحيى بن الوزير في تنيس فخرج اليه المطفر بن كندر أمير مصر فقاتله في بحيرة تنيس وأسره وتفرق عنه اصحابه * وفي سنة تسع وثلاثين ومائتين أمر المتوكل ببناء حصن على البحر بتنيس فتولى عمارة غنيسة بن اسحاق أمير مصر وأنفق فيه وفي حصن دمياط والفرما لا عظيما وفي سنة تسع وأربعين ومائتين عذبت بحيرة تنيس صيفاً وشتاء ثم عادت لمخاضها وشتاء وكانت قبل ذلك تقيم ستة أشهر عذبة وستة أشهر مالحة وفي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وصلت مراكب من صقلية فمهاوامة تنيس وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة صيد بأشتوم تنيس حوت طوله ثمانية وعشرون ذراعاً ونصف من ذلك طول رأسه تسعة أذرع وذات برطنه مع ظهره خمسة عشر ذراعاً وفتحة فمه تسعة وعشرون شبراً وعرض ذنبه خمسة أذرع ونصف وله يدان يجذف بهما طول كل يد ثلاثة أذرع وهو أملس أغبر غليظ الجلد مخطط البطن بياض وسواد ولسانه أحمر وفيه خيل كالريش طوله نحو الذراع يعمل منه اسباط يشبه الذيل وله عينان كعيني البقر فأمر أمير تنيس أبو اسحاق بن لوبية به فشق بطنه وملح بمائة اردب ملح ورفع فكه الاعلى بعود خشب طويل وكان الرجل يدخل الى جوفه بقفاف الملح وهو قائم غير منحن وجل الى القصر حتى رآه العزيز بالله وفي ليلة الجمعة ثامن عشر ربيع الاول سنة تسع وسبعين وثلاثمائة شاد اهل تنيس تسعة أعمدة من نار تلتهم في آفاق السماء من ناحية الشمال فخرج الناس الى ظاهر البلدي عون الله تعالى حتى اصبحوا نجبت تلك النيران وفيها صيد بحيرة تنيس حوت طوله ذراع ونصفه الاعلى فيه رأس وعينان وعنق وصدر على صورة أسد ويداؤه في صدره بخالبه ونصفه الادنى صورة حوت بغير قشر يحمل الى القاهرة وفي سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ولدت جارية بشار أسين أحد هما بوجه أبيض مستدير والاخر بوجه أسمر فيه سهولة في كل وجه عينان فكانت ترضعهما وكلاهما مركب على عنق واحد في جسد واحد يدين ورجلين وفرج ودرنجات الى العزيز حتى رآها وهب لاماها جلة من المال ثم عادت الى تنيس وماتت بعد شهر وفي سنة احدى وسبعين وخمسمائة وصل الى تنيس من شواني صقلية نحو أربعين مركباً فخصر وها يومين وأقلعوا ثم وصل اليها من صقلية أيضاً في سنة ثلاث وسبعين نحو أربعين مركباً فقاتلوا اهل تنيس حتى ملكوها وكان محمد بن اسحق صاحب الاسطول قد حيل بينه وبين مراكبه فحيز في طائفة من المسلمين الى مصلى تنيس فلما اجتمع الليل هجم بمن معه البلد على الفرنج وهم في غفلة فأخذ منهم مائة وعشرين فقطع رؤسهم فأصبح الفرنج الى المصلى وقتلوا من بهمن المسلمين فقتل من المسلمين نحو السبعين وسار من بقي منهم الى دمياط فمال الفرنج على تنيس وألقوا فيه النار فأحرقوا وساروا وقد امتلأت ايديهم بالغنائم والاسرى الى جهة الاسكندرية بعد ما أقاموا بتنيس أربعة أيام ثم لما كانت سنة ست وسبعين وخمسمائة نزل فرج عسقلان في عشر حراريق على أعمال تنيس وعليها رجل منهم يقال له المعز فأسر جماعة وكان على مصر الملك العادل من قبل أخيه الملك الناصر صلاح الدين يوسف عندما سار الى بلاد الشام ثم مضى المعز وعاد فأسر ونهب قساربه المسلمون وقتلوه فظفرهم

الله به وقبضوا عليه وقطعوا يديه ورجليه وصلبوه * وفي سنة سبع وسبعين وخسمائة اتدب السلطان
 لعمارة قلعة تنيس وتجديد الآلات بها عند ما اشتد خوف اهل تنيس من الاقامة بها فقد راعمارة سورها
 القديم على أساساته الباقية بمبلغ ثلاثة آلاف دينار عن ثمن اصناف وأجر * وفي سنة ثمان وثمانين وخسمائة
 كتب باخلاء تنيس ونقل أهلها الى دمياط فأخليت في جفر من الذراري والاثقال ولم يبق بها سوى المقاتلة في
 قلعتها * وفي شوال من سنة أربع وعشرين وستمائة امر الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن ايوب بهدم
 مدينة تنيس وكانت من المدن الجليلة تعمل بها الثياب السرية وتصنع بها كسوة الكعبة * قال الفاكهي في
 كتاب أخبار مكة ورأيت كسوة مما يلي الركن الغربي يعني من الكعبة مكتوبا عليها بما أمر به السرى بن
 الحكيم وعبد العزيز بن الوزير الجروي بأمر الفضل بن سهل ذي الرياستين وطاهر بن الحسين سنة سبع
 وتسعين ومائة ورأيت شقة من قباطي مصر في وسطها الا انهم كتبوا في أركان البيت بخط دقيق أسود مما أمر
 به أمير المؤمنين المأمون سنة ست ومائتين ورأيت كسوة من كسا المهدي مكتوبا عليها باسم الله بركة من الله
 لعبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر به المعيل بن ابراهيم أن يصنع في طراز تنيس على
 يد الحكيم بن عبيدة سنة اثنتين وستين ومائة ورأيت كسوة من قباطي مصر مكتوبا عليها باسم الله بركة من الله
 بما أمر به عبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين أصلحه الله محمد بن سليمان أن يصنع في طراز تنيس كسوة الكعبة
 على يد الخطاط بن مسلمة عامه سنة تسع وخسين ومائة * قال المسيحي في حوادث سنة أربع وثمانين وثلثمائة
 وفي ذي القعدة ورد يحيى بن اليمان من تنيس ودمياط والفرما بهديته وهي أسفاط وتخت وصناديق مال
 وخيل وبغال وجير وثلث مظل وكسوتان للكعبة * وفي ذي الحجة سنة اثنتين وأربع مائة وردت هدية تنيس
 الواردة في كل سنة منها خمس فوق مزينة ومائة رأس من الخيل بسر وجها ولحها وتجايف وصناعات عدة
 وثلث قباب دينية بمراتبها ومتمرقات وبنود وما جرى الرسم بحمله من المتاع والمال والبز ولما قدم الحاكم
 استدعت أخته السيدة سيدة الملك الى عامل تنيس عن الحاكم بأن يحمل مالا كان اجتمع قبله ويجعل توجيهه
 وقيل انه كان ألف دينار وألف درهم اجتمعت من ارتفاع البلد لثلاث سنين وأمره الحاكم بتركها
 عنده فعمل ذلك اليها وبه استعانت على ما دبرت * وفي سنة خمس عشرة وأربع مائة ورد الخبر على الخليفة
 الظاهر لا عز الدين الله أبي هاشم على بن الحاكم بأمر الله أن السودان وغيرهم ناروا بتنيس وطلبوا أرزاقهم
 وضيقوا على العامل حتى هرب وانهم عاثوا في البلد وأفسدوا ومدوا أيديهم الى الناس وقطعوا الطرقات
 وأخذوا من المودع الفوا وخسمائة دينار فقام البحر حراى وقعد وقال كيف يفعل هذا بخزانة السلطان وساءنا
 فعل هذا بتنيس أو ريت المال وسيرتسين فارسا لا قبض على الخيانة وما زالت تنيس مدينة عامرة ليس بأرض
 مصر مدينة أحسن منها ولا أحسن من عمارتها الى أن خربها الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن ايوب
 في سنة أربع وعشرين وستمائة فاستمرت خرابا ولم يبق منها الا رسومها في وسط البحيرة وكان من جملة كورة
 تنيس بورا ومنها وايوان وشطا وبجسورها الا أن يصاد منها السمك وهي قليلة العمق يسار فيها بالعادي وتلقى
 السفينتان هذه صاعدة وهذه نازلة بريح واحدة وقطع كل واحدة منهما ملو بالريح سيرهما في السرعة مستو
 توسط البحيرة عدة جزائر تعرف اليوم بالعزب جمع عزبة بضم العين المهملة وزاى ثباء موحدة سكنها طائفة من
 الصيادين وفي بعضها ملاجئ يؤخذ منها على عذب لذيذ ملوحته وماؤها ملح وقد يحلوا أيام النيل * (توبة) *
 وكان من جملة عمل مدينة تنيس قرية يقال لها قونة يعمل بها طراز تنيس ويصنع بها من جملة الطراز كسوة
 الكعبة أحيانا * قال الفاكهي ورأيت أيضا كسوة لهرورن الرشيد من قباطي مصر مكتوبا عليها باسم الله
 بركة من الله للخليفة الرشيد عبد الله هرون أمير المؤمنين أكرمه الله مما أمر به الفضل بن الربيع أن يعمل في طراز
 قونة سنة تسعين ومائة * (سمناى) * قرية من قرى تنيس غلبت عليها بحيرة تنيس فصارت جزيرة فلما كان في شهر
 ربيع الاول سنة سبع وثلثين وثمانمائة كشف عن حجارة وأجر بها فاذا عضادات زجاج كثيرة مكتوب على
 بعضها اسم الامام المعز لدين الله وعلى بعضها اسم الامام العزيز بالله زار منها ما عليه اسم الامام الحاكم بأمر
 الله ومنها ما عليه اسم الامام الظاهر لا عز الدين الله ومنها ما عليه اسم المستنصر وهو أكثرها أخبرني بذلك من
 شاهده ورآه * (بورا) * كانت فيما بين تنيس ودمياط واليها ينسب السمك الذي يقال له البورى واليها ينسب

أيضاً بالبوري الذين كانوا بالقاهرة والاسكندرية * وفي سنة عشر وستائة وصل العدو إليها بشواني
وسبأها فقدمت إليها القطائع التي كانت على رشيد فسارعنّها العدو * (القيس) * بفتح القاف وبعدها سين
مهلهة بلد ينسب إليها الثياب القيسية آثارها إلى اليوم باقية على البحر الملح فيما بين السوادة والورادة وبعدها من
مدينة القرما قريب من ستة برد في البر وهناك تل عظيم من رمل خارج في البحر الشامي يقطع الفرج عنده
الطريق على المارة وبالقرب من التل سباح ينبت فيه ملح يحمله العربان إلى غزّة والرمله وبقرّب هذا السباح آثار
يزرع عندها مقاي لعربان تلك البوادي

(* ذ كرمدينة صا)

قال ابن وصف شاه ولما قسم قطيم بن مصر ايم الارض بين أنثون واتريب وقفط وصا انتقل كل واحد إلى
قسمه وحيزه فخرج صا بأهله وولده وحشمه إلى حيزه وهو بلد البحيرة والاسكندرية حتى انتهى إلى بركة ونزل
مدينة صا قبل أن تبنى الاسكندرية وكان صا أصغر ولداً يبدواهم إليه فلما ملك حيزه أمر بالنظر في العمارات
وبناء المداين والبلدان والهياكل واظهار الجباب كما صنع اخوته وطلب الزيادة في ذلك * وقال مرهون
الهندي صاحب بانه فبنى من حد صا إلى حد لوبية ومراقية على البحر أعلاما وجعل على رؤس تلك الاعلام
مراعى من اخلاط شتى فكان منها ما يجمع من دواب البحر وأذاها ومنها ما اذا قصدهم عدو من الجزائر وأصابها
الشمس ألقت شعاعا على مراكيهم فأحرقها ومنها ما يرى المداين التي تحاذيهم من عدوة البحر وما يدهله أهلها
ومنها ما ينظر فيها إلى إقليم مصر فيعلم منه ما يختص وما يجذب في كل سنة وجعل فيها حمامات تقدم من نفسها
وجعل مستنقعات ومنتهات وكان ينزل كل يوم منها في موضع بمن يخصه من خدمه وحشمه وجعل حوالها
بساتين وسرح فيها الطيور المغردة والوحش المستأن من الانهار المطردة والياض المونقة وجعل شرفات
قصوره من حجارة ملونة تلعب اذا أصابها الشمس فينشر شعاعها على ما حولها ولم يدع شياً من آلة النعمة
والرفاهية الا استعمله فكانت العمارة ممتدة في رمال رشيد ورمال الاسكندرية إلى بركة وكان الرجل يسافر
في أرض مصر لا يحتاج إلى زاد لكثرة الفواكه والخيرات ولا يسير الا في ظلال نستره من الشمس وعمل في تلك
العصارى قصورا وغرس فيها غروسا وساق إليها من النيل أنهارا فكان يسلك من الجانب الغربي إلى حد
الغرب في عمارة متصلة فلما انقرض أولئك القوم بقيت آثارهم في تلك العصارى وخربت تلك المنازل وباد أهلها
ولا يزال من دخل تلك العصارى يحكي ما رآه فيها من الآثار والنجائب * قال مؤلفه رحمه الله حدثني الثقة
عن دخل مدينة صا ومشى في خرابها فاذا هو ببلدة طولها أربعة أشبار وقناولها وأخذت أملها ثم كسرها فاذا
فيها سنبلة قدر شبر وافر كأنها كما حصدت وفر كها يبدى مخرج منها فح أبيض بكار حبه جد في قدر حب اللوبيا
فأكله كله فلم يجد فيه تغيرا ودخل آخر إليها قبيل سنة تسعين وسبع مائة وأخذ منها السنبلة طولا ذراع ونصف
في عرض ذراع فكسرها فاذا فيها سنبلة فمخ فمخ كل قمحة منها في مقدار ما يكون أكبر من الحصى فلم يطق كسره
الا بعد ما رضعه بالحجارة رضا ووجد بصا صنم لطيف طول اصبع فاتفق انه ألقى في حايصة ماء فصار خراوكان
ذلك عند رجل من تنيس فصطحت حاله من بيعه ذلك الخمر فطلبه الأمير الاوحد مستولى تنيس وما زال به حتى
أخذ الصنم منه

(* رمل الغرابي)

اعلم أن هذا الرمل ممتد في الارض ويسميه بعضهم الرمل الهبير وطوله من وراء جبل طي إلى أن يصل مشرقا
بالبحر ويمضي من وراء جبل طي إلى أرض مصر ثم إلى بلد النوبة ويمتد إلى البحر المحيط مسيرة خمسة أشهر ومنه
عرق يضرب من القادسية إلى البحر بين قيعر البحرين فيمر على مشارق خورستان وفارس إلى أن يرد بحجستان
ويمر مشرقا إلى مرو وأخذ أعلى جيحون في بركة خوارزم ويأخذ في بلاد الخلد الحية إلى الصين والبحر المحيط في جهة
الشرق وهو على ما وصفته وسقته من المحيط بالشرق إلى المحيط بالمغرب وفيه جبال عظيمة لا ترتقي وبعضه في
أرض مهلهة ينتقل من مكان إلى مكان ومنه اصفر لين اللبس وأحمر وأزرق سماوي وأسود حالك وأكل مشبع
كالنيل وأبيض كالثلج ومنه ما يحكي الغبار نعومة ومنه خشن جريش اللبس وزعم بعضهم أن رمل الغرابي

وما يصل به من حد العريش الى أرض العباسة حادث * وذكر في سبب كونه خبر فيه معتبر وهو أن شداد بن
 هتاد بن شداد بن عادي أحد الملوك العبادية قدم الى مصر وغلب بكثرة جيوشه اشمون بن مصر بن مصر بن حام
 ابن نوح ملك مصر وهدم ما بناه هو وآبائه وبني لنفسه اهراماً و نصب أعلاماً بر عليها الطلحات واخط موضع
 الاسكندرية وأقام هناك دهرًا الى أن نزل به وبقومه وباء فخرجوا من أرض مصر الى جهة وادي القرى فيما
 بين المدينة النبوية وأرض الشام وعمر الملاعب والمصانع لحبس المياه التي تجتمع من الأمطار والسيول
 فكان سعة كل مصنع ميلًا في ميل وغرسوا التخل وغيره وزرعوا أصناف الزراعات فيما بين رابة وأيلة الى البحر
 القري وامتدت منازلهم من الدثنة الى العريش والخفار في أرض سهلة ذات عيون تجري وأشجار مثمرة
 وزروع كثيرة فأقاموا بهذه الأرض دهرًا طويلاً حتى عثوا وبغوا وتجبروا وطفغوا وقالوا نحن الأكثرون قوة
 الأشدون الأغلبون فسلط الله عليهم الريح فأهلكتهم ونسفت مصانعهم وديارهم حتى سقطت أرملافهم تراه من
 هذه الرمال التي بأرض الخفار ما بين العباسة حيث المنزلة التي تعرف اليوم بالصالحية الى العريش من رمل
 مصانع العبادية وسحالة حضورهم لما اهلكهم الله بالريح ودمرتهم تدميراً وإياك وانكار ذلك لغرابته في
 القرآن الكريم ما يشهد لصحته قال تعالى وفي عاد إذا أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أنت عليه
 الا جعلته كالرميم اى كالشيء الهالك البالي وقيل الرميم نبات الأرض اذا يبس ودبس وقيل الورق الجاف
 المتحطم مثل الهشيم والرميم الخلق البالي من كل شيء * (مراقية) * مدينة عراقية كورة من كورة مصر الغربية
 وهي آخر حد أرض مصر وفي آخر أرض عراقية تلي أرض انطاكس وهي برقة وبعد هان من مدينة سنترية
 نحو من بردين وكان قطراً كبيراً به نخيل كثير ومزارع وبه عيون جارية وبها الى اليوم بقية وعمرها جيد الى الغاية
 وزرعها اذ بنيت من الحبة الواحدة من القمح مائة سنبله وأقل ما تنبت تسعون سنبله وكذلك الارز بها
 قائم جيد زالوبها الى اليوم بسايتين متعددة وكانت عراقية في القديم من الزمان سكنها البربر الذين نفاهم داود
 عليه السلام من أرض فلسطين فزالها منهم خلائق ومنها انفرت البربر فزال زناثة ومغيلة وضريبة الجبال
 ونزلت لواتة أرض برقة ونزلت هواره طرابلس المغرب ثم انتشرت البربر الى السويس فلما كان في شوال سنة
 أربع وثمانمائة من سني الهجرة المحمدية جلى اهل لويبة وعراقية الى الاسكندرية خوفاً من صاحب برقة ولم تزل
 في اختلال الى أن تلاشيت في زمانها وبها بعد ذلك بقية جيدة * (كوم شريك) * هذا المكان بالقرب من
 الاسكندرية له ذكر في الاخبار عرف بشريك بن سبي بن عبد يغوث بن جرة المرادي القطيفي من الصحابة
 رضي الله عنهم وكان على مقدمة عمرو بن العاص في فتح الاسكندرية الثاني فعندما كثرت جمائع الروم
 لمحاز شريك الى هذا الكوم بأصحابه ودافع الروم حتى ادركه عمرو وكوم شريك هذا من جملة حوف رمسيس
 * (غيفة) * قرية تقارب مدينة بليس من القسطنطينية اليها مر حلتان كانت منزلة قافلة الحاج ويقال ان
 صواع الملك الذي فقد من مدينة مصر وجد في رحال اخوة يوسف عليه السلام بغيفة هذه * (سمنود) *
 كان بها برابا عليه هيئة درقة فيها كآبة حكى ابن زولاقي عن أبي القاسم مأثور العدل انه نسخ الكتابة في قرطاس
 وصوره على درقة قال فما كنت أستقبل به أحدا الا ولى هارباً وكان بها أيضاً تماثيل وصور من تلك مصر فيهم
 قوم عليهم شاسيات وبأيديهم الحراب وعليهم مكتوب هؤلاء يملكون مدينة مصر

* (ذكر مدينة بليس) *

وسميت في التوراة أرض حاشان وفيها نزل يعقوب لما قدم على ولده يوسف عليه السلام فأنزله بأرض حاشان
 وهي بليس الى العلاقة من أجل مواشيعهم قال ابن معبد بليس والها يصل حكمه الى الورداء وهي آخر حد
 مصر والها تنتهي المعاملة بقضة السواد ويصير الناس يتعاملون بالفلوس بعدها الى العريش وهي أول الشام
 وقيل هي آخر مصر * وقال ابو عبيد البكري بليس بفتح أوله واسكان ثانيه بعده باء مثل الأولى مفتوحة
 أيضاً وباء ساكنة وسين مهملة وهو موضع قريب مصر معروف وذكر ابن خرداذبة في كتاب المسالك والممالك
 أن بين بليس ومدينة قسطنطينية مصر أربعة وعشرين ميلاً * وذكر الواقدي أن المقوقس زوج ابنته
 ارمافوس من قسطنطين بن هرقل وجهزها بأموالها وجوارها وعلانها وحشمها لتسير اليه حتى يبنى عليها
 في مدينة قيسارية وهم محاصرون لها فخرجت الى بليس وأقامت بها وبعثت حاجبها الكبير في ألفي فارس

الى الفرما ليحفظ الطريق ولا يدع أحدا من الروم ولا غيرهم يعبر الى مصر وبعث المقوقس رسله الى اطراف بلاده بما يلي الشام أن لا يتركوا أحدا يدخل أرض مصر مخافة أن يتحدوا بغلبة المسلمين على الشام فيدخل العرب في قلوب عساكره فلما قدم عمر بن الخطاب الجابية وسار عمرو بن العاص الى مصر نزل على بليس وبها أرمافوسة ابنة المقوقس قتلت من بها وقتل منهم زهاء ألف فارس وأسرت ثلاثة آلاف وانهمز من بقي الى المقوقس وأخذت أرمافوسة وجميع مالها وسائر ما كان للقبط في بليس فأحب عمرو وملاطفة المقوقس فسير اليه ابنته أرمافوسة مكرمة في جميع مالها مع قيس بن أبي العاص السهمي فسيرت بقدمها ثم سار عمرو الى القصر ولم تزل من مدائن مصر الكبار حتى نزل عليها امرئ ملك الفرنج وأخذها عنوة بعد حصار طويل وقتل منها الآفا ولها أخبار كثيرة وقد خربت منذ عهد الحوادث بديار مصر بعد سنة ست وثمانمائة بعد ما دركها وبها عمارة كثيرة وفيها عدة بساتين وأهلها أصحاب يسار ونعم سنية

* (ذكر بلاد الوردية) *

الوردية من جلة الجفار قال عبيد الله بن عبد الله بن خرداذية في كتاب المسالك والممالك وصفة الطريق والارض من الرملة الى اردود اثنا عشر ميلا ثم الى غزة عشرون ميلا ثم الى العريش أربعة وعشرون ميلا في رمل ثم الى الوردية ثمانية عشر ميلا ثم الى الغريب عشرون ميلا ثم الى الفرما أربعة وعشرون ميلا قال الخليفة المأمون ذلك كان بالميدان أقصر منه بالفرما غريب في قرى مصر يقاسى الهم والسدما ثم الى جبر ثلاثون ميلا ثم الى القاصرة أربعة وعشرون ميلا ثم الى مسجد قضاة ثمانية عشر ميلا ثم الى بليس أحد وعشرون ميلا ثم الى فسطاط مدينة مصر أربعة وعشرون ميلا * وقال جامع تاريخ دميضط ولما افتتح المسلمون الفرما بعدما افتتحو دميضط وتنيس ساروا الى البقارة فأسلم من بها وساروا منها الى الوردية فدخل أهلها في الاسلام وما حولها الى عسقلان * وقال القاضي الفاضل في متجددات شهر المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة وصاحبنا الوردية فيمناعا على ميناء الوردية ودخلنا الوردية فرأيت تاريخ منارة جامعها سنة ثمان وأربع مائة واسم الحاكم بأمر الله عليها والوردية من جلة الجفار ويقال أخذ اسمها من الورد ولم يزل جامعها عامرا اتقام به الجمعة الى ما بعد السبع مائة وبلد الوردية القديمة في شرقي المنزلة التي يقال لها اليوم الصالحية وبها آثار عمائر ونخل قليل * (الصالحية) * هذه البلدة اختطها الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن ايوب بن شاذي بأرض المسالخ والعلاقة في أول الرمل الذي بين مصر والشام وأنشأ بها قصورا وجامعا وسوقا تكون منزلة العساكر اذا خرجوا من الرمل وذلك في سنة أربع وأربعين ونسماثة

* (ذكر مدينة ايلة) *

ذكر ابن حبيب أن اثال بضم اؤه ثم ثاء مثلثة وادى ايله وايله بفتح اؤه على وزن فعلة مدينة على شاطئ البحر فيما بين مصر ومكة سميت بأيلة بنت مدين بن ابراهيم عليه السلام وايله أول حذا لحجاز وقد كانت مدينة جيلة القدر على ساحل البحر الملح بها التجارة الكثيرة وأهلها الخلاط من الناس وكانت حدة مملكة الروم في الزمن الغابر وعلى ميل منها باب معقودة مصر قد كان فيه مسلحته يأخذون المكس وبين ايله والقدس ست مراحل والطور الذي كأم الله عليه موسى عليه السلام على يوم وليلة من ايله وكانت في الاسلام منزلا لبي أمية وأكثرهم موالى عثمان بن عفان وكانوا اسقاء الحاج وكان بها علم كثير وآداب ومتاجر وأسواق عامرة وكانت كثيرة النخل والزروع وعقبة ايله لا يصعد اليها من هوراكب وأصلحها فائق مولى خازويه بن احمد بن طولون وسوى طريقها ورم ما استمر منها وكان بأيلة مساجد عديدة وبها كثير من اليهود ويزعمون أن عندهم برد النبي صلى الله عليه وسلم وأنه بعثه اليهم اما ناكوا ولا يجوزونه رداء عديا ملفوفا في الثياب قد أربز منه قدر شبر فقط ويقال ان ايله هي القرية التي ذكرها الله تعالى في كتابه حيث قال واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتهم حينئذ يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبثون لآياتهم كذلك نبأهم بما كانوا يفسقون وقد اختلف في تعيين هذه القرية فقال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والسقي هي ايله وعن ابن عباس أيضا ان المدينة بين ايله والطور وعن الزهري انها طبرية وقال قتادة وزيد بن أسلم هي ساحل من سواحل الشام بين مدين وعينونة

يقال لها معناة وسئل الحسين بن الفضل هل تجذب في كتاب الله الحلال لا يأتيتك الاقوتنا والحرام يأتيتك جرافا قال نعم في قصة ايلة اذ نأتيتهم حينئذ يوم سبتهم شترعوا يوم لا يسبتون لا نأتيتهم * وكان من خبر أهل القرية انهم كانوا بنى اسرائيل وقد حرم الله عليهم العمل في يوم السبت فزين لهم ابليس الحيلة وقال اغنائيتهم عن أخذ الحياتان يوم السبت فاتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحياتان اليها يوم الجمعة فبقى فيها فلا يكمها الخروج منها لقله الماء فيأخذونها يوم الاحد وقيل كان الرجل يأخذ خيطا ويضع فيه وهقه ويلقيه في ذنب الحوت وهو بهز يرك الهاء واسكانها حبل كالطول ويجعل في الطرف الاخر من الخيط وتداويتركه كذلك الى يوم الاحد ثم تطرق الناس حين رأوا من صنع هذا لا يتلى حتى كثرا الصيد للحياتان ومشى به في الاسواق وأعلن القسقة بصيده فقامت طائفة من بنى اسرائيل وجاهرت بالنهي واعتزت وقالت لانسا كنكم فقمهوا القرية بجدار فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقلوا ان للناس لسانا فعملوا على الجدار فاذا هم قرودة فدخلوا عليهم فعرفت القرودة انسابهم من الانس فجعلت نأتيتهم فتشم ثيابهم وتبكي فيقول الناهون للقرودة الم تهكم فتقول برأسها نعم قال قتادة فصارت الشاب قرودة والشيوخ خنازير فأنجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم وقيل ان ذلك كان في زمن نبي الله داود عليه السلام وقيل ان ايلة اصلها بآيلة وقد وقع ذكرها في التوراة كذلك وقال الشريف محمد بن أسعد الجوزاني ذكالة من البربر بطن من المصامدة وقالت طائفة ان ذكالة ولدايلة ويقال ايل الذي سميت به عقبة ايلة وأخرانهم من دغفل بن ايلة وانهم يعزون الى البربر ويقولون نحن من ربيعة الفرس وفي ذلك خلاف عظيم * وذكر المصمودي أن يوشع بن نون عليه السلام حارب المديد بن هزبر بن مالط العمليقي ملك الشام ببلد ايلة فتحو مدين وقتله واحتوى على ملكه وفي ذلك يقول عون بن سعيد الجرمي

ألم تر أن العمليقي بن هرم * بأيلة أمسى لمح قد تمزعا

تداعت عليه من يهود جافل * ثمانون ألفا حاسرين ودرعا

وهي آيات كثيرة وقال ابن اسحاق فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تولد اناه تحية بن روبة صاحب ايلة فصالحه وأعطاه الجزية وأناه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية وكتب لهم كتابا فوهو عندهم وكتب تحية بن روبة بسم الله الرحمن الرحيم هذا امنة من الله ومحمد النبي رسوله تحية بن روبة وأهل ايلة أساقفهم وسائرهم في البر والبحر اهدم دمة الله وذمة النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحرين أحدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه طيب ان أخذ من الناس وانه لا يحل أن يمنعوا ما يريدونه ولا طر يقا يريدونه من بر أو بحر هذا كتاب جهيم بن الصلت وشربيل بن حسنة باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك في سنة تسع من الهجرة ولم تزل مدينة ايلة عامرة أهلة * وفي سنة خمس عشرة وأربعمائة طرق عبد الله بن ادريس البعظري ايلة ومعه بعض بنى الجراح ونهبوا وأخذ منها ثلاثة آلاف دينار وعدة غلال وسبي النساء والاطفال ثم انه صرف عن ولاية وادى القرى فسارت اليه سرية من القاهرة لمحارسته * قال القاضي الفاضل وفي سنة ست وستين وخمسائة انشا الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب مرأب مفصلة وحملها على الجبال وسار بها من القاهرة في عسكر كبير لمحاربة قلعة ايلة وكانت قدم ملكه الفرنج وامتنعوا بها فنازلها في ربيع الاول وأقام المراكب وأصلها وطردها في البحر وشحنها بالمقاتلة والاسلحة وقاتل قلعة ايلة في البر والبحر حتى قصها في العشر من شهر ربيع الآخر وقتل من بها من الفرنج وأسكن بها جماعة من ثقاه وقواهم بما يحتاجون اليه من سلاح وغيره وعاد الى القاهرة في آخر جادى الاولى * وفي سنة سبع وسبعين وصل كتاب النائب بقلعة ايلة ان المراكب على تحفظ وخوف شديد من الفرنج ثم وصل اليريس لعنه الله الى ايلة وتربط العقبة وسير عسكره الى ناحية تولد وربط جانب الشام لحرفه من عسكر يطلبه من الشام أو مصر فلما كان في شعبان من السنة المذكورة كثرا المطر بالجبل المقابل للقلعة بأيلة حتى صارت به مياه استغنى بها اهل القلعة عن ورود العين مدة شهرين وتأثرت بيوت القلعة لتتابع المطر ووهت لضعف اساسها فتداركها اصحابها وأصلحوها * وذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان الكوكبة وهم أمة لهم أربعة ملوك ملكوا أرض ايلة والجزاز وبني كل واحد منهم مدينة مماها باسمه وجعلوا سائر الارض خيمات وقسموها على ثلاثين كورة

وجعلوها أربعة أعمال لكل عمل ملك يجلس على منبر ذهب في مدينته وعمل بربا وهي بيت الحكمة وعمل هيكلا
 لاخذ الكواكب وجعل فيه أصناما من ذهب كل صنم له مرتبة وكانت الاسكندرية واسمها رقودة فجعلوا لها
 خمس عشرة كورة وجعلوا فيها كبار الكهنة ونصبوا في هياكلها من أصنام الذهب أكثر مما في غيرها وكان فيها
 ما تناسخ من ذهب وقسموا الصعيد على ثمانين كورة وجعلوه أربعة أقسام وكان عدد مدن اهل مصر الداخلة
 في كورها ثلاثين مدينة فيها العجائب وقيل ان جبر الاكبر واسمه العرنجيج بن سبأ الاكبر واسمه عامر
 ويعرف بعبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان لما ملك بعد ابيه جمع جيوشه وسار يثأ للامم ويدوس الممالك
 كما فعل أبوه فأمر في المشرق حتى أبعد يأجوج ومأجوج الى مطلع الشمس ثم قفل نحو المغرب فجاءه قبائل من
 اهل اليمن من بني هود بن عابر بن صالح بن أرغش بن سام بن نوح يشكون من ثمود بن عازر بن ارم بن سام بن نوح
 وما نزل بهم من ظلمهم فأمر برفعهم من أرض اليمن وأمرهم ايلة فعمروها من ايلة الى ذات الاصل الى اطراف
 جبل نجد فقطعت ثمود هناك الصخور ونحتوا من الجبال البيوت وتكبروا وطغوا فبعث الله فيهم صالحا نبيا
 ورسولا فكذبوه وسألوه أن يخرج لهم ناقة من صخرة فأخرجها لهم فعمروها فأهلكهم الله بالصيحة فأصبحوا
 في ديارهم جاثمين * وقد ذكر أن موسى عليه السلام سار يثأ لاسرائيل بعد موت أخيه هرون الى أرض اولاد
 العيص وهي التي تعرف بجبال السراة جنب بلد الشوبك ثم مر فيها الى ايلة وتوجه بعد أيام الى بزة باب حيث
 بلاد الكرك حتى حارب تلك الامم وكان الى جانب ايلة مدينة يقال لها عصبون جلييلة عظيمة * (مربوط) *
 كورة من كور الاسكندرية كانت لشدة بياضها لا يكاد يبين فيها دخول الليل الا بعد وقت وكان الناس يشون
 فيها وفي أيديهم خرق سود خوف على أبصارهم ومن شدة بياضها لبس الرهبان السواد وكانت بلاد مربوط في نهاية
 العمارة والجنان المتصلة بأرض برقة وهي اليوم من قرى الاسكندرية يزرعها الفواكه وغيرها وقد وقفها
 الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير على جهات بتر الجامع الحاكمي من القاهرة وبها جامع عمر في سنة ست
 وستين وستمائة ثم استأجرها الملك المؤيد شيخ المجدى في سنة احدى وعشرين وثمانمائة وجدد عمارة
 بستانها وقد خرب لترداد عرب لبلدة وبرقة اليه فاستقرت في ديوان السلطان * (وادي هيب) * هذا
 الوادي بالجانب الغربي من أرض مصر قريبا من مربوط والقيوم يجلب منه الملح والنظرون عرف بهيب بن
 محمد بن معقل بن الواقعة بن حزام بن عفان الغفاري أحد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد فتح
 مكة وروى عنه ابو عويمر الجيشاني وأسلم مولى نجيب وسعيد بن عبد الرحمن الغفاري وكان قد اعتزل عند قسنة
 عثمان رضي الله عنه بهذا الوادي فعرف به وكان يقول لا يفرق بين قضاء دين رمضان ويجمع بين الصلاتين في
 السفر ويقال لهذا الوادي أيضا وادي المولود وادي النظرون وبزة شهاب وبزة الاسقط وميزان القلوب
 وكان به مائة دير للنصارى وبقي به سبعة ديورة وقد ذكرت عند ذكر الاديار من هذا الكتاب وهو واد كثير
 الفوائد فيه النظرون ويحصل منه مال كثير وفيه الملح الاندراقي والملح السلطاني وهو على هيئة ألواح الرخام
 وفيه الوصكت والكميل الاسود ومعمل الزجاج وفيه الماسكة وهو طين أصفر في داخل حجر أسود يحك في الماء
 ويشرب لوجع المعدة وفيه البردي لعمل الحصر وفيه عين الغراب وهو ماء في هيئة البركة وطولها نحو خمسة
 عشر ذراعا في عرض خمسة أذرع في مغار بالجبل لا يعلم من اين يأتي ولا الى اين يذهب وهو حار رائق * ويذكر
 أنه خرج منه سبعون ألف راهب يديك كل واحد عكاز فتلقوا عمرو بن العاص بالطرانة مرجعه من
 الاسكندرية يطلبون أمانه لهم على أنفسهم واديارهم فكتب لهم بذلك أمانا بقي عندهم وكتب لهم أيضا بحجراية
 الوجه البحري فاستمرت بأيديهم وان جراتهم جاءت في سنة زيادة على خمسة آلاف اردب وهي الآن
 لا تبلغ مائة اردب

* (ذكر مدينة مدين) *

اعلم أن مدين امة شعيب هم بنو مديان بن ابراهيم عليه السلام وامهم قنطورا ابنة يقطان الكنعانية ولدت له
 ثمانية من الولد تناسلت منهم امم ومدين على بحر القلزم تحاذي تبوك على نحو ست مراحل وهي اكبر من تبوك
 وبها البئر التي استقى منها موسى لساعة شعيب وعمل عليها بيت * قال الفراء مدين امم بلد وقطر وقيل اسم قبيلة
 سميت باسم ابيها مدين ويقال له مديان بن ابراهيم قاله مقاتل وغيره والجهور على أن مدين العجمي وقيل

عربي فان كان عمره يافاه يَحْتَمَلُ أن يكون فعلا من مدن بالمكان أقام به وهو بناء نادر وقيل مهمل او مفعلا من دان فتعجبه شاذ وهو ممنوع الصرف على كل حال سواء كان اسم الارض او اسم القبيلة تجمعا وعريا * وقال المسعودي قد تنازع اهل الشرائع في قوم شعيب بن نوفل بن رعويل بن مَر بن عيقاب بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وكان لسانه العربية ففهم من رأى انهم من العرب الدائرة والام البائدة وبعض من ذكرنا من الاجيال الخالية ومنهم من رأى انهم من ولد المحسن بن جندل بن يعصب بن مدين بن ابراهيم الخليل وأن شعيبا آخرهم في النسب وقد كانوا عدة ملوك تفرقوا في ممالك متصلة ففهم المسمى بأبيجد وهو وحطى ولكن وسعفص وقرشت وهم على ما ذكرنا بنو المحسن بن جندل وأحرف الجمل هي أسماء هؤلاء الملوك وهي الاثنان والعشرون حرفا التي علم احساب الجمل وقد قيل في هذه الحروف غير ما ذكرنا من الوجوه فكان أبيجد ملك مكة وما يليها من الحجاز وكان هو وحطى ملكين يلا دوح وهي الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد وكلن وسعفص وقرشت ملوك بمدين وقيل يلا دمصر وكان كلن على ملك مدين ومن الناس من رأى انه كان ملك جميع من سمينا مشاعا متصلا على ما ذكرنا وان عذاب يوم الظلة كان في ملك كلن منهم وان شعيبا دعاهم فكذبوه وعدهم بعذاب يوم الظلة ففتح عليهم باب من السماء من نار ونجا شعيب بن آمن معه الى الموضع المعروف بأيلة وهي غيضة نخوع مدين فلما أحسن القوم بالبلاء واشتد عليهم الحر وأيقنوا بالهلاك طلبوا شعيبا ومن آمن معه وقد أظلمت صحابة بيضاء طيبة النسيم والهواء لا يجدون فيها ألم العذاب فأخرجوا شعيبا ومن آمن معه من مواضعهم وأزالوهم عن أماكنهم ونوهموا أن ذلك ينجمهم مما نزل بهم فجعلها الله عليهم نارا فأتاهم فرثت جارية بنت كلن أباهما وكانت بالحجاز فقالت

كلن هدم ركني * هلكه وسط المحلة

سيد القوم أتاه الشحت نار او وسط ظله

كوت نارافأضحت * دارقوى مضحله

وقال المنصور بن المنذر المديني

الا يا شعيب قد نطقت مقالة * أبدت بها عمر او نجي بن عمرو

هسم ملكوا أرض الحجاز بأوجه * كمثل شعاع الشمس في صورة البدو

وهم قطنوا البيت الحرام وزينوا * قطورا وفازوا بالمكارم والفخر

ملوك بني خطى وسعفص ذى الندى * وهو زارباب التنية والحجر

قال المسعودي ول هؤلاء الملوك أخبار عجيبه من حروب وسير وكيفية تغلبهم على هذه الممالك وتلكهم عليها وأبادتهم من كان فيها قبلهم من الامم وقيل ان الايكة المذكورة في قوله عز وجل ولقد كذب أصحاب الايكة المرسلين وفي قوله سبحانه وتعالى وان كان أصحاب الايكة لظالمين فأتقننا منهم هي مدين وقيل من ساحل البحر الى مدين وقيل هي غيضة نخوع مدين وقيل بل أصحاب الايكة الذين بعث اليهم شعيب كانوا يتولون بين الحجر وأول الشام ولم يكن شعيب منهم وانما كان من مدين وقال أبو عبيد البكري الايكة المذكورة في كتاب الله تعالى التي كانت منازل قوم شعيب روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في روايتان احدهما ان الايكة من مدين الى شعيب والرواية الثانية انها من ساحل البحر الى مدين وكان شجرهم المثل والايكة عند أهل اللغة الشجر الملتف وكانوا أصحاب شجر ملتف وقال قوم الايكة الغيضة وليكة اسم البلد وما حولها كما قيل مكة وليكة وقال ابو جعفر النحاس ولا يعلم ليكة اسم البلد وقال ابن قتيبة وكان بعضهم يزعم ان ليكة هو موضع المسجد وما حولها مكة كما فرق بين الايكة وليكة فقيل الايكة الغيضة وليكة البلد حولها وقال البكري مدين بلد بالشام معلوم تلقاء غزة وهو المذكور في كتاب الله تعالى وهذا هو مدين من أرض مصر وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى مدينة مدين أميرهم زيد بن حارثة رضى الله عنه فأصاب سبيا من أهل مينا قال ابن اسحق ومينا هي السواحل فبيعوا وقرق بين الامهات والاولاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سيكون قتال ما لهم فأخبر خبرهم فقال لا تبعوهم الا جميعا ومدين من منازل جذام بن عدى بن الحارث ابن مرة بن اد بن زيد بن عمرو بن عزيب بن زيد بن كهلان وشعيب النبي المبعوث الى أهل مدين أحد بني وائل

ابن جذام * وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو قد جذام من حبا قوم شعيب وأصهار موسى ولا تقوم الساعة حتى يتزوج فيكم المسيح ويولد له وقال محمد بن سهل الاحول مدين من اعراض المدينة مثل فذل والقرع ورهاط * قال مؤلفه رحمه الله تعالى وكان بأرض مدين عدة مدائن كثيرة قدياد أهلها وخربت وبقي منها الى يومنا هذا وهو سنة خمس وعشرين وثمانمائة نحو الاربعين مدينة قائمة منها ما يعرف اسمه ومنها ما قد جهل اسمه فما يعرف اسمه فيما بين أرض الحجاز وبلاد فلسطين وديار مصر ست عشرة مدينة منها في ناحية فلسطين عشر مدائن وهي الخلصة والسنيطة والمدرة والمنية والاعوج والخويرق والبثرين والمائين والسبع والمعاق وأعظم هذه المدائن العشر الخلصة والسنيطة وكثيرا ما تنقل تجارتها الى غزة وبقي بها هنالك ومن مدائن مدين بناحية بحر القلزم والطور مدينة فاران ومدينة الرقة ومدينة القلزم ومدينة ايلة ومدينة مدين ومدينة مدين الى الآن آثار عجيبة وعمد عظيمة * ووجد في مدينة الاعوج أعوام بضع وستين وسبعمائة جب بقلعها بعيد المهوى يبلغ عمقه نحو مائة ذراع وبقاها عدة أسفار على رفوف جل منها سفر طوله ذراعان وأزيد قد غلف بلوحين من خشب وكتبته بالقلم السند طول الالف واللام نحو شهر فوجد يلاذ الكرك من قرأه فاذا هو سفر من عشرة أسفار قد ابتدأه بحمد الله ثم قال خروج موسى من أرض مصر الى بلاد مدين وملوك بني مدين فيما بعد شعيب قد كرموا موسى عليه السلام عدة أسماء منها اسمه بالعربية موسى بن عمران وبالعبرانية موسى وبالفارسية داران وبالقبطية هرويس وذكراه تزوج ابنة شعيب وانه أقام بمدين ثمانى حجج ثم قال لابن شعيب قد أتممت لك شرطك وسأزيدك سنتين فضلا منى

* (بقية خبر مدينة مدين) *

قال وخرج موسى متوجها الى مصر والمالك يومئذ على مدين ابجد قال وقوى أمر ابجد فطغى حتى ملك الحجاز واليمن وكان له خمسة اولاد هم هوز وخطى ولكن وسعفص وقرشت فأقام ابجد ملكا باليمن مائة سنة ومات وقد استخلف من بعده ابنه كلن باليمن وجعل ابنه هوز على الحجاز وابنه خطى على أرض مصر وابنه سعفص على الجزيرة وبلادها حيث الموصل وحزان الى أرض العراق وابنه قرشت على العراق ومشارفها من خراسان وكان قرشت هو الحجاز فيهم وكان سعفص وهوز وكلن اهل عدل وحلم وكان خطى صاحب بطش وجراة وكان بنو اميريل اذ ذاك بالشام فلم يملك اولاد ابجد أرض الشام ولا احتوا عليها وكانت مدة ملكهم نحو امان مائة وخمسين سنة فتم اهلهم بدولة أيهم ابجد ثلثمائة سنة وأزيد ثم ملك بعدهم على بني اسرائيل روزيت بن هوز وعزيت بن خطى بن ابجد نحو سبع سنين ثم خرجت الدولة عن اولاد ابجد وأقام هذا الكتاب عندهم زمانا ثم أعادوه الى الحب من قلعة الاعوج حدثني بهذا الخبر الحافظ المتقن الضابط ابو عبد الله محمد ابن احمد بن محمد بن عبد الرحمن الغرياني التونسي المالكي قال حدثني به شتر بن غنيم العامري شيخ لقيه بأرض فلسطين أنه شاهد الكتاب المذكور وهو شاب وحفظ منه ما تقدم ذكره وقيل ان مالك بن دعربن حجر بن جديلة بن ظم كان له أربعة وعشرون ولدا ذكرافكثر اولادهم حتى بنوا المداين والقرى والحصون وعمرها بلاد مدين كلها وغلبوا على بلاد الشام ومصر والحجاز وغيرها خمسمائة سنة وقيل انما كان استيلاء ملوك مدين على مصر خمسمائة سنة بعد غرق فرعون موسى وهلاك دلوكة بنت زفان حتى أخرجهم منها بنى الله سليمان بن داود فعاد الملك الى القبط بعدهم

* (ذكر مدينة فاران) *

هذه المدينة بساحل بحر القلزم وهي من مدن العماليق على تل بين جبلين وفي الجبلين نقوب كثيرة لا تحصي عمولة أمواتا ومن هنالك الى بحر القلزم مرحلة واحدة ويقال له هناك ساحل بحر فاران وهو البحر الذي أغرق الله فيه فرعون وبين مدينة فاران والسيه مرحلتان ويذكر أن فاران اسم لجبال مكة وقيل اسم لجبال الحجاز وهي التي ذكرت في التوراة والتحقيق أن فاران والطور كورتان من كور مصر القبلية وهي غير فاران المذكورة في التوراة وقيل ان فاران بن عمرو بن عمليق هو الذي نسب اليه جبال الحرم فقيل جبال فاران وبعضهم يقول جبال فران وكانت مدينة فاران من جملة مدائن مدين الى اليوم وبها نخل كثير متمر الكت من ثمره وبها نهر عظيم وهي خراب يتر بها العربان

* (ذكر أرض الجفار) *

اعلم أن الجفار اسم لخمس مدائن وهي القرما والبقارة والورادة والعريش ورفج والجفار كله رمل وسمي بالجفار لشدة المني فيه على الناس والدواب من كثرة رمله وبعد مرأله والجفار تجفر فيه الابل فأتخذته هذا الاسم كما قيل للعبل الذي يجبر به البعير هجار ولأنه يجبر به بجار وللذي يعقل به عقار وللذي يطن به بطان وللذي يحطم به خطام وللذي يرم به زمام واشتقت البقارة من البقر والورادة من الورد والعريش أخذ من العرش وقيل إن رفج اسم جبل * وكان يسكن الجفار في القديم خدام بن العريان ويقال إن أرض الجفار كانت في الدهر الأول والزمن الغابر متصلة العمارة بكثرة البركات مشهورة بالخيرات لكثرة زراعة أهلها الزعفران والعصفور وقصب السكر وكان ماؤها غزيرا عذبا ثم صار بها نخل يحرق بها من كل النواحي إلى أن دمرها الله تدميرا فصارت إلى اليوم ذات رمل عظيم يسلك فيه إلى العريش وإلى رفج كله فترى عرف بقمته برمل الغرابي قليل الماء عديم المريع لا ينس به فسبحان محيل الأحوال

* (ذكر صعيد مصر) *

الصعيد المرتفع من الأرض وقيل الأرض المرتفعة من الأرض المنخفضة وقيل مالم يخالفه رمل ولا سبخة وقيل هو وجه الأرض وقيل الأرض الطيبة وقيل هو كل تراب طيب وتسمية هذه الجهة من أرض مصر بهذا الاسم إنما حدث في الإسلام سماها العرب بذلك لأنها جهة مرتفعة عمادونها من أرض مصر ولذلك يقال فيها أعلى الأرض ولأنها أرض ليس فيها رمل ولا سباح بل كلها أرض طيبة مباركة ويقال للصعيد أيضا الوجه القبلي * قال الأستاذ إبراهيم بن وصف شاه والماضيت مصر أيام الوفاة عهد إلى ابنه قبطيم وكان قد قسم أرض مصر بين بنيه فجعل لقبطيم من بلد فقط إلى أسوان ولاشمون من بلد اشمون إلى منف ولا ترب الحوف كله وأصا من ناحية صا البحيرة إلى قرب برقة وقال لآخيه فارقك من برقة إلى الغرب فهو صاحب إفريقية وولده الافارق وأمر كل واحد من بنيه أن يبنى لنفسه مدينة في موضعه * وقال ابن عبد الحكم فلما كثر ولد مصر وأولاد أولادهم قطع مصر لكل واحد منهم قطعة يحوزها لنفسه ولولده وقسم لهم هذا النيل فقطع لابنه فقط موضع فقط فسكنها وبه سميت فقط فقطا وما فوقها إلى أسوان وما دونها إلى اشمون في الشرق والغرب وقطع لاشمون من اشمون فسادونها في الشرق والغرب إلى منف فسكن اشمون اشمون فسميت به وقطع لآخيه ما بين منف إلى صا فسكن آخيه فسميت به وقطع لآخيه ما بين صا إلى البحر فسكن صا فسميت به فكانت مصر كلها على أربعة أجزاء جزين بالصعيد وجزين بأسفل الأرض * وقال أبو الفضل جعفر بن نعلب بن جعفر الأديفي في كتاب الطالع السعيد في تاريخ الصعيد مسافة إقليم الصعيد الأعلى مسيرة اثني عشر يوما بسيار الجمال وعرضه ثلاث ساعات وأكثر بحسب الأماكن العامرة ويتصل عرضه في الكورة الشرقية بالبحر الملح وأراضي الجهة وفي الغربية بالوادي وهي كورتان شرقية وغربية والنيل بينهما فاصل وأول الشرقية من مرج بن هرم المتصلة أرضها بأراضي جرجان من عمل أخميم وآخرها من قبلي الهو وبليها أول أراضي النوبة وفي هذه الكورة تيج فقط وفوص وأول الكورة الغربية برديس تتصل أرضها بأرض جرجان وفي هذه الكورة الغربية سمهود وأخر الكورة الغربية أسوان وبجافته أكثر النخل من الجانبين تكون مساحة الأراضي التي فيها النخل والبساتين تقارب عشرين ألف فدان والمستوى على إقليم الصعيد المشتري * ويقال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أراذب ثم رافعه صا بعض الولاة فلم تحمل في ذلك العام ولا ثمرة واحدة وكانت هذه النخلة في الجانب الغربي ويبع منها في الغلاء كل وية بدينار ويقال لما صورت الدنيا لأمير المؤمنين هرون بن محمد الرشيد لم يستحسن الكورة سيوط من صعيد مصر فانما ثلاثون ألف فدان في استواء من الأرض لو وقعت فيها قطرة ماء لا تنشرب في جمعها * وبالصعيد بقايا سحر قديم * حكى الأمير ططا إلى قوص في أيام ناصر محمد بن فلاون قال أمسكت امرأة ساحرة فقلت لها أريد أن أبصر شيئا من سحرك فقالت أجود علي أن أسحر العقب على اسم شخص بعينه فلا بد أن تقع عليه ويصيبه سمها فقتله فقلت أريدني هذا واقصديني بسحرك فأخذت عقربا وعلت ما أحببت ثم أرسلت العقب قتيبي وأنا أنتهي عنه وهو يقصدي فجلست على تحت وضعت على بركة ماء فأقبل العقب إلى ذلك الماء وأخذني التوصل إلى فلم يطق ذلك فز إلى الحائط وصعد فيه وأنا أشاهده حتى وصل إلى السقف

ومرّقه الى أن صار فوق وألقى نفسه صوبى وسعى نحوى حتى قرب منى فضر به فقتلته ثم قتلت الساحرة أيضاً * وأرض الصعيد كثيرة المواشى من الضأن وغير ذلك لكثرة تساجه حتى إن الرأس الواحد من نعايج الضأن يتولد عنه في عشر سنين ألف وأربع وعشرون رأساً وذلك بتقدير السلامة وأن تلد كلها اناثاً تلد مرة واحدة في كل سنة ولا تلد في كل بطن غير رأس واحد والا فان ولدت في السنة مرتين وكان في كل بطن رأسان تضاعف العدد وتأمل حساب ما قلناه تجده صحيحاً وقد شوهد كثيراً أن من أغنام الصعيد ما يلد في السنة ثلاث مرات ويلد في البطن الواحد ثلاثة أو رؤس * وكانت الكثرة والغلبة يبلد الصعيد لست قبائل وهم بنو هلال وبنو وجهينة وقريش ولواته وبنو كلاب وبنو كلاب ونعلبة وجذام * وبلغ من حمارة الصعيد أن الرجل في أيام الناصر محمد بن علاون وما بعدها كان يتر من القاهرة الى اسوان فلا يحتاج الى نفقة بل يجد بكل بلد وناحية عدة دور وللضيافة اذا دخل داراً منها أحضر لدايته علفها اوجى له بما يليق به من الاكل ونحوه وآل أمره الآن الى أن لا يجد الرجل أحداً فيعابى القاهرة واسوان يضيغه لضيق الحال ثم تلاشى أمر بلاد الصعيد منذ سنة الشراق في أيام الاشرف شعبان ابن حسين بن محمد بن علاون سنة ست وسبعين وسبع مائة وتزايد تلاشي في أيام الظاهر برقوق بطور الولاية ولم يزل في اديار الى أن كانت سنة ست وثمانمائة وشرقت مصر بقصورمذ النيل فدهى اهل الصعيد من ذلك بما لا يوصف حتى انه مات من مدينة قوص سبعة عشر ألف انسان ومات من مدينة سيوط أحد عشر ألف انسان ممن غسل وكفن ومن مدينة هو خمسة عشر ألف انسان وذلك كله سوى الطرعى على الطرقات ومن لا يعرف من الغرباء ونحوهم ثم دمر في أيام المؤيد شيخ فلم يبق منه الا رسوم تبذل الولاية الجهد في محرها نسأل الله حسن الخاتمة

* (ذكر الجنادل ولمع من أخبار أرض النوبة) *

الجنادل ما يعلّ الرجل من الحجارة وقيل هو الحجر كاله واحدة جندة والجنادل الجنادل قال سيديوه وقالوا جنادل يعنون الجنادل وصرفوه لنقصان البناء عما لا ينصرف وأرض جندة ذات جندل وقيل الجنادل المكان الغليظ فيه حمارة ومكان جندل كثير الجنادل * قال عبد الله بن احمد بن سليم الاسواني في كتاب أخبار النوبة والمقرة وعلوة والجهة والنيل * وأقول بلاد النوبة قرية تعرف بالقصر من اسوان اليها خمسة اميال وآخر حصن للمسلمين جزيرة تعرف بيلاق بينها وبين قرية النوبة ميل وهو ساحل بلد النوبة ومن اسوان الى هذا الموضع جنادل كثيرة الحجر لا تسلكها المراكب الا بالحملة ودلالة من يجبر بذلك من الصيادين الذين يصيدون هناك لأن هذه الجنادل متقطعة وشعاب معترضة في النيل ولا نصيبها فيها خير عظيم ردوى يسمع من بعد وهذه القرية مسطحة وباب الى بلد النوبة ومنها الى الجنادل الاولى من بلاد النوبة عشر مراحل وهي الناحية التي يتصرف فيها المسلمون ولهم في قرب املاك وتجرون في أعلاها وفيها جماعة من المسلمين قاطنون لا يفصح أحد منهم بالعربية وشجرها كثير وهي ناحية ضيقة شظفة كثيرة الجبال وما تخرج عن النيل وقراها متسطرة على شاطئها وشجرها النخل والمقل وأعلاها اوسع من أدناها وفي أعلاها الكروم والنيل لا يروى من ارضها الا ارتفاع أرضها وزرعها القدان والقذبان والثلاثة على أعناق البقر بالادوايب والقمح عندهم قليل والشعير كثير والسلت ويعتقبون الارض لضيقها فيزرعونها في الصيف بعد تطريةها بالزبل والتراب الدخن والذرة والجاورس والسهم واللوبيا وفي هذه الناحية فحراش مدينة المريس وقلعة ابريم وقلعة اخرى دونها وبها ميناء تعرف بأدواء ينسب اليها لقمان الحكيم وذو النون وبها بر باعيب وله هذه الناحية وال من قبل عظيم النوبة يعرف بصاحب الجبل من أجل ولا تهم لقربه من أرض الاسلام ومن يخرج الى بلد النوبة من المسلمين فعاملته معه في تجارة أو هدية اليه او الى مولاة يقبل الجميع ويكافئ عليه بالريق ولا يطلق لأحد الصعود الى مولاة لاسلم ولا لغيره * وأقول الجنادل من بلاد النوبة قرية تعرف بتقوى هي ساحل والى انتهت مراكب النوبة المصعدة من القصر اقول بلدهم ولا تجاوزها المراكب ولا يطلق لأحد من المسلمين ولا من غيرهم الصعود منها الا بأذن من صاحب جبلهم ومنها الى المقس الاعلى ست مراحل وهي جنادل كلها وشر ناحية رأيتها لهم لصعوبة بها وضيقها ومشقة مسالكها أما بجرح الجنادل وجبال معترضة فيه حتى ان النيل ينصب من شعاب ويضيق في مواضع حتى يكون سعة ما يزين

الجانبين خمسين ذراعاً وبترها بحجاب ضيقة وجبال شاهقة وطرفان ضيقة حتى لا يمكن الراكب أن يصعد منها أو الراجل الضعيف ينجح عن سلوكها ورمال في غربها وشرقها وهذه الجبال حصنهم واليه يفرع أهل الناحية التي قبلها المتصلة بأرض الاسلام وفي جزائرها نخل يسير وزرع حقير وأكثر كلهم السكك ويدعون بشحمه وهي من أرض مريس وصاحب الجبل واليه والمسلحة بالقس الأعلى صاحبها من قبل كبيرهم شديد الضبط لها حتى أن عظيمهم إذا صار بها وقف به المسطح وأوهم أنه يقتل عليه حتى يجد الطريق إلى ولده ووزيره فمن دونهما ولا يجوز هادئاً ولا درهم إذا كانوا لا يتابعون بذلك إلا دون الجنادل مع المسلمين وما فوق ذلك لا يبيع بينهم ولا شراء وإنما هي معاوضة بالزيت والمواشي والجبال والحديد والحبوب ولا يطلق لأحد أن يجوزها إلا بأذن الملك ومن خالف كان جزاؤه القتل كما نأمن أن وبهذا الاحتياط تنكم أخبارهم حتى أن العسكر منهم يهجم على البلد إلى البادية وغيرهم فلا يعلمون به والسبب الذي يخرط به الجوهر يخرج من النيل في هذه المواضع يغطس عليه فيوجد جسمه بارداً مخالفاً للجمادة فإذا أشكل عليه فحق فيه بالنم فيعرق ومن هذه المسلحة إلى قرية تعرف بساى جنادل أيضاً وهي آخر كرسيم ولهم فيها أسقف وفيها برابرة ناحية سقلودا وتفسرها السبع ولاة وهي أشبه الأرض بالأرض المتاخمة لأرض الاسلام في السعة والضيق في مواضع النخل والكرم والزرع وشجر القل وفيها شئ من شجر القطن ويعمل منه ثياب وخشعة وبها شجر الزيتون واليه من قبل كبيرهم وتحت يده ولاة تصرفون فيها قلعة تعرف بأصطون وهي أول الجنادل الثلاثة وهي أشد الجنادل صعوبة لأن فيها جبلا معترضا من الشرق إلى الغرب في النيل والماء ينصب من ثلاثة أبواب ورجاء رجوع إلى باين عند انخساره شديد لخبر رجب المنظر يتخذ الماء عليه من علو الجبل وقبله فرش حجارة في النيل نحو ثلاثة برد إلى قرية تعرف بإستو وهي آخر قرى مريس وأول بلدة مقرة ومن هذا الموضع إلى حد المسلمين لسانهم مريس وهي آخر عمل مقلهم ثم ناحية بقون وتفسيرها العجب وهي عند اسمها الحسن وما رأيت على النيل أوسع منها وقد رت أن سعة النيل فيها من الشرق إلى الغرب مسيرة خمس مراحل الجزائر تقطعه والانهار منه تجري بينها على أرض منخفضة وقرى متصلة وعمارة حسنة بأبرجة حمام ومواش وأنعام وأكثر ميرة مدنتهم منها وطورها النقيط والنوى والبغا وغير ذلك من الطيور الحسان وأكثر نزهة كبيرهم في هذه الناحية * قال وكنت معه في بعض الاوقات فكان سيرنا في ظل شجر من الحافتين في الخيطان الضيقة وقيل إن التساح لا يضرب هناك ورأيهم يعبرون أكثر هذه الانهار سباحة ثم سفد بقل رهي ناحية ضيقة شبيهة بأول بلادهم الآن في جزائر حسانا وفيها دون المرحلتين نحو ثلاثين قرية بالابنية الحسان والكائس والاديار والنخل الكثير والكرم والبساتين والزروع ومروج بكافها ابل وجمال صهب مؤبلة للنتاج وكبيرهم يكثر الدخول اليها لأن طرفها القبلي يحمي دقلة مدنتهم ومن مدينة دقلة دار المملكة إلى اسوان خمسون مرحلة وذكر صفتها ثم قال انهم يسقفون مجالسهم بخشب السنط وبخشب الساج الذي يأتي به النيل في وقت الزيادة سقالات منخوطة لا يدري من أين تأتي ولقد رأيت على بعضها علامة غريبة ومسافة ما بين دقلة إلى أول بلدة علوة أكثر مما بين اسوان وفي ذلك من القرى والضباع والجزائر والمواشي والنخل والشجر والقطن والكرم والزرع والكروم أضعاف ما في الجانب الذي إلى أرض الاسلام وفي هذه الاماكن جزائر عظام مسيرة أيام فيها الجبال والوحش والسباع ومغازي يخاف فيها العطش والنيل تعطف من هذه النواحي إلى مطلع الشمس وإلى مغربها مسيرة أيام حتى يصير المصعد كالخدر وهي الناحية التي تبلغ العطوف من النيل إلى المعدن المعروف بالشلة وهو بلد يعرف بشنقر ومنه خرج العمري وتغلب على هذه الناحية إلى أن كان من أمرها ما كان وفرس البحر يكثر في هذه المواضع ومن هذا الموضع طرق إلى سواكن وباصع ودهلك وجزائر البحر ومنها عبر من نجا من بني أمية عندهم إلى النوبة وفيها خلق من الجبة يعرفون بالزناج انتقلوا إلى النوبة قديماً وقطنوا هناك وهم على حدتهم في الرعي واللغة لا يخاطبون النوبة ولا يسكنون قراهم وعليهم وال من قبل النوبة

* (ذكرت شعب النيل من بلاد علوة ومن يسكن عليه من الامم) *

اعلم أن النوبة والمقرة جنسان بلسانين كلاهما على النيل فالنوبة هم المريس المجاورون لأرض الاسلام وبين أول بلادهم وبين اسوان خمسة اميال ويقال ان سلها جند النوبة ومقرى جند المقر من اليمن وقيل النوبة ومقرى من

جبروا كذا رهل الانساب على انهم جبهه من ولد حام بن نوح وكان بين النوبة والمقرة حروب قبل النصرانية وأول أرض المقره قرية تعرف بنافه على مرحلة من اسوان ومدينة مملكتهم يقال لها نجراش على أقل من عشر مراحل من اسوان ويقال ان موسى صلوات الله عليه غزاهم قبل مبعثه في أيام فرعون فأخرب نافه وكافوا صابئة يعبدون الكواكب وينصبون التماثيل لها ثم تنصروا جميعا للنوبة والمقرة ومدينة دقلة هي دار مملكتهم وأول بلاد علوة قرى في الشرق على شاطئ النيل تعرف بالابواب ولهذه الناحية وال من قبل صاحب علوة يعرف بالسراج * والنيل يشعب من هذه الناحية على سبعة أنهار فنهاهر يأتي من ناحية المشرق كدر الماء يجف في الصيف حتى يسكن بطنه فإذا كان وقت زيادة النيل نبع فيه الماء وزادت البرك التي فيه وأقبل المطر والسيول في سائر البلد فوقعت الزيادة في النيل وقيل ان آخر هذا النهر عين عظيمة تأتي من جبل قال مؤرخ النوبة وحديثي سمعون صاحب عهد بلد علوة أنه يوجد في بطن هذا النهر حوت لا قشر له ليس هو من جنس ما في النيل يحفر عليه قامة وأكثر حتى يخرج وهو كبير وعليه جنس مولدين العلوة والبيجة يقال لهم الديجيون وجنس يقال لهم بازه يأتي من عندهم طير يعرف بمحمام بازين وبعد هؤلاء اول بلاد الحبشة ثم النيل الأبيض وهو نهر يأتي من ناحية الغرب شديد البياض مثل اللبن قال وقد سألت من طرق بلاد السودان من المغاربة عن النيل الذي عندهم وعن لونه فذكر أنه يخرج من جبال الرمل أو جبل الرمل وأنه يجتمع في بلد السودان في برك عظام ثم ينصب الى ما لا يعرف وأنه ليس بأبيض فأتانا أن يكون اكتسب ذلك اللون مما يمر عليه أو من نهر آخر ينصب اليه وعليه أجناس من جانيه ثم النيل الأخضر وهو نهر يأتي من القبلة مما يلي الشرق شديد الخضرة صافي اللون جدا يرى ما في قعره من السمك وطعمه مختلف اطعم النيل يعطش المشارب منه بسرعة وحيثان الجميع واحدة غير أن اطعم مختلف ويأتي فيه وقت الزيادة خشب الساج والبقم والغناء وخشب له رائحة كرائحة اللبان وخشب غليظ ينحت ويعمل منه مقدم وعلى شاطئيه ينبت هذا الخشب أيضا وقيل انه وجد فيه غود الجوز قال وقد رأيت على بعض سفالات الساج الخضرة التي تأتي فيه وقت الزيادة علامة غريبة ويجتمع هذان النهران الأبيض والأخضر عند مدينة مملكتهم بلد علوة ويقيان على ألوانهما قريبان من مرحلة ثم يختلطان بعد ذلك وبينهما أمواج كبار عظيمة يتلاطمهما قال وأخبرني من نقل النيل الأبيض وصبه في النيل الأخضر فبقى فيه مثل اللبن ساعة قبل أن يختلطوا بين هذين النهرين جزيرة لا يعرف لها غاية وكذلك لا يعرف لهذين النهرين نهاية فأولهما يعرف عرضه ثم يتسع فصير مسافة شهر ثم لا تدرك سعتهما لخوف من يسكنهما بعضهم من بعض لأن فيهما أجناسا كثيرة وخلقًا عظيما قال وبلغني أن بعض مملكتي بلد علوة سار فيها يريد أقصاها فلم يأت عليه بعد سنين وان في طرفها القبلي جنسا يسكنون ودواهم في بيوت تحت الأرض مثل السراذيب بالناهار من شدة حر الشمس ويسرحون في الليل وفيهم قوم عراة والانهار الاربعة الباقية تأتي أيضا من القبلة مما يلي الشرق أيضا في وقت واحد ولا يعرف لها نهاية أيضا وهي دون النهرين الأبيض والأخضر في العرض وكثرة الخيطان الجزائر وجميع الانهار الاربعة تنصب في الأخضر وكذلك الاول الذي قد مت ذكره ثم يجتمع مع الأبيض وكلها مملكة عامة مملوك فيها بالسفن وغيرها وأحد هذه الاربعة يأتي مرة من بلاد الحبشة قال ولقد اكرت السؤال عنها واستكشفتها من قوم عن قوم فما وجدت مخبرا يقول انه وقف على نهاية جميع هذه الانهار والذي انتهى اليه علم من عرفني عن آخرين الى خراب وأنه يأتي في وقت الزيادة في هذه الانهار آلة مراكب وأبواب وغير ذلك فيدل على عمارة بعد الخراب فاما الزيادة فيجمعون انهم من الامطار مع مادة تأتي من ذاتها والدليل على ذلك النهر الذي يجف ويسكن بطنه ثم ينبع وقت الزيادة ومن عجائبه أن زيادته في أنهار مجتمعة وسائر النواحي والبلدان في مصر وما يليها والصعيد واسوان وبلاد النوبة وعلوة وما وراء ذلك في زمان واحد واكثر ما وقف عليه من هذه الزيادة أنه ربما وجدت مثلا باسوان ولا توجد بقوص ثم تأتي بعد فاذا كثرت الامطار عندهم واتصلت السيول علم أنها سنة رى وإذا قهرت الامطار علم أنها سنة ظمأ قال وأما من طرق بلاد الرنج فانهم أخبروني عن مسيرهم في بحر الهيمز الى بلاد الرنج بالريح الشمالية مساحلين للجانب الشرقي من جزيرة مضر حتى ينتهوا الى موضع يعرف برأس حفري وهو عندهم آخر جزيرة مضر فينظرون كوكبا يمتدون به فيقصدون الغرب ثم يعودون الى البحري ويصير الشمال في وجوههم حتى يأتوا الى قبيلة من بلاد الرنج وهي مدينة مملكتهم

وتصير قبلتهم للصلاة الى جنة قال وبعض الانهار الاربعة يأتي من بلاد الزنج لانه يأتي فيه الخشب الزنجي وسوية مدينة العلوى شرق الجزيرة الكبرى التي بين البحرين الابيض والاخضر في الطرف الشمالي منها عند مجتمعهما وشرقيها النهر الذي يجف ويسكن بطنه وفيها اينة حسان ودور واسعة وكائنات كثيرة الذهب ويسانين ولها رباط فيه جماعة من المسلمين ومثلك علوة كثر ما لا من مثلك المقررة وأعظم جيشا وعنده من الخيل ما ليس عند المقررة وبلده أخصب وأوسع والخل والكرم عندهم يسيرا وكثير حبوبهم الذرة البيضاء التي مثل الارز منها خبزهم ومزهرهم واللحم عندهم كثير لكثرة المواشي والمروج الواسعة العظيمة السعة حتى انه لا يوصل الى الجبل الا في ايام وعندهم خيل عتاق وجمال صهب عراب ودينهم النصرانية يعاقبه وأساقفتهم من قبل صاحب الاسكندرية كالنوبة وكتبهم بالرومية يفسرونها بلسانهم وهم أقل فهم من النوبة وملوكهم يسترق من شاء من رعيته بجرم وبغير جرم ولا ينكرون ذلك عليه بل يسجدون له ولا يعصون أمره على المكروه الواقع بهم وينادون الملك يعيش فليكن أمره وهو يتزوج بالذهب والذهب كثير في بلده * ومما في بلده من العجائب أن في الجزيرة الكبرى التي بين البحرين جنسا يعرف بالكرينا لهم أرض واسعة مزروعة من النيل والمطر فاذا كان وقت الزرع خرج كل واحد منهم بما عنده من البذر واختط على مقدار ما معه وزرع في أربعة أركان الخطة يسيرا وجعل البذر في وسط الخطة وشيئا من المزر وانصرف عنه فاذا أصبح وجد ما اختط قد زرع وشرب المزر فاذا كان وقت الحصاد حصد يسيرا منه ووضع في موضع أراداه ومعه مزرر وينصرف فيجد الزرع قد حصد بأسره وجرت فاذا أراد دراسته وتذريته فعل به كذلك وربما أراد أحدهم أن ينقي زرعه من الخشيش فيألف بقطع شيء من الزرع فيصبح وقد قطع جميع الزرع وهذه الناحية التي فيها ما ذكرته بلدان واسعة مسيرة شهرين في شهرين يزرع جميعها في وقت واحد وميرة بلد علوة ومثلكهم من هذه الناحية فيوجهون المراكب قنوسق وربما وقع بينهم حرب * قال وهذه الحكاية صحيحة معروفة مشهورة عند جميع النوبة والعلوة وكل من يطرق ذلك البلد من تجار المسلمين لا يشكون فيه ولا يرتابون به ولولا أن اشتهاره وانتشاره مما لا يجوز التواطؤ على مثله لما ذكرته شيئا منه لاشناعتها فاما اهل الناحية فيزعمون أن الحق تفعل ذلك وانها تظهر لبعضهم وتختفي لبعضهم يجارة ينطاعون لهم بها وتعمل لهم عجائب وان السحاب يطيعهم * قال ومن عجائب ما حدثني به مثلك المقررة للنوبة انهم يحطرون في الجبال ويتقطون منه الوقت سمكا على وجه الارض وسألهم عن جنسه فذكروا أنه صغير القدر بأذناب حرقا وقال وقد رأيت جماعة وأجاسا من تقدم ذكرا كثرهم يعترفون بالباري سبحانه وتعالى ويتقربون اليه بالشمس والقمر والكواكب ومنهم من لا يعرف البارئ ويعبد الشمس والنار ومنهم من يعبد كل ما استحسنه من شجرة أو بهيمة وذكر انه رأى رجلا في مجلس عظيم المقررة سأله عن بلده فقال مساقته الى النيل ثلاثة أهلة وسأله عن دينه فقال ربي وربك الله رب الملك ورب الناس كلهم واحد وانه قال له فأين يكون قال في السماء وحده وقال انه اذا أبطأ عنهم المطر أو أصابهم الوباء أو وقع بدواهم آفة صعدوا الجبل ودعوا الله فيجاءون للوقت وتقضى حاجتهم قبل أن ينزلوا وسأله هل أرسل فيكم رسول قال لا فذكر له بعشة موسى وعيسى ومحمد صاوات الله عليهم وسلامه وما أيدوا به من المعجزات فقال اذا كانوا فعلا هذا فقد صدقوا ثم قال قد صدقتم ان كانوا فعلا * قال مؤلفه رحمه الله وقد غلب أولاد كثر الدولة على النوبة وملكوها من سنة وبنى بدقله جامع بأوى اليه القرباء واعلم أن على ضفة النيل أيضا السكاه وملكها مسلم وبينه وبين بلاد مالي مسافة بعيدة جدا وقاعدة ملكه بلدة اسمها حبي وأول مملكته من جهة مصر بلدة اسمها زولا وآخرها طولابدة يقال لها كاكوا وبينها نحو ثلاثة أشهر وهم يتلون وملكهم حنجب لا يرى الا يوي العبد بكرة وعند العصر وطول السنة لا يكلمه أحد الا من وراء حجاب وغالب عيشهم الارز وهو ينبت من غير بذر وعندهم القمح والذرة والتين والليمون والبادنجان واللفت والرطب ويتعاملون بقماش ينسج عندهم اسمه دندى طول كل ثوب عشرة أذرع يشتركون به من ربيع ذراع فأكثر ويتعاملون أيضا بالودع والخرز والتماس المكسر والورق وجميع ذلك بسعر ذلك القماش وفي جنوبها شعاري وصحاري فيها أشخاص متوحشة كالقبول قريية من شكل الآدمي لا يلحقها الفارس تؤذى الناس ويظهر في الليل أيضا شبه نار تضيء فاذا شئ أحد ليحرقها بعدت عنه ولو جرى اليها لا يصل اليها بل لاتزال أمامه فاذا رماها بجحر فأصابها تشظى منها شرر وتعظم عندهم البيظينة حتى تصنع منها مراكب يعبر فيها

في النيل * وهذه البلاد بين افر بقة وبرقة ممتدة في الجنوب الى سمت الغرب الاوسط وهي بلاد خط وشن وسوء مزاج واقل من بث بها الاسلام الهادي العثماني ادعى انه من ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه وصارت نعمة للزيين من بني سيف بن ذي يزن وهم على مذهب الامام مالك بن أنس رحمه الله والعدل قائم بينهم وهم يابسون في الدين لا يلبثون ونواجد مدينة مصر مدرسة للمالكية عرفت بمدرسة ابن زشيق في سني أربعين وستائة وصارت وفودهم تنزل بها وسيرد ذكرها في المدارس ان شاء الله تعالى

* (ذكر الجبه ويقال انهم من البربر) *

اعلم أن أول بلد الجبه من قرية تعرف بالحزبة معدن الزمرّد في صحراء قوص وبين هذا الموضع وبين قوص نحو من ثلاث مراحل وذكر الجاهل انه ليس في الدنيا معدن للزمرّد غير هذا الموضع وهو يوجد في مغاير بعيدة مظلة يدخل اليها بالمصايح ويجبال يستدل بها على الرجوع خوف الضلال ويجفر عليه بالماء اول فيوجد في وسط الحجارة وحوله غشيم دونه في الصبغ والجواهر وآخر بلاد الجبه أول بلاد الحبشة وهم في بطن هذه الجزية أعنى جزيرة مصر الى سيف البحر الملح مما يلي جزائر سواكن وباضع ودهلك وهم بادية يتبعون الكلا حينما كان الرعي بأخيشة من جلود وأنسابهم من جهة النساء ولكل بطن منهم رئيس وليس عليهم ممتلك ولا لهم دين وهم يورثون ابن البنت وابن الاخت دون ولد الصلب ويقولون ان ولادة ابن الاخت وابن البنت اصح فانه ان كان من زوجها أو من غيره فهو ولدها على كل حال وكان لهم قديماريس يرجع جميع رؤسائهم الى حكمه يسكن قرية تعرف بهجر هي أقصى جزيرة الجبه وبركبون الحب الصهب وتنتج عندهم وكذلك الجمال العربا كثيرة عندهم أيضا والمواشي من البقر والغنم والضأن غاية في الكثرة عندهم وبقرهم حسان ملعة بقرون عظام ومنها جمل وكباشهم كذلك منزة ولها ألبان وغذاؤهم اللحم وشرب اللبن وأكلهم للخبز قليل وفيهم من يأكله وأبدانهم صحاح وبطنهم خصاص وألوانهم مشرقة الصفرة ولهم سرعة في الجري يبايئون به الناس وكذلك جمالهم شديدة العدو صبورة عليه وعلى العطش يسابقون عليها الخيل ويقاثلون عليها وتدور بهم كايثشون ويقطعون عليها من البلاد ما يتفاوت ذكره ويتطاردون عليها في الحرب فيرمي الواحد منهم الحربة فان وقعت في الرمية طار اليه بالجل فأخذها صاحبها وان وقعت في الارض ضرب بالجل بجرانه الارض فأخذها صاحبها ونبغ منهم في بعض الاوقات رجل يعرف بكلاز شديدة مقدام وله جل ماصح بمثله في السرعة وكان أعور وصاحبه كذلك التزم لقومه انه يشرف على مصلي مصر يوم العيد وقد قرب العيد قريبا لا يكون البلوغ اليها في مثله حقيقة فوفي بذلك وأشرف على المقطم وضربت الخيل خلفه فلم يلحق وهذا هو الذي أوجب أن يكون في السفح طليعة يوم العيد وكان الطولونية وغيرهم من أمراء مصر يوقفون في سفح الجبل المقطم مما يلي الموضع المعروف بالحلبش جيشا كثيفا مرأعي للناس حتى ينصرفوا من عيدهم في كل عيد وهم أصحاب ذمة فاذا غدرا أحداهم رفع المغدور به نوباً على حربة وقال هذا عرش فلان يعني ابا القادر قصير سبعة عليه الى أن يرضاه وهم يبالغون في الضيافة فاذا طرّق أحداهم الضيف ذبح له فاذا أجبوا وثلثة نفر فخر لهم من أقرب الانعام اليه سواء كانت له أو لغيره وان لم يكن شيء فخر احلة الضيف وعرضه ما هو خير منها وسلاحهم الخراب السباعية مقدار طول الحديدية ثلاثة اذرع والعود أربعة اذرع وبذلك سميت سباعية والحديدية في عرض السيف لا يخرجونها من أيديهم الا في بعض الاوقات لان في آخر العود شيئاً شديداً بالفلكة يمنع خروجها عن أيديهم وصناع هذه الخراب نساء في موضع لا يمتثل بهن رجل الا المشتري منهن فاذا ولدت احداً من الطارقين لهن جارية اسحتيتها وان ولدت غلاماً مقتله ويقتل ان الرجال بلاء وحرب ودرقهم من جلود البقر مشعرة ودرق مقلوقة تعرف بالاكسومة من جلود الجواميس وكذلك الدهلكية ومن دابة في البحر وقسيهم عريسة كبار غلاظ من الصدر والشوخط يرمون عليها بنبل مسموم وهذا السم يعمل من عروق شجر الغلف يطبخ على النار حتى يصير مثل الغرا فاذا أرادوا تجربته شرط أحداهم جسده وسيل الدم ثم شحمه هذا السم فاذا تراجع الدم علم انه جيد ومسح الدم لثلاير جمع الى جسده فيقتله فاذا أصاب الانسان قتل لوقته ولو مثل شرطة الحجام وليس له عمل في غير الجرح والدم وان شرب منه لم يضّر وبلدانهم كلها معادن وكلها تصاعدت كانت أجود ذهباً وأكثر وفيها معادن الفضة والنحاس والحديد والراص وحجر المغنيطيس والمرقسيتا والحست والزمرّد وحجارة شطباً فاذا بليت الشطبة منها زيت وقدت

مثل القليلة وغير ذلك مما شغلهم طلب معادن الذهب عماسوا والنجة لا تتعرض لعمل شيء من هذه المعادن
وفي أوديتهم شجر المقل والاهليلج والأذخر والشيخ والسنا والحنظل وشجر البان وغير ذلك وبأقصى بلادهم النخل
وشجر الكرم والياحين وغير ذلك مما لم يزرعه أحد وبماساتر الوحش من السباع والقبيلة والنور والفهود
والقردة وعناق الأرض والزباد ودابة تشبه الغزال حسنة المنظر لها قرنان على لون الذهب قليلة البقاء إذا
صيدت ومن الطيور الببغا والنقطة والنوبي والقمارى ودجاج الحبش وحمام بازين وغير ذلك وليس
منهم رجل الا منزوع البهضة العيني وأما النساء فمقطوع أشعار فروجهن وأنه يلحمن حتى يشق عنه لامتزج بقدر
ذكر الرجل ثم قل هذا الفعل عندهم وقيل ان السبب في ذلك أن ملكا من الملوك حاربهم قديما ثم صالحهم وشرط
عليهم قطع ندى من يولد لهم من النساء وقطع ذكور من يولد من الرجال أراد بذلك قطع النسل منهم فوفوا بالشرط
وقلبوا المعنى في أن جعلوا قطع الندى للرجال والفروج للنساء وفيهم جنس يقطعون ثيابهم ويقولون لا تشبه
بالخير وفيهم جنس آخر في آخر بلاد البجة يقال لهم البازة نساء جميعهم يتسمون باسم واحد وكذلك الرجال
فطرقهم في وقت رجل مسلم له جمال فدعا بعضهم بهما وقالوا هذا الله قد نزل من السماء وهو جالس تحت الشجرة
فجعلوا ينظرون اليه من بعد * ونعظم الحيات يلد لهم وتكثر أصنافها وريقت حية في غدير ماء قد أخرجت ذنبها
والثفت على امرأة وردت فقتلتها فرؤى شخصها قد خرج من دبرها من شدة الضغط وبها حية ليس لها رأس
وطرفاها سوا منقشة ليست بالكبيرة اذا مشى الانسان على أثرها مات واذا قتلت وأمسك القاتل ما قتلها به
من عود أو حربة في يده ولم يلقه من ساعته مات وقتلت حية منها بحشبة فانتفت الخشبة واذا تأمل هذه
الحية أحد وهي ميتة أو حية أصابه ضررها وفي البجة شتر وتسرع اليه ولهم في الاسلام وقبله اذية على شرق
صعيد مصر خربوا هناك قرى عديدة وكانت فراغة مصر تغزوهم ونوادعهم أحبا نال حاجتهم الى المعادن وكذلك
الروم لما أن ملكوا مصر ولهم في المعادن آثار مشهورة وكان أصحابهم بها وقد فتحت مصر * قال عبد الرحمن
ابن عبد الله بن عبد الحكم وتجمع لعبد الله بن سعد بن أبي سرح في انصرافه من النوبة على شاطئ النيل البجة
فسأل عن شأنهم فأخبر أن ليس لهم ملك يرجعون اليه فهان عليه أمرهم وتركهم فلم يكن لهم عقد ولا صلح وكان
أول من هادنهم عبيد الله بن الحجاب السلولي ويذكر أنه وجد في كتاب ابن الحجاب لهم ثلثمائة بكر في كل عام
حين ينزلون الريف مجتازين تجارا غير مقيمين على أن لا يقتلوا مسلما ولا ذميا فان قتله فلا عهد لهم ولا يؤثروا عبيد
المسلمين وان يردوا أبقهم اذا وقعوا اليهم ويقال انهم كانوا يؤخذون بهذا وبكل شاة أخذها البجاوى فعليه
أربعة دنانير وللبقرة عشرة وكان وكيلهم مقيما بالريف رعيته بيد المسلمين ثم كثر المسلمون في المعدن فخالطوهم
وتزوجوا فيهم وأسلم كثير من الجنس المعروف بالحدارب اسلا ما ضعيفا وهم شوكه القوم ووجوههم وهم عماري
مصر من أول حداثهم الى العلا في وعذاب المعبر منه الى جنة وما وراء ذلك ومنهم جنس آخر يعرفون بالرنافج
هم أكثر عددا من الحدارب غير أنهم تبع لهم وخفوا بهم يحمونهم ويحبونهم المواشي ولكل رئيس من الحدارب
قوم من الرنافج في حيلته فهم كالعبيد يتوارثونهم بعد أن كانت الرنافج قديما أظهر عليهم ثم كثرت اذيتهم على المسلمين
وكان ولاية اسوان من العراق فرفع الى أمير المؤمنين المأمون خبرهم فأخرج اليهم عبد الله بن الجهم فكانت
له معهم وقائع ثم وادعهم وكتب بينه وبين كنون رئيسهم الكبير الذي يكون بقريةتهم هجر المقدم ذكرها
كتابا بنسخته هذا كتاب كتبه عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين صاحب جيش الغزاة عامل الأمير أبي
اسحق بن أمير المؤمنين الرشيد أبقاه الله في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة ومائتين لكنون بن عبد العزيز
عظيم البجة بأسوان أنك سألتني وطلبت الى أن أوثنت وأهل بلدك من البجة وأعقد لك ولهم أمانا على وعلى
جميع المسلمين فأجبتك الى أن عقدت لك وعلى جميع المسلمين أمانا ما استقممت واستقاموا على ما أعطيتني
وشرطت لي في كتابي هذا وذلك أن يكون سهل بلدك وجبالها من منتهى حد اسوان من أرض مصر الى حد ما بين
دهلك وباضع ملكا للمأمون عبد الله بن هرون أمير المؤمنين أعزه الله تعالى وأنت وجميع أهل بلدك عبيد لامير
المؤمنين الا أنك تكون في بلدك ملكا على ما أنت عليه في البجة وعلى أن تؤدى اليه الخراج في كل عام على ما كان
عليه سلف البجة وذلك مائة من الابل أو ثلثمائة دينار وازنة داخل في بيت المال والخيار في ذلك لامير المؤمنين
ولولاه وليس لك أن تخرم شيئا عليك من الخراج وعلى أن كل أحد منكم ان ذكر محمد رسول الله صلى

الله عليه وسلم او كتاب الله أو دينه بما لا ينبغي أن يذكر به أو قتل أحدا من المسلمين حرًا أو عبدًا فقد برئت منه الذمة
 ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة أمير المؤمنين أعزاه الله وذمة جماعة المسلمين وحل دمه كما يحل دم
 أهل الحرب وذرايرهم وعلى أن أحدكم أن أمان المحاربين على أهل الاسلام بما لا يؤذيه على عورة من عورات
 المسلمين أو أثر لعزتهم فقد قص ذمة عهده وحل دمه وعلى أن أحدكم أن قتل أحد من المسلمين عدا أو مسوا
 أو خطأ حرًا أو عبدًا أو واحدًا من أهل ذمة المسلمين أو أصاب لا خيد من المسلمين أو أهل ذمتهم ما لا يولد الجبه
 أو يولد الاسلام أو يولد النوبة أو في شيء من البلدان بترًا أو بجرح فعليته في قتل المسلم عشر ديات وفي قتل العبد
 المسلم عشرين وفي قتل الذمي عشر ديات من دياتهم وفي كل مال أصبغوه للمسلمين وأهل الذمة عشرة أضعافه
 وإن دخل أحد من المسلمين بلاد الجبه تاجرًا أو مقيمًا أو مجتازًا أو حاجًا فهو آمن فيكم كما حدكم حتى يخرج
 من بلادكم ولا تنووا أحدًا من أتبي المسلمين فإن أتاكم آت فعليكم أن تردوه إلى المسلمين وعلى أن تردوا أموال
 المسلمين إذا صارت في بلادكم بلامؤنة تلزمهم في ذلك وعلى أنكم أن تزلتم ريف صعيد مصر لتجارة أو مجتازين
 لا تظهرون سلاحًا ولا تدخلون المدائن والقرى بجمال ولا تمنعوا أحدًا من المسلمين الدخول في بلادكم والتجارة
 فيها بترًا ولا بجرا ولا تخفوا السبيل ولا تقطعوا الطريق على أحد من المسلمين ولا أهل الذمة ولا تسرقوا المسلم
 ولا ذمي ما لا وعلى أن لا تدموا شيئًا من المساجد التي ابتناها المسلمون بصيحة وهجر وسائر بلادكم طولًا
 وعرضًا فإن فعلتم ذلك فلا عهد لكم ولا ذمة وعلى أن تكون بن عبد العزيز بقم ريف صعيد مصر وكيلًا في
 للمسلمين بما شرط لهم من دفع الخراج ورد ما أصابه الجبه للمسلمين من دم ومال وعلى أن أحدًا من الجبه
 لا يعترض أحدًا القصر إلى قرية يقال لها قبان من بلد النوبة حدًا لا عمدة عقد عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين
 لتكون بن عبد العزيز كبير الجبه الامان على ما مهيئنا وشرطنا في كتابنا هذا وعلى أن يوافي به أمير المؤمنين فان زاغ
 كنون أو عاث فلا عهد له ولا ذمة وعلى كنون أن يدخل عمال أمير المؤمنين بلاد الجبه لقبض صدقات من أسلم
 من الجبه وعلى كنون الوفاء بما شرط لعبد الله بن الجهم وأخذ بذلك عهد الله عليه باعظم ما أخذ على خلقه من
 الوفاء والميثاق ولا كنون بن عبد العزيز ولجميع الجبه عهد الله وميثاقه وذمة أمير المؤمنين وذمة الامه
 أبي اسحاق بن أمير المؤمنين الرشيد وذمة عبد الله بن الجهم وذمة المسلمين بالوفاء بما أعطاه عبد الله بن الجهم
 ما وافى كنون بن عبد العزيز بجميع ما شرط عليه فان غير كنون أو بدل أحد من الجبه فذمة الله جل اسمه وذمة
 أمير المؤمنين وذمة الامير أبي اسحاق بن أمير المؤمنين الرشيد وذمة عبد الله بن الجهم وذمة المسلمين برئته منهم
 وترجم جميع ما في هذا الكتاب حرفًا زكريا بن صالح الخزومي من سكان جدّة وعبد الله بن اسمعيل القرشي
 ثم نسق جماعة من شهود اسوان فأقام الجبه على ذلك برهة ثم عادوا إلى غزو الريف من صعيد مصر وكثر الضحيج
 منهم إلى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله فندب لحربهم محمد بن عبد الله القمي فسأل أن يختار من الرجال من
 أحب ولم يرغب إلى الكثرة لصعوبة المسالك فخرج اليهم من مصر في عدة قليلة ورجال متخبة وسارت المراكب
 في البحر فاجتمع اليهم في عدد كثير عظيم قدر كبوا الأبل فهاب المسلمون ذلك فشطهم بكتاب طويل كتبه في
 طومار ولفه شوب فاجتمعوا لقراءته فحمل عليهم وفي أعناق الخيل الأجراس فنشرت الجبال بالجبه ولم تثبت
 لصلصلة الأجراس فركب المسلمون أقفيتهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وقتل كبيرهم فقام من بعده ابن أخيه وبعث
 يطلب الهدنة فصالحهم على أن يطأ بساط أمير المؤمنين فسار إلى بغداد وقدم على المتوكل بسر من رأى في سنة
 إحدى وأربعين ومائتين فصولح على أداء الاداة والبطط عليهم أن لا يمنعوا المسلمين من العمل
 في المعدن وأقام القمي بأسوان مدة وتربط في خزائنها ما كان معه من السلاح وآلة الغزو فلم تزل الولاة تأخذ
 منه حتى لم يبقوا منه شيئًا فلما كثرت المسلمون في المعادن واختلطوا بالجبه قل شرهم وظهر التبر لكثرة طلابه
 وتسامع الناس به فوفدوا من البلدان وقدم عليهم ابو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد العمري بعد محاربة
 النوبة في سنة خمس وخمسين ومائتين ومعه ربيعة وجهينة وغيرهم من العرب فكثرت بهم العمار في الجبه حتى
 صارت الرواحل التي تحمل الميرة اليهم من اسوان ستين ألف راحلة غير الجلاب التي تحمل من القلزم إلى عذاب
 ومالت الجبه إلى ربيعة وترحووا اليهم وقبل أن كهان الجبه قبل اسلام من أسلم منهم ذكرت عن معبودهم الطاعة
 لبيعة ولا كنون معافهم على ذلك فلما قتل العمري واستولت ربيعة على الخزانة والاهم على ذلك الجبه

فأخرجت من خالفها من العرب وتصاهروا إلى رؤساء البجّة وبذلك كفف ضررهم عن المسلمين والبجّة
 الداخلة في صحراء بلاد علوة مما يلي البحر الملح إلى أقوال الحبشة ورجالهم في الطعن والمواشي واتباع الرعي والمعيشة
 والمراكب والسلاح كحال الحدارب الآن الحدارب أشتج وأهدى من الداخلة على كفرهم من عبادة الشيطان
 والاقتداء بكهانتهم ولكل بطن كان يضرب له قبة من آدم معبدتهم فمما إذا رأوا استخباره عما يحتاجون إليه
 فعزى ودخل إلى القبة مستدبرا ويخرج إليهم وبه اترجنون وصرع يقول الشيطان بقرتكم السلام ويقول
 لكم ارحلوا عن هذه الحلة فإن الرهط الفلاني يقع بكم وسألتهم عن الغزو إلى بلد كذا فسيروا فانكم تظفرون
 وتغنمون كذا وكذا والجبال التي تأخذونها من موضع كذا هي لي والجارية الفلانية التي تجدونها في الخباء
 الفلاني والغنم التي من صفها كذا ولحو هذا القول فيزعون أنه يصدقهم في أكثر من ذلك فاذا غنموا وأخرجوا
 من الغنمة ما ذكر ودفعوه إلى الكاهن يتولاه ويحترمون ألبان نوقها على من لم يقبل فاذا أرادوا الرحيل حل
 الكاهن هذه القبة على رجل مفرد فيزعون أن ذلك الجمل لا يثور الا بجهده وكذلك سيره ويتعصب عرفا والخيمة
 فارغة لأشئ فيها وقد بقي في الحدارب جماعة على هذا المذهب ومنهم من تمسك بذلك مع اسلامه * قال مؤرخ
 النوبة ومنه لخصت ما تقدم ذكره وقد قرأت في خطبة الاجناس لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه
 ذكر البجّة والكعبة ويقول عنهم شديد كلهم قليل سلهم فالبجّة كذلك وأما الكعبة فلا أعرفهم انتهى ما ذكره
 عبد الله بن أحمد مؤرخ النوبة * وقال أبو الحسن المسعودي * فأما البجّة فأنهارت بين بحر القلزم ونيل مصر
 وتشعبوا فرقا وملكوا عليهم ملكا وفي أرضهم معادن الذهب وهو التبر ومعادن الزمرد وتتصل سراياهم
 ومناسهم على التّجب إلى بلاد النوبة فيغزون ويسبون وقد كانت النوبة قبل ذلك أشد من البجّة إلى أن قوى
 الاسلام وظهر وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاقي وعذاب وسكن في تلك الديار خلق من
 العرب من ربيعة بن زرار بن معد بن عدنان فاشتدت شوكتهم وترجعوا من البجّة فقتل البجّة ثم صاهاها
 قوم من ربيعة فقتل ربيعة بالبجّة على من ناواها وجاورها من قحطان وغيرهم من سكن تلك الديار وصاحب
 المعدن في وقتها هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بشر بن مروان بن اسحاق بن ربيعة يركب في ثلاثة
 آلاف ألف من ربيعة وأحلافها من مصر واليمن وثلاثين ألف حراب على التّجب من البجّة في الجلف التكاوية وهم
 الحدارب وهم مسلمون من بين سائر البجّة والداخلة من البجّة كفار يعبدون صنما لهم والبجّة المالكة لمعدن
 الزمرد تتصل ديارها بالعلاقي وهو معدن الذهب وبين العلاقي والنيل خمس عشرة مرحلة وأقرب العمارة إليه
 مدينة اسوان وجزيرة سوا كن أقل من ميل في ميل وبينها وبين البحر الحشبي بحر قصير يخاض وأهلها طائفة
 من البجّة تسمى الخاسة وهم مسلمون وأهلهم بهائم * وقال الهمداني * تكع كنعان بن حام أرتيب بنت شاويل
 ابن ترس بن يافث فولدت له حمّا والاساود ونوبة وقران والزنج والزغاوة وأجناس السودان وقيل البجّة من
 ولد حام بن نوح وقيل من ولد كوش بن كنعان بن حام وقيل البجّة قبيلة من الحبش أصحاب أخبية من شعر
 وألوانهم أشد سوادا من الحبشة يتزبون بزى العرب وليس لهم مدن ولا قرى ولا حرايع ومعيشتهم مما ينقل
 إليهم من أرض الحبشة وأرض مصر والنوبة وكانت البجّة تعبد الاصنام ثم أسلموا في إمارة عبد الله بن سعد
 ابن أبي سرح وفيهم كرم ومماحة وهم قبائل وأنحاء لكل نخدر رئيس وهم أهل شجعة وطعامهم اللحم واللبن فقط

• (ذكر مدينة اسوان) •

اسوان من قولهم أي الرجل يأسي أي إذا حزن ورجل أسيان واسوان أي حزين واسوان في آخر بلاد
 الصعيد وهي ثغر من ثغور الاقليم يفصل بين النوبة وأرض مصر وكانت كثيرة الخنطة وغيرها من الحبوب
 والقواكد والخضراوات والبقول وكانت كثيرة الحيوان من الابل والبقر والغنم ولحانها هناك غاية في الطيب
 والنعن وكانت أسعارها أبدا رخيصة وبها تجارات وبضائع تحمل منها إلى بلاد النوبة ولا يتصل باسوان من
 شرقها بلاد اسلاحي وفي جنوبها جبل به معدن الزمرد وهو في بركة منقطة عن العمارة وعلى خمسة عشر يوما
 من اسوان معدن الذهب ويتصل باسوان من غربيها الواحات ويسلك من اسوان إلى عذاب ويتوصل من
 عذاب إلى الجحاز وإلى اليمن والهند * قال المسعودي * ومدينة اسوان يسكنها خلق من العرب من قحطان

وزار بن ربيعة ومضر وخلق كثير من قريش واكثرهم من الخجاز والبلد كثير النخل خصب كثير الخير وقدع النواة في الارض قسنت نخلة ويؤكل من ثمرها بعد سنتين ولبن باسوان ضياع كثيرة داخله بأرض النوبة يؤدون خراجها الى ملك النوبة وابتعت هذه الضياع من النوبة في صدر الاسلام في دولة بني امية وبني العباس وقد كان ملك النوبة استعدي المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم يوفد وفداهم الى القسطنطينية ذكروا عنه أن اناسا من أهل مملكته وعبيده باعوا ضياعا من ضياعهم عن جاورهم من أهل اسوان وانما ضياعه والقوم عبيدا لأملاكهم وانما ملكهم على هذه الضياع تلك العبيد العامرين فيها فجعل المأمون أمرهم الى الحاكم بمدينة اسوان ومن بهامن أهل العلم والشيوخ وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل اسوان انما استنزع من أيديهم فاحتلوا على ملك النوبة بأن يقدموا الى من ابتاع منهم من النوبة انهم اذا حضروا حضرة الحاكم أن لا يقرؤا للملكهم بالعبودية وأن يقولوا سيدنا معاشر النوبة سيدناكم مع ملككم يجب علينا طاعته وترك مخالفته فان كنتم انتم عبيدا للملككم واموالكم له فحقن كذلك فلما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك أوفاهما الكلام للعاكم ونحوه مما اوقفوه عليه من هذا المعنى فغضى البيع لعدم اقرارهم بالرق الملكهم الى هذا الوقت وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد مريس وصار النوبة اهل مملكة هذا الملك نوعين من وصفنا احرار غير عبيد والنوع الآخر من اهل مملكته عبيد وهم من سكن النوبة في غير هذه البلاد المجاورة لاسوان وهي بلاد مريس * قال واما النوبة فافترقت فرقتين فرقة في شرق النيل وغربها فاناخت على شاطئها واتصلت ديارها بديار القبط من أرض صعيد مصر واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل مصعدة وخلقوا بقرى من أعاليه وبنوا دار مملكة وهي مدينة عظيمة تدعى دنقلة والفرقة الاخرى من النوبة يقال لها علوة وبنوا مدينة عظيمة سموها سرقته والبلد المتصل بمملكته بأرض اسوان يعرف بمريس واليه تضاف الريح الرئيسية وعمل هذا الملك متصل بأعمال مصر من أرض الصعيد ومدينة اسوان قال وفي الجانب الشرقي من صعيد مصر جبل رخام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العمود وغيرها فاما العمود والقواعد والرؤس التي يسميها أهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فترك نقرها الاولون قبل حدوث النصرانية بمئتين من السنين ومنها العمود التي بالاسكندرية * وفي ذي الحجة سنة أربع وأربعين وثلاثمائة أعاد ملك النوبة على اسوان وقتل جمع من المسلمين ففرج اليه محمد بن عبد الله الخازن على عسكر مصر من قبل أونوجور بن الاخشيدي فحرم سنة خمس وأربعين فصاروا في البر والبحر وبعثوا بعثة من النوبة اسروهم فضربت أعناقهم بدماء وقع بملك النوبة وسار الخازن حتى فتح مدينة ابريم وسبي أهلها وقدم الى مصر في نصف جمادى الاولى سنة خمس وأربعين بمائة وخمسين أسيرا وعدة رؤس * وقال القاضي الفاضل ان متحصل ثغر اسوان في سنة خمس وثمانين وخمسمائة بلغ خمسة وعشرين ألف دينار وقال الكمال جعفر الادفوى وكان باسوان ثمانون رسولا من رسل الشرع وتحصل من اسوان في سنة واحدة ثلاثون الف اردب تمرا وأخبرنا من وقف على مكتوب كان فيه أربعون شربا خاصة وان مكتوبا آخر رأى فيه ستين شربا دون من عداهم قال ووقفت أنا على مكتوب فيه نحو من أربعين مؤرخ بما بعد العشرين ومستمائة من الهجرة * وكان بثمر اسوان بنو الكثر من ربيعة امراء مدحون مقصودون صنع لهم الفاضل الشديد أبو الحسن بن عرام سيرة ذكر فيها مناقبهم وأسماء من مدحهم ومن ورد عليهم ولما أرسل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب جيشا الى كنز الدولة وأصحابه تزلوا عن البلاد فدخلوا بيوتهم فوجدوا بها قصائد من مدحهم منها قصيدة أبي محمد الحسن بن الزبير قال فيها

وينجده ان خانه الدهر أوسطا * اناس اذا ما أنجدهم الذل انهموا

أجاروا فالتحت الكواكب خائف * وجادوا فما فوق البسيطة معدم

وانه أجازهم عليا بألف دينار ووقف عليه ساقية تساوي ألف دينار وكان باسوان رجال من العسكر مستعدون بالاسلحة لحفظ الثغر من هجوم النوبة والسودان عليه فلما زالت الدولة الفاطمية اهل ذلك فسار ملك النوبة في عشرة آلاف ونزل تجاه اسوان في جزيرة وأسروا من كان فيها من المسلمين ثم تلاشى بعد ذلك أمر الثغر واستولى عليه اولاد الكثر من بعد سنة تسعين وسبع مائة فأفسدوا فسادا كبيرا وكانت لهم مع ولادة اسوان عدة حروب الى أن كانت الحن منذ سنة ست وثمانمائة وخرب اقليم الصعيد فارتفعت يد السلطنة عن ثغر اسوان ولم يبق

للسلطان في مدينة اسوان وال واتضع حاله عدة سنين ثم زحفت هوارة في محرم سنة خمس عشرة وثمانمائة الى اسوان وحاربت اولاد الكثر وهزموهم وقتلوا كثيرا من الناس وسبوا ما هنالك من النساء والاولاد واسترقوا الجميع وهدموا سور مدينة اسوان ومضوا بالسبي وقد تركوها خرابا يابا لا سكن بها فاستمرت على ذلك بعد ما كانت بحيث يقول عنها عبد الله بن احمد بن سليم الاسواني في كتاب أخبار النوبة ان ابا عبد الرحمن عبد الله بن عبد الحميد العمري لما غلب على المحدث كتب الى اسوان يسأل التجار الخروج اليه بالجهاز من طريق المحدث فخرج اليه رجل يعرف بعثمان بن حنيفة التميمي في ألف راحلة فيها الجهاز والبر * وذكر أن العمري لما عاد الى بلاد البجة بعد حروبه للنوبة كثرت العمارة حتى صارت الرواحل التي تحمل الميرة اليهم من اسوان ستين ألف راحلة غير الجلاب التي تحمل من القازم الى عذاب قال ومما شاهدته جماعة من شيوخنا الثقات باسوان بقريه تدعى اساشي هي من اسوان على مرحلتين ونصف انهم رأوا شرقيها من جانب النيل قرية بسور وخارج بابها جيزة وناس يدخلون ويخرجون فاذا عبروا الى الموضع لم يجدوا شيئا وهذا يكون في الشتاء دون الصيف قبل طلوع الشمس والناس يجمعون على رؤيتها وصحة هذا الخبر وكان بها انواع من القمح وانواع من الرطب منها نوع من الرطب أشد ما يكون من خضرة السلق وأمر هارون الرشيد أن يجمع له من ألوان تمر اسوان من كل صنف ثمرة واحدة فجمع له وبيته ولا يعرف في الدنيا بسر يتقرر قبل أن يصير رطبيا الا باسوان

* (ذكر بلق) *

بلق أجل حصن للمسلمين وهي جزيرة تقرب من الجنادل محيط بها النيل فيها بلد كبير يسكنه خلق كثير من الناس وبها نخيل عظيم ومنبر في جامع واليه انتهت سفن النوبة وسفن المسلمين من اسوان وبينها وبين القرية التي تعرف بالقصر وهي أول بلد النوبة ميل واحد وبينها وبين اسوان أربعة اميال ومن اسوان الى هذا الموضع جنادل في البحر لا تسلكها المراكب الا بالجدلة ودلالة من يخرج ذلك من الصيادين الذين يصيدون هناك ولا تقصر مسلحة وباب الى بلد النوبة

* (ذكر حائط العجوز) *

هذا الحائط كان حصنا لارض مصر يحرق بجميعها وكان فيه محارس ومسالح ومن ورائه خليج يجري فيه الماء معقود عليه القناطر علمته دلوك بنت زبا وقد وهى وتلاشى ولم يبق منه الا بسير في شط النيل الشرقي انتهى الى اسوان قال ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد في كتاب فتوح مصر فبقيت مصر بعد غرقهم يعني فرعون وجنوده وليس فيها من أشرف أهلها أحد ولم يبق بها الا العبيد والاجراء والنساء فأظم أشرف من بمصر من النساء أن يولين منهم أحدا وأجمع رأيهم أن يولين امرأة منهم يقال لها دلوك بنت زبا وكان لها عقل ومعرفة وتجارب وكانت في شرف منهم وموضع وهي يومئذ بنت مائة سنة وستين سنة فذكرها نخافت أن يتناولها ملوك الارض فجمعت نساء الاشراف فقالت لهن ان بلادنا لم يكن يطعم فيها أحد ولا يمد عينه اليها وقد هلكا كابرا وأشرافنا وذهب الصحرة الذين كنا نقوى بهم وقد رأيت أن أبى حصنا أحرق به جميع بلادنا فأضع عليه المحارس من كل ناحية فانالنا من أن يطعم فينا الناس فبنت جدارا أحاطت به على جميع ارض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجري فيه الماء وأقامت القناطر والترع وجعلت فيه محارس ومسالح على كل ثلاثة اميال محرس ومسلة وفيها بين دلا محارس صفار على كل ميل وجعلت في كل محرس رجلا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم أن يحرسوا بالاجراس فاذا أتاهم أحد يخافونه ضرب بعضهم الى بعض بالاجراس فأناهم الخبر من اى جهة كانت في ساعة واحدة فنظروا في ذلك فغضبوا بذلك مصر عن أرادها وقرعت من بناء في ستة أشهر وهو الجدار الذي يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد منه بقايا كبيرة والله أعلم

* (ذكر البقط) *

البقط ما يقبض من سبي النوبة في كل عام ويحمل الى مصر ضريبة عليهم فان كانت هذه الكلمة عربية فهو اما من قولهم في الارض بقط من بقل وعشب أى يند من مرعى فيكون معناه على هذا نبذة من المال أو

يكون من قولهم ان في بني تميم بقطا من ربيعة اى فرقة أو قطعة فيكون معناه على هذا فرقة من المال أو قطعة منه ومنه بقط الأرض فرقة منها وبقط الشيء فرقه والبقط أن تعطى الحبة على الثلث أو الربع والبقط أيضا ما سقط من الثمر اذا قطع فأخطأ المخرف فيكون معناه على هذا بعض ما في أيدي النوبة وكان يؤخذ منهم في قرية يقال لها القصر مسافتها من اسوان خمسة اميال فيما بين بلد بلال وبلد النوبة وكان القصر فرضة لقوص وأول ما تقرر هذا البقط على النوبة في اماره عمرو بن العاص لما بعث عبد الله بن سعد بن أبي سرح بعد فتح مصر الى النوبة سنة عشرين وقيل سنة احدى وعشرين في عشرين ألفا كتب بها ما نأكتب اليه عمرو وأمره بالرجوع اليه فلما مات عمرو رضى الله عنه تقض النوبة الصلح الذي جرى بينهم وبين عبد الله بن سعد وكثرت سراياهم الى الصعيد فأخربوا وأفسدوا فغزاهم مرة ثانية عبد الله بن سعد بن أبي سرح وهو على اماره مصر في خلافة عثمان رضى الله عنه سنة احدى وثلاثين وحصرهم بمدينة دقة فله حصارا شديدا ووراهم بالمنجنيق ولم تكن النوبة تعرفه وخسف بهم كنيسهم بحجر فبهرهم ذلك وطلب ملكهم واسمه قليد وروث الصلح وخرج الى عبد الله وأبدي ضعفا ومسكنة وتواضعوا فلقاه عبد الله ورفعه وقربه ثم قرأ الصلح معه على ثلثمائة وستين رأسا في كل سنة ووعد عبد الله محبوب يهديها اليه لما شكا له قلة الطعام يبلده وكتب لهم كتابا بنسخته بعد البسملة عهد من الامير عبد الله بن سعد بن أبي سرح اعظم النوبة ولجميع أهل مملكته عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حد أرض اسوان الى حد أرض علوة أن عبد الله بن سعد جعل لهم أمانا وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين من جاوهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة انكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تخاربكم ولا تنصب لكم حربا ولا تغزوكم ما أقمت على الشرائط التي بيننا وبينكم على أن تدخلوا بلادنا مجتازين غير مقيمين فيه وندخل بلادكم مجتازين غير مقيمين فيه وعليكم حفظ من نزل بلادكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم وإن عليكم رد كل آبق خرج اليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه الى أرض الاسلام ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه ولا تعترضوا المسلم قصده وحاوره الى أن ينصرف عنه وعليكم حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدنتكم ولا تمنعوا منه مصليا وعليكم كنسه واسراجه وتكرمه وعليكم في كل سنة ثلثمائة وستون رأسا تدفعونها الى امام المسلمين من أوسط رقيق بلادكم غير المعيب يكون فيها ذكران وإناث ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم تدفعون ذلك الى والى اسوان وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولا منعه عنكم من حد أرض علوة الى أرض اسوان فان انتم آوئتم عبد المسلم أو قتلتم مسلما أو معاهدا أو تعرضتم للمسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدنتكم بهدم أو منعه شيئا من الثلثمائة رأس والستين رأسا قد برئت منكم هذه الهدنة والامان وعدنا نحن وأنتم على سواء حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمته رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولنا عليكم بذلك أعظم ما تدنيون به من ذمة المسج وذمة الحوارين وذمة من نعلمونه من أهل دينكم وملكتكم الله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك كتبه عمرو بن شرحبيل في رمضان سنة احدى وثلاثين * وكانت النوبة دفعت الى عمرو بن العاص ما صولحو عليه من البقط قبل تكلمهم وأهدوا الى عمرو وأربعين رأسا من الرقيق فلم يقبلها ورد الهدية الى كبير البقط ويشال له مقوس فاشترى له بذلك جهازا وخرأ وجهه اليه وبعث اليهم عبد الله بن سعد ما وعدهم به من الحبوب قمحا وشعيرا وعدسا وحبيا وخيلًا ثم تطاول الرسم على ذلك فصار ربهما يأخذونه عند دفع البقط في كل سنة وصارت الاربعون رأسا التي أهديت الى عمرو يأخذها والى مصر وعن أبي خليفة حميد بن هشام الجعترى أن الذي صولح عليه النوبة ثلثمائة وستون رأسا لىء المسلمين ولصاحب مصر أربعون رأسا ودفعت اليهم ألف اردب قمحا ولرسله ثلثمائة اردب ومن الشعير كذلك ومن الخمر ألف اقتر للتملك ولرسله ثلثمائة اقتر وفرسين من تناج خيل الامارة ومن أصناف الثياب مائة ثوب ومن القباطى أربعة أثواب للتملك ولرسله ثلاثة ومن البقطرية ثمانية أثواب ومن المعلاة خمسة أثواب وحبية بحملة للملك ومن قصص ابى بقط عشرة أثواب ومن أحص عشرة أثواب وهي ثياب غلاظ قال ابو خليفة ليس في كتاب عبد الله بن وهب ولا في كتاب الواقدي تسمية ينتهى اليها وانما أخذت التسمية من أبى زكريا قال أبو زكريا سمعت والدى عمرو بن صالح يقول هذا الخبر فحفظت منه ما وثقت عليه وقال حضرت مجلس الامير عبد الله بن طاهر وهو على مصر فقال

انت عثمان بن صالح الذي وجهنا اليك في كتاب بقط النوبة قلت نعم فأقبل علي محفوظ بن سليمان فقال ما أعجب أمر هذه البلدة وجهنا اليهم نطلب علما من علومهم والى هذا الشيخ فاشفقنا أحد منهم فقلت أصلي الله الاميران الذي طلبت من خبر النوبة عندي قد حفظه شيوخ عن الشيوخ الذين حضروا هناك والهدنة والصلح الذي جرى بين عبد الله بن سعد وبين النوبة ثم حدثتني عن أخبارهم كما سمعت فأنكر عطية النجر فقلت قد أنكرها عبد العزيز بن مروان وكان هذا المجلس بفسطاط مصر سنة احدى عشرة ومائتين بعد أن تم الصلح بينه وبين عبد الله بن السمري بن الحكم التميمي الامير كان قبله قال عثمان بن صالح فوجه الامير الى الديوان يظهر المسجد الجامع بمصر فاستخرج منه خبر النوبة فوجده كما ذكرته فسرته ذلك * وعن مالك بن انس انه كان يرى أن أرض النوبة الى حد علوة صلح وكان لا يميز شراء رقيقهم وكان أصحابه مثل عبد الله بن عبد الحكم وعبد الله ابن وهب والليث بن سعد ويزيد بن أبي حبيب وغيرهم من فقهاء مصر يرون خلاف ذلك قال الليث بن سعد نحن أعرف بأرض النوبة من الامام مالك بن انس انما صولحوا على أن لا تغزوهم ولا تمنع منهم عدوانا استرقه مقلكهم أو غزا بعضهم بعضا فسرأوه جائز وما استرقه بغاة المسلمين وسرقهم فغير جائز وكان عند جماعة منهم جوارف نوبات لقرشهم ولم يزل النوبة يؤدون البقط في كل سنة ويدفع اليهم ما تقدم ذكره الى أيام أمير المؤمنين المعتصم بالله أبي اسحاق بن الرشيد وكبير النوبة يومئذ زكرياء بن جحس وكانت النوبة رجا عجزت عن دفع البقط فشنت الغارة عليهم ولادة المسلمين القرييون من بلادهم ومنع من اخراج الجهار اليهم فأنكر فبرق وولد كبيرهم زكرياء على أبيه بذلة الطاعة لغیره واستعجزه فيما يدفع فقال له ابوه فاشاء قال عصيانهم ومحاربتهم قال ابوه هذا شئ راء السلف من آباءنا صوابا وأخشى أن يفضي هذا الامر اليك فتقدم على محاربة المسلمين غير أني أوجهك الى ملكهم رسولاً فأنت ترى حالنا وحالهم فان رأيت لنا بهم طاقة طارناهم على خيرة والا سألتهم الاحسان الينا فنخص فيرقى الى بغداد وكانت البلدان ترين له ويسير على المدن والتحدربا بتحداره رئيس البجة باسبابه ولقيه المعتصم فنظرا الى ما بهرهما من حال العراق في كثرة الجيوش وعظم العمارة مع ما شاهداه في طريقهما فقترب المعتصم فيرقى وأدناه وأحسن اليه احسانا تاما وقبل هديته وكافأه بأضعافها وقال له تمت ما شئت فسأله في اطلاق المحبوسين فأجابته الى ذلك وكبر في عين المعتصم وذهب له الدار التي نزلها بالعراق وأمر أن يشتري له في كل منزل من طريقه دار تكون لاسلمهم فانه امتنع من دخول دار لا حدى في طريقه فأخذ له بمصر دارا بالحيزة واخرى بيني وائل وأجرى لهم في ديوان مصر سبعة مائة دينار وفسر سرجا ولجما ووسيفاً محلى وثوباً مثقلاً وعمامة من الخمر وقيص شرب ووراء شرب وثيابا بالرسلة غير محدودة عند وصول البقط الى مصر واهم حملان وخلع على المتولى لقبض البقط وعليهم رسوم معاومة لقابض البقط والمتصرفين معه وما يهدى اليهم بعد ذلك فغير محدود وهو عندهم هدية يجازون عليها ونظر المعتصم الى ما كان يدفعه المسلمون فوجدها اكثر من البقط وأنكر عطية النجر وأجرى الحبوب والسياب التي تقدم ذكرها وقرر دفع البقط بعد انقضاء كل ثلاث سنين وكتب لهم كتابا بذلك بقي في يد النوبة وادعى النوبى على قوم من اهل اسوان انهم اشتروا أملا كامن عبيده فأمر المعتصم بالنظر في ذلك فأحضر والى البلد والمختار للعلم فيهم المتابعين من النوبة وسألاهم عما ادعاه صاحبهم من بيعهم فأنكروا ذلك وقالوا نحن رعية فزال ما ادعاه وطلب أشياء غير ذلك من ازالة السلطة المعروفة بالقصر عن موضعها الى الحد الذي بينهم وبين المسلمين لان السلطة على أرضهم فلم يجبه الى ذلك ولم يزل الرسم جاريا يدفع البقط على هذا التقرير ويدفع اليهم ما أجراه المعتصم الى أن قدمت الدولة الفاطمية الى مصر ذكر ذلك مؤرخ النوبة وقال أبو الحسن السعوى والبقط هو ما يقبض من السبي في كل سنة ويحمل الى مصر ضريبة عليهم وهو ثلثمائة رأس وخمسة وستون رأسا لبيت المال بشرط الهدنة بين النوبة والمسلمين وللا مير بمصر غير ما ذكرنا أربعون رأسا وثلثيته المقيم باسوان وهو المتولى لقبض البقط عشرون رأسا والعاكم المقيم باسوان الذي يحضر مع أمير اسوان قبض البقط خمسة أروس ولاثنى عشر شاهدا عدول من أهل اسوان يحضرون مع الحاكم لقبض البقط اثنا عشر رأسا من السبي على حسب ما جرى به الرسم في صدر الاسلام في يد اقباع الهدنة بين المسلمين والنوبة وقال البلادرى في كتاب الفتوحات ان المقر على النوبة اربع مائة رأس يأخذون بها طعاما يغلونه وألزمهم أمير المؤمنين المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور ثلثمائة وستين رأسا وزرافة

وفي سنة أربع وسبعين وستمائة كثر خبث داود مملك النوبة وأقبل الى أن قرب من مدينة اسوان وحرق عدة سواك بعد ما أفسد بعذاب فغضى اليه والى قوص فلم يدركه وقبض على صاحب الخيل في عدة من النوبة وحملهم الى السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى بقلعة الجبل فوسطهم وقدم سـكـندة ابن اخت مملك النوبة متظلماً من خاله داود فجزد السلطان معه الامير شمس الدين آق سـنـقـر الفارقانى الاستادار والامير عز الدين ايلى الافرم وامير جندارى في جماعة كـثـيرة من العسكر ومن أجناد الولايات وعربان الوجه القبلى والزراقيين والرماة ورجال الحراريق فساروا في اول شعبان من القاهرة حتى وصلوا الى أرض النوبة فخرجوا الى لقائهم على النجب بايديهم الحراب وعليم دكادك سود فاقتل الفريقان قتلاً كبيراً انهم فيه النوبة وأغار الافرم على قلعة الدروقتل وسبى واوغل الفارقانى في أرض النوبة برا وبحرا يقتل ويأسر فحاز من المواشى ما لا يعد ونزل بجيزة ميكائيل برأس الجنادل ونهر المراكب من الجنادل فجز النوبة الى الجزائر وكتب لعمير الدولة نائب داود مملك النوبة أما ناخاف لسكندة على الطاعة واحضر رجال المريس ومن فز وخاض الافرم الى برج في الماء وحصره حتى أخذه وقتل به مائتين واسرا خالداود فهرب داود والعسكر في أثره مدة ثلاثة أيام وهم يقتلون ويأسرون حتى أذعن القوم وأسر ام داود وأخته ولم يقدر على داود فقتل رسكندة عوضه وقرع على نفسه القطيعة في كـل سنة ثلاث فيله وثلاث زرافات وخمس فهود من اثامها ومائة فحبيب أصهب وأربع مائة رأس من البقر المنتجة على أن تكون بلاد النوبة نصفين نصفها للسلطان ونصفها للعمارة البلاد وحفظها ما خلا بلاد الجنادل فانما كلها للسلطان لقرهم من اسوان وهى نحو الربع من بلاد النوبة وأن يحمل ما بها من التمر والقطن والحقوق الجارية بها العادة من قديم الزمان وأن يقوموا بالجزية ما بقوا على النصرانية فيدفع كل بالغ منهم في السنة ديناراً عينا وكتب نسخة عين بذلك حلف عليهم الملك سكندة ونسخة عين اخرى حلفت عليها الرعية وخرب الاميران كائس النوبة وأخذ ما فيها وقبض على نحو عشرين اميراً من امراء النوبة وأفرج عن كل من كان بأيدي النوبة من أهل اسوان وعذاب من المسلمين في أسرهم وأليس سكندة تاج الملك وأعد على سرير المملكة بعد ما حلف والتزم أن يحمل جميع مال داود ولكل من قتل وأسر من مال ودواب الى السلطان مع البقط القديم وهو أربع مائة رأس من الرقيق في كـل سنة وزرافة من ذلك ما كان للخليفة ثمانية وستون رأساً ولتأبسه بمصر أربعون رأساً على أن يطلق لهم اذا وصلوا بالبقط تاماً من القمح ألف اردب لتملكهم وثلثمائة أردب لرسله

* (ذكر صحراء عذاب) *

اعلم أن حجاج مصر والمغرب أقاموا زيادة على مائتي سنة لا يتوجهون الى مكة شرفها الله تعالى الا من صحراء عذاب يركبون النبل من ساحل مدينة مصر القسطا الى قوص ثم يركبون الابل من قوص ويعبرون هذه الصحراء الى عذاب ثم يركبون البحر في الجلاب الى جدة ساحل مكة وكذلك تجار الهند واليمن والحبشة يردون في البحر الى عذاب ثم يسلكون هذه الصحراء الى قوص ومنها يردون مدينة مصر فكانت هذه الصحراء لا تزال عاصرة أهله بما يصدر أو يرد من قوافل التجار والحجاج حتى ان كانت أحوال البهار كالفقر والفاصل ونحو ذلك لتوجد ملقاة بها والقول صاعدة وهابطة لا يعترض لها أحد الى أن يأخذوا صاعداً فم تزل مسلكاً للحجاج في ذهابهم وايابهم زيادة على مائتي سنة من أعوام بضع وخمسين وأربع مائة الى أعوام بضع وستين وستمائة وذلك منذ كانت الشدة العظمى في أيام الخليفة المستنصر بالله أبي عمير معدن الظاهر واقطاع الحج في البر الى أن كسا السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الكعبة وعمل لها مقناطاً مخرج قافلة الحجاج من البر في سنة ست وستين وستمائة فقل سلوك الحجاج لهذه الصحراء واستمرت بضائع التجار تحمل من عذاب الى قوص حتى بطل ذلك بعد سنة ستين وسبع مائة وتلاشى امر قوص من حينئذ وهذه الصحراء مسافتها من قوص الى عذاب سبعة عشر يوماً ويفقد فيها الماء ثلاثة أيام متوالية وتارة يفقد أربعة أيام وعذاب مدينة على ساحل بحر جنة وهى غير مسورة وأكثر بيوتها أخصاص وكانت من أعظم مراسى الدنيا بسبب أن مر اكب الهند واليمن تحط فيها البضائع وتقلع منها مع مر اكب الحجاج الصادرة والواردة فلما انقطع ورود مر اكب الهند واليمن اليها صارت المرسى العظيمة عدن من بلاد اليمن الى أن كانت اعوام بضع

وعشرين وثمانمائة فصارت جثة أعظم مراسي الدنيا وكذلك هزم من فاتها من جليل وعذاب في صحراء
لابات فيها وكل ما يוכל بها مجلوب إليها حتى الماء وكان لأهلها من الجحاح والتجار فواند لا تخصي وكان لهم
على كل حمل يحملونه للجحاح ضريبة مقررة وكانوا يكارون الجحاح الجلاب التي تحملهم في البحر إلى جثة
ومن جثة إلى عذاب فيجتمع لهم من ذلك مال عظيم ولم يكن في أهل عذاب إلا من له جلبة فأكثر على قدر
بساره وفي بحر عذاب مغاص اللؤلؤ في جزائر قريبة منها تخرج إليه الغواصون في وقت معين من كل سنة
في الزوارق حتى يوافوه بتلك الجزائر فيقيمون هنالك أياماً ثم يعودون بماقسم لهم من الخبز والمغاص فيها
قريب القعر وعيش أهل عذاب عيش اليائس وهم أقرب إلى الوحش في أخلاقهم من الناس وكان الجحاح
يجدون في ركوبهم الجلاب على البحر وهو الأعظم لأن الرياح تقيم في الغالب براس في صحارى بعيدة مما يلي
الجنوب فينزل إليهم التجار من جبالهم فيكادونهم الجبال ويسلكون بهم على غير ماء فربما هلك أكثرهم عطشاً
وأخذ التجار ما كان معهم ومنهم من يضل ويملك عطشاً والذي يسلم منهم يدخل إلى عذاب كأنه نشر من كف
لداستحالت هيأتهم وتغيرت صفاتهم وأكثر هلال الجحاح بهذه المراسي ومنهم من يساعده الريح فتقطعه بمرسى
عذاب وهو الأقل وجلباتهم التي تحمل الجحاح في البحر لا يستعمل فيها مسجرات البتة إنما يحيط خشبها بالقنابر
وهو متخذ من شجر النثار جليل ويخلوونها بدمر من عيدان الخيل ثم يسقونها بدمر أودهن الخروع أودهن
القرش وهو حوت عظيم في البحر يتلع الغرق وقلاع هذه الجلاب من خوص شجر المقل ولأهل عذاب في
الجحاح أحكام الطواغيت فأنهم يبالغون في شتم الجلبة بالناس حتى يبق بعضهم فوق بعض حرصاً على الإجرة
ولا يبالون بما يصيب الناس في البحر بل يقولون دائماً علينا بالألواح وعلى الجحاح بالارواح وأهل عذاب من
الحياة ولهم ملك منهم وبها وال من قبل سلطان مصر وأدركت قاضيها عند نابا القاهرة أسود اللون والحياة قوم
لادين لهم ولا عقل ورجالهم ونساؤهم أبداعرة وعلى عوراتهم خرق وكثير منهم لا يسترون عوراتهم وعذاب
حزها شديد بسهم محرق

* (ذكر مدينة الاقصر) *

هذه المدينة من مدائن الصعيد العظيمة يقال إن أهلها المريس ومنها الجمر الرئيسية

* (ذكر البلينا) *

هذه وذكر الكمال الادفوى أنه وقع بين أهل البلاد ووالى قوص فتوجهوا إلى
القاهرة وصرقوه وولى غيره وطلع الخطيب بالبلينا فحجته وكان أقطاعه أرمنت فلما وصل إليها أضافه أهلها
بستين منسفاً من طعم اللين فقال للخطيب في بلادكم مثل هذا فقال الخطيب وحلوى فلما وصل إلى أخميم تقدم
الخطيب إلى البلينا فعند ما وصل إلى البلينا أخرجوا له ستين منسفاً حلوى وستين منسفاً شواء قال وبعض
الحكام بها في عيد من الأعياد امتدحه من أهلها خمسة وعشرون شاعر أو فقيهاً من لا يرضى بمدح القاضي وفيها
من تقصر رتبته عن ذلك قال وكان فيها عادة مسابك للسكر ويوصف أهلها بالمكارم

* (ذكر سهود) *

هذه المدينة بالجانب الغربي من النيل قال الادفوى كان بسهود سبعة عشر حجراً لا اعتصاره قصب السكر
ويقال إن الفار لا يدخل قصبها

* (ذكر ارجنوس) *

هذه المدينة من جلة عمل البهنسا بها كنيسة بظاهرها فيها بئر يقال لها بئر سبرس صغيرة لها عيد يعمل في اليوم
الخامس والعشرين من بشنس أحد شهور القبط فيفقر بها الماء عند مضي ست ساعات من النهار حتى
يطفئ ثم يعود إلى ما كان عليه ويستدل النصاري على زيادة النيل في كل سنة بقدر ما علا الماء من
الأرض فيزعمون أن الأمر في النيل وزيادته يكون موافقاً لذلك

* (ذكر ابوط) *

هذه المدينة أيضاً من جلة البهنساوية كان بها منارة محكمة البناء إذا هزها الرجل تحركت عينا وشمالاً فيرو

ميلها روية ظاهرة بانتقال ظلها عن موضعه

* (ذكر ملوى) *

هذه المدينة بالجانب الغربي من النيل وأرضها معروفة بزراعة قصب السكر وكان بها عدة أحجار لا اعتصاره وآخر من كان بها أولاد فضيل بلغت زراعتهم في أيام الناصر محمد بن قلاوون ألفاً وخمسة مائة فدان من القصب في كل سنة فأوقع التسو ناظر الخاص الحوطة على موجودهم في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة فوجد من جملة مالهم أربعة عشر ألف قنطار من القندجها إلى دار القندج بمصر سوى العسل وألزمهم بمثل ثمانية آلاف قنطار بعد ذلك وأفرج عنهم فوجد والهم حاصل لم يمتد له التسوية عشرة آلاف قنطار قد سوى مالهم من عبيد وغلال وغير ذلك

* (ذكر مدينة أنصنا) *

أعلم أن مدينة أنصنا إحدى مدائن صعيد مصر القديمة وفيها عدة عجائب منها الملعب ويقال أنه كان مقياس النيل وأنه من بناء دلوكة أحد من ملوك مصر وكان كالطليسان وفي دائره عدة أيام السنة الشمسية كلها من الصوان الأحمر المانع ومسافة ما بين كل عمودين مقدار خطوة إنسان وكان ماء النيل يدخل إلى هذا الملعب من قوهة عند زيادة الماء فإذا بلغ ماء النيل الحد الذي كان إذا ذلك يحصل منه رى أرض مصر وكفايتها جاس الملك عند ذلك في مشرف له وصعد القوم من خواصه إلى رؤس الأعمدة المذكورة فيستعدون عليه ما بين ذاهب وآت ويتساقطون من الأعمدة إلى الملعب وهو ممتلئ بالماء قال أبو عبيد البكري أنصنا بفتح أوله واسكان ثانيه بعده صادمه هـ مكسورة ونون وألف كورة من كور مصر معروفة منها كانت حربية النبي صلى الله عليه وسلم أم ابنه إبراهيم من قرية يقال لها حفن من قرى هذه الكورة ويقال أن سمرة فرعون كانوا منها وأنه جلبهم منها يوم الموعد للقاء موسى عليه السلام ويقال أن القساح لا يضرب ساحل أنصنا لظلام وضعفها وأنه إذا حاذى برها انقلب على ظهره حتى يجاوزها ويقال أن الذي بنى مدينة أنصنا شجون ابن مصر إيم بن يصر بن حام بن نوح وهي واقعة في شرقي النيل وكانت حصة البساتين والمنتزهات كثيرة الثمار والفواكه وهي الآن خراب وقال أبو حنيفة الدينوري ولا يثبت البيع إلا بأنصنا وهو عود ينشر منه الواح السفن وربما أرغفت ناشرها ويناع اللوح منها بخمس دينار ونحوها وإذا شتلوح منها بلوح وطرح في الماء ستة أيام صار اللوح واحداً وكان لأنصنا سور عتيق هدمه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وجعل على كل مركب متجداً في النيل جزاً من جل صخره إلى القاهرة فنقل باسمه إليها

* (ذكر القيس) *

أعلم أن القيس من البلاد التي تجاور مدينة البهنسا وكان يقال القيس والبهنسا قال ابن عبد الحكم بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث إلى الصعيد فسار حتى أتى القيس فنزل بها فسميت به وقال ابن يونس قيس ابن الحارث المرادى ثم الكعبى شهد فتح مصر يروى عن عمر بن الخطاب وكان يقضى الناس في زمانه روى عنه سويد بن قيس وقيل شديد بن قيس بن ثعلبة وروى عنه عسكر بن سودة وهو الذي فتح القريه بضعيد مصر المعروفة بالقيس فنسبت إليه وقال ابن الكندي ولهم ثياب الصوف واكسبه المرعز وليس هي بالدنيا إلا بمصر وذكر بعض أهل مصر أن معاوية بن أبي سفيان لما كبر كان لا يدفاً فاجتمعوا أنه لا يدفيه إلا الأكسية تعمل بمصر من صوفها المرعز العسلى العين المصبوغ فعلم له منها عدد فاحتاج منها إلى واحد ولهم طراز القيس والبهنسا في السور والمضارب يعرفون به ومنه طراز أهل الدنيا * وظهر بها بالقرب من البهنسا سرب في أيام السلفطان الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب فأمر متولى البهنساوية بكشفه فجمع له أهل المعرفة بالعوام والغمام فكافوا ما ينيف على مائتي رجل ما فهم الامن نزل السرب فلم يجد له قراراً ولا جواباً فأمر بعمل مركب طويل رقيق بحيث يمكن ادخاله من رأس السرب وتحنه بالازواد والرجال وركب فيه رجالاً مربوطة في خواربقي عند رأس السرب وجعل مع الرجال آلات يعرفون بها أوقات الليل والنهار وعدة شعور وغيرها مما يستخرج به النار وتشتعل به وأمرهم أن يسلكوا بالمركب في السرب حتى ينفذ نصف ما معهم من الزاد

الزاد فساروا بالركب في ظلة وهم يرخون الحبال ولا يجدون لما هم سائرون فيه من الماء جوانب فآزالوا حتى قلت ازوادهم فأبطلوا حركة المركب بالمجازيف الى داخل السرب وجزوا الحبال ليرجعوا الى حيث دخلوا حتى انتهوا الى رأس السرب فكانت مدة غيبتهم في السرب ستة أيام أربعة منها دخولا الى جوفه وتطواف جوانبه ويومان رجوعا الى رأس السرب ولم يقفوا في هذه المدة على نهاية السرب فكتب بذلك الامير علاء الدين الطنبغا والى الهندسالى الملك الكامل فتعجب عجا كثيرا واشتغل عن ذلك بمعارية الفرنج على دمياط فلما رحلوا عن دمياط وعادوا الى القاهرة خرج بعد ذلك حتى شاهد السرب المذكور

* (ذكر دروط بلهاسة) *

اعلم أن دروط وهى بفتح الدال المهملة وضم الراء وسكون الواو وطاء اسم لثلاث قرى دروط أشموم من الاشمونين ودروط سريان من الاشمونين أيضا ودروط بلهاسة من ناحية الهندسالى بالصعيد وبها جامع انشاء زياد ابن المغيرة بن زياد بن عمرو العنكي ومات في المحرم سنة احدى وتسعين ومائة فدفن به وقال فيه الشاعر

حلف الجلود حلفة بتر فيها * ما برا الله واحدا كزياد

كان غنيا مصر اذا كان حيا * وأما من السنين الشداد

ومات اخوه ابراهيم بن المغيرة سنة سبع وتسعين ومائة قتال الشاعر فيه

ابن المغيرة ابراهيم من ذهب * يزاد حسنا على طول الدهاريز

لو كان يملك ما فى الارض بعمله * الى العفاة ولم يهجم بتأخير

ومات احمد بن زياد بن المغيرة في المحرم سنة ست وثلاثين ومات ابنه فقال الشاعر فيه

احمد مات ما جدامه قودا * ولقد كان احمد محمودا

ورث الجدد عن أب ثم عم * مثله ليس بعده موجودا

* (ذكر سكر) *

هى من الاطفيحية تجاهها وادبه الى وقتنا هذا شكل جبل من الحجر ككأ كبير ما يرى من الجمال وأحسنها هيئة وهو قائم على أربعة وقد استقبل بوجهه المشرق وعلى نخذه الاين كتابة بقلهم وهى أحرف مقطعة فى ثلاثة اسطر ثم على نحو مائة وخسين خطونه منه جبل آخر مثله سواء ووجهه الى وجه الجبل الاول وليس عليه كتابة وفيما بين الجبلين المذكورين هيئة أعدال قدمملت تحاشا عتبتها أربعون ركبة موضوعة بالارض عشرين تجاه عشرين وجبعها من حجارة ولا يشك من رآها انها أحمال قاش وبعد مائة وخسين خطوة منها جبل ثالث على هيئة الجبلين المذكورين وهو أيضا قائم وظهره الى ظهر الجبل الثانى ووجهه الى الجبل وهذا آخر الوادى وليس على هذا الجبل أيضا كتابة أخبرنى بذلك من لا اتهم روايته

* (ذكر منية الخصب) *

هذه المدينة تنسب الى الخصب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر من قبل أمير المؤمنين هارون الرشيد

* (ذكر منية الناسك) *

هى بلدة من جملته الاطفيحية عرفت بالناسك أخى الوزير بهرام الارمنى في أيام الخليفة الحافظ لدين الله أبى الميمون عبد الحميد بن محمد ولى من قبل أخيه مدينة قوص سنة تسع وعشرين وخمسمائة وولاية قوص يومئذ أجل ولايات مصر بخار على المسلمين واشتد عصفه واذاه لهم فعند ما وصل الخبر بقيام رضوان بن ونحشى على بهرام وهزيمته ونقله الوزارة بعده ثار أهل قوص بالناسك فى جادى الآخرة سنة احدى وثلاثين وخمسمائة وقتلوه وربطوا كلبا ميتا فى رجله وسحبوه حتى ألقوه على منبلة وكان نصرانيا

* (ذكر الجيزة) *

قال ابن مسيدة الجيزة الناحية والجانب وجيز والجيز جانب الوادى وقد يقال فيه الجيزة واعلم أن الجيزة اسم لقرية كبيرة بجيلة البنبان على النيل من جانبه الغربى فجاء مدينة فسطاط مصر لها فى كل يوم أحد اسوق عظيم يحجى اليه من النواحي أصناف كثيرة جدا ويجتمع فيه عالم عظيم وبها عدة مساجد جامعة * وقد روى

الحافظ أبو بكر بن ثابت الخطيب من حديث تيط بن شريط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيزة روضة من رياض الجنة ومصر خزانة الله في أرضه ويقال إن مسجد التوبة الذي بالجيزة كان فيه تابوت موسى عليه السلام الذي قذفته أمته فيه بالنيل وبها النحلة التي أرضعت مريم تحتها عيسى فلم يفر غيرها وقال ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب فاستحبت همدان ومن والاهما الجيزة فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يبلغه بما صنع الله للمسلمين وما فتح عليهم وما فعلوا في خططهم وما استحبت همدان من النزول بالجيزة فكتب اليه عمر يحمد الله على ما كان من ذلك ويقول له كيف رضيت أن تفرق اصحابك لم يكن ينبغي لك أن ترضى لاحد من اصحابك أن يكون بينك وبينهم بحر ولا تدرى ما يفتأهم فلعلك لا تقدر على غياهم حين ينزل بهم ما تكره فاجعهم اليك فان أبو اعلبك وأعجمهم موضعهم بالجيزة وأحبوا ما نالك فابن عليهم من في المسلمين حصنا فعرض عليهم عمرو ذلك فأبوا وأعجمهم موضعهم بالجيزة ومن والاهم على ذلك من رهطهم يافع وغيرها وأحبوا ما هنالك فبقي لهم عمرو بن العاص الحصن في الجيزة في سنة احدى وعشرين و فرغ من بنائه في سنة اثنين وعشرين ويقال ان عمرو بن العاص لما سال اهل الجيزة أن ينغموا الى الفسطاط قالوا مقدم قد مناه في سبيل الله ما كنا نرحل منه الى غيره فقلت يافع الجيزة فيها مبرج بن شهاب وهمدان وذو أصبح فيهم ابو شمير بن ابرهة وطائفة من الحجر وقال القضاة ولما رجع عمرو بن العاص من الاسكندرية ونزل الفسطاط جعل طائفة من جيشه بالجيزة خوفا من عدو يغشاهم من تلك الناحية فجعل في آل ذي أصبح من حمير وهم كثير ويافع ابن زيد من رعين وجعل فيها همدان وجعل فيها طائفة من الازديين بنى الحجر بن الهبوعن الازد وطائفة من الحبشة ودبواهم في الازد فلما استقر عمرو في الفسطاط أمر الذين خلفهم بالجيزة أن ينضموا اليه ففكر هو اذ ذلك وقالوا هذا مقدم قد مناه في سبيل الله وأقتناه ما كنا بالذين نرغب عنه ونحن به منذ أشهر فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بذلك يخبره أن همدان وآل ذي أصبح وبافعا ومن كان معهم أحبوا المقام بالجيزة فكتب اليه كيف رضيت أن تفرق عنك اصحابك وتجعل بينك وبينهم بحرا لا تدرى ما يفتأهم فلعلك لا تقدر على غياهم فاجعهم اليك ولا تفرقهم فان أبوا وأعجمهم مكانهم فابن عليهم حصنا من في المسلمين فجمعهم عمرو واخبرهم بكتاب عمر فامتنعوا من الخروج من الجيزة فأمر عمرو ببناء الحصن عليهم ففكر هو اذ ذلك وقالوا الا حصن احصن لنا من سبيقتنا وكرهت ذلك همدان ويافع فأقرع عمرو بينهم فوقع القرعة على يافع فبقي فيهم الحصن في سنة احدى وعشرين و فرغ من بنائه في سنة اثنين وعشرين وأمرهم عمرو بالخطط بها فاخط ذوا أصبح من حمير من الشرق ومضوا الى الغرب حتى بلغوا أرض الحرث والزرع وكرهوا أن يبنى الحصن فيهم واخط يافع ابن الحرث من رعين بوسط الجيزة وبنى الحصن في خططهم وخرجت طائفة منهم عن الحصن اثمة منه واخطت بكيل بن جشم من نوف من همدان في مهب الجنوب من الجيزة في شرفها واخطت حاشد بن جشم بن نوف في مهب الشمال من الجيزة في غريها واخطت الجياوية بنو عامر بن بكيل في قبلي الجيزة واخطت بنو حجر بن ارحب بن بكيل في قبلي الجيزة واخط بنو كعب بن مالك بن الحجر بن الهبوعن الازد فيما بين بكيل ويافع والحبشة اخطوا على الشارع الاعظم والمسجد الجامع بالجيزة بناء محمد بن عبد الله الخازن في المحرم سنة خسين وثلاثمائة بأمر الامير على بن الاخشيد فتقدم كافور الى الخازن ببنائه وعمل له مستغلا وكان الناس قبل ذلك بالجيزة يصلون الجمعة في مسجد همدان وهو مسجد مراحم بن عامر بن بكيل كان يجمع فيه الجمعة في الجيزة وشارف بناء هذا الجامع مع الخازن ابو الحسن بن ابي جعفر الطحاوي واحتاجوا الى عمد الجامع ففنى الخازن في الليل الى كنيسة بأعمال الجيزة فقلع عمدها ونصب بدلها أركاناً وحمل العمدة الى الجامع فترك ابو الحسن بن الطحاوي الصلاة فيه منذ ذلك تورا قال النبي وقد كان ابن الطحاوي يصل في جامع الفسطاط العتيق وبعض عمده أو أكثرها ورخامه من كائس الاسكندرية وأرياف مصر وبعضه بناء قرة بن شريك عامل الواليد بن عبد الملك ويقال ان بالجيزة قبر كعب الاحبار وأنه كان بها أحجار ورخام قد صورت فيها التماسيح فكانت لا تظهر فيما يلي البلد من النيل مقدار ثلاثة أميال علوا وسفلا وفي سنة اربع وعشرين وسبع مائة منع الملك الناصر محمد بن قلاوون الوزير أن يعرض الى شيء مما يتحصل من مال الجيزة فصار جميعه يحمل اليه

قال القاضي "سجن يوسف عليه السلام بيومين من عمل الجيزة أجمع أهل المعرفة من أهل مصر على صحة هذا المكان وفيه أثريين أحدهما يوسف سجن به المدة التي ذكر أن مبلغها سبع سنين وكان الوحي ينزل عليه فيه وسط السجن موضع معروف بأجابه الدعاء يذكر أن كافور الأخشيدي سأل أبا بكر بن الخلد عن موضع معروف بأجابه الدعاء ليدعو فيه فأشار عليه بالدعاء على سطح السجن والنبي الآخر موسى عليه السلام وقد بنى على أثره مسجد هناك يعرف بمسجد موسى أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم الشرفي بالشرف قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن الورد وكان قد هلكت اخته وورث منها مورا وكان سجن عليه دائما وكان لسجن يوسف وقت يضي الناس اليه يتفرجون فقال لنا يوميا أصحابنا هذا أوان السجن ونريد أن نذهب اليه وأخرج عشرة دنانير فساوينا أصحابه وقال لهم ما اشتبهتموه فاشتروه فاشترى أصحاب الحديث واشتروا ما أرادوا وعدنا يوم أحد الجيزة كنا وبتنا في مسجد همدان فلما كان الصباح مشينا حتى جئنا إلى مسجد موسى وهو الذي في السهل ومنه يطلع إلى السجن وبينه وبين السجن تل عظيم من الرمل فقال الشيخ من يحملني ويطلع بي إلى هذا السجن حتى أحدثه بحديث لا أحدثه لاحد بعده حتى تفارق روعي الدنيا قال الشرفي فأخذت الشيخ وجلته حتى صرت في أعلاه فقل وقال معك ورقة قلت لا قال أبصر لي بلاطة فأخذت فكتب حدثني يحيى بن أيوب عن يحيى بن بكير عن زيد بن أسلم بن يسار عن ابن عباس قال إن جبريل أتى إلى يوسف في هذا السجن في هذا البيت المظلم فقال له يوسف من أنت الذي مددت السجن ما رأيت أحسن وجه منك فقال له أنا جبريل فبكى يوسف فقال ما يبكيك يا نبي الله فقال ايش يعمل جبريل في مقام المذنبين فقال أما علمت أن الله تعالى يطهر البقاع بالأنبياء والله لقد طهر الله بك السجن وما حوله فما أقام إلى آخر النهار حتى أخرج من السجن قال القاضي سقط بين يحيى وزيد رجل وقال الفقيه أبو محمد أحمد بن محمد بن سلامة الطعناوي وذكر سجن يوسف لوسافر الرجل من العراق ليصل في فيه وينظر اليه لما عفت في سفره وقال الفقيه أبو يحيى الروزي "لوسافر الرجل من العراق لينظر اليه ما عفتة * وذكر المسيحي في حوادث شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وأربعمائة أن العاتية والسوقة طافت الأسواق بمصر بالطبول والبوقات يجمعون من التجار وأرباب الأسواق ما يتفقونه في مضيقهم إلى سجن يوسف فقال لهم التجار شغلنا بعدم الأقوات يمنعنا من هذا وكان قد اشتد الغلاء وأنوا حالهم إلى الحضرة المطهرة يعني أمير المؤمنين الظاهر لا عزازدين الله أبا الحسن علي بن الحسain كما أمر الله فرسم لنائب الدولة أبي طاهر بن كافي متولى الشرطة السفلى الترسيم على التجار حتى يدفعوا اليهم ما جرت به رسومهم ورسم لهم بالخروج إلى سجن يوسف ووعدها أن يطلق لهم من الحضرة ضعف ما أطلق لهم في السنة الماضية من الهبة فخرجوا وفي يوم السبت تسع خلون من جمادى الأولى ركب القائد الأجل عز الدولة وسناده أعضاء الخدام الأسود في سائر الأتراك ووجوه القواد وشق البلد ونزل إلى الصناعة التي بالمسرح من معه ثم خرج من هناك وعدى في سائر عساكره إلى الجيزة حتى رتب لأمير المؤمنين عساكر تكون معه مقبلة هناك لحفظه لأنه عدى يوم الاثنين لحدى عشرة خلت منه في أربع عشاريات وأربع عشرة بغلة من بغال النقل وفي جميع من معه من خاضعته وحرمة إلى سجن يوسف عليه السلام وأقام هناك يومين وليلتين إلى أن عاد الرماحية الخارجون إلى السجن بالتماثيل والمضاحك والحكايات والسماعات فضحك منهم واستظرفهم وعاد إلى قصره بكرة يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت منه وأقام أهل الأسواق نحو الأسبوعين يطرقون الشوارع بالخيال والسماعات والتماثيل ويطلعون إلى القاهرة بذلك ليشاهدوا أمير المؤمنين ويعودون ومعهم سبيل قد كتب لهم أن لا يعارض أحدا منهم في ذهابه وعوده وأن يعقدوا كرامهم وصبياتهم ولم ير الواعلي ذلك إلى أن تكامل جميعهم وكان دخولهم من سجن يوسف يوم السبت لأربع عشرة خلت من جمادى الأولى وشقوا الشوارع بالحكايات والسماعات والتماثيل فتعطل الناس في ذلك اليوم عن أشغالهم ومعاشهم واجتمع في الأسواق خلق كثير ينظرونهم وظل الناس أكثر هذا اليوم على ذلك وأطلق لجميعهم ثمانية آلاف درهم وكانوا اثني عشر سقافا وزلوا مسرورين وبخارج مدينة الجيزة موضع يعرف بأبي هريرة فيظن من لاعلم له أنه أبو هريرة الصماني وليس كذلك بل هو منسوب إلى ابن أخته

* (ذكر قرية ترسا) *

قال القاضي وذكر أن القاسم بن عبيد الله بن الحجاب عامل هشام بن عبد الملك على خراج مصر بنى في الجيزة قرية تعرف بترسا والقاسم هذا خرج الى مصر وولى خلافة عن أبيه عبيد الله بن الحجاب السلمي على الخراج في خلافة هشام بن عبد الملك ثم أقره هشام على خراج مصر حين خرج ابو مالك الى اماره افر بقرية في سنة ست عشرة ومائة فلم يزل الى سنة أربع وعشرين ومائة فتزع عن مصر وجميع لحفص بن الوليد عربها وعجمها فصار بلى الخراج والصلاة معا وترسا هذه كانت وقعة هرون بن محمد الجعدي

* (ذكر منية اندونة) *

هي احدى قرى الجيزة عرفت بأندونة كاتب احمد المدايني الذي كان يتقلد ضياع مومى بن بقا التي عصر فقبض احمد بن طولون على اندونة هذا وكان نصرانيا فآخذ منه خمسين ألف دينار

* (ذكر وسيم) *

قال ابن عبد الحكم وخرج عبد الله بن عبد الملك بن مروان امير مصر الى وسيم وكانت لرجل من القبط فسأل عبد الله أن يأتيه الى منزله ويجعل له مائة ألف دينار فخرج اليه عبد الله بن عبد الملك وقيل انما خرج عبد الله الى قرية ابي النخس مع رجل من الكتاب يقال له ابن حنظلة فألقى عبد الله العزل وولاية قرزة بن شريك وهو هناك فلما بلغه ذلك قام ليلبس ميراويله فلبسه منكوسا وقيل ان عبد الله لما بلغه العزل رد المال على صاحبه وقال قد عزلنا وكان عبد الله قد ركب معه الى العذبة وعدى اصحابه قبله وتأخر فوردا الكتاب بعزله فقال صاحب المال والله لا بد أن تشرف منزلي وتكون ضيفي وتاكل طعامي والله لا عادلى شيء من ذلك ولا ادعك منصرفا فعذى معه

* (ذكر منية عقبة) *

هذه القرية بالجيزة عرفت بعقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه * قال ابن عبد الحكم كتب عقبة بن عامر الى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم ما يسأله ارضيا يسترفق فيها عند قرية عقبة فكتب له معاوية بألف ذراع في ألف ذراع فقال له مولى له كان عنده انظر أصلحك الله ارضا صالحة فقال عقبة ليس لنا ذلك ان في عهدهم شروطا ستة منها أن لا يؤخذ من ارضهم شيء ولا من نسائهم ولا من اولادهم ولا زاد عليهم ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم وأنا شاهد لهم بذلك وفي رواية كتب عقبة الى معاوية يسأله نقيعا في قرية بيني فيه منازل ومساكن فأمر له معاوية بألف ذراع في ألف ذراع فقال له مواله ومن كان عنده انظر الى أرض تعجبك فاخط فيها وابن فقال انه ليس لنا ذلك لهم في عهدهم ستة شروط منها أن لا يؤخذ من ارضهم شيء ولا زاد عليهم ولا يكلفوا غير طاعتهم ولا تؤخذ ذرارهم وأن يقاتل عنهم عدوهم من ورائهم قال ابو سعيد بن يونس وهذه الارض التي اقتطعها عقبة هي المنية المعروفة بمنية عقبة في جيزة فسطاط مصر * (عقبة بن عامر بن عيسى بن عمرو بن عدى بن عمرو بن رقاعة بن مودوعة بن عدى بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة كذا نسبه ابو عمرو الكندي وقال الحافظ ابو عمرو بن عبد البر عقبة بن عامر بن حسن الجهني من جهينة بن زيد بن مسعود ابن اعل بن عمرو بن الحاف بن قضاة وقد اختلف في هذا النسب يكتب أبا جاد وقيل أبا أسد وقيل أبا عمرو وقيل أبا سعاد وقيل أبا الاسود وقال خليفة بن خياط وقتل ابو عامر عقبة بن عامر الجهني يوم النهروان شهيدا وذلك سنة ثمان وثلاثين وهذا غلط منه وفي كتابه بعد وفي سنة ثمان وخمسين توفي عقبة بن عامر الجهني قال سكن عقبة بن عامر مصر وكان واليا عليها وابتنى بها دارا وتوفي في آخر خلافة معاوية روى عنه من الصحابة جابر وابن عباس وابو امامة وسلمة بن مخلد وأما رواه من التابعين فكثير وقال الكندي ثم ولها عقبة بن عامر من قبل معاوية وجعل له صلاتها وخراجها فجعل على شرطته حمادا وكان عقبة قارئا فقيها افرضا شاعرا له الهجرة والصحة السابقة وكان صاحب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء الذي يقودها في الاسفار وكان صرف عقبة عن مصر بمسلة بن مخلد لعشرين بقيق من ربيع الاول سنة أربعين فكانت ولايته ستين وثلاثة أشهر وقال ابن يونس توفي بمصر سنة ثمان وخمسين ودفن في مقبرتها بالمقطم وكان يحضب بالسواد رحمه الله

*** (ذكر حلوان) ***

يقال انها تنسب الى حلوان بن بابلون بن عمرو بن امرئ القيس ملك مصر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان حلوان هذا بالشام على مقدمة أبرهة ذي المنار أحد التبايعه * قال ابن عبد الحكم وكان الطاعون قد وقع بالقسطاط فخرج عبد العزيز بن مروان من القسطاط قتل بحلوان داخل في الصحراء في موضع منها يقال له ابو قرة وهو رأس العين التي احتقرها عبد العزيز بن مروان وساقها الى نخيله التي غرسها بحلوان فكان ابن خديج يرسل الى عبد العزيز في كل يوم يخبر ما يحدث في البلاد من موت وغيره فأرسل اليه ذات يوم رسولا فأتاه فقال له عبد العزيز ما اسمك فقال ابو طالب فنقل ذلك على عبد العزيز وغاظه فقال له عبد العزيز أسألك عن اسمك فتقول ابو طالب ما اسمك فقال مدرك فتفاهل بذلك ومرض في حجره ذلك ومات هنالك فحمل في البحر براديه القسطاط حتى تغير فأترل في بعض خصوص ساحل مرس ففسل فيه وأخرجت من هنالك جنازته وخرج معه بالجواهر فيها العود لما كان قد تغير من ريحه وأوصى عبد العزيز أن يتر بجنازته اذامات على منزل جناب بن مرثد ابن زيد بن هاني الرعي صاحب حرسه وكان صديقه له وقد توفي قبل عبد العزيز فتر بجنازته على باب جناب وقد خرج عيال جناب ولبسن السواد ووقفن على الباب صائحات ثم اتبعنه الى المقبرة وكان لتصيب من عبد العزيز ناحية فقدم عليه في مرضه فاذن له فلما رأى شدة مرضه انشأ يقول

ونزور سيدنا وسيد غيرنا * ليت التشكي كان بالعواد

لو كان يقبل فدية لفيديته * بالمصطفى من طارفي وتلاذي

فلما سمع صوته فتح عينيه وأمر له بألف دينار واستبشر بذلك آل عبد العزيز وفر حوايه ثم مات * وقال الكندي ووقع الطاعون بمصر في سنة سبعين فخرج عبد العزيز بن مروان منها الى الشرقية مستديا قتل حلوان فأعجبته فالتجدها وسكنها وجعلهم الحرس والاعوان والشرط فكان عليهم جناب بن مرثد بحلوان وبني عبد العزيز بحلوان الدور والمساجد وعمرها احسن عمارة وأحكمها وغرس نخيلها وكرمها فقال ابن قيس الرقيات

سقى حلوان ذى الكروم وما * صنف من تينه ومن عنبه

فخل مواخير بالقناه من الس * برفي يستر ثم في سريره

اسود مكانه الحمام فما * يتفك غربانه على رطبه

ولما غرس عبد العزيز نخيل حلوان وأطمع دخله والجند معه فجعل يطوف فيه ويقف على غرسه ومساقيه فقال يزيد بن عروة الجلي "ألا قلت أيها الأمير كما قال العبد الصالح ما شاء الله لا قوة الا بالله فقال أذكرتني شيئا كرا يا غلام قل لا يناس يزيد في عطائه عشرة دنانير * (عبد العزيز) بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي أبو الاصمغ اتته ليلى ابنة زيان بن الاصمغ الكندي روى عن أبي هريرة وعقبه بن عامر الجهمي وروى عنه علي بن رياح وبجير بن داخرة وعبيد الله بن مالك الخولاني وكعب بن علقمة ووثقه النساء وابن سعد ولما سار أبوه مروان الى مصر بعثه في جيش الى ايلة ليدخل مصر من تلك الناحية فبعث اليه ابن جندم أمير مصر بجيش عليهم زهير بن قيس البلوي فلقى عبد العزيز ييصادق وهي سطح عقبة ايلة فقاتله فانهزم زهير ومن معه فلما غلب مروان على مصر في جمادى الآخرة سنة خمس وستين جعل صلاحها وخراجها الى ابنه عبد العزيز بعد ما أقام بمصر شهرين فقال عبد العزيز يا أمير المؤمنين كيف المقام ببلد ليس به أحد من بني أبي فقال له مروان يا بني عنهم يا حسنات يكونوا كلهم بني أبيك واجعل وجهك طلقا نصف لك مودتهم وأوقع الى كل رئيس منهم انه خاصتك دون غيره يكن لك عينا على غيره ويتأدقومه اليك وقد جعلت معك أخاك بشرا مؤنسا وجعلت لك موسى بن نصير وزير او مشيرا وما عليك يا بني أن تكون أميرا بأقصى الارض أليس ذلك احسن من اغلاق بابك ونحوك في منزلك وأوصاء عند مخرجه من مصر الى الشام فقال او صيك بتقوى الله في سرائرك وعلايته فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأوصيك أن لا تجعل لداعي الله عليك سبيلا فان المؤمن يدعوا الى فريضة اقترضها الله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وأوصيك أن لا تعد الناس موعدا الا أنفذته لهم وان حملته على الاسنة وأوصيك أن لا تجعل في شيء من

الحكم حتى تستشير فان الله لو أغنى احد عن ذلك لا غنى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن ذلك بالوحى الذى
يأتية قال الله عز وجل "وشاورهم فى الامر" * وخرج مروان من مصر لهلال رجب سنة خمس وستين فولىها عبد
العزيز على صلاتها وخراجها وتوفى مروان لهلال رمضان وبويع ابنه عبد الملك بن مروان فأقر أخاه عبد العزيز
ووفد على عبد الملك فى سنة سبع وستين وجعل على الحرس والخليل والاعوان جناب بن مرثد الرعيني فاشتد
سلطانه وكان الرجل اذا أغلظ لعبد العزيز وخرج تناوله جناب ومن معه فضر به وحبسوه وعبد العزيز أول من
عرف بمصر فى سنة احدى وسبعين قال يزيد بن ابى حبيب أول من أحدث القعود يوم عرفة فى المسجد بعد
العصر عبد العزيز بن مروان * وفى سنة اثنتين وسبعين صرف بعث البحر الى مكة لقتال عبد الله بن الزبير
وجعل عليهم مالك بن شرحبيل الخولاني وهم ثلاثة آلاف رجل فيهم عبد الرحمن بن جحش مولى ابن ابرى وهو
الذى قتل ابن الزبير وخرج الى الاسكندرية فى سنة أربع وسبعين ووفد على أخيه عبد الملك فى سنة خمس
وسبعين وهم جامع القسطاط كله وزاد فيه من جواهره كاهن فى سنة سبع وسبعين وأمر بضرب الدنانير
المنقوشة وقال ابن عفير كان لعبد العزيز ألف جفنة كل يوم تنصب حول داره وكانت له مائة جفنة يطاف
بها على القبائل تحمل على العجل وكتب عبد الملك اليه أن ينزل له عن ولاية العهد ليعهد الى الوليد وسليمان
فأبى ذلك وكتب اليه ان يكن لك ولد فلنا اولاد وبقضى الله ما يشاء فغضب عبد الملك فبعث اليه عبد العزيز
بعملى بن رباح يترضا فلما قدم على عبد الملك استعطفه على أخيه فشكا عبد الملك وقال فرق الله بيني وبينه فلم
يزل به على حتى رضى فقدم على عبد العزيز فأخبره عن عيد الملك وعن حاله ثم أخبره يدعونه فقال افعلا والله
مفارقه والله ما دعوة قط الا أجيت وكان عبد العزيز يقول قدمت مصر فى امرة مسلمة بن محمد فقتلت بها
ثلاث أماني فأدركنها تميت ولاية مصر وأن أجمع بين امرأتى مسلمة ويحببني قيس بن كليب حاجبه فتوفى مسلمة
وقدم مصر فوايها وحبه قيس وتزوج امرأتى مسلمة وتوفى ابنه الاصبغ بن عبد العزيز لتسع بقين من ربيع
الآخر سنة ست وثمانين فمرض عبد العزيز وتوفى ليلة الاثنين لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة ست
وثمانين فحمل فى النيل من حلوان الى القسطاط فدفن بها * وقال ابن أبى مليكة رأيت عبد العزيز بن مروان
حين حضره الموت يقول ألا ليتنى لم ألتشىأ مذكورا ألا ليتنى كاتبة من الارض او كراعى ابل فى طرف
الحجاز ولما مات لم يوجد له مال ناض الا سبعة آلاف دينار وحلوان والقيصرية وثياب بعضها مرقوع وخيل
ورقيق وكانت ولايته على مصر عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوما ولم يلها فى الاسلام قبله أطول
ولاية منه * وكان بحلوان فى النيل معدية من صوان تعدى بالخليل تحمل فيها الناس وغيرهم من البر الشرفى
بحلوان الى البر الغربى فلما كان وهذا من الاسرار التى فى الخليفة فان جميع الاجسام المعدنية
كالحديد والنحاس والفضة والرصاص والذهب والقصدير اذا عمل من شئ منها اتاه بسع من الماء أكثر من وزنه
فانه يعموم على وجه الماء ويحمل ما يمكنه ولا يفرق وما برح المسافرون فى بحر الهند اذا أظلم عليهم الليل ولم يروا
ما يهدهم من الكواكب الى معرفة الجهات يحملون حديدية محجوة على شكل سمكة ويألفون فى ترقيةها جهد
المقدرة ثم يعمل فى فم السمكة شئ من مغناطيس جيدا ويحك فيها بالمغناطيس فان السمكة اذا وضعت فى الماء
دارت واستقبلت القطب الجنوبى بفمها واستدبرت القطب الشمالى وهذا أيضا من أسرار الخليفة فاذا
عرفوا جهة الجنوب والشمال تبين منهما المشرق والمغرب فان من استقبل الجنوب فقد استدبر الشمال
وصار المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره فاذا تحددت الجهات الاربع عرفوا مواقع البلاد بها فبقصدون
حينئذ جهة الناحية التى يريدونها

* (ذكر مدينة العريش) *

العريش مدينة فيما بين أرض فلسطين واقليم مصر وهى مدينة قديمة من جله المداين التى اختطت بعد الطوفان
* قال الاستاذ ابراهيم بن وصف شاه عن مصر ايم بن يعصر بن حام بن نوح عليه السلام وكان غلاما مر فيها
فلما قرب من مصر بنى له عريشاً من أغصان الشجر وستره بحشيش الارض ثم بنى له بعد ذلك فى هذا الموضع
مدينة وسماها درسان اى باب الجنة فزرعوا وغرسوا الاشجار والجنان من درسان الى البحر فكانت كلها
رروعا وجنانا وعمارة * وقال آخر انما سميت بذلك لان يعصر بن حام بن نوح تحمل فى ولده وهم اربعة ومعهم

اولادهم فكانوا اثلاثين ما بين ذكر واثني وقدم ابنه مصر بن يصير أما ما نحو أرض مصر حتى خرج من حد الشام فقاموا وسقط مصر في موضع العريش وقد اشتد نعبه ونام فرأى قائلا يشره بمحصله في أرض ذات خير ودر وملك وغرف فاقبته فزعا فاذا عليه عريش من اطراف الشجر وحوله عيون ماء فحمد الله وسأله أن يجمعه بأبيه واخوته وأن يسار له في أرضه فاستجيب له وقادهم الله اليه فنزلوا في العريش وأقاموا به فأخرج الله لهم من البحر دواب ما بين خيل وحمير وبقرة وغنم وابل فساقوها حتى أتوا موضع مدينة منف فنزلوه وبنوا فيه قرية سميت بالقبطية مافة يعني قرية ثلاثين فمخت ذرية يصير حتى عمروا الأرض وزرعوا واكثر مواشيهم وظهرت لهم المعادن فكان الرجل منهم يستخرج القطعة من الزبرجد يعمل منها مائدة كبيرة ويخرج من الذهب ما تكون القطعة منه مثل الاسطوانة وكالبعير الرابض * وقال ابن سعيد عن البيهقي كان دخول اخوة يوسف وابويه عليهم السلام عليه بمدينة العريش وهي اول أرض مصر لانه خرج الى تلقيم حتى نزل المدينة بطرف سلطانه وكان له هناك عرش وهو سرير السلطنة فأجلس أبويه عليه وكانت تلك المدينة تسمى في القديم بمدينة العرش لذلك ثم سميت العاصمة مدينة العريش فغلب ذلك عليها ويقال انه كان ليوسف عليه السلام حرس في اطراف أرض مصر من جميع جوانبها فلما أصاب الشام القحط وسارت اخوة يوسف لقتار من مصر أقاموا بالعريش وكتب صاحب الحرس الى يوسف ان اولاد يعقوب الكنعاني يريدون البلد ليعطى نزل بهم فعمل اخوة يوسف عند ذلك عرشا يستظلون به من الشمس حتى يعود الجواب فسمى الموضع العريش وكتب يوسف بالاذن لهم فكان من شأنهم ما قد ذكر في موضعه ويقال للعرش الجعدي هذا كجدي وابن وصيف شاه اعرف بأخبار مصر * وفي سنة خمس عشرة وأربعمائة طرق عبد الله بن ادريس الجعفي العريش بعمارة بنى الجراح وأحرقها وأخذ جميع ما فيها * وقال القاضي الفاضل وفي جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين وخمسمائة ورد الخبر بأن نخل العريش قطع الفرج أكثره وجلا وجذعه الى بلادهم وملئت منه ولم يجدوا مخاطبا على ذلك ونقل عن ابن عبد الحكم أن الحفاريأ جمعه كان أيام فرعون موسى في غاية العمارة بالماء والقري والسكان وأن قول الله تعالى ودعونا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون عن هذه المواضع وأن العمارة كانت متصلة عنه الى اليمن ولذلك سميت العريش عريشا وقيل انها نهاية النجوم من الشام وان اليه كان ينتهي رعاة ابراهيم الخليل عليه السلام بمواشيه وانه عليه السلام اتخذ به عريشا كان يجلس فيه حتى تحلب مواشيه بين يديه فسمى العريش من أجل ذلك وقيل ان مالك بن دعر بن حجر بن جذيلة بن نهم كان له أربعة وعشرون ولدا منهم العريش بن مالك وبه سميت العريش لانه نزل بها وبها عمارة مدينة وعن كعب الاحبار أن بالعريش قبور عشرة انبياء

* (ذكر مدينة القرماء) *

قال البكري القرماء بفتح الهمزة وثانيه ممدود على وزن فعلاء وقد يقصر مدينة تلقاء مصر وقال ابن خالويه في كتاب ليس القرماء هذه سميت بأخي الاسكندر كان يسمى القرماء وكان كافرا وهي قرية أم اسمعيل بن ابراهيم انتهى ويقال اسمه القرماء بن فيلقوس ويقال فيه ابن فليس ويقال بليس وكانت القرماء على شط بحيرة تبتس وكانت مدينة خصباء وبها قبر جالينوس الحكيم وبني بها المتوكل على الله حصنا على البحر تولى بناءه عنبسة بن اسحاق أمير مصر في سنة تسع وثلاثين ومائتين عند ما بنى حصن دمياط وحصن تبتس وأنفق فيها مالا عظيما ولما فتح عمرو بن العاص عين شمس أخذ الى القرماء أبرهة بن الصباح فصالحه اهلها على خمسمائة دينار هرقلية وأربعمائة ناقة وألف رأس من الغنم فرحل عنهم الى البقارة * وفي سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة نزل الروم عليها فنظروا الناس اليهم وقتلوا منهم رجلين ثم نزلوا في جمادى الاولى سنة تسع وأربعين وثلاثمائة فخرج اليهم المسلمون وأخذوا منهم مراكبا وقتلوا من فيه وأسروا عشرة * وقال اليعقوبي القرماء اول مدن مصر من جهة الشمال وبها خلاط من الناس وبينها وبين البحر الأخضر ثلاثة اميال * وقال ابن الكندي ومن القرماء وهي اكثر عجائب وأقدم آثارا ويذكر أهل مصر انه كان منها طريق الى جزيرة قبرس في البر فغلب عليها البحر ويقولون انه كان فيما غلب عليه البحر مقطع الرخام الابلق وان مقطع الابيض بلوبية * وقال يحيى بن عثمان كنت ارباط في القرماء وكان بينها وبين البحر قريب من يوم يخرج الناس والمرابطون في أخصاص على الساحل ثم علا البحر على ذلك كله

وقال ابن قديد وجه ابن المدبر وكان يتنيس الى القرما في هدم ابواب من حجارة شرق الحصن احتاج أن يعمل منها جيرا فلما قطع منها حجرا أو حجرا ن خرج اهل القرما بالسلاح فنعوا من قلعها وقالوا هذه الابواب التي قال الله فيها على لسان يعقوب عليه السلام يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة والفرما بها النخل العجيب الذي يثمر حين يقطع البسر والرطب من سائر الدنيا فيبتدئ هذا الرطب من حين يلد النخل في الكواثين فلا يقطع أربعة أشهر حتى يجيء البلج في الربيع وهذا الاو يوجد في بلد من البلدان لا بالبصرة ولا بالحجاز ولا باليمن ولا بغيرها من البلدان ويكون في هذا البسر ما وزن البصرة الواحدة فوق العشرين درهما وفيه ما طول البصرة نحو الشبر والفترة * وقال ابن المأمون البطايحي في حوادث سنة تسع وخسمائة ووصلت التجايون من والى الشرقية تخبر بأن بغدوين ملك الفرج وصل الى أعمال القرما فسير الافضل بن أمير الجيوش للوقت الى والى الشرقية بأن يسير المراكزية والمقطعين بها وسير الازلي من العطوفية وأن يسير الوالي بنفسه بعد أن يتقدم الى العربان بأسرهم بأن يكونوا في الطوالع ويطاردوا الفرج ويشاروه وهم بالليل قبل وصول العساكر اليهم فاعتمد ذلك ثم أمر بإخراج الخيام وتجهيز الاصحاب والحواشي فلما توالت العساكر وتقدمها العربان وطاردوا الفرج وعلم بغدوين ملك الفرج أن العساكر متواصلة اليه وتحقق أن الإقامة لا تمكنه امر أصحابه بالنهب والتخريب والاحراق وهدم المساجد فأحرق جامعها ومساجدها وجميع البلد وعزم على الرحيل فاخذه الله سبحانه وتعالى وعمل بنفسه الى النار فمكتم أصحابه موته وساروا بعد أن شقوا بطن بغدوين وملاؤه ملحا حتى بقي الى بلاده فدفنوه بها وأما العساكر الاسلامية فانهم شنوا الغارات على بلاد العدو وعادوا بعد أن خيموا على ظاهر عسقلان وكب الى الامير ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق بأن يتوجه الى بلاد الفرج فسار الى عسقلان وحلت اليه الضيافات وطولع بخبر وصوله فأمر بحمل الخيام وعدة وافرة من الخيل والكسوات والبنود والاعلام وسيف ذهب ومنطقة ذهب وطوق ذهب وبدلة طقم وخيمة كبيرة مكحلة ومرتبة ملوكة وفرشها وجميع آلاتها وما تحتاج اليه من آلات الفضة وسير برسم شمس الخواص وهو مقدم كبير خلعة مذهبة ومنطقة ذهب وسيف وسير برسم المميزين من الواصلين خلع وسيوف وسلم ذلك ثبت لاحد الحجاب وسير معه قزاشان برسم الخيام وأمر بضرب الخيمة الكبيرة وفرشها وأن يركب والى عسقلان وظهير الدين وشمس الخواص وجميع الامراء الواصلين والمقيمين بعسقلان الى باب الخيمة ويقبلوه ثم الى باسطها والمرتبة المنصوبة ثم يجلس الوالي وظهير الدين وشمس الخواص والمقدمون ويقف الناس بأجمعهم اجلالا وتعظيما ويخلع على الامير ظهير الدين وشمس الخواص وتشد المناطق في أواسطها ويقلدوا بالسيوف ويخلع بعدهم اعلى المميزين ثم يسير ظهير الدين والمقدمون بالتشريف والاعلام والرايات المسيرة اليهم الى أن يصلوا الى الخيام التي ضربت لهم فاذا كان كل يوم يركب الوالي والاميران والمقدمون والعساكر الى الخيمة الملوكية ويتفاوضون فيها يجب من تدبير العساكر فامثل ذلك وتواصلت الغارات على بلاد العدو وأسروا وقتلوا فسيرت اليهم الخلع ثانيا وجعل لشمس الخواص خاصة في هذه السفرة عشرة آلاف دينار وتسلم ظهير الدين الخيمة الكبيرة بما فيها وكان تقدير ما حصل له ولاصحابه ثلاثين ألف دينار وبلغ المنفق في هذه النوبة وعلى ذهاب بغدوين وهلاكه مائة ألف دينار * وفي شهر رجب سنة خمس وأربعين وخسمائة نزل الفرج على القرما في جمع كبير وأحرقوها ونهبوا أهلها وآخر أمرها أن الوزير شاو رخت بها لما خرج منها متوليا ملهم اخوا الضرعام في سنة

فاستقرت خرابا لم تعمر بعد ذلك وكان بالقرما والبصرة والورادة عرب من جذام يقال لهم القاطع وهو جري بن عوف بن مالك بن شنوءة بن بديل بن جشم بن جذام منهم عبد العزيز بن الوزير بن صابى بن مالك ابن عامر بن عدى بن حرش بن بقر بن نصر بن القاطع مات في صفر سنة خمس ومائتين والسرورى والجروى هنا أخبار كثيرة نبهنا عليها في كتاب عقد جواهر الاسفاط في أخبار مدينة القسطاط وقال ابن الكندي وبها مجمع البحرين وهو البرزخ الذي ذكره الله عز وجل فقال مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وقال وجعل بين البحرين حاجزا وهما بحر الروم وبحر الصين والحاجز بينهما مسيرة ليلة ما بين القلزم والقرما وليس يتقاربان في بلد من البلدان أقرب منهما بهذا الموضع وبينهما في السفرة مسيرة شهر

(ذكر مدينة القلزم)

القلزم يضم القاف وسكون اللام وضم الراء وميم بلدة كانت على ساحل بحر اليمن في أقصاه من جهة مصر وهي كورة من كور مصر واليه ينسب بحر القلزم وبالقرب منها غرق فرعون وبينها وبين مدينة مصر ثلاثة أيام وقد خربت ويعرف اليوم موضعها بالسويس بجاء عجرود ولم يكن بالقلزم ماء ولا شجر ولا زرع وانما يحمل الماء اليها من آبار بعيدة وكان بها فرضة مصر والشام ومنها تحمل الحمولات الى الحجاز واليمن ولم يكن بين القلزم وفاران قرية ولا مدينة وهي تفل يسير فيه صياد السمك وكذلك من فاران وجيلان الى ايلة قال ابن الطوير والبلد المعروف بالقلزم اكثرها باق الى اليوم وبرها الزاكب السائر من مصر الى الحجاز وكانت في القديم ساحلا من سواحل الديار المصرية ورأيت شيئا من حسابه من جهة مستخدميه في حواصل القصر وما يتفق على واليه وقاضيه وداعيه وخطيبه والاجناد المكنزين به لحفظه وقرية وجامعه ومساجده وكان مسكونا مأهولا قال المسيحي في حوادث سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وفي شهر رمضان ساح أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله اهل مدينة القلزم مما كان يؤخذ من مكوس المراكب وقال ابن خرداذبة عن التجار فيركبون في البحر الغربي ويخرجون بالفرعاء ويحملون تجارتهم على الظهر الى القلزم وبينها خمسة وعشرون فرسخا ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم الى تجار جدة ثم يمضون الى السند والهند والصين ومن القلزم ينزل الناس في بركة وصحراء ست مراحل الى ايلة ويتزودون من الماء لهذه المرحلة الست ويقال ان بين القلزم وبحر الروم ثلاث مراحل وان ما بينهما هو البرزخ الذي ذكره تعالى بقوله بينهما برزخ لا يبغيان

(التيه)

هو أرض بالقرب من ايلة بينهما عقبة لا يكاد الاكب يصعدا لصعوبتها الا أنها مهدت في زمان خبارويه بن احمد بن طولون وبسير الراكب مرحلتين في محض التيه هذا حتى يوافي ساحل بحر فاران حيث كانت مدينة فاران وهناك غرق فرعون والتيه مقدار أربعين فرسخا في مثلها وفيه تاه بنو اسرائيل أربعين سنة لم يدخلوا مدينة ولا أووا الى بيت ولا بدلوا ثوبا وفيه مات موسى عليه السلام ويقال ان طول التيه نحو من ستة أيام واتفق أن المماليك الجريته لما خرجوا من القاهرة هاربين في سنة اثنتين وخمسين وستمائة متر طائفة منهم بالتيه فتاهوا فيه خمسة أيام ثم رأى لهم في اليوم السادس سواد على بعد قصده فاذا مدينة عظيمة لها سور وأبواب كلها من رخام أخضر فدخلوا بها وطافوا بها فاذا هي قد غلب عليها الرمل حتى طم أسواقها ودورها ووجدوا بها أواني وملابس وكانوا اذا تناولوا منها شيئا تناثر من طول البلى ووجدوا في صينية بعض البزاقين تسعة دنانير ذهابا عليها صورة غزال وكأبه عبرانية وحفر وأموضا فاذا حجر على صهريج ماء فشرّبوا منه ماء أبر من الثلج ثم خرجوا ومشوا ليلة فاذا بطائفة من العربان فخلوهم الى مدينة الكرك فدفعوا الدنانير لبعض الصيارفة فاذا عليها أنها ضربت في أيام موسى عليه السلام ودفع لهم في كل دينار مائة درهم وقبل لهم ان هذه المدينة الخضراء من مدن بني اسرائيل ولها طوفان من ليل يند تارة وينقص اخرى لا يراها الا تائه والله أعلم

(ذكر مدينة دمياط)

اعلم أن دمياط كورة من كور أرض مصر بينها وبين تنيس اثنا عشر فرسخا ويقال سميت بدمياط من ولد أشمن بن مصر ايم بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام ويقال ان ادريس عليه السلام كان اول ما أنزل عليه ذو القوة والجبروت أنا الله مدين المدائن القللك بأمرى وصنعي أجمع بين العذب والملح والنار والثلج وذلك بقدرتي ومكنون على الدال والميم والالف والطاء قيل هم بالسريانية دمياط فتكون دمياط كلمة سريانية اصلها دمي اي القدرة اشارة الى مجمع العذب والملح وقال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه دمياط بلد قديم في زمن قليمون ابن اتريب بن قبطيم بن مصر ايم على اسم غلام كانت اتمه ساحرة لقلمون ولاقدم المسلمون الى أرض مصر كان على دمياط رجل من اخوال المقوقس يقال له الهامول فلما اقتح عمرو بن العاص مصر امتنع الهامول بدمياط واستعذ للعرب فأنفذ اليه عمرو بن العاص المقداد بن الاسود في طائفة من المسلمين فخاربهم الهامول وقتل ابنه في الحرب فعاد الى دمياط وجع اليه اصحابه فاستشارهم في أمره وكان عنده حكيم قد حضر الشورى فقال أيها الملك ان جوهر العقل لا قيمة له وما استغنى به أحد الا هداه الى سبيل القوز والنجا من الهلاك وهو لا

العرب من بدء أمرهم لم ترد لهم راية وقد قبحوا البلاد وأذلوا العباد وما لاحد عليهم قدرة واسننا بأشد من جيوش الشام ولا أعز وأمنع وإن القوم قد أيدوا بالنصر والتفر والراى أن تعقد مع القوم صلحا تال به الامن وحسن الدماء وصيانة الحرم فما أتت بأكثر رجالا من القوقس فلم يعأاها موك بقوله وغصب منه قنتله وكان له ابن عارف عاقل وله دار ملاصقة للسور فخرج الى المسلمين في الليل ودلهم على عورات البلد فاستولى المسلمون عليها وعكروا منها وبرز الها موك للعرب فلم يشعر بالمسلمين الا وهم يكبرون على سور البلد وقد ملكوه فعند ما رأى شطابن الها موك المسلمين فوق السور لحق بالمسلمين ومعه عدة من اصحابه فقتل ذلك في عضد أبيه واستأمن للمقداد قسالم المسلمون دمياط واستخلف المقداد عليها وسير بجبر الفتح الى عمرو بن العاص وخرج شطا وقد أسلم الى البرلس والدميرة وأشعوم طناح فحشد اهل تلك النواحي وقدم بهم مدد للمسلمين وعونا لهم على عدوهم وسار بهم مع المسلمين لفتح تنيس فبرز لاهلها وقاتلهم قتلا شديدا حتى قتل رحمه الله في المعركة شهيدا بعد ما انكى فيهم وقتل منهم فحمل من المعركة ودفن في مكانه المعروف به خارج دمياط وكان قتله في ليلة الجمعة النصف من شعبان فلذلك صارت هذه الليلة من كل سنة موسما يجتمع الناس فيها من النواحي عند شطا ويحيونها وهم على ذلك الى اليوم وما زالت دمياط بيد المسلمين الى أن نزل عليا الروم في سنة تسعين من الهجرة فأسر واخالد بن كيسان وكان على البحر هناك وسيره الى ملك الروم فأنفذه الى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك من أجل الهدنة التي كانت بينه وبين الروم فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك نازل الروم دمياط في ثلثمائة وستين مرسكا فقتلوا وسبوا وذلك في سنة احدى وعشرين ومائة ولما كانت الفتنة بين الاخوين محمد الامين وعبد الله المأمون وكانت الفتنة بأرض مصر طمع الروم في البلاد ونازلوا دمياط في أعوام بضع ومائتين ثم لما كانت خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله وأمر مصر يومئذ عنبسة بن اسحاق نزل الروم دمياط يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين ومائتين فملكوها وما فيها وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين وسبوا النساء والاطفال وأهل الذمة فنفر اليهم عنبسة بن اسحاق يوم التحرف في جيشه ونفر كثير من الناس اليهم فلم يدركوهم ومضى الروم الى تنيس فأقاموا بأشعثومها فلم يتبعهم عنبسة فقال يحيى بن الفضل للمتوكل

أترضى بأن يوطأ حرمك عنوة * وأن يستباح المسلمون ويحربوا

جاراتي دمياط والروم وثب * بتنيس رأى العين منه وأقرب

مقيمون بالاشعثوم ييغون مثل ما * أصابوه من دمياط والحرب ترتب

قارام من دمياط شبرا ولا درى * من البحرز ما أتى وما يتجنب

فلا تنسنا انابدار مضبعة * بمصروا أن الدين قد كاد يذهب

فأمر المتوكل ببناء حصن دمياط فابتدئ في بناءه يوم الاثنين لثلاث خلون من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وأنشأ من حينئذ الاسطول بمصر فلما كان في سنة سبع طرق الروم دمياط في نحو مائتي مركب فأقاموا يعشون في السواحل شهر اواهم يقتلون ويأسرون وكانت للسليين معهم معارك ثم لما كانت الفتنة بعد موت كافور الاخشيدي طرق الروم دمياط لعشر خلون من رجب سنة سبع وخسين وثلثمائة في بضع وعشرين مركبا قتلوا وأسروا مائة وخسين من المسلمين * وفي سنة ثمان وأربعمائة ظهر بدمياط محكمة عظيمة طواها مائتان وستون ذراعا وعرضها مائة ذراع وكانت جبر الملح تدخل في جوفها موسوقة فتفرغ وتخرج ووقف خمسة رجال في تحفها معهم الجمار يف يجر فون الشحم ويناولونه الناس وأقام اهل تلك النواحي مدة طويلة يأكلون من لحما وفي أيام الخليفة الفاتر بنصر الله عيسى والوزير حينئذ الصالح طلائع بن رزيك نزل على دمياط نحو ستين مرسكا في جمادى الآخرة سنة خمسين وخمسمائة بعث بها الوزير بن رجاو صاحب صقلية فماتوا وقتلوا ونزلوا تنيس ورشيد والاسكندرية فأكثر وافيا الفساد ثم كانت خلافة العاضد لدين الله في وزارة شاور بن مجير السعدي الوزارة الثانية عندما حضر ملك الفريخ مري الى القاهرة وحصرها وقرع على اهلها المال واحترقت مدينة القسطنطين قتل على تنيس وأشعوم ومنية عمرو صاحب أسطول الفريخ في عشرين شهنة قتل وأمر وسي وفي وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب للعاضد وصل الفريخ الى دمياط في شهر ربيع الأول سنة خمس وستين وخمسمائة وهم فيما يزيد على أئب ومائتي

مركب فخرجت العساكر من القاهرة وقد بلغت النفقة عليهم زيادة على خمسمائة ألف وخمسين ألف دينار فأقامت الحرب مدة خمسة وخمسين يوماً وكانت صعبة شديدة وأتمت في هذه النوبة عدة من أعيان المصريين بمالاة الفرنج ومكاتبهم وقبض عليهم الملك الناصر وقتلهم وكان سبب هذه النوبة أن الغز لما قدموا إلى مصر من الشام هجبة أسد الدين شيركوه تحتل الفرنج لغزو ديار مصر خشية من تمكن الغز بها فاستمدوا إخوانهم أهل صقلية فأمدوهم بالمال والسلاح وبعثوا إليهم بعدة وافر فصاروا بالديارات والمجانيق ونزلوا على دمياط في صفر وقسم في العدة التي ذكرنا من المراكب وأحاطوا بها بحرا وبراً فبعث السلطان بآب بن أخيه نقي الدين عمرو وأتبعه بالأمير شهاب الدين الحارثي في العساكر إلى دمياط وأمداهما بالمال والميرة والسلاح واشتد الأمر على أهل دمياط وهم ثابتون على محاربة الفرنج فسير صلاح الدين إلى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يستجده ويعلمه بأنه لا يمكنه الخروج من القاهرة إلى لقاء الفرنج خوفاً من قيام المصريين عليه فجهز إليه العساكر شيئاً بعد شيء وخرج نور الدين من دمشق بنفسه إلى بلاد الفرنج التي بالساحل وأغار عليها واستباحها فبلغ ذلك الفرنج وهم على دمياط فخافوا على بلادهم من نور الدين أن يتمكن منها فراحوا عن دمياط في الخامس والعشرين من ربيع الأول بعد ما غرق لهم نحو الثمانمائة مركب وقتل رجالهم بقتلهم وقع فيهم وأحرقوا ما نقل عليهم حمله من المتجذبات وغيرها وكان صلاح الدين يقول ما رأيت أكرم من العاضد أرسل إلى مدة مقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار سوى ما أرسله إلى من الثياب وغيرها * وفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة قربت المقاتلة على البرجين وشدت مراكب إلى السلسلة ليقا تل عليها ويدافع عن الدخول من بين البرجين ورتفعت سور المدينة وسدت ثلثة وأتقنت السلسلة التي بين البرجين فبلغت النفقة على ذلك ألف ألف دينار واعتبر السور فكان قياسه أربعة آلاف وستمائة وثلاثين ذراعاً * وفي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة أمر السلطان بقطع أشجار بساتين دمياط وحفر خندقها وعمل جسر عند سلسلة البرج * وفي سنة خمس عشرة وستمائة كانت واقعة دمياط العظمى وكان سبب هذه الواقعة أن الفرنج في سنة أربع عشرة وستمائة تابعت أمدادهم من رومية الكبرى مقر البابا ومن غيرهما من بلاد الفرنج وساروا إلى مدينة عكا فاجتمع بها عدة من ملوك الفرنج ونعاقدوا على قصد القدس وأخذوا من أيدي المسلمين فصاروا بعكا في جمع عظيم وبلغ ذلك الملك آبا بكر بن أيوب فخرج من مصر في العساكر إلى الرملة فبرز الفرنج من عكا في جموع عظيمة فصار العادل إلى بيسان فقصدته الفرنج فخافهم لكثرتهم وقلة عسكره فأخذ على عقبه فبقى يريد دمشق وكان أهل بيسان وما حولها قد اطمأنوا لتزول السلطان هناك فأقاموا في أماكنهم وما هو إلا أن سار السلطان وإذا بالفرنج قد وضعوا السيف في الناس ونهبوا البلاد فحازوا من أموال المسلمين ما لا يحصى كثرة وأخذوا بيسان وبابنا وسائر القرى التي هناك وأقاموا ثلاثة أيام ثم عادوا إلى مرج عكا بالغنائم والسبي وهلك من المسلمين خلق كثير فاستراح الفرنج بالمرج أياماً ثم عادوا وأتوا ونهبوا صيدا والشقيف وعادوا إلى مرج عكا فأقاموا به وكان ذلك كله فيما بين النصف من شهر رمضان وعيد الفطر والملك العادل مقيم بمرج الصفر وقد سير ابنه المعظم عيسى بعسكر إلى نابلس لمنع الفرنج من طروقها والوصول إلى بيت المقدس فنزل الفرنج قلعة الطور سبعة عشر يوماً ثم عادوا إلى عكا وعزموا على قصد الديار المصرية فركبوا بجموعهم البحر وساروا إلى دمياط في صفر فزولوا عليها يوم الثلاثاء رابع ربيع الأول سنة خمس عشرة وستمائة الموافق لثمان حزران وهم نحو السبعين ألف فارس وأربعمائة ألف راجل فحيموا تجاه دمياط في البر الغربي وحفروا على عسكرهم خندقاً وأقاموا عليه سورا وشرعوا في قتال برج دمياط فانه كان برجاً منيعاً فيه سلاسل من حديد غلاظ تمتد على النيل لتقع المراكب الواصلة في البحر الملح من الدخول إلى ديار مصر في النيل وذلك أن النيل إذا انتهى إلى فسطاط مصر مرت عليه في ناحية الشمال إلى شطونف فاذا صار إلى شطونف انقسم قسمين أحدهما يمر في الشمال إلى رشيد فيصب في البحر الملح والشطر الآخر يمر من شطونف إلى جوجر ثم يتفرق من عند جوجر فرقتين فرقة تمر إلى أشموم فتصب في بحيرة تنيس وفرقة تمر من جوجر إلى دمياط فتصب في البحر الملح هناك وتصير هذه الفرقة من النيل فاصلة بين مدينة دمياط والبر الغربي وهذا البر الغربي من دمياط يعرف بجيزة دمياط يحيط بها ماء النيل والبحر الملح وفي مدة إقامة الفرنج بهذا البر الغربي عمالوا الآلات والمراشي وأقاموا أبراجاً يزحفون بها

في المراكب الى برج السلسلة لملكوه فانهم اذا ملكوه تمكنوا من العبور في النيل الى القاهرة ومصر
وكان هذا البرج مشحونا بالمقاتلة فتحبيل الفرنج عليه وعملوا برجاً من الصواري على بسطة كبيرة
وأقلعوا بها حتى أسندوها اليه وقاتلوا من به حتى أخذوه فبلغ نزول الفرنج على دمياط الملك الكامل وكان يختلف
أباه الملك العادل على ديار مصر فخرج بن معه من العساكر في ثالث يوم من وقوع الطائر بخبر نزول الفرنج
لجس خلون منه وامر والى الغربية بجمع العربان وسار في جمع كبير وخرج الاسطول فأقام تحت دمياط ونزل
السلطان بن معه من العساكر بمنزلة العادلية قرب دمياط وامتدت عساكره الى دمياط لتمنع الفرنج من السور
والقتال مستتر والبرج تمتنع مدة أربعة أشهر والعادل يسير العساكر من البلاد الشامية شيئاً بعد شيء حتى
تكاملت عند الملك الكامل واهتم الملك لنزول الفرنج على دمياط واشتد خوفه فرحل من مرج الصفر الى عافين
فنزله به المرض ومات في سابع جادى الاخرة فكمتم الملك المعظم عيسى موته وحمله في محفة وجعل عنده خادماً
وطبيباً ركباً الى جانب المحفة والشراب ابريصل الشراب ويحمله الى الخدام فيشر به ويوهم الناس أن السلطان
شربه الى أن دخلوا به الى قلعة دمشق وصارت اليها الخزان والبيوتات فأعلن بموته ونسلم ابنه الملك المعظم جميع
ما كان معه ودفنه بالقلعة ثم نقله الى مدرسة العادلية بدمشق وبلغ الملك الكامل موت أبيه وهو بمنزلة العادلية
قرب دمياط فاستقل بمملكة ديار مصر واشتد الفرنج وألحوا في القتال حتى استولوا على برج السلسلة وقطعوا
السلاسل المتصلة به لتجوز مراكبهم في بحر النيل وتمكنوا من البلاد فنصب الملك الكامل بدل السلاسل
جسراً عظيماً لمنع الفرنج من عبور النيل فقاتلت الفرنج عليه قتالاً شديداً الى أن قطعوه وكان قد أنفق على
البرج والجسر ما ينفق على سبعين ألف دينار وكان الكامل يركب في كل يوم عدة مرار من العادلية
الى دمياط لتدبير الامور واعمال الحيلة في مكايده الفرنج فأمر الملك الكامل أن يفرق عدة من المراكب
في النيل حتى تمنع الفرنج من سلوك النيل فعمد الفرنج الى خليج هناك يعرف بالازرق كان النيل يجري فيه
قد عما خفروه وعمقوا حفرة وأجروا فيه الماء الى البحر الملح وأصعدوا مراكبهم فيه الى بورة على أرض جيزة دمياط
مقابل المنزلة التي بها السلطان ليقابلوه من هناك فلما صاروا في بورة جاؤوه وقاتلوه في الماء وزحفوا اليه
عدة مرار فلم يظفروا منه بطائل ولم يتغير على أهل دمياط شيء لان الميرة والامداد متصلة اليهم والنيل يحجز بينهم
وبين الفرنج وأبواب المدينة مفتحة وليس عليهما من الحصر ضيق ولا ضرر والعربان تتخطف الفرنج في كل ليلة
بحيث امتنعوا من الرقاد خوفاً من غاراتهم فلما قوى طمع العرب في الفرنج حتى صاروا يحطفونهم نهاراً وأباً خذون
الخير بمن فيها أكن الفرنج لهم عدة كناء وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأدرك الناس الشتاء وهاج البحر على تخيم
المسلمين وغرقهم فغظم البلاء وتزايد الغم وألح الفرنج في القتال وكادوا أن يملكوا فبعث الله ريحاً قطعت مرأى
مرمة الفرنج وكانت من عجائب الدنيا فزرت الى يز المسلمين فأخذوها فاذا هي مصفحة بالحديد لاتعمل فيها النار
ومساحتها خمسمائة ذراع فكسروها فاذا فيها مسامير زنة الواحد منها خمسة وعشرون رطلاً وبعث الكامل الى
الاتفاق سبعين رسولا يستجد أهل الاسلام لنصرة المسلمين ويخوفهم من غلبة الفرنج على مصر فساروا
في شوال وأتته الجند من حمه وحلب وبيننا الناس في ذلك اذ طمع الامير عماد الدين احمد بن الامير سيف
الدين أبي الحسين على بن احمد الهكاري المعروف بابن المشطوب في الملك الكامل عند ما بلغه موت الملك
العادل وكان له لقيف يتقادون اليه ويطيعونه وكان أميراً كبيراً مقدماً عظيماً في الاكراد الهكارية وافر الحرمة
عند الملوك معدوداً بينهم مثل واحد منهم وكان مع ذلك على الهمة غزير الجود واسع الكرم شجاعاً أبي النفس
تهابه الملوك وله الوقائع المشهورة وهو من امراء دولة صلاح الدين يوسف فاتفق مع جماعة من الجند والاكراذ
على خلع الملك الكامل واقامة أخيه الملك الفاتر ابراهيم ليصير له الحكم ووافقه الامير عز الدين الجيدى والامير
أسد الدين الهكاري والامير مجاهد الدين وجماعة من الامراء فلما بلغ ذلك الملك الكامل دخل عليهم وهم
مجتعون والمحف بين أيديهم ليحلفوا للفاتر فلما رأوه انفضوا فخشي على نفسه فخرج فاتفق وصول صاحب
صنى الدين بن سكر من آمد الى الملك الكامل فانه كان استدعاه بعد موت أبيه قلقاء وأكرمهم وذكر له
ما هو فيه فضمن له تحصيل المال فلما كان في الليل ركب الملك الكامل وتوجه من العادلية في جريدة الى أشموم
طناح قزلهما وأصبح العسكر بغير سلطان فركب كل منهم هواه ولم يعطف الاخ على أخيه وتركوا أنثالهم

وخيائهم واموالهم وأسلمتهم ولحقوا بالسلطان فبادر الفرنج في الصباح الى مدينة دمياط ونزلوا البرة الشريفة يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة بغير منازع ولا مدافع وأخذوا سائر ما كان في عسكر المسلمين وكان شيا لا يحيط به الوصف ودخل السلطان وهم عظيم وكاد أن يفارق البلاد فانه تخيل من جميع من معه واشتد طمع الفرنج في أرض مصر كلها وظنوا أنهم قد ملكوها إلا أن الله سبحانه وتعالى أغاث المسلمين ونبت السلطان وواقاه أخوه الملك المعظم بأشعوم طنح فاشتد به أزره وقوى جاشه وأطلعه على ما كان من ابن المشطوب فوعده بازاحة ما يكره ثم إن المعظم ركب الى خيمة ابن المشطوب واستدعاه للركوب معه ومسارته فاستمعه حتى يلبس خفيه ومياب الركوب فلم يمهله وأجعله فركب معه وسار به حتى خرج به من العسكر الكامل ثم قال له يا عماد الدين هذه البلاد لك وأشتهي أن تهبها لنا وأعطاء نفقة وسله الى جماعة من أصحابه يثق بهم وقال لهم أخرجوه من الرمل ولا تقارقه حتى يخرج من الشام فلم يسع ابن المشطوب الامتنال ما قال المعظم لانه معه بمفرده ولا قدرة له على الممانعة فساروا به الى حماء ثم مضى منها الى المشرق ولما شيع الملك المعظم ابن المشطوب رجع الى الملك الكامل وأمر أخاه القائد ابراهيم أن يسير الى ملوك الشام في رسالة عن أخيه الملك الكامل لاستدعائهم الى قتال الفرنج فضى الى دمشق وخرج منها الى حماء فبات بها مسموما على ما قيل فبنت للملك الكامل أمر الملك وسكن روعه هذا والفرنج قد أحاطوا بدمياط بزا وبجرا وأحرقوا وضيقوا على اهلها ومنعوا القوت من الوصول اليهم وحفروا على عسكرهم المحيط بدمياط خندقا وبنا عليه سورا واهل دمياط يقاتلونهم أشد القتال ويمنعونهم وقد غلت الاسعار لقله الاقوات ثم إن المعظم فارق الملك الكامل وسار الى بلاد الشام وأقام الكامل لمحاربة الفرنج وانتدب شمائل أحد الجند اريه في الركاب للدخول الى دمياط فكان يسبح في الماء ويصل الى اهل دمياط فيعدهم بوصول الخبذات فخطى بذلك عند الكامل وتقرّب منه حتى عمه الى القاهرة واليه تنسب خزائن شمائل بالقاهرة فلم يزل الحال على ذلك الى أن دخلت سنة ست عشرة فجهز الملك المنصور محمد بن عمرو بن شاهنشاه بن ايوب صاحب حماء ابنه المظفر تقي الدين محمود الى مصر فبعدة لخاله الملك الكامل على الفرنج في جيش كثيف فوصل الى العسكر وتلقاه الملك الكامل وأنزله في ميمنة العسكر منزلة أئيبه وجده عند السلطان صلاح الدين يوسف فألح الفرنج في القتال وكان بدمياط نحو العشرين الف مقاتل فنهكهم الامراض وغلت عندهم الاسعار حتى بلغت بيضة الدجاجة عندهم عدة دنانير * قال الحافظ عبد العظيم المذري سمعت الشيخ أبا الحسن علي بن فضل يقول كان لبعض بني خبار برة فذبحوها وباعوها في الحصار فجاءت ثمانمائة دينار وقال في المعجم المترجم سمعت الامير أبا بكر بن حسن بن خسويام يقول كنت بدمياط في حصار العدو بها فبيع السكر بها بمائة وأربعين دينار الرطل والدجاجة ثلاثين دينار اقال واشترت ثلاث دجاجات بتسعين ديناراً والاروبة بأربعين درهما والقبر يحفر بأربعين مثقالاً وأخذت أختي جلا فشقت جوفه وملاته دجاجاً وفاكهة وبقل وغير ذلك وخطته ورمته في البحر وكتب الى تقول قد فعلت كذا فاذا رأيتهم جلا ميتاً فخذوه فوق لسبلافاً خذناه وكان فيه ما يساوي جملة فقرته على الناس ثم عمل بعد ذلك ثلاثة جمال على هيئته فقطن لها الفرنج فأخذوها وامتلات مساكنتهم وطرفات البلدمن الموتى وعدمت الاقوات وصار السكر كعزة البناقوت وفقدت اللعوم فلم يقدر عليها بوجه وألت بهم الحال الى أن لم يبق بها سوى قليل من القمح والشعير فقط قدسور الفرنج وأخذوا منه البلدي يوم الثلاثاء خمس بقين من شعبان وكانت مدة الحصار ستة عشر شهرا واثنين وعشرين يوما ولما أخذوا البلد وضعوا السيف في الناس فنجبوا وزوا الحد في القتل وأسرفوا في مقدار القتل وبلغ ذلك السلطان فرحل بعد أخذ دمياط بيومين ونزل قبالة طنح على رأس بحر اشعوم ورأس بحر دمياط وحيز في المنزلة التي صار يقال لها المنصورة وحصن الفرنج اسوار دمياط وجعلوا الجامع كنيسة وبناوا بها في القرى قتلوا ونهبوا وسير السلطان الكتب الى الاقاق ليستحث الناس على الحضور لادفع الفرنج عن ملك مصر وشرع العسكر في بناء الدور والقنادق والحامات والاسواق بمنزلة المنصورة وجهز الفرنج من اسرهم من المسلمين في البحر الى عكا وخرجوا من دمياط ونازلوا السلطان تجاه المنصورة وصار يبتهم ويهتجهم وخرج دمياط وكان الفرنج في مائتي الف راجل وعشرة آلاف فارس فقدم المسلمون شوانهم أمام المنصورة وعدتها مائة قطعة واجتمع الناس من القاهرة ومصر وسائر النواحي من اسوان الى القاهرة ووصل الامير حسام الدين يونس والفتية

تقي الدين ابو الطاهر محمد بن الحسن بن عبد الرحمن المحلى فأخرج الناس من القاهرة ومصر ونودي بالنفير العام
 وخرج الامير علاء الدين جلدك وجمال الدين ابن صيرم لجمع الناس فيما بين القاهرة الى آخر الحوف الشرقي فاجتمع
 عالم لا يقع عليه حصر وأنزل السلطان على ناحية شارب مساح ألف فارس في آلاف من العربان ليحولوا بين القرنج
 ودمياط وسارت الشواني ومعها حراقة كبيرة على رأس بحر المحلة وعليها الامير بدر الدين بن حسون فانقطعت
 الميرة عن القرنج من البر والبحر وسارت عساكر المسلمين من الشرق والشام الى الديار المصرية وكان قد خرج
 القرنج من داخل البحر لدمياط القرنج على دمياط فقدم منهم امم لا تحصى يريدون التوغل في أرض مصر فاما تكاملوا
 بدمياط خرجوا منها في حذهم وحديدهم ونزلوا اتجاه الملك الكامل كما تقدم فقدمت التجذات يقدمها الملك
 الاشرف موسى بن العادل وعلى ساقها الملك المعظم عيسى قتلهاهم الملك الكامل وأرسلهم عنده بالمنصورة في
 ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وتتابع مجي الملوك حتى بلغت عدة فرسان المسلمين نحو أربعين
 ألف فارس فحاربوا القرنج في البر والبحر وأخذوا منهم ست شواني وجلاسة وبطسة وأسروا من القرنج ألفين
 ومائتين ثم ظفر المسلمون بثلاث قطائع اخر فتضعف القرنج لذلك وضاق بهم المقام فبعثوا يطلبون الصلح فقدم
 عندهم رسلهم اهل الاسكندرية في ثمانية آلاف مقاتل وكان الذي طلب القرنج القدس وعسقلان وطبرية
 وجبله واللاذقية وسائر ما فتحه السلطان ملاح الدين يوسف من الساحل ليرحلوا عن ديار مصر فبذل المسلمون
 لهم سائر ما ذكر من البلاد خلا مدينة الكرك والشوبك فامتنع القرنج من الصلح وقالوا لا بد من أخذهم
 الكرك والشوبك ومبلغ ثلثمائة ألف دينار عوضا عما خربه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق من أسوار القدس
 وكان المعظم لمسامات أبوه العادل واستولى القرنج على دمياط ونزلوا الملك الكامل قبالة المنصورة خاف أن
 يصل منهم في البحر من يأخذ القدس ويحصنوا به فأمر بتخريب أسواره وكانت أسواره وأبراجه في غاية العظمة
 والمنفعة فأنى الهدم على جميعها ما خلا برج داود وانتقل أكثر الناس من القدس ولم يبق به الا القليل وقتل
 المعظم ما كان بالقدس من الأسلحة والآلات فامتنع المسلمون من اجابة القرنج الى ذلك وقاتلوههم وعبر جماعة
 من المسلمين في بحر المحلة الى الارض التي عليها القرنج وحفر وامكانا عظيما في النيل وكان في قوة الزيادة فركب الماء
 أكثر تلك الارض وصار حائل بين القرنج ومدينة دمياط وانحصروا فلم يبق لهم سوى طريق ضيقة فأمر
 السلطان للوقت بنصب الجسور عند أشموم طناح فعبرت العساكر عليها وملكت الطريق التي يسلكها القرنج
 الى دمياط اذا أرادوا الوصول اليها فأضطربوا وضافت عليهم الارض واتفق مع ذلك وصول مرمة عظيمة
 للقرنج في البحر حولها عدة حرافات تحميها وقد ملئت كلها بالنار وهموا بالزحف على المسلمين ووظفوها
 الله بهم فأخذها المسلمون وعندما علم القرنج ذلك ايقنوا بالهلاك وصار المسلمون يرمونهم بالنشاب ويحملون
 على اطرافهم فهدموا حينئذ خيامهم ومجانيقهم وألقوا فيها النار وهموا بالزحف على المسلمين ومقاتلتهم
 ليخلصوا الى دمياط فحال بينهم وبين ذلك كثرة الوحل والمياه الراسبة على الارض وخشوا من الإقامة لقلة
 أنفوسهم فذلوا وسألوا الامان على أن يتركوا دمياط للمسلمين فاستشار السلطان في ذلك فاختلف الناس عليه
 منهم من استع من تأمين القرنج ورأى أن يؤخذوا عنوة ومنهم من جنح الى اعطائهم الامان خوفا من وراءهم
 من القرنج في الجزائر وغيرها ثم اتفقوا على الامان وأن يعطى كل من الفريقين رهائن فتقرر ذلك في تاسع شهر
 رجب سنة ثمان عشرة وسير القرنج عشرين مكارهنا عند الملك الكامل وبعث الملك الكامل بابنه الملك الصالح
 نجم الدين أيوب وجماعة من الامراء الى القرنج وجلس السلطان مجلسا عظيما لقدوم ملوك القرنج وقد وقف
 اخوته وأهل بيته بين يديه وصار في أبهة وناموس مهيب وخرج قسوس القرنج ورهبانهم الى دمياط فسلموها
 للمسلمين في تاسع عشره وكان يوم تسليمها يوما عظيما وعندما تسلم المسلمون دمياط وصارت بأيديهم قدمت نجدة
 في البحر للقرنج فكان من جميل صنع الله تاخرها حتى ملكت دمياط بأيدي المسلمين فانها لو قدمت قبل ذلك
 لقوى بها القرنج فان المسلمين وجدوا مدينة دمياط قد حصنها القرنج وصارت بحيث لا ترام ولما تم الامر بعت
 القرنج بولد السلطان وأمراته اليه وسير اليهم السلطان من كان عنده من الملوك في الرهن وتقرررت الهدنة
 بين القرنج والمسلمين مدة ثمانى سنين وكان بمواقع الصلح عليه أن كلا من المسلمين والقرنج يطلق ما عنده من
 الاسرى وحلف السلطان واخوته وحلفت ملوك القرنج وتفرق الناس الى بلادهم ودخل الملك الكامل الى

دمياط باخوته وعساكره وكان يوم دخوله اليها من الايام المذكورة ورحل الفرنج الى بلادهم وعاد السلطان الى مقر ملكه وأطلقت الاسرى من ديار مصر وكان فيهم من له من ايام السلطان صلاح الدين يوسف وسارت ملوك الشام بعساكرها الى بلادها وبعث بشارة أخذ المسلمين مدينة دمياط من الفرنج سائر الاقاق فان التتر كانوا قد استولوا على عمالة المشرق فأشرف الفرنج على أخذ ديار مصر من ايدي المسلمين وكانت مدة نزول الفرنج على دمياط الى أن أقلعوا عنها سائر من الى بلادهم ثلاث سنين وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً منها مدة استيلائهم على مدينة دمياط سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرون يوماً فلما كان في سنة ست وأربعين وسفم سنة حدث بالسلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل محمد ورم في مأبضة تكون منه ناصور ففتح وعسر برؤه فرض من ذلك وانضاف اليه قرحة في الصدر فلزم الفراش الا أن علو همته اقتضى مسيره من ديار مصر الى الشام فسار في محفة ونزل بقلعة دمشق فورد عليه رسول الامير طور ملك الفرنج الالمانية بجزيرة صقلية في هيئة تاجر وأخبره سرّاً بأن بواش الذي يقال له رواد فرنس عازم على المسير الى أرض مصر وأخذها ففسار السلطان من دمشق وهو مريض في محفة ونزل بأشعوم طناس في المحرم سنة سبع وأربعين وجمع في مدينة دمياط من الاقوات والازواد والاسلحة وآلات القتال شياً كثيراً خوفاً أن يجري على دمياط ما جرى في أيام ابيه فأخذت بغير ذلك ولما نزل السلطان بأشعوم كتب الى الامير حسام الدين ابى على بن ابى على الهدياني نائبه بديار مصر أن يجهز الاسطول من صناعة مصر فسرغ في الاقامة بذلك وشحن الاسطول بالرجال والسلاح وسائر ما يحتاج اليه وسيره شياً بعد شئ وجهز السلطان الامير نجر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ ومعه الامراء والعساكر قتل بحيرة دمياط من يرها الغربي وصار النيل بينه وبينها فلما كان في الساعة الثانية من شهر الجمعة لتسع مئة من صفر وردت مراكب الفرنج البحر بين وفيها جوعهم العظيمة وقد انضم اليهم فرنج الساحل وأرسوا بالزاد المسلمين وبعث ملكهم الى السلطان كتاباً نصه أما بعد فانه لم يحف عليك ابى أمين الامة العيسوية كما انه لا يخفى على انك أمين الامة المحمدية وغير خاف عليك أن عندنا أهل جزائر الاندلس وما يحكم ملونه اليها من الاموال والهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر ونقتل منهم الرجال ونرقت النساء ونستأسر البنات والصبيان ونحلق منهم الديار وأنشدت أديت لك ما فيه الكفاية وبذلك النصح الى النهاية فلو حلفت لي بكل الايمان وأدخلت على الاقسام والرهبان وحملت قد ادى الشمع طاعة الصليان لكنك واصلت اليك وقايتك في أعز البقاع اليك فاما أن تكون البلاد في يدي فهاهنية حصلت في يدي وأما أن تكون البلاد لك والغلبة على فيديك العليا بمنتهى الى وقد عزت فك وحذرتك من عساكر حضرت في طاعتي تملأ السهل والجبل وعددهم كعدد الحصى وهم مرسلون اليك بأسيايف القضاء فلما قرئ الكتاب على السلطان وقد اشتد به المرض بكى واسترجع فكسب القاضي بهاء الدين زهير بن محمد الجواب بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه أجمعين أما بعد فانه وصل كتابك وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدداً بظالم فحقن أرباب السيوف وما قتل منافرد الاجتذناه ولا بقى علينا باغ الادترناه ولورأت عينك أيها المغرور حذسوفنا وعظم حروبنا وقتنا منكم الحصون والسواحل وتخزين ديار الاواخر منكم والاولى لكان لك أن تعض على أناملك بالندم ولا بد أن تزل بك القدم في يوم اقله لنا وآخره عليك فهناك نسي الطنون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فاذا قرأت كتابي هذا فتكون فيه على أول سورة النحل أني أمر الله فلا تستنجلوه وتكون على آخر سورة ص ولتعلن نبأ بعد حين ونعود الى قول الله تعالى وهو أصدق القائلين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقول الحكماء ان الباغي له مصرع وبغيك يصرك والى البلاء يظلمك والسلام * وفي يوم السبت ورد الفرنج وضربوا خيامهم في اكثر البلاد التي في عساكر المسلمين وكانت خيمة الملك رواد فرنس خرا فقاوشهم المسلمون القتال واستشهد يومئذ الامير نجم الدين يوسف بن شيخ الاسلام والامير صارم الدين ازبك الوزيري فلما أمسى الليل رحل الامير نجر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ بعساكر المسلمين جنباً واصلوا وسار بهم في يردمياط وسار الى جهة أشعوم طناس فخاف من كان في مدينة دمياط وخرجوا منها على وجوههم في الليل ليلتفتون الى شئ وتركوا المدينة خالية من الناس ولحقوا بالعسكر في أشعوم وهم حفاة عرايا جاع حيارى بن معهم من النساء والاولاد ومروا هاريين الى القاهرة فأخذهم قطع الطريق ما عليهم من الثياب

وتركهم عرايا فشنت القالة على الامير نغر الدين من كل أحد وعد جميع منازل المسلمين من السلا
بسبب هزيمته فان دمياط كانت مشحونة بالمقاتلة والازواد العظيمة والاسلحة وغيرها خوفاً ان يصيبهم في هذه
المدة ما أصابها في أيام الكامل فانه ما أتى عليها ذلك الا من قلة الاقوات بها ومع ذلك امتنعت من الفرج
اكثر من سنة حتى فنى اهلها كما تقدم ولكن الله يفعل ما يريد ولما أصبح الفرنج يوم الاحد لتسبع بقين من
صفر قصدوا دمياط فاذا ابواب المدينة مفتحة ولا أحد يدفع عنها فظنوا ان ذلك مكيدة وتمهلوا حتى ظهر اهرام
خلوها فدخلوا اليها من غير مانع ولا مدافع واستولوا على ما بها من الاسلحة العظيمة وآلات الحرب والاقوات
الخارجة عن الحد في الكثرة والاموال والامتنعة صفوا بغير كلفة فأصيب الاسلام والمسلمون بلاء لولا لطف
الله لمحي اسم الاسلام ورسمه بالكلية وانزعج الناس في القاهرة ومصر انزعاجا عظيما للمنازل بالمسلمين مع شدة
مرض السلطان وعدم حركته وأما السلطان فانه اشتد حنقه على الامير نغر الدين وقال اما قدرت أنت
والعساكر ان تقفوا ساعة بين يدي الفرنج وأقام عليه القيامة لكن الوقت لم يكن يسع غير الصبر والاعضاء
وغضب على الكائنين الذين كانوا بدمياط ووجههم فقالوا ما نعد له اذا كانت عساكر السلطان بأجمعهم وأمر اؤه
هربوا وأخربوا الزردخانة كيف لا نهرب نحن فأمر بشتقهم لكونهم خرجوا من دمياط بغير إذن وكانت عدة من
ششق من الامراء الكائنية زيادة على خمسين أميراً في ساعة واحدة ومن جملتهم أمير جسيم له ابن جميل سأل ان
يشق قبل ابنه فأمر السلطان ان يشق ابنه قبله فشق الابن ثم الاب ويقال ان شق هؤلاء كان يقتوى الفقهاء
نخاف جماعة من الامراء وهموا بالقيام على السلطان فأشار عليهم الامير نغر الدين بن شيخ الشيوخ بأن
السلطان على خطة فان مات فقد كفيتم أمره والافه وبين أيديكم وأخذ السلطان في اصلاح سور المنصورة
وانتقل اليها الخمس بقين من صفر وجعل الستائر على السور وقدمت الشواني الى اتجاه المنصورة وفيها العدد
الكامله وشرع العسكر في تجديد الابنية هناك وقدم من العربان وأهل النواحي ومن المطوعة خلق لا يحصى
عددهم وأخذوا في الاغارة على الفرنج فلا الفرنج اسوار مدينة دمياط بالمقاتلة والآلات فلما كان اول ربيع
الاول قدم الى القاهرة من امري الفرنج الذين تخطفهم العربان ستة وثلاثون منهم فارسان وفي خامس ربيع
الاخر ورد منهم تسعة وثلاثون وفي سابعه وورداً ثمان وعشرون أسيراً وفي سادس عشره وورد خمسة وأربعون أسيراً
منهم ثلاثة خيالة وفي ثامن عشر جمادى الاولى وورد خمسة أسيراً هذا مرض السلطان يتزايد وقواه تنناقص
حتى أيس الأطباء منه وفي ثالث عشر رجب قدم الى القاهرة سبعة وأربعون أسيراً وأحد عشر فارساً وظاهر
المسلمون بمسطح الفرنج في الجرفيه مقاتلة بالقرب من نستراة فلما كانت ليلة الاحد لاربع عشرة مضت من شعبان
مات الملك الصالح بالمنصورة فلم يظهر موته وجل في تابوت الى قلعة الروضة وقام بأمر العسكر الامير نغر الدين بن
شيخ الشيوخ فان شجرة الدر زوجة السلطان لما ماتت حضرت الامير نغر الدين والطواشي جمال الدين محسنا
واليه أمر الممالك البحرية والحماشيه وأعلمته بما بموته فكتبها ذلك خوفاً من الفرنج لانهم كانوا قد أشرفوا على تلك
ديار مصر فقام الامير نغر الدين بالتدبير وسبوا الى الملك المعظم نوران شاه وهو بحسن كيفا الفارس اقطاعي
لا حضاره وأخذ الامير نغر الدين في تحليف العسكر للملك الصالح وابنه الملك المعظم بولاية العهد من بعده
وللامير نغر الدين بآناكية العسكر والقيام بأمر الملك حتى حلفهم كلهم بالمنصورة وبالقاهرة في دار الوزارة عند
الامير حسام الدين بن أبي علي في يوم الخميس لاثني عشرة بقيت من شعبان وكانت العلامات تخرج من الدهاليز
السلطانية بالمنصورة الى القاهرة بخط خادم يقال له سهيل لا يشك من رهاها انها خط السلطان ومشي ذلك على
الامير حسام الدين بالقاهرة ولم يتفقه أحد بموت السلطان الى أن كان يوم الاثنين لثمان بقين من شعبان ورد
الامر الى القاهرة بدعاء الخطباء في الجمعة الثانية للملك المعظم بعد الدعاء للسلطان وأن ينقش اسمه على السكة
فلما علم الفرنج بموت السلطان خرجوا من دمياط بفارسهم ورجالهم وشوانيهم تحاذيهم في البحر حتى نزلوا
فارسكور يوم الخميس لخمس بقين من شعبان فورد في يوم الجمعة من الغد كتاب الى القاهرة من العسكر أوله
انقروا خفاً وثقالاً واجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وفيه مواظ بلغة
بالحث على الجهاد فقرئ على منبر جامع القاهرة وقد جمع الناس لسماعه فارتجت القاهرة وصر وطواهرهما
بالبكاء والعيول وآيقن الناس باستيلاء الفرنج على البلاد دخلوا الوقت من ملك يقوم بالامر لكنهم لم يهنوا

وخرجوا من القاهرة ومصر وسائر الاعمال فاجتمع عالم عظيم فلما كان يوم الثلاثاء اول شهر رمضان اقتتل المسلمون والفرنج فاستشهد العلاء أمير مجلس وجاعة ونزل الفرنج شارمساح وفي يوم الاثنين سابعه نزلوا البرمون فاضطرب الناس وزلزلوا زلا لا شديدا قربهم من العسكر وفي يوم الاحد ثلث عشره وصلوا اتجاء المنصورة وصار بينهم وبين المسلمين مجرأ شوم وخندقوا عليهم وأداروا على خندقهم سورا ستروه بكثير من السناير ونصبوا المجانيق ليرموا بها على المسلمين وصارت شوانيههم بازائهم في بحر النيل وشوانى المسلمين بازا المنصورة والتحم القتال بزاو مجرا وفي سادس عشره نفر الى المسلمين ستة خيالة أخبروا بمضايقة الفرنج وفي يوم عيد الفطر أسروا من الفرنج كند من أقارب الملك وأبلى عوام المسلمين في قتال الفرنج بلاء كبيرا وأنكروهم نكابة عظيمة وصاروا يقتلون منهم في كل وقت ويأسرون ويلقون أنفسهم في الماء ويمزقون فيه الى الجناح الذي فيه الفرنج ويحبسون في اختطاف الفرنج بكل حيلة ولا يهابون الموت حتى ان انسانا قور بطيخة وجهها على رأسه وغطس في الماء حتى حاذى الفرنج فظنه بعضهم بطيخة ونزل حتى يأخذها فخطفه وأتى به الى المسلمين وفي يوم الاربعاء سابع شوال أخذ المسلمون شونة للفرنج فيها كند وما تارجل وفي يوم الخميس النصف منه ركب الفرنج الى بئر المسلمين واقتتلوا فقتل منهم أربعون فارسا وسير في عدة الى القاهرة بسبعة وستين أسيرا منهم ثلاثة من اكابر الدواديرية وفي يوم الخميس ثاني عشره احرق الفرنج مرة عظيمة في البحر واستظهر المسلمون عليهم وكان مجرأ شوم فيه مخايض فدل بعض من لادين له بمن يظهر الاسلام الفرنج عليها فركبوا سحر يوم الثلاثاء خامس ذى القعدة أو رابعه ولم يشعر المسلمون بهم الا وقد هجموا على العسكر وكان الامير فخر الدين قد عبر الى الحمام فاتاه الصر بنج بأن الفرنج قد هجموا على العسكر فركب دهشا غير معتد ولا متحفظ وساق ليأمر الامراء والاجناد بالركوب في طائفة من مماليكه فلقية عدة من الفرنج الدواديرية وحلوا عليه فقرأ أصحابه وأتته طائفة في جنبه وأخذته السيوف من كل جانب حتى لحق بالله عز وجل وفي الحال غدت بمالكه في طائفة الى داره وكسروا صناديقه وخزائنه ونهبوا امواله وخبولته وساق الفرنج عندهم قتل الامير فخر الدين الى المنصورة فقرأ المسلمون خوفانهم وتفرقوا يمينه ويسرة وكادت الكسرة أن تكون وتمحو الفرنج كلمة الاسلام من أرض مصر ووصل الملك رواد فرنس الى باب قصر السلطان ولم يبق الا أن يملكه فأذن الله تعالى أن طائفة المماليك من البحرية والجدارية الذين استجدهم الملك الصالح ومن جملتهم بيبرس البندقدارى حلوا على الفرنج حملة صدقوا فيها اللقاء حتى أراحوهم عن مواقفهم وأبلوا في مكافئتهم بالسيوف والدبابيس فانزموا وبلغت عدة من قتل من فرسان الفرنج الخيالة في هذه النبوة ألفا وخمسمائة فارس وأما الرجالة فانها كانت وصلت الى الجسر لتعدى فلوراخي الامر حتى صاروا مع المسلمين لاعضل الداء على أن هذه الواقعة كانت بين الازقة والدروب ولولا ضيق الجبال لما أفلت من الفرنج أحد فنجما من بقي منهم وضربوا عليهم سورا وحفروا خندقا وصارت طائفة منهم في البر الشرقي ومعظمهم في الجزيرة المنصلة بدمياط وكانت البطاقة عند الكيسة سرتحت على جناح الطائر الى القاهرة فانزعج الناس انزعاجا عظيما ووردت السوق وبعض العسكر ولم تغلق ابواب القاهرة ليلة الاربعاء وفي يوم الاربعاء سقط الطائر بالبشارة بهزيمة الفرنج وعدة من قتل منهم فزيت القاهرة وضربت البشارة بقلعة الجبل وسارا المعظم توران شاه الى دمشق فدخلها يوم السبت آخر شهر رمضان واستولى على منها ولاربع مضي من شوال سقط الطائر بوصوله الى دمشق فضربت البشارة في العسكر بالمنصورة وفي قلعة الجبل وسار من دمشق لثلاث بقين منه فتواترت الاخبار بقدمه وخرج الامير حسام الدين بن أبي علي الى لقائه فوافاه بالصالحية لاربع عشرة بقيت من ذى القعدة ومن يومئذ أعلن بموت الملك الصالح بعدما كان قبل ذلك لا ينطق أحد بموته البتة بل الامور على حالها والذهاب السلطاني بحاله والسماط على العادة وشجرة الدر أم خليل زوجة السلطان تدبر الامور وتقول السلطان مريض ما اليه وصول ثم سار من الصالحية فلقاه الامراء والمماليك واستقر بقصر السلطنة من المنصورة يوم الثلاثاء تاسع عشر ذى القعدة وفي اثناء هذه المدة عمل المسلمون مراكب وحلوا على الجبال الى بحر الحلة وألقوا فيه وشحنوها بالمقاتلة فعندما حاذت مراكب الفرنج بحر الحلة وتلك المراكب فيه كمنة خرجت عليهم ووقع الحرب بينهما وقدم الاسطول الاسلامي من جهة المنصورة وأحاط بالفرنج فظفر باثنين وخمسين مراكب للفرنج وقتل

وأسر منهم نحو ألف رجل فانقطعت الميرة عن الفرنج واشتد عندهم الغلاء وصاروا محصورين فلما كان أول يوم من ذي الحجة أخذ الفرنج من المراكب التي في بحر الحلة سبع حرايرق وفزمن كان فيها من المسلمين وفي يوم عرفة برزت الشواني الاسلامية الى مراكب قدمت للفرنج فيما ميرة فأخذت منها اثنين وثلاثين مراكبهم انسع شواني فوهنت قوة الفرنج وتزايد الغلاء عندهم وشرعوا في طلب الهدنة من المسلمين على أن يسلموا دمياط ويأخذوا بدلا منها القدس وبعض بلاد الساحل فلم يجابوا الى ذلك فلما كان اليوم السابع والعشرون من ذي الحجة أحرق الفرنج اخشابهم كلها وأتلفوا امراكبهم يريدون الحصن بدمياط ورحلوا في ليلة الاربعة والثلاث مضين من المحرم سنة ثمان وأربعين وسمتاه الى دمياط وأخذت مراكبهم في الانحدار قبالتهم فركب المسلمون أفضيتهم بعد ما عدوا الى بزمهم وطلع الفجر من يوم الاربعة وقد أحاط المسلمون بالفرنج وقتلوا وأسروا منهم كثيرا حتى قيل ان عددا من قتل من القرسان على فارسكور يزيد على عشرة آلاف وأسروا من الخيالة والرجالة والصناع والسوقة ما يناهز مائة ألف ونهب من المال والذخائر والخيول والبغال ما لا يحصى وانحاز الملك روادفرنس واکابر الفرنج الى تل ووقفوا مستسلمين وسألوا الامان فأمنهم الطواشي جمال الدين محسن الصالحى ونزلوا على أمانه وأحيط بهم وسبقوا الى المنصورة فقبض روادفرنس واعتقل في الدار التي كان ينزل فيها القاضي نحر الدين ابراهيم بن لقمان كاتب الانشاء ووكل به الطواشي صبيح المعظمى واعتقل معه أخوه ورتب له راتب يحمل اليه في كل يوم ورسم الملك المعظم اسيف الدين يوسف بن الطورى أحد من وصل صحبته من الشرق أن يتولى قتل الاسرى فكان يخرج منهم كل ليلة ثلثائة رجل ويقتلهم ويلقيهم في البحر حتى فنوا * ولما قبض على الملك روادفرنس رحل الملك المعظم من المنصورة ونزل بالدهليز السلطاني على فارسكور وعمل له برجا من خشب وتراخى في قصد دمياط وكتب بخطه الى الامير جمال الدين بن يغمور نائبه بدمشق وولده نوران شاه الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وما النصر الا من عند الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وأما بركة ربك فحدث وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تبشر المجلس الساي الجمالى بل تبشر المسلمين كافة بما من الله به على المسلمين من الظفر بعد والدين فانه كان قد استكمل أمره واستحكم شره وبس العباد من البلاد والاهل والاولاد فنفودوا لئلا يسوا من روح الله ولما كان يوم الاثنين مستهل السنة المباركة وهي سنة ثمان وأربعين وسمتاه تم الله على الاسلام بركتها فتحنا الخزان وبذلنا الاموال وفرقنا السلاح وجعنا العربان والمطوعة وخافا لا يعلمهم الا الله جاؤا من كل فج عميق ومكان صحيح فلما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصلح على ما وقع الاتفاق بينهم وبين الملك الكامل فأبينا ولما كانت ليلة الاربعة تركوا اخيامهم وأمواهم وأنقالهم وقصدوا دمياط هاربين فسرنا في آثارهم طالين وما زال السيف يعمل في أديارهم عاتمة الليل وقد حل بهم الخزي والويل فلما أصبحنا يوم الاربعة قتلنا منهم ثلاثين ألفا غير من ألقى نفسه في البحر وأما الاسرى فحدث عن البحر ولا حرج والتجأ الفرنسيين الى المينة وطلب الامان فأقتناه وأخذناه وأكرمناه وسلمناه دمياط بعون الله تعالى وقوته وجلاله وعظمته وبعث مع الكتاب غفارة الملك فرنسيس فلبسها الامير جمال الدين بن يغمور وهي اشكر لاطا اجر يفرو سنجاب فقال الشيخ نجم الدين بن اسراييل

ان غفارة الفرنسيين جاءت * فهي حق السيد الامراء

كياض القرطاس لونا ولكن * صبقتها سيوفنا بالدماء

وقال آخر

أسيد أملاك الزمان باسرههم * تجرت من نصر الآله وعوده

فلا زال مولانا يبيع حتى العدى * ويلبس أبواب الملوك عبيده

وأخذ الملك المعظم يهدد زوجة أبيه شجرة الدر ويطلبها بجمال أبيه لخافته وكانت ممالك الملك الصالح فتحرضهم عليه وكان المعظم لما وصل اليه الفارس أقطاي الى حصن كيفا وعده أن يعطيه امرأة فلم يف بها وأعرض مع ذلك عن ممالك أبيه واطرح امراءه وصرف الامير حسام الدين بن أبي علي عن نيابة السلطنة وأحضره الى العسكر ولم يعأبه وأبعد غلمان أبيه واختص بمن وصل معه من المشرق وجعلهم في الوظائف السلطانية فجعل الطواشي مسرورا خادما استادارا وعمل صبيحا وكان عبدا حبشيا فخلا خازن داره وأمر أن

تكون له عصا من ذهب وأعطاه ما لا يجزيلا واقطاعات جليلة وكان اذا سكر جمع الشمع وضرب رؤسها بالسيف حتى تنقطع ويقول هكذا افضل بالجرية فانه كان فيه هرج وخفة واحتجب على العكوف بما لذه فقهرت منه النفوس وبقي كذلك الى يوم الاثنين تاسع عشر المحرم وقد جلس على السباط فتقدم اليه أحد المماليك البحرية وضربه بسيف قطع اصابع يديه فقر الى البرج فاقحموا عليه وسيوفهم مصلة فصعد على البرج الخشب فرموه بالتشاب وأطلقوا النار في البرج فألقى نفسه ومز الى البحر وهو يقول ما أريد ملككم دعوني أرجع الى الحصن يا مسلمين ما فيكم من بطلاني ويجبرني وساير العساكر بالسيوف واقفة فلم يجبه أحد والتشاب يأخذه من كل ناحية وأدركوه فقطع بالسيوف ومات حريقا غريبا قبل ان يفي يوم الاثنين المذكور وترك على الشط ثلاثة أيام ثم دفن ولما قتل الملك المعظم اتفق أهل الدولة على اقامة شجرة الدر والدة خليل في مملكة مصر وأن يكون مقدم العسكر الامير عز الدين أيك التركاني الصالح وحلف الكل على ذلك وسيروا اليها عز الدين للرؤى فقدم عليها في قلعة الجبل وأعلمها بما اتفق فرضيت به وكتبت على التواقيع علامتها وهي والدة خليل وخطب لها على المنابر بمصر والقاهرة وجرى الحديث مع الملك رواد فرنس في تسليم دمياط وتولى مفاوضته في ذلك الامير حسام الدين بن أبي علي الهدياني فأجاب الى تسليمها وأن يخلى عنه بعد محاورات وسير الى الفرنج بدمياط يأمرهم بتسليمها الى المسلمين فسلوها بعد جهد جهيد من كثرة المراجعات في يوم الجمعة ثالث صفر ووقع العلم السلطاني على سورها وأعلن فيها بكلمة الاسلام وشهادة الحق بعد ما قامت بيد الفرنج احد عشر شهرا وسبعة أيام وأفرج عن الملك رواد فرنس وعن أخيه وزوجته ومن بقي من اصحابه الى البر الغربي وركبوا البحر من الغد وهو يوم السبت رابع صفر وأقلوا الى عكا * وفي هذه النوبة يقول الوزير جمال الدين يحيى بن مطروح

قل للفرنسيس اذا جثته * مقال نصح عن قول نصيح
أجر الله على ماجرى * من قبل عباد يسوع المسيح
أتيت مصر تنغي ملكها * تحسب أن الزمر يا طبل ربيع
فساقل الحين الى ادهم * ضاق به عن ناظريك الفسج
وكل اصحابك اودعهم * بحسن تدبيرك بطن الضريح
خسبون ألقا ليرى منهم * الا قبيل أو اسير جريح
وفضلك الله لامثالها * لعل عيسى منكم يستريح
ان كان بابا كم هذا راضيا * قرب غش قد أتى من نصيح
قل لهم ان أضمر وعودة * لاخذ نار او لقد صيح
دار ابن لقمان على حالها * والقيد باق والطواشي صيح

وقدر الله أن الفرنسيس هذا بعد خلاصه من هذه الواقعة جمع عدة جوع وقصد تونس فقال شاب من اهلها يقال له احمد بن اسمعيل الزيات

يا فرنسيس هذه أخت مصر * فتأهب لما اليه نصير
لأن فيهما دار ابن لقمان قبر * وطواشيك منكرو ونكير

فكان هذا فالاحسن فانه مات وهو على محاصرة تونس ولما تسلم الامراء دمياط وردت البشري الى القاهرة فضربت البشار وزينت القاهرة ومصر فقدمت العساكر من دمياط يوم الخميس تاسع صفر فلما كان في سلطنة الاشرف موسى بن الملك المسعود أقيس بن الملك الكامل والملك المعز عز الدين التركاني وكثر الاختلاف بمصر واستولى الملك الناصر يوسف بن العزيز على دمشق اتفق أرباب الدولة بمصر وهم المماليك البحرية على تخريب مدينة دمياط خوفا من مسير الفرنج اليها مرة اخرى فسيروا اليها الحجارين والفعلة فوقع الهدم في أسوارها يوم الاثنين الثامن عشر من شعبان سنة ثمان وأربعين وسثمائة حتى خربت كلها ومجيت آثارها ولم يبق منها سوى الجامع وصار في قلبها أخصاص على النبل سكنها الناس الضعفاء وسموها المتشعبة وهذا السور هو الذي بناه أمير المؤمنين المتوكل على الله كما تقدم ذكره فلما استتبذ الملك الظاهر بيبرس البندقداري

الصالحى - بمملكة مصر بعد قتل الملك المنظر قطز آخر ج من مصر مدة من الجبارين فى سنة تسع وخمسين
وسمائه تزدحم فم بجر دمياط فضاوا وقطعوا كثيرا من القرايص وألقوها فى بحر النيل الذى ينصب من شمال
دمياط فى البحر الملح حتى ضاق وتعدر دخول المراكب منه الى دمياط وهو الى اليوم على ذلك لا تقدر مراكب
البحر الكبار أن تدخل منه وانما ينقل ما فيها من البضائع فى مراكب نيلية تعرف عند أهل دمياط بالجرور
واحدها جرم وتصير مراكب البحر الملح واقفة بأخر البحر قريبا من ملتقى البحرين ويزعم أهل دمياط الآن أن
سبب امتناع دخول مراكب البحر جبل فى فم البحر أو رمل يتربى هناك وهذا قول باطل خلهم عليه ما يجدونه
من تلاف المراكب اذا هبمت على هذا المكان وجهلهم بأحوال الوجود وما تمر من الوقائع والى يوشا هذا
يضاف على المراكب عند ورودها فم البحر وكثيرا ما تلف فيه * وقد سرت اليه حتى شاهدته ورأته من
أعجب ما يراه الانسان * وأما دمياط الآن فانها حدثت بعد تخرب مدينة دمياط وعمل هناك أخصاص
وما برحت تزداد الى أن صارت بلدة كبيرة ذات أسواق وحمامات وجوامع ومدارس ومساجد ودورها
تشرف على النيل الاعظم ومن ورائها البساتين وهى أحسن بلاد الله منظرا * وقد أخبرنى الامير الوزير المشير
الاستادار بليغا السالمى - رحمه الله أنه لم يرق فى البلاد التى سلكها من سفر قسدا الى مصر أحسن من دمياط هذه
فظننت أنه يغلو فى مدحها الى أن شاهدتها فاذا هى أحسن بلد وأزهره * وفيها اقول

سقى عهد دمياط وحياء من عهد * فقد زادنى ذكراه وجداد على وجد
ولا زالت الأنواء تسقى سمائها * ديارا حكت من حسن اجنة الخلد
فيا حسن ما تيك الديار وطيبها * فكم قد حوت حسنا يجلى عن العت
فقله أنها تحف بروضها * لكالمرف المصقول اوصفة الخلد
وبشنيها الريان يحكى متبا * تبدل من وصل الاجبة بالصدة
فقام على رجله فى الدمع غارقا * براعى نجوم الليل من وحشة الفقد
ونظلى على الاقدام تحسب انه * لطول انتظار من حبيب على وعد
ولاسيما تلك النواخير انما * تجدد حزن الواله المذنب الفرد
اطارحها شجوى وصارت كأنما * تطارح شكواها بمثل الذى أبدي
فقد خلتها الافلاك فيها نجومها * تدور بحض النفع منها وبالسعد
وفى البرك الغراء يا حسن نوفر * حلا وغدا بالزهو يسطو على الورد
سماء من البلور فيها كواكب * عجيبة صبغ اللون محكمة النضد
وفى شاطئ النيل المقدس نزهة * تعيد شباب الشيب فى عيشه الرغد
وتنشى رباحا تطرد الهم والامى * وتنشى ليلالى الوصل من طيبها عندي
وفى مهب البحرين جثم عجائب * تلوح وتبدو من قريب ومن بعد
كأن التقاء النيل بالبحر اغدا * مليكان سارافى الخفافل من جند
وقد نزل العرب واحتدم اللقا * ولا طعن الا بالثقفة الملسد
قطلا كما باتا وما برحا كما * همامن جليل الخطب فى اعظم الجهد
فكم قد مضى لى من افانين لذة * بشاطئ العذب الشهى لذى الورد
وكم قد نعمنا فى البساتين برهة * بعيش هنى فى أمان وفى سعد
وفى البرزخ المأفوس كم لى خلوة * وعند شطا عن أيمان العلم الفرد
هناك ترى عين البصيرة ما ترى * من الفضل والافضل والخير والمجد
فيا رب هني لى بفضلك عودة * ومن بهانى غير بلوى ولا جهد

وبدمياط حيث كانت المدينة التى هدمت جامع من اجل مساجد المسلمين تسميه العامة مسجد فتح وهو المسجد
الذى أسسه المسلمون عند فتح دمياط أول ما فتح الله أرض مصر على يد عمرو بن العاص وعلى بابة مكتوب بالقلم
الكوفى أنه عمر بعد سنة خمسمائة من الهجرة وفيه عدة من عمد الرخام منها ما يعز وجود مثله وانما عرف

بجامع فتح لتزول شخص يقال له فاتح بمقالت العاتية جامع فتح وانما هو فاتح بن عثمان الاسمر التكروري قدم من مرا كش الى دمياط على قدم التجريد وسقى بها الماء في الاسواق احتساباً من غير أن يتناول من احد شيئاً ونزل في ظاهر النفر وزم الصلاة مع الجماعة وترك الناس جميعاً ثم أقام بناحية قوية من بحيرة تينس وهي خراب نحو سبع سنين ورم مسجد ها ثم انتقل من تونه الى جامع دمياط وأقام في وكر أسفل المنارة من غير أن يخاطب أحد الا اذا اقيمت الصلاة خرج وضلى فاذا سلم الامام عاد الى وكره فان عارضه أحد بجديت كلمه وهو قائم بعد انصرافه من الصلاة وكانت حاله أبداً اتصالاً في انفصال وقرباً في ابتعاد وانما في نفاذ ورج فكان يفارق أصحابه عند الرحيل فلا يرونه الا وقت التزول ويكون سيره منفرداً عنهم لا يكلم أحد الى أن عاد الى دمياط فأخذ في ترميم الجامع وتنظيفه بنفسه حتى نقي ما كان فيه من الوطواط بسقوفه وساق الماء الى صهاريج به وبلط صحنه وسبك سطحه بالجبس وأقام فيه وكان قبل ذلك من حين خربت دمياط لا يفتح الا في يوم الجمعة فقط فرتب فيه اماماً راتباً يصلى الخمس وسكن في بيت الخطابة وواظب على اقامة الاوراد به وجعل فيه قراء يتلون القرآن بكرة وأصيلاً وقزقه رجلاً يقرأ ميعاداً يذكر الناس ويعلمهم وكان يقول لو علمت بدمياط مكاناً أفضل من الجامع لاقت به ولو علمت في الارض بلداً يكون فيه الفقير أدخل من دمياط لرحلت اليه وأتت به وكان اذا ورد عليه أحد من القراء ولا يجد ما يطعمه باع من لباسه ما يضيفه به وكان يبيت ويصبح وليس له معلوم ولا ما يقع عليه العين او تسمعه الاذن وكان يؤثر في السر الفقراء والارامل ولا يسأل أحد شيئاً ولا يقبل غالباً واذا قبل ما يفتح الله عليه آثر به وكان يبذل جهده في كتم حاله والله تعالى يظهر خيره وبركته من غير قصد منه لذلك وعرفت له عدة كرامات وكان سلوكه على طريق السلف من القسك بالكتاب والسنة والنفور عن الفتنه وترك الدعاوى واطراحها واستراحه والتخلف في اقواله وافعاله وكان لا يرافق أحد في الليل ولا يعلم أحد يوم صومه من يوم فطره ويجعل دائماً قول ان شاء الله تعالى مكان قول غيره والله ثم ان الشيخ عبد العزيز الدميري أشار عليه بالنكاح وقال له النكاح من السنة قترج في آخر عمره بامر أنين لم يدخل على واحدة منهم انهارا البتة ولا اكل عندهما ولا شرب قط وكان ليله ظرفاً للعبادة لكنه يأفي اليهما أحياناً وينقطع أحياناً للاستغراق زمنه كله في القيام بوظائف العبادات وايشار الخلق وكان خواص خدمه لا يعملون بصومه من فطره وانما يحمل اليه ما يأكل ويوضع عنده بالخلوة فلا يرى قط آكلاً وكان يحب الفقر ويؤثر حال المسكنة ويتطارح على الخمول والجفا ويتواضع مع الفقراء ويتعاطف على العظماء والاغنياء وكان يقرأ في المحصف وبطالع الكتب ولم يره أحد بخط يده شيئاً وكانت تلاوته للقرآن بخشوع وتدبر ولم يعمل له سجادة قط ولا أخذ على أحد عهد اولابس طاقية ولا قال اناسخ ولا أنافقير ومتى قال في كلامه انا نطقن لما وقع منه واسمه اذ بالله من قول انا ولا حضر قط سمعاً ولا أنكر على من يحضره وكان سلوكه صلاحاً من غير اصلاح ويبلغ في الترفع على ابناء الدنيا ويتراحم على الفقراء ويقدم لهم الاكل ولم يقدم لغنى الكلا البتة واذا اجتمع عنده الناس قدم الفقير على الغنى واذا مضى الفقير من عنده سار معه وشيعه عدة خطوات وهو حافى بغير نعل ووقف على قدميه ينظره حتى يتوارى عنه ومن كان من الفقراء يشار اليه بمشجة جلس بين يديه بأدب مع امامته وتقدمه في الطريق ويقول ما أقول لاحد افعلا ولا تفعل من أراد السلوك يكفيه أن ينظر الى أفعاله فان من لم يتسلك بنظره لا يتسلك بسمعه وقال له شخص من خواصه يا سيدي ادع الله لنا أن يفتح علينا ففتح فقراء فقال ان أردتم فتح الله فلا تقوا في البيت شيئاً ثم اطلوا فتح الله بعد ذلك فقد جاء لاتسأل الله ولا خاتم من حديد ومن كلامه الفقير بحال البكر اذا سأل زالت بكارته وسأله بعض خواصه أن يدعو له بسعة وشكاه الضيق فقال انا ما أدعوك بسعة بل اطلب لك الفضل والاكل وكان مع اشتغاله بالعبادة واستغراق اوقاته فيها لا يغفل عن صاحبه ولا يذنب حاجته حتى يقضيها ولا يترك الوفاء لأصحابه ويحسن معاشرتهم ويعرف احوال الناس على طبقاتهم ويعظم العلم ويكرم الايتام ويشفق على الضعفاء والارامل ويبذل شفاعته في قضاء حوائج الخاص والعام من غير أن يمل ولا يتبرم بكثرة ذلك ويكثر من الاشارة في السر ولا يمسك لنفسه شيئاً ويستقل مآمنه مع كثرة احسانه ويستكثر ما يرفع اليه وان كان يسيراً ويكافئ عليه باحسن منه ولم يصحب قط اميراً ولا وزيراً بل كان في سلوكه وطريقه يرفع في تواضع ويعزز مع مسكنة وقرب في ابتعاد واتصال في انفصال وزهد في الدنيا واهلها وكان اكبر من خبره

ومن دعائه لنفسه ولن يسأل له الدعاء اللهم بعدنا عن الدنيا وأهلها وبعدنا عما زال على ذلك إلى أن مات آخر ليلة أسفر صباحها عن الثامن من شهر ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وستمائة وترك ولدين ليس لهما قوت ليلة وعليه مبلغ ألفي درهم ديناً ودفن بجوار الجامع وقبره يزار إلى يومنا هذا

* (ذكر شطا) *

شطا مدينة عند تنيس ودمياط واليهما تنسب الشطابية ويقال إنها عرفت بشطابن الهاموك وكان أبوه خال المقوقس وكان على دمياط فلما فتح الله الحصن على يد عمرو بن العاص واستولى على أرض مصر جهز بعنا لفتح دمياط فنازلوها إلى أن ملكوا سور المدينة فخرج شطا في ألفين من أصحابه ولحق بالمسلمين وقد كان قبل ذلك يحب الخير ويميل إلى ما يسمعه من سيرة أهل الإسلام ولما ملك المسلمون دمياط امتنع عليهم طاهب تنيس فخرج شطا إلى البراس والدميرة واشتوم طناح يستجد فجمع الناس لقتال أهل تنيس وسار بهم مع من كان بدمياط من المسلمين ومن قدم مدداً من عند عمرو بن العاص إلى قتال أهل تنيس فاتت القرى بقتالهم وأبلى شطا منهم بلاء حسناً وقتل من أبطال تنيس اثني عشر رجلاً واستشهد في ليلة الجمعة النصف من شعبان سنة إحدى وعشرين من الهجرة فقبر حيث هو الآن خارج دمياط وبني على قبره وصار الناس يجتمعون هناك في ليلة النصف من شعبان كل عام ويغدون للعضود من القرى وهم على ذلك إلى يومنا هذا وكانت تعمل كسوة الكعبة بشطا قال الفاكهي ورأيت فيها كسوة من كساء أمير المؤمنين هرون الرشيد من قباطي مصر مكتوباً عليها بسم الله بركة من الله لعبد الله هرون أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر الفضل بن الربيع مولى أمير المؤمنين بصنعه في طراز شطا كسوة الكعبة سنة إحدى وتسعين ومائة * ومن المواضع المشهورة بدمياط * (البربخ) * وهو مسجد بجيرة دمياط تسميه العامة البربخ ولا أعرف مستندهم في ذلك وشاهدت فيه عجايباً وهو أن به منارة كبيرة مبنية من الآجر إذا هزها أحد اهتزت فلما صعدت أعلاها حدث يقف المؤمنون وحزكتها رأيت ظلالها قد تحركت بخريكي لها ويوجد حول هذا المسجد رمم أموات يشبه أن تكون ممن استشهد في وقائع الفريخ والله يعلم وأنتم لا تعلمون * (ديبق) * قرية من قرى دمياط ينسب إليها الثياب المثقلة والعمائم الشرب الملوثة والديبق العلم المذهب وكانت العمائم الشرب المذهبة تعمل بها ويكون طول كل عمامة منها مائة ذراع وفيها رقات منسوجة بالذهب قبيلغ العمامة من الذهب خمسمائة دينار سوى الحرير والغزل وحدثت هذه العمامات وغيرها في أيام العزيز بالله بن المعز سنة خمس وستين وثلثمائة إلى أن مات في شعبان سنة ست وثمانين وثلثمائة * (الخيرية) * قرية من الأعمال الغربية أسس حكرها الأمير شمس الدين سنقر السعدي نقيب الجيش في أيام الناصر محمد بن علاون وبالق في عمارتها قبلت في أيامه عشرة آلاف درهم فضة ثم خرج عنها فعمرت للسلطان واتسع أمرها حتى أنشئ فيها زيادة على ثلاثين بستاناً ووصل حكرها لكثرة سكانها إلى ألف درهم فضة لكل فدان وصارت بلدة كبيرة العمل يبلغ في السنة ما بين خراجي وهلال ثلثمائة ألف درهم فضة عنها خمسة عشر ألف دينار ذهباً ومات سنقر هذا في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة واليه تنسب المدرسة السعدية بخط حدره البقر خارج باب زويلة * (جزيرة بن نصر) * منسوبة إلى بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن وذلك أن بنى جناس بن ظالم بن جعيل بن عمرو بن درهمان بن نصير بن معاوية بن بكر بن هوازن كانت لهم شوكة شديدة بأرض مصر وكثروا حتى ملؤا أسفل الأرض وغلبوا عليها حتى قويت عليهم قبيلة من البربر تعرف بلوانة ولوانة تزعم أنها من قبس فأجلت بنى نصر وأسكنتهم الجدار فصاروا أهل قرى في مكان عرف بهم وسط النيل وهي جزيرة بنى نصر هذه

* (ذكر الطريق فيما بين مدينة مصر ودمشق) *

اعلم أن البريد أول من رتب دوابه الملك دارا بن بهمن بن كيدش تاسف بن كهر اسف أحد ملوك الفرس وأما في الإسلام فأول من أقام البريد أمير المؤمنين المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور أقامه فيما بين مكة والمدينة واليمن وجعله بغالا وبلا وذلك في سنة ست وستين ومائة وأصل هذه الكلمة بريد ذنب فان دارا أقام في سلك البريد دواب محذوفة الأذنان سميت بريد ذنب ثم عربت وحذف منها نصفها الأخير فقبل بريد وهذا الدرب

الذي يسلكه العساكر والتجار وغيرهم من القاهرة على الرمل الى مدينة غزة ليس هو الدرب الذي يسلك في القديم من مصر الى الشام ولم يحدث هذا الدرب الذي يسلك فيه من الرمل الآن الا بعد الخمسمائة من سني الهجرة عندما انقضت الدولة الفاطمية وكان الدرب اول قبل استيلاء الفرنج على سواحل البلاد الشامية غير هذا قال أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة في كتاب المسالك والممالك وصفة الارض والطريق من دمشق الى الكسوة اثنا عشر ميلا ثم الى جاسم أربعة وعشرون ميلا ثم الى فيق أربعة وعشرون ميلا ثم الى طبرية مدينة الاردن ستة اميال ومن طبرية الى البعون عشرون ميلا ثم الى القلنسوة عشرون ميلا ثم الى الرملة مدينة فلسطين أربعة وعشرون ميلا والطريق من الرملة الى أزدود اثنا عشر ميلا ثم الى غزة عشرون ميلا ثم الى العريش أربعة وعشرون ميلا في رمل ثم الى الوردية ثمانية عشر ميلا ثم الى أم العرب عشرون ميلا ثم الى القرما أربعة وعشرون ميلا ثم الى جوير ثلثون ميلا ثم الى القاضرة أربعة وعشرون ميلا ثم الى مسجد قضاة ثمانية عشر ميلا ثم الى بليس احد وعشرون ميلا ثم الى القسطا مدينة مصر أربعة وعشرون ميلا فهذا كما تزي انما كان الدرب المسلول من مصر الى دمشق على غير ما هو الآن فيسلك من بليس الى القرما في البلاد التي تعرف اليوم ببلاد السباخ من الحوف ويسلك من القرما وهي بالقرب من قطية الى أم العرب وهي بلاد خراب على البحر فيما بين قطية والوردية ويقصدها قوم من الناس ويحفرون في كيمانها فيجدون دراهم من فضة خالصة ثقيلة الوزن كبيرة المقدار ويسلك من أم العرب الى الوردية وكانت بلدة في غير موضعها الآن قد ذكرت في هذا الكتاب فلما خرج الفرنج من بحر القسطنطينية في سنة تسعين وأربعمائة لاخذ البلاد من أيدي المسلمين وأخذ بغدوين الشوبك وعمره في سنة تسع وخمسمائة وكان قد خرب من تقادم السنين وأغار على العريش وهو يومئذ عامر بطل السفر حينئذ من مصر الى الشام وصار يسلك على طريق البر مع العرب مخافة الفرنج الى أن استنقذ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بيت المقدس من أيدي الفرنج في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة واكثر من الايقاع بالفرنج واقتحم منهم عدة بلاد بالساحل وصار يسلك هذا الدرب على الرمل فسلكه المسافرون من حينئذ الى أن ولي ملك مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر ابن أيوب فأنشأ بأرض السباخ على طرف الرمل بلدة عرفت الى اليوم بالصالحية وذلك في سنة اربع وأربعين وسقانة وصار ينزل بها ويقيم فيها ونزل بها من بعده الملوك فلما ملك مصر الملك الظاهر بيبرس البندقداري رتب البريد في سائر الطرقات حتى صار الخبير يصل من قلعة الجبل الى دمشق في أربعة ايام ويعود في مثراها فصارت أخبار الممالك ترد اليه في كل جمعة مرتين ويتحكم في سائر ممالكه بالعدل والولاية وهو مقيم بالقلعة وأنفق في ذلك ما لا عظميا حتى تم ترتيبه وكان ذلك في سنة تسع وخمسين وسقانة وما زال أمر البريد مستقر اقبيا بين القاهرة ودمشق يوجد بكل مركز من مراكزه عدة من الخيول المعدة للركوب وتعرف بخيل البريد وعندها عدة سواس ولخيل رجال يعرفون بالسواقين واحد هم سواق يركب مع من رسمه يركوبه خيل البريد ليسوق له فرسه ويخدمه مدة مسيره ولا يركب أحد خيل البريد الا بمرسوم سلطاني فتارة يمنع الناس من ركوبه الا من اتسبه السلطان لمهماته وتارة يركبه من يريد السفر من الاعيان بمرسوم سلطاني وكانت طرق الشام عامرة يوجد بها عند كل برید ما يحتاج اليه المسافر من زاد وعلف وغيره وكثرة ما كان فيه من الامن ادركا المرأة تسافر من القاهرة الى الشام بفردها راحة أو ماشية لا تحمل زادا ولا ماء فلما أخذ تيورلنك دمشق وسبي اهلها وحرقها في سنة ثلاث وثمانمئة خربت مراكز البريد واشتغل اهل الدولة بما نزل بالبلاد من الخن وماد هواه من كثرة الفتن عن اقامة البريد فاختلف بانقطاعه طريق الشام خلافا لحشا والامر على ذلك الى وقتنا هذا وهو سنة ثمان عشرة وثمانمئة

* (ذكر مدينة حطين) *

هذه المدينة آثارها الى اليوم باقية فيما بين جبوة والعاقلة بأرض العاقلة فيما بين قطية والعريش تجاهها جبل ماء عذب تسميه العرب بابا العروق وهو شرقها وهذه المدينة تنسب الى حطين ويقال حطبي بن الملك أبي جاد المديني واهل قطية اليوم يسمون تلك الارض ببلاد حطين والجفر وملك حطين هذا أرض مصر بعد موت أبيه وكان صاحب حرب وبطش وكان ينزل بقلعة في جبال الاردن قريبا من طبرية واليه تنسب قرية حطين التي بها

* (ذكر مدينة الرقة) *

هذه المدينة من جملة مدائن مدين فيما بين بحر القلزم وجبل الطور كان بها عند ما خرج موسى عليه السلام بني اسرائيل من مصر قوم من نحم آل فرعون بعددون البقر وياهم عنى الله بقوله تعالى وجاوزنا بني اسرائيل البحر فأولوا على قوم يعكفون على أصنام لهم الآية قال قتادة أولئك القوم من نحم وكانوا نزولاً بالركة وقيل كانت أصنامهم تماثيل البقر وهذا أخرج لهم السامري عجلوا آثار هذه المدينة باقية الى اليوم فيماني من مدينة فاران واقلازم ومدين وأيلة تمر بها الاعراب

* (ذكر عين شمس) *

وكان يقال لها في القديم رعساس وكانت عين شمس هيكل يحج الناس اليه ويقصدونه من أقطار الارض في جملة ما كان يحج اليه من الهياكل التي كانت في قديم الدهر ويقال ان الصابئة أخذت هذه الهياكل عن عاد وثمود ويزعمون انه عن شيث بن آدم وعن هرمس الاول وهو ادريس وان ادريس هو أول من تكلم في الجواهر العلوية والحركات الجوية وبني الهياكل ومجد الله فيها ويقال ان الهياكل كانت عتتها في الزمن الغابر اثني عشر هيكل وهي هيكل العلة الاولى وهيكل العقل وهيكل السياسة وهيكل الصورة وهيكل النفس وكانت هذه الهياكل الخمسة مستديرات والهياكل السادس هيكل زحل وهو مستدس وبعده هيكل المشتري وهو مثلث ثم هيكل المريخ وهو مربع وهيكل الشمس وهو أيضا مربع وهيكل الزهرة وهو مثلث مستطيل وهيكل عطارد مثلث في جوف مربع مستطيل وهيكل القمر منمن وعلاو عبادتهم للهياكل بأن قالوا لما كان صانع العالم مقدساً عن صفات الحدوث وجب العجز عن ادراك جلاله وتعين أن يتقرب اليه عباده بالمقربين لديه وهم الروحانيون ليشعروا بهم ويكونوا وسائط لهم عنده وعنوا بالروحانيين الملائكة وزعموا أنهم المدبرون للتكواكب السبعة السيارة في أفلاكها وهي هياكلها وأنه لا بد لكل روحاني من هيكل ولا بد لكل هيكل من فلك وأن نسبة الروحاني الى الهيكل نسبة الروح الى الجسد وزعموا أنه لا بد من رؤية المتوسط بين العباد وبين بارئهم حتى يتوجه اليه العبد بنفسه ويستفيد منه فزعموا الى الهياكل التي هي السيارات فزعموا يوتها من الفلك وعرفوا مظاهرها ومغاريبها واتصالاتها وما لها من الايام والليالي والساعات والاشخاص والصور والاقاليم وغير ذلك مما هو معروف في موضعه من العلم الرياضي وسموا هذه السبعة السيارة أرباباً وآلهة وسموا الشمس آلهة الآلهة ورب الارباب وزعموا أنها المقيضة على السنة انوارها وانما تظهر فيها آثارها فكانوا يتقربون الى الهياكل تقرباً الى الروحانيين لتقربهم الى الباري زعمهم أن الهياكل أبدان الروحانيين وكل من تقرب الى شخص فقد تقرب الى روحه وكانوا يصلون لكل كوكب يوماً يزعمون أنه رب ذلك اليوم وكانت صلاتهم في ثلاثة أوقات الاولى عند طلوع الشمس والثانية عند استوائها في الفلك والثالثة عند غروبها فيصلون لزحل يوم السبت والمشتري يوم الاحد والمريخ يوم الاثنين والشمس يوم الثلاثاء وللزهرة يوم الاربعاء ولعطارد يوم الخميس وللقمر يوم الجمعة ويقال انه كان يبلغ هيكل بناء بنو جبر على اسم القمر لتعارض به الكعبة فكانت الفرس تنجبه وتكسوه الحرير وكان اسمه نوبهر فلما تمجست الفرس علمته بيت نار وقيل للموكل بسداته بركم يعنى والى مكة وانتهت البركة الى جد خالد جد جعفر بن يحيى بن خالد فأسلم على يد هشام بن عبد الملك وسماه عبد الله وخرّب هذا الهيكل قيس بن الهيثم في أول خلافة معاوية سنة إحدى وأربعين وكان بناء عظيم أحوله اربعة وثلاثمائة وستون مقصورة لسكن خدامه وكان يصنع قصر غمدان من بناء الضحالك وكان هيكل الزهرة وهدم في خلافة عثمان بن عفان وكان بالاندلس في الجبل الفارق بين جزيرة الاندلس والارض الكبيرة هيكل المشتري من بناء كلو بطرة بنت بطليموس وكان بقرعانة بيت يقال له كلوسان هيكل للشمس بناء بعض ملوك فارس الاول خربه المعتصم وقد اختلف فيمن بنى هيكل عين شمس وسأقص من أخباره ما لم أره مجموعاً في كتاب * قال ابن وصف شاه وقد كان الملك منقاساً اذا ركب علواً بين يديه الخنايسل العجيبة فيجتمع الناس ويعجبون من أعمالهم وأمر أن يبنى له هيكل العبادة يكون له خصوصاً

خصوصا ويجعل فيه قبة فيها صورة الشمس والكواكب وجعل حولها أصناما وبجانب فكان الملك يركب اليه
ويقيم فيه سبعة أيام وجعل فيه عمودين زبر على ما تارىخ الوقت الذى علمه فيه وهما باقيان الى اليوم وهو الموضع
الذى يقال له عين شمس ونقل الى عين شمس كنوزا وجواهر وطلسمات وعقاقير وبجانب ودفن فيها وابنيها
وأقام ملكا احدي وتسعين سنة ومات من الطاعون وقيل من سم وعمل له ناوس في صحراء الغرب وقيل
في غربى قوص ودفن معه مصاحف الحكمة والصنعة وتماثيل الذهب والجواهر ومن الذهب المضروب شئ
كثير ودفن معه تمثال روحاني الشمس من ذهب يلع وله جناحان من زبرجد وصنم على صورة امرأته وكان
يجبها فلما مات أمر أن تعمل صورتها في الهياكل كلها وعمل صورتها من ذهب بذوأتين سوداوين وعليها حلة
من جواهر منظومة وهي جالسة على كرسى وكان يجعلها بين يديه في كل موضع يجلس فيه يسلي بذلك
عنه فدفنت هذه الصورة معه تحت رجليه كانها مخاطبه * وقال الحكيم الفاضل أحمد بن خليفة في كتاب عيون
الانباء في طبقات الاطباء واشتاق فيناغورس الى الاجتماع بالكهنة الذين كانوا بمصر فورد على اهل مدينة
الشمس المعروفة في زمانا بعين شمس فقبلوه قبولاً كريهاً وامتنعوا زماناً فلم يجدوا عليه نقصا ولا تقصيرا فوجهوا به
الى كهنة منف كي يبالغوا في امتحانه فقبلوه على كراهة واستقصوا امتحانه فلم يجدوا عليه معيبا ولا أصابا له
عثرة فبعثوا به الى أهل ديو سوس ليتمكده فلم يجدوا عليه طريقا ولا الى ادخاصه سبيلا ففرضوا عليه فرائض
صعبة كيما يتجسس من قبولها فبدحضوه ويحرموه طلبته مخالفة لفرائض اليونانيين فقبل ذلك وقام به فاشتد
اعجابهم به وفشا عصر زورعه حتى بلغ ذكره الى اماسيس ملك مصر فأعطاه سلطانا على صحايا الرب وعلى سائر
قرايينهم ولم يعط ذلك لغريب قط ويقال انه كان للكواكب السبعة السيارة هياكل تتجسس الناس اليها من سائر
أقطار الدنيا وضعها القدماء فجعلوا على اسم كل كوكب هيكلا في ناحية من نواحي الارض وزعموا أن البيت
الاول هو الكعبة وأنه مما وصى ادريس الذي يسمونه هرمس الاول المثلث أن يحجج اليه وزعموا أنه منسوب
لرحل والبيت الثاني بيت المريخ وكان بمدينة صور من الساحل الشامي والبيت الثالث للمشتري وكان
بدمشق بناء جبرون بن سعد بن عاد وموضعه الآن جامع بني امية والبيت الرابع بيت الشمس بمصر ويقال انه من
بناء هرشيك أحد ملوك الطبقة الاولى من ملوك الفرس وهو المسمى بعين شمس والبيت الخامس بيت الزهرة
وكان بمنجج والبيت السادس بيت عطارد وهو بعيدا من ساحل البحر الشامي والبيت السابع بيت القمر وكان
بجزان ويقال انه قلعته ويسمى المدور ولم يزل عامرا الى أن خربه التتر ويقال انه كان هو هيكل الصابئة الاعظم
* وقال شافع بن علي في كتاب عجائب البلدان وعين شمس مدينة صغيرة تشاهد سورها محذاهم مهادوما
ويظهر من أمرها انها كانت بيت عبادة وفيها من الاصنام الهائلة العظيمة الشكل من نحت الحجر ما يكون
طول الصنم بقدر ثلاثين ذراعا وعضاؤه على تلك النسبة من العظم وكل هذه الاصنام قائمة على قواعد وبعضها
قاعدة على نصبات عجبية واقنانات محكمة وباب المدينة موجود الى الآن وعلى معظم تلك الحجارة تصاوير على
شكل الانسان وغيره من الحيوان وكأبه كثيرة بالقلم المجهول وقلنا ترى جبرا خلاعا عن كتابة او نقش او صورة وفي
هذه المدينة المثلثان المشهورتان وتسميان مسلتى فرعون وصفة المسلة قاعدة مربعة طولها عشرة أذرع في
مثلها عرضا في نحوها سمكة قد وضعت على أساس ثابت في الارض ثم أقيم عليها عمود مثلث مخروط ينف طوله
على مائة ذراع يتبدى من القاعدة ببسطة قطرها خمسة أذرع وينتهي الى نقطة وقد لبس رأسها بقلنسوة نحاس
الى نحو ثلاثة أذرع منها كالقمع وقد تزجج بالطر وطول المدة واخضر وسال من خضرته على بسط المسلة وكأها
عليها كتابات بذلك القلم وكانت المثلثان قائمتين ثم خربت احدهما وانصدت من نصفها العظم الثقل وأخذ
النحاس من رأسها ثم ان حوالها من الاصنام شيئا كثيرا لا يحصى عدده على نصف تلك العظمى أو يليها رقبلا
يوجد في هذه المسال الصغار ما هو قطعة واحدة بل فصوصها بعضها على بعض وقد تدم اكثرا وانما بقيت
قواعدها * وقال محمد بن ابراهيم الجزري في تاريخه وفي رابع شهر رمضان يعني من سنة ست وخسين وسثمائة
وقعت احدي مسلتى فرعون التي بأراضي المطرية من ضواحي القاهرة فوجدوا داخلها ما تاتي قطار من نحاس
وأخذ من رأسها عشرة آلاف دينار * ويقال ان عين شمس بناها الوليد بن دؤم مع من الملوك العماليق وقيل بناها
الريان بن الوليد وكانت سرير ملكه والفرس تزعم أن هرشيك بناها * ويقال طول العمودين مائة ذراع وقيل

أربعة وثمانون ذراعا وقيل خمسون ذراعا ويقال ان بخت نصر هو الذي خرب عين شمس لما دخل الى مصر وقال
 القضاة عني شمس وهي هيكل الشمس به العمودان اللذان لم ير أعجب منهما ولا من شأنهما طواهما في السماء
 نحو من خمسين ذراعا وهما محمولان على وجه الارض وبينهما صورة انسان على داية وعلى رأسهما شبه
 الصومعتين من نحاس فاذا جاء النيل قطر من رأسهما ما تستبينه وتراه منهما وانحبا ينبع حتى يجري من
 أسافلها فينبعث في اصلهما العونج وغيره واذا دخلت الشمس دقيقة من الحدى وهو أقصر يوم في السنة
 انتهت الى الجنوب من منبها فطلعت عليه على قمة رأسه ثم اذا دخلت دقيقة من السرطان وهو أطول يوم في
 السنة انتهت الى الشمال من منبها فطلعت على قمة رأسه وهما منتهى المليون وخط الاستواء في الواسطة منهما
 ثم خطرت بينهما ذاهبة وجائبة سائر السنة كذا يقول أهل العلم بذلك * وقال ابن سعيد في كتاب المغرب
 وكانت عين شمس في قديم الزمان عظيمة الطول والعرض متصلة البناء بمصر القديمة حيث مدينة القسطاط
 الآن وانادم عروبن العاص نازل عين شمس وكان جمع القوم حتى قبحها * وقال جامع السيرة الطولونية
 كان بعين شمس صنم بمقدار الرجل المعتدل الخلق من كدان أيضا يحكم الصنعة يتخيل من استعرضه أنه ناطق
 فومف لاحد بن طولون فاشتاق الى تأمله فنهاه ندوسة عنه وقال ماراه والقط الاعزل فركب اليه وكان هذا
 في سنة ثمان وخسين ومائتين وتأمله ثم دعا بالقطا عين وأمرهم باجتنائه من الارض ولم يترك منه شيئا ثم قال
 لندوسة خازنه ياندوسة من صرف مناصبه فقال أنت أيها الأمير وعاش بعدها احمد ثقي عشرة سنة اميرا *
 وبني العزيز بالله نزار بن المعز قسورا بعين شمس * وقال أبو عبيد الكري عين شمس يفتح الشين واسكان ثانيه
 بعده سين مهله عين ماء معروفة قال محمد بن حبيب عين شمس حيث بنى فرعون الصرح وزعم قوم أن عين
 شمس الى هذا الماء اضيف واقل من سمي هذا الاسم سبابا يشجب وذكر الكلبي أن شمسا الذي تسموا به صنم
 قديم وقال ابن خرداديه واسطواتين بعين شمس من أرض مصر ومن بقايا أساطين كانت هناك في رأس كل
 اسطوانة طوق من نحاس يقطر من احدهما ماء من تحت الطوق الى نصف الاسطوانة لا يجاوزه ولا ينقطع
 قطره ليلا ولا نهارا فوضعه من الاسطوانة أخضر رطب ولا يصل الماء الى الارض وهو من بناء اوسمك *
 وذكر محمد بن عبد الرحيم في كتاب تحفة الالباب أن هذا المنار مربع علوه مائة ذراع قطعة واحدة متحد
 الرأس على قاعدة من حجر وعلى رأس المنار غشاء من صفر كالذهب فيه صورة انسان على كرسى قد استقبل
 المشرق ويخرج من تحت ذلك الغشاء الصفر ماء يسيل مقدار عشرة أذرع وقد ثبت منه شيء كالطليب فلا يبرح
 لمعان الماء على تلك الخضرة أبد اصفاء وشتاء لا ينقطع ولا يصل الى الارض منه شيء وبعين شمس نبت يزرع
 كالقصب ان يسمى بالبسم يتخذ منه دهن البلسان لا يعرف بكان من الارض الا هناك وتوكل لحي هذه
 القصبان فيكون له طعم وفيه حرارة وحراقة لذينة وبناحية المطرية من حاضرة عين شمس البلسان وهو شجر
 قصاري ياتي من ماء بئر هناك وهذه البئر تعظمها النصارى وتقصد لها وتغتسل بمائها وتستنشق به ويخرج
 لاعتصار البلسان وان ادراكه من قبل السلطان من يتولى ذلك ويحفظه ويحمله الى الخزانة السلطانية ثم ينقل
 منه الى قلاع الشام والمارستانات المعالجة المبرودين ولا يؤخذ منه شيء الا من خزنة السلطان بعد أخذ مرسوم
 بذلك والملوك النصارى من الحبشة والروم والفرنج فيه غلو عظيم وهم يتهادونه من صاحب مصر ويرون أنهم
 لا يصح عندهم لاحد أن ينهض الا أن يتغمس في ماء المعمودية ويعتقدون انه لا بد أن يكون في ماء المعمودية
 شيء من دهن البلسان ويسمونه الميرون وكان في القديم اذا وصل من الشام خبراته الى صاحب عين شمس
 ثم يرد من عين شمس الى الحصن الذي عرف بقصر الشمع حيث الآن مدينة مصر ثم يرد من الحصن الى مدينة
 منف حيث كانت منف تحت الملك وسبب تعظيم النصارى لدهن البلسان ما ذكره في كتاب السنكسار وهو
 يشتمل على أخبار النصارى أن المسيح لما خرجت به امته ومعهم يوسف التجار من بيت المقدس فرارامن
 هيرودس ملك اليهود نزلت به اول موضع من أرض مصر مدينة بسطة في رابع عشرين بشنس فلم يقبلهم أهلها
 فنزلوا بظاهرها وأقاموا أياما ثم ساروا الى مدينة سمند وعادوا النيل الى الغربية ومشوا الى مدينة الاشوين
 وكان بأعلاها اذ ذاك شكل فرس من نحاس قائم على أربعة أعمدة فاذا قدم اليها غريب صهل فجأوا
 ونظروا في أمر القادم فعند ما وصلت مريم بالمسيح عليه السلام الى المدينة سقط الفرس المذكور وتكسر

فدخلت به أمته وظهرت له عليه السلام في الاشعورين آية وهو أن خمسة جبال محملة تراجمهم في مبرورهم فصرخ فيها المسيح في الاشعورين فصارت جبارة ثم انهم ساروا من الاشعورين وأقاموا بقريه تسمى فيلس مدة أيام ثم مضوا الى مدينة تسمى قس وقام وحى التي يقال لها اليوم القوصية فنطق الشيطان من أجواف الاصنام التي بها وقال إن امرأه أنت ومعها ولدها يريدون أن يحجزوا بيوت معابدكم فخرج اليهم مائة رجل بسلاحهم وطردهم عن المدينة فمضوا الى ناحية ميرة في غربي القوصية ونزلوا في الموضع الذي يعرف اليوم بدير المحرق وأقاموا به ستة أشهر وأياما فرأى يوسف النجار في منامه قائلا يخبره بموت هيرودس وبإمره أن يرجع بالمسيح الى القدس فعادوا من ميرة حتى نزلوا حيث الموضع الذي يعرف اليوم في مدينة مصر بقصر الشمع وأقاموا بغمارة تعرف اليوم بكنيسة بوسرجة ثم خرجوا منها الى عين شمس فاستراحوا هناك بجوار ماء فغسلت مريم من ذلك الماء ثياب المسيح وقد اتسخت وصبت غسالتها تلك الاراضي فأثبت الله هناك البلسان وكان اذ ذلك بالاردن فانقطع من هناك وبقي بهذه الارض وغمرت هذه البئر التي هي الآن موجودة هناك على ذلك الماء الذي غسلت منه مريم وبلغني أنهم الى الآن اذا اعتبرت بوجود ماؤها عينا جارية في أسفلها فهذا سبب تعظيم النصارى لهذه البئر والبلسان فانه انما سقى منها والله أعلم

(المنصورة)

هذه البلدة على رأس بحر أشموم تجاه ناحية طلفا بناها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في سنة ست عشرة وستمائة عندما ملك الفرنج مدينة دمياط فقل في موضع هذه البلدة وخيم به وبني قصر السككناه وأمر من معه من الامراء والعساكر بالبناء فبني هناك عدة دور ونصبت الاسواق وأدار عليها سورا محايلى البحر وستره بالآلات الحربية والستائر وتسمى هذه المنزلة المدينة المنصورة ولم يزل بها حتى استرجع مدينة دمياط كما تقدم ذكره عند ذكر مدينة دمياط من كبا بنا هذا فصارت مدينة كبيرة بها الحمامات والفنادق والاسواق والما استنقذ الملك الكامل دمياط من الفرنج ورحل الفرنج الى بلادهم جلس بقصره في المنصورة وبين يديه اخوته الملك المعظم عيسى صاحب دمشق والملك الاشرف موسى صاحب بلاد الشرق وغيرهما من أهله وخواصه فامر الملك الاشرف جاريته فغنت على عودها

ولما طغى فرعون ~~ع~~كوا وقومه * وجاء الى مصر ليفسد في الارض
ألقى نحوهم موسى وفي يده العصا * فأغرقهم في اليم بعضا على بعض
فطرب الاشرف وقال لها بالله ~~ك~~زرى فشق ذلك على الملك الكامل وأسكتها وقال لجاريته غنى أنت فأخذت العود وغنت

أيأهل دين الكفر قوموا لتظروا * لما قد جرى في وقتنا وتجددا
أعباد عيسى ان عيسى وحزبه * وموسى جميعا ينصران محمدا
وهذا البيت من قصيدة لشرف الدين بن جبارة أولها (أبى الوجد الآن آيت مسهدا) فأعجب ذلك الملك الكامل وأمر اسكل من الجاريتين بخمسمائة دينار فتمض القاضى الصدر الاجل الرئيس هبة الله بن محاسن قاضى غزة وكان من جملة الجلوساء على قدميه وأنشد يقول

هنيأ فان السعد جاء مخلدا * وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا

حبانا الله الخلق فحما لنا بدا * مينا وانعاما وعزاً مؤبدا

تهلّل وجه الارض بعد قطوبه * وأصبح وجه الشر لبالظلم أسودا

ولما طغى البحر الخضم بأهله ~~ال~~طفاة وأضحى بالمرأكب مزبدا

أقام لهذا الذين من سل عزمه * صقيلا كما سئل الخسام المهندا

فلم ينبج الاكل شلو مجذّل * نوى منهم اومن تراه مقيدا

ونادى لسان الكون في الارض رافعا * عقيرته في الخافقين ومنشدا

أعباد عيسى ان عيسى وحزبه * وموسى جميعا ينصران محمدا

فكانت هذه البلدة بالمنصورة من أحسن ليله مرت الملك من الملوكة وكان عند انشاده يشير اذا قال عيسى الى

عيسى المعظم واذا قال موسى الى موسى الاشرف واذا قال محمد الى السلطان الملك الكامل وقد قيل ان الذي
أنشده هذه الايات انما هو راجع الى المحلى الشاعر

• (العباسة) •

هذه القرية فيما بين بليس والصالحية من أرض السدير لم يزل منتزها الملوك مصر وبها ولد العباس بن أحمد بن
طولون فسماه لذلك أبوه العباس وولدها أيضا الملك الامجد تقي الدين عباس بن العادل أبي بكر بن ايوب
وكان الملك الكامل محمد بن العادل يقيم بها كثيرا ويقول هذه تعلق مصر اذا أفت بها أصداد الطير من السماء
والسمك من الماء والوحش من الفضاء ويصل الخبز من قلعة الجبل الى بيها في قلعتي وهو مخن وبني بها آدرا
ومناظر وبساتين وبني امرأه بها أيضا عدة مساكن في البساتين ولم تزل العباسة على ذلك حتى أنشأ الملك
الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل المتزلة الصالحية قنلاشي حينئذ أمر العباسة وخرت المناظر في سلطنة الملك
المعز أيك فلما كانت سلطنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس مر على السدير وهو فم الوادي فأعجب به وبني في
موضع اختاره منه قرية سماها الظاهرية وأنشأ بها جامعاً وذلك في سنة ست وستين وستمائة * وسميت
بالعباسة بنت أحمد بن طولون فانها خرجت الى هذا الموضع مودعة لبنت أخيها فطر الندي بنت خجاريه
ابن أحمد بن طولون لما حلت الى المعتضد وضربت هناك فساطيطها ثم بنت قرية فسميت باسمها

• (ذكر مدينة قفط بصعيد مصر) •

هذه المدينة عرفت بقفطريم بن قبطيم بن مصر ايم بن بصر بن جام بن فوح عليه السلام وكانت في الدهر الاول
مدينة الاقليم وانما بدا اخرج ايمد الاربع مائة من تاريخ الهجرة النبوية وآخر ما كان فيها بعد السبع مائة من سقى
الهجرة أربعون مسبكاً للسكر وست معاصر للقبص ويقال كان فيها قباب بأعلى دورها وكانت اشارة من ملك
من أهلها عشرة آلاف دينار أن يجعل في داره قبة وبالقرب منها معدن الزمرد ولم يطل الامن قريب فان قفطريم
ولى الملك بعده أبيه قبطيم قال ابن وصيف شاه كان اكبر ولداً له وكان جباراً عظيم الخلق وهو الذي وضع أساسات
الاهرام الدمشورية وغيرها وهو الذي بني مدينة دندرة ومدينة الاصنام وهلكت عادا بالريح في آخر أيامه وأثار
من المعادن ما لم يثر غيره وكان يتخذ من الذهب مثل حجر الرحي ومن الزبرجد مثل الاسطوانة ومن الاسبابادشم
في صحراء الغرب كالقبة وعمل من عجائب شياً كثيراً وبني مناراً عاليا على جبل قفط يرى منه البحر الشرقي
ووجد هناك معدن زئبق فعمل منه تمثالاً كالعمود لا يخل ولا يذوب وعمل البركة التي سماها صيادة الطير اذا مر
عليها طائر سقط فيها ولم يقدر على الحركة حتى يؤخذ وهذه البركة يقال انها هناك الى الآن وأما المنار فسقط وعمل
عجائب كثيرة وفي أيامه أثار عبادة الاصنام التي كان الطوفان غرقها ووزن الشيطان أمرها وعبادتها ويقال
انه بني المداين الداخلة وعمل فيها عجائب وبني غربي النيل وخلف الواحات الداخلة مدناً عمل فيها عجائب كثيرة
ووصل بها الرواحين الذين يمنعون منها ما يستطعم أحد أن يدنو اليها ولا يدخلها الا أن يعمل قرايين
لاؤنك الرواحين وأقام قفطريم ملكاً أربع مائة وثمانين سنة واكثر الجحافل عمت في وقته ووقت ابنه
البودسر ولذلك كان الصعيدا كثر عجائب من أسفل لان حيز قفطريم فيه ولما حضر قفطريم الوفاة عمل ناوسا
في الجبل الغربي قرب مدينة الكهان في سرب تحت الارض معقود على آراج الى الارض ونقر تحت الجبل
داراً واسعة وجعل دورها خزانة منقورة وفي سقفها مسارب للرياح وبلط السرب وجميع الدار بالمرمر وجعل
في وسط الدار مجلساً على ثمانية اركان مصفحاً بالزجاج الملون المسبول وجعل في سقفه جواهر شرج وجعل
في كل ركن من اركان المجلس تمثالاً من الذهب بيده كتاب البوق الذي يوق به وتحت القبة دكة مصفحة
بذهب ولها حواف من زبرجد وفوق الدكة فرش من حرير وجعل عليها جسد بعد أن لطخ بالادوية الجففة
ووضع في جانبه آلات كافور وسدلت عليه ثياب منسوجة بالذهب ووجهه مكشوف وعلى رأسه تاج مكل وعن
جوانب الدكة أربعة تماثيل مجوفات من زجاج مسبول في صور النساء بأيديهن مراوح من ذهب وعلى صدره
من فوق الثياب سيف فاخر قائمه من زبرجد وجعل في تلك الخزائن من الذخائر وسبائك الذهب والفضة
والجوهر وبرابي الحكم وأصناف العقاقير والطلسمات ومصاحف العلوم ما لا يحصى كثيرة وجعل على

باب المجلس ديكمان ذهب على قاعدة من زجاج أخضر منشورا الجناحين مزبور عليه آيات مانعة وجعل على كل مدخل أزج صورتين من نحاس بأيديهما سيفان وقد أمهما بلاطة تحتها الوالب من وطئها ضرب به بأسيا فهما فقتلاه وفي سقف كل أزج كرة وعليها الطوخ مدبر يسرج فيقسط طول الزمان وست باب الأزج بالاساطين المرسعة ورصوا على سقفه البلاط العظام ورد موافوقها الرمال وزرروا على باب الأزج هذا المدخل الى جسد الملك العظيم المهيب الكريم الشديدي قفطريم ذي الايد والفخر والغلبة والقهر أقل نجمه وبقي ذكره وعلمه فلا يصل أحد اليه ولا يقدر بحيلة عليه وذلك بعد سبع مائة وسبعين ودورات مضت من السنين * وقال المسعودي ومعدن الزمر في عمل الصعيد الاعلى من مدينة قفط ومنها يخرج الى هذا المعدن والموضع الذي هو فيه يعرف بالخربة وهي مفازة وجبال والجهة تحمي هذا المكان المعروف بالخربة واليه يؤدى الخفارات من يرد الى حفرة الزمرز ووجدت جماعة من صعيد مصر من ذوى الدراية ممن اتصلت معرفته بهذا المعدن وعرف هذا النوع من الجوهر يخبرون أنه يكثر ويقل في فصول السنة فيكثر في قوة مواد الهواء وهبوب نوع من الرياح الأربع وتقوى الخضرة فيه والشعاع النورى في أوائل الشهر والزيادة في نور القمر وبين الموضع المعروف بالخربة الذى فيه معدن الزمرز وبين ما اتصل من العمارة وقرب منه من الديار مسيرة سبعة أيام وهي قفط وقوص وغيرها من صعيد مصر وقوص راكبة النيل وبين النيل وقفط نحو من ميلين * ولدينى قفط وقوص أخبار عجيبه في بدء عمارتهما وما كان في أيام القبط من أخبارهما الا أن مدينة قفط في هذا الوقت متداعية الخراب وقوص أعمر والناس فيها أكثر وكان بقفط براموكل بهاروحانى في صورة جارية سوداء تحمل صديا أسود صغيرا حكى أنها ريت بهارارا ومعدن الزمرز في البر المتصل بأسوان وكان له ديوان فيه شهود وكتاب وينفق على العمال به وتنال لهم المؤن لحفره واستخراج الزمرز منه وهو في جبال حمره له تحفر فيه وربما سقط على الجماعة به فماتوا وكان يجمع ما يخرج منه ويحمل الى القسطنطينية ومنه يحمل الى البلاد وقد كان الناس يسرون من قوص الى معدن الزمرز في ثمانية أيام بالسير المعتدل وكانت الجبال تنزل حوله وقرى يامنه لاجل القيام بحفره وحفظه وهذا المعدن في الجبل الاخذ على شرق النيل في بحرى قطعة عظيمة من هذا الجبل تسمى اقرشندة وليس هناك من الجبال أعلى منها وهو في منقطع من البر لا عمارة عنده ولا حوله ولا قري يامنه والماء عنه مسيرة نصف يوم أو يزيد وهو ما يتحصل من المطر ويعرف بتقدير عين يكثر بكثرة المطر ويقل بقلته وهذا المعدن في صدر مفازة طويلة في جبال يبيض يستخرج منه الزمرز وهذا الحجر الابيض ثلاثة أنواع أحدها يقال له طلق كافورى والثانى يقال له طلق فضى والثالث يقال له حجر جروى ويضرب في هذه الحجارة حتى يخرج الزمرز وهو كالغريق فيه وأنواعه الرباني وهو أقل من القليل لا يخرج الا في السادر واذا استخرج ألقى في الزيت الحار ثم يحط في قطن ويصير ذلك القطن في خرق خام أو نحوها وكان الاحترار على هذا المعدن كثيرا جدا ويفش الفعلة عند الخروج منه كل يوم حتى تفتش عوراتهم ومع ذلك فيختلسون منه بصناعات لهم في ذلك ولم يزل هذا المعدن يستخرج منه الزمرز الى أن ابطال العمل منه الوزير صاحب علم الدين عبد الله بن زنبورى في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في سنة بضع وستين وسبع مائة * وفي سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة كانت قسنة كبيرة بمدينة قفط سيم أن داعيا من بني عبد القوى ادعى أنه داود بن العاضد فاجتمع الناس عليه فبعث السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أخاه الملك العادل أبابكر بن أيوب على جيش فقتل من أهل قفط نحو ثلاثة آلاف وصلهم على شجرها ظاهرا فقط بعمائهم وطيا لستهم

* (ذكر مدينة دندرة) *

هى إحدى مدن الصعيد الاعلى القديمة بناها قفطريم بن مصر ايم بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام وكان فيها بر اعظم فيها مائة وثمانون كوة تدخل الشمس في كل يوم من كوة حتى تأتى على آخرها ثم تكثر راجعة الى حيث بدأت وكانت روحانياتها الموكلة بها تظهر في هيئة انسان له رأس أسد قرنين وكان بها أيضا شجرة تعرف بشجرة العباس متوسطة وأوراقها خضراء مستديرة اذا قال الانسان عند هايا شجرة العباس جاءك الفاس تجتمع أوراقها وتحزن لوقتها ثم تعود كما كانت وبين دندرة وبين قوص بر يد واحد وكانت بربادندرة أعظم من بربا الخميم

* (ذكر الواحات الداخلة) *

الواحات منقطعة وراء الوجه القبلي في مغاربه ولا تعد في الولايات ولا في الاعمال ولا يحصكم عليها من قبل
السلطان وال واما يحكم عليها من قبل مقطوعها * وبلاد الواحات بين مصر والاسكندرية والصعيد والنوبة
والجبلية بعضها داخل بعض وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ولا يقتقر الى سواء وأرضها شبيهة وزاجية
وعيون حامضة الطعم تستعمل كاستعمال الخلل وعيون مختلفة الطعوم من الحامض والقابض والمالح ولكل
نوع منها خاصية ومنفعة وهي على قسمين واحات داخلة وواحات خارجة جاثها أربع واحات ويقال ان الواحات
ولدوا حويل ابن كوش بن كنعان بن حام بن نوح وان آخر سبابن كوش أبوالجيش وأبوشنبا بن كوش أبوزغاوة
وأبوشعيب بن كوش أبوالجيش المرمم * قال ابن وصيف شاه ويقال ان قفطريم بن المدائن الداخلة وعمل فيها
بجائب منها الماء القائم كالعمود لا ينخل ولا يذوب والبركة التي تسمى فلسطين اي صيادة الطير اذ امر عليها
الطير سقط فيها ولم يمكنه الخروج منها حتى يؤخذ وعمل أيضا عمودا من نحاس عليه صورة طائر اذا قرب الاسد
أو الحيات أو غيرها من الاشياء المضرة من تلك المدينة صفر تصفيرا عاليا فترجع تلك الدواب هاربة وعمل على
أربعة ابواب هذه المدينة أربعة أصنام من نحاس لا يقرب منها غريب الا التي عليه النوم والسبات فينام
عندها ولا يبرح حتى يأتيه اهل المدينة وينفعون في وجهه ليقوم وان لم يفعلوا ذلك لا يزال انما عند الاصنام
حتى يهلك وعمل منار الطيفاء من زجاج ملون على قاعدة من نحاس وعمل على رأس المنار صورة صنم من أخلاط
كثيرة وفي يده كالقوس كأنه يرمى عنها فان عاينه غريب وقف في موضعه ولم يبرح حتى ينحسبه اهل المدينة وكان
ذلك الصنم يتوجه الى مهب الرياح الاربع من نفسه وقيل ان هذا الصنم على حاله الى الآن وان الناس تحاموا
تلك المدينة على كثرة ما فيها من الكنوز والحجائب الظاهرة خوفا من ذلك الصنم أن تقع عين انسان عليه فلا يزال
قائما حتى يتلف وكان بعض الملوك عمل على قلعه فما أمكنه وهلك لذلك خلق كثير ويقال انه عمل في بعض المدائن
الداخلة مرة يرى فيها جميع ما يسأل الانسان عنه وبني غربي النيل وخلف الواحات الداخلة مدنا عمل فيها
بجائب كثيرة ووكل الروحانيين بها الذين يمنعون منها فما يستطيع أحد أن يدنو اليها ولا يدخلها أو يعمل قرايين
أو تلك الروحانيين فيصل اليها حينئذ يأخذ من كنوزها ما أحب من غير مشقة ولا ضرر وبني الملك صابن الساد
وقيل صابن مرقونس بداخل الواحات مدينة وغرس حولها نخلا كثيرا وكان يسكن منف وملاك الاحبار كانوا
وعمل بجائب وطلسمات ورد السكينة الى مراتبهم ونفي الملهين وأهل الشر ممن كان يصحب الساد بن مرقونس
وجعل على أطراف مصر أصحاب أسفار يرفعون اليه ما يجري في حدودهم وعمل على غربي النيل منابر يوقد
عليها اذا حز بهم امر أو قصدهم قاصد وكان لما ملك البلد بأسره جمع الحكماء اليه وطر في نجومه وكان بها حاذقا
فرأى أن بلده لا بد أن تغرق بالطوفان من نيلها ورأى أنها تخرب على يد رجل يأتي من ناحية الشام فجمع كل
فاعل بمصر وبني في الواح الاقصى مدينة جعل طول حصنها في الارتفاع خمسين ذراعا وأودعها جميع الحكم
والاموال وهي المدينة التي وقع عليها موسى بن نصير في زمن بني امية لما قدم من المغرب فلما دخل مصر أخذ
على الواح الاقصى وكان عنده علم منها فأقام سبعة أيام يسير في رمال بين الغرب والجنوب فظهرت له مدينة عليها
حصن وأبواب من حديد فلم يمكنه فتح الابواب وكان اذا صعد اليها الرجال وعلاوا الحصن وأشرقوا على المدينة
ألقوا أنفسهم فيها فلما أعياء أمرها مضى وهلك من أصحابه عدة قال وفي تلك الصحارى كانت منتزهات القوم
ومدنها العجيبة وكنوزهم الآن الرمال غلبت عليها ولم يبق ملك الا وقد عمل الرمل طلسمات دفعه ففسدت
طلسماتها القدم الزمان قال ولا ينبغي لاحد أن ينكر كثرة بنيانهم ولا مدائنهم ولا ما نصبوه من الاعلام العظام
قد كان للقوم بطش لم يكن لغيرهم وان آثارهم لبينة مثل الاهرام والاعلام والاسكندرية وما في صحارى الشرق
والجبال المنحوتة التي جعلوا كنوزهم فيها والادوية المنحوتة ومثل ما بالصعيد من البرابي وما نقشوه عليها من
حكمهم فلونعاطي جميع ملوك الارض أن يبنوا مثل الهرم من ما تباها لهم وكذلك أن ينقشوا بر بالاطال بهم الابد
ولم يمكنهم * وحكى عن قوم من البشائين في ضياع الغرب أن عاملا عندهم عنف بهم ففروا في صحراء الغرب
ومعهم زاد الى أن تنصلح أحوالهم ورجعوا فلما كانوا على مسيرة يوم وبعض آخر قدموا الى سفح جبل فوجدوا
عيرا أهليا قد خرج من بعض الشعاب فتبعه بعضهم فاتهى الى مساكن وأشجار ونخل ومياه تطرد وقوم هنالك

يرعون ولهم مسابكن وكلهم وأعجب بهم فجاه الى أصحابه وقدم بهم على أولئك القوم فسألوهم عن حالهم فأخبروهم وأقاموا عندهم حتى صلت أحوالهم وخرجوا ليأتوا بأهلهم ومواسيهم ويقبضوا عندهم فساروا مدة وهم لا يعرفون الطريق ولا يتأتى لهم العود فأسفوا على ما فاتهم * وذل آخرون عن الطريق في الغرب فوقعوا على مدينة عامرة كثيرة الناس والمواشي والتخل والشجر فأضافوهم وأطعموهم وسقوهم وباتوا في طاحونة فسكروا من الشراب وناموا فلم يفتيقوا الامن حر الشمس فاذا هم في مدينة خراب ليس فيها أحد فخافوا وخرجوا وظلوا يومهم سائرين الى المساء فظهرت اهلهم مدينة أكبر من الاولى وأمرها أكثر اهلا وشجرا ومواشي فأنسوا بهم وأخبروهم بخبر المدينة الاولى ففعلوا يحبون منهم ويضحكون وانطلقوا بهم الى ولية ابعض أهل المدينة فاكلوا وشربوا وغنوا بهم حتى سكروا فلما كان من الغد اتهم واماذا هم في مدينة عظيمة ليس فيها أحد وحوالها فخل قد تساقط ثمره وتكدس فخرجوا وهم يجدون ريح الشراب ومبادئ الخمار فساروا يوما الى المساء واذا راع يرعى عنما فسألوه عن الطريق فداهم فساروا بعض يوم من الغد فوصلوا مدينة الاشمونين بالصعيدة وال هذه مدائن القوم الداخلة القديمة قد غلب عليها الجبان ومنها ما سترته عن العيون فلا ينظر اليها أحد وقال ان البودسير بن قبطيم بن يعصر بن حام بن نوح عليه السلام في ايامه بنيت بصحراء الغرب منابر ومنتزهات وحول اليها جماعة من اهل بيته فعمر تلك النواحي وبنا فيها حتى صارت أرض الغرب عامرة كلها وأقامت على ذلك مدة كثيرة فخالطهم البربر ونكحوا منهم ثم تحاسدوا فكانت بينهم حروب خربت فيها تلك الجهات وبادت الابنية منازل تسمى الواحات

* (ذكر مدينة سنترية) *

ومدينة سنترية من جهة الواحات بناها سناقيوش باني مدينة اخيم كان أحد ملوك القبط القدماء قال ابن وصف شاه وكان في حزم أبيه وحكته تعظم في عين أهل مصر وهو أول من عمل الميدان وأمر أصحابه برياضة اتهم فيه وأول من عمل المارستان لعلاج المرضى والزمنى وأودعه العقاقير ورتب فيه الاطباء وأجرى عليهم ما يسعهم وأقام الامناء على ذلك وصنع لنفسه عبدا فكان الناس يجتمعون اليه فيه وسماه عيد الملك في يوم من السنة فيأكلون ويشربون سبعة ايام وهو مشرف عليهم من مجلس على عمد قد طوقت بالذهب وألبست فاخر الثياب المنسوجة بالذهب وعليه قبة مصفحة من داخل بالرخام والزجاج والذهب وفي ايامه بنيت سنترية في صحراء الواحات عملها من حجر أبيض مربعة وفي كل حائط باب في وسطه شارع الى حائط محاذ له وجعل في كل شارع يمينه ويساره أبوابا تنتهي طرفاها الى داخل المدينة وفي وسط المدينة ملعب بدوربه من كل ناحية سبع درج وعليه قبة من خشب مدهون على عمد عظيمة من رخام وفي وسطه منار من رخام عليه صنم من صوان أسود يدور مع الشمس بدورانها وبساتين نواحي القبة صورده علقه تصفر وتصيح بلغات مختلفة فكان الملك يجلس على الدرجة العالية من الملعب وحوله بنوه وأقاربه وأبناء الملوك وعلى الدرجة الثانية رؤساء الكهنة والوزراء وعلى الثالثة رؤساء الجيش وعلى الرابعة الفلاسفة والمتبحرون والاطباء وأرباب العلوم وعلى الخامسة اصحاب العمارات وعلى السادسة اصحاب المهن وعلى السابعة العامة فيقال لكل صنف منهم انظروا الى من دونكم ولا تنظروا الى من فوقكم لا تلحقوهم وهذا ضرب من التأديب وقتلته امرأته بسكين فمات وكان ملكه ستين سنة وسنترية الآن بلد صغير يسكنه نحو ستمائة رجل من البر يعرفون بسيوة ولغتهم تعرف بالسيوية تقرب من لغة زناتة وبها حدائق فخل وأشجار من زيتون وتين وغير ذلك وكرم كثير وبها الآن نحو العشرين عينا تسبح عاء عذب ومسافتها من الاسكندرية أحد عشر يوما ومن جيزة مصر أربعة عشر يوما وهي قرية يصيب أهلها الجحى كثيرا وثمرها غاية في الجودة وتعبث الجن بأهلها كثيرا وتختطف من انفراد منهم وتسمع الناس بها عذيف الجن

* (ذكر الواحات الخارجة) *

بناها أحد ملوك القبط الاول ويقال له البودسير بن قبطيم بن مصر ايم بن يعصر بن حام بن نوح عليه السلام قال ابن وصف شاه وأراد البونسيان يسير مغربا الى ما هنالك فوقع على أرض واسعة متفرقة

بالسما والعيون كثيرة العشب فبنى فيها منابر ومنتزهات وأقام فيها جماعة من اهل بيته فعمرها تلك النواحي
وبنوا فيها حتى صارت أرض الغرب عمارة كلها وأقامت كذلك مدة كثيرة وخالطهم البربر فنكح بعضهم من بعض
ثم انهم تحاسدوا وبغى بعضهم على بعض فكانت بينهم حروب تغرب ذلك البلد وبادأهله الابقية منازل تسقى
الواحات * وقال المسعودى وأما بلاد الواحات فهي بين بلاد مصر والاسكندرية وصعيد مصر والغرب وأرض
الاحباش من النوبة وغيرهم وبها أرض شبيهة وزاجية وعميون حامضة وغير ذلك من الطعوم وصاحب الواحات
في وقتنا هذا هو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة عبد الملك بن مروان وهو رجل من لواته الا انه مرواني المذهب
ويركب في آلاف من الناس خيلا ونجبا وبينه وبين الاحباش نحو من ستة ايام وكذلك بينه وبين سائر ما ذكرنا
من العماثر هذا المقدار من المسافة وفي أرضه خواص وبجائب وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره
ولا يفتقر اليه ويحمل من أرضه التمر والزبيب والعتاب * وحدثني وكيل ابي الشيخ المعز حسام الدين عمرو
ابن محمد بن زكي الشهرزورى أنه سمع يلاذ الواحات أن فيها شجرة نارنج يقطف منها في سنة واحدة أربعة عشر
ألف حبة نارنج صفراء سوى ما يتناثر وسوى ما هو أخضر فلم أصدق ذلك لغرابته وقت حتى شاهدت الشجرة
المذكورة فاذا هي كأعظم ما يكون من شجر الجيز بمصر واكبر وسألت مستوفى البلد عنها فأخبرني الى جرائد
حساباته وتصفحها حتى أوقفني على أن منها في سنة كذا اقطف من النارنجية القلاية اربعة عشر ألف حبة
نارنج مستوية صفراء سوى ما بقي عليها من الاخضر وسوى ما تناثر منها وهو صغير * وبالواحات الشب
الابيض بواد تجباء مدينة ادفو كان في زمن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر وفي زمن ابنه الصالح
نجم الدين ايوب على مقطعي الواحات حل ألف قنطار شب أبيض في كل سنة الى القاهرة ويطلق لهم في نظير
ذلك جوا الى الواحات ثم أهمل هذا فبطل * وفي سنة تسع وثلاثين وثلثمائة سار ملك النوبة في جيش عظيم الى
الواحات فأوقع بأهلها وقتل منها وأسر كثيرا

* (ذكر مدينة قوص) *

اعلم أن قوص أعظم مدائن الصعيد وهي على النيل بنيت بعد قفط في أيام ملك من ملوك القبط الاول يقال له
سدان بن عديم بن البودسير بن قفطيم قبل سميت باسم قوص بن قفط بن أخيم بن سيفاف بن اشمن بن مصر قال
ابن يوسف شاه سدان بن عديم هو الذي بنى الاهرام الدهشورية من الحجارة التي قطعت في زمان أبيه وعمل
مصاحف النهر نجحات وهيكلا أرمنت وعمل في المدائن الداخلة من أنصا هيكلا وأقام فيه في اريب وهيكلا
في شرقي الاسكندرية وبنى في الجانب الشرقي مدائن وفي امامه بنيت قوص العالية وأسكن فيها قوما من اهل
الحكمة وأهل الصناعات وكانت الحبش والسودان قد عاثوا في بلده فأخرج لهم ابنه منقوش في جيش عظيم
فقتل منهم وسبي واستعبد الذين سباهم وصار ذلك سعة لهم واقتطع معدن الذهب من ارضهم وأقام ذلك
السبي يعملون فيه ويحملون الذهب اليه وهو أول من أحب الصيد واتخذ الجوارح وولد الكلاب السلوقية
من الذئاب والكلاب الاهلية وعمل من العجائب والطلسمات لكل فن ما لا يحصى كثرة * وقال الادفوى في
تاريخ الصعيد وقوص بجباب قفط حكى بعض المؤرخين انها شرعت في العمارة وشرعت قفط في الخراب من
سنة اربع مائة قبل انه حضر مرة فاضى قوص فخرج من اسوان اربعة مائة راكب بغلة الى لقائه * وفي شهر
رمضان سنة اثنتين وستين وثمانية احضر الى الملك الظاهر بيبرس فلوس وجدت مدفونة بقوص فأخذ منها
فلس فاذا على أحد وجهيه صورة ملك واقف وفي يده الميزان وفي اليسرى سيف وعلى الوجه الآخر رأس
فيه اذن كبيرة وعين مفتوحة وبدائر الفلس كتاية قراها راهب يوناني فكان تاريخه الى وقت قراءته
ألفين وثلثمائة سنة وفيه انا غليات الملك ميزان العدل والكرم في يمينه من اطاع والسيف في يساره لمن عصى
وفي الوجه الآخر انا غليات الملك اذ في مفتوحة لسماخ المظلم وعيني مفتوحة أنظر بها مصالح ملكي وقوص
كثيرة العقارب والسام أبرص وبها صنف من العقارب القتالات حتى انه كان يقال بها اكلة العقرب لانه كان
لا يرحى لمن لسعته حياة واجتمع بها مرة في يوم صاقت على حائط الجامع سبعون سام أبرص صفا واحدا وكان
الواحد من اهلها اذا مشى في الصيف ليلا خارج داره يأخذ باحدى يديه مسرجة تضيء له وبالاخرى مشك
من حديد يشك به العقارب ثم انها تلاشت بعد سنة ثمانمائة فلما كانت الحوادث والحن مات بها سبعة عشر

ألف انسان في سنة ست وثمانمائة وكانت من العمارة بحيث انه تعطل منها في شراقي البلاد سنة ست وسبعين وسبع مائة وخمسون مغلقا والمغلق عندهم بستان من عشرين قدانا فصاعدا وله ساقية بأربعة وجوه وذلك سوى ما تعطل مما هو دون ذلك وهو كثير جدا

*** (ذكر مدينة اسنا) ***

قال الادفوي وذكر أن اسنا في سنة حصل منها أربعون ألف اردب ثمر واثنا عشر ألف اردب زبيب واسنا تشتمل على ما يقارب ثلاثة عشر ألف منزل وقيل انه كان بها في وقت سبعون شاعرا

*** (ذكر مدينة ادفو) ***

ومدينة ادفو يقال بالذال المهملة ويقال أيضا بالتاء المثناة من فوق قال الادفوي أخبرني الخطيب العدل ابو بكر خطيب ادفو أن جارة طرحت ثلاثة شماريح في كل شمرخ ثمرة واحدة وانه قلع الجارة بأصلها ووزنها ثمانية وخمسة وعشرين درهما كلها يجربدها وخشبها وذلك بأدفو ولما كان بعد سنة سبع مائة حفر صنائع الطوب فظهرت صورة شخص من حجر شكل امرأة متربعة على كرسى وعليها مثال شبكة وفي ظهرها لوح مكتوب بالقلم اليوناني رأيتها على هذه الحالة في مدينة ادفو

*** (اهناس) ***

هي كورة من كور الصعيد يقال ان عيسى ابن مريم عليه السلام ولد بها وان نخلة مريم عليها السلام التي ذكرت في قوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا لم تزل بها الى آخر أيام بنى امية والذي عليه الجاهرة أن عيسى عليه السلام انما ولد بقرية بيت لحم من مدينة بيت المقدس وباهناس شجر البنج

*** (ذكر مدينة الهنسا) ***

هذه المدينة في جهة الغرب من النيل بها تعمل الستور الهنسية وينسج المطرز والمقاطع السلطانية والمضارب الكبار والسياب المحبرة وكان يعمل بها من الستور ما يبلغ طول الستر الواحد ثلاثين ذراعا وقيمة الزوج مائتا منقال ذهب واذا صنع بهائى من الستور والاكسية والسياب من الصوف او القطن فلا بد أن يكون فيه اسم المتخذ له مكتوبا على ذلك مضوا جلا بعد جيل * وقبط مصر يجمعون على أن المسيح واثمه مريم كانا بالهنسا ثم انتقلا عنها الى القدس * وقال بعض المفسرين في قوله تعالى عن المسيح واثمه وآبناهما الى ربوة ذات قرار ومعين الربوة الهنسا وهذه المدينة بناها ملك من القبط يقال له مناوش بن منقاوش * قال ابن وصيف شاه واستخلف مناوش الملك فطلب الحكمة مثل أبيه واستخرج كتبه اراكرم اهلها وبذل فيهم الجوائز وطلب الاغراب في عمل الجباب وكان كل من ملوكهم يجهد جهده في أن يعمل له غريبة من الاعمال لم تعمل لمن كان قبله وثبت في كتبهم وزبر على الجارة في نواريجهم وهو أول من عبد البقر من اهل مصر وكان السبب في ذلك أنه اعتل علة يدس منه فيها فرأى في منامه صورة روحاني عظيم يقول له انه لا يجوز لك من علكك الاعباد لك البقر لان الطالع كان وقت حلولها بن صورة ثور بقرنين ففعل ذلك وأمر بأخذ ثورا بلى حسن الصورة وعمل له مجلسا في قصره وسقفه بقبة مذهبة فكان يجزوه ويطيب موضعه ووكل به سائسا يقوم به ويكنس تحته ويعبده سزا من اهل مملكته فبرأ من علقته وهو أول من عمل النجل في علقته فكان يركب عليها البيوت من فوقها قباب الخشب وعمل ذلك من أحب من نسائه وخدمه الى المواضع والمنزهات وكان البقر يجزوه فاذا مرن بكان نزهة أقام فيه واذا مرن بكان خراب أمر بعمارة فيقال انه نظر الى ثور من البقر الذي يجزى بعلته أبقى حسن الشبهة فأمر بترفيهه وسوقه بين يديه اعجابا به وجعل عليه جلا من ديباج فلما كان في يوم وقد خلا في موضع صار اليه وقد انفر عن عبيده وخدمه والثور قائم اذا خاطبه الثور وقال له لورفهني الملك عن السير معه وجعلني في هيكل وعبدني وأمر اهل مملكته بعبادتي كفيته جميع ما يريد وعاقوته على أمره وقويته في مملكته وأزلت عنه جميع عله فارتاع لذلك وأمر بالثور فغسل وطيب وأدخل في هيكل وأمر بعبادته فأقام ذلك الثور يعبد مدة وصار فيه آية وهو أنه لا يبول ولا يروث ولا يأكل الا اطراف ورق القصب الاخضر في كل شهر مرة فاقتن الناس به

وصار ذلك أصلا لعبادة البقر ونحو مواضع كثر فيها كنوزا وأقام عليها أعلاما وبني في صحراء الغرب مدينة يقال لها ديماس وأقام فيها منارا ودفن حوالها كنوزا ويقال ان هذه المدينة قائمة وإن قومها جازوا بها من نواحي القرب وقد ضلوا الطريق فسمعوا بها عذيف الجن ورأوا ضوءا يتراءى بها وفي بعض كتبهم أن ذلك الثور بعد مدة من عبادتهم له أمرهم أن يعملوا صورته من ذهب أجوف ويؤخذ من رأسه شعرات ومن ذنبه ومن نخاعه قرونة وأظلافه ويجعل في التمثال المذكور وعرفهم أنه يلحق بعالمه وأمرهم أن يجعلوا جسده في جرن من حجر أحمر ويدفن في الهيكل وينصب تمثاله عليه وزحل في شرفه والشمس تنظر اليه من ثلث القمر زائدا النور وينقش على التمثال علامات الكواكب السبعة ففعلوا ذلك وكلوه بجميع الاصناف من الجواهر وجعلوا عليه جزعسين وعرسوا في الهيكل عليه شجرة بعد ما دفنوه في الجرن الأحمر وبنوا منارا طوله ثمانون ذراعا على رأسه قبة تتلون كل يوم لونا حتى تغشى سبعة أيام ثم تعود الى اللون الأول وكسا الهيكل ألوان النياب وشقوا نهرها من النيل الى الهيكل وجعل حوله طلسمات رؤسها رؤس القروء على أبدان الناس كل واحد منها لدفع مضرة وجلب منفعة وأقام عند الهيكل أربعة اصنام على أربعة أبواب ودفن تحت كل صنم صنم من الكنوز وكتب عليها قربانها وبخورها واسكنها الشجرة فكانت تعرف بمدينة الشجرة ومنها كانت اصناف الشجر تخرج وهو أول من عمل النبروز بمصر وفي زمانه بنيت الهنسا وأقام بها اسطوانات وجعل فيما فوقها مجلسا من زجاج أصفر عليه قبة مذهبة اذا طلعت الشمس اقلت شعاعها على المدينة ويقال انه ماتهم ثمانمائة وثلاثين سنة ودفن في أحد الأهرام الصغار القبلية وقيل في غربي الاشمونين ودفن معه من المال والجواهر والمجائب شيء كثير واصناف الكواكب السبعة التي يرى الدفين والحية وألف سرج ذهبا وفضة وعشرة آلاف جام وغضار من ذهب وفضة وزجاج وألف عقاقير لقنونا الاعمال وزبروا عليه اسمه ومدة ملكه ووقت موته * وفي سنة اربع وثلاثين وسبعمائة ظهر بالاشمونين في واديين جبلين فساقى مربعة مملوءة ماء عذبا صافيا غشي شخص على حافتها طول يوم وليلة فلم يبلغ آخرها ويقال انها من عمل سوريد باني الأهرام لتكون عذبة لما كانوا قد توقعوه من حدوث طوفان نارى فردم هذا الوادى بعد ذلك خوفا من تلاف الناس * يقول الشيخ الامام محمد بن احمد الغرياني حديثي على بن حسن بن خالد الشعمري ثلاث مرات لم يختلف قوله على فيما قال حدثني رجل من فزارة الساكنين بكورة الهنسا قال خرجت أنا ورجل رفيق لي نرنا ذال البلاد ونطلب الرزق في الارض وذلك بعد سنة عشر وثمانمائة فقطعنا الجبل الغربي من ناحية الهنسا وسرنا متوكئين على الله تعالى فأقمنا أياما ونحن غشي ما بين الغرب والجنوب فوقه في واد كثير الشجر والتينات والماء والكلا ليس فيه أنيس وهو واد واسع في الطول والعرض لمحو يوم في الطول ويوم في العرض كله أعين وبساتين نخيل وزيتون كثير الابل والمعز والذئب والضبع به كثير والابل به متوحشة وكذلك المعز قد صارت به وحشية بعد أن كانت آتية به وليس بالوادى لارائح ولا غاد من الناس قال فأخبرني أنهم أقاما بالوادى نحو من شهرين أو ثلاثة وانهما رأيا في وسط الوادى مدينة حصينة منيعة عالية السور شامخة القصور فاذا تقربا من سورها سمعا ضجيجا عظيما وأصواتا مهولة مخوفة ورأيا دخانا يرتفع الى جوف السماء حتى يغطي سور المدينة وجميع ما فيها وان تلك الابل الوحشية عدت على رواحلها الانسية فأذتها وقتلتها فحبل عند ذلك الرجلان الفزاريان بحبل وقتلا حبالا وأشرا كاشبا كما من ليف النخل وقيد تلك الابل الوحشية وقتلا خوصا وضفرا قضا فامن الخوص لرادهما وملاهما ثمرا وزلا من تلك الابل الوحشية مكان رواحلهم ما عواضها عن أربكها متوجهين نحو الشرق وجعلوا معهم من الجريد أعنى جريد النخل ما يعرفان به الطريق التي بينهما وبينها ويجعلان ذلك أمارات لمروهما اليها فكانا كلمتا على شرف جعل عليه جريدتين علما حتى وصلا الى الجبل الغربي من مصر فتزالا الى الهنسا فترقا قومهما وتحملا بأهاليهما فلما علوا سطح الجبل الغربي وجدا كل ما فرقا من جريد النخل على رؤس الأكام مجتمعا في مكان واحد في أعلى الجبل فرجعا عند ذلك لاهاليهما ومن معهم الى أرض الهنسا وهذا ما حدثني به والله أعلم

* (ذكر مدينة الاشمونين)

كانت من أعظم مدن الصعيد يقال انها من بناء اشمون بن مصر بن يصير بن حام بن نوح عليه السلام * وقال

ابن وصيف شيا كان اشمون اعدل ولداً بيه وأرغهم في صنعة تقي ويبقى ذكرها وهو الذي بنى المجالس المصفحة بالزجاج الملقون وسط النيل وتقول القبط انه بنى بمر با تحت الارض من الاشمونين الى انصا تحت النيل وقيل انه حفره وعمله لبنائه لانهم كن يعضن الى هيكल الشمس وكان هذا السرب مبلط الارض والحيطان والسقف بالزجاج الخمين الملقون وقيل ان اشمون كان اطول اخوته ملكا وقل اهل الاثر انه ملك ثمانمائة سنة وان قوم عاد انتزعوا منه الملك بعد ستمائة من ملكه وأقاموا تسعين سنة واستولوا على البلد فانتقلوا الى الدثينة من طريق الجازالى وادى القرى فعمروها واتخذوا بها المنازل والمصانع وساط الله عليهم الذرفاء ملكهم وعاد ملك مصر الى اشمون ويقال انه عمل على باب الاشمونين اوزة من نحاس فكان الغريب اذا جاء ليدخل المدينة صاحت الاوزة وصفت بجناحها فيعلم به فان أجوا منعوه وان أجوا تركوه وكثرت الحيات في وقته فكانوا يصيدونها ويعملون من لحومها أدوية وترياقات ثم ساقوها بسحرهم الى وادى الحيات فى جبال لوبية ومراقية فبجنوها هناك * وقال فى كتاب هرويش ان اشمون بن قبط اول الملوك المصريين وانه كان فى زمان شاروخ بن راغوب فافع ابن عابر بن شاخ بن ارغش بن سام بن نوح وان سقى الدنيا صارت الى زمان شاروخ الفين وتسعمائة وخمس سنين يكون ذلك بعد الطوفان بستمائة وثلاث وستين سنة وبها كانت فرحة الخيل والبغال والحمير وكان يعمل بها فرش القرمز الذى يشبه الارمق وكان ينزل بأرض الاشمونيين عدة بطون من بنى جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وكانوا بادية اصحاب شوكة وكان معهم بنو مسلمة بن عبد الملك بن مروان خلفاء لهم ومعهم بطن آخر يقال لهم بنو عسكر يقال ان أباهم كان مولى لعبد الملك بن مروان ويزعمون انهم من بنى امية صليبة وكان معهم أيضا خلفاء لهم بنو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ينزلون أرض دجلة عند اشمون

(ذكر مدينة الخميم)*

ضبطها البكرى بكسر الهمزة واسكان الخاء ثم ميم وباء وميم على بناء افيعيل وفى الجانب الشرقى من النيل والذي بناه مناقبوش أحد ملوك القبط الاول * قال ابن وصيف شاه كان جلدا محتكما فاستأنف العمارة وبنى القرى ونصب الاعلام وجعل الحكم ومصاحف الملوك والحكماء وعمل العجايب وبنى لنفسه مدينة انفردها وعل عليها حصنا ونصب عليه أربعة اعلام فى كل ركن من اركانها علم وبين تلك الاعلام ثمانون صنما من نحاس وأخلط فى أيديها السلاح وزبر على صدرها آياتها وكان بمنف رجل من اولاد الكهنة من اعلم الناس بالسحر وأبصرهم بأخذ التماسيح والسباع وكان يعلم الغلمان السحر فاذا حذقوا علم غيرهم فأمر الملك أن يبنى له مدينة ويحول اليها وهى الخميم فلكمهم مناقبوش نيفا وأربعين سنة ومات فدفن فى الهرم المحاذى لاطفيح ومعه شئ كثير من المال والجواهر والآنية والتماثيل وزبر عليه اسمه والوقت الذى هلك فيه قال وذكر اهل الخميم أن رجلا أتى من الشرق وكان يلزم البراء ويأتى اليه كل يوم بخور وخلوق فيخبر ويطبب صورة فى عضادة الباب فيجد تحتها ديناراً فيأخذه وينصرف ففعل ذلك مدة حتى وشى به غلام له الى عامل البلد فقبض عليه فبذل مالا وخرج عن البلد * وكانت براء الخميم من أعجب البراءى واعظمها قد بنيت لخزن برهم فأنهم قضوا على اهل مصر بالطوفان قبل وقته بقراش لكنهم اختلفوا فيه فقال بعضهم تكون نار فتحرق ما على جميع وجه الارض وقال آخرون بل يكون ماء فعملوا هذه البراءى قبل الطوفان وكان فى هذه البراءى صور الملوك الذين يملكون مصر وكانت مبنية بججر المرمر وطول كل حجر منها خمسة اذرع فى سمك ذراعين وهى سبعة دهااليزسقفها بحجارة طول الحجر منها ثمانية عشر ذراعا فى عرض خمسة اذرع مدهونة باللازورد وغيره من الاصباغ التى يحسبها الناظر كأنها فرخ الدهان منها الآن بلديتها وكان كل دهلين منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة السيارة وجدران هذه الدهااليزمنقوشة بصور مختلفة الهياآت والمقادير فيها رموز علوم القبط من الكيمياء والسمياء والطب والنجوم والهندسة وغير ذلك أودعها ثلاث الصور * وذكر ابن جبير فى رحلته أن طول هذه البراءى مائتان وعشرون ذراعا وسعتها مائة وسبعون ذراعا وأنها قائمة على أربعين سارية سوى الحيطان دور كل سارية خمسون ذراعا وبين كل ساريتين ثلاثون ذراعا ورؤسها فى نهاية العظم كلها منقوشة من اسفلها الى أعلاها ومن رأس كل سارية الى الأخرى لوح عظيم من الحجر المنحوت فيها ماذرعه ستة وخمسون ذراعا طولها فى عرض عشرة اشبار وارتفاع ثمانية اشبار وسطحها من ألواح الحجارة كأنها فرش واحد فيه التصاوير البديعة

والاضبغة الغزنية كهشة الطيور والادمين وغير ذلك في داخلها وخارجها وعرض حائط البريا ثمانية عشر شبراً من حجارة مرصوفة كذا قاسها ابن جبير في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ويقال ان ذالتون عرف منها علم الكيمياء وما زالت هذه البريا قائمة الى سنة ثمانين وسبعمائة فتخرج بها رجل من أهل اخيم يعرف بالخطيب كمال الدين بن بكر الخطيب علم الدين علي ونال منها ما لا فم تطل حياته ومات ومن حينئذ ثلاثي أمير اخيم الى أن خربت وقد ذكر جماعة أن بربا اخيم كانت في هيئة غلام أمرد عريان وأن قوما دخلوها مرة فقبضهم وأخذ يضربهم ضرباً وجيعاً حتى خرجوا هارين وحكي مثل ذلك عن دخول الأهرام أيضاً * وقد حكى أن رجلاً ألصق على صورة من بربا اخيم شمعة فكان اذا تركها في موضع التجأت العقارب اليها واذا وضع الشمعة في تابوت اجتمعت العقارب حوله ويقال انه كان في بربا اخيم شيطان قائم على رجل واحدة وله يد واحدة وقد رفعها الى الهواء وفي جبهته وحواليه كتابة وله احليل ظاهر ملتصق بالحائط وكان يذكر أن من احتال حتى يقب على ذلك الاحليل حتى يخرج من غير أن ينكسر ويعلقه على وسطه فانه لا يزال منعظاً الى أن ينزعه ويجمع ما أحب ولا يفتر مادام معلقاً عليه وان بعض من ولّى اخيم اقلعه فوجد منه شياً عجيباً من ذلك وكانت الانطاع تجلب من اخيم وبها تعمل ويقال انه كان بها اثنا عشر ألف عريف على السحرة وكان بها شجر البخ ويقال ان الذي بنى بربا اخيم اسمه دومريا وانه جعل هذه البريا مثلاً للامم الآتية بعده وكتب فيها تواريخ الامم والاجيال ومفاخرهم التي يفخرون بها وصور فيها الانبياء والحكام وكتب فيها من يأتي من الملوك الى آخر الدهر وكان بناؤه اياها والتسرب رأس الحمل والتسرب يقيم عندهم في كل برج ثلاثة آلاف سنة قات والتسرب في زمانها آخر باب برج الجدوى فيكون على ذلك لهذه البريا منذ بنيت نحو الثلاثين ألف سنة * وذكر ابو عبد الله محمد بن عبد الرحيم القيسي في كتاب تحفة الالباب أن هذه البريا مربعة من حجارة منحوتة ولها أربعة ابواب يفضى كل باب الى بيت له أربعة ابواب كلها مظلمة ويصعد منها الى بيوت كالغرف على قدرها

* (ذكر مدينة العقاب) *

قال المسعودي: مدينة العقاب غربي أهرام ابو صير بالجيزة على مسيرة خمسة ايام بلياليه للراكب المجتهد وقد عور طريقها وعى المسالك اليها والسمت الذي يؤدى نحوها وفيها عجائب البنيان والجواهر والاموال * وقال ابن وصيف شاه وكان الوايد بن دوع العمليقي قد خرج في جيش كثيف يتنقل في البلدان ويقهر ملوكها فلما صار بالشام وجه غلامه يقال له عون فسار الى مصر وقصها ثم سار فلقاه عون ودخل مصر فاستباح اهلها ثم سخط له أن يقف على مصب النيل فخرج في جيش كثيف واستخلف عوناً على مصر وأقام في غيبته أربعين سنة وان عوناً بعد سبع سنين من مسيره نجس وادعى أنه الملك وانكر أن يكون غلام الوليد وانما هو أخوه وغلب بالسحر وسبى الحرائر فقال الناس اليه ولم يدع امرأة من بنات ملوك مصر الا تكبها ولا مالا الا اخذه وقتل صاحبها وهو مع ذلك بكرم الكهنة ويعظم الهياكل فانفق انه رأى الوليد في منامه وهو يقول له من أمرك أن تنسب باسم الملك وقد علمت أنه من فعل ذلك استحق القتل وتكلمت بنات الملوك وأخذت الاموال بغير واجب ثم أمر بقدر مائت زيتاً وأجبت حتى غلت ونزع ثيابه ليلقيه فيها فأثناه عقاباً فاختطفه وحلق به في الجوق وجعله في هوة على رأس جبل فقط الى واديه حاة متنتة فاتته مرعوباً وقص ذلك على كهنته فقالوا نحن نخلصك منه بأن تعمل عقاباً وتعبده فانه الذي خلصك في نومك فقال أشهد لقد قال لي اعرف لي هذا المقام ولا تنس فعل عقاباً من ذهب وجعل عينيه جوهرتين ووشحه بالجواهر وعمل له هيكل لطيفاً وأرغى عليه ستور الحرير وأقبلوا على تبخيره وقربانه حتى نطق لهم فأقبل عون على عبادته ودعا الناس الى ذلك فأجابوه ثم أمر بجمع له كل صانع بمصر وأخرج اصحابه الى صحراء الغرب لطلب أرض سهلة حسنة الاستواء يدخل اليها من مواضع صعبة وجبال وعرة بحيث تقرب من مغيض الماء التي هي اليوم القيوم وكانت مغيضاً للماء النيل حتى اصلحها يوسف عليه السلام ليجري الماء منها الى المدينة فخرجوا وأقاموا شهراً يطوفون حتى وجدوا بغيته فلم يبق بمصر فاعلى ولا مهندس ولا أحد له بصير بالبناء وقطع الصخور ونحتها الاوجه اليها وأنفذ ألف رجل من الجيش وسبعمائة ساحر لمعوتهم وانفذ معهم الآلات والازواد على الجبل وطريق هذه الجبل الى القيوم في صحراء الغرب واخضعة من خلف الأهرام فلما تكامل له ما أراد من نحت الحجارة خطوا المدينة فرسختين في مثلها وحفروا في

الوسط بتراجعوا فيها التمثال خنزير من نحاس بأخلاط ونصبوه على قاعدة نحاس ووجهه الى الشرق وذلك بطالع بيت زحل واستقامته وسلامته وكان في شرفه وذبحوا خنزيرا ولطخوا التمثال بدمه في وجهه وبخروه بشئ من شعره وحشوا جوفه بدمه وشعره وعظامه ولحمه ومرتبه وجعلوا في اذنيه من مرارته وحرقوا بقية الخنزير وجعلوا رماده في قلة من نحاس بين يدي التمثال ونقشوه بآيات زحل ثم شقوا في البطن الجهات الاربع في شكل جهة سربا الى حيطان المدينة وعملوا على أفواهها منافس تجذب الهواء وسدوا البئر وعقدوا فيها قبة على عمد مرتفعة على حيطان المدينة وجعلوا فيها شوارع يتصل كل شارع بباب من ابواب المدينة وفصلوها بالطرقات والمنازل وجعلوا حول القبة تماثيل فرسان من نحاس بأيديها حرايا ووجوهها تتجه الى ابواب وجعلوا أساس المدينة من حجر أسود فوقه حجر أحمر عليه حجر أصفر من فوقه حجر أخضر وفوق الجميع حجر أبيض يشف وكها مبنية بالصا ص المصبوب بين الحجارة وفي قلوبها الأعمدة من حديد على بناء الأهرام وجعلوا طول حصنها ستين ذراعا في عرض عشرين وعلى رأس كل باب حصن بأعلام عقاب كبير من صفر وأخلاط قد نشر جناحيه وهو أجوف وعلى كل ركن فارس يده حربة ووجهه الى خارج المدينة وساق الماء الى الباب الشرقي ينحدر في صه الى الباب الغربي ويخرج الى صهاريج وكذلك من الباب الجنوبي الى الشمالي وقرب للعقاب عقبا ناذكورا واجتلب الرياح الى أفواه التماثيل فصارت يسمع لها اصوات هائلة ووكل كل بها ارواحا تمنع الداخل اليها الا أن يكون من اهلها ونصب العقاب الذي يتعبد له تحت القبة في وسط المدينة على قاعدة بأربعة اركان على كل ركن وجهه شيطان وجعلها على عود يديرها فكان العقاب يدور الى الجهات فيقيم في كل جهة ربع السنة فلما تم ذلك نقل الى المدينة الاموال والجواهر التي بمصر من عهد الملوك والتماثيل والحكم وثراب الفضة والعقاقير والسلاح وحول اليها كبار السحرة والكهنة وأصحاب الصنائع والتجار وقسم المسكن بينهم فلا يختلط اهل صناعة بسواهم وعمل بها ايضا الاصحاب المهن والزراعة وعقد على تلك الانهار قناطر يشي عليها الداخل الى المدينة وجعل الماء يدور حول الرض ونصب عليها أعلاما وحرسا ثم غرس وراء ذلك حمايتنصل بالبرية الخيل والكرم وجميع اصناف الشجر على اقسام مقسومة ومن وراء ذلك كله مزارع الغلات من كل جهة كل ذلك خوفا من الوليد * قال وبين هذه المدينة وبين منف ثلاثة ايام وكان يقيم فيها ويخرج اليها ثم يعود الى منف وكان لها أربعة اعياد في السنة وهي الاوقات التي يتحول العقاب فيها فلما تم لعون ذلك اطمأن قلبه الى أن وافى اليه كتاب الوليد من التوبة بأمره بمحمل الازواد ونصب الاسواق فوجه اليه في البر والبحر بما أراد وحول اهل ومن اصطفاه من بنات الملوك والكبراء الى المدينة فلما قرب الوليد خرج اليها وتحصن فيها واستخلف على منف فقدم الوليد وقد سمع ما فعله عون فغضب وهم أن يبعث اليه جيشا فعرّض ببحر المدينة ومنعتها وخبر السحرة فكاتب اليه أن يقدم عليه ويحذره عاقبة الخلف فأجابه ما على الملك منى مؤنة ولا تعرض ولا عيب في بلده لاني عبده وأنا له رده في هذا المكان من كل عدو يأتيه من الغرب ولا اقدر على المسير اليه لخوفي منه فليقرني الملك بحالي كأحد عماله وأوجه اليه ما يلزم من خراجه وهذا اياه وبعث اليه بأموال جلييلة وجوهر نفيس فكف عنه وأقام الوليد بمصر حتى مات

* (ذكر مدينة الفيوم) *

اعلم أن موضع الفيوم كان مغيض ماء النيل فلما ولي السيد يوسف الصديق عليه السلام تدبير أمور مصر عمرها قال ابن وصيف شاه ثم ملك الريان بن الواسد وهو فرعون يوسف والقيبط تسميه نيراوش جلس على سرير الملك وكان عظيم الخلق جميل الوجه عاقلا متمكنا فوقع بالجميل وأسقط عن الناس خراج ثلاث سنين وفرق المال في الخاص والعامة وملك على البلد رجلا من اهل بيته يقال له أطفين وهو الذي يسميه اهل الاثر العزيز فأمر أن ينصب له في قصر الملك سرير من فضة يجلس عليه ويغدو فيه ويروح الى باب الملك ويخرج العمال والكتاب بين يديه فكفي نيراوش ما خلف ستره وقام بجميع اموره وخلاه للذته فانغمس نيراوش في لهوه ولم ينظر في عمل ولا يظهر للناس حينما والبلد عامر وهو لا يسأل عن شئ وعمل له مجالس من زجاج ملون وحوالها ماء فيه أسماك مفرطة وبلور ملون فكان اذا وقعت عليه الشمس ظهر له شعاع عجيب وعملت له عدة منزهات على عذو ايام السنة فكان كل يوم في موضع منها وعمل له في كل موضع من الآنية والفرش ما ليس لغيره فانصل بملوك

النواحي تشاغله بلذته وتدبيراً طفيماً فصار ملك من العماليق يقال له ابوقابوس عاكربن ينحوم الى مصر ونزل على حدودها فجهز اليه العزيز جيشاً عليه قائد يقال له بريانس فأقام بحاربه ثلاث سنين فظفريه العمليقي وقتله وهدم الاعلام واصانع وقوى طمعه في البلد فاجتمع الناس الى قصر الملك واستغاثوا بخرج اليهم وعرض جيوشه وخرج في ستمائة ألف مقاتل سوى الاتباع فالتقوا من وراء الحوف وكان بينهما قتال شديد فانهزم المسلمي وتبعه نهراوش الى حد الشام وقتل خلقاً من اصحابه وأفسد زروعهم وأتجبارهم وحرقت وصاب ونصب أعلاماً على الأماكن التي وصلها وزبر عليها الى لمن تجاوز هذا المكان بالمرصاد وقيل انه بلغ الموصل وضرب على اهل الشام خراجاً وبني عند العريش مدينة لطيفة وشيخها بالرجال ورجع الى مصر فشد من جميع الاعمال جنوداً واستعد لغزو ذلك الغرب وخرج في سبع مائة ألف فتر بأرض البربر واجلى كثيراً منهم وجهازاً قائداً في السفن من ناحية رقودة الى جزائر بني يافث فعاث فيها وخرج من ناحية أرض البربر فقتل وصالح بعضهم على مال حاوله اليه ومضى الى افريقية وقرطاجنة فصالحوه على مال ومز حتى بلغ مصب البحر الاخضر الى بحر الروم وهو وضع اصنام النحاس فأقام هناك صنماً زبر عليه اسمه وتاريخ خروجه وضرب على اهل تلك النواحي الخراج وعدى الى الارض الكبيرة وسار الى الاندلس فخاربه ملكها اياماً ثم صالحه على مال وأن يمنع من يغزو مصر من ناحيته وانصرف على غير البحر مشرفاً في بلاد البربر فلم يتر بأمة الاودخلت في طاعته ومتر في الجنوب فقتل خلقاً وبعث قائداً الى مدينة على البحر الاسود فخرج اليه ملكها وذكرك له حال الريان ومصالحة الملوكة فقال ما بلغنا أحد قط وسأله القائد عن البحر هل ركب احد قط فقال ما يدرك احد على ركوبه وربما اظله غمام فلا يرى اياماً وقدام الريان فحملوا الهدايا اليه وفاكهة اكثرها الموز وجبارة سوداء اذا جعلت في الماء صارت بيضاء ثم سار الملك على امم السودان الى ملكة الدمدم الذين ياكلون الناس فخرجوا اليه عراة فهزمهم وظفريهم ومتر على البحر المظلم فغشيهم منه غمام فترجع شمالاً حتى انتهى الى شمال من حجر أهر يوحى بيده ارجعوا وعلى صدره مزبور ما وراءى أحد فسار الى مدينة النحاس فلم يصل اليها ومضى الى الوادي المظلم فكانوا يسمعون منه جلبة عظيمة ولا يرون أحد الشدة ظلمته وسار الى وادي الرمل فرأى على معبره أصناماً عليها اسماء الملوكة فأقام عليه صنماً زبر عليه اسمه فلما أثبت الرمل جاز عليه الى الخراب المتصل بالبحر الاسود فرأى سباعاً يزرب بعضها على بعض فحكم أنه لا مذهب له من ورائها فرجع وعدى وادى الرمل ومتر بأرض العقارب فهلك بعض اصحابه ودفعوا عن انفسهم اذا هابوا الى وجازها الى مدينة الحكماء وتعرف بمدينة الكند فقرر وامنه الى جبل فأقام عليه اياماً حتى كاد يهلك جيشه عطشاً فقتل اليه من الجبل رجل من أفاضل الحكماء وقديس شعره جسده فقال للملك اين تريد أيها المغرور الممدود له في الاجل المرزوق فوق الكفاية أنعت نفسك وجيشك ألا اجتربت بما تملكه واتكلت على خالقك وربحت الراحة وتركت العناية والغرر بهذا الخلق فمجب من قوله وسأله عن الماء فدل عليه وسأله عن موضعهم فقال موضع لا يصل اليه أحد ولا يبلغه قبلك أحد فقال ما عيشك قال من اصول النباث تنفع به ويكفيها البشير قال فن اين تشربون قال من الامطار والتلوج قال فلم هربتم منا قال زهادتي في محالطتكم والافليس لنا ما نخافكم عليه قال فكيف بكم اذا حجب الشمس قال نأوى الى غدران تحت هذا الجبل قال فهل لكم في مال اخلفه لكم قال انما يريد المال اهل الترف ونحن لانستعمل منه شيئاً استغنيا عنه بما قد اكتفينا به وعندنا منه ما لورأيت لا تحترق ما عندك قال فأرنيه فانطلق بنفر من اصحابه الى أرض في سفح جبلهم فيها قضبان ذهب ناتئة وأراهم وادياهم في حافتيه جبارة زبرجد وفيروز فأمر نهراوش اصحابه أن يحملوا من كبار تلك الجبارة فحملوا ورأى الحكيم جماعة الملك يصلون الى صنم يحملونه معهم فسأل الملك أن لا يقيم بأرضهم وخوفه من عبادة الاصنام فودعه وسار فلم يتر بأمة الاثر فيها حتى بلغ النوبة فصالحهم على مال وأقام على دقله صنماً وزبر عليه اسمه ومسيرة وسار يريد مدينة منف فكان اهل كل مدينة من مدائن مصر يتلقونه بالفرح والسرور والياحين والطيب الى أن بلغ منف فخرج اهلها اليه مع العزيز بأصناف الزياحين والطيب وكان العزيز قد بنى له مجلساً من زجاج ملون وفرشه بأحسن فرش وغرس حوله الاشجار والياحين وجعل فيه بحيرة من زجاج سماوى وفي أرضه شبه السمك من زجاج أبيض قتل الملك فيه وأقام الناس ياكلون ويشربون اياماً كثيرة وتفقد جيشه فقصد منهم سبعين ألفاً وجد فيهم عن اسرهم نيفا وخمسين ألفاً فكانت

مدة غيبته عن مصر في مسيره هذا احدى عشرة سنة فلما بلغ الملوک قدومه هابوه واشتد بأسه وتجربوني في
الجانب الشرقى قصوراً من رخام ونصب عليها أعلاماً وأمر بالعمارة واصلاح الجسور واستنباط الاراضى
حتى زاد الخراج على مائة ألف ألف دينار ودخل الى البلد في أيامه غلام من اهل الشام احتال عليه اخوته
وباعوه وكانت قوافل الشام تغترس بناحية الموقف اليوم فوقف الغلام ونودى عليه وهو * يوسف العتيق
ابن يعقوب بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم وسلامه فاشتراه اطفين ليديه الى الملك فلما أتى به قصره
رأته امرأته زليخا وهي ابنة عمه فقالت اترك لنا نريه لينفعنا وكان من أمرها ما قصه الله تعالى في القرءان فكانت
تكنم حبه حتى غلبت غلبته وتزيف له وعرفته أنها تحبه وأنه ان واناها على ما تريده منه حبيته بال عظيم فامتنع
من ذلك ورأت أن تغلبه فحازلت تعاركة وهو تمتنع منها الى أن وافي زوجها ورءاه وهو هارب منها وكان العزيز
عينا لا يأتى النساء فجعل يوسف يعتذر اليه وقالت انى كنت نائمة فأنا فى يرادنى عن نفسى وتبين من شاهد
أهلها أن الامر من قبل امرأته فقال ليوسف أعرض عن هذا اى عن اعتذارك وقال لها استغفري لذنبك
وقد كان خبراً طفيقاً والغلام بلغ الملك وكان نهر اوش عاود العكوف على اللهو والاحتجاب عن الناس واتصل
خبر زليخا ويوسف بنساء الخاصة فغيرن ما بذلك فدخلت جماعة منهن وصنعت لهن طعاما وشربا وعملت مجلسين
مذهبين وفرشتهما بدياج أصفر مذهب وأرخت عليه استورا الدياج وأمرت المواسط بتزيين يوسف واخراج
من المجلس الذى يحاذى المجلس الذى كانت مع النسوة فيه وكان المجلس محاذيا للشمس فأخذته المواسط
ونظمن شعره بأصناف الجواهر وألبسنه ثوب ديباج أصفر قد نسج يدارات حر مذهب فيهما اطيار صغار
خضر مبطن ببطانة خضراء ومن تحته غلالة حمراء وعلى رأسه تاج قد نظم بالدر والجوهر وأخرجن من تحت
التاج أطراف شعره على جبهته ورددن ذوائبه على صدره وجعلن جبهته مكشوفة والتاج محيط بها وفى
اذنيه قرطى جوهر ومن خلف طوق القباء شعر مسبل بين كتفيه منظوم مشبك بالذهب والجوهر وفى عنقه
طوق منظوم بذهب مشدّد بجوهر أحمر ودرّ فاخر وفى وسطه منطقة ذهب فيها لوالب جوهر ملون ولها
معاليق منظومة وألبسنه خفين أبيضين منقوشين بأخضر على نقوش ذهب وجعلن للقباء الذى عليه وشاحين
وافرار محيط بأسفله وكبسه من جوهر أخضر وعقرين صدغيه على خديه وكلن عينييه ودفعن اليه مذبة
شعرها أخضر فلما فرغ النساء من طعامهن وشربن أقدا حاقدت اليهن سكاكين قبضن من جوهر ليقطعن بها
الفاكهة فيقال انهن اخذن اترجاوهن يقطعنه اذ قالت لهن قد بلغنى حديثكن فى امرى مع عبدى فقلن لها
الامر كما بلغك لك اعلى قدرا من هذا ومثلك يرتفع عن اولاد الملوک الحسنك وشرفك فكيف ترضين بغلامك
فقال لم يأتكن الصدق ولا هو عندي بهذا وأومات الى المواسط أن يخرجن يوسف فرفعن الستور عن
المجلس الذى يحاذى مجلسها وبرز منه يوسف محاذيا بوجهه الشمس فأشرق المجلس وما فيه من وجه يوسف
وأقبل بالمذبة وهن يرمقنه فوقف على رأس زليخا يذب عنها فاشتغل النساء برؤيته وجعلن يقطعن ايديهن موضع
الفاكهة التى كانت معهن ولا يعين الكلام ذهولا منهن بما رأين من حسن يوسف فقالت لهن زليخا ما لكن
قد اشتغلتن عن خطابى بالنظر الى عبدى فقلن معاذ الله ما هذا عبدك ان هذا الاملك كريم ولم يبق منهن امرأة
الاحاضت وأزلت شهوة من محبته فقالت زليخا عند ذلك فهذا الذى لمتنى فيه فقلن ما ينبغي لاحد أن يلومك
فى هذا ومن لامك فقد ظلمك فدونكه قالت قد فعلت فأبى على تخاطبته لى فكانت كل واحدة منهن تخاطبه
وتدعوه سرا الى نفسها وتبتذل له وهو تمتنع عنها فاذا ينست منه أن يجيبها لنفسها خاطبته من جهة زليخا
وقالت مولاتك تحبك وأنت تكثرها ما ينبغي أن تخالفها فقال ما لى بذلك حاجة فلما رأين ذلك اجعلن على
أخذه غضبا فقالت زليخا لا يجوز هذا لكنه ان لم يفعل لا منعنه اللذات ولا يجنبه وأتزع جميع ما اعطيته
فقال يوسف رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه فأقسمت باللهها وكان صخما من زبرجد أخضر باسم عطارد
انه ان لم يفعل لتجعلن له ذلك ثم أمرت بتزع ما به وألبسته الصوف وسألت العزيز حبسه ليزول ما قد فها به فأمر
به فحبس ورأى الملك فى منامه كان آتيا أناه فقال له ان فلانا وفلانا قد عزم على قتلك يريد صاحبى طعامه
وشرا به فلما أصبح قررهما فاعترفاه وقيل اعترف أحدهما وانكر الآخر فأمر بحبسهما وكان اسم صاحب
الطعام راسان واسم صاحب الشراب مرطس وكان يوسف عليه السلام وهو فى السجن رؤفا بمن فيه ويعدهم

الفرج فأخبره صاحب طعام الملك وشرا به برؤياهما التي قصها الله في كتابه فوقع كما قصه يوسف ورأى الملك
البقرات والسنابل فعترفه الساقى خبر يوسف ففضى اليه وقصها عليه فلما عاد الى الملك قال جئوني به فقال
يوسف ما أخرج اويكشف أمر النسوة اللاتي من اجلهن حبست فكشف عن ذلك فاعترفت زليخا بالقصة
ووجه اليه فأخرج وغسل من درن السجن وألبس ما يليق بالدخول على الملوك فلما رآه امتلأ قلبه من حبه
واكباره وسأله عن الرؤيا ففسرها كما قال الله تعالى فقال الملك ومن يقوم لي بذلك قال اتأخلف عليه خلع
الملوك وألبسه تاجا وأمر أن يطاف به وركب الخيول معه وتردد الى قصر الملك وجلس على سرير العزيز واستخلفه
الملك على ملكه مكانه * ويقال ان العزيز اطفق كان قد مات فزوجه امرأته وقال لها يوسف هذا اصلي مما أردت
فقلت اعذرني ان زوجي كان غنيا ولم تترك امرأته الا صبا فلما البت من حسنك وجاءت سنو خصب في مصر
فجمع يوسف الغلال وخزنها واكثر منها فلما جاءت سنو الجذب بدأ النيل في نقصان وكان ينقص كل سنة اكثر
من التي قبلها فقطع البلد حتى بيع القمح بالمال والجوهر والدواب والنبات والاشياء والعقار وكاد أهل مصر
يرحلون عنها لولا تدبير يوسف وخط الشام أيضا وكان من مجيئ اخوة يوسف ما قصه الله تعالى ووجه الى أبيه
فحمل الى مصر وجميع اهله وخرج في وجوه أهل مصر قلقاء وأدخله على الملك وكان يعقوب مهابا فأعظمه
الملك وسأله عن سنه وصناعته وعبادته فقال سني عشرون ومائة سنة وأما صناعتي فلنا غنم ترعى فننفع بها
وأعبد رب العالمين الذي خلقك وخلقني وهو اله آبائي والهك واله كل شيء وكان في مجلس الملك كاهن جليل
القدر فقال للملك اني اخاف أن يكون خراب مصر على يدي وولد هذا فقال له الملك فأني لانا خبره فقال الكاهن
ليعقوب أرى الهك ايها الشيخ قال الهى اعظم من أن يرى قال فانا نرى آلهتنا قال ان آلهتكم من ذهب وفضة
وحجارة وجوهر ومحاسن وخشب مما يعمل بنو آدم وهم عبيد الهى لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الكاهن
ان كل شيء لا تراه العيون ليس بشيء فغضب يعقوب وكذبه وقال ان الله شيء لا كالاشياء وهو خالق كل شيء
لا اله الا هو قال فصفا لنا قال انما يوسف الخلق لكنه خالق واحد قديم مدبر أزلي يرى ولا يرى وقام يعقوب
مغضبا فأجلسه الملك وأمر الكاهن فكف عنه فقال الكاهن اتأخلف في كتبنا أن خراب مصر يجرى على
أيدي هؤلاء فقال الملك هذا يكون في ايماننا قال لا ولا الى مدة كثيرة والصواب أن يقتله الملك ولا يبقى من ذريته
أحد فقال الملك ان كان الامر كما تقول فلا يمكننا أن ندفعه ولا نقدر على قتل هؤلاء وأنزل يعقوب ومن معه
بوادى السدير الى أن مات فحمل الى قرية ابراهيم عليه السلام ودفن عنده ويقال ان نهر اوش الملك آمن وكنتم
ايمانهم خوفا من فساد أمره وأقام ملكا مائة وعشرين سنة وفي وقته عمل يوسف الضيوم فان أهل مصر كانوا
وشوا به الى الملك وقالوا قد كبر ونقص نفقه فاخبره فقال له اني وهبت هذه الناحية لابنتي وكانت مغايبا لاهاء
فدبرها لها فاهلها يوسف واحتال لامياه حتى اخرجها وقلع اوصالها وواسق المنهى وبني اللاهون وجعل الماء
فيها مقسوما موزونا وفرغ منها في شهر أربعة فحجبوا من حكمته * ويقال انه أول من هندس بمصر ومات
نهر اوش خلف أبيه درججوش وسمته اهل الاندرا من الريان وهو الفرعون الرابع عندهم ثمان مائة سنة آية
وكان يوسف خليفة قبله منه بعضا وخالفه في البعض فمات يوسف في ايامه وله مائة وعشرون سنة فكفن وجعل
في تابوت من رخام ودفن في الجانب الغربي فأخصب ونقص الشرق فيقول اليه فأخصب ونقص الغربى
فاتفقوا على أن يجعلوه في الشرق عاما وفي الغربى عاما ثم حدث لهم من الرأى أن يجعلوا له حلقا وثنا فويشدوا
التابوت في وسط النيل فأخصب الجانبان كلاهما * وقال ابن عبد الحكم فلكهم الريان بن الوليد بن دوع
وهو صاحب يوسف النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى الملك رؤياه التي رأى وعبرها يوسف أرسل اليه الملك
فأخرجه من السجن قال ابن عباس رضي الله عنهما فأتاه الرسول فقال ألقى عنك ثياب السجن والبس ثيابا
جدا ووقم الى الملك فدعاه اهل السجن وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة فلما أتاه رأى غلاما حدثا فقال أيعلم هذا
رؤياي ولا تعلمها السحرة والكهنة وأقعدته قدامه وقال له لا تحق قال فلما استنطقه وسأله عظم في عينيه
وجعل اليه امره فدفع اليه خاتمه وولاه ما خلف يابه وألبسه طوقا من ذهب وثياب حرير وأعطاه دابة مسرجة
مزينة كدابة الملك وضرب بالطبل بمصر ان يوسف خليفة الملك * وعن عكرمة أن فرعون قال ليوسف
قد سلطنتك على مصر غير أني أريد أن أجعل كرسي أطول من كرسيك بأربع اصابع قال يوسف نعم وأجلسه

على السرير ودخل الملك بيته مع نسائه وقوض امر مصر كلها اليه فبسبب عبارة رؤيا الملك ملك يوسف مصر
 * وعن اليبس بن سعد قال حدثني مشيخة لنا قالوا اشتد الجوع على اهل مصر فاشترىوا الطعام بالذهب حتى
 لم يجدوا ذهباً فاشترىوا بالفضة حتى لم يجدوا فضة فاشترىوا باغنامهم حتى لم يجدوا غنماً فلم يبق لهم شيء
 لم يبق لهم فضة ولا ذهب ولا شاة ولا بقرة في تلك السنة فأتوه في الثالثة فقالوا لم يبق لنا الا انفسنا وأهلنا
 وأرضنا فاشترى يوسف ارضهم كلها فرعون ثم أعطاهم يوسف طعاماً ما يرعون به على أن فرعون والحسن ويقال
 في خبرنا يوسف عليه السلام مدينة القيوم أنه لما وازر فرعون ثلاثين سنة عزله فقال لم عزلتني فقال لم عزلك
 لريسة ولا انسى بركتك ولكن أباعى عهد والى أن لا يتولى لنا وزيراً أكثر من ثلاثين سنة وأنا نخشى أن يتأصل
 الوزير حتى يدبر على الملك فقال له يوسف قد علمت لصحى لك حتى صيرت ديار مصر كلها ملكاً لك فأقطعنى ارضاً
 تكون لقوتى وقوت اهل وعشيرتى فقال له فرعون اختر حيث شئت فنى يوسف فى قفار الارض حتى رأى
 رضى القيوم وفيها جبل حائل بين النيل وبينها فوزن ماء النيل حتى رأى أن قاعها يركب النيل فخرق خرقة في ذلك
 الجبل وساق الماء فيه الى القيوم فسقى الارض وعمل في جوانب الماء ثلثمائة وستين قرية على عدد ايام السنة
 وشعبها بالفلل والاقوات التي ازرعها فكان اذا نقص النيل ووقع الجوع بأرض مصر باع كل يوم ما جمعه في
 قرية من قرى القيوم حتى ملك مصر لنفسه كما جمعه الملك فعظم شأن يوسف وكثر ماله فرداه الملك بعدمدة الى
 وزارته وتوفى وهو وزير فأوصى بمخروج جسده الى الارض المقدسة فخرج بها هارون بن افرام بن يوسف في
 مائة ألف من بنى اسرائيل فحضرته الجسابة فيما بين مصر والشام وهلك اكثر من معه وعاد بن بنى مصر الى مصر
 فأقاموا بها حتى بعث الله موسى بن عمران عليه السلام الى فرعون رسولاً فخرج بنى اسرائيل من مصر ومعه
 جسده يوسف عليه السلام وفي ذلك الزمان استتبعت القيوم وقيل كان سبب ذلك أن يوسف عليه السلام لما ملك
 مصر وعظمت منزلته من فرعون وجاوز سنة مائة سنة قال وزراء الملك له ان يوسف قل علمه وتغير عقله وفقدت
 حكمته فغضبهم فرعون ورد عليهم مقالهم وأساء اللفظ لهم فكفوا ثم عاودوه بذلك القول بعد سنين فقال لهم
 هلموا ما شئتم من اى شئ أختبر به وكان بلد القيوم يومئذ يدعى الجوبة وانما كانت لمصالحه ماء المعيد وفضوله
 فاجتمع رأيهم على أن تكون هى المحنة التي يمتحنون بها يوسف فقالوا فرعون سل يوسف أن يصرف ماء الجوبة
 عنها ويخرج منها قتر دابلاً الى بلدك وخرجا الى خراجك فدعا يوسف فقال تعلم مكان ابنتى فلانة متى وقدر أيت
 اذا بلغت أن أطلب لها ابلاً وانى لم اصب لها الا الجوبة وذلك انه بلد بعيد قريب لا يرى بوجه من الوجوه الا من
 غاية او صحراء وكذلك ليست هى توفى من ناحية من النواحي من مصر الا من مفازة وصحراء فالقيوم وسط
 مصر كمثل مصر فى وسط البلاد لان مصر لا توفى من ناحية من النواحي الا من صحراء أو مفازة قال وقد اقطعتم
 اياها فلا تترك وجها ولا نظراً الا بلغته فقال يوسف نعم ايها الملك متى أردت ذلك فابعث الى فانى ان شاء
 الله فاعل ذلك قال ان احبه الى وأرفعه اجعله فأوحى الى يوسف أن تحفر ثلاثة خلج خليجا من اعلى الصعيد من
 موضع كذا الى موضع كذا وخليجا شرقيا من موضع كذا الى موضع كذا وخليجا غربيا من موضع كذا الى
 موضع كذا فوضع يوسف العمال فحفر خليج المنهى من أعلى اشمون الى اللاهون وأمر البنائين أن يحفروا
 اللاهون وحفر خليج القيوم وهو الخليج الشرقى وحفر خليج بقرية يقال لها بنهمت من قرى القيوم وهو
 الخليج الغربى فخرج ماؤها من الخليج الشرقى فصب في النيل وخرج من الخليج الغربى فصب في صحراء بنهمت
 الى الغرب فلم يبق في الجوبة ماء ثم أدخلها الفعلة فقطع ما كان فيا من القصب والطرفاء وأخرج منها وكان ذلك
 ابتداء جرى النيل وقد صارت ارض الجوبة تقيية بيرة وارتفع ماء النيل فدخل في رأس المنهى فخرى فيه حتى
 انتهى الى اللاهون فقطعه الى القيوم فدخل خليجها فسقاها فصارت بلجة من النيل وخرج اليها الملك ووزراؤه
 وكان هذا كله في سبعين يوماً فلما نظر اليها الملك قال لوزرائه أوثلك هذا عمل الف يوم فسميت القيوم وأقامت
 تزرع كما تزرع غواط مصر قال وقد سمعت فى استخراج القيوم غير هذا أن يوسف عليه السلام ملك مصر وهو
 ابن ثلاثين فأقام يدبرها أربعين سنة فقال اهل مصر قد كبر يوسف واختلف رأيه فعزلوه وقالوا اختر لنفسك
 من الموات أرضاً تقطعها لنفسك وتصلحها وتعمل رأيك فيها فان رأيتنا من رأيك وحسن تدبيرك ما نعلم انك فى
 زيادة من عقلك رددناك الى ملكك فاعترض البرية فى نواحي مصر فاختر موضع القيوم فأعطاها فشق اليها الخليج

المنهى من النيل حتى ادخله القيوم كلها وفرغ من حفر ذلك كله في سنة * قال يزيد بن ابي حبيب وبلغنا انه انما عمل ذلك بالوحى وقوى على ذلك بكثرة القعلة والاعوان فنظروا فاذا الذى احياه يوسف من القيوم لا يعلمون له بمصر كلها مثلاً ولا نظيراً فقالوا ما كان يوسف قط افضل عقلاً ولا رأياً ولا تدبيراً منه اليوم فردوا اليه الملك فأقام سنتين سنة اخرى تمام مائة سنة حتى مات وهو ابن ثلاثين ومائة سنة قال ثم بلغ يوسف قول وزراء الملك وانه انما كان ذلك على المحنة منهم له فقال للملك عندي من الحكمة والتدبير غير ما رأيت فقال له الملك وماذا قال أنزل القيوم من كل كورة من كورة مصر أهل بيت وأمر أهل كل بيت أن يذبحوا لانفسهم قرية وكانت قري القيوم على عدد كورة مصر فاذا فرغوا من بناء قراهم صيرت لكل قرية من الماء بقدر ما اصير لها من الارض لا يكون في ذلك زيادة ولا نقص وأصير لكل قرية شرباً في زمان لا يتألمهم الماء الا فيه واصيرهم طائفاً لا يرتفع ومنفعاً لا يطأطأ بأوقات من الساعات في الليل والنهار واصير لها قبضات فلا يقصر باحد دون حقه ولا يزداد فوق قدره فقال له فرعون هذا من ملكوت السماء قال نعم فبدأ يوسف فأمر بينان القري وحدد لها حدوداً وكانت اول قرية عمرت بالقيوم قرية يقال لها سانه وهى القرية التى كانت تنزلها بنت فرعون ثم أمر بحفر الخليل وبينان القناطر فلما فرغوا من ذلك استقبل وزن الارض ووزن الماء ومن يومئذ حدثت الهندسة ولم يكن الناس يعرفونها قبل ذلك وكان اول من قام النيل بمصر يوسف ووضع مقياساً بنصف * قال جامع وفي التوراة ان فرعون أزم بنى اسرائيل البناء وضرب اللبن فبنوا له عدة مدن محصنة منها فيثوم وعرمسيس قال الشارح هى القيوم وخوف رمسيس وفي زمان الريان بن الوليد دخل يعقوب عليه السلام وولده مصر وهم ثلاثة وسبعون نفساً ما بين رجل وامرأة فأنزلهم يوسف ما بين عين شمس الى القراموهى أرض ريفية برية وكان يعقوب لما دنا من مصر أرسل يهودا الى يوسف فخرج اليه يوسف فلقبه فالتزمه وبكى فلما دخل يعقوب على فرعون كله وكان يعقوب شيخاً كبيراً حليماً حسن الوجه واللحية جهير الصوت فقال له فرعون ايها الشيخ كم اتى عليك قال عشرون ومائة وكان بهم من ساحر فرعون قد وصف صفة يعقوب ويوسف وموسى صلوات الله عليهم في كتبه واخبر أن خراب مصر وهلاك اهلها يكون على ايديهم ووضع البرايات وصفات من تخرب مصر على يديه فلما رأى يعقوب قام الى مجلسه فكان اول ما سأله عنه أن قال من تعبد أيها الشيخ قال له يعقوب اعبد الله اله كل شيء فقال فكيف تعبد من لا ترى قال يعقوب انه أعظم وأجل من أن يراه أحد قال فكن نرى آلهتنا قال يعقوب ان آلهتكم من عمل ايدي بنى آدم من يموت ويلى وان الهى لا عظم وارفع وهو أقرب اليانا من جبل الوريد فنظر بهم الى فرعون فقال هذا الذى يكون هلاك بلادنا على يديه قال فرعون أفى ايامنا او فى ايام غيرنا قال ليس فى ايامك ولا ايام بنيك قال الملك فهل تجد هذا فيما قضى به الهكم قال نعم قال فكيف تقدر ان تقبل من يريد الهه هلاك قومه على يديه فلا يعبأ بهذا الكلام * وعن كعب أن يعقوب عاش فى ارض مصر ست عشرة سنة فلما حضرته الوفاة قال ليوسف لا تدفننى بمصر فاذا مت فاحملونى فادفنونى فى مغارة جبل جبرون وجبرون مسجد ابراهيم الخليل عليه السلام وبينه وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلاً قال فلما مات لطفوه بمز وصبر وجهه لوجه فى تابوت من ساج فكفوا بفعالون به ذلك اربعين يوماً حتى كمل يوسف فرعون فأعلمه أن آباء قدمات وانه سأله أن يقبره فى ارض كنعان فأذن له وخرج معه أشرف اهل مصر حتى دفنه وانصرف وقيل قبر يعقوب بمصر فأقام بها نحو من ثلاث سنين ثم حمل الى بيت المقدس وأوصاهم بذلك عند موته قال ثم مات الريان بن الوليد فلكهم من بعده ابنه دارم بن الريان وفي زمانه توفى يوسف عليه السلام فلما حضرته الوفاة قال أنكم ستخرجون من ارض مصر الى ارض آبائكم فاحملوا عظامي معكم فبات لجمعوه فى تابوت ودفنوه فى احد جانبي النيل فأخصب الجانب الذى كان فيه وأجذب الجانب الآخر فحولوه الى الجانب الآخر فأخصب الجانب الذى حولوه اليه وأجذب الآخر فلما رأوا ذلك جمعوا عظامه فجعلوها فى صندوق من حديد وجعلوا فيه سلسلة وأقاموا عموداً على شاطئ النيل وجعلوا فى احدى السكة من حديد وجعلوا السلسلة فى السكة وألقوا الصندوق فى وسط النيل فأخصب الجانبان جميعاً * وكان سبب حمل عظام يوسف من مصر الى الشام أن سارة ابنة أسر بن يعقوب عمرت حتى صارت عجوزاً كبيرة ذاهبة البصر فلما سرى موسى عليه السلام بينى اسرائيل غشيتهم ضباباً حالت منهم وبين الطريق أن يصبروه وقيل لموسى ان تعبد الا ومعك عظام يوسف قال ومن يدري أين

موضعها قالوا عجوز كبيرة ذاهبة البصر تركناها في الديار فرجع موسى فلما سمعت حسه قالت ما رذلك قال
أمرت أن أحمل عظام يوسف قالت ما كنتم لتعبروا الا وأنا معكم قال دليبي على عظام يوسف فدلته عليها فأخذ
عظام يوسف معه الى التيه * (يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم) * خليل الرحمن صلوات الله عليهم أحد
الاسباط الاثني عشر ولد بأرض كنعان من بلاد الشام وراى الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين
وعمره سبع عشرة سنة وكاد اخوته على ذلك وباعوه من قوم مدينين فساروا به الى مصر وباعوه لقائد فرعون
فأقام في منزله اثني عشر شهرا ثم راودته امرأة العزيز عن نفسه فاعتصم وكذبت عليه الى أن حبس ومكث في
السجن عشر سنين وقيل غير ذلك فلم يزل في السجن الى أن رأى الساقى والخباز ذينك المنامين وفسر لهما يوسف
وخرجا فأنسى الساقى يوسف سنتين الى أن رأى الملك البقر والسنابل فذكره وأناه فقص عليه الرؤيا
وعبرها فأخرج من السجن وله حينئذ ثلاثون سنة فاستوزره الملك ومن ذلك الوقت الى أن صار يعقوب الى
مصر تسع سنين منها سبع سنين من سنى الشبع وستين من سنى الجوع وكان ليعقوب في السنة التي
صار فيها الى مصر مائة سنة وثلاثون سنة وكان اهل بيته حينئذ سبعين نفسا ومنذ سار الى مصر الى أن ولد
موسى عليه السلام مائة وثلاثون سنة اخرى فلما مضى له بمصر سبع عشرة سنة توفي وعمره مائة وسبع
وأربعون سنة فخاف الاسباط حينئذ مقابله يوسف اياهم فقالوا ان أبالك اوصى أن نعف ذنب اخوتك فانك
وهم عبيد الله اله أيل فبكى يوسف وقال لهم لا تتحاجون الى ذلك وواعدهم بخير ثم مات يوسف وله مائة
سنة وعشر سنين والله أعلم

* (ذكر ما قيل في القيوم وخلقها واضياعها) *

قال يعقوبى كان يقال في متقدم الايام مصر والقيوم بطلالة القيوم وكثرة عمارتها وبها القمح الموصوف
وبها يعمل الخيش * - وكى المسعودى أن معنى القيوم ألف يوم * قال القضاعى القيوم وهي مدينة دبرها
يوسف النبي عليه السلام بالوحى وكانت ثلثمائة وستين ضبعة تدير كل ضبعة منها مصر يوم واحد فكانت تدير
مصر السنة وكانت تروى من اثني عشر ذراعا ولا يستجر ما زاد على ذلك فان يوسف عليه السلام اتخذ لهم
بحري ورتبه ليدوم لهم دخول الماء فيه وقومه بالحجارة المنصدة وبني به اللاهون * وقال ابن رضوان القيوم
يخزن فيه ماء النيل ويزرع عليه مرات في السنة حتى انك ترى هذا الماء اذا خلى يغير لون النيل وطعمه واكثر
ما تحسن هذه الحالة في البحيرة التي تكون في أيام القيظ سفت ونها وصاعدا الى ما يلي القيوم وهذه حالة تزيد في
رداءة اهل المدينة يعنى مصر ولا سيما اذا هبت ريح الجنوب فان القيوم في جنوب مدينة مصر على مسافة
بعيدة من أرضها وقال القاضى السعيد ابو الحسن على بن القاضى المؤتمن شبة الدولة ابى عمرو عثمان بن
يوسف القرشى الخزومى في كتاب المناهج في علم الخراج وهذه الاعمال من أحسن الاشياء تدبيرا وأوسعها
أرضا وأجودها قطرا وانما غلب على بعضها الخراب لخلوها من أهلها واستيلاء الرمل على كثير من أرضها
وقد وقعت على دستور عمه ابواصحاق ابراهيم بن جعفر بن الحسن بن اسحاق لذكر خيلان الاعمال المدثورة
وما عليها من الضياع وقد أوردته ههنا وان كان منه ما قد دثر ومنه ما تغيرت اسماءه ومنه ما جهلت مواضعه
بالدور ولكن أوردته ليعلم منه حال العاصر الآن ويستقصى به من له رغبة في عمارة ما يقع ذر عليه من الغمام
وفي ايراده مصلحة ليعلم شرب كل موضع ونسخته * (دستور) * على ما اوضحه الكشف من حال الخليج
الامهات بمدينة القيوم وما لها من المواضع وشرب كل ضبعة منها ورسومها في السد والفتح والتعديل والتحرير
وزمان ذلك عمل في جمادى الآخرة سنة اثنين وعشرين وأربعمائة بتدبى بعون الله وحسن توفيقه يذكر
حال البحر الاعظم الذى منه هذه الخليج فذكر ما ذكره الى صلاحه بصلاحها * (خليج القيوم الاعظم) * يصل
الماء الى هذا الخليج من البحر الصغير المعروف بالتهنى ذى الحجر اليوسفى وفوقه هذا البحر عند الجبل المعروف
بكبرى الساحرة من أعمال الاشمونين ومنه شرب بعض الضياع الاشمونية والقيسية والاهناسية وعلى
جانبه ضياع كثيرة شربها منه وشرب كروم ما له كروم منها قال * (الحجر اليوسفى) * والحجر اليوسفى
جد ارضى بالطوب والجير المعروف عند المتقدمين بالصاروج وهو الجير والزيت وبنائه من جهة الشمال الى
الجنوب ويتصل من نهايته من الجنوب بجدار بناؤه مثل بنائه على استقامة من الغرب الى الشرق ويحصره

ميلان منه في نهايته وطوله ما تذازع بذراع العمل ويتصل بهذا الجدار على طول ثمانين ذراعاً منه من جهة الغرب نهاية الجدار الأعظم من الجنوب وفائدة بناء الجدار الأعظم رد الماء إذا انتهى إلى حد ودائقي عشرة ذراعاً إلى مدينة الفيوم وطول ما يتصل منه الجدار الذي من جهة الغرب إلى الشرق ثم يتصل بالميل ثم ينخفض من حدود هذا الميل إلى ميل مثله يقابله من جهة الشمال خسون ذراعاً وبعد ما بين هذين الميلين وهو المنخفض مائة ذراعاً وعشرة أذرع ومقدار المنخفض منه أربعة أذرع وهذا المنخفض هو الذي يستبحر من حشيش يسمى لبشاً وعرض ما يجري عليه الماء وهو موضع اللبش وما قابله إلى جهة الشرق أربعون ذراعاً وعليه مسك اللبش الثاني ويتصل بهذا الميل إلى جهة الشمال ما طوله ثلثمائة واثنتان وسبعون ذراعاً ثم يتصل به على نهاية هذا الطول جدار يتر على استقامته إلى البحر مبنى بالخرطولة على استقامته إلى جهة الشرق مائة ذراعاً ثم ينخفض أيضاً من حيث يتصل بهذا الجدار ما طوله عثرون ذراعاً وقد ر المنخفض منه ذراعاً وهذا المنخفض أيضاً يستبحر حشيش يسمى الكبد وطول بقية الجدار إلى نهايته من جهة الشمال مائة وستة وثلاثون ذراعاً وقبالة هذا بطوله منه مبلط وفيه قناطر مبنية بالخر كانت قديماً تزد الماء إلى الفيوم من الخليج القديم الذي عنده السدود اليوم وكان عليها أبواب وعدتها عشر قناطر قديمة فيكون جميع ذراع الجدار الأعظم من نهايته سبع مائة واثنتين وسبعين ذراعاً بذراع العمل دون الجدار المعترض من الغرب إلى الشرق ويمر هذا الجدار الأعظم من كلتا جهتيه جميعاً حتى يتصل بالجليل فتوجد آثاره في القطر مراً على غير استقامة وعرضه مختلف وكما انتهى إلى سطحه قل عرضه وعرض أعلاه مع الظاهر من أسفل جميعاً ستة عشر ذراعاً وفيه منافس يخرج منها الماء وهي رايح زجاج ملوثة بشبه المينا وأزرق وسليمانى وهو من البحائب الحسنة في عظم البناء واتقانه لأنه من الابنية اللاحقة ببنارة الاسكندرية وبناء الأهرام فمن معجزته أن النيل يمر عليه من عهد يوسف عليه السلام إلى هذه الغاية وما تغير عن مستقره ويدخل الماء من هذا البحر في هذا الزمان إلى مدينة الفيوم من خليجها الأعظم ما بين أرض الضيعة المعروقتين بدمونة واللاهون ومنه شرب هاتين الضيعتين وغيرهما سيجاً ومنه شرب كرومها بالذليل على أعناق البقروان قصر النيل عن الصعود إلى سوادها سقيت منه على أعناق البقر وزرعت وقتها في الخليج الأعظم إلى خليج يعرف بخليج الاواسى وليس عليه رسم في سده ولا فتح ولا تعديل ينتهي إلى الضيعة المعروفة بالجوبة فيلاً بركها وغيرهما من البرك وللبرك مقاسم يصل إلى كل مقسم منها لغايته ومقدار شرب ما عليه وينتهي إلى الضيعة المعروفة باللاوسية الكبرى فنه شربها من مقسمين لها وبرسها باب ومنه يشرب نخلاها وشجرها وعلى هذا الحد طاحونة تعمل بالماء ثم ينتهي إلى ثلاثة مقاسم آخرها الضيعة المعروفة بمرطانية منها مقسم لها ومقسم لقبالات عدة والمقسم الثالث يسمى أحد أحياء النخل وبهذا الحى سواق وبساتين قد خربت وجيز دائره وكان بها سيوت في اقنية النخل ثم ينتهي إلى حى ثان على ضفة الاول ثم ينتهي إلى الضيعة المعروفة بالجوبة فيلاً بركها وينتهي إلى ثلاثة مقاسم في صف وفوقها خليج معطل ويشرب من هذه المقاسم عدة ضياع ثم ينتهي الماء من هذا الخليج إلى البطس وهو نهايته وعلى الخليج الأعظم بعد هذا أباليز شربها منه من افواه لها سيجاً فاذا نصب ماء النيل نصب على افواهها برسم صيد السمك شبكاً ثم ينتهي الخليج الأعظم على يمينه من يريد الفيوم إلى خليج يعرف * (بخليج مسطوس) * منه شرب مسطوس وغيره والباليز كثيرة تجاوز الصحراء من المشرق منه ومن قبله وهي ما بين هذا الخليج وخليج الاواسى ثم ينتهي الخليج الأعظم أيضاً إلى * (خليج ذهالة) * ومنه شرب عدة ضياع وعليه يزرع الارز وغيره ثم ينتهي الخليج الأعظم إلى ثلاث خلج ثم ينتهي إلى * (خليج ينطاوة) * وبهذا الخليج ثلاثة أبواب قديمة يوسفة سعة كل باب منها ذراعان بذراع العمل ويمر فيه الماء وينتهي أيضاً إلى باين يوسفين ورسم هذا الخليج أن يسده وسائر المطاطية على استقبال عشر تخلو من هاتور إلى سلخه ويفتح على استقبال كيمك إلى عشر تبقى منه ثم يسد إلى عشر تخلو من طوبة ثم يفتح ليلة الغيطاس إلى سلخ طوبة ثم يسد على استقبال أمشير إلى عشرة تبقى منه ثم يفتح ل عشر تبقى منه إلى عشر تخلو من برمهات ثم يفتح إلى عشر تخلو من برمودة ثم يعدل في موضعه وقد خرب ما على بحريه من الضياع ويشرب منه عدة ضياع ولهذا الخليج مفيض معمول تحت الجبل قبو يخرج منه الماء في زمان تكاثره ثم ينتهي الخليج الأعظم إلى * (خليج دله) * وهو من المطاطية وحكمه في السد والفتح والتعديل والتحسين كما تقدم وهو

على جيرة من يريد المدينة وله بابان يوسفان مبنيان بالخرسعة كل منهما ذراعان وزرع ومنه شرب عدة ضياع
إمتهات وغيرها وفي وسطه مفيض لزمان الاستبحار فيفتح فيفيض الماء إلى البركة العظمى وفي أقصى هذه البركة
أيضا مفيض له أبواب يقال أنها كانت من حديد فإذا زادت فتحت الأبواب فيفيض الماء إلى الغرب وقيل أنه
يمر إلى سفترية وكان على هذين الخليجين بساتين وكروم كثيرة تشرب على أعناق البقر وينتهي الخليج الأعظم إلى
* (خليج المجنونة) * سمي بذلك لعظم ما يصير إليه من الماء وحكمه في السد وغيره على ما ذكر ومنه شرب
ضياع كثيرة وبه تدارطوا حين واليه تصير مصالات مياه الضياع القليلة وإلى بركة في أقصى مدينة القيوم تجاور
الجبل المعروف بأبي قطران ويلقى ما يتصب من مصالات الضياع البحرية فيها وهي البركة العظمى ثم ينتهي الخليج
الأعظم إلى * (خليج تلاله) * وله بابان يوسفان مبنيان بالخرسعة كل منهما ذراعان وثلاث ذراع وإيس
فيه رسم سد ولا فتح ولا تعديل ولا تحيز إلا في تقصير النيل فإنه يحجز بحشيش ومنه شرب طواق المدينة وعدة
أراض وضياع وفيه فوهة خليج البطش الذي إليه مفاضل المياه وفيه أبواب تسد حتى يصعد الماء إلى أراض
مرتفعة بقدر معلوم وإذا حدث بالسد حدث يفسده كانت النفقة عليه من الضياع التي تشرب منه بقدر
استحقاقها ثم ينتهي الخليج الأعظم إلى خلجان من جانيه في قبله ويجري به ثم ينتهي إلى * (خليج سموه) * وهو على
يمينه من يريد مدينة القيوم وهو من المطاطنة وله بابان يوسفان سعة كل منهما ذراعان ونصف وحكمه حكم
ما تقدم ومنه شرب طواق كثيرة وعدة ضياع وينتهي إلى أربعة مقاسم بأبواب وإلى خلجان تسقى ضياعا
كثيرة منها * (خليج تدود) * فيه عين حلوة فإذا سدها الخليج سقى منها أراضى ما جاورها وظهرت هذه العين
لما عدم الماء وحفر هذا الموضع ليعمل بئر فظهرت منه هذه العين فاكثرت بها ثم ينتهي الخليج الأعظم إلى خلجان
بها شاذروانات ومقاسم قديمة يوسفية وبها أبواب يوسفية بها رسوم في السد والفتح يشرب منها ضياع كثيرة
ورسم الترع أن يستقبل عشرة أيام تخلو من هاتور إلى سلطنة وتفتح على استقبال كهذه مدة
عشرين يوما وتسده لعشرين تبقى منه إلى الغطاس وتفتح يوم الغطاس إلى سلطنة وتسد على استقبال أمشير
عشرين يوما ثم تفتح لعشرين تبقى منه إلى عشرين من برمهات وتفتح عشرة أيام تخلو من برمودة ثم تعدل فيهم
بعمارتها ولهم في التعديل قسم تعطى منه كل ناحية شربها بالعدل بقوانين معروفة عندهم وقد اختصرت أسماء
الضياع التي ذكرها الخراب أكثرها الآن والله أعلم

* (ذكر فتح القيوم ومبلغ خراجها وما فيها من المرافق) *

قال ابن عبد الحكم قُتِلَتْ قاتمة الفتح للمسلمين بعث عمرو بن العاص بجرايد الخيل إلى القرى التي حولها فأقامت القيوم
سنة لا يعلم المسلمون بمكانها حتى أتاهم رجل فذكرها لهم فأرسل عمرو معه ربيعة بن حبيش بن عرفة الصديقي
فلما سلخوا في الجابية لم يروا شيئا فموا بالانصراف فضاوا لا يجدوا شيئا فأن كان قد كذب فما أقدركم على
ما اردتم فلم يسيروا إلا قليلا حتى طلع لهم سواد القيوم فجمعوا عليها فلم يكن عندهم قتال وألقوا بأيديهم قال
ويقال بل خرج مالك بن ناعمة الصديقي وهو صاحب الاشقر على فرسه ينقض الجابية ولا علم له بما خلفها من
القيوم فلما رأى سوادها رجع إلى عمرو فأخبره بذلك قال ويقال بل بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث إلى
الصعيد فسار حتى أتى القيس فقتل بها وبه سميت القيس فرائث على عمرو وخبره فقال ربيعة بن حبيش كفت
فركب فرسه فأجاز عليه البحر وكانت اثني فأتاه بالخبر ويقال أنه أجاز من ناحية الشرقية حتى انتهى إلى القيوم
وكان يقال لفرسه الأعشى والله أعلم * وقال ابن الكندي في كتاب فضائل مصر ومنها كورة القيوم
وهي ثلثمائة وستون قرية ذكرت على عدد أيام السنة لا تنقص عن الرى فإن قصر النيل في سنة من السنين
ماربلده مصر كل يوم قرية وليس في الدنيا ما ينال بالوحي غير هذه الكورة ولا بالدنيا بلد أنف من نفسه ولا احصب
ولا أكثر خيرا ولا أغزر أنهارا ولو قايستنا بأنهار القيوم أنهار البصرة ودمشق لكان لنا بذلك الفضل ولقد عدت
جماعة من أهل العقل والمعرفة مرافق القيوم وخبرها فاذا هي لا تحصى فتكره ذلك وعدوا ما فيها من المباح
بما ليس عليه ملك لا أحد من مسلم ولا معاهد يستعين به القوى والضعيف فاذا هو فوق السبعين صنفا *
وقال ابن زولاق في كتاب الدلائل على أمراء مصر للكندي وعفدت لكافور الاخشيدي القيوم في هذه
السنة يعني سنة ست وخسين وثلثمائة ستمائة ألف دينار وثمنا وعشرين ألف دينار * وقال القاضي الفاضل

في كتاب متجددات الحوادث ومن خطه نقلت ان الفيوم بلغت في سنة خمس وثمانين وخمسمائة مبلغ مائة ألف واثنتين وخمسين ألف دينار وسبعمائة وثلاثة دنانير وقال البكري والفيوم معروف هناك بغل في كل يوم ألفي مثقال ذهباً

* (مدينة التحرير)

كانت أرضاً مقطعة لعشرة من أجناد الحلقة من جعلتهم شمس الدين سنقر السعدى فأخذ قطعة من أراضي زراعتها وجعلها اصطبلًا لدوابه وخيله فشكاه شركاؤه الى السلطان الملك المنصور فقلون فسأله عن ذلك فقال اريد أن أجعله جامعاً تقام فيه الخطبة فأذن له السلطان في ذلك فابتدأ عمارته في ارباب سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة حتى كمل في سنة خمس وثمانين فعمل له السلطان منبراً واتخذ به الجمعة واستمرت الى يومنا هذا وانشأ السعدى حوانيت حول الجامع فلم تزل يده حتى مات وورثها ابنه عز الدين خليل وركن الدين عمر فباعاها بعد مدة للامير شيخو العمري فجعلها بما وقفه على الخانكاه والجامع اللذين انشأهما بخط صليبة جامع ابن طولون خارج القاهرة فعمرت هذه الارض بعمارة الجامع وسكنها الناس فصارت مدينة من مدائن اراضى مصر بحيث بلغت احوال القرازين فيها وترقى سنقر السعدى في الخدم حتى صار من الامراء وولى نقيب الممالك السلطانية وانشأ المدرسة السعدية خارج القاهرة قريبا من حدره البقر فيما بين قلعة الجبل وبركة القيل في سنة خمس عشرة وسبعمائة وبني أيضا رباطا للنساء وكان شديد الرغبة في العمارة فحبا للزراعة كثير المال ظاهر الغنى ثم انه اخرج الى طرابلس وبها مات سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

* (ذكر تاريخ الخليفة)

اعلم انه لما كانت الحوادث لا بد من ضبطها وكان لا يضبط ما بين العصور وبين ازمنة الحوادث الا بالتاريخ المستعمل العام الذى لا ينكره الجماعة واكثرها وذلك أن التاريخ المجمع عليه لا يكون الا من حادث عظيم يملأ ذكره الاسماع وكانت زيادة ماء النيل ونقصانه انما يعتبرهما أهل مصر ويحسبون أيامهما بأشهر القبط وكذلك خارج اراضى مصر انما يحسبون اوقاته بذلك وهكذا زراعات الاراضى انما يعتمدون في اوقاتها أيام الأشهر القبطية عادة وسلوك اوقافها سبيل اسلافهم واقتفوا سناجح قدمائهم وما برح الناس من قديم الدهر أسراء العوايد احتج في هذا الكتاب الى ايراد جملة من تاريخ الخليفة لتعيين موقع تاريخ القبط منها فان بذك ذلك يتم الغرض فأقول التاريخ عبارة عن يوم نسب اليه ما يأتى بعده ويقال أيضا التاريخ عبارة عن مدة معلومة نعتد من أول زمن مفروض لتعرف بها الاوقات المحدودة ولاغنى عن التاريخ في جميع الاحوال الدنيوية والامور الدينية ولكل امة من امم البشر تاريخ تحتاج اليه في معاملاتها وفي معرفة ازمناها تنفرد به دون غيرها من بقية الامم وأول الاوائل القديمة وأشهرها هو كون مبدأ البشر ولاهل الكتاب من اليهود والنصارى والتجوس في كيفيته وسياقة التاريخ منه خلاف لا يجوز مثله في التواريخ وكل ما يتعلق معرفته بمبدء الخلق وأحوال القرون السالفة فانه مختلط بتزويرات وأساطير لبعده العهد وعجز المعنى به عن حفظه وقد قال الله سبحانه وتعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله فالأولى أن لا يقبل من ذلك الا ما يشهد به كتاب أنزل من عند الله يعتمد على صحته لم يرد فيه نسخ ولا طرفة تبدل أو خبر يتقله النقات واذا نظرنا في التاريخ وجدنا فيه بين الامم خلافا كثيرا وسأتلو عليك من ذلك ما لا اظنك تجده بمجموعا في كتاب واقدّم بين يدي هذا القول ما قيل في مدة بقاء الدنيا

* (ذكر ما قيل في مدة ايام الدنيا ماضيا وباقيا)

اعلم أن الناس قد اختلفوا قديما وحديثا في هذه المسألة فقال قوم من القدماء الاول بالاكوار والادوار وهم الدهرية وهؤلاء هم القائلون بعود العوالم كلها على ما كانت عليه بعد ألف من السنين معدودة وهم في ذلك غالطون من جهة طول ادوار النجوم وذلك أنهم وجدوا قومًا من الهند والفرس قد عملوا أدوار النجوم ليصححوا بها في كل وقت مواضع الكواكب فظنوا أن العدد المشترك لجميعها هو عدد سنى العالم أو أيام العالم وانه كلما مضى

ذلك العدد عادت الاشياء الى حالها الاول وقد وقع في هذا الظن ناس كثير مثل ابي معشر وغيره وتبع هؤلاء خلق وانت تقف على فساد هذا الظن ان كنت تخبر من العدد شيئا ما وذلك انك اذا طلبت عددا مشتركا بعده أعداد معلومة فانك تقدر ان تضع لكل زيج أيا ما معلومة كالذي وضعه الهند والفرس هؤلاء حيث جهلوا صورة الخلال في هذه الادوار ظنوا انها عدد أيام العالم فتقطعن ترشد وعند هؤلاء أن الدور هو أخذ الكواكب من نقطة وهي سائرة حتى تعود الى تلك النقطة وأن الكور هو استئناف الكواكب في ادوارها سيرا آخر الى أن تعود الى مواضعها مرة بعد اخرى وزعم اهل هذه المقالة أن الادوار مخصصة في أنواع خمسة * الاول أدوار الكواكب السيارة في أفلاك تدويرها * الثاني أدوار غر الكواكب في أفلاك التدوير في أفلاكها الحاملة * الثالث أدوار أفلاكها الحاملة في ذلك البروج * الرابع أدوار الكواكب الثابتة في ذلك البروج * الخامس ادوار الفلك المحيط بالكل حول الاركان الاربعة وهذه الادوار المذكورة منها ما يكون في كل زمان طويل مرة واحدة ومنها ما يكون في كل زمان قصير مرة واحدة فأقصر هذه الادوار أدوار الفلك المحيط بالكل حول الاركان الاربعة فانه يدور في كل أربع وعشرين ساعة دورة واحدة وباقي الادوار يكون في أزمنة اخر أطول من هذه لاجابة بنا في هذه المسألة الى ذكرها قالوا وأدوار الكواكب الثابتة في ذلك البروج تكون في كل ستة وثلاثين ألف سنة شمسية مرة واحدة وحينئذ تنقل اوجان الكواكب وجوزهراتها الى مواضع حضيضها ونوبها راتها وبالعكس فيوجب ذلك عندهم عود العوالم كلها الى ما كانت عليه من الاحوال في الزمان والمكان والاشخاص والاوزاع بحيث لا يتخالف ذية واحدة وهم مع ذلك مختلفون في كية ماضى من ايام العالم وما بقى فقال البراهمة من الهند في ذلك قولاً غريباً وهو ما حكاه عنهم الاستاذ ابو الريحان محمد بن احمد البيروني في كتاب القانون المسعودي انهم يسمون الطبيعة باسم ملك يقال له براهيم ويرعون انه محدث محصور الموت بين مبدأ وانتهاء عمره كعمرها مائة سنة برهموية كل سنة منها ثلثمائة وستون يوماً زمان النهار منها بقدر مئة ودوران الافلاك والكواكب لاثارة الكون والفساد وهذه المدة بقدر ما بين كل اجتماعين للكواكب السبعة في اول برج الحمل باوجاتها وجوزهراتها ومقدارها أربعة آلاف ألف سنة وثلثمائة ألف ألف سنة وعشرون ألف ألف سنة شمسية وهو زمان اثني عشر ألف دورة للكواكب الثابتة على أن زمان الدورة الواحدة ثلثمائة ألف سنة وستون ألف سنة شمسية واسم هذا النهار بلغتهم الكلية وزمان الليل عندهم كزمان النهار وفي الليل تسكن المتحركات وتسريح الطبيعة من اثار الكون والفساد ثم يثور في مبدأ اليوم الثاني بالحركة والتكون فيكون زمان اليوم بيلته من سنى الناس ثمانية آلاف ألف سنة وستمائة ألف ألف سنة وأربعين ألف ألف سنة فاذا مضى بنا ذلك في ثلثمائة وستين تبلغ سنوا أيام السنة البرهموية ثلاثة آلاف ألف ألف سنة وعشرة آلاف ألف ألف سنة وأربعمائة ألف ألف سنة شمسية فاذا مضى بناها في مائة يبلغ عمر الملك الطبيعي البرهموي من سنى الناس ثلثمائة الف الف الف سنة وأحد عشر الف الف سنة سنة وأربعين الف الف سنة شمسية فاذا تمت هذه السنون بطل العالم عن الحركة والتكوين ما شاء الله ثم يستأنف من جديد على الوضع المذكور وقسموا زمان النهار المذكور الى تسع وعشرين قطعة سمو كل أربع عشرة قطعة منها نوباً ومموا الخمسة عشرة قطعة الباقية فصولاً وجعلوا كل نوبة محصورة بين فصلين وكل فصل محصوراً بين نوبتين وقد موا زمان الفصل على النوبة الى تمام المدة وزمان الفصل هو خمس الدور والدور جزء من ألف جزء من المدة فاذا قسمنا المدة على ألف تحصل زمان الدور أربعة آلاف الف سنة وثلثمائة ألف سنة وعشرين الف سنة وخمساء اعنى زمان الفصل الف الف سنة وسبعمائة الف سنة وثمانية وعشرون ألف سنة وزمان النوبة عندهم احد وسبعون دوراً مقدارها من السنين ثلثمائة ألف ألف سنة وستة آلاف الف سنة وسبعمائة ألف سنة وعشرون ألف سنة وقد قسموا الدور أيضاً بأربع قطع اولها أعظمها وهي مدة الفصل المذكور وثانيها ثلاثة ارباع الفصل ومدتها ألف ألف سنة وثمانمائة ألف سنة وأربعة وستون ألف سنة ورابعها ربع الفصل وهو عشر الدور المذكور ومدته أربعمائة ألف سنة واثنان وثلاثون ألف سنة ولكل واحد من هذه القطع الاربعة اسم يعرف به فاسم القطعة الرابعة عندهم كلكال لانهم يزعمون انهم في زمانها وان الذي مضى من عمر الملك

الطبيعي على زعم حكيمهم الاعظم المسمى عندهم برهمكوت ثمان سنين وخمسة اشهر وأربعة ايام ونحن الآن في نهار اليوم الخامس من الشهر السادس من السنة التاسعة ومضى من النهار الخامس ست نوب وسبعة فصول وسبعة وعشرون دورا من النوبة السابعة وثلاث قطع من الدور المذكور أعنى تسعة اعشاره ومضى من القطعة الرابعة أعنى من أول كلكال الى هلاله شككال عظيم ملوكهم الواقع في آخر سنة ثمان وثمانين وثلثمائة للاسكندر ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وسبعون سنة وقال انما عرفنا هذا الزمان من علم الهى وقع النعمان عظماء انبياءنا المتألهين برؤايتهم جيلا بعد جيل على عزم الدهور والازمان وزعموا أن في مبدأ كل دور أو فصل أو قطعة أو نوبة تجدد أزمنة العوالم وتنقل من حال الى حال وأن الماضى من أول كلكال الى شككال ثلاثة آلاف ومائة وتسع وسبعون سنة والماضى من النهار المذكور الى آخر سنة ثمان وثمانين وثلثمائة للاسكندر ألف ألف الف سنة وتسعمائة ألف سنة واثمان وسبعون ألف ألف سنة وتسعمائة ألف سنة وسبعة وأربعون ألف سنة ومائة سنة وسبع وسبعون سنة فيكون الماضى من عمر الملك الطبيعى الى آخر هذه السنة ستة وعشرين ألف ألف الف سنة وثلثمائة ألف ألف سنة وخمسة عشر ألف ألف سنة وسبعمائة ألف الف سنة واثنين وثلاثين ألف ألف سنة وتسعمائة ألف سنة وسبعة وأربعين ألف سنة ومائة سنة وتسعاً وسبعين سنة فاذا زدنا عليها الباقي من تاريخ الاسكندر بعد نقصان السنين المذكورة منه نحصل الماضى من عمر الملك بالوقت المفروض والله أعلم بحقيقة ذلك وقال الخطا والايعر في ذلك قولاً أعجب من قول الهند وأغرب على ما نقلته من زيغ أدوار الانوار وقد نلخص هذا القول من كتب أهل الصين وذلك انهم جعلوا مبادئ سنينهم مبنية على ثلاثة أدوار الأول يعرف بالعشرى مدته عشر سنين لكل سنة منها اسم يعرف به والثاني يعرف بالدور الاثنى عشرى وهو أشهرها خصوصاً في بلاد الترك يسمون سنينهم بأسماء حيوانات بلغت الخطا والايعر والثالث مركب من الدورين جميعاً ومدته ستون سنة وبه يؤرخون سنى العالم وأيامه ويقوم عندهم مقام ايام الاسبوع عند العرب وغيرها واسم كل سنة منها مركب من اسميهما في الدورين جميعاً وكذلك كل يوم من أيام السنة ولهذا الدور ثلاثة أسماء وهى شاككون وجونكون وخاون ويصير بحسبها مرة أعظم ومرة اوسط ومرة أصغر فيقال دور شاككون الاعظم ودور جونكون الاوسط ودور خاون الاصغر وهذه الادوار يعتبرون سنى العالم وأيامه وجلتها مائة وثمانون سنة ثم تدور الادوار الثلاثة عليها مرة أخرى واتفق وقوع مبدأ الدور الاعظم في الشهر الاول من سنة ثلاث وثلاثين وسقانة ليزدجرد واسمها بلطهم كادره وبلغت العرب سنة الفار وكان دخول أول فردين هذه السنة من سنى العرب يوم الخميس وهو بلغتهم سن جن ومن هذا اليوم وعلى هذا التاريخ تترتب مبادئ سديهم وأيامهم في الماضى والمستقبل وشهورهم اثنا عشر شهراً لكل شهر منها اسم بلغة الخطا وبلغت الايعر لا حاجة بنا هنا الى ذكرها ويسمون اليوم الاول بليته اثني عشر شهراً كل قسم منها يقال له جاغ وكل جاغ ثمانية أقسام كل قسم منها يقال له كه ويسمون اليوم بليته أيضاً عشرة آلاف فنك وكل فنك منها مائة مياو فيصيب كل جاغ ثمانمائة وثلاثة وثلاثين فنكاً وثلث فنك وكل كه مائة وأربعة أفضال وسدس فنك وينسبون كل جاغ الى صورة من الصور الاثنى عشرة ومبدأ اليوم بليته عندهم من نصف الليل وفي منتصف جاغ كسكو يتغير أول النهار وآخره بحسب الطول والقصر من قبل أن كل جاغ ساعتان مستويتان وفي منتصف النهار ينصف جاغ يوند وهم يكبسون في كل ثلاث سنين قرية شهراً واحداً يسمونه سيون ليحفظوا بالكبس مبادئ سنى الشمس في زمان واحد من سنة اخرى ويكبسون احد عشر شهراً في كل ثلاثين سنة قرية ولا يقع عندهم شهر الكبس في موضع واحد بعينه من السنة بل يقع في كل موضع منها وكل شهر عدة ايامه اما ثلاثون يوماً او تسعة وعشرون يوماً ولا يمكن عندهم أكثر من ثلاثة أشهر متوالية تامة ولا أكثر من شهرين ناقصين ومبادئ شهورهم يوم الاجتماع ان وقع اجتماع النيران نهاراً فان وقع الاجتماع ليلاً كان أول الشهر في اليوم الذى بعد الاجتماع وزمان السنة الشمسية بحسب اوصادهم ثلثمائة وخمسة وستون يوماً وألفان وأربعمائة وستة وثلاثون فنكاً والسنة أربعة وعشرون شهراً كل قسم منها خمسة عشر يوماً وألفان ومائة وأربعة وثمانون فنكاً وخمسة اسداس فنك ولكل قسم من هذه الاقسام اسم وكل ستة أقسام منها فصل من فصول السنة فاسم أول قسم من فصولها الحن وأوله أبدا حيث تكون الشمس في ست عشرة درجة من

فلذلك دلت على البلى والضييق والشدة والشر وحيث تبلغ الآلاف الى أول الجدى الذى فيه أول ارتفاع الشمس واشرافها على شرفها وفيه تزداد الايام طولا والدلو والحوت اللذان تزداد الشمس فيهما صعودا حتى تصل لشرفها فيدل على ظهور الخير وضعف الشر وثبات الدين والعقل والعمل بالحق والعدل ومعرفة فضل العلم والادب في تلك الثلاثة الآلاف سنة وما يكون في ذلك فعلى قدر صاحب الآلاف والمائة والعشرة وعلى حسب اتفاق الكواكب في أول سلطان صاحب الآلاف فلا يزال ذلك في زيادة حتى يعود أمر الدنيا في آخرها الى مثل ما كان عليه ابتداءها وهي في ألف الحمل وكلما تقارب آخر كل ألف من هذه الآلاف اشتد الزمان وكثرت البلى لان آخر البرج في حدود الثور وكذلك في آخر الميزان والعشرات فعلى هذا الانقضاء للدنيا اذا كان الزمان يعود الى الحمل كما بدا أول مرة وزعموا أن ابتداء الخلق بالتحريك كان والشمس في ابتداء المسير فدار الفلك وجرت المياه وهبت الرياح واتقدت النيران وتحركت سائر الخلق بما هم عليه من خير وشر والطالع تلك الساعة تسع عشرة درجة من برج السرطان وفيه المشتري وفي البيت الرابع الذى هو بيت العافية وهو برج الميزان زحل وكان الذئب في القوس والمريخ والجدى والزهرة وعطارد في الحوت ووسط السماء برج الحمل وفي أول دقيقة منه الشمس وكان القمر في الثور وفي بيت السعادة وكان الرأس في برج الجوزاء وهو بيت الشقاء وفي تلك الدقيقة من الساعة كان استقبال أمر الدنيا فكان خيرا وشرا وانحطاطها وارتضاعها وسائر ما فيها على قدر مجارى البروج والنجوم وولاية اصحاب الآلاف وغير ذلك من احوالها ولان المشتري كان في السرطان في شرفه وزحل في الميزان في شرفه والمريخ والشمس والقمر في اشرافها دلت على كائنة جارية فكان نشوء العالم وانبر زحل فتولى الآلاف هو والميزان وكان المشتري في الطالع مقبولا وكذلك جميع الكواكب كانت مقبولة فدل على نماء العالم وحسن نشوءه وكان زحل هو المستولى والعالي في الفلك والبرج طويل المطالع فطالت أعمار تلك الآلاف وقويت أبدانهم وكثرت مياههم وكون الميزان تحت الارض دل على خفاء أول حدوث العالم وعلى أن أهل ذلك الزمان ينظرون في عمارة الارضين وتشديد البنيان ثم ولى الآلاف الثانى العقرب والمريخ وكان في الطالع المريخ فدل على القتل في ذلك الآلاف وسفك الدماء والسبي والظلم والجور والخوف والهت والاحزان والفساد وجور الملوك وولى الآلاف الثالث القوس وشاركه عطارد والزهرة بطولوعهما وكان الذئب في القوس فدل المشتري على النجدة في تلك الآلاف والشدة والجلد والبأس والرياسة والعدل وتقسيم الملوك الدنيا وسفك الدماء بسبب ذلك ودلت الزهرة على ظهور بيوت العبادة وعلى الانبياء ودل عطارد على ظهور العقل والادب والكلام وكون البرج مجسدا دل على انقلاب الخير والشر في تلك الآلاف مرات وعلى ظهور ألوان من آيات الحق والعدل والجور ثم ولى الآلاف الرابع الجدى وكان فيه المريخ فدل على ما كان في تلك الآلاف من اهراق الدماء ودلت الشمس على ظهور الخير والعلم ومعرفة الله تعالى وعبادته وطاعته وانبيائه والرغبة في الدين مع الشجاعة والجلد وكون البرج متقلبا هو والبرج الذى فيه الشمس دل على انقلاب ذلك في آخرها وظهور الشر والتفرق والقسم والقتل وسفك الدماء والغصب في أصناف كثيرة وتحول ذلك وتلوته وكون الجدى منحط دل على أنه يظهر في آخر تلك الآلاف الحسن الشبيه بصفة زحل والمريخ وانقطاع العظماء والحكماء وبوارهم وارتفاع السفلة وخراب العامر وعمارة الخراب وكثرة تلوث الاشياء وولى الآلاف الخامس الدلو بطولوع القمر وكان القمر في الثور فدل الدلو لبرودته وعسره على سقوط العظماء وعطلة أمرهم وارتفاع السفلة والعبيد ومجدة الجلاء وظهور الجيش الاسود والسواد وعلى كثرة التفتيش والتفكر وظهور الكلام في الاديان ومحبة الخصومات وكون القمر في شرفه يدل على قهر الملوك وظهور ولاية الحق ونفاذ الخير وظهور بيوت العبادة والكف عن الدماء والراحة والسعادة في العمارة وثبات ما يكون من العدل والخير وطول المدة فيه وكون البرج ما يسايد على كثرة الامطار والغرق وآفة من البرد يهلك فيها الكثير وبلى الآلاف السادس برج الحوت بطولوع المشتري والرأس فيدل على المجدة في الناس عامة وعلى الصلاح والخير والسرور وذهاب الشر وحسن العيش ولكل واحد من الكواكب ولاية ألف سنة فصار عطارد خاتما في برج السنبلة وزعم ابن بويخت أن من يوم سارت الشمس الى تمام خمس وعشرين من ملك الفوشروان ثلاثة آلاف وثمانمائة وسبع وستون سنة وذلك في ألف الجدى وتدبير الشمس ومنه

الى اليوم الاول من الهجرة سبع وثمانون سنة شمسية وستة وعشرون يوما ومن الهجرة الى قيام يزدجرد تسع سنين وثلثمائة وسبعة وثلاثون يوما فذلك الجميع الى أن قام يزدجرد ثلاثة آلاف وتسعمائة وست وستون سنة * وقال ابو معشر وزعم قوم من الفرس أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعد الكواكب السبعة * وزعم ابو معشر أن عمر الدنيا ثلثمائة ألف سنة وستون ألف سنة وأن الطوفان كان في النصف من ذلك على رأس مائة ألف وثمانين ألف سنة * وقال قوم عمر الدنيا تسعة آلاف سنة لكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة ألف سنة وللرأس ألف سنة وللذنب ألف سنة وشرها ألف الذنب وأن الاعمار طالت في تدبير آلاف الثلاثة العلوية وقصرت في آلاف الكواكب السفلية وقال قوم عمر الدنيا تسعة عشر ألف سنة بعدد البروج الاثنى عشر لكل برج ألف سنة وبعد الكواكب السبعة السيارة لكل كوكب ألف سنة وقال قوم عمر الدنيا احدى وعشرون ألف سنة بزيادة ألف للرأس وألف للذنب وقال قوم عمر الدنيا ثمانية وسبعون ألف سنة في تدبير برج الحمل اثنا عشر ألف سنة وفي تدبير برج الثور احدى عشر ألف سنة وفي تدبير الجوزاء عشرة آلاف سنة فكانت الاعمار في هذا الربع اطول والرحمان أجد ثم تدبير الربع الثاني مدة أربعة وعشرين ألف سنة فتكون الاعمار دون ما كانت في الربع الاول وتدبير الربع الثالث خمسة عشر ألف سنة وتدبير الربع الرابع ستة آلاف سنة وقال قوم كانت المدة من آدم الى الطوفان الفين وثمانين سنة واربعة اشهر وخمسة عشر يوما ومن الطوفان الى ابراهيم عليه السلام تسعمائة واثنين وأربعين سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما فذلك ثلاثة آلاف ومائتان وثلاث وعشرون سنة وقال قوم من اليهود عمر الدنيا سبعون ألف سنة منحصرة في ألف جيل ولفقوا ذلك من قول موسى عليه السلام في صلاته أن الجيل سبعون سنة ومن قوله في الزبور أن ابراهيم عليه السلام قطع معه الله تعالى عهد البقاء للبشر ألف جيل بخفاء من ذلك أن مدة الدنيا سبعون ألف سنة واستظهر والقولهم هذا بما في التوراة من قوله واعلم أن الله الهك هو القادر المهيمن الحافظ العهد والفضل لمحبيه وحافظي وصاياه لآل جيل * وذكر ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي في كتاب أخبار الزمان عن الاوائل انهم قالوا كان في الارض ثمان وعشرون امة ذات ارواح وأيد وبطش وصور ومختلفات بعدد منازل القمر لكل منزلة امة منفردة تعرف بها تلك الامة ويزعمون أن تلك الامم كانت الكواكب الثمانية تدبرها وكانوا يعبدونها ويقال لما خلق الله تعالى البروج الاثنى عشر قسم دوامها في سلطانها فجعل للعمل اثني عشر ألف عام وللثور احدى عشر ألف عام وللجوزاء عشرة آلاف عام وللسرطان تسعة آلاف عام وللادستمانية آلاف عام والسنبلة سبعة آلاف عام وللميزان ستة آلاف عام وللعقرب خمسة آلاف عام وللقوس أربعة آلاف عام والجدى ثلاثة آلاف عام وللذئب اثنى عشر ألف عام وللحوت ألف عام فصار الجميع ثمانية وسبعين ألف عام فلم يكن في عالم الحمل والثور والجوزاء حيوان وذلك ثلاثة وثلاثون ألف عام فلما كان عالم السرطان تكونت دواب الماء وهوام الارض فلما كان عالم الاسد تكونت ذوات الاربع من الوحش والبهائم وذلك بعد تسعة آلاف عام من خلق دواب الماء وهوام فلما كان عالم السنبلة تكونت الانسانان الاقوان وهما آدمانوس وحنوانوس وذلك لتقام سبعة عشر ألف عام لخلق دواب الماء وهوام الارض ولتقام ثمانية آلاف عام من خلق ذوات الاربع وخلق الارض في عالم الميزان ويقال بل خلقت الارض اقولا واقامت خالية ثلاثة وثلاثين ألف عام ليس فيها حيوان ولا عالم روحاني ثم خلق الله تعالى هوام الماء ودواب الارض وما بعد ذلك على ما تقدم ذكره فلما تم أربعة وعشرون ألف عام لخلق دواب الماء وهوام الارض ولتقام خمسة عشر ألف عام من خلق ذوات الاربع ولتقم سبعة آلاف عام من لدن تكون الانسانين خلقت الطيور ويقال ان مدة مقام الانسانين ونسلهم في الارض مائة ألف وثلاثة وثلاثون ألف عام منها لرحل ستة وخمسون ألف عام وللمشترى أربعة وأربعون ألف عام وللمترنج ثلاثة وثلاثون ألف عام ويقال ان الامم المخلوقات قبل آدم هي كانت الجبلية الاولى وهي ثمان وعشرون امة بازاء منازل القمر خلقت من امزجة مختلفة اصلها الماء والهواء والارض والنار فتباين خلقها فتمت خلقت طوا الارزاق وذوات اجنحة كلامهم قرعة على صفة الاسود ومنها امة أبدانهم أبدان الاسود ورؤسهم رؤس الطير لهم شعور وأذان طوال وكلامهم دوى ومنها امة لها رجليان وجه أمامها ووجه خلفها ولهها أرجل كثيرة وكلامهم

كلام الطير ومنها أمة ضعيفة في صور الكلاب لها أذناب وكلامهم همهمة لا يعرف ومنها أمة تشبه
 بنى آدم أفواهم في صدورهم يصفرون اذا تكلموا تصفيرا ومنها أمة يشبهون نصف انسان لهم عين واحدة
 ورجل ينفذون بها قفزا ويصيحون كصياح الطير ومنها أمة لها وجوه كوجوه الناس وأصلاص كأصلاص
 السلاحف في رؤسهم قرون طوال لا يفهم كلامهم ومنها أمة مدورة الوجوه لهم شعور بيض وأذناب كأذناب
 البقر ورؤسهم في صدورهم لهم شعور وندى وهم اناث كهنات ليس فيهن ذكر يلحقن من الرياح ويلدن امثالهن
 ولهن اصوات مطربة يجتمع اليهن كثير من هذه الامم لحسن اصواتهن ومنها أمة على خلق بنى آدم سود وجوههم
 ورؤسهم كروث الغربان ومنها أمة في خلق الهوام والحشرات الا انها عظيمة الاجسام تاكل وتشرب مثل
 الانعام ومنها أمة كوجوه دواب البحر لها أنياب كانياب الخنازير وأذان طوال ويقال ان هذه الثمانية
 والعشرين أمة تناحت فصارت مائة وعشرين أمة * وسئل أمير المؤمنين على بن ابي طالب رضى الله عنه
 هل كان في الارض خلق قبل آدم يعبدون الله تعالى فقال نعم خلق الله الارض وخلق فيها الجن يسبحون الله
 ويقصد سونه لا يفترون وكانوا يطفرون الى السماء ويلقون الملائكة ويسلمون عليهم ويستعلمون منهم خبر
 ما في السماء ثم ان طائفة منهم عزدت وعنت عن أمر ربها وبغت في الارض بغير الحق وعدا بعضهم على بعض
 وجدوا الربوبية وكفروا بالله وعبدوا ما سواه وتغايروا على الملك حتى سفكوا الدماء وأظهروا في الارض
 الفساد وكثر قتالهم وعلا بعضهم على بعض وأقام المطيعون لله تعالى على دينهم وكان ابليس من الطائفة
 المطيعة لله والمسيحين له وكان يصعد الى السماء فلا يجيب عنها الحسن طاعته ويرى أن الجن كانت تفترق على
 إحدى وعشرين قبيلة وأن بعد خمسة آلاف سنة ملكوا عليهم ملكا يقال له شلال بن ارس ثم افترقوا فلكوا
 عليهم خمسة ملوك وأقاموا على ذلك دهر اطويلا ثم اغار بعضهم على بعض وتحاسدوا فكانت بينهم وقائع كثيرة
 فأهبط الله تعالى اليهم ابليس وكان اسمه بالعربية الحارث وكنيته ابو مرة ومعه عدد كثير من الملائكة
 فهزمهم وقتلهم وصار ابليس ملكا على وجه الارض فتكبر وطمع وكان من امتناعه من السجود لآدم ما كان
 فأهبطه الله تعالى الى الارض فسكن البحر وجعل عرشه على الماء فألقيت عليه شهوة الجاع وجعل لقاحه لقااح
 الطير ويضه ويقال ان قبائل الجن من الشياطين خمس وثلاثون قبيلة خمس عشرة قبيلة تطير في الهواء وعشر
 قبائل مع لهب النار وثلاثون قبيلة يسترقون السمع من السماء ولكل قبيلة ملك موكل يدفع شرها ومنهم صنف
 من السعالى يتصورون في صور النساء الحسنات ويتزوجن برجال الانس ويلدن منهم ومنهم صنف على صور
 الحيات اذا قتل أحد منهم واحدة هلك من وقته فان كانت صغيرة هلك ولده او عزيز عنده * وعن ابن عباس
 رضى الله عنهما أنه قال ان الكلاب من الجن فاذا رأوكم تأكلون فألقوا اليهم من طعامكم فان اهتم انفسا يعنى انهم
 ياخذون بالعين وقد روى ان الارض كانت معمورة بأمم كثيرة منهم الطم والرم والجن والبن والحسن
 والبن وان الله تعالى لما خلق السماء عمرها بالملائكة ولما خلق الله الارض عمرها بالجن فعاشوا وسفكوا الدماء
 فأنزل الله اليهم جندا من الملائكة فألقوا على الكفرة قتلوا وأسرافكان من اسر ابليس وكان اسمه عزازيل فلما
 صعد به الى السماء أخذ نفسه بالاجتهاد في العبادة والطاعة رجاء أن يتوب الله عليه فلما لم يجد ذلك عليه شيئا
 خامر الملائكة القنوط فأراد الله أن يظهر لهم خبث طويته وفساد نيته فخلق آدم فامتحنه بالسجود له لينظر
 للملائكة تكبره وابانة ما خفي عنهم من مكتوم أنبائه والى عمارة الارض قبل آدم من أفسد فيها أشار بقوله
 تعالى حكاية عن الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء يعنون كما فعل بهم من قبل والله أعلم بمراده
 وقال ابو بكر بن احمد بن علي بن وحشية في كتاب الفلاحة انه عرّب هذا الكتاب ونقله من لسان الكلدانيين
 الى اللغة العربية وانه وجد من وضع ثلاثة حكاية قديما وهم مصريون وسوساد ووقاي ابتدأه الاول وكان
 ظهوره في الالف السابعة من سبعة آلاف سنة زحل وهي الالف التي يشارك فيها زحل القمر وقمره الثاني
 وكان ظهوره في آخر هذه الالف واكمله الثالث وكان ظهوره بعد مضي أربعة آلاف سنة من دور الشمس الذي
 هو سبعة آلاف سنة وانه تظر الى ما بين زمان الاول والثالث فكان ثمانية عشر الف سنة شمسية وبعض
 الالف التاسعة عشر وقد اختلف أهل الاسلام في هذه المسألة أيضا فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى
 الله عنهما أنه قال الدنيا جمعة من جمع الآخرة واليوم ألف سنة فذلك سبعة آلاف سنة وروى سفيان عن

الاعشى عن أبي صالح قال قال كعب الاحبار الدنيا ستة آلاف سنة * وعن وهب بن منبه أنه قال قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستة مائة سنة الى لا عرف كل زمان منهم ومن فيه من الانبياء فقيل له فكيف الدنيا قال ستة آلاف سنة وروى عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وفي حديث أبي هريرة الحقب ثمانون عاماً اليوم مناسدس الدنيا والحقب هنا بكسر الحاء وضمة * قال ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني في كتاب الاكليل * أن الدنيا جزء من أربعة آلاف وسبع مائة وثلاثة وعشرين جزءاً وثالث جزء من الحقب على أن السنة القمرية ثمانمائة وأربعة وخمسون يوماً وخمس وسدس يوم فإذا كانت الدنيا ستة آلاف سنة واليوم ألف سنة تكون سنين قمرية ستة آلاف ألف سنة فإذا جعلناه جزءاً وضربناه في أجزاء الحقب وهي أربعة آلاف وسبع مائة سنة وثلاث وعشرون وثالث خرج من السنين ثمانية وعشرون ألف ألف وثلاثمائة ألف ألف وأربعة آلاف ألف وإذا كانت جمعة من جمع الآخرة زدنا مع هذا العدد مثل سدسه وهذا عدد الحقب * وقال ابو جعفر محمد بن جرير الطبري الصواب من القول ما يدل على صحة الخبر الوارد فذكر قوله عليه السلام أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وقوله عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وقوله عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين كادت لتسبقني قال فاعلم ان كان اليوم أوله طلوع الشمس وآخره غروب الشمس وكان صحيفا عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وقوله بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وكان قدر ما بين اوسط اوقات صلاة العصر وذلك اذا صار نزل كل شيء مثليه على التعزى انما يكون قدر نصف سبع اليوم يزيد قليلا او ينقص قليلا وكذلك فضل ما بين الوسطى والسبابة انما يكون نحو ما من ذلك وكان صحيفا مع ذلك قوله عليه السلام لن يعجز الله أن يؤخر هذه الأمة نصف يوم يعني نصف اليوم الذي مقداره ألف سنة فأولى القولين اللذين أحدهما عن ابن عباس والآخر عن كعب قول ابن عباس ان الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف وإذا كان كذلك وكان قد جاء عنه عليه السلام أن الباقي من ذلك في حياته نصف يوم وذلك خمسة مائة عام إذا كان ذلك نصف يوم من الايام التي قدر الواحد منها ألف عام كان معلوما أن الماضي من الدنيا الى وقت قوله عليه السلام ستة آلاف سنة وخمسمائة سنة او نحو ذلك وقد جاء عنه عليه السلام خبر يدل على صحة قول من قال ان الدنيا كلها ستة آلاف سنة لو كان صحيفا لم يعد القول به الى غيره وهو حديث أبي هريرة يرفعه الحقب ثمانون عاماً اليوم مناسدس الدنيا فبين من هذا الخبر أن الدنيا كلها ستة آلاف سنة وذلك انه حيث كان اليوم الذي هو من ايام الآخرة مقداره ألف سنة من سنى الدنيا وكان اليوم الواحد من ذلك سدس الدنيا كان معلوما أن جميعها ستة ايام من ايام الآخرة وذلك ستة آلاف سنة وقال ابو القاسم السهيلي * وقد مضت الخمسمائة من وفاته صلى الله عليه وسلم الى اليوم بنيف عليهما وليس في قوله لن يعجز الله أن يؤخر هذه الأمة نصف يوم ما ينفي الزيادة على النصف ولا في قوله بعثت أنا والساعة كهاتين ما يقطع به على صحة تأويله يعني الطبري فقد نقل في تأويله غير هذا وهو أنه ليس بينه وبين الساعة نبى ولا شرعة غير شرعته مع التقريب لحينها كما قال تعالى اقتربت الساعة وقال أنى أمر الله فلا تستعجلوه ولكن اذا قلنا انه عليه السلام انما بعث في الالف الآخر بعد ما مضت منه سنون ونظرنا الى الحروف المقطعة في أوائل السور وجدناها أربعة عشر حرفا يجمعها قولك * (الم يسطع نص حق كره) * ثم تأخذ العدد على حساب أبي جاد فيجيء تسعمائة وثلاثة ولم يسم الله تعالى أوائل السور الا هذه الحروف فليس يعد أن يكون من بعض مقتضياتها وبعض فوائدها الاشارة الى هذا العدد من السنين لما قدمناه من حديث الالف السابع الذي بعث عليه السلام فيه غير أن الحساب يحتمل أن يكون من مبعثه او من وفاته او من هجرته وكل قريب بعضه من بعض فقد جاء أسراطها ولكن لا تأتكم الا بغته وقد روى أنه عليه السلام قال ان احسنت اتقى فبقاؤها يوم من ايام الآخرة وذلك ألف سنة وان أساءت فنصف يوم ففي الحديث تنعيم للعديت المتقدم ويان له اذ قد انقضت الخمسمائة والأمة باقية وقال شاذان البخني - النجم مئة ملة الاسلام ثمانمائة وعشرين سنين وقد ظهر كذب قوله وقله الجد وقال ابو مشر يظهر بعد المائة والخمسين من سنى الهجرة

اختلاف كثير وقال حراس ان المتجمين اخبروا كسرى انوشروان بملك العرب وظهور النبوة فيهم وأن دلائلهم الزهرة وهي في شرفها والزهرة دليل العرب فتكون مدة ملك نبوتهم ألفا وستين سنة ولأن طالع القران الدال على ذلك برج الميزان والزهرة صاحبه في شرفها قال وسأل كسرى وزيره بزرجمهر عن ذلك فأعلمه أن الملك يخرج من فارس وينتقل الى العرب وتكون ولادة القائم بأمره العرب نجس وأربعين سنة من وقت القران وأن العرب تلك المشرق والمغرب من أجل أن المشتري دليل فارس قد قبل تدبير الزهرة دليل العرب والقران قد انتقل من المثلثة الهوائية الى المثلثة المائية والى برج العقرب منها وهو دليل العرب أيضا وهذه الأدلة تقتضي بقاء الملة الاسلامية بقدر دور الزهرة وهو ألف وستون سنة شمسية - وقال نقيل الرومي - وكان في أيام بني امية تبقى ملة الاسلام بقدر مدة القران الكبيرة وهي تسعمائة وستون سنة شمسية فإذا اجماع القران بعد هذه المدة الى برج العقرب كما كان في ابتداء الملة وتغير وضع تشكيل الفلك عن هيئته في الابتداء فحينئذ يفترا العمل ويتجدد ما يوجب خلاف الظن * قال واتفقوا على أن خراب العالم يكون باستيلاء الماء والنار حتى تهلك المكونات بأسرها وذلك اذا قطع قلب الاسد أربعة وعشرين درجة من برج الاسد الذي هو حد المزيخ بعد تسعمائة وستين سنة شمسية من قران الملة ويقال ان ملك رابستان وهي غزنة بعث الى عبد الله أمير المؤمنين المأمون بحكيم اسمه دويان في جملة هدية فأعجب به المأمون وساله عن مدة ملك بني العباس فأخبره بخروج الملك عن عقبه واتصاله في عقب أخيه وأن العجم تغلبهم على الخلافة فيتغلب الديلم أولا ثم يسوء حالهم حتى يظهر التزل من شمال المشرق فيملكون القرات والروم والشام وقال يعقوب بن اسحاق الكندي مدة ملة الاسلام ستمائة وثلاث وتسعون سنة * وقال الفقيه الحافظ ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم وأما اختلاف الناس في التاريخ فان اليهود يقولون أربعة آلاف سنة والنصارى يقولون الدنيا خمسة آلاف سنة وأما نحن يعني اهل الاسلام فلا نقطع على علم عدد معروف عندنا ومن ادعى في ذلك سبعة آلاف سنة او أكثر أو أقل فقد قال ما لم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لفظة تصح بل صح عنه عليه السلام خلافه بل نقطع على أن للدنيا امدا لا يعلمه الا الله تعالى قال الله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنتم في الامم قبلكم الا كالشجرة البيضاء في الثور الأسود والشجرة السوداء في الثور الأبيض وهذه نسبة من تدبرها وعرف مقدار عدد أهل الاسلام ونسبة ما بأيديهم من معمور الارض وانه الاكثر علم أن للدنيا امدا لا يعلمه الا الله تعالى وكذلك قوله عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين وضم اصبعه المقدستين السبابة والوسطى وقد جاء النص بأن الساعة لا يعلم متى تكون الا الله تعالى لا احد سواه فصيح أنه صلى الله عليه وسلم انما عني شدة القرب لافضل السبابة على السباحة اذ لو أراد ذلك لاخذت نسبة ما بين الاصبعين ونسب من طول الاصبع فكان يعلم بذلك متى تقوم الساعة وهذا باطل وأيضاً فكان تكون نسبته صلى الله عليه وسلم ايانا الى من قبلنا بائنا كالشجرة في الثور كذبا ومعاذ الله من ذلك فصيح أنه عليه السلام انما أراد شدة القرب وله صلى الله عليه وسلم منذ بعثت أربع مائة عام ونيف والله تعالى اعلم بما بقى للدنيا فاذا كان هذا العدد العظيم لانسبة له عند ما سلف قلته وتفاهته بالاضافة الى ما مضى فهو الذي قاله صلى الله عليه وسلم من اتساف من مضى كالشجرة في الثور والرقعة في ذراع الجمار وقد رأيت بخط الاميرابي محمد عبد الله بن الناصر قال حدثني محمد بن معاوية القرشي أنه رأى بالهند بلدا له اثنتان وسبعون ألف سنة وقد وجد محمد بن سبكتكين بالهند مدينة يورخون بأربع مائة ألف سنة قال ابو محمد الا أن لكل ذلك اولاً ولا بد ونهاية لم يكن شيء من العالم موجودا قبله والله الاخر من قبل ومن بعد والله أعلم

* (ذكر التواريخ التي كانت للام قبل تاريخ القبط) *

التاريخ كلمة فارسية أصلها ماروزم عرب * قال محمد بن احمد بن محمد بن يوسف البلخي في كتاب مفاتيح العلوم وهو كتاب جليل القدر وهذا اشتقاق بعيد لولا أن الرواية جاءت به وقال قدامة بن جعفر في كتاب الخراج تاريخ كل شيء آخره وهو في الوقت غايته يقال فلان تاريخ قومه اى اليه ينتهى شرفهم ويقال ورخت الكتاب يورخا وأرخته تاريخا واللغة الاولى اقيم والثانية لقيس ولكل أهل ملة تاريخ فكانت الامم تؤرخ اولاً بتاريخ

الخلقة وهو ابتداء كون النسل من آدم عليه السلام ثم أرخت بالطوفان وأرخت بخت نصر وأرخت ببيلش وأرخت بالاسكندر ثم بأغسطس ثم بانطس ثم بدقلطيانوس وبه تواريخ القبط ثم لم يكن بعد تاريخ القبط التاريخ الهجرية ثم تاريخ يزدجرد فهذه تواريخ الامم المشهورة وللناس خواويج أخر قد انقطع ذكرها * فأما تاريخ الخلقة ويقال له ابتداء كون النسل وبعضهم يقول بدو التحرك فان لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس في كيفية وسياقة التاريخ منه خلافا كثيرا قال المجوس والفرس عمر العالم اثنا عشر ألف عام على عدد بروج الفلك وشهور السنة وزعموا أن زرادست صاحب شريعته قال ان الماضي من الدنيا الى وقت ظهوره ثلاثة آلاف سنة مكبوسة الارباع وبين ظهور زرادست وأول تاريخ الاسكندر ثلاثة آلاف ومائتا سنة وثمان وخمسون سنة واذا حسبنا من أول يوم كيوم مرت الذي هو عندهم الانسان الاول وبعثنا مدة كل من ملك بعده فان الملك ملصق فيهم غير منقطع عنهم كان العدد منه الى الاسكندر ثلاثة آلاف وثلثمائة وأربعمائة وخمسين سنة فاذا لم يتفق التفصيل مع الجمله وقال قوم الثلاثة الا آلاف الماضية انما هي من خلق كيوم مرت فانه مضى قبله ألف سنة والفلك فيها واقف غير متحرك والطبايع غير مستحيلة والامتهات غير متمازجة والكون والفساد غير موجود فيها والارض غير عامرة فلما تحرك الفلك حدث الانسان الاول في معدن النار وتولد الحيوان وتوالد وتناسل الانس فكثروا وامتزجت أجزاء العناصر للكون والفساد فعمرت الدنيا وانتظم العالم * وقال اليهود الماضي من آدم الى الاسكندر ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمان وأربعون سنة وقال النصارى المدة بينهما خمسة آلاف ومائة وثمانون سنة وزعموا أن اليهود نقصوها ليقع خروج عيسى ابن مريم عليه السلام في الاصل الرابع وسط السبعة آلاف التي هي مقدار العالم عندهم حتى يخالف ذلك الوقت الذي سبقت البشارة من الانبياء الذين كانوا بعد موسى بن عمران عليه السلام بولادة المسيح عيسى واذا جع ما في التوراة التي بيد اليهود من المدة التي بين آدم عليه السلام وبين الطوفان كانت ألفا وستمائة وستا وخمسين سنة وعند النصارى في انجيلهم ألفان ومائتا سنة واثنتان وأربعون سنة وتزعم اليهود أن توراهم بعيدة عن التخليط وتزعم النصارى أن توراة السبعين التي هي بأيديهم لم يقع فيها تحريف ولا تبديل وتقول اليهود فيها خلاف ذلك وتقول السامرية بأن توراهم هي الحق وما عداها باطل وليس في اختلافهم ما يزيل الشك بل يقوى الجالبة له وهذا الاختلاف بعينه بين النصارى أيضا في الانجيل وذلك أن له عند النصارى أربع نسخ مجموعة في مصحف واحد أحدها انجيل متى والثاني لما رقس والثالث للوقا والرابع ليوحنا قد ألف كل من هؤلاء الاربعة انجيلا على حسب دعوته في بلاده وهي مختلفة اختلافا كثيرا حتى في صفات المسيح عليه السلام وأيام دعوته ووقت الصلب بزعمهم وفي نسبه أيضا وهذا الاختلاف لا يحتمل مثله ومع هذا فعند كل من اصحاب مرقون واصحاب ابن ديمان انجيل يخالف بعض هذه الاناجيل ولا اصحاب ماني انجيل على حدة يخالف ما عليه النصارى من اوله الى آخره ويزعمون أنه هو الصحيح وما عداها باطل واهم أيضا انجيل يسمى انجيل السبعين ينسب الى تلامس والنصارى وغيرهم ينكرونه واذا كان الامر من الاختلاف بين اهل الكتاب كما قد رأيت ولم يكن للقياس والرأي مدخل في تمييز حق ذلك من باطله امتنع الوقوف على حقيقة ذلك من قبلهم ولم يعول على شيء من اقوالهم فيه وأما غير اهل الكتاب فانهم ايضا مختلفون في ذلك * قال أسوش بين خلق آدم وبين ليلة الجمعة أول الطوفان ألفا سنة وست وعشرون سنة وثلاثة وعشرون يوما وأربع ساعات وقال ماشاء واسمه منشأين اثرى منجم المنصور والمأمون في كتاب القرانات أول قران وقع بين زحل والمسترى في بدء التحرك يعني ابتداء النسل من آدم كان على مضى خمسمائة وتسع سنين وشهرين وأربعة وعشرين يوما مضت من ألف المربيع فوق القران في برج الثور من المثلثة الارضية على سبع درجات واثنين وأربعين دقيقة وكان انتقال الممر من برج الميزان ومثلثته الهوائية الى برج العقرب ومثلثته المائية بعد ذلك بالنسبة واربعمائة سنة واثني عشرة سنة وستة اشهر وستة وعشرين يوما ووقع الطوفان في الشهر الخامس من السنة الاولى من القران الثاني من قرانات هذه المثلثة المائية وكان بين وقت القران الاول الكائن في بدء التحرك وبين الشهر الذي كان فيه الطوفان ألفان وأربعمائة وثلاث وعشرون سنة وستة أشهر واثنا عشر يوما وقال وفي كل سبعة آلاف سنة وستين وعشرة اشهر وستة ايام يرجع القران الى موضعه من برج الثور الذي كان

في بدء التحرك وهذا القول اعزك الله هو الذي اشتهر حتى ظن كثير من الملأ أن مدة بقاء الدنيا سبعة آلاف سنة فلا تغتر به وتنبه الى أصله تجده اوهى من بيت العنكبوت فاطرحه وقيل كان بين آدم وبين الطوفان ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة وقيل كانت بينهما مائة ألفين ومائتين وست وخمسين سنة وقيل ألفان وثمانون سنة * وأما تاريخ الطوفان فانه يتلوه تاريخ الخليقة وفيه من الاختلاف ما لا يطمع في حقيقته من اجل الاختلاف فيما بين آدم وبينه وفيما بينه وبين تاريخ الاسكندر فان اليهود عندهم أن بين الطوفان وبين الاسكندر ألفا وسبعمائة واثنين وتسعين سنة وعند النصارى بينهما ألفا سنة وتسعمائة وثمان وثلاثون سنة والفرس وسائر الجوس والكلدانيون أهل بابل والهند واهل الصين وأصناف الامم المشرقية يتكرون الطوفان وأقربه بعض الفرس لكنهم قالوا لم يكن الطوفان بسوى الشام والمغرب ولم يمت العمران كله ولا غرق الا بعض الناس ولم يتجاوز عقبة حلوان ولا بلغ الى عمالة المشرق قالوا ووقع في زمان طمهورت وانا هل المغرب لما انذر حكماؤهم بالطوفان اتخذوا المبانى العظيمة كالمهرمين بمصر ونحوهما ليدخلوا فيها عند حدوثه ولما بلغ طمهورت الانذار بالطوفان قبل كونه بمائة وأحدى وثلاثين سنة أمر باختيار مواضع في ملكته صحيحة الهواء والترية فوجد ذلك بأصبعان فأمر بتجليد العلوم ودقها فيها في أسلم المواضع ويشهد لهذا ما وجد بعد الثمناة من سنى الهجرة في حى من مدينة اصعيان من التلال التى انشقت عن بيوت ملوذة أعد الاعدة كثيرة قدملت من لحاء الشجر التى تلبس بها القسي وتسمى التورمكتوبية بكتابة لم يدركها أحد ما هى وأما التجمعون فانهم صحوا هذه السنين من القران الاول من قرانات العلويين زحل والمشتري التى اثبت علماء أهل بابل والكلدانيين مثلها اذا كان الطوفان ظهوره من ناحيةهم فان السفينة استقرت على الجودي وهو غير بعيد من تلك النواحي قالوا وكان هذا القران قبل الطوفان بمائتين وعشرين سنة ومائة وثمانية ايام واعتنوا بامرها وصحوا ما بعدها فوجدوا ما بين الطوفان وبين أول ملك بخت نصر الاول أنى سنة وستمائة وأربع سنين وبين نصر هذا وبين الاسكندر اربعمائة وست وثلاثون سنة وعلى ذلك بنى ابو معشر أوساط الكواكب في زيجيه وقال كان الطوفان عند اجتماع الكواكب في آخر برج الحوت وأول برج الحمل وكان بين وقت الطوفان وبين تاريخ الاسكندر قدر أنى سنة وسبعمائة وتسعين سنة مكبوسة وسبعة أشهر وستة وعشرين يوما وبين يوم الخميس أول المحرم من السنة الاولى من سنى الهجرة النبوية ألف ألف يوم وثلثمائة ألف يوم وتسعة وخمسون ألف يوم وتسعمائة يوم وثلاثة وسبعون يوما يكون من السنين الفارسية المصرية ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة سنة وخمسا وعشرين سنة وثلثمائة يوم وثمانية وأربعين يوما ومنهم من يرى أن الطوفان كان يوم الجمعة وعند أبي معشر أنه كان يوم الخميس ولما تقرر عنده الجلة المذكورة وخرجت له المدة التى تسمى أدوار الكواكب وهى بزعمهم ثلثمائة ألف وستون ألف سنة شمسية وأولها مئة قدم على وقت الطوفان بمائة الف وثمانين الف سنة شمسية حكم بأن الطوفان كان فى مائة ألف وثمانين ألف سنة وسيكون فيما بعد كذلك ومثل هذا لا يقبل الا بجهة او من معصوم * وأما تاريخ بخت نصر فانه على سنى القبط وعليه يعمل فى استخراج مواضع الكواكب من كتاب الجسطى ثم أدوار فالليس وأول ادوارهم فى سنة ثمانى عشرة وأربعمائة لبخت نصر وكل دور منها ست وسبعون سنة شمسية وكان فالليس من جلة اصحاب التعاليم وبخت نصر هذا ليس هو الذى خرب بيت المقدس وانما هو آخر كان قبل بخت نصر بخرب بيت المقدس بمائة وثلاث واربعين سنة وهو اسم فارسى أصله بخت برسى ومعناه كثير البكاء والانى ويقال له بالعبرانية نصار وقيل تفسيره عطار دوهو ينطق وذلك لتحبسه على الحكة وتغريب اهلها ثم عذب فقيل بخت نصر * وأما تاريخ فيلبش فانه على سنى القبط وكثيرا ما يستعمل هذا التاريخ من موت الاسكندر البناء المقدونى وكلا الامرين سواء فان القائم بعد البناء هو فيلبش فسواء كان من موت الاول او من قيام الاسخر فان الحالة المؤرخة هى كالفصل المشترك بينهما وفيلبش هذا هو ابو الاسكندر المقدونى ويعرف هذا التاريخ بتاريخ الاسكندرانيين وعليه بنى تاوان الاسكندراني فى تاريخه المعروف بالقانون والله أعلم * وأما تاريخ الاسكندر فانه على سنى الروم وعليه يعمل اكثر الامم الى وقتنا هذا من اهل الشام واهل بلاد الروم واهل المغرب والاندلس والفرنج واليهود وقد تقدم الكلام عليه عند ذكر الاسكندرية من هذا الكتاب * وأما

تاريخ اغسطس فانه لا يعرف اليوم احدى سنة له وأغسطس هذا هو أول القياصرة ومعنى قيصر بالرومية شق عنه فان اغسطس هذا المأجول به اتمه ماتت في الخاض فشق بطنها حتى أخرج منه قفيل قيصر وبه يلقب من بعده من ملوك الروم ويزعم النصارى أن المسيح عليه السلام ولد لاربعة سنين من ملكه وفي هذا القول نظر فانه لا يصح عند سافة السنين والتواريخ بل يحى تعديل ولادته عليه السلام في السنة السابعة عشر من ملكه * وأما تاريخ انطينس فان بطليموس صحح الكواكب الثابتة في كتابه المعروف بالجسطى لأول ملكه على الروم وسنو هذا التاريخ رومية

* ذكر تاريخ القبط *

اعلم أن السنة الشمسية عبارة عن عود الشمس في فلك البروج اذا تحركت على خلاف حركة الكل الى اى نقطة فرضت ابتداء حركتها وذلك انها تستوفى الازمنة الاربعة التى هى الربيع والصيف والخريف والشتاء وتحوز طبائعها الاربعة وتنتهى الى حيث بدأت وفي هذه المدة يستوفى القمر اثنتى عشرة عودة واقل من نصف عودة ويستعمل اثنتى عشرة مرة فجعلت المدة التى فيها عودات القمر اثنتا عشرة في فلك البروج سنة للقمر على جهة الاصطلاح وأسقط الكسر الذى هو أحد عشر يوما بالتقريب فصارت السنة على قسمين سنة شمسية وسنة قمرية وجميع من على وجه الارض من الامم أخذوا تواريخ سنينهم من مسير الشمس والقمر فالاخذون بمسير الشمس خمس امم هم اليونانيون والسرانيون والقبط والروم والفرس والاخذون بمسير القمر خمس امم هم الهند والعرب واليهود والنصارى والمسلمون * فأهل قسطنطينية والاسكندرية وسائر الروم والسرانيون والكلدانيون واهل مصر ومن يعمل برأى المعتضد أخذوا بالسنة الشمسية التى هى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم بالتقريب وصيروا السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وألحقوا الارباع بها في كل اربع سنين يوما حتى انجبرت السنة وسهواتك السنة كيسة لان كس الارباع فيها * وأما قبط مصر القدماء فانهم كانوا يتركون الارباع حتى يجمع منها ايام سنة تامة وذلك في كل ألف واربع مائة وستين سنة ثم يكسونها سنة واحدة ويتفقون حينئذ في أول تلك السنة مع اهل الاسكندرية وقسطنطينية * وأما الفرس فانهم جعلوا السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما من غير كس حتى اجتمع لهم من ريع اليوم في مائة وعشرين سنة ايام شهر تام ومن خمس الساعة الذى يتبع ريع اليوم عندهم يوم واحد فألحقوا الشهر التام بها في كل مائة وست عشرة سنة واقتنى اثرهم في هذا اهل خوارزم والصفد ومن دان بدین فارس وكانت المملوك البشداية منهم وهم الذين ملكوا الدنيا بخدا فبرها يعملون السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما كل شهر منها ثلاثون يوما سواء وكانوا يكبسون السنة كل ست سنين يوما ويسمون كيسة وكل مائة وعشرين سنة بشهرين احدهما بسبب خمسة الايام والثاني بسبب ريع اليوم وكانوا يعظمون تلك السنة ويسمون المباركة * وأما قدماء القبط واهل فارس في الاسلام واهل خوارزم والصفد فتركوا الكسور أعنى الارباع وما يتبعه اصلا * وأما العبرانيون وجميع بني اسرائيل والصابئون والحزانيون فانهم أخذوا السنة من مسير الشمس وشهورها من مسير القمر لتكون أعيادهم وصيامهم على حساب قمرى وتكون مع ذلك حافظة لآقاتها من السنة فكبسوا كل تسع عشرة سنة قمرية بسة اشهر وواقهم النصارى في صومهم وبعض أعيادهم لان مدار أمرهم على نسخ اليهود وخالفوهم في الشهور الى مذهب الروم والسرانيين وكانت العرب في جهاتها تنظر الى فضل ما بين سنتهم وسنة القمر وهو عشرة ايام واحد وعشرون ساعة وخمس ساعة فيلحقون ذلك بها شهرا كلما تم منها ما يستوفى ايام شهر ولكنهم كانوا يعملون على انه عشرة ايام وعشرون ساعة وكان يتولى ذلك النساء من بني كنانة المعروفون بالقلامس واحدهم قلس وهو البحر الغزير وهو ابو تمامة جنادة بن عوف بن امية بن قلع وأول من فعل ذلك منهم حذيفة بن عبد قيس وآخر من فعله ابو تمامة وأخذ العرب الكبس من اليهود قبل مجي دين الاسلام بنحو المائتين سنة وكانوا يكبسون في كل أربع وعشرين سنة تسعة اشهر حتى تبقى اشهر السنة ثابتة مع الازمنة على حالة واحدة لا تتأخر عن اوقات ولا تتقدم الى أن حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى عليه انما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة

ما حرم الله فيحياوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين نخطب صلى الله عليه وسلم وقال إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فبطل التنبيء وزالت شهور العرب عما كانت عليه وصارت اسماؤها غير الالهة على معانيها * وأما أهل الهند فأنهم يستعملون رؤية الالهة في شهورهم ويكبسون كل تسعمائة سنة وسبعين يوما بشمر قرى ويجعلون ابتداء تاريخهم اتفاق اجتماع في أول دقيقة من برج ما واكثر طلبهم لهذا الاجتماع أن يتفق في إحدى نقاطي الأعداء الذين ويسمون السنة الكنيسة بدماء فهذه آراء الخليفة في السنة * وأما اليوم فانه عبارة عن عود الشمس بدوران الكحل الى دائرة قد فرضت وقد اختلف فيه فجعله العرب من غروب الشمس الى غروبها من الغد ومن أجل أن شهور العرب مبنية على مسير القمر وأرائها مقيدة برؤية الهلال والهلال يرى لدن غروب الشمس صارت الليلة عندهم قبل النهار وعند الفرس والروم اليوم بليته من طلوع الشمس بارزة من افق المشرق الى وقت طلوعها من الغد فصار النهار عندهم قبل الليل واحتجوا على قولهم بأن النور وجود والظلمة عدم والحركة تغلب على السكون لانها وجود لا عدم وحياسة لا موت والسماء افضل من الارض والعامل الشاب أصح والماء الجاري لا يقبل عفونة كالأر كد واحتج الآخرون بأن الظلمة أقدم من النور والنور طارئ عليها فالأقدم يبدأ به وغلبوا السكون على الحركة بأضافة الراحة والدعة اليه وقالوا الحركة انما هي الحاجة والضرورة والتعب تنتج الحركة والسكون اذا دام في الاستقصاءات مدة لم يولد فسادا فاذا دامت الحركة في الاستقصاءات واستحكمت افسدت وذلك كالزلازل والعواصف والامواج وشبهها وعند أصحاب التنجيم أن اليوم بليته من موافاة الشمس فلك نصف النهار الى موافاتها اياه في الغد وذلك من وقت الظهر الى وقت العصر وبنوا على ذلك حساب أزياجهم وبعضهم ابتداء اليوم من نصف الليل وهو صاحب زيج شهر بارازانساء وهذا هو حد اليوم على الاطلاق اذا اشترط الدلية في التركيب فأما على التفصيل فالיום بانفراده والنهار بمعنى واحد وهو من طلوع جرم الشمس الى غروب جرمها والليل خلاف ذلك وعكسه وحدث بعضهم أول النهار بطلوع القمر وآخره بغروب الشمس لقوله تعالى وكوا واشروا حتى يتبين لكم الخط الابيض من الخط الاسود من الفجر ثم أمموا الصيام الى الليل وقال هذان الحدان هما طرفا النهار وعورض بأن الآية انما فيها بيان طرفي الصوم لا تعريف أول النهار وبأن الشفق من جهة المغرب نظير الفجر من جهة المشرق وهم امتساويان في العلة فلو كان طلوع الفجر أول النهار لكان غروب الشفق آخره وقد التزم ذلك بعض الشيعة فاذا تقر ذلك فنه قول تاريخ القبط يعرف عند نصارى مصر الآن بتاريخ الشهداء ويسميه بعضهم تاريخ دقلطيانوس

* (ذكر دقلطيانوس الذي يعرف تاريخ القبط به) *

اعلم أن دقلطيانوس هذا أحد ملوك الروم المعروفين بالقيصريين ملك في منتصف سنة خمس وتسعين وخمسمائة من سني الاسكندر وكان من غير بيت الملك فلما ملك نجبر وامتد ملكه الى مدائن الكاسرة ومدينة بابل فاستخلف ابنه على مملكة رومة واتخذ تحت ملكه بمدينة انطاكية وجعل لنفسه بلاد الشام ومصر الى أقصى المغرب فلما كان في السنة التاسعة عشر من ملكه وقيل الثانية عشر خالف عليه اهل مصر والاسكندرية فبعث اليهم وقتل منهم خلقا كثيرا وأوقع بالنصارى فاستباح دماءهم وغلق كنائسهم ومنع من دين النصارى وجعل الناس على عبادة الاصنام وبالغ في الاسراف في قتل النصارى وأقام ملكا احدي وعشرين سنة وهلك بعد علل صعبة ودود منها يدنه وسقطت اسنانه وهو آخر من عبد الاصنام من ملوك الروم وكل من ملك بعده فانما كان على دين النصرانية فان الذي ملك بعده ابنه سنة واحدة وقيل اكثر من ذلك ثم ملك قسطنطين الأكبر فأظهر دين النصرانية ونشره في الارض ويقال ان رجلا نارا بصم يقال له اجله وخرج عن طاعة الروم فسار اليه دقلطيانوس وحصر الاسكندرية دار الملك يومئذ ثمانية أشهر حتى اخذ أجله وقتله وعم أرض مصر كلها بالسبي والقتل وبعث قائده فخارب ما بوملوك فارس وقتل اكثر عسكره وهزجه وأسراهم وأنه واخوته وأنخن في بلاده وعاد بأسرى كثيرة من رجال فارس ثم أوقع بعامة بلاد رومة فاكثر قتلهم وسبيهم فكانت ايامه شنة قتل فيها من أصناف الامم وهدم من بيوت العبادات ما لا يدخل تحت حصر وكانت واقعة بالنصارى

هي السنة العاشرة وهي أشنع شدائدهم وأطولها لانها دامت عليهم مدة عشر سنين لا يفتر يوما واحدا يحرق فيها كنائسهم ويعذب رجالهم ويطلب من استتر منهم او هرب ليقتل يريد بذلك قطع اثر النصراني وابطال دين النصرانية من الارض فلهذا اتخذوا ابتداء ملك دقلطيا نوس تاريخا ركان ابتداء ملكه يوم الجمعة وبينه وبين يوم الاثنين اول يوم من توت وهو اول ايام ملك الاسكندر بن فيلبس المقدوني خمسمائة وأربع وتسعون سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة أيام وبين يوم الجمعة اول يوم من تاريخ دقلطيا نوس وبين يوم الخميس اول يوم من سنة الهجرة النبوية ثلثمائة وثمان وثلاثون سنة قريه وتسعة وثلاثون يوما وجعلوا شهر السنة القبطية اثني عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلاثون يوما سواء فاذا تمت الاشهر الاثنا عشر أتبعوها بخمسة أيام زيادة على عدد أيامها وسماها هذه الخمسة الايام ابو عمناء وتعريف اليوم بأيام النسيء فيكون الحال في النسيء على ذلك ثلاث سنين متواليات فاذا كان في السنة الرابعة جعلوا النسيء ستة ايام فتكون سنوهم ثلاث سنين متواليات كل سنة ثلثمائة وخمسة وستون يوما والاربعة يصير عددها ثلثمائة وستة وستين يوما ويرجع حكم سنينهم الى حكم سنة اليونانيين بأن تصير سنينهم الوسطى ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم الا أن الكبس يختلف فاذا كان كبس القبط في سنة كان كبس اليونانيين في السنة الداخلة * (واسماء شهر القبط) * توت بابه هاتور كيمك طوبه أمشير برمهاث برمودة بشنس بؤونه أييب مسري فهذه اثنا عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلاثون يوما واذا كانت عدة شهر مسري وهو الشهر الثاني عشر زادوا أيام النسيء بعد ذلك وعملوا النوروز اول يوم من شهر توت

* (ذكر اسابيع الايام) *

اعلم أن القدماء من الفرس والصفد وقبط مصر الاول لم يكونوا يستعملون الاسابيع من الايام في الشهور وأول من استعملها أهل الجانب الغربي من الارض لاسمائها أهل الشام وما حو اليه من اجل ظهور الانبياء عليهم السلام فيها هنالك واخبارهم عن الاسبوع الاول وبدء العالم فيه وان الله خلق السموات والارض في ستة ايام من الاسبوع ثم انتشر ذلك منهم في سائر الامم واستعملته العرب العاربة بسبب تجاور ديارهم وديار أهل الشام فانهم كانوا قبل تحولهم الى اليمن يبايل وعندهم اخبار نوح عليه السلام ثم بعث الله تعالى اليهم هودا ثم صالحا عليهما السلام وانزل فيهم ابراهيم خليل الرحمن ابنه اسمعيل عليهما السلام فتعرب اسمعيل وكانت القبط الاول تستعمل اسماء الايام الثلاثين من كل شهر فجعل لكل يوم منها اسما كما هو العمل في تاريخ الفرس وما زالت القبط على هذا الى أن ملك مصر اغشطش بن بوحس فأراد أن يجعلهم على كبس السنين ليوافقوا الروم أبدا فيها فوجدوا الباقي حينئذ الى تمام السنة المكيية الكبرى خمس سنين فانتظر حتى مضى من ملكه خمس سنين ثم جعلهم على كبس الشهور في كل اربع سنين بيوم كما تفعل الروم فترك القبط من حينئذ استعمال اسماء الايام الثلاثين لاحتياجهم في يوم الكبس الى اسم يخصه وانقرض بعد ذلك مستعملو اسماء الايام الثلاثين من أهل مصر والعارفون بها ولم يبق لها ذكر يعرف في العالم بين الناس بل دثر كادثر غيرها من اسماء الرسوم القديمة والعادات الاول سنة الله في الذين خلوا من قبل وكانت اسماء شهور القبط في الزمن القديم توت بووني اتور سواقي طوبى ماكير فامينوت برموتى باحون باووني افيي ايقا وكل شهر منها ثلاثون يوما ولكل يوم اسم يخصه ثم أحدث بعض رؤساء القبط بعد استعمالهم الكبس الاسماء التي هي اليوم متداولة بين الناس بمصر الآن من الناس من يسمى كيمك كال ويقول في برمهاث برمودة وفي بشنس بشانس وفي مسري ماسورى ومن الناس من يسمى الخمسة الايام الزائدة ابام النسيء ومنهم من يسميها ابو عمناء ومعنى ذلك الشهر الصغير وهي كما تقدم تلحق في آخر مسري وفيه يزداد اليوم الكبس فيكون ابو عمناء ستة ايام حينئذ ويسمون السنة الكبيسة النقط ومعناه العلامة ومن خرافات القبط أن شهورهم هي شهور سنى نوح وشيث وآدم منذ ابتداء العالم وانهم لم تزل على ذلك الى أن خرج موسى ببني اسرائيل من مصر فعملوا اول سنينهم خامس عشر نيسان كما أمروا به في التوراة الى أن نقل الاسكندر رأس سنينهم الى اول تشرين وكذلك المصريون نقل بعض ملوكهم اول سنينهم الى اول يوم من ملكه فصار اول توت عندهم يتقدم اول يوم

خلق فيه العالم بعامتين وعثمانية ايام اولها يوم الثلاثاء وآخرها يوم السبت وكان قوت اوله في ذلك الوقت يوم الاحد وهو اول يوم خلق الله فيه العالم الذي يقال له الآن ناسع عشرى برمهات وذلك أن اول من ملك على الارض بعد الطوفان نمرود بن كنعان بن حام بن نوح فعمر بابل وهو أبو الكلدانيين وملك بنو مصر ايم ابن حام بن نوح عليه السلام متش فبنى منف بمصر على النيل وسماها باسم جده مصر ايم وهو ثاني ملك ملك على الارض وهذان الملكان استعملتا تاريخ جدهما نوح عليه السلام واستن بسنتهم من جاء بعدهم حتى تغيرت كما تقدم

*** (ذكر أعياد القبط من النصارى بديار مصر) ***

روى يونس عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال اجتنبوا عيد اليهود والنصارى فإن السخط ينزل عليهم في مجامعهم ولا تتعلوا رطاباتهم فتخلقوا ببعض خلقهم * وعن ابن عباس في قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور واذا مروا بالغوم تزكروا اما قال اعياد المشركين فقيل له او ما هذا في الشهادة بالزور فقال لا انما به شهادة الزور ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا * اعلم أن نصارى مصر من القبط ينتحلون مذهب البعقونية كما تقدم ذكره وأعيادهم الآن التي هي مشهورة بديار مصر أربعة عشر عيداً في كل سنة من سنينهم القبطية منها سبعة أعياد يسمونها أعياداً كباراً وسبعة يسمونها أعياداً صغاراً * فالاعياد الكبار عندهم عيد البشارة وعيد الزيتونة وعيد الفصح وعيد خيس الاربعين وعيد الخيس وعيد الميلاد وعيد الغطاس * والاعياد الصغار عيد الختان وعيد الاربعين وخيس العهد وسبت النور واحداً للحدود والتجلى وعيد الصليب ولهم مواسم أخرى ليست هي عندهم من الاعياد الشرعية لكنها عندهم من المواسم العادية وهو يوم النوروز وسأذكر من خبر هذه الاعياد ما لا يتجدهم في غير هذا الكتاب على ما استخرجته من كتب النصارى وقوارخ اهل الاسلام * عيد البشارة هذا العيد عيد النصارى أصله بشارة جبريل مريم بميلاد المسيح عليهما السلام وهم يسمون جبريل غبريال ويقولون مارت مريم ويسمون المسيح ياشوع وربما قالوا السيد يشوع وهذا العيد تعمله نصارى مصر في اليوم التاسع والعشرين من شهر برمهات * عيد الزيتونة * ويعرف عندهم بعيد الشعانين ومعناه التسبيح ويكون في سابع أحد من صومهم وسنتهم في عيد الشعانين أن يخرجوا سعف النخل من الكنيسة ويرون أنه يوم ركوب المسيح العنبر وهو الجمار في القدس ودخوله الى صهيون وهو راكب والناس بين يديه يسبحون وهو يأمر بالمعروف ويحث على عمل الخير وينهى عن المنكر ويساعد عنه وكان عيد الشعانين من مواسم النصارى بمصر التي تزين فيها كنائسهم فلما كان لعشر خلون من شهر رجب سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة كان عيد الشعانين ففزع الحاكم بأمر الله ابو علي منصور بن العزيز بالله النصارى من تزيين كنائسهم وجماعهم الخوص على ما كانت عادتهم وقبض على عدة ممن وجد معه شيئاً من ذلك وأمر بالقبض على ما هو محبس على الكنائس من الاملاك وأدخلها في الدوان وكتب لسائر الاعمال بذلك وأحرق عدة من صلبانهم على باب الجامع العتيق والشرطة * عيد الفصح * هذا العيد عندهم هو العيد الكبير ويرغمون أن المسيح عليه السلام لما تملاً الى اليهود عليه واجتمعوا على تضليله وقله قبضوا عليه وأحضره الى خشبة ليصلب عليها فاعلم على خشبة عايم بالصان وعندنا وهو الحق أن الله تعالى رفعه اليه ولم يصلب ولم يقتل وأن الذي صلب على الخشبة مع اللصين غير المسيح ألقى الله عليه شبه المسيح قالوا واقتسم الجسد ثيابه وغشى الارض ظلمة من الساعة السادسة من النهار الى الساعة التاسعة من يوم الجمعة خامس عشر هلال نيسان للعبرانيين وناسع عشرى برمهات وخامس عشرى آذار سنة ودفن الشبيه آخر النهار بقبر وأطبق عليه حجر عظيم وختم عليه رؤساء اليهود وأقاموا عليه الحرس باكر يوم السبت كيلا يسرق فزعوا أن المقبور قام من القبر ليلة الاحد سحراً وبضى بطرس ويوحنا التلميذان الى القبر واذا الثياب التي كانت على المقبور بغير ميت وعلى القبر ملاك الله بثياب بيض فأخبرهما بقيام المقبور من القبر قالوا وفي عشية يوم الاحد هذا دخل المسيح على تلاميذه وسلم عليهم واكل معهم وكلمهم وأوصاهم وأمرهم بأمر قد تضمنها انجيلهم وهذا العيد عندهم بعيد عيد الصلبوت

ثلاثة ايام * (خمس الاربعين) * ويعرف عند أهل الشام بالمسلاق ويقال له أيضا عيد الصعود وهو الثاني والاربعون من الفطر ويزعمون أن المسيح عليه السلام بعد أربعين يوما من قيامته خرج الى بيت عينا والتلاميذ معه فرفع يديه وبارك عليهم وصعد الى السماء وذلك عندا كماله ثلاثا وثلاثين سنة وثلاثة أشهر فرجع التلاميذ الى اورشليم يعني بيت المقدس وقد وعدهم بأشهرهم وغير ذلك مما هو معروف عندهم فهذا اعتقادهم في كيفية رفع المسيح ومن أصدق من الله حديثنا * (عيد الخميس) * وهو العنصرة ويعملونه بعد خمسين يوما من يوم القيامة وزعموا أن بعد عشرة ايام من الصعود وخمسين يوما من قيامة المسيح اجتمع التلاميذ في عليه صهيون فتجلى لهم روح القدس في شبه ألسنة من نار فامتلاوا من روح القدس وتكلموا بجميع اللسان وظهرت على ايديهم آيات كثيرة فعاداهم اليهود وجسدهم فحباهم الله منهم وخرجوا من السجن فساروا في الارض متفرقين يدعون الناس الى دين المسيح * (عيد الميلاد) * يزعمون أنه اليوم الذي ولد فيه المسيح وهو يوم الاثنين فيجئون عشية ليلة الميلاد وسنتهم فيه ككرة الوقود بالسكائن وتزيينها ويعملونه بمصر في التاسع والعشرين من كيمك ولم يزل بديار مصر من المواسم المشهورة فكان يفرق فيه ايام الدولة الفاطمية على ارباب الرسوم من الاستاديين المحنكين والامراء المطوقين وسائر الموالى من الكتاب وغيرهم الجمامات من الخلاوة القاهرة والمشارد التي فيها السמיד وقربات الجلاب وطما في الزلاية والسلك المعروف بالبورى * ومن رسم النصراني في الميلاد اللعب بالنار * ومن أحسن ما قيل

ما اللعب بالنار في الميلاد من سفة * وانما فيه للاسلام مقصود

ففيه بهت النصراني ان ربهم * عيسى ابن مريم مخلوق ومولود

وأذكر كما الميلاد بالقاهرة ومصر وسائر اقليم مصر ومما جليل يساع فيه من الشموع الزهرة بالاصباغ الملحمة والتماثيل البديعة بأموال لا تحصى فلا يبقى أحد من الناس اعلاهم وادناهم حتى يشتري من ذلك الاولاده وأهله وكانوا يسمونها الفوانيس واحدها فانوس ويعلقون منها في الاسواق بالحوانيت شيئا يخرج عن الحد في الكثرة والملاحة ويتنافس الناس في المغالات في ثمانها حتى لقد أدركت شمعة عملت فبلغ مصر وفيها ألف درهم وخمسمائة درهم فضة عنها يومئذ ما ينف على سبعين مثقالا من الذهب واعرف السؤال في الطرقات أيام هذه المواسم وهم يسألون الله أن يتصدق عليهم بفانوس فيشتري لهم من صغار الفوانيس ما يبلغ ثمنه الدرهم وما حوله ثم لما اختلفت امور مصر كان من جملة ما يقال من عوايد الترف عمل الفوانيس في الميلاد الاقليلا * (الغطاس) * ويعمل بمصر في اليوم الحادي عشر من شهر طوبه وأصله عند النصراني أن يحيى بن زكريا عليه السلام المعروف عندهم بيوحنا المعمدان في عهد المسيح اى غسله في بحيرة الاردن وعند ما خرج المسيح عليه السلام من الماء اتصل به روح القدس فصار النصراني لذلك يغمسون اولادهم في الماء في هذا اليوم وينزلون فيه بأجمعهم ولا يكون ذلك الا في شدة البرد ويسمونه يوم الغطاس وكان له بمصر موسم عظيم الى الغاية * قال المسعودي * واليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لا ينام الناس فيها وهي ليلة الحادي عشر من طوبه ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلاثمائة ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طفج أمير مصر في داره المعروفة بالمختار في الجزيرة الركنية للنيل والنيل يطيف بها وقد أمر فأسرج في جانب الجزيرة وجانب القسطنطين ألف مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر بشاطئ النيل في تلك الليلة آلاف من الناس من المسلمين ومن النصراني منهم في الزوايق ومنهم في الدور الدانية من النيل ومنهم على سائر الشواطئ لا يتأكرون كل ما يجيئهم اظهارة من المأكول والمشرب والملابس وآلات الذهب والفضة والجوهر والملاهي والعزف والقصف وهي أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويغطس أكثرهم في النيل ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ونشرة للداء * وقال المسيحي في تاريخه من حوادث سنة سبع وستين وثلاثمائة منع النصراني من اظهار ما كانوا يفعلونه في الغطاس من الاجتماع ونزول الماء واظهار الملاهي ونودي أن من عل ذلك نقي من الحضرة وقال في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة كان الغطاس فضربت الخيام والمضارب والاسرة في عدة مواضع على شاطئ النيل ونصبت أسرة للرئيس فهدى بن ابراهيم النصراني كاتب الاستاد برحون وأودت له الشموع والمشاعل وخضر الغنون والملهون وجلس مع اهله يشرب الى أن كان

وقت الغطاس فغطس وانصرف * وقال في سنة احدى واربع مائة وفي ثامن عشرى جمادى الاولى وهو
عاشر طوبه منع النصارى من الغطاس فلم يغطس احد منهم في البحر وقال في حوادث سنة خمس عشرة
واربع مائة وفي ليلة الاربعاء رابع ذى القعدة كان غطاس النصارى يجرى الرسم من الناس في شراء الفواكه
والضأن وغيره ونزل أمير المؤمنين الظاهر لا عزازدين الله لعصر جده العزيز بالله في مصر لنظر الغطاس ومعه
الحرم ونودي أن لا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم في البحر في النيل وضرب بدر الدولة الخادم الاسود
متولى الشرطتين خيمة عند الجسر وجلس فيها وأمر أمير المؤمنين بأن توقد النار والمشاغل في الليل وكان وقيدا
كثيرا وحضر الرهبان والقسوس بالصلبان والنيران فقصسوا هنالك طويلا الى أن غطسوا * وقال ابن
المأمون في تاريخه من حوادث سنة سبع عشرة وخمسمائة وذكر الغطاس ففرق اهل الدولة ما جرت به العادة
لاهل الرسوم من الاترج والنارنج والليمون في المراكب وأطشان القصب والبورى بحسب الرسوم المقررة
بالديوان لكل واحد * (الختان) * يعمل في سادس شهر بؤونه ويزعمون أن المسيح ختن في هذا اليوم
وهو الثامن من الميلاد والقبط من دون النصارى تحت بخلاف غيرهم * (الاربعون) * وهو عندهم دخول
المسيح الهيكل ويزعمون أن سمعان الكاهن دخل بالمسيح مع امته وبارك عليه ويعمل في ثامن شهر أُمشير
* (خمس العهد) * ويعمل قبل الفصح بثلاثة أيام وسنتهم فيه أن يملؤا اناء من ماء ويزعمون عليه ثم يغسل
للتبركة به ارجل سائر النصارى ويزعمون أن المسيح فعل هذا بلامذته في مثل هذا اليوم كي يعلمهم التواضع ثم
أخذ عليهم العهد أن لا يتفرقوا وأن يتواضع بعضهم لبعض وعوام اهل مصر في وقتنا يقولون خمس العدس
من أجل أن النصارى تطبخ فيه العدس المصني ويقول اهل الشام خمس الارز وخمس البيض ويقول اهل
الاندلس خمس ابريل وابريل اسم شهر من شهورهم وكان في الدولة الفاطمية تضرب في خمس العدس هذا
خمس مائة دينار فتعمل خرابب تفرق في اهل الدولة برسوم مفردة كاذ كرى أخبار القصر من القاهرة عند
ذكر دار الضرب من هذا الكتاب وأدركنا خمس العدس هذا في القاهرة ومصر وأعمالها من جملة المواسم
العظيمة فيسباع في اسواق القاهرة من البيض المصبوغ عدة ألوان ما يتجاوز حد الكثرة فيقامر به العبيد
والصبيان والغوغاء وينتدب لذلك من جهة المحتسب من يردعهم في بعض الاحيان ويهادى النصارى بعضهم
بعضا ويهدون الى المسكين أنواع السمك المتنوع مع العدس المصني والبيض وقد بطل ذلك لما حل بالناس وبقيت
منه بقية * (سبت النور) * وهو قبل الفصح بيوم ويزعمون أن النور يظهر على قبر المسيح بزعمهم في هذا
اليوم بكنيسة القمامة من القدس فتشعل مصابيح الكنيسة كلها وقد وقف اهل الفصح والتفتيش على أن
هذا من جملة تحاربى النصارى لصناعة يعملونها وكان بمصر هذا اليوم من جملة المواسم ويكون ثالث يوم
من خمس العدس ومن توابعه * (حد الحدود) * وهو بعد الفصح بثمانية ايام فيعمل أول احد بعد الفطر
لان الاحاد قبله مشغولة بالصوم وفيه يجتدون الآلات والاثاث واللباس ويأخذون في المعاملات والامور
الدنيوية والمعاش * (عيد التجلي) * يعمل في ثالث عشر شهر مسرى يزعمون أن المسيح تجلي لتلاميذه بعد
ما رفع وتمنوا عليه أن يحضر لهم ايلياء وموسى عليهما السلام فأحضرهما اليهم بمصلى بيت المقدس ثم صعد الى
السماء وتركهم * (عيد الصليب) * ويعمل في اليوم السابع عشر من شهر توت وهو من الاعياد المجددة وسببه
ظهور الصليب بزعمهم على يد هيلانة ام قسطنطين وله خبر طويل عندهم ملخصه ما أنت تراه * (ذكر قسطنطين) *
وقسطنطين هذا هو ابن قسطنش بن وليطنوش بن ارشيموش بن دقيون بن كلوديش بن عايش بن كتيبان اعسب
الاعظم الملقب قيصر وهو أول من ثبت دين النصرانية وأمر بقطع الاوثان وهدم هياكلها وبنان البيع وآمن
من الملوكة بالمسيح وكانت امه هيلانة من مدينة الرها فتشأ بها مع أمته وتعلم العلوم ولم يزل في غاية من الظفر
والسعادة معانا منصورا على كل من حاربه وكان في أول أمره على دين الجوس شديد على النصارى ما قتال بينهم
وكان سبب رجوعه عن ذلك الى دين النصرانية انه ابتلى بجذام ظهر عليه فاغم ذلك غما شديدا وجمع الحذاق من
الاطباء فانفقوا على ادوية دبروها له وأوجبوا أن يستنقع بعند ذلك الادوية في صهر ينج بماء من دماء
اطفال رضع ساعة يسيل منهم فتقدم أمره بجمع جملة من اطفال الناس وأمر بدبحهم في صهر ينج ليستنقع في
دمائهم وهي طريقة فجمعت الاطفال لذلك وبرز ليضى فيهم ما تقدم به من دبحهم فسمع ضجيج النساء اللائي أخذ

أولادهن فرجهن وأمر فذبح لكل واحدة ابنها وقال احتمال علقى اولى بنى وأوجب من هلاك هذه العدة العظيمة من البشر فانصرف النساء بأولادهن وقد سررن سرورا كثيرا فلما صار من الليل الى مضجعه رأى في منامه شيئا يقول له انك رحمت الاطفال وانهت عنهم ورأيت احتمال علك اولى من ذبحهم فقد رحمتك الله وهب لك السلامة من علك فابعت الى رجل من اهل الايمان يدعى شلبشقر قد فر خوفك منك وقف عند ما يأمر بك به والتزم ما يحضرك عليه تتم لك العافية فاتتبه مذعورا وبعث في طلب شلبشقر الاسقف فأتى به اليه وهو يظن أنه يريد قتله لما عهد له من غلظته على النصارى ومقتله لديهم فعندما راه تلقاه بالبشر وأعلمه بمآله فى منامه فقص عليه دين النصرانية وكانت له معه أخبار طويلة مدكورة عندهم فبعث قسطنطين في جمع الاساقفة المنفيين والمسييرين والتزم دين النصرانية وشفاه الله من الجذام فأيد الديانة واعلن بالايمان بدين المسيح وبيناهو في ذلك اذ توقع وثوب أهل رومة عليه وايقاعهم به فخرج عنها وبني مدينة قسطنطينية بنينا جليلا فعرفت به وسكنها فصارت موضع تحت الملك من عهده وقد كان النصارى من لدن زمان بيرون الملك الذى قبل الحواريين ومن بعده ممن ملك رومة في كل وقت يقتلون ويحبسون ويشردون بالنفى فلما سكن قسطنطين مدينة قسطنطينية جمع الى نفسه أهل المسيح وقوى وجهرهم وأذل عباد الاوثان فشق ذلك على أهل رومة وخلعوا طاعته وقد مواعيلهم ملكا فأهمه ذلك ومترت له معهم عدة أخبار مدكورة في تاريخ رومة ثم انه خرج من قسطنطينية يريد رومة وقد استعدت الحربه فلما قاربهم اذعنوا له والتزموا طاعته فدخلها فأقام الى أن رجع لحرب القرس وخرج اليهم فقهروهم ودانت له اكثر ممالك الدنيا فلما كان في عشرين سنة من دولته خرجت القرس على بعض اطرافه فغزاهم وأخرجهم عن بلاده ورأى في منامه كأن بنودا شبه الصليب قد رفعت وقائلا يقول له ان اردت أن تطهر بين خالك فاجعل هذه العلامات على جميع بركك وسكك فلما اتتبه أمر بتجهيز امه هيلانة الى بيت المقدس في طلب آثار المسيح عليه السلام وبناء الكنائس واقامة شعائر النصرانية فسارت الى بيت المقدس وبنت الكنائس فيقال ان الاسقف مقاريوس دلها على الخشبة التى زعموا أن المسيح صلب عليها وقد قص عليه ما عمل به اليه ودخفرت فاذا قبر وثلاث خشبات على شكل الصليب فزعموا انهم ألغوا الثلاث خشبات على ميت واحدة بعد واحدة فقام حيا عند ما وضعت عليه الخشبة الثالثة منها فالتخذوا ذلك اليوم عيداً وسموه عيد الصليب وكان في اليوم الرابع عشر من ايلول والسابع عشر من توت وذلك بعد ولادة المسيح بثلاثة وعشرين سنة وجعلت هيلانة لخشب الصليب غلافاً من ذهب وبنت كنيسة القمامة ببيت المقدس على قبر المسيح برعهم وكانت لها مع اليهود أخبار كثيرة قد ذكرت عندهم ثم انصرف الصليب معها الى ابنها وما زال قسطنطين على ممالك الروم الى أن مات بعد أربع وعشرين سنة من ولايته فقام من بعده بممالك الروم ابنه قسطنطين الاصغر وقد كان لعيد الصليب بمصر موسم عظيم يخرج الناس فيه الى بنى وائل بظاهر فسطاط مصر ويتظاهرون في ذلك اليوم بالتمسكات من انواع الحرثات ويمزلهم فيه ما يتجاوز الحد فلما قدمت الدولة الفاطمية الى ديار مصر وبثوا القاهرة واستوطنوها وكانت خلافة امير المؤمنين العزيز بالله أمر في رابع شهر رجب في سنة احدى وثمانين وثلاثمائة وهو يوم الصليب فخرج الناس من الخروج الى بنى وائل وضبط الطرق والدروب ثم لما كان عيد الصليب في اليوم الرابع عشر من شهر رجب سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة خرج الناس فيه الى بنى وائل وجروا على عادتهم في الاجتماع واللهو وفي صفر سنة اثنتين وأربع مائة قرئ في سابعه سجد بالجامع العتيق وفي الطرقات كتب عن الحاكم بأمر الله يستعمل على منع النصارى من الاجتماع على عمل عيد الصليب وأن لا يظهروا بزيتهم فيه ولا يقربوا كنائسهم وأن يمنعوا منها ثم بطل ذلك حتى لم يكديعرف اليوم بديار مصر البتة * (النيروز) * هو أول السنة القبطية بمصر وهو أول يوم من توت وسنتهم فيه اشعال النيران والتراس بالماء وكان من مواسم لهو المصريين قديما وحديثا قال وهب بردت السارى الليلة التى فيها ابراهيم وفي صبيحتها على الارض كلها فلم ينتفع بها احد في الدنيا تلك الليلة وذلك الصباح فن اجل ذلك بات الناس على السارى تلك الليلة التى رعى فيها ابراهيم عليه السلام ووثبوا عليها وتبخروا بها وسموا تلك الليلة نيروزا والنيروز في اللسان السريانى العيد وسئل ابن عباس عن النيروز لم اتخذوه عيداً فقال انه اول السنة المستأنفة وآخر السنة المنقطعة فكانوا يستحبون أن يقدموا فيه على ملوكهم بالطرف والهدايا فاخذته الاعاجم سنة قال الحافظ ابو القاسم على بن

عسا كرفى تاريخ دمشق من طريق ابن عباس رضى الله عنه ما قال ان فرعون لما قال للملأ من قومه ان هذا الساحر علم قالوا له ابعث الى السحرة فقال فرعون لموسى يا موسى اجعل بيننا وبينك موعدا لا تخلفه نحن ولانت فاجتمع انت وهرون وتجمع السحرة فقال موسى موعدكم يوم الزينة قال ووافق ذلك يوم السبت فى اول يوم من السنة وهو يوم النيروز وفى رواية ان السحرة قالوا لفرعون ايها الملك واعد الرجل فقال قد واعدته يوم الزينة وهو عيدكم الا كبر ووافق ذلك يوم السبت فخرج الناس لذلك اليوم قال والنوروز اول سنة الفرس وهو الرابع عشر من آذار وفى شهر برمهاث ويقال اول من احدثه جشيد من ملوك الفرس وانه ملك الاقاليم السبعة فلما كل ملكه ولم يبق له عدو اتخذ ذلك اليوم عيداً وسماه نوروزاً فى اليوم الجديد وقيل ان سليمان بن داود عليه السلام اول من وضعه فى اليوم الذى رجع اليه فيه خاتمه وقيل هو اليوم الذى شفى فيه ايوب عليه السلام وقال الله سبحانه وتعالى له اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فجعل ذلك اليوم عيداً وسنوا فيه رش الماء ويقال كان بالشام بسط من بنى اسرائيل اصابعهم الطاعون فخرجوا الى العراق فبلغ ملك العجم خبرهم فأمر أن تبني عليهم حظيرة فيجعلون فيها ما صاروا فيه اماناً وكانوا أربعة آلاف رجل ثم ان الله تعالى اوحى الى نبي ذلك الزمان ارايت بلادك دكا وكذا خاربهم بسط بنى فلان فقال يارب كيف احاربهم وقد ماتوا فأوحى الله اليه اني احبهم لك فأطهرهم الله ليلة من الليالي فى الحظيرة فأصبحوا احياء فهم الذين قال الله فيهم ألم ترالى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم فرجع أمرهم الى ملك فارس فقال تبركوا بهذا اليوم وليصحب بعضكم على بعض الماء فكان ذلك اليوم يوم النوروز فصارت سنة الى اليوم وسئل الخليفة المأمون عن رش الماء فى النوروز فقال قول الله تعالى ألم ترالى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم هؤلاء قوم اجدبوا تقول مات فلان هز الا فغيثوا فى هذا اليوم برشة من مطر فعاشوا فأخصب بلادهم فلما احياهم الله بالغيث والغيث يسمى الحيا جعلوا صب الماء فى مثل هذا اليوم سنة يتبركون بها الى يومنا هذا * وقد روى ان الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف قوم من بنى اسرائيل فزوا من الطاعون وقيل أمر وابلجها دغخافوا الموت بالقتل فى الجهاد فخرجوا من ديارهم فراراً من ذلك فأما تم الله ليعرفهم انه لا ينجم من الموت شئ ثم احياهم على يد حزقيل احد انبياء بنى اسرائيل فى خبر طويل قد ذكره اهل التفسير * وقال على بن حنيفة فى كتاب اعياد الفرس ان اول من اتخذ النيروز جشيد ويقال جشاد أحد ملوك الفرس الاول ومعنى النوروز اليوم الجديد والنوروز عند الفرس يكون يوم الاعتدال الربيعي كما أن المهرجان اول الاعتدال الخريفي ويزعمون أن النوروز أقدم من المهرجان فيقولون ان المهرجان كان فى ايام افريدون وانه اول من عمله لما قتل الضحاك وهو بيوراست فجعل يوم قتله عيداً سماه المهرجان وكان حدوثه بعد النوروز بألفى سنة وعشرين سنة * وقال ابن وصيف شاه فى ذكر مناشوش بن منقاوش أحد ملوك القبط فى الدهر القديم وهو اول من عمل النوروز بمصر فكانوا يقيمون سبعة أيام يأكلون ويشربون اكراماً للكهنة * وقال ابن رضوان ولما كان النيل هو السبب الاعظم فى عمارة ارض مصر رأى المصريون القدماء وخاصة الذين كانوا فى عهد قلد يانوس الملك أن يجعلوا اول السنة فى اول الخريف عند استكمال النيل الحاجة فى الامر الا كثر فجعلوا اول شهر ورمهم توت ثم بابه ثم هاتور وعلى هذا الولا بحسب المشهور من ترتيب هذه الشهور * وقال ابن زولاق وفى هذه السنة يعنى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة منع امير المؤمنين المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز فى السكك ومن صبة الماء يوم النوروز * وقال فى سنة اربع وستين وفى يوم النوروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران وطاف اهل الاسواق وعملوا فيه وخرجوا الى القاهرة بلعهم واعبوا ثلاثة أيام وأظهروا السماجات والحلى فى الاسواق ثم أمر المعز بالنداء بالكف وأن لا توقد نار ولا يصب ماء واخذ قوم فحسبوا واخذ قوم فطيف بهم على الجبال * وقال ابن المأمون فى تاريخه وحل موسم النوروز فى اليوم التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة بالنوروز من الطراز ونغرا الاسكندرية مع ما يتبعها من الآلات المذهبة والخيرى والسوادج وأطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق وجميع الاصناف المختصة بالموسم على اختلافها بقصدها واسماء اربابها واصناف النوروز البطنج والمان وعناقيد الموز وأفراد

البسر واقفاص القراقصى واقفاص السفرجل وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ومن لحم الضأن ومن لحم البقر من كل لون بكلة مع حبرير مارق قال وأحضر كاتب الدفتر الحسابات بما جرت به العادة من اطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها في يوم النوروز وغير ذلك من جميع الاصناف وهو أربعة آلاف دينار ذهباً وخمسة عشر ألف درهم فضة والكسوات عدة كثيرة من شقق ديقية مذهبات وحريريات ومعابر وعصائب نسائيات ملونات وسقولا مذهب وحريرى ومسفع وفوط ديقية حريرية فأما العين والورق والكسوات فذلك لا يخرج عن تحوزة القصور ودار الوزارة والشيوخ والاصحاب والخواشي والمستخدمين ورؤساء العشاريات وبجاريها لم يكن لاحد من الامراء على اختلاف درجاتهم في ذلك نصيب * وأما الاصناف من البطيخ والرمان والبسر والموز والسفرجل والعناب والهراس على اختلافها فيشمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم ويشركهم فيه جميع الامراء ارباب الاطواق والانصاف وغيرهم من الامثال والاعيان ممن له جاه ورسم في الدولة * وقال القاضي الفاضل في متجددات سنة أربع وثمانين وخمسمائة يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم النوروز القبطى وهو مستهل توت وتوت اول سنتهم وقد كان بمصر في الايام الماضية والدولة الخالية من مواسم بطالاتهم ومواقب ضلالتهم فكانت المنككرات ظاهرة فيه والقواحش صريحة فيه ويركب فيه أمير موسوم بأمر النوروز ومعه جمع كثير ويتسلط على الناس في طلب رسم رتبته ويرسم على دور الأكابيل الجبل الكبار ويكتب مناشير ويندب مرسمين كل ذلك يخرج مخرج الطير ويقع باليسور من الهبات ويجمع المغنون والفاسقات تحت قصر اللؤلؤ بحيث يشاهدهم الخليفة وبايديهم الملالى وترتفع الاصوات ويشرب الخمر والمزشر باظهار بينهم وفي الطرقات ويتراش الناس بالماء وبالماء والخمر وبالماء ممزوجاً بالاقذار وان غلط مستور وخرج من بيته لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ويستخف بجرمته فاما أن يفدى نفسه واما أن يفضح ولم يجز الحال على هذا ولكن قدرش الماء في الحارات وقد أحيى المنكرات في الدور وأرباب الخسارات * وقال في متجددات سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وجرى الامر في النوروز على العادة من رش الماء واستجدت فيه هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالانطاع وانقطع الناس عن التصرف ومن ظفريه في الطريق رش بمياه نجسة وخرق به وما زال يوم النوروز يعمل فيه ما ذكر من التراش بالماء والتصافع بالخلود وغيرها الى أن كانت أعوام بضع وثمانين وسبع مائة وأمر الدولة بديار مصر وتديرها الى الأمير الكبير برقوق قبل أن يجلس على سرير الملك ويتسمى بالسلطان فنع من لعب النوروز وهدد من لعبه بالعقوبة فأتكف الناس عن اللعب في القاهرة وصاروا يعملون شيئاً من ذلك في الخيلان والبرك ونحوها من مواضع التنزه بعدما كانت أسواق القاهرة تعطل في يوم النوروز من البيع والشراء ويتعاطى الناس فيه من اللهو واللعب ما يخرجون عن حد الحياء والخشمة الى الغاية من الفجور والعهور وقما تقضى يوم نوروز الاقتل فيه قتل اواككرو ولم يبق الآن للناس من الفراغ ما يقتضى ذلك ولا من الرفه والبطر ما يوجب اهمه له وما أحسن قول بعضهم

كيف ابتهاجك بالنوروز يا سكنى * وكل ما فيه يحكينى وأحكيه
فتارة كلهيب النار فى كبدى * وتارة كتوالى دمعى فيه
هـ (وقال آخر) *

نورز الناس ونورزت ولكن بدوعى
وذكت نارهم والنار ما بين ضلوعى
* (وقال آخر) *

ولما أتى النوروز يا غاية المنى * وأنت على الاعراض والهجر والصد
بعثت بنار الشوق ليلا الى الحشا * فنورزت صبها بالدموع على الخد

ذكر ما وافق ايام الشهور القبطية من الاعمال في الزراعات وزيادة النيل وغير ذلك على ما نقله
اهل مصر عن قدمائهم واعتمدوا عليه في امورهم

اعلم أن المصريين القدماء اعتمدوا في تاريخهم السنة الشمسية كما تقدم ذكره ليصير الزمان محفوظاً وأعمالهم واقعة في أوقات معلومة من كل سنة لا يتغير وقت عمل من أعمالهم بتقديم ولا تأخير البتة * (توت) بالقبطى هو ايلول وكانت عادة مصر مدعاه فراعتها في استخراج خراجها وجباية أموالها أنه لا يستتم استيفاء الخراج من أهلها الا عند تمام الماء واقتراشه على سائر أرضها ويقع انتماءه في شهر توت فاذا كان كذلك ورعما كانت زيادة عن ذلك أطلق الماء في جميع نواحيها من ترعها ثم لا يزال يترجح في الزيادة والنقصان حتى يفرغ توت وفي أوله يكون يوم النور وروز رابعة أول ايلول وسابعه يلقط الزيتون وثاني عشره يطلع الفجر بالبرقة وسابع عشره عيد الصليب فيشرط اللسان ويستخرج دهنه ويفتح ما يتأخر من الابجر والترع وترتب المدامسة لحفظ الجسور وفي ثامن عشره تنقل الشمس الى برج الميزان فيدخل فصل الخريف وفي خامس عشره يطلع الفجر بالعوا ويكبر صغار السمك وفي هذا الشهر يعم ماء النيل أراضى مصر وفيه تسجل النواحي وتسترفع السجلات والقوانين وتطلق التقاوى من الغلال لتخضير الاراضى وفيه يدرك الرمان والبسر والرطب والزيتون والقطن والسفرجل وفيه يكون هبوب ريح الشمال أقوى من هبوب ريح الجنوب وهبوب الصبا أقوى من الدبور وكان قدماء المصريين لا ينصبون فيه أساسا وفيه يكثر بمصر العنب الشتوى وتبذر المحضات * (بابه) في أوله يحصد الارز ويزرع القول والبرسيم وسائر الحبوب التي لا تنشق لها الارض وفي رابعة أول تشرين الاول وفي ثامنه طلوع الفجر بالسمك وهو نهاية زيادة النيل وابتداء نقصه وقد لا يتم الماء فيه فيجوز بعض الارض عن أن يركبها الماء فيكون من ذلك نقص الخراج عن الكمال وفي تاسعه يكون مجيء الكراكي الى ارض مصر وفي عاشره يزرع الكتان وفي ثاني عشره يكون ابتداء شق الارض بصعيد مصر لبذر القمح والشعير وفي ثامن عشره تنقل الشمس الى برج العقرب ويقطع الخشب وفي تاسع عشره يكون ابتداء نقص ماء النيل ويكثر البعوض وفي حادى عشره يطلع الفجر بالغفر * وفي هذا الشهر تصرف المياه عن الاراضى ويخرج المزارعون لتخضير الاراضى فيبدؤن بيسر زراعة القرط ثم بزراعة الغلة البدرية أولا فاولا وفيه يستخرج دهن الآس ودهن النيلوفر ويدرك القروا والبيب والسمسم والقلقاس وفيه يكثر صغار السمك ويقل بكاره ويسمن الراى والابرمنس من السمك خاصة وتستحكم حلاوة الرمان ويكون فيه أطيب منه في سائر الشهور التي يكون فيها ويضع الضان والمعز والبقر الخيسية وفيه يلج السمك المعروف بالبورى ويهزل الضان والمعز والبقر ولا تطيب لحومها وتدرك المحضات وفيه يجب كتابة التذكار بالاعمال القوصية وفيه يغرس المنشور ويزرع السلم * (هاثور) في خامسه يكون أول تشرين الثانى ويطلع الفجر بالزبان فى رابعة وفي سادسه يزرع الخشخاش وفي سابعه بصرف ماء النيل عن اراضى الكتان ويسذر في النصف منه وبعد تمام شهر يسجن وفي ثامنه أوان المطر الوسمى وفي حادى عشره تهب ريح الجنوب وفي خامس عشره تبرد المياه بمصر وفي سابع عشره يطلع الفجر بالاكليل وفي ثامن عشره تحل الشمس برج القوس وفي تاسع عشره يغلق البحر الملح وفي سابع عشره تهب الرياح للواقي * وفي هذا الشهر يلبس اهل مصر الصوف من سابعه وفيه يكسر ما يحتاج اليه من قصب السكر برسم المعاصر وبراغ الغلة في جميع ما يحتاج اليه فيها ويتم بعلف أبقارها وجمالها بعد بيع شاربها وعاجزها والتعويض عنه بغيره وأفراد الاتان برسم وقود القنود وترتيب القوامصة لعمل الاباليج والقواديش والامطار برسم القنود والاعسال وفيه يدرك البنفسج والنيلوفر والمنشور ومن البقولات الاسباناخ والبلسان واختار قدماء المصريين في هاتور نصب الاساسات وزرع القمح وأطيب جلان السنة حله وفيه يكثر العنب الذى كان يحمل من قوص * (كهيك) أوله الاربعينات بمصر ويدخل الطير وكره وفي سادسه بشاره مريم بحمل عيسى عليهما السلام وفي سابعه أول كانون الاول وفي عاشره آخر الليالى البلق وأولها أول هاتور وفي حادى عشره أول الليالى السود ويدخل الثعل الابجرة وفي ثالث عشره يطلع الفجر بالشولة وتظهر البراغيث ويسخن باطن الارض وفي سادس عشره يسقط ورق الشجر وفي سابع عشره تنقل الشمس الى برج الجدى فيدخل فصل الشتاء ويزرع الهليون وفي حادى عشره يكون آخر الليالى البلق وفي ثاني عشره عيد البشارة وفي ثالث عشره تزرع الحلبة والترمس وفي سادس عشره يطلع الفجر بالنعام وفي ثامن عشره يبيض النعام وفي تاسع عشره الميلاد * وفي هذا الشهر يزرع الخيار بعد

اغراق ارضه وفيه يتكامل بذر القمح والشعير والبرسيم الحراثي وفيه يستخرج خراج البرسيم بدار الوجه القبلي وفيه ترتب حراس الطير وفيه كسر قصب السكر واعتصاره واستخدام الطبّاخين لطبخ القنود وفيه يكون ادراك الثرجس والمحضات والقول الاخضر والكربن والجزر والكرث الابيض واللفت وفيه يقل هبوب ريح الشمال ويكثر هبوب ريح الجنوب وفيه يوجد الجداوي يكون اطيب منها في جميع الشهور التي يكون فيها وفيه يزرع اكثر حبوب الخرش ولا يزرع بعده في ثني من ارض مصر غير السمسم والمقاني والقطن * (طوبه) في ثلثه ابتداء زراعة الحنص والجلبان والعدس وفي سادسه اول كانون الثاني وفي ثامنه يطلع الفجر بالبلد وعاشره حوم الغطاس وحادي عشره الغطاس وفي ثاني عشره يشهد البرد وفي رابع عشره يرتفع الوباء بمصر ويغرس النخل وفي سابع عشره تحل الشمس اول برج الدلو ويكثر الندى ويكون ابتداء غرس الاشجار وفي العشرين منه يكون آخر الليالي السود وحادي عشره الليالي البلق الثانية وفي ثاني عشره يطلع الفجر بسعد الذابح وفي ثالث عشره تهب الرياح الباردة وفي رابع عشره تفرخ جوارح الطير وفي خامس عشره يكون نتاج الابل المجودة وفي سابع عشره يصفو ماء النيل وفي ثامن عشره يتكامل ادراك القرط * وفي هذا الشهر تقلم الكروم وينتفح زرع الغلة من اللسان وغيره وينتفح زرع الكتان من الفجل وغيره وفيه تبرش الاراضي اول سكة برسم الصبا في المقاني والقطن والسمسم وينتهي برشها في اول امشير وفيه تسمى ارض القلقاس والقصب وتنشق الجسور وفي آخره تستخرج اراضي الخرس ويكسر القصب الراس بعد افراز ما يحتاج اليه من الزريعة وهو لكل فدان طين قيراط طيب قصب راس وفيه يتم بعمارة السواني وحفر الآبار واتباع ابقار وفيه يظهر اللوز الاخضر والنبق والهليون وفيه ايضا يكون هبوب ريح الجنوب اكثر من هبوب الشمال وهبوب الصبا اكثر من هبوب الدبور وفيه يكون الباقلا الاخضر والجزر اطيب منه ما في غيره وفيه يتناهي ماء النيل في صفائه ويحزن فلا يغير في اوائله ولو طال لبشه فيها وفيه تطيب لحوم الضأن اطيب منها في سائر الشهور وفيه تربط الخيول والبغال على القرط من اجل ربيعها وبطوبه يطالب الناس باقتراح الخراج ومحاسبة المتقبلين على الثمن من السجلات من جميع ما بأيديهم من المحلول والمعقود * (امشير) في اوله تحتلف الرياح وفي خامسه يطلع الفجر بسعد باع وفي سادسه يكون اول شباط وفي ثامنه يجري الماء في العود وحادي عشره اول جرة باردة وسادس عشره تحل الشمس بأول برج الحوت وفي سابع عشره يخرج النمل من الاجرة وفي ثامن عشره يطلع الفجر بسعد السعود وفي العشرين منه ثاني جرة فائرة وفي ثالث عشره تقلم الكروم وخامس عشره يفرخ النخل وسابع عشره ثالث جرة طامية ويورق الشجر وهو آخر غرسها وفي آخره يكون آخر الليالي البلق * وفي هذا الشهر يقطع السلم ويستخرج خراجه وفيه يثنى برش الصبا في تبرش ايضا ثالث سكة وفيه يعمل مقاطع الجسور وتسمح الاراضي ويرقد البيض في المعامل اربعة أشهر آخرها بنس وفيه يكون ريح الشمال اكثر الرياح هبوبا وفيه ينبغي أن تعمل اواني الخزف للماء لتستعمل فيه طول السنة فان ما عمل فيه من اواني الخزف يبرد الماء في الصيف اكثر من تبريد ما يعمل في غيره من الشهور وفيه يتكامل غرس الشجر وتقليم الكروم وفيه يدرك النبق واللوز الاخضر ويكثر البنفسج والمنثور * ويقال امشير يقول للزرع سيرو يلحق بالطويل القصير وفيه يقل البرد ويبهب الهواء الذي فيه سخونة ما وفي امشير يؤخذ الناس فيه باتمام ربيع الخراج من السجلات * (برمهات) اول يوم منه يطلع الفجر بالاخبية وفي خامسه يحضن دود القز وسادسه يزرع السمسم وثاني عشره يطلع الكتان ورابع عشره يكون اول العجااز ويطلع الفجر بالفرغ المقدم وفي سادس عشره تنفخ الحيات أعينها وفي سابع عشره تنقل الشمس الى برج الحمل وهو اول فصل الربيع ورأس سنة الجند ورأس سنة العالم وفي العشرين منه يكون آخر العجااز وثاني عشره نتاج الخيل المجودة وثالث عشره يظهر الذباب الأزرق وخامس عشره تظهر هوام الارض وسابع عشره يطلع الفجر بالفرغ المؤخر وفي آخره يتفرق السحاب * وفي هذا الشهر تجرى المراكب السفرية في البحر الملح الى ديار مصر من المغرب والروم ويهيم فيه بتجريد الاجناد الى الثغور كالاسكندرية ودمياط وتينس ورشيد وفيه كانت تجهز الاساطيل ومراكب الشواني لحفظ الثغور وفيه زرع المقاني والصيفي ويدرك القول والعدس ويقطع الكتان وترزع اقصاب السكر في الارض المبروشة المختارة لذلك البعيدة العهد

عن الزراعة وبأخذ المتشمرون في تنظيف الارض المزروعة من القش في وقت الزراعة وبأخذ القطاعون في قطع الزريعة وبأخذ المزارعون في رمي قطع القصب وفيه يؤخذ في تحصيل النطرون وحمله من وادي هيبث الى الشونة السعادية وفيه يكون ريح الشمال اكثر الريح هبوا وفيه تزهر الاشجار وينعقد اكثر ثمارها وفيه يكون الابن الرائب اطيب منه في جميع الشهور التي يعمل فيها وفي برمهات يطالب الناس بالربع الثاني والثامن من الخراج * (برموده) في سادسه اول نيسان وفي عاشره يطلع الفجر بالرياء وفي ثاني عشره يطلع الفجل وفي سابع عشره تحل الشمس اول برج الثور وفي ثالث عشره يطلع الفجر بالشرطين وهو رأس الحمل وأول منازل القمر وفيه ابتداء كسار الفول وحصاد القمح وهو ختام الزرع * وفي هذا الشهر يهتم بقطع خشب السنط من الخراج الذي كان يصير في القديم أيام الدولة الفاطمية والايوبية ويجزأ الى السواحل لتيسر حمله في زمن النيل الى ساحل مصر ليعمل شواني واحطابا برسم الوقود في المطابخ السلطانية وفيه يكثر الورد ويرزق النصارى شنبو والمولوخيا والبادنجان وفيه يقطف اوانل عسل النحل وينفض بزرا الكنان واحسن ما يكون الورد فيه من جميع زمانه وفيه يظهر البطن الاول من الجيز وفيه تقع المساحة على اسفل الاعمال ويطالب الناس باغلاق نصف الخراج من سبلاهم ويحصد بدي الزرع * (بشنس) في خامسه تكثر الفاكهة وسادسه اول ايار وفيه طلوع الفجر بالبطين وثامنه عيد الشهيد وتاسعه افتتاح البحر المالح ورابع عشره يزرع الارز وثمان عشره تحل الشمس اول برج الجوزاء وفيه يطيب الحصاد وفي تاسع عشره يطلع الفجر بالريا وفيه زراعة الارز والسهم ورابع عشره يكون عيد البلسان بالمطرية ويرزعون انه اليوم الذي دخلت فيه مريم الى مصر * وفي هذا الشهر يكون دراس الغلة وهذا الكنان ونفض البرز والتقاوى والابان وحملها وفيه زراعة البلسان وتقلبه وسقيه وتكريم اراضيه من بؤونة الى آخرها تور واستخراج دهنه بعد شرطه في نصف توت وان كان في اوله فهو اصل الى آخرها تور وصلاح أيامه أيام الندي ويقم في الندي سنة كاملة الى أن يشرب اعصاره وأوساخه ويطبخ الدهن في الفصل الربيعي في شهر برمهات فيعمل لكل رطل مصري أربعة وأربعون رطلا من مائة فيحصل منه قدر عشرين درهما وما حوالها من الدهن * وفي هذا الشهر اكثر ما يهب من الرياح الشمالية وفيه يدرك التفاح القاسي ويتدى فيه التفاح المسكي والبطيخ العبدلي ويقال انه اول ما عرف بمصر عند ما قدم اليها عبد الله بن طاهر بعد المائتين من سني الهجرة فنسب اليه وقيل له العبدلي وفيه أيضا يتدئ البطيخ الجربى والشمش والخواخ الزهري ويجئ الورد الابيض وفيه تقزم المساحة ويطالب الناس بما يضاف الى المساحة من أبواب وجوه المال كالحرف والجهنزة وحق المراعي والقرط والكنان على رسوم كل ناحية ويستخرج فيه اتمام الربع مما تقررت عليه العقود والمساحة ويطلق الحصاد لجميع الناس * (بؤونة) في ثانيه يطلع الفجر بالديران وفي خامسه ينفض النيل وفي تاسعه أوان قطف النحل وفي حادى عشره تهب رياح السموم وفي ثاني عشره عيد ميكايل فيؤخذ قاع النيل وفي ثالث عشره يشتد الحر وفي خامس عشره يطلع الفجر بالهنعة وفي عشريه تحل الشمس اول برج السرطان وهو أول فصل الصيف وفي سابع عشره يتادى على النيل بمازاده من الاصابع وفي ثامن عشره يطلع الفجر بالهنعة * وفي هذا الشهر تسفر المراكب لاحضار القلال والتبن والقنود والاعمال وغير ذلك من الاعمال القوسية ونواحى الوجه البحرى وفيه يقطف عسل النحل وتخترص الكروم ويستخرج زكاتها وفيه يتدى الكنان ويقلب أربعة اوجه في بؤونة وأيب وفيه زراعة النيل بالصعيد الاعلى وتحصد بعد مائة يوم ثم تترك وتحصد في كل مائة يوم حصدة ويحصل في اول كيمك وطوبه وأمشير وبرمهات ويطلع في برمودة وتحصد في عشرة أيام من أيب وتقيم في الارض الجيدة ثلاث سنين وتسقى كل عشرة أيام دفعتين وثاني سنة ثلاث دفعات وثالث سنة أربع دفعات وفي هذا الشهر يكون التين القيوحي والخواخ الزهري والكثيرى والقراصيا والقناء والبلج والحصرم ويتدئ ادراك العصفرو وفيه يدخل بعض العنب ويطيب التوت الاسود ويقطف جهوز العسل فتكون رياحه قليلة والتين يكون فيه أطيب منه في سائر الشهور وفيه يطلع النحل وفيه يستخرج تمام نصف الخراج مما بقى بعد المساحة * (أيب) في سابعه اول تموز وفي عاشره آخر قطع الخشب وفي حادى عشره يطلع الفجر بالذراع وثاني عشره ابتداء تعطين الكنان وفي خامس عشره يقل ماء الابار وتدرك الفواكه ويموت الدود وفي حادى عشره

عشر به تحل الشمس بأول برج الاسد وتذهب البراغيث ويبرد باطن الارض وتنج أوجاع العين وفي خامس عشر به يطلع القبر بالنثرة وفي سادس عشر به تطلع الشعري العبور اليمانية * وفي هذا الشهر أكثر ما يهب من الرياح الشمال ويكثر فيه العنب ويجود وفيه يطيب التين المقرون بحبي العنب ويتغير البطيخ العبدلي وتقل حلاوته وتكثر الكمثرى السكرية ويطيب البلخ وفيه يقطف بقايا عسل النحل وتقوى زيادة ماء النسل فيقال في أييب يدب الماء ييب وفيه يتقع الكنان بالبلات ويباع برسيم البذر برسم زراعة القرط والكنان وفيه تدرك ثمرة العنب ويحصد القرط وفيه تستم ثلاثة أرباع الخراج * (مسرى) في سابعه يطلع القبر بالطرف وفي ثامنه أول آب وفي حادى عشره يجمع القطن وفي رابع عشره يحصى الماء ولا يبرد وفي سابع عشره استكمال الثمار وفي عشر به يطلع القبر بالجهة وفي حادى عشر به تحل الشمس برج السنبلة وفي ثالث عشر به يتغير طعم الفاكهة لغلبة ماء النيل على الارض وفي خامس عشر به يكون آخر السموم وفي ناسع عشر به يطلع سهيل بمصر * وفي هذا الشهر يكون وفاء النيل ستة عشر ذراعاً في غالب السنين حتى قيل ان لم يوف النيل في مسرى فانتظره في السنة الاخرى وفيه يجرى ماء النيل في خليج الاسكندرية ويسافر فيه المراكب بالغلل والهار والسكر وسائر أصناف المتاجر وفيه يكثر البسر وكانوا يجزّون النخل ويخرجون زكاة الثمار في هذا الشهر عندما كانت الزكوات يجيئها السلطان من الرعية وأكثر ما يهب في هذا الشهر ريح الشمال وفيه يعصر قبط مصر الخمر ويعمل الخل من العنب وفيه يدرك الموز وأطيب ما يكون الموز بمصر في هذا الشهر وفيه يدرك الليمون التفاحى وكان من جملة أصناف الليمون بأرض مصر ليمون يقال له التفاحى يؤكل بغير سكر لقلته تحضه ولذته طعمه وفيه يكون ابتداء ادرال الزمان واذا انقضت أيام مسرى ابتدأت أيام النسي في اولها ابتداء هيج النعام وفي رابعها يطلع القبر بالخراتان وفي مسرى يغلق الفلاحون خراج أراضي زراعتهم وكانوا يؤخرون البقايا على دق الكنان في مسرى وأيب لأن الكنان ييل في نوت ويدق في بابه

(ذكر تحويل السنة الخراجية القبطية الى السنة الهلالية العربية)

وكيف عمل ذلك في الاسلام قد تقدم فيما سلف من هذا الكتاب التعريف بالسنة الشمسية والسنة القمرية وما للام في كبس السنين من الآراء فلما جاء الله تعالى بالاسلام تميزت المسلمون من كبس السنين خشية الوقوع في النسي الذي قال الله سبحانه وتعالى فيه انما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا ثم لما رأوا اندا خل السنين القمرية في السنين الشمسية اسقطوا عند رأس كل اثنين وثلاثين سنة قمرية سنة وسما ذلك الازدلاق لأن لكل ثلاث وثلاثين سنة قمرية اثنين وثلاثين سنة شمسية بالتقريب وسأتلو عليك من نبأ ذلك ما لم أره مجموعاً * قال ابو الحسين عبد الله بن احمد بن ابي طاهر في كتاب أخبار أمير المؤمنين المعتضد بالله ابي العباس احمد بن ابي احمد طلمة الموفق ابن المتوكل ومنه نقلت وخرج أمر المعتضد في ذي الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين بتصيير النوروز لاحدى عشرة ليلة خلت من حزيران رافة بالرية وابتار الارفاقها وقالوا خرج التوقيع في المحرم سنة اثنين وثمانين ومائتين بانشاء الكتب الى جميع العمال في النواحي والامصار بترك اقتتاح الخراج في النوروز الفارسي الذي يقع يوم الجمعة لاحدى عشرة ليلة خلت من صفر وأن يجعل ما يفتح من خراج سنة اثنين وثمانين ومائتين يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر من هذه السنة وهو اليوم الحادى عشر من حزيران ويسمى هذا النوروز المعتضدى ترفها لاهل الخراج وتطرا لهم ونسخة التوقيع الخارج في تصيير اقتتاح الخراج في حزيران (أما بعد) فان الله لما حول أمير المؤمنين للجل الذي احله به من امور عباده وبلاده رأى أن من حق الله عليه أن لا يكافها الاما به العدل والانصاف لها والسيرة القاصدة وأن يتولى لها اصلاح امورها ويستقرئ السبر والمعاملات التي كانت تعامل بها ويقر منها ما اوجب الحق اقراره وينيل ما اوجب ازالته غير مستكثر لها كثيراً يسقطه العدل ولا مستقل لها قليل ما يلزمه اياها الجور وقد وفق الله أمير المؤمنين لما يرجو أن يكون الحق الله فيها قاضيا ولنصيبها من العدل موازيا والله يستعين أمير المؤمنين على حفظ ما استرعاه منها وحيطة ما قلده من امورها وهو خير موفق ومعين وان أبا القاسم عبيد الله رفع الى أمير المؤمنين فيما أمر أمير المؤمنين به من رد النوروز الذي يفتح به الخراج بالعراق والمشرق وما يتعمل بهما ويجرى مجراهما من الوقت

الذي صار فيه من الزمان الى الوقت الذي كان عليه متقدما مع ما أمر به في مستقبل السنين من الكبس حتى يصير
العدل عالما في الزمان كله باقيا على غابر الدهر ومتر الايام موامرة أمير المؤمنين فأمر بتسجيلها لك في آخر كتابه
مع ما وقع به فيها التمثيل فافعل ذلك ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب يوم الخميس
ثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة احدى وعشرين ومائتين * نسخة الموامرة أنهيت الى أمير المؤمنين أن بما انهم
الله به على رعيته ورزقها اياه من رأفته وحسن نظره واقامته عليها من عدله وانصافه ورفعها عنها في خلافته من
الظلم الشامل ما كان الاقصى والادنى والصغير والكبير والمسلم والذي فيه سواء ما حررت به من نقل كتب الخراج
عن السنة التي كانت تنسب اليها من سني الهجرة الى السنة التي فيها تدرك الغلات ويستخرج المال وان ذلك
ما كان بعض اهل الجهل حاوله وبعض المتغلبين استعمله من تثبيت الخراج على اهلهم ومطالبهم به قبل وقت الزراعة
واعيائهم بن كرسنة من السنتين اللتين ينسب الخراج لاحداهما وتدرك الغلات ويقع الاستخراج في الاخرى
منها في حساب شهور الفرس التي عليها يجري العمل في الخراج بالسواد وما يليه والاهاواز وفارس والجبيل
وما يتصل به من جميع نواحي المشرق وما يضاف اليه اذا كان عمل الشام والجزيرة والموصل جرى على حساب
شهور الروم الموافقة للزمنة فليست تختلف اوقاتها مع الكيسة المستعملة فيها والعمل في خراج مصر وما والاها
على شهور القبط الموافقة لشهور الروم وكانت من شهور الفرس قد خالفت موافقها من الزمان بماترك من الكبس
منذ أزال الله ملك فارس وفتح المسلمين بلادهم فصار النوروز الذي كان الخراج يفتح فيه بالعراق والمشرق قد
تقدم في ترك الكبس شهرين وصار ايامه وبين ادراك الغلة فأمر أمير المؤمنين بما جيل الله عليه رأيه في التوصل
الى كل ما عاد بصلاح رعيته وحسبنا للأسباب المؤدية الى اعيائها بتأخير النوروز الذي يقع في شهور سنة اثنتين
وثمانين ومائتين من سني الهجرة عن الوقت الذي يتفق فيه أيام سنة الفرس وهو يوم الجمعة لاحدى عشرة تخلو
من صفر مثل عدة أيام الشهرين من شهور الفرس التي ترك كبسها وهي ستون يوما حتى يكون نوروز السنة واقعا
يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائتين وهو الحادى عشر من
حزيران وهو يتصل بهما ويجرى مجراهما وينسب ويضاف اليهما وبسائر أعمالهم وبما يعمل اصحاب الحساب
من التوقيعات وجميع الاعمال وما يعده الفرس من شهورهم الى شهوره الكيسة الاولى والاخرى يكبس بعد
ذلك في كل اربع سنين من سني الفرس ولا يقع تفاوت بينه وبينها على مرور الايام وليكن ابدا واقعا في حزيران
وغير خارج عنه وأن يلغى ذكر كل سنة من أربع سنين تنسب الى الخراج بالعراق وفي المشرق والمغرب وسائر
النواحي والاتفاق اذا كان مقدار سني أيام الهجرة والسنة الجامعة للزمنة التي تتكامل فيها الغلات وأن يخرج
التوقيع بذلك لتنشأ الكتب به من دوان الرسائل الى ولاية المعاوين والاحكام وتقرأ على المنابر ويحمل اصحاب
المعاوين الرعية عليه وتأخذها بامثال ما أمر به أمير المؤمنين وسنة الحكم في دوان حكمهم لتمثيل الضمان
والمقاطعين ذلك على حسبه وأستطلع رأى أمير المؤمنين في ذلك فرأى أمير المؤمنين في ذلك موقفا ان شاء الله
تعالى وتكتب نسخة التوقيع بتنفيذ ذلك ان شاء الله تعالى وكتب في شهر ذي الحجة سنة احدى وعشرين
ومائتين * قال وكان السبب في نقل الخراج الى حزيران في أيام المعتضد ما حدثني به ابو احمد يحيى بن علي بن يحيى
المنجم القديم قال كنت أحدث أمير المؤمنين المعتضد فذكرت خبر المتوكل في تأخير النوروز فاستحسنه وقال لي
كيف كان ذلك قلت حدثني ابي قال دخل المتوكل قبل تأخير النوروز بعض بسائنه الخاصة التي كانت في يدي
وهو متوكل على يحيى حدثني ويظهر الى ما أحدث في ذلك البستان فزروع فراه اخضر فقال يا علي ان الزرع
اخضر بعدما أدرك وقد استأمر في عبيد الله بن يحيى في استفتاح الخراج فكيف كانت الفرس تستفتح الخراج
في النوروز والزراع لم يدرك بعد قال فقلت له ليس يجري الامر اليوم على ما كان يجري عليه في أيام الفرس
ولا النوروز في هذه الايام في وقته الذي كان في أيامها قال وكيف ذلك فقلت لانها كانت تكبس في كل مائة
وعشرين سنة شهرا وكان النوروز اذا تقدم شهرا وصار في خمس من حزيران كبست ذلك الشهر فصار في خمس
من ايار واسقطت شهرا وردته الى خمس من حزيران فكان لا يتجاوز هذا فلما تقلد العراق خالد بن عبد الله
القسري وحضر الوقت الذي تكبس فيه الفرس منعها من ذلك وقال هذا من التسيء الذي نهى الله عنه فقال
انما التسيء زيادة في الكفر والافاطقه حتى استأمر فيه أمير المؤمنين فبدلوا على ذلك ما لا جليلا فامتنع عليهم

من قبوله وكتب الى هشام بن عبد الملك يعرفه ذلك ويستأمره ويعلمه انه من النسيء الذي نهى الله عنه فأمر بمنعهم من ذلك فلما امتنعوا من الكسب تقدم النوروز فقدم ما شديدا حتى صار يقع في نيسان والزرع أخضر فقال له المتوكل فاعمل لهذا يا علي * عملاترذ النوروز فيه الى وقته الذي كان يقع فيه في ايام الفرس وعرف بذلك عبيد الله ابن يحيى وأذاليه رسالة مني في أن يجعل استفتاح الخراج فيه قال فصرت الى ابي الحسن عبيد الله بن يحيى وعرفته ما جرى بيني وبين المتوكل وأذيت اليه رسالته فقال لي يا ابا الحسن قد والله فرجت عني وعن الناس وعملت عملا كثيرا اعظم ثوابك عليه وكسبت لامير المؤمنين اجرا وشكرا فأحسن الله جزاءك فغناك من يجالس الخلق وأحب أن يتقدم بالعمل الذي أمر به المتوكل وينفذه الى حتى اجري الامر عليه واتقدم في كتب الكتب باستفتاح الخراج قال فرجعت وحزرت الحساب فوجدت النوروز لم يكن يتقدم في ايام الفرس اكثر من شهر يتقدم من خمس تخلو من حزيران فيصير في خمسة ايام تخلو من ايار فتكسب منها وترده الى خمسة ايام من حزيران وأنفذته الى عبيد الله بن يحيى فأمر أن يستفتح الخراج في خمس من حزيران وتقدم الى ابراهيم ابن العباس في أن ينشي كتابا عن أمير المؤمنين في ذلك ينفذ نسخته الى النواحي فعمل ابراهيم بن العباس كتابه المشهور في أيدي الناس * قال ابو احمد فقال لي المعتضد يا يحيى هذا والله فعل حسن وينبغي أن يعمل به فقلت ما أحسد أولي بفعل الحسن واحياء السنن الشريفة من سيدنا ومولانا أمير المؤمنين لما جمعه الله فيه من المحاسن ووهبه له من الفضائل فدعا بعبيد الله بن سليمان وقال له اسمع من يحيى ما يخبرك به وأمض الامر في استفتاح الخراج عليه قال فصرت مع عبيد الله بن سليمان الى الديوان وعرفته الخبر فأحب تأخير عن ذلك ثلاثا يجرى الامر المجري الاول بعينه فجعله في احد عشر من حزيران واستأمر المعتضد في ذلك فأمضاء فقلت في ذلك شعر انشدته للمعتضد في هذا المعنى

يوم نوروزك يوم * واحد لا يتأخر

من حزيران يوافي * أبدا في احد عشر

قال وأخبرني بعض مشايخ الكتاب قال وكانت الخلفاء تؤخر النوروز عن وقته عشرين يوما وقل وأكثر ليكون ذلك سببا لتأخير افتتاح الخراج على اهله * وأما المهرجانات فلم تكن تؤخر عن وقته يوما واحدا فكان أول من قدمه عن وقته بيوم المعتد بمدينة السلام في سنة خمس وستين ومائتين وأمر المعتضد بتأخير النوروز عن وقته ستين يوما وقال ابو الریحان محمد بن احمد البيروني في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية ومنه نقلت ما ذكره ابن أبي طاهر وزاد وفضلت الكتب الى الآفاق يعني عن المتوكل في محرم سنة ثلاث وأربعين ومائتين وقتل المتوكل ولم يتم له ما دبر واستمر الامر حتى قام المعتضد فاحتذى ما فعله المتوكل في تأخير النوروز غير أنه نظر فاذا المتوكل أخذ ما بين سنته وبين أول تاريخ يزيد فخذ المعتضد ما بين سنته وبين السنة التي زال فيها ملك الفرس بهلاك يزيد جردنا أن اهمالهم أمر الكسب من ذلك الوقت فوجده مائتي سنة وثلاثا وأربعين سنة حصتها من الاربع ستون يوما وكسرت فزاد ذلك على النوروز في سنة وجعله منتهى تلك الايام وهو من خرداد ما في تلك السنة وكان يوم الاربعاء ويوافقه اليوم الحادي عشر من حزيران ثم وضع النوروز على شهر الروم لتكسب شهره اذا كسبت الروم شهرها وقال القاضي السعيد ثقة النقا ذوالياستين أبو الحسن علي بن القاضي المؤتمن ثقة الدولة أبي عمرو عثمان بن يوسف الخزومي في كتاب المنهاج في علم الخراج والسنة الخراجية مركبة على حكم السنة الشمسية لان السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم ورتب المصريون سنهم على ذلك ليكون أداء الخراج عند ادراك الغلات من كل سنة ووافقه السنة القبطية لان أيام شهرها ثلثمائة وستون يوما ويتبعها خمسة ايام النسيء وربع يوم بعد تقضى مسرى وفي كل أربع سنين تكون أيام النسيء ستة أيام لينجبر الكسرو يسعون تلك السنة كيسة وفي كل ثلاث وثلاثين سنة تسقط سنة فيحتاج الى نقلها لاجل الفصل بين السنين الشمسية والسنين الهلالية لان السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم والسنة الهلالية ثلثمائة وأربعة وخسون يوما وكسر ولما كان كذلك احتيج الى استعمال النقل الذي تطابق به احدى السنتين الاخرى وقد قال ابو الحسن علي بن الحسن الكاتب رحمه الله عهدت جباية أموال الخراج في سنين قبل سنة احدى وأربعين ومائتين من خلافة أمير المؤمنين

المتوكل على الله رحمة الله عليه فبحرى كل سنة في السنة التي بعدها بسبب تأخير الشهور الشمسية عن الشهور القمرية في كل سنة احدى عشر يوما وربع يوم وزيادة الكسر عليه فلما دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين كان قد انقضى من السنين التي قبلها ثلاث وثلاثون سنة اولهن سنة ثمان ومائتين من خلافة أمير المؤمنين المأمون رحمة الله عليه واجتمع من هذا المتأخر فيها أيام سنة شمسية كاملة وهي ثمانمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وزيادة الكسر وبها ادراك الغلات وثمار سنة احدى وأربعين ومائتين في صفر سنة اثنتين وأربعين ومائتين وأمر أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه بالغاء ذكر سنة احدى وأربعين ومائتين اذ كانت قد انقضت ونسب الخراج الى سنة اثنتين وأربعين ومائتين فحرت الاعمال على ذلك سنة بعد سنة الى أن انقضت ثلاث وثلاثون سنة آخرهن انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين فلم ينسب كتاب أمير المؤمنين المعتمد على الله رحمة الله عليه على ذلك اذ كان رؤساؤهم في ذلك الوقت اسماعيل بن بلبل وبنى القرات ولم يكونوا يعملوا في ديوان الخراج والضياغ في خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه ولا كانت اسنانهم اسنانا بلغت معرفتهم معها هذا النقل بل كان مولد احمد بن محمد بن القرات قبل هذه السنة بخمس سنين وولد على أخيه فيها وكان اسماعيل بن بلبل يعلم في مجلس لم يبلغ أن ينسخ فلما تقلدت اناصر الدين أبي احمد طهة الموفق رحمه الله أعمال الضياغ بقروين ونواحيها لسنة ست وسبعين ومائتين وكان مقبلا بأذربيجان وخليفته بالجبل جرادة بن محمد واحد بن محمد كاتبه واحتجبت الى رفع جماعتي اليه ترجمتها بجماعة سنة ست وسبعين ومائتين التي أدركت غلاتها وثمارها في سنة سبع وسبعين ومائتين ووجب الغاء ذكر سنة ست وسبعين ومائتين فلما وقفنا على هذه الترجمة انكرها وسألنا عن السبب فيها فشرحت لها ما واكدت ذلك بأن عزتني ما اني قد استخرجت حساب السنين الشمسية والسنين القمرية من القرآن الكريم بعدما عرضته على اصحاب التفسير فذكروا انه لم يأت فيه شيء من الاثر فكان ذلك او كفي لطف استخراجي وهو أن الله تعالى قال في سورة الكهف ولبثوا في كهفهم ثمانمائة سنين وازدادوا تسعا فلم أجدها من المفسرين عرف معنى قوله وازدادوا تسعا وانما خاطب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بكلام العرب وما تعرفه من الحساب فمعنى هذه التسع أن الثمانمائة كانت شمسية بحساب العجم ومن كان لا يعرف السنين القمرية فاذا أضيف الى الثمانمائة القمرية زيادة التسع كانت سنين شمسية صحيحة فاستحسنه فلما انصرف جرادة مع الناصر لدين الله الى مدينة السلام وتوفي الناصر رحمه الله وتقلد القاسم عبيد الله بن سليمان كتابة أمير المؤمنين المعتضد بالله أجرى له جرادة ذكر هذا النقل وشرح له سببه فقرأ اليه وطعنا على أبي القاسم عبيد الله في تأخير اياه فلما وقف المعتضد على ذلك تقدم الى أبي القاسم بإنشاء الكتب بنقل سنة ثمان وسبعين الى سنة تسع وسبعين ومائتين وكان هذا النقل بعد أربع سنين من وجوبه ثم مضت السنون سنة بعد سنة الى أن انقضت الآن ثلاث وثلاثون سنة اولهن السنة التي كان النقل وجب فيها وهي سنة خمس وسبعين ومائتين وآخرهن انقضاء سنة سبع وثمانمائة وقد تها ادراك الغلات والثمار في صدر سنة ثمان وثمانمائة ونسبته اليها وقد علمت نسخة هذا النقل نسختها تحت هذا الموضع ليوقف عليها وقد كان اصحاب الدواوين في أيام المتوكل لما نقل سنة احدى وأربعين ومائتين الى سنة اثنتين وأربعين ومائتين جبروا الجوالي والصدقات لسنتي احدى واثنين وأربعين ومائتين في وقت واحد لأن الجوالي بسر من رأى ومدينة السلام وقصب المدن المشهورة كانت تجبي على شهور الالهة وما كان من جاجم اهل القرى في الخراج والضياغ والصدقات والمستغلات كان يجبي على شهور الشمس وفي ثلاث وثلاثين سنة اجتمعت أيام سنة شمسية كاملة فألزم اهل الذمة خاصة بالجوالي ورفعها العمال في حساباتهم فن لم يرفعها ألزموه بجوالي السنة الزائدة فأحفظ انه اجتمع من ذلك الوف دراهم ثم جددت الكتب الى العمال بأن تكون حساباتهم الجوالي على شهور الالهة تجرى الامر على ذلك قال القاضي ابو الحسن وقد كان النقل اغفل في الديار المصرية حتى كانت سنة تسع وتسعين واربعمائة الهلالية تجرى مع سنة سبع وتسعين الخراجية ففقدت سنة سبع وتسعين واربعمائة الى سنة احدى وخمسمائة هكذا رأيت في تعليقات أبي رحمه الله وآخر ما نقلت السنة في وقتنا هذا سنة خمس وستين وخمسمائة الى سنة سبع وستين وخمسمائة الهلالية فتطابقت السنتان وذلك اني لما قلت للقاضي الفاضل أبي علي

عبد الرحيم بن علي الياساني انه قد آن نقل السنة فانشأ مجلداً بنقلها نسخ الدواوين وجعل الامر على حكمه
وما برح الملوك والوزراء يعتنون بنقل السنين في احيائها * وقال ابو الحسين هلال بن الحسن الصابي
حدثني ابو علي قال لما أراد الوزير ابو محمد المهلب نقل سنة خمس وثلاثمائة الهلالية امر أبا اسحاق والدي وغيره
من كتابه في الخراج والرسائل بانشاء كتاب عن المطبع لله في هذا المعنى فكتب كل منهم وكتب والدي الكتاب
الموجود في رسائله وعرضت النسخ على الوزير فاختره منها وتقدم بأن يكتب الى اصحاب الاطراف وقال لابي
الفرج بن ابي هشام خليفته اكتب الى العمال بذلك كتباً محكمة وانسخ في اخرها هذا الكتاب السلطاني
فغاط أبا الفرج وقوع التفضيل والاختيار للكتاب والدي وقد كان عمل نسخة اطرح في جلة ما اطرح
وكتب قد رأينا نقل سنة خمسين الى احدى وخمسين فاعمل على ذلك ولم ينسخ الكتاب السلطاني وعرف الوزير
ما كتب به ابو الفرج فقال له لماذا اغفلت نسخ الكتاب السلطاني في آخر الكتب الى العمال واثباته في الدواوين
فأجاب جواباً عاك فيه فقال له يا أبا الفرج ما تركت ذلك الا حسداً لابي اسحاق وهو والله في هذا الفن اكتب
اهل زمانه فأعد الآن الكتب وانسخ الكتاب في اخرها قال القاضي ابو الحسن وأنا ذكر بمشيتة الله نسخة
الكتاب الذي أشار اليه ابو الحسن علي بن الحسن الكاتب وكتاب أبي اسحاق وكتاب القاضي الفاضل لسنين
للتناظر طريق نقل السنين الخراجية الى السنين الهلالية فاذا قاربت الموافقة وحسنت فيها المطابقة فالكتاب
الفاضل أكثر فجازاً وأعظم اعجازاً ولا يخفى على المتأمل قدر ما اورد فيه من البلاغة كما لا يخفى على العارف قدر
ما تضمنه كتاب الصابي من الصناعة * نسخة الكتاب الذي أشار اليه ابو الحسن الكاتب * ان أولى
ما صرف اليه أمير المؤمنين عنايته وأعمل فيه فكره ورويته وشغل فيه تفقده ورعايته أمر النبي الذي خصه الله به
وأزماه جمعه وتوفيره وحياطته وتكثيره وجهه عماد الدين وقوام أمر المسلمين وفيما يصرف منه الى اعطيات
الاولياء والجنود ومن يستعان به لتحصين البيضة والذب عن الحرم ووجع البيت وجهاد العدو وسد الثغور
وأمن السبيل وحقق الدماء واصلاح ذات البين وأمر المؤمنين بسأل الله تعالى راغب اليه ومتوكلاً عليه أن
يحسن عونه على ما حمله منه ويديم توفيقه بما أرشاه الى أن يقضى عنه وله وقد نظر أمير المؤمنين فيما كان
يجري عليه أمر جباية هذا النقي في خلافة آبائه الراشدين صلوات الله عليهم فوجده على حسب ما كان يدرك
من الغلات والثمار في كل سنة اولاً او اقل على مجاري شهور سنن الشمس في النجوم التي يحل مال كل صنف منها
فيها ووجد شهور السنة الشمسية تتأخر عن شهور السنة الهلالية أحد عشر يوماً وربعاً وزيادة عليه ويكون
ادراك الغلات والثمار في كل سنة بحسب تأخرها فلاتزال السنون تضي على ذلك سنة بعد سنة
حتى تنقضي منها ثلاث وثلاثون سنة وتكون عدة الايام المتأخرة منها أيام سنة شمسية كاملة وهي ثلثمائة
وخمسة وستون يوماً وربع يوم وزيادة عليه فيختم ذهاباً بمشيتة الله تعالى وقدرته ادراك الغلات التي تجرى
عليها الضرائب والرسوم في استقبال الحزم من سني الالهة ويجب مع ذلك الغاء السنة الخارجة اذا كانت
قد انقضت ونسبتها الى السنة التي أدركت الغلات والثمار فيها لانه وجد ذلك قد كان وقع في أيام أمير المؤمنين
المتوكل على الله رجة الله عليه عند انقضاء ثلاث وثلاثين سنة آخرته سنة احدى وأربعين ومائتين فحرت
المكاتبات والحسابات وسائر الاعمال بعد ذلك سنة بعد سنة الى أن مضت ثلاث وثلاثون سنة آخرته
انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين ووجب انشاء الكتاب بالغاء ذكر سنة أربع وسبعين ومائتين ونسبتها
الى سنة خمس وسبعين ومائتين فذهب ذلك على كتاب أمير المؤمنين المعتمد على الله وتأخر الامر أربع سنين
الى أن أمر أمير المؤمنين المعتضد بالله رجة الله عليه في سنة سبع وسبعين ومائتين بنقل خراج سنة ثمان
وسبعين الى سنة تسع وسبعين ومائتين فجرى الامر على ذلك الى أن انقضت في هذا الوقت ثلاث وثلاثون
سنة اولاهن السنة التي كان يجب نقلها فيها وهي سنة خمس وسبعين ومائتين وآخرتهن انقضاء شهور
خراج سنة سبع وثلاثمائة ووجب اقتراح ما يجري على الضرائب والرسوم في اولها وان من صواب
التدبير واستقامة الاعمال واستعمال ما يحق على الرعية معاملتها به نقل سنة الخراج سنة سبع وثلاثمائة
الى سنة ثمان وثلاثمائة فرأى أمير المؤمنين لما يلزمه نفسه ويؤاخذها به من العناية بهذا النقي وحياطه
اسبابه واجرائها مجاريها وسلوك سبل آباءه الراشدين رجة الله عليهم اجمعين فيها أن يكتب اليك والى سائر

العمال في النواحي بالعمل على ذلك وأن يكون ما يصدر اليكم من الكتب وتصدرونه منكم وتجري عليه أعمالكم ورفوعكم وحساباتكم وسائر مناسطراتكم على هذا النقل فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين وأعمل به مستشعرا فيه وفي كل مضنة تقوى الله وطاعته ومستعملا عليه ثقات الاعوان وكفاتهم ومشرفا عليهم ومقوما لهم وأكتب بما يكون منك في ذلك ان شاء الله تعالى * (نسخة ابى اسحاق الصابي) * أما بعد فأت أمير المؤمنين لازل مجتهدا في مصالح المسلمين وباعثا لهم على مرشد الدين والدين ومهيأ لهم احسن الاختيار فيما يوردون ويصدرون وأصوب الرأي فيما يبرمون ويتقضون فلا يلوح له خلة داخله على امورهم الاستداه وتلافها ولا حال عائدة يحظ عليهم الا اعتمادها وانها ولا سنة عادلة الا أخذهم بإقامة رسمها وامضاء حكمها والاقتداء بالسلف الصالح في العمل بها والاتباع لها واذا عرض من ذلك ما تعلمه الخاصة بوفور ألبابها وبجهل العامة بقصور أفهامها وكانت او امره فيه خارجة اليك والى امثالك من أعيان رجاله وأماثل عماله الذين يكتبون بالإشارة ويجتزون بسبب الابانة والعبارة لم يدع أن يبلغ من تخليص اللفظ وإيضاح المعنى الى الحد الذي يلحق المتأخر بالمتقدم ويجمع بين العالم والمتعلم ولا سيما اذا كان ذلك فيما يتعلق بمعاملات الرعية ومن لا يعرف الا الظواهر الجلية دون البواطن الخفية ولا يسهل عليه الانتقال عن العادات المتكررة الى الرسوم المتغيرة ليكون القول بالمشروح لمن برز في المعرفة مذكرا ولمن تأخر فيها مبصرا ولانه ليس من الحق أن تمنع هذه الطبقة من برد اليقين في صدورهم ولا أن يقتصر على اللعبة الدالة في مخاطبة جهورها حتى اذا استوت الاقدام بطوائف الناس في فهم ما أمر وا به وفقه ما دعوا اليه وصاروا على حكمه سواء لا يعترضهم شك الشاكين ولا استراية المستريين اطمانت قلوبهم وانشرحت صدورهم وسقط الخلاف بينهم واستقر الاتفاق بهم واستيقنوا أنهم مؤسسون على استقامة من المنهاج ومحروسون من حزاز الزيف والاعوجاج فكان الانقياد منهم وهم دارون عالمون لا مقلدون مسلمون وطائعون مختارون لا مكرهون ولا مجبرون وأمير المؤمنين يستمد الله تعالى في جميع أغراضه ومراميه ومطالبه ومغازيه مادة من صنعه يقف بها على سنن الصلاح ويفتح له ابواب التجاح وينهضه بما اهله لجله من الاعباء التي لا تدعى الاستقلال بها الا بتوفيقه ومعونته ولا يتوجه فيها الا بدلالته وهدايته وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل يرى أن اولى الاقوال أن يكون سدادا واخرى الافعال أن يكون رشادا ما وجد له في السابقي من حكم الله اصول وقواعد وفي النص من كتابه آيات وشواهد وكان منصبا بالآلة الى قوام من دين أو دنيا ووافق في آخره او اولى فذلك هو البناء الذي ثبت وبعاد والغرس الذي ثبت ويزكو والسعي الذي تنجح مباديه وهو اديه وتبهرج عواقبه وتواليه وتستنير سبله لسالكها وتوردهم موارد السعود في مقاصدهم فيها غير ضالين ولا عادلين ولا منحرفين ولا زائلين وقد جعل الله عز وجل لعباده من هذه الافلاك الدائرة والنجوم السائرة فيما تنقلب عليه من اتصال واقتراق ويتعاقب عليها من اختلاف واتفاق منافع تظهر في كرور الشهور والاعوام ومرور الليالي والايام وتفاوت الضياء والظلام واعتدال المسالك والاطمان وتغاير الفصول والازمان ونشوء النباتات والحياة مما ليس في نظام ذلك خلل ولا في صنعه زلل بل هو منوط ببعضه بعض ومحوط من كل ثلة وتقض قال الله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق وقال جل من فائل الم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير وقال تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم وقال عزت قدرته والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم بفضل الله تعالى بهذا الايات بين الشمس والقمر وأنبأنا في الباهر من حكمه والمعجز من كلامه أن لكل منهما طريقا سخر فيها وطبيعة جبل عليها وأن تلك الميابة والمخالفة في المسير يؤديان الى موافقة وملازمة في التدبير فن هنا لك زادت السنة الشمسية فصارت ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع بالتقريب المعمول عليه وهي المدة التي تقطع الشمس فيها الفلك مرة واحدة ونقصت الهلالية فصارت ثلثمائة واربعة وخمسين يوما وهي المدة التي يجامع القمر فيها الشمس اثنتي عشرة مرة واحتيج اذا انساق هذا الفضل الى استعمال النقل الذي يطابق إحدى السنتين بالآخرى اذا افترقا وبدا في بينهما اذا تفاوتا وما زالت الامم السالفة تكبس زيادات السنين على اقتنان من طرقها ومذاهبها وفي كتاب الله عز وجل شهادة بذلك اذ يقول في قصة اهل الكهف وابشوا في كهفهم ثلثمائة

سنتين وازدادوا تسعا فكانت هذه الزيادة بأن الفضل في السنين المذكورة على تقريب التقريب فأما الفرس فانهم
اجروا معاملاتهم على السنة المعتدلة التي شهورها اثنا عشر شهرا وأيامها اثنتا عشرة وستون يوما ولقبوا بالشهور
بأثني عشر لقباً وتموا أيام الشهر منها ثلاثين اسماً وأفردوا الخمسة الايام الزائدة وسموها المسترقة وكبسوا الربيع
في كل مائة وعشرين سنة شهراً فلما انقرض ملكهم بطل في كبس هذا الربيع تدبيرهم وزال نوروزهم عن سنته
وانقرض ما بينه وبين حقيقة وقته انقراضاً هوزاً لا يقف ودائراً لا يقطع حتى ان موضوعهم في النوروز أن يقع
في مدخل الصيف وسينتهي الى أن يقع في مدخل الشتاء ويتجاوز ذلك وموضوعهم في المهرجان أن يقع في
مدخل الشتاء وينتهي الى أن يقع في مدخل الصيف ويتجاوز وأما الروم فكانوا اتقن منهم حكمة وأبعد نظراً
في العاقبة لانهم رتبوا شهور السنة على ارساد شهورها وأنواء عرفوها وفوضوا الخمسة الايام على الشهور
وساقوها على الدهور وكبسوا الربيع في كل أربع سنين يوماً ورموا أن يكون الى شباط مضافاً فقرر بما بعده
غيرهم وسهلوا على الناس أن يققوا اثرهم لاجرم ان المعتضد بالله رحمه الله على اصولهم بنى ولما لهم احتذى
في تصغيره نوروز اليوم الحادي عشر من حزيران حتى سلم بمالحق النواريز في سالف الايام وتلافوا الامر
في عجز سني الهلال عن سني الشمس بأن جبروها بالكبر فكلما اجتمع من فصول سني الشمس وما بقي تمام شهر
جعلوا السنة الهلالية يتفق ذلك فيها ثلاثة عشر هلالاً فرمات السنة الثالثة عشر في ثلاث سنين وربعمائة في
سنتين بحسب ما يوجب الحساب فتصير سنتا الشمس والهلال عند ستم متقاربتين ابدالاً لاتباع ما بينهما وأما
العرب فان الله تعالى فضله على الامم الماضية وورثها نعمات مشافها المتعبه وأجرى شهر صياها ومواقيت
أعيادها وزكاة اهل ملتها وجزية اهل ذمتها على السنة الهلالية وتعبدها فيها برؤية الالهة ارادة منه أن تكون
مناهجها واضحة وأعلامها لائحة فيسكافاً في معرفة الغرض ودخول الوقت الخاص منها والعام والناقص
الفقه والتمام والاثني والذكر والصغير والكبير والا كبر فصاروا حينئذ يحسبون في سنة الشمس حاصل الفلات
المقسومة وخراج الارض الممسوحة ويحبون في سنة الهلال الجوالي والصدقات والارباب والمقاطعات
والمستغلات وسائر ما يجري على المشاهرات وحدث من التداخل بين السنين ما لو استمر لتقع جدا وازداد بعدا
اذ كانت الجباية الخراجية في السنة التي ينتهي اليها تنسب الى الشمسية والى ما قبلها فوجب مع هذا أن
تطرح تلك السنة وتلغى ويتجاوز الى ما بعده او يتخطى ولم يجز لهم أن يعتدوا بالخالفهم في كبس السنة الهلالية
بشهر ثالث عشر ولانهم لو فعلوا ذلك لخرجت الاشهر الحرم عن موافقها وارتجت المناسك عن حقائقها ونقصت
الجباية في سني الالهة القبطية بقسط ما استغرقه الكبس منها فانتظروا بذلك الفضل الى أن تتم السنة وأوجب
الحساب المقرب أن يكون كل اثنتين وثلاثين سنة شمسية ثلاثاً وثلاثين هلالية فنقلوا المتقدمة الى المتأخرة نقلاً
لا يتجاوز الشمسية وكانت هذه الكلفة في دنياهم مستسيلة مع تلك النعمة في دينهم وقدر رأى أمير المؤمنين
نقل سنة خمسين وثلثمائة الخراجية الى سنة احدى وخمسين وثلثمائة الهلالية جمعاً بينهما ولزوم الثالث السنة فيهما
فاعمل بما ورد به امر أمير المؤمنين عليه وتضمنه كتابه هذا اليك ومرت الكتاب قبلك أن يحتذ وارسمه فيما يكتبون
به الى عمال نواحيك ويخلدونه في الدواوين من ذكرهم وورفعهم ويغدونه من خروج الاموال وينظمونه في
الدواوين والاعمال ويثبتون عليه الجماعات والحسابات ويوغرون بكتبه من الروزنامجات والبرآت وليكن
المنسوب من ذلك الى سنة خمسين وثلثمائة التي وقع النقل اليها واقم في نفوس من يحضرونك من اصناف الجند
والرعية واهل الملة والذمة أن هذا النقل لا يغير لهم رسماً ولا يلحق بهم ثلماً ولا يعود على قابضي العطاء بنقصان
ما استحقوا قبضه ولا على مؤدى حق بيت المال باعضاء عما وجب أدائه فان قرأتهم فقيرة الى افهام أمير
المؤمنين الذي اثر أن تراح فيه العلة ويستدبه سهم الخلة اذ كان هذا الشأن لا يتجدد الا في المدد الطوال التي في
مثلها يحتاج الى تعريف الناسي وأجب بما يكون منك جواباً يحسن موقعه لك ان شاء الله تعالى * وقال
ابن المأمون في تاريخه من حوادث سنة احدى وخمسمائة وأول ما تحدث فيه نقل السنة الشمسية الى العربية
وكان قد حصل بينهما تفاوت أربع سنين فتحدث القائد ابو عبد الله محمد بن قاتك البطائحي مع الأفضل بن أمير
الجيوش في ذلك فأجاب اليه وخرج أمره الى الشيخ أبي القاسم بن الصيرفي بإنشاء سجل به فأنشأ ما نسخته
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ارضى أمير المؤمنين امينه في أرضه وخليفته وألهمه أن يتم بحسن

التدبير عبيده وخلقته ووقفه لمصالح يستمد أسبابها ويفتح بحسن نظره أبوابها وأورثه مقام آبائه الراشدين الذين اختصهم بشرف المفخر وجعل اعتقاد مواليتهم سبب النجاة في الحشر وعناهم بقوله يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وأعلى منار سلطانه جدران الافلاك ودولته ومبدا أعداء مملكته واشرف من نصب للجند علما وراية ووقف على مصلحة البرية نظره ورايه وأرشد بهدياته الابواب الحائرة وأذهب بمعلمته الاحكام الجائرة السيد الاجل الافضل وتقمم النعوت بالدعاء للذي كل تدبيره نظام الصلاح ونعمه وسدد تقريره الامور في كل ما قصده ويممه ونبه في السياسة على ما اهمله من سبقه وأغفله من تقدمه وتتبع احوال المملكة فلم يدع مشكلا الا اوضحه وبين الواجب فيه ولا خلا الا اصلحه وبادر بتلافيه ولا مهملا الا استعمله على ما يوافق الصواب ولا ينافيه اشارة العمارة الاعمال وقصد الما يقضي بتوفير الاموال وتوخيل المعاد بضروب الاستغلال واعتناء برجال الدولة العلوية واجنادها واهتماما بمصالحهم التي ضعفت قواهم عن ارتيادها ورعاية لمن ضمنه اقطار المملكة من الرعايا وحلالهم على اعدل السنن وأفضل القضايا بحمد امير المؤمنين على ما اعانه عليه من حسن النظر للائمة وادخره لايامه من الفضائل التي صفت بها ملابس النعمة ووقفه لما يعود على الكفاية بشمول الانتفاع حتى صار استبدال الحقوق بواجبات الشريعة الواضحة الادلة واستيفائها بما يقتضي المعدلة فيما يجري على احكام الحراج وأوضاع الاله ويرغب اليه بالصلوة على محمد الذي ميزه بالحكمة وفصل الخطاب وبين به ما استتبهم من سبل الصواب وانزل عليه في محكم الكتاب هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب صلى الله عليه وعلى آخيه وابن عمه اينا امير المؤمنين علي بن ابي طالب كفيه فيما اعزل لما عدم المساعد وواقبه بنفسه لما تخاذل الكف والساعد وعلى الائمة من ذريتهما العاملين برضى الله تعالى فيما يقولون ويفعلون والذين يهدون بالحق وبه يعدلون وان أولى ما اولاه امير المؤمنين حظا وافيا من تفقده وأسهم له جزأ وافر من كريم تعهده ونظر اليه بعين اهتمامه واختصه بالقسم الاجزل من استمالة امر الاموال التي يستعان بها على سد الخلل وبرجائها يستدفع ما يطرق من الحوادث الجلل وبوفورها تستتب شؤون المملكة وتستقيم احوال الدول ويستخرجها على حكم العدل الشامل ووصية انصاف المعامل تكون العمارة التي هي اصل زيادتها ومادة كبرتها وغزارتها ولما كانت جباياتها على حكمين احدهما يجبي هلاليا وذلك ما لا يدخله عارض ولا اشكال ولا ابهام ولا يحتاج فيه الى ابضاح ولا افهام لان شهور الهلال يشترك في معرفتها الامير والمقصر ويستوى في الفهم بها المتقدم في العلم والمتأخر اذ كان الناس آلفين لازمنة متعبداتهم السنين مما يحفظ لهم نظام مرسومهم والاخر يجبي خراجا ويثبت بنسبته الى الخراج لانها تضبط اوقات ما يجري ذلك لاجله من النيل المبارك والزراعة وتحفظ احيائه دون السنة الهلالية وتحرس أوضاعه ولا يستقل بمعرفته الامن باشره وعرف موارده ومصادره فوجب أن يقصر على السنة الخراجية النظر ويفعل فيها ما تعظم به الفائدة ويحسن فيه الاثر ويعتمد في ابضاح امرها وتقديم حكمها على ما تنجلي به التواريخ وتزين به السير ويكون ذلك شاهدا للمساعي السيد الاجل الافضل الذي لا يزال ساهرا ليله في حياطة الهاجعين شاهرا سيفه في حياطة الوادين مطالعا للدولة بدور السعادة وشموسها مذلالها صعب الحوادث وشموسها ناطقة تارة بأنامة هورا عياها قد فضل الله سائسها واسعد مسوسها وهذا حين التبصير والارشاد وأوان التبيين للغرض والمراد لتساوى العامة والخاصة في علمه وتسعهم الفائدة في معرفة حكمه وتحقيق المنفعة لهم فيما يمنع من تداخل السنين واستقبالها وتيقن المعدلة عليهم فيما يؤمن من المضار التي يحتاج الى استدراسها ومعلوم أن ايام السنة الخراجية وهي السنة الشمسية بخلاف السنة الهلالية لان ايام السنة الخراجية من استقبال النوروز الى آخر الذى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وأيام السنة الهلالية لاستقبال المحرم الى آخر ذى الحجة ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما والخلاف في كل سنة بالتقريب احد عشر يوما وفي كل ثلاث وثلاثين سنة واحدة على حكم التقريب ويتضمنه ما تقدم من الترتيب فاذا اتفق أن يكون اول الهلالية موافقا لمدخل السنة الخراجية وكانت نسبتها واحدة استمر اتفاق التسمية فيهما وبقي ذلك جاريا عليهما ولم يزال امتداحا لكون مدخل الخراجية في انشاء شهور الهلالية الى انقضاء ثلاث وثلاثين سنة فاذا انقضت هذه المدة بطلت المداخلة وخلت السنة

الهلالية من نوروز يكون فيها وبحكم ذلك بطل اتفاق التسمية ويكون التفاوت سنة واحدة للعله المقدم ذكرها ومن اين يستمر بينهما اتلاف او بعدم لهما اختلاف ام كيف يعتقد ذلك أحد من البشر والله تعالى يقول لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر فقد وضع دليل التباين بما جاء منصوصا في الكتاب وظهر برهانه بما اقتضاه موجب الحساب فيحتاج بحكم ذلك الى نقل السنة الشمسية الى التي تليها لتكون موافقة للهلالية وجارية معها وفائدة النقل أن لا تتحول السنة الهلالية من مال خاص ينسب الى السنة الموافقة لها الآن واجبات العسكرية على عظمها واتساعها وأرزاق المرتزقة على اختلاف أجناسها ووضاعها جارية على أحكام الهلالية غير معدول بها عن ذلك في حال من الاحوال والمحافظة على ثمره ارتفاعها متعينة ومنفعة العناية بما تجرى عليه واضحة مبينة ولما اهل سنة احدى وخمسمائة ودخلت في سنة تسع وتسعين وأربعمائة الخراجية الموافقة لسنة احدى وخمسمائة الهلالية كان في ذلك من التباين والتعارض والتفاوت والتنافر بحكم اهمال النقل فيما تقدم ما سارت السنة الهلالية الحاضرة لا يجبي خراج ما وافقها فيها ولا تدرك غلات السنة المجرى مالها عليها الا في السنة التي تليها فهي تستهل وتنقضي وليس لها في الخراجي ارتفاع والاعمال تطفيف بالزراعة ولا حظ لها في ذلك ولا انتفاع وهذه الحال المضرة بها على بيت المال غير خفية والاذية فيها للرجال المقطعين بادية وأسباب لحوقها اياهم مستمرة متبادية ولا سيما من وقع له بائبات وانعم عليه بزيادات فانهم يتعجلون الاستقبال ويتأجلون الاستغلال ومتى لم تنقل هذه السنة الخراجية كانت متداخلة بين سنتين هلالية وهي موافقة لغيرها ومالها يجرى على سنة تجرى بينهما لان مدخلها في اليوم العاشر من المحرم سنة احدى وخمسمائة وانقضاؤها في العشرين من المحرم سنة اثنتين وخمسمائة وهي متداخلة بين هاتين السنتين ومالها يجرى على سنة احدى وخمسمائة والحال في ذلك لا ينتهي الى أمد ولا يزال الفساد يتزايد طول الابد وقدر أي أمير المؤمنين وبالله توفيقه ما خرج به أمره الى السيد الاجل الافضل الذي نبه على هذا الامر وكشف غامضه وأزال يحسن توصله تنافيه وتناقضه أن يوغر الى ديوان الانشاء بكتب هذا السجل مضمنا ما رآه ودبره مودعا انفاذا ما أحكمه وقرره من نقل سنة تسع وتسعين وأربعمائة الى سنة احدى وخمسمائة لتكون موافقة لها ويجري عليها مالها ويكون ما يستأدونه من اقطاعاتهم ويستخرجونه من واجباتهم جارية على نظام محروس ونطاق محيط غير منحوس وشاهد بانصيب موفي غير متقوص ويتضح ما أبهم اشكاله التسمية ويزول الاستكراه في اختلاف التسمية ويستمر الوفاق بين السنين الهلالية والخراجية الى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة وينسب مال الخراج والمقاسمات وما يستغل ويجبي من الاقطاعات مما كان جارية على ذكر سنة تسع وتسعين وأربعمائة الى سنة احدى وخمسمائة وتجري الاضافة اليها يجرى ما يرتفع من الهلالية فيها لتكون سنة احدى من هذه مشتملة على ما يخصها من مالها وعلى مال السنة الخراجية بما يشرح من اتقالتها وكذلك نقل سنة تسع وتسعين وأربعمائة الخراجية الثابتة بالتسمية الى سنة احدى وخمسمائة المشار اليها ويكون مالها جارية عليها فليعمد ذلك في الدواوين بالحضرة وفي سائر أعمال الدولة فاصحها ودانيها وفارسها وشامها وليتنبه كافة الكتاب والمستخدمين وجميع العمال والمتصرفين الى اقتفاء هذا السن واتباعه وليحذروا الخروج عن أحكامه المقررة ووضاعه وليسأدروا الى امتثال المرسوم فيه وليحذروا من تجاوزه وتعديه ولينسخ في دواوين الاموال والجيوش المنصورة وليخلد بعد ذلك في بيوت المال المعهورة وكتب في محرم سنة احدى وخمسمائة * وقال القاضي الفاضل في محبذات سنة سبع وستين وخمسمائة ومن خطه نقلت * مستهل المحرم نسخ منشور بنقل السنة الخراجية الى السنة الهلالية والمطابقة بين اسمهما لموافقة الشهور العربية للشهور القبطية وخلو سنة سبع من نوروز فنقلت سنة خمس وستين وخمسمائة الخراجية الى هذه السنة وكان آخر نقل نقلته هذه السنة في الايام الافضلية فان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة وسنة تسع وتسعين الخراجيتين نقلتا الى سنة احدى وخمسمائة الخراجية وسبب هذا الانفراج بينهما زيادة عدد السنة الشمسية على عدد الهلالية احدى عشر يوما واغفال النقل في سنة ثلاث وثلاثين في أيام الوزير الافضل رضوان بن ونحشي وانسحب ذيل هذه الزيادة وتداخل السنين بعضها في بعض الى أن صار التفاوت بينهما سنتين في هذه السنة فنقلت وهو انتقال لا يعتدى التسمية ولا يتجاوز اللفظ ولا ينقص

مالا ديوان ولا لقطع وانما يقصده ازالة الالباس وحل الاشكال * وقال القاضي ابو الحسين وسخنة الكتاب الذي انشاء القاضي الفاضل خرجت الاوامر الملكية الناصرية زاد الله في اعلانها باداع هذا المنشور اتاؤثر من حسن النظر ما يؤثر أحسن الخبر ولا ينصرف بنا الفكر عما تحلى به السير وتجلى به الغير ولا تزال خواطرننا تعلى فتطلع الدرارى وتغوص فتخرج الدرود ان اولى ما استحدثت به البصائر وحسنت فيه المصائر كل أمر يصح المعاملات وبشرحها ويطلق عقولهم من عقول الاشكال وبسرحها ولما وجب نقل السنة الخراجية والمطابقة بينها وبين الهلالية لا تفرجها ما بسنتين وموافقة الشهور الخراجية والهلالية في هذه السنة مطلع المستهلين امضينا هذه السنة الخالية في هذه السنة الآتية واستخبرنا الله تعالى في نقل سمنى خمس وست وستين وخمسمائة الى سنة سبع وستين وخمسمائة التي سميت بهذا النقل هلالية خراجية تقيا للامور المشبهة والتسمية الموهوبة وتزيم السنى الاسلام عن التكيس ولتاريخه عن ملايسة التليس واعلاما بالوافق الذى استعمرته اباؤها وبثوها واعلانا باتباعه عناية بعبايد السلف التى خلفوها للغلف وبثوها وفى ذلك ما تحمد به العواقب وتنفع به المذاهب وتيسر به المطالب ويؤثر به الاشكال ويؤمن به الاختلال وينحسم به الغلط فى الحساب ويؤلف بين السنين المختلفة الانساب ويحفظ على القمر معاملته ويبعد عن التاريخ معاملته ويقرب على الكاتب محاولته ويصرف عن نعمة الله هجنة كونها مقدمة فى التسنية مؤخرة فى التسمية وعن معاملته بيت المال وصحة كونها معذوقة بالمطل وقد بالغت فى التوفية لان من أعطى فى سنة سبع وستين وخمسمائة استحقاق سنة خمس فلا ريب أنه قد مطل بحكم السمع وان كان قد انجز بحكم الشرع فتوهم هذه السنة المباركة بالهلالية الخراجية وترفع الحسابات بهذا الوضع ويعمل فى التقارير والتسجيلات على هذا فليفعل فى ذلك ما يقضى بارتاج هذا الانفراج وجبر هذا الصدع وليعلم فى الدواوين علمه ولينفذ فيها حكمه بعد ثبوته الى حيث ثبت مثله ان شاء الله تعالى * (وأما تاريخ العرب) فانه لم يزل فى الجاهلية والاسلام يعمل بشهور الالهة وعدة شهور السنة عندهم اثنا عشر شهرا الا انهم اختلفوا فى اسمائها فكانت العرب العاربة تسميها ناتي وتقبل وطلیق واسخ وأغخ وحلك وكسح وزاهر ونوط وحرف وبغش فتاتق هو المحترم وتقبل هو صفر وهكذا ما بعده على سرد الشهور وكانت تسمى بموجوب وموحر ومورد وملزم ومصدر وهوبز وهوبل وموها وديمر ودابر وحقل ومسيل فوجب هو المحترم وموحر صفر الا انهم كانوا يبدون بالشهور من ديمر وهو شهر رمضان فيكون أول شهور السنة عندهم ثم كانت العرب تسميها بأسماء أخرى مؤتمر وناجر وخوان وصوان وحنم وزبا والاصم وعادل وبايق ووعل وهواع وبرك ومعنى المؤتمر أنه يأتمر بكل شئ مما تأتى به السنة من اقضيتها وناجر من النجر وهو شدة الحر وخوان فعال من الخيانة وصوان بكسر الصاد وضهما فعال من الصيانة والزبا الداهية العظيمة المتكاثفة سمي بذلك لكثرة القتال فيه ومنهم من يقول بعد صوان الزبا وبعد الزبا بائدة وبعد بائدة الاصم ثم واغل وباطل وعادل ورنه وبرك فالبائد من القتال اذ كان فيه يبد كثير من الناس وجرى المثل بذلك فقيل المحجب كل المحجب بين جمادى ورجب وكانوا يستجلبون فيه ويتوخون بلوغ النار والغارات قبل رجب فانه شهر حرام ويقولون له الاصم لانهم كانوا يكفون فيه عن القتال فلا يسمع فيه صوت سلاح والواغل الداخل على شرب ولم يدعوه وذلك لانه تهجم على شهر رمضان وكان يكثر فى شهر رمضان شربهم الخمر لان الذى يتلوه هى شهور الحج وباطل هو مكيال الخمر سمي به لافراطهم فيه فى الشرب وكثرة استعماهم لذلك المكيال وأما العادل فهو من العدل لانه من أشهر الحج وكانوا يشتغلون فيه عن الباطل وأما الزبا فلان الانعام كانت تزب فيه لقرب البحر وأما برك فهو لبروك الابل اذ حضرت الخمر وقدرى انهم كانوا يسمون المحترم مؤتمر وصفر ناجر وبيع الاول نصار وبيع الاخر خوان وجمادى الاولى حتن وجمادى الآخرة الرنة ورجب الاصم وهو شهر مضر وكانت العرب تصومه فى الجاهلية وكانت تمتاز فيه وتمير اهلها وكان يأمن بعضهم بعضا فيه ويخرجون الى الاسفار ولا يخافون وشعبان عادل ورمضان ناتي وشوال واغل وذو القعدة هواع وذو الحجة برك ويقال فيه أيضا لبروك وكانوا يسمونه الميمون ثم سمى العرب أشهرها بالمحترم وصفر وبيع الاول وبيع الاخر وجمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذى القعدة وذى الحجة

واشتقوا اسماءها من امور اتفق وقوعها عند تسميتها فالمحترم ~~كانوا~~ المحترمون فيه القتال وصفر كانت
تصفر فيه بيوتهم ونزوحهم الى الغزو وشهرا ربيع كانا زمن الربيع وشهرا جمادى كانا يجمد فيهما الماء لشدة
البرد ورجب الوسط وشعبان يشعب فيه القتال ورمضان من الرضاء لانه كان يأتي فيه القيظ وشوال تنسيل
فيه الابل اذ نابها وذو القعدة تعودهم في دورهم وذو الحجة لانه شهر الحج وأنت اذا تأملت اشتقاق اسماء شهور
الجاهلية اولاً ثم اشتقاقها ثانياً تبين لك أن بين التسميتين زماناً طويلاً فان صفر في احدهما هو صميم الحروب
وفي الآخر رمضان ولا يمكن ذلك في وقت واحد او وقتين متقاربين وكانت العرب اولاً تستعمل هذه الشهور
على نحو ما يستعمله اهل الاسلام اما بطريق الهوى اولاً لان العرب لم يكن لها دراية بمراعاة حساب حركات
النيرين فاحتاجت الى استعمال مبادئ الشهور لرؤية الالهة وجعلت زمان الشهر بحسب ما يقع بين كل هلالين
فربما كان بعض الشهور ثامناً أعني ثلاثين يوماً وربما كان ناقصاً أعني تسعة وعشرين يوماً وربما كانت اشهر
متوالية ثمانية اكثرها اربعة وهذا نادراً وربما كانت اشهر متوالية ناقصة اكثرها ثلاثة وكان يقع حج العرب
في ازمة السنة كلها وهو أبداً عاشر ذى الحجة من عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فاذا انقضى موسم
الحج تفرقت العرب طالبة أماناً واما سكنها واقام اهل مكة بها فلم يزوالوا على ذلك دهر اطويلاً الى أن غيروا دين
ابراهيم واسماعيل فأحبوا أن يتوسعوا في معيشتهم ويجعلوا حجهم في وقت ادراك شغلهم من الادم والجلود
والثمار ونحوها وأن يثبت ذلك على حالة واحدة في أطيب الازمنة وأخصها فتعلوا كبس الشهور من اليهود
الذين نزلوا يثرب من عهد شعوبيل بنى اسرائيل وعملوا النسيء قبل الهجرة بنحو مائتي سنة وكان الذي يلي
النسيء يقال له القلس يعنى الشريف وقد اختلف في قول من أنسأ الشهور منهم فقبيل القلس هو عدى بن
زيد وقيل القلس هو سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة وانه قال أرى شهور الالهة ثلثمائة وأربعة
وخسين يوماً وأرى شهور العجم ثلثمائة وخسة وستين يوماً فيبتنا ويشتهم احد عشر يوماً في كل ثلاث سنين
ثلاثة وثلاثون يوماً في كل ثلاث سنين شهر وكان اذا جاءت ثلاث سنين قدم الحج في ذى القعدة فاذا جاءت ثلاث
سنين أخر في المحرم وكانت العرب اذا حجت قلدت الابل النعال والنسب الجلجل وأشعرتها فلا يتعرض لها أحد
الاختم وكان النسيء في بني كنانة ثم في بني ثعلبة بن مالك بن كنانة وكان الذي يلي ذلك منهم ابو ثمامة المسلكي ثم
من بني ققيم وبنو ققيم هم النساء وهو نسيء الشهور وكان يقوم على باب الكعبة فيقول ان الهنكم العزى قد
أنسأت صفر الاول وكان يحل عاماً ويحرمه عاماً وكان اتباعهم على ذلك غطفان وهوازن وسليم ونعيم وآخر
النساء جنادة بن عوف بن امية بن قلع بن عباد بن حذيفة بن عبد بن ققيم وقيل القلس هو حذيفة بن عبد بن
ققيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة ثم توارث ذلك منه بنوه من بعده حتى كان آخرهم
الذي قام عليه الاسلام ابو ثمامة جنادة وكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليه فأحل لهم من الشهور
وحرم فأحلوا ما أحل وحرموا ما حرم وكان اذا ارد أن ينسيء منها شيئاً أحل المحرم فأحلوه وحرم مكانه صفر
فحرموه ليوأطثوا عدة الاربعة فاذا أرادوا الهدى اجتمعوا اليه فقال اللهم اني لا اجاب ولا اعاب في امرى
والامر لما قضيت اللهم اني قد أحلت دماء المحلين من طى وختم فاقتلوهم حيث تقتلوهم اى ظفرت بهم اللهم اني
قد أحلت أحد الصفرين الصفر الاول وأنسأت الآخر من العام المقبل وانما أحل دم طى وختم لانهم كانوا
يعدون على الناس في الشهر الحرام من بين جميع العرب * وقيل اول من أنسأ سرير بن ثعلبة وانقرض فأنسأ
من بعده ابن اخيه القلس واسمه عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن كنانة ثم صار النسيء في ولده وكان آخرهم
ابو ثمامة جنادة وقيل عوف بن امية بن قلع عن ابيه امية بن قلع عن جده قلع بن عباد عن جدته عباد بن
حذيفة عن جدته حذيفة بن عبد بن ققيم وكان يقال لحذيفة القلس وهو أول من أنسأ الشهور على العرب
فأحل منها ما أحل وحرم ما حرم ثم كان بعد عوف المذكور ولده ابو ثمامة جنادة بن عوف وعليه قام الاسلام
وكان أبعدهم ذكراً وأطولهم أمداً يقال انه أنسأ أربعين سنة ولهم يقول عمر بن قيس جذل الطعان يتفخر

وأى الناس لم يسبق بوتر * وأى الناس لم يعلك لحاماً

ألسنا الناسين على معد * شهور الحل نجعلها حراماً

وقال آخر

اتزعم اني من فقيم بن مالك * لعمرى لقد غيرت ما كنت اعلم

لهم ناسي يمسون تحت لوائه * يحل اذا شاء الشهور ويحرم

وقيل كانت العرب تكس في كل اربع وعشرين سنة قرية بسعة اشهر فكانت شهورهم ثابتة مع الازمنة جارية على سن واحد لا يتاخر عن أوقاتها ولا تتقدم وكان النسي الاول للمحرم فسمي صفر باسمه وشهر ربيع الاول باسم صفر ثم والوا بين اسماء الشهور فكان النسي الثاني بصفر فسمي الذي كان يتلو بصفر أيضا وكذلك حتى دار النسي في الشهور الاثني عشر وعاد الى المحرم فأعادوا فعلهم الاول وكانوا يبعدون ادوار النسي ويحدثون بها الازمنة فيقولون قد دارت السنون من لدن زمان كذا الى زمان كذا وكذا دورة فان ظهر لهم مع ذلك تقدم شهر عن فصله من الفصول الاربعة لما يجتمع من كسور سنة الشمس بقية فصل ما بينها وبين سنة القمر الذي ألحقوه بها كبسوها كبسا ثانيا وكان يظهر لهم ذلك بطولع منازل القمر وسقوطها حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وكانت نوبة النسي بلغت شعبان فسمي محرمًا وشهر رمضان صفر وقبل ان الناسى الاول نسأ المحرم وجعله كبسا وآخر المحرم الى صفر وصفر الى ربيع الاول وكذا بقية الشهور فوقع لهم في تلك السنة عاشر المحرم وجعل تلك السنة ثلاثة عشر شهرا ونقل الحج بعد كل ثلاث سنين شهر اغضى على ذلك ما ثمان وعشر سنين وكان انقضاؤها سنة حجة الوداع وكان وقوع الحج في السنة التاسعة من الهجرة عاشر ذي القعدة وهي السنة التي حج فيها ابو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة حجة الوداع لوقوع الحج فيها عاشر ذي الحجة كما كان في عهد ابراهيم واسماعيل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في حجة هذه ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض يعني رجوع الحج والشهور الى الوضع وأنزل الله تعالى ابطال النسي بقوله تعالى انما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عتده ما حرم الله فيصلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم فبطل ما أحدثته الجاهلية من النسي واستمر وقوع الحج والصوم برؤية الالهة والله الحمد * وكانت العرب لها توارخ معروفة عندها قد بادت فما كانت تؤرخ به ان كانته أرخت من موت كعب بن اوى حتى كان عام الفيل فأرخوا به وهو عام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بين كعب بن اوى والفيل خمسة وعشرون سنة وكان بين الفيل وبين الفجار أربعون سنة ثم عدوا من الفجار الى وفاة هشام بن المغيرة فكانت ست سنين ثم عدوا من وفاة هشام بن المغيرة الى بنيان الكعبة فكانت تسع سنين ثم كان بين بنائها وبين هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة ثم وقع التاريخ من الهجرة النبوية فعن سعيد بن المسيب قال جمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الناس فسألهم من اى يوم يكتب التاريخ فقال على بن ابي طالب من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك أرض الشرك ففعله عمر وعنه سهل بن سعد الساعدي قال اخطأ الناس في العدد ما عدوا من مبعثه ولان وفاته انما عدوا من مقدمه المدينة وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان التاريخ من السنة التي قدم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقال قزعة بن خالد عن محمد كان عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه عامل جاء من اليمن فقال لعمر أمانؤرخون تكسبون في سنة كذا وكذا من شهر كذا وكذا فأراد عمر والناس أن يكتبوا من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا من عند وفاته ثم أرادوا أن يكون ذلك من الهجرة ثم قالوا من اى شهر فأرادوا أن يكون من رمضان ثم بداهم فقالوا من المحرم وقال ميمون بن مهران رفع الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه صل محله شعبان فقال اى شعبان هو أشعبان الذى نحن فيه او الاقى ثم جمع وجوه الصحابة فقال ان الاموال قد كثرت وما قسمنا منها غير موقت فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك فقالوا يجب أن يعرف ذلك من رسوم الفرس فعندها استخضر عمر رضى الله عنه الهرمزان وسأله عن ذلك فقال ان لنا حسابا باسمه ماه وروز معناه حساب الشهور والايام فعزبوا الكلمة وقالوا مؤرخ ثم جعلوه اسم التاريخ واستعملوه ثم طلبوا وقتا يجعلونه اول التاريخ دولة الاحلام فاتفقوا على أن يكون المبدأ من سنة الهجرة وكانت الهجرة النبوية من مكة الى المدينة وقد نصرت من شهور السنة وأيامها المحرم وصفر وأيام من ربيع الاول فلما عزموا على تأسيس الهجرة رجعوا القهقري ثمانية وستين يوما وجعلوا التاريخ من اول محرم هذه السنة ثم اجتمعوا من اول يوم في المحرم الى آخر عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان عشرين سنين وشهرين وأما اذا

قوله وقال ابن الخ
هكذا هذه العبارة
في جميع النسخ التي
بيدي ولا تخلو عن
تحريف ظاهر كثير
من عبارات هذا
الكتاب ولا يعلم الغيب
الا الله

حسب عمره المقدس من الهجرة حقيقة فيكون قد عاش صلى الله عليه وسلم بعد هاتسعين سنين وأحد عشر شهرا
واثنين وعشرين يوما وكان بين مولده صلى الله عليه وسلم وبين مولد المسيح عليه السلام خمسمائة وثمان وسبعون
سنة تنقص شهرين وثمانية أيام وابتداء تاريخ الهجرة يوم الخميس أول شهر الله المحرم وبينه وبين الطوفان ثلاثة
آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة وعشرة أشهر واثنان وعشرون يوما على ما عرفت فنام الخلاف في ذلك
وبينه وبين تاريخ الاسكندر بن فيليبس المقدوني الرومي تسعمائة واحد وستون سنة قريه وأربعة وخمسون
يوما تكون من السنين الشمسية تسعمائة واثنين وثلاثين سنة وما تسين وتسعة وثمانين يوما منها تسعة أشهر وتسعة
عشر يوما وبينه وبين تاريخ القبط ثلثمائة وسبع وثلاثون سنة وتسعة وثلاثون يوما * وقال ابن ماسا الله ان
انتقال المرم من المثلثة الهوائية التي هي برج الجوزاء دولتها الى برج السرطان ومثلثته المائية التي كانت دولة
الاسلام فيها عند تمام ستة آلاف وثلثمائة وخمس وأربعين سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوما من وقت القران
الأول الواقع في بدء التحرك يعني خلق آدم عليه السلام وان القران من هذه المثلثة وقع في أربع درج ودقيقة
واحدة من برج العقرب وهو قران الله الاسلامي قال وفي السنة الثانية من هذا القران ولاد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان بين دخول الشمس برج الحمل في هذه السنة وبين أول يوم من سنة الهجرة سنون فارسية
عدها احدى وخمسون سنة وثلاثة أشهر وثمانية أيام وست عشرة ساعة فكان من وقت الطوفان الى وقت
قران الله ثلاثة آلاف وتسعمائة واثنين وعشرين سنة وستة أشهر وأربعة عشر يوما * وزعمت اليهود أن من
آدم عليه السلام الى سنة الهجرة أربعة آلاف واثنين وأربعين سنة وثلاثة أشهر * وزعمت النصارى أن
بينهما خمسة آلاف وتسعمائة وتسعين سنة وثلاثة أشهر * وزعمت الجوس اعنى الفرس أن بينهما أربعة آلاف
ومائة واثنين وثمانين سنة وعشرة أشهر وتسعة عشر يوما وقد عرفت أن شهر تاريخ الهجرة قريه وأيام كل
سنة منها عدها ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم وجميع الاحكام الشرعية مبنية على رؤية
الهلال عند جميع فرق الاسلام ما عدا الشيعة فان الاحكام مبنية عندهم على عمل شهر السنة بالحساب
على ما شتراه في ذكر القاهرة وخلفائها ثم لما احتاج منجمو الاسلام الى استخراج ما لا بد منه من معرفة الاهلة
وسمت القبلة وغير ذلك بنوا أزياجهم على التاريخ العربي وجعلوا شهر السنة العربية شهرا كاملا وشهرا
ناقصا وابتدؤا بالمحرم اقتداء بالصحابه رضي الله عنهم فجعلوا المحرم ثلاثين يوما وصفر تسعة وعشرين يوما
وربيع الأول ثلاثين يوما وربيع الآخر تسعة وعشرين يوما وجادى الأولى ثلاثين يوما وجادى الآخرة
تسعة وعشرين يوما ورجب ثلاثين يوما وشعبان تسعة وعشرين يوما ورمضان ثلاثين يوما وشوال تسعة
وعشرين يوما وذا القعدة ثلاثين يوما وذا الحجة تسعة وعشرين يوما وزادوا من أجل كسر اليوم الذى
هو خمس وسدس يوما في ذى الحجة اذا صار هذا الكسرا أكثر من نصف يوم فيكون شهر ذى الحجة في تلك السنة
ثلاثين يوما ويسمون تلك السنة كيسة ويصير عددها ثلثمائة وخمسة وخمسين يوما ويجمع في كل ثلاثين من
الكبس احدى عشر يوما والله أعلم * وأما تاريخ الفرس ويعرف ايضا بتاريخ يزدجرد فانه من ابتداء تلك
يزدجرد بن شهر ياربى كسرى ابرويز اربخ به الفرس من أجل أن يزدجرد قام في المملكة بعد ما تدمك فارس
واستولى عليه النساء والمتغلبون وهو أيضا آخر ملوك فارس وبقتله تمزق ملكهم وأول هذا التاريخ يوم
الثلاثاء وبينه وبين تاريخ الهجرة تسعين سنين وثلثمائة وثمانية وثلاثون يوما وأيام سنة هذا التاريخ تنقص
عن السنة الشمسية ربع يوم فيكون في كل مائة وعشرين سنة شهرا واحدا ولهم في كبس السنة آراء ليس
هذا موضع ايرادها وعلى هذا التاريخ يعتمد في زمننا اهل العراق وبلاد العجم والله عاقبة الامور

* (ذكر فسطاط مصر) *

قال الجوهري الفسطاط بيت من شعر قال ومنه فسطاط مدينة مصر اعلم أن فسطاط مصر اخط في الاسلام
بعد ما فتحت أرض مصر وصارت دار اسلام وقد سكنت بيد الروم والقبط وهم نصارى ملكانية ويعفوية
ومبانية وحين اخط المسلمون الفسطاط انتقل كرسي المملكة من مدينة الاسكندرية بعدما كانت منزل الملك
ودار الامارة زيادة على تسعمائة سنة وصار من حينئذ الفسطاط دار امارة ينزل به امراء مصر فلم يزل على

ذلك حتى بنى العسكر بظاهر القسطنطينية فيه امراء مصر وسكنوه وربما سكن بعضهم القسطنطينية فلما أنشأ
الامير ابو العباس أحمد بن طولون القطائع بجانب العسكر سكن فيها واتخذها الامراء من بعده منزلا
الى أن انقرضت دولة بنى طولون فصار امراء مصر من بعد ذلك ينزلون بالعسكر خارج القسطنطينية وما زالوا على
ذلك حتى قدمت عمارة الامام المعز الدين الله أبي تميم معتمد الفاطمي مع كاتبه جوهر القائد فبنى القاهرة
وصارت خلافة واستمرت سكنى الرعية بالقسطنطينية وبلغ من وفور العمارة وكثرة الخلائق ما أربى على عامة مدن
المعمور وحاشا بغداد وما زال على ذلك حتى تغلب الفرنج على سواحل البلاد الشامية ونزل مري ملك الفرنج
بجموعه الكثيرة على بركة الحبش يريد الاستلاء على مملكة مصر وأخذ القسطنطينية والقاهرة فعجز الوزير شاور
ابن نجير السعدي عن حفظ البلدين معا فأمر الناس باخلاء مدينة القسطنطينية والبقاء بالقاهرة للامتناع
من الفرنج وكانت القاهرة اذ ذاك من الحصانة والامتناع بحيث لا ترام فارحل الناس من القسطنطينية
وساروا واباسرهم الى القاهرة وأمر شاور فألقى العبيد النار في القسطنطينية فلم تزل به بضعا وخسين يوما حتى
احترقت أكثر مساكنه فلما رحل مري عن القاهرة واستولى شريكوه على الوزارة تراجع الناس الى القسطنطينية
ورموا بعض شعبه ولم يزل في نقص وخراب الى يومنا هذا وقد صار القسطنطينية يعرف في زماننا بمدينة مصر والله
اعلم

* (ذكر ما كان عليه موضع القسطنطينية قبل الاسلام الى أن اختطه المسلمون مدينة) *

اعلم أن موضع القسطنطينية الذي يقال له اليوم مدينة مصر كان قضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقي
الذي يعرف بالجبل المقطم ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف اليوم بعصر الشع وبالمعلقة
ينزل به نخعة الروم المتولى على مصر من قبل القيصرية ملوك الروم عند مسيره من مدينة الاسكندرية ويقع فيه
ما شاء ثم يعود الى دار الامارة ومنزل الملك من الاسكندرية وكان هذا الحصن مطلا على النيل وتصل السفن
في النيل الى بابه الغربي الذي كان يعرف بباب الحديد ومنه ركب المقوقس في السفن في النيل من بابه الغربي
حين غلبه المسلمون على الحصن المذكور وصار فيه الى الجزيرة التي تجاه الحصن وهي التي تعرف اليوم بالروضة
قبالة مصر وكان مقياس النيل بجانب الحصن * وقال ابن المتوج وعمود المقياس موجود في زقاق مسجد
ابن النعمان قلت وهو باق الى يومنا هذا أعني سنة عشرين وثلاثمائة وكان هذا الحصن لا يزال مشحونا بالمقاتلة
وسير في هذا الكتاب خبره ان شاء الله تعالى وكان بجوار هذا الحصن من بحريه وهي الجهة الشمالية لشجار
وكروم صار موضعها الجامع العتيق وفيما بين الحصن والجبل عدة كنائس وديارات للنصارى في الموضع الذي
يعرف اليوم براشدة وبجانب الحصن فيما بين الكروم التي كانت بجانبه وبين الجرف الذي يعرف اليوم بمجبل
يشكر حيث جامع ابن طولون والكيش عدة كنائس وديارات للنصارى في الموضع الذي كان يعرف في
اوائل الاسلام بالجرا وعرف الآن بخط قناطر السباع والسبع سقايات وبقي بالجرا عدة من الديارات الى
أن هدمت في ساطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون على ما ذكر في هذا الكتاب عند ذكر كنائس النصارى
فلما افتتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية الفتح الاول نزل بجوار هذا الحصن واختط الجامع المعروف
بالجامع العتيق وبجامع عمرو بن العاص واختط قبائل العرب من حوله فصارت مدينة عرفت بالقسطنطينية
ونزل الناس بها فأنحسر بعد الفتح بأعوام ماء النيل عن ارض تجاه الحصن والجامع العتيق فصار المسلمون
يوقفون هنالك ذوابهم ثم اختطوا فيه المساكن شيئا بعد شيء وصار ساحل البلد حيث الموضع الذي يقال له اليوم
في مصر المعاريح مازا الى الكوم الذي على يسرة الداخل من باب مصر بمحطة الكبارة وفي موضع هذا الكوم
كانت الدور المظلة على النيل ويمر الساحل من باب مصر المذكور الى حيث يستأن ابن كيسان الذي يعرف اليوم
بيستان الطواشي في اول مراغة مصر وجميع الاماكن التي تعرف اليوم بمراغة مصر وبالجرف الى الخليج
عرضا ومن حيث قنطرة السدة الى سوق المعاريح طولاً كان غامرا بماء النيل الى أن انفسر عنه ماء النيل بعد
سنة ستمائة من سني الهجرة فصار رملة ثم اختط فيه الامراء مما يلي النيل آذرا عند ما عمر الملك الصالح
نجم الدين أيوب قلعة الروضة واختط بعضه شونا الى أن أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون جامعاً المعروف بالجامع

الجديد الناصري ظاهر مصر فعمر ما حوله وقد كان عند فتح مصر سائر المواضع التي من منشأة المهراني الى بركة الحبش طولاً ومن ساحل النيل بموردة الحلفاء وتجاه الجامع الجديد الى سوق المعاريج وما على ستمته الى تجاه المشهد الذي يقال له مشهد الراس وتسميه العامة اليوم مشهد زين العابدين كلها ببحر الايجول بين الحصن والجامع وما على ستمته الى الجراء الدنيا التي منها اليوم خط قناطر السباع وبين جزيرة مصر التي تعرف اليوم بالروضة شئ سوى ماء النيل وجميع ما في هذه المواضع من الابنية انكشف عنه النيل قليلاً قليلاً واختفى على ما يتبين لك في هذا الكتاب

* (ذكر الحصن الذي يعرف بقصر الشمع) *

اعلم ان هذا القصر احدث بعد خراب مصر على يد بخت نصر وقد اختلف في الوقت الذي بنى فيه ومن أنشأه من الملوك فذكر الواقدي أن الذي بناه اسمه الريان بن الوليد بن ارسلاوس وكان هذا القصر بوقد عليه الشمع في رأس كل شهر وذلك انه اذا حلت الشمس في برج من البروج او قد في تلك الليلة الشمع على رأس ذلك القصر فيعلم الناس بوقود الشمع أن الشمس انتقلت من البرج الذي كانت فيه الى برج آخر غيره ولم يزل القصر على حاله الى أن خربت مصر زمن بخت نصر بن نيروز الكلداني فأقام خراباً خسمائة سنة ولم يبق منه الا اثره فقط فلما غلب الروم على مصر وملكوها من أيدي اليونانيين ولى مصر من قبلهم رجل يقال له ارجاليس بن مقرطيس فبنى القصر على ما وجد من اساسه وقال ابن سعيد وصارت مصر والشام بعد بخت نصر في ملكة الفرس فولياهم منهم كثير جوش الفارسي باني قصر الشمع وبعده طخارست الطويل الولاية وتوات بعده ثواب الفرس الى ظهور الاسكندر وقال غيره ان الذي بناه طخشاش احد ملوك الفرس عندما سار لمحاربة اهل مصر فلما غلب قسطوم ملك مصر الذي يعرف بفرعون سابان وفرتمه الى مقدونية غلب على ملك مصر واستولى عليها وبني للفرس قصراً وجعل فيه بيت نار على شاطئ النيل الشرقي وعرف بقصر الشمع لانه كان له باب يقال له باب الشمع وجعل في القصر بيت نار وهو باق * وقال ابن عبد الحكم عن الليث بن سعد وكانت الفرس قد أسست بناء الحصن الذي يقال له باب اليون وهو الحصن الذي بقسطاط مصر اليوم فلما انكشفت جوع فارس عن الروم وأخرجتهم الروم من الشام اتت بناء ذلك الحصن وأقامت به فلم تزل مصر في ملك الروم حتى فتحها الله تعالى على المسلمين قال وكان ابو الاسود نصر بن عبد الحبار يقولها بالميم يعني باب اليوم ويقال انما سمى كذا لانهم كانوا يقولون من يقابل اليوم * وقال القاضي * ذكر الحصن المعروف بقصر الشمع يقال ان فارس لما ظهرت على الروم وملكت عليهم الشام وملكت مصر بدأت ببناء هذا القصر وبنيت فيه هيكلًا لبيت النار ولم يتم بناؤه على ايديهم الى أن ظهرت الروم عليهم فتمت بناءه وحصنته ولم تزل فيه الى حين الفتح وهيكل النار هو القبة المعروفة اليوم بقبة الدخان وبمضرتها مسجد معلق احده المسلمين * وقال ابو عبيد البكري باب اليون بمصر ان كان عربياً فانه مثل يوم ويوح مما فاؤم بيا وعينه واو وقد يجوز أن يكون فعلاً من بين وهو اسم موضع على مذهب ابي الحسن في فعل من البيع يوع قال وليست الاقوال واللام فيه للتعريف فعلى هذا يجب أن تثبت في الرسم وقال ابو جعفر

وحلوا نهاراً ارضنا وبنوا * بمكة باب اليون والربط بالعصب

والرواية في شعر كثير عزة في قوله

جرى بين باب اليون والعصب دونه * رياح اشفت بالنقى واشمت

بالباء وبفتح النون غير محجور للجنة على أن همزته مقطوعة وصلها للضرورة وقال الحازمي باب اليون بالباء اسم مدينة مصر فتحها المسلمون وسعوها القسطاط وقال عبد الملك بن هشام بابليون المتسوب اليه مصر هو بابليون ابن سبأ بن شجب بن يعرب بن قحطان وان من ولده عمرو بن امرئ القيس بن بابليون بن سبأ وهو الملك على مصر لما قدم اليها ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه والقبط تسمى عمر اهذا طوطيس ومن ولده حلوان بن بابليون بن عمرو بن امرئ القيس وبه سميت حلوان * وقال القاضي القاضي في ظاهر القسطاط القصر المعروف بباب ليون بالشرف ليون اسم بلده مصر بلغة السودان والروم وقد بقيت من بنائه بقية مبنية بالحجارة

على طرف الجبل بالشرف وعليه اليوم مسجد قال المؤلف فهذا كما ترى صريح في أن قصر باب اليون غير قصر الشمع فإن قصر الشمع في داخل القسطنطينية وقصر باب اليون هذا عند القضاة على الجبل المعروف بالشرف والشرف خارج القسطنطينية وهو خلاف ما قاله ابن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر والله أعلم * ويقال ان في زمن ناحور بن شاروع وهو الثامن عشر من آدم ملك مصر رجل اسمه افطوطس مدة اثنتين وثلاثين سنة وانه اول من اظهر علم الحساب والسحر وجعل كتب ذلك من بلاد الكلدانيين الى مصر وفي ذلك الزمان بنيت بابل يون على بحر النيل بمصر وذلك لتمام ثلاثة آلاف وثلاثمائة وتسعين للعالم وقال ابن سعيد في كتاب المغرب وأما قسطنطينية مصر فإن مبانيها كانت في القديم متصلة بمباني مدينة عين شمس وجاء الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن وعليه نزل عمرو بن العاص وضرب قسطنطينية حيث المسجد الجامع المنسوب اليه وهذا وهم من ابن سعيد فإن قسطنطينية عمرو إنما كان مضر وباعند دروب حمام شمول بخط الجامع هكذا هو بخط الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة وهو أقدم بخط مصر وأعرف من ابن سعيد وأما موضع الجامع فكان كروما وجنانا وحاز موضعه قيسية النجاشي ثم تصدق به على المسلمين فعمل المسجد وستقف على هذا ان شاء الله تعالى في ذكر جامع عمرو عند ذكر الجواني مع من هذا الكتاب * وقال ابن المتوج خط قصر الشمع هذا الخط يعرف بقصر الشمع وفيه قصر الروم وفيه ازقة ودروب قال وكنيسة المعلقة بمصر باب القصر وهو قصر الروم * وقال ابن عبد الحكم وأقر عمرو بن العاص القصر لم يقسمه ووقفه * وقال ابو عمرو الكندي في كتاب الامراء وقد ذكر قيام علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب وطروق المسجد في اماره يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة على مصر وورد كتاب ابي جعفر المنصور على يزيد بن حاتم بأمره بالتحويل من القسطنطينية الى القسطنطينية وأن يجعل الديوان في كنائس القصر وذلك في سنة ست وأربعين ومائة والله أعلم

* (ذكر حصار المسلمين للقصر وفتح مصر) *

اختلف الناس في فتح مصر فقال محمد بن اسحق وابو عبيد بن عمرو والواقدي ويزيد بن ابي حبيب وابو عمرو الكندي فتحت سنة عشرين وقال سيف بن عمر فتحت سنة ست عشرة وقيل فتحت سنة ست وعشرين وقيل سنة احدى وعشرين وقيل سنة اثنتين وعشرين والاول اصح وأشهر * قال ابن عبد الحكم لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابية قام اليه عمرو بن العاص فحمله فقال يا امير المؤمنين انك ان اسير الى مصر وحترضه عليها وقال انك ان فتحها كانت قوة للمسلمين وعون لهم وهي اكثر الارض اموالا وأعجز عن القتال والحرب فتحها حتى ركن لذلك فعقد له على اربعة آلاف رجل كلهم من عك ويقال بل ثلاثة آلاف وخمسمائة وقال له عمر سر وأما مستجير الله في مسيرك وسيأتيك كتابي سر يعا ان شاء الله تعالى فان ادركك كتابي أمرتك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئا من ارضها فانصرف وان أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره فصار عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشعر به احد من الناس واستنصر عمر الله فكانه تخوف على المسلمين في وجههم ذلك فكتب الى عمرو بن العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين فأدرك عمر الكتاب اذ هو بفتح فتحه فمخوف عمرو ان هو اخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد اليه عمر فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين ريف والعريش فسأل عنها فقيل انها من مصر فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين فقال عمرو لمن معه ألسنتم تعلمون أن هذه القرية من مصر قالوا بلى قال فان امير المؤمنين عهد الي وأمرني ان الحقني كتابه ولم ادخل ارض مصر أن ارجع ولم يلحقني كتابه حتى دخلنا ارض مصر فسيروا وامضوا على بركة الله ويقال بل كان عمرو وبفسطين فتقدم عمرو بأصحابه الى مصر بغيران فكتب فيه الى عمر رضي الله عنه فكتب اليه عمرو وهو دون العريش فجلس الكتاب فلم يقرأه حتى بلغ العريش فقرأه فاذا فيه من عمر بن الخطاب الى العاصي ابن العاصي أما بعد فانك سرت الى مصر ومن

معك وبها جوع الروم وانما معك نفر يسير ولعمري لو نكل بك ما سرت بهم فان لم تكن بلغت مصر فارجع فقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ ذاك بالجابة فكتب سرافاستاذن أن يسير الى مصر
وأمر أصحابه فتحوا كاقوم الذين يريدون أن يتخووا من منزل الى منزل قريب ثم سار بهم ليلا فلما فقدوا امرأه
الاجناد استنكروا الذي فعل ورأوا أن قد غدر فرفعوا ذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر الى العاصي ابن
العاصي أما بعد فانك قد غدرت بمن معك فان أدركك كتابي ولم تدخل مصر فارجع وان أدركك وقد دخلت فامض
واعلم أني بذلك * ويقال ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى عمرو بن العاص بعد ما فتح الشام أن ادب
الناس الى المسير معك الى مصر فخن خف معك فسر به وبعث به مع شريك بن عبد الله فذهبهم عمرو فأسرعوا الى
الخروج مع عمرو ثم ان عثمان بن عفان رضي الله عنه دخل على عمر بن الخطاب فقال عمر كتب الى عمرو بن
العاص يسير الى مصر من الشام فقال عثمان يا أمير المؤمنين ان عمر الجري وفيه اقدام وحب للامارة فأخشي
أن يخرج في غير ثقة ولا جماعة فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لا يدري تكون ام لا فندم عمر على كتابه الى
عمرو واشفق مما قال عثمان فكتب اليه ان أدركك كتابي قبل أن تدخل الى مصر فارجع الى موضعك وان كنت
دخلت فامض لوجهك فلما بلغ المقوقس قدوم عمرو بن العاص الى مصر توجه الى موضع القسطنطين فكان يجهز
على عمرو والجيش وكان على القصر رجل من الروم يقال له الاعرج واليا عليه وكان تحت يد المقوقس وأقبل
عمرو حتى اذا كان بجبل الجلال نظرت معه راشدة وقبائل من لحم فتوجه عمرو حتى اذا كان بالعريش أدركه التحر
فخشي عن أصحابه يومئذ بكس وتقدم فكان أول موضع قوتل فيه الفرما قاتلته الروم قتل اشديدا فحوا من
شهر ثم فتح الله عليه وكان عبد الله بن سعد على مينة عمرو منذ توجه من قيسارية الى أن فرغ من حربه
وكان بالاسكندرية أسقف للقبط يقال له ابو ميا مينا فلما بلغه قدوم عمرو الى مصر كتب الى القبط يعلمهم أنه
لا يكون للروم دولة وان ملكهم قد انقطع وبأمرهم يتلقى عمرو فيقال ان القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ
لعمرو أعوانا ثم توجه عمرو لايدافع الا بالامر الخفيف حتى نزل القواصر فسمع رجل من لحم نفر من القبط يقول
بعضهم لبعض ألا تعجبون من هؤلاء اتوم يقدمون على جوع الروم وانما هم في قلة من الناس فأجابه رجل
منهم فقال ان هؤلاء القوم لا يتوجهون الى احد الا ظهر واعليه حتى يقتلوا خيرهم وتقدم عمرو لايدافع الا بالامر
الخفيف حتى اتى بليس فقاتلوه بها فحوا من الشمر حتى فتح الله عليه ثم مضى لايدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى
ام دين فقاتلوه بها قاتلا شديدا وأبطأ عليه الفتح فكتب الى عمر يستعده فأمدّه بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف
وقيل بل امدّه بأثنى عشر ألفا فوصلوا اليه أرسالا يتبع بعضهم بعضا فكان فيهم اربعة آلاف عليهم اربعة
الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبيدة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقيل ان الرابع خارجة بن حذافة
دون مسلمة ثم احاط المسلمون بالحصن واميره يومئذ المندوق الذي يقال له الاعرج من قبل المقوقس بن قرق
اليوناني وكان المقوقس ينزل الاسكندرية وهو في سلطان هرقل غير أنه كان حاضر الحصن حين حاصره المسلمون
فقاتل عمرو بن العاص من بالحصن وجاء رجل الى عمرو فقال ادب هي خلا حتى آتى من دياراتهم عند القتال
فأخرج معه خمسمائة فارس عليهم خارجة بن حذافة في قول فسانروا من وراء الجبل حتى دخلوا مغاربي
واثل قبل الصبح وكانت الروم قد خندقوا خندقا وجعلوا له ابوابا وبنوا في اقبيتها حديد فالتقى القوم
حين اصبحوا وخرج خارجة من وراءهم فانهزموا حتى دخلوا الحصن وكانوا قد خندقوا حوله فنزل عمرو على
الحصن وقاتلهم قتلا شديدا يصحهم ويمسهم وقيل انه لما أبطأ الفتح على عمرو كتب الى عمر بن الخطاب يستعده
ويعلمه بذلك فأمدّه بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم مقام الالف الزبير بن العوام والمقداد
ابن عمرو وعبيدة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقيل بل خارجة بن حذافة لا بعد دون مسلمة وقال عمر ان معك
اثني عشر ألفا ولا تغلب اثنا عشر ألفا من قلة وقيل قدم الزبير اثني عشر ألفا وان عمرا لما قدم من الشام
كان في عدة قليلة فكان يفرق أصحابه ليرى العدو وأنهم اكثروا مما هم فلما انتهى الى الخندق نادوه أن قد رأينا
ما صنعت وانما معك من أصحابك كذا وكذا فلم يحطوا برجل واحد فأقام عمرو على ذلك اياما يغدو في السحر
فيصف أصحابه على افواه الخندق عليهم السلاح فينا هو على ذلك اذ جاءه خبر الزبير بن العوام انه قدم

في اثني عشر ألفا قتلهم عمرو ثم أقبل يسيران ثم لم يلبث الزبير أن ركب ثم طاف بالهندق ثم فزق الرجال حول الهندق والح عمرو على القصر ووضع عليه المنجنيق ودخل عمرو إلى صاحب الحصن قناظرا في شيء مما هم فيه فقال عمرو وأخرج واستشيرا أصحابي وقد كان صاحب الحصن أوصى الذي على الباب إذا مر به عمرو أن يلقى عليه صخرة فيقتله فز عمرو وهو يريد الخروج برجل من العرب فقال له قد دخلت فأنظر كيف تخرج فرجع عمرو إلى صاحب الحصن فقال له اني أريد أن آتيك بنفر من أصحابي حتى يسمعوامنك مثل الذي سمعت فقال العلي في نفسه قتل جماعة أحب إلى من قتل واحد وأرسل إلى الذي كان امره بما امره به من قتل عمرو أن لا يعرض له رجاء أن يأتيه بأصحابه فيقتلهم فخرج عمرو وعبادة بن الصامت في ناحية يصلي وفرسه عنده فراه قوم من الروم فخرجوا إليه وعليهم حلية وبرة فلما دنوا منه سلم من صلاته ووثب على فرسه ثم حل عليهم فلما رأوه ولوا راجعين فاتبعهم ففعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم ليشغلوه بذلك عن طلبهم وهو لا يلتفت اليه حتى دخلوا الحصن ورعى عبادة من فوق الحصن بالحجارة فرجع ولم يعرض لشيء مما طرأ حوا من متاعهم حتى رجع إلى موضعه الذي كان به فاستقبل الصلاة وخرج الروم إلى متاعهم يجمعونه فلما أبطأ الفتح على عمرو وقال الزبير اني اهاب الله نفسي أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين فوضع سلا إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد فأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعا فاشعروا الاواز بير على رأس الحصن يكبرون معه السيف وتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفا من أن ينكسر وكبراز بير فكبرت الناس معه وأجابهم المسلمون من خارج فلم يشك اهل الحصن أن العرب قد اقتحموا جميعا فهربوا وعمد الزبير وأصحابه إلى باب الحصن ففتحوه واقتحم المسلمون الحصن فخاف المقوقس على نفسه ومن معه فحينئذ سأل عمرو بن العاص الصلح ودعاه إليه على أن يفرض للعرب على القبط دينارين على كل رجل منهم فأجابه عمرو إلى ذلك وكان مكنهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر قال وقد سمعت في فتح القصر وجه آخر هو أن المسلمين لما حصروا باب اليون كان به جماعة من الروم واكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس فكانوا لهم شهرا فلما رأى القوم الحد من العرب على فتحه والحرص ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه خافوا أن يظهر عليهم قنحى المقوقس وجماعة من اكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلي ودونهم جماعة يقاتلون العرب فلهقوا بالجزيرة موضع الصناعة اليوم وأمروا بقطع الجسر وذلك في جرى النيل ويقال ان الاعرج تخلف في الحصن بعد المقوقس وقيل خرج معهم فلما خاف فتح الحصن ركب هو وأهل القوة والثرف وكانت سفنهم ملصقة بالحصن ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة فأرسل المقوقس إلى عمرو انكم قوم قد وبلتم في بلادنا وألحتم على قتالنا واطال مقامكم في ارضنا وانما انتم عصابة يسيرة وقد أظلمتكم الروم وجهزوا اليكم ومعهم من العدة والسلاح وقد أحاط بكم هذا النيل وانما انتم اسارى في ايدينا فابعثوا الينا رجلا منكم نسمع من كلامهم فلعله أن ياتي الامر فينا وبيننا وبينكم على ما تحبون ونحب وينقطع عنا وعنكم القتال قبل أن تغشاكم جوع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا تقدر عليه ولعلكم أن تقدموا ان كان الامر محالفا لطلبكم ورجائكم فابعثوا الينا رجلا من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شيء فلما اتت عمرو ابن العاص رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس فقال لأصحابه اتروا أنهم يقتلون الرسل ويستحلون ذلك في دينهم وانما اراد عمرو بذلك أن يرواحل المسلمين فرد عليهم عمرو مع رسله انه ليس بيني وبينكم الا احدى ثلاث خصال اما ان دخلتم في الاسلام فكنتم اخواتنا وكان لكم مالنا وان ايتم فاعطيتكم الجزية عن يد وانتم صاغرون واما ان جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين فلما جاءت رسل المقوقس اليه قال كيف رأيتم هؤلاء قالوا راينا قوم ما الموت أحب إلى احدهم من الحياة والتواضع أحب إلى احدهم من الرفعة ليس لاحدهم في الدنيا رغبة ولا نعمة انما جلوسهم على التراب واكلهم على ركبهم واميرهم كواحد منهم ما يعرف ربيعهم ولا السيد منهم من العبد واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم احدي يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم فقال عند ذلك المقوقس والذي يخلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لازالوها وما يقوى على قتال هؤلاء احد ولئن لم نقتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبوا بعد اليوم اذا مكنتم الارض وقروا

على الخروج من موضعهم فرد اليهم المقوقس رسلا به ثوبا ينار سلا منكم فنعاملهم وتداي نحن وهم الى ما عساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت وكان طوله عشرة اشبار وأمره أن يكون متكلم القوم ولا يجيبهم الى شيء يدعو اليه الا احدى هذه الثلاث خصال فان امير المؤمنين قد تقدم الى ذلك وأمرني أن لا اقبل شيئا سوى خصلة من هذه الثلاث خصال وكان عبادة اسود فلما ركبوا السفن الى المقوقس ودخلوا عليه تقدم عبادة فهابه المقوقس اسواده وقال نحو اعني هذا الاسود وقد مواعيره يكلمني فقالوا جميعا ان هذا الاسود افضلنا رايًا وعلما وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وانما ترجع جميعا الى قوله ورأيه وقد أمره الامير وتسايا امره وأمرنا أن لا نخالف رأيه وقوله قال وكيف رضيت أن يكون هذا الاسود افضلكم وانما ينبغي أن يكون هو دونكم قالوا كلانه وان كان اسود كما ترى فانه من افضلنا موضعنا وافضلنا سابقة وعقلا ورأيًا وليس ينكر السواد فينا فقال المقوقس لعبادة تقدم يا اسود وكلمني برفق فاني اهاب سوادك وان اشتد كلامك عليّ ازددت لك هيبة فتقدم عليه عبادة فقال قد سمعت مقاتلتك وان فيمن خلفت من اصحابي أنف رجل اسود كلهم اشتد سوادا مني واقطع منظرا ولورأيهم لكنت اهاب لهم منك لي وأنا قد وليت وأنا قد وليت وأدبر شيا بي واني مع ذلك بحمد الله ما اهاب ما تهرجل من عدوى لو استقبلوني جميعا وكذلك اصحابي وذلك انما رغبتنا وهمنا الجهاد في الله واتباع رضوانه وليس غروا وعدونا ممن حارب الله لغبة في دنيا ولا طلب للاستكثار منها الا أن الله عز وجل قد أحل لنا ذلك وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا وما يالي احدا ان كان له قنطار من ذهب ام كان لا يملك الا درهم الا ان غاية احدا من الدنيا اكلة يأكلها يستبها جوعه ليلته ونهاره وشمله يلحفها فان كان احدا لا يملك الا ذلك كفاه وان كان له قنطار من ذهب انفق في طاعة الله واقتصر على هذا الذي يسده ويبلغه ما كان في الدنيا لان نعيم الدنيا ليس بنعيم ورضاءها ليس برضاء انما النعيم والرخاء في الآخرة وبذلك امرنا الله وامرنا به نبينا وعهدنا لنا أن لا تكون همة احدا من الدنيا الا ما يسك جوعته ويستر عورته وتكون همته وشغله في رضوانه وجهاد عدوه فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد هبت منظره وان قوله لاهيب عندي من منظره ان هذا واصحابه اخرجهم الله لخراب الارض ما اظن ملكهم الا سيغلب على الارض كلها ثم اقبل المقوقس على عبادة بن الصامت فقال له ايها الرجل الصالح قد سمعت مقاتلتك وما ذكرت عنك وعن اصحابك ولعمري ما بلغت ما بلغت الا بما ذكرت وما ظهرتم علي من ظهركم عليه الا طبعهم الدنيا ورغبتهم في ما قد توجه اليها لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده قوم معروفون بالنجدة والشدة ما يالي احدهم من لقي ولا من قاتل وانا نالهم انكم لن تقدروا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم وقد اقمتم بين اظهرينا اشهر اوانتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالككم ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بين ايديكم ونحن نطيب انفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولا ميركم مائة دينار وخليفتكم ألف دينار فقبضوهم واتصرفون الى بلادكم قبل أن يفشاكم ما لا قوام لكم به فقال عبادة بن الصامت يا هذا لا تغرن نفسك ولا اصحابك أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه وان كان ما قلتم حقا فذلك والله ارجب ما يكون في قتالهم واشد حرجنا عليهم لان ذلك اعذر لنا عند ربنا اذا قدمنا عليه ان قتلنا من آخرنا كان امكن لنا في رضوانه وجنته وما شيء أقر لآعيننا ولا احب لنا من ذلك وانا منكم حينئذ اعلى احدى الحسينين اما أن تعظم لنا بذلك غنية الدنيا ان ظفركم اياكم او غنية الآخرة ان ظفركم بنا ولانها احب الخصلتين الينا بعد الاجتهاد منا وان الله عز وجل قال لنا في كتابه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وما من رجل الا وهو يدع ربه صباحا ومساءً أن يرزقه الشهادة وأن لا يرده الى بلده ولا الى ارضه ولا الى اهله وولده وليس لاحد منا هم فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده وانما همنا ما أماننا وما قولنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما اردنا منها لانفسنا اكثر مما نحن عليه فانظر الذي تريد فيمنه لنا فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك ولا نجيبك اليها الا خصلة من ثلاث فاخترتها شئت ولا تطمع نفسك في الباطل بذلك امرني

الامير وبها امره امير المؤمنين وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل النبا اما ان اجبتم الى الاسلام
الذى هو الدين القيم الذى لا يقبل الله غيره وهو دين انبيائه ورسله وملائكته امرنا الله تعالى أن نقاتل
من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فان فعل كان له مالنا وعليه ما علينا وكان اخانا في دين الله فان قبلت
ذلك انت واحبابك فقد سعدتم في الدنيا والاخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل اذاكم ولا التعرض لـكم
وان ابيتكم الجزية فأدوا اليها الجزية عن يد وانتم صاغرون وان نعمنا عليكم على شئ نرضى به نحن وانتم في كل
عام ابداما بقينا وبقيتم ونقاتل عنكم من ناواكم وعرض لكم في شئ من ارضكم ودمايتكم وأموالكم
ونقوم بذلك عنكم اذ كنتم في ذمتنا وكان لكم به عهد علينا وان ابيتكم فليس ينشأ بينكم الا المحاربة
بالسيف حتى تموت من آخرنا او نصيب ما نريد منكم هذا ديننا الذى ندين الله تعالى به ولا يجوز لنا فيما بيننا
وبينه غيره فانظر والانفسكم فقال المقوقس هذا ما لا يكون ابداما تريدون الآن أن تتخذوا عبيدا اما كانت
الدنيا فقال له عبادة هو ذلك فاختر لنفسك ما شئت فقال المقوقس افلا تحبسونالى خصلة غير هذه الثلاث
خصله فرفع عبادة يديه الى السماء فقال لا ورب هذه السماء ورب هذه الارض ورب كل شئ ما لكم عندنا
خصلة غير هذا فاختروا لانفسكم فالتفت المقوقس عند ذلك الى اصحابه فقال قد فرغ القوم فاتروا
فقالوا او يرضى احد بهذا الذل اما ما ارادوا من دخولنا في دينهم فهذا لا يكون ابدان نترك دين المسيح
ابن مريم ويدخل في دين غيره لا نعرفه واما ما ارادوا أن يسبوننا ويجعلونا عبيدا فالموت أيسر من ذلك لو رضوا منا
أن نضعف لهم ما اعطيناهم مرارا كان أهون علينا فقال المقوقس لعبادة قد أبى القوم فاترى فراجع
صاحبك على أن نعطيكم في مرتكهم هذه ما تغيتم وتصرفون فقال عبادة وأصحابه لا فقال المقوقس
عند ذلك أطيعوني وأجيبوا القوم الى خصلة من هذه الثلاث فوالله ما لكم بهم طاقة ولئن لم تحبوا اليها
طاعتين لتحيينهم الى ما هو أعظم كارهين فقالوا واى خصلة تحببهم اليها قال اذا خبركم ما دخلوكم في غير
دينكم فلا آمركم به وأما قتلهم فأننا علم انكم لن تقووا عليهم ولن تصبروا صبرهم ولا بد من الثلاثة قالوا
فنكون لهم عبيدا ابدان نعم تكونون عبيدا مسيطرين في بلادكم آمين على انفسكم وأموالكم وذرايركم
خير لكم من أن تموتوا من آخركم وتكونوا عبيدا تباعوا وغرقوا في البلاد مستعبدين ابدانتم واهليكم
وذرايركم قالوا فاموت اهون علينا وامرنا بقطع الجسر من القسطاط وبالجزيرة وبانقصر من جمع القبط
والروم كثير فألح المسلمون عند ذلك بالقتال على من بالقصر حتى ظفروا بهم وأمكن الله منهم فقتل منهم خلق
كثير واسر من اسروا ونجرت السفن كلها الى الجزيرة وصار المسلمون يراقبونهم وقد أحرق بهم الماء من كل وجه
لا يقدر على أن ينفذوا فهو الصعيب ولا الى غير ذلك من المدن والقرى والمقوقس يقول لاصحابه ألم اعلمكم
واخافه عليكم ما تنتظرون فوالله لتحيينهم الى ما ارادوا طوعا ولتحيينهم الى ما هو أعظم منه كرها فاطيعوني
من قبل أن تندموا فلما رأوا منهم مارا وأما قال لهم المقوقس ما قال اذعنوا بالجزية ورضوا بذلك على صلح يكون
بينهم يعرفونه وأرسل المقوقس الى عمرو بن العاص انى لم ازل حريصا على اجابتكم الى خصلة من تلك الخصال
التي ارسلت الي بها فأبى على من حضر من الروم والقبط فلم يكن لي أن اقاتل عليهم في أموالهم وقد
عرفوا نصحي لهم وحبي صلاحهم ورجعوا الى قولى فأعطى امانا واجتمع انا وأنت انانى نفر من اصحابى وأنت
في نفر من اصحابك فان استقام الامر بيننا تم ذلك جميعا وان لم يتم رجعنا الى ما كنا عليه فاستشار عمرو وأصحابه
في ذلك فقالوا لا نجيبهم الى شئ من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا وتصير الارض كلها لنا فيا وغنمة كما صار
لنا القصر وما فيه فقال عمرو قد علمت ما عهد الى امير المؤمنين في عهده فان اجابوا الى خصلة من الخصال
الثلاث التي عهد الى فيها اجبتهم اليها وقاتل منهم مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم
فاجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على أن يفرض لهم على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط طيناران
ديناران عن كل نفس شريفهم ووضعهم من بلغ منهم الحلم ليس على الشيخ الفاني ولا على الصغير الذى لم يبلغ
الحلم ولا على النساء شئ وعلى أن المسلمين عليهم انزل بجماعتهم حيث نزلوا ومن نزل عليه ضيف واحد
من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة ايام مفترضة عليهم وأن لهم ارضهم وأموالهم لا تعرض
لهم في شئ منها فشرط ذلك كله على القبط خاصة وأحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية وفرض

عليهم الدينار ان رفع ذلك عرفاؤهم بالايمن المؤكدة فكان جميع من احصى يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها من جميع القبط فيما احصوا وكتبوا ورفعوا اكثر من ستة آلاف ألف نفس فكانت فريضةهم يومئذ اثني عشر ألف ألف دينار في كل سنة * وقال ابن لهيعة عن يحيى بن ميمون الحضرمي لما فتح عمرو مصر صالح عن جميع من فيها من الرجال من القبط من راهق الجلم الى ما فوق ذلك ليس فيهم امرأة ولا شيخ ولا صبي فأحصوا بذلك على دينارين دينارين فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف قال وشرط المقوقس للروم أن يخبروا فخن احب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام على ذلك لازماله مفترضا عليه من أقام بالاسكندرية وما حولها من ارض مصر كلها ومن اراد الخروج منها الى ارض الروم خرج وعلى أن للمقوقس الخيسار في الروم خاصة حتى يكتب الى ملك الروم ويعلمه ما فعل فان قبل ذلك ورضيه جاز عليهم والا كانوا جميعا على ما كانوا عليه وكتبوا به كتابا وكتب المقوقس الى ملك الروم كتابا يعلمه بالامر كله فكتب اليه ملك الروم بفتح رأيه وبجزء ويرد عليه ما فعل ويقول في كتابه انما اتاك من العرب اثنا عشر ألفا ويمصر من بهامن كثرة عدد القبط ما لا يحصى فان كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية الى العرب واختاروهم علينا فان عندك بمصر من الروم وبالاسكندرية ومن معك اكثر من مائة ألف معهم العدة والقوة والعرب وحالهم وضعفهم على ما قدر رأيت ففجرت عن قتالهم ورضيت أن تكون انت ومن معك من الروم في حال القبط اذا فقتلهم انت ومن معك من الروم حتى تموت او تظهر عليهم فانهم فيكم على قدر كبريتكم وقوتكم وعلى قدر قتلهم وضعفهم كالكاهنهم القتل ولا يمكن لك رأى غير ذلك وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتابا الى جماعة الروم فتمال المقوقس لما اتاه كتاب ملك الروم والله اعلم انهم على قلةهم وضعفهم اقوى وأشد مناعا على قوتنا وكثرتنا ان الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا وذلك انهم قوم الموت احب الى احدهم من الحياة يقا تل الرجل منهم وهو مستقبل بنى أن لا يرجع الى اهل ولا بلده ولا ولده وورث أن لهم اجرا عظيما فين قتلوه منا ويقولون انهم ان قتلوا دخلوا الجنة وليس لهم رغبة في الدنيا وللاذلة الا قدر بلغة العيش من الطعام واللباس وشحن قوم نكرهم الموت ونحب الحياة ولذتها فكيف نستقيم نحن وهؤلاء وكيف صبرنا معهم واعلوا معشر الروم والله اني لا أخرج مما دخلت فيه ولا صالحت العرب عليه وانى لاعلم انكم سترجعون غدا الى قولي ورأيت وتجنون أن لو كنتم اطعموني وذلك اني قد عانيت ورأيت وعرفت ما لم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه أما يرضى احدكم أن يكون آمناني دهره على نفسه وماله وولده بدينارين في السنة ثم أقبل المقوقس الى عمرو فقال له ان الملك قد كره ما فعلت وعجزني وكتب الى والي جماعة الروم أن لا ترضى بمصالحك وأمرهم بقتالك حتى يظفروا بك أو تظفر بهم ولم اكن لاخرج مما دخلت فيه وعاقبتك عليه وانما سلطاني على نفسي ومن أطاعني وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ولم يأت من قبلهم نقض وأنا متك على نفسي والقبط متمون لك على الصلح الذي صلحتهم عليه وعاقبتهم وأما الروم فأنامهم يرى وأنا أطلب اليك أن تعطيني ثلاث خصال لا تنقض بالقبط وأدخلني معهم وأزمنى مالزهم وقد اجتمعت كلتي وكنتم على ما عاقبتك عليه فهم متمون لك على ما تحب وأما الثانية ان سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم قبا وعبيدا فانهم اهل ذلك لاني نعتهم فاستغشوني ونظرت لهم فاتهموني وأما الثالثة أطلب اليك ان نامت أن تأمرهم أن يذعنوني بجسر الاسكندرية فأنت لهم له عرو وبذلك وأجابه الى ما طلب على أن يضموا له الجسرين جميعا ويقموا لهم الا تزال والضيافة والاسواق والجسور ما بين القسطنطينية الى الاسكندرية ففعلوا وصارت لهم القبط أعوانا كما جاء في الحديث وقال ابن وهب في حديثه عن عبد الرحمن بن شريح فسار عمرو بمن معه حتى نزل على الحصن فحاصروهم حتى سالوه أن يسير منهم بضعة عشر أهل بيت ويفتحوا له الحصن ففعل ذلك ففرض عليهم عمرو واكل رجل من أصحابه دينارا وجبة وبرنسا وعمامة وخفين وسألوه أن يأذن لهم أن يميؤا له ولاصحابه صنعا ففعل وأمر عمرو أصحابه فتهبوا ولبسوا البرود ثم اقبلوا فلما فرغوا من طعامهم سألهم عمرو كم أنفقتم قالوا عشرين ألف دينار قال عمرو لا حاجة لنا بصنيعكم بعد اليوم اذوا الناعشرين ألف دينار فجاءه النفر من القبط فاستأذنه الى قراهم وأهلهم فقال لهم عمرو كيف رأيتم أمرنا قالوا لم نزال احسننا فقال الرجل الذي قال في المزمز الاولى انكم لن تزالوا تظهرون على كل من لقيتم حتى تقتلوا خيركم رجلا فغضب عمرو وأمر به فطلب اليه أصحابه وأخبروه

انه لا يدري ما يقول حتى خلصوه فلما بلغ عمر اقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل في طلب ذلك القبطي فوجدوه قد هلك فحجب عمرو من قوله ويقال ان عمرو بن العاص قال فلما طعن عمرو بن الخطاب قلت هو ما قال القبطي فلما حدثت انه انما قتله ابولؤلؤة رجل نصراني قلت لم يعن هذا انما عني من قتله المسلمون فلما قتل عثمان عرفت ان ما قال الرجل حق فلما فرغ القبط من منيعهم أمر عمرو بن العاص بطعام فصنع لهم وأمرهم أن يحضروا لذلك فصنع لهم الثريد والعراق وأمر أصحابه بلباس الأكسية واشتال السماء والقعود على الركب فلما حضرت الروم وضعوا كراسي الديباج جلسوا عليها وجلست العرب الى جوانبهم فجعل الرجل من العرب يلتقم اللقمة العظيمة من الثريد وينهش من ذلك اللحم فينطير على من الى جنبه من الروم فبشعت الروم ذلك وقالت أين أولئك الذين كانوا أتونا قبل قليل لهم أولئك أصحاب المشورة وهؤلاء أصحاب الحرب وقال الكندي وذكر يزيد بن أبي حبيب أن عدد الجيش الذين كانوا مع عمرو بن العاص خمسة عشر ألفاً وخمسمائة وذكر عبد الرحمن بن سعيد بن مقلاص أن الذين جرت سبمانهم في الحصن من المسلمين اثنا عشر ألفاً وثلاثمائة بعد من أصيب منهم في الحصار بالقتل والموت ويقال ان الذين قتلوا في هذا الحصار من المسلمين دفنوا في اصل الحصن وذكر القاضي أن مصر قحت يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين وقيل قحت سنة ست عشرة وهو قول الواقدي وقيل قحت والاسكندرية سنة خمس وعشرين والاكثر على انها قحت قبل عام الرمادة وكانت الرمادة في آخر سنة سبع عشرة وأول ثمان عشرة

* (ذكر ما قبل في مصر هل قحت بصلح او عنوة) *

وقد اختلف في فتح مصر فقال قوم قحت صلحاً وقال آخرون انما قحت عنوة فأما الذين قالوا كان فتح مصر بصلح فان حسين بن شفي قال لما فتح عمرو بن العاص الاسكندرية بقي من الاسارى بها ممن بلغ الخراج وأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان فاختلف الناس على عمرو في قسمهم فكان اكثر المسلمين يريد قسمها فقال عمرو لا أقدر على قسمها حتى اكتب الى أمير المؤمنين فكتب اليه يعلم بشيئها وشأنها وأن المسلمين طلبوا قسمها فكتب اليه عمر رضي الله عنه لا تقسمها وذره لهم يكون خراجهم قياً للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فأقرها عمرو وأحصى أهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر كلها صلحاً بقرينة دينارين الا انه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الارض والزرع الا الاسكندرية فانهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم لان الاسكندرية قحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا ذمة وقال الليث عن يزيد بن أبي حبيب مصر كلها صلح الا الاسكندرية فانها قحت عنوة وقال عبد الله بن أبي جعفر حدثني رجل عن أدركم عمرو ابن العاص قال للقبط عهد عند فلان وعهد عند فلان فسمي ثلاثة نفر وفي رواية ان عهد أهل مصر كان عند كبارهم وفي رواية سألت شيخنا من القدماء عن فتح مصر قلت له فان ناساً يزعمون انه لم يكن لهم عهد فقال ما لي بالي أن لا يصلي من قال انه ليس لهم عهد فقلت فهل كان لهم كتاب فقال نعم كتب ثلاثة كتاب عند طلبا صاحب اخنا وكتاب عند قرمان صاحب رشيد وكتاب عند بنحس صاحب البرلس قلت كيف كان صلحهم قال دينارين على كل انسان جزية وأرزاقي المسلمين قلت فتعلم ما كان من الشروط قال نعم ستة شروط لا يخرجون من ديارهم ولا تنزع نساؤهم ولا كفورهم ولا أراضيتهم ولا يراد عليهم وقال يزيد بن أبي حبيب عن أبي جعفر مولى عقبة قال كتب عقبة بن عامر الى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يسأله ارضاً يسترقق بها عند قرية عقبة فكتب له معاوية بألف ذراع في ألف ذراع فقال له مولى له كان عنده انظر اصلحك الله ارضاً صلحاً فقال له عقبة ليس لنا ذلك ان في عهدهم شروطاً ستة لا يؤخذ من أنفسهم شيء ولا من نسايتهم ولا من أولادهم ولا يراد عليهم ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم وانما شاهد لهم بذلك وعن يزيد بن أبي حبيب عن عوف بن حطان انه كان لقريبات من مصر منهن أم دين وبهيت عهد وان عمرو بن الخطاب رضي الله عنه لما سمع بذلك كتب الى عمرو يأمره أن يخبرهم فان دخلوا في الاسلام فذاك وان كرهوا فاردهم الى قراهم وقال يحيى بن أيوب وخالد بن حميد ففتح الله ارض مصر كلها بصلح غير الاسكندرية وثلاث قريات ظاهرت الروم على المسلمين سلطيس ومصيل وبهيت فانه كان للروم جمع ظاهروا الروم على المسلمين فلما ظهر عليها المسلمون استحلوها وقالوا هؤلاء لنا في مع الاسكندرية فكتب

عمر بن العاص بذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه عمر أن يجعل الاسكندرية وهؤلاء الثلاث
قريات ذمة للمسلمين ويضربون عليهم الخراج ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط كله قوة للمسلمين لا يجعلون فيا
ولا عبيد اضعفوا ذلك الى اليوم * وقال آخرون بل فتحت مصر عنوة بلا عهد ولا عقد قال سفيان بن وهب
الخولاني لما افتتحنا مصر بغير عهد ولا عقد قام الزبير بن العوام فقال اقسعها يا عمرو بن العاص فقال عمرو والله
لا اقسعها فقال الزبير والله لنقسعها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال عمرو والله لا اقسعها حتى اكتب
الى أمير المؤمنين فكتب الى عمر فكتب اليه عمر أقرها حتى يغزونها حبل الحبلية وصولح الزبير على شيء أرضى به
وقال ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة أن مصر فتحت عنوة وعن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال سمعت أشياخنا
يقولون أن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد منهم أبي يحدثنا عن أبيه وكان فيمن شهد فتح مصر وعن أبي الأسود
عن عروة أن مصر فتحت عنوة وعن عمرو بن العاص أنه قال لقد فتحت مقعدي هذا وما لاحد من قبط مصر
على عهد ولا عقد الا اهل انطاكس كان لهم عهد يوفى به ان شئت قبلت وان شئت خست وان شئت بعث
وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أن عمرو بن العاص فتح مصر بغير عهد ولا عقد وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
حبس درهما ووضعهما أن يخرج منه شيء نظار الاسلام وأهله * وعن زيد بن أسلم قال كان ثابت لعمر بن الخطاب
فيه كل عهد كان يذمه وبين أحد من عاهده فلم يوجده لاهل مصر عهد فمن أسلم منهم أقامه ومن أقام منهم قومه
وكتب حيان بن شريح الى عمر بن عبد العزيز يسأله أن يجعل جزية موقى القبط على أحيائهم فسأل عمر عراك
ابن مالك فقال عراك ما سمعت لهم بعهده ولا عقد وانما أخذوا عنوة بمنزلة العبيد فكتب عمر الى حيان أن يجعل
جزية موقى القبط على أحيائهم وقال يحيى بن عبد الله بن بكير خرج أبو سلمة بن عبد الرحمن يريد الاسكندرية
في سفينة فاحتاج الى رجل يجذف فسخر رجلا من القبط فكلم في ذلك فقال انما هم بمنزلة العبيد ان احتجنا
اليهم وقال ابن لهيعة عن الصلت بن أبي عاصم أنه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح أن مصر
فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد وعن عبيد الله بن أبي جعفر أن كاتب حيان حدثه أنه احتج الى خشب لصناعة
الجزيرة فكتب حيان الى عمر بن عبد العزيز بذلك له وأنه وجد خشبا عند بعض اهل الذمة وأنه كره
أن يأخذها منهم حتى يعلمه فكتب اليه عمر خذها منهم بقيمة عدل فاني لم أجده لاهل مصر عهدا افي لهم به وقال عمر
ابن عبد العزيز لسالم أنت تقول ليس لاهل مصر عهد قال نعم وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن عمرو
ابن العاص كتب الى عمر بن الخطاب في رهبان يترهبون بمصر فيموت أحدهم وائس له وارث فكتب اليه عمر أن
من كان منهم له عقب فادفع ميراثه الى عقبه فان لم يكن له عقب فاجعل ماله في بيت مال المسلمين فان ولاءه
للمسلمين * وقال ابن شهاب كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة وبعضها عنوة فجعلها عمر بن الخطاب رضى الله عنه
جميعها ذمة وحملهم على ذلك فغض ذلك فيهم الى اليوم واشترى الليث بن سعد شيئا من أرض مصر لانه كان
يحدث عن يزيد بن أبي حبيب أن مصر صلح وكان مالك بن أنس ينكر على الليث ذلك وانكر عليه أيضا عبد الله
ابن لهيعة ونافع بن يزيد لأن مصر عندهم كانت عنوة

* (ذكر من شهد فتح مصر من الصحابة رضى الله عنهم) *

قال ابن عبد الحكم وكان من حفظ من الذين شهدوا فتح مصر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش
 وغيرهم ومن لم يكن له برسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة الزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعمرو
 ابن العاص وكان أمير القوم وعبد الله بن عمرو وخارجة بن حذافة العدوي وعبد الله بن عمر بن الخطاب
 وقيس بن أبي العاص السهمي والمقداد بن الأسود وعبد الله بن أبي سعد بن أبي سرح العامري ونافع بن عبد
 قيس الفهري ويقال بل هو عقبه بن نافع وأبو عبد الرحمن بن زيد بن أنيس الفهري وأبو رافع مولى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وابن عبدة وعبد الرحمن وربيعة ابنا شر حبيب بن حسنة ووردان مولى عمرو بن العاص
 وكان حامل لواء عمرو بن العاص وقد اختلف في سعد بن أبي وقاص فقيل انما دخلها بعد الفتح وشهد الفتح من
 الانصار عبادة بن الصامت وقد شهد بدرا وبيعة العقبة ومحمد بن مسلمة الانصاري وقد شهد بدر وهو الذي بعثه
 عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مصر قائم عمرو بن العاص ماله وهو أحد من كان صعد الحصن مع الزبير بن

العوام ومسلمة بن مخاض الانصاري يقال له صحبة وأبو أيوب خالد بن زيد الانصاري وأبو الدرداء عويم بن عامر وقيل عويم بن زيد ومن أحياء القبائل أبو نصر جليل بن نصر الغفاري وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري وشهد الفتح مع عمرو بن العاص وهيب بن معقل وإليه ينسب وادي هيب الذي بالمغرب وعبد الله بن الحارث ابن جزة الزبيدي وكعب بن ضبة العبسي ويقال لكعب بن يسار بن ضبة وعقبه بن عامر الجهني وهو كان رسول عمرو بن الخطاب إلى عمرو بن العاص حين كتب إليه يأمره أن يرجع أن لم يكن دخل أرض مصر وأبوزمعة البلوي وبرج بن حنبل ويقال برج بن عسكر وشهد فتح مصر واختط بها وجنادة بن أبي أمية الأزدي وسفيان ابن وهب الخولاني وله صحبة ومعأوبة بن خديج الكندي وهو كان رسول عمرو بن العاص إلى عمرو بن الخطاب بفتح الاسكندرية وقد اختلف فيه فقال قوم له صحبة وقال آخرون ليست له صحبة وعامر مولى جمل الذي يقال له عامر جمل شهد الفتح وهو عمالوك وعمار بن ياسر ولكن دخل بعد الفتح في أيام عثمان وجهه اليها في بعض أموره قال ابن عبد الحكم منهم من اختط بالبلد فذكرنا خطته ومنهم من لم يذكر له خطة قال فاخط عمرو بن العاص داره التي عند باب المسجد بينهما الطريق وداره الأخرى اللاصقة إلى جنبها وفيها دفن عبد الله بن عمرو فيما زعم بعض مشايخ البلد حدث كان يومئذ في البلد والحمام الذي يقال له حمام الفاروا قليل له حمام الفار لأن حمامات الروم كانت ديماسات بكارا فلما بنى هذا الحمام ورأوا صغره قالوا من يدخل هذا حمام الفار

* (ذكر السبب في تسمية مدينة مصر بالقسطاط)

قال ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبناءها مفرغاً منها هم أن يسكنها وقال مساكين قد كفيناها فكتب إلى عمرو بن الخطاب رضي الله عنه يستأذنه في ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بيني وبين المسلمين ما قال نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل فكتب عمرو إلى عمرو أن لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلاً يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف فتحول عمرو من الاسكندرية إلى القسطاط قال وكتب عمرو بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص وهو نازل بمداين كسرى وإلى عامله بالبصرة وإلى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية أن لا تجعلوا بيني وبينكم ماء موقاً أردت أن أركب اليكم راكضاً حتى أقدم عليكم قدمت فتحول سعد من مداين كسرى إلى الكوفة وتحول صاحب البصرة من المكان الذي كان فيه فنزل بالبصرة وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية إلى القسطاط قال وانما سميت القسطاط لأن عمرو بن العاص لما أراد التوجه إلى الاسكندرية لقتال من بها من الروم أمر بنزع قسطاطه فاذا فيه يمام قد فرخ فقال عمرو لقد تحترم منا بتحترم فأمر به فأقر كما هو وأوصى به صاحب القصر فلما قفل المسالون من الاسكندرية قالوا أين نزل قالوا القسطاط لفسطاط عمرو الذي كان خلفه وكان مضروباً في موضع الدارات التي تعرف اليوم بدار الحصار عند دار عمرو الصغيرة قال الشريف محمد بن اسعد الجواني كان قسطاط عمرو عند درب حمام شمول بخط الجامع وقال ابن قتيبة في كتاب غريب الحديث في حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالجماعة فإن يد الله على القسطاط يرويه سويد بن عبد العزيز عن النعمان بن المنذر عن مكحول عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم والقسطاط المدينة وكل مدينة قسطاط ولذلك قيل لمصر قسطاط وقال البكري القسطاط بضم أوله وكسره واسكان ثانياً اسم لمصر ويقال قسطاط وبسطاط قال المطرزي وقسطاد وفستاد وبكسرا وائل جميعها فهي عشر لغات وقال ابن قتيبة كل مدينة قسطاط وذكر حديث عليكم بالجماعة فإن يد الله على القسطاط وأخبرني أبو حاتم عن الأصمعي أنه قال حدثني رجل من بني تميم قال قرأت في كتاب رجل من قريش هذا ما اشتري فلان بن فلان من مجلان مولى زياد اشتري منه خمس مائة جريب حبالة القسطاط يريد البصرة ومنه قول الشعبي في الأبق إذا أخذ في القسطاط عشرة وإذا أخذ خارجاً عن القسطاط أربعون وأراد أن يد الله على أهل الامصار وأن من شذ عنهم وفارقهم في الرأي فقد خرج عن يد الله وفي ذلك آثار والله أعلم

* (ذكر الخطط التي كانت بمدينة القسطاط)

أعلم أن الخطط التي كانت بمدينة قسطاط مصر بمنزلة الحارات التي هي اليوم بالقاهرة قليل لتلك في مصر خطة

وقيل لها في القاهرة حارة * قال القاضي * ولمارجع عمرو من الاسكندرية ونزل موضع فسقاطه انضمت القبائل بعضها الى بعض وتنافسوا في المواضع فولى عمرو على الخطط معاوية بن خديج التميمي وشريك بن سمى الغنطي وعمرو بن قحزم الخولاني وحيويل بن ناشرة المغافري وكانوا هم الذين انزلوا الناس وفصلوا بين القبائل وذلك في سنة احدى وعشرين * (خطة اهل الراية) اهل الراية جماعة من قريش والانصار وخزاعة واسلم وغضار ومنينة وأشجع وجهينة وثقيف ودوس وعيس بن بغيض وحرش من بني كنانة وليث بن بكر والعنقاء منهم الآن منزل العنقاء في غير الراية وانما سمو اهل الراية ونسبت الخطة اليهم لانهم جماعة لم يكن لكل بطن منهم من العدد ما ينفرد به عوة من الديوان فـ **كـ**رم كل بطن منهم أن يدعى باسم قبيلة غير قبيلته فجعل لهم عمرو بن العاص راية ولم ينسبها الى أحد فقال يكون موتكم تحتها فكانت لهم كالنسب الجامع وكان ديوانهم عليها وكان اجتماع هذه القبائل لمآعده رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاية بينهم وهذه الخطة محيطة بالجامع من جميع جوانبه ابتداء من المصف الذي كانوا عليه في حصارهم الحصن وهو باب الحصن الذي يقال له باب الشمع ثم مضوا بخطهم الى حمام الفار وشرعوا بغربها الى النيل فاذا بلغت الى النحاسين فالجانبان لاهل الراية الى باب المسجد الجامع المعروف بباب الوراقين ثم يسلك على حمام شمول وفي هذه الخطة زقاق القناديل الى تربة عصفان الى سوق الحمام الى باب القصر الذي بدأنا **كـ**رم * (خطة مهرة) بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة ابن مالك بن جبر * وخطة مهرة هذه قلى * خطة الراية واخذت مهرة أبضا على سفح الجبل الذي يقال له جبل يشكر مما يلي الخندق الى شرقي العسكر الى جنان بني مسكين ومن جملة خطة مهرة الموضع الذي يعرف اليوم بمساطب الطباخ واسمه حمد ويقال ان الخطة التي لهم قلى الراية كانت حوزا لهم يرطون فيها خيلهم اذا رجعوا الى الجمعة ثم انقطعوا اليها وتركوا منازلهم يشكر * (خطة نجيب) ونجيب هم بنو عدى وسعد بن الاشرس بن شبيب بن السكن بن الاشرس بن كندة فمن كان من ولد عدى وسعد يقال لهم نجيب ونجيب أمهم وهذه الخطة تلي خطة مهرة وفيها درب الموصلة آخره حائط من الحصن الشرقي * (خطط نلم في موضعين) فمنها خطة نلم بن عدى بن مرة بن ادود من خالطها من جذام فابتدأت نلم بخطتها من الذي انتهت اليه خطة الراية وأصعدت ذات الشمال وفي هذه الخطة سوق بربر وشارعه محتلط فيما بين نلم والراية ولهم خطتان أخريان احدهما منسوبة الى بني رية بن عمرو بن الحارث بن وائل بن راشدة من نلم وأولها شرقي الكنيسة المعروفة بكمايل التي عند خليج بني وائل وهذا الموضع اليوم وراقات يعمل فيها الورق بالقرب من باب القنطرة خارج مصر والخطة الثانية خطة راشدة بن أدب بن جزيلة من نلم وهي متاخمة للخطة التي قبلها وفي هذه الخطة جامع راشدة وجنان **كـ**هم بن معمر الذي عرف بالمدراقي ثم عرف بجنان الامير غسيم وهو اليوم يقال له المعشوق بجوار الآثار النبوية ولهم مواضع مع اللقيف وخطط أيضا بالجرهاء * (خطط اللقيف) انما سمو بذلك لالتفاف بعضهم ببعض وسبب ذلك أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية أخبر أن مراكب الروم قد توجهت الى الاسكندرية لقتال المسلمين فبعث عمرو بعمر بن جباله الازدي الحجري ليأتيه بالخبر فضى واسرعت هذه القبائل التي تدعى اللقيف وتعاقدوا على الحاق به واستأذوا عمرو بن العاص في ذلك فأذن لهم وهم جمع كثير فلما رأهم عمرو بن جباله استكثرهم وقال تالله ما رأيت قوما قد سدوا الأفق مثلكم وانكم كما قال الله تعالى فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم أفيقا فبذلك سموا من يومئذ اللقيف وسألوا عمرو بن العاص أن يفردهم دعوة فامتنعت عشائرهم من ذلك فقالوا لعمرو فانما نجتمع في المنزل حيث كنا فأجابهم الى ذلك فكانوا مجتمعين في المنزل متفرقين في الديوان اذا دعى كل بطن منهم انضم الى بني أبيه قال قتادة ومجاهد والضحاك بن مزاحم في قوله جئنا بكم لفيقا قال جميعا وكان عامتهم من الازد من الحجاز ومن غسان ومن شجاعة والتف بهم نقر من جذام ونظم والزحاف وتنوخ من قضاة فهم مجتمعون في المنزل متفرقون في الديوان وهذه الخطة أولها مما يلي الراية **كـ**م اذا ذات الشمال الى نقاشي البلاط وفيها دار ابن عشرين الى نخوم سوق وردان * (خطط اهل الظاهر) انما سمي هذا المنزل بالظاهر لان القبائل التي نزلت كانت بالاسكندرية ثم قطعت بعد قفول عمرو بن العاص وبعد أن اختط الناس خططهم فخاصمت الى عمرو فقال لهم معاوية بن خديج وكان ممن يتولى الخطط يومئذ ارى لكم أن تظهروا على اهل هذه القبائل فتتخذوا منزلا فسمي الظاهر بذلك وكانت القبائل التي نزلت الظاهر

العنقاء وهم جماع من القبائل كانوا يطعمون على أيام النبي صلى الله عليه وسلم فبعث اليهم فأتي بهم أسرى فأعتقهم فقبل لهم العنقاء وديوانهم مع أهل الرابية وخطتهم بالظاهر متوسطة فيه وكان فيهم طوائف من الأزد وفهم وأول هذه الخطة من شرقي خطة نخم وتتصل بموضع العسكر ومن هذه الخطة سويقة العراقيين وعرفت بذلك لأن زيادا المaula معاوية بن أبي سفيان البصرة غزب جماعة من الأزد إلى مصر وبها سلسلة بن محمد في سنة ثلاث وخسين قتل منهم هنا نحو من مائة وثلاثين قبيل لموضعهم من خطة الظاهر سويقة العراقيين * (خط غافق) هو غافق بن الحارث بن علك بن عثمان بن عبد الله بن الأزد وهذه الخطة تلي خطة نخم إلى خطة الظاهر بجوار درب الاعلام * (خطط الصدق) واسمه مالك بن سهل بن عمرو بن قيس بن حمير ودعوتهم مع كندة * (خطط الفارسيين) واستبد بخطة خولان من حضر فتح مصر من الفارسيين وهم بقايا جند باذان عامل كسرى على اليمن قبل الإسلام اسلموا بالشأم ورغبوا في الجهاد فنفروا مع عمرو بن العاص إلى مصر فاخذوا بهم وأخذوا في سفح الجبل الذي يقال له جبل باب البون وهذا الجبل اليوم شرقي من وراء خطة جامع ابن طولون تعرف أرضه بالأرض الصفراء وهي من جملة العسكر * (خطة مذبح) بالخاء قبل الجيم وهو مالك بن مرة بن ادد بن زيد بن كهلان * (خطة غطيف) بن مراد * (خطة وعلان) بن قرن بن ناجية بن مراد وكلهم من مذبح فاخذت وعلان من الزقاق الذي فيه الصم المعروف بسرية فرعون وهذا الزقاق أوله باب السوق الكبير واخذت ايضا بخولان ثم انفردت وعلان بخططها مقابل المسجد المعروف بالدينوري واستندت إلى خولان وهذه الخطة اليوم كيان نطل على قبر القاضي بكار * (خطة يحصب) بن مالك بن اسلم بن زيد بن غوث وهذه الخطة موضعها كيان وهي تتصل بالشرف الذي يعرف اليوم بالصد المطل على راشدة * (خطة رعين) بن زيد ابن سهل * (خطة ذي الكلاع) بن ثمر جليل بن سعد من حمير * (خطة المغافر) بن يعفر بن مرة بن أدد وهذه الخطة من الرصد إلى سقاية بن طولون وهي القناطر التي نطل على حفصة وتصل بين القراطين والقناطر للمغافر ولهم إلى مصلى خولان وإلى الكوم المشرف على المصلى (خطة سببا وخطة الرحبة) بن زرعة بن كعب (خطة السلف بن سعد) فيما بين الكوم المطل على القاضي بكار وبين المغافر (خطة بني وائل) بن زيد مناة بن افضى بن اياس بن حرام بن جذام بن عدي وهي من سفح الشرف المعروف بالصد إلى خطة خولان (خطة القبض) بالتحريك بن مرثد وهي بجانب خطة بني وائل إلى نحو بركة الحبش قال وكان سبب نزول بني وائل والقبض وريّة وراشدة والفارسيين هذه المواضع انهم كانوا في طوابع عمرو بن العاص فقتلوا في مقدمة الناس وحازوا هذه المواضع قبل الفتح * (خطط الجراوات الثلاث) قال الكندي وكانت الجراوات على ثلاثة بنو بنه ورويل والأزرق وكانوا من سار مع عمرو بن العاص من الشام إلى مصر من عجم الشأم ممن كان رغب في الإسلام من قبل اليرموك ومن أهل قيسارية وغيرهم وقال القضاة وائما قيل الجراوات الثلاث الروم بها وهي خطط بني ابن عمرو بن الحاف بن قضاة وفهم وعدوان وبعض الأزد وهم ثراد وبني بجرو وبني سلامان ويشكر بن نخم وهذيل بن مدركة بن الياس بن مضر وبني بنه وبني الأزرق وهم من الروم وبني روييل وكان يهوديا فاسلم * فأول ذلك الجراوات الدنيا خطة بني ابن عمرو بن الحاف بن قضاة ومنها خطة ثراد من الأزد وخطة فهم بن عمرو ابن قيس عيلان ومنها خطة بني بجرو بن سواده من الأزد * ومن ذلك الجراوات الوسطى منها خطة بني بنه وهم قوم من الروم حضر الفتح منهم مائة رجل ومنها خطة هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ومنها خطة بني سلامان من الأزد ومنها خطة عدوان * ومن ذلك الجراوات القصوى وهي خطة بني الأزرق وكان زوميا حضر الفتح منهم أربع مائة وخطة بني روييل وكان يهوديا فاسلم وحضر الفتح منهم ألف رجل وخطة بني يشكر بن جزيلة بن نخم وكانت منازل يشكر مفرقة في الجبل فدنرت قديما وعادت صحراء حتى جاءت المسودة يعني جيوش بني العباس فعمروها وهي الآن خراب * وقال ابن المتوج الجراوات ثلاث الأولى ووسطى وقصوى فأما الأولى فتجتمع جابر الأور وعقبه العداسين وسوق وردان وخطة الزبير إلى نقاشي البلاط طولاً وعرضاً على قدر ذلك وأما الوسطى فن درب نقاشي البلاط إلى درب معاني طولاً وعرضاً على قدره وأما القصوى فن درب معاني إلى القناطر الظاهرية يعني قناطر السباع وهي حد ولاية مصر من القاهرة وكانت هذه الجراوات جل عمارة مصر في زمن الروم فإذا الجراوات الأولى والوسطى هما الآن خراب وموضعهما فيما بين سوق المعاريح وحمام طن من شرقيهما

الى ما يقابل المراغة في الشرق وأما الجراء الدنيا فهي الآن تعرف بخط قناطر السباع وبخط السبع سقانات
وبحجر الخليلي وحكر أقبغا والكوم حيث الأسرى ومنها أيضا خط الكبش وخط الجامع الطولوني والعسكر
ومنها حدره ابن فيحة الى حيث قنطرة السد وبستان الطواشي وما في شرقه الى مشهد الرأس المعروف بزين
العابدين وسأقي لذلك مزيد بيان ان شاء الله تعالى عند ذكر العسكر وكانت مدينة القسطنطينية على قسمين هما عمل
فوق وعمل أسفل * فعمل فوق له طرفان غربي وشرقي فالغربي من شاطئ النيل في الجهة القبلية وأنت مار
في الشرف المعروف اليوم بالرصد الى القرافة الكبرى والشرقي من القرافة الكبرى الى العسكر * وعمل أسفل
ماعد ذلك الى حد القاهرة

*** (ذكر امراء القسطنطينية من حين فتح مصر الى أن بنى العسكر) ***

اعلم أن عدة من ولي مصر من الامراء في الاسلام منذ فتحت وسكن القسطنطينية الى أن بنى العسكر تسعة
وعشرون أميرا في مدة مائة وثلاث عشرة سنة وسبعة أشهر أولها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة
النبوية وهو يوم فتح مصر وآخرها سلخ شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائة آخر ولاية صالح بن علي بن عبد الله
ابن عباس على مصر وأول ولاية أبي عون عبد الملك وهو أول من سكن العسكر من امراء مصر * وأول امراء
القسطنطينية بعد الفتح على ما ذكر الكندي وغيره (عمرو بن العاص) بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو
ابن هيصم بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك أبو عبد الله كان تاجرا في الجاهلية وكان يختلف بتجارته
الى مصر وهي الادم والعطرم ضرب الدهر ضرباته حتى فتح المسلمون الشام فخلا بعمر بن الخطاب رضي الله عنه
فاستأذنه في المسير الى مصر فسار في سنة تسع عشرة وأتى الحصن فحاصره سبعة أشهر الى أن فتحه في يوم
الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين وقيل كان فتح مصر في ثاني عشر بؤنة سنة سبع وخسين وثلثمائة لقلطيانوس
فملي هذا يكون فتح مصر في سنة تسع عشرة من الهجرة وتحضر بذلك أن الذي بين يوم الجمعة أول يوم من
ملك قلاطيانوس وبين يوم الخميس أول سنة الهجرة ثمان وثلاثون وثلثمائة سنة فارسية وتسعة وثلاثون يوما
فاذا الغينا ذلك من تاريخ مصر في ثاني عشر بؤنة سنة سبع وخسين وثلثمائة بقي ثمان عشرة سنة وثمانية أشهر
وثلاثة أيام وهذه سنون شمسية عنهما من سني القمر تسع عشرة سنة وشهر وثلاثة عشر يوما فيكون ذلك
في ثالث عشر ربيع الأول سنة عشرين فلعن الوهم وقع في الشهر القبطي وحاز الحصن بما فيه وسار الى
الاسكندرية في ربيع الأول منها فحاصرها ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة وهو الفتح الاول ويقال بل فتحها مستهل
سنة احدى وعشرين ثم سار عنها الى برقة فاقتحمها عنوة في سنة اثنتين وعشرين وقيل في سنة ثلاث وعشرين
وقدم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدمين استخلف في احدهما زكريا بن جهم العبدري
وفي الثانية ابنه عبد الله ووفى عمر رضي الله عنه في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وبويع أمير المؤمنين عثمان
ابن عفان رضي الله عنه فوفد عليه عمرو ووسأله عزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن صعيد مصر وكان عمر ولاء
الصعيد فامتنع من ذلك عثمان وعقد لعبد الله بن سعد على مصر كلها فكانت ولاية عمرو على مصر صلاتها
وخراجها منذ افتتحها الى أن صرف عنها أربع سنين وأشهر * (عبد الله بن سعد) بن أبي سرح واسمه الحسام
ابن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ولي من قبل أمير المؤمنين عثمان
رضي الله عنه فخاهه الكتاب بالقيوم فجعل لاهل اطواف جعل لاقد موابه القسطنطينية ثم ان منويل الخصي سار
الى الاسكندرية في سنة أربع وعشرين فسأل اهل مصر عثمان أن يرده عمرو بن العاص لمحاربه فرده والبا على
الاسكندرية فخارب الروم بها حتى اقتحمها وعبد الله بن سعد مقيم بالقسطنطينية حتى فتحت الاسكندرية الفتح
الثاني عنوة في سنة خمس وعشرين ثم جمع لعبد الله بن سعد أمير مصر صلاتها وخراجها ومكث أميرا مدة
ولاية عثمان رضي الله عنه كلها محمودا في ولايته وغزا ثلاث غزوات كلها شأن غزاه فرقية سنة سبع
وعشرين وقتل ملكها جرجير وغزا الاسود حتى بلغ دقة في سنة احدى وثلاثين وغزا ذا الصواري
في سنة أربع وثلاثين فلقمهم قسطنطين بن هرقل في ألف مراكب وقيل في سبع مائة مراكب والمسلمون في مائتي
مراكب فهزم الله الروم وانما سميت غزوة ذي الصواري لكثرة صواري المراكب واجتماعها ووفد على عثمان

حين تكلم الناس بالطعن على عثمان واستخلف عقبة بن عامر الجهني وقيل السائب بن هشام العامري وجعل على نواحيها سليمان بن عتر الجعبي وكان ذلك سنة خمس وثلاثين في رجب * (محمد بن أبي حذيفة) بن عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أقر في شوال سنة خمس وثلاثين على عقبة بن عامر خليفة عبد الله ابن سعد فأخرجه من القسطنطين ودعا إلى خلع عثمان وأسعر البلاد وحرض على عثمان بكل شدة بقدر عليه فأعزله شيعة عثمان وناذروه وهم معاوية بن خديج وخارجة بن حذافة وبصر بن اوطاة ومسلمة بن مخلد في جمع كثير وبعثوا إلى عثمان بأمرهم وبصنع ابن أبي حذيفة فبعث سعد بن أبي وقاص ليصلح أمرهم فخرج إليه جماعة فقلبوا عليه قسطنطين وشجوه وسبوه فركب وعاد راجعا ودعا عليهم وأقبل عبد الله بن سعد فنهوه أن يدخل فأنصرف إلى عسقلان وقتل عثمان رضي الله عنه وابن سعد بعسقلان ثم أجمع ابن أبي حذيفة على بعث جيش إلى عثمان فجهز إليه ستانة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي ثم قتل عثمان في ذي الحجة منها فتار شيعة عثمان بمصر وعقدوا معاوية بن خديج وبأيعوه على الطلب بدم عثمان وساروا إلى الصعيد فبعث إليهم ابن أبي حذيفة خيلا فهزمت ومضى ابن خديج إلى برقة ثم رجع إلى الاسكندرية فبعث إليه ابن أبي حذيفة بجيش آخر فاقتلوا بجزيرة بني في أول شهر رمضان سنة ست وثلاثين فانهزم الجيش وأقامت شيعة عثمان بجزيرة بني معاوية بن أبي سفيان يريد القسطنطين قتل ثلاث في شوال فخرج إليه ابن أبي حذيفة في أهل مصر فنهوه ثم اتفقا على أن يجعلا رهنا ويتركا الحرب فاستخلف ابن أبي حذيفة على مصر الحكم بن الصلت وخرج في الرهن هو وابن عديس وعدة من قتلة عثمان فلما بلغوا الدار جهم معاوية بها وسار إلى دمشق فهربوا من السجن وتبعهم أمير فلسطين فقتلهم في ذي الحجة سنة ست وثلاثين * (قيس بن سعد) بن عباد الانصاري ولما أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه لما بلغه مصاب ابن أبي حذيفة وجمع له الخراج والصلاة فدخل مصر مستهل ربيع الأول سنة سبع وثلاثين فاستمال الخارجية بجزيرة بني شيعة عثمان وبعث إليهم أعطياتهم ووفد عليه وفدهم فأكرمهم وكان من ذوى الرأي فجهدهم وبن العاص ومعاوية بن أبي سفيان على أن يخرجاه من مصر ليغلبا على أمرها فأنهما كانت من جيش على رضي الله عنه فامتنع منهما بالدهاء والمكايدة فلم يقدر على مصر حتى كاد معاوية قيسا من قبل على رضي الله عنه فأشاع أن قيسا من شيعته وأنه يبحث إليه بالكتب والنصيحة سرا فسمع ذلك جواسيس على رضي الله عنه وما زال به محمد بن أبي بكر وعبد الله بن جعفر حتى كتب إلى قيس بن سعد يأمره بالتقدم إليه فولما إلى أن عزل أربعة أشهر وخمسة أيام وصرف لخمس خلون من رجب سنة سبع وثلاثين فولما * (الاستر مالك بن الحارث) بن خالد النخعي من قبل أمير المؤمنين على بن أبي طالب فلما قدم القازم شرب عسل فبلغ ذلك عمرا ومعاوية فقال عمرو إن لله جنودا من عسل * ثم وليا (محمد بن أبي بكر الصديق) من قبل على رضي الله عنه وجمع له صلاتها وأخرجها من رجب سنة سبع وثلاثين فهدم دور شيعة عثمان ونهب أموالهم وبعث ذرارهم فصبوا له الحرب ثم صالحهم على أن يسيرهم إلى معاوية فلققوا بمعاوية بالشام فبعث معاوية عمرو بن العاص في جيوش أهل الشام إلى القسطنطين ونقيب ابن أبي بكر فظفر به معاوية بن خديج فقتله ثم جعله في جيفة حارميت وأحرقه بالنار لاربع عشرة خلت من صفر سنة ثمان وثلاثين فماتت ولايته خمسة أشهر * ثم وليا (عمرو بن العاص) ولايته الثانية من قبل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فاستقبل يولايته شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وجعل إليه الصلاة والخراج جميعا جعلت مصر له طعمة بعد عطاء جندوها والنقعة في مصلمتها ثم خرج عمرو للحكومة واستخلف على مصر ابنه عبد الله وقيل بل خارجة بن حذافة ورجع إلى مصر وتعاقد بنو نخع عبد الرحمن وقيس ويزيد على قتل على ومعاوية وعمرو ونواعدوا ليلة من رمضان سنة أربعين فغضى كل منهم إلى صاحبه وكان يزيد هو صاحب عمرو فغضت لعمرو علة منعتة من حضور المسجد فصلى خارجة بالناس فشد عليه يزيد فضر به حتى قتله فدخل به على عمرو فقال أما والله ما أردت غيرك يا عمرو قال عمرو ولكن الله أراد خارجة والله در القاتل

وليتها أذقت عمرا بخارجة * فدت عليا بن شاة من البشر

وعقد عمرو لشريك بن يحيى على غزو لواتة من البربر فغزاهم في سنة أربعين وصالحهم ثم اتفقوا فبعث إليهم عقبة بن نافع في سنة إحدى وأربعين فغزاهم حتى هزمهم وعقد لعقبة أيضا على غزو هواردة وعقد لشريك

ابن سمي على غز ولبدة فغزواهما في سنة ثلاث وأربعين فقتلوا عمرو وشديد الدنف في مرض موته وتوفي ليلة الفطر
فقتله عبد الله بن عمرو وأخرجه إلى المصلى وصلى عليه فلم يبق أحد شهد العبد الاصلى عليه ثم صلى بالناس صلاة
العبد وكان أبوه استخلفه وخلف عمرو بن العاص سبعين عاماً راد نائير واليهار جلد ثور ومبلغه اردبان بالمصري
فلما حضرته الوفاة أخرجه وقال من يأخذه بمافيه قأبي ولداه أخذه وقال حتى ترد إلى كل ذي حق حقه فقال
والله ما أجمع بين اثنين منهم فبلغ معاوية فقال نحن نأخذه بمافيه * ثم وليها (عقبة بن أبي سفيان) من قبل أخيه
معاوية بن أبي سفيان على صلاتها فقدم في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وأقام شهراً ثم وفد على أخيه
واستخلف عبد الله بن قيس بن الحارث وكان فيه شدة فكره الناس ولايته وامتنعوا منها فبلغ ذلك عقبة فرجع
إلى مصر وصعد المنبر فقال يا أهل مصر قد كنتم تعذرون ببعض المنع منكم لبعض الجور عليكم وقد وليكم من إذا
قال فعل فإن أبيتم درأكم يده فإن أبيتم درأكم بسيفه ثم رجا في الاخير ما أدرك في الاول ان البيعة شائعة
لنا عليكم السمع ولكم علينا العدل وأينا عذر فلا ذمة له عند صاحبه فناداه المصريون من جنبات المسجد سمعاً
سمعاً فناداهم عدلاً عدلاً ثم نزل ثم جمع له معاوية الصلوات والخراج وعقد عقبة لعقمة بن يزيد على الاسكندرية
في اثني عشر ألفاً من أهل الديوان تكون لها رابطة ثم خرج اليها مرابطاً في ذي الحجة سنة أربع وأربعين فحات بها
واستخلف على مصر عقبة بن عامر الجهني فكانت ولايته ستة أشهر * ثم وليها (عقبة بن عامر) بن عباس
الجهني من قبل معاوية وجعل له صلاتها وخراجها وكان قارناً فيها مفرضاً شاعراً له الهجرة والعجبة والسابقة
ثم وفد مسلمة بن محمد الانصاري على معاوية فولاه مصر وأمره أن يكتنم ذلك عن عقبة بن عامر وجعل عقبة على
البحر وأمره أن يسير إلى رودس فقدم مسلمة فلم يعلم بامارته وخرج مع عقبة إلى الاسكندرية فلما توجه سائراً
استوى مسلمة على سرير امارته فبلغ ذلك عقبة فقال اخلعوا غربة وكان صرفه لعشر بقين من ربيع الاول
سنة سبع وأربعين وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر * فولى (مسلمة بن مخلد) بن صامت بن نيار الانصاري من
قبل معاوية وجمع له الصلوات والخراج والغزو فانتظمت غزواته في البر والبحر وفي امارته نزلت الروم البرلس
في سنة ثلاث وخمسين فاستشهد يومئذ وردان مولى عمرو بن العاص في جمع من المسلمين وهدم ما كان عمرو
ابن العاص بناء من المسجد وبناه وأمر بابتناء منارات المساجد كلها الا حولان وتجيّب وخرج إلى الاسكندرية
في سنة ستين واستخلف عابس بن سعيد ومات معاوية بن أبي سفيان في رجب منها واستخلف ابنه يزيد بن معاوية
فأقر مسلمة وكتب اليه بأخذ البيعة فبايعه الجند الاعبد الله بن عمرو بن العاص فدعا عابس بالنار ليجرق عليه بابه
فحينئذ بايع يزيد وقدم مسلمة من الاسكندرية فجمع لعابس مع الشرط القضاء في سنة احدى وستين وقال
مجاهد صليت خلف مسلمة بن مخلد فقرا سورة البقرة فماتت ألقوا ولاوا وقال ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد
كان مسلمة بن مخلد يصلي بنا فيقوم في الظهر فربما قرأ الرجل البقرة وتوفي مسلمة وهو والنجس بقين من رجب
سنة اثنين وستين فكانت ولايته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر واستخلف عابس بن سعيد * ثم وليها
(سعيد بن يزيد) بن عقمة بن يزيد بن عوف الأزدي من أهل فلسطين فقدم مستهل رمضان سنة اثنين وستين
فقتله عمرو بن قحزم الخولاني فقال يغفر الله لامي المؤمنين أما كان فينا مائة شاب كلهم مثلك يولى علينا أحدهم
ولم تزل أهل مصر على الشنآن له والاعراض عنه والتكبر عليه حتى توفي يزيد بن معاوية ودعا عبد الله بن الزبير
رضي الله عنه إلى نفسه فقامت الخوارج الذين بمصر وأظهروا دعوته وسار منهم اليه فبعث لعبد الرحمن بن
بجهم فقدم واعتزل سعيداً فكانت ولايته سنتين غير شهر * ثم وليها (عبد الرحمن بن عقبة) بن بجهم من قبل
عبد الله بن الزبير فدخل في شعبان سنة أربع وستين في جمع كثير من الخوارج فأظهروا التحكيم ودعوا اليه
فاستعظم الجند ذلك وبايعه الناس على غل في قلوب شبيعة بن أمية ثم يبيع مروان بن الحكم بالخلافة في
أهل الشام وأهل مصر معه في الباطن فسار اليها وبعث ابنه عبد العزيز في جيش إلى أيلة ليدخل مصر من هناك
وأجمع ابن بجهم على حربه وحفر الخندق في شهر وهو الذي في شرقي القرافة وقدم مروان فخاربه ابن بجهم وقتل
بينهما كثير من الناس ثم اصطلحا ودخل مروان لعشر من جمادى الاولى سنة خمس وستين فكانت مدة ابن
بجهم تسعة أشهر ووضع مروان العطاء فبايعه الناس الانصار من المغافر قالوا لا نخلع بيعة ابن الزبير فضرب
أعناقهم وكانوا ثمانين رجلاً وذلك للنصف من جمادى الآخرة يومئذ مات عبد الله بن عمرو بن العاص

فلم يستطع أن يخرج بجنازته إلى القبرة لشغب الجند على مروان وجعل مروان صلات مصر وخرابها إلى ابنه عبد العزيز وسار وقد أقام بهم شهرين لاهلال رمضان (عبد العزيز بن مروان) بن الحكم بن أبي العاص أبو الاصبع ولي من قبل أبيه لاهلال رجب سنة خمس وستين على الصلات والخراج ومات أبوه وبويع من بعده عبد الملك بن مروان فأقر أخاه عبد العزيز ووقع الطاعون بمصر سنة سبعين فخرج عبد العزيز منها ونزل حلوان فاتخذها دارا وسكنها وجعل بها الاعوان وفيها الدور والمساجد وعمرها احسن عمارة وغرس نخيلها وكرمها وعرف بمصر وهو أول من عرف بها في سنة احدى وسبعين وجهز البعث في البحر لقتال ابن الزبير في سنة اثنتين وسبعين ثم مات ثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة ست وثمانين فكانت ولايته عشرين سنة وعشرة اشهر وثلاثة عشر يوما فولى (عبد الله بن عبد الملك) بن مروان من قبل أبيه على صلاتها وخرابها فدخل يوم الاثنين لاحدى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وهو ابن تسع وعشرين سنة وقد تقدم إليه أبوه أن يقتني آثاره عبد العزيز فاستبدل بالعمال وبالأصحاب ومات عبد الملك وبويع ابنه الوليد بن عبد الملك فأقر أخاه عبد الله وأمر عبد الله فسخت دواوين مصر بالعربية وكانت بالقبطية وفي ولايته غلت الاسعار فتشام الناس به وهي أول شدة رأوها بمصر وكان يرتنى ثم وفد على أخيه في صفر سنة ثمان وثمانين واستخلف عبد الرحمن بن عمرو بن قحزم النخولاني وأهل مصر في شدة عظيمة ورفع سقف المسجد الجامع في سنة تسع وثمانين ثم صرف فكانت ولايته ثلاث سنين وعشرة اشهر * فولى (قرة بن شريك) بن مرثد بن الحرث العبسي الوليد بن عبد الملك على صلات مصر وخرابها فقد مها يوم الاثنين ثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة تسعين وخرج عبد الله بن عبد الملك من مصر بكل ماله فحيط به في الاردن وأخذ سائر ماله وحمل إلى أخيه وأمر الوليد بهدم مابناه عبد العزيز في المسجد فهدم أول سنة اثنتين وتسعين وبني واستتب قرة بن شريك بركة الحبش من الموات وأحياها وغرس فيها القصب فقبل لها اصطبل قرة واصطبل القاش ثم مات وهو واللبلة الخميس لست بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين واستخلف على الجند والخراج عبد الملك بن رفاعه فكانت ولايته ست سنين وأياما * ثم ولى (عبد الملك بن رفاعه) بن خالد بن ثابت القهقي من قبل الوليد ابن عبد الملك على صلاتها وتوفي الوليد واستخلف سليمان بن عبد الملك فأقر ابن رفاعه وبويع سليمان بن عمر بن عبد العزيز فعزل ابن رفاعه فكانت ولايته ثلاث سنين * ثم ولى (أيوب بن شرحبيل) بن اكسوم بن ابرهة ابن الصباح من قبل عمر بن عبد العزيز على صلاتها في ربيع الاول سنة تسع وتسعين فورد كتاب امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بالزيادة في اعطيات الناس عامة وخزنت الخمر وكسرت وعطلت حاناتها وقسم للغارمين بخمسة وعشرين ألف دينار ونزعت مواريث القبط عن الكرو واستعمل المسالون عليهم او منع الناس الحمامات وتوفي عمر بن عبد العزيز واستخلف يزيد بن عبد الملك فأقر أيوب على الصلات إلى أن مات لاحدى عشرة وقيل لسبع عشرة خلت من رمضان سنة احدى ومائة فكانت ولايته سنتين ونصفا * فولى (بشر بن صفوان) الكلابي من قبل يزيد بن عبد الملك قدمها السبع عشرة خلت من رمضان سنة احدى ومائة وفي امرته نزل الروم نفيس ثم ولاة يزيد على افرقية فخرج اليها في شوال سنة اثنتين ومائة واستخلف أخاه حنظلة * فولى (حنظلة ابن صفوان) باستخلاف أخيه فأقره يزيد بن عبد الملك وخرج إلى الاسكندرية في سنة ثلاث ومائة واستخلف عقبة بن مسلمة التميمي وكتب يزيد بن عبد الملك في سنة اربع ومائة بكسر الاصنام والتماثيل فكسرت كلها ومحيت التماثيل ومات يزيد بن عبد الملك وبويع هشام بن عبد الملك فصر في حنظلة في شوال سنة خمس ومائة فكانت ولايته ثلاث سنين * وولى (محمد بن عبد الملك بن مروان) بن الحكم من قبل أخيه هشام بن عبد الملك على الصلات فدخل مصر لاحدى عشرة خلت من شوال سنة خمس ومائة ووقع وباء شديد بمصر فترفع محمد إلى الصعيد هاربا من الوباء اياما ثم قدم وخرج عن مصر لم يلبها الا نحو من شهر وانصرف إلى الاردن * فولى (الحز بن يوسف) بن يحيى بن الحكم من قبل هشام بن عبد الملك على صلاتها فدخل ثلاث خلون من ذي الحجة سنة خمس ومائة وفي امرته كان أول اتقاء القبط في سنة سبع ومائة وورابط بدمياط ثلاثة اشهر ثم وند إلى هشام بن عبد الملك فاستخلف حفص بن الوليد وقدم في ذي القعدة من سنة سبع وانكشف النيل عن الارض فبنى فيها وصرف في ذي القعدة سنة ثمان ومائة باستغفائه لمغاضبة كانت بينه وبين عبد الله

ابن الحجاب متولى خراج مصر فكانت ولايته ثلاث سنين سواء * وولى (حفص بن الوليد) بن سيف بن عبد الله من قبل هشام بن عبد الملك ثم صرف بعد جهتين يوم الاضحى بشكوى ابن الحجاب منه وقيل صرف سلع ثمان ومائة * فولى (عبد الملك بن رفاعه) ثانيا على الصلوات فقدم من الشام على لثنتي عشرة بقيت من المحرم سنة تسع ومائة وكان اخوه الوليد يخلفه من اول المحرم وقيل بل ولى اول المحرم ومات للنصف منه وكانت ولايته خمس عشرة ليلة * ثم ولى اخوه (الوليد بن رفاعه) باستخلاف اخيه فآقره هشام بن عبد الملك على الصلوات وفى ولايته نقلت قيس الى مصر ولم يكن بها احد منهم وخرج وهيب اليحصي شارد فى سنة سبع عشرة ومائة من اجل أن الوليد اذن للنصارى فى ابناء كنيسة يومنا بالجرء وتوفى وهو وال اول جادى الآخرة سنة سبع عشرة واستخلف عبد الرحمن بن خالد فكانت امرته تسع سنين وخمسة اشهر * فولى (عبد الرحمن ابن خالد) بن مسافر الفهجي ابو الوليد من قبل هشام بن عبد الملك على صلاتها وفى امرته نزل الروم على تروجة فحاصروها ثم اقتتلوا فأسروا فصرفه هشام فكانت ولايته سبعة اشهر * وولى (حنظلة بن صفوان ثانيا) فقدم لخمس خلون من المحرم سنة تسع ومائة فانتقض القبط وحاربهم فى سنة احدى وعشرين ومائة وقدم رأس زيد بن على الى مصر فى سنة اثنتين وعشرين ومائة ثم ولاه هشام افر يقية فاستخلف حفص بن الوليد بامرته هشام وخرج لسبع خلون من ربيع الآخرة سنة اربع وعشرين ومائة فكانت ولايته هذه خمس سنين وثلاثة اشهر * وولى (حفص بن الوليد) الحضرمي ثانيا باستخلاف حنظلة له على صلاتها فآقره هشام بن عبد الملك الى ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة اربع وعشرين فجمع له الصلوات والخراج جميعا واستسقى بالناس وخطب ودعاهم صلى بهم ومات هشام بن عبد الملك واستخلف من بعده الوليد بن يزيد فاقر حفصا على الصلوات والخراج ثم صرف عن الخراج بعيسى بن ابي عطاء لسبع بقين من شوال سنة خمس وعشرين ومائة وانفرد بالصلوات ووقد على الوليد بن يزيد واستخلف عقبه بن نعيم الرعيى وقتل الوليد بن يزيد وحفص بالشام وبويع يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأمر حفصا بالعاق مجنده وأمره على ثلاثين ألفا وفرض القروض وبعث بيعة اهل مصر الى يزيد بن الوليد ثم توفى يزيد وبويع ابراهيم بن الوليد وخلعه مروان بن محمد الجعدي فكتب حفص يستغفبه من ولاية مصر فأعزاء مروان فكانت ولايته حفص هذه ثلاث سنين الاشهر * وولى (حسان بن عتاهية) بن عبد الرحمن التميمي وهو بالشام فكتب الى خير بن نعيم باستخلافه فسلم حفص الى خير ثم قدم حسان لثنتي عشرة خلت من جادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة على الصلوات وعيسى بن ابي عطاء على الخراج فأسقط حسان فروض حفص كلها فوثبوا به وقالوا لا ترضى الا بحفص وركبوا الى المسجد ودعوا الى خلع مروان وحصر واحسان فى داره وقالوا له اخرج عنا فانك لا تقيم معنا بلدا وأخرجوا عيسى بن ابي عطاء صاحب الخراج وذلك فى آخر جادى الآخرة وأقاموا حفصا فكانت ولايته حسان سنة عشر يوما * فولى (حفص بن الوليد) الثالثة كرها اخذه قواد القروض بذلك فأقام على مصر رجب وشعبان ولحق حسان بمروان وقدم حنظلة بن صفوان من افر يقية وقد أخرجه اهلها فقتل الجيزة وكتب مروان بولايته على مصر فامتنع المصريون من ولاية حنظلة وأظهروا الخلع وأخرجوا حنظلة الى الحوف الشرقى ومنعوه من المقام بالقسطاط وهرب ثابت بن نعيم من فلسطين يريد القسطاط فخاربه وهزمه وه سكت مروان عن مصر بقية سنة سبع وعشرين ومائة ثم عزل حفصا سنبل سنة ثمان وعشرين * وولى (الحويزة بن سهل) بن العجلان الباهلي فسار اليها فى آلاف وقدم أول المحرم وقدا جمع الجند على منعه فأبى عليهم حفص فخافوا حويزة وسألوه الامان فأتمهم ونزل ظاهرا القسطاط وقد اطمأنوا اليه فخرج اليه حفص ووجوه الجند قبض عليهم وقيدهم فانهمز الجند ودخل معه عيسى بن ابي عطاء على الخراج لثنتي عشرة خلت من المحرم وبعث فى طلب رؤساء الفتنة فجمعوا له وضرب أعناقهم وقتل حفص بن الوليد ثم صرف فى جادى الاولى سنة احدى وثلاثين ومائة وبعثه مروان الى العراق فقتل واستخلف على مصر حسان بن عتاهية وقيل ابا الجراح بشر بن اوس وخرج لعشر خلون من رجب وكانت ولايته ثلاث سنين وستة اشهر * ثم ولى (المغيرة بن عبيد الله) بن المغيرة الفزاري على الصلوات من قبل مروان فقدم لست بقين من رجب سنة احدى وثلاثين وخرج الى الاسكندرية واستخلف ابا الجراح الحرشي وتوفى لثنتي عشرة خلت من جادى الاولى

سنة اثنتين وثلاثين ومائة فكانت ولايته عشرة اشهر واستخلف ابنه الوليد بن المغيرة ثم صرف الوليد في النصف من جادى الآخرة * وولى (عبد الملك بن مروان) بن موسى بن نصير من قبل مروان على الصلات والخراج وكان واليا على الخراج قبل أن يولى الصلات في جادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة فأمر باتخاذ المنابر في الكور ولم تكن قبله وانما كانت ولاية الكور يخاطبون على العصي الى جانب القبلة وخرج القبط خاربهم وقتل كثير منهم وخالف عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان على مروان واجتمع عليه جمع من قيس في الحوف الشرقي فبعث اليهم عبد الملك بجيش فلم يكن حرب وسار مروان بن محمد الى مصر منهزما من بني العباس فقدم يوم الثلاثاء لثمان بقين من شوال سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقد سود اهل الحوف الشرقي واهل الاسكندرية واهل الصعيد واسوان فعزم مروان على تعذيب النبل وأحرق دار آل مروان المذهبة ثم رحل الى الجيزة وخرق الجسرين وبعث بجيش الى الاسكندرية فاقتتلوا بالكربون وخالفت القبط برشيد فبعث اليهم وهزمهم وبعث الى الصعيد فقدم صالح بن علي بن عبد الله بن عباس في طلب مروان هو وأبو عون عبد الملك ابن يزيد يوم الثلاثاء للنصف من ذى الحجة فأدرك صالح مروان ببوصير من الجيزة بعدما استخلف على القسطنطينية معاوية بن ببيعة بن ريسان خارب مروان حتى قتل ببوصير يوم الجمعة لسبع بقين من ذى الحجة ودخل صالح الى القسطنطينية يوم الاحد لثمان خلون من المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وبعث برأس مروان الى العراق وانقضت ايام بني امية * فولى (صالح بن علي) بن عبد الله بن عباس ولى من قبل امير المؤمنين ابي العباس عبد الله بن محمد السفاح فاستقبل بولايته المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وبعث بوفاة اهل مصر الى ابي العباس السفاح ببيعة اهل مصر وأسر عبد الملك بن موسى بن نصير وجماعة وقتل كثيرا من شيعة بني امية وحمل طائفة منهم الى العراق فقتلوا بقلنسوة من أرض فلسطين وأمر للناس بأعطيتهم للمقاتلة والعيال وقسمت الصدقات على اليتامى والمساكين وزاد صالح في المسجد وورد عليه كتاب امير المؤمنين السفاح بامارته على فلسطين والاستخلاف على مصر فاستخلف ابا عون مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين وسار ومعه عبد الملك بن نصير ملازما وعدة من اهل مصر صحابة لامير المؤمنين وأقطع الذين سود واقطاع منها مائة بولاق وقرى اهناس وغيرها ثم من بعد صالح بن علي سكن امراء مصر العسكر وأول من سكنه ابو عون والله تعالى اعلم

* (ذكر العسكر الذي بنى بظاهر مدينة قسطنطينية مصر)

اعلم أن موضع العسكر قد كان يعرف في صدر الاسلام بالجرا القصى وقد تقدم أن الجرا القصى كانت خطة بنى الازرق وبنى رويل وبنى يشكر بن جزيلة ثم دثرت هذه الخطة بعد العمارة بتلك القبائل حتى صارت بجرا فلما قدم مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية الى مصر منهزما من بني العباس نزلت عساكر صالح بن علي وابي عون عبد الملك بن يزيد في هذه الصحراء حيث جبل يشكر حتى ملؤا الفضاء وأمر ابو عون اصحابه بالبناء فيه فبنوا وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائة فلما خرج صالح بن علي من مصر خرب اكثر ما بنى فيه الى زمن موسى بن عيسى الهاشمي فابتنى فيه دارا أنزل فيها حشمة وعبيده وعمر الناس ثم ولى السرى بن الحكم فاذن للناس في البناء فابتنوا فيه وصار مملوكا بأيديهم واتصل بناؤه ببناء القسطنطينية وبنيت فيه دار الامارة ومسجد جامع عرف بجامع العسكر ثم عرف بجامع ساحل الغلة وعملت الشرطة ايضا في العسكر وقيل لها الشرطة العليا والى جانبها بنى احمد بن طولون جامع الموجود الآن وسمي من حينئذ ذلك الفضاء بالعسكر وصار امراء مصر اذا ولوا ينزلون به من بعد ابي عون فقال الناس من يومئذ كتابا للعسكر وخرجنا الى العسكر وكتب من العسكر وصار مدينة ذات محال واسواق ودور عظيمة وفيه بنى احمد بن طولون مارستانه فأنفق عليه وعلى مستغله ستين ألف دينار وكان بالقرب من بركة فارون التي صارت كيمانا وبعضها بركة على يسرة من سار من حدة ابن قتيبة يريد قطرة السد وعلى بركة فارون هذه كانت جنان بني مسكين وبنى كافور الاخشيدي دارا أنفق عليها مائة ألف دينار وسكنها في رجب سنة ست وأربعين وثلثمائة واثقل منها بعد أيام لوباء وقع في غلمانه من بخار البركة وعظمت العمارة في العسكر جدا الى أن قدم احمد بن طولون من العراق الى مصر فقتل بدار الامارة من العسكر وكان لها باب الى جامع العسكر وينزلها الامراء منذ بناها صالح بن علي بعد قتله مروان

وما زال بها احمد بن طولون الى أن بنى القصر والميدان بالقطائع فتحول من العسكر وسكن قصره بالقطائع فلما ولي
ابو الجيوش خوارويه بن احمد بن طولون بعد أبيه جعل دار الامارة ديوان الخراج ثم فرقت جبرا بعد دخول محمد
ابن سليمان الكاتب الى مصر وزوال دولة بني طولون فسكن محمد بن سليمان بدار الامارة في العسكر عند المصلى
القديم وكان المصلى القديم حيث الكوم المثل الآن على قبر القاضي بكار وملزالت الامراء تنزل بالعسكر الى
أن قدم القائد جوهر من المغرب وبني القاهرة المعزية ولما بنى أحمد بن طولون القطائع اتصلت مبانيها بالعسكر
وبنى جامعها على جبل يشكر فعمر ما هنالك عمارة عظيمة تخرج عن الحدة في الكثرة وقدم جوهر القائد
بعسا كرمولاه المعز لدين الله في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة والعسكر عامر الا انه من ذنبت القطائع هجر اسم
العسكر وصار يقال مدينة القسطاط والقطائع وربما قيل والعسكر أحيانا فلما خرب محمد بن سليمان
قصر ابن طولون وميدانه بقي في القطائع مساكن جديلة حيث كان العسكر وأنزل المعز لدين الله عنه أبا علي
في دار الامارة فلم يزل اهله بها الى أن خربت القطائع في الشدة العظمى التي كانت في خلافة المستنصر أعوام
بضع وخمسين وأربع مائه فيقال انه كان هناك زيادة على مائة ألف دارسوى البساتين وما هذا بعيد فان ذلك
كان ما بين سفح الشرف الذي عليه الآن قلعة الجبل وبين ساحل مصر القديم حيث الآن الكبراة خارج مصر
وما على سمتها الى كوم الجمارح ومن كوم الجمارح الى جامع ابن طولون وخط قناطر السباع وخط السبع
سقايات الى قنطرة السدة ومراغة مصر الى العماريح بمصر والى كوم الجمارح ففي هذه المواضع كان العسكر
والقطائع ويخص العسكر من ذلك ما بين قناطر السباع وحدة ابن قبيصة الى كوم الجمارح حيث القضاء الذي
يتوسط ما بين قنطرة السدة وبين سور القرافة الذي يعرف بباب المجدم فهذا هو العسكر ولما استولى الخراب في
الحمة أمر ببناء حائط يستراخراب عن نظير الخليفة اذا سار من القاهرة الى مصر فمابين العسكر والقطائع وبين
الطريق وأمر ببناء حائط آخر عند جامع ابن طولون فلما كان في خلافة الأمر بأحكام الله ابى على منصور
ابن المستعلي أمر وزيره ابو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالاجل المأمون بن البطايحي فنودي مدة ثلاثة ايام
في القاهرة ومصر بأن من كان له دار في الخراب او مكان فليعمره ومن عجز عن عمارته يبيعه ابو بجره من
غير ثقل شيء من أنقاضه ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له ولا حكر يلزمه وأباح تعمير جميع ذلك بغير طلب حق وكان
سبب هذا النداء أنه لما قدم أمير الجيوش بدر الجبالى في آخر الشدة العظمى وقام بعمارة اقليم مصر أخذ الناس
في نقل ما كان بالقطائع والعسكر من أنقاض المساكن حتى أتى على معظم ما هنالك الهدم فصار موحشا
يخر ما بين القاهرة ومصر من المساكن ولم يبق هنالك الا بعض البساتين فلما نادى الوزير المأمون عمر الناس
ما كان من ذلك مما يلي القاهرة من جهة المشهد النفيسى الى ظاهر باب زويلة كما ردد خبر ذلك في وضعه من هذا
الكتاب ان شاء الله تعالى ونقلت أنقاض العسكر كما تقدم فصار هذا القضاء الذي يتوحد اليه من مشهد
السيدة نفيسة ومن الجامع الطولونى ومن قنطرة السدة ومن باب المجدم في سور القرافة ويسلك في هذا القضاء
الى كوم الجمارح ولم يبق الا من العسكر ما هو عامر سوى جبل يشكر الذي عليه جامع ابن طولون وما حوله
من الكباش وحدة ابن قبيصة الى خط السبع سقايات وخط قناطر السباع الى جامع ابن طولون وأما سوق الجامع
من قبله وما وراء ذلك الى المشهد النفيسى والى القبيبات والرميلة تحت القلعة فانما هو من القطائع كما ستقف
عليه عند ذكر القطائع وعند ذكر هذه الخطط ان شاء الله تعالى وطالما سلكت هذا القضاء الذى بين جامع ابن
طولون وكوم الجمارح حيث كان العسكر وتذكرت ما كان هنالك من الدور الجليلة والمنازل العظيمة والمساجد
والاسواق والجماعات والبساتين والبركة البديعة والمارستان العجيب وكيف بادت حتى لم يبق لشيء منها اثر البتة
فأنشدت اقول

وبادوا فلا تخبر عنهم • وما هو اجمعوا وهذا الخبر

فمن كان ذا عبرة فليكن • فطينا فنى من مضى معتبر

وكان لهم اثر صالح • فأين هم ثم أين الاثر

وسبأنى لذلك من يديان عند ذكر القطائع وعند ذكر خط قناطر السباع وغيره من هذا الكتاب ان شاء
الله تعالى

* (ذكر من نزل العسكر من امراء مصر من حين بنى الى أن بنيت القطائع) *

اعلم أن امراء مصر ما برحوا ينزلون فسطاط مصر منذ اخط بعد الفتح الى أن بنى ابو عون العسكر فصارت امراء مصر من عهد أبي عون انما ينزلون بالعسكر وما برحوا على ذلك الى أن أنشأ الأمير أبو العباس أحمد بن طولون القصر والمدان والقطائع فتحول من العسكر الى القصر وسكن فيه وسكنه الامراء من اولاده بعدد الى أن زالت دولتهم فسكن الامراء بعد ذلك العسكر الى أن زالت دولة الاخشيدية بقدم جوهر القائد من المغرب * وأول من سكن العسكر من امراء مصر (ابو عون) عبد الملك بن يزيد من أهل جرجان ولي صلات مصر وخراجها باستخلاف صالح بن علي - له في مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة ووقع الوهاب بمصر فهرب ابو عون الى يشكر واستخلف صاحب شرطته عكرمة بن عبد الله بن عمرو بن قحزم وخرج الى دمياط في سنة خمس وثلاثين ومائة واستخلف عكرمة وجعل على الخراج عطاء بن شرحبيل وخرج القبط بسمنود فبعث اليهم وقتلهم وورد الكتاب بولاية صالح بن علي - على مصر وفلسطين والمغرب جمعت له ووردت الجيوش من قبل أمير المؤمنين السفاح لغزو المغرب فولى (صالح بن علي) الثانية على الصلات والخراج فدخل خمس خلون من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ومائة فأقر عكرمة على شرطة الفسطاط وجعل على شرطته بالعسكر يزيد بن هاني الكندي - وولى أبا عون جيوش المغرب وقدم أمامه دعاة لادل افر بيقية وخرج ابو عون في جمادى الآخرة وجهازت المراكب من الاسكندرية الى برقة فمات السفاح في ذي الحجة واستخلف ابو جعفر عبد الله بن محمد المنصور فأقر صالحا وكتب الى أبي عون بالرجوع ورد الدعاء وقد بلغوا شبر وبلغ ابو عون برقة فأقام بها احدى عشر يوما ثم عاد الى مصر في جيشه فجازه صالح الى فلسطين لحربه فغلب وسير الى مصر ثلاثة آلاف رأس ثم خرج صالح الى فلسطين واستخلف ابنه الفضل فبلغ بليس ورجع ثم خرج لاربع خلون من رمضان سنة سبع وثلاثين فأتى أبا عون بالقرما فأقره على مصر صلاتها وخراجها ومضى فدخل ابو عون الفسطاط لاربع بقين من رمضان فولى * (ابو عون) ولاية الثانية من قبل صالح بن علي - ثم أفرده ابو جعفر بولايتها وقدم ابو جعفر بيت المقدس وكتب الى أبي عون بأن يستخلف على مصر ويخرج اليه فاستخلف عكرمة على الصلات وعطاء على الخراج وخرج للنصف من ربيع الأول سنة احدى وأربعين ومائة فلما صار الى أبي جعفر بيت المقدس بعث ابو جعفر موسى بن كعب فكانت ولاية أبي عون هذه ثلاث سنين وستة اشهر فوليا (موسى ابن كعب) بن عينة ابن عائشة ابو عينة من تميم من قبل أبي جعفر المنصور وكان احدى قباة بني العباس فدخلها لاربع عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة احدى وأربعين ومائة على صلاتها وخراجها ونزل العسكر وبها الناس من الجند يغدون وبروحون اليه كما كانوا يفعلون بالامراء قبله فانتهوا عنه حتى لم يكن أحد يلزم بابيه وكان قد اتهم في خرامان بأمر أبي مسلم فأمر به أسد بن عبد الله الجبلي - والي خراسان فألجم بلجام ثم كسرت اسنانه فكان يقول بمصر كانت لنا اسنان وليس عندنا خبز فلما جاء الخبر ذهب الاسنان وكتب اليه ابو جعفر اني عزلتك من غير خطبة ولكن بلغني أن غلاما يقتل بمصر يقال له موسى فكرهت أن تكونه فكان ذلك موسى بن مصعب زمن المهدي - كما يأتي ان شاء الله تعالى فولى موسى بن كعب سبعة اشهر وصرف في ذي القعدة واستخلف على الجند ابن خاله ابن حبيب وعلى الخراج نوفل بن القرات وخرج لست بقين منه فولى (محمد بن الاشعث) ابن عقبة الخزاعي - من قبل أبي جعفر على الصلات والخراج وقدم خمس خلون من ذي الحجة سنة احدى وأربعين ومائة وبعث ابو جعفر الى نوفل بن القرات أن اعرض على محمد بن الاشعث ضمان خراج مصر فان ضمنه فأشهد عليه وانخص الى - وان أبي فاعمل على الخراج فعرض عليه ذلك فأبى فأتقن نوفل الدواوين فاقتد ابن الاشعث الناس فقبل لهم عند صاحب الخراج فقدم على تسليمه وعقد على جيش بعث به الى المغرب لحربه فانهم لم يخرج ابن الاشعث يوم الاضحي سنة اثنين وأربعين وتوجه الى الاسكندرية واستخلف محمد ابن معاوية بن بجير بن ريسان صاحب شرطته ثم صرف ابن الاشعث فكانت ولايته سنة وشهر او ولى (حميد ابن خطبة) بن شبيب بن خالد بن سعدان الطائي - من قبل أبي جعفر على الصلات والخراج فدخل في عشر من ألفا من الجند خمس خلون من رمضان سنة ثلاث وأربعين ومائة ثم قدم عسكرا آخر في شوال وقدم على - بن محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن داعية لايه و٤٦ فدمس اليه حميد فتغيب فكتب بذلك الى أبي جعفر فصره

في ذي القعدة وخرج ثمان بقين من ذي القعدة سنة أربع وأربعين فولى (يزيد بن حاتم) بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة من قبل أبي جعفر على الصلوات والخراج فقدم على البريد للنصف من ذي القعدة فاستخلف على الخراج معاوية بن مروان بن موسى بن نصير وفي امرته ظهرت دعوة بني الحسن بن علي - بمصر وتكلم بها الناس وباع كل من منهم على - بن محمد بن عبد الله وطرق المسجد لشرخلون من شوال سنة خمس وأربعين كما يذكر في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ثم قدمت الخطباء برأس ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي - في ذي الحجة فنصبت في المسجد وورد كتاب أبي جعفر بأمر يزيد بن حاتم بالتحويل من العسكر الى القسطنطين وأن يجعل الديوان في كنائس القصر وذلك في سنة ست وأربعين ومائة من أجل ليلة المسجد ومنع يزيد أهل مصر من الحج سنة خمس وأربعين فلم يخرج أحد منهم ولا من أهل الشام لما كان بالخارج من الاضطراب بأمر بني حسن ثم حج يزيد في سنة سبع وأربعين واستخلف عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج صاحب شرطته وبعث جيشا لغزو الحبشة من أجل خارجي - ظهر هناك فظفر به الجيش وقدم رأسه في عدة رؤس فخمدت الى بغداد وضم يزيد برقة الى عمل مصر وهو أول من ضمها الى مصر وذلك في سنة ثمان وأربعين وخرج القبط بسكنا في سنة خمس وخمسين ومائة فبعث اليهم جيشا فشتته القبط ورجع منهم ما فصره ابو جعفر في ربيع الآخر سنة اثنين وخمسين ومائة فكانت ولايته سبع سنين وأربعة أشهر وولى (عبد الله بن عبد الرحمن) بن معاوية بن خديج من قبل أبي جعفر على الصلوات لثنتي عشرة بقية من ربيع الآخر وهو أول من خطب بالسواد وخرج الى أبي جعفر لعشر بقين من رمضان سنة أربع وخمسين ومائة واستخلف أخاه محمدا ورجع في آخرها ومات وهو وال مستهل - صفر سنة خمس وخمسين ومائة واستخلف أخاه محمدا فكانت ولايته سنتين وشهرين فولى (محمد بن عبد الرحمن) بن معاوية بن خديج باستخلاف أخيه فأقره ابو جعفر على الصلوات ومات وهو وال للنصف من شوال فكانت ولايته ثمانية أشهر ونصف واستخلف موسى بن علي - فولى (موسى بن علي) بن رباح باستخلاف محمد بن خديج فأقره ابو جعفر على الصلوات وخرج القبط بهيب في سنة ست وخمسين فبعث اليهم وهزمهم وكان يروح الى المسجد ماشيا وصاحب شرطته بين يديه يعمل الحربة واذا أقام صاحب الشرطة الجدة يقول له ارحم أهل البلاد فيقول أيها الأمير ما يصلح الناس الا ما يفعل بهم وكان يحدث فيكتب الناس عنه ومات ابو جعفر لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وبويع ابنه محمد المهدي فأقر موسى بن علي - الى سابع عشر ذي الحجة سنة احدى وستين ومائة فكانت ولايته ست سنين وشهرين وولى (عيسى بن لقمان) بن محمد الجهمي من قبل المهدي على الصلوات والخراج فقدم لثلاث عشرة بقية من ذي الحجة سنة احدى وستين ومائة وصرف لثنتي عشرة بقية من جمادى الاولى سنة اثنين وستين ومائة فوليا اربعة أشهر ثم ولى (واضح مولى أبي جعفر) من قبل المهدي على الصلوات والخراج فدخل لست بقين من جمادى الاولى وصرف في رمضان فولى (منصور بن يزيد) بن منصور العيني وهو ابن خال المهدي على الصلوات فقدم لحدى عشرة خلت من رمضان سنة اثنين وستين ومائة وصرف للنصف من ذي الحجة فكان مقامه شهرين وثلاثة ايام ثم ولى (يحيى بن داود) أبو صالح من أهل خراسان من قبل المهدي على الصلوات والخراج فقدم في ذي الحجة وكان أبوه تركا وهو من أشد الناس وأعظمهم هبة وأقدمهم على الدم واكثرهم عقوبة فنع من غلق الدروب بالليل ومن غلق الخوايت حتى جعلوا عليها شرائح القصب لمنع الكلاب ومنع حراس الحمامات أن يجلسوا فيها وقال من ضاع له شيء فعلى - اذاؤه وكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه ويقول يا أباصالح احرسها فكانت الامور على هذا مدة ولايته وأمر الاشراف والفقهاء وأهل النوبات بلبس القلائس الطوال والدخول بها على السلطان يوم الاثنين والخميس بلا ردية وكان ابو جعفر المنصور اذا ذكره قال هو رجل يخافني ولا يخاف الله فولى الى المحرم سنة اربع وستين وقدم * (سالم بن سواده) التميمي من قبل المهدي على الصلوات ومعه ابو قطيعة اسماعيل بن ابراهيم على الخراج لثنتي عشرة خلت من المحرم ثم ولى (ابراهيم بن صالح) بن علي - بن عبد الله بن عباس من قبل المهدي على الصلوات والخراج فقدم لحدى عشرة خلت من المحرم سنة خمس وستين وابتنى دارا عظيمة بالموقف بالعسكر وخرج دحية بن المعصب بن الاصمغ بن عبد العزيز بن مروان بالصعيد وناذ ودعا الى نفسه بالخلافة فترأخى عنه

ابراهيم ولم يحفل بأمره حتى ملك عامة الصعيد فسيخط المهدي* لذلّك وعزله عزلا قبيحا لسبع خلون من
 ذى الحجة سنة سبع وستين فوليا ثلاث سنين ثم ولي (موسى بن مصعب) بن الربيع من أهل الموصل على
 الصلّات والخراج من قبل المهدي* فقدم لسبع خلون من ذى الحجة المذكور فردّ ابراهيم وأخدمه وعين عمل
 له ثلثمائة ألف دينار ثم سيره الى بغداد وشدّد موسى في استخراج الخراج وزاد على كلّ قّدان ضعف ما يقبل به
 وارتنس في الاحكام وجعل خرجا على أهل الاسواق وعلى الدواب فكرهه الجند ونايذوه وثار قيس واليمانية
 وكاتبوا اهل القسّاط فاتفقوا عليه وبعث بجيش الى قتال دحية بالصعيد وخرج في جند مصر كلهم لقتال
 أهل الخوف فلما اتقوا انهزم عنه أهل مصر بأجمعهم وأسلموه فقتل من غير أن يتكلم أحد من أهل مصر لتسع
 خلون من شوال سنة ثمان وستين ومائة فكانت ولايته عشرة أشهر وكان ظالما غاشيا سمعه الليث بن سعد يقرأ
 في خطبته انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فقال الليث اللهم لا تمقتنا ثم ولي (عسامة بن عمرو)
 باستخلاف موسى بن مصعب وبعث الى دحية جيشا مع اخيه بكار بن عمرو وخارب يوسف بن نصير وهو على جيش
 دحية قطا عنا ووضع يوسف الرخ في خاصرة بكار ووضع بكار الرخ في خاصرة يوسف فقتلا معا ورجع الجيشان
 منهزمين وذلك في ذى الحجة وصرف عسامة لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة بكتاب ورد عليه من الفضل
 ابن صالح بانه ولي مصر وقد استخلفه فخاعه الى سلج المحرم سنة تسع وستين ومائة ثم قدم (الفضل بن
 صالح) بن علي بن عبد الله بن عباس سلج المحرم المذكور في جيوش الشام ومات المهدي* في المحرم هذا وبيع
 موسى الهادي فأقر الفضل وقدم مصر يضطرب من أهل الخوف ومن خروج دحية فان الناس كلوا قد
 كآبوه ودعوه فسير العساكر حتى هزم دحية وأمر وسبق الى القسّاط فضربت عنقه وصلب في جادى
 الاخرة سنة تسع وستين فكان الفضل يقول انا اولي الناس بولاية مصر لقياحى في امر دحية وقد عجز عنه
 غيري فعزل وندم على قتل دحية والفضل هو الذى بنى الجامع بالعسكر في سنة تسع وستين فكانوا
 يجمعون فيه ثم ولي (علي بن سليمان) بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل الهادي على الصلّات والخراج
 فدخل في سنة تسع وستين ومائة ومات الهادي للنصف من ربيع الاول سنة سبعين ومائة وبيع هرون بن
 محمد الرشيد فأقر علي بن سليمان وأظهر في ولايته الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنع الملاهي والجور وهدم
 الكنائس المحدثه بمصر وبذل له في تركها خمسون ألف دينار فامتنع وكان كثير الصدقة في الليل وأظهر أنه تصلح له
 الخلافة وطمع فيها فسيخط عليه هرون الرشيد وعزله لاربع بقين من ربيع الاول سنة احدى وسبعين ومائة
 ثم ولي (موسى بن عيسى) بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلّات
 فاذن للنصارى في بنان الكنائس التي هدمها علي بن سليمان فبنيت بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة ثم
 صرف لاربع عشرة خلت من رمضان سنة اثنتين وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة وخمسة أشهر ونصفا
 ثم ولي (مسلمة بن يحيى) بن قرة بن عبيد الله البجلي* من أهل جرجان من قبل الرشيد على الصلّات ثم صرف
 في شعبان سنة ثلاث وسبعين فوليا احدى عشر شهرا ثم ولي (محمد بن زهير) الازدى على الصلّات والخراج
 لخمس خلون من شعبان فبادر الجند لعمر بن غيلان صاحب الخراج فلم يدفع عنه فصرف بعد خمسة أشهر في سلج
 ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين ومائة فولى (داود بن يزيد) بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة وقدم
 هو وابراهيم بن صالح بن علي فولى داود الصلّات وبعث بابراهيم لخراج الجند الذين ثاروا من مصر فدخل
 لاربع عشرة خلت من المحرم سنة اربع وسبعين ومائة فاخرجت الجند العديدة الى المشرق والمغرب في عالم
 كثير فساروا في البحر فأسرهم الروم وصرف لست خلون من المحرم سنة خمس وسبعين فكانت ولايته سنة
 ونصف شهر ثم ولي (موسى بن عيسى) بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس على الصلّات والخراج من
 قبل الرشيد فدخل اسبع خلون من صفر سنة خمس وسبعين وصرف لليلتين بقيتا من صفر سنة ست وسبعين
 ومائة فولى سنة واحدة ثم ولي (ابراهيم بن صالح) بن علي بن عبد الله بن عباس ثانيا من قبل الرشيد فكتب
 الى عسامة بن عمرو فاستخلفه ثم قدم نصر بن كلثوم خليفته على الخراج مستهل ربيع الاول وتوفى
 عسامة لسبع بقين من ربيع الاخر فقدم روح بن روح بن زنباع خليفة لابراهيم على الصلّات والخراج ثم
 قدم ابراهيم للتصف من جادى الاولى وتوفى وهو وال لثلاث خلون من شعبان فكان مقامه بمصر شهرين

وثمانية عشر يوما وقام بالامر بعده ابنه صالح بن ابراهيم مع صاحب شرطته خالد بن يزيد ثم ولي (عبد الله ابن المسيب) بن زهير بن عمرو الضبي من قبل الرشيد على الصلوات لاحدى عشرة بقيت من رمضان سنة ست وسبعين ومائة وصرف في رجب سنة سبع وسبعين ومائة فولى (اححاق بن سليمان) بن علي بن عبد الله ابن عباس من قبل الرشيد على الصلوات والخراج مستهل رجب فكشف أمر الخراج وزاد على المزارعين زيادة أبخفت بهم فخرج عليه أهل الحوف فخارهم فقتل كثير من اصحابه فكتب الى الرشيد بذلك ففقد لهرثة بن اعين في جيش عظيم وبعث به قتل الحوف قتلناه اهله بالطاعة وأذعنوا فقبل منهم واستخرج الخراج كله فكان صرف اسحق في رجب سنة ثمان وسبعين ومائة فولى (هرثة بن اعين) من قبل الرشيد على الصلوات والخراج للبايعين خلتا من شعبان ثم سار الى افرقية لثقتي عشرة خلت من شوال فأقام بمصر شهرين ونصفا ثم ولي (عبد الملك بن صالح) بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلوات والخراج فلم يدخل مصر واستخلف عبد الله بن المسيب بن زهير الضبي وصرف في سلخ سنة ثمان وسبعين ومائة فولى (عبيد الله بن المهدي) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلوات والخراج في يوم الاثنين لثقتي عشرة خلت من المحرم سنة تسع وسبعين ومائة فاستخلف ابن المسيب ثم قدم لاحدى عشرة خلت من ربيع الاول وصرف في شهر رمضان فولى تسعة اشهر وخرج من مصر ليلتين خلتا من شوال فأعاد الرشيد (موسى بن عيسى) وولاه مرة ثالثة على الصلوات فقدم ابنه يحيى بن موسى خليفة له لثلاث خلون من رمضان ثم قدم اخ رضى القعدة وصرف في جادى الآخرة سنة ثمانين ومائة فولى الرشيد (عبيد الله ابن المهدي) ثانيا على الصلوات فقدم داود بن حباش خليفة له لسبع خلون من جادى الآخرة ثم قدم لاربع خلون من شعبان وصرف لثلاث خلون من رمضان سنة احدى وثمانين ومائة فولى (اسماعيل ابن صالح) بن علي بن عبد الله بن عباس على الصلوات لسبع خلون من رمضان فاستخلف عون بن وهب الخراعى ثم قدم نجس بقين منه قال ابن عفر ما رأيت على هذه الاعواد أخطب من اسماعيل بن صالح ثم صرف في جادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين ومائة فولى (اسماعيل بن عيسى) بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلوات فقدم لاربع عشرة بقيت من جادى الآخرة وصرف في رمضان فولى (الليث بن الفضل) البيوردي من اهل بيوردي على الصلوات والخراج وقدم نجس خلون من شوال ثم خرج الى الرشيد لسبع بقين من رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائة بالمال والهدايا واستخلف أخاه الفضل بن علي ثم عاد في آخر السنة وخرج ثانيا بالمال اتسع بقين من رمضان سنة خمس وثمانين واستخلف هاشم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج وقدم لاربع عشرة خلت من المحرم سنة ست وثمانين فكان كالحاق خراج سنة وفرغ من حسابها خرج بالمال الى امير المؤمنين هرون الرشيد ومعه الحساب ثم خرج عليه أهل الحوف وساروا الى القسطنطين فخرج اليهم في أربعة آلاف ليوهم بقيام شعبان سنة ست وثمانين ومائة واستخلف عبد الرحمن بن موسى بن علي بن رباح على الجند والخراج فواقع أهل الحوف وانهمز عنه الجند فبق في نحو المائتين فحمل بهم وهزم القوم من أرض الحب الى غففة وبعث الى القسطنطين بثمانين رأسا وقدم فرجع أهل الحوف ومنعوا الخراج فخرج ليث الى الرشيد وسأله أن يبعث معه بالجيوش فانه لا يقدر على استخراج الخراج من أهل الاحواف الا بجيش فرفع محفوظ بن سليمان انه بضمن خراج مصر عن آخره بغير سوط ولا عصاف لولا الرشيد الخراج وصرف لينا عن الصلوات والخراج وبعث احمد بن اسحق على الصلوات مع محفوظ وكانت ولاية ليث اربع سنين وسبعة اشهر فولى (احمد بن اسمعيل) بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلوات والخراج وقدم نجس بقين من جادى الآخرة سنة سبع وثمانين ثم صرف لثمان عشرة خلت من شعبان سنة تسع وثمانين فولى ستين وشهرا ونصفا ثم ولي (عبيد الله بن محمد) بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس على الصلوات واستخلف لهيعة بن عيسى بن لهيعة الحضرمي ثم قدم للنصف من شوال وصرف لاحدى عشرة بقيت من شعبان سنة تسعين ومائة وخرج واستخلف هاشم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج فولى (الحسين بن جيل) من قبل الرشيد على الصلوات وقدم لعشر خلون من رمضان ثم جمع له الخراج مع الصلوات في رجب سنة احدى وتسعين وخرج أهل الحوف وامتنعوا من

قوله اخاه الفضل بن
علي هكذا في النسخ
التي يسدى ولعله اياه
الفضل الخ تأمل اه
مصححه

اداء الخراج وخرج ابو النداء بأيلة في نحو ألف رجل فقطع الطريق بأيلة وشعيب ومدين وأغار على بعض قرى الشام وضوى اليه من جندام جماعة فبلغ من النهب والقتل مبلغا عظيما فبعث الرشيد من بغداد جيشا لذلك وبعث الحسين بن جميل من مصر عبد العزيز بن الوزير بن صابى الجروى في عسكر فالتقى العسكران بأيلة فظفر عبد العزيز بأبى النداء وسار جيش الرشيد الى بليس في شوال سنة احدى وتسعين ومائة فأذعن أهل الخوف بالخراج وصرف ابن جميل لثنتى عشرة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين ومائة فولى (مالك بن داهم) بن عمر الكلابى على الصلات والخراج وقدم لسبع بقين من ربيع الآخر وفرغ يحيى بن معاذ أمير جيش الرشيد من أمر الخوف وقدم القسطنطين اعشر بقين من جادى الآخر فكتب الى اهل الاحواف أن اقدموا حتى اوصى بكم مالك بن داهم فدخل الرؤساء من اليمانية والقيسية فأخذت عليهم الابواب وقيدوا وسار بهم للنصف من رجب وصرف مالك لاربع خلت من صفر سنة ثلاث وتسعين ومائة فولى (الحسن بن التختاح) بن التختكان على الصلات والخراج فاستخلف العلاء بن عاصم الخولانى وقدم لثلاث خلون من ربيع الاول ثم مات الرشيد واستخلف ابنه محمد الامين فثار الجند بمصر ووقعت قسنة عظيمة قتل فيها عدة وسير الحسن مال مصر فوثب اهل الزمالة وأخذوه وبلغ الحسن عزله فسار من طريق الحجاز لفساد طريق الشام لثمان بقين من ربيع الاول سنة اربع وتسعين ومائة واستخلف عوف بن وهب على الصلات ومحمد بن زياد بن طبق القيسى على الخراج فولى (حاتم بن هرثة) بن اعين من قبل الامين على الصلات والخراج وقدم في ألف من البناء فقتل بليس فصالحه أهل الاحواف على خراجهم وثار عليه اهل تنو وقي وعسكر وا فبعث اليهم جيشا فانهزموا ودخل حاتم الى القسطنطين ومعه نحو مائة من الرهائن لاربع خلون من شوال وصرف في جادى الآخر سنة خمس وتسعين ومائة فولى (جابر بن الاشعث) بن يحيى الطائى من قبل الامين على الصلات والخراج لخمس بقين من جادى الآخر وكان لينا فلما حدثت قسنة الامين والمأمون قام السرى بن الحكم غضبا للمأمون ودعا الناس الى خلع الامين فاجابوه وباعوا المأمون لثمان بقين من جادى الآخر سنة ست وتسعين وأخرجوا جابر بن الاشعث وكانت ولايته سنة فولى (عباد بن محمد) بن حيان ابونصر من قبل المأمون على الصلات والخراج لثمان خلون من رجب بكتاب هرثة بن اعين وكان وكيله على ضياعه بمصر في الثامن من رجب سنة ست وتسعين فبلغ الامين ما كان بمصر فكتب الى ربيعة بن قيس بن الزبير الجرشى رئيس قيس الخوف بولاية مصر وكتب الى جماعة بمعاقبته فقاموا ببيعة الامين وخلعوا المأمون وساروا لمحاربة اهل القسطنطين فخذق عباد وكانت حروب قتل الامين وصرف عباد في صفر سنة ثمان وتسعين ومائة فكانت ولايته سنة وسبعة اشهر فولى (المطلب بن عبيد الله) بن مالك الخزازى من قبل المأمون على الصلات والخراج فدخل من مكة للنصف من ربيع الاول فكانت في ايامه حروب وصرف في شوال بعد سبعة اشهر فولى (العباس بن موسى) بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل المأمون على الصلات والخراج فقدم ابنه عبد الله ومعه الحسين بن عبيد بن لوط الانصارى في آخر شوال فسيحنا المطلب فقتل الجند مرارا فنهزم الانصارى اعطيتهم وتمتددهم وتحامل على الرعية وعسفها وتمتددا لجميع فثاروا واخرجوا المطلب من الحبس واقاموه لاربع عشرة خلت من المحرم سنة تسع وتسعين ومائة وأقبل العباس فقتل بليس ودعا قيسا الى نصرته ومضى الى الجروى بتيس ثم عاد فقات في بليس لثلاث عشرة بقيت من جادى الآخر ويقال ان المطلب دس اليه سما في طعامه فمات منه وكانت حروب وقتل فكانت ولاية المطلب هذه سنة وثمانية اشهر ثم ولى (السرى بن الحكم) بن يوسف من قوم الرط ومن اهل بلخ باجاع الجند عليه عند قيامه على المطلب في مستهل رمضان سنة مائتين ثم ولى (سليمان بن غالب) بن جبريل الجبلى على الصلات والخراج بمبايعة الجند له لاربع خلون من ربيع الاول سنة احدى ومائتين فكانت حروب ثم صرف بعد خمسة اشهر واعيد (السرى بن الحكم) ثانيا من قبل المأمون على الصلات والخراج فذمت ولايته وأخرجه الجند من الحبس لثنتى عشرة خلت من شعبان وتبع من حاربه وقوى امره ومات وهو وال لانسلاخ جادى الاولى سنة خمس ومائتين فكانت ولايته هذه ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية عشر يوما فولى ابنه (محمد ابن السرى) ابونصر اول جادى الآخر على الصلات والخراج وكان الجروى قد غلب على أسفل الارض

فجرت بينهم حروب ثم مات لثمان خلون من شعبان سنة ست ومائتين وسكانت ولايته اربعة عشر شهرا ثم ولى
(عبيد الله بن السرى) بن الحكم بمباينة الجند لتسع خلون من شعبان على الصلات والخراج فكانت ينفه
وبين الجروى جروب الى أن قدم عبد الله بن طاهر وأذن له عبيد الله في آخر صفر سنة احدى عشرة ومائتين
فولى (عبد الله بن طاهر) بن الحسين بن مصعب من قبل المأمون على الصلات والخراج فدخل يوم الثلاثاء
لثلاثين خلنا من ربيع الاول سنة احدى عشرة ومائتين وأقام في معسكره حتى خرج عبد الله بن السرى
الى بغداد للنصف من جمادى الاولى ثم سار الى الاسكندرية مستهل صفر سنة اثني عشرة واستخلف
عيسى بن يزيد الجلودى فحصرها بضع عشرة ليلة ورجع في جمادى الآخرة وأمر بالزيادة في الجامع العتيق
فزيد فيه مثله وركب النيل متوجها الى العراق لحس بقين من رجب وكان مقامه بمصر والياسبعة عشر
شهرا وعشرة ايام ثم ولى (عيسى بن يزيد) الجلودى باستخلاف ابن طاهر على صلاتها الى سابع عشر
ذى القعدة سنة ثلاث عشرة فصرف ابن طاهر وولى الامير ابو اسحق بن هرون الرشيد مصر فأقر عيسى
على الصلات فقط وجعل على الخراج صالح بن شيراز اذ قظم الناس وزاد عليهم في خراجهم فاتقص أهل اسفل
الارض وعسكروا فبعث عيسى بانه محمد في جيش فخار بوه فانهزم وقتل اصحابه في صفر سنة اربع عشرة فولى
(عمير بن الوليد) التميمي باستخلاف ابى اسحاق بن الرشيد على الصلات لسبع عشرة خلعت من صفر وخرج
ومعه عيسى الجلودى لقتال أهل الحوف في ربيع الآخر واستخلف ابنه محمد بن عمير فاقبلوا وكان بينهم معارك
قتل فيها عمير است عشرة خلعت من ربيع الآخر فكانت مدة امرته ستين يوما فولى (عيسى الجلودى) ثانيا
لابى اسحاق على الصلات فخارب أهل الحوف بمعية مطر ثم انهزم في رجب وأقبل ابو اسحاق الى مصر في اربعة
آلاف من اتراكه فقاتل أهل الحوف في شعبان ودخل الى المدينة القساط لثمان بقين منه وقتل اكابر الحوف
ثم خرج الى الشام غزاة المحرم سنة خمس عشرة ومائتين في اتراكه ومعه جمع من الاسارى في ضر وجهد شديد
وولى على مصر (عبدويه بن جبلة) من الانباء على الصلات فخرج ناس بالحوف في شعبان فبعث اليهم
وحاربهم حتى ظفر بهم ثم قدم الافشين جيدر بن كاوس الصفدى الى مصر لثلاث خلون من ذى الحجة ومعه على
ابن عبد العزيز الجروى لاخذ ماله فلم يدفع اليه شيئا فقتله وصرف عبدويه وخرج الى البرقة (وولى عيسى بن
منصور) بن موسى بن عيسى الرافعى فولى من قبل ابى اسحاق اول سنة ست عشرة على الصلات فاتقصت اسفل
الارض عربها وقبطنها في جمادى الاولى وأخرجوا العمال لسوء سيرتهم وخلعوا الطاعة فقدم الافشين من
برقة للنصف من جمادى الآخرة ثم خرج هو وعيسى في شوال فأوقعوا بالقوم وأسرا منهم وقتلوا ومضى الافشين
ورجع عيسى فسار الافشين الى الحوف وقتل جماعتهم وكانت حروب الى أن قدم امير المؤمنين عبد الله المأمون
لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين فسخط على عيسى وحل لواءه فأخذه بلباس البياض ونسب
الحديث اليه والى عماله وسير الجيوش وأوقع بأهل الفساد وسبى القبط وقتل مقاتلتهم ثم رحل لثمان عشرة
خلت من صفر بعد تسعة وأربعين يوما وولى (كيدر) وهو نصر بن عبد الله ابو مالك الصفدى فوردد كلب
المأمون عليه بأخذ الناس بالحنة في جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة والقاضى بمصر يومئذ هارون بن
عبد الله الزهرى فأجاب وأجاب الشهود ومن وقف منهم سقطت شهادته وأخذ بها القضاة والمحدثون والمؤذنون
فكانوا على ذلك من سنة ثمان عشرة الى سنة اثنتين وثلاثين ومات المأمون في رجب سنة ثمان عشرة وبويع
ابو اسحق المعتصم فوردد كلبه على كيدر بيعته وبأمره باسقاط من في الديوان من العرب وقطع العطاء عنهم ففعل
ذلك فخرج يحيى بن الوزير الجروى في جمع من لحم وجد دام ومات كيدر في ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين
فولى ابنه (المظفر بن كيدر) باستخلاف ابيه وخرج الى يحيى بن وزير وقاتله وأمره في جمادى الآخرة
ثم صرفت مصر الى ابى جعفر اشناس فدعى له بها وصرف مظفر في شعبان فولى (موسى بن ابى العباس)
ثابت من قبل اشناس على الصلات مستهل شهر رمضان سنة تسع عشرة وصرف في ربيع الآخر سنة
اربع وعشرين ومائتين فكانت ولايته اربع سنين وسبعة اشهر فولى (مالك بن كيدر) بن عبد الله
الصفدى من قبل اشناس على الصلات وقدم لسبع بقين من ربيع الآخر وصرف لثلاث خلون من ربيع
الآخر سنة ست وعشرين فولى سنتين وأحد عشر يوما وولى لعشر خلون من شعبان سنة ثلاث وثلاثين

وما تين فولى (على بن يحيى) الارمنى من قبل اشناس على صلاتها وقدم لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ست وعشرين وما تين ومات المعتصم في ربيع الاول سنة سبع وعشرين وبويع الواثق بالله فأقره الى سابع ذى الحجة سنة ثمان وعشرين وما تين فكانت ولايته سنتين وثلاثة اشهر ثم فولى (عيسى ابن منصور) الثانية من قبل اشناس على صلاتها فدخل لسبع خلون من المحرم سنة تسع وعشرين وما تين ومات اشناس سنة ثلاثين وجعل مكانه ايتاح فأقر عيسى ومات الواثق وبويع المتوكل فصرف عيسى النصف من ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين وما تين وقدم على بن مهروبه خليفة هرثة بن النضر ثم مات عيسى في قبة الهواء بعد عزله لاحدى عشرة خلت من ربيع الآخر فولى (هرثة بن نضر) الجبلى من اهل الجبل لايتاح على الصلات وقدم لست خلون من رجب سنة ثلاث وثلاثين وما تين فورد كتاب المتوكل بترك الجدال في القران خمس خلون من جادى الاخرة سنة اربع وثلاثين وما تين ومات هرثة وهو وال لسبع بقين من رجب سنة اربع واستخلف ابنه حاتم بن هرثة فولى (حاتم بن هرثة) بن النضر باستخلاف ابيه له على الصلات وصرف لست خلون من رمضان فولى (على بن يحيى) بن الارمنى الثانية من قبل ايتاح على الصلات لست خلون من رمضان وصرف ايتاح في المحرم سنة خمس وثلاثين واستصفيت امواله بمصر وترك الدعاء له ودعى للمتصر مكانه وصرف على في ذى الحجة منها فولى (اسحق بن يحيى) بن معاذ بن مسلم الجبلى من قبل المتصر ولى عهد ابيه المتوكل على الله على الصلات والخراج فقدم لاحدى عشرة خلت من ذى الحجة فورد كتاب المتوكل والمتصر باخراج الطالبيين من مصر الى العراق فأخرجوا ومات اسحق بعد عزله اول ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وما تين فولى (خوط عبد الواحد بن يحيى) بن منصور بن طلحة ابن زريق من قبل المتصر على الصلات والخراج فقدم لتسع بقين من ذى القعدة سنة ست وثلاثين وما تين وصرف عن الخراج تسع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين وأقر على الصلات ثم صرف سلخ صفر سنة ثمان وثلاثين بخليفته عنبسة على الصلات والشركة في الخراج مسهل ربيع الاول فولى (عنبسة بن اسحق) ابن شهر بن عيسى ابو جابر من قبل المتصر على الصلات وشمر بكالاحد بن خالد الضر يقبى صاحب الخراج فقدم لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وما تين واخذ العمال برذالمظالم وأقامهم للناس وأنصف منهم وأظهر من العدل ما لم يسمع بمثله في زمانه وكان يروح ماشيا الى المسجد الجامع من العسكر وكان ينادى في شهر رمضان السحور وكان يرمى بذهب الخوارج وفي ولايته نزل الروم دمياط وملكوها وما فيها وقتلوا بها جمعا كثيرا من الناس وسبوا النساء والاطفال فنفرو اليهم يوم النحر من سنة ثمان وثلاثين في جيشه وكثير من الناس فلم يدركهم واضيف له الخراج مع الصلات ثم صرف عن الخراج اول جادى الاخرة سنة احدى واربعين وأقر بالصلات وورد الكتاب بالدعاء للفتح بن خاقان في ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين فدعاه وعنبسة هذا آخر من ولى مصر من العرب وآخر أمير صلى بالناس في المسجد الجامع وصرف اول رجب منها فقدم العباس بن عبد الله بن دينار خليفة يزيد بن عبد الله بولاية يزيد وكانت ولاية عنبسة اربع سنين وأربعة اشهر وخرج الى العراق في رمضان سنة اربع واربعين فولى (يزيد بن عبد الله) بن دينار أبو خالد الموالى لولاه المتصر على الصلات فقدم لعشر بقين من رجب سنة اثنتين وأربعين فأخرج المؤمنين من مصر وضمهم وطاف بهم ومنع من الذداء على الجنائز وضرب فيه وخرج الى دمياط مرابطا في المحرم سنة خمس وأربعين ورجع في ربيع الاول فبلغه نزول الروم الفرما فرجع اليها فلم يلقيهم وعطل الرهان وباع الخيل التى اتخذها للسلطان فلم تجر الى سنة تسع وأربعين وتبع الروافض وجلهم الى العراق وبني مقياس النيل في سنة سبع وأربعين وجرت على العلويين في ولايته شدائد ومات المتوكل في شوال وبويع ابنه محمد المتصر ومات الفتح بن خاقان فأقر المتصر يزيد على مصر ثم مات المتصر في ربيع الاول سنة ثمان واربعين وبويع المستعين فورد كتابه بالاستسقاء لقطع كان بالعراق فاستسقوا السبع عشرة خلت من ذى القعدة واستسقى اهل الآفاق في يوم واحد وخلق المستعين في المحرم سنة اثنتين وخمسين وبويع المعتز فخرج جابر بن الوليد بأرض الاسكندرية وكانت هناك حروب ابتدأت من ربيع الآخر فقدم مزاحم بن خاقان من العراق معينا ليزيد في جيش كنيف لثلاث عشرة بقيت من رجب فواجههم حتى ظفروا بهم ثم صرف يزيد وكانت مدته عشر سنين وسبعة اشهر وعشرة ايام فولى (مزاحم بن خاقان) بن

عز طوبج أبو الفوارس التركي ثلاث خلون من ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين ومائتين على الصلوات من قبل المعتز وخرج إلى الحوف فأوقع بأهله وغاد ثم خرج إلى الجيزة فسار إلى تروجة فأوقع بأهلها وأسر عدة من أهل البلاد وقتل كثيرا وسار إلى القيوم فطاش سيفه وكثرا يقاتعه بسكان النواحي وعاد وولى الشرطة أرجوز فرفع النساء من الحمامات والمقابر وسجن المؤمنين والنواحي ومنع من الجهر بالبسملة في الصلاة بالجامع في رجب سنة ثلاث وخمسين ولم يزل أهل مصر على الجهر بها في الجامع منذ الإسلام إلى أن منع من الرجوز وأخذ أهل الجامع بتمام الصفوف وكل بذلك رجلا من العجم يقوم بالسوط من مؤخر المسجد وأمر أهل الحلق بالتحول إلى القبلة قبل إقامة الصلاة ومنع من المساند التي يستند إليها ومن الحصر التي كانت للجالس في الجامع وأمر أن تصلى التراويح في رمضان خمس تراويح ولم يزل أهل مصر يصلونها ستا إلى شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين ومنع من التشويب وأمر بالاذان يوم الجمعة في مؤخر المسجد وأن يغسل بصلوة الصبح ونهى أن يشق ثوب على ميت أو يسود وجهه أو يحلق شعره أو تصيح امرأة وعاقب في ذلك وشدد فيه ثم مات من أرحمهم مضي من المحرم سنة أربع وخمسين فاستخلف ابنه (أحمد بن مزاحم) فولى باستخلاف أبيه على الصلوات إلى أن مات لسبع خلون من ربيع الآخر فكانت ولايته شهرين ويوما فاستخلف (أرجوز بن ألع طرخان التركي) على الصلوات فولى خمسة أشهر ونصف وخرج أول ذي القعدة بعد أن صرف بأحمد بن طولون في شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين وإلى ككان أمر البلد جميعه من أيام مزاحم وفي أيام ابنه أحمد أيضا والله تعالى أعلم

* (ذكر القطائع ودولة بني طولون) *

اعلم أن القطائع قد زالت آثارها ولم يبق لها رسم يعرف وكان موضعها من قبة الهواء التي صار مكانها قلعة الجبل إلى جامع ابن طولون وهذا أشبه أن يكون طول القطائع وأما عرضها فانه من أول الرملة تحت القلعة إلى الموضع الذي يعرف اليوم بالأرض الصفراء عند مشهد الرأس الذي يقال له الآن زين العابدين وكانت مساحة القطائع ميلا في ميل وقبة الهواء كانت في سطح الجرف الذي عليه قلعة الجبل وتحت قبة الهواء قصر ابن طولون وموضع هذا القصر الميدان السلطاني تحت القلعة والرملة التي تحت القلعة مكان سوق الخيل والخيول والجمال كانت بستانا ويحاورها الميدان في الموضع الذي يعرف اليوم بالقيبيات فيصير الميدان فيما بين القصر والجامع الذي أنشأه أحمد بن طولون ومجداه الجامع دار الامارة في جهته القبليّة ولها باب من جدار الجامع يخرج منه إلى المقصورة المحيطة بصلى الاميرالى جوار المحراب وهناك أيضا دار الحرم والقطائع عدة قطع تسكن فيها عبيد ابن طولون وعساكره وغلمان وكل قطعة لطائفه فيقال قطعة السودان وقطعة الروم وقطعة الفتراشين ونحو ذلك فكانت كل قطعة لسكنى جماعة بنزلة الحارات التي بالقاهرة وكان ابتداء عمارة هذه القطائع وسببها أن أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد لما اختص بالأتراك ووضع من العرب وأخرجهم من الديوان وأسقط أسماءهم ومنعهم العطاء وجعل الأتراك انصار دولته وأعلام دعوته كان من عظمته عنده منزله قلعه الاعمال الجبلية الخارجة عن الحضرة فيستخلف على ذلك العمل الذي تقلده من يقوم بأمره ويحمل إليه ماله ويدعى له على منابر كيديعى لل خليفة وكانت مصر عندهم بهذه السبيل وقصد المعتصم ومن بعده من الخلفاء بذلك العمل مع الأتراك محاكاة ما فعله الرشيد بعبد الملك بن صالح والمأمون بطاهر بن الحسين ففعل المعتصم مثل ذلك بالأتراك فقلد اشناس وقلد الواثق أيتاح وقلد المتوكل نقاو وصيف وقلد المهدي ماجور وغير من ذكرنا من أعمال الاقاليم ما قد تضمنته كتب التاريخ فقلد بأكابر مصر وطلب من يخلفه عليها وكان أحمد بن طولون قد مات أبوه في سنة أربعين ومائتين ولا جد عشرون سنة منذ ولد من جارية كانت تدعى قاسم وكان مولده في سنة عشرين ومائتين وولدت أيضا أخاه مومى وحبيسة وسمانة وكان طولون من الطغرغر مما حله نوح بن أسد عامل بخاري إلى المأمون فيما كان موظفا عليه من المال والرقيق والبرازين وغير ذلك في كل سنة وذلك في سنة مائتين فنشأ أحمد بن طولون نشأ جيلًا غير نشأ أولاد العجم فوصف بعلو الهمة وحسن الادب والذهاب بنفسه عما كان يترامى إليه أهل طبقته وطلب الحديث وأحب الغزو وخرق طرس

مرات ولقي المحدثين وسمع منهم وكتب العلم وصحب الزهاد وأهل الورع فتأدب بأدبهم وظهر فضله فاشتهر عند
الاولياء وتميز على الاتراك وصار في عداد من يوثق به ويؤتمن على الاموال والاسرار فزوجه ماجورا ابنته وهي
أم ابنه العباس وابنته فاطمة ثم انه سأل الوزير عبيد الله بن يحيى أن يكتب له برزقه على النغر فأجابه وخرج الى
طرسوس فأقام بها وشق على امته مفارقتها فكتابه بما اقله فلما اقل الناس الى ستر من رأى سار معهم الى لقاء
امته وكان في القافلة نحو خمسمائة رجل والخليفة اذ ذاك المستعين بالله احمد بن المعتصم وكان قد أنفذ خادما الى
بلاد الروم لعمل اشياء نفيسة فلما عاد بها وهي وقرب بغل الى طرسوس خرج مع القافلة وكان من رسم الغزاة أن
يسيروا متفرقين فطرق الاعراب بعض سوادهم وجاء الصائح فبدر احمد بن طولون لقتالهم وتبعوه فوضع
السيف في الاعراب ورمى بنفسه فيهم حتى استنقذ منهم جميع ما أخذوه وقروا منه وكان من جملة ما استنقذ
من الاعراب البغل المحمل بمتاع الخليفة فاعظم احمد بما فعل عند الخادم وكبر في عين القافلة فلما وصلوا الى
العراق وشاهد المستعين ما احضره الخادم اعجب به وعزفه الخادم خروج الاعراب وأخذهم البغل بما عليه
وما كان من صنع احمد بن طولون فأمر له بألف دينار وسلم عليه مع الخادم وامره أن يعترف به اذا دخل مع
المسلمين ففعل ذلك وتوالت عليه صلوات الخليفة حتى حسنت حاله ووجهه جارية اسمها مياس استولدها ابنه
خارويه في النصف من المحرم سنة خمس مائتين فلما خلع المستعين وبويع المعتز اخرج المستعين الى واسط
واختار الاتراك احمد بن طولون أن يكون معه فلم اليه ومضى به فأحسن عشرته وأطلق له التزهر والصيد
وخشى أن يلحقه منه احتشام فألزمه كتابته احمد بن محمد الواسطي وهو اذ ذاك غلام حسن الشاهد حاضر
النادرة فأنس به المستعين ثم ان فتحة ام المعتز كتبت الى احمد بن طولون بقتل المستعين وقتلته واسط فامتنع
من ذلك وكتب الى الاتراك يخبرهم بأنه لا يقتل خليفة له في رقبته بيعة فزاد محله عند الاتراك بذلك ووجهوا
سعيد الحاجب وكتبوا الى ابن طولون بتسليم المستعين له فسلمه منه وقتله وواراه ابن طولون وعاد الى ستر من
رأى وقد تقلد بالكتاب مصر وطلب من يوجهه اليها فذكر له احمد بن طولون فقلده خلاقته وضم اليه
جيشا وسار الى مصر فدخلها يوم الاربعاء لسبع مائة من شهر رمضان سنة اربع وخمسين ومائتين متقلدا
للقصبة دون غيرها من الاعمال الخارجة عنها كالا سكندرية ونحوها ودخل معه احمد بن محمد الواسطي وجلس
الناس لرؤيته فسأل بعضهم غلام ابى قبيل صاحب الملاحم وكان مكفوف اعما يجده في كتبهم فقال هذا رجل
فجد صفته كذا وكذا وانه يتقلد الملك هو وولده قريبا من اربعين سنة فاتم كلامه حتى اقبل احمد بن طولون واذا هو
على النعت الذي قال * ولما تسلم احمد بن طولون مصر كان على الخراج احمد بن محمد بن المدر وهو من دهاة الناس
وشياطين الكتاب فأهدى الى احمد بن طولون هدايا قيمتها عشرة آلاف دينار بعد ما خرج الى لقاءه هو وشقيق
الخادم غلام فتحة ام المعتز وهو يتقلد البريد فرأى ابن طولون بين يدي ابن المدر مائة غلام من الغور قد اتقنهم
وصبرهم عدة وجالا وكان لهم خلق حسن وطول اجسام وبأس شديد وعليم اقبية ومناطق ثقال عراض
ويأيدهم مقارع غلاظ على طرف كل مقرعة مقمعة من فضة وكأوا بقون بين يديه في حافتي مجلسه اذا جلس
فاذا ركب ركبوا بين يديه فيصبر له بهم هيبة عظيمة في صدور الناس فلما بعث ابن المدر بهديته الى ابن طولون
ردّها عليه فقال ابن المدر ان هذه لهمة عظيمة من كانت هذه همته لا يؤمن على طرف من الاطراف نخافه وذكره
مقامه بمصر معه وسار الى شقير الخادم صاحب البريد واتفقا على مكاتبة الخليفة بازالة ابن طولون فلم يكن غير أيام
حتى بعث ابن طولون الى ابن المدر يقول له قد كنت اعزك الله أهديت لنا هدية وقع الغنى عنها ولم يجز أن يغتم
مالك كثره الله فرددتها توفيرا عليك ونحب أن تجعل النعوض منها العلمان الذين رأيتهم بين يديك فأنا اليهم احوج
منك فقال ابن المدر لما بلغته الرسالة هذه اخرى اعظم مما تقدم قد ظهرت من هذا الرجل اذ كان يرذ الاعراض
والاموال ويستمدى الرجال وشابر عليهم ولم يجد بدا من أن يعثم اليه فتحوّل هيبة ابن المدر الى ابن طولون
ونقصت هبة ابن المدر بمصارقة العلمان مجلسه فكتب ابن المدر فيه الى الحضرة بغري به ويحترض على عزله فبلغ
ذلك ابن طولون فكتب في نفسه ولم يده واتفق موت المعتز في رجب سنة خمس وخمسين وقيام المهدي بالله محمد بن
الواثق وقتل بالكتاب ورد جميع ما كان بيده الى ماجور التركي حموان طولون فكتب اليه تسلم من نفسك
نفسك وزاده الاعمال الخارجة عن قصبة مصر وكتب الى اسحق بن دينار وهو يتقلد الاسكندرية

أن يسلمها لاجد بن طولون فغظمت لذلك منزلته وكثر قلق ابن المدبر ونغمه ودعته ضرورة الخوف من ابن طولون الى ملاطفته والتقرب من خاطره وخرج ابن طولون الى الاسكندرية وتسلمها من اسحق بن دينار وأقره عليها وكان اجد بن عيسى بن شيخ الشيباني يتقلد جندي فلسطين والاردن فلامات وثب ابنه على الاعمال واستبد بها فبعث ابن المدبر سبع مائة الف وخمسين الف دينار جلا من مال مصر الى بغداد فقبض ابن شيخ عليها وفزقها في اصحابه وكانت الامور قد اضطربت يبغداد فقطع ابن شيخ في التغلب على الشامات واشيع انه يريد مصر فلما قتل المهندي في رجب سنة ست وخمسين وبويع المعتمد بالله اجد بن المتوكل لم يدع ابن شيخ له ولا بايع هو ولا اصحابه فبعث اليه بتقليد ارمينية زيادة على مامعه من بلاد الشام وفسخ له في الاستخلاف عليها والاقامة على عمله فدعا حينئذ للمعتمد وكتب الى ابن طولون أن يتاهب لحرب ابن شيخ وأن يزيد في عذته وكتب لابن المدبر أن يطلق له من المال ما يريد فعرض ابن طولون الرجال وأثبت من يصلح واشترى العبيد من الروم والسودان وعمل سائر ما يحتاج اليه وخرج في تجمل كبير وجيش عظيم وبعث الى ابن شيخ يدعوه الى طاعة الخليفة ورد ما أخذ من المال فأجاب بجواب قبيح فسارست خلون من جمادى الآخرة واستخلف اخاه موسى بن طولون على مصر ثم رجع من الطريق بكتاب ورد عليه من العراق ودخل القسطنطينية في شعبان وقدم من العراق ماجور التركي لمحاربة ابن شيخ فلقبه اصحاب ابن شيخ وعليهم ابنه فانهزموا منه وقتل الابن واستولى ماجور على دمشق ولحق ابن شيخ بنواحي ارمينية وتقلد ماجورا أعمال الشام كله وصار اجد بن طولون من كثرة العبيد والرجال والالات بهمال يضيق به داره ولا يتسع له فركب الى سفح الجبل في شعبان وامر بحرق قبور اليهود والنصارى واخطط موضعها فبنى القصر والميدان وتقدم الى اصحابه وغلامه وأتباعه أن يحتطوا لانفسهم حوله فاخططوا وبنوا حتى اتصل البناء لعمارة القسطنطينية ثم قطعت القطائع وسميت كل قطعة باسم من سكنها فكانت للنوبة قطعة مفردة تعرف بهم والروم قطعة مفردة تعرف بهم والفراسين قطعة مفردة تعرف بهم ولكل صنف من الغلمان قطعة مفردة تعرف بهم وبنى القواد مواضع متفرقة فعمرت القطائع عمارة حسنة وتفرقت فيها السكاك والازقة وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والافران وسميت اسواقها فقبل سوق العبايرين وكان يجمع العبايرين والبرازين وسوق الفامين ويجمع الجزارين والبقالين والشوايين فكان في دكاكين الفامين جميع ما في دكاكين نظرائهم في المدينة وأكثر وأحسن وسوق الطباخين ويجمع الصيارف والخبازين والحلوانيين ولكل من الباعة سوق حسن عامر فصارت القطائع مدينة كبيرة اعمر وأحسن من الشام وبنى ابن طولون قصره ووسعه وحسنه وجعل له ميدانا كبيرا يضرب فيه بالصوالجة فسمى القصر كله الميدان وكان كل من أراد الخروج من صغير وكبير استل عن ذهابه يقول الى الميدان وعمل للميدان ابوابا لكل باب اسم وهي باب الميدان ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش وباب الصوالجة وباب الخاصة ولا يدخل منه الا خاصة ابن طولون وباب الجبل لانه مما يلي جبل المقطم وباب الحرم ولا يدخل منه الا خدام خصي او حرمة وباب الدرمون لانه كان يجلس عنده حاجب اسود عظيم الخلقة يتقلد جنبايات الغلمان السودان الرجال فقط يقال له الدرمون وباب دعناج لانه كان يجلس عنده حاجب يقال له دعناج وباب الساج لانه عمل من خشب الساج وباب الصلاة لانه كان في الشارع الاعظم ومنه يتوصل الى جامع ابن طولون وعرف هذا الباب ايضا باب السباع لانه كان عليه صورة سبعين من جنس وكان الطريق الذي يخرج منه ابن طولون وهو الذي يعرج منه الى القصر طريقا واسعا فقطعه بجائط وعمل فيه ثلاثة ابواب كأكبر ما يكون من الابواب وكانت متصلة بعضها ببعض واحدا بجانب الآخر وكان ابن طولون اذا ركب يخرج معه عسكر متكاثف الخروج على ترتيب حسن بغير زجة ثم يخرج ابن طولون من الباب الاوسط من الابواب الثلاثة بفرده من غير أن يحتلط به احد من الناس وكانت الابواب المذكورة تفتح كلها في يوم العيد او يوم عرض الجيش او يوم صدقة وما عدا هذه الايام لا تفتح الا بترتيب في اوقات معروفة وكان القصر له مجلس يشرف منه ابن طولون يوم العرض ويوم الصدقة لينظر من اعلاه من يدخل ويخرج وكان الناس يدخلون من باب الصوالجة ويخرجون من باب السباع وكان على باب السباع مجلس يشرف منه ابن طولون ليلة العيد على القطائع ليري حركات الغلمان وتأهيمهم وتصرفهم في حوائجهم فاذا رأى في حال احد منهم نقضا او خلا امره بما يتسع به ويزيد في تجمله وكان يشرف منه ايضا

على البحر وعلى باب مدينة القسطنطينية وما يلي ذلك فكان منتزها حسنا وبني الجامع فعرف بالجامع الجديد وبني
العين والسقاية بالغافر وبني تنور فرعون فوق الجبل واتسعت احواله وكثرت اصطبلاته وكراعه وعظم صيته
نخافه ماجور وكتب فيه الى الحضرة يغرى به وكتب فيه ابن المدبر وشقير الخادم وكانت لابن طولون اعيان
وأصحاب أخبار بطالعونه بسائر ما يحدث فلما بلغه ذلك تلطف اصحاب الاخبار له بيغداد عند الوزير حتى سبر الى
ابن طولون بكتب ابن المدبر وكتب شقير من غير أن يعلم بذلك فاذا فيه ان احمد بن طولون عزم على التغلب
على مصر والعصيان بها فكتب خبر الكتب وما زال بشقير حتى مات وكتب الى الحضرة يسأل صرف ابن المدبر عن
الخراج وتقليد هلال فأجيب الى ذلك وقبض على ابن المدبر وحسبه وكنات له معه امور آلت الى خروج ابن
المدبر عن مصر وتسلد ابن طولون خراج مصر مع المعونة والثغور الشامية فأسقط المعاون والمراقب وكانت بمصر
خاصة في كل سنة مائة ألف دينار فأظفره الله عقيب ذلك بكثرة الف الف دينار بنى منه المدارس وخرج
الى الشام وقد تقلدها قسما دمشق وحصن ونازل انطاكية حتى اخذها وكانت صدقته على اهل المسكنة والستر
وعلى الضعفاء والفقراء وأهل التجمل متواترة وكان راتبه لذلك في كل شهر ألفي دينار سوى ما يطرأ عليه
من النذور وصدقات الشكر على تجديد النعم وسوى ما يجنيه اتى اقيمت في كل يوم للصدقات في داره وغيرها
يذبح فيها البقر والكباش ويغرف للناس في القدور والفخار والقصاص على كل قدر أو وقعة لكل مسكين اربعة
ارغفة في اثنين منها فالزوج والاثنان الاخران على القدر وكانت تعمل في داره وينادي من احب أن يحضر
دار الامير فليحضر وتفتح الابواب ويدخل الناس الميسدان وابن طولون في المجلس الذي تقدم ذكره ينظر الى
المساكين ويتأمل فرحهم بما يأتون ويحملون فيسره ذلك ويحمد الله على نعمته ولقد قال له مرة ابراهيم ابن
قراطغان وكان على صدقته ايد الله الامير انانق في المواضع التي تفرق فيها الصدقة فخرج لنا الكف
الشامخة المخبوبة نقشا والمعصم الرائع فيه الحديد والكف فيها الخاتم فقال يا هذا كل من مديده اليك فأعطه
فهذه هي اللطيفة المستورة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه فقال يحسبهم الجاهل اغنياء من
التعفف فأخذوا رديدا امتدت اليك وأعط كل من يطلب منك فلما مات احمد بن طولون وقام من بعده
ابنه خمارويه أقبل على قصر أبيه وزاد فيه وأخذ الميدان الذي كان لآبيه فجعله كله بستانا وزرع فيه انواع
الرياحين وأصناف الشجر ونقل اليه الودى الطيف الذي ينال ثمره القمام ومنه ما يتناوله الجاهل من
اصناف خيار النخل وحمل اليه كل صنف من الشجر المطعم العجيب وأنواع الورد وزرع فيه الزعفران وكسا
اجسام النخل فحسا مذهبها حسن الصنعة وجعل بين النحاس وأجساد النخل من ارباب الرصاص وأجرى
فيها الماء المدبر فكان يخرج من تضاعيف قائم النخل عيون الماء فتخدر الى فساق معمولة ويفيض منها
الماء الى مجاري تنسقي سائر البستان وغرس فيه من الريحان المزروع على نقوش معمولة وكلمات مكتوبة
يتعاهد بها البستاني بالمقراض حتى لا تزيد ورقة على ورقة وزرع فيه النبلوفر الاحمر والازرق والاصفر
والجنوى العجيب وأهدى اليه من خراسان وغيرها كل اصل عجيب وطعموا له شجر الشمس باللوز واشباه
ذلك من كل ما يستظرف ويستحسن وبني فيه برج من خشب الساج المنقوش بالنقش النافذ ليقوم مقام
الاقفاص وزرعه بأصناف الاصباغ وبلط ارضه وجعل في تضاعيفه انهارا لطافا جادا ولها يجري فيها الماء
مدبر من السواقي التي تدور على الابار العذبة ويسقي منها الاشجار وغيرها وسرح في هذا البرج من اصناف
القمازي والدبابسي والتونيات وكل طائر مستحسن حسن الصوت فكانت الطيور تشرب وتغتسل من تلك الانهار
الجارية في البرج وجعل فيه او كرا في قواديح لطيفة ممكنة في جوف الحيطان لتفرخ الطيور فيها وعارض
لها فيه عيونا ممكنة في جوانبه لتقف عليها اذا تقاطرت حتى يجابوب بعضها بعضا بالصباح وسرح في البستان
من الطيور العجيب كالطواويس ودجاج الحبش ونحوها شيئا كثيرا وعمل في داره مجلسا بواقه سماه بيت الذهب
طلى حيطانه كله بالذهب الجاهل باللازورد المعمول في احسن نقش وأظرف تفصيل وجعل فيه على مقدار
قائمة ونصف صورا في حيطانه بارزة من خشب معمول على صورته وصور حطايه والمغنيات اللاقي تغنيته
بأحسن تصوير وابهج تزويق وجعل على رؤسهن الاكبال من الذهب النخالس الابرز الرزين والكواذن
المرصعة بأصناف الجواهر وفي آذانها الاجرام النقال الوزن المحكمة الصنعة وهي مسخرة في الحيطان ولوتت

اجسامها بأصناف اشباه الثياب من الاصباغ العجيبة فكان هذا البيت من اعجب مباني الدنيا وجعل بين
يدي هذا البيت فسقية مقدرة وملاها زريقا وذلك انه شكا الى طبيبه كثرة السهر فأشار عليه بالتغميز فأفق
من ذلك وقال لا اقدر على وضع يد أحد على فقال له تأمر بعمل بركة من زريق فعمل بركة يقال انها تخسون ذراعا
طولا في خمسين ذراعا عرضا وملاها من الزريق فأفق في ذلك اموالا عظيمة وجعل في اركان البركة تسكك من
الفضة الخالصة وجعل في السكك زنانير من حري محكمة الصنعة في حلق من الفضة وعمل فرشاً من ادم يحشى
بالريح حتى ينتفخ فيحكم حينئذ شدة ويلقى على تلك البركة الزريق وتشد زنانير الحري التي في حلق الفضة بسكك
الفضة وينام على هذا الفرش فلا يزال الفرش يريج ويتحرك بحركة الزريق مادام عليه وكانت هذه البركة
من اعظم ما سمع به من الهمم الملوكية فكان يرى لها في الليالي القمر منظر عجيب اذا تألف نور القمر بنور الزريق
ولقد أقام الناس بعد خراب القصر مدة يحفرون لآخذ الزريق من شقوق البركة وما عرف ملك قط تقدم بخارويه
في عمل مثل هذه البركة وبني ايضا في القصر قبة نضاهي قبة الهواء سماها الدكة فكانت احسن شيء وجعل لها
الستر التي تقي الحتر والبرد فتسبل اذا شاء وترفع اذا احب وفرش ارضها بالفرش السمرية وعمل لكل فصل فرشاً
يليق به وكان كثيراً ما يجلس في هذه القبة ليشرف منها على جميع ما في داره من البستان وغيره ويرى الصحراء
والنيل والجبل وجميع المدينة وبني ميداناً آخر أكبر من ميدان ابيه وكان احمد بن طولون قد اتخذ حجرة بقره فيها
رجال سهاهم بالمكبرين عتدهم اثنا عشر رجلاً بيت منهم في كل ليلة اربعة يتعاقبون الليل فوبيا يكبرون ويسبحون
ويحمدون ويهللون ويقرؤن القرآن نظرياً بالخان ويتوسلون بقصائد زهدية ويؤذنون اوقات الاذان فلما ولي
بخارويه اقترهم على حالهم وأجراهم على رسمهم وكان يجلس للشرب مع خطاياه في الليل وقيناته تغنيه
فاذا سمع اصوات هؤلاء يذكرون الله والقدح في يده وضعه بالارض وأسكت مغنياته وذكر الله معهم ابد حتى
يسكت الاثوم لا يضجره ذلك ولا يغيظه أن قطع عليه ما كان فيه من لذته بالسماع وبني ايضا في داره دار السباع
عمل فيها يوتاباً راج كل بيت يسع سباعاً ولبونه وعلى تلك البيوت ابواب تفتح من اعلاها بحركات ولكل
بيت منها طاق صغير يدخل منه الرجل الموكل بخدمة ذلك البيت يقرشه بالزبل وفي جانب كل بيت حوض من
رخام بميزاب من نحاس يصب فيه الماء وبين يدي هذه البيوت قاعة فسحة متسعة فيها رمل مفروش بها
وفي جانبها حوض كبير من رخام يصب فيه ماء من ميزاب كبير فاذا أراد سائس سبع من تلك السباع تنظيف
بيته او وضع وظيفة اللحم التي لغذائه رفع الباب بحيلة من اعلى البيت وصاح بالسبع فيخرج الى القاعة
المذكورة ويرد الباب ثم ينزل الى البيت من الطاق فيكنس الزبل ويبدل الرمل بغيره مما هو تنظيف ويضع
الوظيفة من اللحم في مكان معد لذلك بعد ما يخلص ما فيه من الغدر ويقطعه لهما ويغسل الحوض ويملاؤه ماء ثم
يخرج ويرفع الباب من اعلاه وقد عرف السبع ذلك فحال ما رفع السائس باب البيت دخل اليه الاسد فأكل
ما هي له من اللحم حتى يستوفيه ويشرب من الماء ككفايته فكانت هذه البوابة من السباع ولهم اوقات يفتح
فيها سائر بيوت السباع فيخرج الى القاعة وتمشي فيها وتمرح وتلعب ويهاش بعضها بضعها فاقسم يوماً كاملاً
الى العشى فيصحب بها السقاس فيدخل كل سبع الى بيته لا يتخطاه الى غيره وكان من جملة هذه السباع سبع
ازرق العينين يقال له زريق قد انس بخمارويه وصار مطلقاً في الدار لا يؤذى احد او يقام له بوظيفته من الغذاء
في كل يوم فاذا انصبت مائدة بخارويه اقبل زريق معها وربض بين يديه فرمى اليه بيده الدجاجة بعد الدجاجة
والفضلة الصالحة من الجدى ونحو ذلك مما على المائدة فينفكه به وكانت له بومة لم تستأنس كما انس
فكانت مقصورة في بيت ولها وقت معروف يجتمع معها فيه فاذا نام بخارويه جاء زريق ليجرسه فان كان قد نام
على سرير ربض بين يدي السرير وجعل يراعيه مادام نائماً وان كان انما نام على الارض بقي قريبا منه وتظن
لمن يدخل ويقصد بخارويه لا يغفل عن ذلك لحظة واحدة وكان على ذلك دهره قد ألف ذلك ودرب عليه وكان
في عنقه طوق من ذهب فلا يقدر أحد أن يدنو من بخارويه مادام نائماً لمراعاة زريق له وحر استه اياه حتى
اذا شاء الله انفاذ قضائه في بخارويه كان بدمشق وزريق غائب عنه بمصر ليعلم انه لا يغني حذر من قدر وبني
ايضاً دار الحرم ونقل اليها امهات اولاديه مع اولادهن وجعل معهم المعزولات من امهات اولاده وافرد
لكل واحدة حجرة واسعة نزل في كل حجرة منها بعد زوال دولتهم فأنشد جليل فوسعته وفضل عنه منها شيء وأقام

لكل حجرة من الانزال والوظائف الواسعة ما كان يفضل عن اهلها منه شيء كثير فكان الخدم الموكلون بالحرم من الطباخين وغيرهم يفضل لكل منهم مع كثرة عددهم بعد التوسع في قوته الزلة الكبيرة والتي فيها العدة من الدجاج فنها ما قطع فخذها ومنها ما قد تشعب صدرها ومن القراخ مثل ذلك مع القطع الكبار من الجدى ولحوم الضأن والعدة من ألوان عديدة والقطع الصالحة من القالودج والكثير من اللوزنج والقطائف والهراس من العصيدة التي تعرف اليوم في وقتنا هذا بالمامونية وأشياء ذلك مع الارغفة الكبار واشتهر بمصر ببعضهم لذلك وعرفوا به فكان الناس يتناولونهم لذلك واكثر ما تباع الزلة الكبيرة منها بدرهمين ومنها ما يباع بدرهم فكان كثير من الناس يتفكحون من هذه الزلات وكان شياء موجودا في كل وقت لكثرة واتساعه بحيث ان الرجل اذا طرقه ضيف خرج من فوره الى باب دار الحرم فيجد ما يشتره ليتجمل به لضيفه مما لا يقدر على عمل مثله ولا يتهيأ له من اللعوم والقراخ والدجاج والحلوى مثل ذلك واتسعت ايضا اصطبلات خارويه فعمل لكل صنف من الدواب اصطبلا مفردا فكان للخيال الخاص اصطبل مفرد والدواب الغلمان اصطبلات عدة ولبغال القباب اصطبلات ولبغال النقل غير بغال القباب اصطبلات وللتجائب والبخافي اصطبلات لكل صنف اصطبل مفرد للاتساع في المواضع والتفنن في الاثقال وعمل للتوردارا مفردة وللفهود دارا مفردة وللغيلة دارا وللزرافات دارا كل ذلك سوى الاصطبلات التي بالجيزة فانه كان له في عدة ضياع من الجيزة اصطبلات مثل نيا ووسيم وسفط وطهر من وغيرها وكانت هذه الضياع لا تزرع الا القروط برسم الدواب وكان للخليفة ايضا بمصر اصطبلات سوى ما ذكرته فيها الخيل حلبية السباق ولرباط في سبيل الله تعالى برسم الغزو وكان لكل دار من الدور المذكورة ولكل اصطبل وكلاء لهم الرزق السنوي والوظائف الكثيرة والاموال المتسعة وبلغ رزق الجيش في ايام خارويه تسعمائة ألف دينار في كل سنة وقام مطبخه المعروف بمطبخ العامة بثلاثة وعشرين ألف دينار في كل شهر سوى ما هو موظف بخواريه وأرزاق من يخدمه من يتصرف في حوائجهم وكان قد اتخذ لنفسه من ولد الخوف وشنازة الضياع قوما معروفين بالشجاعة والبأس لهم خلق عظيم تام وعظم اجسام وأدر عليهم الارزاق ووسع لهم في العطاء وشغلهم عما كانوا فيه من قطع الطريق واذية الناس بخدمته والبسهم الاقبية وجواشن الديباج وصاغ لهم المناطق العراض الثقيل وقلدهم السيوف الحلاة يضعونها على اكافهم فاذا مشوا بين يديه وموكبه على ترتيبه ومضت اصناف العسكر وطوائفه تلاهم السودان وعدتهم ألف اسود لهم درق من حديد محكم الصنعة وعلهم اقبية سود وعمائم سود فيخالهم الناظر اليهم بحرا أسود يسير لسواد الوانهم وسواد ثيابهم ويصير لبريق درقهم وحلى سيفهم والبيض التي تلمع على رؤسهم من تحت العمائم زى بهج فاذا مضى السودان قدم خارويه وقد انفرد عن موكبه وصار بينه وبين الموكب نحو نصف غلوة سهم والمختارة تحفه وكان تام الظهر وبركب فرسا تاما فيصير كاللكوكب اذا قبل لا يتخفى على احد كانه قطعة جبل في وسط المختارة وكان مهابا ذا سطوة وقد وقع في قلوب الكافة انه متى اشار اليه احد باصبعه او تكلم او قرب منه لحقه مكره عظيم فكان اذا قبل كما ذكرنا لا يسمع من احد كلمة ولا سعة ولا عطسة ولا نخرة البتة كما نعا على رؤسهم الطير وكان يتقلد في يوم العيد سيفا بجماثل ولا يزال يتفرج ويتزده ويخرج الى مواضع لم يكن ابوه يمش اليها كالا هرام ومدينة العقاب ونحو ذلك لاجل الصيد فانه كان مشغوبا به لا يكاد يسمع بسمع الاقصده ومعه رجال عليهم لبود فيدخلون الى الاسد ويتناولونه بأيديهم من غايه غنوة وهو سليم فيضعونه في اقصاص من خشب محكمة الصنعة يسع الواحد منها السبع وهو قائم فاذا قدم خارويه من الصيد سار القفص وفيه السبع بين يديه وكانت حلبية السباق في ايامهم تقوم مقام الاعياد لكثرة الزينة وركوب سائر الغلمان والعساكر على كثرتهم بالسلاح التام والعدد الكامل فيجلس الناس لمشاهدة ذلك كما يجلسون في الاعياد وتطلق الخيل من غايتهما فتمتفاوتة يقدم بعضها بعضا حتى يتم السبق قال القاضي المنظر بناه احمد بن طولون في ولايته لعرض الخيل وكان عرض الخيل من عجائب الاسلام الاربعة التي منها هذا العرض ورمضان بمكة والعيد كان بطرسوس والجمعة ببغداد في هذه الاربعة شهر رمضان بمكة والجمعة ببغداد وذهبت اثنتان قال كاتبه وقد ذهبت الجمعة ببغداد ايضا بعد القاضي بقتل هولاكو للخليفة المستعصم وزوال شعائر الاسلام من العراق وبقيت مكة شرفها

الله تعالى وليس في شهر رمضان الآن بها ما يقال فيه انه من عجائب الاسلام ولما تكامل عز خبارويه وانتهى
أمره بدا يسترجع منه الدهر ما أعطاه فأول ما طرقه موت حظيته بوران التي من اجلها بنى بيت الذهب
وصور فيه صورته وصورته كما تقدم وكان يرى أن الدين لا تطيب له الا بسلا متها وبظرة اليها وتمتع بها فكدر
موتها عيشه وانكسر انكسار ابان عليه ثم انه اخذ في تجهيز ابنته فجهزها جهازا ضاهى به نعم الخلافة فلم يبق خطيرة
ولا طرفة من كل لون وجنس الاحلام معها فكان من جلته ذكرا ربيع قطع من ذهب عليها قبسة من ذهب مشبك
في كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة جوهر لا يعرف لها قيمة ومائة هون من ذهب * قال القاضي وعقد
المعتضد النكاح على ابنته يعني ابنة خبارويه قطر الندى فحملها ابو الجليس خبارويه مع عبد الله بن الخصاص
وحمل منها ما لم ير مثله ولا يسمع به ولما دخل اليه ابن الخصاص يودعه قال له خبارويه هل بقي بيني وبينك حساب
فقال لا فقال انظر حسابك فقال كسر بيني من الجواهر فقال أحضره فاخرج ربيع طومار فيه ست ذكرا النفقة
فاذا هي اربعمائة ألف دينار قال محمد بن علي - المادرائي - فنظرت في الطومار فاذا فيه وألف تكة الثمن عن عشرة
آلاف دينار فأطلق له الكل * قال القاضي وانما ذكرت هذا الخبر لتستدل به على اشياء منها سبعة نفس ابى
الجليس ومنها كثرة ما كان يملكه ابن الخصاص حتى انه قال كسر بيني من الجواهر وهو اربعمائة ألف دينار
لولا يقتضيه ذلك لم يذكره ومنها يسر ذلك الزمان لما طلب فيه ألف تكة من اثمان عشرة دنائير قدر عليها
في ايسر وقت وبأهون سعي ولو طلب اليوم خسون لم يقدر عليها قال كاتبه ولا يعرف اليوم في اسواق القاهرة
ومصر تكة بعشرة دنائير اذا طلبت توجد في احوال ولا بعد شهر الا أن يتعنى بعملها فتعمل ولما فرغ خبارويه من
جهاز ابنته امر فبنى لها على رأس كل مرحلة تنزل بها قصر غيايين مصر وبغداد وأخرج معها اخاه شيبان بن
احمد بن طولون في جماعة مع ابن الخصاص فكانوا يسيرون بها سير الطفل في المهد فاذا وافى المنزل وجدت
قصرا قد فرش فيه جميع ما يحتاج اليه وعلقت فيه الستور وأعد فيه كل ما يصلح لمثلها في حال الإقامة فكانت
في مسيرها من مصر الى بغداد على بعد الشقة كأنها في قصر ابيها تنقل من مجلس الى مجلس حتى قدمت بغداد
أول المحرم سنة اثنين وعشرين ومائتين فزفت على الخليفة المعتضد وبعد ذلك قتل خبارويه بدمشق وكانت مدة بني
طولون بمصر سبعة وثلاثين سنة وستة اشهر واثنين وعشرين يوما وولى منهم خمسة امراء اولهم (احمد بن طولون)
ولى مصر من قبل المعتز على صلاتها فدخل يوم الخميس لسبع بقين من شهر رمضان سنة اربع وخمسين ومائتين
وخرج بغيا الاصفر وهو احمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا فيما بين برقة والاسكندرية في جمادى الاولى سنة خمس
وخمسين وسار الى الصعيد فقتل في الحرب وحمل رأسه الى القضاة لاحدى عشرة بقيت من شعبان وخرج ابن
الصوفي العلوي وهو ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب ودخل اسنا في ذي
القعدة فقتل وقاتل فبعث اليه ابن طولون جيشا نهزم الجليس في ربيع الأول سنة ست وخمسين فبعث بجيش آخر
فواقعه باخيم في ربيع الآخر فانهمز ابن الصوفي الى الواح فأقام به وخرج احمد بن طولون يريد حرب عيسى بن
الشيخ ثم عاد فابتدأ في بناء الميدان وقدم العباس وخبارويه ابنا احمد بن طولون من العراق على طريق مكة
سنة تسبع وخمسين وورد كتاب ماجور بتسلم احمد بن طولون الاعمال الخارجة عن يده من أرض مصر فتسلم
الاسكندرية وخرج اليها لثمان خلون من شهر رمضان واستخلف طفج صاحب الشرط ثم قدم لاربع عشرة بقيت
من شوال وسخط على اخيه موسى وأمره بلباس البياض وخرج الى الاسكندرية ثانيا لثمان بقين من شعبان سنة
تسع وخمسين واستخلف ابنه العباس وقدم لثمان خلون من شوال وأمر ببناء المسجد الجامع على الجبل في صفر
سنة تسع وخمسين وبناء المارستان للمرضى وورد كتاب العمدة يستحثه في حل الاموال فكتب اليه لست اطبق
ذلك والخراج بيد غيري فأنفذ المعتمد نفيسا الخادم بتقليد احمد بن طولون الخراج وبولايته على الثغور السامية
فاقر بااوب احمد بن محمد بن شجاع على الخراج خليفة له عليه وعقد لطخشي بن بلرد على الثغور فخرج في جمادى
الاولى سنة اربع وستين وتقدم ابو احمد الموفق الى موسى بن بغيا في صرف احمد بن طولون وتقليد ما ماجور
التركي والى دمشق فكتب اليه بذلك فتوقف ليجزه عن مقاومة ابن طولون فخرج موسى بن بغيا ونزل الرقة فبلغ
ابن طولون انه سائر اليه فابتدأ في بناء الحصن بالجزيرة ليكون معقلا له وحرمة في سنة ثلاث وستين واجتهد
في عمل المراكب الحربية وأطافها بالجزيرة فأقام موسى بالربعة عشرة اشهر واضطربت اموره ومات في صفر سنة

اربع وستين ومات ماجور بدمشق واستخلف ابنه علي بن ماجور فترك ذلك احمد بن طولون على المسير وكتب الى ابن ماجور انه سائر اليه وامره باقامة الانزال والميرة فأجاب بجواب حسن وشكا اهل مصر الى ابن طولون ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة بجنده وسودانه فأمر ببناء المسجد الجامع بجبل يشكر فابتدأ بنيانه في سنة أربع وتم في سنة ست وستين ومائتين وخرج في جيوشه لثمان بقين من شعبان سنة أربع وستين واستخلف ابنه العباس وضم اليه احمد بن محمد الواسطي مدبر اوويزر ابلغ الرملة وتلقاه محمد بن رافع واليها وأقام له بها الدعوة فأقره ومضى الى دمشق فلقاه علي بن ماجور وأقام له بها الدعوة فأقام بها حتى استوثق له امرها ومضى الى حصن قنسليمها وبعث الى سيما الطويل وهو باطناكية يأمره بالدعاه فأتى فسار اليه في جيش عظيم وحاصره ورماه بالجانيق حتى دخلها في المحرم سنة خمس وستين فقتل سيما واستباح امواله ورجاله ومضى الى طرسوس فدخلها في ربيع الاول فضاقت به وغلا السعر بها فتابذ اهلها فقاتلهم وأمر أصحابه أن ينهزموا عن اهل طرسوس ليبلغ طاغية الروم فيعلم أن جيوش ابن طولون مع كثرتها وشدها لم تقم لاهل طرسوس فانهزموا وخرج عنهم واستخلف عليا طخشي فورد الخبر عليه بأن ابنه العباس قد خالف عليه فازعجه ذلك وسار يخاف العباس وقيد الواسطي وخرج بطائفته الى الجزيرة لثمان خلون من شعبان سنة خمس وستين ومائتين فعسكر بها واستخلف أخاه ربيعة بن احمد وأظهر أنه يريد الاسكندرية وسار الى برقة فقدم احمد بن طولون من الشام لاربع خلون من رمضان فأخذ القاضي بكار بن قتيبة في نهر بكتابه الى العباس فسار واليه ببرقة فأتى أن يرجع وعاد بكار في اول ذي الحجة ومضى العباس يريد افر بقتية في جادى الاولى سنة ست وستين فذهب لبلدة وقتل من اهلها عدة وضجت نساؤهم فاجتمع عليه جيش ابن الاعلب والاباضية فقاتلهم بنفسه وحسن بلاؤه يومئذ وقال

لله درى اذا أعدوا على فرسى * الى الهياج ونار الحرب نستعر
وفي يدي مارم افرى الرأس به * في حذو الموت لا يبق ولا يذر
ان كنت سائلة عنى وعن خبرى * فها أنا الليث والصمصامة الذكر
من آل طولون اصلى ان سألتها * فوق لمقتصر بالحدود مفتخر
لو كنت شاهدة كرى بليدة اذ * بالسيف اضرب والهجمات تبذر
اذا العاينت منى ما تبادره * عنى الاحاديث والانباء والخبر

وقتل يومئذ صناديد عسكره ووجوه أصحابه ونهب امواله وفز الى برقة في ضر وعقد احمد بن طولون على جيش وبعث به الى برقة في رمضان سنة سبع وستين ثم خرج بنفسه في عسكر عظيم يقال انه بلغ مائة ألف لثني عشرة خلت من ربيع الاول سنة ثمان وستين فأقام بالاسكندرية وفز اليه احمد بن محمد الواسطي من عند العباس فصغر عنده أمر العباس فعقد على جيش سيره الى برقة فواقعوا اصحاب العباس وجزمهم وقتلوا منهم كثيرا وأدركوا العباس لاربع خلون من رجب وعاد احمد الى القسطنطينية ثلاث عشرة خلت منه وقدم العباس والاسرى في شتال ثم اخرجوا اول ذي القعدة وقد بنيت لهم دكة عالية فضربوها وألقوا من اعلاها ثم بعث بلؤلؤ في جيش الى الشام فخالف على احمد ومال مع الموفق وصار اليه فخرج احمد واستخلف ابنه خمارويه في صفر سنة تسع وستين فقتل دمشق ومعه ابنه العباس متيدا فخالف عليه اهل طرسوس فخرج يريد محاربته ثم توقف لورود كتاب المعتقد عليه أنه قادم عليه ليلتجئ اليه فخرج كالمصيد من بغداد وتوجه نحو الرقة فبلغ أبا احمد الموفق مسيره وهو محارب لصاحب الزنج فعمل عليه حتى عاد الى سامرا واكل به جماعة وعقد لاسحق بن كنداح الخزري على مصر فبلغ ذلك ابن طولون فرجع الى دمشق وأحضر القضاة والفقهاء من الاعمال وكتب الى مصر كتابا فرى على الناس بأن أبا احمد الموفق فكث بيعة المعتقد وأمره في دار احمد بن الخصيب وان المعتقد قد صار من ذلك الى ما لا يجوز ذكره وانه بكى بكاء شديدا فلما خطب الخطيب يوم الجمعة ذكر ما نيل من المعتقد وقال اللهم فاكفه من حصره وظله وخرج من مصر بكار بن قتيبة وجماعة الى دمشق وقد حضر أهل الشامات والنعور فأمر ابن طولون بكتاب فيه خلع الموفق من ولاية العهد لخالفه المعتقد وحصره اياه وكتب فيه ان ابا احمد الموفق خلع الطاعة وبرئ من الذمة فوجب جهاده على الامة وشهد على ذلك جميع من حضر الابكار بن قتيبة

وآخرين وقال بكار لم يصح عندي ما فعله ابو اجد ولم اعلمه وامتنع من الشهادة وانخلع وكان ذلك لاحدى عشرة خلت من ذى القعدة فبلغ ذلك الموفق فكتب الى عماله بلعن احمد بن طولون على المنابر فلعن عليها بما صيغته اللهم العنه لعنايقل حده ويتعس جده واجعله مثالا للغابرين انك لاتصلح عمل المفسدين ومضى احمد الى طرسوس فنارزها وكان البرد شديدا ثم رحل عنها الى اذنة وسار الى المصيصة فنزلت به على الموت فأعد السير يريد مصر حتى بلغ القرما فركب النيل الى القسطنطينية فدخل لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة سبعين وأوقف بكار بن قتيبة وبعث به الى السجن وتزايدت به العلة حتى مات ليلة الاحد لعشر خلون من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين فلما بلغ المعتمد موته اشتد وجده وجرعه عليه وقال يرثيه

الى الله اشكوا سي * عراقى كوقع الاسل * على رجل اروع * يرى منه فضل الوجمل

شهاب خبا وقده * وعارض غيث افل * شكت دولتى فقهه * وكان يزين الدول

فقام بعده ابنه (ابو الجيش خارويه) بن احمد بن طولون وباعه الجند يوم الاحد لعشر خلون من ذى القعدة فأمر بقتل اخيه العباس لامتناعه من مبايعته وعقد لابي عبد الله احمد الواسطى على جيش الى الشام لست خلون من ذى الحجة وعقد لسعد الاعسر على جيش آخر وبعث بمراكب في البحر لتقيم على السواحل الشمالية قتل الواسطى فلسطين وهو خائف من خارويه أن يوقع به لانه كان اشار عليه بقتل اخيه العباس فكتب الى ابي احمد الموفق يصغرا من خارويه ويحترسه على المسير اليه فأقبل من بغداد وانضم اليه اسحق بن كنداح ومحمد بن ابي الساج ونزل الرقة قسم قنسرين والعواصم وسار الى شيرز فقاتل اصحاب خارويه وهزمهم ودخل دمشق فخرج خارويه في جيش عظيم لعشر خلون من صفر سنة احدى وسبعين فالتقى مع احمد بن الموفق بنهر ابي بطرس المعروف بالطواحين من ارض فلسطين واقتتلا فانهمز اصحاب خارويه وكان في سبعين ألفا وابن الموفق في نحو أربعة آلاف واحتوى على عسكر خارويه بما فيه ومضى خارويه الى القسطنطينية وأقبل كمين له عليه سعد الاعسر ولم يعلم بهزيمة خارويه فخارب ابن الموفق حتى ازاله عن المعسكر وهزمه اثني عشر ميلا ومضى الى دمشق فلم يفتح له ودخل خارويه الى القسطنطينية لثلاث خلون من ربيع الاول وسار سعد الاعسر والواسطى فلكا دمشق وخرج خارويه من مصر لسبع بقين من رمضان فوصل الى فلسطين ثم عاد لاثنتي عشرة بقيت من شوال ثم خرج في ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين فقتل سعد الاعسر ودخل دمشق لسبع خلون من المحرم سنة ثلاث وسبعين وسار لقتال ابن كنداح فكانت على خارويه فانهمز اصحابه وثبت هو في طائفة فهزم ابن كنداح واتبعه حتى بلغ اصحابه سر من رأى ثم اصطلحا وتظاهرا واقبل الى خارويه فأقام في عسكره ودعاه في اعماله التي بيده وكتب خارويه ابا احمد الموفق في الصلح فأجابته الى ذلك وكتب له بذلك كتابا فورد عليه به فالتق الخدام الى مصر في رجب ذكر فيه أن المعتمد والموفق وابنه كبوه بأيديهم وبولاية خارويه وولده ثلاثين سنة على مصر والشامات ثم قدم خارويه سلخ رجب فأمر بالدعاء لابي احمد الموفق وترك الدعاء عليه وجعل على القطالم بمصر محمد بن عبدة بن حرب وبلغه مسير محمد بن ابي الساج الى اعماله فخرج اليه في ذى القعدة ولقبه شعبة العقاب من دمشق فانهمز اصحاب خارويه وثبت هو فخاربه حتى هزمه أخيه هزيمة وعاد الى مصر فدخلها لست بقين من جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ثم خرج الى الاسكندرية لاربع خلون من شوال وورد الخبر أنه دعى له بطرسوس في جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين وخرج الى الشام لسبع عشرة من ذى القعدة ومات الموفق في سنة ثمان وسبعين ثم مات المعتمد في رجب سنة تسع وسبعين وبويع المعتمد ابو العباس احمد بن الموفق فبعث اليه خارويه بالهدايا وقدم من الشام لست خلون من ربيع الاول سنة ثمانين فورد كتاب المعتمد بولاية خارويه على مصر هو وولده ثلاثين سنة من الفرات الى برقة وجعل له الصلات والخراج والقضاء وجميع الاعمال على أن يحمل في كل عام مائتي ألف دينار عما مضى وثلثمائة ألف للمستقبل ثم قدم رسول المعتمد بالخلع وهي اثنا عشرة خلعة وسيف وتاج ووشاح مع خادم في رمضان وعقد المعتمد نكاح قطر الندى بنت خارويه في سنة احدى وعشرين وفيها خرج خارويه الى نزهته يربوط في شعبان ومضى الى الصعيد فبلغ سيوط ثم رجع من الشرق الى القسطنطينية فخرج الى الشام ثمان خلون من شعبان سنة اثنتين وعشرين فأقام بنية الاصمغ ومنية مطر ثم رحل حتى اتى دمشق فقتل بها على فراشه ذبحه جواربه

وخدمه وحل في صندوق الى مصر وكان لدخول تابوته يوم عظيم واستقبله جواربه وجواري غلمانه ونساء
قواده ونساء القطائع بالصياح وما يصنع في المآتم وخرج الغلمان وقد حاولوا قيبتهم وفيهم من سود ثيابه وشققها
وكانت في البلد ضخمة عظيمة وصرخة تنفع القلوب حتى دفن وكانت مدته اثنتي عشرة سنة وثمانية عشر يوما
ثم ولي (ابو العساكر جديش بن خارويه) بن احمد بن طولون الليلة بقيت من ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين
وما تين بدمشق فسار الى مصر واشتمل على امورا انكرت عليه فاستوحش من عظماء الجند وتنكر لهم فخافوه
ودأبوا في الفساد فخرج متنزها الى منية الاصبع فقر جاعة من عظماء الدولة الى المعتضد وخلعه احمد بن طغان
وكان على الثغر وخلعه طنج بن جف بدمشق فوثب جيش على عمه مضر بن احمد بن طولون فقتله فوثب عليه
الجيش وخلعوه وجعلوا الفقهاء والقضاة قتيلا من بيعته وحلهم منها وكان خلعه لعشر خلون من جادى
الآخر سنة ثلاث وثمانين فولى ستة اشهر واثني عشر يوما ومات في السجن بعد ايام ثم ولي (ابو موسى هرون
ابن خارويه) يوم خلع جيش فقام طائفة من الجند وكاتبوا ربيعة بن احمد بن طولون وكان بالاسكندرية
ودعوه ووعدوه بالقيام معه فجمع جمعا كثيرا من اهل البحيرة ومن البربر وغيرهم وسار حتى نزل ظاهر فسطاط
مصر فغذله القوم وخرج اليه القواد فقاتلوه واسروه لاحدى عشرة ليلة خلت من شعبان سنة اربع وثمانين
وضرب ألف سوط ومائتي سوط فمات المعتضد في ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وبويع ابنه محمد المكتفي
بالله وخرج القرمطي بالشام في سنة تسعين فخرج القواد من مصر وخاربه فنهزمهم وبعث المكتفي محمد بن
سليمان الكاتب فقتل حص وبعث بالمرالكب من الثغر الى سواحل مصر وأقبل الى فلسطين فخرج هارون يوم
التروية سنة احدى وتسعين وسير المراكب الحربية فالتقوا بمرالكب محمد بن سليمان في تنيس فغلبوا ولت اصحاب
محمد بن سليمان تنيس ودمياط فسار هرون الى العباسية ومعه اهله وأعمامه في ضيق وجهه ففرق عنه كثير من
اصحابه وبقي في نهر يسير وهو متشاغل باللهو فأجمع عماء شيبان وعدى ابنا احمد بن طولون على قتله فدخل عليه
وهو نائم فقتله ليلة الاحد لاحدى عشرة بقيت من صفر سنة اثنتين وتسعين وسنه يوم ثمانين وعشرون سنة
فكانت ولايته ثمان سنين وثمانية اشهر وأياما ثم ولي (شيبان بن احمد بن طولون) ابو المواقيت لعشرين من
صفر فرجع الى القسطنطين وبلغ طنج بن جف وغيره من القواد قتل هرون فأنكروه وخالفوا على شيبان وبعثوا
الى محمد بن سليمان فأمنهم وحز كوه على المسير الى مصر فسار حتى نزل العباسية فلقية طنج في ناس من القواد
كثير فساروا به الى القسطنطين وأقبل اليهم عامة اصحاب شيبان فخاف حينئذ شيبان وطلب الامان فأمنه محمد بن
سليمان وخرج اليه لليلة خلت من ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكانت ولايته اثني عشر يوما
ودخل محمد بن سليمان يوم الخميس اول ربيع الاول فأتى النار في القطائع ونهب اصحابه القسطنطين وكسروا
السجون وأخرجوا من فيها وجمعوا الدور واستباحوا الحرم وهتكوا الرعية واقتضوا الابكار وساقوا
النساء وفعلوا كل قبيح من اخراج الناس من دورهم وغير ذلك وأخرج ولد احمد بن طولون وهم عشرون انسانا
واخرج قواده فلم يبق بمصر منهم احديذ كروخلت منهم الديار وعفت منهم الاثام وتغطت منهم المنازل وحل
بهم الذل بعد العز والتطريد والتشريد بعد اجتماع الشمل ونصرة الملك ومساعدة الايام ثم سبق اصحاب شيبان
الى محمد بن سليمان وهو راكب فذبحوا بين يديه كما تذبح الشياه وقتل من السودان سكان القطائع خلقا كثيرا
فقال احمد بن محمد الحبشي

الحمد لله اقرارا بما وهبنا * قدلم بالامن شعب الحق فانشعبا
الله اصدق هذا الفتح لا كذب * فسوء عاقبة المثوى لمن كذبا
فتح به فتح الدنيا محمد هدا * وفتح الظلم والاضلام والكربا
لا ريب رب هياج يقتضي دعة * وفي القصاص حياة تذهب الريسا
رمى الامام به عذراء غادره * فاقض عذرتهم بالسيف واقضبا
محمد بن سليمان اعزهمهم * نفساوا كرمهم في الذاهبين أبا
سرى بأسد الثمري لولم يروا بشرا * اضحى عربتهم الخطى لا القضا
جتم القضاء على اليموم حين اتوا * مثل الزبا يتحون الزيبة الذابا

ايها علوت على الايام مرتبة * اباعلى ترى من دونها الرتبة
لما طال بنو طولون خطبتهم * من الخطوب وعافت منهم الخطبا
هارت بهارون من ذكر الكبقعة * وشيب الرعب شيئا واوقدر عبا
وكم ترى لهم من جنة اتف * ومن نعيم جنى من غدرهم عطا
فأصبحوا لا ترى الامساكهم * كانوا من زمان غابر ذهبوا
وقال احمد بن يعقوب

ان كنت تسال عن جلالة ملكهم * فارنع وعج بمراج المبدان
وانظر الى تلك القصور وما حوت * واسرح بزهرة ذلك البستان
وان اعتبرت فقيه ايضا عبرة * تنبيك كيف تصرف العصران
يا قتل هرون اجتنت اصولهم * واشتت رأس اميرهم شيان
لم يغن عنكم بأس قيس اذا غدا * في جفيل بلج ولا غسان
ومعديه البطل الكفى وغرر * لم ينصرا بأخيم ما عدنان
زفت الى آل النبوة والهدى * وتمزقت عن شيعه الشيطان
وقال اسمعيل بن ابي هاشم

قف وقفة بقباب باب الساج * والقصر ذى الشرفات والابراج
وربوع قوم ازجوا عن دارهم * بعد الاقامة ايما ازعاج
كانوا مصايحا لذي ظلم الدجى * يسرى بها السارون فى الادلاج
وكان اوجههم اذا ابصرتها * من فضة يضاء او من عاج
كانوا اليونا لا يرام حاهم * فى كل ملحة وكل هياج
فانظر الى آثارهم تلقى لهم * علما بكل نية وفجاج
وعليهم ما عشت لادع البكا * مع كل ذى نظر وطرف ساجي
وقال سعيد القاص

تجرى دمعته ما بين سحر الى فجر * ولم يجرح حتى اسلمته يد الصبر
وبات وقيد الذى خامر الحشا * بين كما أن الاسير من الاسر
وهل يستطيع الصبر من كان ذا نسي * بيت على جر ويضحي على جر
تتابع أحداث يضعن صبره * وغدر من الايام والدهر ذو غدر
اصاب على رغم الانوف وجدعها * ذوى الدين والدنيا بقاصمة الظاهر
طوى زينة الدنيا ومصباح اهلها * بفقد بنى طولون والانجم الزهر
وفقد بنى طولون فى كل موطن * أمر على الاسلام قدام القطر
فبادوا وأنجوا بعد عز ومنعة * احاديث لا تخفى على كل ذى حجر
وكان ابو العباس احمد ما جدا * جميل المحيا لا بيت على وتر
كان لىالى الدهر كانت لحسنها * واشرافها فى عصره لبلة القدر
يدل على فضل ابن طولون همة * محلاقة بين السماكين والغفر
فان كنت تبغى شاهدا اذا عدالة * يخبر عنه بالجلي من الامر
فبالجبل الغربى خطه يشكر * له مسجد يغنى عن المنطق الهذر
يدل ذوى الالباب أن بناءه * وبانيه لا بالفضين ولا الغمر
يتباه باجتر وساج وعرعر * وبالممر المستون والجص والخمر
بعيد مدى الاقطار سام بناؤه * وثيق المباني من عقود ومن جدر
فسبح وحاب يحصر الطرف دونه * رقيق نسيم طيب العرف والنشر

وتنور فرعون الذى فوق قله * على جبل عال على شاطئ وعبر
 بنى مسجدا فيه يروق بناؤه * ويهذى به فى الليل ان ضل من يسرى
 فخال سنا قنديه وضياءه * سهيلا اذا ملاح فى الليل للسفر
 وعين معين الشرب عين زكية * وعين اجاج للرواة وللظهر
 كأن وفود النيل فى جنباتها * تروح وتغدو بين مد الى جزر
 فأركبها مستنبطا لمعينها * من الارض من بطن عميق الى ظهر
 بناء لوان الجن جاءت بمنـله * لقبل لقد جاءت بمستفطع نكر
 يمر على ارض المغافر كلها * وشعبان والاحور والحي من بشر
 قبائل لانوء الصحاب يمدّها * ولا النيل يرويه ولا جدول يجرى
 ولا تنس مارستانه واتساعه * وتوسعة الارزاق للعول والشهر
 وما فيه من قوامه وكمفاته * ورقتهم بالمعتفين ذوى الفقر
 فلميت المقبور حسن جهازه * ولحي رفق فى علاج وفى جبر
 وان جئت رأس الجسر فانظرتا متلا * الى الحصن اوقاعه اليه على الجسر
 ترى أثرا لم يبق من يستطيعه * من الناس فى بدو البلاد ولا حضر
 ما نزل تبلى وان باد أهلها * ومجدي يودى وارثه الى الفخر
 لقد ضمن القبر المقدر ذرعه * اجل اذا ما قيس من قتي حجر
 وقام ابو الجيش ابنه بعد موته * كما قام ليث الغاب فى الاسل السمر
 اتته المنايا وهو فى أمن داره * فأصبح مساوبا من النهى والامر
 كذا اللبالي من اعارته بهجة * فيالك من ناب حديد ومن ظفر
 وورث هرون ابنه تاج ملكه * كذا ابو الاشبال ذوالناب والهصر
 وقد كان جيش قبله فى محله * ولكن جيشا كان مستقصرا العمر
 تمام بأمر الملك هارون مدة * على كظ من ضيق باع ومن حصر
 وما زال حتى زال والدهر كاشح * عقارب من كل ناحية تسرى
 تذكروهم لما مضوا اقتابعوا * كما ارفض سلائم جان ومن شذر
 فنيلك شياض من بعد أهله * لفقد هم فليبك حزنا على مصر
 لبك بنى طولون اذ بان عصرهم * قبورك من دهر وبورك من عصر
 وقال ايضا

من لم ير الهدم للميدان لم يره * تبارك الله ما على واقدره
 لوان عين الذى انشاء تبصره * والحادثات تعاديه لا كبره
 كانت عيون الورى تعشوا لهيبته * اذا اضاف اليه الملك عسكره
 أين الملوك التى كانت تحل به * وابن من كان بالانفاذ دبره
 وابن من كان يحكمه ويحرسه * من كل ليث يهاب الليث منظره
 صاح الزمان بمن فيه فقرقهم * وحطرب البلى فيه فدعثره
 وأخلق الدهر منه حسن جدته * مثل الكتاب محاصر ان اسطره
 دكت مناظره واجتث جوسقه * كأنما الخسف فاجاه فدعثره
 اوهب اعصار نار فى جوانبه * فعادم معروفه لعين منككره
 كم كان يأوى اليه فى مقاصره * احوى اغن غصيص الطرف احوره
 كم كان فيه لهم من مشرب غدق * فعب صرف الردى فيه فكثره
 اين ابن طولون بانيه وساكنه * امانه الملك الاعلى فأقبره

ما أوضح الامر لو صحت انسا فكر * طوبى لمن خصه رشده فذكره
وقال احمد بن اسحق الجفري

واذا ما اردت العجوبة الدهر تراها فانظر الى الميدان
تنظر البين والهجوم وانوا عاوت اليه من الاشجان
يعلم العالم المبصر أن الدهر فيما يراه ذو ألوان
اين ما فيه من نعيم ومن عيش رخي ونضرة وحسان
اين ذاك المسك الذي ديف بالعنبر مجتا وعل بالزعفران
اين ذاك الخبز المضاعف واللوثى وما استخلصوا من الكنان
اين تلك القيان تشدو على العر من بما استحسنوا من الالحان
حوز الدهر آل طولون في هوة فقر مسكونها غير دان
واعاض الميدان من بعد أهليه ذبا تاعوى بتلك المغاني

ثم امر الحسين بن احمد المادرائي متولى خراج مصر بدم الديوان فابتدى في هدمه في شهر رمضان سنة ثلاث
ونسعين ومائتين وبيع ثمنه ثمانية مائة دينار * فقال محمد بن طسويه

وكان الميدان تكلى اصيبت * بحبيب قد ضاع ليله عرس
تتغشى الريح منه محلا * كن للصون في ستور الدمقس
وبفرش الاضريح والبسط الديكاج في نعمة وفي لين لمس
ووجوه من الوجوه حسان * وخذود مثل اللآلئ ملنس
كل فجلاء كالغزال وبجلا * ورداح من بين حور واعن
آل طولون كنتم زينة الارض فأضحي الجديدا هدام لفس

وقال ابن ابى هاشم

يا منزلا لبني طولون قد دثرا * سقالت صرف الغواوى القطر والمطر
يا منزلا صرت اجفوه وأهجره * وكان يعدل عتدي السمع والبصر
بأنه عندك علم من احبنا * ام هل سمعت لهم من بعدنا خيرا
وقال

ألا فاسال الميدان ثم اسأل الجبل * عن الملك الماضى ابن طولون ما فع
وعن ابنه العباس ان كنت سائلا * وأين ابو الجيش الفصاصة البطل
وجيش وهارون الذى قام بعده * وشييان بالامس الذى خانه الامل
ومن قبله اردى ربيعة يومه * وكان هزبر الايطاق اذا حمل
واين ذرارهم واين جموعهم * وكيف تقضى عنهم الملك فاضل
واين بناء القصر والجوسق الذى * عهدناه معمور القناه له زجل
لقدماء كوه برهة من زماننا * بدولتهم ثم اتقوا بانقضا الدول
فما منهم خلق يحس ولا يرى * بذكر طوال الدهر لما اتقضى الاجل
وصاروا احاد يثالبين جاء بعدهم * وكان بهم في ملكهم يضرب المثل
وقال

قف وقفة وانظر الى الميدان * والتصر ذى الشرفات والايوان
والجوسق العالى المنيف بناؤه * ما باله فقر من السكك
اين الذين لهوا به وعنوا به * زمنا مع القينات والنسوان
يجبى الخراج اليهم في دارهم * لا يرهبون غوائل الحداث
جمعوا الجموع مع الجموع فأكثروا * واستأثروا بالروم والسودان

فانظر الى ماشيد وامن بعدهم * هل فيه غير البوم والغربان
ابن الاوى حفروا العيون بأرضه * وتأنقوا فيه وفي البنيان
غرسوا صنوف النخل في ساحاته * وغرائب الاعناب والرمات
والزعفران مع البهار بأرضه * والورد بين الآس والريحان
كانوا ملوك الارض في ايامهم * كبراء كل مدينة ومكان
فتمزقوا وتفترقوا فهناك هم * تحت الثرى يباون في الاكفان
الا اغيلة اسارى بعدهم * في دار مضبعة ودار هوان
متلذذين بأسرهم قد شردوا * ونفوا عن الاهلين والاوطان
والله وارث كل حي بعدهم * وله البقاء وكل شيء فان

وقال

ان في قبة الهوا * لدى الاب معتبر * والقصور المشيذات مع الدور والحجر
والبساتين والجبال والبيت والزهر * والحوارى المغنيسات ذوى الدل والخضر
يتجترن في الحريش وفي الوشى والخبر * وملوك عبيدهم عدد الشوك والشجر
وجيوش مؤيدون لدى الباس بالظفر * من صنوف السودان والترك والروم والخزر
عمروا الارض مدة ثم صاروا الى الخضر * واستبدت الزمان من عاش منهم فلم يذر
فهم في الهوان والشذل امرى على خطر * وهم بعد صفو عيش من الدل في كدر
يال طولون مالكم صرتم للورى سمر * يال طولون كنتم خبرا فانقضى الخبر

وقال

مررت على الميدان معتبرا به * فناديت به ابن الجبال الشواخ
نخار وعباس واحد قبلهم * وأين ترى شبانهم والمشايخ
وأين ذراري آل طولون بعدهم * أما فيك منهم ايما الربع صارخ
وأين ثياب الخبز والوشى والحلى * وأربابها ام اين تلك المطابخ
وأين قبات المسك والعنبر الذى * عنت به دهرها وتلك اللطابخ
لقد غالت الدهر الخوون بصرفه * فأصبحت منخطا وغبرك بازخ

وقال

مررت على الميدان بالامس ضاحيا * فأبصرته قفرا الجنب فراعني
فناديت فيه يال طولون مالكم * فهو دنا حلق بحرف لجاني
فأذريت عينات دمع غزيرة * ورحمت كتيب القلب ما اصابي
وا في عليهم ما بقيت لموجع * ولست ابالي من الحاني وعابي

وحدث محمد بن ابي يعقوب الكاتب قال لما كانت ليلة عيد الفطر من سنة اثنتين وتسعين ومائتين تذكرت
ما كان فيه آل طولون في مثل هذه الليلة من الزى الحسن بالسلاح وملونات البنود والاعلام وشهرة الشباب
وكثرة الكراع وأصوات الابواق والطبول فاعترا في ذلك فكرة ونمت في ليلتي فسمعت هاتفا يقول ذهب الملك
والتلك والزينة لما مضى بنو طولون وقال القاضي ابو عمرو عثمان النابلسي في كتاب حسن السيرة في اتخاذ
الحصن بالجزيرة رأيت كتابا قد راتني عشرة كراسة مضمونه فهرست شعراء الميدان الذى لاحد بن طولون قال
فاذا كانت اسماء الشعراء في ثلثي عشرة كراسة كم يكون شعرهم مع أنه لم يوجد من ذلك الآن ديوان واحد
وقال ابو الخطاب بن دحية في كتاب النبراس وخربت قطائع احد بن طولون يعني في الشدة العظمى زمن
الخليفة المستنصر وهلك جميع من كان به من الساكنين وكانت ينفا على مائة ألف دار زهرة للناظرين محدقة
بالجنان والبساتين والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

* (ذكر من ولي مصر من الامراء بعد خراب القطائع الى أن بنيت القاهرة المعز على يد القائد جوهر) *

وكان أول من ولي مصر بعد زوال دولة بني طولون وخراب القطائع (محمد بن سليمان الكاتب) كاتب لؤلؤ غلام احمد بن طولون دخل مصر يوم الخميس مستهل ربيع الأول سنة اثنين وتسعين ومائتين ودعا على المنبر لأمير المؤمنين المكتفي بالله وحده وجعل أباعلى الحسين بن احمد المادرائي على الخراج عوضا عن احمد بن علي المادرائي ثم ورد كتاب المكتفي بولاية (عيسى بن محمد) النوشري أبي موسى فولى على الصلوات ودخل خليفته لاربع عشرة خلت من جمادى الأولى فتسلم الشرطتين وسائر الاعمال ثم قدم عيسى لسبع خلون من جمادى الآخرة وخرج محمد بن سليمان مستهل رجب وكان مقامه بمصر أربعة أشهر فأخرج كل من بقي من الطولونية فلما بلغوا دمشق اتخذه عنهم محمد بن علي الخليلي في جمع كثير بمن كره مفارقة مصر من القواد فعقدوا له عليهم وبايعوه بالامرة في شعبان ورجع الى مصر فبعث اليه النوشري بجيش أول رمضان وقد دخل ارض مصر ثم خرج اليه النوشري وعسكر بباب المدينة أول ذي القعدة وسار الى العباسية ثم رجع لثلاث عشرة خلت منه وخرج الى الجزيرة من غده واحرق الجسرين وسار يريد الاسكندرية ففر عنه طائفة الى ابن الخليلي فبعث اليه بجيش فهزمه وسار الى الصعيد ودخل (محمد بن الخليلي) القسطنطينية لاربع عشرة بقيت من ذي القعدة فوضع العطاء وفرض القروض وقدم ابو الازم من قبل المكتفي في طلب ابن الخليلي فخرج اليه لثلاث خلون من المحرم سنة ثلاث وتسعين وحاربه فانهزم منه ابو الازم وأسرى من اصحابه جمعا كثيرا وعاد لثمان بقين منه فقدم فأتى المعتضدي من بغداد في البر فعسكر وقدم دميانة في المراكب فنزل فأتى النورية فخرج ابن الخليلي وعسكر بباب المدينة وقام في الليل بأربعة آلاف من اصحابه لبيت فأتى كفا ضلوا الطريق وأصبحوا قبل أن يبلغوا النورية فعلم بهم فأتى قهض بأصحابه وحارب ابن الخليلي فانهزم عنه اصحابه وبقيت طائفة ثم انهزم الى القسطنطينية لثلاث خلون من رجب فاستمر ودخل دميانة في مراكب الثغور وأقبل عيسى النوشري ومعه الحسين المادرائي ومن كان معهما الخمس خلون منه فعاد النوشري الى ما كان عليه من صلاتها والمادرائي الى ما كان عليه من الخراج وعرف النوشري بمكان ابن الخليلي فهجم عليه وقيده لست خلون من رجب وكانت مدة ابن الخليلي بمصر سبعة أشهر وعشرين يوما ودخل فأتى في عسكره الى القسطنطينية لعشر خلون من رجب فأخرج ابن الخليلي في البحر لست خلون من شعبان فلما قدم بغداد طيف به وبأصحابه وهم ثلاثون نفرا فكان يومئذ كورا واشد في هدم مبدان بني طولون في شهر رمضان وبيعت انقاضه وخرج فأتى الى العراق للنصف من جمادى الأولى سنة اربع وتسعين واهل النوشري بنى المؤتئين ومنع النوح والنداء على الجناز واهل باغلاق المسجد الجامع فيما بين الصلاتين ثم امر بقتله بعد ايام ومات المكتفي في ذي القعدة سنة خمس وتسعين فشغب الجند بمصر وحاربوا النوشري على طلب مال البيعة فظفر بجماعة منهم وبويع جعفر المقتدر فأقر النوشري على الصلوات وقدم زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب امير افرريقية مهزوما من ابي عبد الله الشيعي في رمضان سنة ست وتسعين الى الجزيرة فثبته النوشري من العبور وكانت بين اصحابه وبين جند مصر منافسة ثم اذن له أن يعبر وحده ومات النوشري لاربع بقين من شعبان سنة سبع وتسعين وهو وال فكانت ولايته خمس سنين وشهرين ونصفا منها مدة ابن الخليلي سبعة أشهر وعشرون يوما وقام من بعده ابنه ابو الفتح محمد بن عيسى ثم ولي (تكني الخزري ابو منصور) من قبل المقتدر على الصلوات فدعى له به يوم الجمعة لحدى عشرة خلت من شوال وقدم خليفته لسبع بقين منه ثم قدم تكني الليلين خلتا من ذي الحجة وتقدم اليه بالحد في ارض المغرب والاحتراس منه فبعث جيشا الى برقة عليه ابو القين فحاربه حباسة بن يوسف بعساكر المهدي عبيد الله الفاطمي صاحب افرريقية واستولى على برقة وسار الى الاسكندرية في زيادة على مائة ألف فدخلها في المحرم سنة اثنين وثلاثمائة فقدمت الجيوش من العراق مدد تكني في صفر وقدم الحسين المادرائي واحمد بن كيعلغ في جمع من القواد وبرزت العساكر الى الجزيرة في جمادى الأولى وخرج تكني فكانت واقعة حباسة قتل فيها آلاف من الناس وعاد حباسة الى المغرب وقدم مؤنس الخادم من بغداد في جيوشه للنصف من رمضان ومعه جمع من الالهراء قتل الجراء ولقي الناس منهم شداً وخرج ابن كيعلغ الى الشام في رمضان وصرف تكني لاربع عشرة خلت من ذي القعدة صرفه مؤنس فخرج لسبع خلون من

ذى الحجة وأقام مونس يدعى ويخاطب بالاستاذ ثم ولى (ذكا الرومى) ابو الحسن الاعور من قبل المقتدر
 على الصلات فدخل لثنتي عشرة خلت من صفر سنة ثلاث وثلثمائة وخرج مومى بجميع جيوشه لثمان خلون
 من ربيع الآخر وخرج ذكا الى الاسكندرية في المحرم سنة اربع وثلثمائة ثم عاد في ثامن ربيع الاول وتبع
 كل من يومأ اليه بمكاتبة المهدي صاحب افريقية فسجن منهم وقطع ايدى اناس وارجلهم وجلا اهل لوبية
 ومراقية الى الاسكندرية خوفا من صاحب برقة وسير العساكر الى الاسكندرية ثم فسد ما بينه وبين الرعية
 بسبب سب الصحابة رضى الله عنهم وسب القرءان وقدمت عساكر المهدي صاحب افريقية الى لوبية
 ومراقية عليها ابو القاسم فدخل الاسكندرية ثامن صفر سنة سبع وثلاثمائة وقرئ الناس من مصر الى الشام
 في البر والبحر فهلك اكثرهم وأخرج ذكا الجند المختارون له فمسكروا بالجيزة وقدم ابو الحسن بن احمد المادرائي
 والبايعلى الخراج فوضع العطاء وجدة ذكا في أمر الحرب واحقر خندقا على عسكره بالجيزة فرض ومات
 لاحدى عشرة خلت من ربيع الاول بالجيزة فكانت امرته اربع سنين وشهرا فولى (تكنين) مرة ثانية
 من قبل المقتدر وقدمت جيوش العراق عليها محمود بن جل و ابراهيم بن كيغلف في ربيع الاول ودخل تكنين
 لاحدى عشرة خلت من شعبان فقتل الجيزة وحضر خندقا ثانيا وأقبلت مراكب المغرب فظفر بهم في شوال
 وقدم مونس الخادم من بغداد بعساكره لخمس خلون من المحرم سنة ثمان وثلثمائة فقتل الجيزة وكان في نحو ثلاثة
 آلاف وسير ابن كيغلف الى الاشمونين فمات بالهنساء اول ذى القعدة وملك اصحاب المهدي القيوم وجزيرة
 الاشمونين فقدم جنى الخادم من بغداد في عسكر آخر ذى الحجة فمسكروا بالجيزة فكانت حروب مع اصحاب
 المهدي بالقيوم والاسكندرية ورجع ابو القاسم بن المهدي الى برقة وصرف تكنين لثلاث عشرة خلت من
 ربيع الاول سنة تسع وثلثمائة فولى مونس (أبا قابوس محمود بن جل) فأقام ثلاثة ايام وعزله ورد تكنين لخمس
 بقين من ربيع الاول ثم صرفه بعد أربعة ايام وأخرجه الى الشام في اربعة آلاف من اهل الديوان ثم ولى (هلال
 ابن بدر) من قبل المقتدر على الصلات فدخل لست خلون من ربيع الآخر وخرج مونس لثمان عشرة خلت
 منه ومعه ابن جل فشغب الجند على هلال وخرجوا الى منية الاصبغ ومعهم محمد بن طاهر صاحب الشرط
 فكثرت النهب والقتل والفساد بمصر الى أن صرف عنها في ربيع الآخر سنة احدى عشرة وثلثمائة وخرج في نفر
 من اصحابه فولى (احمد بن كيغلف) من قبل المقتدر على الصلات وقدم ابنه ابو العباس خليفة له اول جهادى
 الاولى ثم قدم معه محمد بن الحسين بن عبد الوهاب المادرائي على الخراج في رجب فأحضر الجند ووضعوا
 العطاء وأسقطا كثيرا من الرجالة وكان ذلك بمنية الاصبغ فثار الرجالة به فقتل فاقوس وأدخل المادرائي الى
 المدينة لثمان خلون من شوال واقام ابن كيغلف بفاقوس الى أن صرف بقدم رسول تكنين في ثالث ذى القعدة
 فولى (تكنين) المرة الثالثة من قبل المقتدر على الصلات وخلفه ابن منجور الى أن قدم يوم عاشوراء سنة اثنتي
 عشرة وثلثمائة فأسقط كثيرا من الرجالة وكانوا اهل الشر والنهب ونادى ببراءة الذمة ممن أقام منهم بالفسطاط
 وصلى الجمعة في دار الامارة بالعسكر وترك حضور الجمعة في مسجد العسكر والمسجد الجامع العتيق في سنة
 سبع عشرة ولم يصل قبله أحد من الامراء في دار الامارة الجمعة ثم قتل المقتدر في شوال سنة عشرين وبويع
 ابو منصور القاهر بالله فأقر تكنين حتى مات في سادس عشر ربيع الاول سنة احدى وعشرين وثلثمائة فحمل
 الى بيت المقدس وكانت امرته هذه تسع سنين وشهرين وخمسة ايام فقام ابنه محمد بن تكنين موضعه وقام ابو بكر
 محمد بن علي المادرائي بأمر البلد كله ونظر في اعماله فشغب الجند عليه في طلب أرزاقهم وأحرقوا دوره ودور
 أهله فخرج ابن تكنين الى منية الاصبغ فبعث اليه المادرائي بأمره بالخروج من أرض مصر وعسكر بباب
 المدينة وأقام هناك بعد ما رحل ابن تكنين الى سلخ ربيع الاول فلقى ابن تكنين بدمشق ثم أقبل يريد مصر فغره
 المادرائي ثم ولى (محمد بن طفيح) بن جف الفرغاني ابو بكر من قبل القاهر بالله على الصلات فورد كتابه
 لسبع خلون من رمضان سنة احدى وعشرين ودعي له وهو بدمشق مدة اثنين وثلاثين يوما الى أن قدم رسول
 (احمد بن كيغلف) بولايته الثانية من قبل القاهر بالله لتسع خلون من شوال واستخلف أبا الفتح بن عيسى
 النورشرى فشغب الجند في أرزاقهم على المادرائي صاحب الخراج فاستمر منهم فأحرقوا دوره ودور أهله
 وكانت قتل فيها جماعة الى أن أتاهم محمد بن تكنين من فلسطين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة اثنين

وعشرين فأنتكر المادرائي ولايته وتعصب له طائفة ودعى له بالامارة وخرج قوم الى الصعيد فيهم ابن النوشري فأمره عليهم وهم على الدعاء لابن كبلغ فنزل منية الاصبع لثلاث خلون من وجب فلقى به كثير من اصحاب تكين فقتل ابن تكين ليلا ودخل ابن كبلغ المدينة لست خلون منه وكان مقام ابن تكين بالقسطاط مائة يوم واثنى عشر يوما وخلق انقاها وبوبع ابو العباس الراضي بالله فعاد ابن تكين وأظهر أن الراضي ولا مفرج اليه العسكر وحاربوه فيما بين بليس وفاقوس فانهزم ووجه به الى المدينة فحمل الى الصعيد فورد الخبر بأن محمد بن طفيج سار الى مصر بولاية الراضي له فبعث اليه ابن كبلغ يجيش ليعنوه من دخول القرما فأقبلت مراكب ابن طفيج الى تنيس وسارت مقدمة في البر وكانت بينهما حروب في تاسع عشر شعبان سنة ثلاث وعشرين كانت لاصحاب ابن طفيج وأقبلت مراكبه الى القسطاط سلم شعبان واقبل فعسكر ابن كبلغ للنصف من رمضان ولاقاه لسبع بقين منه فسلم ابن كبلغ الى محمد بن طفيج من غير قتال وولى (محمد بن طفيج) الثانية من قبل الراضي على الصلات والخراج فدخل استبقين من رمضان وقدم ابو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن فزات بالخلع لمحمد بن طفيج وكانت حروب مع اصحاب ابن كبلغ انهزموا منها الى برقة وساروا الى القائم بأمر الله محمد بن المهدي بالمغرب فخرضوه على أخذ مصر فجهز جيشا سارا الى مصر فبعث ابن طفيج عسكره الى الاسكندرية والصعيد ثم ورد الكتاب من بغداد بالزيادة في اسم الامير محمد بن طفيج فاقب الاخشيد ودعى له بذلك على المنبر في رمضان سنة سبع وعشرين وسار محمد بن رائق الى الشامات ثم سار في المحرم سنة ثمان وعشرين واستخلف أخاه الحسن بن طفيج فنزل القرما وابن رائق بالملّة فسفر بينهما الحسن بن طاهر بن يحيى العلوي في الصلح حتى تم وعاد الى القسطاط مستهل جمادى الاولى ثم أقبل ابن رائق من دمشق في شعبان فسير اليه الاخشيد الجيوش ثم خرج لست عشرة خلت من شعبان والتقى للنصف من رمضان بالعريش فكانت بينهما وقعة عظيمة أنكرت فيها ميسرة الاخشيد ثم حمل بنفسه فهزم أصحاب ابن رائق وأسر كثير منهم وأخذ منهم قتلا وأسر اومضى ابن رائق فقتل الحسين بن طفيج باللجون ودخل الاخشيد الملّة بخمس مائة اسير فندى ابن طفيج وابن رائق الى الصلح فمضى ابن رائق الى دمشق على صلح وقدم الاخشيد محمد بن طفيج الى مصر لثلاث خلون من المحرم سنة تسع وعشرين ومات الراضي بالله وبوبع المتقي لله ابراهيم في شعبان فاقر الاخشيد وقتل محمد بن رائق بالموصل قتله بنو جدان في شعبان سنة ثلاثين وثلاثمائة فبعث الاخشيد بجيوشه الى الشام ثم سار لست خلون من شوال واستخلف أخاه أبا المظفر الحسن بن طفيج ودخل دمشق ثم عاد لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين فنزل البستان الذي يعرف اليوم بالكافوري من القاهرة ثم دخل داره وأخذ البيعة لابنه ابي القاسم اوفو جور على جميع القواد آخر ذي القعدة وسار المتقي لله الى بلاد الشام ومعه بنو جدان فسار الاخشيد لثمان خلون من رجب سنة اثنتين وثلاثين واستخلف أخاه الحسن فلقى المتقي ثم رجع فنزل البستان لاربع خلون من جمادى الاولى سنة ثلاث وثلاثين وخلق المتقي وبوبع عبد الله المستكني لسبع خلون من جمادى الآخرة فاقر الاخشيد وبعث الاخشيد بجناك وكافور في الجيوش الى الشام ثم خرج خمس خلون من شعبان سنة ست وثلاثين واستخلف أخاه الحسن فلقى علي بن عبد الله بن جدان بأرض قنسرين وحاربوه ومضى فأخذ منه حلب وخلق المستكني ودعى للمطيع لله الفضل بن جعفر في شوال سنة اربع وثلاثين فاقر الاخشيد الى أن مات بدمشق يوم الجمعة لثمان بقين من ذي الحجة فولى بعده ابنه (اوفو جور) ابو القاسم باستخلافه اياه وقبض على ابي بكر محمد بن علي بن مقاتل في ثالث المحرم سنة خمس وثلاثين وجعل مكانه على الخراج محمد بن علي المادرائي وقدم العسكر من الشام اول صفر فلم يزل اوفو جور واليا الى أن مات لسبع خلون من ذي القعدة سنة سبع واربعين وثلاثمائة وحمل الى القدس فدفن عند أبيه وكان كافور متحكما في أيامه ويطلق له في السنة اربع مائة الف دينار فلما مات قوى كافور وكانت ولايته اربع عشرة سنة وعشرة اشهر فأقام كافورا أخاه (علي بن الاخشيد) أبا الحسن لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة فاقره المطيع لله على الحرب والخراج بمصر والشام والحرمين وصار خليفته على ذلك كافور غلام أبيه وأطلق له ما كان يطلق لآخيه في كل سنة وفي سنة احدى وخمسين ترفع السعر واضطربت الاسكندرية والبحيرة بسبب المغاربة الواردين اليها وتزايد الغلاء وعز وجود القمح بدمشق والقرمطي الى الشام في سنة ثلاث وخمسين وقل ماء النيل ونهبت ضياع مصر وتزايد الغلاء وسار

ملك النوبة الى اسوان ووصل الى اخميم فقتل ونهب وأحرق واشتد اضطراب الاعمال وفسد ما بين كافور وبين علي بن الاخشيد فخرج كافور من الاجتماع به واعتل علي بعد ذلك له أخيه ومات لاحدى عشرة خلت من المحرم سنة خمس وخمسين وثلاثمائة فحمل الى القدس وبقيت مصر بغير أمير أيا ما ولم يدع بها الا للمطيع لله وحده وكافور يدبر أمورها ومعه ابو الفضل جعفر بن القرات ثم ولي (كافور) الخصى الاسود مولى الاخشيد من قبل المطيع على الحرب والخراج وجميع امور مصر والشام والحرمين فلم يغير لقبه وانما كان يدعى ويخاطب بالاستاذ وأخرج كتاب المطيع بولايته لاربع بقين من المحرم سنة خمس وخمسين فلم يزل الى أن توفي لعشر بقين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة فولى (احمد بن علي) الاخشيد ابو الفوارس) وسنة احدى عشرة سنة في يوم وفاة كافور وجعل الحسين بن عبيد الله بن طنج خلفه وأبو الفضل جعفر بن القرات يدبر الامور وسمل الاخشيدى العساكر الى أن قدم جوهر القائد من المغرب بجيوش المعز لدين الله في سبع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ففر الحسين بن عبيد الله وتسلم جوهر البلاد كما سيأتى ان شاء الله تعالى فكانت مدة الدعاء لبني العباس بصر منذ ابتدئت دولتهم الى أن قدم القائد جوهر الى مصر مائتي سنة وخمسا وعشرين سنة ومدة الدولة الاخشيدية بها اربعة وثلاثين سنة وعشرة اشهر وأربعة وعشرين يوما ومنذ افتتحت مصر الى أن انتقل كرسي الامارة منها الى القاهرة ثلاثمائة سنة وسبع وثلاثون سنة وأشهر والله تعالى أعلم

* (ذكر ما كانت عليه مدينة القسطنطين من كثرة العمارة) *

قال ابن يونس عن الليث بن سعد ان حكيم بن ابي راشد حدثه عن ابي سلة بن عبد الرحمن أنه وقف على جزار فسأله عن السعر فقال بأربعة أفلس الرطل فقال له ابو سلة هل لك أن تعطينا بهذا السعر ما يد الناو يد الا قال نعم فأخذ منه ابو سلة ومز في القصبة حتى اذا أراد أن يوفيه قال بعثنى يدينار ثم قال اصرفه فلوسا ثم وقفه وقال الشريف ابو عبد الله محمد بن أسعد الجواني التسمية في كتاب النقط على الخطط سميت الامير تيايد الدولة تميم بن محمد المعروف بالضمضام يقول في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وحدثني القاضي ابو الحسين علي بن الحسين الطاهري عن القاضي أبي عبد الله القاضي قال كان في مصر القسطنطين من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد وثمانية آلاف شارع مسلول وألف ومائة وسبعون حماما وان حمام جنادة في القرافة ما كان يتوصل اليها الا بعد عشاء من الزحام وان قبالتها في كل يوم جمعة خمسمائة درهم * وقال القاضي ابو عبد الله محمد بن سلامة القاضي في كتاب الخطط انه طلب لقسطنطين ابنة خمارويه بن احمد بن طولون الف تكة بعشرة آلاف دينار من اثمان كل تكة بعشرة دنانير فوجدت في السوق في اسر وقت وبأهون سعي وذكر عن القاضي ابي عبيد الله لما صرف عن قضاء مصر كان في المودع مائة ألف دينار وان فائقا مولى احمد بن طولون اشترى دارا بعشرين ألف دينار وسلم الثمن الى البائعين وأجلهم شهرين فلما انقضى الاجل سمع فائق صياحا عظيما وبكاء فسأل عن ذلك فقيل لهم الذين باعوا الدار فدعاهم وسألهم عن ذلك فقالوا انما بكى على جوارك فأطرق وأمر بالكتب فردت عليهم ووهب لهم الثمن وركب الى احمد بن طولون فأخبره فاستصوب رأيه واستحسن فعله ويقال انه كان لفائق ثلاثمائة فرشة كل فرشة لحظية مئنة وان دار الحرم بناها خمارويه لحرمه وكان ابوه اشترى اهلها فقام عليه اثنان وأجرة الصناعات والبناء بسبع مائة الف دينار وان عبد الله بن احمد بن طباطبا الحسيني دخل الجامع فلم يجد مكانا في الصف الاول فوقف في الصف الثاني فالتفت ابو حفص بن الجلاب فلما رآه تأخر وتقدم الشريف مكانه فكافأه على ذلك بنعمة حملها اليه ودار ابتاعها له ونقل اهلها اليها بعد أن كساهم وحلاهم وكر غير القاضي أنه دفع اليه خمسمائة دينار قال ويقال انه اهدى الى ابي جعفر الطجاوي كتابا قيمتها ألف دينار وان رشيقا الاخشيدى استجبه ابو بكر محمد بن علي المادرائي فلما مضت عليه سنة رفع فيه أنه كسب عشرة آلاف دينار فخاطبه في ذلك خلف بالايمن الغليظ على بطلان ذلك فأقسم ابو بكر المادرائي بمثل ما أقسم به لئن خرجت سستنا هذه ولم تكسب هذه الجلالة لا أحببني ولم يزل في صحبته الى أن صودر ابو بكر فأخذ منه ومن رشيق مال جزيل وذكر أن الحسن بن ابي المهاجر موسى بن اسمعيل بن عبد الحميد بن بجر بن سعد كان

على البريد في زمن احمد بن طولون وقتله بخارويه وسبب ذلك ما كان في نفس علي بن احمد المادرائي منه فأغرى
 بخارويه به وقال قد بقي لا يلك مال غير الذي ذكره في وصيته ولم يقف عليه غير ابن مهاجر فطالبه فأنزل
 بخارويه بابن مهاجر الى أن وصف له موضع المال من دار بخارويه فأخرج فكان مبلغه ألف ألف دينار فسلمه
 الى احمد المادرائي فحمله الى داره وأقبلت توقعات بخارويه ترد اليه بالصلوات والنققات فيخرجها من فضول
 اموال الضياع والمرافق وحصلت له تلك الاموال ولم يضع يده عليها الى أن قتل وصودر أبو بكر محمد بن علي في أيام
 الاخشيد وقبضت ضياعه فعاد الى تلك الالف الف دينار مع ما سواها من ذخائره وأعراضه وعقده فحفظها
 برجل ذخيرة ألف ألف دينار سوى ما ذكر عن أبي بكر محمد بن علي المادرائي أنه قال بعث الى أبو الجيش
 بخارويه أن اشترى له ارديّة وأقعة للجواري وعمل دعوة خلافيها بنفسه وبهم وغدت متعزّفا لغيره فقيل لي انه
 طرب لما هو فيه فنردنا نير على الجواري والغلمان وتقدم اليهم أن ماسقط من ذلك في البركة فهو لمحمد بن علي كاتبني
 فلما خضرت وبلغني ذلك أمرت الغلمان فنزلوا في البركة فأصعدوا الى منها سبعين الف دينار فحفظت بمال نير
 على اناس قطار منته الى البركة ماء هذا المبلغ وقال ابن سعيد في كتاب المغرب في حل المغرب وفي القسطا دار
 تعرف بعبد العزيز يصب فيها من بهاء في كل يوم اربع مائة راوية ماء وحسبك من دارواحدة يحتاج اهلها في كل
 يوم الى هذا القدر من الماء * وقال ابن المتوج في كتاب ايقاظ المتغفل وتعاطي التامل عن ساحل مصر ورأيت
 من نقل عن نقل عن رأي الاسطال التي كانت بالطاغات المظلة على النيل وكان عددها ستة عشر ألف سطل
 مؤبدة يسكر وأطناب بها ترخي وتغلا أخبرني بذلك من أثق بنقله قال وكان بالقسطاط في جهته الشرقية حمام من
 بناء الروم عامرة زمن احمد بن طولون قال الراوي دخلتها في زمن بخارويه بن احمد بن طولون وطلبت بها صانعا
 يخدمه في فلم اجد فيها صانعا متفرغا لخدمتي وقيل لي ان كل صانع معه اثنان يخدمهم وثلاثة فسات كم فيها من
 صانع فأخبرت أن بها سبعين صانعا قل من معه دون ثلاثة سوى من قضى حاجته وخرج قال فخرجت ولم
 ادخلها العدم من يخدمني بها ثم طفت غيرها فلم اقدر على من اجدته فارغا الا بعد أربع حمامات وكان الذي خدمني
 فيها نائبا فانظر رحمك الله ما اشغل عليه هذا الخبر مع ما ذكره القاضي من عدد الحمامات وانها ألف ومائة
 وسبعون حماما تعرف من ذلك كثرة ما كان بمصر من الناس هذا والسعر راخ والقمح كل خمسة ارادب دينار
 وبيعت عشرة ارادب دينار في زمن احمد بن طولون قال ابن المتوج خطبة مسجد عبد الله ادركت بها آثار دار
 عظيمة قبل انها كانت دار كافور الاخشيدى ويقال ان هذه الخطة تعرف بسوق العسكر وكان به مسجد الزكاة
 وقيل انه كان منه قصبة سوق متصلة الى جامع احمد بن طولون وأخبرني بعض المشايخ العدول عن والده وكان
 من اكابر الصلحاء انه قال عددت من مسجد عبد الله الى جامع ابن طولون ثلثمائة وتسعين قدرا حصص مصلوق
 بقصبة هذا السوق بالارض سوى المقاعد والخوانيت التي بها الحصص فتأمل اعزك الله ما في هذا الخبر مما يدل
 على عظمة مصر فان هذا السوق كان خارج مدينة القسطاط وموضعه اليوم القضاء الذي بين كوم الجمارح
 وبين جامع ابن طولون ومسمى المعروف أن الاسواق التي تكون بداخل المدينة اعظم من الاسواق التي هي خارجها
 ومع ذلك ففي هذا السوق من صنف واحد من الماس كل هذا القدر فكيف ترى تكون جملة ما فيه من سائر
 اصناف الماس كل وقد كان اذ ذاك بمصر عشرة اسواق كلها او اكثرها اجل من هذا السوق قال ودرب السفافير
 بنى فيه زقاق بنى الرصاص كان به جماعة اذا عقد عندهم عقد لا يحتاجون الى غريب وكافواهم وأولادهم فحوا
 من اربعين نفسا * وقال ابن زولاقي في كتاب سيرة المادرائين ولما تقدم الاستاذ مونس الخادم من بغداد الى
 مصر استدعى ابو علي الحسين بن احمد المادرائي المعروف بابي زهور الدقاق وهو الذي سمىه اليوم الطحمان
 وقال ان الاستاذ مونس اقدواني ولي بمشئول قد رستين الف اردب قحفا اذا وافي فقم له بالوظيفة فكان يقوم
 له بما يحتاج اليه من دقيق حواري مدة شهر فلما اكمل الشهر قال كاتب مونس للدقاق كم لك حتى ندفعه اليك فأعلمه
 الخبر فقال ما احسب الاستاذ يرضى أن يكون في ضيائي علي وأعلم مونس بذلك فقال انا آكل خير حسين
 لا يبرح الرجل حتى يقبض ماله فبقي الدقاق ثم ابا زبورو فقام من فوره الى مونس فأكب على رجليه فاحتشم
 منه وقال والله لا اجيبك الا هذا الشهر الذي مضى ولا تعاود ثم رجع فقال للدقاق قم له بالوظيفة في المستقبل
 واعمل ما يريدك قال فبقيته وقد فرغ القمح وهي الحساب وأربع مائة دينار قال ايس هذا فقلت بقية ذلك القمح

فقال اعفني منه وتركه فتأمل ما اشتمل عليه هذا الخبر من سعة حال كاتب من كتاب مصر كيف كان له في قرية واحدة هذا القدر من صنف القمح وكيف صار مما يفضل عنه حتى يجعله ضيافة وكيف لم يعبأ بأربع مائة دينار حتى وهبها الدقاق قح وما ذاك الا من كثرة المعاش وقس عليه باقي الاحوال وقال عن ابي بكر محمد بن علي المادرائي انه حج اثنتين وعشرين حجة متوالية انفق في كل حجة مائة الف دينار وخمسين الف دينار وانه كان يخرج معه تسعين ناقة لقبته التي يركبها وأربع مائة بلهازه ومبرته ومعه المحامل فيها احواض البقل واهواض الرياحين وكلاب الصيد وينفق على الاشراف وأولاد الصحابة ولهم عنده ديوان بأسمائهم وانه أنفق في خمس حجرات آخر ألف دينار ومائتي الف دينار وكانت جاريته تواصل معه الحج ومعها لنفسها ثلاثون ناقة لقبتها ومائة وخمسون عربيا بلهازها وأحصى ما يعطيه كل شهر لحاشيته وأهل السترو وذوى الاقدار جارية من الدقيق الحواري فكان بضعا وثمانين ألف رطل وكان سنة القرمطي بمكة فن جملة ما ذهب له به ما يتأقص ديتي عن كل نوب منها خمسون ديناراً وقال مرة وهو في عطلة أخذ مني محمد بن طه الجعفي الاخشيد عينا وعرض لي مبلغ ألف دينار وثمانين وية دنانير فاستعظم من حضر ذلك فقال ابنه الذي أخذ أكثر وأنا واقفه عليه ثم قال لايه يا مولاي اليس تكبت ثلاث مرات قال بلى قال اليس أخذت ضياعك بالشام قال نعم قال فكتمتموها قال ألف ألف دينار قال وضياعك بمصر قال قريب منها قال وعرض وعين قال كذلك فأمر بعض الحساب بضبط ذلك فجاء ما ينيف عن ثلاثين اردبا من ذهب فانظر ما تضمنته أخبار المادرائي وقس عليها بقية احوال مصر فما كان سوى كاتب الخراج وهذه امواله كما قدر آيت وقال الشريف الجواني ان أبا عبد الله محمد بن مفسر قاضي مصر مع بأن المادرائي عمل في أيامه الكعك المحشو بالسكر والقرص الصغار المسهي افطن له فأمرهم بعمل الفستق الملبس بالسكر الابيض القايد المطيب بالمسك وعمل منه في اول الحال اشياء عوض له لب ذهب في صحن واحد فغضى عليه جملة وخطف قدأمه فحاطفه الحاضرون ولم يعد له بل الفستق الملبس وكان قد سمع في سيرة المادرائي انه عمل له هذا الافطن له وفي كل واحدة خمسة دنانير ووقف استاذ على السماط فقال لاحد الخلساء افطن له وكان عمل على السماط عدة صحون من ذلك البنس لكن ما فيه الدنانير صحن واحد فلما رمى الاستاذ ذلك الرجل بقوله افطن له وأشار الى الصحن تناول ذلك الرجل منه فأصاب الذهب واعتمد عليه فحصل له جملة وراه الناس وهو اذا اكل يخرج من فمه ويجمع بيده ويحط في حجره فتنبهوا له وتزاحوا عليه فقبل لذلك من يومئذ افطن له وقال ابو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس في تاريخ مصر حدثني بعض اصحابنا بتفسير رؤيا رآها غلام ابن عقيل الخشاب عجيبه فكانت حقا كما فسرت فسألت غلام ابن عقيل عنها فقال لي انا اخبرك كان ابي في سوق الخشابين فأفق بضاعته ورثت حاله ومات فأسلمتني ابي الى ابن عقيل وكان صديقا لابي فكنت اخدمه وأفتح حانوته واكنسها ثم افرش له ما يجلس عليه فكان يجري علي رزقا تقوت به فأني يوما في الحانوت وقد جلس استاذي ابن عقيل فجاء ابن العسال مع رجل من أهل الريف يطلب عود خشب لطاحونة فاشتري من ابن عقيل عود طاحونة بخمسة دنانير فسمعت قوما من أهل السوق يقولون هذا ابن العسال المفسر للرؤيا عند ابن عقيل فجاء منهم قوم وقصوا عليه منامات رأوها ففسرها لهم فذكرت رؤيا رأيتها في ليلتي فقلت له اني رأيت البارحة في نومي كذا وكذا فقصت عليه الرؤيا فقال لي اي وقت رأيتها من الليل فقلت انتهت بمدرؤياي في وقت كذا فقال لي هذه رؤيا لست افسرها الا بدنانير كثيرة فألحت عليه فقال استاذي ابن عقيل فرج عنه هذا غلام صغير فقير لا يملك شيئا فقال لست آخذ الا عشرين دينارا فقال له ابن عقيل ان قرأت علينا وزنت انالك ذلك من عندي فلم يزل به ينزله حتى قال والله لا آخذ أقل من ثمن العود الخشب خمسة دنانير فقال له ابن عقيل ان سمحت الرؤيا دفعت اليك العود بلا ثمن فقال له يا خذ مثل هذا اليوم الف دينار قال استاذي فاذا لم يصح هذا فقال يكون العود عندك الى مثل هذا اليوم فان كان لم يصح أخذ ما قلت له في ذلك اليوم فليس لي عندك شيء ولا افسر رؤيا ابدا فقال له استاذي قد أنصفت ومضت الجمعة فلما كان مثل ذلك اليوم غدوت مثل ما كنت اغدو الى دكان استاذي ففتحتم اورششتها واستلقيت على ظهري ففكرت فيما قال لي ومن اين يمكن أن يصير الى ألف دينار فقلت لعل سقف المكان يتفرج فيسقط منه هذا المال وجعلت اجيل ففكرت واني كذلك الى ضحى اذ وقف علي جماعة من اعوان الخراج معهم ناس فقالوا هذه دكان ابن عقيل ثم قالوا لي قم فقلت لهم لست

ابن عقيل انا غلامه فقالوا بل انت ابنه وجذوني فأخرجوني من الدكان فقلت الى ابن فقالوا الى ديوان
الاستاذ أبي علي - الحسين بن احمد يعنون ابا زنبور فقلت وما يصنع في فقالوا اذا جئت سمعت كلامه وما يريد
منك وكنت بعقب علة ضعيف البدن فقلت ما اقدر أمشي فقالوا أكثر جارا تركبه ولم يكن معي ما أكثرى به
جارا فزعت نكة سراويلي من وسطى ودفعها علي درهم من لمن اكراني الجمار ومضيت معهم فجأوا بي الى دار أبي
زنبور فلما دخلت قال لي انت ابن عقيل فقلت لا يا سيدي انا غلام في حانوته قال أفليس تبصر قيمة الخشب قلت بلى
قال فاذهب مع هؤلاء فقوم لنا هذا الخشب فانظر بحيث لا يزيد ولا ينقص فضيت معهم فجأوا بي الى شط
البحر الى خشب كثير من اثل وسنط جاف وغير ذلك مما يصلح لبناء المراكب فقومته تقويم جرع حتى بلغت
قيمتها ألفي دينار فقالوا لي انظر هذا الموضع الاخر فيه من الخشب ايضا فنظرت فاذا هو أكثر مما قومت بنحو
مترين فأعجلوني ولم اضبط قيمة الخشب فردوني الى ابي زنبور فقال لي قومت الخشب كما أمرتك فزعت فقلت
نعم فقال هات كم قومته فقلت ألفا دينار فقال انظر لا تغفل فقلت هو قيمته عندي فقال لي خذها انت بألفي دينار
فقلت انا فقير لا املك ديناراً واحداً فكيف لي بقيته قال ألت تحسن تدبيره وتبيعه فقلت بلى قال فدبره وبعه
وفحن نصبر عليك بالثمن الى أن تبيع شيئاً شياً وتؤدي عنه فقلت أفعل فأمر بكتاب يكتب علي - في الديوان
بالمال فكتب علي - ورجعت الى الشط اعرف عدد الخشب وأوصي به الحراس فوافيت جماعة اهل سوقنا
وشيوخهم قد أتوا الى موضع الخشب فقالوا لي ايش صنعت قومت الخشب قلت نعم قالوا بكم قومته فقلت
بألفي دينار فقالوا لي وأنت تحسن تقوم لا يساوي هذا هذه القيمة فقلت لهم قد كتب علي - كتاب في الديوان وهو
عندي يساوي أضعاف هذا فقالوا لي اسمك لا اسمك احد وكانوا قد قومه قبلي لابي زنبور بألف دينار
فقال بعضهم لبعض أعطوا هذا ربحه وتسلموه أنتم فقال قائل أعطوه ربحه خمسمائة دينار فقلت لا والله لا آخذ
فقالوا قد رأي رؤيا فزبدوه فقلت لا والله لا آخذ أقل - من ألف دينار قالوا فلك ألف دينار فقول اسمك من
الديوان نعطك اذ بعنا ألف دينار فقلت لا والله لا افعل حتى آخذ الالف دينار في وقتي هذا فخصوا الى حوانيتهم
والى منازلهم حتى جاؤني بألف دينار فقلت لا آخذها الا بنقد الصيرفي - وميزانه فضيت معهم الى صيرفي -
الناحية حتى وزنوا عنده الالف دينار ونقدتها وأخذتها فشدتها في طرف رداءي ومضيت معهم الى الديوان
وحولت اسماءهم مكان اسمي ووفوا حق الديوان من عندهم ورجعت وقت الظهر الى استاذي فقال لي قبضت
ألف دينار منهم فقلت نعم ببركتك وترككت الدنانير بين يديه وقلت له يا استاذ خذ غن العود الخشب
فقال لا والله لا آخذ منك شيئاً أنت عندي مقام ابني وجاء في الوقت ابن العسال فدفع اليه استاذي العود
الخشب فحضي فهذا خبر رؤياي وتفسيرها فتأمل اعزك الله ما يشتمل عليه من عظم ما كانت عليه مصر وسعة
حال الديوان وكيف فضل فيه خشب يساوي الافاض الذهب ونحن اليوم في زمن اذا احتج فيه الى عمارة شئ
من الاماكن السلطانية بخشب او غيره أخذ من الناس ما بغير غن او بأخس القيم مع ما يصيب مالكة من
الخوف والخسارة للاعوان وكيف لما قوم هذا الخشب لم يكاف المشتري دفع المال في الحال وفي زمننا اذا
طرح البضاعة السلطانية على الباعة يكلفون حمل غنها بالسرعة حتى ان فيهم من يبيعها بأقل - من نصف
ما اشتراها به ويكمل الثمن امان من ماله أو يقترضه بربح وكيف لما علم اهل السوق أن الخشب يبيع بدون القيمة
لم يمضوا الى الديوان ويدفعون فيه زيادة اما لقله شره الناس اذ ذاك وتركهم الاخلاق الرذيلة من الحسد
ونحوه ولعلمهم بعدل السلطان وانه لا ينكث ما عهده وفي زمننا لو ادعى عدو على عدوه أن البضاعة التي كان
اشتراها من الديوان قيمتها أكثر مما اخذها به لقبل قوله وغرم زيادة على ما ادعاه عدوه من قلة القيمة جلة اخرى
لاجرم أنه تظاهرسفهاء الناس بكل رذيلة وذميمة من الاخلاق فان الملك سوق يجي اليه ما تنق به وكيف لما علم
ابن عقيل أن غلامه استفاد على اسمه ألف دينار لم يشره الى أخذه بل دفع عنه خمسة الدنانير وما ذاك الا من
انتشار الخير في الناس وكثرة اموالهم وسعة حال كل أحد بحسبه وطيب نفوس الكافة ولعمري لو سمع
في زمننا أحد من الامراء والوزراء فضلا عن الباعة أن غلاما من غلمانه أخذ على اسمه عشر هذا المبلغ
لقامت قيسامته وكيف اتسعت احوال الخساين حتى وزنوا ألف دينار في ساعة وانه ليعسر اليوم على
الخساين أن يزنوا في يوم مائة دينار وهذا كله من وفور غنى الناس بمصر وعظم امرهم وكثرة سعادتهم وكان

لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقدت اهلها خير الدين والدين وقال ابن لهيعة عن عقبة بن عامر الحضرمي عن حيان بن الاعين عن عبد الله بن عمرو قال ان اول مصر خرابا انطابلس وقال الليث بن سعد عن يزيد بن ابي حبيب عن مالم بن ابي سالم عن عبد الله بن عمرو قال اني لاعلم السنة التي تخرجون فيها من مصر قال فقلت له ما يخرجنا منها يا ابا محمد اعدت قال لا ولكن يخرجكم منها بلكم هذا يغور فلا تبقى منه قطرة حتى تكون فيه الكتابان من الرمل وتاكل سباع الارض حباته

* (ذكر خراب القسطاط) *

وكان لخراب مدينة قسطاط مصر سببان أحدهما الشدة العظمى التي كانت في خلافة المستنصر بالله الفاطمي والثاني حريق مصر في وزارة شاور بن مجير السعدي * (فاما الشدة العظمى) * فان سببها أن السعرات رفع بمصر في سنة ست وأربعين وأربعمائة وتبع الغلاء وباء فبعث الخليفة المستنصر بالله ابو تميم معذب الظاهر لا عزازدين الله ابي الحسن على الى قسطنطينية أن يحمله الغلال الى مصر فأطلق اربعمائة الف اردب وعزم على حملها الى مصر فأدركه أجله ومات قبل ذلك فقام في الملك بعده امرأة وكتبت الى المستنصر تسأله أن يكون عوناً لها ويمتد لها بعساكر مصر اذا ثار عليها أحد فأبى أن يسعها في طلبها فخرت لذلك وعاشت الغلال عن المسير الى مصر فحق المستنصر وجهز العساكر وعليها مكين الدولة الحسن بن ملهم وسارت الى اللاذقية فحاربتها بسبب نقض الهدنة وامسك الغلال عن الوصول الى مصر وامتد لها بالعساكر الكثيرة ونودي في بلاد الشام بالغزو فنزل ابن ملهم قريبا من فامية وضائق اهلها وجال في أعمال انطاكية فسبي ونهب فأخرج صاحب قسطنطينية ثمانين قطعة في البحر فحاربها ابن ملهم عدة مرار وكانت عليه واسره ووجاعة كثيرة في شهر ربيع الاول منها فبعث المستنصر في سنة سبع وأربعين ابا عبد الله القاضي برسالة الى القسطنطينية فوافى اليها رسول طغرل السلجوقي من العراق بكتابة يامره قسطنطينية بأن يعين الرسول من الصلاة في جامع القسطنطينية فأذن له في ذلك فدخل اليه وصلى فيه صلاة الجمعة وخطب للخليفة التأييد بأمر الله العباسي فبعث القاضي القاضي الى المستنصر يخبره بذلك فأرسل الى كنيسة قمامة بيت المقدس وقبض على جميع ما فيها وكان شيئا كثيرا من اموال النصارى ففسد من حيث ذلك ما بين الروم والمصريين حتى استولوا على بلاد الساحل كلها وحاصروا القاهرة كبر في موضعه ان شاء الله تعالى واشتد في هذه السنة الغلاء وكثر الوفاة بمصر والقاهرة وأعمالها الى سنة أربع وخسين وأربعمائة فحدث مع ذلك القسنة العظيمة التي خرب بسببها اقليم مصر كله وذلك أن المستنصر لما خرج على عادته في كل سنة على الحب مع النساء والحشم الى ارض الحب خارج القاهرة جزد بعض الاتراك سيفا وهو سكران على احد عبيد الشراء فاجتمع عليه كثير من العبيد وقتلوه فحق لقتله الاتراك وساروا بمجميعهم الى المستنصر وقالوا ان كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة وان كان من غير رضى أمير المؤمنين فلا نرضى بذلك فتبرأ المستنصر مما جرى وأنكره فجمع الاتراك لمحاربة العبيد وكانت بينهما حروب شديدة بناحية كوم شريك قتل فيها عدة من العبيد وانهم من بقى منهم فشق ذلك على أم المستنصر فانها كانت السبب في كثرة العبيد السود بمصر وذلك انها كانت جارية سوداء فأحبت الاستكثار من جنسها واشترتهم من كل مكان وعرفت رغبةا في هذا الجنس فخلبت الناس الى مصر منهم حتى يقال انه صار في مصر اذ ذلك زيادة على خمسين الف عبد أسود فلما كانت وقعة كوم شريك امتدت العبيد بالاموال والسلاح سرا وكانت أم المستنصر قد تحكمت في الدولة وحققت على الاتراك وحثت على قتلهم مولاهم ابا سعد التستري فقويت العبيد لذلك حتى صار الواحد منهم يحكم بما يختار فكرهت الاتراك ذلك وكان ما ذكر فظفر بعض الاتراك يوما بشئ من المال والسلاح قد بعثت به أم المستنصر الى العبيد فمدهم به بعد انهم زامهم من كوم شريك فاجتمعوا بأسرهم ودخلوا على المستنصر واغلظوا في القول خلف انه لم يكن عنده علم بما ذكر وصاروا الى امه فانكرت ما فعلت وخرج الاتراك فصار السيف قائما ووقعت القسنة ثانيا فالتدب المستنصر ابا الفرج ابن المغربي ليصلح بين الطائفتين فاصطلحا على غل وخرج العبيد الى شبراخين منهور فكان هذا اول اختلال احوال اهل مصر ودبت عتارب العداوة بين القسنتين الى سنة تسع وخسين فقويت شوكة الاتراك وضرروا على المستنصر وزاد طمعهم

فيه وطلبوا منه الزيادة في واجباتهم وضائق احوال العبيد واشتدت ضرورتهم وكثر حاجتهم وقل مال
السلطان واستضعف جانبه فبعث أم المستنصر الى قواد العبيد تغريهم بالاتراك فاجتمعوا بالجيزة وخرج اليهم
الاتراك ومقدمهم ناصر الدين حسين بن حمدان فاقتلوا عدة من اشرافهم في آخرها الاتراك على العبيد وهزمهم
الى بلاد الصعيد فعاد ابن حمدان الى القاهرة وقد عظم امره وقوى جاشه وكبرت نفسه واستخف بالخليفة فجاءه
الخطب أنه قد تجتمع من العبيد ببلاد الصعيد نحو خمسة عشر الف فارس فقلق وبعث بمتمدى الاتراك الى المستنصر
فأنكر ما كان من اجتماع العبيد وجفوا في خطابهم وفارقوه على غير رضى منهم فبعثت أم المستنصر الى من
يحضرتهم من العبيد تأمرهم بالايقاع على غفلة الاتراك فجمعوا عليهم وقتلوا منهم عدة فبادر ابن حمدان الى
الخروج ظاهر القاهرة وتلاحق به الاتراك وبرز اليهم العبيد المقيمون بالقاهرة ومصر وحاربوهم عدة ايام خلف
ابن حمدان أنه لا ينزل عن فرسه حتى ينقصل الامر امانه أو عليه وجد كل من الفريقين في القتال فظهرت
الاتراك على العبيد وأنخنوا في قتلهم وأسروهم فعادوا الى القاهرة وتبع ابن حمدان من في البلد منهم حتى
افنى معظمهم هذا والعبيد ببلاد الصعيد على حالهم وبلا سكندرية أيضا منهم جمع كثير فساد ابن حمدان الى
الاسكندرية وحاصروهم فيها مدة حتى سألوه الامان فأخرجهم وأقام فيها من يتق به واتقضت هذه السنة كلها في
قتال العبيد ودخلت سنة ستين وأربع مائة وقد خرق الاتراك ناموس المستنصر واستهانوا به واستخفوا بقدره
وصاروا مقرروهم في كل شهر اربع مائة الف دينار بعد ما كان ثمانية وعشرين ألف دينار ولم يبق في الخزان مال
فبعثوا يطالبونه بالمال فاعتذروا اليهم بعجزه عما طلبوه فلم يعذروه وقالوا بغير ذنوبكم فلم يجدوا من اجابتهم وخرج
ما كان في القصر من الذخائر فصاروا يقومون ما يخرج اليهم بأخس القيم وأقل الاثمان ويأخذون ذلك في
واجباتهم وتجهيز ابن حمدان وسار الى الصعيد يريد قتال العبيد وكانت ضرورتهم قد كبرت وضررهم وفسادهم قد
تزايد فلقيهم وواقعهم غير مرة والاتراك تنكسر منهم وتعود الى محاربتهم الى أن حل العبيد عليهم حلة انهزموا فيها
الى الجيزة فأخشوا عند ذلك في أمر المستنصر ونسبوه الى مباطنة العبيد وتقويتهم فأنكر ذلك وحلف عليه
فأخذوا في اصلاح شأنهم ولم تشعهم وساروا لقتال العبيد وما زالوا يلحون في قتالهم حتى انكسرت العبيد كسرة
شنيعة وقتل منهم خلق كثير وفتر من بقي فذهبت شوكتهم وزالت دولتهم ورجع ابن حمدان وقد كشف قناع الحياء
وجهر بالسوء للمستنصر واستبدت بساطنة البلاد ودخلت سنة احدى وستين وابن حمدان مستبد بالامر مخاف
للمستنصر فنقل مكانه على الاتراك وتفرغوا من العبيد والتفتوا اليه وقد استبدت بالامور ونهم واستأثر
بالاموال عليهم ففسد ما بينهم وبينه وشكوا منه الى الوزير خطير الملك فأغراهم به ولا مهم على ما كان من تقويته
وحسن لهم الثورة به فصاروا الى المستنصر ووافقوه على ذلك فبعث الى ابن حمدان يأمره بالخروج عن مصر
ويهدده ان امتنع فلم يقدر على الامتناع منه لفساد الاتراك عليه وميلهم مع المستنصر فخرج الى الجيزة وانتهب
الناس دوره ودور حواشيه فلما جن عليه الليل عاد من الجيزة سرا الى دار القائد تاج الملوك شادى وتراعى عليه
وقبل رجله وسأله النصرة على الذكر والوزير الخطير فانهما قاما بهذه الفتنة فأجابه الى ذلك ووعد به بقتل
الذكورين وفارقه ابن حمدان فلما كان من الغد ركب شادى في اصحابه وأخذ يسير بين القصرين بالقاهرة
وأقبل الوزير الخطير في موكبه فبادره شادى على حين غفلة وقتله ففر الذكر الى القصر والتجأ بالمستنصر فلم يكن
بأسرع من قدوم ابن حمدان وقد استعدت للعرب فيمن معه فركب المستنصر بلامه الحرب واجتمع اليه الاجناد
والعامة وصار في عدد لا يحصر وبرزت الفرسان فكانت بين الخليفة وابن حمدان حروب آلت الى هزيمة ابن
حمدان وقتل كثير من اصحابه فحصى في طائفة الى الجيزة وتراعى على بنى سيس وترقىح منهم فغظم الامر بالقاهرة
ومصر من شدة الغلاء وقلة الاقوات لما فسد من الاعمال بكثرة النهب وقطع الطريق حتى اكل الناس الحيف
والميتات ووقف ارباب الفساد في الطريق فصاروا يقتلون من ظفروا به في أرقعة مصر فهلك من اهل مصر في هذه
الحروب والفتن ما لا يمكن حصره وامتد ذلك الى أن دخلت سنة ثلاث وستين فجهز المستنصر عساكره لقتال ابن
حمدان بالبحيرة فسانت اليه ولم يوفق في محاربته فكسرها كاهوا واحتوى على ما كان معها من سلاح وكراع ومال
فتقوى به وقطع الميرة عن البلد ونهب اكثر الوجه البحرى وقطع منه الخطبة للمستنصر ودعا الخليفة القائم
بأمر الله العباسى بالاسكندرية ودمياط وعامة الوجه البحرى فاشتد الجوع وتزايد الموتان بالقاهرة ومصر

حتى انه كان يموت الواحد من اهل البيت فلا يمضي يوم وليله من موته حتى يموت سائر من في ذلك البيت ولا يوجد من يستولى عليه ومدت الاجناد أيديها الى الذهب فخرج الامر عن الحدة ونجا اهل القوة بأنفسهم من مصر وساروا الى الشام والعراق وخرج من خزائن القصر ما يجلب وصفه وقد ذكر طرف من ذلك في أخبار القاهرة عند ذكر خزائن القصر فاضطر الاجناد ما هم فيه من شدة الجوع الى مصالحة ابن حمدان بشرط أن يقيم في مكانه ويحمل اليه مال مقرر وينوب عنه شادي بالقاهرة فرضى بذلك وسير الغلال الى القاهرة ومصر فتمكن ما بالناس من شدة الجوع قليلا ولم يتمكن ذلك الا نحو شهر ووقع الاختلاف عليه فقدم من البحيرة الى مصر وحاصرها وانتهبها وأحرق دورا عديدة بالساحل ورجع الى البحيرة فدخلت سنة اربع وستين والحال على ذلك وشادي قد استبنت بأمر الدولة وفسد ما بينه وبين ابن حمدان ومنعه من المال الذي تقرر له وشجع به عليه فلم يوصله الا القليل فحرد من ذلك ابن حمدان وجمع العربان وسار الى الجزيرة وخادع شادي حتى صار اليه ليلا في عتمة من الاكابر فقبض عليه وعليهم وبعث اصحابه فنهبوا مصر واطلقوا فيها النار فخرج اليهم عسكر المستنصر من القاهرة وهزموهم فعاد الى البحيرة وبعث رسولا الى الخليفة القائم بأمر الله ببغداد باقامة الخطبة له وسأله الخلع والتشريف فأنه جعل أمر المستنصر وتلاشي ذكره وتفاقم الامر في الشدة من الغلاء حتى هلكوا فسادا ابن حمدان الى البلد وليس في أحد قوة يمنع بها تلك القاهرة وامتنع المستنصر بالقصر فسير اليه رسولا يطلب منه المال فوجدته وقد ذهب سائر ما كان يعهده من اية الخلافة حتى جلس على حصير ولم يبق معه سوى ثلاثة من الخدم فبلغه رسالة ابن حمدان فقال المستنصر للرسول ما يكفي ناصر الدولة أن اجلس في مثل هذا البيت على هذا الحال فبكي الرسول رقة له وعاد الى ابن حمدان فأخبره بما شاهد من اتضاع أمر المستنصر وسوء حاله فكف عنه وأطلق له في كل شهر مائة دينار واستدت يده وشكك وبالف في اهانة المستنصر بمبالغه عظيمة وقبض على امه وعاقبها اشد العقوبة واستصفي اموالها فحاز منها شيئا كثيرا ففرق حيث نذر المستنصر جميع أقاربه واولاده من الجوع منهم من سار الى المغرب ومنهم من سار الى الشام والعراق * قال الشريف محمد بن اسعد الجواني في النسابة في كتاب النقط حل بمصر غلاء شديد في خلافة المستنصر بالله في سنة سبع وخمسين واربع مائة واقام الى سنة اربع وستين وأربع مائة وعم مع الغلاء وباء شديد فأقام ذلك سبع سنين والنيل يمتد وينزل فلا يجرد من زرع وشمل الخوف من العسكرية وفساد العبيد فاقطعت الطرقات بزواجر الاباء والخفارة الكثيرة مع ركوب الفرر ونزول المارقون بعضهم على بعض واستولى الجوع لعدم القوت وصار الحال الى أن يسع رغيف من الخبز الذي وزنه رطل بترفاق الفسادل كبسع الطرف في النداء بأربعة عشر درهما ويسع اردب من القمح ثمانين دينار ثم عدم ذلك واكلت الكلاب والقطاط ثم تزايد الحال حتى اكل الناس بعضهم بعضا وكان بمصر طوائف من اهل الفساد قد سكنوا بيوت اقاصير السقوف قريبة من يسمى في الطرقات ويظوف وقد أعدوا سلبا وخطاطيف فاذا مر بهم أحد سالوه في أقرب وقت ثم ضربوه بالآخشاب وشترحوالجه واكاهه * قال وحديثي بعض نساء الصالحات قالت كانت لسان الجارات امرأة ترينا انفاذا وفيها كالحفر فكأنسا لها فنقول اننا نحن خطفي اكلة الناس في الشدة فأخذني انسان وكنت ذات جسم ومن فأخذني الى بيت فيه سكاكين وآثار الدماء وزفرة القتلى فأضجعتني على وجهي وربط في يدي ورجلي سلبا الى اوتاد حديد عريانة ثم شرع من انفاذي شرائع وأنا استغيث ولا أحد يجيبني ثم اضرم الفهم وشوى من لحمي وأكل الكلا كثيرا ثم سكر حتى وقع على جنبه لا يعرف اين هو فأخذت في الحركة الى أن انحل أحد الاوتاد وأعان الله على الخلاص وتخلصت وحملت الرباط وأخذت خرقا من داره ولقفت بها انفاذي وزحفت الى باب الدار وخرجت ازحف الى أن وقعت الى المأمن وجئت الى بيتي وعزفتهم بموضعه فخصوا الى الوالى فكبس عليه وضرب عنقه وأقام الدواء في انفاذي سنة الى أن ختم الجرح وبقي كذا حفر او بسبب هذا الغلاء خرب القسطاط وخلا موضع العسكر والقطائع وظاهر مصر مما يلي القرافة حيث الكيمان الآن الى بركة الحبش فلما قدم امير الجيوش بدر الجمالي الى مصر وقام بتدبير أمرها فقلت أنقاض ظاهر مصر مما يلي القاهرة حيث كان العسكر والقطائع وصار فضاء وكما نافيما بين مصر والقاهرة وفيما بين مصر والقرافة وتراجعت أحوال القسطاط بعد ذلك حتى قارب ما كان عليه قبل الشدة * (وأما حريق مصر) * وكان سببه أن الفرنج لما تغلبوا على ممالك الشام واستولوا على السواحل حتى صار بايدهم ما بين ملطية

الى بليس الامدينة دمشق قط وصار امر الوزارة بديار مصر لشاور بن مجير السعدى والخليفة يومئذ العاضدين الله عبدالله بن يوسف اسم لا معنى له وقام في منصب الوزارة بالقوة في صفر سنة ثمان وخسين وخمسة وتلقب بأمير الجيوش وأخذ أموال بني رزيك وزراء مصر وملوكها من قبله فلما استبدت بالامرة حسده ضرغام صاحب الباب وجمع جوعا كثيرة وغلب شاور على الوزارة في شهر رمضان منها فساو شاور الى الشام واستقل ضرغام بسلطنة مصر فكان بمصر في هذه السنة ثلاثة وزراء هم العادل بن رزيك بن طلائع بن رزيك وشاور بن مجير وضرغام فأساء ضرغام السيرة في قتل امرأ الدولة وضعفت من اجل ذلك دولة الفاطميين بذهاب رجالها الاكابر ثم ان شاور استجد بالسلطان نور الدين محمود بن زكي صاحب الشام فأمنجه وبعث معه عسكرا كثيرا في جمادى الاولى سنة تسع وخسين وقدم عليه أسد الدين شيركوه على أن يكون لنور الدين اذا عاد شاور الى منصب الوزارة ثلث خراج مصر بعد اقطاعات العساكر وأن يكون شيركوه عنده بعساكره في مصر ولا تصرف الا بأمر نور الدين فخرج ضرغام بالعسكر وحاربه في بليس فانهمز وعاد الى مصر فقتل شاور بين معه عند التاج خارج القاهرة وانتشر عسكره في البلاد وبعث ضرغام الى اهل البلاد فأقوه خوفا من الترك القادمين معه وأتته الطائفة الريحانية والطائفة الجيوشية فامتنعوا بالقاهرة ونطارذوا مع طلائع شاور بأرض الطبالة فقتل شاور في المقس وحارب اهل القاهرة فغلبوه حتى ارتفع الى بركة الحبش فقتل على الرصد استولى على مدينة مصر وأقام اياما مال الناس اليه وانحرفوا عن ضرغام لامور فقتل شاور بالقوق وكانت بينه وبين ضرغام حروب آلت الى احراق الدور من باب سعادة الى باب القنطرة خارج القاهرة وقتل كثير من الفريقين واختل أمر ضرغام وانهمز فلما شاور القاهرة وقتل ضرغام آخر جمادى الآخرة سنة تسع وخسين فأخلف شيركوه ما وعده السلطان نور الدين وأمره بالخروج عن مصر فأبى عليه واقتتلا وكان شيركوه قد بعث بابن اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب الى بليس ليجمع له الغلال وغيرها من الاموال فحشد شاور وقائل الشاميين فحرق وقائع واحرق وجه الخليج خارج القاهرة بأمره وقطعة من حارة زويلة فبعث شاور الى الفريق واستجدهم فطمعوا في البلاد وخرج منهم ملى هم مرى من عدلان بجموعه فبلغ ذلك شيركوه فرحل عن القاهرة بعد طول محاصرتها ونزل بليس فاجتمع على قتاله بها شاور وملك الفريق وحصره بها وكانت اذ ذلك حصينة ذات أسوار فأقام محصورا مدة ثلاثة اشهر وبلغ ذلك نور الدين فأغار على ما قرب منه من بلاد الفريق وأخذها من ايديهم فخافوه ووقع الصلح مع شيركوه على عودته الى الشام فخرج في ذي الحجة ولحق بنور الدين فأقام وفي نفسه من مصر أمر عظيم الى أن دخلت سنة اثنتي عشرة وخسين فجهزه نور الدين الى مصر في جيش قوى في ربيع الاول وسيره فبلغ ذلك شاور فبعث الى ملى الفريق مستجدا به فساو بجموع الفريق حتى نزل بليس فوافاه شاور وأقام حتى قدم شيركوه الى اطراف مصر فلم يطق لقاء القوم فسار حتى خرج من اطفح الى جهة بلاد الصعيد من ناحية بحر القلزم فبلغ شاور أن شيركوه قد ملك بلاد الصعيد فحفظ في يده ونهض للفرار من بليس ومعه الفريق فكان من حروبه مع شيركوه ما كان حتى انهزم بالاشمونين وسار منها بعد الهزيمة الى الاسكندرية فملكها وأقربها ابن اخيه صلاح الدين وخرج الى الصعيد فخرج شاور بالفريق وحصر الاسكندرية أشد حصارا فساو شيركوه من قوص ونزل على القاهرة وحاصرها فرحل اليه شاور وكانت امورات الى الصلح وسار شيركوه بن معه الى الشام في شوال فطمع مرى في البلاد وجعل له شحنة بالقاهرة وصارت أسوارها بيد فرسان الفريق وتقرر لهم في كل سنة مائة ألف دينار ثم رحل الى بلاده وترك بالقاهرة من يثق به من الفريق وسار شيركوه الى الشام فتحكم الفريق في القاهرة حكما جائرا وركبوا المسلمين بالاذى العظيم وتيقنوا عجز الدولة عن مقاومتهم وانكسفت لهم عورات الناس الى أن دخلت سنة اربع وستين فجمع مرى جمعا عظيما من اجناس الفريق وأقطعهم بلاد مصر وسار يريد أخذ مصر فبعث اليه شاور يسأله عن سبب مسيره فاعتل بأن الفريق غلبوه على قصد ديار مصر وأنه يريد ان يلقى الدينار بريضهم بها وسار فقتل على بليس وحاصرها حتى اخذها عنوة في صفر فسبى اهلها وقصد القاهرة فسار العاضد كسبه الى نور الدين وفيها شعور نساؤه وبناته يسأله انقاذ المسلمين من الفريق وسار مرى من بليس فقتل على بركة الحبش وقد انضم الناس من الاعمال الى القاهرة فنادى شاور بمصر أن لا يقيم بها احد وأزعج الناس في النقلة منها فتركوا اموالهم وأثألهم ونجوا بأنفسهم واولادهم

وقد ماج الناس واضطربوا كأنما خرجوا من قبورهم الى المحشر لا بعباءة ولا بدولاء ولا يلتفت اخ الى اخيه وبلغ كراء الدابة من مصر الى القاهرة بضعة عشر ديناراً وكراء الجمل الى ثلاثين ديناراً ونزلوا بالقاهرة في المساجد والحمامات والازقة وعلى الطرقات فصاروا مطروحين بعيالهم وأولادهم وقد سلبوا سائر أموالهم ويتظرون هجوم العدو على القاهرة بالسيف كما فعل بمدينة بليس وبعث شاور الى مصر بعشرين ألف قارورة نפט وعشرة آلاف مشعل نار فترق ذلك فيها فارتفع لهب النار ودخان الحريق الى السماء فصار منظر امهول ولا فاستمرت النار تأتى على مساكن مصر من اليوم التاسع والعشرين من صفر لتقام اربعة وخسين يوماً والنهاية من العبيد ورجال الاسطول وغيرهم بهذه المنازل في طلب الخبايا فلما وقع الحريق بمصر رحل مري من بركة الحبش ونزل بظلمة القاهرة مما يلي باب البرقية وقاتل اهلها قتالاً كثيراً حتى زلزلوا زلا شديداً وضعت نفوسهم وكادوا يؤخذون عنوة فعاد شاور الى مقاتلة الفريق وجرحت امورات الى الصلح على مال فيناهم في جبايته اذ بلغ الفريق محجى اسد الدين شيركوه بعساكر الشام من عند السلطان نور الدين محمود فدخلوا في ربيع الآخر الى بليس وساروا منها الى فاقوس فصاروا الى بلادهم بالساحل ونزل شيركوه بالمقس خارج القاهرة وكان من قتل شاور واستيلاء شيركوه على مصر ما كان من حينئذ خرجت مصر القسطاط هذا الخراب الذي هو الآن كيمان مصر وتلاشى امرها واقترع اهلها وذهبت اموالهم وزالت نعمهم فلما استبد شيركوه بوزارة العاضد أمر باحضار اعيان اهل مصر الذين خلوا عن ديارهم في الفتنة وصاروا بالقاهرة وتغلب لصاحبهم وسفه رأى شاور في احراق المدينة وأمرهم بالعود اليها فشكلوا اليه ما بهم من الفقر والفاقة وخراب المنازل وقالوا الى اى مكان نرجع وفي اى مكان ننزل ونأوى وقد صارت كما ترى وبكوا وأبكوا فوعدهم جيلاً وترفق بهم وأمر فنودى في الناس بالرجوع الى مصر فراجع اليها الناس قليلاً قليلاً وعمر وما حول الجامع الى أن كانت المحنة من الغلاء والوباء العظيم في سلطنة الملك العادل ابي بكر بن ايوب لستى خمس وست وخمسة فخرت من مصر جانب كبير ثم تحايا الناس بها واكثر من العمارة بجانب مصر الغربى على شاطئ النيل لما عمر الملك الصالح نجم الدين ايوب قلعة الروضة وصار بمصر عدة آدر جليلة وأسواق ضخمة فلما كان غلاء مصر والوباء الكائن في سلطنة الملك العادل كئيباً سنة ست وتسعين وسبعمائة فخرت كثير من مساكن مصر وتراجع الناس بعد ذلك في العمارة الى سنة تسع واربعين وسبعمائة فحدث الفناء الكبير الذى اقفر منه معظم دور مصر وخرت ثم تحايا الناس من بعد الوباء وصار ما يحيط بالجامع العتيق وما على شط النيل عامراً الى سنة ست وسبعين وسبعمائة فخرت بلاد مصر وحدث الوباء بعد الغلاء فخرت كثير من عامر مصر ولم يزل يخرب شيئاً بعد شئ الى سنة تسعين وسبعمائة فعظم الخراب في خط زقاق القناديل وخط النحاسين وشرع الناس في هدم دور مصر وبيع اتقاضها حتى صارت على ما هي عليه الآن وتلك التى اهلكهاهم لما ظلموا وجعلناهم هلكهم موعداً

* (ذكر ما قبل في مدينة قسطاط مصر) *

قال ابن رضوان والمدينة الكبرى اليوم بأرض مصر ذات اربعة أجزاء القسطاط والقاهرة والجزيرة والجزيرة وبعد هذه المدينة عن خط الاستواء ثلاثون درجة والجبل المقطم في شرقها وبينها وبين مقابر المدينة وقد قالت الاطباء ان أردأ المواضع ما كان الجبل في شرقه يعوق ريح الصبا عنه وأعظم اجزائها هو القسطاط وبلى القسطاط من الغرب النيل وعلى شط النيل الغربى اشجار طوال وقصار وأعظم اجزاء القسطاط موضع في غورفانه يعالوه من المشرق المقطم ومن الجنوب الشرف ومن الشمال الموضع العالى من عمل فوق اعنى الموقف والعسكر وجامع ابن طولون ومتى نظرت الى القسطاط من الشرق او من مكان آخر عال رأيت وضعها في غور وقد بين ابقراط أن المواضع المتسقلة اسخن من المواضع المرتفعة وأردأ هواء لاحتقان البخار فيها ولان ما حولها من المواضع العالية يعوق تحليل الرياح لها وأزقة القسطاط وشوارعها ضيقة وانبثاها عالية وقد قال روفس اذا دخلت مدينة فرأيتها ضيقة الازقة مرتفعة البناء فاهرب منها لانها بيئة أراد أن البخار لا ينحل منها كما ينبغي لضيق الازقة وارتفاع البناء * ومن شأن اهل القسطاط أن يرموا ما يموت في دورهم من السنابير

والكلاب ونحوها من الحيوان الذي يخالط الناس في شوارعهم وأزقتهم فتعفن وتخالط عفونتها الهواء ومن شأنهم أيضا أن يرموا في النيل الذي يشربون منه فضول حيواناتهم وجيفها وخزرات كنفهم تصب فيه وربما انقطع جرى الماء فيشربون هذه العفونة باختلاطها بالماء وفي خلال القسطاط مستوقدات عظيمة يصعد منها في الهواء دخان مفرط وهي أيضا كثيرة الغبار لسخانة أرضها حتى أنك ترى الهواء في أيام الصيف كدرا يأخذ بالنفس ويتسخ الثوب التنظيف في اليوم الواحد وإذا مر الإنسان في حاجة لم يرجع الا وقد اجتمع في وجهه وحيثه غبار كثير ويعلوه في العشيات خاصة في أيام الصيف بخار كدرا أسود وأغبر سيما إذا كان الهواء سليما من الرياح وإذا كانت هذه الأشياء كما وصفتنا فمن البين أنه يصير الروح الحيواني الذي فيها حاله كهذه الحال فيتولد إذا في البدن من هذه الاعراض فضول كثيرة واستعدادات نحو العفن الآن الفأول القسطاط لهذه الحال وانهم بها يعوق عنهم أكثر شرها وان كانوا على كل حال أسرع أهل مصر وقوعا في الامراض وما يلي النيل من القسطاط يجب أن يكون أرطب مما يلي الصحراء وأهل الشرق أصح حالا لتخترق الرياح لدورهم وكذلك عمل فوق والجرأ الآن أهل الشرف الذي يشربونه أجود لانه يستقي قبل أن تتخالطه عفونة القسطاط فأما القرافة فأجود هذه المواضع لان المقطم يعوق بخار القسطاط من المرور بها وإذا هبت ريح الشمال مرتت بأجزاء كثيرة من بخار القسطاط والقاهرة على الشرف فغيرت حاله وظاهر أن المواضع المكشوفة في هذه المدينة هي اصح هواء وكذلك حال المواضع المرتفعة وأردأ موضع في المدينة الكبرى هو ما كان من القسطاط حول الجامع العتيق الى ما يلي النيل والسواحل وإذا كان في الشتاء وأول الربيع حمل من بحر الملح سمك كثير فيصل الى هذه المدينة وقد عفن وصارت له رائحة منكرة جدا فيباع في القاهرة وبأكلها أهل القسطاط فيجتمعون في أبدانهم منه فضول كثيرة عفنة فلولا اعتدال امزجتهم وصحة أبدانهم في هذا الزمان لكان ذلك يولد في أبدانهم أمراضا كثيرة قاتلة الآن قوة الاستمرار تعوق عن ذلك وربما انقطع النيل في آخر الربيع وأول الصيف من جهة القسطاط فيعفن بكثرة ما يلقى فيه الى أن يبلغ عفنه الى أن تصير له رائحة منكرة محسوسة وظاهر أن هذا الماء إذا صار على هذه الحال غير مزاج الناس تغيرا محسوسا قال فمن البين أن أهل هذه المدينة الكبرى بأرض مصر أسرع وقوعا في الامراض من جميع أهل هذه الارض ما خلا أهل الفيوم فانها ايضا قريبة وأردأ ما في المدينة الموضع الغامر من القسطاط ولذلك غلب على أهلها الجبن وقلة الكرم وأنه ليس احد منهم يغيث ولا يضيف الغريب الا في النادر وصاروا من السعاية والاعتياب على امر عظيم ولقد بلغ بهم الجبن الى أن خمسة اعوان تسوق منهم مائة رجل واكثروا سوق الاعوان المذكورين رجل واحد من أهل البلدان الاخرى ومن قد تدرّب في الحرب فقد استبان اذا العلة والسبب في أن صار أهل المدينة الكبرى بأرض مصر أسرع وقوعا في الامراض من جميع أهل هذه الارض وأضعف انفسا ولعل لهذا السبب اختار القدماء اتخاذ المدينة في غير هذا الموضع فمن جعلها بمنف وهي مصر القديمة ومنهم من جعلها بالاسكندرية ومنهم من جعلها بغير هذه المواضع ويدل على ذلك آثارهم * وقال ابن سعيد عن كتاب الكائن * وأما قسطاط مصر فان مبانيها كانت في القديم متصلة بمباني مدينة عين شمس وجاء الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن وعليه نزل عمرو ابن العاص وضرب قسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه ثم لما فتحها قسم المنازل على القبائل ونسبت المدينة اليه فقل قسطاط عمرو وتد اوت عليها بعد ذلك ولادة مصر فالتخذوها سرايرا للسلطنة ونضاعت عمارتها فأقبل الناس من كل جانب اليها وقصروا امنهم عليها الى أن رسخت بها دولة بني طولون فبنوا الى جانبها المنازل المعروفة بالقطائع وبها كان مسجد ابن طولون الذي هو الآن الى جانب القاهرة وهي مدينة مستطيلة يتر النيل مع طولها ويحيط في ساحلها المراكب الا تبت من شمال النيل وجنوبه بأنواع الفوائد ولها منترحات وهي في الاقليم الثالث ولا ينزل فيها مطر الا في النادر وترابها تثيره الارجل وهو قبيح اللون تتكدر منه ارجاؤها ويسوء بسببه هواؤها وأسواق ضخمة الانما ضيقة ومبانيها بالقصب والطوب طبقة على طبقة ومذبذبت القاهرة ضعفت مدينة القسطاط وفرط في الاعتبار بها بعد الافراط وبينهما نحو ميلين وأنشد فيها الشريف العتيبي

أحس الى القسطاط شوقا وانني * لادعوا لها أن لا يحل بها القطر

وهل في الحيا من حاجة لجنابها * وفي كل قطر من جوانبها نهر
تبدت عروسا والمقطم تاجها * ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

* وقال عن كتاب آخر فالفسطاط هي قصبة مصر والجبل المقطم شرقها وهو متصل بجبل الزمرّد * وقال
عن كتاب ابن حوقل والفسطاط مدينة حسنة ينقسم النيل لديها وهي كبيرة نحو ثلث بغداد ومقدارها نحو
فرسخ على غاية العمارة والطيبة واللذّة ذات رحاب في محالها وأسواق عظام فيها ضيق ومناجر فخام ولها ظاهر
أنيق وبساتين نضرة ومنتزهات على عزم الأيام خضرة وفي الفسطاط قبائل وخطط للعرب تنسب اليها كالبصرة
والكوفة إلا أنها أقل من ذلك وهي سجة الأرض غير نقيّة التربة وتكون بها الدار سبع طبقات وستا وخسا
وربما يسكن في الدار المائتان من الناس ومعظم بنيتهم بالطوب وأسفل دورهم غير مسكون وبها مسجدان
للجمعة بنى أحدهما عمرو بن العاص في وسط الفسطاط والآخر على الموقف بنى أحمد بن طولون وكان خارج
الفسطاط أبنية بناها أحمد بن طولون ميلا في ميل يسكنها جندة تعرف بالقطنع كجاني بنو الأغلب خارج القيروان
وقادة وقد خربنا في وقتنا هذا وأخلف الله بدل القطنع بظاهر مدينة الفسطاط القاهرة * قال ابن سعيد
ولما استقرت بالقاهرة تشوّقت إلى معاينة الفسطاط فسار معي أحد أصحاب العزّة فرأيت عند باب زويلة
من الحجار المعدّة ركوب من يسير إلى الفسطاط جله عظيمة لأعهد لي بمنها في بلد فركب منها حمارا وأشار إلى
أن أركب حمارا آخر فأنتفت من ذلك جريا على عادة ما خلقت في بلاد المغرب فأعلمني أنه غير معيب على أعيان مصر
وعاينت الفقهاء وأصحاب البرّة والسادة الظاهرة يركبونها فركبت وعند ما استويت راكبا أشار المكارى
على الحمار فطار بي وأثار من الغبار الاسود ما أعشى عيني ودنس ثيابي وعانيت ما كرهته وقلته معرفتي بركوب
الحمار وشدة عدوه على قانون لم أعهد له وقله رفق المكارى وقفت في تلك الظلة المشارة من ذلك العجاج فقلت

لقيت بمصر أشدّ البوار ركوب الحمار وكل الغبار
وخطي مكار يفوق الرياح لا يعرف الرفق بهي استطار
إناديه مهلا فلا يرعوى إلى أن سجدت سجود العشار
وقدمته فوق رواق الثرى وألحد فيه ضياء النهار

فدفعني إلى المكارى أجرته وقلته أحسانك إلى أن تتركني أمشي على رجلي ومشييت إلى أن بلغتم وأقذرت
الطريق بين القاهرة والفسطاط وحققت بعد ذلك نحو الميّلين ولما أقبلت على الفسطاط ادبرت عنى المسرة
وتأملت أسوارا مثله سوداء وآفاقا مغبرة ودخلت من بابها وهو دون غلق مفض إلى خراب معمور بعبان سنية
الوضع غير مستقيمة الشوارع قد بنيت من الطوب الآدن والقصب والتخيل طبقة فوق طبقة وحول أبوابها من
التراب الاسود والازبال ما يقبض نفس التنظيف ويغض طرف الطريق فسرت وأنا معاين لاستصحاب تلك الحال
إلى أن سرت في أسواقها الضيقة فقايت من ازدحام الناس فيها بجوائج السوق والروايا التي على الجمال ما لا يفي
به إلا مشاهدته ومقاساته إلى أن انتهيت إلى المسجد الجامع فعابنت من ضيق الأسواق التي حوله ما ذكرت
به ضده في جامع اشبيلية وجامع مراكش ثم دخلت إليه فعابنت جامعاً كبيراً قديم البناء غير مزخرف
ولا محتفل في حصره التي تدور مع بعض حيطانه وتبسط فيه وأبصرت العائمة رجالاً ونساء قد جعلوه معبرا
بأوطنة أقدامهم يجوزون فيه من باب إلى باب ليقرّب عليهم الطريق والبياعون يبيعون فيه أصناف المكسرات
والكعك وما جرى مجرى ذلك والناس يأكلون منه في أمكنة عديدة غير محتشمين بل جرى العادة عندهم بذلك
وعدة صبيان بأواني ماء يطوفون على من يأكل قد جعلوا ما يحصل لهم منهم رزقا وفضلات ما كلكهم مطروحة
في صحن الجامع وفي زواياه والعنكبوت قد عظم نسجه في السقوف والاركان والحيطان والصبيان يلعبون في
صحنه وحيطانه مكتوبة بالفهم والحرة بخطوط قيحة مختلفة من كتب فقراء العائمة الآن مع هذا كله على الجامع
المذكور من الرنق وحسن القبول وانسباط النفس ما لا يتجده في جامع اشبيلية مع زخرفته والبستان الذي
في صحنه ولقد تأملت ما وجدت فيه من الارتياح والانس دون منظر يوجب ذلك فعلت انه سرّ مودع من
وقوف الصحابة رضوان الله عليهم في ساحة عند بناه واستحسن ما أبصرته فيه من خلق المصطفى للاقراء
لقرآن والفقهاء والنحو في عدة أماكن وسأت عن واردة أرزاقهم فأخبرت انهم من فروض الزكاة وما شبه ذلك

ثم أخبرت أن اقتضاءها يصعب إلا بالجاء والتعب ثم انفصلنا من هناك إلى ساحل النيل فرأيت ساحلا كدر التربة غير تظيف ولا تمتنع الساحة ولا مستقيم الاستطالة ولا عليه سوراً يبيض إلا أنه مع ذلك كثير العمارة بالمرالكب وأصناف الارزاق التي تصل من جميع اقطار الارض والنيل ولئن قلت اني لم ابصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل فاني اقول حقاً والنيل هناك ضيق لكون الجزيرة التي بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قلعة قد توسطت الماء ومالت إلى جهة القسطنطينية وبحسن سورها المبيض الشاى حسن منظر القرعة في ذلك الساحل وقد ذكر ابن حوقل الجسر الذي يكون ممتداً من القسطنطينية إلى الجزيرة وهو غير طويل ومن الجانب الآخر إلى البر الغربي المعروف ببر الجزيرة جسر آخر من الجزيرة إليه وأكثر جوار الناس بأنفسهم ودوابهم في المراكب لان هذين الجسرين قد احترما بمحصولهما في حيز قلعة السلطان ولا يجوز أحد على الجسر الذي بين الجزيرة والقسطنطينية راساً كما احترما لموضع السلطان وبتنا في ليلة ذلك اليوم بطيارة مرتفعة على جانب النيل فقلت

نزلنا من القسطنطينية أحسن منزل * بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد
وقد جعلت فيه المراكب سحرة * كسرب قطا أضفى يرف على ورد
وأصبح يطغى الموج فيه ويرغى * ويطغى حناها وهو يلعب بالترد
غدا ماؤه كالريق بمن أحبه * فمدت عليه حلبة من حل الخلد
وقد كان مثل الزهر من قبل مده * فأصبح لما زاده المذكك الورد

قلت هذا لاني لم اذق في المياه أحلى من مائه وأنه يكون قبل المذ الذي يزيد به ويفيض على اقطاره أبيض فإذا كان عباب النيل صار أحمر * وانشدني علم الدين نحر الترك ايدمر عتيق وزير الجزيرة في مدح القسطنطينية واهلها

حبذا القسطنطينية من والده * جنبت اولادها در الحفا
برد النيل اليها كدرا * فاذا ما نبح اهلها اصفا
لطفوا فالمرن لا يألفهم * بخلا لما وآهم أطفافا

ولم أرى في اهل البلاد ألطف من اهل القسطنطينية حتى انهم ألطف من اهل القاهرة وبينهما نحو حيلين وبجلاء الحال أن اهل القسطنطينية في نهاية من اللطافة واللين في الكلام وتحت ذلك من الملقوقلة المبالاة برعاية قدم العجبة وكثرة الممازجة والالفة ما يطول ذكره وأما ما يرد على القسطنطينية من متاجر البحر الاسكندراني والجزر المجازي فانه فوق ما يوصف وبها يجمع ذلك لا بالقاهرة ومنها تجهز إلى القاهرة وسائر البلاد والقسطنطينية مطابخ السكر والصابون ومعظم ما يجري هذا المجرى لان القاهرة بنيت للاختصاص بالجند كما أن جميع زى الجند بالقاهرة اعظم منه بالقسطنطينية وكذلك ما ينسج وبصاغ وسائر ما يعمل من الاشياء الرفعة السلطانية والحرايب في القسطنطينية كثيرة والقاهرة أجند وأعمر وأكثر زجة بسبب انتقال السلطان اليها وسكنى الاجناد فيها وقد نفخ روح الاعتناء والتمت في مدينة القسطنطينية الآن لمجاورتها للجزيرة الصالحية وكثير من الجند قد انتقل اليها للقرب من الخدمة وبنى على سورها جماعة منهم مناظر تهيج الناظر يعني ابن سعيد ما بنى على شقة مصر من جهة النيل

* (ذكر ما عليه مدينة مصر الآن وصفها) *

قد تقدم من الاخبار جلاء تدل على عظم ما كان بمدينة قسطنطينية مصر من المباني وكثرتها ثم الاسباب التي أوجبت خرابها وآخر ما رأيت من الكتب التي صنف في خطط مصر كإيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل تأليف القاضي الرئيس تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج الزبيرى رحمه الله وقطع على سنة خمس وعشرين وسبعمائة فذكر من الاخطاط المشهورة بذاتها لعهد اثنين وخمسين خطاً ومن الحارات ثنتي عشرة حارة ومن الازقة المشهورة ستة وثمانين زقاقاً ومن الدروب المشهورة ثلاثة وخمسين درباً ومن الخلوخ المشهورة خمسة وعشرين خوخة ومن الاسواق المشهورة تسعة عشر سوقاً ومن الخطط المشهورة بالدور ثلاثة عشر خطاً ومن الرحاب المشهورة خمس عشرة رحبة ومن العقبات المشهورة احدى عشرة عقبة ومن الكيمان المشهورة ستة كيمان ومن الاقباء عشرة أقباء ومن اليرك خمس يرك ومن السقايق خمس وستين سقيفة ومن القياسر

سبع قياس ومن مطابخ السكر العامرة ستة وستين مطبخاً ومن الشوارع ستة شوارع ومن المحارس
عشرين محرساً ومن الجوامع التي تقام فيها الجمعة بمصر وظاهرها من الجزيرة والقراة أربعة عشر جامعاً ومن
المساجد أربع مائة وثمانين مسجداً ومن المدارس سبع عشرة مدرسة ومن الزوايا ثمانين زوايا ومن الربط التي
بمصر والقراة بضعا وأربعين رباطاً ومن الاحباس والاقواق كثيراً ومن الحمامات بضعا وسبعين حماماً
ومن الكنائس وديارات النصارى ثلاثين ما بين دير وكنيسة وقدياد أكثر ما ذكره ودثر وسيرد ما قاله من
ذلك في مواضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (فأقول) ان مدينة مصر محدودة الآن بمحدود أربعة *
فحدّها الشرقي اليوم من قلعة الجبل وأنت أخذت الى باب القراة فتمت من داخل السور الفاصل بين القراة ومصر
الى كوم الجمارح وتتم من كوم الجمارح وتجعل كيمان مصر كما هي عن يمينك حتى تنتهي الى الرصد حيث اول بركة
الحبس فهذا طول مصر من جهة المشرق وكان يقال لهذه الجهة عمل فوق * وحدّها الغربي من قناطر السباع
خارج القاهرة الى موردة الحلفاء وتأخذ على شاطئ النيل الى دير الطين فهذا أيضاً طولها من جهة المغرب *
وحدّها القبلي من شاطئ النيل بدير الطين حيث ينتهي الحد الغربي الى بركة الحبش تحت الرصد حيث انتهى
الحد الشرقي فهذا عرض مصر من جهة الجنوب التي تسمى اهل مصر الجهة القبليّة * وحدّها البحري
من قناطر السباع حيث ابتداء الحد الغربي الى قلعة الجبل حيث ابتداء الحد الشرقي فهذا عرض مصر من
جهة الشمال التي تعرف بمصر بالجهة البحرية وما بين هذه الجهات الأربع فانه يطلق عليه الآن مصر فيكون اول
عرض مصر في الغرب بحر النيل وآخر عرضها في المشرق اول القراة وأول طولها من قناطر السباع وآخره
بركة الحبش فاذا عرفت ذلك ففي الجهة الغربية خط السبع سقايات ويجاوره الخليج وعليه من شرقيه حكر أقبحا
ومن غربيه المريس ومنشأة المهراني ويحاذي المنشأة من شرقي الخليج خط قنطرة السد وخط بين الزقاقين
وخط موردة الحلفاء وخط الجامع الجديد ومن شرقي خط الجامع الجديد خط المراغة ويتصل به خط الكارة
وخط المعاريج ويجاور خط الجامع الجديد من بحريه الدور التي تطل على النيل وهي متصلة الى جسر الافرنج
المتصل بدير الطين وما جاوره الى بركة الحبش وهذه الجهة هي أعمر ما في مصر الآن وأما الجهة الشرقية فليس فيها
شيء عامر الا قلعة الجبل وخط المراغة المجاور لباب القراة الى مشهد السيدة نفيسة ويجاور خط مشهد السيدة
نفيسة من قبله الفضاء الذي كان موضع الموقف والعسكر الى كوم الجمارح ثم خط كوم الجمارح وما بين كوم
الجمارح الى آخر حد طول مصر عند بركة الحبش تحت الرصد فانه كيمان وهي الخطط التي ذكرها القضاي
وخربت في الشدة العظمى زمن المستنصر وعند حريق شاور مصر كما تقدم وأما عرض مصر الذي من قناطر
السباع الى القلعة فانه عامر ويشتمل على بركة القيل الصغرى ويجاور خط السبع سقايات ويجاور الدور التي
على هذه البركة من شرقيها خط الكيش ثم خط جامع احمد بن طولون ثم خط القبيبات وينتهي الى الفضاء الذي
يتصل بقلعة الجبل وأما عرض مصر الذي من شاطئ النيل بخط دير الطين الى تحت الرصد حيث بركة الحبش
فليس فيه عمارة سوى خط دير الطين وما عدا ذلك فقد خرب بجزر اب الخطط وكان فيه خط بني وائل وخط راشدة
فأما خط السبع سقايات فانه من جهة الجمرات الدنيا وسيرد عند ذكر الاخطاط ان شاء الله تعالى وما عدا ذلك
فانه يبين من ذكر ساحل مصر

* (ذكر ساحل النيل بمدينة مصر) *

قد تقدم أن مدينة فسطاط مصر اختطها المسلمون حول جامع عمرو بن العاص وقصر الشمع وأن بحر النيل كان
ينتهي الى باب قصر الشمع الغربي المعروف بالباب الجديد ولم يكن عند فتح أرض مصر بين جامع عمرو وبين النيل
حائل ثم انحسر ماء النيل عن أرض تجاء الجامع وقصر الشمع فابتنى فيها عبد العزيز بن مروان وحاز منه بشر بن
مروان لما قدم على اخيه عبد العزيز ثم حاز منه هشام بن عبد الملك في خلافة بني فيه فلما زالت دولة بني امية
قبض ذلك في الصواني ثم اقطعه الرشيد المرمي بن الحكم فصار في يد ورثته من بعده يكترونه ويأخذون حكره
وذلك أنه كان قد اخط فيها المسلمون شيئاً بعد شيء وصار شاطئ النيل بعد انحسار ماء النيل عن الارض المذكورة
حيث الموضع الذي يعرف اليوم بسوق المعاريج * قال القضاي كان ساحل أسفل الارض بازاء المعاريج

القديم وكانت آثار المعاريح قائمة سبع درج حول ساحل البها الى ساحل البورى اليوم فعرف ساحل البورى بالمعاريح الجديد يعنى بالمعاريح الجديد موضع سوق المعاريح اليوم وكان من جملة خطط مدينة فسطاط مصر الجراوات الثلاث فالجراة الاولى من جملةها سوق وردان وكان يشرف بغريبه على النيل ويجاوره الجراة الوسطى ومن بعضها الموضع الذى يعرف اليوم بالكبارة وكانت على النيل ايضا وبجانب الكبارة الجراة القصوى وهى من بحرى الجراة الوسطى الى الموضع الذى هو اليوم خط قناطر السباع ومن جملة الجراة القصوى خط خليج مصر من حد قناطر السباع الى تجاه قنطرة السد من شرقها وبأخر الجراة القصوى الكبش وجبل يشكرو كان الكبش يشرف على النيل من غريبه وكان الساحل القديم فيما بين سوق المعاريح اليوم الى دار التفاح بمصر وانت مارة الى باب مصر بجوار الكبارة وموضع الكوم المجاور لباب مصر من شرقه فلما خربت مصر بحريق شاور بن مجبر اياها صار هذا الكوم من حينئذ وعرف بكوم المشايخ فانه كان يشق بأعلام ارباب الجرائم ثم بنى الناس فوقه دورا فعرف الى يومنا هذا بكوم الكبارة وكان يقال لما بين سوق المعاريح وهذا الكوم لما كان ساحل النيل القالوص * قال القضاى رأيت بحظ جماعة من العلماء القالوص بألف والذى يكتب فى هذا الزمان القالوص بحذف الالف فأما القالوص بحذف الالف فهى من الابل والنعام الشابة وجمعها قالص وقلاص وقلاص والقلاص من الجبارى الانثى الصغيرة فلعل هذا المكان سمى بالقلاص لانه فى مقابلة الجبل الذى كان على باب الريحان الذى يأتى ذكره فى عجائب مصر وأما القالوص بالالف فهى كلمة رومية ومعناها بالعربية مرحبا بك ولعل الروم كانوا يفتقون لراكب هذا الجبل ويقولون هذه الكلمة على عاداتهم * وقال ابن المتوج والساحل القديم قوله من باب مصر المذ كور يعنى المجاور للكبارة والى المعاريح جميعه كان يحرا بحرى فيه ماء النيل وقيل ان سوق المعاريح كان موردة سوق السمك يعنى ما ذكره القضاى من أنه كان يعرف بساحل البورى ثم عرف بالمعاريح الجديد قال ابن المتوج ونقل أن بستان الجرف المقابل لبستان حوض ابن كيسان كان صناعة العمارة وأدركت أنافيه بابها ورأيت زريبة من ركن المسجد المجاور للحوض من غريبه متصل الى قبالة مسجد العادل الذى يراغاة الدواب الآن * (قال مؤلفه رحمه الله) بستان الجرف يعرف بذلك الى اليوم وهو على ينة من سلك الى مصر من طريق المراغة وهو جارى وقف الخاقية التى تعرف بالواصله بين الزقاقين وحوض ابن كيسان يعرف اليوم بحوض الطواشى تجاه غيط الجرف المذ كور يجاوره بستان ابن كيسان الذى صار صناعة وقد ذكر خبر هذه الصناعة عند ذكر مناظر الخلفاء ويعرف بستان ابن كيسان اليوم ببستان الطواشى أيضا وبين بستان الجرف وبستان الطواشى هذا امرأعة مصر المسلول منتهى الى الكبارة وباب مصر * قال ابن المتوج ورأيت من نقل عن نقل عن رأى هذا القالوص يتصل الى آدر الساحل القديم وأنه شاهد ما عليه من العمائر المظلة على بحر النيل من الرباع والدور المظلة وعد الاسطال التى كانت بالطافات المظلة على بحر النيل فكانت عدتها ستة عشر ألف سطل مؤيدة بيكر مؤيدة فى اطراف ترخى بها وتلا أخبرنى بذلك من اثنى نقله وقال انه أخبره به من يثق به متصلا بالمشاهد له الموثوق به قال وباب مصر الآن بين البستان الذى قبل الجامع الجديد يعنى بستان العالمتين كوم المشايخ يعنى كوم الكبارة ورأيت السور يتصل به الى دار النحاس وجميع ما بظاهرة شون ولم يزل هذا السور القديم الذى هو قبل بستان العالمة موجودا أراه وأعرفه الى أن اشتري أرضه من باب مصر الى موقف المكارية بالخشابين القديمة الامير حسام الدين طرطاي المنصورى فأجر مكانه للعامة وصار كل من استأجر قطعة هدم ما بها من البناء بالطوب الابن وقطع الاساس الحجر وبني به فزال السور المذ كور ثم حدث الساحل الجديد * قال مؤلفه رحمه الله وهذا الباب الذى ذكره ابن المتوج كان يقال له باب الساحل وأول حفر ساحل مصر فى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وذلك أنه جف النيل عن بر مصر حتى احتاج الناس أن يستقوا من بحر الجيزة الذى هو فيما بين جزيرة مصر التى تدعى الآن بالزوجة وبين الجزيرة وصار الناس يمشونهم والدواب الى الجزيرة فحفر الاستاذ كافور الاخشيدى وهو يومئذ مقدم امراء الدولة لاونوجور بن الاخشيد خليفه حتى اتصل بخلج بنى وائل ودخل الماء الى ساحل مصر ثم انه لما كان قبل سنة ستمائة تقلص الماء عن ساحل مصر القديمة وصار فى زمن الاحتراق يقل حتى تصير الطريق الى المقياس يسافلا كان فى سنة ثمان وعشرين وستمائة خاف السلطان الملك الكامل

محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب من تباعد البحر عن العمران بمصر فاهتم بحفر البحر من دار الوكالة بمصر إلى صناعة التمر الفاضلية وعمل فيه بنفسه فوافقه على العمل في ذلك الختم الصغير واستوى في المساعدة السوقية والأمير وقسط مكان الحفر على الدور بالقاهرة ومصر والروضة والمقياس فاستمر العمل فيه من مستهل شعبان إلى سلخ شوال مدة ثلاثة أشهر حتى صار الماء يحيط بالمقياس وجزيرة الروضة دائماً بعدما كان عند الزيادة يصير جرد ولا رقيقاً في ذيل الروضة فإذا اتصل ببحر بولاق في شهر أرباب كان ذلك من الأيام المشهورة بمصر فلما كانت أيام الملك الصالح وعمر قلعة الروضة أراد أن يكون الماء طول السنة كثيراً فيأيدار بالروضة فأخذ في الاهتمام بذلك وعزق عدة مراكب مملوءة بالحجارة في بئر الخيرة تجاه باب القنطرة خارج مدينته مصر ومن قبلي جزيرة الروضة فانعكس الماء وجعل البحر حينئذ يمر قليلاً قليلاً وتكاثر أولاً فأولاً في بئر مصر من دار الملك إلى قريب المقس وقطع المنشأة الفاضلية * قال ابن المتوج عن موضع الجامع الجديد وكان في الدولة الصالحية يعني الملك الصالح نجم الدين أيوب رملته تترغ الناس فيها الدواب في زمن احتراق النيل وجفاف البحر الذي هو أمامها فلما عمر السلطان الملك الصالح قلعة الجزيرة وصار في كل سنة يحفر هذا البحر بحده ونفسه وي طرح بعض رمل في هذه البقعة شرع خواص السلطان في العمارة على شاطئ هذا البحر فذكر من عمر على هذا البحر من قبالة موضع الجامع الجديد الآن إلى المدرسة المعزية وذكر ما وراء هذه الدور من بستان العالم المملوك عليه الجامع الجديد وغيره ثم قال وإنما عرف بالعالم لأنه كان قد حله السلطان الملك الصالح لهذه العالم فعمرت بجانبه منظره لها وكان الماء يدخل من النيل لباب المنطرة المذكورة فلما توفيت بئى البستان مدة في يد ورثتها ثم أخذ منهم وذكر أن بقعة الجامع الجديد كانت قبل عمارته شوالاً لبان السلطانية وكذلك ما يجاورها فلما عمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الجامع الجديد كثرت العمائر من حدموردة الخلفاء على شاطئ النيل حتى اتصلت بدير الطين وعمر أيضاً ما وراء الجامع من حد باب مصر الذي كان بحراً كما تقدم إلى حد قنطرة السد وأدرك ذلك كله على غاية العمارة وقد اختل منذ الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة فخر خط بين الزقاقين المطل من غربيه على الخليج ومن شرقيه على بستان الجرف ولم يبق به الا قليل من الدور وموضعه كما تقدم كان في قديم الزمان غامراً بماء النيل ثم ربي جرفاً وهو بين الزقاقين المذكور فعمر عمارة كبيرة ثم خرب الآن وخرب أيضاً خط موردة الخلفاء وكان في القديم غامراً بالماء فلما ربي النيل الجرف المذكور وترتبت الجزيرة قدأما الساحل القديم الذي هو الآن البكرة إلى المعاريج وأنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون الجامع الجديد عمرت موردة الخلفاء هذه واتصت من بحر يها بمنشأة المهراني ومن قبلها بالاملاك التي تمتد من تجاه الجامع الجديد إلى دير الطين وصارت موردة الخلفاء عظيمة تقف عندها المراكب بالغلل وغيرها وبعلاً منها الناس الروايا وكان البحر لا يبرح طول السنة هنالك ثم صار ينشف في فصل الربيع والصيف واستمر على ذلك إلى يومنا هذا وخرب ما خلف الجامع الجديد أيضاً من الاماكن التي كانت بحراً تجاه الساحل القديم ثم لما انحسر الماء صارت مراغة للدواب فعرفت اليوم بالمراغة وهي من آخر خط قنطرة السد إلى قريب من البكرة ويحصرها من غربيها بستان الجرف المقدم ذكره وعدة دور كانت بستاناً وشوفاً إلى باب مصر ومن شرقيها بستان ابن كيسان الذي صار صناعة وعرف الآن ببستان الطوائى ولم يبق الآن بخط المراغة الامساكن بسيرة حقيرة

* (ذكر المنشأة) *

اعلم أن خليج مصر كان يخرج من بحر النيل فيمر بطريق الجراء القصوى وكان في الجانب الغربي من هذا الخليج عدة بساتين من جلته بستان عرف ببستان الخشاب ثم خرب هذا البستان وموضعه الآن يعرف بالبريس فلما كان بعد الخمسمائة من سنى الهجرة انحسر النيل عن أرض فيما بين ميدان اللوق الا في ذكره في الاحكار ظاهراً القاهرة ان شاء الله تعالى وبين بستان الخشاب المذكور فعرفت هذه الارض بمنشأة الفاضل لان القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي الياساني أنشأ بها بستاناً عظيماً كان يبرأ أهل القاهرة من ثماره وأعنا به وعمر بجانبه جاء عابني حوله فقيل لتلك الخطة منشأة الفاضل وكثر بها العمارة وأنشأ بها موقف الدين محمد بن أبي بكر المهدي العثماني الديباجي ببستاناً دفع له فيه ألف دينار في أيام الظاهر بيبرس وكان النصف قد بلغ

كل دينار ثمانية وعشرين درهما ونصف فاستولى البحر على بستان الفاضل وجامعه وعلى سائر ما كان
بمنشأة الفاضل من البساتين والدور وقطع ذلك حتى لم يبق شيء منه اثر وما برح باعة العنب بالقاهرة ومصر
تنادى على العنب بعد خراب بستان الفاضل هذا عدة سنين رحم الله الفاضل يا عنب اشارة لكثرة
أعقاب بستان الفاضل وحسنها وكان اكل البحر لمنشأة الفاضل هذه بعد سنة ستين وستمئة وكان الموفق
الديباجي المذكور يتولى خطابة جامع الفاضل الذي كان بالمنشأة فلما تلف الجامع باستيلاء النيل عليه سأل
الصاحب بهاء الدين بن حنا وألح عليه وصكان من الزامه حتى قام في عمارة الجامع بمنشأة المهراني ومنشأة
المهراني هذه موضعها فيما بين النيل والخليج وفيها من الخراء القصى فوهة الخليج انحسر عنها ماء النيل قديما
وعرف موضعها بالكوم الأحمر من اجل انه كان يعمل فيها الفنة الطوب فلما سأل الصاحب بهاء الدين بن حنا
المالك الظاهر يبصر في عمارة جامع بهذا المكان ليقوم مقام الجامع الذي كان بمنشأة الفاضل اجابه الى ذلك
وانشأ الجامع بخط الكوم الأحمر كما ذكر في خبره عند ذكر الجوامع فأنشأ هناك الأمير سيف الدين بلبان المهراني
دارا وسكنها وبني مسجدا فعرفت هذه الخطبة وقيل لها منشأة المهراني فان المهراني المذكور أقول من ابنتي
فيها بعد بناء الجامع وتتابع الناس في البناء بمنشأة المهراني واكثر وامن العمار حتى يقال انه كان بها فوق
الاربعين من امراء الدولة سوى من كان هناك من الوزراء وأما مثل الكتاب وأعيان القضاة ووجوه الناس ولم تزل
على ذلك حتى انحسر الماء عن الجهة الشرقية فخرت وبها الآن بقية يسيرة من الدور ويتصل بخط الجامع الحديد
خط دار النحاس وهو مطلق على النيل * ودار النحاس هذه من الدور القديمة وقد دثرت وصار الخط
يعرف بها * قال القاضي دار النحاس اختطها وردان مولى عمرو بن العاص فكتب مسلمة بن مخلد وهو أمير
مصر الى معاوية يسأله أن يجعلها ديوانا فكتب معاوية الى وردان يسأله فيها وعوضه فيها دار وردان التي بسوقه
الآن وقال ربيعة كانت هذه الدار من خطة البحر من الازد فاشترها عمر بن مروان وبناها فكانت في يده ولده
وقبضت عنهم وبيعت في الصواني سنة ثمان وثلاثمائة ثم صارت الى شمول الاخشيدي فبناها قيسارية وحاما
فصارت دار النحاس قيسارية شمول * وقال ابن المتوج دار النحاس خط نسب لدار النحاس وهو الآن فندق
الاشراف ذوالباين أحدهما من رحبة امامة والثاني شارع بالساحل القديم وبآخر هذه الشقة التي تطل على
النيل (جسر الافرم) وهو في طرف مصر فيما بين المدرسة المعزية وبين رباط الانبار كان مطلقا على النيل دائما
والآن ينحسر الماء عنه عند هبوط النيل وعرف بالأمير عز الدين أيديمر الافرم الصالحى النجمي أمير جندار
وذلك أنه لما استأجر بركة الشعبية كما ذكر عند ذكر البرك من هذا الكتاب جعل منها فدانين من غربيها أدن
للناس في تحكيرها فحكرت وبني عليها عدة دور بلغت الغاية في اتقان العمارة وتنافس عظماء دولة الناصر
محمد بن قلاوون من الوزراء وأعيان الكتاب في المساكن بهذا الجسر وبنيوا وتأفقوا وتفننوا في بديع الزخرفة
وبالقوا في تحسين الرخام وخرجوا عن الحدة في كثرة انشاق الاموال العظيمة على ذلك بحيث صار خط الجسر
خلاصة العامر من اقليم مصر وسكانه ارق الناس عيشا وأترف المتنعمين حياة وأوفرهم نعمة ثم خرب هذا
الجسر بأسره وذهبت دورته * وأما الجهة الشرقية من مصر ففما قلعة الجبل وقد أفردها لخالها خبرا مستقلا يحتوي
على فوائد كثيرة تضمنه هذا الكتاب فانظره ويتصل آخر قلعة الجبل بخط باب القرافة وهو من اطراف القطائع
والعسكري وبخط باب القرافة الفضاء الذي كان يعرف بالعسكر وقد تقدم ذكره وكان بأطراف العسكر عمارات
كروم الجارح * (الموقف) قال ابن وصيف شاه في أخبار الريان بن الوليد وهو فرعون بني الله يوسف صلوات
الله عليه ودخل الى البلد في أيامه غلام من اهل الشام احتال عليه اخوته وباعوه وكانت قوافل الشام تعبر
بناحية الموقف اليوم فأوقف الغلام ونودي عليه وهو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن
صلوات الله عليهم فاشتراه أطفين العزيز ويقال ان الذي أخرجه يوسف من الحب مالك بن دعر بن حجر بن جزيمة
ابن نعيم بن عدى بن الحارث بن مرة بن أد بن زيد بن شجب بن يعرب بن قحطان * وقال القاضي كان الموقف
فضاء لا م عبد الله بن مسلمة بن مخلد فتصدق به على المسلمين فكان موقفا تباع فيه الدواب ثم ملك بعد وقد
ذكرته في الظاهر يعني في خطط اهل الظاهر فان الموقف من جملة خطط اهل الظاهر * وقال ابن المتوج
بقعة (خط الصفاء) هذا الخط دثر جميعه ولم يبق له اثر وهو قبلي القسطا اوله بجوار المصنع وخط الطمانين

أدركته كان صفين طواحين متلاصقة متصلة من درب الصفاء الى كوم الجارح وأدركت به جماعة من اكابر المصريين اكثرهم عدول وكان الماريين هذين الصفيين لا يسمع حديث رفيقه اذا حدثه لقوة دوران الطواحين وكان من جلته طاحون واحد فيه سبعة أحجار دثر جميع ذلك ولم يبق له أثر * قال وبقعة درب الصفاء هو الدرب الذي كان باب مصر وقيل انه كان بظاهره سوق يوسف عليه السلام وكان بابا بمصر اعين يعلوهما عقد كبير وهو بعتبة كبيرة سفلى من صوان وكان بجوار المصنع الخراب الموجود الآن وكان حول المصنع عمدر خام بدائرة حاملة الساباط يعلوه مسجد معلق هدم ذلك جميعه في ولاية سيف الدين المعروف بابن سلار والى مصر في دولة الظاهر بيبرس وهذا الدرب يسلك منه الى درب الصفاء والطمانين * (قال مؤلفه رحمه الله) * كان هذا الباب المذكور أحد أبواب مدينة مصر وبابها الاخر من ناحية الساحل الذي موضعه اليوم باب مصر بجوار الكسارة وأنا أدركت آثار درب الصفاء المذكور والمصنع الخراب وكان يصب فيه الماء للسبيل وهو قريب من كوم الجارح وسماني ذكر كوم الجارح في ذكر الكيمان من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى * وأما الذي يلي كوم الجارح الى آخر حد طول مصر عند بركة الحبش فانها انقطعت القديمة وأدركتها عامرة لاسيما خط النخالين وخط زقاق القناديل وخط المصاصة وقد خرب جميع ذلك وبيعت أقضاضه من بعد سنة تسعين وسبع مائة * وأما الجهة القبليّة من مصر فان خط دير الطين حدثت العمارة فيه بعد سنة ست مائة لما أنشأ صاحب نجر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا الجامع هناك وعمر الناس في جسر الافرم وكان قبل ذلك آخر عمارة مدينة مصر دار الملك التي موضعها الآن بجوار المدرسة المعزية وأما موضع الجسر فانه كان بركة ماء تتصل بخط راشدة حيث جامع راشدة ومن قبلي هذه البركة البستان الذي كان يعرف ببستان الامير تميم بن المعز ويعرف اليوم بالمعشوق وهو وقف على رباط الآثار ويجاور المعشوق بركة الحبش وما بين خط دير الطين وآخر عرض مصر من الجهة القبليّة طرف خط راشدة * وأما الجهة البحرية من مصر فانه يتصل بخط السبع سقايات الدور المظلة على البركة التي يقال لها بركة فارون وهي التي تجاور الآن حدره ابن قتيبة وهي من جملة الحجر القصى وبقبلي البركة المذكورة الكوم المعروف بالاسرى وهو من جملة العسكر وسيرد ان شاء الله تعالى ذكره عند ذكر الكيمان ويجاور البركة المذكورة خط الكباش وقد ذكر في الجبال ويأتى ان شاء الله تعالى له خبر عند ذكر الاخطاط ويلى خط الكباش خط الجامع الطولوني ويلى خط الجامع القبيبات وخط المشهد النفيسى وجميع ذلك الى قلعة الجبل من جملة القطائع

* (ذكر ابواب مدينة مصر) *

وكان افسطاط مصر ابواب في القديم خربت وتجدد لها بعد ذلك ابواب آخر * (باب الصفاء) * هذا الباب كان هو في الحقيقة باب مدينة مصر وهي في كمالها ومنه تخرج العساكر وتعب القوافل وموضعه الآن بالقرب من كوم الجارح وهدم في ايام الملك الظاهر بيبرس * (باب الساحل) * كان يفضى بالسكة الى ساحل النيل القديم وموضعه قريب من الكسارة * (باب مصر) * هذا الباب هو الذي بناه قراقوش ومنه يسلك الآن من دخل الى مدينة مصر من الطريق التي تعرف بالمراعة وهو مجاور للكوم الذي يقال له كوم المشانق ويعرف اليوم بالكسارة وكان موضع هذا الباب غامر اجاء النيل فلما انحسر الماء عن ساحل مصر صار الموضع المعروف بالمراعة والموضع المعروف بغيط الجرف الى موردة الحلفاء فضاء لا يصل اليه ماء النيل البتة فأحب السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب أن يدير سور يجمع فيه القاهرة ومصر وقلعة الجبل فزاد في سور القاهرة على يد قراقوش من باب القنطرة الى باب الشعريه والى باب البحر يريد أن يمتد السور من باب البحر الى الكوم الاجر الذي هو اليوم حافة خليج مصر تحياه خط بين الزقاقين ليصل ايضا من الكوم الاجر الى باب مصر هذا فلم يتهيا له هذا وانقطع السور من عند جامع المقس وزاد في سور القاهرة أيضا من باب النصر الى قلعة الجبل فلم يكمل له ومدة السور من قلعة الجبل الى باب القنطرة خارج مصر فصار هذا الباب غير متصل بالسور * (باب القنطرة) * هذا الباب في قبلي مدينة مصر عرف بقنطرة بني وائل التي كانت هناك وهو ايضا من بناء قراقوش

*** (ذكر القاهرة القاهرة المعز لدين الله) ***

اعلم أن القاهرة المعزية رابع موضع انتقل سري السلطنة اليه من أرض مصر في الدولة الإسلامية وذلك أن الإمارة كانت بمدينة القسطنطينية ثم صار محلها العسكر خارج القسطنطينية فلما عمت القسطنطينية دار الإمارة إلى أن خربت فسكن الأمراء بالعسكر إلى أن قدم القائد جوهر بعا كرمولاء الامام المعز لدين الله معتمد فبنى القاهرة حصناً ومعقلين يدي المدينة وصارت القاهرة دار خلافة بنزلها الخليفة بحججه وخواصه إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية فسكنها من بعدهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وابنه الملك العزيز عثمان وابنه الملك المنصور محمد ثم الملك العادل أبو بكر بن أيوب وابنه الملك الكامل محمد وانتقل من القاهرة إلى قلعة الجبل فسكنها بحججه وخواصه وسكنها الملوك من بعده إلى يومنا هذا فصارت القاهرة مدينة سكنى بمد ما كانت حصناً يعقل به ودار خلافة يلجأ إليها فهانت بعد العز وابتذلت بعد الاحترام وهذا شأن الملوك ما زالوا يطمسون آثار من قبلهم ويميتون ذكر أعدائهم فقد هدموا بذلك السبب أكثر المدن والحسرن وكذلك كانوا أيام العجم وفي جاهلية العرب وهم على ذلك في أيام الإسلام فقد هدم عثمان بن عفان مومعة غمدان وهدم الآطام التي كانت بالمدينة وقد هدم زياد كل قصر وصنع كان لابن عامر وقد هدم بنو العباس مدن الشام لبني مروان (وإذا تأملت البقاع وجدت) * نشق كاتشقي (الرجال وتسعد) وسأني من أخبار القاهرة والكلام على خططها وآثارها ما تنتهي إليه قدرتي ويصل إلى معرفته على وفوق كل ذي علم عليم

*** (ذكر ما قيل في نسب الخلفاء الفاطميين بناء القاهرة) ***

اعلم أن القوم كانوا ينسبون إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم والناس فريقان في أمرهم فريق يثبت صحة ذلك وفريق يمتنع وينفيهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرغمهم أدعياء من ولد ديصان البونى الذى ينسب إليه النبوة وأن ديصان كان له ابن اسمه ميمون القديح كان له مذهب في الغلو فولد ميمون عبد الله وكان عبد الله عالم بجميع الشرائع والسنن والمذاهب وأنه رتب سبع دعوات يدرج الإنسان فيها حتى يغفل عن الأديان كلها ويصير مطلقاً لا يرجو أباً ولا يخاف عقاباً ويرى أنه وأهل فحله على هدى وجميع من خالفهم أهل ضلالة وأنه قصد بذلك أن يجعل له أتباعاً وكان يدعو إلى الامام من آل البيت محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق وأنه كان من الأهواز واشتهر بالعلم والتشيع وصار له دعاة وقصد بالمكره وفقر إلى البصرة فاشتهر أمره وسار منها إلى سبلية من أرض الشام فولد له ابن بها اسمه أحمد ومات فقام من بعده أحمد وبعث بالحسين الأهوازي داعية إلى العراق فلقى أحمد بن الحسين الأشعث المعروف بقرمط في سواد الكوفة ودعاه إلى مذهبه فأجابته وقام هناك بالامر إلى قرمط هذا تنسب القرامطة وولد لأحمد بن عبد الله بن ميمون القديح الحسين ومحمد المعروف بأبي الشعاع فلما مات أحمد خلفه ابنه الحسين في الدعوة حتى مات فقام من بعده أخوه أبو الشعاع وكان لأحمد بن عبد الله ولد اسمه سعيد فصارت تحت حجره وبعث أبو الشعاع بداعيين إلى المغرب وهم أبو عبد الله وأخوه أبو العباس قتلوا في البربر ودعوا واشتهر سعيد بسلبية بعد موت عمه وكرمه له فطلبه السلطان في سبلية إلى مصر يريد المغرب وكان على مصر عيسى النوشري فورد عليه كتاب الخليفة يبعده بالقبض عليه ففاته وصار بسبلية ماسة في زى التجار فبعث المعتضد من بغداد في طلبه فأخذ وحبس حتى أخرجه أبو عبد الله الشيعي من محبسه قسمي حينئذ بعيد الله وتكنى بأبي محمد وتلقب بالمهدي وصار اماماً علوياً من ولد محمد بن جعفر الصادق وانما هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القديح بن ديصان البونى الأهوازي وأصله من الجوس فهنا قول من ينكر نسبهم وبعض منكرى نسبهم في العلوية يقول أن عبيد الله من اليهود وأن الحسين بن أحمد المذکور تزوج امرأة يهودية من نساء سبلية كان لها ابن من يهودى حداد مات وترك لها فرناه الحسين وأدبه وعلمه ثم مات عن غير ولد فعهد إلى ابن امرأته هذا فكان هو عبيد الله المهدي وهذه أقوال أن أنصفت تبين لك انها موضوعة فإن بنى على بن أبي طالب رضي الله عنه قد كانوا أذالك على غاية من وفور العدد وجلالة القدر عند الشيعة فما الحامل لشيعةهم على الاعراض عنهم والدعاء لابن مجوسى اولاً

يهودى - فهذا مما لا يفعله أحد ولو بلغ الغاية في الجهل والسخف وانما جاء ذلك من قبل ضعفة خلفاء بنى العباس
عند ما غصوا بمكان الفاطميين فانهم كانوا قد اتصفت دولتهم نحو من مائتين وسبعين سنة وملكوا من بنى
العباس بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والحرمين واليمن وخطب لهم ببغداد نحو أربعين خطبة وعجزت
عساكر بنى العباس عن مقاومتهم فلاذت حينئذ بتفجير الكافة عنهم باشاعة الطعن في نسبهم وبث ذلك عنهم
خلفاؤهم وأعجب به أولياؤهم وأمرأ دولتهم الذين كانوا يحاربون عساكر الفاطميين كي يدفعوا بذلك عن
انفسهم وساطانهم معزة العجز عن مقاومتهم ودفعهم عما غلبوا عليه من ديار مصر والشام والحرمين حتى اشتهر
ذلك ببغداد وأبجل القضية بينهم من نسب العلويين وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة منهم الشريفيان
الرضي والمرضى وابو حامد الاسفراييني والقدروري في عدة وافية عند ما جعوا لذلك في سنة اثنتين وأربع مائة
أيام القادر وكانت شهادة القوم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وأهلها انما هم شيعة بنى
العباس الطاعنون في هذا التسبب والمتطهرون من بنى علي - بن أبي طالب الفاعلون فيهم منذ ابتداء دولتهم
الافاعيل القبيحة فنقل الاخباريون وأهل التاريخ ذلك كما سمعوه ورووه حسب ما تلقوه من غير تدبر والحق من
وراء هذا وكفالك بكتاب المعتضد من خلافت بنى العباس حجة فانه كتب في شأن عبيد الله الى ابن الاغلب
بالقيروان وابن مدراريس الجعاسية بالقبض على عبيد الله فتفطن اعزله الله لجهة هذا الشاهد فان المعتضد
لولا حجة نسب عبيد الله عنده ما كتب لمن ذكرنا بالقبض عليه اذ القوم حينئذ لا يدعون لدعى البتة ولا يدعون
له بوجه وانما يتقادون لمن كان علويا يخاف مما وقع ولو كان عنده من الادعاء لما مر له بفكر ولا خافه على ضيعة
من ضياع الارض وانما كان القوم أعنى بنى علي - بن أبي طالب تحت ترقب الخوف من بنى العباس لتطلبهم اهلهم
في كل وقت وقصدهم اياهم دائما بأنواع من العقاب فصاروا ما بين طريد شرير وبين خائف يتربص ومع ذلك فان
لشيعة الله كثيرة المنتشرة في اقطارهم من المحبة اهلهم والاقبال عليهم ما لا مزيد عليه وتكثر قيام الرجال منهم
مرة بعد مرة والطلب عليهم من ورائهم فلاذوا بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون حتى تسمى محمد بن اسمعيل الامام جده
عبيد الله المهدي بالمكتوم سماه بذلك الشيعة عند اتفاقهم على اخفائه حذر من المتغلبين عليهم وكانت الشيعة
فرقا بينهم من كان يذهب الى أن الامام من ولد جعفر الصادق هو اسمعيل ابنه وهو لا يعرفون من بين فرق الشيعة
بالاسماعيلية من أجل انهم يرون أن الامام من بعد جعفر ابنه اسمعيل وأن الامام بعد اسمعيل بن جعفر
الصادق هو ابنه محمد المكتوم وبعد ابنه محمد المكتوم ابنه جعفر الصادق ومن بعد جعفر الصادق ابنه محمد الحبيب
وكانوا اهل غلو في دعاويهم في هؤلاء الائمة وكان محمد بن جعفر هذا يؤمل ظهوره وأنه يصير له دولة وكان باليمن
من اهل هذا المذهب كثير بعدن وبافريقية وفي كاتمة ونفرة تلقوا ذلك من عهد جعفر الصادق فقدم علي محمد بن
جعفر والد عبيد الله رجل من شيعته باليمن فبعث معه الحسن بن حوشب في سنة ثمان وستين ومائتين فأظهرا
أمرهما باليمن وأشهرا الدعوة في سنة سبعين وصار لابن حوشب دولة بصنعاء وبث الدعاة بأقطار الارض
وكان من جملة دعايته ابو عبد الله الشيعي - فسيره الى المغرب فلقى كاتمة ودعاهم فلما مات محمد بن جعفر عهد
لابنه عبيد الله فطلبه المكتفي العباسي وكان يسكن عسكر مكرم فسار الى الشام ثم سار الى المغرب فكان من امره
ما كان وكانت رجال هذه الدولة الذين قاموا ببلاد المغرب وديار مصر عشر رجلا هذه خلاصة
أخبارهم في انسابهم فتفطن ولا تغتر بزخرف القول الذي تلقوه من الطعن فيهم والله يهدي من يشاء

* (ذكر الخلفاء الفاطميين) *

وكان ابتداء الدولة الفاطمية أن أباعبد الله الحسين بن احمد بن محمد بن زكريا الشيعي - سار الى أبي القسم الحسين
ابن فرج بن حوشب الكوفي القائم ببلاد اليمن وصار من كبار أصحابه وله علم وعنده دهاء ومكر فورد على ابن
حوشب من المغرب خبر موت الخلواني داعية في المغرب ورفيقه فقال لابي عبد الله الشيعي - قد خرب الخلواني
وابو يوسف بلاد المغرب وقد ماتا وليس للبلاد الا أنت فانها موطاة ممهدة فخرج ابو عبد الله الى مكة وقصد حجاج
كاتمة بجلس قريبا منهم وسمعهم يتحدثون بفضائل البيت فحدثهم في معناه فوالوا اليه واولوه أن يأذن لهم
في زيارته فلما زاروه سألوه عن مقصده فلم يخبرهم وأوهمهم أنه يريد مصر فسروا بحبته ورحلوا وهو رقيقهم

هكذا يبايض بالاصل واعله
اربعة عشر رجلا كما يؤخذ
من بعض التواريخ اهـ

فشاهدوا من عبادته وزهده ما زادهم رغبة فيه هذا وهو بسألهم عن احوالهم وقبالهم حتى صار يعرف جميع امورهم فلما وصلوا مصرهم فصار قتهم فقالوا اى شئ نطلب من مصر فقال أطلب التعليم بها فقالوا اذا كان قصدك هذا فبلادنا أنفع لك وما زالوا به حتى سار معهم فلما وصلوا بلادهم اقرعوا فبين يضيفه منهم ومن بقية اصحابهم ووصلوا به أرض ككتامة للنصف من ربيع الاول سنة ثمان وثمانين وما تين وكلدوا يحترقون عليه أيهم ينزل عنده فأبى أن ينزل عندهم وقال ابن يكون فيج الاخبار فمجبوا لذلك اذ لم يكونوا ذكره له قط فدلوه عليه فسار اليه وقال هذا فيج الاخبار وما سمى الا بكم ولقد جاء في الاثار للمهدى هجرة عن الاوطان ينصره فيها الاخبار من اهل ذلك الزمان قوم اسمهم مشتق من الكتمان ويخرو حكم في هذا الفج سعى فيج الاخبار فتساعت به القبائل وأتوه فعظم أمره وهو لا يدكر اسم المهدى البتة فبلغ خبره ابراهيم بن احمد بن الاغلب أمير افر بقية فبعث يسأل عن خبره وكانت له معه قصص آلت الى قيام ابي عبد الله ومخاربه له لخالفه فظفر بهم وصارت اليه اموالهم وغلب على مدائن وهزم جيوش ابن الاغلب وقتل كثيرا من اصحابه فمات ابراهيم بن الاغلب وولى زيادة الله بن الاغلب وكان كثير اللهو فقوى أمر ابي عبد الله وانتشرت جنوده في البلاد وصار يقول المهدى يخرج في هذه الايام ويملك الارض فيطوبى لمن هاجر الى وأطاعنى ويغري الناس بزيادة الله بن الاغلب ويعيبه وكان اكثر خواص زيادة الله شيعة فلم يكن يسوءهم ظفر ابي عبد الله واكثر من ذكر كرامات المهدى والارسل الى اصحاب زيادة الله الى أن تمكن فبعث برجال من كاتمة الى سلية من أرض الشام فقدموا على عبيد الله وأخبروه بما فتح الله عليه وكان قد اشتهر هناك وطلبه الخليفة المكتفى فخرج من سلية فارا ومعه ابنه ابو القاسم نزار ومعهما الهامو ومو اليهما فأقاما بمصر مستترين فوردت على عيسى النوشري أمير مصر الكتب من بغداد بصفة عبيد الله وحليته وانه ياخذ عليه الطريق ويقبضه فبلغ ذلك عبيد الله فخرج والاعوان في طلبه ويقال ان النوشري ظفر به فناشده الله في امره فغلى عنه ووصله فسار الى طرابلس وقد سبق خبره الى زيادة الله فسار الى قسطنطينة فقدم كتاب زيادة الله بن الاغلب الى عامل طرابلس يأخذ عبيد الله وقد فاتهم فلم يدركوه فرحل الى سلجماسه وأقام بها وقد اقيمت له المراسد بالطرقات فتلف بالبيع بن مدرار صاحب سلجماسه وأهدى اليه فكف عنه ووافاه كتاب زيادة الله بالقبض على عبيد الله فلم يجد بدا من أن قبض عليه وسجنه واشتغل زيادة الله بجمع العساكر لمحاربة ابي عبد الله وتجهيزهم اليه فغلبهم ابو عبد الله وغنم سائر ما معهم وقتل اكثرهم وبلغه ما كان من سجن عبيد الله فكتب اليه يشيره فوصل اليه الكتاب وهو بالسجن مع قصاب دخل به اليه وهو يسيع اللحم وما زال ابو عبد الله يضايق زيادة الله الى أن قرأ الى مصر وقام من بعده ابراهيم بن الاغلب فلم يتم له امر وملك ابو عبد الله القبروان ونزل برقادة مستهل رجب سنة ست وتسعين ومائتين فأمر ونهى وبث العمال في الاعمال وقتل من يخاف شتره وأمر فتنقش على السكة في أحد الوجهين بلغت حجة الله وفي الآخر تفرق أعداء الله ونقش على السلاح عدة في سبيل الله ووسم الخيل على أعقابها الملك لله وأقام على ما كان عليه من لبس الخشن الذون وتناول القليل الغليظ من الطعام فلما دخل شهر رمضان سار من رقادة في جيوش عظيمة احتزلها المغرب بأمره يريد سلجماسه فخاربه البيع يوما كاملا الى الليل ثم فرق خاصته فدخل ابو عبد الله من الغد الى البلد وأخرج عبيد الله وابنه ومشى في ركبهم ما بجميع رؤساء القبائل وهو يقول للناس هذا مولاكم وهو يكي من شدة الفرح حتى وصل بهم الى فسطاط ضرب به في العسكر فأنزلهم ما فيه وبعث الخيل في طلب البيع فأدركته وجاءت به فقتله وأقام عبيد الله بسلجماسه أربعين يوما ثم سار الى افر بقية في ربيع الآخر سنة ست وتسعين ونزل برقادة وأمر يوم الجمعة أن يذكر في الخطبة وتلقب بالمهدى أمير المؤمنين فدعى له في جميع البلاد بذلك وجلس بعد الصلاة الدعاة ودعوا الناس كافة الى مذهبهم فن أجاب قبل منه ومن أبي قتل وعرض جوارى زيادة الله واختار منهن لنفسه ولولده وفرق ما بقى على وجوه كاتمة وقسم عليهم أعمال افر بقية ودون الدواوين وجبى الاموال ودانت له البلاد فشق ذلك على أبي عبد الله ونافس المهدى وحسده من اجل انه كف يده ويد أخيه أبي العباس فعظم عليه الفطام عن الامر والنهى والاخذ والعطاء وأقبل ابو العباس يزرى على المهدى في مجلس أخيه ويؤنب اخاه على ما فعل حتى أنثر في نفسه فسأل المهدى أن يفوض اليه الامور ويجلس في القصر وكان قد بلغ المهدى ما يبجهر به ابو العباس

من السوء في حقه فرداً بأعبد الله ردّاً لطيفاً وأسرّها في نفسه واكثر أبو العباس من قوله حتى أغرى المقتدين بالمهديّ وقال ما هذا بالذّي كُنا نعتقد طاعته وندعو اليه لأن المهديّ يأتي بالآيات الباهرة فمال اليه جماعة وواجه بعضهم المهديّ بذلك وقال له ان كنت المهديّ فأظهر لنا آية فقد شككنا فيك فبعد ما بين المهديّ وبين أبي عبد الله وأوجس كلّ منهما في نفسه خيفة من الآخر وأخذ أبو العباس يدبر في قتل المهديّ والمهديّ يحلّ ما كان يبرمه ثم رتب رجالاً فلما ركب أبو عبد الله وأخوه إلى قصر المهديّ ثار بهما الرجال فقال أبو عبد الله لا تفعلوا فقالوا له ان الذي امرتنا بطاعته امرنا بقتلك فقطل هو وأخوه للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رقادة فنارت قننة بسبب قتلهم أفر كعب المهديّ حتى سكنت وتبع جماعة منهم فقتلهم فلما استقام له الامر عهد إلى ابنه أبي القاسم وتبع بنى الاغلب فقتل منهم جماعة وجهاز في سنة احدى وثلاثمائة ابنه أبا القاسم بالعساكر إلى مصر فأخذ بركة والاسكندرية والقيوم وكانت له مع عساكر مصر وعساكر العراق الواردة إلى مصر مع مؤنس الخادم عدّة حروب وعاد إلى الغرب فجهز المهديّ في سنة اثنتين وثلاثمائة حباسة يجيوش إلى مصر فغلب على الاسكندرية وكان من امره ما تقدم ذكره وكان للمهديّ ببلاد المغرب عدّة حروب وكان يوجد في الكتب خروج أبي يزيد النكاريّ على دولته فبنى المهديّة وأدار عليها سورا جعل فيه ابواباً زينة كلّ مصراع منها مائة قطار من حديد وكان ابتداء بنائها في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة وبني المصلى بظاهرها وقال إلى هنا يصل صاحب الجار بئني أبي يزيد فكان كذلك وأنشأ صناعة فيها تسعمائة شونة وقال اثنا عشر هذه لتعصم القواطم بها ساعة من نهار فكان كذلك ثم انه جهز ابنه أبا القاسم في سنة ست وثلاثمائة على جيش إلى مصر فأخذ الاسكندرية ومملك جزيرة الاشموين وكثيراً من صعيد مصر وكانت هناك حروب مع عساكر مصر والعراق ثم عاد إلى المغرب وخرج أبو القاسم في سنة خمس عشرة بالجيوش إلى المغرب فحارب قوما وعاد فمات عبيد الله في ليلة الثلاثاء منتصف شهر ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة بالمهديّة من القيروان عن ثلاث وستين سنة وكانت خلافة اربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً وليلتين أخفى ابنه موته وقام من بعد عبيد الله المهديّ إلى عهده (القائم بأمر الله أبو القاسم محمد) * ويقال كان اسمه بالشرق عبد الرحمن فسمي في بلاد المغرب بمحمد وذلك بسلمية في المحرم سنة ثمانين ومائتين فلما فرغ من جميع ما يريد وعمكن اظهر موت ابيه واستقل بالامر وله سبع واربعون سنة وتبع سيرة ابيه وثار عليه جماعة فظفروا بهم وبث جيوشه في البر والبحر فسبوا وغنوا من بلد جنوة وبعث جيشاً إلى مصر فلكوا الاسكندرية والاشيديد يومئذ أمير مصر فلما كان في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة خرج عليه أبو يزيد مخلد بن كندار النكاريّ الخارجى بأفريقية واشتدت شوكرته وكثرت أتباعه وهزم جيوش القائم غير مرة وكان مذهبه تكفير أهل الملّة ورافة دعاتهم فبأنه باجّة وحترقها وقتل الاطفال وسبى النسوان ثم ملك القيروان فاضطرب القائم وخاف الناس وهموا بالانقلة من زويله وقوى أمر أبي يزيد ونازل المهديّة وحصر القائم بها وكاد أن يغلب عليها فلما بلغ المصلى حيث أشار المهديّ أنه يصل هزمه اصحاب القائم وقتلوا كثيراً من أصحابه وكانت له قصص وأبناء إلى أن مات القائم ثلاث عشرة خلت من شوال سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة عن أربع وخمسين سنة وتسعة أشهر ولم يرق منبراً ولا ركب دابة لصيد مدة خلافته حتى مات وصلى مرة على جنازة وصلى بالناس العبد مرة واحدة وكانت مدة خلافته اثني عشرة سنة وستة أشهر وأياماً وترك أبا الظاهر اسمعيل وأباعد الله جعفر أوحدة وعدنان وعدة آخر وقام من بعده ابنه * (المنصور بنصر الله أبو الظاهر اسمعيل) * وكتم موت ابيه خوفاً أن يعلم أبو يزيد فانه كان قريباً منه وأبقى الامور على حالها ولم يتسم بالخليفة ولا غير السكّة ولا الخطبة ولا البنود وجد في حرب أبي يزيد حتى ظفروا به وحمل اليه فمات من جراحات كانت به سلخ المحرم سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ولم يزل المنصور إلى أن مات سلخ شوال سنة احدى واربعين وثلاثمائة عن احدى واربعين سنة وخمسة أشهر وكانت مدة خلافته ثمان سنين وقيل سبع سنين وعشرة أيام وقد اختلف في تاريخ ولادته فقيل ولد أول ليلة من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثمائة بالمهديّة وقيل بل ولد في سنة اثنتين وقيل سنة احدى وثلاثمائة وكان خطيباً بليغاً رقيق الخطبة لوقته شجاعاً عاقلاً وقام من بعده ابنه * (المعز لدين الله أبو تميم عتد) * وعمره نحو أربع وعشرين سنة فانه ولد للنصف من رمضان سنة سبع

عشرة وثلاثمائة فاقاد اليه البربر وأحسن اليهم فغظم أمره واختص من مواليه بجوهر وكناه بأبي الحسين وأعلى قدره وصيره في رتبة الوزارة وعقد له على جيش كثيف فيهم الاميريزى بن مناد الصنهاجى فذوق المغرب واقفتح مدنا وقهر عدة اكبر وأسرههم حتى اتى البحر المحيط فأمر باصطباد ممكته منه وسيرها في قلة من ماء الى المعز اشارة الى أنه ملك حتى سكان البحر المحيط الذى لا عمارة به ثم قدم غانما مظفرا فغظم قدره عند المعز ولما كان في بعض الايام استدعى المعز في يوم شات عدة من شيوخ كامة فدخاوا عليه في مجلس قد فرش باللبود وحوله كساء وعليه جبة وحوله ابواب مفتحة تفضى الى خزائن كتب وبين يديه دواة وكتب فقال يا اخواننا أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء والبرد فقلت لام الامراء وانما الآن بحيث تسمع كلامى أترى اخواننا يظنون انافى مثل هذا اليوم نأكل ونشرب وتتقلب في الثقل والدياج والحريز والفنك والسمور والمسك والخمر والبقاء كما يفعل أرباب الدنيا ثم رأيت أن أنفذ اليكم فأحضر تكلم لتشاهدوا حالى اذا خلوت دونكم واحتجبت عنكم وانى لا افضلكم فى احوالكم الا بما لا بدلى منه من دنياكم وبما خصنى الله به من امانتكم وانى مشغول بكتب ترد على من المشرق والمغرب اجيب عنما يخطى وانى لا اشتغل بشئ من ملاذ الدنيا الا بما يصون أرواحكم ويعمر بلادكم وبذل اعداءكم ويقمع اضدادكم فافعلوا يا شيوخ فى خلواتكم مثل ما فعله ولا تظهروا التكبر والتجبر فيزع الله النعمة عنكم وينقلها الى غيركم ويتخذوا على من وراءكم بمن لا يصل الى كتحنى عليكم ليصل فى الناس الجمل ويكثر الخير ويستمر العدل وأقبلوا بعدها على نساءكم والزمو الواحدة التى تكون لكم ولا تنسوها الى التكنون من الرغبة فيهن فيتنغص عيشكم وتعود المضرة عليكم وتنهكوا أبدانكم وتذهب قوتكم وتضعف شحائزكم فحسب الرجل الواحد الواحدة ونحن محتاجون الى نصرتمكم بأبدانكم وعقولكم واعلموا أنكم اذا لزمتم ما أمركم به رجوت أن يقرب الله علينا امر المشرق كما قرب امر المغرب بكم انمضوا رحمكم الله ونصركم فخرجوا عنه واستدعى يوما أبا جعفر حسين بن مذهب صاحب بيت المال وهو فى وسط القصر قد جلس على صندوق وبين يديه ألوف صناديق مبددة فقال له هذه صناديق مال وقد شد عنى ترتيبها فانظرها وربها قال فأخذت اجمعها الى أن صارت مرتبة وبين يديه جماعة من خدام بيت المال والقراشين فأخذت اليه أعلمه فأمر برفعها فى الخزائن على ترتيبها وأن يطلق عليها وتختبم بخاتمها وقال قد خرجت عن خاتمنا وصارت اليك فكانت جلستها أربعة وعشرين ألف دينار وذلك فى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة فأنفقها أجمع على العساكر التى سيرها الى مصر من سنة ثمان وخمسين الى سنة اثنتين وستين وثلاثمائة * ولما أخذ فى تجهيز جوهر بالعساكر الى أخذ ديار مصر حتى تم بأمره وبرز للمسير بعث المعز خفيفا الصقل الى شيوخ كامة يقول يا اخواننا قد رأينا أن تنفذ رجالا الى بلدان كامة يقيمون بينهم يأخذون صدقاتهم ومراعيهم ويحفظونها عليهم فى بلادهم فاذا احتجنا اليها انفذنا خلفها فاستعنا بها على ما نحن بسبيله فقال بعض شيوخهم لخفيف لما بلغه ذلك قل لولا ناول الله لافعلنا هذا أبدا كيف تؤدى كامة الجزية ويصير عليها فى الديوان ضريبة وقد أعزها الله قديما بالاسلام وحديثا معكم بالايمان وسيوفنا بطاعتكم فى المشرق والمغرب فعاد خفيف الى المعز بذلك فأمر باحضار جماعة كامة فدخاوا عليه وهو راكب فرسه فقال ما هذا الجواب الذى صدر عنكم فقالوا هذا جواب جماعة ما كايامولا ناولنا الذى يؤدى جزية تبقى علينا فقام المعز فى ركابه وقال بارك الله فيكم فهكذا اريد أن تكونوا وانما أردت أن اخبركم فانظروا كيف أنتم بعدى فسا رجوه وأخذ مصر كما قد ذكر فى ترجمته عند ذكر سور القاهرة من هذا الكتاب * فلما ثبت قدم جوهر بمصر كتب اليه المعز جوابا عن كتابه وأما ما ذكرت يا جوهر من أن جماعة بنى جدان وصلت اليك كتبهم يذلون الطاعة ويعدون بالأسارعة فى المسير اليك فاسمع لما ذكره لك احذر أن تبندى احدا من آل جدان بمكاتبة ترهيبا له ولا ترغيبا ومن كتب اليك كتابا منهم فأجبه بالحسن الجليل ولا تستدعه اليك ومن ورد اليك منهم فأحسن اليه ولا تمكن احدا منهم من قيادة جيش ولا ملك طرف فينوح جدان يتظاهرون بثلاثة أشياء عليها مدار العالم وليس لهم فيها نصيب يتظاهرون بالدين وليس لهم فيه نصيب ويتظاهرون بالكرم وليس لواحد منهم كرم فى الله ويتظاهرون بالشجاعة وشجاعتهم للدنيا لا لآخرة فاحذر كل الحذر من الاستناد الى احدهم منهم * ولما عزم المعز على المسير الى مصر أجال فكره فحين يخلفه فى بلاد المغرب فوقع اختياره على جعفر بن على الامير فاستدعاه وأسرا اليه أنه يريد استخلافه بالمغرب

فقال تترك معي أحد أولادك أو اخوتك يجلس في القصر وأنا ادبر ولا تسألني عن شيء من الاموال لان ما أجيبه يكون بازاء ما انتفعه من الاموال واذا أردت امر افعلة من غير أن أنتظر ورود امر لك فيه بعد ما بين مصر والمغرب ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره الى فغضب المعز وقال يا جعفر عزلتني عن ملكي وأردت أن تجعل لي فيه شريكا في امري واستبددت بالاعمال والاموال دوني قم فقدأ خطأك وما أصبت رشدا فخرج عنه ثم انه استدعى يوسف بن زيري الصنهاجي وقال له تأهب لخلافة المغرب فأكبر ذلك وقال يا مولانا أنت وأبائك الائمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صفا لكم المغرب فكيف يصفولي وأنا صنهاجي بربري قتلني يا مولانا بغير سيف ولا رمح فما زال به المعز حتى اجاب بشرطة أن العز يولي القضاء والخراج لمن يراه ويختاره ويجعل الخيزلن يثق به ويجعله قائما بين ايدي هؤلاء فن استعصى عليهم بأمر هؤلاء به حتى يعمل به ما يجب ويكون الامر لهم ويصير كالخادم بين اوائلك فأحب المعز ما قال وشكره فلما انصرف قال ابو طالب بن القاتم بأمر الله للمعز يا مولانا واثق بهذا القول من يوسف وانه يقوم بوفاء ما ذكر فقال المعز اعناكم بين قول يوسف وقول جعفر فاعلم باعم أن الامر الذي طلبه جعفر ابتداء هو آخر ما يصير اليه امر يوسف واذا تطاولت المدة سينفرد بالامر ولكن هذا أولا احسن وأجود عند ذوى العقل وهو نهاية ما يفعله وكانت أم الامراء قد وجهت من المغرب صبية لتباع بمصر فعرضها وكيلها في مصر للبيع وطلب فيها ألف دينار فحضر اليه في بعض الايام امرأة شابة على حمار لتقلب الصبية فساومتها فيها وابتاعها منه بسقاية دينار فاذا هي ابنة الاخشيدي محمد بن طنج وقد بلغها خبر هذه الصبية فلما رأتها شغفتها حبا فاشتريتها لتستمتع بها فعاد الوكيل الى المغرب وحدث المعز بذلك فأحضر الشيوخ وأمر الوكيل فقص عليهم خبر ابنة الاخشيدي مع الصبية الى آخره فقال المعز يا اخواتنا انفضوا الى مصر فلن يحول بينكم وبينها شيء فان القوم قد بلغ بهم الترف الى أن صارت امرأة من بنات الملوك فيهم تخرج نفسها وتشتري جارية لتتبع بها وما هذا الا من ضعف نفوس رجالهم وذهاب غيرهم فانهم ضوا المسيرنا اليهم فقالوا السمع والطاعة فقال خذوا في حوايجكم فنحن نقدم الاختيار لمسيرنا ان شاء الله تعالى وكان قيصر ومظفر الصقليان قد بلغا رتبة عظيمة عند المنصور ووالد المعز وكان المظفر يدل على المعز من اجل أنه علم الخط في صغره فحرد عليه مرة وولى فسمعه المعز يتكلم بكلمة صقلية استراب منها واقنعا منه وأنفت نفسه من السؤال عن معناها فأخذ يحفظ اللغات فاستدأ بتعلم اللغة البربرية حتى احكمها ثم تعلم الرومية والدودية حتى اتقنها ثم أخذ يتعلم الصقلية فزنت به تلك الكلمة فاذا هي سب قبيح فأمر بمظفر قتل من اجل تلك الكلمة وبلغه امر الحرب التي كانت بين بني حسن وبني جعفر بالحجاز حتى قتل من بني حسن اكثر من قتل من بني جعفر فأنفذ مالا ورجالا في السرمازالوا بالباطنيين حتى اصطلمتوا وتحمل الرجال عن كل منهم الجالات فجاء الفاضل في القتي لبني حسن عند بني جعفر فحوس سبعين قتيلاً فأذوا عنهم وعقدوا بينهم الصلح في الحرم فجاء الكعبة وتحملوا عنهم الديات من مال المعز وكان ذلك في سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة فصارت هذه الفعلة يد عند بني حسن للمعز فلما ملك جوهر مصر بادر حسن بن جعفر الحسني بالدعاء للمعز في مكة وبعث الى جوهر بالخبر فسير الى المعز يعرفه بأقامة الدعوة له بمكة فأنفذ اليه بتقليد الحرم وأعماله وسار المعز بعساكره من المغرب حتى نزل بالجيزة فعقد له جوهر جسرا جديدا عند المختار بالجيزة فسار عليه وقد زينت له مدينة القسطاط فلم يشقها ودخل الى القاهرة بجميع أولاده واخوته وسائر اولاد عبيد الله المهدي وتبوايت آباءه وذلك لسميع خلون من رمضان سنة اثنين وستين وثلاثمائة فعند ما دخل القصر صلى ركعتين فاقتدى به من حضر وبات به ثم اصبح فجلس للهناء وأمر فكتب في سائر مدينة مصر خيرا الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم امير المؤمنين علي بن ابي طالب وأثبت اسم المعز لدين الله واسم أبيه عبيد الله الامير وجلس في القصر على السرير الذهب وصلى بالناس صلاة عيد الفطر في المصلي فسيح في كل ركعة وفي كل سجدة ثلاثين تسبيحة ثم خطب بعد الصلاة وركب لفتح خليج مصر يوم الوفاء وعمل عيد غدیر حم ومات بعض بني عمه فصلى عليه وكبر سبعاً وكبر على ميت آخر خسا وقدمت القرامطة الى مصر فسير اليهم الجيوش وهزموهم وما زال الى أن توفي من علته اغتله بعد دخوله الى القاهرة بستين وسبعة اشهر وعشرة ايام وعمره خمس وأربعون سنة وستة اشهر تقريبا فان مولده بالمهدية في حادي عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة ووفاته بالقاهرة لاربع عشرة خلت من ربيع

الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة وكانت مدة خلافته بالمغرب وديار مصر ثلاثاً وعشرين من سنة وعشرة أيام وهو أول الخلفاء الفاطميين بمصر واليه تنسب القاهرة المعزية لأن عبده جوهر القائد بناها حسب ما رسم له كما ذكر في خبر بنائها * وكان المعز عالماً فاضلاً جواداً أحسن السيرة منصفاً للريعية مغرمًا بالتجويد أقيم له الدعوة بالمغرب كله وديار مصر والشام والحرمين وبعض أعمال العراق * وقام من بعده ابنه (العزير بالله أبو منصور زرار) * فأقام في الخلافة إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفاً ومات وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً في الثامن والعشرين من رجب سنة ست وثمانين وثلاثمائة بمدينة بليس وحمل إلى القاهرة * وقام من بعده ابنه (الحاكم بأمر الله أبو علي منصور) * وكانت مدة خلافته إلى أن فقد خمساً وعشرين سنة ونهراً وفقد وعمره ست وثلاثون سنة وسبعة أشهر في ليلة السابع والعشرين من شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة وقد بسطت خبر العزير والحاكم عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب * وقام من بعده ابنه (الظاهر لأعز الدين الله أبو الحسن علي) * بن الحاكم بأمر الله ولد بالقاهرة يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة وبويع له بالخلافة يوم عيد النحر سنة إحدى عشرة وأربعمائة وعمره ست عشرة سنة فخرج إلى صلاة العيد وعلى رأسه المظلة وحوله العساكر وصلى بالناس في المصلى وعاد فكتب بخلافته إلى الأعمال وشرب الخمر وورخص فيه للناس وفي سماع الغناء وشرب الفخار وأكل الملوخيا وجميع الاسماك فأقبل الناس على اللهو ووزر له الخطير رئيس الرؤساء أبو الحسن عمار بن محمد وكان يلي ديوان الانشاء وغيره واستوزره الحاكم إلى أن فقد قتولى البيعة للظاهر ثم قتل بعد سبعة أشهر في ربيع الأول سنة اثنتي عشرة فاستوزر بعده بدر الدولة أبا الفتح مومى بن الحسين وكان يتولى الشرطة ثم ولى ديوان الانشاء بعد ابن حيران وصرف عن الوزارة في المحرم سنة ثلاث عشرة وقبض عليه في شوال وقتل فوجد له من العين ستمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار وولى بعده الوزارة الأمير شمس الملوك المكيين مسعود بن طاهر * وفي سنة أربع عشرة قلد منتخب الدولة الدرزي متولى قيسارية ولاية فلسطين فكانت له مع حسان ابن مفرح بن جراح الطائي حروب وفيها نزع السحر بمصر وتعدرو وجود الخبز وفي المحرم سنة خمس عشرة لقب الخادم الأسود معضاد القائد عز الدولة وسنأها إلى القوارض معضاد الظاهر وخلع عليه وثار رجل من بني الحسين ببلاد الصعيد فقبض عليه وأقر أنه قتل الحاكم بأمر الله ووجد معه قطعة من جلد رأسه وقطعة من القوطة التي كانت عليه فسل عن سبب قتله إياه فقال غرت لله وللإسلام ثم قتل نفسه بسكين كانت معه فقطعت رأسه وسيرت إلى القاهرة وفيها اشتد الغلاء بمصر وكثر نقص النيل * وفيها قرر الشريف الكبير النجيمي والشهيد نجيب الدولة الحراري والشهيد العميد محسن بن بدوس مع القائد معضاد أن لا يدخل على الظاهر أحد غيرهم وكانوا لا يدخلون كل يوم خلوة ويخرجون فيصترفون في سائر أمور الدولة والظاهر مشغول بالذاته وصار شمس الملوك مظفر صاحب المظلة وابن حيران صاحب الانشاء وداعى الدعاة وتقيب نقباء الطالبين وقاضى القضاة ربحاً دخلوا على الظاهر في كل عشرين يوماً مرة ومن عداهم لا يصل إلى الظاهر البتة والثلاثة الأول هم الذين يقضون الأشغال ويعضون الأمور بعد الاجتماع عند القائد معضاد ومنع الناس من ذبح الإبل وأرقتهم وأعزت الأقوات بمصر وقت البهائم كلها حتى بيع الرأس البقر بخمسين ديناراً وكثر الخوف في ظواهر البلد وكثر اضطراب الناس وتحدث زعماء الدولة بمصادرة التجار فاختلف بعضهم على بعض وكثر ضجيج طوائف العسكر من الفقر والحاجة فلم يجابوا وتحاسد زعماء الدولة فقبض على العميد محسن وضرب عنقه واشتد الغلاء وفشت الأمراض وكثر الموت في الناس وفقد الحيوان فلم يقدر على دجاجة ولا فروج وعز الماء لقلته الظاهر فم البلاء من كل جهة وعرض الناس امتعتهم للبيع فلم يوجد من يشتريها وخرج الحاج فقطع عليهم الطريق بعد رحيلهم من بركة الحب وأخذت أموالهم وقتل منهم كثير وعاد من بقي فلم يجع أحد من أهل مصر وتفاقم الأمر في شدة الغلاء فصاح الناس بالظاهر الجوع يأمر المؤمنين لم يصنع بنا هذا البول ولا جئت فأنقذ الله في أمرنا وطرق عساكر ابن جراح القرما فقرأ لهم إلى القاهرة وأصبح الناس بمصر على أقيح حال من الأمراض والموتان وشدة الغلاء وعدم الأقوات وكثر الخوف من الذغار التي تكبس حتى أنه لما عمل سباط عبيد البحر بالقصر كبس العبيد على السباط وهم يصبحون الجوع ونهبوا سائر ما كان عليه

ونهب الارياف وكثر طمع العبيد ونهبهم وجرت امور من العامة قبيحة واحتاج الظاهر الى القرض فحمل بعض اهل الدولة اليه مالا وامتنع آخرون واجتمع نحو الالف عبيد لتنهب البلاد من الجوع فنودي بأن من تعرض له أحد من العبيد فليقتله ونذب جماعة لحفظ البلد واستعد الناس فكانت نهبات بالساحل ووقائع مع العبيد احتاج الناس فيها الى أن خندقوا عليهم خنادق وعملوا الدروب على الازقة والشوارع وخرج معضاد في عسكر فطردهم وقبض على جماعة منهم ضرب أعناقهم وأخذ العبيد في طلب الحر حراى وغيره من وجوه الدولة فخرسوا أنفسهم وامتنعوا في دورهم وانقضت السنة والناس في أنواع من البلاء * وفي سنة ست عشرة امر الظاهر فأخرج من بمصر من الفقهاء المالكية وغيرهم وأمر الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب دعائم الاسلام ويختصر الوزير وجعل لمن حفظ ذلك مالا * وفي سنة سبع عشرة ثار بمصر رعايف عظيم بالناس وكثرت زيادة النيل عن العادة وتصدق الظاهر بمائة ألف دينار من أجل أنه سقط عن فرسه وسلم * وفي سنة ثمان عشرة وقعت الهدنة مع صاحب الروم وخطب للظاهر في بلاده وأعاد الجامع قسطنطينية وعمل فيه مؤذنا فأعاد الظاهر كنيسة ثمامة بالقدس وأذن لمن اظهر الاسلام في أيام الحاكم أن يعود الى النصرانية فرجع اليها كثير منهم وصرف الظاهر وزيره عميد الدولة وناصحها أبا محمد الحسن بن صالح الروذبادى وأقام بدله أبا القاسم على بن احمد الحر حراى * وفي سنة عشرين كانت فتنة بين المغاربة والأتراك قتل فيها كثير * وفي سنة احدى وعشرين بويع لابن الظاهر بولاية العهد وعمره ثمانية اشهر وأفق على ذلك في خلع لاهل الدولة وطعام وشار للعامة ما يحل وصفه * وفي سنة اثنين وعشرين تحرك السعر لنقص ماء النيل ثم زاد بعد أوانه بأربعة أشهر * وفي سنة ثلاث وعشرين قتل الظاهر أحد الدعاة فاضطربت الرعية والجند وتحذت الناس بخلعه ثم سكنت الفتنة بعد انضاق مال جزيل * وفي سنة أربع وعشرين ركب ولي العهد من القاهرة الى مصر وقد زينت الطرقات فكان اذا مر يقوم قبلوا له الارض وتزيروا على العامة مبلغ خمسة آلاف دينار فكان يوما عظيما * وفي سنة خمس وعشرين بث الظاهر دعائه يبعد اد عند اختلاف الأتراك بها فكثرت دعائه هناك واستجاب لهم خلق كثير فلما كان في سنة ست وعشرين كثر الوباء بمصر ومات الظاهر للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربع مائة عن اثنين وثلاثين سنة الاياما فكانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية اشهر وأياما وكان مشغوبا باللهو محبا للغناء فتأنى الناس في أيامه بمصر واتخذوا المغنيات والراقصات وبلغوا من ذلك مبلغا عظيما واتخذ حجرا لمساكنة وعلمهم أنواع العلوم وسائر فنون الحرب واتخذ خزانة البنود وأقام فيها ثلاثة آلاف صانع وراسل الملوك واستكثر من شراء الجواهر وكانت مملكته بافر بقية ومصر والشام والحجاز وغلب صالح بن مرداس على حلب في أيامه واستولى على ما يليها وتغلب حسان بن جراح على اكثر بلاد الشام فتضعفت الدولة * وقام من بعده ابنه ولي العهد بويع له وهو (المستنصر بالله ابو عديم معد) * ومولده في السادس عشر من جادى الاخرة سنة عشرين واربع مائة وبويع بالخلافة للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين وعمره يومئذ سبع سنين فأقام ستين سنة وأشهر في الخلافة كانت فيها أنباء وقصص شنيعة بديار مصر منها أن أمة كانت امة سوداء لتاجر يهودى يقال له ابوسعده سهل بن هرون التستري فابتاعها منه الظاهر واستولدها المستنصر فلما أفضت الخلافة اليه استندت امة ابوسعده ورفقه درجة عليه وكان الوزير يومئذ ابا القاسم الحر حراى فلم يتمكن ابوسعده من اظهار ما في نفسه حتى مات الحر حراى وتولى ابو منصور صدقة بن يوسف العلاجى الوزارة فابسط يد أبى سعد وصار العلاجى يأتمر بأمره فعمل عليه وقتله كما ذكر في خبر خزانة البنود فحدثت أم المستنصر على العلاجى وصرفته عن الوزارة واستقر أبو البركات صفى الدين الحسين بن محمد بن احمد الحر حراى في الوزارة * وفي سنة اربعين سار ناصر الدولة الحسين بن حمدان متولى دمشق بالعساكر الى حلب وحارب متوليا شمال بن صالح بن مرداس ثم رجع بغير طائل فقلد مظفر العقلى دمشق وقبض على ابن حمدان وصادره واعتقله بصور ثم باله لمله وخرج امير الامراء رفق الخادم على عسكر تبلغ عدته نحو الثلاثين الفا بلغت النفقة عليه اربع مائة ألف دينار يريد الشام ومحاربة بنى مرداس * وفي المحرم سنة احدى واربعين صرف قاضى القضاة قاسم بن عبد العزيز بن النعمان عن القضاء بعدما باشره ثلاث عشرة سنة وشهرا وأربعة ايام وتقلد وظيفة القضاء بعده القاضى الاجل خضير الملك ابو محمد البازورى * وفيها

حارب رفق بن مر داس قطفروا به وأسروه فمات بقلعة حلب فأخرج عن ابن حمدان وبقي بالحضرة وقبض على الوزير أبي البركات الحر حراى ونفى الى الشام وعمل ابو الفضل صاعد بن مسعود واسطة لاوزرا ثم قلد قاضي القضاة ابو محمد البازورى الوزارة مع وظيفة القضاء ولقب بسيد الوزراء * وفى سنة اثنتين وأربعين كانت حروب الجيزة واخراج بنى قرة منها وانزال بنى سنيس بعدهم بها وفيها دعا على بن محمد الصليحي باليمن للمستنصر وبعث اليه بجمال النجوة والهدن * وفى سنة أربع وأربعين كتب ببغداد محاضرا بالقدح فى نسب الخلفاء المصريين ونفيهم من الانتساب الى على بن ابي طالب وسيرت الى الآفاق وقصر مدة النيل فتمزك السعرب مصر ثم قصر أيضا مدة النيل فى سنة ست وأربعين فقوى الغلاء وكثر الموت فى الناس * وفى سنة ثمان وأربعين خرج ابو الحارث البساسيرى من بغداد منتحيا للمستنصر فسيرت اليه الاموال والخلع * وفى سنة ثمان وأربعين عادت حلب الى مملكة المستنصر * وفى سنة خمسين قبض على الوزير الناصر للدين ابي محمد البازورى وتقلد بعده الوزارة ابو الفرج محمد بن جعفر المغربي بن عبد الله بن محمد وولى القضاء بعد البازورى ابو على احمد بن عبد الحكيم ثم صرف به عبد الحاكم الملقب وفيها أخذ البساسيرى ببغداد وأقام فيها الخطبة للمستنصر وقرا الخليفة القائم بأمر الله العباسى الى قريش بن بدران فبعث به الى غانة وسيرت ثياب القائم وعمامته وغير ذلك من الاموال الى مصر وفيها سار ناصر الدولة الى دمشق أميراعليها * وفى سنة احدى وخسين اقيمت دعوة المستنصر بالبصرة وواسط وجبى تلك الاعمال فقدم طغريل الى بغداد وأعاد الخليفة القائم بعدما خطب للمستنصر ببغداد أربعون خطبة وقتل البساسيرى وفيها قطعت خطبة المستنصر أيضا من حلب فسار اليها ابن حمدان وحارب اهلها فانكسر كسرة شديدة شنيعة وعاد الى دمشق وفيها صرف ابو الفرج بن المغربي عن الوزارة وعبد الحاكم عن القضاء وأعيد الى الوزارة ابو الفرج الباسلى واستقرت وظيفة القضاء احمد بن ابي زكري * وفى سنة ثلاث وخسين كثر صرف الوزراء والقضاة وولايتهم لكثرة مخالطة الرعاى للخدمة وتقدم الاراذل بحيث كان يصل اليه فى كل يوم ثمانمائة رقعة فيها المرافعات والسعايات فاشتبهت عليه الامور وتناقصت الاحوال ووقع الاختلاف بين عبيد الدولة وضعفت قوى الوزراء عن التدبير لقصر مدة كل منهم وخربت الاعمال وقل ارتفاعها وتقلب الرجال على معظمها مع كثرة النفقات والاستخفاف بالامور وطغيان الاكابر الى أن آل الامر الى حدوث الشدة العظمى كما قد ذكر فى موضعه من هذا الكتاب وكان من قدوم أمير الجيوش بدر الجالى فى سنة ست وستين وأربعمائة وقيامه بسلطنة مصر ما ذكر فى ترجمته عند ذكر ابواب القاهرة فلم يزل المستنصر مدة أمير الجيوش ملجما عن التصرف الى أن مات فى سنة سبع وثمانين فأقام العسكر من بعده فى الوزارة ابنه الافضل شاهنشاه فباشر الامور يسيرا ومات المستنصر ليلة الخميس لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة سبع وثمانين عن سبع وستين سنة وخمسة اشهر منها فى الخلافة ستون سنة وأربعة اشهر وثلاثة ايام مرت فيها احوال عظيمة وشدائد آلت به الى أن جلس على تخت وفقد القوت فلم يقدر عليه حتى كانت امرأة من الاشراف تصدق عليه فى كل يوم بقعب فيه قيت فلا ياكل سواه مرة فى كل يوم وقدمت فى غير موضع من هذا الكتاب كثير من أخباره فلما مات المستنصر أقام الافضل بن أمير الجيوش فى الخلافة من بعده ابنه (المستعلي بالله ابا القاسم احمد) * وكان مولده فى العشرين من المحرم سنة سبع وستين وأربعمائة تخالف عليه اخوه نزار وفراتى الاسكندرية وكان القائم بالا وركاها الافضل فخار به حتى ظفربه وقتله كما تقدم فى خبر أقتسكين عند خزان القصر * وفى سنة تسعين وقع بمصر غلاء وباء وقطعت الخطبة من دمشق للمستعلي وخطب بها العباسى وخرج الفريج من قسطنطينية لآخذ سواحل الشام وغيرهما من ايدى المسلمين فلما كانوا انطاكية * وفى سنة احدى وتسعين خرج الافضل بعسكر عظيم من القاهرة فأخذ بيت المقدس من الارمن وعاد الى القاهرة * وفى سنة اثنتين وتسعين ملك الفريج الرملة وبيت المقدس فخرج الافضل بالعساكر وسار الى عسقلان فسار اليه الفريج وقتلوا كثيرا من اصحابه وغنموا منه شيا كثيرا وحصره فقبض بنفسه فى البحر وصار الى القاهرة * وفى سنة ثلاث وتسعين عم الوباء اكثر البلاد فهلك بمصر عالم عظيم * وفى سنة أربع وتسعين خرج عسكر مصر اقتال الفريج وكانت بينهم حروب كثيرة * وفى سنة خمس وتسعين وأربعمائة مات المستعلي بالله ثلاث عشرة بقيت من صفرو عمره سبع وعشرون سنة وسبعة وعشرون يوما ومدة خلافته سبع سنين وشهران وفى أيامه اختلفت الدولة

واقطعت الدعوة من أكثر مدن الشام فانها صارت بين الأتراك والفرنج وصارت الامم اعيلية فرقتين فرقة
 نزارية تطعن في امامة المستعلي وفرقة ترى صحة خلافة ولم يكن للمستعلي مع الافضل امر ولا نهى ولا نفوذ
 كلمة وقيل انه سم وقيل بل قتل سراً * فلما مات أقام الافضل من بعده في الخلافة ابنه (الامر بأحكام الله
 ابا علي منصوراً) * وعمره خمس سنين وشهر وأيام فقتل الافضل في أيامه وأقام في الخلافة تسعاً وعشرين
 سنة وثمانية أشهر ونصفاً وقد ذكرت ترجمته عند ذكر الجامع الآخر في ذكر الجوامع من هذا الكتاب ولما
 قتل الامر بأحكام الله اقيم من بعده (الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد) ابن الامر أبي القاسم محمد بن
 المستنصر بالله وكان قد ولد بعسقلان في المحرم سنة سبع وقيل في سنة ثمان وتسعين وأربع مائة لما اخرج
 المستنصر ابنه ابا القاسم مع بقية اولاده في أيام الشدة فلذلك كان يقال له في أيام الامر بأحكام الله الامير
 عبد المجيد في دست الخلافة ولقبناه بالحافظ لدين الله وانه يكون كفيلاً مستظرف في بطن أمته من اولاد الامر
 واستقر هزاز الملوك ووزير افسار العسكر وأقاموا أبا علي بن الافضل وزيراً وقتل هزاز الملوك ونهب شارع
 القاهرة وذلك كله في يوم واحد فامتد ابو علي بالوزارة يوم السادس عشر من ذي القعدة سنة أربع وعشرين
 وخمس مائة وقبض على الحافظ وسجنه مقيداً فاستمر الى أن قتل ابو علي في سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين
 فأخرج من معتقله وأخذ له العهد على انه ولي عهد كفيلاً لمن يذكر اسمه فالتخذ الحافظ هذا اليوم عبداً
 سماه عبد النصر وصار يعمل كل سنة ونهبت القاهرة يومئذ وقام بالناس صاحب الباب بالوزارة الى أن هلك
 في ذي الحجة منها بعد تسعة أشهر فلم يستوزر الحافظ بعده أحد او تولى الامور بنفسه الى سنة ثمان وعشرين فأقام
 ابنه سليمان ولي عهداً بمقام وزير فلم تطل أيامه سوى شهرين ومات فجعل مكانه ابن حيدرة فحق ابنه حسن
 ونار بالفتنة وكان من أمره ما ذكر في خبر الحارة البانسية من هذا الكتاب فلما قتل حسن قام بهرام الارمني
 وأخذ الوزارة في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وكان نصرانياً فاشتد ضرر المسلمين من النصاري وكثرت
 أذيتهم فسار رضوان بن وثلثي وهو يومئذ متولى الغربية وجمع الناس لحرب بهرام وسار الى القاهرة فأنهزم
 بهرام ودخل رضوان القاهرة واستولى على الوزارة في جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين فأوقع بالنصاري
 وأذلهم فشكره الناس الا أنه كان خفيفاً عموماً فأخذ في اهانة حواشي الخليفة وهم بجعله وقال ماهو بأمام وانما
 هو كفيلاً لغيره وذلك الغير لم يصح فتوحش الحافظ منه وما زال يدبر عليه حتى نارت فتنة أنهزم فيها رضوان
 وخرج الى الشام فجمع وعاد في سنة أربع وثلاثين فجهر له الحافظ العساكر لمحاربتة فقاتلهم وأنهزم منهم الى
 الصعيد فقبض عليه واعتقل فلم يستوزر الحافظ أحد بعده الى أن كانت سنة ست وثلاثين فقلت الاسعار
 بمصر وكثر الوباء وامتد الى سنة سبع وثلاثين فمظم الوباء * وفي سنة اثنتين وأربعين خلص رضوان من
 معتقله بالقصر وخرج من نقب ونار بجماعة وكانت فتنة آلت الى قتله * وفي سنة أربع وأربعين نارت فتنة
 بالقاهرة بين طوائف العسكر فمات الحافظ ليلة الخامس من جمادى الآخرة عن سبع وسبعين سنة منها مدة
 خلافة ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً أصابته فيها شدائد كثيرة وكان حازماً مسبوساً كثير
 المداواة عارفاً بجماع المال مغرياً بعلم التجوم يغلب عليه الحلم * فلما مات والفتنة قائمة اقيم ابنه (الظاهر بأمر الله
 ابو منصور اسمعيل) * ومولده للنصف من ربيع الآخرة سنة سبع وعشرين وخمس مائة فأقام في الخلافة أربع
 سنين وثمانية أشهر الا خمسة أيام وكان محكوماً عليه من الوزارة وفي أيامه أخذت عسقلان فقطهر الخلل في الدولة
 وقد ذكرت أخباره في خط الخشبية عند ذكر الخطط من هذا الكتاب * فلما قتل اقيم من بعده ابنه (الفائز بن نصر
 الله ابو القاسم عيسى) * أقامه في الخلافة بعد مقتل ابيه الوزير عباس وعمره خمس سنين فقدم طلائع بن رزيق
 والى الاشعورين بجموعه الى القاهرة ففر عباس واستولى طلائع على الوزارة وتلقب بالصالح وقام بأمر الدولة
 الى أن مات الفائز ثلاث عشرة بقية من رجب سنة خمس وخمسين عن احدى عشرة سنة وستة أشهر
 ويومين منها في الخلافة ست سنين وخمسة أشهر وأيام لم يرفها خيراً فانه لما اخرج ليقيم خليفة رأى اعمامه قتل
 وسمع الصراخ فاختل عقله وصار يصرخ حتى مات * فأقام الصالح بن رزيق في الخلافة بعده (العاذل لدين الله
 أبا محمد عبد الله) * ابن الامير يوسف بن الحافظ لدين الله ومولده لعشر بقية من المحرم سنة ست وأربعين

وخسمائة وكان عمره يوم يوع نحو احدى عشرة سنة وقام الصالح بتدبير الامور الى أن قتل في رمضان سنة ست وخسين كما ذكر في خبره عند ذكر الجوامع فقام من بعده ابنه رزيق بن طلائع وحسنت سيرته فعزل شاور بن مجير السعدى عن ولاية قوص فلم يقبل العزل وحشد وسار على طريق الواحات في البرية الى تروجة فجمع الناس وسار الى القاهرة فلم يثبت رزيق وفر فقبض عليه باطفيح واستقر شاور في الوزارة لايام خلت من صفر سنة ثمان وخسين فأقام الى أن ثار ضرغام صاحب الباب فقر منه الى الشام واستبد ضرغام بالوزارة فقتل امراء الدولة وأضعفها بسبب ذهاب اكبرها فقدم الفرنج ونازلوا مدينة بليس مدة ودافعهم المسلمون عدة مرار حتى عادوا الى بلادهم بالساحل ورجع العسكر الى القاهرة وقد قتل منهم كثير فوصل شاور بعساكر الشام في جمادى الآخرة سنة تسع وخسين فخاربه ضرغام على بليس بعساكر مصر وكانت لهم معاركة انهمزوا في آخرها وغنم شاور ومن معه سائر ما خرجوا به وكان شياً جليلاً فسرّوا بذلك وساروا الى القاهرة فكانت بين الفريقين حروب آلت الى هزيمة ضرغام وقله في شهر رمضان منها فاستولى شاور على الوزارة مرة ثانية واختلف مع الغز القادمين معه من الشام وكانت له معهم حروب آلت الى أن شاور كتب الى مري ملك الفرنج يستدعيه الى القاهرة ليعينه على محاربة شيركوه ومن معه من الغز فحضر وقد صار شيركوه في مدينة بليس فخرج شاور من القاهرة ونزل هو ومري على بليس وحصر اشيركوه ثلاثة أشهر ثم وقع الصلح فسار شيركوه بالغز الى الشام ورحل الفرنج وعاد شاور الى القاهرة في سنة ستين وخسمائة فلم يزل الى أن قدم شيركوه من الشام بالعساكر مرة ثانية في ربيع الآخر فخرج شاور من القاهرة الى لقائه واستدعى مري ملك الفرنج فصار شيركوه على الشروق وخرج من اطفيح فسار اليه شاور بالفرنج وكانت له معه الواقعة المشهورة فسار شيركوه بعد الواقعة من الاسمنين وأخذ الاسكندرية وعاد شاور الى القاهرة وخرج شيركوه من الاسكندرية بعد أن استخلف عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب ولم يزل يسير من الاسكندرية الى قوص وهو يحجب البلاد فخرج شاور من القاهرة بالفرنج ونازل الاسكندرية فبلغ شيركوه ذلك فعاد من قوص الى القاهرة وحصرها ثم كانت امور آخرها مسير شيركوه واصحابه من ارض مصر الى الشام في شوال وقد طمع الفرنج في البلاد وتسلبوا اسوار القاهرة وأقاموا فيها شحنة معه عدة من الفرنج لمقاسمة المسلمين ما يتحصل من مال البلد وغش امراء شاور وساءت سيرته وكثر خيبرته على الدماء واتلافه للاموال فلما كان في سنة اربع وستين قوى تمكن الفرنج في القاهرة وجاروا في حكمهم بها وركبوا المسلمين بأنواع الاهانة فسار مري يريد اخذ القاهرة ونزل على مدينة بليس وأخذها عنوة فكتب العاضد الى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يستصرخه ويحثه على تجدة الاسلام واثقاذا المسلمين من الفرنج فجهاز أسد الدين شيركوه في عسكر كثير وجهزهم وسيرهم الى مصر وقد أحرق شاور مدينة مصر كما تقدم ونزل مري ملك الفرنج على القاهرة وألح في قتال اهلها حتى كاد أن ياخذها عنوة فسير اليه شاور وخادعه حتى رضى بما لا يجتمع له فشرع في جبايته واذا بالخبر ورد بقدم شيركوه فرحل الفرنج عن القاهرة في سابع ربيع الآخر ونزل شيركوه على القاهرة بالغز ثالث مرة فخلع عليه العاضد وأكرمه فأخذ شاور يفتك بالغز على عادته فكان من قتله ما ذكر في موضعه وذلك في سابع عشر ربيع الآخر المذكور وتقلد شيركوه وزارة العاضد وقام بالدولة شهرين وخمسة ايام ومات في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة فقوض العاضد الوزارة لصلاح الدين يوسف بن ايوب فساس الامور ودبر لنفسه قبذل الاموال وأضعف العاضد باستنفاد ما عنده من المال فلم يزل امره في ازدياد وأمر العاضد في نقصان وصار يخطب من بعد العاضد للسلطان محمود نور الدين وأقطع اصحابه البلاد وأبعد اهل مصر وأضعفهم واستبد بالامور ومنع العاضد من التصرف حتى تبين للناس ما يريد من ازالة الدولة الى أن كان من واقعة العبيد ما ذكرنا فآبأهم وأنفاهم ومن حينئذ تلاشى العاضد وانحل امره ولم يبق له سوى اقامة ذكره في الخطبة فقط هذا وصلاح الدين يوالى الطلب منه في كل يوم ليضعفه فأتى على المال والخليل والرقبي وغير ذلك حتى لم يبق عند العاضد غير فرس واحد فطلبه منه وأجأه الى ارساله وأبطل ركوبه من ذلك الوقت وصار لا يخرج من القصر البتة وتتبع صلاح الدين جند العاضد وأخذ دور الامراء واقطاعاتهم فوهم الاصحابه وبعث الى آبيه واخوته وأهله فقدموا من الشام عليه فلما كان في سنة ست وستين ابطل المكوس من ديار مصر وهدم دار المعونة بمصر وعمرها

مدرسة للشافعية وإنشأ مدرسة أخرى للمالكية وعزل قضاة مصر الشيعية وقلد القضاء صدر الدين عبد الملك ابن درباس الشافعي وجعل اليه الحكم في إقليم مصر كله فعزل سائر القضاة واستناب قضاء شافعية فتظاهر الناس من تلك السنة بمذهب مالك والشافعي رضي الله عنهم واختفى مذهب الشيعية إلى أن نسي من مصر وأخذ في غزو الفرنج فخرج إلى الرملة وعاد في ربيع الأول ثم سار إلى أيلة ونازل قلعتها حتى أخذها من الفرنج في ربيع الآخر ثم سار إلى الاسكندرية ولم تثن سورها وعاد وسير توران شاه فأوقع بأهل الصعيد وأخذ منهم ما لا يمكن وصفه كثرة وعاد فكثر القول من صلاح الدين وأصحابه في ذم العاضد وتحدثوا بخلعه وإقامة الدعوة العباسية بالقاهرة ومصر ثم قبض على سائر من بقي من أمراء الدولة وأنزل أصحابه في دورهم في ليلة واحدة فأصبح في البلد من العويل والبكاء ما يذهل وتحكم أصحابه في البلد بأيديهم وأخرج أقطاعات سائر المصريين لأصحابه وقبض على بلاد العاضد ومنع عنه سائر موارده وقبض على القصور وسلمها إلى الطواشي بهاء الدين قراقوش الاسدي وجعله زمامها فضيّق على أهل القصر وصار العاضد معتقلا تحت يده وأبطل من الأذان حتى على خير العمل وأزال شعار الدولة وخرج بالعزم على قطع خطبة العاضد فحرض ومات وعمره إحدى وعشرون سنة الا عشرة ايام منها في الخلافة إحدى عشرة سنة وستة اشهر وسبعة ايام وذلك في ليلة يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسائة بعد قطع اسمه من الخطبة والدعاء للمستجد العباسي بثلاثة ايام وكان كريما لين الجانب مرتبه مخاوف وشدائد وهو آخر الخلفاء الفاطميين بمصر وكانت مدتهم بالمغرب ومصر منذ قام عبيد الله المهدي إلى أن مات العاضد مائتي سنة واثنين وسبعين سنة وایاما بالقاهرة منها مائتان وثمانين سنين فسبحان الباقي

• (ذكر ما كان عليه موضع القاهرة قبل وضعها) •

اعلم أن مدينة الاقليم منذ كان فتح مصر على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه كانت مدينة الفسطاط المعروفة في زماننا بمدينة مصر قبل القاهرة وبها كان محل الامراء ومنزل ملكهم والى المتجبي ثمرات الاقليم وتاوى الكافة وكانت قد بلغت من وفور العمارة وكثرة الناس وسعة الارزاق والتفنن في انواع الحضارة والتأنق في التهنيم ما اربت به على كل مدينة في المعمور حاشا بعد ادائها كانت سوق العالم وقد زاحتها مصر وكادت أن تسامها الا قليلا ثم لما انقضت الدولة الاخشيدية من مصر واختل حال الاقليم بتوالي الغلوات وتواتر الالباء والقنوات حدثت مدينة القاهرة عند قدوم جيوش المعز لدين الله ابي تميم معه امير المؤمنين على يد عبده وكتبه القائد جوهر فغزل حيث القاهرة الآن وأناخ هناك وكانت حينئذ رملة فيما بين مصر وعين شمس يمر بها الناس عندهم من الفسطاط إلى عين شمس وكانت فيما بين الخليج المعروف في أول الاسلام بخليج امير المؤمنين ثم قيل له خليج القاهرة ثم هو الآن يعرف بالخليج الكبير وبالخليج الحامكي وبين الخليج المعروف بالبحايم وهو الجبل الاحمر وكان الخليج المذكور فاصلا بين الرملة المذكورة وبين القرية التي يقال لها أم دنين ثم عرفت الآن بالمقس وكان من يسافر من الفسطاط إلى بلاد الشام ينزل بطرف هذه الرملة في الموضع الذي كان يعرف بمنية الاصبع ثم عرف إلى يومنا بخندق وتمز العساكر والتجار وغيرهم من منية الاصبع إلى بني جعفر على غيفة وسلمت إلى بلبيس وبينها وبين مدينة الفسطاط أربعة وعشرون ميلا ومن بلبيس إلى العلاقة إلى القرما ولم يكن الدرب الذي يسلك في وقتنا من القاهرة إلى العريش في الرمل يعرف في القديم وانما عرف بعد خراب تينس والقرما وازاحة الفرنج عن بلاد الساحل بعد تملكهم له مدة من السنين وكان من يسافر في البر من الفسطاط إلى الجواز ينزل بجب عميرة المعروف اليوم ببركة الحب وبركة الحاج ولم يكن عند نزول جوهر بهذه الرملة فيها بنيان سوى أما كن هي بستان الاخشيدي محمد بن طنج المعروف اليوم بالكافوري من القاهرة ودير للنصارى يعرف بدير العظام تزعم النصارى أن فيه بعض من أدرك المسيح عليه السلام وبقي الآن بئر هذا الدير وتعرف بيئر العظام والعامة تقول بئر العظمة وهي بجوار الجامع الاقمر من القاهرة ومنها ينقل الماء اليه وكان بهذه الرملة أيضا مكان ثالث يعرف بقصر الشوك بصيغة التصغير تتر له بنو عذرة في الجهادية وصار موضعه عند بناء القاهرة يعرف بقصر الشوك من جهة القصور الزاهرة هذا الذي اطلعت عليه انه كان في موضع القاهرة قبل بنائها بعد الفحص والتفتيش وكان النيل حينئذ بشاطئ المقس يمر من موضع الساحل القديم بمصر الذي هو الآن

سوق المعاريح وحمام طن والمرافة وبستان الجرف وموردة الخلفاء ومنشأة المهراني على ساحل الجراء وهي موضع قناطر السباع فيمتر النيل بساحل الجراء الى المقس موضع جامع المقس الآن وفيما بين الخليج وبين ساحل النيل بساتين القسطاط فاذا صار النيل الى المقس حيث الجامع الآن من هناك على طرف الارض التي تعرف اليوم بأرض الطبالة من الموضع المعروف اليوم بالجرف وصار الى البعل ومتر على طرف منية الاصبع من غربي الخليج الى المنية وكان فيما بين الخليج والجبل مما يلي بحري موضع القاهرة مسجد بني علي وأسن ابراهيم ابن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب ثم مسجد تبرا الاخشيدي فعرف بمسجد تبرا والعمارة تقول مسجد التبرين ولم يكن الممر من القسطاط الى عين شمس والى الخوف الشرقي والى البلاد الشامية الا بحافة الخليج ولا يكاد يمر بالرمل التي في موضعها الآن مدينة القاهرة كثير جدا ولذلك كان بهادر الانصارى الا أنه لما عمر الاخشيدي البستان المعروف بالكافوري أنشأ بجانبه ميدانا وكان كثيرا ما يقيم به وكان كافورا أيضا يقيم به وكان فيما بين موضع القاهرة ومدينة القسطاط مما يلي الخليج المذكور أرض تعرف في القديم منذ فتح مصر بالجراء القصوى وهي موضع قناطر السباع وجبل يشكر حيث الجامع الطولوني وما دار به وفي هذه الجراء عدة كنائس وديارات للنصارى خربت شيئا بعد شيء الى أن خرب آخرها في أيام الملك الناصر محمد ابن قلاوون وجميع ما بين القاهرة ومصر مما هو موجود الآن من العمر فانه حدث بعد بناء القاهرة ولم يكن هناك قبل بنائها شيء البتة سوى كنائس الجراء وسيأتي بيان ذلك مفصلا في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

* (ذكر حد القاهرة) *

قال ابن عبد الظاهر في كتاب الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة الذي استقر عليه الحال أن حد القاهرة من مصر من السبع سقايات وكان قبل ذلك من الجنونة الى مشهد السيدة رقية عرضا أه والآن تطلق القاهرة على ما حازه السور المحرق الذي طوله من باب زويلة الكبير الى باب الفتوح وباب النصر وعرضه من باب سعادة وباب الخوخة الى باب البرقية والباب المحروق ثم لما توسع الناس في العمارة بظاهر القاهرة وبنوا خارج باب زويلة حتى اتصلت العمائر بمدينة قسطاط مصر وبنوا خارج باب الفتوح وباب النصر الى أن انتهت العمائر الى الريدانية وبنوا خارج باب القنطرة الى حيث الموضع الذي يقال له بولاق حيث شاطئ النيل وامتد وبالعامة من بولاق على الشاطئ الى أن اتصلت بمنشأة المهراني وبنوا خارج باب البرقية والباب المحروق الى سفح الجبل بطول السور فصار حينئذ العامر بالسور على قسمين أحدهما يقال له القاهرة والآخر يقال له مصر فاما مصر فان حدها على ما وقع عليه الاصطلاح في زمننا هذا الذي نحن فيه من حد أول قناطر السباع الى طرف بركة الحبش القبلي مما يلي بساتين الوزير وهذا هو طول حد مصر وحدها في العرض من شاطئ النيل الذي يعرف قديما بالساحل الجديد حيث فم الخليج الكبير وقنطرة السد الى أول القرافة الكبرى * وأما حد القاهرة فان طولها من قناطر السباع الى الريدانية وعرضها من شاطئ النيل بيولاق الى الجبل الاحمر ويطلق على ذلك كله مصر والقاهرة وفي الحقيقة القاهرة المعز التي انشأها القائد جوهر عند قدومه من حضرة مولاه المعز لدين الله أبي تميم معد الى مصر في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة انما هي ما دار عليه السور فقط غير أن السور المذكور الذي أداره القائد جوهر تغير وعمل منذ بنيت الى زمننا هذا ثلاث مرات ثم حدثت العمائر فيما وراء السور من القاهرة فصار يقال لداخل السور القاهرة ولما خرج عن السور ظاهر القاهرة وظاهر القاهرة أربع جهات الجهة القبيلة وفيها الآن معظم العمارة وحد هذه الجهة طولاً من عتبة باب زويلة الى الجامع الطولوني وما بعد الجامع الطولوني فانه من حد مصر وحدها عرضاً من الجامع الطيبري بشاطئ النيل غربي المريس الى قلعة الجبل وفي الاصطلاح الآن أن القلعة من حاكم مصر والجهة البحرية وكتب قبل السبع مائة من سني الهجرة وبعدها الى قبيل الوباء الكبير فيها أكثر العمائر والمساكن ثم تلاشت من بعد ذلك وطول هذه الجهة من باب الفتوح وباب النصر الى الريدانية وعرضها من منية الاصرار المعروفة في زمننا الذي نحن فيه بمنية الشريح الى الجبل الاحمر ويدخل في هذا الحد مسجد تبرا والريدانية والجهة الشرقية فانها حيث ترب اهل القاهرة ولم تحدث بها العمائر من التربة الا بعد سنة اثنتي عشرة وسبع مائة وحد هذه الجهة طولاً

من باب القلعة المعروف باب السلسلة الى ما يحاذى مسجد تبرى سفح الجبل وحدثها عرضا فيما بين سور القاهرة والجبل والجهة الغربية فأكثر العمائر بها لم يحدث أيضا الا بعد سنة اثنتى عشرة وسبع مائة وانما كانت بساكنين وبحرا وحدث هذه الجهة طولاً من منية الشبرج الى منشأة المهراني بحافة بحر النيل وحدثها عرضاً من باب القنطرة وباب الخوخة وباب سعادة الى ساحل النيل وهذه الاربع جهات من خارج السور يطلق عليها ظاهر القاهرة * وتحتوى مصر والقاهرة من الجوامع والمساجد والربط والمدارس والازوايا والدور العظيمة والمسكن الجليل والمناظر البهجة والقصور الشاحنة والبساتين النضرة والحمامات الفاخرة والقياس المعمورة بأصناف الأنواع والاسواق المملوءة مما تشتهى الانفس والخانات المشحونة بالواردين والفنادق الكاظمة بالسكان والترب التي تحكى القصور وما لا يحصى حصره ولا يعرف ما هو قدره الا أن قدر ذلك بالتقريب الذى يصدق الاختبار طولاً بريد او ما يزيد عليه وهو من مسجد تبرى الى بساكن الوزير قبل "بركة الحبش" وعرضاً يكون نصف بريد فما فوقه وهو من ساحل النيل الى الجبل ويدخل فى هذا الطول والعرض بركة الحبش ومادارها ووسط الجرف المسمى بالصد ومدنة القسطنطين التى يقال لها مدينة مصر والقرافة الكبرى والصغرى وجزيرة الحصن المعروف اليوم بالروضة ومنشأة المهراني وقطائع ابن طولون التى تعرف الآن بمجدرة ابن قمجة وخط جامع ابن طولون والميلة تحت القلعة والقيادات وقلعة الجبل والميدان الاسود الذى هو اليوم مقابر أهل القاهرة خارج باب البرقية الى قبة النصر والقاهرة المعزية وهو ما دار عليه السور والحجر والحسينية والريديانة والخندق وكوم الريش وجزيرة الفيل وبولاق والجزيرة الوسطى المعروفة بجزيرة اروى وزرية قوصون وحكر ابن الاثير ومنشأة الكتائب والاحكار التى فيما بين القاهرة وساحل النيل وأراضى اللوق والخليج الكبير الذى تسميه العامة بالخليج الحماكى والحبانية والصلبية والتبانة ومشهد السيدة نفيسة وباب القرافة وأرض الطبالة والخليج الناصرى والمقس والدكة وغير ذلك مما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى وقد أدركنا هذه المواضع وهى عامرة والمشجعة تقول هى خراب بالنسبة لما كانت عليه قبل حدوث طاعون سنة تسع وأربعين وسبع مائة الذى يسميه اهل مصر القناء الكبير وقد تلاشت هذه الاماكن وعمرها الخراب منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمان مائة ولله عاقبة الامور

* (ذكر بناء القاهرة وما كانت عليه فى الدولة الفاطمية) *

وذلك أن القائد جوهر الكاتب لما قدم الجزيرة بعساكر مولاه الامام المعز لدين الله ابى تميم معتمداً قبل فى يوم الثلاثاء لسمع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخسين وثلثمائة وسارت عساكره بعد زوال الشمس وعبرت الجسر افواجا وجوه فى فرسانه الى المناخ الذى رسم له المعزم موضع القاهرة الآن فاستقر هناك واخطت القصر وبات المصريون فلما اصبحوا حضروا للهنا فوجدوه قد حفر أساس القصر بالليل وكانت فيه ازورارات غير معتدلة فلما شاهدوا جوهر لم يعجبهم ثم قال قد حفر فى ليلة مباركة وساعة سعيدة فتركه على حاله وأدخل فيه ديرا للظلم ويقال ان القاهرة اختطها جوهر فى يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وخسين واخطت كل قبيلة خطة عرفت بها فزويلة بنت الحارث المعروفة بها واخطت جماعة من اهل برقة الحارة البرقية واخطت الروم حارتين حارة الروم الآن وحارة الروم الجوانية بقرب باب النصر وقصد جوهر باخطاط القاهرة حيث هى اليوم أن تصير حصنا فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر ليقا تلهم من دونها فادار السور اللبن على مناخه الذى نزل فيه بعساكره وأنشأ من داخل السور جامعاً وقصراً وأعد لها معقلاً يتحصن به وتتركه عساكره واحتفر الخندق من الجهة الشامية لمنع اقحام عساكر القرامطة الى القاهرة وما وراءها من المدينة وكان مقدارا للقاهرة حينئذ أقل من مقدارها اليوم فان أبوابها كانت من الجهات الاربع فى الجهة القبلىة التى تفضى بالسالك منها الى مدينة مصر بابان متجاوران يقال لهما بابا زويلة وموضعهما الآن بمجذاه المسجد الذى تسميه العامة بسام بن نوح ولم يبق الى هذا العهد سوى عقده ويعرف بباب القوس وما بين باب القوس هذا وباب زويلة الكبير ليس هو من المدينة التى اسسها القائد جوهر وانما هى زيادة حدثت بعد ذلك وكان فى جهة القاهرة البحرية وهى التى يسلك منها الى عين شمس بابان أحدهما باب النصر وموضع بأول الرحبة التى قدام الجامع

الحاكي الآن وادركت قطعة منه كانت قدام الركن الغربي من المدوسة القاصدية وما بين هذا المكان وباب النصر الآن مما زيد في مقدار القاهرة بعد جوهروالباب الآخر من الجهة البحرية باب الفتوح وعقده باق الى يومنا هذا مع عضادته اليسرى وعليه اسطر مكتوبة بالقلم الكوفي وموضع هذا الباب الآن باخر سوق الرحلين وأول رأس حارة بهاء الدين مما يلي باب الجامع الحاكي وفيما بين هذا العقد وباب الفتوح من الزيادات التي زيدت في القاهرة من بعد جوهروكان في الجهة الشرقية من القاهرة وهي الجهة التي يسلك منها الى الجبل بابان أحدهما يعرف الآن بالباب المحروق والآخر يقال له باب البرقية وموضعهم مادون مكانهما الآن ويقال لهذه الزيادة من هذه الجهة بين السورين وأحد البابين القديمين موجود الى الآن اسكفته وكان في الجهة الغربية من القاهرة وهي المطة على الخليج الكبير بابان أحدهما باب سعادة والآخر باب الفرج وباب ثالث يعرف باب الخوخة أظنه حدث بعد جوهروكان داخل سور القاهرة يشتمل على قصرين وجامع يقال لاحد القصرين القصر الكبير الشرقي وهو منزل سكني الخليفة ومحل حرمه وموضع جلوسه لدخول العساكر وأهل الدولة وفيه الدواوين وبيت المال وخزانة السلاح وغير ذلك وهو الذي أسسه القائد جوهرو زاد فيه المعز ومن بعده من الخلفاء والآخر تجاه هذا القصر ويعرف بالقصر الغربي وكان يشرف على البستان الكافوري ويحول اليه الخليفة في أيام النيل للترفيه على الخليج وعلى ما كان اذ ذاك بجانب الخليج الغربي من البركة التي يقال لها بطن البقرة ومن البستان المعروف بالبغدادية وغيره من البساتين التي كانت تتصل بأرض اللوق وجنان الزهري وكان يقال لمجموع القصرين القصور الزاهرة ويقال للجامع جامع القاهرة والجامع الازهر * فأما القصر الكبير الشرقي فانه كان من باب الذهب الذي موضعه الآن محراب المدرسة الظاهرية التي انشأها الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري وكان يعلو عقد باب الذهب بمنظرة يشرف الخليفة فيها من طاقات في اوقات معروفة وكان باب الذهب هذا هو أعظم ابواب القصر ويسلك من باب الذهب المذكور الى باب البحر وهو الباب الذي يعرف اليوم بباب قصر بشتاك مقابل المدرسة الكاملية وهو من باب البحر الى الركن الخلق ومنه الى باب الريح وقد أدركت منه عضادته واسكفته وعليها اسطر بالقلم الكوفي وجميع ذلك مبنى بالبحر الى أن هدمه الامير الوزير المشير جمال الدين يوسف الاستادار وفي موضعه الآن قيسارية انشأها المذكور بجوار مدرسته من رحبة باب العيد ويسلك من باب الريح المذكور الى باب الزمر ذو هو موضع المدرسة الحجازية الآن ومن باب الزمر ذو الى باب العيد وعقد ما بقى وفوقه قبة الى الآن في درب السلاحي بخط رحبة باب العيد وكان قبالة باب العيد هذا رحبة عظيمة في غاية الاتساع تقف فيها العساكر الكثيرة من الفارس والراجل في يومى العيدين تعرف برحبة العيد وهي من باب الريح الى خزانة البنود وكان يلي باب العيد السفينة وبجوار السفينة خزانة البنود ويسلك من خزانة البنود الى باب قصر الشوك وأدركت منه قطعة من أحد جانيه كانت تجاه الحمام التي عرفت بحمام الايدمرى ثم قيل لها في زمننا حمام يونس بجوار المكان المعروف بخزانة البنود وقد عمل موضع هذا الباب زقاق يسلك منه الى المارستان العتيق وقصر الشوك ودرب السلاحي وغيره ويسلك من باب قصر الشوك الى باب الديلم وموضعه الآن المشهد الحسيني وكان فيما بين قصر الشوك وباب الديلم رحبة عظيمة تعرف برحبة قصر الشوك أولها من رحبة خزانة البنود وآخرها حيث المشهد الحسيني الآن وكان قصر الشوك يشرف على اصطبل الطارمة ويسلك من باب الديلم الى باب تربة الزعفران وهي مقبرة اهل القصر من الخلفاء وأولادهم ونسبهم وموضع باب تربة الزعفران فندق الخليلي في هذا الوقت ويعرف بخط الزرا كشة العتيق وكان فيما بين الديلم وباب تربة الزعفران الخوخ السبع التي يتوصل منها الخليفة الى الجامع الازهر في ايام الوقفات فيجلس بمنظرة الجامع الازهر ومعه حرمه لمشاهدة التويد والجمع وبجوار الخوخ السبع اصطبل الطارمة وهو برسم الخيل الخاص المعدة لركاب الخليفة وكان مقابل باب الديلم ومن وراء اصطبل الطارمة الجامع المعتدل صلاة الخليفة بالناس أيام الجمع وهو الذي يعرف في وقتنا هذا بالجامع الازهر ويسمى في كتب التاريخ بجامع القاهرة وقد ادم هذا الجامع رحبة متسعة من حد اصطبل الطارمة الى الموضع الذي يعرف اليوم بالاكفانيين ويسلك من باب تربة الزعفران الى باب الزهومة وموضعه الآن باب سرفاعة مدرسة الحنابلة من المدارس الصالحية وفيما بين تربة الزعفران وباب الزهومة دراس العلم وخزانة الدرق ويسلك

من باب الزهومة الى باب المذهب المذكور وأولاً وهذا هو دور النصر الشرقي الكبير وكان بهذا رحبة باب العيد دار الضيافة وهي الدار المعروفة بدار سعيد السعداء التي هي اليوم خاتناه للصوفية ويقابلها دار الوزارة وهي حيث الزقاق المقابل لباب سعيد السعداء والمدرسة القراسنقية وخاتناه ببيرس وما يجاورها الى باب الجوانية وما وراء هذه الاماكن ويجاور دار الوزارة الحجر وهي من حذاء دار الوزارة بجوار باب الجوانية الى باب النصر القديم ومن وراء دار الوزارة المناخ السعيد ويجاوره حارة العطوفية وحارة الروم الجوانية وكان جامع الخطبة الذي يعرف اليوم بجامع الحاكم خارجاً عن القاهرة وفي غربيه الزيادة التي هي باقية الى اليوم وكانت أهراء لحزن الغلال التي تدخر بالقاهرة كما هي عادة الحصون وكان في غربي الجامع الازهر حارة الديلم وحارة الروم البرانية وحارة الاتراك وهي تعرف اليوم بدرب الاتراك وحارة الباطنية وفيما بين باب الزهومة والجامع الازهر وهذه الحارات خزائن القصر وهي خزانة الكتب وخزانة الاشربة وخزانة السروج وخزانة الخليم وخزانة الفرش وخزانة الكسوات وخزانة دارا فتكين ودار الفطرة ودار التعبية وغير ذلك من الخزائن هذا ما كان في الجهة الشرقية من القاهرة * وأما القصر الصغير الغربي فانه موضع المارستان الكبير المنصوري الى جوار حارة برجوان وبين هذا القصر وبين القصر الكبير الشرقي فضاء متسع يقف فيه عشرة آلاف من العساكر ما بين فارس وراجل يقال له بين القصرين ويجاور القصر الغربي الميدان وهو الموضع الذي يعرف بالخرنشف واصطبل الطارمة وبجذاه الميدان البستان الكافوري المطل من غربيه على الخليج الكبير ويجاور الميدان دار برجوان العزيزي وبجذاه رحبة الاقبال ودار الضيافة القديمة ويقال لهذه المواضع الثلاثة حارة برجوان ويقابل دار برجوان المنحور وموضعه الآن يعرف بالدرب الاصفر ويدخل اليه من قبالة خاتناه ببيرس وفيما بين ظهر المنحور وباب حارة برجوان سوق أمير الجيوش وهو من باب حارة برجوان الآن الى باب الجامع الحاكمي ويجاور حارة برجوان من بحرهما اصطبل الخيرية وهو متصل بباب الفتوح الاول وموضع باب اصطبل الخيرية يعرف اليوم بخزان الوراقة والقيصرية تجاء الجلون الصغير وسوق المرحلين وتجاه اصطبل الخيرية الزيادة وفيما بين الزيادة والمنحور درب الفرنجية ويجاور البستان الكافوري حارة زويلة وهي متصل بالخليج الكبير من غربيها وتجاه حارة زويلة اصطبل الجزيرة وفيه خيول الخليفة أيضاً وفي هذا الاصطبل بئر زويلة وموضعها الآن قيسارية معقودة على البئر المذكورة يعلوها ربيع يعرف بقيسارية يونس من خط البند قانين فكان اصطبل الجزيرة المذكور فيما بين القصر الغربي من بحريه وبين حارة زويلة وموضعه الآن قبالة باب ستر المارستان المنصوري الى البند قانين وبجذاه القصر الغربي من قبله مطبخ القصر تجاه باب الزهومة المذكور والمطبخ موضعه الآن الصاغة قبالة المدارس الصالحية ويجوار المطبخ الحارة العدوية وهي من الموضع الذي يعرف بجمام خشبية الى حيث الفندق الذي يقال له فندق الزمام ويجوار العدوية حارة الامراء ويقال لها اليوم سوق الزاجين وسوق الحريين الشراريين ويجوار الصاغة القديمة حبس المعونة وهو موضع قيسارية العنبر وتجاه حبس المعونة عقبة الصباغين وسوق القشاشين وهو يعرف اليوم بالخرطاطين ويجاور حبس المعونة دكة الحسبة ودار العيار ويعرف موضع دكة الحسبة الآن بالابزاريين وفيما بين دكة الحسبة وحارة الروم والديلم سوق السراجين ويقال له الآن الشوايين وبطرف سوق السراجين مسجد ابن البناء الذي تسميه العامة سام ابن نوح ويجاور هذا المسجد باب زويلة وكان من حذاء حارة زويلة من ناحية باب الخوخة دار الوزير يعقوب بن كلاس وصارت بعده دار الديباج ودار الاستعمال وموضعها الآن المدرسة الصالحية وما وراءها متصل دار الديباج بالحارة الوزيرية الى جانب الوزيرية الميدان الآخر الى باب سعادة وفيما بين باب سعادة وباب زويلة اهراء أيضاً وسطح هذا ما كانت عليه صفة القاهرة في الدولة الفاطمية وحدثت هذه الاماكن شيئاً بعد شيء ولم تزل القاهرة دار خلافة ومنزل ملك ومعقل قتال لا ينزلها الا الخليفة وعساكره وخواصه الذين يشرفهم بقربه فقط * (وأما ظاهر القاهرة من جهاتها الاربع) * فانه كان في الدولة الفاطمية على ما ذكر * أما الجهة القبلية وهي التي فيما بين باب زويلة ومصر طولاً وفيما بين الخليج الكبير والجبيل عرضاً فانها كانت قسمين ما حاذى عيذك اذا خرجت من باب زويلة تريد مصر وما حاذى شمالك اذا خرجت منه نحو الجبل فأما ما حاذى عيذك وهي المواضع التي تعرف اليوم بدار التفاح وتحت الربع والقشاشين وقطرة باب الخرق وما على حافتي الخليج من جانيه

طولا الى الجراء التي يقل لها اليوم خط قناطر السباع ويدخل في ذلك سويقة عصفور وحرارة الخزين وحرارة
 بنى سوس الى الشارع وبركة القيل والهلالية والمجودية الى الصليبة ومشهد السيدة نفيسة فان هذه الاماكن
 كلها كانت بساين تعرف بجنان الزهرى وبستان سيف الاسلام وغير ذلك ثم حدث في الدولة هناك حارات
 للسودان وعمر الباب الجديد وهو الذي يعرف اليوم بباب القوس من سوق الطيور في الشارع عند رأس
 وحدثت الحارة الهلالية والحارة المجودية وأما ما حاذى شمالا حيث الجامع المعروف
 بجامع الصالح والدرب الاحمر الى قطائع ابن طولون التي هي الآن الرملة والميدان تحت القلعة فان ذلك كان
 مقابر أهل القاهرة * وأما جهة القاهرة الغربية وهي التي فيها الخليج الكبير وهي من باب القنطرة الى المقس
 وماجاور ذلك فانها كانت بساين من غربيها النيل وكان ساحل النيل بالمقس حيث الجامع الآن فيتم من المقس
 الى المكان الذي يقال له الجرف ويمضي على شمالي أرض البطالة الى البعل وموضع كوم الزيش الى المنية
 ومواقع هذه البساين اليوم أراضي اللوق والزهرى وغيرها من الحسنة التي في بئر الخليج الغربي الى بركة
 فرموط والخور وبولاق وكان فيما بين باب سعادة وباب الخوخة وباب الفرج وبين الخليج فضاء لابنيان فيه
 والمناظر تشرف على ما في غربي الخليج من البساين التي وراءها بحر النيل ويخرج الناس فيما بين المناظر والخليج
 للترفة فيجتمع هناك من ارباب البطالة والاهل ما لا يحصى عددهم ويمرلهم هناك من اللذات والمسررات ما لا تسع
 الاوراق حكايته خصوصا في ايام النيل عندما يتحول الخليفة الى اللؤلؤة ويتحول خاصته الى دار الذهب
 وماجاورها فانه يكثر حينئذ الملاذ بسعة الارزاق وادار النعم في تلك المدة كما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى * وأما
 جهة القاهرة البحرية فانها كانت قسمين خارج باب الفتوح وخارج باب النصر أما خارج باب الفتوح فانه كان
 هناك منظر من مناظر الخلقاء وقد امها البستاينان الكبيران وأولهما من زقاق الكحل وآخرهما منية مطر
 التي تعرف اليوم بالمطرية ومن غربي هذه المنظر في جانب الخليج الغربي منظر البعل فيما بين أرض البطالة
 والخندق وبالقرب منها مناظر الخمس وجوه والتاج ذات البساين الاثنية المنصوبة للترفة الخليفة وأما خارج
 باب النصر فكان به مضى العبد التي عمل من بعضها مصلى الاموات لا غير والفضاء من المصلى الى الربدانية وكان
 بساينا عظيمها ثم حدث فيما خرج من باب النصر تربة أمير الجيوش بدر الجاني وعمر الناس التراب بالقرب منها
 وحدث فيما خرج عن باب الفتوح عمارتها الحسينية وغيرها * وأما جهة القاهرة الشرقية وهي ما بين السور
 والجبل فانه كان فضاء ثم أمر الحاكم بأمر الله أن تبنى أثرية القاهرة من وراء السور وتمنع السور أن تدخل
 الى القاهرة فصار منها الكيمان التي تعرف بكيمان البرقية ولم تزل هذه الجهة خالية من العمارة الى أن انقرضت
 الدولة الفاطمية فسيحان الباقي بعد فناء خلقه

* (ذكر ما صارت اليه القاهرة بعد استيلاء الدولة الايوبية عليها) *

قد تقدم أن القاهرة انما وضعت منزل سكني للخليفة وحرمة وجنده وخواصه ومغلقات يهتصن بها ويلتجأ اليها
 وانها ما برحت هكذا حتى كانت السنة العظمى في خلافة المستنصر ثم قدم أمير الجيوش بدر الجاني وسكن
 القاهرة وهي باب دائرة خاوية على عروشها غير عامرة فأباح للناس من العسكرية والملحبة والارمن وكل من
 وصلت قدرته الى عمارة بأن يعمر ما شاء في القاهرة مما خلا من فسطاط مصر ومات اهله فأخذ الناس ما كان
 هناك من أنقاض الدور وغيرها وعمر وابه المنازل في القاهرة وسكنوها فن حينئذ سكنها اصحاب السلطان الى
 أن انقرضت الدولة الفاطمية باستيلاء السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شاذي في سنة
 سبع وستين وخمسائة فنقلها عما كانت عليه من الصيانة وجعلها مبتذلة لسكن العاتة والجمهور وحط من
 مقدار قصور الخلافة واسكن في بعضها وتمدم البعض وازيلت معالمه وتغيرت معاهده فصارت خططاً وحارات
 وشوارع ومسالك وأزقة ونزل السلطان منها في دار الوزارة الكبرى حتى بنيت قلعة الجبل فكان السلطان
 صلاح الدين يتردد اليها ويقيم بها وكذلك ابنه الملك العزيز عثمان وأخوه الملك العادل ابوبكر فلما كان الملك الكامل
 ناصر الدين محمد بن العادل ابوبكر بن ايوب تحول من دار الوزارة الى القلعة وسكنها ونقل سوق الخيل والجمال
 والخيول الى الرملة تحت القلعة فلما خرب المشرق والعراق بهجوم عساكر التتر منذ كان جنكزخان في اعوام بضع
 عشرة وسفانة الى أن قتل الخليفة المستعصم ببغداد في صفر سنة ست وخسين وسفانة كثر قدوم المشاركة

الى مصر وعمرت حافى الخليج الكبير وما دار على بركة القيل وعظمت عمارة الحسينية فلما كانت سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاون الثالثة بعد سنة احدى عشرة وسبع مائة واستجبت بقلعة الجبل المباني الكثيرة من القصور وغيرها حدثت فيها بين القلعة وقبة النصر عدة ترب بعدما كان ذلك المكان فضاء يعرف بالميدان الاسود وميدان القبق وتزايدت العمائر بالحسينية حتى صارت من الريدانية الى باب الفتوح وعمر جميع ما حول بركة القيل والصلبية الى جامع ابن طولون وما جاوره الى المشهد النفيسى وحكر الناس أرض الزهري وما قرب منها وهو من قناطر السباع الى منشأة المهرافى ومن قناطر السباع الى البركة الناصرية الى اللوق الى المقس فلما حقر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصرى اتسعت الخطة فيما بين المقس والدكة الى ساحل النيل وأنشأ الناس فيها البساتين العظيمة والمساكن الكثيرة والاسواق والجوامع والمساجد والحمامات والشون وهى من المواضع التى من باب البحر خارج المقس الى ساحل النيلسمى بيولاى ومن يولاى الى منية الشيرج ومنه فى القبلة الى منشأة المهرافى وعمر ما خرج عن باب زويلة يمتد ويسرة من قنطرة الخرق الى الخليج ومن باب زويلة الى المشهد النفيسى وعمرت القرافة من باب القرافة الى بركة الحبش طولاً ومن القرافة الكبرى الى الجبل عرضاً حتى انه استجبت في ايام الناصر بن قلاون بضع وستون حكر اولم يبق مكان يحكر واتصلت عمائر مصر والقاهرة فصار ابلداوا احدا يشغل على البساتين والمناظر والقصور والدور والرباع والقياسر والاسواق والفنادق والخانات والحمامات والشوارع والازقة والدروب والخطط والحارات والاحكار والمساجد والجوامع والزوايا والربط والمشاهد والمدارس والتراب والحوانيت والمطابخ والشون والبرك والخلجان والجزائر والرياض والمتزهات متصلا بجميع ذلك بعضه ببعض من مسجد تبرالى بساتين الوزير قبل بركة الحبش ومن شاطئ النيل بالحيزة الى الجبل المقطم وما زالت هذه الاماكن فى كثرة العمارة وزيادة العدد تضيق بأهلها لكثرتهم وتحتال عجايبهم لما بالغوا فى تحسينها وتأنقوا فى جودتها وتمييزها الى أن حدث الفناء الكبير فى سنة تسع وأربعين وسبع مائة فخلا كثير من هذه المواضع وبقي كثير أدركناه فلما كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة وقصر جرى النيل فى مده وخرت البلاد الشامية بدخول الطاغية تيمورلنك وتحرى قها وقتل أهلها وارتفع اسعار الديار المصرية وكثرة الغلاء فيها وطول مدته وتلاف النقود المتعامل بها وفسادها وكثرة الحروب والفتن بين أهل الدولة وخراب الصعيد وجلاء أهله عنه وتداعى أسفل أرض مصر من البلاد الشرقية والغربية الى الخراب واتضاع امور ملوك مصر وسوء حال الرعية واستيلاء الفقر والحاجة والمسكنة على الناس وكثرة تنوع المظالم الحادثة من ارباب الدولة بمصادرة الجمهور وتبع ارباب الاموال واحتجاب ما بأيديهم من المال بالقوة والقهر والغلبة وطرح البضائع مما يجتر فيه السلطان وأصحابه على التجار والباعة باغلى الثمان الى غير ذلك مما لا يتسع لاحد ضبطه ولا تنوع الاوراق حكايته كثر الخراب بالاماكن التى تقدم ذكرها وعم سائرهما وصارت كيمانا وخرائب موحشة مقفرة بأومها اليوم والرخم او مستهدمة واقعة أو آيلة الى السقوط والدور سنة الله التى قد خلت فى عبادته ولن تجد لسنة الله تبديلا

* (ذكر طرف مما قيل فى القاهرة ومنتهزاتها) *

قال ابو الحسن على بن رضوان الطبيب وبلى القسطاط فى العظم وكثرة الناس القاهرة وهى فى شمال القسطاط وفى شرقها أيضا الجبل المقطم يعوق عن طريق الصبا والنيل منها بعد قليلا وجميعها مكشوف للهواء وان كان عمل فوق ربما عاق عن بعض ذلك وليس ارتفاع الابنية بها كارتفاع القسطاط لكن دونها كثيرا وأزقتها وشوارعها بالقياس الى أزقة القسطاط وشوارعها انطف وأقل وسخا وأبعد عن العفن واكثر شرب أهلها من مياه الابار واذا هبت ريح الجنوب أخذت من بخار القسطاط على القاهرة شيئا كثيرا وقرب مياه آبار القاهرة من وجه الأرض مع سخاقتها موجب ضرورة أن تكون يصل اليها بالرياح من عفونة الكنف شيئا وبين القاهرة والقسطاط بطائح تملئ من ريح الأرض فى ايام فيض النيل ويصب فيها بعض خترات القاهرة ومياه البطائح هذه رديئة وسخة أرضها وما يصب فيها من العفونة يقتضى أن يكون البخار المرتفع منها على القاهرة والقسطاط زائدا فى رداءة الهواء بهما ويخرج فى جنوب القاهرة قدر كثير فهو حارة الباطلية وكذلك يطرح فى وسط حارة

العبيد الا انه اذا تأملنا حال القاهرة كانت بالاضافة الى القسطنطينية وأعدل وأجود هواء وأصلح حالا لان أكثر عقوباتهم ترى خارج المدينة والبحار ينحل منها أكثر وكثير أيضا من اهل القاهرة يشرب من ماء النيل وخاصة في ايام دخوله الخليج وهذا الماء يستقى بعد مرورهم بالقسطنطينية واختلاطه بعفوناتها قال وقد اقتصر أمر القسطنطينية والجزيرة قضاها أن اصح اجزاء المدينة الكبرى القاهرة ثم القاهرة والشرف وعمل فوق مع الحراء والحيزة وشمال القاهرة أصبح من جميع هذه ليعده عن بخار القسطنطينية وقربه من الشمال وأرقى موضع في المدينة الكبرى هو ما كان من القسطنطينية حول الجامع العتيق الى ما يلي النيل والسواحل والى جانب القاهرة من الشمال الخندق وهو في غور فهو يتغير أبدا لهذا السبب فاما المقص فمجاورته للنيل فجعله أرطب * وقال ابن سعيد في كتاب المغرب في حلى المغرب عن البيهقي "وأما مدينة القاهرة فهي الحامية الباهرة التي تفنن فيها القاطمون وأبدعوا في بنائها واتخذوها وطنًا لخلافتهم ومركز لاراجائها فتسمى القسطنطينية وزهد فيه بعد الاعتبار قال وسميت القاهرة لانها تقهر من شذنها ورام مخالفة أميرها وقدروا أن منها يملكون الارض ويستولون على قهر الامم وكانوا يظهرون ذلك ويتحدون به قال ابن سعيد هذه المدينة اسمها اعظم منها وكان ينبغي أن تكون في ترتيبها ومبانيها على خلاف ما عاينته لانها مدينة بناها المعز اعظم خلفاء العبيدين وكان ساطعانه قد عم جميع طول المغرب من اول الديار المصرية الى البحر المحيط وخطبه في البحرين من جزيرة عند القرامطة وفي مكة والمدينة وبلاد اليمن وما جاورها وقد علت كلمته وسارت سير الشمس في كل بلدة وهبت هبوب الريح في البر والبحر لاسيما وقد عاين مبانى آية المنصور في مدينة المنصورة التي الى جانب القبروان وعابن المهدي مدينة جده عبيد الله المهدي لكن الهمة السلطانية ظاهرة على قصور الخلفاء بالقاهرة وهي ناطقة الى الآن بألسن الآثار ولله در القائل

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبالسن البنيان

ان البناء اذا تعظم شأنه * اضحى يدل على عظيم الشأن

واهتم من بعد الخلفاء المصريون بالزيادة في تلك القصور وقد عاينت فيها انما يقولون انه بنى على قدرا يوان كسرى الذي بالمداين وكان يجلس فيه خلفاؤهم ولهم على الخليج الذي بين القسطنطينية والقاهرة مبان عظيمة جليلة الانوار وبصرت في قصورهم حيطا ناعلا طاقات عديدة من الكسكس والجبس ذكر لي انهم كانوا يجتهدون تبييضها في كل سنة والمكان المعروف في القاهرة بين القصرين هو من الترتيب السلطاني لان هناك ساحة متسعة للعسكر والمتفرجين ما بين القصرين ولو كانت القاهرة عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية ولكن ذلك أمد قليل ثم تسير منه الى أمد ضيق وتترقى ثم كدر حرج بين الدكاكين اذا ازدحت فيه الخيل مع الرجال كان ذلك ما تضيق منه الصدور وتسجن منه العيون ولقد عاينت يوما وزير الدولة وبين يديه امراء الدولة وهو في مركب جليل وقد لقي في طريقه عجلة بقر تحمل حجارة وقد سدّت جميع الطرق بين يدي الدكاكين ووقف الوزير وعظم الازدحام وكان في موضع طبّاخين والدخان في وجه الوزير وعلى ثيابه وقد كاد يهلك المشاة وكادت اهلكت في جللتهم واكثر دروب القاهرة ضيقة مظلمة كثيرة التراب والازبال والمباني عليها من قصب وطين مرتفعة قد ضيقت مسالك الهواء والضوء بينهما ولم أرى جميع بلاد المغرب أسوأ حالا منها في ذلك ولقد كنت اذا مشيت فيها يضيق صدري ويدركني وحشة عظيمة حتى اخرج الى بين القصرين * ومن عجوب القاهرة انها في أرض النيل الاعظم ويموت الانسان فيها عطشا لبعدها عن مجرى النيل لتلايص اصدراها وبأكل ديارها واذا احتاج الانسان الى فريحة في نيلها مشى في مسافة بعيدة بظاهرها بين المباني التي خارج السور الى موضع يعرف بالمقص وجوها لا يبرح كدرا بماتئبه الارجل من التراب الاسود وقد قلت فيها حين اكثر على رفاتي من الحض على العود فيها

يقولون سافرا الى القاهرة * وما لي بها راحة ظاهره

زحام وضيق وكرب وما * تشبهها أرجل السائر

وعند ما يقبل المسافر عليها يرى سورا أسود كدرا وجوا مغبرا فتقبض نفسه ويفتر أنسه وأحسن موضع في ظواهرها للفرجة ارض الطالة لاسما ارض القرط والكنان فقلت

سقى الله ارضا كلما زرت ارضها * كساها وحلاها بزنته القرط
تجلت عروسا والمياه عقودها * وفي كل قطر من جوانبها قرط
وفيه خليج لا يزال يضعف بين خضرتها حتى يصير كما قال الرصافي
ما زالت الانحال تأخذه * حتى غدا كذؤابة النجم
وقلت في نوار الكنان على جانبي هذا الخليج

انظر الى النهر والكتان برمقه * من جانيه بأجفان لها حدق
رأته سيفا عليه للصباشط * فقابلته بأحدق بها أرق
واصبحت في يد الارواح تنسجها * حتى غدت حلقا من فوقها حلق
فقم وزرها ووجه الافق متضخ * او عند صفرة ان كنت تغتبق
واعجبني في ظاهرها بركة القيل لانها دائرة كالبدرو المناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل
وتسرح اصحاب المناظر على قدر همهم وقدرتهم فيكون بذلك لها منظر عجيب وفيها اقول
انظر الى بركة القيل التي اكتفت * بها المناظر كالأهداب للبصر
كأنما هي والابصار تمزقها * كواكب قد أداروها على القمر
ونظرت اليها وقد قابلتها الشمس بالغدق فقلت

انظر الى بركة القيل التي نخرت * لها الغزالة نحر من مطاعها
وخل طرفك مجنونا بيهجتها * تهيم وحدا وحب في بدائعها

والفسطاط اكثر أرزاقا وأرخص اسعارا من القاهرة لقرب النيل من الفسطاط فالمرابك التي تصل بالخيرات
تحت هنالك ويبيع ما يصل فيها بالقرب منها وليس يتفق ذلك في ساحل القاهرة لانه بعد عن المدينة والقاهرة
هي أكثر عمارة واحتراما وحشمة من الفسطاط لانها أجمل مدارس وأنخم خانات وأعظم ديارا سكنى الامراء
فيها لانها المخصوصة بالسلطنة لقرب قلعة الجبل منها فأمر السلطنة كلها فيها يسر واكثر وبها الطراز وسائر
الاشياء التي تترين بها الرجال والنساء الآن في هذا الوقت لما عتني السلطان الآن ببناء قلعة الجزيرة التي أمام
الفسطاط وصيرها سير السلطنة عظمت عمارة الفسطاط وانتقل اليها كثير من الامراء وخصمت اسواقها
وبنى فيها السلطان أمام الجسر الذي الجزيرة قيسارية عظيمة تنقل اليها من القاهرة سوق الاجناد التي يبيع فيها
الفراء والجوخ وما شبه ذلك ومعاملة القاهرة والفسطاط بالدرهم المعروفة بالسوداء كل درهم منها ثلث من
الدرهم الناصري وفي المعاملة بها شدة وخسارة في البيع والشراء ومخاصمة مع الفريقين وكان بها في القديم
القاوس فقطعها الملك الكامل فبقيت الى الآن مقطوعة منها وهي في الاقليم الثالث وهواء هاردي لاسيما
اذا ذهب الرئيسي من جهة القبلة وأيضاً رمد العين فيها كثير والمعاش فيها متعذرة نزره لاسيما اصناف الفضلاء
وجوامك المدارس قليلة كدرة واكثر ما تعيش بها اليهود والنصارى في كابة الخراج والطب والنصارى
بها يمتازون بالزناز في أوساطهم واليهود بعلامة صفراء في عمامتهم ويركبون البغال ويلبسون الملابس
الجليلة وما كل اهل القاهرة الدميس والصير والحناء والبطارخ ولا تصنع النيدة وهي حلوة القمح
الابها وبغيرها من الديار المصرية وفيها جوار طبابخات أصل تعليمهن من قصور الخلفاء الفاطميين اهن
في الطبخ صناعة عجيبه ورياسة متقدمة ومطابخ السكر والمطابخ التي يصنع فيها الورق المنصوري مخصوصة
بالفسطاط دون القاهرة ويصنع فيها من الانطاع المستحسن ما يسفر الى الشام وغيرها ولها من الشروب
الدمياطية وأنواعها ما اختلفت به وفيها صناعات القسي كثير من متقدمون ولكن قسي دمشق بها يضرب المثل
والها النهاية ويسفر من القاهرة الى الشام ما يكون من انواع الكمرانات وخرائط الجلود والسيور وما اشبه ذلك
وهي الآن عظمه آلهة يجي اليها من الشرق والغرب والجنوب والشمال ما لا يحيط بحملته وتفصيله الا خالق
الكل جل وعلا وهي مستحسنة للفقير الذي لا يخاف على طلب زكاة ولا ترسيما وعذا بابا ولا يطلب برفيق له اذا
مات فيقال له تركه عندك ما لافر بما سجن في شأنه او ضرب وعصر والفقير المجرد فيها مستريح من جهة رخص
الخبز وكثرته ووجود السماعات والفرج في ظواهرها ودواخلها وقلة الاعتراض عليه فيما تذهب اليه نفسه

يحكم فيها كيف شاء من رقص في السوق او تجريد أو سكر من حشيشة او غيرها او حجة المردان وما اشبه ذلك بخلاف غيرها من بلاد المغرب وسائر الفقراء لا يعترضون بالقبض للاسطول الا المغاربة فذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمناة البحر فقد علم ذلك من يعرف معاناة البحر منهم ومن لا يعرف وهم في القدوم عليها بين حالين ان كان المغربي غنيا طوب بالزكاة وضيق عليه أنفاسه حتى يفر منها وان كان مجردا فقيرا حمل الى السجن حتى يجي وقت الاسطول وفي القاهرة ازاهير كثيرة غير منقطعة الاتصال وهذا الشأن في الديار المصرية تفضل به كثيرا من البلاد وفي اجتماع الترجس والورد فيها اقول

من فضل الترجس وهو الذي * يرضى بحكم الورد اذ يرأس

أما ترى الورد غدا قاعدا * وقام في خدمته الترجس

واكثر ما فيها من الثمرات والفواكه الرمان والموز والتفاح وأما الاجاص فقليل غال وكذلك الخوخ وفيها الورد والترجس والتسرين والينوفر والبنفسج والياقوت واليخون الاخضر والاصفر وأما العنب والتين فقليل غال وأكثر ما يعصرون العنب في أرياف النيل لا يصل منه الا القليل ومع هذا فشرأوه عندهم في نهاية الغلاء وعانتها يشربون المزر الا يبيض المتخذ من القمح حتى ان القمح يطلع عندهم سعره بسببه فينادى المنادى من قبل الوالى بقطعه وكسر أو انيه ولا ينكر فيها اظهار أو افي الخمر ولا آلات الطرب ذوات الاوتار ولا تبرج النساء العواهر ولا غير ذلك مما ينكر في غيرها من بلاد المغرب وقد دخلت في الخليج الذي بين القاهرة ومصر ومعظم عمارته فيما يلي القاهرة فمأيت فيه من ذلك العجائب وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب وذلك في بعض الاحيان وهو ضيق عليه في الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم الطرب والتهكم والمخالعة حتى ان المجتئين والروساء لا يجيزون العبور به في مركب والسرج في جانبه بالليل منظر فنان وكثيرا ما يتفرج فيه اهل الست بالليل وفي ذلك اقول

لا تركب في خليج مصر * الا اذا أسدل الظلام

قد علمت الذي عليه * من عالم كلهم طعام

صفان للعرب قد أظلا * سلاح ما بينهم كلام

ياسيدي لا تسر اليه * الا اذا هوم النيام

والليل ستر على التصابي * عليه من فضله لثام

والسرج قد بددت عليه * منها دنانير لا تزام

وهو قد امتد والمباني * عليه في خدمة قيام

لله كم دوحة جنيها * هناك انما رها الانام

اتمنى

وفيه تحامل كثير * وقال زكي الدين الحسين من رسالة كتبها من مصر في شهر رجب سنة اثنين وستين وسبعمائة الى اخيه وهو بدمشق يشوق اليها ويذكر ما فيها من المواضع والمنتهزات ويذم من مصر بقوله فكيف يتيقن من حل في جنة النعيم ورياضها ويرتع في ميادين المسرات وغياضها تلفت الى من سلمته يد الاقدار الى ارض ليست بذات قرار وبدلوا بجنتهم ذات البان المتفاح والورق المتصادح والنشر المتصادح والماء المطلق المسلسل والنسيم الصحيح العليل جنتين ذواتي اكل خط وأثل وشئ من سدر قليل وتقصدتهم يد القضاء فأخذتهم بالباساء والضراء واوقعتهم بمصر وشموسها وجميها وغمومها وحزونها ووعورها وحورها وزفيرها وسعيرها وكيانها ونيرانها وسودانها وفلاحها وملاحها ومشاربها ومساربها ومسالكتها ومهالكها وصحناتها وعصفورها وبورها وقورها ومخاوف نوروزها وحرارة تموزها ودارس طولها ورأس اسطولها وتكدر هواها فلوترأهم في أرجائها القصوى كالباعر الهمل وهم بصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل * فأجابه من دمشق بكتاب من جملته علي لسان دمشق كأنها تخاطبه وبأبيها الولد العزيز كيف سمعت فطرتك السليمة ومروءتك الكريمة وميرتك المستقيمة وصبرك المحافظ ودينك المراقب الملاحظ يذم من جنيت نعمها وسكنت حرمها وقلت مصر وشموسها وسقت عليها القول من كل جانب واستعرت لها التكدير حتى في المشارب والمسابر وهلاذكرتها وقديا كرها نيل النعيم بمغيشة بليل

التسليم بكاس من تسنيه وطما البحر عليها زخرافا غناها عن بكاء السحاب وتجهيمه وعم معظم أرضها وعب عبا به في طولها وعرضها حتى كاد يعا لورفع قصورها ويتسور بسورته شاخ سورها ومع ذال تزاه جسورا على ضعاف جسورها قد طبق التهايم والانشاد وغزى الآكام والوهاد وعلا على الصعيد والصعاد وأعاد البر سلطانة مجرا بالازدياد فاذا ارتوى أوام أكباد البلاد وروى السهل والوعر والهضاب والوهاد وذهب املاق الارض بكل ملقة وخليج وانجاب عنها فاهتزت وربت وأثبتت من كل زوج بيح بدت روضة نضرة بأملاق مقطعة كزمر زة خضراء بلا ل مرصعة فكم من غدير مستدير كبدومني ودفق مستطيل كسيف صقيل وكمن قلب قلاب بماء كلاب وكمن عظيم بركة حر كها التسليم بلطفه وطيبها عير غيرها فضخها بكفه وزهت بزهو نيلوفرها فعر فها بعرفه وكمن ترى من ملقة لبقه عليها عيون الترجس محدقة كعين خد عروس منمقة والنوار قد دارت بدم الندى كؤوسه وجالت في مراح الافراح نفوسه ونجم نجمه واثسم عروسه وسامر الزاذا المنهل وبكره الطل فكلله بلؤلؤه وقلده وزاره التسليم المعتل فأقامه وأعهده ونقى أرضه وروضة فذهبه وفضضه قد تاهت برياضها الغناء وزهت بزخرفها وزنتها الحسناء وامتد بساطها الزمردى وانسط مدادها الزبرجدى فلا يدرك أقصاء ناظر مسافر ولا يحيط بمنتهى خيال ولا خاطر فله درهما من روضة مرن وكعبة حسن ومقطعات بماء غير آسن وحرم بحر لحاج طيره امن آناها حبيج الطير من كل فج عميق مليا داعى حسنها من كل مكان يحقيق قد امتطى ركبا متون الرياح وعلا جثمانها عالم الارواح ووصلن الادلاج بالصباح وقطعن اجنح الليل بخفاق الجناح كنهن الدرارى السوارى او المنشآت الجوارى او المطايا المهارى

تواصل من جود حوائض نيله * صعود على حكم الطريق نزول

رفاق تعاهدن على الوفاء وتحالفن على النعماء واليلاء خرجن مهاجرات من الاوطان ألوفاً وقدمن صافات كالمصلين صفوفا يقدمهن دليل كانه امام قد قتل طرق الآفاق خبرا واستوى لديه الاضواء والاطلام أبصر من زرقاء اليمامة وأطير من الورقاء والهامة وأهدى من النجم وأشد من السهم يتناجين بلغات أعجميات مسجات بألحان مطربات فظفن في حرمها الآمن واعقرن بتلك الحاسن قتراها عند اقبال نواها وحومها في جودها ما تستقيم خطا مستقيما وان كانت تصطف صفاء عظيما فنها ما يستهل هلالا ومنها ما يحكى نبات نعش حالا ومنها ما يشبه باد لاله دالا ومنها ما يحظ نونا فونا فيحكي حاجبا مقرونا ومنها ما يكتب زينا فيعيد هائنا ومنها ما يصور رمم الهجاء فيشاهد مبسم السماء ومنها ما ياتي زرافات ووحدانا فيبدع في اعجابه حسنا واحسانا فكم من جبل اوز معلق بالسماء يحلق الى ذلك الماء وأوانس عزبيات انيسات كيسان وصور صور كأمثال حور وطير لطف مكس يد يياج مصبغ وجبل جبرج كعج متوج وركتى عريض طويل كعبر كبير جيل وغرير غز مغرر متغير وسيطر شديد شويطر وكمن ضخ الدسيعة جوال ككوهى بالقوة المنسعة صوال ورخام مرزم كذى امره محتشم وجلالة نسرفى الشائع الذائع والحاضر الواقع أبهى من النسر الطائر والواقع وعظم عقاب تم الحسن بحسنه وكل الصيد في ضمنه وكمن خضارى وحرمان وبلشون وشهران صنوان وغير صنوان وكمن بط على شط وخط وقطقط منقط وغر وغر فوق وكرسوغ مشوق وفورس مستأنس وقدام ثلاث بين الآفاق وتكملت بنجومهن الاملاق وشربن من جريالها فأسكرهن الاصطباح والاعتباق فكم من مسود كخال بجند وأزرق كلازورد وأشقر كزهرورد أحر ناصع وأصفر قاقع وابيض ذى خضاب عندى بلطيف منقار شقى ومبرقش ومبقع ومعجم ومقتع وأشقر منقش وارقش مرشش وعودى وهندى وصينى مسنى وعينين يكافوتين قد رصعتا في بلين وكمن طائر ابهى من قرسا تر بفرق مثل صبح سافر قتراهن في الماء صهونا ووقوف صفوفا عكوكا كصور أصنام او بحارة مبددة في آكام وكمن اطياف رطاف ملاح لطاف ذوات ألحان ونضرة وألوان وخلق وأخلاق ونطق وأطواق وايناس مع شماس قد ازدانت الارض بأصواتها واختلاف لغاتها وعجايب صفاتها فبرزت بأنواع الاعاجيب ونجلت بأجل الجلايب وابدعت في صور الاحسان وتصورت في بدائع الالوان فاذا بدت زرقاء في زهر كاتها مذهبة بأزهار لبساتها

مفضضة بنجوم الخوانها خلعت السماء عليها خلعة جميل أردانها واذا فاح نشر نور قمرها شممت المسك
الذكي من مرطها ورأيت لآئى سمطها مبسوط على خضر بسطها ومغالاتها باغالية نور فلولها وهزاتها
اذا رفل التيم في ذيلها قدر صعت اغصانه فصوص لجينها ونقطته من حسن اسودا عينها فعيونه كعيون
غزلانها في قنكها وأحداقه كأحداق ولدانها من تركها وكلها من طرّة معتبرة وجهه منورة ووجنة
من عفرة وملاءة منشورة معصرة وخدم موزد وطرف مهند ولماها صبيغ من عقيق الشقيق وسكرها
من ذلك الريق على التحقيق وابن بزوغ بشنينها وامتداد يقطينها وأين حلاوة عرائس فخلاتها وطلاوة
أوانس قاماتها بمشابهتها في صفاتها وغرائس فسيلاتها واين نصيد طلعتها وحيد فرعها ومديد
جذعها وفترجارها عن غرة جوارها واخضرار اكمامها واجرار لثامها وبنان بسرهما المطرف وبنان
نشرهما المشرف وانتظام سرورها بابتسام منشورها وورد واديبها ومنحنها وندي ندها وترحنها
وآبي أسما وطبيب طبيب أنفاسها وتبرجها بآترجها وتبرجها بنارنجها وتختبها بمختبها
وتبسمها عن بلسمها وتشقق أبرادها عن نهود كادها وتضاعف أرجها بمضعف بنفسجها وجلالة
مقدارها اذا فتحت أزهارها عن جل نازها وطبيب شميمها من اشموها ونسبها ووسمها بأوسمها
وجنان قلوبها وحرمان قلوبها وأحواضها بيهنا ورياضها وطربتها بطربتها ونفيس انسها بمقسمها
وغريب غرسها بيلقسها وعظيم أسما بمعلق مقياسها وكريم تحيته من قبل الين هبوب أنفاسها واجتماع
اسعدا وارتفاع زردا وسواقيها الحنانة في سمعها الهنأة بسكبه من دمعها وجنة لوقها ولجة
بولاقها وبركة فيلها من بركة نيلها وجزيرة ذهبها وقلعة الجزيرة بذهبها من عجبها حكمت فلكتها في بحرها
واحكمت مملكتها في بترها وعظم جلها بقلعة جلها واعتلاء أعلامها ببناء أهرامها واذا نظرت الى
سعود صعودها الى سعيد صعودها واغنيابها بانحطاطها الى صوب سكندريتها ودمياطها ألهتك عن
حسن اثريا ومناطها ولاتنس الجوارى المنشآت في البحر كالاعلام التي تسبق عند طيباب الرياح مقوقات
السهام واعجابها بغربانها البحرية وحرافات الخريصة وشوانيتها وهول مبانها وجلال شكلها وجمال
معانيها تدوم وشاة بالنضار الاحمر منقشة باللون الاخضر فهي كالارقم المنمر او كملون المنمر ارا الطاوس
الذكر والناوس لبني الاصفر معمرة بياس الحديد والاحجار محمولة على سيج الماء التيسار مشحونة
بالرجال منصوره عند القتال مصونة بالحق والنبال تبرم ذكره بالآية النوحية وتضمن احرار الهمة العلية
الفتحية حصون امنع من اعز قلاع تطير اذا فتح لها اجنح القلاع فتسبق وقد الريح عند الاسراع وتفوق
سرعة السحاب عند الاتساع فهن مع العقبان في النيق حوم وهن مع البنيان في البحر عوم لواقسم من
رأها ولو قال مشاهد معناها ان الله نفخ فيها الروح فأحيها لبر في يمينه التي اقسام وتلاها وكم من مركب
لحسنه معجب وكم من سفين قوى امين وخضارى جليل وعشارى طويل ومسمارى طويل جميل
وفستراوى عكاوى ولكة ودرمونه ومعديه مكينه وسلوردقيق وشختور رشيق وقرقر رشيق
وزورق ذى زواريق وطريدة بخيل الطراد معمورة دهماء بحمل الجياد والاجناد مشهورة ومخاوف
في الاقفاق بالمعروف معروف وما احلى بنان رطبها الخضب ورشيق قامة قصها المقصب وبهجة فوزما
بطلموزها وخضر أعلام اوراقها وصفر كرام اعلاقتها فلا البلاغة تبلغ من احصاء فضلها مراما
ولا الفصاحة تصوغ لوصف تشبيهها كلاما فنسأل الله تعالى أن يكفها بركته الذى لا يرام ويحرسها بعينه
التي لا تنام بمنه وكرمه * وقال الرئيس شهاب الدين احمد بن يحيى الدين يحيى بن فضل الله العمري كاتب السر

لمصر فضل باهر * بعيشها الرغد النضر

في كل سفح يلتقى * ماء الحياة والخضر

وقال ابراهيم بن القاسم الكاتب الملقب بالرشيق يتشوق الى مصر وقد خرج عنها في سنة ست وثمانين وثلاثمائة
من قصيدة

هل الريح ان سارت مشرقة تسرى * تؤدى تحياني الى ساكني مصر

فما خطرنا الا بكيت صباية * وجلتها ماضاق عن حله صدرى

لاني اذا هبت قبولاً بنشرهم * ثممت نسيم المسك من ذلك النشر
فكم لي بالاهرام اوديرنية * مصايد غزلان المطايد والفقر
الى جزيرة الدنيا وما قد تضمنت * جزيرتها ذات الموانر والجسر
وبالقوس والبستان للعين منظر * انيق الى شاطئ الخليج الى القصر
وفي بئردوس مستراد وملعب * الى دير مرحنا الى ساحل البحر
فكم بين بستان الامير وقصره * الى البركة النظراء من زهر نضر
تراها كرامة بدت في رفا رف * من السندس الموشى تنشر للبحر
وكم ليله لي بالقرافة خلتها * لمائلت من لذاتها ليله القدر

وقال احمد بن رستم بن امة هلال الديالى * يخاطب الوزير نجم الدين ابا يوسف بن الحسين المجاور وتوفى في رابع
عشر ذي الحجة سنة احدى وعشرين وستمائة

حي الديار بشاطئ مقياسها * فالقسم الفياح بين دهاها
فالروضتين وقد توضع عرفها * ارج البنفسج في غضارة آسها
فنازل العين المنيفة أصحت * بغنى سناها عن سنانها
تخليجها لذاته مطلوبة * نسمو محاسنه علاياتها
طافاته مخفوفة بمنازل * نزلت بها الاكرام دون دكاهها

وقال العلامة جلال الدين محمد الشيرازي المعروف بامام منكلي بغا

حيالها مصر وسكانها * وبارك الوسمي كنيانها
وجاد صوب المزن من ارضها * معاهد الانس وأوطانها
معاهد بالانس معمورة * لم انس مهمما عشت احسانها
كم ابقظني في ذراد وجهها * عجماء لا تفقه ألحانها
وكم نعيم قد تخيلته * فيها وكم غازات غزلانها
وعاينت عيني بها اغيدا * منعس المقله وسنانها
تسحر بالفتور الحافظه * كان من بابل شيطانها
وكم ثجت قايها إعادة * قد كالت بالغنج أجفانها
اذا دعت صبا الى حبها * لا يستطيع الصب عيانها
وكم ليال لي بها قد مضت * تسحب بالاعجاب أردانها
والهف نفسي كيف شطت بها * حوادث قوض نيرانها
فارقها لاعت قل صدني * عن افراق الروح جسمانها
واعترضت عن غزلانها والمها * نعالج جيرون وثيرانها
ياساني عن حالي بعدها * ها انا اذا ذكر عنوانها
ما حال من فارق اصحابه * وفارق الدنيا وجيرانها
تقاب فوق الجمر أحشاؤه * تؤجج الاشواق نيرانها
والعين لا تنفك من عبيرة * ترسل فوق الخلد طوفانها
ياساني النوق يث الثرى * كمثل بث السحب تمانها
حتى زبا مصر وجناتها * وحورها العين وولدانها
ودورها الزهر وساحاتها * وبين قصرها ومسدانها
وأرضها المنصب أرجاؤها * وينهلها الزاهي وخبلياتها
والروضة القياء تلك التي * تنجو عن الانفس أحزانها
ومنية السبرج لا تنسها * وقربها الاحوى وكفانها

والساج والخس وجوه التي * اضعفت من الاعين انسانها
وحى يابرق وجدد بالحيا * بجزيرة الفيل وغيطنها
وبانها الغض ونسرينها * ووردها البكر وربحانها
وظلها الضافي وأزهارها * وماءها الصافي وغدرانها
والمعهد المأنوس من ربها * وحى اهلها وسكانها
لم انس لانسى اصطبأ بها * ولا اغتربا قاتى وابانها
ولا اوبقات التصابي ولا * تلك الخلاعات وأزمانها
ايام لا انفك من صبرة * اهوى الاذات واعلانها
اخطرت بها في رياض الصبا * مرخ الاعطاف كسلانها
وخيل اهوى في مباديها * تجرير الصبرة أرسالها
ودوحى ناضرة غضة * تعطف ربح الاله وأعضانها
حاشاى أن اتقص عهداها * حاشاى أن اصبح خزائنها
حاشاى أن أهجرها قاليا * حاشاى أن احدث سلوانها
حاشاى أن أروضى بديلاها * روابى الشام وقبعانها
وماءها النج وحصباءها * وصخرها الصلد وصوانها
قد تافت النفس الى الفها * وحث الاشواق أظعانها
واذكرت في البعد أحبابها * فهيج التبريح أنجبانها
وما لها غيرك من ملتجأ * يا أوحدا الدنيا وانسانها

* (ذكر ما قيل في مدة بقاء القاهرة ووقت خرابها) *

قال العارف محي الدين محمد بن العربي الطائي الحامى في المهمة المنسوبة اليه القاهرة تعمر في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وتخرّب سنة ثمانين وسبعمائة ووقفت لها على شرح لم اعرف تصنيف من هو فاته لم يسم في النسخة التي وقفت عليها وهو شرح الطيف قليل الفائدة فانه ترك كلام المصنف فيما ضى على ما هو معروف في كتب التاريخ ولم يبين مراده فيما يستقبل وكانت الحاجة ماسة الى معرفة ما يستقبل اكثر من المعرفة بحال ما مضى لكن اخبرني غير واحد من الثقات انه وقف لهذه المهمة على شرح كبير في مجلدين قال هذا الشارح كانت بداية عمارة القاهرة والنيران في شرفها ما الشمس في برج الجمل والقصر في برج النور وهو برج ثابت قال فعمر القاهرة ومدتها اربعمائة واحدى وستون سنة قال في الاصل واذا نزل زحل برج الجوزاء عزت الاقوات بصمر وقل اغنياؤهم وكثرو فقراهم ويكون الموت فيهم ويخرج اهل برقة عن أوطانهم لاسيما اذا قارن زحل الجوزاء فان الحال يكون أشد وأقوى قال الشارح كان ذلك في سنة اربع وستين وستمائة في ايام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس فانه نزل زحل برج الجوزاء فوق الغلاء وفي آخر سنة اربع واقل سنة خمس وتسعين وستمائة في امام الملك العادل كتبغا حل زحل في برج الجوزاء وكان معه الجوزاء فكانت أشد وأقوى وكثرو الغلاء والوباء قال سئل المعز عن الترك ما هم فقال قوم مسلمون يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر ويقبضون الحدود والواجبات ويقبضون في سبيل الله اعداء الله فقبل له انطول مدتهم قال لا تطول مدتهم قبل فكيف يكون زوالهم قال يكون هكذا وكان الى جانبه طبق كيزان فخره حركة شديدة فتكسرت الكيزان فقال هكذا يكون زوالهم يقتل بعضهم بعضا قال

احذر بني من القرن العاشر * وارحل بأهلك قبل نقر الناقور

قال الشارح اول القرن العاشر في سنة خمس وثمانين وسبعمائة وفيه تكون حالات رديئة بارض مصر وهذا يوافق ما في القول عن القاهرة وتخرّب في سنة خمس وثمانين وسبعمائة يعني بداية الخطاطها من سنة خمس وثمانين وسبعمائة التي فيها القرن العاشر ويثبت في عشرين سنة التي هي ايام القرن وقد ذكر في الربع

الآخر أربع مائة واحد وستين سنة وقد تخليت انهاء مدة عمر القاهرة فاذا زدت على تاريخ عمارتها بلغ ذلك ثمانمائة وتسع عشرة سنة وفي ذلك الوقت يكون زوالها وهو ما بين سنة ثمانين وسبع مائة الى سنة تسع عشرة وثمانمائة ويكون ذلك سببه قط عظيم وقلة خبير وكثرة شرحتى تغرب ويضعف اهلها قال قران زحل والمزنج في برج الجدى يكون في سنة سبعين وسبع مائة قعدة لكل مائة سنة من سنى الهجرة ثلاث سنين فيكون ثلاثا وعشرين سنة تزيدها على سبع مائة وسبعين سنة تبلغ سبع مائة وثلاثا وتسعين سنة ففي مثلها من سنى الهجرة يكون اول اوقات خراب القاهرة انتهى * وتم ذيب هذا القول أن زحل كلما حل برج الجوزاء انقضت احوال مصر وقتل اموالهم وكثر الغلاء والقضاء عندهم بحسب الاوضاع الفلكية وزحل يحل في برج الجوزاء كل ثلاثين سنة شمسية فيقيم فيه نحو امان ثلاثين شهرا وانت اذا اعتبرت امور العالم وجدت الحال كما ذكرنا فانه كلما حل زحل برج الجوزاء وقع الغلاء بمصر وذكر ان القران العاشر تنضع فيه احوال القاهرة ورأينا الامر كما ذكرنا فان القران العاشر كان في سنة ست وثمانين وسبع مائة ومدة سنة عشرون سنة شمسية آخرها سابع عشر رجب سنة سبع وثمانمائة وفي هذه المدة انضغ حال القاهرة وأهلها انضاعا قبيحا ومن الاوقات المهدورة لها أيضا اقتران زحل والمريخ في برج السرطان ويكون ذلك في كل ثلاثين سنة شمسية ويقترنان في سنة ثمان عشرة وثمانمائة وفي مدته تنقضي الاربعمائة والاحدى والستون سنة التي ذكرناها من احوال القاهرة في سنة تسع عشرة وثمانمائة وشواهد الحال اليوم تصدق ذلك لما علمه اهل القاهرة الآن من الفقر والفاقة وقلة المال وخراب الضياع والقرى وتداعى الدور للسقوط وشمل الخراب اكثر معمر القاهرة واختلاف اهل الدولة وقرب انقضاء مدتهم وغلاء سائر الاسعار ولقد سمعت عن يرجع اليه في مثل ذلك أن العمارة تنتقل من القاهرة الى بركة الحبش فيصير هناك مدينة راتة تعالى أعلم

* (ذكر مسالك القاهرة وشوارعها على ما هي عليه الآن) *

وقبل أن نذكر خطط القاهرة فلنبتدئ بذكر شوارعها ومسالكها المسلول منها الى الازقة والمارات لتعرف بها المارات والخطط والازقة والدروب وغير ذلك مما ستقف عليه ان شاء الله تعالى * فالشارع الاعظم قسبة القاهرة من باب زويلة الى بين القصرين عليه باب الخرنفش او الخرنش ومن باب الخرنفش يفرق من هنالك طريقان ذات اليمين ويسلك منها الى الركن المخلوق ورجبة باب العبد الى باب النصر وذات اليسار ويسلك منها الى الجامع الاثري والى حارة برجوان الى باب الفتوح فاذا ابتدأ السالك بالدخول من باب زويلة فانه يجد بمنية الزقاق الضيق الذي يعرف اليوم بسوق الخلعين وكان قد جبا يعرف بالخشاين ويسلك من هذا الزقاق الى حارة الباطنية وخوخة حارة الروم البرانية ثم يسلك الداخل أمامه فيجد على يسره سجن متولى القاهرة المعروف بخزانة شمائل وقيسارية سنقر الاشقر ودرب الصفيرة ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه حمام الفاضل المعتدة لدخول الرجال وعلى يسره تجاه هذه الحمام قيسارية الامير بهاء الدين رسلان الدوادار الناصرى الى أن ينتهى بين الحوائيت والرباع فوقها الى باب زويلة الاول ولم يبق منهما سوى عقد أحدهما ويعرف الآن بباب القوس ثم يسلك أمامه فيجد على يسره الزقاق المسلول فيه الى سوق الحدادين والجحارين المعروف اليوم بسوق الانماطيين وسكن الملاهي والى المحمودية والى سوق الاخفايين وحارة الجودرية والصوافين والقصارين والقمامين وغير ذلك ويجد تجاه هذا الزقاق عن يمينه المسجد المعروف قديما بابن البناء وتسميه العامة الآن باسم بن نوح وهو في وسط سوق القرايليين والمناخليين ومن معهم من الضبيين ثم يسلك أمامه فيجد سوق السراجيين ويعرف اليوم بالشوايين وفي هذا السوق على يمينه الجامع الظافرى المعروف بجامع الفكاهين وبجانبه الزقاق المسلول منه الى حارة الديلم وسوق القضاة وسوق الطيور بين والا كفايين القديمة المعروفة الآن بسكنى دقاق الشياطين ويجد على يسره الزقاق المسلول منه الى حارة الجودرية ودرب كرامة ودكة الحسبة المعروفة قديما بسوق الحدادين وسوق الوراقين القديمة والى سوق الفاسيين المعروف اليوم بالابازرة والى غير ذلك ثم يسلك أمامه الى سوق الحلاويين الآن فيجد عن يمينه الزقاق المسلول فيه الى سوق الكعكيين المعروف قديما بالقطنين وسكنى الاساكفة والى بابي قيسارية جهار كس وعن يسره قيسارية الشرب ثم يسلك

أمامه الى سوق الترابشين المعروف قديماً بسكن الحالفين وعن يمينه درب قيطون ثم يسلك أمامه شاقا في سوق الترابشين فيجد عن يمينه قيسارية امير على ويجعد عن يساره سوق الجمالون الكبير المسلول فيه الى قيسارية ابن قريش والى سوق العطارين والوراقين والى سوق الكفتين والصارف والاختافيين والى بئر زويلة والبندقين والى غير ذلك ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه الزقاق المسلول فيه الى سوق القرايين الا ان كان يعرف اولاً درب البيضاء والى درب الاسوانى والى الجامع الازهر وغير ذلك ويجعد عن يساره قيسارية بنى اسامة ثم يسلك أمامه شاقا في سوق الجوخين والجمعين فيجد عن يمينه قيسارية السروج وعن يساره قيسارية ثم يسلك أمامه الى سوق السقطين والمهاجرين فيجد عن يمينه درب الشمسى ويقابل باب قيسارية الامير علم الدين الخطاط ونعرف اليوم بقيسارية العصور ثم يسلك أمامه شاقا في السوق المذكور فيجد عن يمينه الزقاق المسلول فيه الى سوق القشاشين وعقبة الصباغين المعروف اليوم بالخرطاطين والى سوق الخميمين والى الجامع الازهر وغير ذلك ويجعد قبله هذا الزقاق عن يساره قيسارية العنبر المعروفة قديماً بجبس المعونة ثم يسلك أمامه فيجد على يساره الزقاق المسلول فيه الى سوق الوراقين وسوق الحرير بين الترابشين المعروف قديماً بسوق الصاغة القديمة والى درب شمس الدولة والى سوق الحريرين والى بئر زويلة والبندقين والى سويقة صاحب والحارة الوزيرية والى باب سعادة وغير ذلك ثم يسلك أمامه شاقا في بعض سوق الحريرين وسوق المتعشين وكان قديماً سكنى الدجاجين والكهكيين وقبل ذلك اولاً سكنى السيوفيين فيجد عن يمينه قيسارية الصناديق وكانت قديماً تعرف بفندق الدبابلين ويجعد عن يساره مقابها دار المأمون البطائحي المعروفة بمدرسة الحنفية ثم عرفت اليوم بالمدرسة السيوفية لانها كانت في سوق السيوفيين ثم يسلك أمامه في سوق السيوفيين الذى هو الآن سوق المتعشين فيجد عن يمينه خان مسرور وجرفى الرقيق وذلك المالك بينهما ولم تزل موضع الجلوس من يعرض من الممالك الترك والروم ونحوهم للبيع الى اوائل ايام الملك الظاهر برقوق ثم بطل ذلك ويجعد عن يساره قيسارية الرماحين وخان الحجر ويعرف اليوم هذا الخط بسوق باب الزهومة ثم يسلك أمامه فيجد عن يساره الزقاق والسباط المسلول فيه الى حمام خشبية ودرب شمس الدولة والى حارة العدوية المعروفة اليوم بفندق الزمام والى حارة زويلة وغير ذلك ويجعد بعد هذا الزقاق قرياً منه في صفة درب السلة ومن هنا ابتداء خط بين القصرين وكان قديماً في ايام الدولة الفاطمية مر احوا معالين فيه عمارة البنية يقف فيه عشرة آلاف فارس والقصران هما موضع سكنى الخليفة احدى ماسرى وهو القصر الكبير وكان على يمينه السالك من موضع خان مسرور طابا لباب النصر وباب الفتوح وموضعه الآن المدارس الصالحية النجمية والمدرسة الظاهرية الركنية وما في صفها من الحوانيت والرباع الى رحبة العيد وما وراء ذلك الى البرقية ويقابل هذا القصر الشرقى القصر الغربى وهو القصر الصغير ومكانه الآن المارستان المنصوري وما في صفه من المدارس والحوانيت الى تجاه باب الجامع الاخر فاذا ابتدأ السالك بدخول بين القصرين من جهة خان مسرور فانه يجعد على يساره درب السلة ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه الزقاق المسلول فيه الى سوق الاشاطيين المقابل لمدرسة الصالحية التى للعنفة والحنابلة والى الزقاق الملاصق لور المدرسة المذكورة المسلول فيه الى خط الزراكة العتيق حيث خان الخليلي وخان منجك والى الخوخ السبع حيث الآن سوق الابارين والى الجامع الازهر والى المشهد الحسيني وغير ذلك ثم يسلك أمامه شاقا في سوق السيوفيين الآن فيجد على يساره دكاكين السيوفيين وعلى يمينه دكاكين النقلين ظاهر سوق الكتيين الآن وعلى يساره سوق الصيارف برأس باب الصاغة وكان قديماً مطبخ القصر قبالة باب الزهومة ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه باب المدارس الصالحية تجاه باب الصاغة ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه القبة الصالحية ويجوارها المدرسة الظاهرية الركنية ويجعد على يساره باب المارستان المنصوري وفي داخله القبة المنصورية التى فيها قبور الملوك وتحت شبائيكها دكاكين القفصيات التى فيم الخواتيم ونحوها فيما بين القبة المذكورة والمدرسة الظاهرية المذكورة وفي داخله أيضاً المدرسة المنصورية وتحت شبائيكها أيضاً دكاكين القفصيات فيما بين شبائيكها وشبائيك المدرسة الصالحية التى للاشافعية والمالكية وتحتها خيمة الغلمان بجوار قبة الصالح وفي داخله أيضاً المارستان الكبير المنصوري المتوصل من باب سره الى حارة زويلة والى الخرشف والى الكافورى والى البندقين وغير ذلك ثم يسلك من باب المارستان فيجد على يمينه سوق السلاح والتسليح

هكذا يابض
بالاصل

الآن تحت الربع المعروف بوقف أمير سعيد ويجدد على يسرته المدرسة الناصرية الملاصقة لمئذنة القبة المنصورية
ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه خان بشتال وفوقه الربع وعرف الآن هذا الخان بالمستخرج ويجدد على يسرته
المدرسة الظاهرية الجديدة بجوار المدرسة الناصرية وكانت قبل انشائها مدرسة فنذقا يعرف بخان الزكاة
ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه باب قصر بشتال ويجدد على يسرته المدرسة الكاملة المعروفة بدار الحديث
وهي ملاصقة للمدرسة الظاهرية الجديدة ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه الزقاق المسلول فيه إلى بيت أمير سلاح
المعروف بقصر أمير سلاح وهو الأمير فخر الدين بكاش القزويني الصالحى "التجى" وإلى دار الأمير سلا رنائب
السلطنة وإلى دار الطواشي سابق الدين ومدرسته التي يقال لها المدرسة السابقة وكان في داخل هذا
الزقاق مكان يتوصل إليه من تحت قبو المدرسة السابقة يعرف بالسودوس فيه عدة مساكن صارت كلها
اليوم دار واحدة أنشأ الأمير جمال الدين الأستاذ وكان تجاه باب المدرسة السابقة ربيع تحته فرن ومن وراءه
عدة مساكن يعرف مكانها بالحدرة فهدم الأمير جمال الدين المذكور الربع وما وراءه وحفر فيه صهريجاً
وأنشأ به عدة آدرهى الآن جارية في أوقافه وكان يسلك من باب السابقة على باب الربع والفرن المذكورين
إلى دهليز طويل مظلم ينتهى إلى باب القصر تجاه سور سعيد السعداء ومنه يخرج السالك إلى رحبة باب العيد
وإلى الركن المخلق فهدمه الأمير جمال الدين وجعل مكانه قيسارية وركب على رأس هذا الزقاق تجاه حمام
اليسرى دربا في داخله دروب ليصون أمواله وانقطع التطرق من هذا الزقاق وصار دربا غير نافذ ويجدد السالك
عن يسرته قبالة هذا الزقاق وصار دربا من باب قصر اليسرى وقد بنى في وجهه حوائط بجانبها حمام اليسرى
ومن هنا ينقسم شارع القاهرة المذكور إلى طريقين أحدهما ذات اليمن والأخرى ذات اليسار فأما ذات
اليسار فأنشأتها القصبة المذكورة فاذا مر السالك من باب حمام الأمير اليسرى فانه يجد على يسرته باب
الخرنثف المسلول فيه إلى باب سر اليسرى وإلى باب حارة برجوان الذي يقال له ابوتراب وإلى الخرثف
واصطبل القطبية وإلى الكافورى وإلى حارة زويلة وإلى البندقانيين وغير ذلك ثم يسلك أمامه فيجد سوقاً يعرف
أخيراً بالوزاين والدجاجين يساع فيه الأوز والدجاج والعصافير وغير ذلك من الطيور وأدركناه عامراً سوقاً
كبيراً من جلته دكان لا يساع فيها غير العصافير فيشتريها الصغار للعب بها وفى هذا السوق على يمينه السالك
قيسارية يعطوها ربيع كانت مدة سوقا يساع فيه الكتب ثم صارت لعمل الجلود وكانت من جلته أوقاف المارستان
المنصورى فهدمها بعض من كان يتحدث في نظره عن الأميراتش في سنة إحدى وثمانمائة وعمرها على ما هي
عليه الآن وعلى يسرة السالك في هذا السوق ربيع يجرى في وقف المدرسة الكاملة وكان هذا السوق يعرف
قدماً بالتبانيين والقماحين ثم يزسالك أمامه فيجد سوق الشماعين متصلاً بسوق الدجاجين وكان سوقاً كبيراً
فيه صفان عن اليمن والشمال من حوائط باعة الشمع أدركته عامراً وقد بنى منه الآن يسرى وفى آخر هذا السوق
على يمينه السالك الجامع الأقر وكان موضعه قديماً سوق القماحين وقبائلته درب الخضرى وبجانب الجامع
الأقر من شرقه الزقاق الذى يعرف بالمحابر بين ويسلك فيه إلى الركن المخلق وغيره وقبالة هذا الزقاق بئر الدلاء
ثم يسلك المار أمامه فيجد على يمينه زقاقاً ضيقاً ينتهى إلى درو ومدرسة تعرف بالشرابية يتوصل من باب سرتها
إلى الدرب الأصفر تجاه خاقاه بيسر ثم يسلك أمامه في سوق المتعشين فيجد على يسرته باب حارة برجوان
ثم يسلك أمامه شافاً في سوق المتعشين وقد أدرسته سوقاً عظيماً لا يكاد يعدم فيه شيء مما يحتاج إليه
من المأكولات وغيرها بحيث إذا طلب منه شيء من ذلك في ليل أو نهار وجد وقد خرب الآن ولم يبق منه إلا
اليسير وكان هذا السوق قد يما يعرف بسوق أمير الجيوش وبآخره خان الرقاسين وهو زقاق على يمينه
السالك غير نافذ ويقابل هذا الزقاق على يسرة السالك إلى باب القنوق يسلك فيه إلى سوق يعرف
اليوم بسوقه أمير الجيوش وكان قبل اليوم يعرف بسوق الخروقيين ويسلك من هذا السوق إلى باب القنطرة
في شارع معمر وبالحوائط من جانيبه ويغلوها الرباع وفيما بين الحوائط دروب ذات مساكن كثيرة ثم يسلك
أمامه من رأس سوقه أمير الجيوش فيجد على يمينه الجبلون الصغير المعروف بجبلون ابن صيرم وكان مسكناً
للزواين فيه عدة حوائط عامرة بأصناف الشباب أدركتها عامرة وفيه مدرسة ابن صيرم المعروفة بالمدرسة
الصيرمية وفى آخره باب زيادة الجامع الحاكى وكان على بابها عدة حوائط تعمل فيها الضرب التي

برسم الابواب ويخرج من هذا الجولون الى طريقين احدهما يسلك فيها الى درب القرنجبية والى دار الوكالة
 وشارع باب النصر والاخرى الى درب الرشيدى النافذ الى درب الجوانية ثم يسلك امامه فيجد على يمينه
 شبك المدرسة الصيرمية ويقابله باب قيسارية خوند اردكين الاشرفية ثم يسلك امامه شاقا في سوق المرحلين
 وكان صفين من حوانيت عامرة فيها جميع ما يحتاج اليه في ترحيل الجمال وقد خرب وبقي منه قليل وفي هذا
 السوق على يسرة السالك زقاق يعرف بحجارة الوراقة وفيه احد ابواب قيسارية خوند المذكورة وعدة مساكن
 وكان مكانه يعرف قديما باصطبل الحجرية ثم يسلك امامه فيجد على يمينه احد ابواب الجامع الحاكى وميضاته
 ويجذب باب الفتوح القديم ولم يبق منه سوى عقده وشئ من عضادته ويجواره شارع على يسرة السالك يتوصل
 منه الى حارة بهاء الدين وباب القنطرة ثم يسلك امامه شاقا في سوق المتعشين فيجد على يمينه بابا آخر من ابواب
 الجامع الحاكى ثم يسلك امامه فيجد عن يسرة زقاقا ساباطا يتخذ الى حارة بهاء الدين فيه كثير من المساكن
 ثم يسلك امامه فيجد عن يمينه باب الجامع الحاكى الكبير ويجعدن يساره فندق العادل ويشق في سوق عظيم
 الى باب الفتوح وهو آخر قسبة القاهرة وأما ذات اليمين من شارع بين القصرين فان المارة اذا سلك من الدرب
 الذى يقابل حمام اليسرى طالبا للركن المخلق فانه يشق في سوق القصاصين وسوق الحصريين الى الركن المخلق
 ويباع فيه الآن النعال وبه حوض في ظهر الجامع الاقرب لشرب الدواب تسميه العامة حوض النبي ويقابله
 مسجد يعرف بمراكع موسى وينتهي هذا السوق الى طريقين احدهما الى بئر العظام التى تسمى العامة
 بئر العظمة ومنها ينقل الماء الى الجامع الاقرب والحوض المذكور بالركن المخلق ويسلك منه الى الحارين والطريق
 الاخرى تنتهى الى الفندق المعروف بـقيسارية الجلود وبعلاوه اربع انشأت ذلك خوند بركة ام الملك الاشرف
 شعبان بن حسين ويجوار هذه القيسارية بناية عظيمة قد سترت بحوانيت يتوصل منها الى ساحة عظيمة هي من
 حقوق المنكر كانت خوند المذكورة قد شرعت في عمارتها قصرا لها فماتت دون اكماله ثم يسلك امامه فيجد
 الرباع التى تعالوا حوانيت والقيسارية المستجدة في مكان باب القصر الذى كان ينتهى الى مدرسة سابق الدين
 وبين القصرين وكان احد ابواب القصر ويعرف بـباب الريح وهذه الرباع والقيسارية من جملة انشاء الامير
 جمال الدين الاستادار وكانت قبله حوانيت ورباعا فهدمها وانشأها على ما هي عليه اليوم ثم يسلك امامه
 فيجد عن يمينه مدرسة الامير جمال الدين المذكور وكان موضعها خانها وظاهره حوانيت فبنى مكانها مدرسة
 وحوضا للسيل وغير ذلك ويقال لهذه الاماكن رجة باب العيد ويسلك منها الى طريقين احدهما ذات
 اليمين والاخرى ذات اليسار فأما ذات اليمين فانه تنتهى الى المدرسة الحجازية والى درب قراصيا والى حبش
 الرجة والى درب السلامى السلوك منه الى باب العيد الذى تسميه العامة بالقاهرة والى المارستان العتيق
 والى قصر الشوك ودار الضرب والى باب سر المدارس الصالحية والى خزانة البنود ويسلك من رأس درب
 السلامى هذا في رجة باب العيد الى السفينة وخط خزانة البنود ورجة الايدمرى والمشهد الحسينى ودرب
 الملوخيا والجامع الازهر والحارة الصالحية والحارة البرقية الى باب البرقية والباب المحروق والباب الجديد
 وأما ذات اليسار من رجة باب العيد فان المارة يسلك من باب مدرسة الامير جمال الدين الى باب زاوية الخدام الى
 باب الخلقاء المعروفة بدار سعيد السعداء فيجد عن يمينه زقاقا بجوار سور دار الوزارة يسلك فيه الى خرائب تتر
 والى خط الفقهاء دين والى درب ملوخيا وغير ذلك ثم يسلك امامه فيجد عن يمينه المدرسة القراستقرية وخاتقاه
 ركن الدين بـيرس وهما من جملة دار الوزارة وما جاورا لخاتقاه الى باب الجوانية وتجاها خاتقاه بـيرس الدرب
 الاصفر وهو المنخر الذى كانت الخلقاء تتحرف فيه الاضاحى ثم يسلك امامه فيجد على يمينه دار الامير قزمان
 بجوار خاتقاه بـيرس ويجوارهما دار الامير شمس الدين سنقر الاعسر الوزير وقد عرفت الآن بدار خوند
 طولوباي زوجة السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ويجوارها حمام الاعسر المذكور وجميع
 هذا من دار الوزارة ويجعد على يسرة درب الرشيدى تجاه حمام الاعسر السلوك فيه الى درب القرنجبية
 وجولون ابن صيرم ثم يسلك امامه فيجد على يمينه الشارع السلوك فيه الى الجوانية والى خط الفقهاء دين والى
 درب ملوخيا والى العظوفة وقد خربت هذه الاماكن ويجعد على يسرة الوكالة المستجدة من انشاء الملك
 الظاهر برقوق ثم يسلك امامه فيجد على يسرة زقاقا يسلك فيه الى جولون ابن صيرم والى درب القرنجبية ثم يسلك

أمامه فيجد على يمينه دار الأمير شهاب الدين أحمد بن خالة الملك الناصر محمد بن قلاوون ودار الأمير علم الدين سنجر الجاولي وهما من حقوق الحجر التي كانت بهما ملك الخلفاء وأجنادهم ويجد على يسره وكالة الأمير قوصون ثم يسلك من باب الوكالة فيجد مقابل باب قاعة الجاولي ظن الجاولي وبعدها باب النصر القديم وأدركت فيه قطعة كانت تجاهد ركن المدرسة القاصدية الغربي وقد زال ويسلك منه إلى رجة الجامع الحاككي فيجد على يمينه المدرسة القاصدية وعلى يسره بابي الجامع الحاككي وتجاه أحدهما الشارع المسلول فيه إلى حارة العبدانية وحارة العطفية وغير ذلك ومن باب الجامع الحاككي ينتهي إلى باب النصر فيما بين حوائت ورباع ودور فهذه صفة القاهرة الآن وستقف أن شاء الله تعالى على كيفية ابتداء وضع هذه الأماكن ولما صارت إليه وذكر التعريف بمن نسبت إليه أو عرفت به على ما التقت ذلك من كتب التواريخ ومجامع الفضلاء ووقفت عليه بخطوط الثقات وأخير في ذلك من أدركته من المشيخة وما شاهدته من ذلك سالكا فيه سبيل التوسط في القول بين الأكتار والاختصار والله الموفق بمنه وكرمه لا اله غيره

* (ذكر سور القاهرة) *

اعلم أن القاهرة منذ أسست عمل سورها ثلاث مزارات الأولى وضعه القائد جوهر والمزة الثانية وضعه أمير الجيوش بدر الجالبي في أيام الخليفة المستنصر والمزة الثالثة بناه الأمير المنصور في أيام الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أول ملوك القاهرة * السور الأول كان من لبن وضعه جوهر القائد على مناخه الذي نزل به هو وعساكره حيث القاهرة الآن فأداره على القصر والجامع وذلك أنه لما سار من الجيزة بعد زوال الشمس من يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بعساكره وقصد إلى مناخه الذي رسمه له مولاه الإمام المعز لدين الله أبو تميم معد واستقرت به الدار أخط القصر وأصبح المصريون يهنونه فوجدوه قد حفر الأساس في الليل فأدار السور اللين وسماها المنصورية إلى أن قدم المعز لدين الله من بلاد المغرب إلى مصر ونزل بها فسميها القاهرة ويقال في سبب تسميتها أن القائد جوهر لما أراد بناء هذا حضر المنجمين وعرفهم أنه يريد عمارة بلد ظاهر مصر ليقم بها الجند وأمرهم باختيار طالع سعيد لوضع الأساس بحيث لا يخرج البلد عن نسلهم أبدًا فاختاروا طالع الوضع الأساس وطالع الحفر السور وجعلوا بدائر السور قوائم خشب بين كل قائمتين حبل فيه أبراس وقالوا للعمال إذا اخترت كسلا أبراس فارموا ما بأيديكم من الطين والحجارة فوققوا ينتظرون الوقت الصالح لذلك فانفق أن غرابا وقع على جبل من تلك الجبال التي فيها الأبراس فخرت ككها فظن العمال أن المنجمين قد حركوا فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة وبنوا فصاح المنجمون القاهرة في الطالع فحضر ذلك وفاتهم ما قصده ويقال إن المترجح كان في الطالع عند ابتداء وضع الأساس وهو قاهر الفلك قسموها القاهرة واقتضى نظرهم أنها لا تزال تحت القهر وأدخل في دائرها السور ببر العظام وجعل القاهرة حارات للواصلين بحبته وحبته مولاه المعز وعمر القصر بترتيب ألقاه إليه المعز ويقال إن المعز لما رأى القاهرة لم يحبه مكانها وقال لجوهر لما فاتك عمارة القاهرة بالساحل كان ينبغي عمارتها بهذا الجبل يعني سطح الجرف الذي يعرف اليوم بالرصدا المشرف على جامع راشدة ورتب في القصر جميع ما يحتاج إليه الخلفاء بحيث لا تراهم إلا عين في النقلة من مكان إلى مكان وجعل في ساحاته البحرة والمسدان والبستان وتقدم بعمارة المصلى بظاهر القاهرة وقد أدركت من هذا السور اللين قطعاً وآخر ما رأيت منه قطعة كبيرة كانت فيما بين باب البرقية ودرب بطوط هدمها شخص من الناس في سنة ثلاث وثمانمائة فشاهدت من كبر لبنها ما يتعجب منه في زمننا حتى إن اللبنة تكون قدر ذراع في ثلثي ذراع وعرض جدار السور عتة أذرع يسع أن يمر به فارسان وكان بعيداً عن السور الحجر الموجود الآن وبينهم ما نحووا الحسنيين ذراعاً وما أحسب أنه بقي الآن من هذا السور اللين شيء * (وجوهر) هذا عمل أول روى رباه المعز لدين الله أبو تميم معد وكناه بأبي الحسن وعظم محله عنده في سنة سبع وأربعين وثمانمائة وصار في رتبة الوزاة قصيره قائد جيوشه وبعثه في صفر منها ومعه عساكر كثيرة فيهم الأمير زيري بن مناد الصنهاجي وغيره من الأكابر فسار إلى تاهرت وأوقع بعدة أقوام وافتتح مدناً وسار إلى فاس فبناها مدة ولم يزل منها شيئاً فرحل عنها إلى سجلماسة وحارب تاهراً فأسره بها وانتهى في مسيره إلى

البحر المحيط واصطاد منه سمكا وبعثه في قلة ماء الى مولاه المعز واعلم انه قد استولى على ما مر به من المدائن والامم حتى انتهى الى البحر المحيط ثم عاد الى قاص فألح عليه بالقتال الى أن اخذها عنوة واسر صاحبها وجماله هو والتائر بسجل ماساة في قفصين مع هدية الى المعز وعاد في أخريات السنة وقد عظم شأنه وبعد صيته ثم لما قوى عزم المعز على تسيير الجيوش لاخذ مصر وتبأ أمرها فقدم عليها القائد جوهر اوبرز الى رمادة ومعه ما ينفع على مائة ألف فارس وبين يديه أكثر من ألف صندوق من المال وكان المعز يخرج اليه في كل يوم ويخلو به واطلق يده في بيوت امواله فأخذ منها ما يريد زيادة على ما حمله معه وخرج اليه يوم اقضاهم جوهر بين يديه وقد اجتمع الجيش فالتفت المعز الى المشايخ الذين وجههم مع جوهر وقال والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر ولتدخلن الى مصر بالارضية من غير حرب ولتزلن في خرابات ابن طولون وتبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا وأمر المعز بإفراغ الذهب في هيئة الارحية وجمعها مع جوهر على الجمال ظاهرة وأمر اولاده واخوته الامراء وولي العهد وسائر أهل الدولة أن يمشوا في خدمته وهو راكب وكتب الى سائر عماله يأمرهم اذا قدم عليهم جوهر أن يترجلوا ومشاة في خدمته فلما قدم برقة اقدم على صاحبه من ترجمه ومشيه في ركابه بخمسين ألف دينار ذهباً فبى جوهر الا أن يمشى في ركابه ورد المال غشى ولما رحل من القيروان الى مصر في يوم السبت رابع عشر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة أنشد محمد بن هاني في ذلك

رأيت بعيني فوق ما كنت اسمع * وقد راغنى يوم من الحشر أروع
غداة كان الافق سديمه * فعاد غروب الشمس من حيث تطلع
فلم ادر اذ ودعت كيف أودع * ولم ادر اذ شيعت كيف اشيع
الا ان هذا حشد من لم يذقله * غرار الكرى جفن ولا بات يجمع
اذا حل في ارض بناها مدينا * وان سارعن ارض غدت وهي بلقع
تحل بيوت المال حيث محله * وجتم العطايا والرواق المرفع
وكبرت الفرسان لله اذبا * وظل السلاح المستضى يتقعقع
وعب عباب الموكب الفخم حوله * ورق كمارق الصباح الملع
رحلت الى القس طاول رحلة * بأين قال بالذى انت تجمع
فان يك في مصر ظمأ لمورد * فقد جاءهم نيل سوى النيل يهرع
ويمهم من لا يغار بعممة * فيسلمهم لكن يزيد فيوسع

ولما دخل الى مصر واخط القاهرة وكتب بالبشارة الى المعز قال ابن هاني

تقول بنو العباس قد فتحت مصر * فقل لبني العباس قد قضى الامر
وقد جاوز الاسكندرية جوهر * تصاحبه البشرى ويقدمه النصر

ولم يزل معظمها مطاعا وله حكم ما فتح من بلاد الشام حتى ورد المعز من المغرب الى القاهرة وكان جعفر بن فلاح يرى نفسه أجمل من جوهر فلما قدم معه الى مصر سيره جوهر الى بلاد الشام في العساكر فأخذ الرملة وغلب الحسن بن عبد الله بن ططيج وسار فلك طبرية ودمشق فلما صارت الشام له شجعت نفسه عن مكاتبه جوهر فأنفذ كتبه من دمشق الى المعز وهو بالمغرب سر من جوهر يذكرك في طاعته ويقع في جوهر ويصف ما فتح الله للمعز على يده فغضب المعز لذلك وردت كتبه كما هي محتومة وكتب اليه قدأ خطأت الرأي لنفسك نحن قدأ نفذناك مع قائدنا جوهر فاكتب اليه فما وصل منك الينا على يده قرأناه ولا تتجاوز به بعد فلسنا نفعل لك ذلك على الوجه الذي اردته وان كنت اهل عندنا ولكنا لانستفسد جوهر ارفع طاعته لناسف اذ غضب جعفر بن فلاح وانكشف ذلك لجوهر فلم يبعث ابن فلاح لجوهر يسأله فجدة خوفا أن لا ينجده بعسكر وأقام مكانه لا يكتب جوهر بشئ من أمره الى أن قدم عليه الحسن بن احمد القرمطي وكان من أمره ما قد ذكر في موضعه * ولما مات المعز واستخلف من بعده ابنه العزيز وورد الى دمشق هفتكين الشراي من بغداد نذب العزيز بالله جوهر القائد الى الشام فخرج اليها بجرائن السلاح والاموال والعساكر العظيمة فنزل على دمشق لثمان بقين من ذي القعدة سنة خمس وستين وثلاثمائة فأقام عليها وهو يحارب اهلها الى أن قدم الحسن بن احمد القرمطي من الاحساء

الى الشام فرحل جوهر في ثالث جادى الاولى سنة ست وستين فقل على الرملة والقرمطى في اثره فهلك وقام
من بعده جعفر القرمطى فخارب جوهر واشتد الامر على جوهر وسار الى عسقلان وحصره هفتكين بها حتى
بلغ من الجهد مبلغا عظيما صالح هفتكين وخرج من عسقلان الى مصر بعد ان اقام بها وبظاهر الرملة نحو امان
سبعة عشر شهرا فقدم على العزيز وهو يريد الخروج الى الشام فلما نظر العزيز بهفتكين واصطنعه في سنة ثمانين
وثلاثمائة واصطنع منجوتكين التركى ايضا اخرجه راكبا من القصر وحده في سنة احدى وثمانين والقائد
جوهروا بن عمار ومن دونهما من اهل الدولة مشاة في ركابه وكانت يد جوهر في يد ابن عمار فزفر ابن عمار زفرة
كاد ان ينشق لها وقال لاحول ولا قوة الا بالله فزع جوهر يده منه وقال قد كنت عندى يا ابا محمد أثبت عن هذا
فظهر منك انك كافر في هذا المقام لاحد ثلث حديثا عسى يسليك عما انت فيه والله ما وقف على هذا الحديث احد
غيري لما خرجت الى مصر وانفذت الى مولانا المعز من اسرته ثم حصل في يدي آخرون اعتقلتم وهم ينف على
ثلاثمائة اسير من مذكورهم والمعروفين فيهم فلما ورد مولانا المعز الى مصر أعلمته بهم فقال اعرضهم على واذكر
في كل واحد حاله ففعلت وكان في يده كتاب مجلد يقرأ فيه ففعلت آخذ الرجل من يد الصقالبة وأقدمه اليه
وأقول هذا فلان ومن حاله وحاله فيرفع رأسه وينظر اليه ويقول يجوز ويعود الى قراءة ما في الكتاب حتى
احضرت له الجماعة وكان آخرهم غلاما تركيا ففعله مع من تقدمه فقال يا جوهر يكون عندك مكتوما
وقلت يا مولانا رأيتك فعلت لما رأيت هذا التركى مالم تفعله مع من تقدمه فقال يا جوهر يكون عندك مكتوما
حتى ترى انه يكون لبعض ولدنا غلام من هذا الجنس تتفق له فتوحات عظيمة في بلاد كثيرة وبرزقه الله على يده مالم
برزقه أحد منا مع غيره وأناظن انه ذاك الذى قال لى مولانا المعز ولا علينا اذا فتح الله لى لينا على ايدينا وعلى يد
من كان يا ابا محمد لكل زمان دولة ورجال أنريد نحن أن نأخذ دولتنا ودولة غيرنا لقد أرجل لى مولانا المعز
لما سرت الى مصر أولاده واخوته وولى عهده وسائر أهل دولته فتعجب الناس من ذلك وهأنا اليوم امشى
راجلا بين يدي منجوتكين أعزونا وأعز وابتاغينا وبعد هذا فأقول اللهم قرب أجلى ومدنى فقد أثقت على
الثمانين أو انا فيها فمات في تلك السنة وذلك انه اعتل فركب اليه العزيز بالله عائد او حمل اليه قبل ركوبه خمسة
آلاف دينار ومائة منقل وبعث اليه الامير منصور بن العزيز بالله خمسة آلاف دينار ووفى يوم الاثنين لسمع
بقين من ذى القعدة سنة احدى وثمانين وثلاثمائة فبعث اليه العزيز بالحنوط والكفن وأرسل اليه الامير
منصور بن العزيز ايضا الكفن وارسلت اليه السيدة العزيزية الكفن فكفن في سبعين ثوبا بين منقل ووشى
مذهب وصلى عليه العزيز بالله وخلع على ابنه الحسين وجهه وجعله في مرتبة ابيه واقبه بالقائد ابن القائد ومكنه
من جميع ما خلفه ابوه وكان جوهر عاقلا محسنا الى الناس كاتبا بليغا فمستحسن توقيعاته على قصة رفعت
اليه بمصر سوء الاجترام أوقع بكم حلول الانتقام وكفر الانعام اخرجكم من حفظ الذمام فالواجب
فيكم ترك الايجاب والالزام لكم ملازمة الاحتساب لانكم بدأت فأسأتم وعدم فتعديت فابتدأتم ملوم
وعودكم مذموم وليس بينكم مفرجة الاتقضى الذم لكم والاعراض عنكم ليرى امير المؤمنين صلوات الله عليه
رأيه فيكم ولما مات رثاه كثير من الشعراء * (السور الثاني) * بناء امير الجيوش بدر الجمالى في سنة ثمانين
وأربع مائة وزاد فيه الزيادات التي فيما بين بابي زويلة وباب زويلة الكبير وفيما بين باب الفتوح الذي عند حارة
بهاء الدين وباب الفتوح الآن وزاد عند باب النصر ايضا جميع الرحبة التي تجاه جامع الحاكم الآن الى باب
النصر وجعل السور من لبن وأقام الابواب من حجارة وفي نصف جادى الاخرة سنة ثمان مائة وعشرة وثمانمائة
ابتدى بهدم السور الحجر فيما بين باب زويلة الكبير وباب الفرج عندما هدم الملك المؤيد شيخ الدور ليدنى جامع
فوجد عرض السور في الاماكن نحو العشرة اذرع * (السور الثالث) * ابتدأ في عمارته السلطان صلاح
الدين يوسف بن ايوب في سنة ست وستين وخمسمائة وهو يومئذ على وزارة العاضد لدين الله فلما كانت سنة
تسع وستين وقد استولى على المملكة استدب لعمل السور الطوائى بهاء الدين قراقوش الاسدى فبناء
بالحجارة على ما هو عليه الآن وقصد أن يجعل على القاهرة ومصر والقاعة سورا واحدا فزاد في سور القاهرة
القطعة التي من باب القنطرة الى باب الشعيرية ومن باب الشعيرية الى باب البحر وبني قلعة المقس وهي برج كبير
وجعله على النيل بجانب جامع المقس واقطع السور من هناك وكان في امله مد السور من المقس الى أن يتصل

بسور مصر وزاد في سور القاهرة قطعة مما يلي باب النصر ممتدة الى باب البرقية والى دوبر بطوط والى خارج باب الوزير ليصل بسور قلعة الجبل فانقطع من مكان يقرب الآن من الصوة تحت القلعة لموته والى الآن آثار الجدران ظاهرة لمن تأملها في ما بين آخر السور الى جهة القلعة وكذلك لم يتهأله أن يصل سور قلعة الجبل بسور مصر وجاء دور هذا السور المحيط بالقاهرة الآن تسعة وعشرين ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وذراعين بذراع العمل وهو الذراع الهاشمي من ذلك ما بين قلعة المقس على شاطئ النيل والبرج بالكوم الاجر بساحل مصر عشرة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ومن قلعة المقس الى حائط قلعة الجبل بمسجد سعد الدولة ثمانية آلاف وثلاثمائة واثنان وتسعون ذراعا ومن جانب حائط قلعة الجبل من جهة مسجد سعد الدولة الى البرج بالكوم الاجر سبعة آلاف ومائتا ذراع ومن وراء القلعة بجبال مسجد سعد الدولة ثلاثة آلاف ومائتان وعشرة اذرع وذلك طول قوسه في ابراجه من النيل الى النيل وقلعة المقس المذكورة كانت برجامطلا على النيل في شرق جامع المقس ولم تزل الى أن هدمها الوزير صاحب شمس الدين عبد الله المقسى عند ما جدد الجامع المذكور في سنة سبعين وسبعمائة وجعل في مكان البرج المذكور جنينته وذكر أنه وجد في البرج مالا وانه أنما جدد الجامع منه والعمامة تقول اليوم جامع المقسى بالاضافة وكان يحيط بسور القاهرة خندق شرع في حفره من باب الفتوح الى المقس في المحرم سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وكان أيضا من الجهة الشرقية خارج باب النصر الى باب البرقية وما بعده وشاهدت آثار الخندق باقية ومن ورائه سور براج له عرض كبير مبنى بالججارة الآن الخندق انطم وتهدمت الاسوار التي كانت من ورائه وهذا السور هو الذي ذكره القاضي الفاضل في كتابه الى السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب فقال والله يحيي المولى حتى يستدير بالبلدين نطاقه ويمتد عليهما رواقه فاعقيله ما كان معصيا لترك بغير سوار ولا خصرها ليتحل بغير منطقة تضار والآن قد استقرت خواطر الناس وأمنوا به من يد تتخطف ومن يد مجرم يقدم ولا يتوقف

• (ذكر ابواب القاهرة) •

وكان للقاهرة من جهتها القبلية بابين متلاصقان يقال لهما بابا زويلة ومن جهتها البحرية بابان متباعدان احدهما باب الفتوح والآخر باب النصر ومن جهتها الشرقية ثلاثة ابواب متفرقة أحدها يعرف الآن بباب البرقية والآخر بالبواب الحديد والآخر بالبواب المحروق ومن جهتها الغربية ثلاثة ابواب باب القنطرة وباب القرج وباب سعادة وباب آخر يعرف بباب الخوخة ولم تكن هذه الابواب على ما هي عليه الآن ولا في مكانها عند ما وضعها جوهر

• (باب زويلة) •

كان باب زويلة عندما وضع القائد جوهر القاهرة بابين متلاصقين بجوار المسجد المعروف اليوم باسم ابن فوح فلما قدم المعز الى القاهرة دخل من احدهما وهو الملاصق للمسجد الذي بقي منه الى اليوم عقد ويعرف بباب القوس قسما من الناس به وصاروا يكثرون الدخول والخروج منه وهجروا الباب المجاور له حتى جرى على الالسنه أن من مر به لا تقضى له حاجة وقد زال هذا الباب ولم يبق له أثر اليوم الا انه يقضى الى الموضع الذي يعرف اليوم بالجوارين حيث تباع آلات الطرب من الطنابير والعيدان ونحوهما والى الآن مشهور بين الناس أن من يسلك من هنالك لا تقضى له حاجة ويقول بعضهم من أجل أن هنالك آلات المنكر وأهل البطالة من المغنين والمغنيات وليس الامر كما زعم فان هذا القول جار على السنة اهل القاهرة من حين دخل المعز اليها قبل أن يكون هذا الموضع سوقا للمعازف وموضع الجلوس اهل المعاصي * فلما كان في سنة خمس وثمانين وأربعمائة بنى امير الجيوش بدر الجبالي وزير الخليفة المستنصر بالله باب زويلة الكبير الذي هو باق الى الآن وعلى ابراجه ولم يعمل له باشورة كما هي عادة ابواب الحصون من أن يكون في كل باب عطف حتى لا تهجم عليه العساكر في وقت الحصار ويتعذر سوق الخيل ودخولها جملته لكنه عمل في بابيه زلاقة كبيرة من حجارة صوان عظيمة بحيث اذا هجم عسكر على القاهرة لا تثبت قوائم الخيل على الصوان فلم تزل هذه الزلاقة باقية الى ايام السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل ابى بكر بن ايوب فانفق مروءه من هنالك فاختل فرسه وزلق به

وأحسبه سقط عنه فأمر بنقضها فنقضت وبقي منها ثلثي سبيل ظاهر فلما أتى الأمير جمال الدين يوسف الاستادار المسجد المقابل لباب زويلة وجعله باسم الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق ظهر عند حفرة الصهرميج الذي به بعض هذه الزلافة وأخرج منها حجارة من صوان لا تعمل فيها العدة الماضية وأشكالها في غاية من الكبر لا يستطيع جزؤها الا أربعة أرؤس فمرفأ أخذ الأمير جمال الدين منها شياً وإلى الآن حجر منها ملقى تجاه قبوا لخرنشف من القاهرة * وبذكر أن ثلاثة أخوة قدموا من الرهائنين بنو باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح كل واحد بنى باباً وأن باب زويلة هذا بنى في سنة أربع وعثمان وأربع مائة وأن باب الفتوح بنى في سنة ثمان وأربع مائة * وقد ذكر ابن عبد الظاهر في كتاب خطط القاهرة أن باب زويلة هذا بناء العزيز بالله نزار بن العزيز ونعمه أمير الجيوش وأنشد على بن محمد التيلي

يا صاح لو أبصرت باب زويلة * لعلت قدر محله بنينا

باب تآزر بالجمرة وارتدى الشعرى ولا ثبرأسه كيوانا

لو أن فرعوناً بناه لم يرد * صرحاً ولا أوصى به هامانا

* وسمعت غير واحد يدكر أن فردية يدوران في سكر جتين من زجاج * وذكر جامع سيرة الناصر محمد بن قلاوون أن في سنة خمس وثلاثين وسبع مائة رتب أيديكين وإلى القاهرة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون على باب زويلة خطيبة تضرب كل ليلة بعد العصر * وقد أخبرني من طاف البلاد ورأى مدن المشرق أنه لم يشاهد في مدينة من المدن أعظم باب زويلة ولا يرى مثل بدنتيه اللتين عن جانبيه ومن تأمل الاسطر التي قد كتبت على أعلاه من خارجه فإنه يجد فيها اسم أمير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ بنائه وقد كانت البدنتان أكبر مما هما الآن بكثير هدم أعلاه الملك المؤيد شيخ لما أنشأ الجامع داخل باب زويلة وعمر على البدنتين منارتين ولذلك خبر فجدته في ذكر الجوامع عند ذكر الجامع المؤيدي

* (باب النصر) *

كان باب النصر أولادون موضعه اليوم وأدركت قطعة من أحد جانبيه كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربي بحيث تكون الرجة التي فيما بين المدرسة القاصدية وبين بابي جامع الحسك القبلين خارج القاهرة ولذلك تجد في أخبار الجامع الحاكي أنه وضع خارج القاهرة فلما كان في أيام المستنصر وقدم عليه أمير الجيوش بدر الجمالي من عكا وتقلد وزاره وعمر سور القاهرة نقل باب النصر من حيث وضعه القائد جوهر إلى حيث هو الآن فصار قرياً من مصلى العيد وجعل له باشورة أدركت بعضها إلى أن احتقرت اخت الملك الظاهر برقوق الصهرميج السبيل تجاه باب النصر هدمته وأقامت السبيل مكانه وعلى باب النصر مكتوب بالكوفي في أعلاه لا اله الا الله محمد رسول الله على "ولى الله صلوات الله عليهما

* (باب الفتوح) *

وضعه القائد جوهر دون موضعه الآن وبقي منه إلى يومنا هذا عقده وعضادته اليسرى وعليه اسطر من الكتابة بالكوفي وهو برأس حارة بهاء الدين من قبلها دون جدار الجامع الحاكي وأما الباب المعروف اليوم بباب الفتوح فإنه من وضع أمير الجيوش وبين يديه باشورة قدر كبتها الآن الناس بالبنان لما عمر ما خرج عن باب الفتوح * (أمير الجيوش) أبو التيم بدر الجمالي كان ملوكاً رمنياً لجمال الدولة بن عمار فلذلك عرف بالجمالي وما زال يأخذ بالجد من زمن سبيه فيما يباشره ويوطن نفسه على قوة العزم وينقل في الخدم حتى ولى إمارة دمشق من قبل المستنصر في يوم الأربعاء ثالث عشر ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربع مائة ثم سار منها كالهارب في ليلة الثلاثاء لاربع عشرة خلت من رجب سنة ست وخمسين ثم وليها ثانياً يوم الاحد سادس شعبان سنة ثمان وخمسين فبلغه قتل ولده شعبان بعسقلان فخرج في شهر رمضان سنة ستين وأربع مائة فثار العسكر وأخربوا قصره وتقلد نيابة عكا فلما كانت الشدة بمصر من شدة القلاو وكثرة الفتن والاحوال بالحضرة قد فسدت والامور قد تغيرت وطواقم العسكر قد شغبت والوزراء يقنعون بالاسم دون نفاذ الامر والتهى والرخاء قد أيس منه والصالح لا مطمع فيه ولوانة قد ملكت الريف والصعيد بأيدي العبيد والطرفات قد

انقطعت بئرا وبجرا الا بالتحفارة الثقيلة فلما قتل بلدكوش ناصر الدولة حسين بن حمدان كتب المستنصر
اليه يستدعه ليكون المتولى لتدبير دولته فاشترط أن يحضر معه من يجتار من العساكر ولا يبقى أحدا من
عسكر مصر فأجاب المستنصر الى ذلك فاستخدم معه عسكر اوركب البحر من عكا في أول كانون وسار بجانة
مركب بعد أن قيل له أن العادة لم تجر بركوب البحر في الشتاء لهيجاته وخوف التلف فأبى عليهم وأقطع
فتمادى العبحو والسكون مع الريح الطيبة مدة اربعين يوما حتى كثرت الحجب من ذلك وعدم سعادته فوصل
الى تنيس ودمياط واقترض المال من تجارها وميسرها وقام بأمر ضياقته وما يحتاج اليه من الغلال سليمان
اللوائي كبير أهل البحيرة وسار الى قلوب قزل بها وأرسل الى المستنصر يقول لا ادخل الى مصر حتى تقبض
على بلدكوش وكان أحد الامراء وقد اشتد على المستنصر بعد قتل ابن حمدان فبادر المستنصر وقبض
عليه واعتقله بجزاة البنود فقدم بدر عشية الاربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الاولى سنة خمس وستين
وأربع مائة فنهاه أن قبض على جميع امراء الدولة وذلك أنه لما قدم لم يكن عند الامراء علم من استدعائه
فخافهم الامن اضافهم وقدم اليه فلما انقضت نوبتهم في ضياقته استدعاهم الى منزله في دعوة صنعها لهم وبيت
مع اصحابه أن القوم اذا أجبنهم الليل فانهم لا يديحون الى الخلاه في قام منهم الى الخلاه يقتل هناك ووكل
بكل واحد واحد من اصحابه وأنتم عليه بجميع ما يتركه ذلك الامر من دار ومال واقطاع وغيره فصار الامراء
اليه وظلوا نهارهم عنده وبأوامرهم فطاعوا ضوئه التها حتى استولى اصحابه على جميع دور الامراء وصارت
رؤسهم بين يديه فقويت شوكتهم وعظم امره وخلع عليه المستنصر بالطبلسان المقور وقلده وزارة السيف والقلم
فصارت القضاة والدعاة وسائر المستخدمين من تحت يده وزيد في ألقابه أمير الجيوش كافل قضاة المسلمين
وهادى دعاة المؤمنين وتبع المفسدين فلم يبق منهم أحد حتى قتله وقتل من أمثال المصريين وقضاة ووزرائهم
جماعة ثم خرج الى الوجه البحرى فأسرف في قتل من هنالك من لوانة واستغنى اموالهم وأزاح المفسدين
وأقنأهم بأنواع القتل وصار الى البر الشرق فقتل منه كثيرا من المفسدين ونزل الى الاسكندرية
وقد ثار بها جماعة مع ابنه الا وحده فحاصرها اياما من المحرم سنة سبع وسبعين وأربع مائة الى أن اخذها عنوة
وقتل جماعة ممن كان بها وعمر جامع العطارين من مال المصادرات وفرغ من بنائه في ربيع الاول سنة تسع
وسبعين وأربع مائة ثم سار الى الصعيد فخارب جهينة والنعالبة وأقنى اكثرهم بالقتل وغنم من الاموال
ما لا يعرف قدره كثرة فصلح به حال الاقليم بعد فساد ثم جهز العساكر لمحاربة البلاد الشامية فسارت اليها
غير مرة وحاربت اهلها ولم يظفر منها بطائل واستتاب ولده شاهنشاه وجعله ولي عهده * فلما كان في سنة سبع
وثمانين وأربع مائة مات في ربيع الآخر وقيل في جمادى الاولى منها وقد تحكمت في مصر تحكمت المملوك ولم يبق
للمستنصر معه أمر واستبد بالامور فضبطها احسن ضبط وكان شديد الهيبة وافر الحرمة مخوف السطوة
قتل من مصر خلائق لا يحصى الا خالقتها منها انه قتل من اهل البحيرة نحو العشرين ألف انسان الى غير
ذلك من اهل دمياط والاسكندرية والغربية والشرقية وبلاد الصعيد واسوان وأهل القاهرة ومصر الا انه
عمر البلاد وأصلحها بعد فسادها وخرابها بآلاف المفسدين من اهلها وكان له يوم مات نحو الثمانين سنة
وكانت له محاسن منها انه اباح الارض للمزارعين ثلاث سنين حتى ترفهت احوال الفلاحين واستغنوا في ايامه
ومنها حضور التجار الى مصر لكثرة عدله بعد انتزاعهم منها في ايام الشدة ومنها كثرة كرمه وكانت مدة ايامه
بمصر احدى وعشرين سنة وهو اول وزراء السيوف الذين حجروا على الخلفاء بمصر * ومن آثاره الباقية
بالقاهرة باب زويلة وباب الفتوح وباب النصر وقام من بعده بالامر ابنه شاهنشاه الملقب بالافضل بن أمير
الجيوش وبه وبابنه الافضل أبهة الخلفاء الفاطمية بعد ثلاثين امراها وعمرت الديار المصرية بعد خرابها
واضحلال احوال اهلها وأظنه هو الذى اخبر عنه المعز فيما تقدم من حكاية جوهر عنه فانه لم يتفق ذلك لاحد
من رجال دولتهم غيره والله يعلم وانتم لا تعلمون

* (باب القطرة) *

عرف بذلك لان جوهر القائد بنى هناك قنطرة فوق الخليج الذى يظاها القاهرة ليمشى عليها الى المقس عند مسير

* (باب الشعرية) *

يعرف بطائفة من البربر يقال لهم بنو الشعرية هم ومن انة وزيارة وهوارة من أحلاف لواتة الذين نزلوا بالمنوفية

* (باب سعادة) *

عرف بسعادة بن حيان غلام المعز لدين الله لانه لما قدم من بلاد المغرب بعد بناء القائد جوهر القاهرة نزل بالجيزة وخرج جوهر الى اقائه فلما عين سعادة جوهر اترجل وسار الى القاهرة في رجب سنة ستين وثلاثمائة فدخل اليها من هذا الباب فعرف به وقيل له باب سعادة ووافى سعادة هذا القاهرة بجيش كبير معه فلما كان في شوال سيره جوهر في عسكر مجر عند ورود الخبر من دمشق بمجي الحسين بن احمد القرمطي المعروف بالاعصم الى الشام وقتل جعفر بن فلاح فسار سعادة يريد الرملة فوجد القرمطي قد قصد هافا فهازمه معه الى يافا ورجع الى مصر ثم خرج الى الرملة فملكها في سنة احدى وستين فأقبل اليه القرمطي فقتلته الى القاهرة وبه سلمات لخمس بقين من المحرم سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وحضر جوهر جنازته وصلى عليه الشريف ابو جعفر مسلم وكان فيه بتر واحسان

* (الباب المحروق) *

كان يعرف قديما باب القراطين فلما زالت دولة بني ايوب واستقل بالملك المعز عز الدين اييك التركياني اول من ملك من المماليك بمملكة مصر في سنة خمسين وستمائة كان حينئذ كبار الامراء البحرية بممالك الملك الصالح نجم الدين ايوب القارس اقطاعي الجدار وقد استعمل امره وكنزت اتباعه وبافس المعز اييك وتزوج بابنة الملك المظفر صاحب حماه وبعث الى المعز بأن ينزل من قلعة الجبل ويحلبها له حتى يسكنها بامراته المذكورة فقبل المعز منه وأهمه شأنه وأخذ يدير عليه فقرر مع عدة من ممالكه أن ينفوا بموضع من القلعة عينه لهم واذا جاء القارس اقطاعي فتنكوا به وأرسل اليه وقت القائلة يستدعيه ليشاوره في أمر مهم فركب في قائلة يوم الاثنين حادى عشر شعبان سنة اثنتين وخمسين وستمائة في نفر من ممالكه وهو آمن مطمئن بمصاره في الانقيس من الحرمة والمهابة وبما يشق به من شجاعته فلما صار بقلعة الجبل وانتهى الى قاعة العواميد عوق من معه من المماليك عن الدخول معه ووثب به المماليك الذين أعدهم المعز وتناولوه بالسيوف فهلك لوقته وغلقت ابواب القلعة وانتشر الصوت بقتله في البلد فركب اصحابه وخشداشيته وهم نحو السبع مائة فارس الى تحت القلعة وفي ظنهم أن القارس اقطاعي لم يقتل وانما قبض عليه السلطان وانهم يقاتلون حتى يطلقه لهم فلم يشعروا الا برأس القارس اقطاعي وقد ألقيت عليهم من القلعة فانفضوا الوقتهم وتواعدوا على الخروج من مصر الى الشام واكبرهم يومئذ ببيرس البندقاري وقلاون الانبي وسنقر الاشقر وبيسرى وسكرو وبرامق فخرجوا في الليل من بيوتهم بالقاهرة الى جهة باب القراطين ومن العادة أن تغلق ابواب القاهرة بالليل فألقوا النار في الباب حتى سقط من الحريق وخرجوا منه فقبل له من ذلك الوقت الباب المحروق وعرف به وأما القوم فانهم ساروا الى الملك الناصر يوسف بن العزيز صاحب الشام فقبلهم وأنعم عليهم وأقطعهم اقطاعات واستكثر بهم وأصبح المعز وقد علم بخروجهم الى الشام فأوقع الحوطة على جميع اموالهم ونسائهم واولادهم وعامة تعلقاتهم وسائر أسبابهم وتبعهم ونادى عليهم في الاسواق بطلب البحرية وتحذير العامة من اخنائهم فصار اليه من اموالهم ما ملأ عينه واستقرت البحرية في الشام الى أن قتل المعز اييك وخلع ابنه المنصور وتسلطن الامير قطز فترجعوا في أيامه الى مصر وآلت احوالهم الى أن تسلطن منهم ببيرس وقلاون ولله عاقبة الامور

* (باب البرية) *

* (ذكر قصور الخلفاء ومناظرهم والاماع بطرف من ما ترهم وما صارت اليه احوالهم بعدهم) *

علم انه كان للخلفاء الفاطميين بالقاهرة وظواهرها قصور ومناظر منها القصر الكبير الشرقى الذى وضعه القائد

هكذا يبض له
في الاصل

جوهري عندما أتاخ في موضع القاهرة ومنها القصر الصغير الغربي والقصر الباقعي وقصر المذهب وقصر
الاقبال وقصر الطفر وقصر الشجرة وقصر الشوك وقصر الزمرّد وقصر التسمي وقصر الحريم وقصر البحر وهذه
كلها قاعات ومناظر من داخل سور القصر الكبير ويقال لها القصور الزاهرة ويسمى مجموعها القصر وكان بجوار
القصر الغربي الميدان والبستان الكافوري وكان لهم عدة مناظر وآد سلطانية غير هذه القصور منها دار
الضيافة ودار الوزارة ودار الوزارة القديمة ودار الضرب والمنظرة بالجامع الأزهر والمنظرة بجوار الجامع
الأخر ومنظرة اللؤلؤة على الخليج بظاهر القاهرة ومنظرة الفزالة ودار الذهب ومنظرة المقس ومنظرة الدكة
والبلع والخمس وجوه والتاج وقبة الهواء والبساتين الجيوشية والبستان الكبير ومنظرة السكرية والمنظرة
ظاهر باب الفتوح ودار الملك بمدينة مصر ومنازل العزيم ومنظرة الصناعة بالساحل ومنظرة بجوار جامع
القرافة الكبرى المعروف اليوم بجامع الأولياء والاندلس بالقرافة والمنظرة ببركة الحبش وسأذكر من أخبار
هذه الأماكن في مدة الدولة الفاطمية ومآل إليه حالها بحسب ما انتهى إلى عليه ان شاء الله تعالى

(القصر الكبير)

هذا القصر كان في الجهة الشرقية من القاهرة فلذلك يقال له القصر الكبير الشرقي ويسمى القصر المعزى لأن
المعزدين الله أبائهم معذاهو الذي أمر عبده وكتبه جوهرا بينائه حين سيره من رمادة أحد بلاد إفريقية
بالعساكر إلى مصر وأتى إليه ترتيبه فوضعه على الترتيب الذي رسمه له ويقال أن جوهرا لما أسسه في الليلة
التي أتاخ قبلها في موضعه وأصبح رأى فيه ازورارات غير معتدلة لم تعجبه فقبل له في تغييرها فقال قد حضر في
ليلة مباركة وساعة سعيدة فتركه على حاله * وكان ابتداء وضعه مع وضع أساس سور القاهرة في ليلة الأربعاء
الثامن عشر من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وركب عليه بابان يوم الخميس ثلاث عشرة خات من جادى
الأولى سنة تسع وخمسين ثم انه أدار عليه سوراً محيطاً به في سنة ستين وثلاثمائة وهذا القصر كان دار الخلافة
وبه سكن الخلفاء إلى آخر أيامهم فلما انقضت الدولة على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أخرج أهل
القصر منه وأسكن فيه الأمراء ثم خرب أولاً فأتوا * وذكر ابن عبد الظاهر في كتاب خطط القاهرة عن مرهف
بواب باب الزهومة أنه قال أعلم هذا الباب المدة الطويلة وما رأيت به دخل إليه قط ولا رمى منه تراب قال وهذا
أحد أسباب خرابه لوقود خشابه وتكوين ترابه قال ولما أخذ صلاح الدين وأخرج من كان به كان فيه
اثنا عشر ألف نسمة ليس فيهم غل الاخليفة وأهله وأولاده فأسكنهم دار المظفر بجارة برجوان وكانت تعرف
بدار الضيافة قال ووجد إلى جانب القصر بئر تعرف ببئر الصنم كان الخلفاء يرمون فيها القتلى قبل أن يها
مطلباً وقصد تغويرها قبل انهم معمورة بالجان وقتل عمارها جماعة من أشياعه فردمت وتركها انتهى وكان
صلاح الدين لما أزال الدولة أعطى هذا القصر الكبير لأمراء دولته وأزله في فسكونه وأعطى القصر الصغير
الغربي لآخيه الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب فسكنه وفيه ولده ابنه الكامل ناصر الدين محمد وكان
قد أنزل والده نجم الدين أيوب بن شادى في منظرة اللؤلؤة ولما قبض على الأمير داود بن الخليفة العاضد وكان
ولى عهداً إليه وينعت بالخامد لله اعتقله وجميع أخوته وهم أبو الأمانة جبريل وأبو الفتوح وابنه أبو القاسم
وسليمان بن داود بن العاضد وعبد الوهاب بن إبراهيم بن العاضد واسماعيل بن العاضد وجعفر بن أبي الطاهر
ابن جبريل وعبد الظاهر بن أبي الفتوح بن جبريل بن الحافظ وجماعة فلم يزلوا في الاعتقال بدار المظفر وغيرها
إلى أن انتقل الكامل محمد بن العادل من دار الوزارة بالقاهرة إلى قلعة الجبل فنقل معه ولد العاضد وأخوته
وأولادهم واعتقلهم بها وفيها مات داود بن العاضد ولم يزل بقيتهم معتقلين بالقلعة إلى أن استبدت السلطان
الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى فأمر في سنة ستين بالاشهاد على كمال الدين اسمعيل بن العاضد
وعمد الدين أبي القاسم ابن الأمير أبي الفتوح بن العاضد وبدر الدين عبد الوهاب بن إبراهيم بن العاضد أن جميع
المواضع التي قبل المدارس الصالحية من القصر الكبير والموضع المعروف بالتربة باطنوا ظاهراً بخط الخوخ
السبع وجميع الموضع المعروف بالقصر الباقعي بالخط المذكور وجميع الموضع المعروف بالجباسة بالخط المذكور
وجميع الموضع المعروف بخزان السلاح السلطانية وما هو بخطه وجميع الموضع المعروف بسكن أولاد سنج

النسيخ وغيرهم من القصر الشارح بابه قبالة دار الخديت النبوي الكاملة وجميع الموضع المعروف بالقصر الغربي وجميع الموضع المعروف بدار القنطرة بخط المشهد الحسيني وجميع الموضع المعروف بدار الضيافة بجارية برحوان وجميع الموضع المعروف بدار الذهب بظاهر القاهرة وجميع الموضع المعروف باللوثة وجميع قصر الزمر ذو جميع البستان الكافوري ملك لبيت المال بالنظر المولوي السلطاني الملكي الظاهري من وجه صحيح شرعي لا رجعة لهم فيه ولا لواحد منهم في ذلك ولا في شيء منه ولاه ولا شبهة بسبب يد ولا ملك ولا وجه من الوجوه كلها خلا ما في ذلك من مسجد لله تعالى او مدفن لا ياتهم فأشهد واعلمهم بذلك وورخوا الاشهاد بالثالث عشر من جمادى الاولى سنة ستين وبستمائة وأثبت على يد قاضي القضاة الحاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الشافعي وتقرر مع المذكورين أنه مهنا كان قبضوه من اثمان بعض الاماكن المذكورة التي عاقد عليها وكلاؤهم واتصلوا اليه بحاسبوا به من جملة ما تحرر عنه عند وكيل بيت المال وقبضت ايدي المذكورين عن التصرف في الاماكن المذكورة وغيرها مما هو منسوب الى آباءهم ورسم بيع ذلك فباعه وكيل بيت المال كمال الدين ظافر شيبأ بعد شؤه ونقضت تلك المباني وابتنى في مواضعها على غير تلك الصفة من المساكن وغيرها كما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى وكان هذا القصر يشتمل على مواضع منها * (قاعة الذهب) * وكان يقال لقاعة الذهب قصر الذهب وهو أحد قاعات القصر الذي هو قصر المعز لدين الله معتمد بن قيس قصر الذهب العزيز بالله نزار بن المعز وكان يدخل اليه من باب الذهب الذي كان مقابلا للدار القطبية التي هي اليوم المارستان المنصوري ويدخل اليه أيضا من باب البحر الذي هو الآن تجاه المدرسة السكانية وجدده هذا القصر من بعد العزيز الخليفة المستنصر في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وبهذه القاعة كانت الخلفاء تجلس في الموكب يوم الاثنين ويوم الخميس وبها كان يعمل سباط شهر رمضان للامرء وسباط العيدين وبها كان سرير الملك * (هيئة جلوس الخليفة بمجلس الملك) * قال الفقيه ابو محمد الحسن بن ابراهيم بن زولاق في كتاب سيرة المعز وكان وصول المعز لدين الله الى قصره بمصر في يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر رمضان سنة اثنين وستين وثلاثمائة ولما وصل الى قصره ختر ساجدا ثم صلى ركعتين وصلى بصلاته كل من دخل معه واستقر في قصره بأولاده وحشمه وخواص عبيده والقصر يومئذ يشتمل على ما فيه من عين وورق وجوهر وحلي وفرش وأوان وثياب وسلاح وأسفاط وأعدال وسروج ولحم وبيت المال بحاله بما فيه وفيه جميع ما يكون للملوك وللنصف من رمضان جلس المعز في قصره على السرير الذهب الذي عمله عبده القائد جوهر في الاوان الجديد وأذن بدخول الاشراف اولا ثم اذن بعدهم الاولياء واسائر وجوه الناس وكان القائد جوهر قائما بين يديه يقدم الناس قوما بعد قوم ثم مضى القائد جوهر وأقبل بهديته التي عباها ظاهرة براها الناس وهي من الخيل مائة وخمسون فرسا مبرجة ملحمة منها مذهب ومنها مرصع ومنها مغنير واحد وثلاثون قبة على نوق بخافي بالديباج والمنسطق والفرش منها تسعة بدياج مثقل وتسع فوق مخنوبة مزينة بمثقل وثلاثة وثلاثون بغلا منها سبعة مبرجة ملحمة ومائة وثلاثون بغلا للنقل وتسعون فحشا وأربعة صناديق مشبكة يري ما فيها وفيها أواني الذهب والفضة ومائة سيف محلي بالذهب والفضة ودرجان من فضة مخزقة فيها جوهر وشاشية مرصعة في غلاف واثمان مائة من سبط وتحت فيها سائر ما أعتله من ذخائر مصر * وفي يوم عرفة نصب المعز الشمسية التي عملها للكعبة على ايوان قصره وسعها اثنا عشر شبرا في اثني عشر شبرا وأرضها ديباج أحمر ودورها اثنا عشر هلال ذهب في كل هلال أثر جنة ذهب مسبك جوف كل أثر جنة خمسون درة بكار كبيض الحمام وفيها الياقوت الاحمر والاصفر والازرق وفي دورها كتابة آيات الحج بزمرد أخضر قد فسر وحشوا الكتابة دركبير لم ير مثله وحشوا الشمسية المسك المسحوق براها الناس في القصر ومن خارج القصر لعلو موضعها واتحاف صهيادة فزاشين وجزوها لنقل وزنها * وقال في كتاب الذخائر والتحف وما كان بالقصر من ذلك ان وزن ما استعمل من الذهب الابريز الخالص في سرير الملك الكبير مائة ألف مثقال وعشرة آلاف مثقال ووزن ما حل به السر الذي انشأه سيد الوزراء ابو محمد البازوري من الذهب أيضا ثلاثون ألف مثقال وانه رصع بألف وخمسمائة وستين قطعة جوهر من سائر ألوانه وذكر أن في الشمسية الكبيرة ثلاثين ألف مثقال ذهبا وعشرين ألف درهم مخزقة وثلاثة آلاف وستمائة قطعة جوهر من سائر ألوانه وأنواعه وان في الشمسية التي لم تتم من الذهب

سبعة عشر ألف منقال * وقال المرتضى ابو محمد عبد السلام بن محمد بن الحسن بن عبد السلام بن الطوير
 الفهرى القيسرى فى كتاب نزهة المقلتين فى اخبار الدولتين الفاطمية والصلاحية الفصل
 العاشر فى ذكر هيتهم فى الجالوس العام بمجلس الملك ولا يتعدى ذلك يومى الاثنين والخميس ومن كان أقرب الناس
 اليهم ولهم خدم لا يخرج عنهم ويتنظر لجلوس الخليفة أحد اليومين المذكورين وليس على التوالى بل على
 التقارب فاذا انتهى ذلك فى يوم من هذه الايام استدعى الوزير من داره صاحب الرسالة على الرسم المعتاد فى
 سرعة الحركة فيركب فى اجهته وجاعته على الترتيب المتقدم ذكره يعنى فى ذكر الركوب اول العام وسيأتى
 ان شاء الله تعالى فى موضعه من هذا الكتاب فيسير من مكان ترجله عن دابته بهليل العمود الى مقطع الوزارة
 وبين يديه اجلاء أهل الامارة كل ذلك بقاعة الذهب التى كان يسكنها السلطان بالقصر وكان الجلوس قبل ذلك
 بالايوان الكبير الذى هو خزائن السلاح فى صدره على سرير الملك وهو باقى فى مكانه الى الآن من هذا المكان الى
 آخر ايام المستعلى ثم ان الأمر نقل الجلوس الى هذا المكان واسمه مكتوب بأعلى باذنهجه الى اليوم ويكون
 المجلس المذكور معلقا فيه ستور الديباج شتاء والديبى صيفا وفرش الشتاء بسط الحرير عوضا عن
 الصوف مطابقا لستور الديباج وفرش الصيف مطابقا لستور الديبى ما بين طبرى وطبرستانى مذهب
 معدوم المثل وفى صدره المرتبة المؤهلة لجلوسه فى هيئة جليلة على سرير الملك المغشى بالقرقوبى فيكون وجه
 الخليفة عليه قبالة وجوه الوقوف بين يديه فاذا انتهى الجلوس استدعى الوزير من المقطع الى باب المجلس المذكور
 وهو مغلق وعليه سترقة تف بحدائه وعن يمينه زمام القصر وعن يساره زمام بيت المال فاذا انتصب الخليفة على
 المرتبة وضع أمين الملك مقلع أحد الاستاذين المحنكين الخواص الدواة مكانها من المرتبة وخرج من المقطع
 الذى يقال له فرد الكم فاذا الوزير واقف أمام باب المجلس وحواليه الامراء المطوقون ارباب الخدم الجليلة
 وغيرهم وفى خلالهم قراء الحضرة فيشير صاحب المجلس الى الاستاذين فيرفع كل منهم جانب الستر فيظهر
 الخليفة جالسا بمنصبه المذكور فتستفتح القراءة بقراءة القرآن الكريم ويسلم الوزير بعد دخوله اليه فيقبل يديه
 ورجليه ويتأخر مقدار ثلاثة اذرع وهو قائم قدر ساعة زمانية ثم يؤمر بأن يجلس على الجانب الايمن وتطرح له
 مخدة شريفا ويقف الامراء فى اماكنهم المقررة فصاحب الباب واسفهلار العساكر من جانبي الباب يمينا
 ويسارا ويلهم من خارجه لامقابعتنه زمام الأمر به والحاظية كذلك ثم يرتهم على مقاديرهم فكل واحد
 لا يتعدى مكانه هكذا الى آخر الرواق وهو الافرنجى العالى عن أرض القاعة ويعاونه السباط على عقود القناطر
 التى على العهد هناك ثم ارباب القصب والعماريات يمينه ويساره كذلك ثم الامائل والاعيان من الاجناد
 المترشحين للتقدمة ويقف مستندا للمصدر الذى يقابل باب المجلس بواب الباب والحجاب لصاحب الباب
 فى ذلك المثل الدخول والخروج وهو الموصل عن كل قائل ما يقول فاذا انتظم ذلك النظام واستقر بهم المقام
 فأول ماثل للندمة بالسلام قاضى القضاء والشهود المعروفون بالاستخدام فيحيز صاحب الباب القاضى دون
 من معه فيسلم متأدبا ويقف قريبا ومعنى الادب فى السلام انه يرفع يده اليمنى ويشير بالسجدة ويقول بصوت
 مسموع السلام على امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فيتخصص بهذا الكلام دون غيره من اهل السلام ثم يسلم
 بالاشراف الاقارب زمامهم وهم من الاستاذين المحنكين والاشراف الطالبين تقيهم وهم من الشهود المعتدلين
 وتارة يكون من الاشراف المميزين فيمضى عليهم كذلك ساعتان زمانيتان او ثلاث ويخص بالسلام فى ذلك
 الوقت من خلع عليه لقوص او الشرقية او الغربية او الاسكندرية فيسترفون بتقبيل القبعة فان دعت حاجة
 الوزير الى مخاطبة الخليفة فى أمر قام من مكانه وقرب منه منحنيا على سيفه فيضاطبه مرة او مرتين ثم يؤمر
 الحاضرون فيخرجون حتى يكون آخر من يخرج الوزير بعد تقبيل يده الخليفة ورجله ويخرج فيركب على عادته
 الى داره وهو مخدوم باؤلك ثم يرخى الستر ويغلق باب المجلس الى يوم مثله فيكون الحال كما ذكر ويدخل الخليفة
 الى مكانه المستقر فيه ومعه خواص استاذيه وكان أقرب الناس الى الخلفاء الاستاذون المحنكون وهم اصحاب
 الانس لهم ولهم من الخدم ما لا يتطرق اليه سواهم ومنهم زمام القصر وشاد الساج الشريف وصاحب بيت
 المال وصاحب الدفترو صاحب الرسالة وزمام الاشراف الاقارب وصاحب المجلس وهم المطلعون على أسرار
 الخليفة وكانت لهم طريقة معجودة فى بعضهم بعضا منها انه متى ترشح استاذ التحنيك وحك جل اليه كل

واحد من المحنكين بدلة من ثياب ومنديل وفراش وسيفاً فيصيح لاحتجاجهم وفي يديه مثل ما في أيديهم وكان لا يركب أحد في القصر الا الخليفة ولا ينصرف ليلاً ونهاراً الا كذلك وله في الليل شذادات من النساء يخدمن البغلات والحجيرات الجوار في السرايب القصيرة الاقباء والطاوع على الزلاقات الى أعلى المناظر والاماكن وفي كل محلة من محلات القصر فسقية مملوءة بالماء خيفة من حدوث حريق في الليل

* كيفية سماط شهر رمضان بهذه القاعة *

قال ابن الطوير فاذا كان اليوم الرابع من شهر رمضان رتب عمل السماط كل ليلة بالقاعة بالقصر الى السادس والعشرين منه ويستدعى له قاضي القضاة ليلالي الجمع توقيراً له فأما الامراء ففي كل ليلة منهم قوم بالنوبة ولا يحرمونهم الافطار مع أولادهم وأهاليهم ويكون حضورهم بمسطور يخرج الى صاحب الباب واسفهم سلاسه فيعرف صاحب كل نوبة ليلته فلا يتأخر ويحضر الوزير فيجلس صدره فان تأخر كان ولده أو أخوه وان لم يحضر أحد من قبله كان صاحب الباب ويهتم فيه اهتماماً عظيماً تاماً بحيث لا يفوته شيء من أصناف المأكولات الفاخرة والاعذية الرائقة وهو مبسوط في طول القاعة مآذ من الرواق الى ثلثي القاعة المذكورة والقراشون قيام لخدمة الحاضرين وحواشي الاستاذين يحضرون الماء المخزفي كيزان الخزف يرسم الحاضرين ويصنعون انصافهم العشاء الآخرة فيجمعهم ذلك ويوصل منه شيء الى أهل القاهرة من بعض الناس لبعض وبأخذ الرجل الواحد ما يكفي جماعة فاذا حضر الوزير أخرج اليه مما هو بمحضرة الخليفة وكانت يده فيه تشير بفاله وتطيبها لنفسه ويرعاه لصوره من خاص ما يعين لصور الخليفة نصب واقر ثم يتفرق الناس الى اماكنهم بعد العشاء الآخرة بساعة او ساعتين قال ومبلغ ما يتفق في شهر رمضان لسماطه مدة سبعة وعشرين يوماً ثلاثة آلاف دينار

* (عمل سماط عيد الفطر بهذه القاعة) *

قال الامير المختار عز الملك بن عبيد الله بن احمد بن اسمعيل بن عبد العزيز المسيحي في تاريخه الكبير وفي آخر يوم منه يعني شهر رمضان سنة ثمانين وثلثمائة حل يانس الصقلي صاحب الشرطة السفلى السماط وقصور السكر والتماثيل وأطباء قافيتها عمائل حلاوى وحل أيضاً على بن سعد المحتسب القصور وعمائل السكر * وقال ابن الطوير فأما الاسمطة الباطنة التي يحضرها الخليفة بنفسه في يوم عيد الفطر اثنان ويوم عيد النحر واحد فأما الأول من عيد الفطر فانه يعين في الليل بالايوان قدام الشباك الذي يجلس فيه الخليفة فيمده ما مقداره ثلثمائة ذراع في عرض سبعة أذرع من الخشكان والفايز والبسند والمقدم ذكره له بدار الفطرة فاذا صلى الفجر في أول الوقت حضر اليه الوزير وهو جالس في الشباك ومكن الناس من ذلك المجدود فأخذ وحل ونهب فياً خذ من يأكله في يومه ومن يتخره لغده ومن لا حاجة له به فيبعه ويتسلط عليه أيضاً حواشي القصر المقيمون هنالك فاذا فرغ من ذلك وقدر غت الشمس ركب من باب الملك بالايوان وخرج من باب العيد الى المصلى والوزير معه كما وصفنا في هيئة ركوب هذا العيد في فصله محظية القاعة الذهب لسماط الطعام فينصب له سرير الملك قدام باب المجلس في الرواق وينصب فيه مائدة من فضة ويقال لها المدورة وعليها اواني الفضييات والذهبيات والنصبي الحاوية للطعمة الخاصة بالصائحة الطيب الشهية من غير خضراوات سوى الدجاج القاتن المسمن المعمول بالامزجة الطبية النافعة ثم نصب السماط أمام السرير الى باب المجلس قبالة ويعرف بالحول طول القاعة وهو اليوم الباب الذي يدخل منه اليها من باب البحر الذي هو باب القصر اليوم والسماط خشب مدهون شبه الدك اللاطية فصير من جمعه للاواني سماطاً عاليه في ذلك الطول وبعض عشرة أذرع فيقرش فوق ذلك الازهار ويرص الخبز على حافيه سواميد كل واحد ثلاثة ارطال من نقي الدقيق ويدهن وجهها عند خبزها بالماء فيحصل لها برق ويحسن منظرها ويعد داخل ذلك السماط على طوله باحد وعشرين طبقاً في كل طبق احدى وعشرون ثياباً مشوية وفي كل من الدجاج والقراريح وفراخ الحمام ثلثمائة وخمسون طائراً فيطبق طائلاً مستطيلاً فيكون كقامة الرجل الطويل ويسور بشرائح الخلاء اليابسة ويرزين بألوانها المصبغة ثم يستخلل تلك الاطباق بالعمون الخزفية التي في كل واحد منها سبع دجاجات وهي مترعة بالالوان الفاخرة من الخلاء

المائة والظبا هجة المشقة والطيب غالب على ذلك كله فلا يبعد أن تشاهد عدة الصمون المذكورة خمسمائة صحن ويرتب ذلك أحسن ترتيب من نصف الليل بالقاعة الى حين عود الخليفة من المصلى والوزير معه فاذا دخل القاعة وقف الوزير على باب دخول الخليفة لينزع عنه الثياب العبدية التي في عمامته السمكة ويلبس سواها من خراش الكسوات الخاصة التي قدمنا ذكرها وقد عمل بدار الفطرة قصران من حاوى فى كل واحد سبعة عشر قطارا وحملاتهم ما واحد يحضى به من طريق قصر الشوك الى باب الذهب والاخر يشق به بين القصرين يحملهما العتالون فينصبان اول السباط وآخره وهما شكل ملج مد هوان بأوراق الذهب وفيهما شخصون ناتئة كأنها مسبوكة في قوالب لواحها فاذا عبر الخليفة راكبا ونزل على السرير الذى عليه المدورة الفضة وجلس قام على رأسه أربعة من كبار الاستاذين المختكين وأربعة من خواص القرائين ثم يستدعى الوزير فيطلع اليه ويجلس عن يمينه ويستدعى الامراء المطوقين ومن يليهم من الامراء دونهم فيجلسون على السباط كقيامهم بين يديه فياكل كل من اراد من غير الزام فان في الحاضرين من لا يعتقد الفطر في ذلك اليوم فيستولى على ذلك الممول الاككون ويقل الى دار ارباب الرسوم ويباح فلا يبقى منه الا السباط فقط فيم اهل القاهرة ومصر من ذلك نصيب واخر فاذا انقضى ذلك عند صلاة الظهر انفض الناس وخرج الوزير الى داره مخدوما بالجماعة الحاضرين وقد عمل سباطا لاهل وحواشيهم ومن يعز عليه لا يلحق بأيسر يسير من سباط الخليفة وعلى هذا العمل يكون سباط عيد النحر اول يوم منه وركوبه الى المصلى كما ذكرنا لا يخرج عن هذا المنوال ولا ينقص عن هذا المثال ويكون الناس كلهم مقطرين ولا يفوت أحدا منهم شيء كما ذكرنا في عيد الفطر قال وبلغ ما ينفق في سباطى الفطر والاضحى أربعة آلاف دينار وكان يجلس على اسطة الاعباد في كل سنة رجلان من الاجناد يقال لاحدهما ابن فائز والاخر الدبلى - يأكل كل واحد منهما خروفا مشويا وعشر دجاجات محلاة وجام حلوى عشرة ارطال ولهما رسوم تحمل اليهما بعد ذلك من الاسطحة ليبيتوا ودناير وافرقة على حكم الهبة وكان أحدهما اسر بعقلان في تجريدة جرد اليها وأقام مدة في الاسرافاتفق انه كان عندهم عمل سمين فيه عدة قناطر لم فقال له الذى اسره وهويده اعبه ان اكلت هذا العجل أعقتك ثم ذبحه وسوى له وأطعمه حتى أفى على جميعه فوفى له واعتقه فقدم على اهله بالقاهرة ورأته يأكل على السباط

* (الايوان الكبير) *

قال القاضي الرئيس محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر الروحى الكاتب في كتاب الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة الايوان الكبير بناء العزيز بالله ابو منصور نزار بن المعز لدين الله معه في سنة تسع وستين وثلثمائة انتهى وكان الخلفاء أولا يجلسون به في يومى الاثنين والخميس الى أن نقل الخليفة الأمر بأحكام الله الجلوس منه في اليومين المذكورين الى قاعة الذهب كما تقدم وبصدر هذا الايوان كان الشباك الذى يجلس فيه الخليفة وكان بهلوهذا الشباك قبة وفي هذا الايوان كان يمتد سباط الفطرة بكرة يوم عيد الفطر كما تقدم وبه أيضا كان يعمل الاجتماع والخطبة في يوم عيد الغدير وكان بجانب هذا الايوان الدواوين وكان بهذا الايوان ضلع اسمة اذا اقيما واربيا القارس بفرسه ولم ير الا حتى بعثهما السلطان صلاح الدين يوسف الى بغداد في هدية * (عيد الغدير) * اعلم أن عيد الغدير لم يكن عيدا مشروعا ولا عمله أحد من سالف الامة المقتدى بهم وأول ما عرف في الاسلام بالعراق ايام معز الدولة على بن بويه فانه أحدثه في سنة اثنين وخمسين وثلثمائة فاتخذ الشيعه من حينئذ عيدا وأصلهم فيه ما خرج الامام احمد في مسنده الكبير من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرنا فقرأنا بغدير حم ونودي الصلاة جامعة وكسح لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد على بن ابي طالب رضى الله عنه فقال أستم تعلمون أنى اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا بلى قال أستم تعلمون أنى اولى بكل مؤمن من نفسه قالوا بلى فقال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال فلقبه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال هنيئا لك يا ابن ابي طالب أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة * (وغدير حم) * على ثلاثة اصيل من الجلفة يسرة الطريق ونصب فيه عين وحوله شجر كثير ومن سنتهم في هذا العيد وهو ابداء يوم الثامن عشر

من ذى الحجة أن يجيئوا باليلة بالصلاة ويصاوا في صبحته ركعتين قبل الزوال ويلبسوا فيه الجديد ويعتقوا الرقاب ويكثروا من عمل البر ومن الذبايح ولما عمل الشيعة هذا العيد بالعراق ارادت عوام السنة مضاهاة فعلهم ونكاليهم فالتخذوا في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة بعد عيد الغدير ثمانية ايام عيداً اكثر وافيه من السرور والمهوى وقالوا هذا يوم دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه وبالعراق في هذا اليوم في اظهار الزينة ونصب القباب وايقاد النيران ولهم في ذلك أعمال مذكورة في أخبار بغداد *

وقال ابن زولاق وفي يوم ثمانية عشر من ذى الحجة سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وهو يوم الغدير تجمع خلق من اهل مصر والمغاربة ومن تبعهم للدعاء لانه يوم عيد لان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فيه واستخلفه فأعجب المعز ذلك من فعلهم وكان هذا الأول ما عمل بمصر * قال المسبجي وفي يوم الغدير وهو ثامن عشر ذى الحجة اجتمع الناس بجامع القاهرة والقراء والفقهاء والمنشدون فكان جمعا عظيما اتفاموا الى الظاهر ثم خرجوا الى القصر فخرجت اليهم الجارية وذكر أن الحاكم بأمر الله كان قد منع من عمل عيد الغدير قال ابن الطوير اذا كان العشر الاوسط من ذى الحجة اهتم الامراء والاجناد بركوب عيد الغدير وهو في الثامن عشر منه وفيه خطبة وركوب الخليفة بغير مظلة ولا سمة ولا خروج عن القاهرة ولا يخرج لأحد شيء فاذا كان ذلك اليوم ركب الوزير بالاستدعاء الجارية به العادة فيدخل القصر وفي دخوله بروز الخليفة لركوبه من الكرسي على عادته فيخدم ويخرج ويركب من مكانه من الدهليز ويخرج فيقف قبالة باب القصر ويكون ظهره الى دار غفر الدين جهار كس اليوم ثم يخرج الخليفة راكبا أيضا فيقف في الباب ويقال له القوس وحواليه الاستاذون المختكون رجاله ومن الامراء المطوقين من يأمره الوزير باشارة خدمة الخليفة على خدمته ثم يجوز زى كل من له زى على مقدار هتمه فأول ما يجوز زى الخليفة وهو الظاهر في ركوبه فيجند الجنائب الخاص التي قدمنا ذكرها اولاً ثم زى الامراء المطوقين لانهم علمانه واحد افراد بعددهم وأسلمتهم وجنائبهم الى آخر أبواب القصب والعمارات ثم طواف العسكر أزمتها أمامها وأولادهم مكانهم لانهم في خدمة الخليفة وقوف بالباب طائفة طائفة فيكونون اكثر عددا من خمسة آلاف فارس ثم المترجلة المائة بالقيس بالايدي والارجل وتكون عدتهم قريبا من ألف ثم الراجل من الطواف الذين قدمنا ذكرهم في الركوب فتكون عدتهم قريبا من سبعة آلاف كل منهم بزمام وبنود ورايات وغيرها بترتيب ملج مستحسن ثم يأتي زى الوزير مع ولده أو أحد أقاربه وفيه جماعته وحاشيته في جمع عظيم وهيئة هائلة ثم زى صاحب الباب وهم اصحابه وأجناده وتواب الباب وسائر الحجاب ثم يأتي زى اسفهلار العسكر بأصحابه وأجناده في عدة واخرة ثم يأتي زى والى القاهرة وزى والى مصر فاذا فرغوا خرج الخليفة من الباب والوقوف بين يديه مشاة في ركابه خارجا عن صبيان ركابه الخاص فاذا وصل الى باب الزهومة بالقصر انعطف على يساره داخل من الدرب هناك جائزا على الخوخ فاذا وصل الى باب الديلم الذي داخله المشهد الحسيني فيجدي دهليز ذلك الباب قاضي القضاة والشهود فاذا وازاهم خرجوا للخدمة والسلام عليه فيسلم القاضي كما ذكرنا من تقبيل رجله الواحدة التي تليه والشهود أمام رأس الدابة بمقدار قصبه ثم يعودون ويدخلون من ذلك الدهليز الى الايوان الكبير وقد علق عليه الستور القرقوبية جميعه على سعته وغير القرقوبية سسترا فسترا ثم يعلق بداره على سعته ثلاثة صفوف الاوسط طوارق فارسيات مدهونة والاعلى والاسفل درق وقد نصب فيه كرمي الدعوة وفيه تسع درجات خطابة الخطيب في هذا العيد فيجلس القاضي والشهود تحته والعالم من الامراء والاجناد والمتشيعين ومن يرى هذا الرأي من الاكابر والاصاغر فيدخل الخليفة من باب العيد الى الايوان الى باب الملك فيجلس بالشباب وهو ينظر القوم ويخدمه الوزير عند ما ينزل ويأتي هو ومن معه فيجلس بمفرده على يسار منبر الخطيب ويكون قد سير خطيبه بدله حرير يخطب فيها وثلاثون دينا او يدفع له كراس محتر من ديوان الانشاء يتضمن نص الخلافة من النبي صلى الله عليه وسلم الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه بزعمهم فاذا فرغ ونزل صلى قاضي القضاة بالناس ركعتين فاذا قضيت الصلاة قام الوزير الى الشباب فيخدم الخليفة وينقض الناس بعد التهاى من الاسماعيلية بعضهم بعضا وهو عندهم أعظم من عيد النحر ويخرج فيه اكثرهم قال وكان الحافظ لدين الله ابو الميمون عبدا لجيد لما سلم من يد أبي علي بن الفضل الملقب بكيفيات لما وزرله وخرج عليه

عمل عبدا في ذلك اليوم وهو السادس عشر من المحرم من غير كسوة ولا حركة بل ان الايوان باقى على فرشه
وتعليقه من يوم الغدير فيفرش المجلس المحول اليوم في الايوان الذى بابه خورنق وكان يقابل الايوان الكبير
الذى هو اليوم خزان السلاح بأحسن فرش وينصب له مرتبة هائلة قريبا من بابه فحينئذ يجتمع ارباب الدولة
سيافا وقلبا ويحضرون الى الايوان الى باب الملك المجاور للشباب فيخرج الخليفة راكبا الى المجلس فيترجل على
بابه وبين يديه الخواص فيجلس على المرتبة ويقفون بين يديه صفين الى باب المجلس ثم يجلس قدامه كرسي الدعوة
وعليه غشاء قرقوبي وحواليه الامراء الاعيان وارباب الرتب فيصعد قاضي القضاة ويخرج من كبراسة
مسطحة تتضمن فصولا كالفرج بعد الشدة بنظم ملج يذكرفيه كل من اصابه من الانبياء والصالحين والملوك شدة
وقترج الله عنه واحدا فواحد حتى يصل الى الحافظ وتكون هذه الكراسية محمولة من ديوان الانشاء فاذا
تكاملت قراءتها نزل عن المنبر ودخل الى الخليفة ولا يكون عنده من الثياب أجل مما لبسه ويكون قد حل الى
القاضي قبل خطابه بدلة مميزة بلبسها الخطابة ويوصل اليه بعد الخطابة خسون دينار * وقال الامير جمال الدين
ابو علي موسى بن المأمون أبي عبد الله محمد بن فاتك بن مختار البطائحي في تاريخه واستهل عيد الغدير يعني من
سنة ست عشرة وخمسمائة وهاجر الى باب الاجل يعني الوزير المأمون البطائحي الضعفاء والمساكين من البلاد
ومن انضم اليهم من العوالي والادوان على عادتهم في طلب الحلال وتزويج الايتام وصار موسما برصده كل أحد
ويرتقبه كل غني وفقير فخرى في معرفته على رسمه وبالغ الشعراء في مدحه بذلك ووصلت كسوة العبد
المدكور فحمل ما يختص بالخليفة والوزير وأمر بتفرقة ما يختص بأزمنة العساكر فارسمها وارجلها من عين
وكسوة ومبلغ ما يختص بهم من العين سبعمائة وتسعون ديناراً ومن الكسوة مائة وأربع وأربعون قطعة
والهيئة المختصة بهذا العيد رسم كبراء الدولة وشيوخها وامراتهم وضيوفها والاستاذين المحمدين والمميزين
منهم خارجا عن اولاد الوزير واخوته ويفترق من مال الوزير بعد الخلع عليه ألفان وخمسمائة دينار وثمانون ديناراً
وأمر بتعليق جميع ابواب القصور وتفرقة المؤذنين بالجوامع والمساجد عليها وتقدم بأن تكون الاسمطة بقاعة
الذهب على حكم سماط اول يوم من عيد النحر وفي بكر هذا اليوم توجه الخليفة الى الميدان وخرج ماجرت به
العادة وخرج الجزارون بعده مثل عدد الكباش المذبوحة في عيد النحر وأمر بتفرقة ذلك للخصوس دون
العموم وجلس الخليفة في المنطرة وخدمت الرحبة وتقدم الوزير والامراء وسلوا فلما حان وقت الصلاة
والمؤذنون على ابواب القصر يكبرون تكبير العيد الى أن دخل الوزير فوجد الخطيب على المنبر قد فرغ فقتدم
القاضي ابو الحجاج يوسف بن ايوب فصلى به وبالجاعة صلاة العيد وطلع الشريف بن انس الدولة وخطب خطبة
العيد ثم توجه الوزير الى باب الملك فوجد الخليفة قد جلس قاصداً للقاءه وقد ضربت المقدمة فأمره بالمضي
اليها وطلع عليه خلعة مكدلة من بدلات النحر وثوبها الحر بالشدة الدائمة وقلده سيفاً من صلبا بالساقوت والجوهر
وعند ما نهض ليقبل الارض وجده قد أعتله العقد الجواهر وربطه في عنقه بيده وبالغ في اكرامه وخرج
من باب الملك فلتقاء المقرَّبون وسارع الناس الى خدمته وخرج من باب العبد واولاده واخوته والامراء
المميزون بحجبه وخدمت الرحبة وضربت العربية والموكب جميعه بزيه وقد اصطفيت العساكر وتقدم الى
ولده بالجلوس على اسمطته وتفرقت ابرسومها وتوجه الى القصر واستفتح المقرَّبون فسلم الحاضرون وجرى الرسم
في السماط الاول والثاني وتفرقة الرسوم والموائد على حكم اول يوم من عيد النحر وتوجه الخليفة بعد ذلك الى
السماط الثالث الخاص بالدار الجلييلة لا قاربه وجلسته ولما انقضى حكم التعيين جلس الوزير في مجلسه
واستفتح المقرَّبون وحضر الكبراء وياض البلد لئلا يتهنى بالعيد والخلع وخرج الرسم وتقدم الشعراء فأشدوا
وشرحوا الحال وحضر متولى خزائن الكسوة الخاص بالثياب التي كانت على المأمون قبل الخلع وقبضوا الرسم
الجاري به العادة وهو مائة دينار وحضر متولى بيت المال وصحبته صندوق فيه خمسة آلاف دينار برسم فكلالة
العقد الجواهر والسيف المرصع فأمر الوزير المأمون الشيخ أبا الحسن بن أبي اسامة كاتب الدست الشريف
بكتب مطالعة الى الخليفة بما حل اليه من المال برسم مندبل الكم وهو ألف دينار ورسم الاخوة والاقراب ألف
دينار وتسلم متولى الدولة بقية المال ليفترق على الامراء المطوقين والمميزين والضيوف والمستخدمين
* (المحول) * قال ابن عبد الظاهر المحول هو مجلس الداعي ويدخل اليه من باب الريح وبابه من باب البحر

ويعرف بقصر البحر وكان في اوقات الاجتماع يصلي الداعي بالناس في رواقه * وقال المسيحي وفي ربيع الاول يعني من سنة خمس وعشرين وثلثمائة جلس القاضي محمد بن النعمان على كرسى بالقصر لقراءة علوم آل البيت على الرسم المعتاد المتقدم له ولاخيه بمصر ولايه بالمغرب فبات في الزجعة أحد عشر رجلا فكفهم العزيز بالله وقال ابن الطوير وأما دأى الدعاة فانه يلى قاضى القضاة في الرتبة ويتزيار فيه في اللباس وغيره ووصفه أنه يكون عالما بجميع مذاهب اهل البيت يقرأ عليه ويأخذ العهد على من ينتقل من مذهبه الى مذهبهم وبين يديه من نقباء العلين اثنا عشر تقيبا وله ثواب كنواب الحكم في سائر البلاد ويحضر اليه فقهاء الدولة واهم مكان يقال له دار العلم ولجاعة منهم على التصدير بها أرزاق واسعة وكان الفقهاء منهم يتفقون على دقريقال له مجلس الحكمة في كل يوم اثنين وخميس ويحضر مبيضا الى دأى الدعاة فينفذه اليهم ويأخذهم منهم ويدخل به الى الخليفة في هذين اليومين المذكورين فيتلوه عليه ان أمكن ويأخذ علامته بظاهره ويجلس بالقصر لتلاوته على المؤمنين في مكانين للرجال على كرسى الدعوة بالايمان الكبير وللنساء مجلس الدأى وكان من اعظم المباني وأوسعها فاذا فرغ من تلاوته على المؤمنين والمؤمنات حضر واليه لتقبيل يديه فيمسح على رؤسهم بمكان العلامة أعنى خط الخليفة وله أخذ التجوى من المؤمنين بالقاهرة ومصر وأعمالهما لاسما الصعيد وبلغها ثلاثة دراهم وثلاث فيجتمع من ذلك شئ كثير يحمله الى الخليفة بيده بينه وبينه وأمانته في ذلك مع الله تعالى فيفرض له الخليفة منه ما يعينه انفسه وللنقباء وفي الاسماعيلية الممولين من يحمل ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلاثي دينار على حكم التجوى وصحبة ذلك رقعة مكتوبة باسمه فيتميز في المحول فيخرج له علم اخط الخليفة بارك الله فيك وفي مالك وولدك ودينك فيذكر ذلك ويتفاخر به وكانت هذه الخدمة متعلقة بقوم يقال لهم بنو عبد القوى أباعن جد آخرهم المجلس وكان الافضل بن امير الجيوش نفاهم الى المغرب فولد المجلس بالمغرب وربى به وكان يميل الى مذهب اهل السنة وولى القضاء مع الدعوة وادركه أسد الدين شيركوه وأكرمه وجعله واسطة عند الخليفة اعاضد وكان قد حجز على العاضد ولولاه لم يبق في الخزانة شئ لكرمه وكانه علم أنه آخر الخلفاء * قال المسيحي وكان الدأى يواصل الجلوس بالقصر لقراءة ما يقرأ على الاولياء والدعوى المتصلة فكان يفرق الاولياء مجلسا وللخاصة وشيوخ الدولة ومن يختص بالقصور من الخدم وغيرهم مجلسا ولعوام الناس وللطائفة من على البلد مجلسا وللنساء في جامع القاهرة المعروف بالجامع الازهر مجلسا وللحرم وخواص نساء القصور مجلسا وكان يعمل المجالس في داره ثم سقذها الى من يختص بخدمة الدولة ويتخذ لهذه المجالس كتباً يبضونها بعد عرضها على الخليفة وكان يقبض في كل مجلس من هذه المجالس ما يتحصل من التجوى من كل من يدفع شئاً من ذلك عينا وورقاً من الرجال والنساء ويكتب أسماء من يدفع شئاً على ما يدفعه وكذلك في عيد الفطر يكتب ما يدفع عن الفطرة ويحصل من ذلك مال جليل يدفع الى بيت المال شئاً بعد شئ وكانت تسمى مجالس الدعوة بمجالس الحكمة وفي سنة اربعمائة كتب سجل عن الحاكم بأمر الله فيه رفع الخمس والزكاة والفطرة والتجوى التي كانت تحمل ويتقرب بها وتجري على ايدى القضاة وكتب سجل آخر قطع مجالس الحكمة التي تقرأ على الاولياء يوم الخميس والجمعة انتهى ووظيفة دأى الدعاة كانت من مفردات الدولة الفاطمية وقد نلصت من أمر الدعوة طرفا احببت ايراده هنا * (وصف الدعوة وترتيبها) * وكانت الدعوة مرتبة على منازل دعوة بعد دعوة * (الدعوة الاولى) * سؤال الدأى ان يدعو الى مذهبه عن المشكلات وتأويل الآيات ومعاني الامور الشرعية وشئ من الطبيعيات ومن الامور الغامضة فان كان المدعو عارفاً سلم له الدأى والتركه يعمل فكره فيما ألقاه عليه من الاسئلة وقال له يا هذا ان الدين لمكتوم وان الاكثر له منكرون وبه جاهلون ولو علمت هذه الامة ما خص الله به الائمة من العلم لم تختلف فيشوق حينئذ المدعو الى معرفة ما عند الدأى من العلم فاذا علم منه الاقبال أخذ في ذكر معاني القراءات وشرائع الدين وتقرير أن الآفة التي نزلت بالامة وشئت الكلمة وأورثت الاهواء المضلة ذهاب الناس عن أئمة نصبوا لهم واقبوا حافطين لشرائعهم يؤدونها على حقيقة ما يحفظون معانيها ويعرفون بواطنها غير أن الناس لما عدلوا عن الائمة ونظروا في الامور بربعة اولهم واتبعوا ما حسن في رأيهم وقلدوا سفلتهم واطاعوا ساداتهم وكبراءهم اتساعا للملوك وطلبا للدنيا التي هي ايدى متبهي الانم واجناد الظلمة واعوان الفسقة الذين يحبون العاجلة ويجهلون في طلب الرئاسة على الضعفاء

ومكيدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته وتغيير كتاب الله عز وجل وتبديل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفة دعوته وفساد شريعته وسلوك غير طريقته ومعاندة الخلفاء الأئمة من بعده بمحتر من قبل ذلك وصار الناس إلى أنواع الضلالات فان دين محمد صلى الله عليه وسلم ماجأ بالخلي ولا بأمانى الرجال ولا شهوات الناس ولا بما خف على الالسنه وعرفته دهماء الغامة ولكنه صعب مستصعب وامر مستعجل وعلم خفى غامض ستره الله في حجه وعظم شأنه عن ابتدال أسرار الله فهو سر الله المكتوم وأمره المستور الذى لا يطبق حله ولا ينهض بأعبائه وثقله الاممك مقرب اوتنبي مرسل او عباد مؤمن امتحن الله قلبه للتعوى فاذا ارتبط المدعو على الداعي وأنس له نقله الى غير ذلك * فمن مسائلهم مامعنى رعى الجمار والعدوين المصفا والمروءة ولم كانت الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة وما بال الجنب يغتسل من ماء دافق يسير ولا يغتسل من البول النجس الكثير القذر وما بال الله خلق الدنيا في ستة ايام أعجز عن خلقها في ساعة واحدة وما معنى الصراط المضروب في القران مثلاً والكاتبين الحافظين وما لنا لا نراهما أخاف أن نكابه ونجاحده حتى ادلى العيون وأقام علينا الشهود وقيد ذلك في القرطاس بالكتابة وما تبديل الارض غير الارض وما عذاب جهنم وكيف يصح تبديل جلد مذنب بجلد لم يذنب حتى يعذب وما معنى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وما ابليس وما الشياطين وما وصفوا به وأين مستقرهم وما مقدار قدرهم وماياً جوج وما جوج وهاروت وماروت وأين مستقرهم وما سبعة ابواب النار وما ثمانية ابواب الجنة وما شجرة الرقوم النابتة في الجحيم وما دابة الارض ورؤس الشياطين والشجرة الملعونة في القران والتين والزيتون وما الخفس الكنس وما معنى الم والمص وما معنى كهيص وجعص ولم جعلت السموات سبعة والارضون سبعة والمثاني من القران سبع آيات ولم فجرت العيون اثنتي عشرة عيناً ولم جعلت الشهور اثني عشر شهراً وما يعمل معكم عمل الكتاب والسنة ومعاني الفرائض اللازمة فكروا اتوا في انفسكم أين تأروا حكم وكيف صورها وأين مستقرها وما قول أمرها والانسان ما هو وما حقيقته وما الفرق بين حياته وحياة البهائم وفضل ما بين حياة البهائم وحياة الحشرات وما الذى بان به حياة الحشرات من حياة النبات وما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت حواء من ضلع آدم وما معنى قول الفلاسفة الانسان عالم صغير والعالم انسان كبير ولم كانت فامة الانسان منتصبه دون غيره من الحيوانات ولم كان في يديه من الاصابع عشر وفي رجله عشر أصابع وفي كل اصبع من اصابع يديه ثلاثة شقوق الا الابهام فان فيه شقين فقط ولم كان في وجهه سبع ثناب وفي سائر بدنه ثنابان ولم كان في ظهره اثنتا عشرة عقدة وفي عنقه سبع عقد ولم جعل عنقه صورة ميم ويدها ماء وبطنه ميماً ورجلاه دالا حتى صار ذلك كما امر سوما يترجم عن محمد ولم جعلت قامته اذا اتصب صورة الف واذا ركع صارت صورة لام واذا سجد صارت صورة هاء فكان ككبا يدل على الله ولم جعلت اعداد عظام الانسان ككذا وأعداد أسنانه كذا والاعضاء الرئيسة كذا الى غير ذلك من التشرىح والقول في العروق والاعضاء ووجوه منافع الحيوان ثم يقول الداعي الاتفكرون في حالكم وتعتبرون وتعلمون أن الذى خلقكم حكيم غير مجازف وانه فعل جميع ذلك لحكمة وله فيها أسرار خفية حتى جمع ما جمع وفتر ما فتر فكيف يعكم الاعراض عن هذه الامور وانتم تسمعون قول الله عز وجل وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تصرون ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتفكرون سترهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يبين لهم أنه الحق فأى شئ راء الكفار في انفسهم وفي الآفاق حتى عرفوا أنه الحق وأى حق عرفه من جدد الديانة ألا يدل لكم هذا على أن الله جل اسمه اراد أن يرشدكم الى بواطن الامور الخفية وأسرارها مكتومة لو تنبهتم لها وعرفتموها زالت عنكم كل حيرة ودحضت كل شبهة وظهرت لكم المعارف السنية ألا ترون انكم جهلتم انفسكم التي من جهلها كان حرياً أن لا يعلم غيرها اليس الله تعالى يقول ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى وأضل سبيلاً ونحو ذلك من تأويل القران وتفسير السنن والاحكام وارااد ابواب من التجويز والتعليل فاذا علم الداعي أن نفس المدعو قد تعلقت بما حمله عنه وطلب منه الجواب عنها قال له حينئذ لا تعجل فان دين الله اعلى وأجل من أن يبدل لغير أهله ويجبعل غرضاً للعب وجرى عادة الله وسنته في عبادته عند شرع من نصبه أن يأخذ العهد على من يرشده ولذلك قال واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً وقال

عز وجل من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمن من قضى نحبهم ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا وقال جل جلاله يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالثي تقضت غزلهما من بعد قوة انكما وقال لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل ومن أمثل هذا فقد أخبر الله تعالى أنه لم يملك حقه إلا من أخذ عهده فأعطنا صفقة يمينك وعاهدنا بالموكد من أيمانك وعقودك أن لا تنقضوا لناسرا ولا نظاهر علينا أحدا ولا تطلب لنا غيلة ولا تكتمنا نصحا ولا توالى لنا عدوا فإذا أعطى العهد قال له الداعي أعطنا جعلنا من مالك نجعله مقدمة أمام كشفنا لك الأمور وتعرفك أياها والرسم في هذا الجعل بحسب ما يراه الداعي فإن امتنع المدعو أمسك عنه الداعي وإن أجاب وأعطى نقله إلى الدعوة الثانية والثالثة سميت الاسماعيلية بالباطنية لأنهم يقولون لكل ظاهر من الأحكام الشرعية باطن ولكل تنزيل تاويل * (الدعوة الثانية) * لا تكون إلا بعد تقدم الدعوى الأولى فإذا تقررت في نفس المدعو جميع ما تقدم وأعطى الجعل قال له الداعي إن الله تعالى لم يرض في إقامة حقه وما شرعه لعباده إلا أن يأخذ وأذلك عن أئمة نصبهم للناس وأقامهم لحفظ شريعته على ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى وبسلك في تقرير هذا ويستدل عليه بأمور مقررّة في كتبهم حتى يعلم أن اعتقاد الأئمة قد ثبت في نفس المدعو فإذا اعتقد ذلك نقله إلى الدعوة الثالثة * (الدعوة الثالثة) * مرتبة على الثانية وذلك أنه إذا علم الداعي من دعاء أن ارتباطه على دين الله لا يعلم إلا من قبل الأئمة قرر حينئذ عنده أن الأئمة سبعة قدرتهم الباري تعالى كارتب الأمور الجلية فانه جعل الكواكب السيارة سبعة وجعل السموات سبعة وجعل الأرضين سبعة ونحو ذلك مما هو سبع من الموجودات وهؤلاء الأئمة السبعة هم علي بن أبي طالب والحسن بن علي والحسين بن علي وعلي بن الحسين الملقب زين العابدين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد الصادق والسابع هو القائم صاحب الزمان وهم اعني الشيعة مختلفون في هذا القائم فمنهم من يجعله محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق ويسقط اسماعيل بن جعفر ومنهم من يعد اسماعيل بن جعفر أما ثم يعد ابنه محمد بن اسمعيل فإذا تقرّر عند المدعو أن الأئمة سبعة انقل عن معتقد الامامية من الشيعة القائلين بامامة اثني عشر اماما وصار إلى معتقد الاسماعيلية بأن الامامة انتقلت إلى محمد بن اسمعيل بن جعفر فإذا علم الداعي ثبات هذا العقد في نفس المدعو شرع في ثلث بقية الأئمة الذين قد اعتقد الامامية فيهم الامامة وقرّر عند المدعو أن محمد بن اسمعيل عنده علم المستورات وبواطن المعلومات التي لا يمكن أن توجد عند أحد غيره وأن عنده أيضا علم التأويل ومعرفة تفسير ظاهر الأمور وعنده سر الله تعالى في وجه تدبيره المكتوم واتقان دلالته في كل امر يسأل عنه في جميع المعدومات وتفسير المشكلات وبواطن الظاهر كاه والتأويلات وتأويل التأويلات وأن دعائه هم الوارثون لذلك كله من بين سائر طوائف الشيعة لأنهم أخذوا عنه ومن جهته رويوا وإن احدا من الناس المخالفين لهم لا يستطيع أن يساوهم ولا يقدر على التحقق بما عندهم إلا منهم ويحتج لذلك بما هو معروف في كتبهم مما لا يسع هذا الكتاب حكاية لطوله فإذا انقاد المدعو وأذعن لما تقرّر نقله إلى الدعوة الرابعة * (الدعوة الرابعة) لا يشرع الداعي في تقريرها حتى يتيقن صحة انقياد المدعو لجميع ما تقدم فإذا يتيقن منه صحة الانقياد قرّر عنده أن عدد الانبياء الساجدين للشرائع المبشرين لاحكامها اصحاب الادوار وتقلب الاحوال الناطقين بالأمور سبعة فقط كعدد الأئمة سواء وكل واحد من هؤلاء الانبياء لا بد له من صاحب يأخذ عنه دعونه ويحفظها على امته ويكون معه ظهير له في حياته وخليفه له من بعده وفاته إلى أن يبلغ شريعته إلى أحد يكون سبيله معه كسبيله هو مع نبيه الذي اتبعه ثم كذلك كل مستخلف خليفة إلى أن يأتي منهم على تلك الشريعة سبعة اشخاص ويقال لهؤلاء السبعة الصامتون لثباتهم على شريعة اتفقوا فيها اثر واحد هو اولهم ويسمى الاول من هؤلاء السبعة السوس وانه لا بد عند انقضاء هؤلاء السبعة ونضاد دورهم من استفتاح دور ثان يظهر فيه نبي ينسخ شرع من مضى من قبله وتكون انلقاء من بعده امورهم تجري كما امر من كان قبلهم ثم يكون من بعدهم نبي ناسخ يقوم من بعده سبعة صمت ابداه وهكذا حتى يقوم النبي السابع من النطقاء فينسخ جميع الشرائع التي كانت قبله ويكون صاحب الزمان الاخير فكان اول هؤلاء الانبياء النطقاء آدم عليه السلام وكان صاحبه وسوسه ابنه شيث وعدوا غمام السبعة الصامتين على شريعة آدم وكان الثاني من الانبياء النطقاء نوح عليه السلام

فانه نطق بشريعة نسخ بها شريعة آدم وكان صاحبه وسوسه انه سام وتلاه بقية السبعة الصامتين على شريعة
 فوح ثم كان الثالث من الانبياء النطقاء ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه فانه نطق بشريعة نسخ بها شريعة
 فوح و آدم عليهما السلام وكان صاحبه وسوسه في حياته والخليفة القائم من بعده المبلغ شريعته ابنه اسمعيل
 عليه السلام ولم يزل يخلفه صامت بعد صامت على شريعة ابراهيم حتى تم دور السبعة الصمت وكان الرابع من
 الانبياء النطقاء موسى بن عمران عليه السلام فانه نطق بشريعة نسخ بها شريعة آدم وفوح و ابراهيم وكان
 صاحبه وسوسه اخوه هرون ولما مات هرون في حياة موسى قام من بعده موسى يوشع بن نون خليفة له صمت
 على شريعته وبلغها فأخذها عنه واحد بعد واحد الى أن كان آخر الصمت على شريعة موسى يحيى بن زكريا
 وهو آخر الصمت ثم كان الخامس من الانبياء النطقاء المسيح عيسى ابن مريم صلوات الله عليه فانه نطق بشريعة
 نسخ بها شرائع من كان قبله وكان صاحبه وسوسه شععون الصفا ومن بعده تمام السبعة الصمت على شريعة
 المسيح الى ان كان السادس من الانبياء النطقاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه نطق بشريعة نسخ بها جميع
 الشرائع التي جاء بها الانبياء من قبله وكان صاحبه وسوسه على بن ابي طالب رضى الله عنه ثم من بعده على
 ستة صمتوا على الشريعة المحمدية وقاموا بجيرات أسرارها وهم ابنه الحسن ثم ابنه الحسين ثم على بن الحسين
 ثم محمد بن على ثم جعفر بن محمد ثم اسمعيل بن جعفر الصادق وهو آخر الصمت من الاثمة المستورين
 والسابع من النطقاء هو صاحب الزمان وعند هؤلاء الاسماعيلية انه محمد بن اسمعيل بن جعفر وانه الذي
 انتهى اليه علم الاولين وقام بعلم بواطن الامور وكشفها واليه المرجع في تفسيرها دون غيره وعلى جميع
 الكافة اتباعه والخضوع له والانتقاد اليه والتسليم له لان الهداية في موافقته واتباعه والضلال والخيرة
 في العدول عنه فاذا تقرر ذلك عند المدعو انتقل الداعي الى الدعوة الخامسة * (الدعوة الخامسة) * مرتبة
 على ما قبلها وذلك أنه اذا صار المدعو في الرتبة الرابعة من الاعتقاد أخذ الداعي يقرر أنه لا بد مع كل امام
 قائم في كل عصر حجج متفرقون في جميع الارض عليهم تقوم وعدة هؤلاء الحجج ابداء عشر رجلا في كل زمان
 كما أن عدد الاثمة سبعة وبستدل لذلك بأمر منها أن الله تعالى لم يخلق شيئا عبثا ولا بد في خلق كل شئ
 من حكمة والا فلم يخلق التجوم التي بها قوام العالم سبعة وجعل أيضا السموات سبعاً والارضين سبعاً
 والبروج اثني عشر والشهور اثني عشر شهراً ونقباء بني اسرائيل اثني عشر نقيباً ونقباء رسول الله صلى الله عليه
 وسلم من الانصار اثني عشر نقيباً وخلق تعالى في كف كل انسان أربع اصابع وفي كل اصبع ثلاث شقوق تكون
 جلته اثني عشر شقاً على انه في يد كل ايهام شقان دلالة على أن الانسان بدنه كالارض واصابعه كالجزائر الأربع
 والشقوق التي في الاصابع كالبحر والابهام الذي به قوام جميع الكف وسداد الاصابع كالذي يقوم الارض
 بقدر ما فيها والشقان اللذان في الابهام اشارة الى أن الامام وسوسه لا يفترقان ولذلك صار في ظهر الانسان
 اثنتا عشرة خزة اشارة الى الحجج الاثني عشر وصار في عنقه سبع فكان العنق عالياً على خرزات الظهر وذلك
 اشارة الى الانبياء النطقاء والاثمة السبعة وكذلك الاثباب السبعة التي في وجه الانسان العالي على
 بدنه وأشياء من هذا النوع كثيرة فاذا تمهد عند المدعو مادعاه اليه الداعي وتقرر نقله حينئذ الى الدعوة
 السادسة * (الدعوة السادسة) * لا تكون الا بعد ثبوت جميع ما تقدم في نفس المدعو وذلك أنه اذا صار الى
 الرتبة الخامسة أخذ الداعي في تفسير معاني شرائع الاسلام من الصلاة والزكاة والحج والطهارة وغير ذلك من
 الفرائض بأمر مخالفة لظاهر بعد تمهيد قواعدين في ازمته من غير محلة تؤدي الى أن هذه الاشياء وضعت
 على جهة الرموز للصحة العامة وسياستهم حتى يستغلوا بها عن بغي بعضهم على بعض ونصدهم عن الفساد
 في الارض حكمة من الناصبين للشرائع وقوة في حسن سياستهم لاتباعهم واتقانهم لما رتبوه من النوااميس
 ونحو ذلك حتى يتمكن هذا الاعتقاد في نفس المدعو فاذا اطال الزمان وصار المدعو يعتقد أن أحكام
 الشريعة كلها وضعت على سبيل الرمز لسياسة العامة وأن اهامعاني أخر غير ما يدل عليه الظاهر فنقله الداعي
 الى الكلام في الفلسفة وحضه على النظر في كلام افلاطون وأرسطو وفيناغورس ومن في معناهم ونهاه
 عن قبول الاخبار والاحتجاج بالسمعيات وزين له الاقتداء بالدلة العقلية والتعويل عليها فاذا استقر ذلك

عنده واعتقده نقله بعد ذلك الى الدعوة السابعة ويحتاج لك الى زمان طويل * (الدعوة السابعة) لا يفسح
 بها الداعي مالم يكثر أنسه بمن دعاه ويتيقن أنه قد تأهل الى الانتقال الى رتبة اعلى مما هو فيه فاذا علم ذلك منه قال
 ان صاحب الدلالة والناسب للشريعة لا يستغنى بنفسه ولا بد له من صاحب معه يعبر عنه ليكون أحدهما
 الاصل والاخر عنه كان وصدر وهذا انما هو اشارة العالم السفلى لما يحويه العالم العلوى فان مدبر
 العالم في اصل الترتيب وقوام النظام صدر عنه اول موجود بغير واسطة ولا سبب نشأ عنه واليه الاشارة
 بقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون اشارة الى الاول في الرتبة والاخر هو القدر الذى قال
 فيه انا كل شئ خلقناه بقدر وهذا معنى ما نسمة من أن الله اول ما خلق القلم فقال للقلم اكتب فكتب في اللوح
 ما هو كائن وأشياء من هذا النوع موجودة في كتبهم وأصلها مأخوذ من كلام الفلاسفة القائمين الواحد
 لا يصدر عنه الا واحد وقد أخذ هذا المعنى المتصوفة وبسطوه بعبارات أخرى كتبهم فان كنت ممن ارتاض
 وعرف مقالات الناس تميز لك ما ذكر ولا يحتمل هذا الكتاب بسط القول في هذا المعنى واذا تقررت ما ذكر في
 هذه الدعوة عند المدعو نقله الداعي الى الدعوة الثامنة * (الدعوة الثامنة) متوقفة على اعتقاد سائر
 ما تقدم فاذا استقر ذلك عند المدعو ديناله قال له الداعي اعلم أن أحد المذكورين اللذين هما مدبر الوجود
 والصادر عنه انما تقدم السابق على اللاحق تقدم العلة على المعلول فكانت الاعيان كلها ناشئة وكائنة عن
 الصادر الثانى بترتيب معروف في بعضهم ومع ذلك فالسابق عندهم لا اسم له ولا صفة ولا يعبر عنه ولا يقيد
 فلا يقال هو موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز وكذلك سائر الصفات فان الاشياء عندهم
 يقتضى شركة بينه وبين المحدثات والذى يقتضى التعطيل وقالوا ليس بقديم ولا محدث بل القديم امره وكلته
 والمحدث خلقه وفطرته كما هو مبسوط في كتبهم فاذا استقر ذلك عند المدعو قرر عنده الداعي أن التالى يدأب في
 أعماله حتى يلحق بمنزلة السابق وأن الصامت في الارض يدأب في أعماله حتى يصير بمنزلة الناطق سواء وأن
 الداعي يدأب في أعماله حتى يبلغ منزلة السوس وحاله سواء وهكذا تجري امور العالم في اكواره وأدواره ولهذا
 القول بسط كثير فاذا اعتقده المدعو قرر عنده الداعي أن هجرة النبي الصادق الناطق ليست غير أشياء
 ينظم بها سياسة الجمهور وتشمل الكافة مصطنعها بترتيب من الحكمة تحوى معاني فلسفية بنى عن حقيقة
 اية السماء والارض وما يشتمل العالم عليه بأسره من الجواهر والاعراض فتارة يرموز بعقلها العالمون وتارة
 بافصاح يعرفه كل أحد فينظم بذلك للنبي شريعة يتبعها الناس ويقررون عنده أيضاً أن القيامة والقرآن والثواب
 والعقاب معناها سوى ما يفهمه العامة وغير ما يتبادر الى ذهن اليه وليس هو الاحداث ادوار عند انقضاء
 أدوار من ادوار الكواكب وعوالم اجتماعاتها من كون وفساد جاء على ترتيب الطبائع كما قد بسطه الفلاسفة
 في كتبهم فاذا استقر هذا العقد عند المدعو نقله الداعي الى الدعوة التاسعة * (الدعوة التاسعة)
 هي النتيجة التى يحاول الداعي بتقرير جميع ما تقدم رسوخها في نفس من يدعوه فاذا اتفق أن المدعو تأهل
 لكشف السر والافصاح عن الرموز أحاله على ما تقر في كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما بعد الطبيعة
 والعلم الالهى وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية حتى اذا تمكن المدعو من معرفة ذلك كشف الداعي قناعه
 وقال ما ذكر من الحدوث والاصول رموز الى معاني المبادئ وتقلب الجواهر وان الوحي انما هو صفاء
 النفس فيجد النبي في فهمه ما يليق اليه ويتزل عليه فيبرزه الى الناس ويعبر عنه بكلام الله الذى ينظم به النبي
 شريعته بحسب ما يراه من المصلحة في سياسة الكافة ولا يجب حينئذ العمل بها الا بحسب الحاجة من رعاية
 مصالح الدهماء بخلاف العارف فانه لا يلزمه العمل بها ويكتفيه معرفته فانها اليقين الذى يجب المصير اليه
 وما بعد المعرفة من سائر المشروعات فانها هي أثقال وآصار جعلها الكفار أهل الجهالة تعرفه الاعراض والاسباب
 ومن جملة المعرفة عندهم أن الانبياء النطقاء أصحاب الشرائع انما هم سياسة العامة وان الفلاسفة انبياء
 حكمة الخاصة وان الامام انما وجوده في العالم الروحاني اذا صرنا بالرياضة في المعارف اليه وظهوره الآن
 انما هو ظهور امره ونهيه على لسان اوليائه ونحو ذلك مما هو مبسوط في كتبهم وهذا حاصل علم الداعي ولهم
 في ذلك مصنفات كثيرة منها اختصرت ما تقدم ذكره (ابتداء هذه الدعوة) اعلم أن هذه الدعوة منسوبة
 الى شخص كان بالعرف اذ يعرف بميمون القذاح وكان من غلاة الشيعة فولد ابناً عرف بعبد الله بن ميمون اتسع علمه

وكرت معارفه وكاد أن يطلع على جميع مقالات الخليفة فرتب له مذهباً وجعله في تسع دعوات ودعا الناس إلى مذهبه فاستجاب له خلق وكان يدعو إلى الامام محمد بن اسمعيل وظهر من الاهواز ونزل بعسكر مكرم فصار له مال واشتهرت دعائه فأنكر الناس عليه وهـموا به ففتر إلى البصرة ومعه من اصحابه الحسين الاهوازي فلما انتشر ذكره بها طلب فصار إلى بلاد الشام وأقام بسلمية وبها ولده ابنه احمد فقام من بعده ابنه عبد الله بن ميمون فسير الحسين الاهوازي داعية له إلى العراق فلقى جندان بن الاشعث المعروف بقرمط بسواد الكوفة فدعاه واستجاب له وأنزله عنده وكان من امره ما هو مذكور في أخبار القرامطة من كآبنا هذا عند ذكر المعز لدين الله معد ثم انه ولد لاجد بن عبد الله ابنه الحسين ومحمد المعروف بأبي الشائع فلما هلك احمد خلفه ابنه الحسين ثم قام من بعده أخوه ابو الشائع وكان من امرهم ما هو مذكور في موضعه فانتشرت الدعاة في اقطار الارض وتفقهوا في الدعوة حتى وضعوا فيها الكتب الكثيرة وصارت علما من العلوم المدونة ثم اضمحت الآن وذهبت بذهاب اهلها ولهذا يقال ان اصل دعوة الاسماعيلية مأخوذ من القرامطة ونسبوا من اجلها إلى الالحاد * (صفة العهد الذي يؤخذ على المدعو) * وهوان الداعي يقول لمن يأخذ عليه العهد ويحلفه جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله وأنياسائه وملائكته وكتبه ورسوله وما أخذ على النبيين من عقد وعهد وميثاق انك تستر جميع ما سمعته وموسمته وعلته ونعله وعرقته وتعرفه من امرى وأمر المقيم بهذا البلد لصاحب الحق الامام الذي عرفت اقرارى له ونصحتى لمن عقد ذمته وأمر اخوانه واصحابه وولده وأهل بيته المطيعين له على هذا الدين ومخالفته له من الذكور والاناث والصغار والكبار فلا تظهر من ذلك شياً قليلاً ولا كثيراً ولا شيئاً يدل عليه الا ما اطلقت لك أن تتكلم به أو اطلقه لك صاحب الامر المقيم بهذا البلد فتعمل في ذلك بأمرنا ولا تتعداه ولا تزيد عليه وليكن ما نعمل عليه قبل العهد وبعده بقولك وفعلك أن تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وتشهد أن محمد عبده ورسوله وتشهد أن الجنة حق وأن النار حق وأن الموت حق وأن البعث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة لحقها وتصوم رمضان وتحتج البيت الحرام وتجاهد في سبيل الله حق جهاده على ما أمر الله به ورسوله ونوالى أولياء الله وتعاذى اعداء الله وتقوم بفرائض الله وسننه وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين ظاهر وباطن وعلاية سراً وجهراً فان ذلك يؤكده هذا العهد ولا يهدمه ويثبت ولا يزيله ويقربه ولا يباعده ويشده ولا يضعفه ويوجب ذلك ولا يبطله ويوضحه ولا يبعيه كذلك هو الظاهر والباطن وسائر ما جاء به النبيون من ربهم صلوات الله عليهم اجمعين على الشروط المبينة في هذا العهد جعلت على نفسك الوفاء بذلك قل نعم فيقول المدعو نعم ثم يقول الداعي له والصيانة له بذلك وأداء الامانة على أن لا تظهر شيئاً اخذ عليك في هذا العهد في حياتنا ولا بعد وفاتنا لا في غضب ولا على حال رضى ولا على رغبة ولا في حال رهبة ولا عند شدة ولا في حال رخاء ولا على طمع ولا على حرمان تلقى الله على السر لذلك والصيانة له على الشروط المبينة في هذا العهد وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمة وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم أن تغنى عن جميع من اسميتك وابنته عندك مما تمنع منه نفسك وتنصح لنا ولولاك ولـى الله نصحا ظاهراً وباطناً فلا تخن الله ووليه ولا احد من اخواننا وأوليانا ومن تعلم أنه منابيب في اهل ولا مال ولا رأى ولا عهد ولا عقد تناول عليه بما يبطله فان فعلت شيئاً من ذلك وانت تعلم انك قد خالفته وانت على ذلك منه فانت بريء من الله خالق السموات والارض الذى سوى خلقك وألف تركيبك وأحسن اليك في دينك ودينك وآخرتك وتبرأ من رسله الاقوين والاخرين وملائكته المقربين والكروبين والروحانيين والكلمات السامات والسبع المثاني والقرءان العظيم وتبرأ من التوراة والانجيل والزبور والذكر الحكيم ومن كل دين ارتضاه الله في مقدم الدار الآخرة ومن كل عبد رضى الله عنه وانت خارج من حزب الله وحزب اوليائه وخذلك الله خذلانا يبيننا يجعل لك بذلك النعمة والعقوبة والمصير إلى نار جهنم التي ليس لله فيها رحمة وانت بريء من حول الله وقوته ملجأ إلى حول نفسك وقوتك وعليك لعنة الله التي لعن الله بها ابليس وحرم عليه بها الجنة وخلده في النار ان خالفت شيئاً من ذلك ولقيت الله يوم تلقاه وهو عليك غضبان ولله عليك أن تحتج إلى بيته الحرام ثلاثين حجة حجاً واجباً ما شيا حافياً لا يقبل الله منك الا الوفاء بذلك وكل ما ملك في الوقت الذى تخالفه فيه فهو صدقة على الفقراء والمساكين الذين لا رحم بينك وبينهم لا يأجرك الله عليه ولا يدخل عليك بذلك منفعة

وكل يملوا لك من ذكرا وأتى في ملكك أو تستفده الى وقت وفاتك ان خالفت شيأ من ذلك فهم أحرار لوجه الله عز وجل وكل امرأ لك أو تترجها الى وقت وفاتك ان خالفت شيأ من ذلك فهن طوائق ثلاثا بنة طلاق الخرج لامثوية لك ولا خيار ولا رجعة ولا مشيئة وكل ما كان لك من اهل ومال وغيرهما فهو عليك حرام وكل ظهار فهو لازم لك وأنا المستخلف لك لامامك وحبك وانت الخالف لهما وان تويت أو عقدت أو أضمرت خلاف ما احلك عليه وأحلفك به فهذه اليمين من أولها الى آخرها مجتدة عليك لازمة لك لا يقبل الله منك الا الوفاء بها والقيام بما عاهدت بفي وبينك قل نعم فقول نعم ولهم مع ذلك وصايا كثيرة اضربنا عنها خشية الاطالة وفيما ذكرناه كفاية لمن عقل

* (الدواوين) *

وكانت دواوين الدولة الفاطمية لما قدم المعز لدين الله الى مصر ونزل بقصره في القاهرة محلها بدار الامارة من جوار الجامع الطولوني فلما مات المعز وقلد العزيز بالله الوزارة ليعقوب بن كلس نقل الدواوين الى داره فلما مات يعقوب نقلها العزيز بعد موته الى القصر فلم تنزل به الى أن استبدت الفضل بن امير الجيوش وعمر دار الملك بمصر فنقل اليها الدواوين فلما قتل عادت من بعده الى القصر وما زالت هناك حتى زالت الدولة * قال في كتاب الذخائر والتحف وحدثني من اتق به قال كنت بالقاهرة يوما من شهر ر سنة تسع وخمسين وأربعمائة وقد استنفل امر المارقين وقويت شوكتهم وامتدت ايديهم الى أخذ الذخائر المصونة في قصر السلطان بغير امره فرأيت وقد دخل من باب الديلم احد أبواب القصور المعمورة الزاهرة المعروف بتاج الملوك شادي ونغر العرب على بن ناصر الدولة بن حمدان ورضي الدولة بن رضى الدولة وامير الامراء مجتدين ابن بسمة ككتكين وامير العرب بن كيقلغ والاعز بن سنان وعدة من الامراء اصحابهم البغداديين وغيرهم وصاروا في الايوان الصغرى فوق قفوا عند ديوان الشام لكثرة عددهم وجماعتهم وكان معهم احد القرائين المستخدمين برسم القصور المعمورة فدخلوا الى حيث كان الديوان النظري في الديوان المذكور وصحبتهم فعلة واتهوا الى حائط مجير فأمر والقهلة بكشف الجير عنه فظهرت حنية باب مسدود فأمر واهدمه فتوصلوا منه الى خزانة ذكر أنها عزيزة من ايام العزيز بالله فوجدوا فيها من السلاح ما يروق الناظر ومن الرماح العزيزية المطلية استتم بالذهب ذات مهارك فضة مجرة بسواد مسوح وفضة يياض ثقيلة الوزن عدة رزم أعوادها من الزان الجيد ومن السيوف المجوهره النصول ومن الثياب الخانجي وغيره ومن الدرق اللطى والخلف التينى وغير ذلك ومن الدروع المكلل سلاح بعضها والحلى بعضها بالفضة المركبة عليه ومن التخافيف والجواشن والكر اعيدات الملبسة ديباجا المكوكبة بكواكب فضة وغير ذلك مما ذكر أن قيمته تزيد على عشرين ألف دينار فعملوا جميع ذلك بعد صلاة المغرب ولقد شاهدت بعض حواشيهم وركابياتهم يكسرون الرماح ويتلفون بذلك أعوادها الزان ليأخذوا المهارك الفضة ومنهم من يجعل ذلك في سراويله وعماسته وجيبه ومنهم من يستوهب من صاحبه السيف الثمين وكان فيه من الرماح الطوال الخطية العمر الجياد عدة حملوا منها ما قدروا عليه وبقي منها ما كسره الركابية ومن يجرى مجراهم كانوا يبيعونه للمغازلين والصناع المرادن حتى كثر هذا الصنف بالقاهرة ولم تعترضهم الدولة ولا التفت الى قدر ذلك ولا احتفلت به وجعلته هو وغيره فداء لاموال المساكين وحفظ الماني منازلهم

* (ديوان المجلس) *

قال ابن الطويرديوان المجلس هو أصل الدواوين قد عيا وفيه علوم الدولة بأجمعها وفيه عدة كتاب ولكل واحد مجلس مفرد وعنده معين او معينان وصاحب هذا الديوان هو المتحدث في الاقطاعات ويلحق بديوان النظر ويطلع عليه وينشأ له السجل وله المرتبة والمسند والدواة والحاجب الى غير ذلك قال ذكر خدمهم الخاصة المتصلة بهم فأولها دفتر المجلس وصاحبه من الاستاذين المحنكين ثم يتولاه اجل كتاب الدولة ممن يكون مترشحاً لرأس الدواوين ويتضمن ذلك الدفتر وله مكان ديوان بالقصر الباطن من الانعام في العطايا والتأثير من الرسوم المعروفة في غرة السنة والتخايا والمرتب من الكسوات للاولاد والاقارب والجهاث وأرباب الرتب على اختلاف الطبقات وما يرد من ملوك الدنيا من التحف والهدايا وما يرسل اليهم من الملاطفات ومقادير الصلات

للمترسلين بالمكاتب وما يخرج من الاكفان لمن يموت من ارباب الجهات المحترمة ثم يضبط ما ينفق في الدولة من المهمات ليعلم ما بين كل سنة من التفاوت فالعبرة المنع بها في اول العام من الدنانير والرباعية والقراريط تقرب من ثلاثة آلاف دينار وثمان الصحايا يقرب من ألفي دينار وما ينفق في دار الفطرة فيما يترقى على الثامن سبعة آلاف دينار وما ينفق في دار الطراز للاستعمالات الخاص وغيرها في كل سنة عشرة آلاف دينار وما ينفق في مهم فتح الخليج غير المطاعم ألفا دينار وما ينفق في شهر رمضان في سباطه ثلاثة آلاف دينار وما ينفق في سباطي القطر والخز أربعة آلاف دينار وهذا خارج عما يطلق للناس اصنافا من خزانته من المأكول والمشرب والمواصلات من الهبات وما يخرج به الخطوط من التشييعات والمساحات وما يطلق من الاهراء من الغلات حتى لا يفوتهم علم شيء من هذه المطلقات وفي هذه الخدمة كاتب مستقل بين يدي صاحب ديوانه الاصلي ومعه كاتبان آخران لتغزيل ذلك في الدقروالدقربارة عن جرائد مسطوحات ينزل ذلك فيها في اوقاته من غير فوات قال واذا انقضى عيد النحر من كل سنة تقدم بعمل الاستيثار لتلك السنة تمام ذى الحجة منها فيجتمع كآب ديوان الرواتب عند متوليه وتحمل العروض اليه فاذا تحررت نسخة التحرير يضت بعد أن يستدعي من المجلس اوراق بالادرا الذي يقبض بغير خرج وفي الادرا ما هو مستقر بالوجهين فيضاف هذا المبلغ بجهاته الى المبالغ المعلومة بديوان الرواتب وجهاتها حتى لا يفوت من الاستيثار شيء من كل ما تقر شره ويعلم مقدار عينا وورقا وغلة وغير ذلك فيجتر ذلك كله بأسماء المرتزقين وأولهم الوزير ومن يلوزبه وعلى ذلك الى أن ينتهي الجميع الى ارباب الضر فاذا اكمل استدعي له من خزانة الفرش وطاء حري لشده وشرابه لمسكه اما خضره او حمره وبعد عمل له صدر من الكلام اللاتي بما بعده وهذا كله خارج عن الكسوات المطلقة لاربابها والرسوم المعتدة في كل سنة وما يحمل من دار الفطرة من الاصناف برسم عيد القطر وعما يشهده دفتر المجلس من العطايا الخافية والرسوم وقد انعقد مرة وأنا اولى ديوان الرواتب على ما يبلغه نيف ومائة ألف دينار وقریب من مائتي ألف دينار ومن القمع والشعير على عشرة آلاف اردب فاذا فرغ من مسكه في الشرا به جل الى صاحب ديوان النظر ان كان والا فلصاحب ديوان المجلس ليعرضه على الخليفة ان كان يعنى مسكه او الوزير لاستقبال المحترم من السنة الاتية في اوقات هالومة فيتاخر في العرض وربما يستوعب المحترم ليعيط العلم بما فيه فاذا اكمل العرض أخرج الى الديوان وقد شطب على بعضه وكانوا يتخرجون من الاقامات على مال الدولة التي لا اصل لها وعلى غير متوفر ويتخيرها اربابها بالمستقبلات على الخلفاء والوزراء وينقص قوم للاستيثار ويزاد قوم للاستحقاق ويصرف قوم ويستخدم آخرون على ما تقتضيه الآراء في ذلك الوقت ثم يسلم لرب هذا الديوان فيحتمل الامر على ما شطب عليه وعلامة الاطلاق خروجه من العرض وقيل انه عمل مرة في ايام المستنصر بالله فلما استؤذن على عرضه قال هل وقع أحد بما فيه غيرنا قيل له معاذ الله يا مولانا ماتم انعام الالك ولا رزق الامن الله على يدك فقال ما ينقص به امرنا ولا خطنا وما صرفناه في دولتنا باذنتا وتقدم الى ولي الدولة بن جبران كاتب الانشاء بماضاه للناس من غير عرض وحمل الامر على حكمه ووقع عن الخليفة بظاهره الفقر من المذاق والحاجة تذل الاعناق وحراسة النعم بادرا الارزاق فليجروا على رسومهم في الاطلاق ما عندكم ينفد وما عند الله باق ووقع في خلافة الحافظ لدين الله على استيثار الرواتب مانصه أمير المؤمنين لا يستكثر في ذل الله كثيرا لا عطاء ولا يكتره بالتأخير له والتسويق والابطاء ولما انتهى اليه ما ارباب الرواتب عليه من القلق للامتناع من ايجاباتهم وحمل خروجاتهم قد ضعفت قلوبهم وقنطت نفوسهم وساءت ظنونهم شغلهم برحمته ورأفته وامنهم بما كانوا وجلين من مخافته وجعل التوقيع بذلك بخط يده تأكيدها للانعام والمناحة وتنشئة بصدقة لا تتبع بالاذى والمناحة فليعقد ديوان الجيوش المنصورة اجراء ما تضمنت هذه الاوراق ذكرهم على ما ألفوه وعهدوه من روايتهم وايجابها على سياستها لكافتهم من غير تأويل ولا تعنت ولا استدراك ولا تعقب وليجروا في نسيانهم على عادتهم لا ينقص من أمرهم ما كان مبرما ولا ينسخ من رسمهم ما كان محكما كرما من أمير المؤمنين وفعلا مبرورا وعلا بما أخبر به عز وجل في قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا ولننسخ في جميع الدراوين بالحضرة ان شاء الله تعالى * وقال في كتاب كثر الدرر ان في سنة ست وأربعمائة عرض على الحاكم بامر الله الاستيثار باسم المتفقيين والقراء والمؤذنين بالقاهرة

ومصر وكانت الجملة في كل سنة أحداً وسبعين ألف دينار وسبعمئة وثلاثة وثلاثين ديناراً وثلاثين ديناراً ورابع ديناراً مضى جميع ذلك * وقال ابن المأمون وأما الاستيثار فبلغني ممن اتق به أنه كان في الأيام الفضيلة اثني عشر ألف دينار وصار في الأيام المأمونية لاستقبال سنة ست عشرة وخمسمئة ستة عشر ألف دينار وأما تذكرة الطراز الحكم فيها مثل الاستيثار والمشايع فيها كانت تشتمل في الأيام الفضيلة على أحد وثلاثين ألف دينار ثم اشتملت في الأيام المأمونية على ثلاثة وأربعين ألف دينار وتضاعفت في الأيام الاحمرية وعرض روزنامج بما اتفق عينا من بيت المال في مدة أولها محترم سنة سبع عشرة وخمسمئة وآخرها سلخ ذى الحجة منها في العساكر المسيرة لجهاد الفرنج بترًا والاساطيل بحرا والمنفق في ارباب النفقات من البحرية والمطبعة والسودان على اختلاف قبوضهم وما ينصرف برسم خزائن القصور والزاهرة وما يتباع من الحيوان برسم المطابخ وما هو برسم مندبل الكتم الشريف في كل سنة مائة دينار والمطلق في الاعياد والمواسم وما ينعم به عند الركوبات من الرسوم والصدقات وعند العود منها وعن الامتعة المتباعدة من التجار على ايدي الوكلاء والمطلق برسم الرسل والضيوف ومن يصل مستأمنًا ودار الطراز ودار الديباج والمطلق برسم الصلات والصدقات ومن يهتدى للاسلام وما ينعم به على الولاة عند استخدامهم في الخدم ونفقات بيت المال والعمائر وهو من العين اربعمئة ألف وثمانية وستون ألفا وسبعمئة وتسعون ديناراً ونصف من جملة خمسمئة ألف وسبعة وستين ألفاً ومائة وأربعين ديناراً ونهف يكون الحاصل بعد ذلك مما يحمل الى الصناديق الخاص برسم المهمات لما يتجدد من تسفير العساكر وما يحمل الى الثغور عند نقاد ما يمتد ثمانية وتسعين ألفاً ومائة وسبعة وتسعين ديناراً وربعا وسدسا ولم يكن يكتب من بيت المال وصول ولا يجري ولا تعزف وذلك خارج عما يحمل مشاهرة برسم الديوان المأموني والاجلاء اخونه وأولاده وما انعم به على ما تضمنت اسمه مشاهرة من الاصحاب والحوائي وأرباب الخدم والكتّاب والاطباء والشعراء والقرّاشين الخاص والجوق والمؤدبين والخطاطين والرفائين وصبيان بيت المال وتواب الباب ونقباء الرسائل وأرباب الرواتب المستقرّة من ذوى النصب والبيوتات والضعفاء والصعاليك من الرجال والنساء عن مشاهرتهم ستة عشر ألفاً وسبعمائة وثمانون ديناراً وثلاثين ديناراً يكون في السنة مائتي ألف ومائة دينار فتكون الجملة سبعمئة ألف وسبعة وستين ألفاً ومائتين وأربعة وتسعين ديناراً ونصفاً * قال وفي هذا الوقت يعني شوال سنة سبع عشرة وخمسمئة وقعت مرافعة في ابي البركات بن أبي الليث متولى ديوان المجلس صورته المملوك يقبل الارض وينهى انه ما واصل انهاء حال هذا الرجل وما يعتمد له لانه اهل أن ينال خدمة وانما هي نصيحة تلزمه في حق سلطانه وقد حصل له من الاموال والذخائر ما لا عد له ولا قيمة عليه ويضرب المملوك عن وجوه الجناية التي هي ظاهرة لان السلطان لا يرضى بذكرها في عالي مجاسه ولا يسماعها في دولته وله ولا له مستخدمون في الدولة ست عشرة سنة بالجاري الثقيل لكل منهم ويذكر المملوك ما وصلت قدرته الى علمه ما هو باسمه خاصة دون من هو مستخدم في الدواوين من اهله واصحابه ويسدأ بما باسمه مباومة ادرار من بيت المال والخزائن ودار التعبية والمطابخ وشون المطب وهو ما يبين برسم البقولات والتوابل نصف دينار ومن الضأن رأس واحد ومن الحيوان ثلاثة اطيّار ومن الخطب حمله واحدة ومن الدقيق خمسة وعشرون رطلاً ومن الخبز عشرون وظيفة ومن الفساحكة ثمة زهرة قصر يتان وشمامة وفي كل اثنين وخميس من السماء بقاعة الذهب طيفور خاص وحصن من الاوائل وخمسة وعشرون رغيفاً من الخبز الموائد والسعيد وفي كل يوم احد وأربعاء من الاسطة بالدار المأمونية مثل ذلك وفي كل يوم سبت وثلاثاء من الاسطة الركوبات خروف مشوى وجام حلوى ورباعي عنبا ويحضر اليه في كل يوم من الاصطبلات بقله بركوب محلي وبقله برسم الراجل وفراشين من الجوق برسم خدمته وتبيت على بابه واذا خرج من بين يدي السلطان في الليل كان له شمعة من الموكبيات توصله الى داره وزنها سبعة عشر رطلاً ولا تعود و برسم ولده في كل يوم ثلاثة اوطال لحم وعشرة اوطال دقيق وفي ايام الركوبات رباعي والمشاهرة جاري ديوان الخاص والمجلس برسمه مائة وعشرون ديناراً وبرسم ولده راتباً عشرة دنائير وأثبت اربعة علمان نصاري ونسبهم للاسلام في جملة المستخدمين في الركاب ولم يخدموا لافي الليل ولا في النهار بما بلغه سبعة دنائير ومن السكر خمسة عشر رطلاً ومن غسل النخل عشرة اوطال ومن قلب الفستق ثلاثة

ارطال وقلب البندق خمسة ارطال وقلب اللوز أربعة ارطال وورد مرقي رطلان زيت طيب عشرة ارطال
شبرج خمسة ارطال زيت حار ثلاثون رطلا خل ثلاث جرار أرز نصف صية سماق أربعة ارطال حصرم
وكشك وحب رمان وقراصيا بالسوية اثنا عشر رطلا سدرو أشنان وية ومن الكيزان عشرون شربة عزيزية
وثلمية واحدة ومن الشمع ست شمعات منهن اثنتان منويات وأربعة رطلينات والمساحة في بكور الفترة برسم
الخاصة خمسة دنانير وخمس رباعية وعشرة قراريط جلد وبرسم ولده دينار ورباعي وثلاثة قراريط وخروف
مقوم وخسة أرثوس وربيع قنطار خبز برماذق وبعن ارز بلين وسكر ومن السماط بالقصر في اليوم المذكور
خروف شواء وزبادى وجام حلوى والخبز وقطعة منفوخ ومن القمح ثلثانة اردب ومن الشعير مائة وخمسون
اردبا وفي المواليد الاربعة اربع صوا في فطرة وكسوة الشتاء برسمه خاصة منسديل حريري وشقة ديبقي حرير
وشقة ديباج ورداء اطلس وشقة ديباج دارى وشقتان سقلاطون احدهما اسكندراية وشقتان عتابي
وشقتان خز مغربي وشقتان اسكندراي وشقتان دمياطي وشقة طلي مرش وفوطة خاص وبرسم ولده شقة
سقلاطون دارى وشقة عتابي دارى وشقة خز مغربي وشقتان دمياطي وشقتان اسكندراي وشقة طلي
وفوطة وبرسم من عنده منديلان احدهما خزائي خاص ونصف اردية ديبقي وشقة سقلاطون دارى
وشقة عتابي وشقة سومي وشقة دمياطي وشقتان اسكندراي وفوطة وبرسمه أيضا في عيد الفطر طيفوران
فطرة مشورة ومائة حبة بوزي وبدلة مذهبة مكمله ولولده بدلة حرير وبرسم من عنده حلة مذهبة وفي عيد
النحر رسمه مثل عيد الفطر ويزيد عنه هبة مائة دينار ولولده مثل عيد الفطر وزيادة عشرة دنانير ويساق اليه
من القمح مالم يكن باسمه وفي موسم فتح الخليج أربعون ديناراً وصينية فطرة وطيفور خاص من القصر وخروف
شواء وجام حلواء وبرسم ولده خمسة دنانير وخصاصه في النوروز ثلاثون ديناراً وشقة ديبقي حريري وشقة لاذ
ومعج حريري ومنسديل كم حريري وفوطة ومائة بطيخة وسبع مائة حبة رمان وأربعة عناقيد موز وفردبسر
وثلاثة أقفاص تمر قوصي وقفصان سفرجل وثلاث بكالي هريرة واحدة بدجاج واخرى بلحم ضان والثالثة
بلحم بقرى وأربعون رطلا خبز برماذق ولولده خمسة دنانير وحوالي النوروز بما تقدم ذكره وبرسمه في الميلاد جام
قاهرية ومترد سيد معصمي وزلاية وست قرابات جلاب وعشر حبات بوزي وبرسم الغيطاس خمسمائة حبة
ترنج ونارنج ولحمون مركب وخسة عشر طن قصب وعشر حبات بوزي وباسمه في عيد القدير من السماط بالقصر
مثل عيد النحر وله هبة عن رسم الخلع من المجلس المأوفى يعني مجلس الوزارة ثلاثون ديناراً ولولده خمسة
دنانير ومن يكون هذه رسومه في اى وجه تنصرف أمواله والذي باسم أخيه نظير ذلك وكذلك صهره في ديوان
الوزارة وابن أخيه في الديوان التاجي ووجوه الاموال من كل جهة واصلة اليهم والامانة مصروفة عنهم وقد
اختصر المملوك فيما ذكر والذي باسمه اكثر واذا امر بكشف ذلك من الدواوين تبين صحة قول المملوك وعلم
أنه ممن تجنب قول الحال ولا يرضاه لنفسه سيما ان رفعه الى المقام الكريم وشنع ذلك بكثرة القول فيهم وعرض
بالقبض عليهم وأوجب على نفسه أنه يثبت في جهاتهم من الاموال التي تخرج عن هذا الانعام ما يجده حاضرا
مدخورا عندهم يعرفه مائة الف دينار فلم يسمع كلامه الى أن ظهر الازهاب في الايام الآمرية فوجده هو وغيره
الفرصة فيهم وكثر الوقائع عليهم فقبض عليهم عن آخرهم ومن يعرفهم وأخذ منهم الجمل الكبيرة ثم بعد ذلك عادوا
الى خدمهم بما كان من اسمائهم وتجدد من جاههم وانتقامهم من اعدائهم اكثر مما كان أولا انتهى فانظر
أعزك الله الى سعة احوال الدولة من معلوم رجل واحد من كآب دواوينها تبين لك بما تقدم ذكره في هذه
المرافعة من عظم الشأن وكثرة العطاء ما يكون دليلا على باقى احوال الدولة

* (ديوان النظر) *

قال ابن الطوير أمادواوين الاموال فان أجلها من يتولى النظر عليهم وله العزل والولاية ومن يده عرض
الاوراق في اوقات معروفة على الخليفة والوزير ولم يرفعه نصراني الا الا حزم ولم يتوصل اليه الا بالاضمان وله
الاعتقال بكل مكان يتعلق بنواب الدولة وله الجلوس بالمرتبة والسند وبين يديه حاجب من امراء الدولة وتخرج له
الدواة بغير كرمي وهو يندب المترسلين لطلب الحساب والحث على طلب الاموال ومطالبة ارباب الدولة ولا يعترض

* (ديوان التحقيق) *

هو ديوان مقتضاء المقابلة على الدواوين وكان لا يتولاها الا كاتب خبير وله الخلع والمرتبة والحاجب ويلحق براس الديوان يعني متولى النظر ويقتدر اليه في اكثر الاوقات * وقال ابن المأمون وفي هذه السنة يعني سنة احدى وخسمائة فتح ديوان المجلس قال ولما كثرت الاموال عند ابن أبي الليث صاحب الديوان وغب في التجهيز على الافضل بن أمير الجيوش بنهضه وبسأله أن يشاهده قبل حمله وذكر أنه سبعمائة ألف دينار خارجا عن نفقات الرجال فجعلت الدنانير في صناديق يجانب والدراهم في صناديق يجانب وقام ابن أبي الليث بين الصنفين فلما شاهد الافضل بن أمير الجيوش ذلك قال لابن أبي الليث يا شيخ تفترحنى بالمال وترتبة أمير الجيوش ان بلغنى أن بئرا معطلة أو أرضا بائرة أو بلدة أخاب لأضر بن عنقك فقال وحق نعمتك لقد حاشا الله أيامك أن يكون فيها بلد خراب أو بئر معطلة أو أرض بور فأبى أن يكشف عما ذكر انتهى وقتل ابن أبي الليث في سنة ثمان عشرة وخسمائة

* (ديوان الجيوش والرواتب) *

قال ابن الطوير أما الخدمة في ديوان الجيوش فتقسم قسمين الأول ديوان الجيش وفيه مستوف أصيل ولا يكون الا مسلما وله مرتبة على غيره لجلوسه بين يدي الخليفة داخل عتبة باب المجلس وله الطراحة والمسند وبين يديه الحاجب وترد عليه امورا الاجناد وله العرض والحلى والثياب ولهذا الديوان خازنان برسم رفع الشواهد واذا عرض احدا الاجناد ورضى به عرض دوا به فلا يثبت له الا الفرس الجيد من ذكور الخيل واناثها ولا يترك لاحد منهم برزون ولا بغل وان كان عندهم البراذين والبغال وليس لهم تغيير احدا من الاجناد الا برسوم وكذلك اقطاعهم ويكون بين يدي هذا المستوفى نقباء الامراء ينهون اليه متجددات الاجناد من الحياة والموت والمرض والحمى وكان قد فسح للاجناد في مقايضة بعضهم بعضا في الاقطاع بالتوقيعات بغير علامة بل بتخريج صاحب ديوان المجلس ومن هذا الديوان تعمل اوراق ارباب الجرايات وما كان لا مير وان علاقده بلد مقورا الا نادرا وأما القسم الثاني من هذا الديوان فهو ديوان الرواتب ويشتمل على اعماء كل مرتزق وجار و جارية وفيه كاتب أصيل بطراحة وفيه من المعينين والمبشرين نحو عشرة فانفس والتعريفات واردة عليه من كل عمل باستقرار من هو مستقر ومباشرة من استجد وموت من مات ليوجب استحقاقه على النظام المستقيم وفي هذا الديوان عدة عروض * العرض الاول يشتمل على راتب الوزير وهو في الشهر خمسة آلاف دينار ومن يليه من ولد وأخ من ثلثمائة دينار الى مائتي دينار ولم يقر لولد وزير خسمائة دينار سوى شجاع بن شاور المنعوت بالكامل ثم حواسيهم على مقتضى عدتهم من خسمائة الى أربعمائة الى ثلثمائة خارجا عن الاقطاعات * العرض الثاني حواسي الخليفة وأولهم الاساذون المهككون على رتبهم وجوارى خدمهم التي لا يباشرها سواهم فزمام القصر وصاحب بيت المال وحامل الرسالة وصاحب الدفتر ومشاد التاج وزمام الاشراف الاقارب وصاحب المجلس لكل واحد منهم مائة دينار في كل شهر ومن دونهم ينقص عشرة دنانير حتى يكون آخرهم من له في كل شهر عشرة دنانير وتزيد عدتهم على ألف نفس ولطبيبي الخصاص لكل واحد خسون دينار وان دونهم من الاطباء برسم المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير * العرض الثالث يتضمن ارباب الرتب بحضرة الخليفة فاقله كاتب الدست الشريف وجارية مائة وخسون دينار ولكل واحد من كاتبة ثلاثون دينار ثم صاحب الباب وجارية مائة وعشرون دينار ثم حامل السيف وحامل الرمح لكل منهم سبعون دينار وبقيمة الازمة على العساكر والسودان من خمسين الى أربعين دينار الى ثلاثين دينار * العرض الرابع يشتمل على المستقر لقاضي القضاة ومن يلي قاضي القضاة مائة دينار وداعي الدعاة مائة دينار ولكل من قراء الحضرة عشرون دينار الى خمسة عشر الى عشرة ولخطباء الجوامع من عشرون دينار الى عشرة وللشعراء من عشرون دينار الى عشرة دنانير * العرض الخامس يشتمل على ارباب الدواوين ومن يجري مجراهم وأولهم من يتولى ديوان النظر وجاريه سبعون دينار وديوان التحقيق جاريه خسون دينار وديوان المجلس أربعون

دينارا وصاحب دفتر المجلس خمسة وثلاثون دينارا وكتبه خمسة دنانير وديوان الجيوش وجارية أربعون دينارا والموقع بالقلم الجليل ثلاثون دينارا وجميع اصحاب الدواوين الجارية فيها المعاملات اكل واحد عشرون دينارا ولكل معين من عشرة دنانير الى سبعة الى خمسة دنانير * العرض السادس يشتمل على المستخدمين بالقاهرة ومصر لكل واحد من المستخدمين في ولاية القاهرة وولاية مصر في الشهر خسون دينارا والحاجة بالاهراء والمناخات والجوالى والبساتين والاملاط وغيرها لكل منهم من عشرين دينارا الى خمسة عشر الى عشرة الى خمسة دنانير * العرض السابع القراشون بالقصر برسم خدمها وتنظيفها خارجا وداخلا ونصب الستائر المحتاج اليها وخدمة المناظر الخارجة عن القصر فمهم خاص برسم خدمة الخليفة وعدتهم خمسة عشر رجلا منهم صاحب المائدة وحامى المطابخ من ثلاثين دينارا الى ماحولها ولهم رسوم متميزة ويقربون من الخليفة في الاسمطة التى يجلس عليها ويلبهم الرشا شون داخل القصر وخارجها ولهم عرفاء ويتولى أمرهم استاذ من خواص الخليفة وعدتهم نحو الثمانيه رجل وجاريهم من عشرة دنانير الى خمسة دنانير * العرض الثامن صبيان الركاب وعدتهم تزيد على ألفي رجل ومقدموهم اصحاب ركاب الخليفة وعدتهم اثنا عشر مقدما منهم مقدم المقدمين وهو صاحب الركاب البين ولكل من هؤلاء المقدمين في كل شهر خسون دينارا ولهم قباء من جهة المذكورين يعرفونهم وهم مقررون جوفا على قدر جوارهم جوقة لكل منهم خمسة عشر دينارا وجوقة لكل منهم عشرة دنانير وجوقة لكل منهم خمسة دنانير ومنهم من يتدب في الخدم السلطانية ويكون لهم نصيب في الاعمال التى يدخلونها وهم الذين يحملون المحقات لركوب الخليفة في المواسم وغيرها وأول من قتر العطاء لغلمانه وخدمه وأولادهم المذكور والانات وانسابهم وقتر لهم أيضا الكسوة العزيز بالله نزار بن المعز

* (ديوان الانشاء والمكاتبات) *

وكان لا يتولاه الا اجل كآب البلاغة ويخاطب بالشيخ الاجل ويقال له كاتب الدست الشريف ويسلم المكاتبات الواردة محتومة فيعرضها على الخليفة من بعده وهو الذى يأمر بتزليلها والاجابة عن الكتاب والخليفة يستشير في اكثر اموره ولا يجيب عنه متى قصد المتول بين يديه وهذا أمر لا يصل اليه غيره ورعايات عند الخليفة لىالى وكان جاريه مائه وعشرين دينارا في الشهر وهو أول ارباب الاقطاعات وأرباب الكسوة والرسوم والملاطقات ولا سبيل أن يدخل الى ديوانه بالقصر ولا يجتمع بكتابه أحد الا الخواص وله حاجب من الامراء الشيخ وقراشون وله المرتبة الهائلة والمخاد والمسد والدواة لكنها بغير كرمى وهى من اخص الدوى ويحملها استاذ من استاذى الخليفة

* (التوقيع بالقلم الدقيق في المطالم) *

وكان لابد للخليفة من جلس يذاكره ما يحتاج اليه من كتاب الله وتجويد الخط وأخبار الانبياء والخلفاء فهو يجتمع به في اكثر الايام ومعه استاذ من المحنكين مؤهل لذلك فيكون الاستاذ ثالثهما ويقرأ على الخليفة ملخص السير ويكثر عليه ذكر مكارم الاخلاق وله بذلك رتبة عظيمة تلحق برتبة كاتب الدست ويكون صحبته للجلبوس دواة محلاة فاذا فرغ من المحالسة ألقى في الدواة كاغد فيه عشرة دنانير وقرطاس فيه ثلاثة مشاقيل ندمثلث خاص ليتجربه عند دخوله على الخليفة ثانيا مرة وله منصب التوقيع بالقلم الدقيق وله طراحة ومسند وقراش يقدم اليه ما يوقع عليه وله موضع من حقوق ديوان المكاتبات لا يدخل اليه أحد الا بأذن وهو يلى صاحب ديوان المكاتبات في الرسوم والكساوى وغيرها

* (التوقيع بالقلم الجليل) *

وهى رتبة جليلة ويقال لها الخدمة الصغرى ولها الطراحة والمسند بغير حاجب بل القراش لترتيب ما يوقع فيه

* (مجلس النظر في المطالم) *

كانت الدولة اذا خلت من وزير صاحب سيف جلس صاحب الباب في باب الذهب بالقصر وبين يديه النقباء

والحجاب فينادى المنادى بين يديه بأرباب الظلمات فيحضرون فن كانت ظلامته مشافهة أرسلت الى الولاية والقضاة رسالة بكشفها ومن تظلم ممن ليس من اهل البلدين احضر قصة بأمره فيتسلها الحاجب منه فاذا جمعها احضرها الى الموقع بالقلم الدقيق فيوقع عليها ثم تحمل الى الموقع بالقلم الجليل فيبسط ما اشار اليه الموقع الاول ثم تحمل في خريطة الى الخليفة فيوقع عليها ثم تخرج في الخريطة الى الحاجب فيقف على باب القصر ويسلم كل توقيع لصاحبه فان كان وزيره صاحب سيف جلس للمظالم بنفسه وقبلته قاضي القضاة ومن جانيه شاهدان معتبران ومن جانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق ويليه صاحب ديوان المال وبين يديه صاحب الباب واسفهلار العساكر وبين أيديهم التواب والحجاب على طبقاتهم ويكون الجالوس بالقصر في مجلس المظالم في يومين من الاسبوع وكان الخليفة اذا رفعت اليه القصة وقع عليها يعتقد ذلك ان شاء الله تعالى ويوقع في الجانب الايمن منها يوقع بذلك فتخرج الى صاحب ديوان المجلس فيوقع عليها جليلا ويحلى مكان العلامة فيعلم عليها الخليفة وتثبت وكانت علامتهم أبدأ الحمد لله رب العالمين وكان الخليفة يوقع في المسامحة والتسوية والتحبس قد انعمنا بذلك وقد أمضينا ذلك وكان اذا أراد أن يعلم ذلك الشيء الذي انهم وقع ليخرج الحال في ذلك فاذا احضر اليه اخراج الحال علم عليه فان كان حينئذ وزير وقع الخليفة بخطه وزيرنا السيد الاجل وذكر نعتة المعروف به امتعنا الله ببقائه يتقدم بنجاح ذلك ان شاء الله تعالى فيكتب الوزير تحت خط الخليفة بمثل أمر مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ويثبت في الدواوين

* (رتب الامراء) *

وكان اجل خدم الامراء ارباب السيوف خدمة الباب ويقال لمتولى هذه الخدمة صاحب الباب وينعت اولاً بالمعظم واقل من خدم بها المعظم خرتاش في ايام الخليفة الحافظ وكان من العقلاء وناب عن الحافظ في مرضه فلما عوفي اراده على الوزارة فامتنع وله نائب يقال له النائب وتسمى الخدمة فيها بالنسيابة الشريفة ومقتضاها انها مميزة ولا يليها الا اعيان العدول وأرباب العمام وينعت أبدأ بعدى الملك وهو الذي يتلقى الرسل الواصلة من الدول ومعه نواب الباب في خدمته ويحفظهم وينزلهم بالاماكن المعتدة لهم ويقدمهم للسلام على الخليفة والوزير مع صاحب الباب فيكون صاحب الباب يميناً وهو يسار ويتولى اقتقادهم والحث على ضيافتهم ولا يمكن من التقصير في حقوقهم واجتماع الناس بهم والاطلاع على ما جاؤ فيه ولا من ينقل الاخبار اليهم وبلى رتبة صاحب الباب الاسفهلار وهو زمام كل زمام واليه امور الاجناد ثم يليه حامل سيف الخليفة ايام الركوب بالمظلة واليتيمة ثم من يرتب طائفتي الحافظية والاحرية وهما وجه الاجناد وهؤلاء ارباب الاطواق ويليههم ارباب القصب والعماريات وهي الاعلام ثم رزى الطوائف ثم من يترشح لذلك من الامثال وكانت الدولة لاتسند ذلك الا الى ارباب الشجاعة والتجدة واهذا دخل فيه أخلط الناس من الارمن والروم وغيرهم وعلى ذلك كان عملهم للزينة والتباهي

• (قاضي القضاة) •

وكان من عادة الدولة انه اذا كان وزير رب سيف فانه يقلد القضاة رجلاً يابته عنه وهذا انما حدث من عهد أمير الجيوش بدر الجبالي واذا كان الخليفة مستبداً اقلد القضاة رجلاً ونعته بقاضي القضاة وتكون رتبته اجل رتب ارباب العمام وأرباب الاقلام ويكون في بعض الاوقات داعياً فيقال له حينئذ قاضي القضاة وداعى الدعاة ولا يخرج شيء من الامور الدينية عنه ويجلس السبت والثلاثاء بزيادة جامع عمرو بن العاص بمصر على طراحة ومسند حرير فلما ولي ابن عقيل القضاة رفع المرتبة والمسند وجلس على طراحت السامان فاستر هذا الرسم ويجلس الشهود حواله يمينه ويسرة بحسب تاريخ عدل التهم وبين يديه خمسة من الحجاب اثنان بين يديه واثنان على باب المقصورة وواحد يتقدم الخصوم اليه وله اربعة من الموقعين بين يديه اثنان مقابلان اثنتين وله كرمي الدواة وهي دواة محلاة بالقضة تحمل اليه من خزائن القصور ولها حامل يجامكنة في الشهر على الدولة ويقدم له من الاصطبلات برسم ركوبه على الدوام بغلة شهباء وهو مخصوص بهذا اللون من البغال دون ارباب الدولة وعليها من خزانة السروج سرج محلى ثقيل وراءه دقترضة ومكان الجلده حرير وتأتيه في المواسم الاطواق ويخلع عليه

الخلع المذهبة بلا طبل ولا بوق الا اذا ولي الدعوة مع الحكم فان للدعوة في خلعه الطبل والبوق والبنود الخاص وهي نظير البنود التي يشترف بها الوزير صاحب السيف واذا كان للحكم خاصة كان حواله القراء رجاله وبين يديه المؤذنون يعلنون بذلك الخليفة والوزير ان كان ثم ويحمل بنو اب الباب والخطاب ولا يتقدم عليه أحد في محضره حاضره من رب سيف وقلم ولا يحضر لاملأ ولا جنازة الا باذن ولا سبيل الى قيامه لاحد وهو في مجلس الحكم ولا يعدل شاهد الا بأمره ويجلس بالقصر في يوم الاثنين والخميس أول النهار للسلام على الخليفة ونوابه لا يفترقون عن الاحكام ويحضر اليه وكيل بيت المال وكان له النظر في ديوان الضرب لضبط ما يضرب من الدنانير وكان يحضر مباشرة التعليق بنفسه ويختم عليه ويحضر لفتحته وكان القاضي لا يصرف الا بفتحته ولا يعدل أحد الا بتركية عشرين شاهدا عشرة من مصر وعشرة من القاهرة ورضي الشهود به ولا يحتج أحد على الشرع ومن فعل ذلك ادب

* (قاعة الفضة) *

وهي من جملة طاعات القصر

* (قاعة السدرة) *

كانت بجوار المدرسة والتربة الصالحية واشترها قاضي القضاة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي "الحنبلي" مدرس الحنابلة بالمدرسة الصالحية بألف وخمسة وتسعين ديناراً في رابع شهر ربيع الآخر سنة ستين وستمائة من كمال الدين ظافر بن الفقيه نصر وكيل بيت المال ثم باعها شمس الدين المذكور للملك الظاهر بيبرس في حادي عشر ربيع الآخر المذكور وكان يتوصل اليها من باب البحر

* (قاعة الخيم) *

كانت شرق قاعة السدرة وقد دخلت قاعة السدرة وقاعة الخيم في مكان المدرسة الظاهرية العتيقة

* (المنابر الثلاث) *

استقبله من الوزير المأمون البطايعي وزير الخليفة الآخر بأحكام الله أحدها من بين باب الذهب وباب البحر والاخرى على قوس باب الذهب ومنظرة ثالثة وكان يقال لها الزاهرة والفاخرة والناضرة وكان يجلس الخليفة في أحدها للعرض العساكر يوم عيد الغدير ويقف الوزير في قوس باب الذهب

* (قصر الشوك) *

قال ابن عبد الظاهر كان منزلاً لبني عذرة قبل القاهرة يعرف بقصر الشوك وهو الآن أحد أبواب القصر انتهى والعامة تقول قصر الشوك وأدركت مكانه داراً استحدثت بعد الدولة الفاطمية هدمها الأمير جمال الدين يوسف الاستادار في سنة إحدى عشرة وغنائمة لينشئ داراً فمات قبل ذلك وموضعه اليوم بالقرب من دار الضرب فيما بينه وبين المارستان العتيق

* (قصر أولاد الشيخ) *

هذا المكان من جملة القصر الكبير وكان قاعة فسكنها الوزير صاحب الأمير الكبير معين الدين حسين بن شيخ الشيوخ صدر الدين بن جويه في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب فعرف به وأدركت هذا المكان خطا يعرف بالقصر يتوصل اليه من زقاق تجاه حمام يسرى وفيه عدة دور منها دار الطوائف سابق الدين ومدرسته المعروفة بالمدرسة السابقية وكان يتوصل اليه من الركن الخلق أيضاً من الباب المظلم تجاه سور سعيد السعداء المعروف قديماً باب الريح ثم عرف بقصر ابن الشيخ وعرف في زمني باب القصر الى أن هدمه جمال الدين الاستادار كما يأتي ان شاء الله تعالى

* (قصر الزمزد) *

هو من جلة القصر الكبير وعرف أخيراً بقصر قوصون ثم عرف في زمننا بقصر الحجازية وقيل له قصر الزمرذ لانه كل بجوار باب الزمرذ أحد أبواب القصر ووجد به في سنة بضع وسبعين وسبعمائة تحت التراب عمودان عظيمان من الرخام الأبيض فعمل لهما ابن عابد رئيس الحرايق السلطانية اساقيل وجزها الى المدرسة التي انشاها الملك الاشرف شعبان بن حسين تجاه الطبليانة من قلعة الجبل وأدركا لجزءين العمودين اوقافاً في ايام تجميع الناس فيها من كل اوب لمنا هذه ذلك ولهمجوايد كرها زمرنا وقالوا فيه ما شعر او غناء كثير او عملوا نحو ذجبات من ثياب الحرير وتطريز المناديل عرفت بجز العمود وكانت الانفس حريث منبسطة والقلوب خالية من الهموم وللناس اقبال على اللهو وكثرة نعمهم وطول فراغهم وكان العمودان المذكوران مما ارتدم من أنقاض القصر فسبحان الوارث

(ركن المخلق)

موضعه الآن تجاه حوض الجامع الاقصر على يمينه من اراد الدخول الى المسجد المعروف الآن بمسجد موسى وقيل له الركن الحق لانه ظهر في سنة ستين وسبعمائة في هذا الموضع حجر مكتوب عليه هذا مسجد موسى عليه السلام فخلق بالزعفران وسمى من ذلك اليوم بركن المخلق وأخبرني الامير الوزير ابو المعالي يلبغا الساماني أنه قرأ في الاسطر المسكوبة بأسكنة باب الجامع الاقصر كلاماً من جلته والحوادث التي بالركن الخوق بواب بعد الخلاء فرأيت بعد ذلك في الامالي للقاتي وقال ابو عبيدة عن أبي عمرو والخوفاء الصحراء التي لا مائها ويقال الواسعة وأخوق واسع فله سمي الخوق بمعنى الانساع فكان ركناً مقسماً وفي بناء واسع او يكون المخلق باللام من قولهم قدح مخلق بضم الميم وفتح اللام وتشديد اللام وقهها اي مستواً ملس وكل ما لين وملتس فقد خلق فكل تلس مخلق وسمته العامة بعد ذلك الركن المخلق عند ما خلقوه بالزعفران والله اعلم

(السقيفة)

وكان من جلة القصر الكبير موضع يعرف بالسقيفة يقف عنده المتطلون وكانت عادة الخليفة أن يجلس هناك كل ليلة لمن يأتيه من المتظلمين فاذا ظلم احد وقف تحت السقيفة وقال بصوت عال لا اله الا الله محمد رسول الله على ولي الله فيسجعه الخليفة فيأمر باحضاره اليه أو يفوض أمره الى الوزير أو القاضى او والى ومن غريب ما وقع أن الموفق بن الخلال لما كان يتحدث في امور الدوليين ايام الخليفة الحافظ لدين الله وخرج من اتسبب بعد انحطاط النبل من العدول والنصارى المكتتاب الى الاعمال البحر وما شمله الرى وزرع من الاراضى وكناية المكلفات فخرج الى بعض النواحي من يحسها من شاذ وناظر وعدول وتأخر الكاتب النصراني ثم لحقهم وأراد التعدي به الى الناحية فجعله ضامن ثلث المعتدي الى البر وطلب منه اجرة التعدي فنصر فيه النصراني وسبه وقال انما سمع هذه البلدة وتريدنى حتى التعدي فقال له الضامن ان كان لى زرع خذ وقطع الجام بغلة النصراني وألقاه في مدينته فلم يجده النصراني به من دفع الاجرة اليه حين أخذ الجام بغلته فلما تم مساحة البلد ويض مكلفة المساحة ليعملها الى دواوين الباب وكانت عادتهم حينئذ كتب الجلة بزيادة عشرين قد انزلت بياضاً في بعض الاوراق وقابل العدول على المكلفة وأخذ الخطوط عاين بالهجة ثم كتب في البياض الذى تركه ارض اللجام باسم ضامن المعتدي عشرين فدنا قاطعة كل ثمان اربعة دنانير عن ذلك ثمانون ديناراً وحمل المكلفة الى ديوان الاصل وكانت العادة اذا مضى من السنة الخراجية اربعة اشهر رندب من الجند من فيه حراسة وثدة ومن الكتاب العدول وكاتب نصراني فيخرجون الى مائر الاعمال لاستخراج ثلث الخراج على ما تشهد به المكلفات المذكورة فينتفق في الاجناد فانه لم يكن حينئذ للاجناد اقطاعات كما هو الآن وكان من العادة أن يخرج الى كل ناحية ممن ذكر من لم يكن خرج وقت المساحة بل يتدب قوم سواهم فلما خرج الشاذ والكاتب والعدول لاستخراج ثلث مال الناحية استدعوا ارباب الزرع على ما تشهد به المكلفة ومن جعلهم ضامن المعتدي فلما حضر الزرع بستة وعشرين ديناراً وثاني دينار عن نظير ثلث المال الثمانين ديناراً التي تشهد بها المكلفة عن خراج ارض اللجام فانكر الضامن أن تكون له زراعة بالناحية وصدق اهل البلد فلم يقبل الشاذ ذلك وكان عسوفاً وأمر به فضرب بالقارغ واحتج بخط العدول على المكلفة وما زال به حتى باع معتديه وغيرها وأورد ثلث المال الثابت في المكلفة

قوله السقيفة هكذا هنا
في النسخ بالقاف والقاء
وهو الظاهر المتبادر
خلافاً لما مر من انها
سقيفة بالقاء والنون
اه محصيه

وسار الى القاهرة فوقف تحت السقيفة وأعلن بما تقدم ذكره فأمر الخليفة الحافظ باحضاره فلما مثل بحضرته قص عليه ظلامته مشافهة وحكى له ما اتفق منه في حق النصراني وما كاد به فأحضر ابن الخلال وجميع ارباب الدواوين واحضرت المكلفات التي علمت للناحية المذكورة في عدة سنين ماضية وتصفحت بين يديه سنة سنة فلم يوجد لارض اللجام ذكر البتة فحينئذ أمر الخليفة الحافظ باحضار ذلك النصراني وسمر في مركب وأقام له من يطعمه ويسقيه وتقدم بأن يطاف به سائر الاعمال وينادي عليه ففعل ذلك وأمر بكف ايدي النصرانية كلها عن الخدم في سائر المملكة فتعد لواحدة الى أن ساءت احوالهم وكان الحافظ مغرم ما يعلم النجوم وله عدة من التجمين من جملتهم شخص صار اليه عدة من اكبر ركاب التصاري ودفعوا اليه جلة من المال ومعهم رجل منهم يعرف بالآخر من أبي زكريا وسأله أن يذكّر للحافظ في أحكام تلك السنة حلية هذا الرجل فانه ان اقامه في تدبير دولته زاد النبل ونما الارتفاع وزكت الزروع وتجت الاغنام ودرت الضروع ونضاعت الاسماك وورد التجار وجرت قوانين المملكة على اجل الاوضاع فطمع ذلك التجمين في كثرة ما عاينه من الذهب وعمل ما قدره التصاري معه فلما رأى الحافظ ذلك تعلقت نفسه بمشاهدة تلك الصفة فأمر باحضار الكتاب من النصراني وصار يتصفح وجوههم من غير أن يطلع أحدا على ما يريده وهم يؤخرون الآخر عن الحضور اليه قصد امهم وخشيعة أن يظن بغيرهم لى أن اشتد الزامهم باحضار سائر من بقي منهم فأحضره بعد أن وضعوا من قدره فلما رآه الحافظ رأى فيه الصفات التي عينها منحه فاستدناه اليه وقربه وآل أمره الى أن ولده امير الدواوين فأعاد كتاب التصاري أو فرما كانوا عليه وشرعوا في التجبر والغوا في اظهار الفخر وتظاهر بالاباس العظيمة وركبوا البغلات الرائعة والخيول المسومة بالسروج المحلاة واللجم الثقيلة وضايقوا المسلمين في ارزاقهم واستولوا على الاحباس الدينية والاقواف الشرعية واتخذوا العبيد والاماليك والحواري من المسلمين والمسلمات وصودر بعض كتاب المسلمين فأجلأته الضرورة الى بيع اولاده وبناته فيقال انه اشتراهم بعض النصراني وفي ذلك يقول ابن الخلال

اذا حكم النصراني في الفروج * وتالوا بالبغال وبالسروج

وذلت دولة الاسلام طرأ * وصار الامر في ايدي العلوج

فقل للدعور الدجال هذا * زمانك ان عزمت على الخروج

وموضع السقيفة فيما بين درب السلاحي وبين خزانة البنود يتوصل اليه من تجماء البئر التي قدام دار كانت تعرف بقاعة ابن كئيلة ثم استولى عليها اجمال الدين الاستادار وجعلها مسكنا لآخيه ناصر الدين الخطيب وغيرها

* (دار الضرب) *

هذا المكان الذي هو الآن دار الضرب من بعض القصر فكان خزانة بجوار الايوان الكبير يسكن بها الخليفة الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد ابن الامير أبي القاسم محمد بن المستنصر بالله ابي تميم معد وذلك أن الامر لما قتل في يوم الثلاثاء رابع عشر ذي القعدة سنة اربع وعشرين وخمسمائة قام العادل برغش وهزار الملوك جوامرد وكانوا اخص غلمان الامر بالامير عبد المجيد ونصبا خليفة ونعتاه بالحافظ لدين الله وهو يومئذ اكبر الاقارب سنا وذكر أن الامر قال قبل أن يقتل بأسوع عن نفسه المسكين المقتول بالسكين وانه اشار الى أن بعض جهاته حامل منه وأنه رأى انها ستلد ذكر وهو الخليفة من بعده وأن كفالته للامير عبد المجيد فجلس على انه كافل للمذكور ونذب هزار الملوك للوزارة وخلع عليه فلم ترض الاجناد به وثاروا بين القصرين وكبرهم رضوان بن ولشى وقاموا بأبي علي بن الفضل الملقب بكسيفات وقالوا لارضى الا أن يصرف هزار الملوك وتفوض الوزارة لاجد بن الفضل في سادس عشره فكان أول ما بدأ به أن أحاط على الخليفة الحافظ وسجنه بالقاعة المذكورة وقيدوه وهم يخلعه فلم يأت له ذلك وكان اماميا فأبطل ذكر الحافظ من الخطبة وصار يدعو للقائم المنتظر وقش على السكة الله الصمد الامام محمد فلما قتل في يوم الثلاثاء سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة باليد ان خارج باب الفتوح سارع صبيان الخاص الذين تولوا قتله الى الحافظ وأخرجوه من الخزانة

المذكورة وفكروا عنه قيده وكان كبيرهم يانس وأجلسوه في السبائك على منصب الخلافة وطيف برأس أحد ابن الفضل وطلع على يانس خلع الوزارة وما زالت الخلافة في يد الحافظ حتى مات ليلة الخميس لخمس خلون من جادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة عن سبع وستين سنة منها خليفة من حين قتل ابن الفضل ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وأيام

* (خزائن السلاح) *

كانت بالإيوان الكبير الذى تقدم ذكره في صدر السبائك الذى يجلس فيه الخليفة تحت القبة التى هدمت في سنة سبع وثمانين وسبعمائه كما تقدم وخزائن السلاح المذكورة هي الآن باقية بجواردار الضرب خلف المشهد الحسيني وعقد الإيوان باقى وقد نشعت

* (المارستان العتيق) *

قال القاضي القاضى في معتقدات سنة سبع وسبعين وخمسمائة في ناسع ذى القعدة أمر السلطان يعنى صلاح الدين يوسف بن أيوب بفتح مارستان للمرضى والضعفاء فاختر له مكان بالقصر وأفرد برسمه من اجرة الرباع الديوانية مشاهرة مبلغها مائتا دينار وغلات جهاتها الفيوم واستخدم له اطباء وطبائعين وجراحين ومشارف وعاملين وخدماء ووجد الناس به رفقاً واليه مستروحاً وبه نفعوا وكذلك بمصر أمر بفتح مارستانها القديم وأفرد برسمه من ديوان الاحباس ما تقدر ارتفاعه عشرون ديناراً واستخدم له طبيب وعامل ومشارف وارتفق به الضعفاء وكثر بسبب ذلك الدعاء وقال ابن عبد الظاهر كان قاعة بناها العزيز بالله في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وقيل ان القرآن مكتوب في حيطانها ومن خواصها انه لا يدخلها نمل لطلبهم بها ولما قيل ذلك لصلاح الدين رحمه الله قال هذا يصلح أن يكون مارستاناً ومأوىً مباشر به عن ذلك فقالوا انه صحيح وكان قد بما المارستان فيما بلغنى القشاشين وأظنه المكان المعروف بدار الديلم انتهى والقشاشين المذكورة تعرف اليوم بالخرطين المسلولين في الخمين والجامع الازهر

* (التربة المعزية) *

كان من جملة القصر الكبير التربة المعزية وفيها دفن المعز لدين الله آباءه الذين احضرهم في نوايت معه من بلاد المغرب وهم الامام المهدي عبيد الله وابنه القائم بأمر الله ومحمد وابنه الامام المنصور بن نصر الله اسمعيل واستقرت مدفنسايدفن فيه الخلفاء وأولادهم ونساءهم وكانت تعرف بتربة الزعفران وهو مكان كبير من جملة الموضع الذى يعرف اليوم بخط الزرا كشة العتيق ومن هناك بابها ولما انشأ الأمير جها ركن الخليلي خانة المعروف به في الخط المذكور أخرج ماشاء الله من عظامهم فألقيت في المزابل على كيمان البرقية ويمتد من هنالك من حيث المدرسة البديرية خلف المدارس الصالحية النجمية وبها الى اليوم بقايا من قبورهم وكان لهذه التربة عوايد ورسوم منها أن الخليفة كلما ركب بظلة وعاد الى القصر لا بد أن يدخل الى زيارة آباءه بهذه التربة وكذلك لا بد أن يدخل في يوم الجمعة دائماً وفي عيدي الفطر والاضحى مع صدقات ورسوم يفرق قال ابن المامون وفي هذا الشهر يعنى شوال السنة ست عشرة وخمسمائة تنبه ذكر الطائفة الترابية وتقرر بين يدي الخلافة الامر بأحكام الله أن يسر رسول الى صاحب الموق بعد أن جعوا الفقهاء من الاسماعيلية والامامية وقال لهم الوزير المأمون البطائحي ما لكم من الحجة في الرد على هؤلاء الخارجين على الاسماعيلية فقال كل منهم لم يكن لتزار امامة ومن اعتمد هذا فقد خرج عن المذهب وضل ووجب قتله وذكر واجتمع فكتب الكتاب ووصلت كتب من خواص الدولة تتضمن أن القوم قوت شوكتهم واشتدت في البلاد طمعهم وانهم سبوا الآن ثلاثة آلاف برسم التجوى وبرزم المؤمنين الذين تنزل الرسل عندهم ويحتفون في محفلهم فتقدم الوزير بالقصص عنهم والاحتراز التام على الخليفة في ركوبه ومنتهاته وحفظ الدور والاسواق ولم يرل الحث في طلبهم الى أن وجدوا فاعترفوا بأن خسة منهم هم الرسل الواصلون بالمال فصلبوا وأما المال وهو ألف دينار فان الخليفة أبى قبوله وأمر أن يتقى في السودان عبيد الشراء وأحضر من بيت المال نظير المبلغ وتقدم بأن يصاغ به قنديلان من ذهب وقنديلان

من فضة وأن يحمل منها قنديل ذهب وقنديل فضة الى مشهد الحسين بنجر عسقلان وقنديل الى التربة المقدسة تربة الائمة بالقصر وأمر الوزير المأمون بأعلاق أنقى دينار من ماله وتقدم بأن يصاغ بها قنديل ذهب وسلسلة فضة برسم المشهد العسقلاني وأن يصاغ على المصحف الذي بخط أمير المؤمنين على بن أبي طالب بالجامع العتيق بمصر من فوق الفضة ذهب وأطلق حامل الصناديق التي تشتمل على مال التجاوي برسم الصدقات عشرة آلاف درهم تفرق في الجوامع الثلاثة الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر وجامع القرافة وعلى فقراء المؤمنين على ابواب القصور وأطلق من الازهر أنقى اردب قححا وتصدق على عتقة من الجهات بجملة كثيرة واشترت عدة جوار من الحجر وكتب عتقهن للوقت وأطلق سراجهن وقال في كتاب الذخائر ان الاثر لا تطلبوا من المستنصر نفقة في أيام الشدة فما ظلمهم وانهم جمعوا على التربة المدفون فيها الجادة فأخذوا ما فيها من قناديل الذهب وكانت قيمة ذلك مع ما جمع اليه من الآلات الموجودة هناك مثل المداخن والجحار وحلى المحاريب وغير ذلك خمسين ألف دينار

* (القصر النافعي) *

قال ابن عبد الظاهر القصر النافعي قرب التربة يقرب من جهة السبع خوخ كان فيه عجائز من عجائز القصر وأقارب الاشراف انتهى وموضع هذا القصر اليوم فدى المهندار الذي يدق فيه الذهب وما في قلبه من خان منبجك ودار خواجا عبد العزيز المجاورة للمسجد الذي بمحذاء خان منبجك وما بجوار دار خواجا من الزقاق المعروف بدرب الحبشي وكان حده هذا القصر الغربي ينتهي الى الفندق الذي بالخيمين المعروف قد يتماخنان منكورس ويعرف اليوم بخان القضاى واشترى بعض هذا القصر لما بيع بعد زوال الدولة الامير ناصر الدين عثمان بن سنقر الكاملي المهندار الذي يعرف بفندق المهندار بعد أن كان اصطبله واشترى بعضه الامير حسام الدين لاجين الايد مرى المعروف بالدر فيل دوا دار الملا الطاهر بيبرس وعمره اصطبله ودارا وهي الدار التي تعرف اليوم بخواجا عبد العزيز على باب درب الحبشي ثم عمل الاصطبل الخان الذي يعرف اليوم بخان منبجك وابتنى الناس في مكان درب الحبشي الدور وزال اثر القصر فلم يبق منه شيء البتة

* (الخزائن التي كانت بالقصر) *

وكانت بالقصر الكبير عدة خزائن منها خزانة الكتب وخزانة البنود وخزانة السلاح وخزائن الدرق وخزائن السروج وخزانة الفرش وخزانة الكسوات وخزائن الأدم وخزائن الشراب وخزانة التوابل وخزائن الخسيم ودار تعبئة وخزائن دارا فتكين ودار الفطرة ودار العلم وخزانة الجوهر والطيب وكانت الخلية بمضى الى موضع من هذه الخزائن في كل خزانة دكة عليها طراحة ولها فزاش يخدمها ويرتطفها طول السنة وله جار في كل شهر فيطوفها كلها في السنة

* (خزانة الكتب) *

قال المسيحي وذكر عند العزيز بالله كتاب العين للخليل بن احمد فأمر خزان دفاتره فأخرجوا من خزائنه نفيا وثلاثين نسخة من كتاب العين منها نسخة بخط الخليل بن احمد وحمل اليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبري اشتراها بمائة دينار فأمر العزيز الخزان فأخرجوا من الخزانة ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبري منها نسخة بخطه وذكر عنده كتاب الجهرة لابن دريد فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها وقال في كتاب الذخائر عدة الخزائن التي برسم الكتب في سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة خزانة من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة وان الموجود فيها من جملة الكتب المخرجة في شدة المستنصر أفضان وأربع مائة ختمة قرآن في ربعات بخطوط منسوبة زائدة الحسن محلاة بذهب وفضة وغيرهما وان جميع ذلك كله ذهب فيما أخذه الاثر الذي واجبا تم ببعض قيمته ولم يبق في خزائن القصر البرانية منه شيء بالجملة دون خزائن القصر الداخلة التي لا توصل اليها ووجدت صناديق مملوءة أفلاما مبرمة من براية ابن مقلة وابن البواب وغيرهما قال وكنت بمصر في العشر الاول من محرم سنة احدى وستين وأربع مائة فرأيت فيها خمسة وعشرين رجلا موقرة كتبنا محمولة الى

دار الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي فسألت عنها فعرفت أن الوزير أخذها من خزانة القصر هو والخطير ابن الموفق في الدين بإيجاب وجبت لهما عما يستحقانه وعلمانهما من ديوان الجلبين وان حصة الوزير أبي الفرج منها قومت عليه من جاري عماليكه وعلمانه بخمسة آلاف دينار وذكروا من له خبرة بالكتب أنها تبلغ أكثر من مائة ألف دينار ونهب جميعها من داره يوم انهزم ناصر الدولة بن جردان من مصر في صفر من السنة المذكورة مع غيرها مما نهب من دور من سار معه من الوزير أبي الفرج وابن أبي كدينة وغيرهما هذا سوى ما كان في خزانة دار العلم بالقاهرة وسوى ما صار الى عماد الدولة أبي الفضل بن المحرق بالاسكندرية ثم انتقل بعد مقتله الى المغرب وسوى ما ظفرت به لوانة محولا مع ما صار اليه بالاتباع والغصب في بحر النيل الى الاسكندرية في سنة احدى وستين وأربعمائة وما بعد هاهنا من الكتب الجليلة المقدرة المدونة المثل في سائر الامصار صحة وحسن خط وتجليد وغرابة التي أخذ جلودها عبيدهم واماؤهم برسم عمل ما يلبسونه في أرجلهم وأحرق ورقها تأولا منهم انها خرجت من قصر السلطان أعز الله أنصاره وأن فيها كلام المشاركة الذي يخالف مذهبهم سوى ما غرق وتلف وحمل الى سائر الاقطار وبقي منها ما لم يحرق وسفت عليه الريح التراب فصار تلالا باقية الى اليوم في فواحي آثار تعرف بتلال الكتب وقال ابن الطوير خزانة الكتب كانت في أحد مجالس المارستان اليوم يعني المارستان العتيق فيجي الخليفة راكبا ويرجل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ويحضر اليه من يتولاها وكان في ذلك الوقت الحليس بن عبد القوي فيحضر اليه المصاحف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك مما يقترحه من الكتب فان عن له أخذ شيء منها أخذ ثم يعيده ويحتوي هذه الخزانة على عدة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم والرفوف مقطعة بمجواجز وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل وفيها من اصناف الكتب ما يزيد على مائتي ألف كتاب من المجلدات ويسير من المجردات فنها الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والجماعة والروحانيات والكيمياء من كل صنف النسخ ومنها النواقص التي ماتت كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزانة وما فيها من المصاحف الكريمة في مكان فوقها وفيها من الدروج بخط ابن مقلة ونظائره كبن البواب وغيره وتولي بيعها ابن صورة في أيام الملك الناصر صلاح الدين فاذا أراد الخليفة الانفصال مشى فيها مشية لنظرها وفيها ناسخان وقرآنان صاحب المرتبة وآخر يعطى الشاهد عشرين دينارا ويخرج الى غيرها وقال ابن أبي طي بعد ما ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر ومن جملة ما باعوه خزانة الكتب وكانت من عجائب الدنيا ويقال انه لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب اعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتان نسخة من تاريخ الطبري الى غير ذلك ويقال انها كانت تسجل على ألف وستائة ألف كتاب وكان فيها من الخطوط المنسوبة اشياء كثيرة انتهى ومما يؤيد ذلك أن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي لما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة جعل فيها من كتب القصر مائة ألف كتاب مجلد وباع ابن صورة دلال الكتب منها جملة في مائة عوام فلو كانت كلها مائة ألف لما فضل عن القاضي الفاضل منها شيء وذكر ابن أبي واصل أن خزانة الكتب كانت تزيد على مائة وعشرين ألف مجلد

* (خزانة الكسوات) *

قال ابن أبي طي وعمل يعني المعز لدين الله دارا وسماها دار الكسوة كان يفصل فيها من جميع انواع الثياب والبز ويكسوها الناس على اختلاف اصنافهم كسوة الشتاء والصيف وكانت لاولاد الناس ونسائهم كذلك وجعل ذلك رسمًا يتوارثونه في الاعقاب وكتب بذلك كتبًا وسمى هذا الموضع خزانة الكسوة وقال عند ذكر اقتراض الدولة ومن أخبارهم انهم كانوا يخرجون من خزانة الكسوة الى جميع خدمهم وحواشيهم ومن يلوذ بهم من صغير وكبير ورفيع وحقير كسوات الصيف والشتاء من العمامة الى السراويل وما دونه من الملابس والمنديل من فاخر الثياب ونقيس الملبوس ويقومون لهم بجميع ما يحتاجون اليه من نقيس الطعومات والمشروبات وسعت من يقول انه حضر كسوة القصر التي تخرج في الصيف والشتاء فكان مقدارها ستائة ألف دينار وزيادة وكانت خلعتهم على الامراء الثياب الديني والعصائم بالطراز الذهب وكان طراز الذهب والعمامة من خيما ندينا ويخلع على اكبر الامراء الاطواق والاسورة والسيوف الخجلة وكان يخلع على

الوزير عوضا عن الطوق عقد جوهر وقال ابن المأمون وجلس الاجل - يعنى الوزير المأمون في مجلس الوزارة
 لتنفيذ الامور وعرض المطالعات وحضر الكتاب ومن جلثهم ابن أبي الليث كاتب الدقرومعه ما كان امره من
 عمل جرائد الكسوة للشتاء بحكم حلوله وان تفرقتها فكان ما اشتمل عليه المنفق فيها السنة ست عشرة وخمسة
 من الاصناف أربعة عشر ألفا وثلثمائة وخمس قطع وان اكثر ما انفق عن مثل ذلك في الايام الافضلية في طول
 مدتها السنة ثلاث عشرة وخمسة ثمانية آلاف وسبع مائة وخمس وسبعون قطعة يكون الزائد عنها بحكم
 ما رسم به في منفق سنة ست عشرة خمسة آلاف وست مائة وأربعا وثلاثين قطعة ووصلت الكسوة المختصة بالعيد
 في آخر الشهر وقد تضاعفت عما كانت عليه في الايام الافضلية لهذا الموسم وهي تشتمل على ذهب وسلف
 دون العشرين ألف دينار وهو عندهم الموسم الكبير ويسمى بعيد الحلال لان الحلال فيه نعم الجماعة وفي غيره
 للاعبان خاصة فأحضر الامير اقتضار الدولة مقدم خزانة الكسوة الخاص ليتسلم ما يختص بالخليفة وهو برسم
 الموكب بدلة خاص جليلة مذهبة فويها موشح مجاوم مذايل عدتها بالفاقتين احدى عشرة قطعة السلف عنها
 مائة وستة وسبعون دينارا ونصف ومن الذهب العالي المغزول لثمائة وسبعة وخسون مثقالا ونصف كل مثقال
 اجرة غزله ثمن دينار ومن الذهب العراقي ألفان وتسعمائة وأربع وتسعون قصبه * تفصيل ذلك شاشية طميم
 السلف ديناران وسبعون قصبه ذهب عراقي اقامنديل بعمود ذهب السلف سبعون وألفان ومائتان وخسون
 قصبه ذهب عراقي فان كان الذهب نظير المصري كان الذي يرقم فيه ثلثمائة وخمسة وعشرين مثقالا لان كل
 مثقال نظير تسع قصبات ذهب عراقي واسطرب بطانة المنديل السلف عشرة دنانير وسبعون قصبه ذهب عراقي
 نوب موشح مجاوم مطزف السلف خسون دينارا وثلثمائة وأحد وخسون مثقالا ونصف ذهب عاليا اجرة كل
 مثقال ثمن دينار تكون جملة مبلغه وقيمة ذهبه ثلثمائة وأربعة وتسعين دينارا ونصف نوب ديبقي حريري
 وسطاني السلف اثنا عشر دينارا غلالة ديبقي حريري السلف عشرون دينارا منديل كم اقل مذهب
 السلف خمسة دنانير ومائتان وأربع قصبات ذهب عراقي اقامنديل كم ثمان حريري السلف خمسة دنانير حجرة السلف
 أربعة دنانير عرضي مذهب السلف خمسة دنانير وخمسة عشر مثقالا ذهب عاليا عرضي لافاة للثمن دينار
 واحد ونصف بدلة ثانية برسم الجلوس على السماط عدتها بالفاقتين عشرة قطع السلف مائة وأربعة عشر
 دينارا ومن الذهب العالي خمسة وخسون مثقالا ومن الذهب العراقي سبع مائة وأربعون قصبه تفصيل
 ذلك شاشية طميم السلف ديناران وسبعون قصبه ذهب عراقي منديل السلف ستون دينارا وست مائة قصبه
 ذهب عراقي شقة وكم السلف ستة عشر دينارا وخمسة وخسون مثقالا ذهب عاليا اجرة كل مثقال ثمن دينار
 شقة ديبقي حريري وسطاني اثنا عشر دينارا شقة ديبقي غلالة ثمانية دنانير منديل الكم الحريري خمسة
 دنانير حجرة أربعة دنانير عرضي خمسة دنانير عرضي برسم الثمن دينار واحد ونصف وهذه البدلة لم تكن فيما تقدم
 في ايام الاصل لانه لم يكن ثم سماط يجلس عليه الخليفة فانه كان قد نقل ما يعمل في القصور من الاحطه والدواوين
 الى داره فصار يعمل هناك ما هو برسم الاجل أبي الفضل جعفر أخى الخليفة الامر بدلة مذهبة مبلغها تسعون
 دينارا ونصف وخمسة وعشرون مثقالا ذهب عاليا وأربعمائة وسبعون قصبه ذهب عراقي تفصيل ذلك
 منديل السلف خسون دينارا وأربعمائة وسبعون قصبه ذهب عراقي شقة ديبقي حريري وسطاني
 السلف عشرة دنانير شقة غلالة ديبقي السلف ثمانية دنانير حجرة ثلاثة دنانير وثلاث عرضي ديبقي ثلاثة
 دنانير الجهة العالية بالدار الجديدة التي يقوم بمخدمتها جوهر حلة مذهبة موشح مجاوم مذايل مطزف عدتها
 خمس عشرة قطعة سلفها ستة آلاف وثلثمائة وثلاثون قصبه تفصيل ذلك مذهب مكلف موشح مجاوم السلف
 خمسة عشر دينارا وست مائة وستون قصبه سداسي مذهب السلف ثمانية عشر دينارا ومائتا قصبه معجرا أول
 مذهب موشح مجاوم مطزف السلف خسون دينارا وألف وتسعمائة قصبه معجرا ثمان حريري السلف خمسة
 وثلاثون دينارا ونصف رداء حريري اقل السلف عشرة دنانير ونصف رداء حريري ثمان السلف تسعة
 دنانير دراعة موشح مجاوم مذايل مذهب السلف خمسة وتسعون دينارا ومن الذهب العراقي ألفان
 وست مائة وخمس وخسون قصبه شقة ديبقي حريري وسطاني السلف عشرون دينارا ونصف شقة ديبقي
 بغير رقم برسم عجز التفصيل ثلاثة دنانير ملاءة ديبقي السلف أربعة وعشرون دينارا وست مائة قصبه منديل

قوله بدلة خاص الخ
 ما ذكره في هذه البدلة
 وما بعدهما من الكسوات
 والحلل تنصيصه في
 الغالب لم يوافق اجماله
 على مقتضى ما يبدى
 من النسخ ولا يخفى ما في
 عباراته في هذا المقام
 لو أمثاله من الطوق ومخالفة
 العزمية اهـ مصححه

كم اقول السلف ستة دنائير ومائة وستون قصبه مندبل كم ثمان السلف خمسة دنائير ومائة وستون قصبه مندبل كم ثالث السلف خمسة دنائير حجرة ثلاثة دنائير عرضي ديبقي ثلاثة دنائير جهة مكنون القاضي بمثل ذلك على التشرح والعتدة جهة مرشد حلة مذهبة عتدها أربع عشرة قطعة السلف مائة وأحد وأربعون دينارا ومن الذهب العراقي ألف وستمائة وتسع وثمانون قصبه جهة غير مثل ذلك السيدة جهة ظل مثل ذلك جهة منجب مثل ذلك الامير ابو القاسم عبد الصمد بدة مذهبة الامير داود مثله السيدة العمة حلة مذهبة السيدة العالدة العمة مثل ذلك المولى الجلساء من بني الاعمام وهم ابو الميمون بن عبد المجيد والامير ابو اليسر بن الامير محسن والامير ابو علي ابن الامير جعفر والامير حيدرة ابن الامير عبد المجيد والامير موسى ابن الامير عبد الله والامير ابو عبد الله ابن الامير داود لكل منهم بدة مذهبة البنون والبنات من بني الاعمام غير الجلساء لكل منهم بدة حريري ست سيدات لكل منهم حلة حريري جهة المولى ابي الفضل جعفر التي يقوم بخدمة تاريحان حلة مذهبة جهة المولى عبد الصمد حلة حريري مباحة بالدار الجيوشية والمظفرية فعلى ما كان بأسمائهم المستخدمات لخزانة الكسوة الخاص زين الخزان المقدمة حلة مذهبة ست خزان لكل منهم حلة حريري عشر وقافات لكل منهم كذلك المعلة مقدمة المائة كذلك رايات مقدمة خزانة الشراب كذلك المستخدمات من ارباب الصنائع من القصوريات ومن افضاف اليمن من الافضليات مائة وسبعون حلة مذهبة وحريري على التفصيل المتقدم المستخدمات عند الجهات العالية جهة جوهر عشرون حلة مذهبة وحريري وكذلك المستخدمات عند مكنون الاحراء الاستاذون المكنون الامير الثقة زمام القصور بدة مذهبة الامير نسيب الدولة مرشد متولى الدقر كذلك الامير خاصة الدولة ربحان متولى بيت المال كذلك الامير عظيم الدولة وسيفها حامل المظلة كذلك الامير صارم الدولة صاف متولى السكر كذلك وفي الدولة اسعاف متولى المائدة مثله الامير افتخار الدولة جند بدة مذهبة نظير البدة المختصة بالامير الثقة ولكل من غير هؤلاء المذكورين حلة حريري أربع قطع ولفافة مغطاة مختار الدولة ظل بدة حريري ستة استاذين في خزانة الكسوة الخاص عند الامير افتخار الدولة جند بدة مذهبة جهة جوهر زمام الدار الجديدة بدة حريري تاج الملك امين بيت المال مثله مقلع برسم الخدمة في المجلس مثله مكنون متولى خدمة الجهة العالية مثله فنون متولى خدمة التربة مثله مرشد الخاص مثله النواب عن الامير الثقة في زمام القصور وعتدهم أربعة لكل منهم بدة حريري خسرواني العظمى مقدم خزانة الشراب ورفيقه لكل منهم بدة كذلك الصقالبة ارباب المذاب وعتدهم أربعة لكل منهم بدة حريري وشقة وفوطة نائب السرم مثل ذلك الاستاذون برسم خدمة المظلة وعتدهم خمسة لكل منهم مندبل سوسى وشقة دمياطى وشقة اسكندراوى وفوطة الاستاذون الشدادون برسم الدواب وعتدهم ستة كذلك حامل برسم السيد الاجل المأمون يعنى الوزير بدة خاصة مذهبة كبيرة موكبية عتدها احدى عشرة وما هو برسم جهاته وبرسم اولاده الاجل تاج الرئاسة وتاج الخلافة وسعد الملك محمود وشرف الخلافة جمال الملك موسى وهو صاحب التاريخ نظير ما كان باسم اولاد الفضل بن امير الجيوش وهم حسن وحسين واحمد الاجل المؤمن سلطان الملوك يعنى أخا الوزير عن مقدمة العساكر وزم الازمة وبرسم الجهة المختصة به وركن الدولة عز الملوك ابو الفضل جعفر عن حمل السيف الشريف خارجا عماله من حماية خزانة الكسوات وصناديق النفقات وما يحمل أيضا الخزائن المأمونية مما ينفق منها على من يحسن في الرأي من الحاشية المأمونية ثلاثون بدة الشيخ الاجل ابو الحسن بن ابي اسامة كاتب الدست الشريف بدة مذهبة عتدها خمس قطع وكم وعرضي الامير فخر الخلافة حسام الملك متولى حجية الباب بدة مذهبة كذلك القاضي ثقة الملك ابن النائب في الحكم بدة مذهبة عتدها أربع قطع وكم وعرضي الشيخ الداعي ولي الدولة بن ابي الحقيق بدة مذهبة الامير الشريف ابو علي احمد بن عقيل قصب الاشراف بدة حريري ثلاث قطع وفوطة الشريف انس الدولة متولى ديوان الانشاء بدة كذلك ديوان المكاتب الشيخ ابو الرضى ابن الشيخ الاجل ابي الحسن النائب عن والده في الديوان المذكور بدة مذهبة عتدها ثلاث قطع وكم ابو المكارم هبة الله اخوه بدة مذهبة ثلاث قطع وفوطة ابو محمد حسن اخوهما كذلك اخوهم ابو الفتح بدة حريري قطعتان وفوطة الشيخ ابو الفضل يحيى بن سعيد التدمي منشى ما يصدر عن

ديوان المكاتب ومحترما يؤمر به من المهمات بدلة مذهبة عدتها ثلاث قطع وكم ومنزى ابو سعيد الكاتب بدلة
حريرى ابو الفضل الكاتب كذلك الحاج موسى العيني فى الاصلاق كذلك وأما الكتاب ديوان الانشاء
فلم يتفق وجود الحساب الذى فيه اسماء وهم فيذكروا ومن القياس أن يكونوا قريبا من ذلك الشيخ ولى الدولة
ابو البركات متولى ديوان المجلس والخاص بدلة مذهبة عدتها خمس قطع وكم وعرضى ولا مرأته حلة مذهبة
الشيخ ابو الفضائل هبة الله بن ابى الليث متولى الدقتر وما جمع اليه بدلة ابو المجد ولده بدلة حريرى عدى الملك
ابو البركات متولى دار الضيافة بدلة مذهبة وبعده الضيوف الواردون الى الدولة جميعهم منهم من له بدلة مذهبة
ومنهم من له بدلة حريرى وكذلك من يتفق حضوره من الرسل على هذا الحكم مقدموا الرقاب عفيف الدولة
مقبل بدلة مذهبة القائد موفق والقائد تميم مثل ذلك أربعة من المتقدمين برسم الشكيمة لكل منهم بدلة حريرى
الرواض عدتهم ثلاثة لكل منهم بدلة حريرى الخاص من القراشين وهم اثنان وعشرون رجلا منهم أربعة يميزون
لكل منهم بدلة مذهبة وبقيتهم لكل واحد بدلة حريرى الاطباء الشديد ابو الحسن على بن ابى الشديد بدلة
حريرى ابو الفضل السطورى بدلة حريرى وكذلك الفئة المستخدمة برسم الحمام وهم ثمانية مقدمهم بدلة
مذهبة وبقيتهم لكل واحد بدلة حريرى والى القاهرة ووالى مصر لكل منهم بدلة مذهبة المستخدمة فى
المواكب الامركوكب الدولة تعامل الرمح الشريف وراء الموكب والدرقة المعزية بدلة حريرى حامل الراحين
المعزية أيضا أمام الموكب بغير درق لكل منهم لمنديل وشقة وفوطة وهؤلاء الثلاثة رماح ماهى عربية بل هى
خشوت قدم بها المعز من المغرب حاملوا الجداختصان بالخليفة عن يمينه ويساره لكل منهم بدلة متولى
بغل الموكب الذى يحمل عليه جميع العدة المغربية بدلة حريرى متولى جل المظلة كذلك عشرة نفر من صبيان
الخاص برسم جل العشرة رماح العربية المغشاة بالدياج وراء الموكب لكل منهم منديل وشقة وفوطة حامل
السبع وراء الموكب بدلة حريرى المتقدمون من صبيان الخاص وهم عشرون لكل منهم بدلة عرفاء القراشين
الذين يخطون عن قراشى الخاص وقراشى المجلس وقراشى خزائن الكسوة الخاص لكل منهم بدلة حريرى
القراشون فى خزائن الكسوات المستخدمة بالايوان وهم الذين يشدون ألوية الحمد بين يدي الخليفة ليلة الموسم
فانها لا تشد الا بين يديه ويبدأ هو باللف عليها يده على سبيل البركة ويكمل المستخدمة بقية شدها وما سوى
ذلك من القضب الفضة وألوية الوزارة وغيرها وعدتهم سبعة لكل منهم منديل وسوسى وشقنان اسكندرانى
المستخدمون برسم جل القضب الفضة ولواءى الوزارة أربعة عشر كذلك مشارف خزانة الطبيب وكانت من
الخدم الجليلة وكان بها اعلام الجوهر التى يركب بها الخليفة فى الاعياد ويستدعى منها عند الحاجة ويعاد اليها
عند الغنى عنها وكذلك السيف والثلاثة رماح المعزية مشارف خزانة السروج بدلة حريرى مشارف خزانة
الفرش وكاتب بيت المال ومشارف خزانة الشراب ومشارف خزانة الكتب كل منهم بدلة حريرى بركات
الادى والمستخدمون بالدولة بالباب وشنان الدولة من الكركندى عن زم الرحبة والمبيت على ابواب القصور
وكانت من الخدم الجليلة والصبيان الحجرية المشدون يلواء الموكب بعد القز بن وعدتهم عشرون لكل منهم
الكسوة فى الشتاء والعبيدين وغيرهما وعدة الذين يقبضون الكسوة فى العبيدين من القراشين اكثر من صبيان
الركاب وذلك انهم يتولون الاسمطة ويقفون فى تقديمها ويقفون عندهم المستخدمة فى الركاب بما لهم من التحصل
فى الخلفات فى العبيدين وهو ما يبلغه ستة آلاف دينار ما لا خدمهم فيها نصيب وكان يكتب فى كل كسوة هى برسم
وجوه الدولة رقعة من ديوان الانشاء فمما كتب به من انشاء ابن الصيرفى مقترنة بكسوة عبد الفطرم سنة
خمس وثلاثين وخمسمائة ولم يزل امير المؤمنين منعما بالارغائب موليا احسانه كل حاضر من اوليائه وغائب
بجز لا حظهم من منائحهم ومواهبه موصلا اليهم من الجباء ما يقصر شكرهم عن حقه وواجبه وانك أيها الامير
لاولاهم من ذلك بجسيمه واحراهم باستنشق نسيمه وأخطقهم بالجزء الاوفى منه عند فضه وتقسيمه اذ كنت فى
سماء المسابقة بدرا وفى جرائد المناصحة صدرا ومن أخلص فى الطاعة سرا وجهرا وحظى فى خدمة أمير
المؤمنين بما عطر له وصفوا سيره ذكرا ولما أقبل هذا العيد السعيد والعادة فيه أن يحسن الناس حياتهم
ويأخذوا عند كل مسجد زينتهم ومن وظائف كرم أمير المؤمنين تشريف اوليائه وخدمه فيه وفى المواسم التى
تجاريه بكسوات على حسب منازلهم تجمع بين الشرف والجمال ولا يبقى بعدها مطمع لآمال وكنت من

أخص الامراء المتقدمين قال ووصلت الكسوة المختصة بفترة شهر رمضان وجمعيته برسم الخليفة للفترة بدلة كبيرة
موكبية مكمله مذهبة وبرسم الجامع الازهر للجمعة الاولى من الشهر بدلة موكبية حريري مكمله مندبلها
وطيلسانها يايض وبرسم الجامع الانور للجمعة الثانية بدلة مندبلها وطيلسانها شعري وما هو برسم أخى
الخليفة للفترة خاصة بدلة مذهبة ويرسم له مع جهات الخليفة أربع حلل مذهبات ويرسم الوزير للفترة بدلة
مذهبة مكمله موكبية وبرسم الجمعتين بدلتان حريري ولم يكن لغير الخليفة وأخيه والوزير في ذلك شيء فيذكر
ووصلت الكسوة المختصة بفتح الخليج وهي برسم الخليفة تختان ضمنهما بدلتان احدهما مندبلها وطيلسانها
طميم برسم المضي والاخرى جميعها حريري برسم العود وكذلك ما يخص باخوته وجهاته بدلتان مذهبتان
وأربع حلل مذهبة وبرسم الوزير بدلة موكبية مذهبة في تخت وبرسم اولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة وبرسم
جهته حلة مذهبة في تخت وبقية ما يخص المستخدم من ابن أبي الرداد في تخت وكل تحت عدة بدلات وحضر
متولى الدفتر واستأذن على ما يحمل برسم الخليفة وما يفرق ويفصل برسم الخلع وما يخرج من حاصل الخزان
عن الواصل وهو ما يفضل برسم الخاص من الغلمان برسم سبع مائة قباء وخمسمائة وشقين سقلاطون دارى
وبرسم رؤساء العشاريات من الشقق الدمايطى والمناديل السوسى والفوط الحرير الحر وبرسم النوابية التي
برسم الخاص من العشارية من الشقق الاسكندراى والكليات وقد تقدم تفصيل الكسوات جميعها وعددها
واسماء المستقرين قبضها * وقال في كتاب الذخائر وحديثي من اثنى به عن ابن عبد العزيز أنه قال قومنا ما اخرج
من خزائن القصر يعنى في سنى الشدة ايام المستنصر من سائر ألوان الخسروانى ما يزيد على خمسين ألف قطعة
اكثرها مذهب وسألت ابن عبد العزيز فقال أخرج من الخزان مما حترت قيمته على يدي وبحضرتي اكثر من
ألف قطعة وحديثي ابو الفضل يحيى بن ابراهيم البغدادي أحد أصحاب الدواوين بالحضرة أن الذى تولى
ابوسعيد الهاوندى المعروف بالمعتدي بيعه خاصة من مخرج القصر دون غيره من الامناء في مدة يسيرة ثمانية عشر
ألف قطعة من بلور ويحكم منها ما يساوى الالف دينار الى عشرة دنانير ونيف وعشرون ألف قطعة خمر واني
وحديثي عميد الملك ابو الحسن على بن عبد الكريم نحر الوزراء بن عبد الحاكم أن ناصر الدولة ارسل بطالب
المستنصر بما يبقى لغلمانه فذكر أنه لم يبق عنده شيء الا ملابسه فأخرج ثمانمائة بدلة من ثيابه بجميع آلاتها كاملة
فقومت وحملت اليه وقال ابن الطوير الخدمة في خزائن الكسوات لهاربة عظيمة في المباشرات وهما
خزانتان فالظاهرة يتولاها خاصة اكبر حواشي الخليفة اما استاذ وغيره وفيها من الخواصل ما يدل على اسباغ نعم
الله تعالى على من يشاء من خلقه من الملابس الثمينة والخاص الدينى الملوثة رجالية ونسائية والديباغ
الملوثة والسقلاطون واليا يحمل ما يستعمل في دار الطراز بتنيس ودمياط واسكندرية من خاص المستعمل
وبها صاحب المقص وهو مقدم الخياطين ولا يحاسبه مكان خياطتهم والتفصيل يعمل على مقدار الاوامر
وما تدعو الحاجة اليه ثم ينقل الى خزنة الكسوة الباطنة ما هو خاص للباس الخليفة ويتولاها امرأة تنعت
بزين الخزان ابد او بين يديها ثلاثون جارية فلا يغير الخليفة ابد ثيابه الا عندها ولباسه خافيا الثياب الدارية
وسعة اكمامها سعة نصف اكمام الظاهر وليس في جهة من جهاته ثياب اصلا ولا يلبس الامن هذه الخزانة وكان
برسم هذه الخزانة بستان من أملاك الخليفة على شاطئ الخليج يعنى ابدافيه التشرين واليا يمين فيجمل في كل
يوم منه شيء في الصيف والشتاء لا ينقطع البتة برسم الثياب والصناديق فاذا كان اوان التفرقة الصيفية
او الشتوية شتلىن تقدم ذكره من اولاد الخليفة وجهاته وأقاربه وأرباب الرواتب والرسوم من كل صنف شدة
على ترتيب المقرض من شقق الديباغ الملون والسقلاطون الى السوسى والاسكندراى على مقدار الفصول
من الزمان ما يقرب من مائتي شدة فالخواص في العراضى الدينى ودونهم في اوطية حرير ودونهم في فوط
اسكندرية ويدخل في ذلك كتاب ديوانى الانشاء والمكاتبات دون غيرهم من الكتاب على مقدارهم وذلك
يخرج من الجوارى في الشهر المطلقات * وقال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة بعد
وفاة العاضد وكشف حاصل الخزان الخاصة بالقصر فقيل ان الموجود فيها مائة صندوق كسوة فاخرة من
موشى ومرصع وعقود ثمينة وذخائر نفيسة وجواهر نفيسة وغير ذلك من ذخائر عظيمة الخطر وكان الكائف
بهاء الدين قراقوش

* خزان الجواهر والطيب والطرائف *

قال ابن المأمون وكان بها الاعلام والجواهر التي يركب بها الخليفة في الاعياد ويستدعى منها عند الحاجة ويعاد اليها عند الغنى عنها وكذلك السيف الخاص والثلاثة رماح المعزية وقال في كتاب الذخائر والتحف وذكر بعض شيوخ دار الجواهر بمصر أنه استدعى يوما هو وغيره من الجواهرين من اهل الخبرة بقيمة الجواهر الى بعض خزائن القصر يعني في ايام الشدة زمن المستنصر فأخرج صندوق كيل منه سبعة أمداد زمرد قيمتها على الاقل ثلثمائة ألف دينار وكان هناك جالس الخراف العر ب بن حمدان وابن سنان وابن أبي كدينة وبعض الخالفين فقال بعض من حضر من الوزراء المعطلين للجواهرين كم قيمة هذا الزمرد فقالوا انما نعرف قيمة الشيء اذا كان مثله موجودا و مثل هذا لا قيمة له ولا مثل فاعتناظ وقال ابن أبي كدينة فخر العرب كثيرا المؤنة وعليه خرج فالتفت الى كتاب الجيوش وبيت المال فقال يحسب عليه فيه خمسمائة دينار فكسب ذلك وقبضه وأخرج عقد جواهر قيمته على الاقل من ثمانين الف دينار فضاء عدا فتحرى باقه فقال يكتب بأبني دينار ونشغلوا بنظر ما سواه وانقطع سلكه قتنا ترجمه فأخذوا احد منهم واحدة فجعلها في جيبه وأخذ ابن أبي كدينة اخرى وأخذ فخر العرب بعض الحب وباقي الخالفين التقطوا ما بقي منه وغاص كأن لم يكن وأخذ ما كان انفذ الصليبي من نفيس الدر الرقيق الرائع وكيه على ما ذكر سبع وبيات وأخذوا ألفا ومائتي خاتم ذهبا وفضة فصوصها من سائر أنواع الجواهر المختلف الالوان والقيم والاثمان والانواع مما كان لاجدادهم وله وصار اليه من وجود دولته منها ثلاثة خواتم ذهب مربعة عليها ثلاثة فصوص احدها زمرد والاثنان باقوت سماقي ورماني يبعث باثني عشر ألف دينار بعد ذلك وأحضر خريطة فيها نحو ونية جواهر وأحضر الخبراء من الجواهرين وتقدم اليهم بقيتها فذكروا أن لا قيمة لها ولا يشتري مثله الا الملوك فقومت بعشرين ألف دينار فدخل جواهر الكاتب المعروف بالخنار عز الملك الى المستنصر وأعلمه أن هذا الجواهر اشتراه جده بسبع مائة ألف دينار واسترخصه فققدم بانفاقه في الاتراك فقبض كل واحد منهم جزأ بقيمة الوقت وفرق عليهم قال فأما ما أخذ مما في خزائن البلور والمحكم والمينا الجري بالذهب والمجروود والبغدادى والخياردى والمدهون والخلنج والعيني والذهبي والامدى وخزائن الفرس والبسط والستور والتعليق فلا يحصى كثرة وحديثي من اثنى به من المستخدمين في بيت المال انه أخرج يوما في جملة ما أخرج من خزائن القصر عدة صناديق وان واحدا منها فتح فوجد فيه على مثال كيزان الفقا من صافي البلور المتقوش والمجروود شيء كثير وان جميعها ملوء من ذلك وغيره وحديثي من اثنى به انه رأى قدح بلور يسع مجرودا بمائةين وعشرين ديناراً ورأى خردادى بلور يسع بثلاثمائة وستين ديناراً وكوز بلور يسع بمائةين وعشرة دنانير ورأى صحن مينا كثيرة تباع من المائة دينار الى مائتي دينار وحديثي من اثنى بقوله انه رأى بطرايس قطعتين من البلور الساذج الغاية في النقاء وحسن الصنعة احدهما خردادى والاخرى باطية مكتوب على جانب كل واحدة منهما اسم العزيز بالله تسع الباطية سبعة ارطال بالمصرى ماء والخردادى تسعة وانه عرضهما على جلال الملك ابى الحسن على بن عمار فدفع فيهما ثمانمائة دينار فامتنع من بيعهما وكان اشتراهما من مصر من جملة ما اخرج من الخزائن وان الذى تولى بيعه ابو سعيد النهاوندى من مخرج القصر دون غيره من الامناء في مدينة يسيرة ثمانية عشر الف قطعة من بلور ويحكم منها ما يساوى الاقل دينار الى عشرة دنانير واخرج من صوافى الذهب المجراة بالمينا وغير المجراة المنقوشة بسائر أنواع النقوش المملوءة جميعها من سائر أنواعه وألوانه وأجناسه شيء كثير جدا ووجد فيما وجد غف خبار مبطن بالحرير محلاة بالذهب مختلفة الاشكال خالية مما فيها من الاواني عدتها سبعة عشر ألف غلاف كان في كل قطعة اما بلور مجرودا ومحكم او ما يشاكله ووجد اكثر من مائة كاس باد زهر ونصب وأشباها على اكثرها اسم هارون الرشيد وغيره ووجد في خزائن القصر عدة صناديق كثيرة ملوءة سكاكين مذهبة ومفضضة بنصب مختلفة من سائر الجواهر وصناديق كثيرة ملوءة من انواع الدوى المربعة والمربعة والصغار والكبار المعمولة من الذهب والفضة والصندل والعود والابنوس الزنجي والعاج وسائر أنواع الخشب المحلاة بالجواهر والذهب والفضة وسائر الانواع الغريبة والصنعة المحجرة الدقيقة بجميع آلاتها ما يساوى الاقل دينار والاكثر والاقل سوى ما عليها من الجواهر وصناديق ملوءة مشارب ذهب وفضة محجرة بالسواد صغار وكبار مصنوعة بأحسن

ما يكون من الصنعة وعدة ازيار صيني كبار مختلفة الالوان مملوءة كافورا قيصوريا وعدة من جاجم العنبر
الشجرى وفواجج المسك التبتى وقوارير وشجر العود وقطعه ووجد للسيدة رشيدة ابنة المعز حين ماتت في سنة
اثنين وأربعين وأربعمائة مائة ألف دينار وسبع مائة ألف دينار من جلته ثلاثون ثوب خز مقطوع
واثناعشر ألفا من الثياب المصمت ألوانا ومائة قاطر مزم مملوءة كافورا قيصوريا ومما وجد لها معصمات
يجواهرها من ايام المعز وبيت هرون الرشيد الخراساود الذى مات فيه بطوس وكان من ولى من الخلفاء
ينظرون وفاتها فلم يقض ذلك الا للمستنصر بالله فحازه في خزائنه ووجد لعبد بن المعز أيضا وماتت في سنة
اثنين وأربعين وأربعمائة مالا يحصى حدثني بعض خزان القصر أن خزان السيدة عبدة ومقاصيرها
وصناديقها وما يجب أن يختم عليه ذهب من الشع في خواتمه على الصحة والمشايدة اربعون رطلا بالمصرى
وان بطائق المتاع الموجود كتبت في ثلاثين رزمة ورق ومما وجد لها ايضا اربعمائة قطرة والى وثلاثمائة قطعة
مينافضة مخزقة زنة كل مينا عشرة آلاف درهم وأربعمائة سيف محلى بالذهب وثلاثون الف شقة فضيلة ومن
الجواهر مالا يحصى كثيرة وزمرد كيلة اردب واحد وأن سيد الوزراء أبا محمد البازورى وجد في موجوداتها
طستنا وبريقا فلنظر استحسنه لهما سأل المستنصر فيهما فوهبهما له ووجد مدهن ياقوت احمر وزنه سبعة
وعشرون مثقالا واخرج أيضا تسعون طستنا وتسعون ابريقا من صافى البلور ووجد في القصر خزان مملوءة من
سائر أنواع الصينى منها الجاجين صيني كبار محلاة كل اجانة منها على ثلاثة ارجل على صورة الوحوش والسباع
قيمة كل قطعة منها ألف دينار مع مائة لغسل الثياب ووجد عدة اقفاص مملوءة ببض صيني معمول على هيئة
البض في خلقته ويأضه يجعل فيها ماء البيض التيمرشت يوم الفصاد ووجد حصير ذهب وزنها ثمانية عشر رطلا
ذكر أنها الحصير التي جلبت عليها بوران بنت الحسن بن سهل على المأمون وأخرج ثمان وعشرون صينية مينا
مجر بالذهب بكعوب كان أرسلها ملك الروم الى العزيز بالله قومت كل صينية منها ثلاثة آلاف دينار انفذ
جميعها الى ناصر الدولة ووجد عدة صناديق مملوءة مراعى حديد من صيني ومن زجاج المينا لا يحصى ما فيها
كثرة جميعها محلى بالذهب المشبك والفضة ومنها المكمل بالجواهر في غلف الكيخفت وسائر أنواع الحرير
والخيزان وغيره مضرب بالذهب والفضة ولها المقابض من العقيق وغيره وأخرج من المطال وقضيبا الفضة
والذهب شئ كثير وأخرج من خزائن الفضة ما يقارب الاف درهم من الآلات المصنوعة من الفضة المجرأة
بالذهب فيها ما زنة القطعة الواحدة منه خمسة آلاف درهم الغريبة النقش والصنعة التي تساوى خمسة دراهم
بدينار وان جميعه يبع كل عشرين درهما بدينار سوى ما أخذ من العشاريات الموكبية وأربعة الخيام وقضيب
المطال والمخوقات والاعلام والقناديل والصناديق والتوقات والرازين والسمروج والنجم والمناطق التي
للعماريات والاقباب وغيرها مثل ذلك وأضعافه واخرج من الشطرخج والتبردا المعمولة من سائر أنواع الجواهر
والذهب والفضة والعاج والابنوس براق الحرير والمذهب مالا يحصى كثيرة ونفاضة وأخرج آلات فضة وزنها
ثلاثمائة ألف ونيف وأربعون ألف درهم تساوى ستة دراهم بدينار وأخرج اقفاص مملوءة من سائر آلات
مصنوعة مجرأة بالذهب عدتها اربعمائة قصص كبار سبكت جميعها وفزقت على الخفافين وأخرجت أربعة
آلاف نرجسية مجوفة بالذهب يعمل فيها الترجس وألصاف بنفسجية كذلك وأخرج من خزائنه الطرائف ستة
وثلاثون ألف قطعة من محكم وبلور وقوم السكاكين بأقل القيم فجاءت قيمتها على ذلك ستة وثلاثين ألف دينار
واخرج من تماثيل العنبر اثنان وعشرون ألف قطعة اقل تماثيل منها وزنه اثناعشر مثنا وكبره يجاوز ذلك ومن
تماثيل الخليفة مالا يحصى من جلته ثمانمائة بطيخة كافور وأخرجت الكلوثة المرصعة بالجواهر وكانت من غريب
ما في القصر ونفيسه ذكر أن قيمتها ثلاثون ألف دينار ومائة ألف دينار قومت بثمانين ألف دينار وكان وزن
ما فيها من الجواهر سبعة عشر رطلا اقسى انخر العرب وتاج المولود فصارت الى انخر العرب منها قطعة بلش وزنها
ثلاثة وعشرون مثقالا وصارت الى تاج الدين مما وقع اليه حبات در كل حبة ثلاثة مثاقيل عدتها مائة حبة
فلما كانت هزيمتهم من مصر نهبت وأخرج من خزائن الطيب خمسة صواري عود هندي كل واحد من تسعة
أذرع الى عشرة أذرع وكافور قيصورى زنة كل حبة من خمسة مثاقيل الى مادونها وقطع عنبر وزن القطعة ثلاثة
آلاف مثقال واخرج من ازيار صيني محمولة على ثلاثة ارجل ملء كل وعاء منها ما تارطل من الطعام وعدة قطع شب

وباد زهره من اجام سبعة ثلاثة اشبار ونصف وعمقه شبر مليح الصنعة وقاطر ميز باور فيه صور ثابتة تسع سبعة عشر رطلا وبابوجة باور مجرود تسع عشر رطلا وقصرية نصب كبيرة جدا وطابع نذ فيه ألف مثقال كان نخر الدولة ابو الحسن على بن ركن الدولة بن بويه الديلي عمله مكتوب في وسطه نخر الدولة شمس الملة وأبيات منها

ومن يكن شمس اهل الارض قاطبة * فنته طابع من الف مثقال

وطاوس ذهب مرصع بنفيس الجوهر عيناه من ياقوت احمر وريشه من الزجاج المينا المجري بالذهب على ألوان ريش الطاوس وديك من الذهب له عرف مفروق كأكبر ما يكون من اعراف الديوك من الباقوت الاحمر مرصع بسائر الدر والجوهر وعيناه ياقوت وغزال مرصع بنفيس الدر والجوهر وبطنه أبيض قد نظم من در رائع وجمع سكارج من بلور تخرج منه وتعود فيه قخته أربعة اشبار مليح الصنعة في غلاف خيزران وبطيخة من الكافور في شبالة ذهب مرصعة وزنها خالصه سبعون مثقالا من كافور وقطعة عنبر تسمى الخروف وزنها سوى ما يسكهها من الذهب ثمانون مثقالا وبطيخة كافور أيضا وجمد ما عليها من الذهب ثلاثة آلاف مثقال ومائدة نصب كبيرة واسعة قوائمهاتها بيضة بلخس وزنها سبعة وعشرون مثقالا اشتد صفاء من الباقوت الاحمر وقاطر ميز بلور مليح التقدير يسع مرققين قوم في المخرج ثمانية دينار دفع الى تاج الملوك فيه بعد ذلك ألف دينار فامتنع من بيعه ومائدة جرع يقعد عليها جماعة قوائمهاتها مخروطة منها وبطيخة ذهب مكاله بالجوهر وبديع الدر في اجانة ذهب تجمع الطلع والبلج والرطب بشكله ولونه وعلى صفته وهياته من الجواهر لا قيمة لها وكوز زير بلور يحمل عشرة ارطال ماء ودارج مرصع بنفيس الجوهر لا قيمة له ومزينة مكاله تجب اولون نفيس وقبة العشارى وكارته وكسوة رحله الذي استعمله على بن احمد الجرجاني وفيه مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبع مائة درهم نقرة واطلاق للصناع عن اجرة صياغته وثمان مائة الفان وتسعمائة دينار وكان سعر الفضة حينئذ كل مائة درهم بستة دنانير وربع سعر ستة عشر درهما دينار واخرج العشارى القضى الذى استعمله على بن احمد لأم المستنصر وكان فيه مائة الف وعشرون الف درهم نقرة وصرف اجرة صياغة وطلاء ألفان وأربع مائة دينار وكسوة بجال جليل واخرج جميع كسا العشاريات التى برسم البرية والبحرية وعدتها ومناطقها ورؤوس منخرفات وأهلة وصرفيات وكانت اربع مائة ألف دينار ستة وثلاثين عشاريا وعدة ميا كيم فضة فيها ما وزنه مائة وتسعة ارطال فضة وأخرج بستان ارضه فضة مخروقة مذهبة وطينه نذ وأشجاره فضة مذهبة مصوغة وأشجاره عنبر وغيره وزنه ثلثمائة وستة ارطال وبطيخة كافور وزنها ستة عشر ألف مثقال وقطع ياقوت أزرق زنة كل قطعة سبعون درهما وقطع زمرد زنة كل قطعة ثمانون درهما نصاب مرآة من زمرد له طول ونخن كل ذلك أخذه الخالقون

• خزانة الفرش والامتعة •

قال في كتاب الذخائر وحدثني من اتق به عن ابن عبد العزيز الانماطى قال قوامنا ما اخرج من خزانة القصر من سائر الخسروانى ما يزيد على خمسين ألف قطعة اكثرها مذهب وسألت ابن عبد العزيز فقال اخرج من الخزانة ما حتررت قيمته على يدي وبمحضرتي اكثر من مائة الف قطعة واخرج مرتبة خسروانى جراء بيعت بثلاثة الاف وخمسمائة دينار ومرتبة قلوبى بيعت بالفين وأربع مائة دينار وثلاثون سندسية بيعت كل واحدة منها بثلاثين ديناراً ونيّف وعشرون الف قطعة خسروانى فى هديله لم يقطع منها شئ وكانت قيمة العرض المبيع بأقل القيم وبرز الاثمان فى مدة خمسة عشر يوماً من صفر سنة ستين وأربع مائة سوى ما نهب وسرق ثلاثون الف الف دينار قبض جميعها الجند والأتراك ليس لاحد منهم درهم واحد قبضه عن استحقاق وحدثني الامير ابو الحسن على بن الحسن احدى مقدمي الخمين بالقصر أن الفراسين دخلوا الى بعض خزانة الفرش لما اشتدت مطالبة المارق للمستنصر بالمال الى الخزانة المعروفة بخزانة الرفوف وسجت بذلك لكثرة رفوفها ولكل رف منها سلم مفرد قانز لو انما ألقي عدل شقق طميم يهدبها من سائر أنواع الخسروانى وغيره لم تستعمل بعيد وجميع ما فيها مذهب معمول بسائر الاشكال والصور وأنهم فتحوا عدلا منها فوجدوا ما فيه اجلة معموله للقبلة من

خسرواني احر مذهب كاحسن ما يكون من العمل وموضع نزول الخاذا القبيل ورجليه ساذجة بغير ذهب
واخرج من بعض الخزائن ثلاثة آلاف قطعة خسرواني احر مطرز بأبيض في هدهبها لم يقصل من كسايون
كاملة بجميع ألوانها ومقاطعها وكل بيت يشتمل على مسانده ومخاضه ومساوره ومراسته وبسطه وعتبه
ومقاطعها وستوره وكل ما يحتاج اليه فيه قال وأخرج من خزائن القرش من البيوت الكاملة القرش من القلوني
والديقي من سائر ألوانه وأنواعه المنجل والخسرواني والديساج الملكي والخزوسا الحرير من جميع ألوانه
وأنواعه ما لا يحصى كثرة ولا يعرف قدره نقاسة واخرج من الحصر والافخاخ السامان المطرزة بالذهب والفضة
وغير المطرزة من المخرمة والطيور والقبيلة المصورة بسائر أنواع الصور شئ كثير والتمس بعض الأتراك من
المستنصر مقرة يعني ستارة سندس اخضر مذهبة فأخرج عدل منها مكتوب عليه مائة وثمانية وثمانون من
جملة اعداد اعدال فيما من المتاع ووجد من الستور الحرير المنسوجة بالذهب على اختلاف ألوانها وأطوالها
عدة مشين تقارب الاف فيها صور الدول وملوكها والمشاهير فيها مكتوب على صورة كل واحد اسم ومدة ايامه
وشرح حاله واخرج من خزائن القرش أربعة آلاف رزمة خسرواني مذهب في كل رزمة فرش مجلس ببسطه
وتعاليقه وسائر ألوانه منسوجة في خيط واحد باقية على حالها لم تمس وصار الى نحر العرب مقطع من الحرير
الازرق التستري القرقوي غريب الصنعة منسج بالذهب وسائر ألوان الحرير كان المعز لدين الله امر بعمله
في سنة ثلاث وخسين وثلاثمائة فيه صورة أقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهاها ومسالكها شبيه
جغرافيا وفيه صورة مكة والمدينة مبنية للناظر مكتوب على كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمه
بالذهب والفضة او الحرير وفي آخره مما امر بعمله المعز لدين الله شوقا الى حرم الله واشهارا للعالم رسول الله في
سنة ثلاث وخسين وثلاثمائة والنفقة عليه اثنان وعشرون ألف دينار وصار الى تاج الملوك بيت أرمي احر
منسوج بالذهب عمل للمتوكل على الله لا مثل له ولا قيمة وبساط خسرواني دفع اليه فيه ألف دينار فامتنع من
بيعه وقال ابن الطوير خزانة القرش وهي قرية من باب الملك يحضر اليها الخليفة من غير جلوس ويطوف فيها
ويستخبر عن احوالها ويأمر بادامة الاستعمال وكان من حقوقها استعمال السامان في اماكن خارجها
بالقاهرة ومصر ويعطى مستخدمها خمسة عشر دينارا يعني يوم يطوف بها الخليفة

* (خزائن السلاح) *

قال في كتاب الذخائر فأما خزائن السيوف والاكات والسلاح فان بعضها اخذ وقسم بين العشرة الثامرين
على المستنصر وهم ناصر الدولة بن جدان وأخوه وبلد كوس وابن سبكتكين وسلام عايك وشاور بن حسين
حتى صار ذو الفقار الى تاج الملوك وممصامة عمرو بن معدى كرب وسيف عبد الله بن وهب الراسي وسيف
كافور وسيف المعز وسيف ابي المعز الى الاعز بن سنان ودرع المعز لدين الله وكانت تساوي ألف دينار وسيف
الحسين بن علي بن ابي طالب عليهما السلام ودرقة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وسيف جعفر الصادق
رضي الله عنه ومن الخود والدروع والتخافيف والسيوف المحلاة بالذهب والفضة والسيوف الحديدية
وصناديق النصول وجعاب السهام الخليج وصناديق القسي ورزم الرماح الزان الخطية وشدات القسا الطوال
والزرد والبض مشين ألوف وكان كل صنف منها مفردا عشرات ألوف وقال ابن الطوير خزانة السلاح يدخل
اليها الخليفة ويطوفها قبل جلوسه على السرير هنالك ويتأمل حواصلها من الصكر اغندات المدفونة بالزرد
المغشاة بالديساج المحكمة الصناعة والجواشن المبطنة المذهبة والزرديات السابلة برؤسها والخود المحلاة بالفضة
وكذلك اكثر الزرديات والسيوف على اختلافها من العرييات والقلجوريات والرماح القنا والقطاريات
المدفونة والمذهبة والاسنة البرصانية والقسي الرماية اليد المنسوبة الى صناعتها مثل الخطوط المنسوبة الى
اربابها فيحضر اليه منها ما يجز به ويتأمل النشاب وكانت نصوله مثلثة الاركان على اختلافها ثم قسى الرجل
والركاب وقسى اللولب الذي زنة نصله خمسة ارطال ويرمي من كل سهم بين يديه فينظر كيف يجراه والنشاب الذي
يقال له الجراد وطوله شبر يرمي به عن قسي في مجار معمولة برسمه فلا يدري به الفارس او الراجل الا وقد نفذ فاذا
فرغ من نظره ذلك كله خرج من خزانة الدرق وكانت في المكان الذي هو خان مسرور وهي برسم الاستعمالات

قوله وهم الخ هكذا
في النسخ ولم يستوف
العشرة فليحذر اه
مصححه

للاساطيل من الكبورة الخارجية والخود الجلودية الى غير ذلك فيعطى مستخدمها خمسة وعشرون ديناراً ويخلع على متقدم الاستعمالات جو كانية مزينة حريراً وعمامة لطيفة

* (خزائن السروج) *

قال في كتاب الذخائر اخرج فيما اخرج صناديق سروج محلاة بفضة مجرة بسواد ممسوحة وجد على صندوق منها الثامن والتسعون والثلاثمائة وثمانية مائة مائة زيادة على اربعة آلاف سرج واخرج المستنصر من خزائن السروج خمسة آلاف سرج كان ابو سعد ابراهيم بن سهل التستري دخرها له فيها وتقدم به فظها اكل سرج منها يساوي من سبعة آلاف دينار الى ألف واكثرها عال سببك جميعها وخرق في الاتراك كان برسم ركابه منها اربعة آلاف سرج وأخذ من خزائن السيدة والدنة اربعة آلاف سرج مثلها وودونها صنع بها مثل ذلك * وقال ابن الطوير خزانة السروج تحتوى على ما لا يحتوى عليه مملكة من الممالك وهي قاعة كبيرة بدورها مصطبة علوها ذراعان ومجالسها كذلك وعلى تلك المصطبة متكآت مخرجة الجانيين على كل متكأ ثلاثة سروج متطابقة وفوقه في الحائط وتدمدهون مضروب في الحائط قبل تبيخه وهو بارز بروزا متكأ عليه المركبات الحلي على طعم تلك السروج الثلاثة من الذهب خاصة والفضة خاصة والذهب والفضة وقلاندها وأطواقها الاعناق الخيل وهي لخصاص الخليفة وأرباب الرتب ما يزيد على ألف سرج ومنها للجمام هو الخصاص ومنها الوسط ومنها الدون وهي خيار غير هارسم العواري لارباب الرتب والخدم ومنها ما هو قريب من الخصاص فيكون عند المستخدم بشده الدائم وجاريه على الخليفة مادام مستخدماً والعلف مطلق من الاهراء وأما الصاغة فان فيها منهم ومن المركبين والخزازين عدد اجماع اثنين لا يفترقون عن العمل وكل مجلس مضبوط بعدد متكآته وما عليها من السروج واللاتاد والجمع وكل مجلس لذلك عند مستخدميه في العرض فلا يحتل عليهم منها شيء وكذلك وسط قاعته باعده متواليه أيضاً والشدادون مطلوبون بالنقائص منها ايام المواسم وهم يحضرونها اوقيتها فيعرض ويركب ويحضر اليه الخليفة ويطوفها من غير جلوس ويعطى حاميهما للتفرقة في المستخدم من عشرين ديناراً ويقال ان الحافظ لدين الله عرض له فيها حاجة فجاء اليها مع الحامي فوجد الشاهد غير حاضر وختمه عليها فرجع الى مكانه وقال لا يقل ختم العدل الا هو ونحن نعود في وقت حضوره انتهى وكان الخليفة الامر بأحكام الله تحتدته نفسه بالسفر الى المشرق والغارة على بغداد فأعد لذلك سروجاً مجوفة اقراص وبطنها بصفائح من قصدير ليحبل فيها الماء وجعل لها منافيه صفارة فاذا دعت الحاجة الى الماء شرب منه الفارس وكان كل سرج منها سبع سبعة ارطال ماء وعلى عدة محال الخيل من ديباج وقال في ذلك

دع الأوم عنى لست منى بموتى * فلا بدلى من صدمة المتحقق

وأسى جيا دى من فرات ودجلة * وأجمع شمل الدين بعد التفريق

وأول من ركب المنصرفين في دولته من خيله بالمرأى الذهب في المواسم العزيز بالله نزار بن المعز

* (خزائن الخيم) *

قال في كتاب الذخائر وأخبرني سماء الرؤساء ابو الحسن على بن احمد بن مدبر وزير ناصر الدولة قال اخرج فيما اخرج من خزائن القصر عدة لم تخص من أعدال الخيم والمضارب والفازات والمسطحات والجركاوات والحصون والقصور والشراعات والمشارع والقساطيط المعمولة من الديق والخيل والخسرواني والدياج الملكي والارمني والهنساوى والكردوانى والجيد من الحلبي وما شبه ذلك من سائر ألوانه وأنواعه ومن السندس والطميم أيضاً منها المقييل والمسبع والخيل والمطاووس والطير وغير ذلك من سائر الوحوش والطير والآدميين من سائر الاشكال والصور البديعة الرائعة ومنها الساذج والمنقوش في ظاهره بغرائب النقوش بجميع آلاتها من الأعمدة الملبسة انابيب الفضة والنياب المذهبة وغير المذهبة من سائر ألوانها وألوانها والصفريات الفضة على أقدارها والحبال الملبسة القطن والحرير واللاتاد وسائر ما يحتاج اليه من جميع آلاتها وعدتها البطن جميعها بالديق الطميم المذهب والخسرواني المذهب وثياب الحرير الصيني والتستري والمضب

والرجح والشرفي والشعري والديباخ والمريش وسائر أنواع الحرير من سائر الألوان وأنواعها كبارا وصغارا منها ما يحمل خرقة وأوتاده وعمده وسائر عتده على عشرين بعيرا ودون ذلك وفوقه فالمسطح بيت مربع له أربع حيطان وسقف بستة أعمدة منها عمودان للمعائظ الواحد المرفوع للدخول والخروج والخيمة ظهرها حائط مربع وسقيفتها إلى الباب حائط مربع وأركانها شواركة من الجانبين على قدر القسام وفيها أربعة أعمدة اثنتان في الباب واثنتان في وسطها وكلما زادت زاد عمدها وسقفها ولها حدان مشر وكان من الجانبين والشراع حائط في الظهر مسقف على الرأس بعمودين من أي موضع دارت الشمس حول إلى ناحية الشمس والمشرعة فيه مثل المظلة على عمود واحد تام وشراع سابل خلفها من أي موضع دارت الشمس أدير والقبة على حالها • وحدثنى أبو الحسن علي بن الحسن الخنفي قال أخرجنا في جملة ما أخرج من خزانة القصر أيام المارقين حين اشتدت المطالبة على السلطان فسطاطا كبيرا أكبر ما يكون يسمى المدورة الكبيرة يقوم على فرد عمود طوله خمسة وستون ذراعا بالكبير ودائر فلكته عشرون ذراعا وقطرها ستة أذرع وثلاث ذراع ودائرته خمسمائة ذراع وعدة قطع خرقة أربع وستون قطعة كل قطعة منها تحزم في عدل واحد يجمع بعضه إلى بعض بعري وشرايب حتى ينصب يحمل خرقة وحباله وعدته على مائة جبل وفي صفرته المعمولة من الفضة ثلاثة قناطر مصرية يحملها من داخلها قضبان حديد من سائر نواحيها تمتلي ماء من راوية جبل قد صور في رفرقه كل صورة حيوان في الأرض وكل عقد مليح وشكل ظريف وفيه باذنج طوله ثلاثون ذراعا في أعلاه كان أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن البازوري أمر بعماله أيام وزارته فعمله الصناعات وعدتهم مائة وخمسون صانعا في مدة تسع سنين واشتكت النفقة عليه على ثلاثين ألف دينار وكان عمله على مثال القناول الذي كان العزيز بالله أمر بعماله أيام خلاقته الآن هذا أعلى عموداته وأوسع وأعظم وأحسن وكان الخليفة أنفذ إلى مملك الروم في طلب عمودين للفسطاط طول كل واحد منهما سبعون ذراعا بعد أن غرم عليهما ألف دينار أحدهما في هذا الفسطاط بعد أن قطع منه خمسة أذرع والآخر حمله ناصر الدولة بن جحان حين خرج على الخليفة المستنصر بالله إلى الاسكندرية وما أدري ما فعل به قال وأقامتة طويلا في تفصيل بعضه من بعض وتقطيعه خرقا وشقة فاقومت على المذكورين بأقل القيم وتفرق في الآفاق وقال لي أيضا أخرجنا مسطحا قلوبيا مخلا موجهما من جانيه عمل بتيس للعزيز بالله يسمى دار البطيخ وسطه بكنيس على ستة أعمدة أربعة منها في أركان الكنيس وفي أربعة الأركان أربع قباب ومن القبة إلى القبة رواق دائر عليه والقباب دونه وفي كل قبة أربعة أعمدة طول كل عمود من أعمدة الكنيس ثمانية عشر ذراعا وكذلك طول قائم القباب وفعلنا به مثل ما فعلنا في الأول وقال لي أخرجنا مسطحا عمل للظاهر لأعزاز دين الله بتيس ذهب في ذهب طهيم قائم على عمود له ست صفاري بلور وستة أعمدة فضة انفق عليه أربعة عشر ألف دينار ومسطحا ديقيبا كبيرا مذهبا بدوا تركردواني منقوش وأخرجنا قصورا تحيط بالخيام بشرقات من الخمل والقلوني والديقي والديباخ والخسرواني والحرير من سائر أنواعه وألوانه المذهبة المنقوشة بجياضها ودككها ومصاطبها وقدورها وزجاجها وسائر عدها وأخرجنا من الخيام الكردياني شيئا كثيرا وأخرجنا خيمة كبيرة مدورة كردواني مألحة النقش والصناعة عتدها قطع كثيرة طول عمودها خمسة وثلاثون ذراعا فعلنا بجميعها مثل ما فعلنا بالأول وأخرج في جملتها الفسطاط الكبير المعروف بالمدورة الكبيرة المتولى عمله بحلب أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الأيسر في سني ثيف وأربعين وأربع مائة المنفق على خرقة ونقشه وعمله وعدته ثلاثون ألف دينار الذي عموده أطول ما يكون من صواري درامير الروم البنادقة أربعون ذراعا ودائر فلكته عموده أربعة وعشرون شبرا ويحمل على سبعين جلا ووزن صفرته الفضة قنطاران سوى أنابيب عمده ويتولى اتقان عمده ونصبه مائتا رجل من فزاش ودعين وهوشيه بالقناول العزيزي وسمى بالقناول لأنه مانصب قط الاوقل رجلا أو رجلين ممن يتولى اتقانه من فزاش وغيره قال ووجد في خزانة مملوءة من سائر أنواع الصواني المدهونة بيغداد المذهبة التي حشيت كل واحدة منها بمادونها في السعة إلى ماسعته دون الدرهم ومن سائر أنواع الاطباق الخلع الرازي في هذه السعة وفوق ذلك ودونه قد حشيت بطونها بمادونها في السعة إلى ماسعته دون الدينار ومن الموائد القوائم الصغار والكبار ألوف ومن موائد الأكرم وما أشبهها شيئا كثيرا ومن الجفان الحور الواسعة التي قد عملت مقابضها من الفضة وحليت بأنواع

الحلى التي لا يتجر الجبل القوى على حمل جفتين منها العظمها تساوى الواحدة منها مائة دينار وفوقها وودونها شئ كثير ووجد من الذكك والمحاريب والامرة العود والصندل والعاج والابنوس والبقم شئ كثير ملج الصنعة * وقال ابن ميسر وعمل الفضل بن امير الجيوش خيمة مماها خيمة الفرح اشتملت على ألف الف واربعمائة ألف ذراع وقائمها ارتفاعه خسون ذراعا بذراع الع حمل صرف عليها عشرة آلاف دينار ومدحها جماعة من الشعراء

* (خزانة الشراب) *

قال ابن المأمون ولم يكن في الايوان فيما تقدم شراب حلويل انها تترت لاستقبال النظر المأمونى واطلق لها من السكر مائة وخمسة عشر قنطارا وبرسم الورد المربى خمسة عشر قنطارا وأما ما يستعمل بالكافورى من الحلوالفانيد والحامض فالمبلغ في ذلك على ما حصره شاهده في السنة ستة الاف وخمسمائة دينار وما يحمل للكافورى أيضا برسم كرك الماورد ما يستدعيه مولى الشراب * وقال ابن الطوير خزانة الشراب وهي أحد مجالسه أيضا يعنى القاعة التي هي الآن المارستان العتيق فاذا جلس الخليفة على السرير عرض عليه ما فيها حاميهما وهو من كبار الاستاذين وشاهدها فيحضر اليه قراشوها بين يدي مستخدميهما من عيون الاصناف العالية من المعاجين العجيبة في الصبني والطيفير الخليج فيذوق ذلك شاهدها بمحضته ويستخبر عن احوالها بحضور أطباء الخاص وفيها من الاكلات والازيار الصبني والبرابى عدة عظيمة للورد والبنفسج والمرسين وأصناف الادوية من الراوند الصبني وما يجرى مجراه مما لا يقدر احد على مثله الا هنالك وما يدخل في الادوية من آلات العطار الى ذلك ويسأل عن الدراريق الفاروق ويأمرهم بتحصيل اصنافه ليستدرك عمله قبل انقطاع الحاصل منه ويؤكد في ذلك تأكيدها عظيما ويستأذن على ما يطلق منها برقع اطباء الخاص للجهات وحوالي القصر فيأذن في ذلك ويعطى الحامى للتفرقة في الجماعة ثلاثين ديناراً

* (خزانة التوابل) *

وقال ابن المأمون فأما التوابل العالى منها والودن فانها جلة كثيرة ولم يقع لي شاهد بها بل اني اجتمعت بأحد من كان مستخدماً في خزانة التوابل فذكر أنها تشتمل على خمسين ألف دينار في السنة وذلك خارج عما يحمل من البقولات وهي باب مفرد مع المستخدم في الكافورى والذي استقر اطلاقه على حكم الاستعمار من الجريات المختصة بالقصور والرواتب المستجدة والمطلق من الطبيب ويذكر الطراز وما يتناع من الثغور ويستعمل بها وغير ذلك فأولها جارية القصور وما يطلق لها من بيت المال ادرار الاستقبال النظر المأمونى ستة آلاف وثلثمائة وثلاثة وأربعون ديناراً تفصيله منديل الكم الخاص الاصرى في الشهر ثلاثة آلاف دينار عن مائة دينار كل يوم اربع جمع الحمام في كل جمعة مائة دينار اربع مائة دينار وبرسم الاخوة والاخوات والسيدة الملكة والسيدات والامير ابى على واخوته والمواالى والمستخدمات ومن استجدة من الافاضيات ألفان وتسعمائة وثلاثة وأربعون ديناراً ولم يكن للقصور في الايام الافاضية من الطبيب راتب فيذكر بل كان اذا وصلت الهدية والجلاوى من البلاد اليمنية تحمل برمتها الى الايوان فينقل منها بعد ذلك للافضل والطبيب المطلق للخليفة من جلته فانفسخ هذا الحكم وصار المرتب من الطبيب مياومة ومشاهدة على ما يأتى ذكره ما هو برسم الخاص الشريف في كل شهر ندمثلث ثلاثون مثقالا عود صيني مائة وخمسة دراهم كافور قديم خمسة عشر درهما عنبر خام عشرة مثاقيل زعفران عشرون درهما ماء ورد ثلاثون رطلا برسم بخور المجلس الشريف في كل شهر في ايام السلام ندمثلث عشرة مثاقيل عود صيني عشرون درهما كافور قديم ثمانية دراهم زعفران شعر عشرة دراهم ما هو برسم بخور الحمام في كل ليلة جمعة عن أربع جمع في الشهر ندمثلث أربعة مثاقيل عود صيني عشرة مثاقيل ما هو برسم السيدات والجهات والاخوة في كل شهر ندمثلث خمسة وثلاثون مثقالا عود صيني مائة وعشرون درهما زعفران شعر خسون درهما عنبر خام عشرون مثقالا كافور قديم عشرون درهما مسك خمسة عشر مثقالا ماء ورد أربعون رطلا ما هو برسم المائدة الشريفة ما تستله العجلة مسك خمسة عشر مثقالا ماء ورد خمسة عشر رطلا ما هو برسم خزانة الشراب الخاص مشك ثلاثة مثاقيل ندمثلث

مثلث سبعة مثاقيل عود صيني خمسة وثلاثون درهما ماء ورد عشرون رطلا ماهو برسم بخور المواكب الستة وهي الجمعتان الكائنتان في شهر رمضان برسم الجامعين بالقاهرة يعني الجامع الأزهر والجامع الحساكي والعبدان وعبد الغدير وأول السنة بالجوامع والمصلى نذ خاص بجملة كثيرة لم تتحقق فتذكر ولم يكن للغزتين غرة السنة وغرة شهر رمضان وفتح الخليج بخور فيذ كروعة المبحرين في المواكب ستة ثلاثة عن اليمن وثلاثة عن الشمال وكل منهم مشدود الوسط وفي كفه لهم برسم نجيل المدخنة والمدخن فضة وحامل الدرع الفضة الذي فيه الجورأ أحد مقدي بيت المال وهو فيما بين المبحرين طول الطريق ويضع بيده الجور في المدخنة وإذا مات أحد هؤلاء المبحرين لا يخدم عوضا عنه إلا من يتبرع بمدخنة فضة لأن لهم رسوما كثيرة في المواسم مع قريهم في المواكب من الخليفة ومن الوقت الذي يتبرع فيه بالمدخنة يرجع في حامل بيت المال وإذا توفي حاملها لا ترجع لورثته وعدة ما يبحر في الجوامع والمصلى غير هؤلاء في مداخن كبار في صواني فضة ثلاث صوان في المحراب أحدها وعن عين المنبر وشماله اثنتان وفي الموضع الذي يجلس فيه الخليفة إلى أن تقام الصلاة صينية رابعة وأما الجور المطلق برسم المأمون فهو في كل شهر ندمثل خمسة عشر مثقالا عود صيني ستون درهما غير خام ستة مثاقيل كافور ثمانية دراهم زعفران شعر عشرة دراهم ماء ورد خمسة عشر رطلا ومنها مقر الجوامع وما قر من خزائن التفرقة في كل يوم اثنا عشر مجعا كل بيت عياره رطل واحد وكل مجمع ثلاثة أروطال جبن قريش وفاكهة بنصف درهم والمستقر لهذه الجماع في كل يوم من اللبن خمسة وثمانون رطلا ومنها مقر الحلوى والفستق ومما استجد ما يعمل في الإيوان برسم الخاص في كل يوم من الحلوى اثنا عشر جاما رطبة وبابسة نصفين وزن كل جام من الرطب عشرة أروطال ومن اليابس ثمانية أروطال ومقر خشكناج والبسند وفي كل ليلة على الاستمرار برسم الخاص الأخرى والمأمون قنطار واحد سكر ومثقالان مسك وديناران برسم المؤن لعمل خشكناج وبسند وفي قعبان وسلال صفصاف ويحمل ثلثا ذلك إلى القصر والثلث إلى الدار المأمونية قال وجرحت مفاوضة بين متولى بيت المال ودار القطرة بسبب الاصناف ومن جلتها الفستق وقلة وجوده وتزايد سعره إلى أن بلغ رطل ونصف دينار وقد وقف منه لأرباب الرسوم ما حصل شكواهم بسببه فجاءه متولى الديوان بأن قال ماتم موجب الاتفاق لما هو راتب من الديوان وطاله المقام العالي بأنه لما رسم لهم هذا كرا جميع ما اشتمل عليه ماهو مستقر الاتفاق من قلب الفستق والذي يطلق من الخزائن من قلب الفستق ادوارا مستقرا بغير استدعاء ولا توقيع مياومة كل يوم حسابا في الشهر التام عن ثلاثين يوما خمسمائة وخمسة وثمانون رطلا وفي الشهر الناقص عن تسعة وعشرين يوما خمسمائة وخمسة وستون رطلا حسابا عن كل يوم تسعة عشر رطلا ونصف من ذلك ما يستلص الصنائع الحلاويون والمستخدمون بالإيوان مما يصنع به خاص خارجا عما يصنع بالمطابخ الأخرية عن اثني عشر جام حلوى خاص وثمانمائة وثمانية أروطال من الرطب ستون رطلا ويابس وغيره ثمانية وأربعون رطلا مما يحمل في يومه وساعته منها ما يحمل محتموما برسم المائتين الأسميتين بالبلاذنج والدار الجديدة اللتين ما يحضرهما إلا من كبرت منزلته وعظمت وجاهته جامان رطبا ويابساً وما يفرق في العوالي من الموالى والجهات على أوضاع مختلفة تسع جامات وما يحمل إلى الدار المأمونية برسم المائدة بالدار دون السماط جام واحد ثمة المياومة المذكورة ما يتسلمه مقدم القرائين في خدمة المائدة الشريفة التي تتولاها المعلمة بالقصور الزاهرة أربعة أروطال فستق ما يتسلمه الشاهد والمشارف على المطابخ الأخرية مما يصنع فيها برسم الحمامات الحلوى وغيره مما يكون على المدورة في الاسمطة المستقرة بقاعة الذهب في أيام السلام وفي أيام الركوبات وحلول الركاب بالنظر أربعة أروطال وما يتسلمه الحاج مقبل القرائ برسم المائدة المأمونية مما يوصله لزام الدار دون المطابخ الرجالية رطلان الحكم الثاني يطلق مشاهرة بغير توقيع ولا استدعاء بأسماء كبار الجهات والمستخدمين من الأصحاب والخواشي في الخدم المميزة وهو في الشهر ثلاثة عشر رطلا والديوان شاهد بأسماء أربابه وما يطلق من هذه الخزائن السعيدة بالاستدعاءات والمطالعات ويوقع عليه بالاطلاق من هذا الصنف في كل سنة على ما يأتي ذكره وما يستدعي برسم التوسعة في الراتب عند تحويل الركاب العالي إلى اللؤلؤة مدة أيام النبل المبارك في كل يوم رطلان وما يستدعي برسم الصيام مدة تسعة وخمسين يوما رجب وشعبان حسابا عن كل يوم رطلان مائة وثمانية عشر رطلا

وما يستدعى لما يصنع بدار الفطرة في كل ليلة برسم الخاص خشكناج لطيفة وبسندود وجوارشات ونواطف ويحمل في سلال صفاف لوقته عن مدة أولها مستهل رجب وآخرها صلح رمضان عن تسعة وعشرين يوما مائة وعثمانية وسبعون رطلا لكل ليلة رطلان ويسمى ذلك بالتعبية وما يستدعيه صاحب بيت المال ومتولى الديوان فيما يصنع بالايوان الشريف برسم الموالد الشريفة الاربعة النبوي والعلوي والفاطمي والآمري مما هو برسم الخاص والموالي والجهات بالقصور والزاهرة والدار الأموية والاصحاب والخواشي خارجا عما يطلق مما يصنع بدار الوكالة ويفترق على اليهود والمتصدين والفقراء والمساكين مما يكون حسابه من غير هذه الخزائن عشرون رطلا قلب فستق حسابا لكل يوم مزيد منها خمسة اوطال ما يستدعى برسم لبالي الوقود الاربعة الكائنات في رجب وشعبان مما يصنع بالايوان برسم الخاصين والقصور خاصة عشرون رطلا لكل ليلة خمسة اوطال وأما ما ينصرف في الاسمطة واللبالي المذكورات في الجامع الازهر بالقاهرة والجامع الظاهري بالقاهرة فالحكم في ذلك يخرج عن هذه الخزائن ويرجع الى مشارف الدار السعيدة وكذلك ما يستدعيه المستخدمون في المطابخ الآمرية من التوسعة من هذا الصنف المذكور في جملة غيره برسم الاسمطة لمدة تسعة وعشرين يوما من شهر رمضان وسلخه لاسمط فيه وفي الاعياد جميعها بقاعة الذهب وما يستدعيه النائب برسم ضيافة من يصرف من الامراء في الخدم الكبار ويعود الى الباب ومن يرده اليه من جميع الضيوف وما يستدعيه المستخدمون في دار الفطرة برسم فتح الخليج وهي الجملتان الكبيرتان جميع ذلك لم يكن في هذه الخزائن محاسبته ولا ذكر جلته والمعاملة فيه مع مشارف الدار السعيدة وأما ما يطلق من هذا الصنف من هذه الخزائن في هذه الولائم والافراح وارسلال الانعام فهو شيء لم تحقق اوقاته ولا مبلغ استدعائه أنهى المملوك ذلك والمجلس فضل السمق والقدرة فيما يأمر به ان شاء الله تعالى

* (دار التعبية) *

قال ابن المأمون دار التعبية كانت في الايام الفضلية تشتمل على مبلغ يسير فاتمى الامر فيها الى عشرة دنائير كل يوم خارجا عما هو موظف على البساتين السلطانية وهو الترجس والنيوفران الاصفر والاحمر والتخل الموقوف برسم الخاص وما يصل اليه من القيوم ونفرا الاسكندرية ومن جملتها تعبية القصور للجهات والخاص والسيدات ولدار الوزارة وتعبية المناظر في الركوبات الى الجمع في شهر رمضان خارجا عن تعبية الحمامات وما يحمل كل يوم من الزهرة وبرسم خزانة الكسوة الخاص وبرسم المائدة وتفرقة الثمرة الصيفية في كل سنة على الجهات والامراء والمستخدمين والخواشي والاصحاب وما يحمل لدار الوزارة والضيوف وحاشية دار الوزارة

* (خزانة الادم) *

قال وأما الراتب من عند بركات الادى فانه في كل شهر ثمانون زوجا اوطية من ذلك برسم الخاص ثلاثون زوجا برسم الجهات أربعون زوجا برسم الوزارة عشرة أزواج خارجا عن السبايعات فانها تستدعى من خزانة الكسوة وفي كل موسم تكون مذهبة

* (خزائن دارا فتكين) *

قال ابن الطوير وكانت لهم دار كبرى يسكنها نصر الدولة أفتكين الذي رافق نزار بن المستنصر بالاسكندرية جعلوها برسم الخزن فقيل خزائن دارا فتكين وتحتوى على أصناف عديدة من الشمع المحمول من الاسكندرية وغيرها وجميع القلوب المأكولة من الفستق وغيره والاعمال على اختلاف أصنافها والسكر والقند والشيرج والزيت فيخرج من هذه الخزائن بيد حاميا وهو من الاستاذين المميزين ومشارفها وهو من المعتدلين راتب المطابخ خاصا وعاماليوم ولا يام يتفق منها للمستخدمين ثم لارباب التوقيعات من الجهات وأرباب الرسوم في كل شهر من ارباب الراتب حتى لا يخرج عما يحتاجونه فيها الا اللحم والخضر اوات فهي أبدا معمورة بذلك انتهى

* (خبر نزار وأفتكين) * لما مات الخليفة المستنصر بالله أبو قعيم معتز بن الامام الظاهر لأعزاز دين الله أبي الحسن علي بن الحاكم بأمر الله أبي علي منصور في ليلة الخميس الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة بادر الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجبال إلى القصر وأجلس أبا القاسم أحمد بن المستنصر في منصب الخلافة ولقبه بالمستعلي بالله وسير إلى الأمير نزار والأمير عبد الله والأمير اسماعيل أولاد المستنصر فحافوا إليه فاذا أخوهم أحمد وهو أصغرهم قد جلس على سرير الخلافة فامتعضوا ذلك وشق عليهم وأمرهم الأفضل بتقبيل الأرض وقال لهم قبلوا الأرض لمولانا المستعلي بالله وبابيعوه فهو الذي نص عليه الامام المستنصر قبل وفاته بالخلافة من بعده فامتنعوا من ذلك وقال كل منهم إن آباءه قد وعدوه بالخلافة وقال نزار لو قطعت ما بابعت من هو أصغر مني سنا وخط وألدي عندي بأبي ولي عهد وأنا أحضره وخرج مسرعاً ليحضر الخط فحضر لا يدري به أحد وتوجه إلى الاسكندرية فلما أبطأ بجيئه بعث الأفضل إليه ليحضر بالخط فلم يعلم له خبراً فانزعج لذلك انزعاجاً عظيماً وكانت نفرة نزار من الأفضل لا مورو منها أنه خرج يوماً فاذا بالأفضل قد دخل من باب القصر وهو راكب فصاح به نزار انزل يا أرنخي الجنس فحقدها عليه وضار كل منهما بما يكره الآخر ومنها أن الأفضل كان يعارض نزار في أيام أبيه ويستخف به ويضع من حواشيه وأسبابه ويبتطش بعلته فلما مات المستنصر خافه لأنه كان رجلاً كبيراً وله حاشية واعوان فقدم لذلك أحمد بن المستنصر بعد ما اجتمع بالامراء وخوفهم من نزار وما زال بهم حتى وافقوه على الاعراض عنه وكان من جلهم محمود بن مصال فسير خفية إلى نزار وأعلمه بما كان من اتفاق الأفضل مع الامراء على إقامة أخيه أحمد وادارته لهم عنه فاستعذ إلى المسير إلى الاسكندرية هو وابن مصال فلما فارق الأفضل ليحضر إليه بخط أبيه خرج من القصر مستكراً وسار هو وابن مصال إلى الاسكندرية وبها الأمير نصر الدولة أفتكين أحد عماليك أمير الجيوش بدر الجبال ودخل عليه ليلاً وأعلمه بما كان من الأفضل وزمما عليه ووعد نزار بأن يجعله وزيراً مكان الأفضل فقبلهما أتم قبولاً وباع نزار وأحضر أهل النفر لمبايعته فبايعوه ونعته بالمصطفى لدين الله فبلغ ذلك الأفضل فأخذ يتجهز لحاربتهم وخرج في آخر المحرم سنة ثمان وثمانين بمسالكه وسار إلى الاسكندرية فبرز إليه نزار وأفتكين وكانت بين الفريقين عدة حروب شديدة أنكر فيها الأفضل ورجع بمن معه منهزماً إلى القاهرة فقوى نزار وأفتكين وصار اليهما كثير من العرب واشتد أمر نزار وعظم واستولى على بلاد الوجه البحري وأخذ الأفضل يتجهز ثانية إلى المسير لحاربة نزار ودس إلى كبار العربان ووجوه أصحاب نزار وأفتكين وصاروا إلى الاسكندرية فنزل الأفضل إليها وحاصرها حصاراً شديداً والمخ في مقاتلتهم وبعث إلى كبار أصحاب نزار ووعدهم فلما كان في ذي القعدة وقد اشتد البلاء من الحصار جمع ابن مصال ماله وفر في البحر إلى جهة بلاد المغرب فقت ذلك في عسك نزار وتبين فيه الانكسار واشتد الأفضل وتكاثر جوعه فبعث نزار وأفتكين إليه يطلبان الامان منه فامتنهما ودخل الاسكندرية وقبض على نزار وأفتكين وبعث بهما إلى القاهرة فأما نزار فانه قتل في القصر بأن اقيم بين حائطين بنياعليه فمات بينهما وأما أفتكين فانه قتله الأفضل بعد قدومه ودار أفتكين هذه كانت خارج القصر وموضعها الآن حيث مدرسة القاضي الفاضل وآدره بدرب ملوخيا

* (خزانة البنود) *

البنود هي الرايات والاعلام وبشبه أن تكون هي التي يقال لها في زمننا العصاب السلطانية وكانت خزانة البنود ملاصقة للقصر الكبير ومن حقوقه فيما بين قصر الشول وباب العيد بناها الخليفة الظاهر لأعزاز دين الله أبو هاشم علي بن الحاكم بأمر الله وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين في سائر الصنائع وكانت أيام الظاهر هذا سكونا وطمأنينة وكان مشتغلاً بالاكل والشرب والتزهو وسماع الاغانى وفي زمانه تأفق اهل مصر والقاهرة في اتخاذ الاغانى والرقاصات وبلغ من ذلك المبالغ العجيبة واتخذت له حجرة الممالك وكانوا يعاينهم فيها انواع العلوم وأنواع آلة الحرب وصنوف حيلها من الرماية والمطاعنة والمسابقة وغير ذلك * وقال في كتاب الذخائر والتحف ولما وهب السلطان يعني الخليفة المستنصر لسعد الدولة المعروف بسلام عليك ما في خزانة البنود من جميع المتاع والالآت وغير ذلك في اليوم السادس من صفر سنة احدى وستين وأربعمائة جل جميعه ليلاً وكان فيما وجد

سعد الدولة فيها ألفا وتسعمائة درقة الى ما سوى ذلك من آلات الحرب وما سواء وغير ذلك من القضب الفضة والذهب والبنود وما سواء وفي خلال ذلك سقط من بعض القراشين مقطوع شمع وقد نارا فهد هناك اعدال ككتان ومتاعا كثيرا فاحترق جميعه وكانت لتلك غلبة عظيمة وخوف شديد فيما يليها من القصر ودور العائمة والاسواق وأعلنى من له خبرة بما كان في خزانة البنود أن مبلغ ما كان فيها من سائر الآلات والامتنعة والذخائر لا يعرف له قيمة عظيمة وان المنفق فيها ككل سنة من سبعين ألف دينار الى ثمانين ألف دينار من وقت دخول القائد جوهر وبناء القصر من سنة ثمان وخسين وثلثمائة الى هذا الوقت وذلك زائد عن مائة سنة وان جميعه باق فيها على الايام لم يتغير وان جميعه احترق حتى لم يبق منه باقية ولا اثر وانه احترق في هذه الليلة من قربات النقط عشرات الوف ومن زراقات النقط أمثالها فأما الدرق والسيوف والرماح والنشاب فلا تحصى بوجه ولا سبب مع ما فيها من قضب الفضة وثياب المذهبة وغيرها والبنود المجمله وسروج ولحم وثياب القرعية المصبغات والبنادين وغيرها بعد أن أخذوا ما قدروا عليه حتى لواء الحمد وسائر البنود وجميع العلامات والالوية وحدثني من اثنى به أيضا انه احترق فيها من السيوف عشرات ألوف وما لا يحصى كثرة وان السلطان بعد ذلك بمدة طويلة احتاج الى اخراج شئ من السلاح لبعض مهماته فاخرج من خزانه واحدة مما بقي وسلم خمسة عشر ألف سيف مجوهره سوى غيرها حدثني بجميعه الاجل عظيم الدولة متولى السرا الشريف انتهى • وجعلت خزانه البنود بعد هذا الحريق حبسا وفيها يقول القاضي المهذب بن الزبير لما اعتقل بها وكتب بها الكامل ابن شاوور

ايا صاحبي سجن الخزانه خليا • نسيم الصبار سل الى كبدي فحيا
وقولا لضوء الصبح هل أنت عند • الى نظري ام لأرى بعدها صبحا
ولا تياسا من رمة الله أن أرى • سر به افضل الكامل العفو والصفحا
وقال

ايا صاحبي سجن الخزانه خليا • من الصبح ما يدوسنا ولا نظري
فوالله ما أدري اطرفي سافر • على طول هذا الليل ام غير سافر
وما لي من اشكو اليه اذا كما • سوى ملك الدنيا شجاع بن شاوور

واستمرت محبنا للامراء والوزراء والاعيان الى أن زالت الدولة فاتخذها ملوك بني ائوب أيضا سجننا تعتقل فيه الامراء والممالك • ومن غريب ما وقع بها أن الوزير أحمد بن علي الجرجاني لما توفى طلب الوزارة الحسن بن علي الانباري فأجيب اليه فتنجمل من سوء التدبير قبل تمامه ما فوته مراده وضيع ماله ونفسه وذلك انه كان قد نبغ في أيام الحاكم بأمر الله أخوان يهوديان يتصرف أحدهما في التجارة والآخر في الصرف ويسع ما يحمله التجار من العراق وهما ابوسعد ابراهيم وابونصر هررون ابنا سهل التستري واشترى من أمرهما في البيوع واظهار ما يحصل عندهما من الودائع الخفية لمن يفقد من التجار في القرب والبعد ما يشأ به جيل الذكرف الآفاق فانتفع حالهما لذلك واستخدم الخليفة الظاهر لا عزازدين الله أباسعد ابراهيم بن سهل التستري في ابتياع ما يحتاج اليه من صنوف الامتنعة وتقدم عنده فباع له جارية سوداء فتحظى بها الظاهر وأولادها ابنة المستنصر فرعت لابي سعد ذلك فلما أفضت الخلافة الى المستنصر ولدها قد مات اباسعد وتخصصت به في خدمتها فلما مات الوزير الجرجاني وتكلم ابن الانباري في الوزارة قصده ابونصر اخو أبي سعد فجهه أحد اصحابه بكلام مؤلم فظن ابونصر أن الوزير ابن الانباري اذا بلغه ذلك ينكر على غلامه ويعتذر اليه فجاء منه خلاف ما ظنه وبلغه عنه أضعاف ما سمعه من الغلام فشكا ذلك الى أخيه أبي سعد وأعلمه بأن الوزير متغير النية لهما فلم يفترا ابوسعد عن ابن الانباري وأغرى به أم المستنصر مولاه فتحدثت مع ابنتها الخليفة المستنصر في أمره حتى عزله عن الوزارة فسي أبوسعد عند أم المستنصر لابي نصر مدقة بن يوسف الفلاح في الوزارة فاستوزره المستنصر وولى ابوسعد الاشراف عليه وصار الوزير الفلاح منقاد الابي سعد تحت حكمه وأخذ الفلاح يعمل على ابن الانباري وبغرى به ويصنع عليه ديونا ويذكر عنه ما يوجب الغضب عليه حتى تم له ما يريد قبض عليه وخرجه عليه من الدواوين اموالا كثيرة بما كان يتولاه قديما وألزمه بمحملها وتوقع له اصناف العذاب واستغنى أمواله وهو معتقل

بجزاة البنود ثم قتله في يوم الاثنين الخامس من المحرم سنة أربعين وأربعمائة بها فاتفق أن الفلاح لما صرف عن الوزارة اعتقل بجزاة البنود حيث كان ابن الأنباري ثم قتل بها وحفر له ليدفن قطهر في الحفر رأس ابن الأنباري قبل أن يمضي فيه القتل فقال لا اله الا الله هذا رأس ابن الأنباري اتاهلته ودقته ههنا وأنشد
رب لحد قد صار لحد امرارا * ضاحكاً من تراحم الاضداد

فقتل ودفن في تلك الحفرة مع ابن الأنباري فعند ذلك من غرائب الاتفاق * ثم ان خزنة البنود جعلت منازل للأسرى من الفرنج الأسوريين من البلاد الشامية أيام كانت محاربة المسلمين لهم فأُنزل بها الملك الناصر محمد بن قلاوون الأسارى بعد حضوره من الكرك وأبطل السجن بها فلم يزالوا فيها بأهلهم وأولادهم في أيام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فصار لهم فيها أفعال قبيحة وأمر متكررة شنيعة من التجاهر ببيع الخمر والتظاهر بالزنا والباطلة وحماية من يدخل اليها من أبواب الديون وأصحاب الجرائم وغيرهم فلا يقدر أحد ولو جمل على أخذ من صار اليهم واحتى بهم والسلطان بغضى عنهم لما يرى في ذلك من مراعاة المصلحة والساسة التي اقتضاها الحال من مهادة ملوك الفرنج وكان يسكن بالقرب منها الأمير الحاج آل ملك الجوكندار ويبلغه ما يفعله الفرنج من العظائم الشنيعة فلا يقدر على منعهم ونفس امرهم فرفع الخبر إلى السلطان وأكثر من شكايتهم غير مرة والسلطان يتخاف من ذلك إلى أن كثرت مفاوضة الحاج آل ملك للسلطان في أمرهم فقال له السلطان اتقل أنت عنهم يا أمير فلم يسعه الا الاعراض عن ذلك وعمر داره التي بالحسنية والاصطبل والجامع المعروف بآل ملك والجامع والنفندق وانتقل من داره التي كان فيها يجوار خزنة البنود وسكن بالحسنية إلى أن مات السلطان الملك الناصر في آخرات سنة إحدى وأربعين وسبعمائة وانتقل الملك في أولاده إلى أن جلس الملك الصالح عماد الدين اسمعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون وضرب شوري على من يكون نائب السلطنة بالديار المصرية يدبر أحوال المملكة كما كانت العادة في ذلك مدة الدولة التركية فأشير بتولية الأمير بدر الدين جنكش بن البلبا قنصل من ذلك وأبى قبوله فعرضت النيابة على الأمير الحاج آل ملك فاستبشر وقال لي شروط اشترطها على السلطان فان أجابني النية فعملت ما يرسم به وهي أن لا يفعل شيء في المملكة الأبرأى وأن يمنع الناس من شرب الخمر ويقام منار الشرع ولا يعترض على أمر من الأمور فأجيب إلى ما سأله وأحضرت التشريف فأقبضت عليه بالجامع من قلعة الجبل في يوم الجمعة الثاني عشر من المحرم سنة أربع وأربعين وسبعمائة وأصبح يوم السبت جالساً في دار النيابة من القلعة وحكم بين الناس وأول ما بدأ به أن أمر وإلى القاهرة بالنزول إلى خزنة البنود وأن يحتاط على جميع ما فيها من الخمر والقواحش ويخرج الأسرى منها ويهدمها حتى يجعلها دكاويستوى بها الأرض قتل اليها ومعه الحاجب في عدة وافرة وهجموا على من فيها وهم آمنون وأحاطوا بسائر ما تشتمل عليه وقد اجتمع من العامة والغوغاء ما لا يسع عليه حصر فأرأوا فيها خوراً كثيرة تنبأوا بالحد في الكثرة وأخرج من كان فيها من النساء البغايا وغيرهن من الشباب وأرباب الفساد وقبض على الفرنج والارمن وهدمها حتى لم يبق لها أثر وفودى في الناس فحكروها وشووا فيها الدور والطواحين على ما هي عليه الآن وأمر بالأسرى فأُنزلوا بالقرب من المشهد النفيسى بجوار كيان مصر فهم هناك إلى الآن وأُنزل من كان منهم أيضاً بقلعة الجبل فأسكنوا معهم وطهر الله تلك الأرض منهم وأراح العباد من شرهم فانها كانت شريرة من بيع الأرض يباع فيها لحم الخنزير على الوضوء كما يباع لحم الضأن ويعصر فيمن الخمر في كل سنة ما لا يستطيع أحد حصره حتى يقال انه كان يعصر بها في كل سنة اثنتان وثلاثون ألف جرة خمر ويباع فيها الخمر نحو اثني عشر رطلاً بدرهم إلى غير ذلك من ما تراويع الفسوق

* (دار الفطرة) *

قال ابن الطوير دار الفطرة خارج القصر بناها العزيز بالله وهو أول من بناها وقرو فيها ما يعمل مما يحمل إلى الناس في العيد وهي قبالة باب الديلم من القصر الذي يدخل منه إلى المشهد الحسيني ويكون مبدأ الاستعمال فيها وتخصيل جميع أصنافها من السكر والعسل والقلوب والزعفران والطيب والدقيق لاستقبال النصف الثاني من شهر رجب كل سنة ليلاً ونهاراً من الخشكاج والبسندود وأصناف الفانيذ الذي يقال له كعب

الغزال والبرماورد والفسق وهو شواير مثال الصبح والمستخدمون يرفعون ذلك الى اماكن واسعة مصونة
فيحصل منه في الحاصل شئ عظيم هائل يمد مائة صانع للعلايين مقدم وللشككاين آخر ثم يندب لها مائة قرأش
لجل طيافير للفرقة على ارباب الرسوم خارجا عن هو مرتب ثلث مائة من القرأشين الذين يحفظون رسومها
ومواعينها الحاصلة بال دائم وعدتهم خمسة فيحضر اليها الخليفة والوزير معه ولا يصحبه في غيرهما من الخزانين لانها
خارج القصر وكلها للفرقة فيجلس على سريره بها ويجلس الوزير على كرسي ملين على عادته في النصف
الثاني من شهر رمضان ويدخل معه قوم من الخواص ثم يشاهد ما فيها من تلك الخواص المعمولة المعبأة مثل
الجبال من كل صنف فيفرقها من ربيع قنطار الى عشرة ارطال الى رطل واحد وهو اقلها ثم ينصرف الخليفة
والوزير بعد أن ينعم على مستخدميه باستين دينار ثم يحضر الى حاميها ومشارفها الادعية المعمولة المخرجة من
دقير المجلس كل دعوى لتفريق فريق من خاص وغيره حتى لا يبقى أحد من ارباب الرسوم الا واسمه واردف دعوى من
تلك الادعية ويندب صاحب الديوان الكتاب المسلمين في الديوان فيسيرهم الى مستخدميه فيسلم كل كاتب دعوى
أو دعوى من أولئك على كفرة ما يحتمويه وقلته ويؤمر بالفرقة من ذلك اليوم فيقدمون أبدا ما تقي طيفور من
العالى والوسط والدون فيجمعها القرأشون برقا من كتاب الادعية باسم صاحب ذلك الطيفور علا أو دناو ينزل
اسم القرأش بالذخو أو عريفه حتى لا يضيع منها شئ ولا يختلط ولا يزال القرأشون يخرجون بالطيافير ملائى
ويدخلون بها فارغة فيجعدار ملتحمل المائة الاولى عبيت المائة الثانية فلا يفتد ذلك طول التفرقة فأجل الطيافير
ما عدد خشكاته مائة حبة ثم الى سبعين وخمسين ويكون على صاحب المائة طرحة فوق قواربه ثم الى خمسين
ثم الى ثلاث وثلاثين ثم الى خمس وعشرين ثم الى عشرين ونسبة منشور كل واحد على عدد خشكاته ثم العبيد
السودان بغير طيافير كل طائفة يتسلبها عرفاؤها في أفراد الخواص لكل طائفة على مقدارها الثلاثة الافراد
والخمس والسبعة الى العشرة فلا يزالون كذلك الى أن ينقضى شهر رمضان ولا يفوت أحد شئ من ذلك
ويتهداه الناس في جميع الاقليم قال وما ينفق في دار الفطرة فيما يفرق على الناس منها سبعة آلاف دينار *
وقال ابن عبد الظاهر دار الفطرة بالقاهرة قبالة مشهد الامام الحسين عليه السلام وهي القندق الذي بناه
الامير سيف الدين بهادر الان في سنة ست وخمسين وسقانة اول من رتبها الامام العزيز بالله وهو اول من
سناها وكانت الفطرة قبل أن يفتل الافضل الى مصر تعمل بالايوان وتفرق منه وعندما تنتقل الى مصر نقل
الدواوين من القصر اليها واستجد لها مكانا قبالة دار الملك بايوانى المكاتب والانشاء فانهم ما كانوا يقرب الدار
ويتوصل اليها من الساعة الكبرى التي فيها جلوسه ثم استجدت للفطرة دارا عملت بعد ذلك وراقته وهي الآن
دار الامير عز الدين الافرم بمصر قبالة دار الوكالة وعملت بها الفطرة مدة وفترق منها الا ما يخص الخليفة والجهات
والسيدات والمستخدمات والاستاذين فانه كان يعمل بالايوان على العادة ولما توفى الافضل وعادت الدواوين
الى مواضعها انتهى خاصة الدولة ربحان وكان يتولى بيت المال ان المكان بالايوان يضيق بالفطرة فأمر
المأمون أن يجتمع المهندسين ويقطع قطعة من اصطلب الطارمة ينيه دار الفطرة فانشأ الدار للمذكورة قبالة
مشهد الحسين والباب الذي بمشهد الحسين يعرف بباب الديلم وصار يعمل بها ما استجدت من رسوم الموالي
والوقودات وعقدت لها جلستان احدهما وجدت فسطرت وهي عشرة آلاف دينار خارجا عن جوارى
المستخدمين والجللة الثانية فصلت فيها الاصناف وشرحها دقيق ألف حلة سكر سبعة مائة قنطار قلب
فسق ستة قناطر قلب لوز ثمانية قناطر قلب بندق أربعة قناطر ثمر أربع مائة اردب زبيب ثلثمائة
أردب خل ثلاثة قناطر عسل ثلث خمسة عشر قنطارا شير ما ثلث قنطار حطب ألف ومائتا حلة سمسم
أردبان آيسون أردبان زيت طيب برسم الوقود ثلاثون قنطارا ما ورد بخسون رطلا مسك خمس نوافج
كافور قديم عشرة مشاقيل زعفران مطحون مائة وخمسون درهما وييد الوكيل برسم المواعين والبيض
والسقاين وغير ذلك من المؤن على ما يحاسب به ويرفع المحازم خمسمائة دينار * ووجدت بخط ابن ساكن
قال كان المرتب في دار الفطرة ولها ما يذكر وهو زيت طيب برسم القناديل خمسة عشر قنطارا مقاطع سكندري
برسم القوارات ثلثمائة مقطوع طيافير جدد برسم السماط ثلثمائة طيفور شمع برسم السماط وتوديع الامراء
ثلاثون قنطارا أجرة الصانع ثلثمائة دينار جارى الحامى مائة وعشرون دينار جارى العامل والمشارف مائة

وثمانون ديناراً وشقة ديتي - يياض حريري ومنديل ديتي كبير حريري وشقة سقلاطون اندلسي يلبسها فدام
 الفطرة يوم جلها ليفترق طبخا الفطرة على الامراء وأرباب الرسومات وعلى طبقات الناس حتى يوم الكبير
 والصغير والضعيف والقوي ويبدأ بهامن أول رجب الى آخر رمضان * (ذكر ما اختص من صفة الطباقير) *
 الاعلى منها طيفور فيه مائة حبة خشكناج وزنها مائة رطل وخمسة عشر قطعة حلوة زنتها مائة رطل سكر
 سليمان وغيره عشرة ارطال قلوبات ستة ارطال بسندود عشرةون حبة ككعك وزبيب وعمرقنطار جلة
 الطيفور ثلاثة قناطير وثلاث الى مادون ذلك على قدر الطبقات الى عشر حبات * وقال ابن أبي طي وعمل المعز
 لدين الله داراهما دار الفطرة فكان يعمل فيهما من الخشكناج والحلواء والبسندود والفانيد والككعك
 والقمر والبندق شي كثير من أول رجب الى نصف رمضان فيفترق جميع ذلك في جميع الناس الخاص والعام
 على قدر منزلهم في اوان لا تستعاد وكان قبل ليلة العيد يفترق على الامراء الخيول بالمر اكب الذهب والخلع
 النفيسة والطرار الذهب والسياب برسم النساء

* (المشهد الحسيني) *

قال الفاضل محمد بن علي بن يوسف بن ميسر وفي شعبان سنة احدى وتسعين وأربعمائة خرج الافضل بن أمير
 الجيوش بعسا كرجة الى بيت المقدس وبه سكان وابلغازي ابنا ارتق في جماعة من اقاربهم ورجالهم وعساكر
 كثيرة من الاتراثر اسلمها الافضل يلتمس منهم ما تسليم القدس اليه بغير حرب فلم يجيباه لذلك فقاتل البلد ونصب
 عليها المجانيق وهم منها جانباً فلم يجد ابدان الاذعان له وسلماء اليه فخلع عليهم ما أطلقهما وعاد في عساكره وقد
 ملك القدس فدخل عسقلان وكان بهامكان دارس فيه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ما
 فأخرجه وعطره وجعله في سفل الى اجل دارهم وعمر المشهد فلما تكامل حل الافضل الرأس الشريف على صدره
 وسعى به ماشياً الى أن احلته في مقبره وقيل ان المشهد بعسقلان بناه أمير الجيوش بدر الجبالي وكله ابنه الافضل
 وكان جل الرأس الى القاهرة من عسقلان ووصوله اليها في يوم الاحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين
 وخمسائة وكان الذي وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها كان والقاضي المؤتمن بن مسكين
 مشارفها وحصل في القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكور * ويذكر أن هذا الرأس الشريف
 لما أخرج من المشهد بعسقلان وجدده لم يحفظ وله ريح كريخ المسك فقدم به الاساذمكتون في عشاري من
 عشاريات الخدمة وأنزل به الى الكافوري ثم حل في السرداب الى قصر الزمرّد ثم دفن عند قبعة الديلم بباب دهليز
 الخدمة فكان كل من يدخل الخدمة يقبل الارض أمام القبر وكانوا يخرجون في يوم عاشوراء عند القبر الابل
 والبقر والغنم ويكثرون النوح والبكاء ويسبون من قتل الحسين ولم ير الوالي ذلك حتى زالت دولتهم * وقال ابن
 عبد الظاهر مشهد الامام الحسين صلوات الله عليه قد ذكرنا أن طلائع بن رزيك المنعوت بالصالح كان قد قصد
 نقل الرأس الشريف من عسقلان لما خاف عليها من الفرنج وبني جامعه خارج باب زويلة ليدفنه به ويفوز بهذا
 القصار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا لا يكون ذلك الا عندنا فعمدوا الى هذا المكان وبنوه له وقاتلوا الرخام
 اليه وذلك في خلافة الفاتر على يد طلائع في سنة تسع وأربعين وخمسائة * وسمعت من يحكى حكاية يستدل بها
 على بعض شرف هذا الرأس الكريم المبارك وهي أن السلطان الملك الناصر رحمه الله لما أخذ هذا القصر وشي
 اليه بخادم له قدر في الدولة المصرية وكان زمام القصر وقيل له انه يعرف الاموال التي بالقصر والدقات فأخذ
 وسئل فلم يجب بشيء وتجاهل فأمر صلاح الدين توابه بتعذيبه فأخذه متولى العقوبة وجعل على رأسه خنافس
 وشّد عليها قرصية وقيل ان هذه أشد العقوبات وان الانسان لا يطيق الصبر عليها ساعة الا تنقب دماغه وتقتله
 ففعل ذلك به مرارا وهو لا يتأوه وتوجد الخنافس ميتة ففجّب من ذلك وأحضره فقال له هذا سر فيك ولا بد أن
 تخرجني به فقال والله ما سبب هذا الا أني لما وصلت رأس الامام الحسين جلتها قال وأي سر أعظم من هذا
 وراجع في شأنه فعقاعنه * ولما ملك السلطان الملك الناصر جعل به حلقة تدريس وفقهاء وفوضها لافقيه
 البهاء الدمشقي وكان يجلس للتدريس عند المحراب الذي الضريح خلفه فلما وزر معين الدين حسين بن شيخ

الشيخ بن حمويه ورد إليه أمر هذا المشهد بعد اخوته جمع من أوقافه ما بنى به إيوان التدريس الآن ويوت الفقهاء العاوية خاصة واحترق هذا المشهد في الأيام الصالحة في سنة بضع وأربعين وستمائة وكان الأمير جمال الدين بن يعقوب نائباً عن الملك الصالح في القاهرة وسببه أن أحد خزان الشيع دخل ليأخذ شيئاً فسقطت منه شعلة فوقف الأمير جمال الدين المذكور بنفسه حتى طفئ وأثبته حيث سقطت

قالوا تعصب للحسين ولم يزل * بالنفس للهول الخوف معترضا

حتى انضوى ضوء الحريق وأصبح المسود من تلك المخاوف أيضا

ارضى الله بما أتى فكانه * بين الانام بفعله موسى الرضى

قال ولحفظه الآثار وأصحاب الحديث ونقله الاخبار ما اذا طول وقف منه على المسطور وعلم منه ما هو غير المشهور وانما هذه البركات مشاهدة مرئية وهي بجمعة الدعوى مليمة والعمل بالنية * وقال في كتاب الدر التظيم في أوصاف القاضي الفاضل عبد الرحيم ومن جملة مبيانيه المبيضة قريب مشهد الامام الحسين بالقاهرة والمسجد والساقية ووقف عليها أراضى قريب الخندق ظاهر القاهرة ووقفها دار جارية والاتقاع بهذه المثوبة عظيم ولما هدم المكان الذي بنى موضعه مثبته وجد فيه شيء من طلسم لم يعلم لاي شيء هو فيه اسم الظاهر بن الحاكم واسم امته وصد * (خير الحسين) هو الحسين بن علي بن أبي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو عبد الله وامته فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد له من خلون من شعبان سنة أربع وقبل سنة ثلاث وعق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سابعه بكبش وحلق رأسه وأمر أن تصدق برنته فضة وقال أروني ابني ما سمعتموه فقال علي بن أبي طالب حربا فقال بل هو حسين وكان أشبه الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم ما كان اسفل من صدره وكان فاضلا دينيا كثير الصوم والصلاة والحج وقتل يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم يوم عاشوراء سنة إحدى وستين من الهجرة بموضع يقال له كربلاء من أرض العراق بناحية الكوفة ويعرف الموضع أيضا بالطف قتل سنان بن انس الجصبي وقتل قتل رجل من مذبح وقتل شمر بن ذي الجوشن وكان أبرص وأجهز عليه خولي بن يزيد الأصمجي من جبر حر رأسه وأنى عبيد الله بن زياد وقاله

او قرر كلني فضة وذها * اني قتلت الملك المحجبا

قتلت خيرا الناس اما وأبا * وخيرهم اذ نسبون نسبا

وقيل قتله عمرو بن سعد بن أبي وقاص وكان الأمير على الخيل التي أخرجها عبيد الله بن زياد إلى قتل الحسين وأمر عليهم عمرو بن سعد ووعدته أن يوليه الري أن ظفر بالحسين وقتله وقال ابن عباس رضي الله عنهما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيا يرى النائم نصف النهار وهو قائم أشعث أغبر يده فارورة فيها دم فقلت يا بني أنت وأمي ما هذا قال هذا دم الحسين لم ازل التقطه منذ اليوم فوجدته قد قتل في ذلك اليوم وهذا البيت زعموا قديما لا يدري قائله

اترجوا أمه قتلت حسينا * شفاعته يوم الحساب

وقتل مع الحسين سبعة عشر رجلا كلهم من ولد فاطمة وقبل قتل معه من أهل بيته واخوته ثلاثة وعشرون رجلا * وكان سبب قتله انه لما مات معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في سنة ستين وردت بيعة يزيد على الوليد بن عقبة بالمدينة ليأخذ البيعة على أهلها فأرسل إلى الحسين بن علي وإلى عبد الله بن الزبير ليلا فأتى بهما فقتل بايعا فاقالا مثلنا لا يبيع سرا ولكننا نبايع على رؤس الناس اذا أصبحنا فرجعنا إلى بيوتنا وخرجنا من ليلهما إلى مكة وذلك ليلة الاحد لليلتين بقيتا من رجب فأقام الحسين بمكة شعبان ورمضان وشوالا وذا القعدة وخرج يوم التروية يريد الكوفة يكتب أهل العراق اليه فلما بلغ عبيد الله بن زياد مسير الحسين من مكة بعث الحسين بن نعم التميمي صاحب شرطته قتل القادسية ونظم الخيل ما بينها وبين جبل لعل فبلغ الحسين الحاجر له عن البلاد فكتب إلى أهل الكوفة يعرفهم بقدمه مع قيس بن مسهر فظفر به الحسين وبعث به إلى ابن زياد فقتله وأقبل الحسين يسير نحو الكوفة فأتاه خبر قتل مسلم بن عقيل وخبر قتل أخيه من الرضا ع فقام حتى أعلم الناس بذلك وقال قد خذلنا شيعتنا نحن أحب أن ينصرف فليتنصرف فليس عليه ذمام منا فتنصرفوا حتى بقي في أصحابه الذين

جاءوا معه من مكة وساروا في دركته الخليل وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي ونزل الحسين فوقوا تجاهه
 وذلك في غمر الظهيرة فسقى الحسين الخيل وحضرت صلاة الظهر فأذن مؤذنه وخرج فحمد الله وأثنى عليه ثم قال
 أيها الناس إنهم معذرة إلى الله واليكم أني لم آتكم حتى أتني كتبكم ورسلكم أن أقدم علينا فليس لنا أمام لعل
 الله أن يجمعنا بك على الهدى وقد جئتمكم فان تعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم أقدم مصركم وإن لم تفعلوا
 وكنتم لمقدحى كرهين أنصرف عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه فسيكنوا وقال للمؤذن أقم فأقام وقال
 الحسين للحر أريد أن تصلي أنت بأصحابك قال بل صل أنت ونصلي بصلاتك فصلى بهم ودخل فاجتمع إليه أصحابه
 وانصرف الحر إلى مكانه ثم صلى بهم العصر واستقبلهم فحمد الله وأثنى عليه وقال يا أيها الناس أنكم إن تتقوا الله
 وتعرفوا الحق لا هلكة لكم أَرْضِي الله ونجى أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين ما ليس لهم
 السائر فيكم بالجور والعدوان فإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتني به كتبكم أنصرف
 عنكم فقال الحر أنا والله ما ندري ما هذه الكتب والرسائل التي تذكر فأخرج خرجين مملوءين صحفا فنشرهما بين
 أيديهم فقال الحر أنا لست من هؤلاء الذين كتبوا اليك وقد أمرنا إذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك
 الكوفة على عبيد الله بن زياد فقال الحسين الموت أدنى اليك من ذلك ثم أمر أصحابه لينصرفوا فركبوا فأنعمهم
 الحر من ذلك فقال له الحسين شككتك أم لا تريد فقال له والله لو كان غيرك من العرب يقولها ما تركت ذكر أمته
 بالمثل كما كنا من كان والله مالى إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما نقدر عليه فقال له الحسين ما تريد قال أريد
 أن أنطلق بك إلى ابن زياد وتراد الكلام فقال له الحر أني لم أمر بقتالك وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أدخلك
 الكوفة فنحذركم لا تدخل الكوفة ولا تزول إلى المدينة حتى أكتب إلى ابن زياد وتكتب أنت إلى يزيد وأولى
 ابن زياد ففعل الله أن يأتي بأمر يزيد في الكوفة ولا تزول إلى المدينة حتى أكتب إلى ابن زياد وتكتب أنت إلى يزيد وأولى
 والقادسية والحر يساره فلما كان يوم الجمعة الثالث من المحرم سنة إحدى وستين قدم عمرو بن سعد بن أبي وقاص
 من الكوفة في أربعة آلاف وبعث إلى الحسين رسولا يسأله ما الذي جاء به فقال كتب إلى أهل مصركم هذا أن
 أقدم عليهم فإذا كرهوني فأنا أنصرف عنهم فكتب عمرو إلى ابن زياد يعترفه ذلك فكتب إليه أن يعرض على
 الحسين يعة يزيد فان فعل رأي يافيه رأينا ولا نمنعه ومن معه الماء فأرسل عمرو بن سعد خسمائة فارس فزولوا
 على الشريعة وحالوا بين الحسين وبين الماء وذلك قبل قتله بثلاثة أيام ونادى مناديا حسين ألا تنظر الماء لا ترى
 منه قطرة حتى تموت عطشاً ثم التقي الحسين بعمرو بن سعد مراراً فكتب عمرو بن سعد إلى عبيد الله بن زياد أما بعد
 فإن الله قد أطفأ النائرة وجع الكلمة وقد أعطاني الحسين أن يرجع إلى المكان الذي أتى منه أو أن يسيره إلى أي
 نغر من الثغور شاء أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده وفي هذا الكم رضي وللازمة صلاح فقال ابن زياد
 لشمس بن ذى الجوشن اخرج بهذا الكتاب إلى عمرو فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي فان فعلوا
 فليبعث بهم وإن أبوا فليقاتلهم فان فعل فاسمع له وأطع وإن أبى فأنت الأمير عليه وعلى الناس واضرب عنقه
 وابعث إلى برأسه وكتب إلى عمرو بن سعد أما بعد فاني لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه ولا لتبنيه ولا لتطاوله
 ولا لتقعده عندي شافعا انظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إلى سبيلنا وإن أبوا
 فازحف اليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فانهم لذلك مستحقون فان قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره ونظيره فانه عاق
 شاق فاطع ظلم فان أنت مضيت لأمرنا جزئناك جزاء السامع المطيع وإن أنت أبيت فاعتزل جندنا واخل بين
 شمر وبين العسكر والسلام فلما أتاه الكتاب ركب والناس معه بعد العصر فأرسل إليهم الحسين ما لكم فقالوا جاء
 أمر الأمير بكذا فاستمهلهم إلى غدوة فلما أمسوا قام الحسين ومن معه الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون
 ويتضرعون فلما صلى عمرو بن سعد الغداة يوم السبت وقبل يوم الجمعة يوم عاشوراء خرج فيمن معه وعبي الحسين
 أصحابه وكان معه اثنان وثلاثون فارسا وأربعون رجلا وركب ومعه مصحف بين يديه وضعه أمامه واقتل
 أصحابه بين يديه وأخذ عمرو بن سعد سهما فرمى به وقال أشهدوا أني أقول من رمى الناس وحمل أصحابه
 فصرعوا رجلا وأحاطوا بالحسين من كل جانب وهم يقاتلون قتلا شديدا حتى اتصف النهار ولا يقدر من
 يأتونهم إلا من وجه واحد وحمل شمر حتى بلغ فسطاط الحسين وحضر وقت الصلاة فسأل الحسين أن يكفوا عن
 القتال حتى يصلي ففعلوا ثم اقتتلوا بعد الظهر أشد قتال ووصل إلى الحسين وقد صرعت أصحابه ومكث طويلا

من النهار كلما انتهى اليه رجل من الناس رجع عنه وكره أن يتولى قتله فأقبل عليه رجل من كندة يقال له مالك فضربه على رأسه بالسيف قطع البرنس وأدماه فأخذ الحسين دمه بيده فصبه في الأرض ثم قال اللهم ان كنت حبست عنا النصر من السماء فأجعل ذلك لنا هو خيرا نتقم من هؤلاء الظالمين واشتد عطشه فدنأ الشرب فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع في فمه فلتقى الدم بدمه ورمى به إلى السماء ثم قال بعد حمد الله والشأن عليه اللهم اني أشكو اليك ما يصنع يا بن بنت نبيك اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا فأقبل شمر في نحو عشرة إلى منزل الحسين وحاولوا ينه ويمن رحله وأقدم عليه وهو يحمل عليهم وقد بقي في ثلاثة ومكث طويلا من النهار ولوشأوا أن يقتلوه لقتلوه ولكنهم كانوا يتقي بعضهم ببعض ويحب هؤلاء أن يكفهم هؤلاء فنادى شمر في الناس ويحكم ما تنتظرون بالرجل اقلوه ثكلتكم أمكم فخلوا عليه من كل جانب فضرب زرعة بن شريك التميمي كفه الايسر وضرب عاتقه وهو يقوم ويكبو فحمل عليه في تلك الحال سنان بن انس النخعي فطعنه بالرمح فوقع وقال لخولي بن يزيد الاصمحي احتز رأسه فأرعد وضعف قزله عليه وذبحه وأخذ رأسه فدفعه إلى خولي وسلب الحسين ما كان عليه حتى سراويله ومال الناس فاته بهوا ثقله ومتاعه وما على النساء ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وأربعون ضربة ونادى عمرو بن سعد في أصحابه من ينتدب للحسين في موطنه فرسه فانتدب عشرة فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره وكان عدد من قتل معه اثنين وسبعين رجلا ومن أصحاب عمرو بن سعد ثمانية وثمانين رجلا غير الجرحى ودفن أهل العاصرية من بني اسد الحسين بعد قتله بيوم وبعد أن أخذ عمرو بن سعد رأسه ورؤس أصحابه وبعث بها إلى ابن زياد فأخضر الرأس بين يديه وجعل ينكت بقضيب ثياب الحسين وزيد بن ارقم حاضر وأقام ابن سعد بعد قتل الحسين يومين ثم رحل إلى الكوفة ومعه ثياب الحسين وأخوانه ومن كان معه من الصبيان وعلى بن الحسين مريض فأدخلهم على زياد ولما مرّت زينب بالحسين صرعا صاحت يا محمداه هذا حسين بالعراء من مل بالدماء مقطوع الاعضاء يا محمد بناتك سببا يا وذرتك مقتلة فأبكت كل عدو وصدى وطيف برأسه بالكوفة على خشبة ثم أرسل بها إلى يزيد بن معاوية وأرسل النساء والصبيان وفي عنق علي بن الحسين ويديه الغل وجعلوا على الاقتاب فدخل بعض بني أمية على يزيد فقال أبشر يا امير المؤمنين فقد أمكنك الله من عدو الله وعدوك قد قتل ووجه برأسه اليك فلم يلبث الاياما حتى جىء برأس الحسين فوضع بين يدي يزيد في طشت فأمر الغلام فرفع الثوب الذي كان عليه فحين رآه خروجه بكمه كأنه شم منه رائحة وقال الحمد لله الذي كفانا المؤمنة بغير مؤنة كلفا وقد وانا نار العرب أطفأها الله قالت رباحضة يزيد فدنوت منه فنظرت اليه وبه ردغ من حناء والذي أذهب نفسه وهو قادر على أن يغفر له لقد رأيته يقرع ثيابه بقضيب في يده ويقول ابياتا من شعرا بن الزبير ومكث الرأس مصلوبا بدمشق ثلاثة أيام ثم انزل في خزان السلاح حتى ولي سليمان بن عبد الملك الملك فبعث اليه فجيء به وقد حمل وبقي عظما أبيض فجعله في سبط وطيبه وجعل عليه ثوبا ودفنه في مقابر المسلمين فلما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى خازن بيت السلاح أن وجه إلى رأس الحسين بن علي فكذب اليه ان سليمان أخذه وجعله في سبط وصلى عليه ودفنه فلما دخلت المسودة سألوا عن موضع الرأس الكريمة الشريفة فنبشوه وأخذوه والله أعلم ما صنع به وقال السري لما قتل الحسين بن علي بكى السماء عليه وبكاؤها جرتها وعن عطاء في قوله تعالى فما بكى عليهم السماء والأرض قال بكأؤها حجرة أطرافها وعن علي بن مسهر قال حدثني جدتي قالت كنت أيام الحسين جارية شابة فكانت السماء اياما كأنها علققة وعن الزهري بلغني انه لم يلق حجر من أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين الا وجد تحته دم عبيط ويقال ان الدنيا أظلمت يوم قتل ثلاثا ولم يمض أحد من زعمراهم شيئا فجعله على وجهه الا احترق وانهم اصابوا ابلا في عسكر الحسين يوم قتل فخرها وطبخوها فصارت مثل العلقم فما استطاعوا أن يسيغوا منها شيئا وروى أن السماء أمطرت دما فأصبح كل شيء لهم ملائ دما

* (ما كان يعمل في يوم عاشوراء) *

قال ابن زولاق في كتاب سيرة المعزدين الله في يوم عاشوراء من سنة ثلاث وستين وثلاثمائة انصرف خلق من الشيعة وأشياعهم إلى المشهدين قبر كلثوم ونفيسة ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالهم بالنياحة والبكاء على الحسين عليه السلام وكسروا أواني السقائين في الاسواق وشققوا الروايا وسبوا من يتفق في هذا

اليوم ونزلوا حتى تلغوا مسجد الريح وثار عليهم جماعة من رعية أسفل نخرج أبو محمد الحسين بن عمار وكان يسكن هنالك في دار محمد بن أبي بكر وأغلق الدرب ومنع الفريقين ورجع الجميع فحسن موقع ذلك عند المعز ولولا ذلك لعظمت الفتنة لان الناس قد غلقوا الدكاكين وأبواب الدور وعطلوا الاسواق وانما قويت أنفس الشيعة بكون المعز بمصر وقد كانت مصر لا تخلو منهم في أيام الاخشيديّة والكافورية في يوم عاشوراء عند قبر كلثوم وقبر نفيسة وكان السودان وكافوري يتعصبون على الشيعة وتعلق السودان في الطرقات بالناس ويقولون للرجل من خالك فان قال معاوية اكرموه وان سكنت اتي المكروه وأخذت ثيابه وماء معه حتى كان كافور قد وكل بالصحراء ومنع الناس من الخروج * وقال المسيحي وفي يوم عاشوراء يعني من سنة ست وتسعين وثلاثمائة جرى الامر فيه على ما يجري كل سنة من تعطيل الاسواق وخروج المتشدين الى جامع القاهرة ونزولهم بمجمعين بالنوح والتشديد ثم جمع بعده هذا اليوم قاضي القضاة عبد العزيز بن النعمان سائر المتشدين الذين يتكسبون بالنوح والتشديد وقال لهم لا تلزموا الناس أخذ شيء منهم اذا وقفتم على حوائثهم ولا تؤذوهم ولا تتكسبوا بالنوح والتشديد ومن أراد ذلك فعليه بالصحراء ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة في الجامع العتيق بعد الصلاة وأشدوا وخرجوا على الشارع بجمعهم وسبوا السلف فقبضوا على رجل ونودي عليه هذا اجزاء من سب عائشة وزوجها صلى الله عليه وسلم وقدم الرجل بعد النداء وضرب عنقه * وقال ابن المأمون وفي يوم عاشوراء يعني من سنة خمس عشرة وخمسمائة عبي السماط يجلس العطايا من دار الملك بمصر التي كان يسكنها الافضل بن أمير الجيوش وهو السماط المختص بعاشوراء وهو يعي في غير المكان الجاري به العادة في الاعياد ولا يعمل مدورة خشب بل سفرة كبيرة من آدم والسماط يعلوها من غير غرض فحسب وجيع الزبادي اجبان وسلطان ومخللات وجميع الخبر من شعر وخرج الافضل من باب فرد الكم وجلس على بساط صوف من غير مشورة واستفتح المقرئون واستدعى الاشراف على طبقاتهم وجل السماط لهم وقد عمل في الصحن الاول الذي بين يدي الافضل الى آخر السماط عدس اسود ثم بعده عدس مصني الى آخر السماط ثم رفع وقدمت صحون جميعها غسل فحل ولما كان يوم عاشوراء من سنة ست عشرة وخمسمائة جلس الخليفة الامر بأحكام الله على باب الباذنج يعني من القصر بعد قتل الافضل وعود الاسمطة الى القصر على كرسي تجريد بغير مخدة مثلما هو وجميع حاشيته فلم عليه الوزير المأمون وجميع الامراء الكبار والهارب القراميز وأذن للقاضي والداعي والاشراف والامراء بالسلام عليه وهم بغير مناديل ملثمون حضة عبي السماط في غير موضعه المعتاد وجميع ما عليه خبر الشعير والحواضر على ما كان في الايام الافضل وتقدم الى والى مصر والقاهرة بأن لا يمتدأ أحد من جمع ولا قراءة مصرع الحسين وخرج الرسم المطلق للمتصدين والقراء الخاص والوعاظ والشعراء وغيرهم على ما جرت به عادتهم قال وفي ليلة عاشوراء من سنة سبع عشرة وخمسمائة اعتمد الاجل الوزير المأمون على السنة الافضل من المضي فيها الى التربة الجبوشية وحضور جميع المتصدين والوعاظ وقراء القرءان الى آخر الليل وعوده الى داره واعتمد في صبيحة الليلة المذكورة مثل ذلك وجلس الخليفة على الارض مثلما يرى به الحزن وحضر من شرف بالسلام عليه والجلوس على السماط بما جرت به العادة * قال ابن الطوير اذا كان اليوم العاشر من المحرم احتجب الخليفة عن الناس فاذا علا النهار ركب قاضي القضاة والشهود وقد غيروا زيهم فيكونون كما هم اليوم ثم صاروا الى المشهد الحسيني وكان قبل ذلك يعمل في الجامع الازهر فاذا جلسوا فيه ومن معهم من قراء الحضرة والمتصدين في الجوامع جاء الوزير بفلس صدره والقاضي والداعي من جانيه والقراء يشرؤون نوبة بنوبة وينشدون من الشعراء غير شعراء الخليفة شعرا يرثون به اهل البيت عليهم السلام فان كان الوزير راغضا تغالوا وان كان سنيا اقتصدوا ولا يزالون كذلك الى أن تمضي ثلاث ساعات فيستدعون الى القصر بنقاء الرسائل فيركب الوزير وهو بمنديل صغير الى داره ويدخل قاضي القضاة والداعي ومن معهم الى باب الذهب فيجدون الدهاليز قد فرشت مصاطبها بالحصر يد البسط وينصب في الاماكن الخالية من المصاطب ذلك لتلحق بالمصاطب لتفرش ويجدون صاحب الباب جالسا هنالك فيجلس القاضي والداعي الى جانيه والناس على اختلاف طبقاتهم فيقرأ القراء وينشد المتشددون أيضا ثم يفرش عليها سماط الحزن مقدار ألف زبديّة من العدس والملاوحات والمخللات والاجبان والالبان الساذجة والاعسال النحل والفطير والخبز المغيرة لونه بالقصد فاذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المائدة وأدخل

الناس لا اكل منه فيدخل القاضي والداعي ويجلس صاحب الباب نيابة عن الوزير والمذكور ان الى جانبه وفي الناس من لا يدخل ولا يلزم أحد بذلك فاذا فرغ القوم انفصلوا الى أما كههم ركباً بذلك الذي ظهر وا فيه وطاف النواح بالقاهرة ذلك اليوم وأغلق البياعون حوانيتهم الى جواز العصر فيفتح الناس بعد ذلك ويتصرفون

* (ذكر أبواب القصر الكبير الشرقي) *

وكان لهذا القصر الكبير الشرقي تسعة أبواب أكبرها وأجلها باب الذهب ثم باب البحر ثم باب الرمح ثم باب الزمرد ثم باب العيد ثم باب قصر الشوك ثم باب الديلم ثم باب تربة الزعفران ثم باب الزهومة

* (باب الذهب) * وهو باب القصر الذي تدخل منه العساكر وجميع أهل الدولة في يوم الاثنين والخميس للموكب المتقدم ذكره بقاعة الذهب قال ابن أبي طي "عن المعز الدين الله انه لما خرج من بلاد المغرب أخرج أموالاً كانت له ببلاد المغرب وأمر بسبكها ارجية كـأرجية الطواحين وأمر بها حين دخل الى مصر فألقيت على باب قصره وهي التي كان الناس يسمونها الخشرات ولم تزل على باب القصر الى أن كان زمن الغلاء في أيام الخليفة المستنصر بالله فلما ضاق بالناس الأمر أذن لهم أن يردوا منها بمبارد فالتجأ الناس بمبارد حادة وغرهم الطمع حتى ذهبوا بأكثرها فأمر بحمل الباقي الى القصر فلم يزل بعد ذلك * وقال ابن ميسران المعز لما قدم الى القاهرة كان معه مائة رجل عليها الطواحين من الذهب وقال غيره كانت خسمائة رجل على كل رجل ثلاثة ارجية ذهباً وانه عمل عضاد في الباب من تلك الارجية واحدة فوق أخرى فسمى باب الذهب

* (جلوس الخليفة في الموالد بالمنظرة علو باب الذهب) * قال ابن المأمون في أخبار سنة ست عشرة وخسمائة وفي الثاني عشر من المحرم كان المولد الآمري واتفق كونه في هذا الشهر يوم الخميس وكان قد تقرر أن يعمل أربعون صينية خشكاً ليج وحلوى وكعك وأطلق برسم المشاهدة المحتوية على الضرائب الشريفة لكل مشهد سكر وعسل ولوز ودقيق وشيرج وتقدم بأن يعمل خسمائة رطل حلوى وتفرق على المتصدين والقراء والفقراء للمتصدين ومن معهم في صحون والفقراء على أرغفة السميد ثم حضر في الليلة المذكورة القاضي والداعي والشهود وجميع المتصدين وقراء الحضرة وفتحت الطاقات التي قبلي باب الذهب وجلس الخليفة وسلموا عليه ثم خرج متولى بيت المال بصندوق محتوم ضمنه عينا مائة دينار وألف وثمانمائة وعشرون درهما برسم أهل القرافة وساكنيها وغيرهم وفترقت الصواني بعدما جل منها الخاص وزمام القصر ومتولى الدفتر خاصة والى دار الوزارة والاجلاء الاخوة والاولاد وكتاب الدست ومتولى حجة الباب والقاضي والداعي ومفتي الدولة ومتولى دار العلم والمقرئين الخاص وأئمة الجوامع بالقاهرة ومصر وبقية الاشراف قال وخرج الآمري في سنة سبع عشرة وخسمائة باطلاق ما يخص المولد الآمري برسم المشاهدة الشريفة من سكر وعسل وشيرج ودقيق وما يصنع مما يفرق على المساكين بالجامعين الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر والقرافة خمسة قناطر حلوى وألف رطل دقيق وما يعمل بدار الفطرة ويحمل للاعبان والمستخدمين من بعد القصور والدار المأمونية صينية خشكاً ليج وحضر القاضي والداعي والمستخدمون بدار العيد والشهود في عشية اليوم المذكور وقطع سلوك الطريق بين القصرين وجلس الخليفة في المنظرة وقبلوا الارض بين يديه والمقرئون الخاص جميعهم يقرؤون القرآن وتقدم الخطيب وخطب خطبة وسع القول فيها وذكرا الخليفة والوزير ثم حضر من انشدوا كرفضيلة الشهر والمولد فيه ثم خرج متولى بيت المال ومعه صندوق من مال التجاوى خاصة مما يفرق على الحكم المتقدم ذكره قال واستهل ربيع الأول ونبدأ بما شرف به الشهر المذكور وهو ذكر مولد سيد الاولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم لثلاث عشرة منه وأطلق ما هو برسم الصدقات من مال التجاوى خاصة ستة آلاف درهم ومن الاصناف من دار الفطرة أربعون صينية فطرة ومن الخزائن برسم المتولين والسدنة للمشاهدة الشريفة التي بين الجبل والقرافة التي فيها أعضاء آل رسول الله صلى الله عليه وسلم سكر ولوز وعسل وشيرج لكل مشهد وما يتولى تفرقه سنا الملك ابن ميسر أربع مائة رطل حلاوة وألف رطل خبز قال وكان الافضل بن أمير الجيوش قد أبطل أمر الموالد الاربعة النبوي والعلوي والفاطمي والامام الحاضر وما يهتم به وقدم العهد به حتى نسي

ذكرها فأخذ الاستاذون يجتهدون ذكرها للخليفة الآخر بأحكام الله ويرتدون الحديث معه فيها ويحسنون له معارضة الوزير بسببها واعادتها واقامة الجوارى والرسوم فيها فأجاب الى ذلك وعلى ما ذكر وقال ابن الطويرذ كرجلوس الخليفة في المولد الستة في توارخ مختلفة وما يطلق فيها وهي مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومولد قاطمة عليها السلام ومولد الحسن ومولد الحسين عليهما السلام ومولد الخليفة الحاصر ويكون هذا الجلوس في المنطرة التي هي أنزل المناظر وأقرب الى الارض قبالة دارنغر الدين جهلركس والفندق المستجدة فاذا كان اليوم الثاني عشر من ربيع الاول تقدم بأن يعمل في دار الفطرة عشرون قطارا من السكر اليابس حلواء يابسة من طرائقه ما وتعي في ثمانية صينية من النحاس وهو مولد النبي صلى الله عليه وسلم فتقرق تلك الصواني في أرباب الرسوم من أرباب الرتب وكل صينية في قوارة من أول النهار الى ظهره فأول أرباب الرسوم قاضي القضاة ثم داعي الدعاة ويدخل في ذلك القراء بالحضرة والخطباء والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة وقومة المشاهد ولا يخرج ذلك مما تعلق بهذا الجانب بدعوى يخرج من دفتر المجلس كما تقدمناه فاذا صلى الظهر ركب قاضي القضاة والشمود بأجمعهم الى الجامع الأزهر ومعهم أرباب تفرقة الصواني فيجلسون مقدار قراءة الختم الكريمة ثم يستدعي قاضي القضاة ومن معه فان كانت الدعوة مضافة اليه والا حضر للداعي معه ببقاء الرسائل فيركبون ويسيرون الى أن يصلوا الى آخر المضيق من السيوفين قبل الأبداء بالسلاسل بين القصرين فيقفون هناك وقد سلكت الطريق على السالكين من الركن المخلق ومن سويقة أمير الجيوش عند الخوض هناك وكنت الطريق فيما بين ذلك ورشت بالماء رشا خفيفا وفرش تحت المنطرة المذكورة بالرمال الاصفر ثم يستدعي صاحب الباب من دار الوزارة والى القاهرة ماض وعائد لحفظ ذلك اليوم من الازدحام على نظير الخليفة فيكون بروز صاحب الباب من الركن المخلق هو وقت استدعاء القاضي ومن معه من مكان وقوفهم فيقربون من المنطرة ويترجلون قبل الوصول اليها بخطوات فيجفون تحت المنطرة دون الساعة الزمانية بحيث وتشوف لا تنظار الخليفة فتفتح إحدى الطاقات فيظهر منها وجهه وما عليه من المنديل وعلى رأسه عتق من الاستاذين المحنكين وغيرهم من الخواص منهم وينفتح بعض الاستاذين طاقة ويخرج منها رأسه ويده اليمنى في كنه ويشير به قائلا أمير المؤمنين يرد عليكم السلام فيسلم قاضي القضاة ولا ينعونه وبصاحب الباب بعده كذلك وبالجماعة الباقية جملة جملة من غير تعيين احد فيستفتح قراء الحضرة بالقراءة ويكونون قياما في الصدر وجوههم للحاضرين وظهورهم الى حائط المنطرة فيقدم خطيب الجامع الانور المعروف بجامع الحاكم فيخطب كما يخطب فوق المنبر الى أن يصل الى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيقول وان هذا يوم مولده الى ما من الله به على ملة الاسلام من رسالته ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة ثم يؤخر ويقدم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك ثم خطيب الجامع الاقرفي خطب كذلك والقراء في خلال خطابة الخطباء يقرؤون فاذا انتهت خطابة الخطباء أخرج الاستاذ رأسه ويده في كمن طاقه ورد على الجماعة السلام ثم تغلق الطائقتان تنفض الناس ويجري أمر الموالد الخمسة الباقية على هذا النظام الى حين فراغها على عتقها من غير زيادة ولا نقص انتهى وهذا الباب صار بعد زوال الدولة الفاطمية يقابل دارا لأميرنغر الدين جهار كس الصلاحي التي عرفت بعد ذلك بالدار القطبية وهي الآن المارستان المنصوري وصار موضع هذا الباب محراب مدرسة الظاهر ركن الدين ببيرس

• (باب البحر) * هو من انشاء الحاكم بأمر الله أبي على منصور وهدم في أيام الملك الظاهر ركن الدين ببيرس البندقداري وشوهد فيه أمر عجيب * قال جامع السيرة الظاهرية لما كان يوم عاشوراء يعني من سنة اثنتين وسبعين وستمائة رسم بنقض علو أبواب القصر المسمى بباب البحر قبالة المدرسة دار الحديث الكاملية لاجل نقل عمده فيه لبعض العمائر السلطانية فظهر صندوق في حائطه مني عليه فالوقت أحضرت الشهود وجماعة كثيرة وفتح الصندوق فوجد فيه صورة من نحاس أصفر مفرغ على كرسى شبه الهرم لارتفاعه قدر شبرلة أربعة أرجل تحمل الكرسى والصنم جالس متوركا وله يدان مرفوعتان ارتفاعا جيدا يحمل صحيفة دورها قدر ثلاثة أشبار وفي هذه الصحيفة أشكال ثابتة وفي الوسط صورة رأس بغير جسد ودايره مكتوب كتابة بالقطبي وبالقططيريات والى جانبها في الصحيفة شكل له قرنان يشبه شكل السنبلة والى الجانب الآخر

شكل آخر وعلى رأسه صليب والاخر في يده عكاز وعلى رأسه صليب وتحت أرجلهم أشكال طيور وفوق رؤس الاشكال كتابة ووجد مع هذا الصنم في الصندوق لوح من ألواح الصبيان التي يكتبون فيها بالكتابات مدهون وجهه الواحد ايضاً وجهه الواحد اجرو فيه كتابة قد تكشط أكثرها من طول المدة وقد بلى اللوح وما بقيت الكتابة تلتئم ولا تلط يفهم وهذا نص ما فيه وأخليت مكان كتابته التي تكشطت واما الوجه الايض فهو مكتوب بقلم الصفيقة القبطي والمكتوب في الوجه الاخر على هذه الصورة السطر الاول بقي منه مكتوباً الاسكندر السطر الثاني الارض وهبها له السطر الثالث وجرب لكل السطر الرابع اصحاب

السطر الخامس وهو يحرس السطر السادس واحترازه بقوة السطر السابع الملك مرجو وأبواب السطر الثامن غيريته سبعة السطر التاسع عالم حكيم عالم عقله السطر العاشر وصفه افلا تفسد السطر الحادي عشر طارد كل سوء والذي صاغها القساء السطر الثاني عشر سد أيضاً كل آثار اسديية بيرس وهي احد السطر الثالث عشر بيرس ملك الزمان والحكمة كلمة الله عز وجل هذا صورة ما وجد في اللوح مما بقي من الكتابة والبقية قد تكشط وقبل ان هذا اللوح بخط الخليفة الحاكم وأعجب ما فيه اسم السلطان وهو بيرس ولما شاهد السلطان ذلك أمر بقراءته فعرض على قراءه الاقلام فقرأ ذلك بالقلم القبطي ومضمونه طلسم على الظاهرين الحاكم واسم أمته رصد وفيه أسماء الملائكة وعزائم ورق وأسماء روحانية وصور ملائكة أكثره حرس الديار مصر وتغورها وصرف الاعداء عنها وكفهم عن طرقهم اليها وإتهال الى الله تعالى بأقسام كثيرة لحماية الديار المصرية وصورها من الاعداء وحفظها من كل طارق من جميع الاجناس وتضمن هذا الطلسم كتابة بالقلم قبطيات وأوقافاً وصوراً وخواص لا يعلمها الا الله تعالى وحمل هذا الطلسم الى السلطان وبقي في ذخائره قال ورأيت في كتاب عتيق رث سماء مصنفه وصية الامام العزيز بالله والد الامام الحاكم يأمر الله لولده المذكور وقد ذكر فيه الطلسمات التي على أبواب القصور ومن جملتها ان أول البروج الحمل وهو بيت المربخ وشرف الشمس وله القوة على جميع سلطان الفلك لانه صاحب السيف واسفهلارية العسكرين يدي الشمس الملك وله الامر والحرب والسلطان والقوة والمستوى لقوة روحانية على مديتنا وقد أقتنا طلسم الساعة ويومه لقهر الاعداء وذل المنافقين في مكان أحكمناه على اشرافه عليه والحصن الجامع لقصر مجاور الاول باب بنيناه هذا نص ما رأيته انتهى ولعل معنى كتابة بيرس في هذا اللوح اشارة الى أن هدم هذا الباب يكون على زمان بيرس فان القوم كانت لهم معارف كثيرة وعناية بهم بهذا الفن وافرة كبيرة والله أعلم وموضع باب البحر هذا اليوم يعرف باب قصر بنيناك قبالة المدرسة الكاسمية

* (باب الریح) * كان على ما أدركته تجاه سور سعيد السعداء على بمنى السالك من الركن المخلق الى رحبة باب العيد وكان بابا مريعاً يستل في من دلهيز مستطيل مظلم الى حيث المدرسة السابقة ودار الطواشي سابق الذين وقصر أمير السلاح وينتهي الى ما بين القصرين تجاه حمام اليسرى وعرف هذا الباب في الدولة الايوبية بباب قصر ابن الشيخ وذلك أن الوزير صاحب معين الدين حسين بن شيخ الشيوخ وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب كان يسكن بالقصر الذي في داخل هذا الباب ثم قيل له في زمن باب القصر وكان على حاله لعضداتان من حجارة وبعلاه اسكفة حجر مكتوب فيها نقرأ في الحجر عدة أسطر بالقلم الكوفي لم ينه الى قراءة ما فيها وكان دلهيز هذا الباب عر يضا يتجاوز عرضه فيما أقدر العشرة أذرع في طول كبير جدا وبعلاه هذا الباب دور للسكنى تشرف على الطريق وما زال على ذلك الى أن أنشأ الأمير الوزير المشير جمال الدين يوسف الاستادار مدرسته برحبة باب العيد واعتصب لها أملاك الناس وكان مما اعتصب ما بجوار المدرسة المذكورة من الخوانيت والرابع التي فوقها وما جاور ذلك وهدمها لينبها على ما يريد فهدم هذا الباب في صفر سنة احدى عشرة وثمانمائة وبني في مكانه ومكان الدهليز المظلم الذي كان ينتهي بالسالك فيه من هذا الباب الى المدرسة السابقة هذه القيسارية الكبيرة ذات الخوانيت والسقيفة والابواب الحديدية ودخل فيها بعض مما كان يجاني هذا الباب من الخوانيت وعلوها ولما هدم هذا الباب ظهر في داخل بنيانه شخص وبلغني ذلك فسررت الى الأمير المذكور وكان بيني وبينه صحبة لاشاهد هذا الشخص المذكور والتست منه احضاره فأخبرني انه أحضر اليه شخص من حجارة قصر القامة احدى عينيه أصغر من الاخرى فقلت لا بد لي من مشاهدته فأمر

باحضاره الموكل بالعمارة وأنامعه اذ ذاك في موضع الباب وقد هدم ما كان فيه من البناء فذكر أنه رماه بين
 انجار العمارة وأنه تكسر وصار فيما بينها ولا يستطيع تمييزه منها فأغلظ عليه وبالغ في القصص عنه فأعياهم
 احضارهم فسألت الرجل حينئذ عنه فقال لي انهم لما اتبهوا في الهدم الى حيث كان هذا الشخص اذ يدائرة فيها
 كتابة وبوسطها شخص قصير صغير احدى العينين من حجارة وهذه كانت صفة جمال الدين فانه كان قصير القامة
 احدى عينيه أصغر من الأخرى ويشبهه والله أعلم أن يكون قد عين في تلك الكتابة التي كانت حول الشخص أن
 هذا الباب يهدمه من هذه صفته كما وجد في باب الجراسم يبرس الذي هدم على يديه وبأمره وقد ظفر
 جمال الدين هذا بأموال عظيمة وجدها في داخل هذا القصر لما أنشأ داره الأولى في الحجرة من داخل هذا
 الباب في سنة ست وتسعين وسبعمائة وكان لكثرة هذا المال لا يستطيع كتمانه ومن شدة خوفه يومئذ من
 الظاهر برقوق أن يظهر عليه لا يقدر أن يصريح به فكان يقول لأصحابه وخواصه وجدت في هذا المكان سبعين
 قفة من حديد أخبرني اثنان رئيسان من أعيان الدولة عنه أنه قال لهما هذا القول وكنت اذ ذاك أيام عمارته
 لهذه القاعة أتردد لشيئتأ سراج الدين عمر بن الملقن رحمه الله تعالى بالمدرسة السابقة وبها كان يسكن فتعرفت
 بجمال الدين منه وكان يومئذ من عرض الجند ويعرف باستادار نحاس فاشتره هناك أنه وجد حال هدمه
 وعمارته القاعة والرواق بالحجرة مكاناً مبنياً تحت الأرض مبيض الحيطان فيه مال لها كان عندى شكله من
 أموال خبايا الفاطميين فانه قد ذكر غير واحد من الاخباريين أن السلطان صلاح الدين لما استولى على
 القصر بعد موت العاضد لم يظفر بشيء من الخبايا وعاقب جماعة فلم يوفقوه على أمرها

* (باب الزمرد) * سمي بذلك لانه كان يتوصل منه الى قصر الزمرد وموضعه الآن المدرسة الحجازية بخط رحية
 باب العيد

* (باب العيد) * هذا الباب مكانه اليوم في داخل درب السلاحي بخط رحية باب العيد وهو عقد محكم البناء
 ويعلمه قبة قد علمت مسجداً وتحتها حانوت يسكنه سقاء ويقابله مصطبة وأدركت العاتة وهم يسجون هذه
 القبة بالقاهرة ويرغمون أن الخليفة كان يجلس بها ويرى كنه فتأني الناس وتقبله وهذا غير صحيح وقيل لهذا
 الباب باب العيد لأن الخليفة كان يخرج منه في يومى العيد الى المصلى بظاهر باب النصر فيخطب بعد أن يصل
 بالناس صلاة العيد كما استقف عليه عند ذكر المصلى ان شاء الله تعالى وفي سنة احدى وستين وستمائة
 بنى الملك الظاهر بيبرس خاناً للسبيل بظاهر مدينة القدس ونقل اليه باب العيد هذا فعمله باباً له وتم بناؤه
 في سنة اثنتين وستين

* (باب قصر الشوك) * وهو الذى كان يتوصل منه الى قصر الشوك وموضعه الآن تجاه حمام عرفت بحمام
 الايدمرى ويقال لها اليوم حمام يونس عند موقف المكارية بجوار خزانة البنود على عتبة السالك منها الى
 رحية الايدمرى وهو الآن زقاق ينتهى الى بريسقى منها بالدم ويتوصل من هناك الى المارستان العتيق
 وغيره وأدركت منه قطعة من جانبه الايسر

* (باب الديلم) * وكان يدخل منه الى المشهد الحسينى وموضعه الآن درج ينزل منها الى المشهد تجاه الفندق
 الذى كان داراً لقطرة ولم يبق لهذا الباب اثر البتة

* (باب تربة الزعفران) * مكانه الآن بجوار خان الخليلي من بحوره مقابل فندق المهمندار الذى يدق فيه ورق
 الذهب وقد بنى بأعلاه طبقة ورواق ولا يكاد يعرفه كثير من الناس وعليه كتابة بالقلم الكوفي وهذا الباب كان
 يتوصل منه الى تربة القصر المذكورة فيما تقدم

* (باب الزهومة) * كان في آخر ركن القصر مقابل خزانة الدرق التي هي اليوم خان مسرور وقيل له باب
 الزهومة لان اللحوم وحوائج الطعام التي كانت تدخل الى مطبخ القصر الذى للجوم اثم يدخل بها من هذا الباب
 فقبل له باب الزهومة يعنى باب الزفر وكان تجاهه ايضا درب السلسلة الا أن ذكره ان شاء الله تعالى
 وموضعه الآن باب قاعة الحنابلة من المدارس الصالحية تجاه فندق مسرور الصغير ومن بعد باب الزهومة
 المذكور باب الذهب الذى تقدم ذكره فهذه ابواب القصر الكبير التسعة

وكان يجوار هذا القصر الكبير المخمر وهو الموضع الذي اتخذته الخلفاء لتمر الاضاحى في عيد النحر وعيد الغدير
وكان تجاه رجة باب العبد وموضعه الآن يعرف بالدرب الاصفر تجاه خاتمة بيرس وصار موضعه ما في داخل
هذا الدرب من الدور والطاحون وغيرها وظاهره تجاه رأس حارة برجوان يفصل بينه وبين حارة برجوان
الحوائت التي تقابل باب الحارة ومن جملة المخمر الساحة العظيمة التي عملت لها خوند بركة أم السلطان الملك
الاشرف شعبان بن حسين البوابة العظيمة بخط الركن الخلق بجوار قيسارية الجلود التي عمل فيها حوائت
الاسا كفة وكان الخليفة اذا صلى صلاة عيد النحر وخطب بتمر بالمصلى ثم يأتي المخمر المذكور وخطفه المؤذنون
يجهررون بالتكبير ويرفعون أصواتهم كلما نحر الخليفة شيئا وتكون الحربة في يد قاضي القضاة وهو بجانب الخليفة
ليناولة اياها اذا نحر وأول من سبى منهم اعطاء الضحايا وتفرقتها في اولياء الدولة على قدر رتبهم العزيز بالله
نزار * (ما كان يعمل في عيد النحر) * قال المسيحي وفي يوم عرفة يعني من سنة ثمانين وثلثمائة حل بالنس
صاحب الشرطة السماط وحل أيضا على بن سعد الخنسي سماطا آخر وركب العزيز بالله يوم النحر فصلى
وخطب على العادة ثم نحر عدة فوق يده وانصرف الى قصره فنصب السماط والموائد وكل ونحر بين يديه وأمر
بتفرقة الضحايا على اهل الدولة وذكر مثل ذلك في باقي السنين وقال ابن المأمون في عيد النحر من سنة خمس
عشرة وخمسمائة وأمر بتفرقة عيد النحر والهبة وجملة العين ثلاثة آلاف وثلثمائة وسبعون ديناراً ومن
الكسوات مائة قطعة وسبغ قطع برسم الامراء المطوقين والاستاذين المحنكين وكتب للدست ومتولى
حجة الباب وغيرهم من المستخدمين وعدة ماذبح ثلاثة ايام النحر في هذا العيد وعيد الغدير الفيلان
وخمسمائة وأحد وستون رأساً تفصيله فوق مائة وسبعة عشر رأساً يقرأ أربعة وعشرون رأساً جاموس
عشرون رأساً هذا الذي ينحره ويذبحه الخليفة سيده في المصلى والمخمر وباب الساباط ويذبح الجزارون من
الكباش ألفين وأربعمائة رأساً والذي اشتملت عليه تقفات الاسمطة في الايام المذكورة خارجا عما يعمل
بالدار المأمونية من الاسمطة وخارجا عن اسمطة القصور وعند الحرم وخارجا عن القصور الحلاء والقصور
للمنفوخ المنسوجة بدار الفطرة ألف وثلثمائة وستة وعشرون ديناراً وربع وسدس دينار ومن المسكر برسم
القصور والقطع المنفوخ أربعة وعشرون قنطاراً تفصيله عن قصرين في اول يوم خاصة اثنا عشر قنطاراً المنفوخ
عن ثلاثة الايام اثنا عشر قنطاراً وقال في سنة ست عشرة وخمسمائة وحضر وقت تفرقة كسوة عيد النحر
ووصل ما تأخر فيها بالطارز وفزقت الرسوم على من جرت عادته خارجاً عما يريه من تفرقة العين المختص بهذا
العيد وأضحيت وخارجاً عما يفرق على سبيل المناخ ومن باب الساباط مذبحاً ومخوراً استمائة دينار وسبعة
عشر ديناراً وفي التاسع من ذي الحجة جلس الخليفة الأمر بأحكام الله على سرير الملك وحضر الوزير وأولاده
وقاموا بما يجب من السلام واستفتح المقرئون وتقدم حامل المظلة وعرض ما جرت عادته من المظال الخمسة
التي جميعها مذهب وسلم الامراء على طبقاتهم وختم المقرئون وعرضت الدواب جميعها والعماريات والوحوش
وعاد الخليفة الى محله فلما أسفر الصبح خرج الخليفة وسلم على من جرت عادته بالسلام عليه ولم يخرج شيء مما جرت
به العادة في الركوب والعود وغير الخليفة ثيابه ولبس ما يختص بالنحر وهي البدلة الحمراء بالشدّة التي تسجي
بشدّة الوقار والعلم الجوهر في وجهه بغير قضيب ملك في يده الى أن دخل المخمر وفرشت الملاءة الديني الحمراء
وثلاث بطائن مصبوعة حمزيتي بها الدم مع كون كل من الجزارين بيده مكبة صفصاف مدهونة يلقى بها الدم
عن الملاءة وكبير المؤذنون ونحر الخليفة أربعة وثلثين ناقة وقصد المسجد الذي آخر صف النحر وهو مغلق
بالشروب والقاكهة المعبأة فيه بمقدار ما غسل يديه ثم ركب من فوره وجملة ما نحره وذبحه الخليفة خاصة في
النحر وباب الساباط دون الاجل الوزير المأمون وأولاده واخوته في ثلاثة الايام ماعذنه ألف وتسعمائة وستة
وأربعون رأساً تفصيله فوق مائة وثلاث عشرة ناقة نحر منها في المصلى عقيب الخطبة ناقة وهي التي تهدي
وتطلب من آفاق الارض للتبرك بلحمتها ونحر في المناخ مائة ناقة وهي التي يحمل منها الوزير وأولاده واخوته
والامراء والضيوف والاجناد والعسكرية والمميزين من الاجل وفي كل يوم يتصدق منها على الضعفاء
والمساكين بناقة واحدة وفي اليوم الثالث من العيد تحمل ناقة منحورة للقراء في القرافة وينحر في باب الساباط
ما يحمل الى من حوته القصور والى دار الوزارة والى الاصحاب والحواشي اثنا عشرة ناقة وثمانين عشرة بقرة

وخمس عشرة جاموسة ومن الكباش ألف وثمانمائة رأس ويصدق كل يوم في باب الساباط بسقط ما يذبح من
 النوق والبقر وأما مبلغ المنصرف على الاسمطة في ثلاثة الايام خارجا عن الاسمطة بالدار المأمونية فالف وثلثمائة
 وستة وعشرون ديناراً وربع وسدس دينار ومن السكر برسم قصور الخلاوة والقطع المنفوخ المصنوعة بدار
 الفطرة خارجا عن المطايخ ثمانية وأربعون قنطاراً * وقال ابن الطوير فاذا انقضى ذو القعدة وأقبل ذوالحجة اهتم
 بالركوب في عيد النحر وهو يوم عاشره فيجبر حاله كما جرى في عيد الفطر من الزى والركوب الى المصلى ويكون
 لباس الخليفة فيه الاسمر الموشح ولا ينخرم منه شيء ورأسه ثلاثة ايام متواليه فأولها يوم الخروج الى المصلى
 والخطابة كعيد الفطر وثاني يوم وثالثه الى النحر وهو المقابل لباب الريح الذي في ركن القصر المقابل لسور دار
 سعيد السعداء الخاتمة اليوم وكان براحا خاليا لا عمارة فيه فيخرج من هذا الباب الخليفة بنفسه ويكون
 الوزير واقفا عليه فيترجل ويدخل ماشيا بين يديه بقربه هذا بعد انقضاء ما من المصلى ويكون قد قيد الى هذا
 النحر احد وثلاثون فصيلة وناقاة أمام مصطبة مفروشة يطلع عليها الخليفة والوزير ثم اكابر الدولة وهو بين
 الاستاذين المحنكين فيقدم القراشون له الى المصطبة رأسا ويكون يسده حربة من رأسها الذي لاسنان فيه
 ويدقاضي القضاة في اصل سنانها فيجعل القاضي في نحر الخيرة ويطعن بها الخليفة وتجز من بين يديه حتى يأتى
 على العدة المذكورة فأول نجدة هي التي تقف ونسب الى داعي العين وهو الملك فيه فيفرقه على المعتقدين من
 وزن نصف درهم الى ربع درهم ثم يعمل ثاني يوم كذلك فيكون عدد ما ينخر سبعا وعشرين ثم يعمل في اليوم
 الثالث كذلك وعدة ما ينخر ثلاث وعشرون هذا وفي مدة هذه الايام الثلاثة يسير برسم الاضحية الى
 أرباب الرتب والرسوم كما سرت الغزاة في اول السنة من الدنانير بغير رباية ولا قراريط على مثال الغزاة من عشرة
 دنانير الى دينار وأما الحزم الجز ورفاهه يفرق في أرباب الرسوم للتبرك في أطباق مع ادوان القراشين واكثر ذلك
 تفرقة قاضي القضاة وداعي الدعاة للطلبة بدار العلم والمتصددين بجوامع القاهرة ونقباء المؤمنين بهامان
 الشيعة للتبرك فاذا انقضى ذلك خلع الخليفة على الوزير ثيابه الحر التي كانت عليه ومنديل آخر بغير السمة والعقد
 المنظوم من القصر عند عود الخليفة من النحر فيركب الوزير من القصر بالخلع المذكورة شافا القاهرة فاذا خرج
 من باب رويلة انهطف على يمينه سالكا على الخليج فيدخل من باب القنطرة الى دار الوزارة وبذلك انفصال
 عيد النحر * وقال ابن أبي طي عدة ما يذبح في هذا العيد في ثلاثة ايام النحر وفي يوم عيد الغدير ألفان وخمسمائة
 وأحد وستون رأسا تفصيله نوق مائة وسبعة عشر رأسا بقر أربعة وعشرون رأسا جاموس عشرون
 رأسا هذا الذي ينخره الخليفة ويذبحه يسده في المصلى والنحر وباب الساباط ويذبح الجزارون بين يديه من
 الكباش ألفا وأربعمائة رأس * وقال ابن عبد الظاهر كان الخليفة ينخر بالتمر مائة رأس ويعود الى خزنة
 الكسوة بغير ثيابه ويرجعه الى الميدان وهو النحر ثم يلبس الساباط والنحر والذبح ويعود بعد ذلك الى الحمام
 وبغير ثيابه للعبوس على الاسمطة وعدة ما يذبحه ألف وسبعمائة وستة وأربعون رأسا مائة وثلاث عشرة ناقاة
 والباقى بقر وغنم * قال ابن الطوير وعن الضحايا على ما تقر ما يقرب من ألئ دينار وكانت تخرج الخلفاء الى
 الاعمال بشائر ركوب الخليفة في يوم عيد النحر فما كتب به الاستاذ البارغ ابو القسم على بن منجب بن حليمان
 الكاتب المعروف بابن الصبر في المنعوت بتاج الرياسة أما بعد فالحمد لله الذي رفع منار الشرع وحفظ نظامه
 ونشر راية هذا الدين وأوجب اعظامه وأطلع بخلافة امير المؤمنين كواكب سعوده وأظهر للموالمف
 والمخالف عزة أحرابه وقوة جنوده وجعل فرعه ساميا ناميا واصله ثابتا راسخا وشرقه على الاديان بأسرها
 وكان لعراها فاصما ولاحكامها ناسخا يحمد له أمير المؤمنين أن الزم طاعته الخليفة وجعل كراماته الاسباب
 الجديدة بالامارة الخليفة ويرغب اليه في الصلاة على جدته محمد الذي حاز الفخار أجمعه وضمن الجنة لمن
 آمن به واتبع النور الذي انزل معه ورفع الى اعلى منزلة تخبر له منها المحل وأرسله بالهدى ودين الحق فزهق
 الباطل ونجس ناره واضهل مصلى اقه عليه وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين على بن أبي طالب خير
 الائمة وامامها وحبر الملة وبدر تمامها والموفق يومه في الطاعات على ماضى اسمه ومن اقامه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في المساهلة مقام نفسه واختصه بأبعد غاية في سورة براة فتنادى في الحج بأولها ولم يكن غيره
 يتقد نفاذه ولا يستمكنه لانه قال لا يبلغ عنى الارجل من أهل بيتي عملا في ذلك بما أمر الله به سبحانه وعلى

الائمة من ذريتهما خلفاء الله في أرضه والقائمين في سياسة خلقه بصريح الايمان ومحضه والمحكمين من أمر الدين مالا وجه لخلده ولا سبيل الى نقضه وسلم عليهم أجمعين سلاما يتصل دوامه ولا يخشى انصرامه ومجد وكرم وشرف وعظم وكأب أمير المؤمنين هذا اليك يوم الاحد عيد النحر من سنة ست وثلاثين وخمسائة الذي تبلغ فخره عن سبئات محضت ونفوس من آثار الذنوب خلصت ورحمة امتدت ظلالها وانتشرت ومغفرة هنأت ونشرت وكان من خبر هذا اليوم أن أمير المؤمنين برز لكافة من بحضرته من اوليائه متوجها لقضاء حق هذا العيد السعيد وأدائه في عترة راسخة قواعد هامة مكنه وعسا كرجة تضيق عنها ظروف الامكنه ومواكب تتوالى كتوالى السيل وتباب هية مجيئه في الليل بأسلحة تحسرها الابصار وتبقى وترتاع الافئدة منها وتفرق فمن مشرق اذا ورد نور ومن سمهرى اذا قصد تقصد ومن عمد اذا عمدت تبرأت المغافر من ضمانها ومن قسى اذا رسلت بناتها وصلت الى القلوب بغير استئذانها ولم يزل سائر افي هدى الامامة وأوارها وسكينة الخلافة ووقارها الى أن وصل الى المصلى قدام المحراب وأدى الصلاة اذ لم يكن بينه وبين التقبيل حجاب ثم علا المنبر فاستوى على ذروته ثم هلل الله وكبر وأثنى على عظمته وأحسن الى الكافة بتبليغ موعظته وتوجه الى ما عتد من البدن فخره تكبيلاً لقربته وانتهى في ذلك الى ما امر الله عز وجل وعاد الى قصوره المكرمة ومنار له المقدسة قد رضى الله عمله وشكر فعله وتقبله اعلمك امير المؤمنين بذلك لشكر الله على النعمة فيه وتذيعه قبلك على الرسم مما تجاربه فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى

* (ذكر دار الوزارة الكبرى) *

وكان يجورا هذا القصر الكبير الشرقى تجاه رحبة باب العبد دار الوزارة الكبرى ويقال لها الدار الافضية والدار السلطانية * قال ابن عبد الظاهر دار الوزارة بناها بدر الجالى أمير الجيوش ثم لم يزل يسكنها من بلى امره الجيوش الى أن انتقل الامر عن المصريين وصار الى بنى أيوب فاستقر سكن الملك الكامل بقلعة الجبل خارج القاهرة وسكنها السلطان الملك الصالح ولده ثم أرمست دار الوزارة لمن يرد من الملوك ورسل الخليفة الى هذا الوقت وكانت دار الوزارة قديما تعرف بدار القباب وازدادت الافضل الى دور بنى هريرة وعمرها دارا وسماها دار الوزارة انتهى والذي تدل عليه كتب ايتياعات الاملاك القديمة التى بتلك الخطه انها من بناء الافضل لامن عمارة ابيه بدر والدار التى عمرها أمير الجيوش بدر هى داره بجواره برجوان التى قبل لها دار المظفر وما زال وزراء الدولة الفاطمية ارباب السيوف من عهد الافضل بن أمير الجيوش يسكنون بدار الوزارة هذه الى أن زالت الدولة فاستقر بها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وابنه من بعده الملك العزيز عثمان ثم ابنه الملك المنصور ثم الملك العادل ابوبكر بن أيوب ثم ابنه الملك الكامل وصاروا يسمونها الدار السلطانية وأول من انتقل عنها من الملوك وسكن بالقلعة الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وجعلها منزلا للرسل فلما ولى قطز سلطنة ديار مصر وتلقب بالملك العادل فى سنة سبع وخسين وستمائة وحضر اليه البحرية وفهم يبيرس البندقدارى وقلاون الاثني من الشام خرج الملك العادل قطز الى لقائهم وأنزل الامير ركن الدين يبيرس بدار الوزارة فلم يزل بها حتى سافر صعبة قطز الى الشام وقتله وعاد الى مصر فسلطن وسكن بقلعة الجبل * وفى سنة ثلاث وتسعين وستمائة لما قتل الاشرف خليل بن قلاون فى واقعة بيدرا ثم قتل بيدرا وأجلس الملك الناصر محمد على تخت الملك وثار الاشرفية من المماليك على الامراء وقتل من قتل منهم خاف بشية الامراء من شر المماليك الاشرفية فقبض منهم على نحو الستمائة مملوك وأنزل بهم من القلعة وأسكن منهم نحو الثمائة بدار الوزارة وأسكن منهم كثير فى مناظر الكيش واجريت عليهم الرواتب ومنعوا من الركوب الى أن كان من أمرهم ما هو مذکور فى موضعه من هذا الكتاب * ولما كانت سنة سبع مائة أخذ الامير شمس الدين قرا سنقر المنصورى نائب السلطنة فى ايام الملك المنصور حسام الدين لاجين قطعة من دار الوزارة فبنى بها الربع المقابل خاتناه سعيد السعداء ثم بنى المدرسة المعروفة بالقراسنقرية ومكتب الايتام فلما كانت دولة البرجية بنى الامير ركن الدين يبيرس الجاشنكير الخاتناه الركنية والرباط بجانبها من جله دار الوزارة وذلك فى سنة

تسع وسبع مائة ثم استولى الناس على ما بقى من دار الوزارة وبنوا فيها فن حقوقها الأربع تجاه الخلقاء
 الصلاحية دار سعيد السعداء والمدرسة القراستقرية وخاتمة ركن الدين بيرس وما يجوارها من دار قزمان
 ودار الأمير شمس الدين سنقر الاعسر الوزير المعروفة بدار خوند طولوباي الناصرية جهة الملك الناصر حسن
 ابن محمد بن قلاون وحمام الاعسر التي بجانبها والحمام المجاورة لها وما وراء هذه الاماكن من الآدر وغيرها
 وهى القرن والطاحون التي قبلى "المدرسة القراستقرية ومن الآدر والحربة التي قبلى "ربع قراستقر وما جاور
 باب "مدرسة القراستقرية من الآدر وخربة اخرى هناك والدار الكبرى المعروفة بدار الامير سيف الدين
 برلغى الصغير صهر الملك المظفر بيرس الجاشنكير المعروفة اليوم بدار الغزاوى وفيها السرداب الذى كان رزىك
 ابن الصالح رزىك قحمه فى ايام وزارته من دار الوزارة الى سعيد السعداء وهو باقى الى الآن فى صدر قاعة وذكر
 أن فيه حبة عظيمة ومن حقوق دار الوزارة المناخ المجاورة لهذه القاعة وكان على دار الوزارة سور مبنى بالحجارة
 وقد بقى الآن منه قطعة فى حد دار الوزارة الغربى وفى حدها القبلى "وهو الحد الذى فيه باب الطاحون
 والساقية بجاء باب سعيد السعداء من الزقاق الذى يعرف اليوم بخرائب تتر ومنه قطعة فى حدها الشرقى
 عند باب الحمام والمستوقدياب الجوانية وكان بدار الوزارة هذا الشباك الكبير المعمول من الحديد فى القبة
 التى دفن تحتها بيرس الجاشنكير من خاتمة وهو الشباك الذى يقرأ فيه القراء وكان موضوعا فى دار الخلافة
 ببغداد يجلس فيه الخلفاء من بنى العباس فلما استولى الامير أبو الحارث البساسيرى على بغداد وخطب فيها
 للخليفة المستنصر بالله الفاطمى "أربعين جمعة واتهب قصر الخلافة وصار الخليفة القائم بأمر الله العباسى
 الى عانة وسير البساسيرى الاموال والتحف من بغداد الى المستنصر بالله بمصر فى سنة سبع وأربعين وأربع مائة
 كان من جملة ما بعث به مندبل الخليفة القائم بأمر الله الذى عمه بيده فى طالب من وخام قد وضع فيه كما هو حتى
 لا تتغير شدته ومع هذا المندبل رداءه والشباك الذى كان يجلس فيه ويتكى عليه فاحتفظ بذلك الى أن عمرت دار
 الوزارة على يد افضل بن أمير الجيوش فجعل هذا الشباك بها يجلس فيه الوزير ويتكى عليه وما زال به الى أن
 عمر الامير ركن الدين بيرس الجاشنكير الخاتمة الركنية وأخذ من دار الوزارة أنقاضا منها هذا الشباك فجعله
 فى القبة وهو شباك جليل وأما العمامة والرداء فصارا بالقصر حتى مات العاضد وتملك السلطان صلاح الدين
 ديار مصر فسيرهما فى جملة ما بعث من مصر الى الخليفة المستنصر بالله العباسى ببغداد ومعهما الكتاب الذى
 كتبه الخليفة القائم على نفسه وأشهد عليه العدول فيه أنه لاقى لبنى العباس ولاله من جلتهم فى الخلافة مع
 وجود بنى فاطمة الزهراء عليها السلام وكان البساسيرى "ألزمه حتى أشهد على نفسه بذلك وبعث بالشهاد الى
 مصر فأنفذ صلاح الدين الى بغداد مع ماسير به من التحف التى كانت بالقصر وأخبر بنى شيخ معمر يعرف بالشيخ
 على "السعودى" ولد فى سنة سبع وسبع مائة قال رأيت مرة وقد سقط من ظهر الرباط المجاور لخاتمة بيرس من
 جملة ما بقى من سور دار الوزارة جانب ظهرت منه علبة فيها رأس انسان كبير وعندى أن هذا الرأس من
 جملة رؤس الامراء البرقية الذين قتلهم ضرغام فى ايام وزارته للعاضد بعد شاورفائه كان عمل الحيلة عليهم بدار
 الوزارة وصار يستدعى واحدا بعد واحد الى خزنة بالدار ويوهم أنه يخلع عليهم فاذا صار واحدا منهم فى
 الخزنة قتل وقطع رأسه وذلك فى سنة ثمان وخسين وخمسمائة وكانت دار الوزارة فى الدولة الفاطمية تشغل
 على عدة قاعات ومساكن وبستان وغيره وكان فيها مائة وعشرون مقسما للماء الذى يجرى فى بركها ومطابخها
 ونحو ذلك

• (ذكر رتبة الوزارة وهيئة خلعتهم ومقدار جاريهم وما يتعلق بذلك) *

أما المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بديار مصر فانه لم يوقع اسم الوزارة على أحد فى ايامه وأول من قيل
 له الوزير فى الدولة الفاطمية الوزير يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله أبى منصور نزار بن المعز واليه تنسب
 الحارة الوزيرية كما استتف عليه عند ذكر الحارات من هذا الكتاب فلما مات ابن كلس لم يستور الوزير بالله
 بعده أحدا وانما كان رجل بلى الوساطة والسفارة فاستقر فى ذلك جماعة كثيرة بقية ايام العزيز وسائر ايام
 ابنه أبى على "منصور الحاكم بأمر الله ثم ولى الوزارة احمد بن على "الجرجارى فى ايام الظاهر أبى هاشم على بن

الحاكم وما زال الوزراء من بعده واحد بعد واحد وهم أرباب اقلام حتى قدم أمير الجيوش بدر الجبالي * قال ابن الطوير وكان من زى هؤلاء الوزراء انهم يلبسون المذايل الطبعيات بالاحمال تحت حلوقهم مثل العدول الآن ويتفردون بلبس ثياب قصار يقال لها الذرايع واحد ها ذراعة وهي مشقوقة أمام وجهه الى قريب من رأس القواد بأزرار وعري ومنهم من تكون أزراره من ذهب مشبك ومنهم من أزراره لؤلؤ وهذه علامة الوزارة ويحمل له الدواة المحلاة بالذهب ويقف بين يديه الحجاب وأمره نافذ في أرباب السيوف من الاجناد وأرباب الاقلام وكان آخرهم الوزير ابن المغربي الذي قدم عليه أمير الجيوش بدر الجبالي من عكا ووزر للمستنصر وزير سيف ولم يتقدمه في ذلك أحد انتهى وترتيب وزارته بأن تكون وزارة وزارة صاحب سيف بأن تكون الامور كلها مردودة اليه ومنه الى الخليفة دون سائر خدمه فعدله هذا العقد وأنشئ له السجل ونعت بالسيد الاجل أمير الجيوش وهو النعت الذي كان لصاحب ولاية دمشق وأضيف اليه كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين رجعل القاضي والداعي نائبين عنه ومقلدين من قبله وكتب له في سجله وقد قلده أمير المؤمنين جميع جوامع تدبيره وناط بك النظر في كل ما وراء سريره فباشر ما قلده أمير المؤمنين من ذلك مدبرا للبلاد ومصلحا للفساد ومدبر اهل العناد وخلع عليه بالعقد المنظوم بالجواهر مكان الطوق وزيد له الخنك مع الذؤابة المرحاة والطيلسان المقور زى قاضي القضاة وذلك في سنة سبع وستين وأربع مائة فصارت الوزارة من حينئذ وزارة تقويض ويقال لتمويلها أمير الجيوش وبطل اسم الوزارة فلما قام شاهد شاه بن أمير الجيوش من بعده آية ومات الخليفة المستنصر وأجلس ابن بدر في الخلافة احمد بن المستنصر ولقبه بالمستعلي صار يقال له الافضل ومن بعده صار من يتولى هذه الرتبة يتلقب به أيضا وأول من لقب بالملك منهم مضافا الى بقية الالقاب رضوان بن ولشئى عند ما وزر للحافظ لدين الله فقيل له السيد الاجل الملك الافضل وذلك في سنة ثلاثين وخمسمائة وفعل ذلك من بعده قتلغ طلائع بن رزيك بالملك المنصور وتلقب ابنه رزيك بن طلائع بالملك العادل وتلقب شاور بالملك المنصور وتلقب آخرهم صلاح الدين يوسف بن ايوب بالملك الناصر وصار وزير السيف من عهد أمير الجيوش بدر الى آخر الدولة هو سلطان مصر وصاحب الحل والعقد واليه الحكم في الكافة من الامراء والاجناد والقضاة والكتاب وسائر الرعية وهو الذي بولي أرباب المناصب الديوانية والدينية وصار حال الخليفة معه كما هو حال ملوك مصر من الاتراك اذا كان السطان صغيرا والقائم بأمره من الامراء وهو الذي يتولى تدبير الامور كما كان الامير يلبغا الخاصكي مع الاشرف شعبان وكما أدركنا الامير برقوق قبل سلطنته مع ولدي الاشرف وكما كان الامير أيتش مع الملك الناصر فرج بعد موت الظاهر برقوق * قال ابن أبي طي وكانت خلعتهم يعنى الخلفاء الفاطميين على الامراء الثياب الديني والعمائم القصب بالطراز الذهب وكان طراز الذهب والعمامة من خسمائة دينار ويخلع على اكابر الامراء الاطواق الذهب والاسورة والسيوف المحلاة وكان يخلع على الوزير عوضا عن الطوق عقد جوهر * قال ابن الطوير وخلع عليه يعنى على أمير الجيوش بدر الجبالي بالعقد المنظوم بالجواهر مكان الطوق وزيد له الخنك مع الذؤابة المرحاة والطيلسان المقور زى قاضي القضاة وهذه الخلع تشابه خلع الوزراء وأرباب الاقلام في زمنها هذا غير أنه لقصوراً حوال الدولة جعل عوض العقد الجوهر الذي كان للوزير ويقف بخمسة آلاف مثقال ذهباً قلادة من غير مغشوش يقال لها العنبرية وتميز بها الوزير خاصة ويلبس أيضا الطيلسان المقور ويسمى اليوم بالطرحة ويشارك فيها جميع أرباب العمائم اذا خلع عليهم فانه تكون خلعتهم بالطرحة وترك أيضا اليوم من خلعة الوزير وغيره الذؤابة المرحاة وهي العذبة وصارت الآن من زى القضاة فقط وهجرها الوزراء وبشبهه والله أعلم أن يكون وضعها في الدولة الفاطمية للوزير في خلعه إشارة الى انه كبير أرباب السيوف والاقلام فانه كان مع ذلك يتقلد بالسيف وكذلك ترك في الدولة التركية من خلع الوزارة تقليد السيف لانه لا حكم له على أرباب السيوف ولما قام الافضل ابن أمير الجيوش خلع ايضا عليه بالسيف والطيلسان المقور وبعد الافضل لم يخلع على أحد من الوزراء كذلك الى أن قدم طلائع بن رزيك ولقب بالملك الصالح عند ما خلع عليه للوزارة وجعل في خلعته السيف والطيلسان المقور * قال ابن المأمون وفي يوم الجمعة ثمانية عشر سنة خمس عشرة وخمسمائة خلع على القائد ابن فالك البطائحي من الملابس الخاص الشريفة في فردكم مجلس الكعبة وطوق بطوق ذهب مرصع

وسيف ذهب كذلك وسلم على الخليفة الأمر بأحكام الله وأمر الخليفة الاستاذين المحنكين بالخروج بين يديه وأن يركب من المكان الذي كان الأفضل بن أمير الجيوش يركب منه ومشى في ركابه القواد على عادة من تقدمه وخرج بتشريف الوزارة يعني من باب الذهب ودخل من باب العيدرا بك وأجرى الحكم فيه على ما تقدم للأفضل ووصل إلى دارد فضاء عاف الرسوم وأطلق الهبات ولما كان يوم الاثنين خامس ذي الحجة اجتمع امرأاء الدولة لتقبيل الأرض بين يدي الخليفة الأمر على العادة التي قررها مستحجة واستدعى الشيخ أبا الحسن بن أبي أسامة فلما حضر أمر بإحضار السجل للأجل الوزير المأمون من يده وقبله وسلمه لمام القصر وأمر الخليفة الوزير المأمون بالجلوس عن يمينه وقرئ السجل على باب المجلس وهو أول سجل قرئ في هذا المكان وكانت سجلات الوزراء قبل ذلك تقرأ بالأيوان ورسم للشيخ أبي الحسن أن ينقل النسبة للأمراء والمحنكين من الأمراء إلى المأمون في الناس اجمع ولم يكن أحد منهم يتسبب للأفضل ولا لأمير الجيوش وقدمت الدواة للمأمون فعلم في مجلس الخليفة وتقدمت الأمراء والاجناد فقبلوا الأرض وشكروا على هذا الاحسان وأمر الخليفة بإحضار الخلع لحاجب الحجاب حمام الملك وطوق بطوق ذهب وسيف ذهب ومنطقة ذهب ثم أمر بالخلع للشيخ أبي الحسن ابن أبي أسامة باستمراره على ما يده من كتابه الدست الشريف وشرفه بالدخول إلى مجلس الخليفة ثم استدعى الشيخ أبا البركات بن أبي الليث وخلع عليه بدلة مذهبة وكذلك أبو الرضى سالم ابن الشيخ أبي الحسن وكذلك أبو المكارم أخوه وأبو محمد أخوه ما ثم أبو الفضل بن المديني ووهبه دنانير كثيرة بحكم أنه الذي قرأ السجل وخلع على الشيخ أبي الفضائل بن أبي الليث صاحب دفتر المجلس ثم استدعى عدى الملك سعيد بن عماد الضيف متولى أمور الضيافات والرسائل الواصلين إلى الحضرة من مجلس الأفضل ولا يصل لعقبته أحدًا لحاجب الحجاب ولا غيره سوى عدى الملك هذا فإنه كان يقف من داخل العتبة وكانت هذه الخدمة في ذلك الوقت من أجل الخدم وأكبرها ثم عادت من أهون الخدم وأقلها فعند ذلك قال القاضي أبو الفتح بن قادوس يرحم الوزير المأمون عند مثوله بين يديه وقد زيد في نعوته

قالوا تاه النعت وهو السيد المأمون حقا والجل الشرف

ومعيت أمة أجد ومحيرها * ما زادنا شيا على ما نعرف

قال ولما استمر حسن نظر المأمون للدولة وجبل أفعاله بلغ الخليفة الأمر بأحكام الله فشكره واثني عليه فقال له المأمون ثم كلام يحتاج إلى خلوة فقال الخليفة تكون في هذا الوقت وأمر بخلو المجلس فعند ذلك مثل بين يدي الخليفة وقال له يا مولانا امثالنا الأمر صعب ومخالفته أصعب وما يتسع خلافه فقام امرأاء دولته وهو في دست خلافته ومنصب آباءه وأجداده وما في قواي ما يرومه مني ويكفي في هذا المقدار وهبات أن أقوم به والأمر كبير فعند ذلك تغير الخليفة وأقسم أن كان لي وزير غيري وهو في نفسي من أيام الأفضل وهو مستتر على الاستعفاء إلى أن بان له التغير في وجه الخليفة وقال ما اعتقدت أنك تخرج عن أمري ولا تخالفني فقال له المأمون عند ذلك في شروط وأنا أذكرها فقال له مهما شئت اشترط فقال له فذكرت بالأمس مع الأفضل وكان قد اجتهد في النعوت وحل المنطقة فلم أفعل فقال الخليفة علمت ذلك في وقته قال وكان أولاده يكتبون إليه بما يعلمه مولاي من كوني قد خنته في المال والأهل وما كان والله العظيم ذلك مني يوما قط ثم مع ذلك معاداة الأهل جميعا والاجناد وأرباب الطيالس والأقلام وهو يعطيني كل رقعة تصل إليه منهم وما سمع كلام أحد منهم في فعند ذلك قال له الخليفة فإذا كان فعل الأفضل معك ما ذكرته أيش يكون فعلي أنا فقال المأمون يعزفني الموتى ما يأمربه فأمتله بشرط أن لا يكون عليه زائد فأقول ما ابتدأ به أن قال أريد الأحوال لا تجبي إلا بالقصر ولا تصل الكسوات من الطراز والثغور إلا إليه ولا تفرق الأمنه وتكون أسبطة الأعياد فيه ويوسع في رواتب القصور من كل صنف وزيادة رسم منديل الكم فعند ذلك قال له المأمون سمعا وطاعة أما الكسوات والحباية من الأسبطة فما تكون إلا بالقصور وأما توسعة الرواتب فما من يخاف الأمر وأما زيادة رسم منديل الكم فقد كان الرسم في كل يوم ثلاثين دينارًا يكون في كل يوم مائة دينار ومولانا سلام الله عليه يشاهد ما يعمل بعد ذلك في الركوبات وأسبطة الأعياد وغيرها في سائر الأيام فقصر الخليفة وعظمت مسرته ثم قال المأمون أريد بهذا مسطورا بخط أمير المؤمنين ويقسم لي فيه بآبائه الطاهرين أن لا يلتفت لحاسد ولا مبغض ومهم ما ذكر

في يطلعني عليه ولا يامر في باهر سراً ولا جهرًا يلدن فيه دهاب هسي واحصاه مدرى وسده . يان باب
الى وقت وفاتي فاذا اتوفيت تكون لا ولادى وان اخلقه بعدى فحضرت الدواة وكتب ذلك جميعه واشهد الله تعالى
في آخرها على نفسه فعند ما حصل الخط بيد المأمون وقف وقبل الارض وجعله على رأسه وكان الخط بالايمن
نسختين احدهما في قصبة فضة قال فلما قبض على المأمون في شهر رمضان سنة تسع وعشرين وخمسمائة
أنفذ الخليفة الأمر بأحكام الله بطلب الايمان فننقله التي في القصبة الفضة فخرقها لوقتها وبقيت النسخة
الآخرى عندي فعدمت في الحركات التي جرت * وقال ابن ميسر في حوادث سنة خمس عشرة وخمسمائة وفيها
تشرف القائد ابو عبد الله محمد بن الامير نور الدولة أبي شجاع فاتك ابن الامير منجد الدولة أبي الحسن مختار
المستنصرى المعروف بابن البطائحي في الخمام من ذي الحجة وكان قبل ذلك عند الافضل استاداره وهو الذى
قدمه الى هذه المرتبة واستقرت نعوته في محله المقرر على كافة الامراء والاجناد بالاجل المأمون تاج الخلافة
وجبه الملك نحر الصنائع ذخرا مير المؤمنين ثم تجدد له من النعوت بعد ذلك الاجل المأمون تاج الخلافة عز
الاسلام نحر الانام نظام الدين والدنيا ثم نعت بما كان ينعت به الافضل وهو السيد الاجل المأمون أمير
الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين ولما كان يوم الثلاثاء
التاسع من ذي الحجة وهو يوم الهناء بعيد التحرر جلس المأمون في داره عند أذان الصبح وجاء الناس لخدمته
للهناء على طبقاتهم من أرباب السيوف والاقلام ثم الامراء والاستاذون المختكون والشعراء بعدهم فركب
الى القصر وأتى باب الذهب فوجد المرتبة المختصة بالوزارة قد هدمت له في موضعها الجارى به العادة وأغلق
الباب الذى عندها على الرسم المعتاد فوزراء السيوف والاقلام وهذا الباب يعرف بباب السرداب فعند
ما شاهد الحال في المرتبة توقف عن الجلوس عليها لانها حالة لم يجرمعه حديث فيها ثم الجأته الضرورة لاجل
حضور الامراء الى الجلوس فجلس عليها واجلس اولاده الثلاثة عن يمينه وأخواه عن يساره والامراء المطوقون
خاصة دون غيرهم قيام بين يديه فانه لا يصل أحد الى هذا المكان سواهم فلم يكن بأسرع من أن فتح الباب وخرج
عدة من الاستاذين المختكين بسلام أمير المؤمنين وخرج اليه الامير الثقة متولى الرسالة وزمام القصور فعند
حضوره وقف له أولاد المأمون وأخواه فطلع عند خروجه قبالة المرتبة وقال أمير المؤمنين يرد على السيد
الاجل المأمون السلام فوقف عند ذلك المأمون وقبل الارض وعاد فجلس مكانه وتأخر الامير الى أن نزل من
المصطبة وقبل الارض وقبل يد المأمون ودخل من فوره من الباب وأغلق الباب على حاله على ما كان عليه
الافضل وكان الافضل يقول ما أزال أعت نفسي سلطانا حتى أجلس على تلك المرتبة والباب يغلق في وجهي
والدخان في انفي فان الحمام كانت من خلف الباب في السرداب ثم فتح الباب وعاد الثقة وأشار بالدخول الى
القصر فدخل الى المكان الذى هي له وعاد لمجلس الوزارة وبقي الامراء بالدها ليرى أن مجلس الخليفة واستفتح
القرء واستدعى المأمون فحضر بين يديه وسلم عليه أولاده واخوته وأهل الامراء على قدر طبقاتهم وأولهم
أرباب الاطواق وبليلهم أرباب العماريات والاقصاب ثم الضيوف والاشراف ثم دخل ديوان المكاتبات
وسلم بهم الشيخ ابو الحسن بن أبي اسامة ثم ديوان الانشاء وسلم بهم الشريف ابن انس الدولة ثم بقية الطالبين
من الاشراف ثم سلم القاضي ابن الرمعي بشهوده والداى ابن عبد الحق بالمؤمنين ثم سلم القائد مقبل مقدم
الركاب الأمرى بجميع المتقدمين الامرية ثم سلم بعدهم الشيخ ابو البركات بن أبي الليث متولى ديوان المملكة
ثم دخل الاجناد من باب البحر وسلم كل طائفة بمقدمها فلما انقضى ذلك دخل والى القاهرة ووالى مصر وسلم
كل منهم ما يبياض اهل البلد من ثم دخل البطرك بالنصارى وفيهم كتاب الدولة من النصارى ورئيس اليهود ومعه
الكتاب من اليهود ثم سلم القربون وقد قارب القصر ودخل الشعراء على طبقاتهم وأنشد كل منهم ما سمحت
به قريحته قال فكان هذا رتبة الوزير المأمون قال ابن المأمون وأما ما قرر للوزارة عيننا في الشهر بغير
ايجاب بل يقبض من بيت المال فهو ثلاثة آلاف دينار تفصيلها ما هو على حكم النيابة في العلامة ألف
دينار وما هو على حكم الراتب ألف وخمسمائة دينار وما هو عن مائة غلام برهم مجلسه وخدمته لكل غلام خمسة
دينار في الشهر فأما الغلمان الركابية وغيرهم من الفتراشين والطباخين فعلى حكم ما يرغب في اثباته وفي السنة من
الاقطاعات خمسون ألف دينار منها دهشور وجزيرة الذهب وبقية الجلة صفقات ومن البساتين ثلاثة بستان

لاميرتيم وبسبتانان بكموم أشفين ومن القوت يعني القمح ومن القضم يعني الشعير والبرسيم في السنة
عشرون ألفا رطب قمحا وشعيرا ومن الغنم برسم مطابجه ساقه من المراحات ثمانية آلاف رأس وأما الحيوان
والاحطاب وجميع التوابل الحال منها والدون فلهما استدعاء متولى المطابخ يطلق من دار أفتكين وشون
لاحطاب وغير ذلك وقد تقدم مقرر كسوة الوزارة في العيدين وفصل الشتاء والصيف وموسم عيد الغدير
يفتح الخليج وغير ذلك من غزقى شهر رمضان وأول العام وغيره كما سيرد في موضعه من هذا الكتاب أن شاء
الله تعالى وقد استقصيت سير الوزراء في كتابي الذي سميت تلقيح العقول والآراء في تنقيح أخبار الجلة الوزراء
فانظره

*** (ذكر الجرا التي كانت برسم الصبيان الجهرية) ***

وكان بجوار دار الوزارة مكان كبير يعرف بالجرا جمع حجرة فيها العلمان المختصون بالخلفاء كما أدركنا بالقطعة البيوت
التي كان يقال لها الطابق وكانت هذه الجرا من جانب حارة الجوانية والى حيث المسجد الذي يعرف بمسجد القاصد
تجاه باب الجامع الحاكبي الذي يقضى الى باب النصر فنحقوق هذه الجرا دار الامير بهادر اليوسفي السلاحدار
الناصرى التي تجاور المسجد الكائن على بنية من سلك من باب الجوانية طالبا باب النصر ومنها الحوض المجاور
لهذه الدار ودار الامير أحمد قريب الملك الناصر محمد بن قلاوون والمسجد المعروف بالنخلة وما بجواره من القاعتين
التي تعرف احدهما بقاعة الامير علم الدين سنجر الجاولى وما في جانبها الى مسجد القاصد وما وراء هذه
الدور وكان لهؤلاء الجرية اصطبل برسم دوابهم سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى وما زالت هذه الجرية باقية بعد
انقضاء دولة الخلفاء الفاطميين الى ما بعد السبع مائة فهدمت وابتنى الناس مكانها الا ما كن المذكورة * قال ابن
أبى طى "عن المعز لدين الله وجعل كل ماهر في صنعة صانعا للخاص وأفرد لهم مكانا برسمهم وكذلك فعل بالكتاب
والافاضل وشرط على ولادة الاعمال عرض اولاد الناس بأعمالهم فن كان ذاشامة وحسن خلقه أرسله ليعتمد
في الركاب فسيروا اليه عالما من اولاد الناس فأفرد لهم دورا وسميها الجرا * وقال ابن الطوير وكوتب الافضل
ابن أمير الجيوش من عسقلان باجتماع الفرنج فاهتم للتوجه اليها فلم يبق بمكان من مال وسلاح وخيل ورجال
واستناب أخاه المظفر أبا محمد جعفر بن أمير الجيوش بدرين يدي الخليفة مكانه وقصد استنقاذ الساحل من يد
الفرنج فوصل الى عسقلان وزحف عليها بذلك العسكر فخذل من جهة عسكره وهى نوبة النصرة وعلم أن السبب
في ذلك من جنده ولما غلب حرق جميع ما كان معه من الا لات وكان عند الفرنج شاعر منتهج اليهم فقال يخاطب
صنجل ملك الفرنج

نصرت بسيفك دين المسيح * فقله درك من صنجل

وما سمع الناس فيما روه * بأقبح من كسرة الافضل

فتوصل الافضل الى ذبح هذا الشاعر ولم ينتفع بعد هذه النوبة أحد من الاجنا دبالافضل وحظر عليهم النعوت
ولم يسمع لاحد منهم كلمة وأنشأ سبع حجر واختار من اولاد الاجناد ثلاثة آلاف راجل وقسمهم في الجرا وجعل
لكل مائة زماما ونقيبا وزم الكل بأمر يقال له الموفق وأطلق لكل منهم ما يحتاج اليه من خيل وسلاح وغيره
وعنى هؤلاء الاجناد فكان اذادهم امر مهم جهزهم اليه مع الزمام الا كبر * وقال ابن المأمون وكان من جملة
الجرية الذين يجلسون السباط رجل يعرف بابن زحل وكان يأكل خروفا كبيرا مشويا ويستوفيه الى آخره ثم
يقدم له صحن كبير من القصور المعمولة بالسكرو جميع صنوف الحيوانات على اختلاف أجناسها ما لم يعمل قط
منه من الاطعمة فبأكل معظمه وكان يقعد في طرف المدورة حتى يكون بالقرب من نظار الخليفة لا يميزه وكان من
الاجناد وأسرى ايام الافضل وقيده الفرنجي الذي أسره وعذبه وطالت مدته في الاسر وكان فقيرا فاتفق ان
ذكر للفرنجي كثرة اكله فأراد أن يمتحنه فقال له أحضرنى عجلا كبيرا عجل عندكم آكله الى آخره فضحك منه
الفرنجي ونقص عقله وأناه بجعل كبير ويقال بختير فقال له اذبحه واشوه واتفق معه بجمرة خل ثم قال اذا اكلته
ما يكون لى عندك فغلط الفرنجي وقال له اطلقك تمضى الى اهالك فاستخلفه على ذلك وغلط عليه اليين وأحضر
الفرنجي عدة من اصحابه ليشاهدوا فعله فلما استوفى العجل جميعه صلب كل من الحاضرين على وجهه

وتعجب من فعله وأطلقه فقال أخاف من أن يعتقد أنني هربت فأرد إليكم فاحضر الفرنجي من العربان من سلمه إليهم ولم يشعر به الا يساب عسقلان فطلع منها وأعنى بعد ذلك من السفر وبقى برسم الاسطمة * وقال ابن عبد الظاهر الحجر قريب من باب النصر وهو مكان كبير في صف دار الوزارة الى جانبه باب القوس الذي يسمى باب النصر قد يما على بئمة الخارج من القاهرة كان تربي فيه جماعة من الشبابة يسمون صبيان الحجر يكتفون في جهات متعددة وهم ينامزون خمسة آلاف نسمة ولكل حجرة اسم تعرف به وهي المنصورة والفتح والجديدة وغير ذلك مفردة لهم وعندهم سلاحهم فاذا اجتروا خرج كل منهم لوقته لا يـكـون له ما يمنعهم وكانوا في ذلك على مثال الذواينة والاستار وكانوا اذا سمى الرجل منهم بعقل وشجاعة خرج من هناك الى الامرة والتقدمة مثل علي بن السلاور وغيره ولا يـأوى أحد منهم الا بجحرته بفرسه وعدته وقاشه وللصبيان الحجرية حجرة مفردة عليهم استاذون يبيتون عندهم وخدام برسمهم

* (ذكر المناخ السعيد) *

وكان من وراء القصر الكبير فيما يلي ظهر دار الوزارة الكبرى والحجر المناخ وهو موضع برسم طواحين القمح التي تطنج جريات القصور وبرسم مخازن الاخشاب والحديد ونحو ذلك * قال ابن الطوير وأما المناخات ففيها من الحواصل ما لا يحصره الا القلم من الاخشاب والحديد والطواحين النجدة والغشيمة والآلات الاساطيل من الاسطمة المعمولة بيد الفرنج القاطنين فيه والقنب والـكـتـان والتجنيقات المعدة والطواحين الدائرة برسم الجريات المقدم ذكرها والزفت في المخازن الذي عليه الاتربة ولا يتقطع الا بالمعاول وقد أدركت هذه الدولة يعني دولة بني أيوب منه شيئا كثيرا في هذا المكان اتفع به واليه يأوى الفرنج في بيوت برسمهم وكانت عدتهم كثيرة ففيه من التجارين والجزارين والدهانين والخبازين والخباطين والفعله ومن العجائين والطحانيين في تلك الطواحين والفرنانيين في أفران الجريات وفي هذا المكان مادة اكثر اهل الدولة وحاميه أمير من الامراء ومشارفه من العدول وفيه أيضا شاهد النفقات وعامل يتولى التنفيذ مع المشارف وعامل برسم نظم الحساب من تعلقاتهم بما يجار غير جوارهم لان أوقافهم مستغرقة في مباشرة الاطلاقات وغيرها وذكر ابن الطوير أن المأمون بن البطائحى استجده طواحين برسم الرواتب

* (ذكر اصطبل الطارمة) *

الطارمة بيت من خشب وهو دخيل وكان يجوار القصر الكبير تجاه باب الديلم من شرقي الجامع الازهر اصطبل * قال ابن الطوير وكان لهم اصطبلان أحدهما يعرف بالطارمة يقابل قصر الشول والآخر بجارة زويلة يعرف بالجيزة وكان للخليفة الحاضر ما يقرب من ألف رأس في كل اصطبل النصف من ذلك منها ما هو برسم الخصاص ومنها ما يخرج برسم العواري لارباب الرتب والمستخدمين دائما ومنها ما يخرج أيام المواسم وهي التغيرات المتقدمة ذكرار سالها لارباب الرتب والخدم والمرتب لكل اصطبل منها لكل ثلاثة أو رؤس سائس واحد ملازم ولكل واحد منها شداد برسم تسييرها وفي كل اصطبل بئر بساقية تدور الى احواض ومخازن فيها الشعير والاقراط اليابسة المحمولة من البلاد اليها ولكل عشرين رجلا من السواس عريف يلتزم دركهم بالضمائم لانهم الذين يتسلمون من خزائن السروج المركبات بالحلي ويعيدونها اليها كما تقدم ذكره في خزائن السروج ولكل من الاصطبلين راض كأمير اخور وله سامية وجامكية متسعة والعرفاء على السواس ميرة ولجماعات الجريات من القمح والخبز خارجا عن الجاميكات فاذا بقي لا يام المواسم التي يركب فيها الخليفة بالمظلة مدة اسبوع أخرج الى كل راض في الاصطبل مع استاذ مظلة يتيق هر كبة على قنطارية مدهونة ويختص الراض على ما يركبه الخليفة اما فرسين او ثلاثة وعليهما المركبات الحلي التي يركبها الخليفة فيركبها الراض بمائل بينه وبين السرج ويركب الاستاذ بغلة مظلة ويحمل تلك المظلة ويسير في راح الاصطبل وفيه سعة عظيمة مارة أو عابدا وحولها البوق والطبل فيكتر ذلك عدة دفعات في كل يوم مدة ذلك الاسبوع ليستقر ما يركبه الخليفة من الدواب على ذلك ولا يقرر منه في حال الركوب عليه فيعمل كذلك في كل اصطبل من الاصطبلين والدواب والبغلة التي تهيا هي التي يركبها الخليفة وصاحب المظلة يوم المومم ولا يـحـتـل ذلك ويقال أنه ماراث دابة

ولابالت والخليفة راعكها ولا بغلة صاحب المظلة أيضا الى حين نزولهما عنهما وكان في الساحل بطريق مصر من القاهرة في البساتين المنسوبة الى ملك صارم الدين حلبا شوتان مملوءتان تبنيا عبيتان كتعبيتة في المزك كالجبلين الشاهقين ولهما مستخدمون حام ومشارف وعامل بجامكة جيدة تصل بذلك المراكب التبانة الموهلة له من موظف الاتبان بالبلاد الساحلية وغيرها مما يدخل اليه في ايام النيل ولها رؤساء وأمرها جار في ديوان العمائر والصناعة والاتفاق منها بالتوقيعات السلطانية للاصطبلات المذكورة وغيرها من الاواسي الديوانية وعوامل بساتين الملك واذا جرى بين المستخدمين خاف في الشنف التبن المعتبر عادوا الى قبضه بالوزن فيكون الشنف التبن ثلثائة وستين رطلا بالمصري نقيا واذا أنفقوا دريسا قد تغيرت صورته كان عن القنة اثنا عشر رطلا ولم يزل ذلك كذلك الى آخر وقته وما يجبر عنهم أنهم لم يركبوا حصاناً أدهم قط ولا يرون اضافته الى دواهم بالاصطبلات وقال ابن عبد الظاهر اصطبل الطارمة كان اصطبل للخليفة فلما زالت تلك الايام اختط وبني آدرا

* (ذكر دار الضرب وما يتعلق بها) *

وكان بجوار خزانة الدرق التي هي اليوم خان مسرور الكبير دار الضرب وموضعها حينئذ كان بالقشاشين التي تعرف اليوم بالخرطين وصار مكان دار الضرب اليوم درب يعرف بدرب الشمس في وسط سوق السقطيين المهاجرين وباب هذا الدرب تجاه قيسارية العصفرة فاذا دخلت هذا الدرب فما كان على يسارك من الدور فهو موضع دار الضرب وبجوارها دار الوكالة الخافضة فجعلت الحوانيت التي على يمنة من سلك من رأس الخراطين تجاه سوق العنبر طاب الجامع الازهر في ظهر دار الضرب وانشأ هذه الحوانيت وما كان يعلوها من البيوت الامير المعظم خرتاش الخافضي وجعلها وقفاً وقال في كتاب وقفها وحده هذه الحوانيت الغرقي ينتهي الى دار الضرب والى دار الوكالة وقد صارت هذه الحوانيت الآن من جملة أوقاف المدرسة الجالية مما اغتصب من الاوقاف وما زالت دار الضرب هذه في الدولة الفاطمية باقية الى أن استبدد السلطان صلاح الدين فصارت دار الضرب حيث هي اليوم كما تقدم ذكره وكان لدار الضرب المذكورة في ايامهم أعمال ويعمل بها دنانير الفضة ودنانير خبث العدس وتولاها قاضي القضاة لجلالة قدرها عندهم * قال ابن المأمون وفي سؤال منها وهي ستة عشر وخمسمائة أمر الاجل ببناء دار الضرب بالقاهرة المحروسة لكونها مقر الخلافة وموطن الامامة فبنيت بالقشاشين قبالة المارستان وسميت بالدار الاحمرية واستخدم لها العدول وصار ديارها أعلى عياراً من جميع ما يضرب بجميع الامصار انتهى وكانت دار الضرب المذكورة تجاه المارستان فكان المارستان بجوار خزانة الدرق فما عن يمينك الآن اذا سلكت من رأس الخراطين فهو موضع دار الضرب ودار الوكالة هكذا الى الحمام التي بالخراطين وما وراءها وما عن يسارك فهو موضع المارستان * قال ابن عبد الظاهر في ايام المأمون بن البطاحي وزير الامير بأحكام الله بنيت دار الضرب في القشاشين قبالة المارستان الذي هنالك وسميت بالدار الاحمرية

* (دار العلم الجديدة) * وكان بجوار القصر الكبير الشرقي دار في ظهر خزانة الدرق من باب ترية الزعفران لما أغلق الافضل بن أمير الجيوش دار العلم التي كان الحاكم بأمر الله فتحها في باب التبانين اقتضى الحال بعد قتله إعادة دار العلم فامتنع الوزير المأمون من اعادتها في موضعها فأشار القضاة زمام القصور بهذا الموضع فعمل دار العلم في شهر ربيع الاول سنة سبع عشرة وخمسمائة وولاه الابی محمد حسن بن آدم واستخدم فيها مقررین ولم تزل دار العلم عامرة حتى زالت الدولة الفاطمية * قال ابن عبد الظاهر رأيت في بعض كتب الاملاک القديمة ما يدل على انها قديمة من القصر النافعي وكذا ذكر لي السيد الشريف الحلبي أنها دار ابن أزد مر الجاورة لدارسكني الآن خلف فندق مسرور الكبير وكذلك قال لي والدي رحمه الله وقد بناها جلال الدين الاستاد الحلبي داراً عظيمة غرم عليها مائة ألف وأكثر من ذلك على ما ذكره انتهى وموضع دار العلم هذه دار كبيرة ذات زلافة بجوار درب ابن عبد الظاهر قرياً من خان الخليلي بخط الزراكنة العتيق

* (موسم اول العام) * قال ابن المأمون واسفرت غرة سنة سبع عشرة وخمسمائة وبأدار المستخدمين

في الخزان وصناديق الاتفاق بحمل ما يحضر بين يدي الخليفة من عين وورق من ضرب السنة المستحقة ورسم جميع من يختص به من اخوته وجهاته وقرابته وأرباب الصنائع والمستخدمات وجميع الاستاذين العوالي والادوين وثنوا بحمل ما يختص بالاجل المأمون وأولاده واخوته واستاذنوا على تفرقة ما يختص بالاجل المأمون وأولاده والاصحاب والخواشي والامراء والضيوف والاجناد فأمروا بتفرقة والذي استحل عليه المبلغ في هذه السنة تطير ما كان قبلها وجلس المأمون بأكرام على السماط بداره وفترت الرسوم على أرباب الخدم والمميزين من جميع اصنافه على ما تضمنته الاوراق وحضرت النعشير والتشريقات وزى الموكب الى الدار المأمونية وتسلم كل من المستخدمين المدايح بأسماء من شرف بالحجة ومصفات العساكر وترتيب الاسمطة وأصعد كل منهم الى شغله وتوجه لخدمته ثم ركب الخليفة واستدعى الوزير المأمون ثم خرج من باب الذهب وقد نشرت مظلمة وخدمت الرهبة ورتب الموكب والجنائب ومصفات العساكر عن يمينه وشماله وجميع تجار البلدين من الجوهر بين والصارف والصاغة والبرازين وغيرهم قد زينوا الطريق بما تقتضيه تجارة كل منهم ومعاشه لطلب البركة بنظر الخليفة وخرج من باب الفتوح والعساكر فارسها وراجلها بتجملها وزيناها أبواب حارات العبيد معلقة بالسستور ودخل من باب النصر والصدقات ثم المساكين والرسوم تفرق على المستقرين الى أن دخل من باب الذهب فلقبه المقرئون بالقرآن الكريم في طول الدهاليز الى أن دخل خزانة الكسوة الخاص وغير ثياب الموكب بغيرها وتوجه الى تربة آبائه للترحم على عادته وبعد ذلك الى مارآه من قصوره على سبيل الراحة وعبيت الاسمطة وجرى الحال فيها وفي جلوس الخليفة ومن جرت عادته وتهئية قصور الخلافة وتفرقة الرسوم على ما هو مستقر وتوجه الاجل المأمون الى داره فوجد الحال في الاسمطة على ما جرت به العادة والتوسعة فيها اكثر مما تقدمها وكذلك الهناء في صبيحة الموسم بالدار المأمونية والقصور وحضر من جرت العادة بحضوره لاهناء وبعدهم الشعراء على طبقاتهم وعادت الامور في ايام السلام والركوبات وترتيبها على المعهود وأحضر كل من المستخدمين في الدواوين ما يتعلق بدوانه من التذاكر والمطالعات مما تحتاج اليه الدولة في طول السنة ونعم به ويتصدق ويحمل الى الحرمين الشريفين من كل صنف على ما فصل في التذاكر على يد المندوبين ويحمل الى الثغور ويخزن من سائر الاصناف ما يستعمل ويباع في الثغور والبلاد والاستثمار وجريدة الابواب وتذكرة الطراز والتوقيع عليها * وقال ابن الطوير فاذا كان العشر الاخير من ذي الحجة في كل سنة اتصب كل من المستخدمين بالاماكن لاخراج آلات الموكب من الاسلحة وغيرها فيخرج من خزائن الاسلحة ما يحمله صبيان الركاب حول الخليفة من الاسلحة وهو الصمام المصقولة المذهبة مكان السيوف المحذبة والدبابيس الكيفت الاحمر الاسود ورؤسها مدورة مضرسة واللوت كذلك ورؤسها مستطيلة مضرسة أيضا وآلات يقال لها المستوفيات وهي عمد حديد من طول ذراعين مربعة الاشكال بمقايض مدورة في ايديهم بعدة معلومة من كل صنف فيتسلها نقيبائهم وهي في ضمانهم وعليهم اعادتها الى الخزانة بعد تقضى الخدمة بها ويخرج للطائفة من العبيد الاقوياء السودان الشباب ويقال لهم أرباب السلاح اصفر وهم ثلثمائة عبد لكل واحد حربتان بأسنة مصقولة تحتها جلب فضة كل اثنين في شرابة وثلثمائة درقة يكوها مخ فضة يتسلم ذلك عرفاؤهم على ما تقدم فيسلونه للعبيد لكل واحد حربتان ودوقة ثم يخرج من خزانة التجميل وهي من حقوق خزائن السلاح القصب الفضة برسم تشرى الوزير والامراء أرباب الرتب وأزمنة العساكر والطوائف من الفارس والراجل وهي رماح ملبسة بأنايب الفضة المنقوشة بالذهب الاذراعين منها فيشتد في ذلك الخالي من الانايب عدة من المعاجر الشرب الملوثة ويترك أطرافها المرقومة مسبلة كالصنائع ويرؤسها رمايين منقوشة فضة مذهبة واهله مجوفة كذلك وفيها جلاجل لها حبس اذا تحركت وتكون عدة ما يقرب من مائة ومن العماريات وهي شبه الكخاوات من الديباج الاحمر وهو أجملها والاصفر والقروبي والسقلاطون مبطنة مضبوطة برنانير خريز وعلى دائر التريبع منها مناطق بكواخ فضة مسمورة في جلد نظير عدد القصب فيسير من القصب عشرة ومن العماريات مثلها من الحجر خاصة ويخرج للوزير خاصة لو أن على رحلين طويلين ملبسين بمثل تلك الانايب ونفس اللواء ملفوف غير منشور وهذا التشرى فيسير أمام الوزير وهو لاهراء من ورائهم ثم يسير لاهراء أرباب الرتب في الخدم وأولهم صاحب الباب وهو أجملهم خمس قصبات وخمس عماريات ويرسل لاسفهلار

العساكر أربع قصبات وأربع عماريات من عتمة ألوان ومن سواهما من الامراء على قدر طبقاتهم ثلاث ثلاث واثنان اثنتان وواحدة واحدة ثم يخرج من البنود الخاص الديني المرقوم الملقون عشرة برماح ملبسة بالانابيب وعلى رؤسها الرماحين والاهلة للوزير خاصة ودون هذه البنود مما هو من الحرير على رماح غير ملبسة ورؤسها ورماحينها من نحاس مجوف مطلي بالذهب فتكون هذه أمام الامراء المذكورين من تسعة الى سبعة اذرع برأسها طلعة مصقولة وهي من خشب القنطاريات داخله في الطامة وعقبها حديد مدور أسفل فهي في كف حاملها الايمن وهو يقتلها فيه قتلا متدارك الدوران وفي يده اليسرى نشابة كبيرة يخطر بها وعدتها ستون مع ستين رجلا يسرون رجالة في الموكب يسرون عينة ويسرة ثم يخرج من النقارات جل عشرين بغلا على كل بغل ثلاث مثل نقارات الكوسات بغير كوسات يقال لها مطبول فيتسلها صناعها ويسرون في الموكب اثنين اثنين ولها حس مستحسن وكان لها ميزة عندهم في التشريف ثم يخرج لقوم متطوعين بغير جار ولا جارية تقرب عدتهم من مائة رجل لكل واحد درقة من درق اللط وهي واسعة وسيف ويسرون أيضا رجالة في الموكب هذا وظيفة خزائن السلاح ثم يحضر حامى خزائن السروج وهو من الاستاذين المحنكين اليها مع مشارفها وهو من الشهود المعدلين فيخرج منها برسم خاص الخليفة من المركبات الخلية ما هو برسم ركوبه وما يجنب في موكبه مائة سرج منها سبعون على سبعين حصانا ومنها ثلاثون على ثلاثين بغلة كل مركب مصوغ من ذهب أو من ذهب وفضة أو من ذهب منزل فيه المينا أو من فضة منزلة بالمينا وروادفها وقرأ يسها من نسبها ومنها ما هو صرع بالجواهر الفاتقة وفي اعناقها الاطواق الذهب وقلائد العنبر وربما يكون في أيدي وأرجل اكثرها خلاخل مسطوحة دائرية عليها ومكان الجلده من السروج الديباخ الاحمر والاصفر وغيرهما من الالوان والسقلاطون المنقوش بالوان الحرير قيمة كل دابة وما عليها من العدة ألف دينار فيشرف الوزير من هذه بعشرة حصن لركوبه وأولاده واخوته ومن يعز عليه من اقاربه ويسلم ذلك لعرفاء الاصطبلات بالعرض عليهم من الجرائد التي هي ثابتة فيها بعلامات في أمكنها وأعدادها وعد كل مركب منقوش عليه مثل اول وثان وثالث الى آخرها كما هو مسطور في الجرائد فيعرف بذلك قطعة قطعة ويسلمها العرفاء لشئاذين بضمها عرفاتهم الى أن تعود وعليهم غرامة ما نقص منها واعادتها برمتها ثم يخرج من الخزائن المذكورة لارباب الدواوين المتربين في الخدم على مقاديرهم مركبات أيضا من الخلية دون ما تقدم ذكره ما تقرب عدته من ثلثمائة مركب على خيل وبغلات وبغال يتسلها العرفاء المتقدم ذكرهم على الوجه المذكور وينتدب حاجب يحضر على التفرقة لفلان وفلان من ارباب الخدم سيفاً وقلماً فيعرف كل شئاد صاحبه فيحضر اليه بالقاهرة ومصر سحر يوم الركوب ولهم من الركاب رسوم من دينار الى نصف دينار الى ثلث دينار فاذا تكمل هذا الامر وسلم أيضا الجمالون بالمناخات اغشية العماريات ويكون اراحة في ذلك كله الى آخر الثامن والعشرين من ذي الحجة وأصبح اليوم التاسع والعشرون من سلخه على رأى القوم عزم الخليفة على الجلوس في الشباك لعارض دوايه الخاص المتقدم ذكرها ويقال له يوم عرض الخليل فيستدعي الوزير بصاحب الرسالة وهو من كبار الاستاذين المحنكين وفصحائهم وعقلائهم ومحصلهم فيمضي الى استعدائه في هيئة المسرعين على حصان دهرج امثال الامم الخليفة بالاسراع على خلاف حركته المعتادة فاذا عاد مثل بين يدي الخليفة وأعلمه باستعدائه الوزير فيخرج راكبا من مكانه في القصر ولا يركب أحد في القصر الا الخليفة وينزل في السد لا بد هليزاب الملك الذي فيه الشباك وعليه من نظاره للناس ستر فيقف من جانبه الايمن زمام القصر ومن جانبه الايسر صاحب بيت المال وهما من الاستاذين المحنكين فيركب الوزير من داره وبين يديه الامراء فاذا وصل الى باب القصر ترجل الامراء وهو راكب ويكون دخوله في هذا اليوم من باب العيد ولا يزال راكبا الى اول باب من الدهايز الطوال فينزل هناك ويمشي فيها وحواليه حاشيته وغلمانه وأصحابه ومن يراه من أولاده وأقاربه ويصل الى الشباك فيجد تحت كرسيا كبيرا من كرامى البلق الجيد فيجالس عليه ورجلاه تطل الارض فاذا استوى جالساً رفع كل استاذ السترم من جانبه فيرى الخليفة جالسا في المرتبة الهائلة فيقف ويسلم ويخدم يده الى الارض ثلاث مرات ثم يؤمر بالجلوس على كرسية فيجلس ويستفتح القراء بالقراءة قبل كل شئ بايات لا تفتة بذلك الحال مقدار نصف ساعة ثم يسلم الامراء ويسرع في عرض الخليل والبغال الخاص المتقدم ذكرها دابة دابة وهي هادئة كالعراس بأيدي شئاذيها الى ان يكمل.

عرضها في قراة الختم ذلك الجلوس ويرى الاستاذان السرفيق قدّم الوزير ويدخل اليه ويقبل يديه ورجليه وينصرف عنه الى داره فيركب من مكان نزوله والامراء بين يديه لوداعه الى داره ركبانا ومشاة الى قريب المكان فاذا صلى الخليفة الظهر بعد انقضاء ما تقدم جلس طهرض ما يلبسه في عيد تلك الليلة وهو يوم افتتاح العام يجزئ الكسوات الخاص ويكون لباسه فيه البياض غير الموشع فيعين على منديل خاص وبدلة فأما المنديل فيسلم لسا إذا التاج الشريف ويقال له شدة الوقار وهو من الاستاذين المحنكين وله ميزة لماسة ما يعرف التاج الخليفة فيشدها شدة غريبة لا يعرفها سواه شكل الالهة التي تم بحضر اليه القيمة وهي جوهر عظمي لا يعرف لها قيمة فتتظم هي وحواليها مادونتها من الجواهر وهي موضوعة في الحافر وهو شكل الهلال من ياقوت أحمر ليس له مثال في الدنيا فتتظم على خرقة حرير أحسن وضع ويخطها إذا التاج بخياطة خفيفة ممكنة فتكون بأعلى جهة الخليفة ويقال إن زنة الجوهر سبعة دراهم وزنة الحافر أحد عشر مثقالا وبدانها قصبه زمرد زباني له قدر عظيم ثم يؤمر بشدة المظلة التي تشابه تلك البدلة المحضرة بين يديه وهي مناسبة للتياب ولها عندهم جلالة ليكونها تعلو رأس الخليفة وهي اثنا عشر شورا عرض سفل كل شورة شبر وطولها ثلاثة أذرع وثلاث وأخر الشوركة من فوق دقيق جدًا فيجتمع ما بين الشوارك في رأس عودها بدائرته وهو قطارية من الزان مطبسة بأنايب الذهب وفي آخر أنوبة تلي الرأس من جسمه فلكة بارزة مقدار عرض إبهام فيشدها آخر الشوارك في حافة من ذهب ويترك متسعاً في رأس الرمح وهو مفروض فتلك الفلكة فتتبع المظلة من الحدور في العمود المذكور وأما اضلاع من خشب الخالج مربعة مكسوة بوزن الذهب على عدد الشوارك خفاف في الوزن طولها طول الشوارك وفيها خطاطيف لطاف وحلق يمسك بعضها بعضها وهي تنضم وتنفخ على طريقة شوكة الكيزان وأما رأس شبه الرمانة ويعلموه رمانة صغيرة كلها ذهب مرصع بجوهر يظهر للعيان ولها طرف دائري يتحكما من نسبتها عرضه أكثر من شبر ونصف وسفل الرمانة فاصل يكون مقداره ثلاث أصابع فاذا ادخلت الحلقة الذهب الجامعة لآخر شوارك المظلة في رأس العمود ركب الرمانة عليها ولقت في عرض دقيق مذهب فلا يكسفه ما منه الا حاملها عند تسليمها اليه اليه وقت الركوبة ثم يؤمر بشدة لواء الحمد المختصين بالخليفة وهما ربحان طويلان ملبسان بمثل أنايب عود المظلة الى حد نصفهما وهما من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب وغير منشورين بل ملفوفين على جسم الرمحين فيشدها ليجز جاجز روج المظلة الى أميرين من حاشية الخليفة يرسم جلهما ويخرج احدي وعشرون راية لطاف من الحرير المرقوم ملونة بكتابة تتخالف ألوانها من غيره ونص كتابتها نصر من الله وفقه قريب على رماح مقومة من القنا المنتقى طول كل راية ذراعان في عرض ذراع ونصف في كل واحدة ثلاث طرازات تقسم لحد وعشرين رجلا من فرسان صبيان الخاص ولهم بشارة عود الخليفة سالما عشرون ديناراً ثم يخرج ربحان رؤسهما اهل من ذهب صامته في كل واحد سبع من دياج أجرو وأصفر وفي فمه طارة مستديرة يدخل فيها الرمح فينفخان فيظهر شكلهما ويتسلهما فارسان من صبيان الخاص فيكونان أمام الرايات ثم يخرج السيف الخاص وهو من صاعقة وقعت على ما يقال وجلبته ذهب مرسعة بالجواهر في خريطة مرقومة بالذهب لا يظهر إلا رأسه ليسلم الى حامله وهو أمير عظيم القدر وهذه عندهم رتبة جليلة المقدار وهو أكبر حامل ثم يخرج الرمح وهو رمح لطيف في غلاف منظوم من اللؤلؤ وله سنان مختصر بحلية ذهب ودرقة بكواخ ذهب فيها سعة منسوبة الى حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في غشاء من حرير يخرج الى حاملها وهو أمير مميز وله هذه الخدمة وصاحبها عندهم جلالة ثم تشعر الناس بطريق الموكب وسلوكه لا يتعدى دورتين احدهما الكبرى والاخرى صغرى أما الكبرى فمن باب القصر الى باب النصر ماراً الى حوض عز الملك نسا ومسجده هناك وهو أقصاها ثم يعطف على يساره طالباب الفتوح الى القصر والاخرى اذا خرج من باب النصر سار حافا بالسور ودخل من باب الفتوح فيعلم الناس بساولة احدهما فيسيرون اذا ركب الخليفة فيهما من غير تبديل للموكب ولا تشويش ولا اختلال فلا يصبح الصبح من يوم الركوب الا وقد اجتمع من بالقاهرة ومصر من أرباب الرتب وأرباب التيزات من ارباب السيوف والاقلام قيا ما بين القصرين وكان براحا واسعا خاليا من البناء الذي فيه اليوم فيسرع القوم لانتظار الخليفة ويكر الامراء الى الوزير الى داره فيركب الى القصر من غير استدعاء لانها خدمة لازمة للخليفة فيسير أمامه تشريفه المتقدم ذكره والامراء بين يديه ركبانا ومشاة وأمامه اولاده واخوته

وكل منهم مرنخي الذؤابة بلا حنك وهو في أبهة عظيمة من الثياب الفاخرة والمندبل وهو بالحنك ويتقلد بالسيف المذهب فاذا وصل القصر ترجل قبله اهله في أخص مكان لا يصل الامراء اليه ودخل من باب القصر وهو راكب دون الحاضرين الى دهليز يقال له دهليز العمود فيترجل على مصطبة هنالك ويمشي بقية الدهليز الى القاعة فيدخل مقطع الوزارة وهو وأولاده واخوته وخواص حاشيته ويجلس الامراء بالقاعة على دكان معدة لذلك مكسوة في الصنف بالحصر السامان وفي الشتاء بالبط الجهرمية المحفورة فاذا دخلت الدابة ركوب الخليفة وأسندت الى الكرسي الذي يركب عليه من باب المجلس أخرجت المظلة الى حاملها فيكشفها مما هي ملفوفة فيه غير مطوية فيتسلها باعانة أربعة من الصقالبة يرسم خدمتها فيركبها في آلة حديد متخذة شكل القرن وهو مشدود في ركاب حاملها الايمن بقوة وتناكيد فيمسك العمود بجاذب فوق يده فيبقى وهو منتصب واقف ولم يذكرك قط انها اضطربت في ريح عاصف ثم يخرج بالسيف فيتسله حامله فاذا تسله أخرجت ذؤابته مادام حامله ثم تخرج الدواة فتسلم لحاملها وهو من الاستاذين المحنكين وكان الوزراء حاملوها يقوم من التهود المحدثين وهي الدواة التي كانت من أعاجيب الزمان وهي في نفسها من الذهب وحليتها مارجان وهي ملفوفة في مندبل شرب يبيض مذهب وقد قال فيها بعض الشعراء يخاطب الخليفة التي صنعت حلية المارجان في وقته وهذا من أغرب ما يكون ذكر ذلك في بيتين وهما

أين لداود الحديد كرامة * فقد تدمنه السر كيف يريد

ولان لك المارجان وهو حجارة * ومقطعه صعب المرام شديد

فيخرج الوزير ومن كان معه من المقطع وتنضم اليه الامراء ويقفون الى جانب الاية فيرفع صاحب المجلس الست فيخرج من كان عند الخليفة للخدمة منهم وفي اثرهم يبرز الخليفة بالهيئة المشروح حاله في لباسه الثياب المعروضة عليه والمندبل الحامل للتيمة بأعلى جبهته وهو محنك مرنخي الذؤابة مما يلي جانبه الايسر ويتقلد بالسيف المغربي ويسده قضيب الملك وهو طويل شبر ونصف من عود مكسوة بالذهب المرصع بالدر والجواهر فيسلم على الوزير قوم مرتبون لذلك وعلى اهله وعلى الامراء بعدهم ثم يخرج اولئك اولاً فأولاً والوزير يخرج بعد الامراء فيركب ويقف قبالة باب القصر بهيئته ويخرج الخليفة وحواله الاستاذون ودابته ماشية على بسط مفروشة خيفة من زلفها على الرخام فاذا قارب الباب وظهر وجهه ضرب رجل يوق لطيف من ذهب معوج الرأس يقال له الغريبة بصوت عجيب يخالف اصوات البوقات فاذا سمع ذلك ضربت الابواب في الموكب ونشرت المظلة وبرز الخليفة من الباب ووقف وقفة يسيرة بمقدار ركوب الاستاذين المحنكين وغيرهم من أرباب الرتب الذين كانوا بالقاعة للخدمة وسار الخليفة وعلى يساره صاحب المظلة وهو يبالغ أن لا يزول عنه ظاهراً ثم يكتنف الخليفة مقدم موصيان الركاب منهم اثنان في الشكبة واثنان في عنق الدابة من الجانبين واثنان في دكابه فالايمن مقدم المتقدمين وهو صاحب المقرعة التي يتناولها ويناولها وهو المؤدى عن الخليفة مدة ركوبه الاوامر والنواهي ويسير الموكب بالحث فأوله فروع الامراء وأولاده وأخلاق بعض العسكر الامثال الى أرباب القصب الى أرباب الاطواق الى الاستاذين المحنكين الى حامل اللوائين من الجانبين الى حامل الدواة وهي ينسج وبين قربوس السرج الى صاحب السيف وهما في الجانب الايسر كل واحد من تقدم ذكره بين عشرة الى عشرين من اصحابه ويحجبه اهل الوزير المتقدم ذكرهم من الجانب الايمن بعد الاستاذين المحنكين ثم يأتي الخليفة وحواله صبيان الركاب المذكورة تفرقة السلاح فيهم وهم اكثر من ألف رجل وعليهم المناديل الطبعيات ويتقلدون بالسيف وأساطهم مشدودة بمناديل وفي أيديهم السلاح مشهور وهم من جاني الخليفة كالجناحين المأذنين وبينهم فرجة لوجه القوس ليس فيها أحد وبالقرب من رأسها الصقليان الحاملان للمذبتين وهما مرفوعتان كالنخلتين لما يسقط من طائر وغيره وهو سائر على تودة ورفق وفي طول الموكب من آوله الى آخره والى القاهرة ماراً وعائذ يفسح الطرقات ويسير الركان فيلحق في عوده الاسفهلار كذلك ماراً وعائذ الحث الاجناد في الحركة والانكار على المزاحين المعترضين ويلحق في عوده صاحب الباب ومروره في زمرة الخليفة الى أن يصل الى الاسفهلار فيعود لترتيب الموكب وحراسة طرقات الخليفة وفي يد كل منهم دوس وهو راسكب خيردوا به وأمرها هذا المن أمام الموكب ثم يسير خلف دابة الخليفة قوم من صبيان الركاب لحفظ أعقابهم ثم عشرة يحملون

عشرة سيوف في خرائط ديباج احمر وأصفر بشرار يرب غزيرة يقال لها سيوف الدم برسم ضرب الاعناق ثم يسير بعدهم صبيان السلاح الصغير أرباب الفرنجيات المتقدم ذكرهم أولا ثم يأتي الوزير في هبة وفي ركابه من اصحابه قوم يقال لهم صبيان الزرد من اقوياء الاجناد يختارهم لنفسه ما مقداره خمسمائة رجل من جانيه بفرجة لطيفة أمامه دون فرجة الخليفة وكأنه على وفز من حراسة الخليفة ويجهت أن لا يغيب عن نظره وخلفه الطبول والصنوج والصفافير وهو مع عدة كثيرة تدوي بأصواتها وحسها الدنيا ثم يأتي حامل الرمح المتقدم ذكره ودورقه حراء ثم طوائف الراجل من الركابية والجيوشية وقبلهما المصامدة ثم الفرنجية ثم الوزير بزمرة زمرة في عدة وافرة تزيد على أربعة آلاف في الوقت الحاضر وهم أضعاف ذلك ثم اصحاب الرايات والسبعين ثم طوائف العساكر من الامرية والحجربة ~~الكبار~~ والحفاظية والحجربة الصغار المنقولين والافضية والجيوشية ثم الاتراك المصطنعون ثم الديلم ثم الاكراد ثم الغز المصطنعة وقد كان تقدم هؤلاء الفرسان عدة وافرة من المترجيلة أرباب قسي البدوقسي الرجل في اكثر من خمسمائة وهم المعدون للاسطيل ويكون من الفرسان المتقدم ذكرهم ما يزيد على ثلاثة آلاف وهذا كله بعض من كل فاذا انتهى الموكب الى المكان المحدود عادوا على أدراجهم ويدخلون من باب الفتوح ويقفون بين القصرين بعد الرجوع كما كانوا قبله فاذا وصل الخليفة الى الجامع الاقرب بالمقامين اليوم وقف وقفة بجملة في موكبه وانفرج الموكب للوزير فحزك مسرعا ليصير أمام الخليفة حتى يدخل بين يديه فيمر الخليفة ويسمع له سبعة ظاهرة فيشير الخليفة للسلام عليه اشارة خفية وهذه أعظم مكرامة تصدر عن الخليفة ولا تكون الا للوزير صاحب السيف وسبقه الى دخول باب القصر راكبا على عادته الى موضعه ويكون الامراء قد نزلوا قبله لانهم في اوائل الموكب فاذا وصل الخليفة الى باب القصر ودخله ترجل الوزير ودخل قبله الاستاذون المحنكون وأحد قوابه والوزير أمام وجه القوس مكان ترجله الى الكرسي الذي ركب منه فينزل عليه ويدخل الى مكانه بعد خدمة المذكورين له فيخرج الوزير ويركب من مكانه الجاري به على عادته والامراء بين يديه وأقاربه حواله فيركبون من أما كنهم ويسيرن بحبته الى داره فيدخل وينزل ايضا الى مكانه على كرسي فتخدمه الجماعة بالوداع ويتفرق الناس الى أما كنهم فيجدون قد أحضر اليهم الغزة وهوائه يقدم الخليفة بأن يضرب بدار الضرب في العشر الاخر من ذي الحجة بتاريخ السنة التي ركب اولها في هذا اليوم جملة من الدنانير والرباعية والدراهم المدورة المقسولة فيحمل الى الوزير منها ثلثمائة وستون دينار وثلثمائة وستون رباعيا وثلثمائة وستون قيراطا والى اولاده واخوته من كل صنف من ذلك خمسون والى أرباب الرتب من اصحاب السيوف والاقلام من عشرة دنانير وعشر رباعيات وعشرة قيراط الى دينار واحد ورباعي واحد وقيراط واحد فيقبلون ذلك على حكم البرمكية من مبلغ الخليفة قال ومبلغ الغزة التي ينعم بها في اول العام المتقدم ذكرها من الدنانير والرباعيات والقيراط ما يقرب من ثلاثة آلاف دينار والله تعالى أعلم

* (ذكر ما كان يضرب في خميس العدس من خرايب الذهب) *

قال ابن المأمون وأحضر الاجل المأمون كاتب الدقتر وأمره بالكشف عما كان يضرب برسم خميس العدس من الخرايب الذهب وهو خمسمائة دينار عن عشرين ألف خروبة واستدعى كاتب بيت المال ووقع له باطلاق ألف دينار وأمره باحضار مشارف دار الضرب وسلمها اليه فاعتمد ذلك وضربت عشرين ألف خروبة وأحضرها فامر بحملها الى الخليفة فسير الخليفة منها الى المأمون ثلثمائة دينار وذكر أنها لم تضرب في مدة خلافة الحافظ لدين الله غير سنة واحدة ثم بطل حكمها ونسي ذكرها قال وصار ما يضرب باسم الخليفة يعني الامر بأحكام الله في ستة مواضع القاهرة ومصر وقوص وعسقلان وصور والاسكندرية * وقال ابن عبد الظاهر خميس العدس كان يضرب فيه خمسمائة تعمل عشرة آلاف خروبة كان الافضل بن أمير الجيوش يحمل منها للخليفة مائتي دينار والبقية برسمه ثم جعلت في الايام المأمونية ألف دينار وربعمائة وأونقبت يسيرا وقد تقدم أن قاضي القضاة كان يتولى عبار دار الضرب ويحضر التخليق بنفسه ويختتم عليه ويحضر للموعد الآخر لفتح

* (ذكر دار الوكالة الامرية) *

كانت دار الوكالة المذكورة بجانب دار الضرب وموضعها الآن على يمينه السالك من رأس الخراطين الى سوق الخمين والجامع الازهر * قال ابن المامون في شوال سنة ست عشرة وخمسة مائة ثم أنشأ يعني المأمون بن البطائحي وزير الخليفة الامر بأحكام الله دار الوكالة بالقاهرة المحروسة لمن يصل من العراقيين والشاميين وغيرهما من التجار ولم يسبق الى ذلك

*** (ذكر مصلى العيد) ***

وكان في شرقي القصر الكبير مصلى العيد من خارج باب النصر وهذا المصلى بناء القائد جوهر لاجل صلاة العيد في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ثم جدده العزيز بالله وقد بقي الى الآن بعض هذا المصلى واتخذ في جانب منه موضع مصلى الاموات اليوم

*** (ذكر هيئة صلاة العيد وما يتعلق بها) ***

قال ابن زولاق وركب المعز لدين الله يوم الفطر صلاة العيد الى مصلى القاهرة التي بناها القائد جوهر وكان محمد ابن أحمد بن الادرع الحسني قد بكر وجلس في المصلى تحت القبة في موضع فجاء الخدم وأقاموه وأقعدوا وموضعه أباجعفر مسلما وأقعدوه هودونه وكان أبو جعفر مسلم خلف المعز عن يمينه وهو يصلي وأقبل المعز في زيه وبنوده وقبابه وصلى بالناس صلاة العيد تأمة طويلة قرأ في الاولى بآم الكتاب وهل أنا حديث الغاشية ثم كبر بعد القراءة وركع فأطال وسجد فأطال أنا سجدت خلفه في كل ركعة وفي كل سجدة ينفا وثلثين تسبيحة وكان القاضي النعمان بن محمد يبلغ عنه التكبير وقرأ في الثانية بآم الكتاب وسورة والفحي ثم كبر أيضا بعد القراءة وهي صلاة جدّه علي بن أبي طالب عليه السلام وأطال أيضا في الثانية الركوع والسجود أنا سجدت خلفه ينفا وثلثين تسبيحة في كل ركعة وفي كل سجدة وجهه بيسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة وأنكر جماعات يؤتمون بالعلم قرأته قبل التكبير لقلة علمهم وتقصيرهم في العلوم حدثنا محمد بن أحمد قال حدثنا عمر بن شبيب ثنا عبد الله ورجاء عن اسرائيل عن أبي اسحق عن الحارث عن علي عليه السلام انه كان يقرأ في صلاة العيد قبل التكبير فلما فرغ المعز من الصلاة صعد المنبر وسلم على الناس يمينا وشمالا ثم ستر بالسترين اللذين كانا على المنبر فخطب وراءهما على رسمه وكان في أعلى درجة من المنبر وسادة ديباج مثقل بجلوس عليها بين الخطبتين واستفتح الخطبة بيسم الله الرحمن الرحيم وكان معه على المنبر القائد جوهر وعمار بن جعفر وشفيق صاحب المظلة ثم قال الله أكبر الله أكبر وأستفتح بذلك وخطب وأبلغ وأبكى الناس وكانت خطبة بخشوع وخضوع فلما فرغ من خطبته انصرف في عساكره وخلفه أولاده الاربعة بالجواشن والحدود على الخيل بأحسن زى وساروا بين يديه بالقبيل فلما حضر في قصره أحضر الناس فأكلوا وقد تمت اليهم السمط ونشطهم الى الطعام وعشب على من تأخروا وقد من بلغه عنه صيام العيد * وقال المسيحي في حوادث آخر يوم من رمضان سنة ثمانين وثلثمائة وبقيت مصاطب ما بين القصور والمصلى الجديدة ظاهرا باب النصر عليها المؤذنون حتى يصل التكبير من المصلى الى القصر وفيه تقدم أمر القاضي محمد بن النعمان باحضار المتفقهة والمؤمنين يعني الشيعة وأمرهم بالجلوس يوم العيد على هذه المصاطب ولم يزل يرتب الناس وكتب رفاعا فيها أسماء الناس فكانت تخرج رقعة رقعة فيجلس الناس على مصطبة مصطبة بالترتيب وفي يوم العيد ركب العزيز بالله لصلاة العيد وبين يديه الجنائب والقباب الديباج بالخلي والعسماء في زيه من الاترك والديلم والعزيرية والاششيدية والكافورية وأهل العراق بالديباج المنقل والسيوف والمناطق الذهب وعلى الجنائب السروج الذهب بالجواهر والسروج بالعنبر وبين يديه القبلة عليها الرجال بالسلاح والزراقة وخرج بالمظلة الثقيلة بالجواهر ويده قضيب جدّه عليه السلام فصلى على رسمه وانصرف * وقال ابن المأمون ولما توفي أمير الجيوش بدر الجبالى وانتقل الامر الى ولده الافضل بن أمير الجيوش جرى على سنن والده في صلاة العيد ويقف في قوس باب داره الذي عند باب النصر يعني دار الوزارة فلما سكن بمصر صار يطلع من مصر باكر او يقف على باب داره على الحالة الاولى حتى تستحق الصلاة فيدخل من باب العيد الى الايوان ويصلي به القاضي ابن الرعني ثم يجلس بعد الصلاة على المرتبة الى أن تنقضي الخطبة فيدخل من باب الملك ويسلم على الخليفة بحيث لا يراه أحد غيره ثم يخلع عليه ويتوجه الى داره بمصر فيكون

السماط بهم امدى الاعياد فلما قتل الافضل واستقر بعده المأمون بن البطائحى فى الوزارة قال هذا نتص فى حق العيد ولا يعلم السبب فى كون الخليفة لا يظهر فقال له الخليفة الامر باحكام الله فماتراه أنت فقال يجلس مولانا فى المنطرة التى استجبت بين باب الذهب وباب البحر فاذا جلس مولانا فى المنطرة وقمت الطافات وقف المملوك بين يديه فى قوس باب الذهب وتجوز العساكر فارسها وراجلها وتشملها بركة نظر مولانا اليها فاذا حان وقت الصلاة توجه المملوك بالموكب والرى وجميع الامراء والاجناد واجتاز باب القصر ودخل الايوان فاستحسن ذلك منه واستصوب رأيه وبالغ فى شكره ثم عاد المأمون الى مجلسه وأمر بتفرقه كسوة العيد والهبات يعنى فى عيد النحر سنة خمس عشرة وخمسة وثمانية وثلثمائة دينار وسبعة دنانير ومن الكسوات مائة قطعة وسبع قطع برسم الامراء المطوقين والاستاذين المحنكين وكاتب الدست ومتولى حجة الباب وغيرهم قال ووصلت الكسوة المختصة بالعيد فى آخر شهر رمضان يعنى من سنة ست عشرة وخمسة مائة وهى تستقل على دون العشرين ألف دينار وهو عندهم الموسم الكبير ويسمى بعيد الحلال لان الحلال فيه تم الجماعة وفى غيره للاعيان خاصة وقد تقدم تفصيلها عند ذكر خزائن الكسوة من هذا الكتاب قال ولما كان فى التاسع والعشرين من شهر رمضان خرجت الاوامر بأضعاف ما هو مستقر للمقرئين والمؤذنين فى كل ليلة برسم السجود بحكم انهاء ليلة ختم الشهر وحضر المأمون فى آخر النهار الى القصر للظهور مع الخليفة والحضور على الاسطحة على العادة وحضر اخوته وعمومته وجميع الجلساء وحضر المقرئون والمؤذنون وسلوا على عادتهم وجلسوا تحت الروشن وحل من عند معظم الجهات والسيدات والمميزات من أهل القصور بلاحي وموكيات مملوءة ماء ملفوفة فى عراضى ديبقى وجعلت أمام المذكورين ليشملها بركة ختم القرآن واستفتح المقرئون من الحمد الى خاتمة القرآن تلاوة وتطريبا ثم وقف بعد ذلك من خطب فأسمع ودعا فأبلغ ورفع القراشون ما أعدوه برسم الجهات ثم كبر المؤذنون وهللوا وأخذوا فى الصوفيات الى أن نثر عليهم من الروشن دراهم ودنانير ورباعيات وقدمت جفان القطائف على الرسم مع الحلوى فجرا على عادتهم وملأوا أكجامهم ثم خرج استاذ من باب الدار الجليلية بخلع خلعهما على الخطيب وغيره ودراهم تفرق على الملققين من المقرئين والمؤذنين ورسم أن تحمل الفطرة الى قاعة الذهب وأن تكون التعبية فى مجلس الملك وتبغى الطيافير المشورة الكبار من السمرى الى باب المجلس وتبغى من باب المجلس الى ثلثي القاعة سباطا واحدا مثل سباط الطعام ويكون جميعه سدا واحدا من حلاوة الموسم ويزين بالقطع المنفوخ فامتلأ الامر وحضر الخليفة الى الايوان واستدعى المأمون وأولاده واخوته وعرضت المظال المذهبة المحامدة وكان المقرئون يلوحون عند ذكرها بالآيات التى فى سورة النحل والله جعل لكم مما خلق ظللالا الى آخرها وجلس الخليفة ورفعت الستور واستفتح المقرئون وجدد المأمون السلام عليه وجلس على المرتبة عن يمينه وسلم الامراء جميعهم على حكم منازلتهم لا تعذى أحد منهم مكانه والنواب جميعهم يستدعونهم بنعوتهم وترتيب وقوفهم وسلم الرسل الواصلون من جميع الاقاليم ووقفوا فى آخر الايوان وختم المقرئون وسلوا وخدمت الرهبة وتقدم متولى كل اصطبل من الرماض وغيرهم يقبل الارض ويقف ودخلت الدواب من باب الديلم والمستخدمون فى الركاب بالمناديل يتسلون بها من الشدادين ويدورون بها حول الايوان ودواب المظلة متميزة عن غيرها يتسلها الاستاذون والمستخدمون فى الركاب ويعلون بها الى قريب من الشبال الذى فيه الخليفة وكلما عرض دواب اصطبل قبل الارض متوليه وانصرف وتقدم متولى غيره على حكمه الى أن يعرض جميع ما أحضره وهو ما يزيد على ألف فرس خارجا عن البغال ومات آخر من العشاريات والحجور والمهارة ولما عرضت الدواب أبطلت الرهبة وعاد استفتاح المقرئين وكانوا محسنين فيما يتزعمونه من القرآن الكريم مما يوافق الحال مثل الآية من آل عمران زين للناس حب الشهوات الى آخرها ثم بعدها قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء الى آخرها وعرضت الوحوش بالاجلة الديباج والديبى بقباب الذهب والمناطق والاهلة وبعدها الحب والجنات بالاقاب الملبسة بالديبى الملون المرقوم وعرض السلاح والآلات الموكب جميعها ونصبت الكسوات على باب العيد وضربت طول الليل وحلت الفطرة الخاص التى يفطر عليها الخليفة باصناف الجوارشات بالمسك والعود والكافور والزعفران والتمور المصبغة التى يستخرج ما فيها وتحشى بالطيب وغيره وتسد وتختتم وسلت للمستخدمين فى القصور وعييت

في مواعين الذهب المكحلة بالجواهر وخرجت الاعلام والبندور كالمأمون فلما حصل بقاعة الذهب أخذ في مشاهدة السباط من سرير الملك الى آخرها وخرج الخليفة لوقته من الباذنجن وطلع الى سرير ملكه وبين يديه الصواني المقدم ذكرها واستدعى بالمأمون فجلس عن يمينه بعد أداء حق السلام وأمر باحضار الامراء المميزين والقاضي والداعي والضيف وسلم كل منهم على حكم ميزته وقدمت الرسل وشرفوا بتقبيل الارض والمقرئون يتلون والمؤذنون يهللون ويكبرون وكشفت القوارات الشرب المذهبات عما هو بين يدي الخليفة فبدأوا كبير وأخذ يديه ثمرة فأفطر عليها وناول مثلها الوزير فأظهر الفطر عليها وأخذ الخليفة في أن يستعمل من جميع ما حضر ويناول وزيره منه وهو يتقبله ويجعله في كفه وتقدمت الاجلاء اخوة الوزير وأولاده من تحت السرير وهو يناولهم من يده فيجعله في أكمامهم بعد تقبيله وأخذ كل من الحاضرين كذلك ويومئ بالفطور ويجعله في كفه على سبيل البركة فمن كان رأيه القطور أفطروا ومن لم يكن رأيه أو مأ وجعله في كفه لا ينتقد على أحد فله ثم قال المأمون بعد ذلك ما على من يأخذ من هذا المكان نقصة بل له به الشرف والميزة ومزيدة وأخذ من الطيفور الذي كان بين يديه عود نبات وجعله في كفه بعد تقبيله وأشار الى الامراء فاعتمد كل من الحاضرين ذلك وملاً وأكمامهم ودخل الناس فأخذوا جميع ذلك ثم خرج الوزير الى داره والجماعة في ركابه فوجد التعبئة فيها من صدر المجلس الى آخره على ما أمر به ولم يعدم مما كان بالقصر غير الصواني الخاص فجلس على مرتبة والاجلاء أولاده واستدعى بالعوالي من الامراء والقاضي والداعي والضيف فحضر واشرافوا بجلسهم معه وحصل من مسترتهم بذلك ما بسطهم ورفعوا اليسير مما حضر على سبيل الشرف ثم انصرفوا وحضرت الطوائف والرسل على طبقاتهم الى أن حمل جميع ما كان بالدار بأسره واقتضى حكم الفطور وعاد للتنفيذ في غيره وضربت الطبول والابواق على أبواب القصور والدار المأمونية وأحضرت التغاير وفزت على أربابها من الاجناد والمستخدمين وخرجت أزمة العساكر فارسها وراجلها وندب الحاجب الذي بيده الدعوى لترتيب صفوفها من باب القصر الى المصلى ثم حضروا الى الدار المأمونية الشيوخ المميزون وجلس المأمون في مجلسه وأولاده بهيئة العيد وزينته ورفعت الستور وابتدأ المقرئون وسلم متولى الباب والشيوخ ولم يدخل المجلس غير كتاب الدست ومتولى الحجة وبالغ كل منهافي زيه وملبوسه وجرى على رسمهم في تقبيل الارض وغتية المجلس ووصل الى الدار المأمونية التجميل الخاص الذي يرسم الخليفة جميعه القصب الفضة والاعلام والتجوفات والعقبات والعماريات ولوا الوزارة لركوب الخليفة بالمظلة بالظميم والمراكيب الذهب المرصعة بالجواهر وغير ذلك من التجملات وركب المأمون من داره وجميع التشريف الخاص بين يديه وخدعت الرهبة ومن جلستهم الغربية وهي ابواق لطاف بحجة غربية الشكل تضرب كل وقت يركب فيه الخليفة ولا تضرب قدام الوزير الا في المواسم خاصة وفي أيام الخلع عليه والامراء مصطفون عن يمينه وعن شماله ويلبهم اخوته وبعدهم أولاده ودخل الى الايوان وجلس على المرتبة المختصة به وعن يمينه جميع الاجلاء والمميزون وقوف أمامه ومن انخط عنهم من باب الملك الى الايوان قيام ويخرج خاصة الدولة ريحان الى المصلى بالفرش الخاص وآلات الصلاة وعلق المحراب بالشروب المذهبة وفرش فيه ثلاث سجادات متراكبة وأعلاها السجادة اللطيفة التي كانت عندهم معظمة وهي قطعة من حصير ذكر أنها كانت من جلة حصير بلعصر بن محمد الصادق عليه السلام يصلي عليها وفرش الارض جميعها بالحصير المحارب ثم علق على جاني المنبر وفرش جميع درجه وجعل أعلاه المخاض التي يجلس عليها الخليفة وعلق اللوا آن عليه وقعدت تحت القبة خاصة الدولة ريحان والقاضي وأطلق الجهور ولم يفتح من أبوابه الابواب واحد وهو الذي يدخل منه الخليفة ويقعد الداعي في الدهليز وتقباء المؤمنين بين يديه وكذلك الامراء والاشراف والشيوخ والشهود ومن سواهم من أرباب الحرف ولا يمكن من الدخول الا من يعرفه الداعي ويكون في ضماته واستفتحت الصلاة وأقبل الخليفة من قصوره بقاية زيه والعلم الجواهر في منديه وقضيب الملك يسده ونوعه واخوته واستأذوه في ركابه وتلقاه المقرئون عند وصوله والنواص واستدعى بالمأمون فتقدم بفردة وقيل الارض وأخذ السيف والرمح من مقدى خزان الكسوة والرهبة تتقدم وجعل لواء الحمد بين يديه الى أن خرج من باب العيد فوجد المظلة قد نشرت عن يمينه والذي يسده الدعوى في ترتيب الحجة بان شرف بها لا يتعدى أحد حكمه وسائر المراكب بالجنائب

الخاص وخيل التخافيف ومصفات العساكر والطوائف جميعها بزياً وراياتها وراء الموكب الى أن وصل
المقرب المصلي والعماريات والزراقات وقد شدت على القيلة بالأسرة مملوءة رجالاً مشيكاً بالسلاح لا يتبين منهم
الا الا حادق وبأيديهم السيوف المجتردة والدرك الحديد الصيني والعساكر قد اجتمعت وترادفت صفوفاً من
الجانبين الى باب المصلي والنظارة قد ملأت القضاء لمشاهدة ما لم يبلغوه والموكب سائر بهم وقد أحاط بالخليفة
والوزير صبيان الخاص وبعدهم الاجناد بالدروع المسبلة والزرديات بالمغافر ملثمة والبروك الحديد بالصماصم
والدبابيس ولما طلع الموكب من ربوة المصلي ترجل متولى الباب والحجاب ووقف الخليفة بجمعه بالمظلة
الى أن اجتاز المأمون راكباً من حول ركابه وردت الخليفة السلام عليه بكلمة وصاراً أمامه وترجل الامراء المميزون
والاستاذون المنكوبون بعدهم وجميع الاجلاء وصار كل منهم يداً بالسلام على الوزير ثم على الخليفة الى أن
صار الجميع في ركابه ولم يدخل من باب المصلي راكباً غير الوزير خاصة ثم ترجل على باب الثاني الى أن وصل الخليفة
اليه فاستدعى به فسلم وأخذ الشكيمة بيده الى أن ترجل الخليفة في الدهليز الآخر وصد المحراب والمؤذنون
يكبرون قدامه واستفتح الخليفة في المحراب وسامته فيه وزيره والقاضي والداي عن يمينه وشماله ليوصلوا
التكبير لجماعة المؤذنين من الجانبين ويتصل منهم التكبير الى مؤذني مصلي الرجال والنساء الخارجين عن المصلي
الكبير وكاتب الدست وأهله ومتولى ديوان الانشاء يصلون تحت عقد المنبر ولا يمكن غيرهم أن يكون معهم ولما
قضى الخليفة الصلاة وهي ركعتان قرأ في الاولى بفتحة الكتاب وهل أنالك حديث الغاشية وكبر سبع
تكبيرات وركع وسجد وفي الثانية بالقائمة وسورة الشمس وضحاها وكبر خمس تكبيرات وهذه سنة الجميع
ومن شوب عنهم في صلاة العيدين على الاستمرار وسلم وخرج من المحراب وعطف عن يمينه والحرص عليه شديد
ولا يصل اليه الا من كان خصيصاً به وصعد المنبر بالخشوع والسكينة وجميع من بالمصلي والتربة لا يسأم نظره
ويكثرون من الدعاء له ولما حصل في أعلى المنبر أشار الى المأمون فقبل الارض وسارع في الطلوع اليه وأدى
ما يجب من سلامه وتعظيم مقامه ووقف بأعلى درجة وأشار الى القاضي فتقدم وقبل كل درجة الى أن يصل الى
الدرجة الثالثة وقف عندها وأخرج الدعوى من كفه وقبله ووضع على رأسه وأعلى بما تضمنه وهو ما جرت به
العادة من تسمية يوم العيد وسنته والدعاء للدولة وكانت الحال في أيام وزراء الاقلام والسيوف اذا حصل
الخليفة في أعلى المنبر بقي الوزير مع غيره وأشار الخليفة الى القاضي فيقبل الارض ويطلع الى الدرجة الثالثة
ويخرج الدعوى من كفه ويقبله ويضعه على رأسه ويذكر يوم العيد وسنته والدعاء للدولة ثم يستدعي بالوزير بعد ذلك
فيصعد بعد القاضي فراعى الخليفة ذلك الامر في حق الوزير فجعل الاشارة منه اليه أولاً ورفعته عن أن يكون
ما موراً مثل غيره وجعلها مميزة على غيره من تقدمه واستمرت فيما بعد واستفتح الخليفة بالتكبير الجاري به
العادة في الفطر والخطبتين الى آخرهما وكبر المؤذنون ورفع الاوائن وترجل كل أحد من موضعه كما كان
ركوبه وصار الجميع في ركاب الخليفة وجرى الامر في رجوعه على ما تقدم شرحه ومضى الى تربة آبائه وهي سنتهم
في كل ركبة بمظلة وفي كل يوم جمعة مع صدقات ورسوم تفرق وأما الوزير المأمون فانه توجه وخرج من باب
العيد والامراء بين يديه الى أن وصل الى باب الذهب فدخل منه بعد أن أمر ولده الاكبر بالوصول الى داره
والجلوس على سباط العيد على عادته ولما دخل المأمون بقاعة الذهب وجد الدار روع قد وقع من المستخدمين
تعبئة السباط فأمر بتفرقة الرسوم على أربابها وهو ما يحمل الى مجلس الوزارة برسم الحاشية ولكل من حاشية
أولاده واخوته وكاتب الدست ومتولى حجرة الباب ومتولى الديوان وكاتب الدفترون والنائب لكل منهم رسم
يصرف قبل جلوس الخليفة وعند انقضاء الاسمطة لغير المذكورين على قدر منزلة كل منهم ثم حضر أبو الفضائل
ابن أبي الليث واستأذن على طيافير القطرة الكبار التي في مجلس الخليفة فأمره الوزير بأن يعقد في تفرقتها على
ما كان يعقده في الايام الافضلية وهو لكل من يصعد المنبر مع الخليفة طيفور فلما أخذ الخليفة راحة بعد مضيه
الى التربة جلس على السرير وبين يديه المائدة اللطيفة الذهب بالميناء معبأة بالزبادي الذهب واستدعى الوزير
واصطف الناس من المدورة الى آخر السباط من الجانبين على طبقاتهم ورفعت الستور واستفتح المقرئون ووفي
الدولة اسعاف متولى المائدة مشدود الوسط ومقدم خزائن الشراب بيده شربة في مرفع ذهب وغطاء مرصعين
بالجوهر والياقوت ومتولى خزائن الاتفاق بيده خريطة مملوءة دنائير لمن يقف يطلب صدقة وانعاماً فيؤمر بما يدفع

اليه وتفرقة الرسوم الجارية بها العادة ولعبت المنافقون والتحسارية وتناوب القراء والمنشدون وأرخت
الستور وعبي السباط ثانيا على ما كان عليه أولا ثم رفعت الستور وجلس على المدورة والسباط من جرت
العابدة به وفترت الدنانير على المقرئين والمنشدين والتحسارية والمنافقين ومن هو معروف بكثرة الاكل ونهبت
قصور الخليفة وفترت من الاصناف ما جرت به العادة وأرخت الستور وأحضر متولى خزانة الكسوة الخاص
للخليفة بدلة الى أعلى السرير حسبما كان أمره فلبسها وخلع الثياب التي كانت عليه على الوزير بعدما بالغ في
شكره والشناء عليه وتوجه الى داره فوصل اليه من الخليفة الصواني الخاص المكللة معبسة على ما كانت بين
يديه وغيرها من الموائد وكذلك الى أولاده واخوته صينية صينية وكاتب الدست ومتولى حجة الباب مثل ذلك
ويكبر الوزير بجلوسه في داره معلنا وتسارع الناس على طبقاتهم بالعبد والخلع وبما جرى في صعود المنبر وحضر
الشعراء وأسئلت لهم الجوائز وجرى الحال يومئذ في جلوس الخليفة وفي السلام لجميع الشيوخ والقضاة
والشهود والامراء والكتاب ومقدمي الركاب والمتصدرين بالجوامع والفقهاء والقاهريين والمصريين واليهود
برئيسهم والنصارى يطريقهم على ما جرت به عادتهم وختم المقرئون وقدمت الشعراء على طبقاتهم الى آخرهم
وجدد لكل من الحاضرين سلامه وانكفا الخليفة الى الباذنجه لاداء فريضة الصلاة والراحة بمقدار ما عيبت
المائدة الخاص واستحضر المأمون وأولاده واخوته على عادتهم واستدعى من شرف بحضور المائدة وهم
الشيخ أبو الحسن كاتب الدست وأبو الرضى سام ابنه ومتولى حجة الباب وظهير الدين الكفائي على ما كان عليه
الحال قبل الصيام وانقضى حكم العيد * وقال ابن الطوير اذا قرب آخر العشر الاخر من شهر رمضان
خرج الزى من أما كنه على ما وصفنا في ركوب أول العام ولكن فيه زيادات يأتي ذكرها ويركب في مسهل
شوال بعد تمام شهر رمضان وعدته عندهم أبدا ثلاثون يوما فاذا انتهت الامور من الخليفة والوزير والامراء
وأرباب الرتب على ما تقدم وصار الوزير يجما عته الى باب القصر ركب الخليفة بهيئة الخلافة من المظلة والبيته
والآلات المتقدم ذكرها ولباسه في هذا اليوم الثياب البياض الموشحة المحومة وهي أجل لباسهم والمظلة
كذلك فانها أبدا تابعة لثيابه كيف كانت الثياب كانت ويكون خروجه من باب العيد الى المصلى والزيادة ظاهرة
في هذا اليوم في العساكر وقد انتظم القوم له صفين من باب القصر الى باب المصلى ويكون صاحب بيت المال
قد تقدم على الرسم لفرش المصلى فيفرش الطراحات على رسمها في الحراب مطابقة ويعلق سترين قيمة ويسمره في
الايمن البسطة والفساتحة وسج اسم ربك الأعلى وفي الایسر مثل ذلك وهل أذاك حديث الغاشية ثم يركب في
جانب المصلى لواءين مشدودين على رحمين ملبسين بأنايب الفضة وهما مستوران من خيان فيدخل الخليفة من
شرقي المصلى الى مكان ليستريح فيه دقيقة ثم يخرج محفوظا كما يحفظ في جامع القاهرة فيصير الى الحراب ويصلي
صلاة العيد بالتكبيرات المسنونة والوزير ووراءه والقاضي ويقرأ في كل ركعة ما هو من قوم في السترين فاذا
فرغ وسلم صعد المنبر للخطابة العيدية يوم الفطر فاذا جلس في الذروة وهناك طراحة سامان أو ديق على قدرها
وباقية بستر بياض على مقداره في تقطيع درجه وهو مضبوط لا يتغير فراه أهل ذلك الجمع جالس في الذروة
ويكون قد وقف أسفل المنبر الوزير وقاضي القضاة وصاحب الباب اسفله العساكر وصاحب السيف
وصاحب الرسالة وزمام القصر وصاحب دفتر المجلس وصاحب المظلة وزمام الاشراف الاقارب وصاحب
بيت المال وحامل الرمح ونقيب الاشراف الطالبين ووجه الوزير اليه فيشير اليه فيصعد ويقرب وقوفه
منه ويكون وجهه موازيا رجله فيقبلهما بحيث يراه العالم ثم يقوم ويقف على يمينه فاذا وقف أشار الى قاضي
القضاة فيصعد الى سابع درجة ويتطلع اليه صاغيا لما يقول فيشير اليه فيخرج من كه مدراجا قد أحضر اليه أمس
من ديوان الانشاء بعد عرضه على الخليفة والوزير فيعلن بقراءة مضمونه ويقول بسم الله الرحمن الرحيم ثبت
بمن شرف بعوده المنبر الشريف في يوم كذا وهو عيد الفطر من سنة كذا من عبيد أمير المؤمنين صلوات الله
عليه وعلى آباءه الطاهرين وأبنائه الاكرمين بعد صعود السيد الاجل ونعوته المقررة ودعائه المحرر فان أراد
الخليفة أن يشرف أحدا من أولاد الوزير واخوته استدعاه القاضي بالنعى المذكور ثم يلو ذلك ذكر القاضي
وهو القارئ فلا يتسع له أن يقول عن نفسه نعوته ولادعاه بل يقول الماول فلان بن فلان وقرأه مرة القاضي
ابن أبي عقيل فلما وصل الى اسمه قال العبد الذليل المعترف بالصنع الجليل في المقام الجليل أجد بن عبد الرحمن

أبي عقيل فاستحسن ذلك منه ثم حذا حذوه الأعز بن سلامة وقد استقضى في آخر الوقت فقال المملوك في محل الكرامه الذي عليه من الولاء أصدق علامه حسن بن علي بن سلامة ثم يستدعي من ذكرنا ووقوفهم على باب المنبر بنوعهم وذكر خدمهم ودعائهم على الترتيب فاذا طلع الجماعة وكل منهم يعرف مقامه في المنبر بمنه ويسرة أشار الوزير إليهم فأخذ من هو من كل جانب بيده نصيبا من اللواء الذي يجانبه فيسترا الخليفة ويسترون وينادي في الناس بأن ينصتوا فيخطب الخليفة من المسطور على العادة وهي خطبة بليغة موافقة لذلك اليوم فاذا فرغ ألقى كل من في يده من اللواء شئ خارج المنبر فينكشفون وينزلون أولا فأولا الاقرب فالأقرب الى القهقري فاذا خلا المنبر منهم قام الخليفة هابطا ودخل الى المكان الذي خرج منه فلبث يسيرا وركب في زيه المخم وعاد من طريقه بعينها الى أن يصل الى قريب القصر فيستقدمه الوزير كما شرب حنا ثم يدخل من باب العيد فيجلس في الشباك وقد نصب منه الى فسقية كانت في وسط الايوان مقدار عشرين قصبة مماط من الحشكان والبسندود والبرماورد مثل الجبل الشاهق وفيه القطعة وزنها من ربع قنطار الى رطل فيدخل ذلك الجمع اليه ويفطر منه من يطر ويقتل منه من يتقل ويساح ولا يحجر عليه ولا مانع دونه فيتر ذلك بأيدى الناس وليس هو بما يعتد به ولا يعي بما يفرق للناس ويحمل الى دورهم ويعمل في هذا اليوم مماط من الطعام في القاعة يحضر عليه الخليفة والوزير فاذا انقضى ذوالقعدة وهل هلال ذى الحجة اهتم بركوب عبد العز فيجري حاله كما جرى في عيد الفطر من الزى والركوب الى المصلى ويكون لباس الخليفة فيه الاحمر الموشع ولا ينخرم منه شئ انتهى * وصعد مرة الخليفة الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد المنبر يوم عيد فوقف الشريف ابن انس الدولة بآزائه وقال مشيرا الى الحاضرين

خشوعا فان الله هذا مقامه * وهم سافهوا وجهه وكلامه

وهذا الذي في كل وقت بروزه * تحبته من ربنا وسلامه

ف ضرب الحافظ الجانب الايسر من المنبر فرقى اليه زمام القصر فقال له قل للشريف حسبك قضيت حاجتك ولم يدعه يقول شئاً آخر وكانت تكتب المخلقات بركوب أمير المؤمنين لصلاة العيد ويغث بها الى الاعمال فما كتب به من انشاء ابن الصبري * أما بعد فالحمد لله الذي رفع بامير المؤمنين عماد الايمان وثبت قواعده وأعز بخلاقته معتقده وأذل بهمايته معانده وأظهر من نوره ما انبسط في الاتفاق وزال معه الاظلام وسبح به ما تقدمه من الملل فقال ان الدين عند الله الاسلام وجعل المعتصم بحبله مفضلا على من يفاخره ويباهيه وأوجب دخول الجنة وخلودها لمن عمل بأوامره وفوائمه وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذي اصطفى له الدين وبعثه الى الاقربين والابعدين وأيده في الارشاد حتى صار العاصي مطيعا ودخل الناس في التوحيد فرادى وجمعا وغدوا بعروته الوثقى متمسكين وأنزل عليه قل اني هداى ربي الى صراط مستقيم دينا قيامه ابراهيم خنيفا وما كان من المشركين وعلى أخيه وابن عمه أينما أمير المؤمنين على بن أبي طالب امام الامة وكشف الغمة وأوجه الشفعاء لشيعته يوم العرض ومن الاخلاص في ولائه قيام بحق وأداء فرض وعلى الائمة من ذريته سادة البرية والعادلين في القضية والعاملين بالسيرة المرضية وسلم وكرم وشرف وعظم وكتاب أمير المؤمنين هذا اليك يوم الثلاثاء عبد الفطر من سنة ست وثلاثين وخمسمائة وقد كان من قيام أمير المؤمنين بحقه وأدائه وجريه في ذلك على عادته وعادة من قبله من آبائه ما يثبتك به ويطلعك على مستوره عند ومغيبه وذلك أن دنس ثوب الليل لما بيضه الصباح وعاد المحترم المحظورا بطلقه المحلل المباح فوجهت عساكر أمير المؤمنين من مظانها الى بابه وأفطرت بين يديه بعد ما حازته من أجر الصيام وثوابه ثم انتقلت الى مصانفها في الهبات التي يقصر عنها تجريد الصفات وتغنى مهايتها عن تجريد المرهفات وتشهد أسلمتها وعددها بالتناقض في اللهم وتقلق مواضعها في أعقادها شوقا الى الطلى والقيم وقد امتلأت الارض بازدهام الرجل والخليل وثار العجاج فلم ير اغرب من اجتماع النهار والليل وبرز أمير المؤمنين من قصوره وظهوره للبصار على أنه محتجب بضياءه ونوره وتوجه الى المصلى في هدى جده وأبيه والوفاء الذي ارتفع فيه عن النظر والشبهة ولما انتهى اليه قصد الخراب واستقبله وأدى الصلاة على وضع رضيه الله وتقبله وأجرى أمرها على أفضل المعهود ووقاها حقها من القراءة والتكبير والركوع والسجود وانتهى الى المنبر فعلا وكبر

الله وهاله على ما أولاه وذكر الثواب على اخراج الفطرة وبشر به وان المسارعة اليه من وسائل المحافظة على الخير وقربه ووعظ وعظا يتفجع قلبه في عاجلته ومنقلبه ثم عاد الى قصوره الزاهرة شمعولا بالوقايه مكنوفا بالكفايه منتهيا في ارشاد عبيده ورعاياه اقصى الغاية أعلمك أمير المؤمنين خبر هذا اليوم لتعلم منه ما تسكن اليه وتعلم بتلاوته على الكافة ليستركوا في معرفته ويشكروا الله عليه فاعلم هذا واعلم به ان شاء الله تعالى *

وكان من أهل برقة طائفة تعرف بصبيان الخلف لها اقطاعات وحرارات وكسوات ورسوم فاذا ركب الخليفة في العيد من مدوا حبلين مسطوحين من أعلى باب النصر الى الارض جلاعن عيين الباب وحبلان عن شماله فاذا عاد الخليفة من المصلى نزل على الجبلين طائفة من هؤلاء على أشكال خيل من خشب مدهون وفي أيديهم رايات وخلف كل واحد منهم رديف وتحت رجله آخر معلق بيديه ورجليه ويقسمون أعمالا تذهل العقول ويركب منهم جماعة في الموكب على خيول فيركضون وهم يتقلبون عليها ويخرج الواحد منهم من تحت ابط القرس وهو يركض ويعود يركب من الجانب الآخر ويعود وهو على حاله لا يتوقف ولا يسقط منه شيء الى الارض ومنهم من يقف على ظهر الحصان فيركض به وهو واقف

* (ذكر القصر الصغير الغربي) *

وكان تجاه القصر الكبير الشرقي الذي تقدم ذكره في غربيه قصر آخر صغير يعرف بالقصر الغربي ومكانه الآن حيث المارستان المنصوري وما في صفه من المدارس ودار الامير يسرى وباب قبوا الخرنشف وربيع الملك الكامل المثل على سوق الدجاجين اليوم المعروف قديما بالتبائن وما يجاوره من الدرب المعروف اليوم بدرب الخضيرى تجاه الجامع الاقرو ما وراء هذه الاماكن الى الخليج وكان هذا القصر الغربي يعرف أيضا بقصر البحر والذي بناه العزيز بالله نزار بن المعز * قال المسيحي ولم يبن مثله في شرق ولا في غرب * وقال ابن أبي طي في أخبار سنة سبع وخسين وأربع مائة ففيها تم الخليفة المستنصر بلاء القصر الغربي وسكنه وغرم عليه ألف دينار وكان ابتداء بنيانه في سنة خمسين وأربع مائة وكان سبب بنيانه انه عزم على أن يجعله منزلا للخليفة القائم بأمر الله صاحب بغداد ويجمع بنى العباس اليه ويجعله كالمجلس لهم فخانه أمله ونعمه في هذه السنة وجعله لنفسه وسكنه * وقال ابن ميسران ست الملك أخت الحاكم كانت أكبر من أخيها الحاكم وان والدها العزيز بالله كان قد أفرد هابسكنى القصر الغربي وجعل لها طائفة برسمها كانوا يسمون بالقصرية وهذا يدلك على أن القصر الغربي كان قد بنى قبل المستنصر وهو الصحيح وكان هذا القصر يشتمل أيضا على عدة اماكن

* (الميدان) * وكان بجوار القصر الغربي ومن حقوقه الميدان ويعرف هذا الميدان اليوم بالخرنشف واصطبل القطبية

* (البستان الكافورى) * وكان من حقوق القصر الصغير الغربي البستان الكافورى وكان بستانا أنشأه الأمير أبو بكر محمد بن طفيح بن جف الاخشيد أمير مصر وكان مطلا على الخليج فاعتنى به الاخشيد وجعل له أبوابا من حديد وكان ينزل به ويقوم فيه الايام واهتم بشأنه من بعد الاخشيد ابناه الأمير أبو القاسم أو نو جور بن الاخشيد والأمير أبو الحسن على بن الاخشيد في أيام امارتهما بعدا بينهما فلما استبدت من بعدهما الاستاذ أبو المسلك كافور الاخشيدى بامارة مصر كان كثيرا ما يتنزه به ويواصل الركوب الى الميدان الذي كان فيه وكانت خيوله بهذا الميدان فلما قدم القائد جوهر من المغرب بجيوش مولاه المعز الدين الله لاخذ ديار مصر أنماخ بجوار هذا البستان وجعله من جملة القاهرة وكان منتهزا للخلفاء الفاطميين مدة أيامهم وكانوا يتوصلون اليه من سرايب مبنية تحت الارض ينزلون اليها من القصر الكبير الشرقي ويسرون فيها بالدواب الى البستان الكافورى ومناظر اللواؤة بحيث لا تراهم الاعين وما زال البستان عامرا الى أن زالت الدولة فحكروا به في سنة احدى وخمسين وست مائة كما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر الحارات والخطط من هذا الكتاب وأما

الاقباء والسرايب قائمها علمت أسيرة للمراحيض وهي باقية الى يومنا هذا نصيب في الخليج

* (القاعة) * وكان من جملة القصر الغربي قاعة كبيرة هي الآن المارستان المنصوري حيث المرضى كانت سكن ست الملك أخت الحاكم بأمر الله وكانت أحوالها متسعة جدا * قال في كتاب الدخائر والتحف وأهدت

السيدة الشريفة ست الملك أخت الحاكم بأمر الله إلى أخيها يوم الثلاثاء التاسع من شعبان سنة سبع وثمانين
وثلاثمائة هـ دأى من جلستها ثلاثون فرساً بمراسكها ذهباً منها مركب واحد من صرغ ومركب من حجر البلور
وعشرون بغلة بسر وجها ولجها وخمسون خادماً منهم عشرة صقالبة ومائة تحت من أنواع الثياب وفاخرها وتاج
من صرغ نفيس الجوهر وبديعه وشاشية مرصعة وأسفاط كثيرة من طيب من سائر أنواعه وبستان من
الفضة مزروع من أنواع الشجر قال وخلفت حين ماتت في مسهل جمادى الآخرة من سنة خمس وعشرين
وأربع مائة ما لا يحصى كثرة وكان إقطاعها في كل سنة يغل خمسين ألف دينار ووجد لها بعد وفاتها ثمانية آلاف
جارية منها بنات ألف وخمسمائة وكانت سمعة نبيلة كريمة الاخلاق والفعل وكان في جلة موجودها نيف وثلاثون
زيراً صينياً مملوئاً بجمعها مسكاً مسجوقاً ووجد لها جوهر نفيس من جلته قطعة ياقوت ذكر أن فيها عشرة مشاقيل
* قال المسيحي ولدت بالمغرب في ذي القعدة سنة خمس وثلاثمائة ولما زالت الدولة عرفت هذه الدار بالامير فخر
الدين جهار كس موسى ثم بالملك المفضل قطب الدين بن الملك العادل فلما كان
في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثمانين وستائة شرع الملك المنصور دلاون الاثني في بنائها مارستاناً ومدرسة
وتربة وبولي عمارتها الامير علم الدين سنجر النجاشي مدبر الممالك ويقال ان ذرع هذه الدار عشرة آلاف
وسمائة ذراع

هكذا يبايض
في الأصل

* (أبواب القصر الغربي) *

كان لهذا القصر عدة أبواب منها باب الساباط وباب التبانين وباب الزمرد
* (باب الساباط) * هذا الباب موضعه الآن باب ستر المارستان المنصوري الذي يخرج منه الآن إلى الخرنشف
وكان من الرسم أن يذبح في باب الساباط المذبح ورمدة أيام الحروب في عيد الغدير عدة ذبائح تفرق على سبيل
الشرف * قال ابن المأمون في سنة ست عشرة وخمسمائة وجملة ما نخره الخليفة الأمر بأحكام الله وذبحه
خاصة في المنكر وباب الساباط دون المأمون وأولاده واخوته في ثلاثة الايام ألف وسبع مائة وستة وأربعون
رأساً فذكر ما كان بالنخر قال وفي باب الساباط مما يحمل إلى من حوتة القصور وإلى دار الوزارة والاصحاب
والحواشي اثنتا عشرة ناقدة وثمانية عشر رأس بقر وخمسة عشر رأس جاموس ومن الكباش ألف وثمانمائة
رأس ويتصدق كل يوم في باب الساباط بسقط ما يذبح من النوق والبقر * وقال ابن عبد الظاهر كان في القصر
باب يعرف بباب الساباط كان الخليفة في العيد يخرج منه إلى الميدان وهو الخرنشف الآن ليخبر فيه
الضحايا

* (باب التبانين) * هذا الباب مكان باب الخرنشف الآن وجعل في موضعه دار العلم التي بناها الحاكم الاثني
ذكرها ان شاء الله تعالى

* (باب الزمرد) * كان موضع اصطبل القطبية قرياً من باب البستان الكافوري الموجود الآن

* (ذكر دار العلم) *

وكان بجوار القصر الغربي من بحريه دار العلم ويدخل إليها من باب التبانين الذي هو الآن يعرف بقبو
الخرنشف وصار مكان دار العلم الآن الدار المعروفة بدار الخضرى الكائن بدار الخضرى المقابل للجامع الاخر
ودار العلم هذه اتخذها الحاكم بأمر الله فاستمرت إلى أن أبطلها الافضل بن أمير الجيوش * قال الامير المختار
عز الملك محمد بن عبد الله المسيحي وفي يوم السبت هذا يعني العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة
فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة وجلس فيها الفقهاء وجلت الكتب إليها من خزائن القصور المعمورة
ودخل الناس إليها ونسخ كل من التمس نسخ شيء مما فيها ما لنفسه وكذلك من رأى قراءة شيء مما فيها وجلس فيها
القراء والمتبحرون واصحاب النحو واللغة والاطباء بعد أن فرشت هذه الدار وزخرفت وعلقت على جميع ابوابها
ومراتبها الستور وأقيم قوام وخدما وقراشون وغيرهم وسموا بجند متها وحصل في هذه الدار من خزائن أمير
المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التي أمر بحملها إليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة ما لم
يرم له مجتمعا لا حد قط من المولد وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها فكان

ذلك من المحاسن الماثورة أيضا التي لم يسمع بمثلهما من اجراء الرزق السني لمن رسم له بالجلوس فيها والخدمة لهما من فقيه وغيره وحضرها الناس على طبقاتهم ففهم من يحضر لقراءة الكتب ومنهم من يحضر للنسخ ومنهم من يحضر للتعليم وجعل فيها ما يحتاج الناس اليه من الخبر والاقلام والورق والمحابر وهي الدار المعروفة بمختار الصقلي قال وفي سنة ثلاث وأربعمائة أحضر جماعة من دار العلم من اهل الحساب والمنطق وجماعة من الفقهاء منهم عبد الغني بن سعيد وجماعة من الاطباء الى حضرة الحاكم بأمر الله وكانت كل طائفة تحضر على انفرادها للمناظرة بين يديه ثم خلع على الجميع ووصلهم ووقف الحاكم بأمر الله أما كن في فسطاط مصر على عدة مواضع وضمتها كتابات على قاضي القضاة مالك بن سعيد وقد ذكر عند ذكر الجامع الازهر وقال فيه وقد ذكر دار العلم ويكون العشر وثمن العشر لدار الحكمة لما يحتاج اليه في كل سنة من العين المغربي مائتان وسبعة وخمسون ديناراً من ذلك ثلثي الحصر العبداني وغيره الهذه الدار عشرة دنانير ومن ذلك لورق الكتاب يعني الناصح تسعون ديناراً ومن ذلك للخازن بها ثمانية وأربعون ديناراً ومن ذلك لثمن الماء اثنا عشر ديناراً ومن ذلك للفرش خمسة عشر ديناراً ومن ذلك للورق والخبر والاقلام لمن ينظر فيها من الفقهاء اثنا عشر ديناراً ومن ذلك لمهمة الستارة ديناراً واحداً ومن ذلك لمهمة ماعسى أن يتقطع من الكتب وما عساه أن يسقط من ورقها اثنا عشر ديناراً ومن ذلك لثمن لبود للفرش في الشتاء خمسة دنانير ومن ذلك لثمن طنافس في الشتاء أربعة دنانير * وقال ابن المأمون وفي هذا الشهر يعني شهر ذي الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة جرت نوبة القصار وهي طويلة وأولها من الايام الافضلية وكان فيهم رجلان يسمى أحدهما بركات والآخر جريد بن مكي الاطفيحي القصار مع جماعة يعرفون بالبديعية وهم على الاسلام والمذاهب الثلاثة المشهورة وكانوا يجتمعون في دار العلم بالقاهرة فاعتمد بركات من جملة من استفسد عقول جماعة وأخرجهم عن الصواب وكان ذلك في ايام الافضل فأمر للوقت بعلق دار العلم والقض على المذكور فهرب وكان من جملة من استفسد عقله بركات المذكور استاذان من القصر فلما طلب بركات المذكور واستتردق الاستاذان الحيلة الى أن أدخلاه عندهما في زى تجارية اشترياها وقاما بمحقه وجسع ما يحتاج اليه وصار أهله يدخلون اليه في بعض الاوقات فغرض بركات عند الاستاذين فخارا في أمره ومداواته وتعذر عليهما احضار طبيب له واشتد مرضه ومات فأعمالا الحيلة وعرفا زمام القصر أن احدى عجمائهما قد توفيت وأن عجمائهما يغسلنها على عادة القصور ويشيعنها الى تربة النعمان بالقرافة وكتبا عدة من يخرج ففصح لهما في العدة وأخذ في غسله والبسائه ما أخذاه من أهله وهو ثياب معلقة وشاشية ومنديل وطملسان مقور وادرجود في الديني وتوجه مع التابوت الاستاذان المشار اليهما فلما قطعوا به بعض الطريق أراد أن يكمل الاجر له على قدر عقولهما فقالا للعمالين هو رجل تربته عندنا فنادوا عليه نداء الرجال واكتفوا الحال وهذه أربعة دنانير لكم فسر الجالون بذلك فلما عادوا الى صاحب الدكان عترفوه بما جرى وقاسموه الدنانير خافت نفسه وعلم انها قضية لا تخفى فضى بهم الى الوالى وشرح له القضية فأودعهم في الاعتقال وأخذ الذهب منهم وكتب مطالعة بالحال في اول ما سمع القائد أبو عبد الله بن قاتك الذي قيل له بعد ذلك المأمون بالقضية وكان مدبر الامور في الايام الافضلية قال هو بركات المطلوب وأمر باحضار الاستاذين والكشف عن القضية واحضار الجالين والكشف عن القبر بحضورهم فاذا تحققوا أمرهم بلغنه فمن أجاب الى ذلك منهم اطلقوه ومن أبى أحضره فحققوا معرفته ففهم من يصق في وجهه وتبرأ منه ومنهم من هم بتقبيله ولم تبرأ منه فجلس الافضل واستدعى الوالى والسياف واستدعى من كان تحت الحوطة من اصحابه فكل من تبرأ منه ولعنه أطلق سبيله وبقي من الجماعة من لم تبرأ منه خمسة نفر وصبي لم يبلغ الحلم فأمر بضرب رقابهم وطلب الاستاذين فلم يقدر عليهم ما وقال للصبي من لفظه تبرأ منه وأنتم عليكم واطلق سبيلك فقال له الله يطالبك ان لم تلحقني بهم قاتني مشاهدا هم فيه وأخذ بسيفه على الافضل فأمر بضرب عنقه فلما توفي الافضل أمر الخليفة الأمر بأحكام الله وزيره المأمون بن البطائحي بالتخاذ دار العلم وفتحها على الاوضاع الشرعية ثم عاد حميد القصار المثني بذكره وظهر وسكن مصر يدق الثياب بها ويطلع الى دار العلم وأفسد عقل استاذ وخياط وجماعة وادعى الربوبية فحضره الداعي ابن عبد الحقيق الى الوزير المأمون وعترفه بأن هذا قد تعرف بطرف من علم الكلام على مذهب أبي الحسن الاشعري ثم انسح عن الاسلام وسلك طريق الخلاج في التوبة

فاستوى من ضعف عقله وقت بصيرته فان الخلاج في اول أمره كان يدعى أنه داعية المهدي ثم ادعى انه المهدي ثم ادعى الالهية وأن الحق تخدمه وانه أحى عدة من الطيور وكان هذا القصار شيعي الدين وجرت له امور في الايام الافضلية وفي دفعة واعتقل أخرى ثم هرب بعد ذلك ثم حضر وصار يواصل طلوع الجبل واستحب من استهواه من اصحابه فاذا أبعد قال لبعضهم بعد أن يصلي ركعتين نطلب شيئاً نأكله اصحابنا فيمضي ولا يلبث دون أن يعود ومعه ما كان أعده مع بعض خاصته الذين يطلعون على باطنه فكانوا يهابونه ويعظمونه حتى انهم يخافون الاثم في تأمل صورته فلا ينفقون مطرقتين بين يديه وكان قصيرا دميم الخلقة وادعى مع ذلك الربوبية وكان ممن اخذ بصحبه رجل خياط وخصي فرسم المأمون بالقبض على المذكور وعلى جميع اصحابه فهرب الخياط وطالب فلم يجد ونودي عليه وبذل لمن يحضره مال فلم يقدر عليه واعتقل القصار واصحابه وقرروا فلم يقرروا بشيء من حاله وبعد أيام تماوت في الحبس فلما استوعر عليه أمر بدفنه فلما جمل ليدفن ظهر أنه حي فأعيد الى الاعتقال وبقي كل من لم يتبرأ منه معتقلا ما خلا الخصى فإنه لم يتبرأ منه وذكر أن القتل لا يصل اليه فأمر بقطع لسانه ورمي قدماه وهو مصر على ما في نفسه فأخرج القصار والخصي ومن لم يتبرأ منه من اصحابه فصلبوا على الخشب وضربوا بالشباب فماتوا الوقتهم ثم نودي على الخياط فانيافا حضر وفعل به ما فعل بأصحابه بعد أن قيل له ها أنت تنظره فلم يتبرأ منه وصلب الى جانبه وذكر أن بعض اصحاب هذا القصار ممن لم يعرف أنه كان يشترى الكافور ويرمي به بالقرب من خشبته التي هو مملوء عليها فيستقبل رائحته من سلك تلك الطريق ويقصد بذلك أن يربط عقول من كان القصار قد أضله فأمر المأمون أن يحطوا عن الخشب وأن تحلط رملهم ويدفنوا متفرقين حتى لا يعرف قبر القصار من قبر رملهم وكان قتلهم في سنة سبع عشرة وخمسةائة وابتداء هذه القضية سنة ثلاث عشرة وخمسةائة قال وكان الشريف عبد الله يحدث عن صديق له مأمون القول أنه أخبره أنه لما شاع خبر هذا القصار وما ظهر منه أراد أن يمنحه فتسبب الى أن خالطه وصار في جملة اصحابه ومن يعظمه ويطلع معه الى الجبل فافسد عقله وغير معتقده وأخرجه عن الاسلام وأنه لاه على ذلك وردعه فخذته بجانب منها أنه قال والله ما من الجماعة الذين يطلعون معه الى الجبل أحد الا وبسأله ويستدعيه ما يريد على سبيل الامتحان فيحضره اليه لوقته وان يده سكين لا تقطع الا بيده واذا أمسك طائرا وقبضه أحدهم من الحاضرين يدفع السكين التي معه ويقول له اذبحه فلا تنسى في يده فبأخذها هروبا وبجعه بها ويجري دمه ثم يعود ويمسكه بيده ويسترحه فيطير ويقول ان الحديد لا يعمل فيه ويوسع القول فيما يشاهده منه ويستمع له القصار يبق هذا الرجل مصرا على اعتقاده فلما قتل وخرج اليه وشاهده وتحقق موته علم أن ما كان فيه محرو وزور وافك قصصه بجملة من ماله وعاد الى مذهبه وصح معتقده وقال ابن عبد الظاهر دار العلم كان الافضل بن أمير الجيوش قد أبطلها وهي بجوار باب التبانين وهي متصلة بالقصر الصغير وفيها مدفون الداعي المؤيد في الدين حية الله بن موسى الابحجي وكان لا بطلها امور سببها اجتماع الناس والخوض في المذاهب والخوف من الاجتماع على المذهب التزاري ولم يزل الخدام يتوصلون الى الخليفة الأمر باحكام الله حتى تحدث في ذلك مع الوزير المأمون فقال اين تكون هذه الدار فقال بعض الخدام تكون بالدار التي كانت أولا فقال المأمون هذا لا يكون لانه باب صار من جملة ابواب القصر وبرسم الخواص ولا يمكن الاجتماع ولا يؤمن من غريب يحصل به فأشار كل من الاستاذين بشيء فأشار بعضهم أن تكون في بيت المال القديم فقال المأمون يا سبحان الله قدمنا أن تكون متاخمة للقصر الكبير الذي هو سكن الخليفة فجعلها ملاصقة فقال الثقة زمام القصور في جوارى موضع ليس ملاصقا للقصر ولا مخالطه يجوز أن يعمر ويكون دار العلم فأجاب المأمون الى ذلك وقال بشرط أن يكون متوليا رجلا دينا والداعي الناظر فيها ويقام فيها متصدرون برسم قراءة القرآن فاستخدم فيها أبو محمد حسن ابن آدم فتولاها شرط عليه ما تقدم ذكره واستخدم فيها مقرر ثون

* (ذكر دار الضيافة) *

خرج مالك في الموطاء عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب انه قال كان ابراهيم عليه السلام اول من ضيف الضيف واول من اتخذ دار ضيافة في الاسلام أمير المؤمنين ع من الخطباء رضي الله عنه في سنة

سبع عشرة وأعد فيها الدقيق والسمن والعسل وغيره وجعل بين مكة والمدينة من يحمل المنقطعين من ماء الى ماء حتى يوصلهم الى البلد فلما استخلف عثمان بن عفان رضى الله عنه أقام الضيافة لابناء السبيل والمتعبدين في المسجد وأول من بنى دار الضيافة بمصر للناس عثمان بن قيس بن أبي العاص السهمي أحد من شهد فتح مصر من الضمالة وكان ميدان القصر الغربي الذي هو الآن الخرنشف دار الضيافة بحارة برجوان وكانت هذه الدار اولاً تعرف بدار الاستاذ برجوان وفيها كان يسكن حيث الموضع المعروف بحارة برجوان ثم لما قدم أمير الجيوش بدر الجبالي في أيام الخليفة المستنصر من عكا واستبذ بأمر الدولة أنشأ هناك داراً عظيمة وسكنها ولم يسكن بدار الدياج التي كانت دار الوزارة القديمة فلما مات أمير الجيوش بدر واستولى سلطنة ديار مصر ابنه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش وأنشأ دار القصاب التي عرفت بدار الوزارة الكبرى قريباً من رحبة باب العيد أقرأه أبا محمد جعفر المنعوت بالمظفر ابن أمير الجيوش بدار أمير الجيوش من حارة برجوان فعرفت بدار المظفر وما زال بها حتى مات وقبرها والى اليوم قبره بها وتسميه العاتية جعفر الصادق ولما مات المظفر اتخذت داره المذكورة دار ضيافة يرسم الرسل الواردين من الملوك واستمرت كذلك الى أن انقرضت الدولة فأنزل بها السلطان صلاح الدين اولاد العاضد الى أن نقلهم الى قلعة الجبل الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب فلما كان في سنة تسع وسبعين وستمائة تقدم امر الملك المنصور قلاوون لوكيل بيت المال القاضي محمد الدين عيسى بن الخشاب ببيع دار المظفر فباع القاعة الكبرى وماهر من حقوقها وبيعت دار المظفر الصغرى وهدمها الناس وبثوا في مكانها دوراً وموضعها الآن دار قاضي القضاة شمس الدين محمد الطرابلسي الحنفي وما بجوارها الى الدار التي بها سكنى اليوم وهي من حقوق دار المظفر الصغرى على ما في كتبها القديمة ولما أنشأ قاضي القضاة شمس الدين المذكور داره في سنة سبع وأوسنة ثمان وثمانين وسبعمائة ظهر من تحت الارض عند حفر الاساس حجر عظيم قيل انه عتبة دار المظفر الكبرى وكان اذ ذلك الامير جهار كس الخليلي يثوى بحارة مدرسة الملك الظاهر برقوق التي في خط بين القصرين فلما بلغه خبر هذا الخبر بعث اليه وأمر بجزءه الى العمارة فعمل عتبة باب المزملة التي للمدرسة وكان من وراء هذه الدار رحبة الانبال أدركتها ساحة ثم عرفها * قال ابن الطوير الخدمه المعروفة بالنيابة للقاء المرسلين وهي خدمة جليلة يقال لتوليها النائب وبعث بعدي الملك وهو ينوب عن صاحب الباب في لقاء الرسل الوافدين على مسافة وانزال كل واحد في دار تصلح له ويقيم له من يقوم بخدمته وله تطير في دار الضيافة وهو يسمى اليوم بمهندار ويرتب لهم ما يحتاجون اليه ولا يمكن أحداً من الاجتماع بهم ويذكر صاحب الباب بهم ويسالغ في فجاز ما وصلوا فيه وهو الذي يسلم بهم أبداً عند الخليفة والوزير ويتقدم بهم ويستأذن عليهم ويدخل الرسول وصاحب الباب قابض على يده اليمنى والنائب بيده اليسرى فيحفظ ما يقولون وما يقال لهم ويجتهد في انصافهم على احسن الوجوه وبين يديه من القرائين المتقدم ذكرهم عدة لاعائته واذا غاب أقام عنه نائباً الى أن يعود وله من الجارى خسون ديناراً في كل شهر وفي اليوم نصف قنطار خبز وقد يهدى اليه المرسلون طرفاً فلا يتناولها الا باذن انتهى * وفي هذه الدولة التركية يشال لتولى هذه الوظيفة مهندار ولا يليها عندهم الا صاحب سيف من الامراء العشر اوات وكانت في الدولة الفاطمية على ما ذكره ابن الطوير لا يليها الا اعيان العدول وأرباب العمام وبعث أبداً بعدي الملك وأصل هذه الكلمة بالفارسية مهمان دار (ومعناها ملتي الضيوف)

* (ذكر اصطبل الخيرية) *

وكان بجوار دار الضيافة اصطبل الصبيان الخيرية المتقدم ذكرهم وموضع هذا الاصطبل اليوم يعرف بخان الوراقه داخل باب الفتوح القديم بسوق المرحلين على يسرة من اراد الخروج من باب الفتوح القديم تجاه زيادة الجامع الحاكمي ومن حقوق هذا الاصطبل ايضا الموضع الذي فيه الآن القيسارية المعروفة بقيسارية الست التي هي اليوم تجاه المدرسة الصيرمية والجلون الصغرى وكانت بهذا الاصطبل خيول الصبيان الخيرية احدى طوائف العساكر في زمن الخلفاء الفاطميين

* (ذكر مطبخ القصر) *

وكان بجوار القصر الغربي قبالة باب الزهومة من القصر الكبير مطبخ القصر وموضعه الآن الصاغة تجاه المدارس الصالحية ولما كانت مطبخاً كان يخرج اليه من باب الزهومة وذكر ابن عبد الظاهر أنه كان يخرج من المطبخ المذكور مدة شهر رمضان ألف ومائتا قدر من جميع ألوان الطعام تفرق كل يوم على أبواب الرسوم والضعفاء

* (درب السلسلة) * وكان بجوار مطبخ القصر درب السلسلة قال ابن الطوير ويبيت خارج باب القصر في كل ليلة خمسون فارساً فإذا أذن بالعيشاء الأخرى داخل القاعة وصلى الإمام الراتب بها بالمقيمين فيهم من الاستاذين وغيرهم وقف على باب القصر أمير يقال له سنان الدولة بن الكر كندی فإذا علم بفرار الصلاة أمر بضرب النوبات من الطبل والبوق ولواثقهما من عدة وافرة بطرائق مستحسنة مدة ساعة زمانية ثم يخرج بعد ذلك استاذ برسم هذه الخدمة فيقول أمير المؤمنين يرد على سنان الدولة السلام فيصقع ويغرس حربة على الباب ثم يرفعها بيده فإذا رفعها أغلق الباب وسار حوالى القصر سبع دورات فإذا انتهى ذلك جعل على الباب البياتين والفراشين المتقدم ذكرهم وانصرف المؤذنون الى خزائهم هناك وترى السلسلة عند المضيق آخر بين القصرين من جانب السيوفيين فينقطع المار من ذلك المكان الى أن تضرب النوبة يحرق قرب القبر فتصرف الناس من هناك بارتفاع السلسلة * وقال ابن عبد الظاهر درب السلسلة الذى هو الآن الى جانب السيوفيين كانت عنده سلسلة منه الى قبالة تعلق كل يوم من الظاهر حتى لا يعبر راكب تحت القصر وهذا الدرب يعرف بسنان الدولة بن الكر كندی وهذا الدرب هو المختص بالتفذية وهذه التفذية أمر هام مستطرف لامن قبل الحسن بل من قبل التجب من العقول ولها خمسة أوقات وهى ليالى العيدين وغرة السنة وغرة شهر رمضان ويوم فتح الخليج وهو أنه يقف راكباً في وسط الزلافة التى لباب الذهب قبالة الدار القطبية فيخرج اليه السلام من الخليفة ثم يخدم الرهبة ثم يصعد على كندرة باب الزهومة وقد امه دواب المظلة يمينه ويسرة والرهبية تخدم وارباب الضوء ومستخدمو الطرق على السلسلة فإذا كان الطرف وصلوا اليه واجتمعت الرهبية كلهم وركب فرساً وعليه ثياب حسنة وكشف عن رايانه وأخذ يديه ومحاو اجتمعت الرهبية حوله ويعبر مشورا وأولئك خلفه بالصراخ والصياح بشعار الامام ثم يسير بذلك الجمع وخيل المظلة الى أبواب القصر فيقف عند كل باب تخدم الرهبية الى أن يعودوا الى باب الذهب ثم الى دار الوزارة للهنا فليرأوا كذلك الى ولاية ابن الكر كندی فبطلت هذه السنة في الايام الآمرية وصاحب التفذية بمن وصل أباه وصحبة المعز لدين الله من بلاد المغرب فكانت هذه سنتهم

* (ذكر الدار المأمونية) *

وكان بجوار درب السلسلة الدار المأمونية وهى المدرسة السيوفية وكانت هذه الدار سكن المأمون ابن البطائحي وعرفت قديماً بقوام الدولة حبسب ثم جددتها المأمون محمد بن فاتك * (المأمون البطائحي) * هو ابو عبد الله محمد ابن الامير نور الدولة ابى شجاع فاتك بن الامير منجد الدولة أبى الحسن مختار المستنصرى اتصل بخدمة الافضل بن أمير الجيوش في شهر شوال سنة احدى وخسمائة عند ما تغير على تاج المعالى مختار الذى كان اصطنعه ونظم أمره وسلم اليه خزائن امواله وكسواته وسلم ما كان بيده من الخدمة لمحمد بن فاتك فتصرف فيها وقر له الافضل ما كان باسم مختار من العين خاصة دون الاقطاع وهو مائة دينار في كل شهر وثلاثون ديناراً عن جارى الخزائن مضافاً الى الاصناف الاربعة مياومة ومشاهرة ومسانهة فحسن عند الافضل موقع خدمته فاعتمد عليه وسلم له جميع اموره وصرفه في كل احواله فلما كثر عليه الشغل استعان بأخويه أبى تراب حيدرة وأبى الفضل جعفر فأطلق الافضل لهما ما وسع به عليهما من المياومة والمشاهرة والمسانهة ونعته الافضل بالقائد فصار يخاطب بالقائد ويكتب اليه وصار عنده بمنزلة الاستادار فلما قتل الافضل ليلة عيد القطر من سنة خمس عشرة وخسمائة قام القائد ابو عبد الله بن فاتك لخدمة الخليفة الامر بأحكام الله وأطلع على اموال الافضل وبالغ في مناصحته حتى لقد اتهم أنه هو الذى دبر في قتل الافضل بإشارة الخليفة

نخلع عليه الآخر في مستهل ذي القعدة بمجلس اللعبة من القصر وهو المجلس الذي يجلس فيه الخليفة ولم يخلع قبله على أحده في محل المنطقة من وسطه وخلع على ولده وحل منطقته وخلع على أخوته واستقر تنفيذ الأمور إليه إلى أن استهل ذوالحجة ففي يوم الجمعة ثانياً خلع عليه من الملابس الخاص في فرد كم مجلس اللعبة طوق ذهب مرصع وسيف ذهب كذلك وسلم على الخليفة وتقدم الأمر للأمراء وكافة الاستاذين المحنكين بالخروج بين يديه وأن يركب من المكان الذي كان الأفضل يركب منه ومشى في ركابه القواد على عادة من تقدمه وخرج بتشریف الوزارة ودخل من باب العبدرا بكا ووصل إلى داره فضاغف الرسوم وأطلق الهبات فلما كان يوم الاثنين خامسه اجتمع الأمراء بين يدي الخليفة وأحضر السجل في لفافة خاص مذهبته فسلمه الخليفة له من يده فقبله وسلمه لزام القصر فأمره الخليفة بالجلوس إلى جانبه عن يمينه وقرئ السجل على باب المجلس وهو أول سجل قرئ هناك وكانت سجلات الوزراء قبل ذلك تقرأ بالأيوان ورسم الشيخ أبي الحسن بن أبي اسامة كاتب الدست أن ينقل نسبة الأمراء والهنكين من الآخرى إلى المأمون وكذا الناس أجمع ولم يكن أحد يتسب إلى الأفضل ولا لأمير الجيوش وقد تمت له الدواة فعلم في مجلس الخليفة ونعت بالسيد لاجل المأمون تاج الخلافة ووجهه الملك نخر الصنائع ذكر أمير المؤمنين عز الاسلام نخر الانام نظام الدين أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كأقل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين وكان يجلس بداره في يومى الاحد والاربعاء للراحة والنفقة في العسكر البساطية إلى الظهر ثم رفع النفقة ويحط السباط ويجلس بعد العصر والكتاب بين يديه فينفق في الرجل إلى آخر النهار وفي يوم الجمعة يطلق للمقرئين بحضرة خمسة دنائير ولكل من هو مستقر القراء على بابيه من الضعفاء والاجراء مما هو ثابت بأسمائهم خمسمائة درهم وبقية الضعفاء والمساكين خمسمائة درهم أخرى فاذا توجه يوم الجمعة إلى القرافة يكون المبلغ المذكور مستقرا لاربابه ولم يزل إلى ليلة السبت الرابع من رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة قبض الأمر المذكور عليه وعلى أخوته الخمسة مع ثلاثين رجلا من خواصه وأهله واعتقله ثم صلبه مع أخوته في سنة اثنتين وعشرين * قبل ان سب القبض عليه ما بلغ الأمر عنه أنه بعث إلى الأمير جعفر بن المستعلي بغريه يقتل أخيه ليقبضه مكانه في الخلافة وكان الذي بلغ الأمر ذلك الشيخ أبو الحسن بن أبي اسامة وبلغه ايضا عنه أنه سير نجيب الدولة أبو الحسن إلى اليمن ليضرب سكة عليها الامام المختار محمد بن نزار وذكر عنه أنه سم شيأ ودفعه لقصاد الخليفة فتم عليه القصاد وكان مولد المأمون في سنة ثمان وسبعين واربعمائة وكان من ذوى الآراء والمعرفة التامة بتدبير الدول كريما واسع الصدر سفاكا للدماء كثير التحرز والتطلع إلى معرفة أحوال الناس من العامة والجنود فكثير الوشاة في أيامه

* (حبس المعونة) * وكان بجوار الدار المأمونية حبس المعونة وموضعه اليوم قيسارية العنبر قال ابن المأمون في سنة سبع عشرة وخمسمائة تقدم أمر المأمون إلى الواليين بمصر والقاهرة باحضار عرفاء السقائين وأخذ الحجج على المتعشين منهم بالقاهرة بحضورهم متى دعت الحاجة اليهم ليلا ونهارا وكذلك يعتمد في القريين وأن يبيتوا على باب كل معونة ومعهم عشرة من الفقه بالطوارى والمساخى وأن يقوموا لهم بالعشاء من أموالهم بحكم فقرهم انتهى وكان حبس المعونة هذا يسجن فيه أرباب الجرائم كما هو اليوم السجن المعروف بمخزاة شمائل وأما الأمراء والاعيان فيسجنون بمخزاة البنود كما تقدم ولم يزل هذا الموضع سجنا مدة الدولة الفاطمية ومدة دولة بني أيوب إلى أن عمره الملك المنصور قلاوون قيسارية أسكن فيها العنبرانيين في سنة ثمانين وستائة

* (ذكر الحسبة ودار العياد) *

وكان بجوار حبس المعونة دكة الحسبة ومكانها اليوم يعرف بالابازرة ومكسر الخطيب بجوار سوق القصارين والفحاميين * قال ابن الطوير وأما الحسبة فأت من تسند إليه لا يكون الامن وجوه المسلمين وأعيان المعدلين لأنها خدمة دينية وله استخدام التواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع أعمال الدولة كنواب الحكم وله الجلوس بجماهى القاهرة ومصر يوما بعد يوم ويطوف نوابه على أبواب الحرف والمعاش ويأمر نوابه بالحتم على قدور الهزاسين ونظر لحهم ومعرفة من جزاره وكذلك الطباقون ويتبعون الطرقات ويمنعون من المضايقة فيها ويلزمون رؤساء المراكب أن لا يحملوا أكثر من وسق السلامة وكذلك مع الخالين على البهائم

وباحرون السقائين بتغطية الروايا بالأكسية ولهم عيار وهو أربعة وعشرون دلو كل دلو أربعون رطلاً وأن يلبسوا السراويلات القصيرة الضابطة لعوراتهم وهي زرق وينذرون معلى المكاتب بأن لا يضربوا الصبيان ضرباً مبرحاً ولا في مقتل وكذلك معلو العوم بتحذيرهم من التغرير بأولاد الناس ويقفون على من يكون سبي المعاملة فينهونه بالردع والادب وينظرون المكاييل والموازين وللمحتسب النظر في دار العيار ويطلع عليه ويقرأ سجله بمصر والقاهرة على المنبر ولا يحال بينه وبين مصلحة إذا رآها والولاية تشد معه إذا احتاج إلى ذلك وجارية ثلاثون ديناراً في كل شهر انتهى * وكان للعيار مكان يعرف بدار العيار تعبر فيه الموازين بأسرها وجميع الصنخ وكان يتفق على هذه الدار من الديوان السلطاني فيما يحتاج إليه من الاصناف كالنحاس والحديد والخشب والزجاج وغير ذلك من الآلات وأجر الصناع والمشارفين ونحوهم ويحضر المحتسب أو نائبه إلى هذه الدار ليعبر المعمول فيها بحضوره فإن صح ذلك أمضاه والاخر بأعادة عمله حتى يصح وكان بهذه الدار أمثله يصحح بها العيار فلا تباع الصنخ والموازين والاكبال الا بهذه الدار ويحضر جميع الباعة إلى هذه الدار باستدعاء المحتسب لهم ومعهم موازينهم وصنخهم ومكاييلهم فتعبر في كل قليل فإن وجد فيها الناقص استهلك وأخذ من صاحبه لهذه الدار وألزم بشراء نظيره مما هو محترق بهذه الدار والقيام بنفسه ثم سوغ الناس وصار يلزم من يظهر في ميزانه أو صنخه خلل باصلاح ما وقع من فساد فقط والقيام باجرته فقط وما زالت هذه الدار باقية جميع الدولة الفاطمية فلما استولى صلاح الدين على السلطنة أقر هذه الدار وجعلها وقفاً على سور القاهرة مع ما كان جارياً في أوقاف السور من الرباع والنواحي الجارية في ديوان الاسوار وما زالت هذه الدار باقية

* (اصطبل الجيزة) * وكان بجوار القصر القري من قبله اصطبل الجيزة من جانب باب الساباط الذي هو الآن باب ستر المارستان المنصوري وقيل له اصطبل الجيزة من أجل أنه كان في وسطه شجرة جيز كبيرة وكان موضع هذا الاصطبل نجاة من يخرج من باب الساباط فينزل من الحجرة التي هي الآن تجاه باب ستر المارستان المتوصل منها إلى حارة زويلة ويمتد فيما حاذاه يساراً إذا وقفت بأول هذه الحجرة حيث الطاحون الكبيرة التي هي الآن في أوقاف المارستان وما وراءها ويحاذيها إلى الموضع المعروف اليوم بالبندقانيين وكانت بئر تعرف ببر زويلة وعليها ساقية تنقل الماء لشرب الخيول وموضع هذا البئر اليوم قيسارية تعرف بقيسارية يونس نجاة درب الانجب وقد شاهدت هذه البئر لما أنشأ الأمير يونس الدواير هذه القيسارية والربع عاوها فرأيت بئراً كبيرة جداً وقد عقد على فوهتها عقد ركب فرقة بعض القيسارية وترك منها شيء ومنها الآن الناس تسمى بالدلاء وما زال هذا الاصطبل باقياً إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية فحُكروا في مكانه الآن التي هي موجودة الآن وحكمه مبارك في أوقاف الصلاح الأزبكي وقد تقدم ذكر هذا الاصطبل عند ذكر اصطبل الطارمة فانظر رسومه هناك

* (دار الدياج) * وكان بجوار اصطبل الطارمة من غربيه دار الدياج وهي حيث المدرسة الصاحبية بسوقه الصاحب وما جاورها من جانبها وما خلفها إلى الوزيرية وكانت هي دار الوزارة القديمة وأول من أنشأها الوزير يعقوب بن يونس بن كلس وزير العزيز بالله ثم سكنها الوزير الناصر الدين قاضي القضاة وداعى الدعاة علم المجد أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن البازوري وما زالت سكن الوزراء إلى أن قدم أمير الجيوش بدر الجمالي من عكا ووزره المستنصر وصار وزيراً مستبداً فأنشأ داره بحارة برجوان وسكنها وسكن من بعده ابنه الأفضل ابن أمير الجيوش بدار القباب التي عرفت بدار الوزارة الكبرى وصارت هذه الدار تعرف بدار الدياج لانه يعمل فيها الحرير الدياج ويتولاها الامائل والاعيان فمن ولها أبو سعيد بن قرقة الطبيب متولى خزائن السلاح وخزائن السروج والصناعات فلما انقرضت الدولة الفاطمية بنى الناس في مكان دار الدياج المدرسة السيفية وما وراءها من المواضع التي تعرف اما كلها اليوم بدرب الحريري وما جاور هذا درب إلى المدرسة الصاحبية وما بجوارها وما هو في ظهرها فصار يعرف خط دار الدياج في زمننا بخط سوقه الصاحب

* (الاهراء السلطانية) * وكانت اهراء الغلال السلطانية في دولة الخلفاء الفاطميين حيث المواضع التي فيها الآن خزائن شمائل وماورها إلى قرب الحارة الوزيرية * قال ابن الطوير وأما الاهراء فانها كانت في عدة

أما كن بالقاهرة هي اليوم اصطبلات ومناخات وكانت تحتوى على ثلثمائة ألف اردب من الغلات وأكثر من ذلك وكان فيها مخازن يسمى أحدها بغداى وآخر القول وآخر القرافة ولها الحماة من الامراء والمشارفين من العدول والمراكب واصله اليها بأصناف الغلات الى ساحل مصر وساحل المقس والجالون يحملون ذلك اليها بالرسائل على يد رؤساء المراكب وأمنائهم من كل ناحية سلطانية وأكثر ذلك من الوجه القبلى ومنها اطلاق الاقوات لارباب الرتب والخدم وأرباب الصدقات وأرباب الجوامع والمساجد وجرابات العبيد السودان بتعريضات وما يتفق في الطواحين برسم خاص الخليفة وهي طواحين مدارها سفلى وطواحينها علو حتى لا تقارب زيل الدواب ويحمل دقيقها الخاص وما يختص بالجهات في خرائط من شتى حلبية ومن الاهراء يخرج جرابات رجال الاسطول وفيها ما هو قديم يقطع بالمساحى ويحط في بعض الجرابات بالجديد جرابات المذكورين وجرابات السودان ومنها ما يستدعى بدار الضيافة لاختبار الرسل ومن يقيعهم وما يعمل من القمح برسم الكعك لئلا زاد الاسطول فلا يفتقر مستخدموه من دخل وخرج ولهم جامكية مميزة وجرابات برسم أقواتهم وشعبهم وواجبهم وما يقبض من الواصلين بالفلال الاما يجائل العيون المختومة معهم والاذنرى وطلب العجز بالنسبة * وذكر ابن المأمون أن غلات الوجه القبلى كانت تحمل الى الاهراء وأما الاعمال البحرية والبحيرة والجزيرتان والغربية والكفور والاعمال الشرقية فيحمل منها اليسير ويحمل باقيها الى الاسكندرية ودمياط ونيس ليسير الى نجر عسقلان ونجر صور وانه كان يسير اليها في كل سنة مائة وعشرون ألف اردب منها عسقلان خمسون ألفا وصور سبعون ألفا فيصير هنالك ذخيرة ويباع منها عند الغنى عنها قال وكان متحصل الديوان في كل سنة ألف ألف اردب * وذكر جامع السيرة البازورية أن المتجر كان يقام به للديوان من الغلة وأن الوزير أبامحمد البازورى قال للخليفة المستنصر وهو يومئذ يتقلد وظيفة قاضى القضاة وقد قصر النيل في سنة أربع وأربعين وأربع مائة ولم يكن بالمخازن السلطانية غلال فاستندت المسغبة بأمر المؤمنين أن المتجر الذى يقام بالغلة فيه او في مضرة على المسلمين وربما أخطأ السعر من اشتراها ولا يمكن بيعها فتغير في المخازن وتلف وانه يقام متجرا لا كلفة فيه على الناس ويفيد أضعاف فائدة الغلة ولا يخشى عليه من تغير في المخازن ولا انقطاع سعر وهو الصابون والخشب والحديد والرصاص والعسل وما أشبه ذلك فأما مضى الخليفة مارآه واستمر ذلك ودام الرخاء على الناس ونوسوا

* (ذكر المناظر التي كانت للفقهاء الفاطميين ومواضع زهرهم وما كان لهم فيها من امور جميلة) *

وكان للفقهاء الفاطميين مناظر كثيرة بالقاهرة ومصر والروضة والقرافة وبركة الحبش وظواهر القاهرة وكانت لهم عدة منزهات أيضا من مناظرهم التي بالقاهرة منظرة الجامع الازهر ومنظرة التولوة على الخليج ومنظرة الدكة ومنظرة المقس ومنظرة باب الفتوح ومنظرة البعل ومنظرة التاج والخمس وجوه ومنظرة الصناعة بمصر ودار الملك ومنازل العز والهودج بالروضة ومنظر بركة الحبش والاندلس بالقرافة وقبة الهواء ومنظرة السمكرة وكان من منزهاتهم كسر خليج ابى المتجاء وقصر الورد بالخرقانية وبركة الحب

* (منظرة الجامع الازهر) * وكان يجوز الجامع الازهر من قبله منظرة تشرف على الجامع الازهر يجلس الخليفة فيها المشاهدة لىالى الوقود

* (ذكر لىالى الوقود) * قال المسجى في حوادث شهر رجب من سنة ثمان وثلاثمائة وفيه خرج الناس فى لىاليه على رسمهم فى لىالى الجمع وليلة النصف الى جامع القاهرة يعنى الجامع الازهر عوضا عن القرافة وزيد فيه فى الوقود على حافات الجامع وحول محنة التناير والقناديل والشمع على الرسم فى كل سنة والاطعمة والحلوى والبحور فى مجامر الذهب والفضة وطيف بها وحضر القاضى محمد بن التعمان فى ليله النصف بالمتصورة ومعهم شهوده ووجوه البلد وقدمت اليه سلال الحلوى والطعام وجلس بين يديه القراء وغيرهم والمنشدون والناحية واقام الى نصف الليل وانصرف الى داره بعد أن قدم الى من معه اطعمة من عنده وبجرتهم * وقال فى شعبان وكان الناس فى كل ليلة جمعة وليلة النصف على مثل ما كانوا عليه فى رجب وأزيد وفى ليلة النصف من شعبان كان

الناس جمع عظيم بجامع القاهرة من الفقهاء والقراء والمنشدين وحضر القاضي محمد بن النعمان في جميع شهوده ووجوه البلد ووقدت التناير والمصابيح على سطح الجامع ودور محبته ووضع الشمع على المقصورة وفي مجالس العلماء وحل الهمم العزيز بالله الاطعمة والحلوى والخور فكان جمعا عظيما قال وفي شهر رجب سنة اثنتين وأربعمائة قطع الزعم الجارى من الخبز والحلوى الذي يقام في هذه الثلاثة الاشهر لمن بيت بجامع القاهرة في ليالى الجمع والانصاف وحضر قاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقي الى جامع القاهرة ليلة النصف من رجب واجتمع الناس بالقرافة على ما جرت به رسومهم من كثرة اللعب والمزاح * روى الفاكهي في كتاب مكة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يصبح في اهل مكة ويقول يا اهل مكة أوقدوا ليلة هلال المحرم فأوضحوا لحاج بيت الله واحرسوهم ليلة هلال المحرم حتى يصبحوا وكان الامر على ذلك بمكة في هذه الليلة حتى كانت ولاية عبد الله بن محمد بن داود على مكة فأمر الناس أن يوقدوا ليلة هلال رجب فيحرسوا عمار اهل اليمن ففعلوا ذلك في ولايته ثم تركوه بعد * وفي ليلة النصف من رجب سنة خمس عشرة وأربعمائة حضر الخليفة الظاهر لا عزاز دين الله ابوهاشم على بن الحاكم بأمر الله ومعه السيدات وخدم الخاصة وغيرهم وسائر العائنة والرعيا جلس الخليفة في المنطرة وكلن في ليلة شعبان أيضا اجتماع لم يشهد مثله من أيام العزيز بالله وأوقدت المساجد كلها أحسن وقيد وكان مشهدا عظيما بعد عهد الناس بمثله لأن الحاكم بأمر الله كان أبطل ذلك فأنقطع عمله * وقال ابن المأمون ولما كانت ليلة مستهل رجب يعني من سنة ست عشرة وخسمائة عملت الاسطة الجارية بها العادة وجلس الخليفة الأمر بأحكام الله عليها والاجل المأمون الوزير ومن جرت عادته بين يديه وأظهر الخليفة من المسرة والانشراح ما لم تجربه عادته وبالع في شكر وزيره واطرائه وقال قد أعدت لدولتي بهجتا وجددت فيها من المحاسن ما لم يكن وقد أخذت الايام نصيبها من ذلك وبقيت الليالى وقد كان بها مواسم قد زال حكمها وكان فيها توسعة وبتر ونفقات وهى ليالى الوقود الاربع وقد آن وقتهن فأشبهى نظرن فامثل الامر وتقدم بأن يحصل الى القاضي خسون دينارا يصرفها في ثمن الشمع وأن يعقد الركوب في الاربع الليالى وهى ليلة مستهل رجب وليلة نصفه وليلة مستهل شعبان وليلة نصفه وأن يتقدم الى جميع الشهود بأن يركبوا حصيته وأن يطلق للجوامع والمساجد توسعة في الزيت يرسم الوقود ويتقدم الى متولى بيت المال بأن يرسم هذه الليالى من أصناف الحلوات مما يجب برسم القصور ودار الوزارة خاصة * وقال في سنة سبع عشرة وخسمائة وفي الليلة التي صيحتها مستهل رجب حضر القاضي ابوالحجاب يوسف بن ايوب المغربي ووقع له بما استحدث اطلاقه في العام الماضي وهو خسون دينار من بيت المال لا يتباع الشمع يرسم اول ليلة من رجب واستدعى ما هو يرسم التعيين احدهما للمقصورة والاخرى للدار المأمونية بحكم الصيام من مستهل رجب الى سلخ رمضان ما يصنع في دار الفطرة خشكناج صغير وبسندود في كل يوم قطار سكر ومثقالان مسكا وديناران مؤنة وكان يطلق في اربع ليالى الوقود يرسم الجوامع الستة الازهر والاقر والانور بالقاهرة والطولوني والعتيق بمصر وجامع القرافة والمشاهد التي تضمنت الاعضاء الشريفة وبعض المساجد التي لاربابها واجهة جملة كبيرة من الزيت الطيب ويختص بجامع راشدة وجامع ساحل الغلة بمصر والجامع بالمقس يسير قال ولقد حدثني القاضي المكين بن خيدرة وهو من أعيان الشهود أن من جملة الخدم التي كانت بيده مشاركة الجامع العتيق وأن القومة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود بمدة الى أن يكملوا ثمانية عشر ألف قبيلة وأن المطلق يرسمه خاصة في كل ليلة يرسم وقوده أحد عشر قطارا ونصف قطار زيت طيب وذكر ركوب القاضي والشهود في الليلة المذكورة على جارى العادة قال وتوجه الوزير المأمون يوم الجمعة تاني الشهر بموكبه الى مشهد السيدة نفيسة وما بعده من المشاهد ثم الى جامع القرافة وبعده الى الجامع العتيق بمصر وقد عم معرفته جميع الضعفاء وقومة المساجد والمشاهد وصلى الجمعة وعند انقضاء الصلاة حضر اليه الشريف الخطيب المصنف الذي يخط أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه فوقع باطلاق القديتار من ماله وأن يصاغ عليه فوق حلقة الفضة حلقة ذهب وكتب عليه اسمه وفي الخامس عشر من الشهر المذكور ليلة الوقود جرى الحال في ركوب القاضي وشهوده على الترتيب الذي تقدم في اول الشهر ولما وصل الى الجامع وجده قد عي في الزواق الذي عن يمين الخارج منه سماط كعل وخشكناج وحلوى فجلس عليه بشهود

ونهبه الفقراء والسباكين وتوجه بعده الى ما سواه من جامع القرافة وغيره فوجد في رواق الجامع المذكور سبعة طائفة مثل السماط المذكور فاعتمده على ما ذكره وله أيضا رسم صدقة في هذا النصف للفقراء واهل الربط مما يفرقه القاضي عشرة دنانير يفرقها القاضي * وقال ابن الطوير اذا مضى النصف من جمادى الآخرة وكن عدده عندهم تسعة وعشرين يوما أمر أن يسبك في خزائن دار أفتكين سستون شمعة وزن كل شمعة منها سدس قنطار بالمصري ووجلت الى دار القاضي القضاة ركوب ليلة مستهل رجب فاذا كان بعد صلاة العصر من ذلك اليوم اهتم اليهود أيضا فاتهم من يركب ثلاث شمعات الى ثنتين الى واحدة ويمضي أهل مصر منهم الى القاهرة فيصلون المغرب في الجوامع والمساجد ثم ينتظرون ركوب القاضي فيركب من داره بهيته وأمامه الشمع المحمول اليه موقودا مع المنسوبين لذلك من القراشين من الطبقة السفلى من كل جانب ثلاثون شمعة وبينهما المؤذنون بالجوامع يذكرون الله تعالى ويدعون للخليفة والوزير بترتيب مقدر محفوظ ويندب في حبيته ثلاثة من تواب الباب وعشرة من الحجاب خارجا عن حجاب الحكم المستقرين وعدتهم خمسة في رضى الامراء وفي ركابه القراء يطربون بالقراءة والشهود وراءه على الترتيب في جلوسهم بمجلس الحكم الاقدم فالأقدم وحوالي كل واحد ماله من شمع فيشوقون من أول شارع فيه دار القاضي الى بين القصرين وقد اجتمع من العالم في وقت جوارهم ما لا يحصى كثرة رجالا ونساء وصبيانا بحيث لا يعرف الرئيس من المروس وهو ما رآه أن يأتي هو والشهود باب الزمر من أبواب القصر في الرحبة الوسيعة تحت المنطرة العالية في السعة العظيمة من الرحبة المذكورة وهي التي تقابل درب قراصيا فيحضر صاحب الباب ووالى القاهرة والقراء والخطباء كما شرحنافى المواليد الستة ويترجلون تحتار فيما يجلس الخليفة فيها وبين يديه شمع وبين يديه شخصه ويحضر بين يديه الخطباء الثلاثة ويخطبون كالمؤذنين ويذكرون استهلال رجب وأن هذا الركوب علامته ثم يسلم الاستاذ من الطاقة الاخرى استفتاها وانصرفا كما ذكرنا ثم يركب الناس الى دار الوزارة فيدخل القاضي والشهود الى الوزير فيجلس لهم في مجلسه ويسلمون عليه ويخطب الخطباء أيضا بأخف من مقام الخليفة ويدعون له ويخرجون عنه فيشق القاضي والجماعة القاهرة وينزل على باب كل جامع بها ويصلى ركعتين ثم يخرج من باب زويلة طالبام صرغير نظام ووالى القاهرة في خدمته اليوم مستكثرا من الاعوان والحفظة في الطرقات الى جامع ابن طولون فيدخل القاضي اليه للصلاة فيجد والى مصر عنده للقاء القوم وخدمتهم فيدخل المشاهد التي في طريقه أيضا فاذا وصل الى باب مصر ترتب كما ترتب في القاهرة وسار شافا الشارع الاعظم الى باب الجامع من الزيادة التي يحكم فيها فيوقد له الشور والفضة الذي كان معلقا فيه وكان ملجأ في شكله وتعليقه غير منافر في الطول والعرض واسع التدوير فيه عشر مناطق في كل منطقة مائة وعشرون براقة وفيه سروات بارزة مثل النخل في كل واحدة عدة براقات تقرب عدة ذلك من ثلثمائة ومعلق بدائر سفله مائة قنديل نجمية ويخرج له الخاتم فان كان ساكنا عصر استقر بها وان كان ساكنا بالقاهرة وقف له والى القاهرة بجامع ابن طولون فيودعه والى مصر ويسير معه والى القاهرة الى داره فاذا مضى من رجب أربعة عشر يوما ركب ليلة الخامس عشر كذلك وفيه زيادة طلوعه بعد صلاته بجامع مصر الى القرافة ليصل الى جامعها والناس يجتمعون له لينظروه ومن معه في كل مكان ولا يملكون من ذلك فاذا انقضت هذه الليلة استدعى منه الشمع ليكمل بعضه حتى يركب به في أول شعبان ونصفه على الهيئة المذكورة والاسواق معمورة بالخلاء ويتفرغ الناس لذلك هذه الاربع الليالى

(* منظره اللؤلؤة) * وكان للخطباء الفاطميين منظره تعرف بقصر اللؤلؤة وبمنظره اللؤلؤة على الخليج بالقرب من باب القنطرة وكان قصر من أحسن القصور وأعظمها زخرفة وهو أحد منتزهات الدنيا المذكورة فانه كان يشرف من شرقه على البستان الكافورى ويطل من غربه على الخليج وكان غربي الخليج اذا ذل ليس فيه من المباني شيء وانما كان فيه بساين عظيمة وبركة تعرف بيطن البقرة فيرى الجاساس في قصر اللؤلؤة جميع أرض الطيالة وسائر أرض اللوق وما هو من قبلها ويرى بحر النيل من وراء البساين * قال ابن ميسر هذه المنظره بناها العزيز بالله ولما ولى برجان وزارة الحساكم بأمر الله بعد أمين الدولة بن عمار الكاظمي سكن بمنظره اللؤلؤة في جمادى الاولى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة الى أن قتل وفي السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة اثنين وأربع مائة أمر الحاكم بالله يهدم اللؤلؤة ونهبها فهدمت ونهبت وبيع ما فيها * وقال المسيحي

وفي سادس عشرى ربيع الآخر يعنى سنة اثنتين وأربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم الموضع المعروف باللولوة على الخليج موازاة المقس وأمر بنهب أبقاضه فثبت كلها ثم قبض على من وجد عنده شئ من نهب أبقاض اللؤلؤة واعتقلوا * وقال ابن المأمون ولما وقع الاهتمام بسكن اللؤلؤة والمقام فيها مدة النيل على الحكم الأول يعنى قبل وزارة أمير الجيوش بدر وابنه الأفضل أمر بإزالة ما لم تكن العبادة جارية به من مضايقتها بالبناء ولما بدت زيادة النيل وعول الخليفة الأمر بأحكام الله على السكن باللولوة أمر الأجل الوزير المأمون بأخذ جماعة القراشين الموقوفين برسم خدمتها بالمبيت بهم على سبيل الحراسة لا على سبيل السكن بها وعند ما بلغ النيل ستة عشر ذراعاً أمر بإخراج الخليم وعند ما قارب النيل الوفاء تحوّل الخليفة في الليل من قصوره بجميع جهاته وأخوته وأعمامه والسيدات كرائمه وعماهة إلى اللؤلؤة وتحوّل المأمون إلى دار الذهب وأسكن الشيخ أبا الحسن محمد بن أبي أسامة الغزالي على شاطئ الخليج وسكن حسام الملك حاجب الباب داره على الخليج وأمر متولى المعونة أن يكشف الأدراسة على الخليج قبل اللؤلؤة ولا يمكن أحد من السكن في شئ منها إلا من كان له ملك ومن كان ساكناً بالاجرة ينقل ويقام بالاجرة لب الملك ليسكن بها حواشي الخليفة مدة سنة وقر من التوسعة في النفقات وما يكون برسم المستخدمين في المبيتات ما يختص برواتب القصور مدة المقام في اللؤلؤة في أيام النيل مياومة من الغنم والحوان وجميع الأصناف وهي جملة كبيرة وأمر متولى الباب أن يندب في كل يوم خروف شواء وقطار خبز وكذلك جيع الدروب من يحرسها ويطلق لهم برسم الغداء مثل ذلك وتكون نوبة دائرة بينهم وبقية مستخدمى الركاب ملازمون لأبواب القصر على رسمهم وفي يومى الركوب يجتمعون للخدمة الأمن هو في نوبته فيما رسم له وأمر متولى زمام الممالك الخاص أن يكونوا بأجمعهم حيث يكون الخليفة وفي الليل يبيت منهم عدة برسم الخدمة تحت اللؤلؤة ولهم في كل يوم مثل ما تقدم والرهبة تقسم قسمين أحدهما على أبواب القصور والأخر على أبواب اللؤلؤة وأصحاب الضوء مثل ذلك وقر للجماعة المقدم ذكرها في الليل عن رسم المبيت وعن ثمن الوقود ما يخرج اليهم محتوماً بأسماء كل منهم ويعرضهم متولى الباب في كل ليلة بنفسه عند رواحه وعوده وكذلك ما يختص بدار الذهب من الحرس عليها من باب سعادة ومن باب الخوخة ولهم رسوم كما تقدم لغيرهم والمتفرجون يخرجون كل ليلة للترهة عليهم ويقضون إلى بعض الليل حتى ينصرفوا من غير خروج في شئ من ذلك عما وجبه الشرع وفي يومى السلام يمضى الخليفة من قصوره بحيث لا يراه إلا استاذوه وخواصه إلى قاعة الذهب من القصر الكبير الشرقي ويحضر الوزير على عادته اليه فيكون السلام بها على مستقر العادة والاسطة بها في يومى الاثنين والخمس وتكون الركوبات من اللؤلؤة في يومى السبت والثلاثاء إلى المنتزهات * وقال في سنة سبع عشرة وخمائة ولما جرى النيل وبلغ خمسة عشر ذراعاً أمر بإخراج الخيام والمضارب الديني والديليج وتحوّل الخليفة الأمر بأحكام الله إلى اللؤلؤة بجاشيته وأطلقت التوسعة في كل يوم لما يخص الخاص والجهات والاستاذين من جميع الأصناف وأنضاف إليها ما يطلق كل ليلة عينا وورفا وأطعمة للبايتين بالنوبة برسم الحرس بالنهار والسهر في طول الليل من باب القنطرة بما دار إلى مسجد اليمونة من التزين من صبيان الخاص والركاب والرهبة والسودان والحجاب كل طائفة بتقريبها والعرض من متولى الباب واقع بالعتة في طرف كل ليلة ولا يمكن بعضهم بعضاً من المنام والرهبة تتخدم على الدوام وتحوّل الوزير المأمون إلى دار الذهب وأطلقت التوسعة والحال في إطلاق الاسطة لهم في الليل والنهار مستقر * وقال ابن عبد الظاهر المنتظرة المعروفة باللولوة على بر الخليج بناها الظاهر لأعزاز دين الله ابن الحاكم يعنى بعدما هدمها أبوه الحاكم وكانت معدة لترهة الخلفاء وكان التوصل إليها من القصر يعنى القصر الغربى من باب مراد وأظنه فمأذ كره في علم الدين بن مائى الوراق أنه شاهد في كتب دار ابن كوخيا العتيقة أنه بابها وكانت عادة الخلفاء أن يقيموا بها أيام النيل ولما حصل التوهم من اتزارية والحشيشية قبل تصرفهم لاسيما الصغرى الخليفة وقله حواشيه أمر بستدباب مراد المذكور الذى يتوصل منه إلى الكافورى وإلى اللؤلؤة وأسكن في بعضها قراشين لحفظها فإذا كان في صبيحة كسر الخليج استؤذن الأفضل ابن أمير الجيوش في فتح باب مراد الذى يتوصل منه إلى اللؤلؤة وغيرها فيفتح ويروح الخليفة ليتفرج هو وأهله من النساء ثم يعود ويستد الباب هذا إلى آخر أيام الأفضل فلما رجع الوزير المأمون في ذلك سارع

اليه فأصلحت وأزيل ما كان أنشئ قبالتها على ما سجد كرفى مكانه ان شاء الله تعالى اه ومات بقصر اللؤلؤة من خلفاء الفاطميين الأمر بأحكام الله والحفاظ لدين الله والفائز وحلوا الى القصر الكبير الشرقى من المراديب ولما قدم نجم الدين أيوب بن شاذى من الشام على ولده صلاح الدين يوسف وخرج الخليفة العاضد لدين الله الى لقائه ببحراء الهليلج بأخر الحسينية عند مسجد تبرأزل بمنظرة اللؤلؤة فسكنها حتى مات في سنة سبع وستين وخمسمائة واتفق أن حضر يوما عنده الفقيه نجم الدين عمارة البني والرضي أبو سالم يحيى الاحمد بن أبي حصيبة الشاعر في قصر اللؤلؤة بعد موت الخليفة العاضد فأشد ابن أبي حصيبة نجم الدين أيوب فقال

يا مالك الارض لا أرضى له طرفا * منها وما كان منها لم يكن طرفا
قد جعل الله هذى الدار تسكنها * وقد أعد لك الجنات والغرفا
تشرفت بك عمن كان يسكنها * فالبس بها العز ولتبس بك الشرفا
كانوا بها صدقا والدار لؤلؤة * وأنت لؤلؤة صارت لها صدقا

فقال الفقيه عمارة برده عليه

أنت يا من هجا السادات والخلفاء * وقات ما قاتله في ثلهم مخفيا
جعلتهم صدقا حلوا بلؤلؤة * والعرف ما زال سكنى اللؤلؤا الصدفا
وانما هي دار حل جوهرهم * فيها وشف فاسناها الذى وصفا
فقال لؤلؤة عجباً بهجتها * وكونها حوت الاشراف والشرفا
فهم بسكاهم الايات اذ سكنوا * فيها ومن قبلها قد أسكنوا الصمفا
والجوهر الفرد نور ليس يعرفه * من السيرة الاكل من عرفا
لولا تجسمهم فيه لكان على * ضعف البصائر لا بصار محتظفا
فالكلب يا كلب أسنى منك مكربة * لان فيه حفاظا دأتما ووفيا

فله در عمارة لقد قام بحق الوفاء ووفى بحسن الحفاظ كماهى عادته لا جرم أنه قتل في واجب من جهوى كماهى سنة المحبين فالله يرحمه ويتجاوز عنه

(منظرة الغزالة) وكان بجوار منظرة اللؤلؤة منظرة تعرف بالغزالة على شاطئ الخليج تقابل حمام ابن فرقة وقد خربت هذه المنطرة أيضا وموضعها الآن تجاه باب جامع ابن المغيرة الذى من ناحية الخليج وقد خربت أيضا حمام ابن فرقة وصار موضعها قنطرة فاجوار حمام السلطان التى هناك يعرف بقنطرة عماد وموضع منظرة الغزالة اليوم ربع يعرف بربع غزالة الى جانب قنطرة الموسكى في الحد الشرقى وكان يسكن بهذه المنظرة الامير ابو القاسم ابن المستنصر والد الحفاظ لدين الله ثم سكنها ابو الحسن بن أبي أسامة كاتب الدست وكان بعد ذلك ينزلها من يتولى الخدمة في الطراز أيام الخلفاء * قال ابن المأمون لما ذكر تحول الخليفة الأمر بأحكام الله الى اللؤلؤة وأسكن الشيخ ابا الحسن بن أبي أسامة كاتب الدست الغزالة التى على شاطئ الخليج ولم يسكن أحد فيها قبله من يجرى مجراه ولا كانت الاسكن الامير أبي القاسم ولد المستنصر والد الامام الحفاظ قال وأما ما يذكره الطراز فالحكم فيه مثل الاستيثار والشائع فيها أنها كانت تشغل في الايام الافضل على أحد وثلاثين ألف دينار في ذلك السلف خامسة عشر ألف دينار قيمة الذهب العراقي والمصرى ستة عشر ألف دينار ثم اشتملت في الايام المأمونية على ثلاثة وأربعين ألف دينار وتضاعفت في الايام الآمرية * وقال ابن الطور الخدمة في الطراز وينعت بالطراز الشريف ولا يتولاه الا اعيان المستخدمين من أرباب العمام والسيوف وله اختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين ومقامه بمباط وثنين وغيرهما وجارية أمير الجوارى وبين يديه من المندوبين مائة رجل لتنفيذ الاستعمالات بالقرى وله عشاري دغاس محترمة معه وثلاثة مراكب من الدكاسات ولها رؤساء ونوابية لا يبرحون ونفقاتهم جارية من مال الديوان فاذا وصل بالاستعمالات الخاصة التى منها المظلة وبدلتها والبدنة واللباس الخاص الجمي وغيره هي بكرامة عظيمة ونذب له دابة من مرا كيب الخليفة لاتزال تحته حتى يعود الى خدمته وينزل في الغزالة على شاطئ الخليج وكانت من المناظر السلطانية وجددها شعاع بن شاو ولو كان لصاحب الطراز في القاهرة عشرة دور لا يمكن من نزوله الا بالغزالة وتجري عليه الضيافة كالغرياء الواردين على الدولة فيتمثل

بين يدي الخليفة بعد حمل الاسقاط المشدودة على تلك الكسوى العظيمة ويعرض جميع مامعه وهو ينه على شيء
شيء يبدفراشي الخاص في دار الخليفة مكان سكنه ولهذا حرمة عظيمة ولا سيما اذا وافق استعماله غرضهم
فاذا اتقضى عرض ذلك بالدرج الذي يحضره سلم مستخدم الكسوات وخلع عليه بين يدي الخليفة باطنيا
ولا يخلع على أحد كذلك سواء ثم يتكفى الى مكانه وله في بعض الاوقات التي لا يتسع له الانفصال نائب يصل عنه
بذلك غير غريب منه ولا يمكن أن يكون الاولاد وأخافان الرتبة عظيمة والمطلق له من الحمامكية في الشهر سبعون
دينارا ولهذا النائب عشرون دينارا لانه يتولى عنه اذا وصل بنفسه ويقوم اذا غاب في الاستعمال مقامه
ومن أدواته أنه اذا عي ذلك في الاسقاط استدعى الى ذلك المكان ليشاهده عند ذلك ويكون الناس
كلهم قياما لخلول نفس المظلة وما يليها من خاص الخليفة في مجلس دار الطراز وهو جالس في مرتبة والوالى
واقف على رأسه خدمة لذلك وهذا من رسوم خدمته وميزتها

(دار الذهب) * وكان بجوار الغزاة دار الذهب وموضعها الآن على يسرة الخارج من باب الخوخة فيما بينه وبين
باب سعادة وكانت مظلة على الخليج وفي مكانها اليوم دار تعرف ببهادر الاعسر وبقي منها عقد بجوار دار الاعسر
يعرف الآن بقبو الذهب من خطة بين السورين * قال ابن المأمون لما ذكر تحول الخليفة الامر بأحكام
الله الى اللؤلؤة ثم أحضر الوزير المأمون وكيله بالبركات محمد بن عثمان وأمره أن يضي الى دارى الفلك والذهب
التي على شاطئ الخليج فالدار الاولى التي من حيز باب الخوخة بناها فلك الملك وذكر أنه من الاستاذين الحاكمة
ولم تكن تعرف الابدار الفلك ولما بنى الافضل بن أمير الجيوش الدار الملاصقة لها التي من حيز باب سعادة وسماها
دار الذهب غلب الاسم على الدارين ووصل ما فسد منهم ما وضيء اليهم ما دار الشابورة وذكر أن هذه الدار لم تسم
بهذا الاسم الا لان جزأ منها بيع في أيام الشدة في زمن المستنصر بشابورة قال وعندما قارب النيل الوفاء تحول
الخليفة في الليل من قصوره بجميع جهاته واخوته وأعمامه والسيدات كرائمه وعماته الى اللؤلؤة وتحول
الاجل المأمون بالاجلاء أولاده الى دار الذهب وما اضيف اليها * وقال ابن عبد الظاهر دار الذهب بناها
الافضل بن أمير الجيوش وكانت عادة الافضل أن يستريح بها اذا كان الخليفة باللؤلؤة يكون هو دار الذهب
وكذلك كان المأمون من بعده وكان حرس دار الذهب يسلم للوزيرية من باب سعادة يسلم لهم ومن باب
الخوخة للمصامدة أرباب الشعور وصبيان الخاص وكان المقرراهم في كل يوم سباطين أحدهم ساعة
الفلك للمماليك الخاص والحاشية وأرباب الرسوم والاخر على باب الدار برسم المصامدة حتى انه من اجتاز
ورأى انه يجلس معهم على السباط لا يمنع والضعفاء والصعاليك يقعدون بعدهم وفي أول الليل يمتلئ ذلك ولكل
منهم رسم لجميع من يبيت من أرباب الضوء الى الاعلى

(منظرة السكره) * وكان من جملة مناظر الخلفاء منظرة تعرف بمنظرة السكره في بر الخليج القري يجلس فيها
الخليفة يوم فتح الخليج وكان لها بستان عظيم بناها العزيز بالله بن المعز وقد دثرت هذه المنظرة وبشبهه أن
يكون موضعها في المكان الذي يقال له اليوم المريس قريبا من قنطرة الست وكانت السكره من جنات
الدنيا المزخرفة وفيها عدة أماكن معدة لتزول الوزير وغيره من الاستاذين

* (ذكر ما كان يعمل يوم فتح الخليج) *

قال ابن زولاق في كتاب سيرة المعز لدين الله وفي ذي القعدة يعنى من سنة اثنين وستين وثلاثمائة وهى السنة
التي قدم فيها الخليفة المعز لدين الله الى القاهرة من بلاد المغرب ركب المعز لدين الله عليه السلام لكسبر خليج
القنطرة فكسبر بين يديه ثم سار على شاطئ النيل حتى بلغ الى بنى وائل ومر على سطح الجرف في موكب عظيم
وخلفه وجوه اهل الدولة ومعه ابو جعفر أحمد بن نصر يسير معه ويعرفه بالمواعظ التي يجتاز عليها وتحت له
الرعية بالدعاء ثم عطف على بركة الحبش ثم على الصعراء على الخندق الذي حفره القائد جوهر ومر على قبر كافر
وعلى قبر عبد الله بن أحمد بن طباطبا الحسنى وعرفه به ثم عاد الى قصره * وذكر الامير المسيحي في تاريخه الكبير
ركوب العزيز بالله بن المعز وركوب الحاكم بأمر الله بن العزيز وركوب الظاهر لا عزاز دين الله بن الحاكم
في كل سنة لفتح الخليج * وقال ابن المأمون في سنة ست عشرة وخمسة وأربعين سنة عظم ما بلغ النيل ستة عشر ذراعا
أمر باخراج الخيم وأن يضرب الثوب الكبير الافضل المعروف بالقنول وهو أعظم ما فى الحاصل بأربعة دهايز

وأربع قاعات خارجا عن القاعة الكبيرة ومساحتها على ما ذكر ألف ألف ذراع وأربع مائة ذراع بالذراع الكبير خارجا عن سرادقه وعمود القاعة الكبيرة منه ارتفاعه خسون ذراعا ولما كمل استعماله في أيام الأفضل ونصب تأذى منه جماعة ومات رجلان فسمي بالقاول لاجل ذلك وما زال لا يضرب الا بحضور المهندسين وتنصب له أساقيل عدة بأخشاب كثيرة والمستخدمون يكرهون ضربه ويرغبون في ضرب أحد الثوبين الجيوشيين وان كانوا عظميين الا انهم لا يصلان بحملتها الى مقايسته ولا مؤنته ولا صنعتها وأقام هذا الثوب في الاستعمال عدة سنين مع جمع الصنائع عليه وما يضرب منه سوى القاعة الكبيرة لا غير واربعة الدهاليز وبعض السرادق الذي هو مشهور عليه لضيق المكان الذي يضرب فيه وكونه لا يسعه بحملته قال ووصلت كسوة موسم فتح الخليج وهي ما يختص بالخليفة وأخيه وبعض جهاته والوزير * فأما ما يختص بالخليفة خاصة فبدلة شرحها بدنة طميم منديل سلفه مائة وعشرون ديناراً وأحد طرفيه ثلاثة عشر ذراعا ذهباً عراقياً دججاً لواحداً والثاني ثلاثة أذرع سلفه أربعة وعشرون ديناراً ثوب طميم سلفه خسون ديناراً والذهب الذي في الثوب والمنديل والخنك ألف دينار وخمسة دنانير فتكون جلته بالسلف ألف دينار ومائة وخمسة وسبعين ديناراً شاشية طميم للسلف ديناران وسبعون قصبة ذهباً عراقياً فتكون جلته سلفها وقيمة ذهبها ثمانية دنانير منديل سلام سلفه ديناران وسبعون قصبة قيمته كذلك وسط برسم المنديل بخوص ذهب سلفه اثنا عشر ديناراً وسبعون قصبة قيمة ذلك عشرون ديناراً شقة ديبقي وسطاني حريري السلف اثنا عشر ديناراً غلالة ديبقي حريري السلف عشرة دنانير منديل كم مذهب السلف خمسة دنانير وما ثاقصبة وأربع قصبات ذهباً عراقياً قيمة ذلك خمسة وعشرون ديناراً منديل كم ثمان حريري خمسة دنانير حجره أربعة دنانير عرضي لثاقص خاص خمسة دنانير وستة عشر مثقالاً ذهباً مصرى فتكون سلفه وذهبه خمسة وعشرون ديناراً عرضي ثلث برسم تقطبة التخت دينار واحد ونصف تحت ثمان ضمنه بدلة خاص حريري برسم العود من السكره شرحها منديل حريري سلفه ستون ديناراً وسط شرب رسمه اثنا عشر ديناراً شقة ديبقي وكم عشرون ديناراً شقة وسطاني اثنا عشر ديناراً غلالة خمسة عشر ديناراً غلالة عشرة دنانير منديل سلام ديناران منديل كم خمسة دنانير منديل كم ثمان أيضاً خمسة دنانير شاشية حريري ديناران حجره أربعة دنانير عرضي لثاقص خمسة دنانير عرضي ثمان برسم لثاقص التخت دينار واحد ونصف * قال ورأيت شاهداً أن قيمة كل حلة من هذه الحال وسلفها اذا كانت حريري ثلث مائة وستة دنانير واذا كانت مذهبة ألف دينار واختصر ما باسم أبي الفضل جعفر أخى الخليفة وأربع جهات * وأما ما يختص بالوزير فبدلة مذهبة شرحها منديل سلفه سبعون ديناراً وخمسة مائة وسبعون قصبة عراقية جلته سلفه وذهبه مائة وأربعة عشر ديناراً شقة ديبقي وكم السلف ستة عشر ديناراً وثمانية وعشرون مثقالاً ذهباً عالياً تكون جلته ذلك خمسين ديناراً نصف شقة ديبقي وسطاني اثنا عشر ديناراً ونصف شقة وسطاني برسم العود ثلاثة دنانير غلالة ديبقي سبعة دنانير ونصف شقة برسم الغلالة ديناران ونصف منديل كم سبعة دنانير واثنا عشر مثقالاً ذهباً تكون قيمته تسعة عشر ديناراً حجره ثلاثة دنانير عرضي أربعة دنانير وأحد عشر مثقالاً تكون سلفه وذهبه سبعة عشر ديناراً ثم ذكر بعد ذلك ما يكون لجهة الوزير وما يكون برسم صيدان الحمام وما يفصل برسم الممالك الخاص صيدان الرائيات والرماح خمسمائة شقة سقلاطون داري تكون قيمتها سبع مائة وخمسين قباء يحمل منها برسم علان الوزير مائة قباء ويفرق جميع ذلك قال ولم يكن لاحد من الأصحاب والحواشي وغيرهم في هذا الموسم شيء فيذكر بل لهم من الهبات العين والرسوم الخارجة عن ذلك ما يأتي ذكره في موضعه وفي صيغة هذا الموسم خلع على ابن أبي الرداد وعلى رؤساء المراكب وغيرهم وجل الى المقياس برسم الميت وركوب الخليفة بعلمه ومواكبته الى السكره ما فصله وبينه مما يطول ذكره * وقال في سنة سبع عشرة وخمسمائة ولما جرى النيل وبلغ خمسة عشر ذراعاً أمر بإخراج الخيام والمضارب الديبقي والديساج وتحول الخليفة الى اللؤلؤة بها شنته وتحول المأمون الى دار الذهب ووصلت كسوة الموسم المذكورة من الطراز وان كانت بسيرة العدة فهي كثيرة القيمة ولم تكن للعوام من الحاشية والمستخدمين بل للخليفة خاصة وأخوته وأربع من خواص جهاته والوزير وأولاده وابن أبي الرداد فلما وفي النيل ستة عشر ذراعاً ركب الخليفة والوزير الى الصناعة بمصر ورجعت العشاريات بين أيديهما ثم عتبا في احداها الى المقياس وصليا ونزل الثقة صدقة بن أبي

الرداد منزلة وخلق العمود وعاد الخليفة على فوره وركب البحر في العشارى الفضى "والوزير صجته والرهبة
تخدم بر" او يحرا والعساكر طول البر قبالة الى أن وصل الى المقس ورتب الموكب وقدم العشارى بالخليفة
الامر بأحكام الله والوزير المأمون وسار الموكب والرهبة تخدم والصدقات والرسوم تفرق ودخل من باب
القنطرة وقصد باب العيد واعتمد ما جرت به العادة من تقديم الوزير وترجله في ركابه الى أن دخل من باب العيد الى
قصره وتقدم بالخلع على ابن أبي الرداد بدلة مذهبة وثوب ديبقى "حريرى" وطيلسان مقور وبياض مذهب وشقة
سقلاطون وشقة تحتانى وشقة خرو وشقة ديبقى "وأربعة ايكاس دراهم ونشرت قدامه الاعلام الخاص الديبى"
المحائمة بالالوان المختلفة التى لا ترى الاقدامه لانها من حلة تجمل الخليفة وأطلق له رسم البيت من الجور
والشموع والاغنام والحلاوات كثير * قال وهبت المقصورة في منظره السكره برسم راحة الخليفة وتغيير ثيابه
وقد وقعت المبالغة في تعليقها وفرشها وتعبيتها وقدم بين يديه الصوانى الذهب التى وقع التناهى فيها من هم
الجهات من أشكال الصور الآدمية والوحشية من القسلة والزرافات ونحوها المعمولة من الذهب والفضة
والعبر والمرسين المشدود والمظفور عليها المكمل باللؤلؤ والياقوت والزبرجد من الصور الوحشية ما يشبه القيلة
جميعها غير مجنون كخليفة الفيل وناباه فضة وعيناه جوهريتان كبيرتان في كل منهما مسمار ذهب مجرى سواده
وعليه سرير منجور من عود بمسكات فضة وذهب وعليه عدة من الرجال ركبان وعليهم اللبوس تشبه الزرديات
وعلى رؤسهم الخود وبأيديهم السيوف المجردة والدرق وجميع ذلك فضة ثم صور السباع منجورة من عود وعيناه
ياقوتتان حراوان وهو على فرسته وبقيته الوحوش وأصناف تشتمل المرسين المكمل باللؤلؤ وشبه القساكهة
* قال ومن حلة ما وقع الاهتمام به في هذا الموسم ما صار يستعمل في الطراز وان لم يتقدم نظيره للولائم التى تتخذ
برسم تغطية الصوانى عدة من عراضى ديبقى "ثم قوارات شرب تكون من تحت العراضى على الصوانى مفتوح كل
قوارة منهن دون اربعة أشبار سلف كل واحدة منهن خمسة عشر دينار وورق فى كل منهن سبج ذهب عراقى ثمنه
من أربعين الى ثلاثين دينار تكون الواحدة بخمسين دينار ويستعمل أيضا برسم الطرح من فوق القوارات
الاسكندرانى التى تشد على الموائد التى تحمّل من عند كل جهة قوارات ديبقى" مقصور من كل لون محائمة
بالرقم الحريرى مفتوح كل قوارة أربعة اذرع يكون الثمن عن كل واحدة أربعين دينار ولقد بيعت عدة من
القوارات الشرب فسارع التجار العراقيون الى شرائها ونهاية ما بلغ ثمن كل واحدة منهن ستة عشر دينار
وسافر واهلها الى البلاد فبيع لهم منها سوى اثنتين وعادوا بالبقية الى الديار المصرية فى سنة ست وعشرين وخمسمائة
وحفظوا منهن شيئا عن السوق فلم يحفظ لهم رأس مالهون قال وكان ما تقدم من الزبائدى في الطيافير من الصيفى
الى آخر أيام الفضل بن أمير الجيوش وأيام المأمون وانما استجذت الاوانى الذهبى فى أواخر الايام الآمريه
والذى يعبى بين يدى الخليفة قوائمها ضمتها عدة من الطيافير المحمولة بالمرافع الفضة برسم الاطباق الحارة وليس
فى المواسم مائدة بغير سباط للامراء ويجلس عليها الخليفة غير هذا الموسم وان كان يجرى مجرى الاعياد وله
الجور مطلق مثلها وينقر دبالجلوس معه الجلساء المميزون والمستخدمون وعند كمال تعبيتها ويجورها جلوس
الخليفة عليها عن يمينه وزيره وعن يساره أخوه ومن شرف بحضوره وفى آخرها فرق منها ما جرت به العادة على
سبيل البركة * وقال فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة بفتح الخليج وهى برسم الخليفة تحتان
ضمنهما بدلتان احدهما مند يلهها وثوبها طميم برسم المضى "والاخرى جميعها حريرى" برسم العود وكذلك
ما يخص اخوته وجهاته بدلتان مذهبتان وأربع حلل مذهبة وبرسم الوزير بدلة موكبية مذهبة فى تحت وبرسم
أولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة وبرسم جهته حلة مذهبة فى تحت وهو لاه المميزون لكل منهم تحت وبقيته
ما يخص المستخدمين وابن أبي الرداد فى تحوت كل تحت فيه عدة بدلات وحضر متولى الدفتر واستأذن
على ما يحمله برسم الخليفة وما يفرق وما يفصل برسم الخلع وما يخرج من حاصل الخزائن غير الواصل وهو
ما يفصل برسم الغلمان الخاص عن سبعمائة قباء وخمسمائة وشقتان سقلاطون دارى وبرسم رؤساء العشارى
من الشقق الدماطى والمناديل السوسى والقوطة الحرير الاحمر وبرسم النواحية التى برسم الخاص من العشارية
من الشقق الاسكندرانى والكلمات فوق بانفاق جميع ذلك وتفصيل ما يجب منه ثم اتبع ذلك بطالعة
ثانية برسم ما هو مستقر العموم من النقد العين والورق للموسم المذكور وهو من العين أربعة آلاف وخمسمائة

دينار ومن الورق خمسة عشر ألف درهم فوقه باطلاق ذلك وذكر تفصيل الكسوات والهبات بأسماء أربابها وحضر متولى المائدة الآمرية بمطالعة يستدعى ما جرت به العادة في هذا الموسم من الحيوان والضأن والبقر وغير ذلك من الاصناف برسم التفرقة والاسمطة وحضر متولى دوا التبعية يستدعى ما يتنازع به الثمرة والزهرة وهيئة المتعينين لتعبية السكره لاجل حلول الركاب بها ومقامه فيها وتعبية جميع عقاصيرها التي برسم الاستاذين والاصحاب والخواشي وهو مائة دينار فوقه باطلاقها وفي العاشر من الشهر المذكور يعني شهر رجب وفي النبل ستة عشر ذراعاً فتوجه المأمون الى صناعة العمائر بمصر ورمى العشاريات بين يديه وقد جدت وزيت جميعها بالسستور الديني الملوثة والكواخج والاهل الذهب والفضة وشمل الانعام أرباب الرسوم على عادتهم وعدى في احدى العشاريات الى المقياس وخلق العمود بما جرت به عادتهم من الطيب وفرت رسوم الاطلاق وانكفا الى دار الذهب وأمر باطلاق ما يحض الميث في المقياس بجميع الشهود والمتصدرين وهي العشرات من الخبز عشرة قناطير وعشرة خراف شوى وعشر جلمات حلوى وعشر شمعات وأول من يحضر الميث الشريف الخطيب سيد المقرين وامام المتصدرين وله وللجماعة من الدراهم التي تفرق أو في نصيب قال وخرج الخليفة بزي الخلافة ووقارها وناموسها بالثياب الطميمة التي تذهل الابعار والمنديل بالشدّة العربية التي يتفرد بلباسها في الاعياد والموااسم خاصة لاهل الدوام وكانت تسمى عندهم شدة الوقار مرصعة بغالي الباقوت والزمرد والجوهر وعند لباسها تحقق لها الاعلام وتجنب الكلام وباب ولا يكون سلام قريب منه و خليل غير الوزير لا تقبل الارض من بعيد من غير دنو ثم بين يديه من مقدّم خزانته من يحمل سيفه وورمحه المرصعين بأخضر ما يكون ثم المذاب التي كل منها عمود هاذب ويتفرد بجمالها الصقالبة ويمشي بين الصفيين المرتين راجلاً على بسط حرير فرشت له وكل من الصفيين يتناهي في مواصلة تقبيل الارض الى أن وصل الى مجلس خلافته وصعد على الكرسي المغطى بالديباج المنصوب برسم ركوبه وقد صفت الرواض وأزمت الاصطبلات خيل المظلة بعد أن أزال الاغشية الحرير والشقق الديني المذهبة عن السروج وبقيت كما وصفها الله تعالى في كتابه فقدم اليه ما وقع اختياره عليه وأمر بأن يجنب البقية في الموكب بين يديه ولما علا ما قدم اليه استفتح مقرؤ الحضرة وتسلم جميع مقدّمى الركاب ركابه والرواض الشكينة وزال حكم الاستاذين المستخدمين في الركاب وعادت الموالى والا قارب الى محالهم واستدعى بالوزير بجميع نفوته فواصل تقبيل الارض الى أن قبل ركابه وشرّفه بتقبيل يده بحكم خلوتها من قضيب الملك في هذه الموااسم ولما أدى ما يجب من فرض السلام أخذ السيف من الامير افتخار الدولة أحد الامراء الاستاذين المميزين المحنكين متولى خزانه الكسوة الخاص وسلّمه بعد أن قبله لاجله الذي يتولى عمله في الموكب بعد أن أرخت عذته تشر يفاله مدّة جلّسه ما لبوا الموكب ولم يكن للخدمة المذكورة عذبة مرخاة ولا منطقة واستدعى ركوب الوزير وأولاده من عند باب قاعة الذهب وخرج الخليفة من القاعة المذكورة الى اول دهلز فلقته جماعة صبيان ركابه العشرة المقدّمين أرباب الميمنة والميسرة وصبيان وراء صبيان الراسل وصبيان السلام كل منهم في الخدمة المعينة لا يخرج عنها لسواها وجميعهم بالمناديل الشروب المعلقة وبأوساطهم العراض الديني المقصورة وليس الجميع عبيد اشراء ولا سودان بل مولدة وأولاد أعيان وأهل فهم ولسان ثم احتاط بركابه بعدهم من هو على غير زعيم بل بالقنايز المقرّجة والمناديل السوسى وهم المتولون لحمل السلاح الخاص الذي لا يكون الا في موكبهم خاصة على الاستمرار من الصواري والفرجيّات والديابيس والتوت والصماصم بالدق الصيني والنجني بالكواخج والفضة والذهب ويحصل الاستدعاء من صبيان السلام في مسافة الدهالز لكل من هو مستخدم في الموكب ركوبه من محل جيبته الى أن خرج الخليفة من باب الذهب وقد ضربت الغريية وأبواق السلام واجتمع الرهج من كل مكان ونشرت المظلة فاجتمع اليها الزبيلة بالعدد الغريية وظلالها وسارت بسيرة والقرآن الكريم عن يمينه ويساره والحريية الصبيان المتشدون واجمّة الموكب يجملته على ما ذكر أولاً والترتيب أمامه متولى الباب وحجابه وتلو متولى الستر وكل منهم على حكم المدايح التي وصلت اليه لاسيلا الى الخروج عمارم فيها وسار بجملته موكبه على ترتيب أو ضاعه بين حصنين مانعين من طوارق عساكره فارسها واوراجلها

كل طائفة يقدمها زمامها وقد ازدجوا في المصنفات بالعدد المذهبة الحربية والالات الماتعة المضيئة
وليس بينهم طر يق لسالك وقد زين لهم جميع ما يكون أمامهم من الطرق جميعها حوائثها وآدنها وجميع
مسكنها وأبواب حاراتها بأنواع من الستور والدياج والديقي على اختلاف اجناسها ثم بأصناف السلاح
وملات النظارة الفجاج والبطاح والوهاد والربا والصدقات والرسوم وتم أهل الجانبين من أرباب الجوامع
والمساجد وبوابي الابواب والسقائين والفقراء والمساكين في طول الطريق الى أن أظلم على الخيام المنصوبة
فوق عوكبه واستدعى الوزير بعده من مقدمي ركابه فاجتاز راكبا بمجفده وجمع حاشيته بسلاحهم رجاله
في ركابه بعد أن بالغ في الايماء بتقبيل الارض أمامه فرد عليه بكمه السلام وعاد الخليفة في سيره بالوكب بعد
أن حصل الوزير أمامه وترجل جميع من شرف بحجبه في ركابه وآخرهم متولى حمل سيفه ورحمه وصبيان
السلام يستدعون كل منهم الى تقبيل الارض بجميع نعوته اكرامه وتمييزا واحتسا طوابركه ووصل الى
المضارب في الحرس الشديد على ابوابها وسرادقاتها من كل جانب وقد شين واجاهه من حصل بها ويمكن من
الدخول اليها وترجل الوزير في الدهليز الثالث من دها ليزها وتقدم الى الخليفة وأخذ شكية الفرس من
يد الرؤاض وشق به الخيام التي جعت جميع الصور الآدمية والوحشية وقد فرشت جميعها بالسطر الجهرمية
والاندلسية الى أن وصل الى القاعة الكبرى فيها وترجل على سرير خلافته وجلس في محل عظمته وأجلس وزيره
على الكرسي الذي اعتله واحتاط به المستخدمون بحمل السلاح المنتصب جميعه وجبوا العيون عن النظر اليه
وصف بين يديه الامراء والضيوف والمشرّفون بمجيبته وختم المقرئون القرآن العظيم وقدم عدى الملك النائب
شعراء المجلس على طبقاتهم وعند انقضاء خدمة آخرهم عادت المستخدمون والرؤاض مقدمة ما أمر وابه من
الدواب فعلاه الخليفة والوزير يمسك الشكية بيده واتظم موكبا عظيما والقرناء عوض الرجعية والجماعة في ركابه
رجالة على حكم ما كانوا عليه أتولا وصعد من القاعة التي في دها ليز الباب القبلي منها فخرج منه وانفصلت خدمة
جميع الامراء والضيوف من ركابه بأحسن وداع من تقبيل الارض وصعد الخليفة ووزيره وأولاده واخوته
والاصحاب والحواشي الى السكرة وهي من جنات الدنيا المزخرفة وتلقاه أخوه بعظمة سلامه وتقبيل الارض بين
يديه وجلس لوقته وفتحت الطاقات التي في المنطرة وعن يمينه وزيره وعن يساره أخوه جالسان واعتمد الناس
جميعهم عند مشاهدته تقبيل الارض له وادامة النظر نحوه والمستخدمون جميعهم على السدم مشدودي
الايواسط واقفين عليه فلما أمرهم الوزير أن يكسروه قبلوا الارض جميعا وانصرفوا عنه وتولته الفعلة في
البساتين السلطانية بالفتح من الجانبين والقرآن والتكبير من الجانب الغربي حيث الخليفة والرهج واللعب من
الجانب الشرقي ولما اكل فتحه انحدرت العشاريات عن آخرها اللطيف منها يقدم الكبير والجميع من ينه بالذهب
والفضه والستور المرقومة ورؤساؤهم وخداهم بالكسوات الجميلة وبعد ذلك غلقت الطاقات وحل الخليفة
بالمقصورة التي راحته وكذلك الوزير وأولاده واخوته وجميع الامراء الاستاذين والاصحاب والحواشي
واستدعى للوقت والى مصر من البر الشرقي وخلع عليه بدلة منديلها وثوبها مذهبان وثوبان عتابي
وسقلاطون وقبل الارض من تحت المنطرة وعدى في البحر الى حفظ مكانه ثم استدعى بعده حامي البساتين
ومشارفها فخلع عليهم بدلتين حريري وثوبين سقلاطون وعتابي ثم متولى ديوان العبا ترك ذلك ثم مقدمي الرؤساء
كذلك واعتمد كل من سلم اليه الاثباتات المشتعلة على أصناف الانعام من العين والورق وصواني الفطرة والموائد
التي يهتم بها جميع الجهات والخراف المشوية والجامات الحلواء تفرقة ذلك على مارسم وهو شامل غير مخصص
من أنجي الخليفة والوزير الى الاصحاب والحواشي من أرباب السيوف والاقلام ثم الامراء المستخدمين
والضيوف المميزين من الاجناد وغيرهم من الادوان ممن تعلق به خدمة تختص بالموسم من البحارة وأرباب
اللعب وغيرهم وعينت الاسمطة في المسطحات المنصوبة لها بالجانب من الباب الغربي من الخيام وأمر
الوزير أخاه بالمضي اليها والجلوس عليها فتوجه وبين يديه متولى حجية الباب وثوابه والمعروفة والحجاب
واستدعت الامراء والضيوف بالسقاة من خيامهم وأجلس **ك**ل منهم على السباط في موضعه على
عادتهم وتلاهم العساكر على طبقاتهم ولم يمنع حضورهم ما يسير لكل منهم من جميع ما ذكر على **ك**نهم ميزته
ولما انقضى حكم الاسمطة المختصة بالامراء الكبار عاد أخو الوزير الى حيث مقر الخلافة وبقي متولى الباب

جالسا لا سمطة العبيد وجميع المستخدمين من الراجل والسودان وعينت المائدة الخاص بالخدمة التي
ما يحضرها الا العوالى الخاص المستخدمين في الخدم الكبار ويجمع له حالتان حضوره في أشرف مقام
وجلوسته في محل يحصل له به حرمة ودمام وجلس الخليفة عليها وأخوه على شماله ووزيره على يمينه بعد أن أدى
كل منهم ما يجب من سلامه وتعظيمه وحضر أولاد الوزير وأخوته والشيخ أبو الحسن كاتب الدفت وابنه سالم
ومن الاستاذين المحنكين أرباب الخدم وجرى الحال في المائدة الشريفة على ما هو مألوف وفترق من جلستها الكل
من أرباب الخدم الذين لم يحضر واعليها ما هو اكل منهم على سبيل الشرف وتميز في ذلك اليوم خاصة ما يختص
بالقاضي وشهوده والداعي وابن خاله الذين يخصصون عن سواهم بمقامهم دون غيرهم في قاعة الخيمة الكبرى أمام
سرير الخلافة المنصوب مدة النهار مع ما يحمل اليهم من الموائد وغيرها مما هو بأسمائهم في الاثباتات مذكور
ولما تكامل وضع المائدة وانقضى حكمها قبل كل من الحاضرين الارض وانصرف بعد أن استعجب منها
ما تقتضيه نفسه على حكم الشرف والبركة ويقضى بعد ذلك القرائض الواجبة في وقتها ولا بد من راحة بعدها
وحضر مدة ما الركاب وحاسبا كاتب الدفت على ما معهم ما يرسم بفرقة الرسوم والصدقات في مسافة الطريق
فكمل اهما على ما بقى معهم مثل ما كان أولا ولما استحق العود عاد كل من المستخدمين الى شغل من ترتيب
الموكب ومصفات العساكر وترتيب من يشرف بالحضرة من الامراء والضيوف وفترقت الصوالى الخاص التي
تكون بين يدي الخليفة مدة النهار الجامعة للثروة من كل جهة والزينة من كل معنى والغربة من كل صنف
وقد جمعت ملاذ جميع الخوام والعدة منها يسيرة وليس ذلك لتقصير من هم الجهات التي تتنوع فيها بالغرائب
بل للتعب الشديد عليها ثم لضيق الزمان لأن كلامها الامندوحة أن يكون فيه زهرة وثمره وطول المكث
كذلك يتلف ما فيها واذا شملت مع قلتها من له الوجهة العالية من أخى الخليفة والوزير لم يكن له غير صينية
واحدة وأخذ كل من الحاشية أهبة تجمله لموضع ميزته وغير الخليفة ثيابه بما يقتضيه الموكب وهو بدلة
حريري بشدة الوقار وعلم الجوهر وسير الى الوزير محبة مقدم خزائن الكسوة الخاص على يد المستخدمين
عنده من الاستاذين من جلة بدلات الجمع التي يتوجه منها الى زيه ما يؤمر به من يسعي اليه بدلة مكملة حريري
ومنديلها بياض بالشدة الدانية غير العربية ولما لبس ما سير اليه وحضر بين يديه لشكر نعمته أمره بركوب
أخيه في احدى العشاريات فامثل أمره وتوجه بحبته من السكرة بجميع خواصه وحواشيه وفتح لهم
الباب الذي هو منها بشاطئ الخليج وقدم له احدى العشاريات الموكبية وفيها مقدم رياسة البحرية فركب فيها
بجمعه والوزير واقف راجل على شاطئ الخليج خدمته الى أن انحدرت العشاريات جميعها فقامه ومراكب
العب بغير أحد من أرباب الراجل والمستخدمون في البرين يمنعون من يقاربوه والمتفرجون لا يصدتهم ويرددهم
ما يحل بهم بل يرمون أنفسهم من على الدواب ويسرون بسيره وعاد الوزير الى السكرة فلما شاهد الخليفة
الدواب الخاص التي يرسم ركوبه أمره بما وقع عليه اختياره منها وعلاه فاحتاط بركابه مقدموا الركاب
واستفتح القراء وخرج من باب السكرة ودخل من باب الخليفة القبلي وشق قاعته على سرير ملكته وخص
بالسلام فيها شيخ الكتائب العوالى والقاضي والداعي ومن معهم ما ولهم بذلك ميزة عظيمة يختصون بها
دون غيرهم وخرج منها الى البستان المعروف بنزار وسار في ميدانه وجميعه من الجانبين سور معقود من شجر
نارنج اصولها مقترقة وفروعها مجتمعة وظلت الطريق وعليها من الثمرة التي أخرجهما من وقتها الى هذا اليوم
وقد خرجت بهجتا عن المعتاد وحصل عليها ثمرة سنتين احداهما انتهت والاخرى في الابتداء وهو بهيئته وزيه
وترتيب عساكره وأمرائه وخرج من الباب بعد أن عم من له رسم بانعامه وعاد الراجل والموكب على ما كان عليه
فلما وصل الى السدة الذي على بركة الحبش كسر بين يديه * (وقال في كتاب الذخائر) * ان مما اخرج من القصر
في سنة احدى وستين وأربع مائة في خلافة المستنصر قبة العشارى وقاربه وكسوة رحله وهو مما استعمله
الوزير أحمد بن علي الجرجري في سنة ست وثلاثين وأربع مائة وكان فيه مائة ألف وسبعة وستون ألفا
وسبعمائة درهم فضة نقرة وان المطلق لصناع الصاغة عن اجرة ذلك وفي ثمن ذهب لطلاته خاصة ألفان وسبعمائة
دينار وعمل ابوسهل التستري لوالدة المستنصر عشاريا يعرف بالقضى وحلى رواقه بفضة تقديرها مائة ألف
وثلاثون ألف درهم ولزم ذلك اجرة الصناعة وطلاته بعضه ألفان وأربع مائة دينار واستعمل كسوة برسمه

بمال جليل وأتفق على العشاريات التي برسم النزه البحرية التي عدتها ستة وثلاثون عشاريا بالتقدير بجميع
آلاتها وكساها وحلاها من مناطق ورؤس مجبوقات واهلة وصفريات وغير ذلك أربع مائة ألف دينار * وقال
ابن الطوير اذا أذن الله سبحانه وتعالى بزيادة النيل المبارك طالع ابن أبي الراداد بما استقر عليه أذرع القاع
في اليوم الخامس والعشرين من بؤونة وأرخه بما وافقه من أيام الشهر العربي فعلم ذلك من مطالعته
وأخرجت الى ديوان المكاتب قزات في السير المرتب بأصل القاع والزيادة بعد ذلك في كل يوم تؤرخ بيومه
من الشهر العربي وما وافقه من أيام الشهر القبطي لا يزال كذلك وهو محافظ على كتمان ذلك لا يعلم به أحد
قبل الخليفة وبعده الوزير فاذا انتهى ذراع الوفاء وهو السادس عشر الى أن يبقى منه اصبع أو اصبعان
وعلم ذلك من مطالعته أمر أن يحمل الى المقياس في تلك الليلة من المطامخ عشرة قناطير من الخبز السميد
وعشرة من الخراف المشوية وعشرة من الحمامات الحلواء وعشر شععات ويؤمر بالمبيت في تلك الليلة بالمقياس
فيحضر اليه قراء الحضرة والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة ومصر ومن يجري مجراهم فيستعملون ذلك ويقعدون
الشمع عليهم من العشاء الآخرة وهم يملون القرآن برفق ويطنون بمكان التطريب فيختمون الختم الشريفة
ويكون هذا الاجتماع في جامع المقياس فيوفى الماء ستة عشر ذراعا في تلك الليلة ولو فاء النيل عندهم
قدر عظيم ويتجهجون به استهاجا زائدا وذلك لانه عمارة الدبار وبه التمام الخلق على فضل الله فيحسن عند الخليفة
موقعه ويهتم بأمره اهتماما عظيما كثر من كل المواسم فاذا أصبح الصبح من هذا اليوم وحضرت مطالعة
ابن أبي الراداد اليه بالوفاء ركب الى المقياس لتخليقه فيستدعي الوزير على العادة فيحضر الى القصر فيركب
الخليفة برى أيام الركوب من غير مظلة ولا ما يجري مجراها بل في هيئة عظيمة من الثياب والوزير تابعه في الجمع
الهائل على ترتيب الموكب ويخرج شاقا من باب زويلة وسالكا الشارع الى آخر الركن من بستان عباس
المعروف اليوم بسيف الاسلام فيعطف سالكا على جامع ابن طولون والجسر الأعظم بين الركنين الى
الساحل بمصر الى الطريق المسلوكة على طرف الخشابين الشرقي على دار الفاضل الى باب الساعة بجوار هارله
دهليز ماذ بمصاطب مفروشة بالحصر العبداني بسطا وتأزيرا فيشقها الوزير تابعه فيخرج منها منعظا على
الصناعة الاخرى وكانت برسم المكس الى السيوفيين ثم على منازل العز التي هي اليوم مدرسة ثم الى دار الملك
فيدخل من الباب المقابل لسوكة فيتبرجل الوزير عنده للدخول بين يديه ماشيا الى المكان المعتدله ويكون
قد حل أمس ذلك اليوم من القصر البيت المتخذ للعشاري الخاص وهو بيت ثمن من عاج وأبنوس عرض كل
جزء ثلاثة أذرع وطوله قامة رجل تام فيجمع بين الاجزاء الثمانية فيصير بيتا دوره أربعة وعشرون ذراعا وعليه
قبة من خشب محكم الصناعة وهو بقبته ملبس بصفائح الفضة والذهب فيتسله رئيس العشاريات الخاص
ويركبه على العشاري المختص بالخليفة ويجعل باكر ذلك اليوم الذي يركب فيه الخليفة على الباب الذي
يخرج منه الركوب الى المقياس فاذا استقر الخليفة بالمنظرة بدار الملك التي يخرج من بابها الى العشاري وأسند
اليه استدعي الوزير من مكانه فيحضر اليه ويخرج بين يديه الى أن يركب في العشاري فيدخل البيت المذهب
وحده ومعه من الاستاذين المحنكين من يأمره من ثلاثة الى أربعة ثم يطلع في العشاري خواص الخليفة خاصة
ورسم الوزير اثنان أو ثلاثة من خواصه وليس في العشاري من هو جالس سوى الخليفة باطنا والوزير ظاهرا
في رواق من باب البيت الذي هو يعرف انيس من الجانبين قائمة مخروطة من أخف الخشب وهي مدهونة مذهبة
وعليها من جانبها ستور معمولة برسمها على قدرها فاذا اجتمع في العشاري من حوت عادته بالاجتماع اندفع
من باب القنطرة طال الباب المقياس العالي على الدرج التي يعلوها النيل فيدخل الوزير ومعه الاستاذون بين يدي
الخليفة الى الفسقية فيصلي هو والوزير ركعات كل واحد بمفرده فاذا فرغ من صلاته أحضرت الآلة
التي فيها الزعفران والمسك فيدها يده بالة ويتناولها صاحب بيت المال فيتناولها ابن أبي الراداد فيلقى نفسه
في الفسقية وعليه غلاته وعمامة والعمود قريب من درج الفسقية فيعلق فيه برجليه ويده اليسرى ويحلقه
بيده اليمنى وقراء الحضرة من الجانب الاخر يقرؤن القرآن نوبة بنوبة ثم يخرج على فور راكبا في العشاري
المذكور وهو بالخيار اما أن يعود الى دار الملك ويركب منها عاذا الى القاهرة أو ينحدر في العشاري الى المقس
فيتبعه الموكب الى القاهرة ويكون في البحر في ذلك اليوم ألف فرقة مشحونة بالعالم قرا بوفاء النيل وينظر

الخليفة فاذا استقر بالقصر اهتتم بركوب فتح الخليج وفيه همة عظيمة ظاهرة للاهتمام بذلك ثم يصير ابن أبي
الرداد باكر ثاني ذلك اليوم الى القصر بالاوان الكبير الذي في الشباك الى باب الملك بجواره فيجد خلعة
معبية هنالك فيومر بلبها ويخرج من باب العبد شاقا بين القصرين من اوله قصدا لاشاعة ذلك فان ذلك
من علامة وفاء النيل ولاهل البلاد الى ذلك تطلع وتكون خلعة مذهبة وكان من العدول المحتكين فيشترف
في الخلعة بالطيلسان المقور ويندب له من التغيرات ولين يريده خمس تغيرات مركات بالخلي ويحمل أمامه
على أربع بغال مع أربعة من مستخدمي بيت المال أربعة ايكاس في كل كيس خمسائة درهم ظاهرة في
اكفهم ويحجته أقاربه وبنوعه وأصدقاؤه ويندب له الطبل والبوق ويكنف به عدة كثيرة من المتصرفين
الرجالة فيخرج من باب العبد ويركب احدى التغيرات وهي أميزها وشترف أمامه بجملين من النقارات التي
قدمنا ذكرها يعني في ركوب اول العام من زى الموكب نيسير شاقا القاهرة والابواق تضرب أمامه بكارا
وصغارا والطبل وراءه مثل الامراء وينزل على كل باب يدخل منه الخليفة ويخرج من باب القصر
فيقبله ويركب وهكذا يعمل كل من يخلف عليه من كبير وصغير من الامراء المطوقين الى من دونهم سيفا
وقلما ويخرج من باب زويلة طالبا بمصر من الشارع الاعظم الى مسجد عبد الله الى دار الانماط جازا على
الجامع الى شاطئ البحر فيعدى الى المقياس بجملعه واكاسه وهذه الاكاس معدة لارباب الرسوم عليه في خلعه
ولنفسه ولبنى عه بتقرير من اول الزمان فاذا انقضى هذا الشأن شرع في الركوب الى فتح الخليج ثاني يوم وقد كان
وقع الاهتمام به منذ دخلت زيادة النيل ذراع الوفاء اهتماما عظيما فيعمل في بيت المال من التماثيل شكل
الوحوش من الغزلان والسباع والقبيلة والزرافات عدة وافرة منها ما هو ملبس بالعنبر ومنها ما هو ملبس
بالصندل ثم شكل التفاح والارجح اللطيف والوحوش مفسرة الاعين والاعضاء بالذهب الى غير ذلك ثم تخرج
الخيمة التي يقال لها القاوول لان فراشا سقط من أعلى عمودها فان فسميت بذلك وطوله سبعون ذراعا واعلاه
صفريه فضة تسع راوية ماء وعليه الفلكة التي كانت في الايوان الى قريب الوقت ثم يعمل في اول العمود وشقة
دائرة ثم اوسع منها ويتوالى ذلك الى احدى عشرة شقة قصيرة الخيمة ما يزيد على قدانين مستديرة وتنصب
في بر الخليج الغربي على حافته مكان بستان الحلي اليوم وكانت ثم منظره يقال لها السكره برسم جلوس
الخليفة لفتح الخليج في مثل هذا اليوم وينصب أرباب الرتب من الامراء من بحري تلك الخيمة الكبرى خياما
كثيرة ويخارون فيها على قدر همتهم وضربهم اياها في الاماكن الاقرب فالاقرب على قدر رتبهم فاذا تم ذلك
وعزم الخليفة على الركوب ثالث يوم التخليق أو رابعه أخرج كل من المستخدمين في المواضع المتقدم ذكرها
في ركوب اول العام آلات الموكب على عادته ويزاد فيه اخراج أربعين بوقا عشرة من الذهب وثلاثون من
الفضة ويكون بواقها ركباناً وأرباب الابواق الخماس مشاة ومن المطبول الكبار التي مكان خشبها فضة عشرة
فاذا حضر الوزير الى باب القصر خرج الخليفة في هيئة عظيمة وهمة عالية وقد تضاعفت هم الاجناد في ذلك
اليوم فارسها وراجلها ويخرج زى الخليفة من المظلة والسيف والرمح والالوية والدواة وغير ذلك من الاستاذين
المتنصكين ويركب في ذلك اليوم من الاتارب المقيمين بالقصر عشرون أو ثلاثون وهم بالنوبة في كل سنة
فيستقدمون الى المنطرة في مكان لهم محبة استاذين خدمتهم وحفظهم ويكون قد لفت عمود الخيمة الكبرى
المشار اليها ما يديج أبيض أو أحمر أو أصفر من أعلاه الى أسفله وينصب مسندا اليه سرير الملك ويغشى
بقرقوني وعرايسه ذهب ظاهرة فيخرج الخليفة للركوب ويركب فيخرج من باب القصر وعليه ثوب يقال له البدنة
وهو كله ذهب وحرير حر قوم والمظلة من شكله ولا يلبس هذا الثوب في غير هذا اليوم ويسير بالموكب الهائل
شاقا القاهرة من الطريق التي ركب منها التخليق المقياس الا انه لا يدخل طرق مصر من الخشابين بل خارجها
من طريق الساحل فاذا اجاز على جامع ابن طولون وجد قد ربط من رأس المنارة من مكان العشارى الخماس
حبل طويل قوى موضوع آخره في الطريق وفيه قوم يقال لهم الختارية واحد في زى فارس على شكل فرس
وفي يده رمح ويكنفه درقة فيخدر على بكرة وفي رجله آخر ممسكها وهو يتقلب في الهواء بطنا وظهرا حتى يصل
الى الارض ويكون قاضى القضية وأعيان الشهود جلوسا في باب الجامع من هذه الجهة فاذا اوازا هم الخليفة
وكافوا قدر كبروا وقف لهم وقفة فيسلم على القاضي ثم يدخل فيقبل الرجل التي من جانبه لا غير ويدخل بالشهود

في القرجة أمام وجه الدابة بمقدار قصبية المساحة فيسلم عليهم ويرجعون الى دوابهم فيركبون ويكون قد نصب لهم بالقرب من الخيمة الكبرى خيتمان احدهما دياج أحمر والاخرى ديقق أبيض بصفارى فضة لكل واحدة فيتم الخليفة يهيمته الى أن يدخل من باب الخيمة ويكون الوزير قد تقبضه على الغداة ليجده فيجده راجلا على باب الخيمة فيمشي بين يديه الى سرير الملك فينزل ويجلس على المرتبة المنصوبة فيه ويحيط به الاستاذون المحنكون والامراء المطوقون بعدهم ويوضع للوزير الصكرى الجارى به عاذته فيجلس عليه ويجلاه تحك الارض ويقتب أبواب الرتب صافين من ناحية سرير الملك الى ناحية الخيمة والقراء يقرؤون القرآن سمحة زمانية فاذا ختموا قراءتهم استاذن صاحب الباب على حضور الشعراء للخدمة بما يطلق هذا اليوم فيؤمر بتقديمهم واحدا بعد واحد ولهم منازل على مقدار أقدارهم فالواحد يتقدم الواحد بخطوة في الانشاد وهو أمر معروف عند مستخدم يقال له النائب وتقدم شاعر يقال له ابن جبرؤأنة أقصيدة منها

فتح الخليج فسال منه الماء * وعلت عليه الزاية البيضاء

قصفت موارده لنا فكانه * كف الامام فعرفها الاعطاء

فاتقد الناس عليه في قوله فسال منه الماء وقالوا اى شئ يخرج من البحر غير الماء فضيع ما قاله بهد هذا المطلع وتقدم شاعر يقال له مسعود الدولة بن جرير وأنشد

ما زال هذا السد يتطرقحه * اذن الخليفة بالنوال المرسل

حتى اذا برزا الامام بوجهه * وسطا عليه كل حامل معول

فجرى كأن قد ديف فيه غير * يعساوه كافر بطيب المنديل

فاتقدوا عليه ايضا قوله في البيت الثانى وقالوا أهلك وجه الامام بسطوات المعاول عليه وان كان قصد فتح السد بالمعاول لكنه ما نظم الا فلقا ثم تقدم له شاعر شاهد يقول له كفى الدولة ابو العباس اجد وأنشد قصيدة شهد له جماعة منهم القاضي الاثير بن سنان فانه عملها بحضوره بنينا

لمن اجتماع الخلق في ذا المشهد * للنيل أم لك يا ابن بنت محمد

أم لا اجتماعكم معاني موطن * وافيقا فيه لا صدق موعد

ليس اجتماع الخلق الا للذى * حاز الفضيلة منك في المولد

شكروا لكل منك لو فاته * بالسعى لكن ميلهم للوجود

ولن اذا اعتمد الوفاء ففعله * بالقصد ليس له كمن لم يقصد

هذا بنى ويعود بنقص تارة * وتسد أنت النقص ان لم يرد

وقواه ان بلغ النهاية قصرت * واذا بلغت الى النهاية بتدى

قالا قد ضاقت مسالك سعيه * بالسد فهو به بحال قيد

فاذا أردت صلاحه فافتح * ليرى جنايا محصيا وترى ندى

وأمر بفصد العرق منه فاشكا * جسم فصع الجسم ان لم يفصد

واسلم الى امثال يومك هكذا * في عيش مغسوط وعز مخلد

فأمر له على الفور بخمسين دارا وخلق عليه وزيد في جاريه ثم يقوم الخليفة عز السريرا كوا الوزير بين يديه حتى يطلع على المنطرة المعروفة بالسكره وقد فرشت بالفرش المعدة لها فيجلس فيها ويتهيأ أيضا للوزير مكان يجلس فيه ويحيط بالسد حامى البساتين ومشارفها لانه من حقوق خدمتهم ما يفتح احدى طاقات المنطرة ويطل منها الخليفة على الخليج وطاقة تقاربها يتطلع منها استاذن الخواص ويشير بالفتح فيفتح بأيدي عمال البساتين بالمعاول ويخدم بالطبل والبوق من البرين فاذا اعتدل الماء في الخليج دخلت العشاريات اللطاف ويقال لها السماويات وكانها خدم بين يدي العشارى الذهبي المقدم ذكره ثم العشاريات الخاص الكبار وهي ستة الذهبي المذكور والفنى والاحمر والاصفر واللازوردى والحقلى وكان أنشاء نجار من رؤسا الصناعة صقلى وزاد فيه على الانشاء المعتاد فنسب اليه وهذه العشاريات لا تخرج عن خاص الخليفة في أيام النيل وتحوطه الى اللؤلؤة للفرجة وسارت في الخليج وعلى بيت كل منهما الستور الدينى الملوثة وبرؤسها وفي أعناقها الالهة وقلائد من

الحرز قسند الى البر الذي فيه المنطرة الجالس فيها الخليفة فاذا استقر جلوس الخليفة والوزير بالمنطرة ودخل قاضي القضاة والشهود التحية الديني البيضاء وصلت المائدة من القصر في الجانب الغربي من الخليج على رؤس القراشين صحبة صاحب المائدة وعلتها مائة شدة في الطيافير الواسعة وعليها القوارات الحبر ورفوقها الطراحات ولها رواء عظيم ومسك فاتح فتوضع في خيمة واسعة منصوبة لذلك ويحجل للوزير ما هو مستقره بعادة جارية ومن صواني التماثيل المذكورة ثلاث صوان ويخصص منها أيضا لاولاده واخوته خارجا عن ذلك اكراما وافتقادا ويحجل الى قاضي القضاة والشهود شدة من الطعام الخاص من غير تماثيل توقيع الشرع ويحجل الى كل أمير في خيمته شدة طعام وصينية تماثيل ويصل من ذلك الى الناس شيء كثير ولا يزالون كذلك الى أن يؤذن بالظهور فيصلحون ويقبضون الى العصر فاذا أذن به صلى وركب المركب كله لا انتظار ركوب الخليفة فيركب لابسا غير البدنة بل بهيئته والمظلة مناسبة لثيابه التي عليه والهيئة والترتيب بأجمعه على حله وبسير في البر الغربي من الخليج شاقا البساتين هناك حتى يدخل من باب القنطرة الى القصر والوزير تابعه على الرسم المعتاد ويمر فيه للقوم أحسن الايام ويمضي الوزير الى داره محمد وما على العادة * وقال في كتاب الذخائر والخف أن المستعمل من الفضة ثمة العشاري المعروف بالمقتم وقاويه وكسوة رحله في سنة ست وثلاثين وأربع مائة في وزارة علي ابن أحمد الجرحاوى مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبعمائة درهم نقرة وأن المطلق للصناع عن أجرة الصناعة وفي ثمن ذهب لطلانه خاصة ألفان وتسعمائة دينار وسبعون وثلث الفضة في ذلك الوقت كل مائة درهم ستة دنانير وربع سعة عشر درهما دينار ولما توفي أبو سعيد سهل التستري الواسطة سنة ست وثلاثين وأربع مائة استعمل لأم المستنصر عشاريا يعرف بالقضي وحلى رواقه بقضة تقديرها مائة ألف وثلثون ألف درهم ولزم ذلك أجرة الصناعة وطلاء بعضه ألفان وأربع مائة دينار سوى كسوة له بال جليل والمنفق على ستة وثلاثين عشاريا برسم التزه البحرية لاكتساب حلاها من مناطق ورؤس منحوقات وأهله وصغريات وغير ذلك أربع مائة ألف دينار وكانت العادة عندهم إذا حصل وفاء النيل أن يكتب الى العمال فحما كتب من انشاء تاج الرياسة أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان الصيرفي * أما بعد فإن أحق ما وجبت به الهنئة البشرية وغدت المسار متشرة تتوالى وتترى وكل من اللطائف التي غمرت بالمنة العظمى والنعمة الجسيمة الكبرى ما استدعى الشكر لموجد العالم وخالقه وظلت النعمة به عامة لصامت الحيوان وناطقه وتلك الموهبة بوفاء النيل المبارك الذي يسره الله تعالى وله الحمد يوم كذا فإن هذه الهبة تؤدى الى خصب البلاد وعمارها وشمول المصالح وغزارتها وتفضي بتضاعف المنافع والخيرات وتكثر الارزاق والاقوات يتساهم الفائدة فيها جميع العباد وتنتهي البركة بها الى كل دان وناء وكل حاضر وباد فأدع هذه النعمة فبك وانشرها في كل من يدبر عملا وحتمهم على مواصلة الشكر لهذه اللطاف الشاملة لهم ولك فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى وكتب أيضا ان اول ما تضاعف به الابتهاج والجدل وانفتح فيه الرجاء واتسع الأمل ما عظم نفعه صامت الحيوان وناطقه وأحدث لكل احد اعتبارا بآلومه وإلى أن لا يفارقه وذلك مما من الله به من وفاء النيل المبارك الذي يحيي به كل أرض موات وتكسي بعد اقشعرارها حلة النبات ويكون سبيل لتوافر الاقوات فله وفي المقدار الذي يحتاج اليه فلتدع هذه المنبة في القاصي والداني لتستعمل الكفاية بينهم ضرور البشائر والتهاني ان شاء الله تعالى وكتب أيضا من لطف الله الواجب حده اللازم شكره وفضله الذي لا يمل بشره ولا يسأم ذكره ومنه الذي استبشر به الانام وتضاعف فيه الانعام ومثل الله الحياة به في قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام أكله النيل المبارك الذي يعم التجود والتهائم وتلطف به الخلائق وترتع فيما ينظرونه الهائم وقد توجه اليك بهذا الكتاب بهذه البشرية فلان فأجره على رسمه في اظهاره مجلا وايصاله الى رسمه مكمل واذا عظم هذه النعمة على الكفاية ليتساهموا الاعتبار بها وبها الغوا في الشكر لله سبحانه وتعالى بمقتضاها وعلى حسبها فاعلم ذلك واعمل به ان شاء الله تعالى

* (منظرة الدكة) * وكان من جملة مناظر الخلفاء الفاطميين منطرة تعرف بالدكة لها بستان عظيم بجوار القصر فيما بينه وبين أراضي اللوق وما زالت باقية حتى زالت الدولة وحكم مكان البستان وصار خطة تعرف الى اليوم

بخط الدكة غرقت المنطرة وزال أثرها قال ابن عبد الظاهر الدكة بالمقس كانت بستانا وكن الخليفة اذا ركب من كسر الخليج من السكر بمظلمته يسير في البر الغربي ومضارب الناس والامراء وخيهم عن يمينه وشماله الى أن يصل الى هذا البستان المعروف بالدكة وقد غلقت أبوابه ودهاليزه فيدخل اليه بمفرده ويسبق منه القرم الذي تحته وهي قضية ذكر المؤرخ للسيرة المأمونية انهم كانوا يعتمدونها الى آخر وقت ولم يعلم سببها ثم يخرج ويسير الى أن يقف على التربة الا في ذكرها ويدخل من باب القنطرة وينزل الى القصر والدكة الآن آدرو حارات شهرتها تغني عن وصفها فسبحان من لا يتغير * وقال ابن الطوير عن الظاهر لا عزازدين الله أبي هاشم على بن الحاكم بأمر الله كان بمنطرة يقال لها الدكة بساحل المقس يعني انه مات بها

* (منطرة المقس) * وكان من جملة مناظرهم أيضا منطرة بجوار جامع المقس الذي تسميه العامة اليوم جامع المقسى وكانت هذه المنطرة بجري الجامع المذكور وهي مظلة على النيل الاعظم وكان حينئذ ساحل النيل بالمقس وكانت هذه المنطرة معدة لنزول الخليفة بها عند تجهيز الاسطول الى غزو الفرنج فحضر رؤساء المراكب بالشواني وهي مزينة بأنواع العدد والسلاح ويلعبون بها في النيل حيث الآن الخليج الناصري تجاه الجامع وما وراء الخليج من غريبه قال ابن المأمون وذكر تجهيز العساكر في البر عند ورود كتب صاحب دمشق وطلب في سنة سبع عشرة وخمسائة ما بحث على غزو الفرنج ومسيرها مع حسام الملك وركب الخليفة الآخر بأحكام الله وتوجه الى الجامع بالمقس وجلس بالمنطرة في أعلاه واستدعى مقدم الاسطول الثاني وخلع عليه وانحدرت الاساطيل مشحونة بالرجال والعدد والآلات والاسلحة واعتمد ما حرت العادة به من الانعام عليهم وعاد الخليفة الى البستان المعروف بالبلع الى آخر النهار وتوجه الى قصره بعد تفرقة جميع الرسوم والصدقات والهبات الجارية بها العادة في الركوبات * وقال ابن الطوير فاذا تكملت النفقة وتجهزت المراكب وتهيأت للسفر ركب الخليفة والوزير الى ساحل المقس وكان هناك على شاطئ البحر بالجامع منطرة يجلس فيها الخليفة يرسم وداعه يعني الاسطول ولقائه اذا عاد فاذا جلس هو والوزير للوداع جاءت القواد بالمراكب من مصر الى هناك للعركات في البحر بين يديه وهي مرسية بأسلحتها ولبوسها وفيها المنجنيقات تلعب فتخدر وتقطع بالبحايف كما يفعل في لقاء العدو بالبحر الملح ويحضر بين يدي الخليفة المقدم والرئيس فيوصيهما ويدعوا للجماعة بالنصرة والسلامة ويعطى المقدم مائة دينار والرئيس عشرين ديناراً وتحدرا الى دمياط وتخرج الى البحر الملح فيكون لها يبلاد العدو وصيت وهيبة فاذا وقع لهم مركب لا يسألون عما فيه سوى الصغار والرجال والنساء والسلاح وما عدا ذلك فلا اسطول واتفق مرة أن قدم على الاسطول سيف الملك الجبل فكسب بطشة عظيمة فيها ألف وخمسمائة شخص بعد أن بعث عليهم بالقتال وقتل منهم نحو مائة وعشرين رجلاً وحضر الى القاهرة ففرح الخليفة وركب الى المقس وجلس بالمنطرة للقائهم وأطلقوا الاسرى بين يديه تحت المنطرة من جانب البر فاستدعت الجمال ركوبهم وشق بهم القاهرة ومصر وهم كل اثنين على جل ظهر الظهر وعاد الخليفة الى القصر فجلس في إحدى مناظره لنظرهم في جوارهم فلما عادوا بهم من مصر صاروا بهم الى المناخات قصع منهم ألف رجل فانضافوا الى من في المناخ وأما النساء والصبيان فانهم دخلوا بهم الى القصر بعد أن جل منهم للوزير نصيب وأفروا أخذ الجهات والافارب يقيتهن فيستخدمنهن ويعلمونهن الصنائع ويتولى الاستاذون تربية الصبيان وتعليمهم الخط والرماية ويقال لهم الترابي ومن استرب به من الاسرى وبنه عليه بقوة أو وقع به والشيخ الذي لا يتفجع به يمضي فيه حكم السيف بكان يقال له بئر المنامة في الخراب قريب مصر ولم يسمع على الدولة قط انها فادت أسيراً بجال ولا بأسير مثله وهذه الحال في كل سنة آخذة في الزيادة لا النقص وقدم على الاسطول مرة أمير يقال له حرب بن فور صاحب الحاجب لؤلؤ فكسب بطشة حصل فيها خمسمائة رجل انتهى وقد خربت هذه المنطرة وكان موضعها برج كبير صار يعرف في الدولة الايوبية بقلعة المقس مشرف على النيل فلما جدد صاحب الوزير شمس الدين عبد الله المقسى جامع المقس على ما هو عليه الآن في سنة سبعين وسبع مائة هدم هذا البرج وجعل مكانه جنيحة شرقي الجامع وتحدث الناس انه وجد فيه ما لا والله أعلم

* (منطرة البلع) * وكان من مناظرهم بظاهر القاهرة منطرة في بستان اتيق يعرف بالبلع أنشأه الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي وموضع هذا البستان الى اليوم يعرف بالبلع وصارت أرضه مزرعة

في جانب الخليج الغربي بحرى أرض الطبالة في كوم الريش مقابل قناطر الازوق قد خربت المنطرة
وبقي منها آثار أدركتها يعطن بها الكنان تدل على عظمها وجلالها في حال عمارتها وكانت منطرة البعل من
أجل منترها تم وكان لهم بها أوقات عجة المبرات جليلة الخيرات * قال ابن المأمون فأما يوم السبت والثلاثاء
فيكون ركوب الوزير من داره بالرهبة ويتوجه الى القصر فيركب الخليفة الى ضواحي القاهرة للترهة في مثل
الروضة والمستهى ودار الملك والتاج والبعل وقبة الهواء والخمسة وجوه والبستان الكبير وكان لكل منطرة
منهن فرش معلوم مستقر فيها من الايام الافضية للصيف والشتاء وتفرق الرسوم ويسلم لمقدمي الركاب
اليمن والشمال لكل واحد عشرون دينار وخمسون ربا عيا ولتالي مقدم الركاب اليمن مائة كاغدة في كل كاغدة
ثلاثة دراهم ومائة كاغدة في كل كاغدة درهمان ولتالي مقدم الشمال مثل ذلك فأما الدنانير فكل باب يخرج
منه من البلد دينار ولكل باب يدخل منه دينار ولكل جامع يجتاز عليه دينار ما خلا جامع مصر فان رسمه خمسة
دنانير ولكل مسجد يجتاز عليه ربا عي ولكل من يقف ويتلو القرآن كاغدة والفقراء والمساكين من الرجال
والنساء لكل من يقف كاغدة ولكل من يركب الخليفة ديناران ويكون مع هذا متولى الاتفاق يحجب
الخليفة ويديه خريطة ديباج فيها خمسمائة دينار لما عساه يؤمر به فاذا حصل في احدى المناظر المذكورة فترق
من العين ما يبلغه سبعة وخمسون دينارا ومن الرباعية مائة وستة وثمانون دينارا للعواشي والاستاذين
وأصحاب الدواوين والشعراء والمؤذنين والمقرئين والتجنين وغيرهم ومن الخراف الشواء خمسون رأسا منها
طبقان حارة مكملة مشورة برسم المائدة الخاص مضافا لما يحضر من القصور من الموائد الخاص والحلاوات
وطبق واحد برسم مائدة الوزير وبقيته ذلك بأسماء أربابه ورأسا بقدر رسم الهرائس فاذا جلس الخليفة على
المائدة استدعى الوزير وخواصه ومن جرت العادة بجلاوسه معه ومن تأخر عن المائدة ممن جرت عادته
بمحضورها جل اليه من بين يدي الخليفة على سبيل التشریف وعند عود الخليفة الى القصر يحاسب متولى
الدقمة مقدمي الركاب على ما أففق عليه في مسافة الطريق من جامع ومسجد وباب وداية وأما تفرقة الصدقات
فهم فيها على حكم الامانة قال واذا وقع الركوب الى المادين جرى الحال فيها على الرسم المستقر من الانعام
ويؤمر متولى خزائن الخاص وصناديق الاتفاق أن يكون معه خريطة في السرج ديباج تسمى خريطة الموكب
فيها ألف دينار معدة لمن يؤمر بالانعام عليه في حال الركوب

* (منطرة التاج) * هي من جملة المناظر التي كانت الخلفاء تنزلها للترهة بناها الافضل بن أمير الجيوش
وكان لها فرش معدلها للشتاء والصيف وقد خربت ولم يبق لها سوى أثر كوم توجد تحتها الحجارة الكبار
وما حول هذا الكوم صار من ارجع من جملة أراضي منية الشيرج قال ابن عبد الظاهر وأما التاج
فكان حوله البساتين عدة وأعظم ما كان حوله قبة الهواء وبعدها الخمس وجوه التي هي باقية

* (منطرة الخمس وجوه) * كانت أيضا من مناظرهم التي يتزهون فيها وهي من انشاء الافضل بن أمير الجيوش
وكان لها فرش معدلها وبقي منها آثار بناها جليل على بئر متعة كان بها خمسة أوجه من المحال الخشب التي تنقل
الماء لسقي البستان العظيم الوصف البدع الرى البيج الهيئة والعمامة تقول التاج والسبع وجوه الى الآن
وموضعاها الى وقتنا هذا من أعظم منقرجات القاهرة ويبقى هناك في أيام النيل عندما يعم تلك الاراضي البشيين
تقتن رؤيته وتبهج النفوس فصارته وزينة فاذا نصب ماء النيل زرعت تلك البسطة قرطا وكتنايا يقصر
الوصف عن تعداد حسنه وأدركت حول الخمس وجوه غرو سامن تفل وغيره تشبه أن تكون من بقايا
البستان القديم وقد تلاشت الآن ثم أن السلطان الملك المؤيد شيخ الحمودى الظاهري جدد عمارة
منطرة فوق الخمس وجوه ابتداء ببناءها في يوم الاثنين أول شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين
وثمانمائة

* (منطرة باب الفتوح) * وكان للخلفاء القاطمين منطرة خارج باب الفتوح وكان يومئذ ما خرج عن باب
الفتوح براح فيمين الباب وبين البساتين الجيوشية وكانت هذه المنطرة معدة لجلاوس الخليفة فيها عند عرض
العساكر ووداعها اذا سارت في البر الى البلاد الشامية قال ابن المأمون وفي هذا الشهر يعني المحرم سنة
سبع عشرة وخمسمائة وصلت رسل ظهير الدين طغتكين صاحب دشق وآق سنقر صاحب حلب بكتب

الى الخليفة الامر باحكام الله والى الوزير المأمون الى القصر فاستدعوا لتقبل الارض كما جرت العادة من اظهار الجمل وكان مضمون الكتب بعد التصدير والتعظيم والسؤال والضراعة أن الاخبار تظافرت بقله الفرج بالاعمال الفلسطينية والثغور الساحلية وأن الفرصة قد أمكنت فيهم والله قد أذن بهلا كههم وأنهم يتظرون انعام الدولة العلوية وعوايد افضالها ويستنصرون بقوةها ويحثون على نصره الاسلام وقطع دابر الكفر وتجهيز العساكر المنصورة والاساطيل المظفرة والمساعدة على التوجه نحوهم لتلاية واصل مدد هم وتعود الى القوة شوكتهم فتقوى العزم على النفقة في العساكر فارسها وراجلها وتجريدها وتقدم الى الازمة باحضار الرجال الاقوياء وابتدئ بالنفقة في الفرسان بين يدي الخليفة في قاعة الذهب وأحضر الوزان وصناديق المال وأفرغت الاكياس على السباط واستمر الحال بعد ذلك في الادار المأمونية وتردد الرأي فين يتقدم فوقع الاتفاق على حسام الملك البرقي وأحضر مقدم الاساطيل الثانية لان الاساطيل توجهت في الغزو وخلع عليه وأمر بأن ينزل الى الصنائع بمصر والجزيرة وينفق في أربعين شينياً ويكمل نفقاتها وعددها ويكون التوجه بها صحبة العسكر وأنفق في عشرين من الامراء للتوجه بحسبة فكملت النفقة في الفارس والراجل وفي الامراء السائرين وفي الأطباء والمؤذنين والقراء وندب من الحجاب عدة وجعل لكل منهم خدمة ففهم من يتولى خزنة الخيام وسير معه من حاصل الخزائن برسم ضعفاء العسكر ومن لا يقدر على خيمة خيم ومنهم حاجب على خزائن السلاح وأنفق في عدة من كتاب ديوان الجيش لعرض العساكر وفي كتاب العربان وأحضر مقدمو الخراسين بالخفار وتقدم اليها بأنه من تأخر عن العرض بعسقلان وقبض النفقة فلا واجب له ولا اقطاع وكتبت الكتب الى المستخدمين بالثغور الثلاثة الاسكندرية ودمياط وعسقلان باطلاق وابتاع ما يستدعي برسم الاسمطة على ثغر عسقلان للعساكر والعربان من الاصناف والغلال ووقع الاهتمام بنجاز امر الرسل الواصلين وكتبت الاجوبة عن كتبهم وجهز المال والخلع المذهبات والاطواق والسيوف والمناطق الذهب والخليل بالمراتب الحلي الثقال وغير ذلك من التجملات وخلع على الرسل وأطلق لهم التغيير وسالت اليهم الكتب والتذاكر وتوجهوا بحسبة العسكر وركب الخليفة الامر باحكام الله الى باب الفتوح ونظر بالمنظرة واستدعى حسام الملك وخلع عليه بدلة جليلة مذهبة وطوقه بطوق ذهب وقلده ومنطقه بمثل ذلك ثم قال الوزير المأمون للامراء بحيث يسمع الخليفة هذا الأمير متقدمكم ومقدم العساكر كلها وما وعد به انجزه وما قرره امضيته فقبلوا الارض وخرجوا من بين يديه وسلم متولى بيت المال وخزائن الكسوة لحسام الملك الكتب بما ضمنته الصناديق من المال وأعدال الكسوات وحملت قدامه وفحت طاقات المنظرة فلما شاهد العساكر الخليفة قبلوا الارض فأشار اليهم بالتوجه فساروا بأجمعهم وركب الخليفة وتوجه الى الجامع بالمقوس وجلس بالمنظرة واستدعى مقدم الاسطول وخلع عليه وانحدرت الاساطيل مشحونة بالرجال والعدة

* (منظرة الصناعة) * وكان من جملة مناظر الخلفاء بمنظرة الصناعة في الساحل القديم من مصر يجلس بها الخليفة تارة حتى تقدم له العشاريات فيركبها ويسير للمقياس حتى يخلق بين يديه عند الوفاء وكان بهذه الصناعة ديوان العمائر وأنشأ هذه المنظرة والصناعة التي هي فيها الوزير المأمون ولم تزل الى آخر الدولة ودهليزها مادة بمصا طب مفروشة بالحصر العبداني بسطاً وتأزيراً وقد خربت هذه الصناعة والمنظرة وصار موضعها الآن بستاناً كان يعرف ببستان ابن كيسان ويعرف في زمننا هذا الذي نحن فيه الآن ببستان الطواشي وهو بأول مراغة مصر تجاه غيط الجرف على يسرة من يسلك من المراغة يريد الكجارة وباب مصر قال ابن المأمون وكانت جميع مراكب الاساطيل ما تنشأ الا بالصناعة التي بالجزيرة فأنكر الوزير المأمون ذلك وأمر بأن يكون انشاء الشواني وغيرها من المراكب النيلية الدواني بالصناعة بمصر وأضاف اليها دار الزبيب وأنشأ بالمنظرة بها واسمه باق الى الآن عليها وقصد بذلك أن يكون حلول الخليفة يوم تقدم الاساطيل ورهبها بالمنظرة المذكورة وأن يكون ما ينشأ من الجرائن والشنديات في الصناعة بالجزيرة قال ولما وفي النيل ستة عشر ذراعاً ركب الخليفة والوزير الى الصناعة بمصر ورميت العشاريات بين أيديهما ثم عديا في احدها الى المقياس وقال ابن الطوير الخدمة في ديوان الجهاد ويقال له ديوان العمائر وكان محله بصناعة الانشاء بمصر للاسطول والمراكب الحاملة للغلات السلطانية والاحطاب وغيرها وكانت تزيد على خمسين عشارياً ويليها عشرين ديماساً

منها عشرة برسم خاص الخليفة أيام الخليفة وغيرها ولكل مناريس ونواقي لا يبرحون يتفق فيهم من مال هذا الديوان وبقية العشاريات الدواميس برسم ولاية الاعمال المميزة فهي تجرلهم ويتفق في رؤسائها ورجالها أينما كانوا من مال هذا الديوان وتقيم مع أحدهم مدة مقامه فإذا صرف عاديه وخرج المتولى الجديد في العشارى المرسى بالصناعة ولا يخرج الاتوقيع باطلاقة والاتفاق فيه والمشارفين بالاعمال عشاريات دون هذه وفي هذا الديوان برسم خدمة مايجرى في الاساطيل نائبان من قبل مقدم الاسطول وفيه من الخواصل لعبارة المراكب شيء كثير وإذا لم ينفذ ارتفاعه بما يحتاج اليه استدعى له من بيت المال ما يستدفعه قال وكان من أهم أمورهم احتفالهم بالاساطيل والاجناد ومواصلة انشاء المراكب بمصر والاسكندرية ودمياط من الشواني الحربية والسليديات والمسطحات الى بلاد الساحل حين كانت بأيديهم مثل صور وعكا وعسقلان وكانت جريدة قواده أكثر من خمسة آلاف مدققة منهم عشرة أعيان تصل جامكية كل منهم الى عشرين ديناراً ثم الى خمسة عشر ثم الى عشرة دنائير ثم الى ثمانية ثم الى دينارين وهي أقلها ولهم أقطاعات تعرف بأبواب الغزاة بجانبه من النظرون فيصل دينارهم بالنسبة الى نصف دينار وحواليه ويعين من هؤلاء القواد العشرة من يقع الاجماع عليه لرئاسة الاسطول المتوجه للغزو فيكون معه الفانوس وكلهم يهتدون به ويقفون باقلاعه ويرسون بارسائه ويقدم على الاسطول أمير كبير من أعيان الامراء وأقواهم جنائاً يتولى النفقة فيهم للغز والخليفة بنفسه بحضور الوزير فإذا أراد النفقة فيماتعين من عدة المراكب السائرة وكانت آخر وقت يزيد على خمسة وسبعين شينياً وعشر مسطحات وعشر حبال فيتقدم الى النقيب باحضار الرجال ويسمع بذلك من هو خارج مصر والقاهرة فيدخل اليها ولهم المشاهرة والجرايات المتقررة مدة أيام السفر وهم معروفون عند عشرين نقيباً ولا يعترض أحد أحد إلا من رغب في ذلك من نفسه فإذا اجتمعت العدة المعلقة للمراكب المطلوبة أعلم انقدم بذلك الوزير فطالع الخليفة بالخال وفرز يوم للنفقة فحضر الوزير بالاستدعاء على العادة فيجلس الخليفة على هيئته في مجلس ويجلس الوزير في مكانه ويحضر صاحب ديوان الجيش وهما المستوفى وهو أميرهما ويجلس داخل عتبة المجلس وهذه وتبته بميرة وكاتب الجيش الاصل ويجلس بجانبه تحت العتبة على حصر مفروشة بالقاعة ولا يخلو المستوفى أن يكون عدلاً أو من أعيان الكتاب المسلمين وأما كاتب الجيش فهو يدي في الاغلب ويفرش أمام المجلس أنطاع نصب عليها الدراهم ويحضر الوزان من بيت المال لذلك فإذا انتهى الاتفاق أدخل القابضون مائة مائة ويقفون في آخر الوقوف بين يدي الخليفة من جانب واحد نقابة نقابة وتكون أسماءهم قد رتب في أوراق لا ستدعائهم بين يدي الخليفة ويستدعى مستوفى الجيش من تلك الاوراق واحداً واحداً فإذا خرج اسمه عبر من الجانب الذي هو فيه الى الجانب الخالي فإذا اكمل عشرة رجال وزن الوزان لهم النفقة وكانت لكل واحد خمسة دنائير صرف كل دينار ستة وثلاثون درهماً فيتسلمها النقيب وتكتب بيده وباسمه وتغضى النفقة كذلك الى آخرها فإذا تم ذلك اليوم ركب الوزير من بين يدي الخليفة وانقض ذلك الجمع فيجعل من عند الخليفة مائة يقال لها غداء الوزير وهي سبع عجفات أو ساط احداها بلحم دجاج وفستق والبقية من شواء وهي مكمورة بالازهار فتكون هذه عدة أيام تارة متوالية وتارة متفرقة فإذا اكملت النفقة وتجهزت المراكب ونهأت للسفر كعب الخليفة والوزير الى ساحل المقس وذكر ابن أبي طي أن المعز لدين الله أنشأ ستائة مراكب لم ير مثلهما في البحر على مدينة وعمل دار صناعة بالمقس

* (دار الملك) * وكان من جملة مناظرهم دار الملك بمصر وهي من انشاء الافضل بن أمير الجيوش ابتدأ في بنائها وانشائها في سنة احدى وخمسة مائة فلما اكملت تحوّل اليها من دار القباب بالقاهرة وسكنها وحول اليها الدواوين من القصر فصارت بها وجعل فيها الاسمطة واتخذ بها مجلساً سماه مجلس العطايا كان يجلس فيه فلما قتل الافضل صارت دار الملك هذه من جملة منزهات الخلفاء وكان بها بستان عظيم وما زالت عظيمة الى أن انقرضت الدولة فجعلها الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب دار متجرح علمت في أيام الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري دار وكالة وموضع دار الملك ما وراء حبة الخروب بجوار المدرسة المعزية وبقي منها جدار يجلس تحته يباعوا الحناء قال ابن المأمون ومن جملة ما قرره القائد أبو عبد الله من تعظيم المملكة وتفضيحه أمر السلطنة أن

المجلس الذي يجلس فيه الأفضل بدار الملك يسمى مجلس العطايا فقال القائد مجلس يدعى بهذا الاسم ما يشاهد فيه دينار يدفع لمن يسأل وأمر بتفصيل ثمان ظروف ديباج أطلس من كل لون اثنين وجعل في سبعة منها خمسة وثلاثين ألف دينار في كل طرف خمسة آلاف دينار سكب وبطاقة بوزنه وعدده وشرابة حرير كبيرة من ذلك ستة ظروف دنائير بالسوية عن اليمين والشمال في مجلس العطايا الذي يرسم الجلوس وعند مرتبة الأفضل بقاعة اللؤلؤة طرفان أحدهما دنائير والآخر دراهم جدد فالذي في اللؤلؤة يرسم ما يستدعيه الأفضل اذا كان عند الحرم وأما الذي في مجلس العطايا فان جميع الشعراء لم يكن لهم في الايام الافضية ولا فيما قبلها على الشعرجار وانما كان لهم اذا اتفق طرب السلطان واستحسنه لشعر من أنشد منهم ما يسيله الله على حكم الجائزة فرأى القائد أن يكون ذلك من بين يديه من الظروف وكذلك من يتضرع ويسأل في طلب صدقة أو نعم عليه ابتداء بغير سؤال يخرج ذلك من الظروف واذا انصرف الحاضرون نزل القائد المبلغ بخطه في البطاقة ويكتب عليه الأفضل بخطه صم وبعاد الى الطرف ويختم عليه فلما استهل رجب من سنة اثنى عشرة وخمسمائة وجلس الأفضل في مجلس العطايا على عادته وحضر الاجل المظفر أخوه للهنا وجلس بين يديه وشاهد الظروف والقائد وولده وأخوه قيام على رأسه وتقدمت الشعراء على طبقاتهم أمر لكل منهم بجائزة وشاع خبر الظروف وكثر القول فيها واستعظم أمرها وضعف مبلغها واتسع هذا الانعام بالصدقات الجارية بها العادة في مثل هذا الشهر لفضله مصر والرباطات بالقرافة وفقرائها * وقال ابن الطوير وقد ذكر ركوب الخليفة في أول العام وحضور الغزة ويقطع الركوب بعده هذا اليوم الذي هو أول العام فيكون في أحاد الايام الى أن يكمل شهر ولا يتعدى ذلك يوم السبت والثلاثا فاذا عزم الخليفة على الركوب في أحد هذه الايام اعلم بذلك وعلامته اتفاق الاسلحة في صينان الركاب من خزانة السلاح خاصة دون ما سواها واكثر ذلك الى مصر ويركب الوزير صحبه من ورائه على اخصر من النظام المتقدم يعنى في ركوب أول العام وأقل جمع فيخرج شاقا القاهرة وشوارعها على الجامع الطولوني على المشاهد الى درب الصفاء ويقال له الشارع الاعظم الى دار الانعاط الى الجامع العتيق فاذا وصل الى بابه وجد الشريف الخطيب قد وقف على مصطبة بجانبه فيها محراب مفروشة بمحصر معلق عليها سجادة وفي يده المصحف المنسوب خطه الى علي بن أبي طالب رضى الله عنه وهو من حاصله فاذا اوازاه وقف في موضعه وناوله المصحف من يده فيسلمه منه ويقبله ويتبرك به مرارا ويعطيه صاحب الخريطة المرسومة للصلاة ثلاثين دينارا وهي رسمه متى اجتاز به فيوصلها الشريف الى مشارف الجامع فيكون نصيبها منها خمسة عشر دينارا والباقي للقومة والمؤذنين دون غيرهم ويسير الى أن يصل دار الملك فيزاولها والوزير معه ومنذ يخرج من باب القصر الى أن يصل الى دار الملك لا يمر بمسجد الا أعطى قيمه من الخريطة دينار فلا يزال بدار الملك ثمانية فئاته المائدة من القصر وعدتها خمسون شدة على رؤس القراشين مع صاحب المائدة وهو أستاذ جليل غير محنك وكل شدة فيها طيفور فيها الاواني الخاص وفيها من الاطعمة الخاص من كل نوع شهى وكل صنف من المطاعم العالية ولها رواه ورائحة المسك فائحة منها وعلى كل شدة طرحة حرير تعلو القوارة التي هي الشدة فيحمل الى الوزير منها جزءا وافر ولن يحبه وللامرء ولكافة الحاضرين في الخدمة ويصل منها الى الناس بمصر من بعضهم بعضا شئ كثير ولا يزال الى أن يؤذن عليه بالعصر فيصلى ويتحرك الى العود الى القاهرة والناس في طريقه لنظرة فيركب وزيه في هذه الايام انه يلبس الثياب المذهبة البياض والمؤونة والمنديل من النسبة وهو مشدود شدة مفردة عن شدات الناس وذوائبه مرخاة من جاتبه الايسر ويتقلد بالسيف العربي المجوهر بغير حنك ولا مظلة ولا يتيمة فان ذلك في اوقات مخصوصة ولا يمر أيضا بمسجد في سلوكه في هذه الطريق بالساحل الا ويعطى قيمه ديناراً أيضا كما جرى في الرواح وينعطف من باب الخرق ويدخل من باب زويلة شاقا القاهرة حتى يدخل القصر فـ تكون ذلك من المحرم الى شهر رمضان اما أربع مرات أو خمس مرات ومن شعر الاسعد اسعد بن مهذب بن زكريا بن أبي مليح مما في دار الملك هذه

حلت بدار الملك والنيل أخذ * بأطرافها والموج يوسعها ضربا

نخلته قد غار لما وطئتها * عليها فأضحى عند ذلك لها غربا

*(منازل الغز) *

بنها السيدة نغريد أم العزيز بالله بن المعز ولم يكن بمصر أحسن منها وكانت مطلية على النيل لا يحجبها شيء عن نظره وما زال الخلفاء من بعد المعز يداولونها وكانت معدة لزيارتهم وكان يجوارها حمام وله من باب وموضعها الآن مدرسة تعرف بالمدرسة التقوية منسوبة للملك المظفر تقي الدين عمرو بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادي

* (الهودج) * وكان من منزهاتهم العظيمة البناء العجيبة البدعة الرى بناء في جزيرة القسطنطية التي تعرف اليوم بالروضة يقال له الهودج بناء الخليفة الأمر بأحكام الله لمحبه البدوية التي غلب عليه حبها بجوار البستان المختار وكان يتردد اليه كثير وقتل وهو متوجه اليه وما زال منزهها للخلفاء من بعده قال ابن سعيد في كتاب المحلى بالشعار قال القرطبي في تاريخه تدأكر الناس في حديث البدوية وابن مباح من بني عمها وما يتعلق بذلك من ذكر الأمر حتى صارت رواياتهم في هذا الشأن كأحاديث البطال وألف ليلة وليلة وما أشبه ذلك والاختصار منه أن يقال إن الأمر كان قد بلى بعشق الجوارى العريسات وصارت له عيون بالبوادى فبلغه أن جارية بالصعيد من أهل العرب وأظرفهم شاعرة جميلة فيقال أنه تزيارى بداء الأعراب وكان يجول في الأحياء إلى أن انتهى إلى حيا وبات هناك في ضائقة وتحيل حتى عاينها هناك فاملاك صبره ورجع إلى مقر ملكه وأرسل إلى أهلها يحظيها وترجها فلما وصلت صعب عليها مفارقة ما اعتادته وأجبت أن تسرح طرفها في القضاء ولا تنقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور في جزيرة القسطنطية المعروف بالهودج وكان غريب الشكل على شط النيل وبقيت متعلقة الخياط ربان عم لها ربيت معه يعرف بابن مباح فكبت اليه من قصر الأمر

يا ابن مباح اليك المشتكى * مالك من بعدكم قد ملكا
كنت في حي مطاعا أمرا * نائلا ما شئت منكم مدركا
فانا الآن بقصر مرصد * لأرى الاخيشتا ممكا
كم تشبنا كأغصان اللوا * حيث لا نخشى علينا دركا
فأجابها

بنت عمي والتي غشيتها * بالهوى حتى علا واخبتكا
بعت بالشكوى وعندي ضعفها * لو غدا يقع منا المشتكى
مالك الأمر اليه اشتكى * مالك وهو الذي قد ملكا
قال وللناس في طلب ابن مباح واختفائه أخبار تطول وكان من عرب طى في قصر الأمر طراد بن مهلهل السنبسي فبلغته هذه القضية فقال

أابلغوا الأمر المصطفى * مقال طراد ونم المصفا
قطعت الألفين عن ألفة * بها سمر الحى بين الرجال
كذا كان آباؤنا الأكرمون * سالت فقل لي جواب السؤال

فقال الخليفة الأمر لما بلغته الأبيات جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله وطلب في أحياء العرب فلم يوجد فقال العرب ما أخسر صفقة طراد باع أبيات الحى بثلاثة أسيات وكان بالاسكندرية مكي الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسن بن حديد له مروءة عظيمة ويحتذى أفعال الرماكة وللشعراء فيه أمداح كثيرة مدحه ظافر الخلد وأمية بن أبي الصلت وغيرهما وكان له بستان يتفرج فيه به جرن كبير من رخام وهو قطعة واحدة وينحدر فيه الماء فينبقى كالبركة من كبره وكان يجدي نفسه برؤيته زيادة على أهل التمتع والمباهاة في عصره فوشى به للبدوية محبوبة الأمر فسألت الخليفة الأمر في حمل الجرن إليها فأرسل إلى ابن حديد بإحضار الجرن فلم يجد بدا من حمله من البستان فلما صار إلى الأمر أمر بعمله في الهودج فطلق ابن حديد وصارت في قلبه حرارة من أخذ الجرن فأخذ يخدم البدوية ومن يلوذ بها بأنواع الخدم العظيمة الخارجة عن الحد في الكثرة حتى قالت البدوية هذا الرجل أنجلنا بكثرة تحفه ولم يكلفنا قط أمر انقدر عليه عند الخليفة ولا نالما قيل له هذا القول عنها قال ما لي حاجة بعد الدعاء لله بحفظ مكانها وطول حيايتها في عز غير رد الفسقية التي قلع من دارى التي بنيتها

في أيامهم من نعمتهم تزداد إلى مكانها فتجبت من ذلك وردت عليه فقبل له حصلت في حد أن خبرتك البدوية في جميع المطالب قنلت دمتك إلى قطعة حجر فقال أنا أعرف بنفسى ما كان لها أمل سوى أن لا تغلب في أخذ ذلك الحجر من مكانه وقد بلغها الله أمله و كان هذا المكين متولى قضاء الاسكندرية ونظرها في أيام الأمر وبلغ من علوهمته وعظم مروته أن سلطان الملوك حيدرة أخا الوزير المأمون بن البطائحي لما قلده الأمر ولاية نقر الاسكندرية في سنة سبع عشرة وخمسة وأضاف إليه الأعمال البحرية ووصل إلى الثغر ووصف له الطبيب دهن شمع بحضور القاضى المذكور فأمر في الحال بعض غلته بالمضى إلى داره لاحتضار دهن شمع فما كان أكثر من مسافة الطريق إلا أن أحضر حقا محتوما فذك عنه فوجد فيه مندبل لطيف مذهب على مداف بلور فيه ثلاثة بيوت كل بيت عليه قبة ذهب مشبكة مرصعة بياقوت وجوهر بيت دهن عسك وبيت دهن بكافور وبيت دهن بعنبر طيب ولم يكن فيه شيء مصنوع لوقته فعندما أحضره الرسول تعجب المؤمن والحاضرون من علوهمته فعندما شاهد القاضى ذلك بالغ في شكر انعامه وحلف بالحرام ان عاد إلى ملكه فكان جواب المؤمن قد قبلته منك الحاجة اليه ولا تنظر في قيمته بل لاظهار هذه الهمة واذا عتبا وذكرا أن قيمة هذا المداف وما عليه خمسمائة دينار فانظر رحل الله إلى من يكون دهن الشمع عنده في اناء قيمته خمسمائة دينار ودهن الشمع لا يكاد أكثر الناس يحتاج اليه البتة فماذا تكون ثيابه وحلى نسائه وفرش داره وغير ذلك من التحملات وهذا انعامه وحال قاضى الاسكندرية ومن قاضى الاسكندرية بالنسبة إلى أعيان الدولة بالحضرة وما نسبة أعيان الدولة وان عظمت أحوالهم إلى أمر الخلافة وأهملها الأيسر حقير وما زال الخليفة الأمر يتردد إلى اليهودج المذكور إلى أن ركب يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة يريد اليهودج وقد كمن له عدة من التزاية في فرن عند رأس الجسر من ناحية الروضة فوثبوا عليه وأخذوه بالجراحة حتى هلك وحل في العشارى إلى اللواؤة فمات بها وقيل قبل أن يصل إليها وقد خرب هذا اليهودج وجهل مكانه من الروضة ولله عاقبة الامور

* (قصر القرافة) * وكان لهم بالقرافة قصر بنته السيدة تغريد أم العزيز بالله بن المعز في سنة ست وستين وثلثمائة على يد الحسين بن عبد العزيز الفارسي المحتسب هو والحمام الذى في غريبه وبت البر والبستان وجامع القرافة وكان هذا القصر نزهة من التزه من أحسن الأكرار في اتقان بنيانه وصحة أركانه وله منظر مليحة كبيرة محمولة على قبو ما تجوز المارة من تحته ويقبل المسافرون في أيام القيظ هناك ويركب الركب إليه على زلافة وكان كاحسن ما يكون من البناء وتحت حوض لسقى الدواب يوم الحلول فيه وكان مكانه بالقرب من مسجد الفتح ولما كان في سنة عشرين وأربعمائة جدد الخليفة الأمر وعمل تحت مصطبة للصوفية وكان يجلس في الطاق بأعلى القصر ويرقص أهل الطريقة من الصوفية والحمام بالاولوية موضوعة بين ايديهم والشموع الكثيرة تزه وقد بسط تحتهم حصير من فوقها بسط ومدت لهم الاسطحة التى عليها كل نوع لذيذ ولون شهى من الاطعمة والحلوى أصنافا مصنفة فاتفق أن تواجد الشيخ ابو عبد الله بن الجوهري الواعظ ومزق مرقعته وفزقت على العادة خرقا وسأل الشيخ ابواسحاق ابراهيم المعروف بالقارح المقرئ خرقة منها ووضعها في راسه فلما فرغ التزيق قال الخليفة الأمر بأحكام الله من طاق بالمنظرة يا شيخ أبا اسحق قال لبيك يا مولانا قال اين خرقتي فقال مجيبا له في الحال ها هي على رأسي يا أمير المؤمنين فاستحسن الأمر ذلك وأعجبه موقعه فأمر في الساعة والوقت فأحضر من خزان الكسوات ألف نصفية فقرقت على الحاضرين وعلى فقراء القرافة ونثر عليهم متولى بيت المال من الطاق ألف دينار فخطا طفقها الحاضرون وتعاهد المغربون الارض التى هناك يا اما لا خذ ما يواريه التراب وما يرح قصر الاندلس بالقرافة حتى زالت الدولة فهدم في شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين وخمسمائة

* (المنظرة ببركة الحبش) * وكانت لهم منظرة تشرف على بركة الحبش قال الشريف ابو عبد الله محمد الجوانى في كتاب النقط على الخط ان الخليفة الأمر بأحكام الله بنى على المنظرة التى يقال لها بركة الحركة منظرة من خشب مدهونة فيها طاقات تشرف على خضرة بركة الحبش وصور فيها الشعراء كل شاعر وبلده واستدعى من كل واحد منهم قطعة من الشعر في المدح وذكرا الحركة وكتب ذلك عند رأس كل شاعر وبجانب صورة

كل منهم رف لطيف مذهب فلما دخل الاثر وقرأ الاشعار أمر أن يحيط على كل رف صرة محتومة فيها خسون دينار وأن يدخل كل شاعر وأخذ صرته بيده ففعلوا ذلك وأخذوا صرهم وكانوا عدة شعراء

*** (البساتين) *** وكان للخلق عدة بساتين يتزهون بها منها البساتين الجيوشية وهما بستانان كبيران أحدهما من عند زقاق الكحل خارج باب الفتوح الى المطرية والاخر بمخيم خارج باب القنطرة الى الخندق وكان لهما شأن عظيم ومن شدة غرام الافضل بالبستان الذي كان يجاور بستان البعل عمل له سوراً مثل سور القاهرة وعمل فيه بحراً كبيراً وقبة عشارى تحمل ثمانية أراذب وبني في وسط البحر منظره محمولة على أربع عواميد من احسن الرخام وحفها بشجر النارج فكان نارنجها لا يقطع حتى يتساقط وسط على هذا البحر أربع سواق وجعل له معبرا من نحاس مخروط زينه قنطار وكان يلا في عدة أيام وجلب اليه من الطيور المسوعة شيئا كثيرا واستخدم للعمام الذي كان به عدة مطبخين وعمره أبراج عدة للحمام والطيور المسوعة وسرح فيه كثيرا من الطاموس وكان البستانان اللذان على يسار الخارج من باب الفتوح بينهما بستان الخندق لكل منهما أربعة ابواب من الاربع جهات على كل منها عدة من الارمن وجميع الدهاليز مؤزرة بالحصر العبداني وعلى ابوابها اسلاسل كثيرة من حديد ولا يدخل منها الا السلطان وأولاده وأقاربه *** قال ابن عبد الظاهر** وافقت جماعة على أن الذي يشتمل عليه مبيعهم ما في السنة من زهر وغريرف وثلاثون ألف دينار وانما لا تقوم بمؤمن سما على حكم اليقين لا الشك وكان الحاصل بالبستان الكبير والمخيم الى آخر الايام الاخرية وهى سنة اربع وعشرين وخمسمائة ثمانمائة وأحد عشر رأسا من البقر ومن الجبال مائة وثلاثة رؤس ومن العمال وغيرهم ألف رجل وذكروا أن الذي دار سور البستانين من سنط وجيز وأثل من اقول حدهما الشرقى وهو ركن بركة الارمن مع حدهما البحرى والغربى جميعا الى آخر زقاق الكحل في هذه المسافة الطويلة سبعة عشر ألف ألف ومائتا شجرة وبني قبليهما جميعا لم يحصن وأن السنط تغصن حتى لحق بالجزيرة العظم وأن معظم قرنطه يسقط الى الطريق فبأخذ النام وبعد ذلك يباع بأربع مائة دينار وكان به كل ثمرة لها دويرة مفردة وعليها اسياح وفيها نخل منقوش في ألواح عليها برسم الخاص لا تجبى الا بحضور اشراف وكان فيهما ليمون تقاضى يوكل بعشره بغير سكر وأقام هذان البستانان بيد الورثة الجيوشية مع البلاد التي لهم مدة أيام الوزير المأمون لم يخرج عنهم وكشف ذلك في أيام الخليفة الحافظ فكان فيهما ستمائة رأس من البقر وثمانون جلا وقوم ما عليهما من الاثل والجزير فكانت قيمته ما تقي ألف دينار وطلب الامير شرف الدين وكانت له حرمة عظيمة من الخليفة الحافظ قطع شجرة واحدة من سنط فأبى عليه فنشفع اليه وقومت بسبعين دينار فرسم الخليفة أن كانت وسط البستان تقطع والا فلا ولماجرى في آخر أيام الحافظ ماجرى من الخلف ذبحت ابقاره وجاله ونهب ما فيه من الاكلات والاقاض ولم يبق الا الجزير والسنط والاثل لعدم من يشتريه انتهى وكان هذان البستانان من جله الحبس الجيوشى وهو أن أمير الجيوش بدر الجمالى حبس عدة بلاد وغيرها منها في البر الشرقى بناحية مهنيت والاميرية والمنية وفي البر الغربى ناحية سبط ونهيا ووسيم مع هذين البستانين المذكورين على عقبة فاستأجر هذا الحبس الوزراء مدة سنين باجرة يسيرة وصار يزرع في الشرقى منه ~~السكر~~ ومنه ما تبلغ قطيعته ثلاثة دنانير ونصفا وربعا عن كل فدان فيتناولون فيه ربحا جزيلالا تقسم فلما بعد العهد انقضت أعقابه ولم يبق من ذريته سوى امرأة كبيرة فأفتى الفقهاء بأن هذا الحبس باطل فصار للدوان السلطاني يتصرف فيه ويحصل منه أموال بيت المال وتلاشت البساتين وبني في أماكنها ما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى وبني العزيز بالله بستانا بناحية سردوس

*** (قبة الهواء) *** وكان من احسن منزهات الخلفاء القاطمين قبة الهواء وهى مستشرف بهج بدع فيما بين الساج والخمس وجوه يحيط به عدة بساتين لكل بستان منها اسم ولهذه القبة فرش معدة في الشتاء والصيف ويركب اليها الخليفة في أيام الركوبات التي هي يوم السبت والثلاثاء

*** (بحر أبى المنجا) *** وكان من منزهات الخلفاء يوم فتح بحر أبى المنجا قال ابن المأمون وكان الماء لا يصل الى الشرقية الا من السردوسى ومن الصمصم ومن المواضع البعيدة فكان اكثرها يشرق في اكثر السنين وكان أبو المنجا اليهودى مشارف الاعمال المذكورة فنضرب المزارعون اليه وسألوا في فتح ترعة يصل الماء منها فى ابتدائه اليهم فاستأجر بحر خليج أبى المنجا في يوم الثلاثاء السادس من شعبان سنة ست وخمسمائة وركب الافضل بن أمير

الجيوش ضحى وصحبه القائد أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحي - وجميع اخوته والعساكر فحاذيه في البر -
 وجعت شيوخ البلاد وأولادها وركبوا في المراكب ومعهم حزم البوص في البحر وصار العشارى والمراكب
 تتبعها الى أن رماها الموج الى الموضع الذى حضروا فيه البحر وأقام الحفر فيه سنتين وفى كل سنة تبين الفائدة
 فيه ويتضاعف من ارتفاع البلاد ما يرون الغرامة عليه * ولما عرض على الأفضل جلة ما أتفق فيه استعظمه
 وقال غرنا هذا المال جميعه والاسم لابي المنجا فغير اسمه ودعى بالبحر الافضل - فلم يتم ذلك ولم يعرف الا بأبي المنجا
 ثم جرى بين أبي المنجا وبين ابن أبي الليث صاحب الديوان بسبب الذى اتفق خطوط أدت الى اعتقال أبي المنجا
 عدة سنين ثم نفي الى الاسكندرية بعد أن كادت نفسه تتلف ولم يزل القائد أبو عبد الله بن فاتك يتلطف بحاله الى
 تضاعف من عبرة البلاد ما سهل أمر النفقة فيه ورأيت بخط ابن عبد الظاهر وهذا ابو المنجا هو جدي صغير
 الحكماء اليهود والذين أسلموا منهم ولما طال اعتقال أبي المنجا فى الاسكندرية فى مكان بمفرده مضيقا عليه تحيل
 فى تحصيل مصحف وكتب ختمه وكتب فى آخرها كتبها ابو المنجا اليهودى - وبعثها الى السوق ليبيعه ما فقامت قيامه
 اهل النغر وطولع بأمره الى الخليفة فأخرج وقيل له ما حالك على هذا فقال طلب الخلاص بالقتل فاذب واطلق
 سبيله وقيل انه كان فى محبسه حية عظيمة فأحضر اليه فى بعض الايام ابن فرأى الحية وقد شربت منه ودخلت
 بجرها فصار فى كل يوم يحضر لها البنا فتخرج وتشرب منه وتدخل مكانها ولم تؤذ ولمالواى المؤمنين البطائحي -
 وزارة الأمر بأحكام الله بعد الأفضل بن أمير الجيوش تحدث الأمر معه فى رؤية فتح هذا الخليج وأن يكون له
 يوم كخليج القاهرة فندب الأمر معه عدى الملك أبا البركات بن عثمان وكميله وأمره بأن يبنى على مكان
 السد منظره تسعة تكون من مجرى السد وسرع فى عمارتها بعد كمال النيل وما زال يوم فتح سد هذا البحر يوما
 مشهودا الى أن زالت الدولة الفاطمية فلما استولى بنو أيوب من بعدهم على مملكة مصر أجزوا الحال فيه على
 ما كان قال القاضي الفاضل فى متجددات سنة سبع وسبعين وخسمائة وركب السلطان الملك الناصر صلاح
 الدين يوسف بن أيوب لفتح بحر أبي المنجا وعاد قال وفى سنة تسعين وخسمائة كسر بحر أبي المنجا بعد أن تأخر
 كسره عن عيد الصليب بسبعة ايام وكان ذلك لقصور النيل فى هذه السنة ولم يباشر السلطان الملك العزيز
 عثمان ابن السلطان صلاح الدين بنفسه وركب أخوه شرف الدين يعقوب الطواشي لكسره وبدت فى
 هذا اليوم من مخايل القبوط ما يوجب سوء الافعال من المجاهرة بالمتكرات والاعلان بالفواحش وقد افترط
 هذا الأمر واشترك فيه الأمر والمأمور ولم ينسلخ شهر رمضان الا وقد شهد ما لم يشهده رمضان قبله فى الاسلام
 وبدا عقاب الله فى الماء الذى كانت المعاصى على ظهره فات المراكب كان يركب فيها فى رمضان الرجال
 والنساء محتطين مكشفات الوجوه وأيدي الرجال تنال منها ما تنال فى الخلوات والطبول والعبدان مرتفعات
 الاصوات والصنجات واستنابوا فى الليل عن الخمر بالماء والجلاب ظاهرا وقيل انهم شربوا الخمر مستورا وقرب
 المراكب بعضها من بعض وعجز المنكر عن الانكار الا بقلبه ورفع الأمر الى السلطان فندب حاجبه فى بعض
 الليالى ففرق منهم من وجده فى الحالة الحاضرة ثم عادوا بعد عوده وذكر أنه وجد فى بعض المعادى خرا
 فأراقه ولما استهل شوال وهو مطموع فيه تضاعف هذا المنكر وفشت هذه الفاحشة ونسأل الله العفو
 والعافية عن الكبار والجوارز عما تسقط فيه المعاذير * وقال فى سنة اثنين وتسعين وخسمائة كسر بحر
 أبي المنجا وباشر العزيز كسره وزاد النيل فيه اصبعها وهى الاصبع الثامنة عشرة من ثمانى عشر ذراعا وهذا
 الحديثى عند أهل مصر اللجة الكبرى وقد تلاثى فى زمننا امر الاجتماع فى يوم فتح سد بحر أبي المنجا وقل
 الاحتفال به لشغل الناس بهم العيشة

* (قصر الورد بالخاقانية) * وكان من ايام منتهات الخلفاء يوم قصر الورد بناحية الخاقانية وهى قرية من
 قرى قلوب كانت من خاص الخليفة وبها جنان كثيرة للخليفة وكانت من أحسن المنتزهات المصرية
 وكان بها عدة دورات يزرع فيها الورد فيسير اليها الخليفة يوما ويصنع له فيها قصر عظيم من الورد ويخدم بضيافة
 عظيمة * قال ابن الطوير عن الخليفة الأمر بأحكام الله وعمل له بالخاقانية وكانت من خاص الخليفة قصر من
 ورد فسار اليها يوما وخدم بضيافة عظيمة فلما استقر هناك خرج اليه أمير يقال له حسام الملك من الأمراء
 الذين كانوا مع المؤتمن أخى المأمون البطائحي - وتحاذلوا عنه فوصل الى الخاقانية وهوا لباس لامة حربه

والتمس المنول بين يديه يعني الخليفة فاستقل ما جاء به في ذلك الوقت مما بنا في ما فيه الخليفة من الراحة والراحة وحيل بينه وبين مقصوده فقال لجماعة من حواشي الخليفة انتم مناققون على الخليفة ان لم اصل اليه فانه يعاقبكم بذلك فأطلعوا الخليفة على أمره وحيلته بالسلاح وقوله فأمر باحضاره فلما وقعت عينه عليه قال يا مولانا لمن تركت اعدائك يعني الوزير للأمن البطائحي وأخاه وكان الأمر قد قبض عليهم ما واعتقلهما هذا والعهد قريب غير بعيد أأمنت الغدر فأجاباه الا وهو على الرهاويج من الخيل فلم تحض ساعة الا وهو بالقصر فضى الى مكان اعتقال المأمون وأخيه فزادهما وثاقا وحراسة وفي أثناء ذلك وصل ابن نجيب الدولة الذي كان سيره المأمون في وزارته الى اليمن لتحقيق نسبه أنه ولد من جارية تزارين المستنصر لما خرجت من القصر وهي به حامل ويدعوا اليه بقية الناس وأحضر الى القاهرة على جبل مشوه فأدخل خزانة السنود وقتل هو والمأمون وجماعة في تلك الليلة وصلبوا بظاهر القاهرة

* (بركة الحب) * هي بظاهر القاهرة من بحرها وتسمي العامة في زمننا هذا الذي نحن فيه بركة الحاج لتزول الحاج بها عند مسيرهم من القاهرة الى الحج في كل سنة ونزولهم عند العود بها ومنها يدخلون الى القاهرة ومن الناس من يقول جب يوسف وهو خطأ وانما هي أرض جب عميرة وعميرة هذا هو ابن تميم بن جرة الجببي من بني القرناء نسبت هذه الارض اليه فقبل لها أرض جب عميرة ذكره ابن يونس وكان من عادة الخليفة المستنصر بالله أن يقيم معذب بن الظاهر بن الحاكم في كل سنة أن يركب على النجب مع النساء والحشم الى جب عميرة هذا وهو موضع زهرة جميلة أنه خارج الى الحج على سبيل اللعب والمجانة وربما جل معه الخمر في الروايا عوضا عن الماء ويسقيه من معه وأنشده مرة الشريف ابو الحسن علي بن الحسين بن حيدرة العقبلي في يوم عرفة

قم فاحمرا الاح يوم النصر بالماء * ولا تضع ضحى الابهه —————

وادرك حجج الندامى قبل نفرهم * الى متى قصفههم مع كل هيفاه

وعج على مكة الروحاء مبتكرا * فطف بها حول ركن العود والذامى

قال ابن دحية فخرج في ساعته بروايات الخمر تزيح ينفحات حداثة الملاهي ونساق حتى أناخ بعين شمس في كنيكة من الفساق فأقام بها سوق الفسوق على ساق وفي ذلك العام أخذه الله تعالى واهل مصر بالسنين حتى بيع في أيامه الرغيف بالتمين وعاذما التبل بعد عذوبته كالغسلين ولم يبق بشاطئيه أحد بعد أن كانا محفوفين بحور عين وقال ابن ميسر فلما كان في جمادى الآخرة من سنة أربع وخمسين وأربع مائة خرج المستنصر على عادته الى بركة الحب فاتفق أن بعض الاتراك جرد سيفه في سكر منه على بعض عبدة الشراء فاجتمع عليه طائفة من العبيد وقتلوه فاجتمع الاتراك بالمستنصر وقالوا ان كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة وان كان عن غير رضاك فلا نرضى بذلك فأنكر المستنصر ما وقع وتبرأ مما فعله العبيد فجمع الاتراك للحرب العبيد وبرز بعضهم الى بعض وكان بين الفريقين قتال شديد على كوم شريك انهزم فيه العبيد وقتل منهم عدد كثير وكانت أم المستنصر تعين العبيد وتقدم بالاموال والاسلحة فاتفق في بعض الايام أن بعض الاتراك ظفروا بشيء مما تبعث به أم المستنصر الى العبيد فأعلم بذلك اصحابه وقد قويت شوكتهم بانهم ازم العبيد فاجتمعوا بأمرهم ودخلوا على المستنصر وخاطبوه في ذلك وأغلظوا في القول وجهروا بما لا ينبغي وصاروا السيف قائما والحروب متتابعة الى أن كان من خراب مصر بالغلاء والفتن ما كان وكان من قبل المستنصر يترددون الى بركة الحب قال المسيحي ولا تثنى عشرة خلت من ذي القعدة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة عرض العزيز بالله عساكره بظاهر القاهرة عند سطح الحب فنصب له مضرب ديباج روى فيه ألف نوب بصفيرة فضة ونصبت له قازة مثقل وقبة مثقل بالجواهر وضرب لابنه الامير أبي على منصور مضرب آخر وعرضت العساكر وكان عددها مائة عسكروا وأقبلت أسارى الروم وعدتهم مائتان وخمسون فطيف بهم وكان يوما عظيما حسنا لم تزل العساكر تسير بين يديه من ضحوة النهار الى صلاة المغرب وما زالت بركة الحب منتزها للتحف والمولوك من بني ايوب وكان السلطان صلاح الدين يبرز اليها للصيد ويقوم فيها الايام وفعل ذلك المولوك من بعده واعتنى بها الملك الناصر محمد بن قلاوون وبنيها احوالها وميدانها كاسيما في ذكره ان شاء الله تعالى وبركة الحب وما يليها في درك بني صبرة وهم ينسبون الى صبرة

ابن بطيخ بن مغالة بن دبحان بن عنب بن الكليب بن أبي عمرو بن دمية بن جدس بن اريش بن اراش بن جزيلة
ابن نغم فهم أحد بطون نغم وفيهم بنو جذام بن صبرة بن بصرة بن غنم بن غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن
جذام أخى نغم
(المستهمى) وكان من مواضعهم التي أعدت للترهة المشتهى

(ذكر الايام التي كلن الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعياداً ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم)

وكان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم وهي موسم رأس السنة وموسم أول العام ويوم
عاشوراء ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومولد الحسن ومولد
الحسين عليهما السلام ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام ومولد الخليفة الحاضر وليله أول رجب
وليله نصفه وليله أول شعبان وليله نصفه وموسم ليلة رمضان وغرة رمضان وسباط رمضان وليله
الختم وموسم عيد الفطر وموسم عيد النحر وعيد الغدير وكسوة الشتاء وكسوة الصيف وموسم
فتح الخليج ويوم التوروز ويوم الغطاس ويوم الميلاد وتجسس العدس وأيام الركوبات
(موسم رأس السنة) وكان للخلفاء الفاطميين اعتناء بليلة أول المحرم في كل عام لانها أول ليالي السنة
وابتداء أوقاتها وكان من رسومهم في ليلة رأس السنة أن يعمل بمطبخ القصر عجة كثيرة من الخراف المقوم
والكثير من الرؤس المقصوم وتفرق على جميع أرباب الرتب واصحاب الدواوين من العوالى والادوان أرباب
السيف والاقلام مع جفان ثياب والخبز وأنواع الحلوى فيسم ذلك سائر الناس من خاص الخليفة وجهاته
والاستاذين المحتكين الى أرباب الضوء وهم المشاعلية وينقل ذلك في ايدي اهل القاهرة ومصر
(موسم أول العام) وكان لهم بأول العام عناية كبيرة فيه يركب الخليفة بزبه المخم وهيئة العظيمة
كما تقدم ويفرق فيه دنائب الغزة التي مر ذكرها عند ذكر دار الضرب ويفرق من السباط الذى يعمل بالقصر
لاعيان أرباب الخدم من أرباب السيف والاقلام بتقرير مرتب خرقان شواء وزبادى طعام وجامات حلواء
وخبز وقطع منقوخة من سكر وأرز بلبن وسكر فيتناول الناس من ذلك ما يجمل وصفه ويتسبطون بما يصل اليهم
من دنائب الغزة من رسوم الركوب كما شرح فيما تقدم

(يوم عاشوراء) كانوا يتخذونه يوم حزن تتعطل فيه الاسواق ويعمل فيه السباط العظيم المسمى سباط الحزن
وقد ذكر عند ذكر المشهد الحسيني فانتظره وكان يصل الى الناس منه شئ كثير فلما زالت الدولة اتخذ
الملوك من بنى أيوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسعون فيه على عيالهم ويتسبطون في المطاعم ويصنعون
الحلاوات ويتخذون الاواني الجديدة ويكتحلون ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام التي سماهاهم الحجاج
في ايام عبد الملك بن مروان ليرغوا بذلك آناف شيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الذين يتخذون يوم
عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن علي لانه قتل فيه وقد أدركا بقايا ما عمله بنو أيوب من اتخاذ
يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط وكلا الفعلين غير جيد والصواب ترك ذلك والاعتداء بفعل الساف فقط * وما
أحسن قول أبي الحسين الجزار الشاعر مخاطب الشريف شهاب الدين ناظر الاهراء وكتب بها اليه ليلة عاشوراء
عندما اخرعته ما كان من جارية في الاهراء

قل لشهاب الدين ذى الفضل الندى * والسيد بن السيد بن السيد

أقسم بالفرد العلى الصمد * ان لم يبادر ليجازمه وعدى

لا حشرق للهنا * فى غد * مكحل العينين مخضوب اليد

يعرض للشريف بما يرمى به الاشراف من التشيع وانه اذا جاء بهيمة السرور في يوم عاشوراء غاظه ذلك لانه
من أفعال الغضب وهو من أحسن ما سمعته في التعريض فقله دره

(عيد النصر) وهو السادس عشر من المحرم على الخليفة الحافظ لدين الله لانه اليوم الذى ظهر فيه من
محبيه ويفعل فيه ما يفعله في الاعياد من الخطبة والصلاة والزينة والتوسعة في النفقة وكتب فيه ابو القاسم علي
ابن الصيرفى الى بعض الخطباء عيد النصر وهو أفضل الاعياد وأمنها وأعلاها وأدناها على تقصير الواصف

اذ بلغ وتناهى ونحن نأمر لك أن تبرز في يوم الاحد السادس عشر من المحرم سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة على الهيئة التي جرت العادة بمنزلها في الاعباد وتوعد بأن تقرأ على الناس الخطبة التي سبناها اليك قرين هذا الامر بشرح هذا اليوم وتفصيله وذكر ما خصه الله به من تشريفه وتفضيله وتعمد في ذلك ما جرى الرسم فيه في كل عيد وتنتهى فيه الى الغاية التي ليس عليها مزيد فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى * (الموالي الستة) كانت مواسم جليلة يعمل الناس فيها ميزات من ذهب وفضة وخشب ككناج وحلواء كما مر ذلك

* (اليالى الوقود الاربع) * كانت من أبهى الليالى وأحسنها يحشر الناس لمشاهدتها من كل اوب وتصل الى الناس فيها انواع من البر وتعظم فيها مزية أهل الجوامع والمشاهد فانظره في موضعه تجده * (موسم شهر رمضان) * وكان لهم في شهر رمضان عدة أنواع من البر منها كشف المساجد قال الشريف الجوائى في كتاب النقط كان القضاة بمصر اذا بقى لشهر رمضان ثلاثة ايام طافوا يوم على المشاهد والمساجد بالقاهرة ومصر فيبدون بجامع المقس ثم بجوامع القاهرة ثم بالمشاهد ثم بالقرافة ثم بجامع مصر ثم بمشهد الرأس لنظر حصر ذلك وقناده وعمارته وإزالة شعثه وكان اكثر الناس ممن يلوذ بباب الحكم والشهود والطفيلون يتعينون لذلك اليوم والطواف مع القاضي لحضور السماط

* (ابطال المسكرات) * قال ابن المأمون وكانت العادة جارية من الايام الافضلية في آخر جادى الاخرة من كل سنة أن تغلق جميع قاعات الخمارين بالقاهرة ومصر وتختتم ويحذر من بيع الخمر فرأى الوزير المأمون لماولى الوزارة بعد الافضل بن أمير الجيوش أن يكون ذلك في سائر أعمال الدولة فكتب به الى جميع ولاه الاعمال وأن ينادى بأنه من تعرض لبيع شئ من المسكرات أو لشراؤها سراً أو جهراً فقد عرض نفسه لتلافها وبرئت الذمة من هلاكها

* (ومنها غزوة رمضان) * وكان في اول يوم من شهر رمضان يرسل جميع الامراء وغيرهم من أرباب الرتب والخدم لكل واحد طبق ولكل واحد من أولاده ونسائه طبق فيه حلواء وبوسطه صرة من ذهب فيعم ذلك سائر أهل الدولة ويقال لذلك غزوة رمضان

* (ومنها ركوب الخليفة في اول شهر رمضان) * قال ابن الطوير فاذا انقضى شعبان اهتم بركوب اول شهر رمضان وهو يقوم مقام الرؤية عند المتشيعين فيجري أمره في اللباس والآلات والاسلحة والعرض والركوب والترتيب والموكب والطريق المسلوكة كما وصفناه في اول العام لا يحتل بوجه ويكتب الى الولاة والنواب والاعمال بسماطير مختلفة يذكر فيها ركوب الخليفة

* (ومنها سماط شهر رمضان) * وقد تقدم ذكر السماط في قاعة الذهب من القصر

* (بحور الخليفة) * قال ابن المأمون وقد ذكر أسطة رمضان وجلس الخليفة بعد ذلك في الروشن الى وقت السحور والمقرئون تحته يتلون عشر ابطرون بحيث يشاهد هم الخليفة ثم حضر بعدهم المؤذنون واخذوا في التكبير وذكر فضائل السحور وخقوا بالدعاء وقدمت الخدات للوعاظ فذكروا فضائل الشهر ومدح الخليفة والصوفيات وقام كل من الجماعة للرقص ولم يزلوا الى أن انقضى من الليل اكثر من نصفه فحضر بين يدي الخليفة استاذ بما اثم به عليهم وعلى القراشين وأحضرت جفان القطائف وجرار الجلاب برسمهم فأكلوا وملأوا أكجامهم وفضل عنهم ما تحفظه القراشون ثم جلس الخليفة في السدلا التي كان بها عند الفطور وبين يديه المائدة معبأة بجميعها من جميع الحيوان وغيره والقعبة الكبيرة الخاصة بملوءة أو ساطه بالهمة المعروفة وحضر الجلساء واستعمل كل منهم ما اقتدر عليه وأما الخليفة بأن يستعمل من القعبة فيقرق القراشون عليهم اجعين وكل من تناول شيئاً قام وقبل الارض وأخذ منه على سبيل البركة لأولاده وأهله لأن ذلك كان مستقاضاً عندهم غير معيب على فاعله ثم قدمت الصحون الصينية بملوءة قطائف فأخذ منها الجماعة الكفاية وقام الخليفة وجلس بالباز هنج ويزيد به السحورات المطيبات من لبنين رطب ومخض وعدة انواع عصارات واطلوات وسويق ناعم وجريش جميع ذلك بقلويات وموز ثم يكون بيزيد به صينية ذهب بملوءة سفوفاً وحضر الجلساء وأخذ كل منهم في تقبيل الارض والسؤال بما ينعم عليه منه فتناولوه المستخدمون والاستاذون

وفرقوه فأخذهم القوم في أكمهم ثم سلم الجميع وانصرفوا

* (ومنها الختم في آخر رمضان) * وكان يعمل في التاسع والعشرين منه * قال ابن المأمون ولما كان التاسع والعشرون من شهر رمضان خرج الأمر بأضعاف ما هو مستقر للمقرئين والمؤذنين في كل ليلة برسم السجود بحكم أنها ليلة ختم الشهر وحضر الأجل الوزير المأمون في آخر النهار إلى القصر للفطور مع الخليفة والحضور على الأسطة على العادة وحضر أخوته وعمومته وجميع الجلساء وحضر المقرئون والمؤذنون وسلاوا على عاداتهم وجلسوا تحت الروشن وجل من عند معظم الجهات والسيدات والاميرات من أهل القصور ثلاثي وموكبات مملوءة ماء ملفوفة في عراضى ديبقى وجعلها أمام المذكورين لتسملها بركة ختم القرآن الكريم واستفتح المقرئون من الحمد إلى خاتمة القرآن تلاوة وتطريعا ثم وقف بعد ذلك من خطب فأسمع ودعا فأبلغ ورفع القراشون ما أعدوه برسم الجهات ثم كبر المؤذنون وهللوا وأخذوا في الصوفيات إلى أن نزع عليهم من الروشن ذنانهم ودراهم ورباعيات وقدمت جفان القطائف على الرسم مع البسندود والحلواء فجروا على عاداتهم وملأوا أكمهم ثم خرج استاذ من باب الدار الجديدة بخلع خلعهما على الخطيب وغيره ودراهم تفرق على الطائفتين من المقرئين والمؤذنين

* (ذكر مذاهم في أول الشهر) *

اعلم أن القوم كانوا شيعة ثم غلوا حتى عدوا من غلاة أهل الرض وللشيعة في أثناء الشهر وعمل أحسن ما رأيت فيه ما حكاه أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في كتاب الآثار العافية عن القرون الخالية قال وفي سنين من الهجرة فجمت ناجة لأجل أخذهم بالأويل إلى اليهود والنصارى فاذا لهم جد أول وحسابات يستخرجون بها شهرهم ويعرفون منها صيماهم والمسلمون مضطرون إلى رؤية الهلال وتفقد ما اكتسبه القصر من النور وجدوهم شاكين في ذلك مختلفين فيه مقلدين بعضهم بعضا في عمل رؤية الهلال بطريق الزيجات فرجعوا إلى اصحاب علم الهيئة فألقوا زيجاتهم مفتحة بمعرفة أوائل ما يراد من شهور العرب بصنوف الحسابات فظنوا أنهم معمولون لرؤية الأهلته فأخذوا بعضها ونسبوه إلى جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وزعموا أنه ستر من أسرار النبوة وتلك الحسابات مبنية على حركات التدبير الوسطى دون المعدلة أو معمولات على سنة القصر التي هي ثلثة وأربعة وخسون يوما وخمس يوم وسدس يوم وأن ستة أشهر من السنة تامة وستة أشهر نافصة وإن كل نافص منها فهو تال لتام فلما قصدوا استخراج الصوم والفطر بها خرجت قبل الواجب بيوم في أغلب الأحوال فأقولوا قوله عليه السلام صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته وقالوا معنى صوموا لرؤيته أي صوموا اليوم الذي يرى في عشيته كما يقال تهبوا الاستقباله فيقدم التهبوا على الاستقبال قال ورمضان لا ينقص عن ثلاثين يوما أبدا

قوله وفي سنين الخ هكذا هذه العبارة موجودة في جميع النسخ التي يدي ولا يخفى ما فيها من الركاكة والسقامة فلتحذر بمراجعة أصلها اه
مصحح

* (قافله الحاج) * قال في كتاب الذخائر والتحف ان المنفق على الموسم كان في كل سنة تسافر فيها القافلة مائة ألف وعشرين ألف دينار منها ثمن الطب والخلواء والشمع راتبا في كل سنة عشرة آلاف دينار ومنها نفقة الوفد الواصلين إلى الحضرة أربعون ألف دينار ومنها في عن المجانيات والصدقات واجرة الجمال ومعونة من يسير من العسكرية وكبير الموسم وخدم القافلة وحفر الآبار وغير ذلك ستون ألف دينار واثني ألف نفقة كانت في أيام الوزير البازوري قد زادت في كل سنة وبلغت إلى مائتي ألف دينار ولم تبلغ النفقة على الموسم مثل ذلك في دولة من الدول

* (موسم عيد الفطر) * وكان لهم في موسم عيد الفطر عدة وجوه من الخيرات منها تفرقة الفطرة وتفرقة الكسوة وعمل السباط وركوب الخليفة لصلاة العيد وقد تقدم ذكر ذلك كله فيما سبق

* (عيد النحر) * فيه تفرقة الرسوم من الذهب والفضة وتفرقة الكسوة لأرباب الخدم من أهل السيف والقلم وفيه ركوب الخليفة لصلاة العيد وفيه تفرقة الاضاحي كما تر ذلك مبينا في موضعه من هذا الكتاب

* (عيد الغدير) * فيه تزويج الأياشي وفيه الكسوة وتفرقة الهبات لكبراء الدولة ورؤسائها وشيوخها وأمرائها وضيوفها والاستاذين المحنكين والمميزين وفيه النحر أيضا وتفرقة النخائر على أرباب الرسوم وعق

الزقاب وغير ذلك كما سبق بيانه فيما تقدم

* (كسوة الشتاء والصيف) * وكان لهم في كل من فصلى الشتاء والصيف كسوة تفرق على أهل الدولة وعلى أولادهم ونسائهم وقدم ذكر ذلك

* (موسم فتح الخليج) * وكانت لهم في موسم فتح الخليج وجوه من البر متبا الركوب لتخليق المقياس ومبيت القراء بجامع المقياس وتشريف ابن أبي الرزاد بالخلع وغيرها وركوب الخليفة الى فتح الخليج وتفرقة الرسوم على أرباب الدولة من الكسوة والعين والماس كل والتحف وقد تقدم تفصيل ذلك

* (ذكر النوروز) *

وكان النوروز القبطي في أيامهم من جملة المواسم التي تطل فيه الاسواق ويقبل فيه سعي الناس في الطرقات وتفرق فيه الكسوة لرجال أهل الدولة وأولادهم ونسائهم والرسوم من المال وحوائج النوروز * قال ابن زولاق وفي هذه السنة يعني سنة ثلاث وستين وثلاثمائة منع المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز في السكك ومن صب الماء يوم النوروز وقال في سنة أربع وستين وثلاثمائة وفي يوم النوروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران وطاف أهل الاسواق وعملوا فيلة وخرجوا الى القاهرة بلعبهم ولعبوا ثلاثة أيام وأظهروا السماجات والخلي في الاسواق ثم أمر المعز بالنداء بالكف وأن لا توقد نار ولا يصب ماء وأخذ قوم فحسبوا وأخذ قوم فطيف بهم على الجبال وقال ابن ميسر في حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة وفيها أراد الأمر بحكام الله أن يحضر الى دار الملك في النوروز السكك في جمادى الآخرة في المراكب على ما كان عليه الأفضل بن أمير الجيوش فأعاد المأمون عليه أنه لا يمكن فإن الأفضل لا يجري مجراه مجرى الخليفة وحمل اليه من الثياب الفاخرة برسم النوروز للبهات ماله قيمة جليلة وقال ابن المأمون وحل موسم النوروز في التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة به من الطراز ونظر الاسكندرية مع ما يتناع من المذاهب المذهبة والحريري والسوادج وأطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق وجميع الاصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها واسماء أربابها واصناف النوروز البطنج والرماني وعراجين الموز وأفراد البسر وأقفاص القمصى وأقفاص السفرجل وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ولحم الضأن ولحم البقر من كل لون بكلة مع خبز برق مارق قال وأحضر كتاب الدفتر الاثبات بما جرت العادة به من اطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها في يوم النوروز وغير ذلك من جميع الاصناف وهو أربعة آلاف دينار وخمسة عشر ألف درهم فضة والكسوات عدة كثيرة من شقق ديبقي مذهبيات وحريريات ومعاجر وعصائب مشاومات ملونات وشقق لاذمذهب وحريري ومشفع وفوط ديبقي حريري فأما العين والورق والكسوات فذلك لا يخرج عن تحوزة القصور ودار الوزارة والشيخ والاصحاب والحواشي والمستخدمون ورؤساء العشاريات وبجارتها ولم يكن لاحد من الامراء على اختلاف درجاتهم في ذلك نصيب وأما الاصناف من البطنج والرماني والبسر والقر والسفرجل والعناب والهراتس على اختلافها فيشمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم ويشتركون في ذلك جميع الامراء أرباب الاطواق والاقتصاب وسائر الاماثل وقد تقدم شرح ذلك فوقع الوزير المأمون على جميع ذلك بالاتفاق وقال القاضي الفاضل في تعليق المتجددات لسنة أربع وثمانين وخمسمائة يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم النوروز القبطي وهو مستهل ثوب وتوت اول سنتهم وقد كان بمصر في الايام الماضية والدولة الخالية يعني دولة الخلفاء الفاطميين من مواسم بطالاتهم ومواقيت ضلالاتهم فكانت المنكرات ظاهرة فيه والقواحش صريحة في نومه ويركب فيه أمير موسوم بأمير النوروز ومعه جمع كثير ويتسلط على الناس في طلب رسم ربه على دور الاكابر بالجل الكبار ويكتب منشائر وتندب مترجمين كل ذلك يخرج مخرج الطير ويقنع بالميسور من الهبات ويتبع المؤثنون والفساسقات تحت قصر اللؤلؤة بحيث يشاهدهم الخليفة وبأيديهم الملاحى وترتفع الاصوات وتشرى النحر والمزشر باظهارا بينهم وفي الطرقات ويتراش الناس بالماء وبالماء والنحر وبالماء ممزوجة بالاقذار فان غلط مستور وخرج من داره لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ويستحق بجرمته فاما فدى نفسه واما فضح ولم يجز

الحال في هذا النوروز على هذا ولكن قدرش الماء في الحارات وأحيى المنكر في الدور وأرباب الخسارات وقال في سنة اثنين وتسعين وخمسة وجرى الامر في النوروز على العادة من رش الماء واستجذ فيه هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالانطاع وانقطع الناس عن التصرف ومن ظفربه في الطريق رش بمياه نجسة وخرق به * قال مؤلفه رحمه الله تعالى ان اول من اتخذ النوروز جشيد ويقال في اسمه أيضا جشاد أحد ملوك الفرس الاول ومعناه اليوم الجديد والفرس فيه آراء وأعمال على مصطلحهم غير أنه في غير هذا اليوم وقد صنف على بن حمزة الاصفهاني كتابا مفيد في أعياد الفرس وذكر الحافظ ابو القاسم بن عساكر من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال كان اليوم الذي رذ الله فيه الى سليمان بن داود خاتمه يوم النوروز فجاء اليه الشياطين بالتحف وكانت تحفة الخطاطيف أن جاءت بالماء في مناسيقها فرشته بين يدي سليمان فاتخذ الناس رش الماء من ذلك اليوم وعن مقاتل بن سليمان قال سمي ذلك اليوم نيروزا وذلك أنه وافق هذا اليوم الذي يسمونه النيروز فكانت الملوك تقيم بذلك اليوم واتخذوه عيدا وكانوا يرشون الماء في ذلك اليوم ويهدون كفعل الخطاف ويقيمون بذلك والله در القائل

كيف ابتهاجك بالنوروز يا سكني * وكل ما فيه يحكيني وأحكيه
فنازه كاهيب النار في كبدي * وماؤه كئوالى دمعتي فيه
وقال آخر

نوروز الناس ونوروز * ولكن يذموني
وذكت نارهم والنار ما بين ضلوي
وقال غيره

ولما أتى النوروز يا غاية المني * وأنت على الاعراض والهجر والصد
بعثت بنار الشوق ليلا الى الحبس * فنورزت صبحا بالدموع على الخد

(الميلاد) * وهو اليوم الذي ولد فيه عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم والنصاري اتخذوا يوم الميلاد عيداً وتعمله قبط مصر في التاسع والعشرين من كيهك وما برح لاهل مصر به اعتناء وكان من رسوم الدولة الفاطمية فيه تفرقة الجاهات المملوءة من الخلاوات القاهرية والمتارذ التي فيها السمك وقرايات الجلاب وطياقير الزلاية والبورى فيشمل ذلك أرباب الدولة اصحاب السيوف والاقلام بتقرير معلوم على ما ذكره ابن المأمون في تاريخه

(الغطاس) * ومن مواسم النصارى بمصر عمل الغطاس في اليوم الحادى عشر من طوبة * قال المسعودى في مروج الذهب واللبلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لا ينال الناس فيها وهي ليلة احدى عشرة من طوبة ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلاثمائة ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طغج في داره المعروفة بالختار في الجزيرة الراكبة على النيل والنيل مطيف بها وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب القسطاط ألف مشعل غير ما أسرج اهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر النيل في تلك الليلة مئو ألف من الناس من المسلمين والنصارى منهم في الزوارق ومنهم في الدور الدانية من النيل ومنهم على الشطوط لا يتناكرون كل ما يمكنهم اظهاره من المأككل والمشارب وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهي والعزف والقصف وهي أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويفطس أكثرهم في النيل ويؤمنون أن ذلك أمان من المرض ونشرة للداء وقال المسيحي في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة كان غطاس النصارى فضربت الخيام والمضارب والاشرعة في عدة مواضع على شاطئ النيل فنصبت اسرة للرئيس فهدى بن ابراهيم النصرافى كاتب الاستاذ برجوان وأودت له الشموع والمشاعل وحضر المغنون والمهلون وجلس مع أهله يشرب الى أن كان وقت الغطاس فغطس وانصرف * وقال في سنة خمس عشرة وأربعمائة وفي ليلة الاربعاء رابع ذى القعدة كان غطاس النصارى بجرى الرسم من الناس في شراء القواكه والضأن وغيره ونزل أمير المؤمنين الظاهر لا عزاز دين الله بن الحاكم لقصر جده العزيز بالله بمصر لنظر الغطاس ومعه الحرم ونودى أن لا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم الى البحر في الليل وضرب بدر الدولة الخادم الاسود متولى الشرطتين خيمة عند الجسر

وجلس فيها وأمر الخليفة الظاهر لأعز الدين الله بأن تودع المشاعل والنار في الليل فكان وقيد أكثر وأحضر
الرهبان والقسوس بالصلبان والنيران فقسسوا هائل طويلا إلى أن غطسوا وقال ابن المأمون أنه كان من
رسوم الدولة أنه يفرق على سائر أهل الدولة التبرج والتاريخ والليون المراكبي وأطيان القصب والسمن
والبورى برسوم مقررة لكل واحد من أرباب السيوف والأقلام

* (جنيس العهد) * ويسميه أهل مصر من العاتية جنيس العدس ويعمله نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة أيام
ويتهادون فيه وكان من جملة رسوم الدولة الفاطمية في جنيس العدس ضرب خمسمائة دينار ذهب عشرة آلاف
خزوبة وتفرقتها على جميع أرباب الرسوم كما تقدم

* (أيام الركوبات) * وكان الخليفة يركب في كل يوم سبت وثلاثاء إلى منتزهاته بالبساتين والتج وقبة الهواء
والجنس وجوه وبستان البعل ودار الملك ومنازل العز والروضة فيعم الناس في هذه الأيام من الصدقات
أنواع ما بين ذهب وما كل وأشربة وحلاوات وغير ذلك كما تقدم بيانه في موضعه من هذا الكتاب

* (صلاة الجمعة) * وكان الخليفة يركب في كل سنة ثلاث ركبات لصلاة الجمعة بالناس في جامع القاهرة
الذي يعرف بالجامع الأزهر مرة وفي جامع الخطبة المعروف بالجامع الحاكمي مرة وفي جامع عمرو بن العاص
بمصر أخرى فينال الناس منه في هذه الجمع الثلاث رسوم وهبات وصدقات كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى
عند ذكر الجامع الأزهر * والله در الفقيه عمارة البني فقد ضمن مرثيته أهل القصر جلا ماذكر وهي

القصيد التي قال ابن سعد فيها ولم يسمع فيما يكتب في دولة بعد انقراضها أحسن منها

رميت يادهر كف المجد بالشلل * وجيده بعد حسن الحل بالعطل
سعت في منهج الراي العنور فان * قدرت من عنرات الدهر فاستقل
جدعت مارنك الاقنى فأنفك لا * ينفك ما بين قرع السن والخل
هدمت قاعدة المعروف عن عمل * سعت مهلا أما تمشي على مهل
لهني ولهف بنى الآمال قاطبة * على تجيعتها في كرم الدول
قدمت مصر فأولتني خلافتها * من المكارم ما أربى على الأمل
قوم عرفت بهم كسب الألوف ومن * كمالها أنها جاءت ولم أسل
وكنت من وزراء المستحين سما * رأس الحصان يهديه على الكفل
ونلت من عظماء الجيش مكرمة * وخلة حرس من عارض الخلل
بأعاذي في هوى أبناء فاطمة * لك الملامة ان قصرت في عدلي
بأنه در ساحة القصرين وابك معي * عليهما لأعلى صفين والجل
وقل لاهليهما والله ما التحمت * فيكم جراحى ولا قرحى بمن دمل
ماذا عسى كانت الافرنج فاعلة * في نسل آل أمير المؤمنين على
هل كان في الامر شئ غير قسمة ما * ملكتموا بين حكم السبي والنفل
وقد حصلت عليهما واسم جدكم * محمد وأبوكم غير منتقل
مررت بالقصر والاركان خالية * من الوفود وكانت قبلة القبل
فلت عنها بوجهي خوف منتقد * من الاعادى ووجه الود لم يعل
أسلت من أسنى دمعى غداة خلت * رحابكم وغدت مهجورة السبل
أبكى على ما تراءت من مكارمكم * حال الزمان عليها وهي لم تحل
دار الضيافة كانت أنس وافدكم * واليوم أوحش من رسم ومن طلال
وفطرة الصوم اذا أضحت مكارمكم * تشكروا من الدهر حيفا غير محتمل
وكسوة الناس في الفصلين قد درست * ورث منها جديده عند هم وبلى
وموسم كان في يوم الخليل لكم * يأتي تجملكم فيه على الجمل
وأول العام والعبيد كم لكم * فبهن من وبلى جود ليس بالوشل

والارض تهتز في يوم الغدير كما * يهتز ما بين قصر بكم من الاسل
والخيل تعرض في وثى وفي شبة * مثل العرائس في حل وفي حل
ولا حلتهم قري الاضياف من سعة الاطباق الاعلى الاكثاف والمجل
وما خصصتم بئر اهل ملتكم * حتى عسمتم به الاقصى من الملل
كانت رواتبكم للذمتين وللضيف المقيم وللطاري من الرسل
ثم الطراز بتيس الذي عظمت * منه الصلات لاهل الارض والدول
وللبوامع من احسانكم نعم * لمن تصدق في علم وفي عمل
وربما عادت الدنيا فعقلها * منكم وأضحت بكم محلوله العقل
والله لا فاز يوم الحشر مبغضكم * ولا نجاة من عذاب الله غير ولى
ولاسقى الماء من حر ومن ظمأ * من كف خير البرايا خاتم الرسل
ولا رأى جنة الله التي خلقت * من خان عهد الامام العاضد ابن على
اثنى وهداني والذخيرة لى * اذا ارتمت بما قدمت من على
تالله لم اوفهم في المدح حقهم * لان فضلهم كالوايل الهطل
ولو تضاعفت الاقوال واتسعت * ما كنت فيهم بحمد الله بانخل
باب النجاة هم ديننا وآخرة * وحيم فهو اصل الدين والعمل
فورا الهدي ومصايح الدجى ومحل الغيث ان ربت الانواء في المحل
أعنة خلقوا نورافنورهم * من محض خالص نور الله لم يغفل
والله ما زلت عن جبي لهم أبدا * ما اخرا الله في مدة الاجل
وبسبب هذه القصيدة قتل عمارة رجه الله وتحت له الذنوب انتهى ما ذكره رجه الله تعالى

* (ذكر ما كان من امر القصرين والمناسط بعد زوال الدولة الفاطمية) *

ولما مات العاضد ابن الله في يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة احتاط الطواشي قراقوش على اهل
العاضد وأولاده فكانت عدة الاشراف في القصور مائة وثلاثين والاطفال خمسة وسبعين وجعلهم في مكان
أفرد لهم خارج القصر وجع عمومته وعشيرته في ايوان بالقصر واحترز عليهم وفترق بين الرجال والنساء اثلا
يتناسلوا وليكون ذلك أسرع لانقراضهم وتسلم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب القصر بما فيه من
الخزائن والدواوين وغيرها من الاموال والنفائس وكانت عظمة الوصف واستعرض من فيه من الجوارى
والعبيد فأطلق من كان حرًا وذهب واستخدم باقيهم وأطلق البيع في كل جديد وعتيق فاستمر البيع فيما وجد
بالقصر عشرين سنين وأخلى القصور من سكانها وأغلق أبوابها ثم ملكها امراءه وضرب الألواح على ما كان للنفاء
وأبسا عهم من الدور والرباع وأقطع خواصه منها ارباع بعضها ثم قسم القصور فأعطى القصر الكبير للامراء
فسكنوا فيه وأسكن أباه نجم الدين أيوب بن شادى في قصر اللؤلؤة على الخليج وأخذ أصحابه دور من كان ينسب
الى الدولة الفاطمية فكان الرجل اذا استحسن دارا أخرج منها سكانها ونزل بها قال القاضي الفاضل وفي ثالث
عشره يعنى ربيع الآخر سنة سبع وستين كشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر فقبل ان الموجود فيه مائة
صندوق كسوه فاخرة من موشع وعقود ثمينة وذخائر نفيسة وجواهر نفيسة وغير ذلك من ذخائر جمة
الخطر وكان الكاشف بها الدين قراقوش وبيان وأخلى أمكنة من القصر الغربى سكن بها الامير موسى
والامير أبو الهيثم السمنى وغيره من الغز وملئت المناظر المصونة عن المناظر والمتزهات التي لم يخطر ابتذالها
في الخاطر فسبحان مظهر العجائب ومحدثها ووارث الارض ومورعها قال ومقدار ما يحدس أنه خرج من القصر
ما بين دينار ودرهم ومصاغ وجواهر ونحاس وملبوس واثاث وقاش وسلاح ما لا يحصى به ملك الأكاسرة ولا تتصوره
الخواطر الحاضرة ولا يشغل على مثله الممالك العامرة ولا يقدر على حسابه الامن يقدر على حساب الخلق
في الآخرة * وقال الحافظ جمال الدين يوسف اليغمورى وجدت بخط المذهب أبي طالب محمد بن على بن الخبي

حدثني الأمير عضد الدين مرخف بن محمد الدين سويد الدولة بن منقذ أن القصر أغلق على ثمانية عشر ألف سمة عشرة آلاف شريف وشريفة وثمانية آلاف عبد وخادم وأمة ومولدة وتربية * وقال ابن عبد الظاهر عن القصر لما أخذ صلاح الدين وأخرج من به كان فيه اثنا عشر ألف سمة ليس فيهم غل الا الخليفة وأهله وأولاده ولما أخرجوا منه أسكنوا في دار المظفر وقبض أيضا صلاح الدين على الأمير داود بن العاضد وكان ولي العهد وينعت بالحامد لله واعتقل معه جميع اخوته الأمير أبو الأمانة جبريل وأبو الفتوح وابنه أبو القاسم وسليمان بن داود وعبد الظاهر حميدة بن العاضد وعبد الوهاب بن إبراهيم بن العاضد وإسماعيل بن العاضد وجعفر بن أبي الظاهر بن جبريل وعبد الظاهر بن أبي الفتوح بن جبريل بن الحافظ وجعاعة من بني أعمامة فلم ير الوافي الاعتقال بدار الفضل من حارة برجوان إلى أن انتقل الملك الكامل محمد بن العادل بن أبي بكر بن أيوب من دار الوزارة بقاهرة إلى قلعة الجبل فنقل معه ولد العاضد واخوته وأولادهم واعتقلهم بالقلعة وبها مات العاضد واستمر البقية حتى انقرضت الدولة الأيوبية وملك الأتراك إلى أن تسلط الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري فلما كان في سنة ستين وثمانين أشهد على من بقي منهم وهم كمال الدين إسماعيل بن العاضد وعماد الدين أبو القاسم ابن الأمير أبي الفتوح بن العاضد وبدر الدين عبد الوهاب بن إبراهيم بن العاضد أن جميع المواضع التي قبلي المدارس الصالحية من القصر الكبير والموضع المعروف بالتربة ظاهرًا وباطنًا بحظ الخوخ السبع وجميع المواضع المعروف بالقصر الياضي بالخط المذكور وجميع المواضع المعروف بسكن أولاد شيخ الشيوخ وغيرهم من القصر الشارح بابه قبالة دار الحديث النبوي الكاملة وجميع المواضع المعروف بالقصر الغربي وجميع المواضع المعروف بدار الفطرة بحظ المشهد الحسيني وجميع المواضع المعروف بدار الضيافة بحارة برجوان وجميع المواضع المعروف باللؤلؤة وجميع قصر الزمرذ وجميع البستان الكافوري ملك لبيت المال المولوي السلطاني الملكي الظاهري من وجه صحيح شرعي لا رجعة لهم فيه ولا لواحد منهم في ذلك ولا في شيء منه ولا مثنوية بسبب يد ولا ملك ولا وجه من الوجوه كما خلا ما في ذلك من مسجد لله تبارك وتعالى أو مدفن لأبائهم وورث ذلك الشهادين ثلاث عشر ربيع الأول سنة ستين وثمانين وأثبت على قاضي القضاة صاحب تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الشافعي رحمه الله تعالى وتقرر مع المذكورين أن مهما كان قبضوه من ثمان بعض الأماكن المذكورة التي عاقد عليها وكلاؤهم واتصلوا اليه بحاسبوا به من جلة ما يجرز ثمنه عند وكيل بيت المال وقبضت أيدي المذكورين عن التصرف في الأماكن المذكورة وغيرها ورسم بيعها فباعها وكيل بيت المال كمال الدين ظافر أولًا فأولًا وقبضت شيئاً فشيئاً وبني في أماكنها ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى واشترى قاعة السدرة بجوار المدرسة والتربة الصالحية قاضي القضاة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن مسرور المقدسي الحنبلي مدرس الحنابلة بالمدرسة الصالحية بألف وخمسة وسبعين ديناراً في ربيع جادى الآخرة سنة ستين وثمانين من كمال الدين ظافر بن القضيعة نصر وكيل بيت المال ثم باعها المذكور للملك الظاهر بيبرس في حادى عشرى جادى الآخرة المذكور وقاعة السدرة هذه قد صارت هي وقاعة الخليم أصل المدرسة الظاهرية الركنية البيرونية البندقدارية قال القاضي الفاضل وفي يوم الاثنين سادس شهر رجب يعنى من سنة أربع وثمانين وخمسمائة ظهر تسحب رجلين من المعتقلين في القصر أحدهما من أقارب المستنصر والآخري من أقارب الحافظ وأكبرهما سناً كان معتقلاً بالايوان حدث به مرض وأثنى فيه ففك حديدته ونقل إلى القصر الغربي في أوائل سنة ثلاث وثمانين واستمر لما به ولم يستقل من المرض وطلب فقده واسمه موسى بن عبد الرحمن أبي حمزة بن حيدرة بن أبي الحسن أخى الحافظ واسم الآخر موسى بن عبد الرحمن بن أبي محمد بن أبي اليسر بن محسن بن المستنصر وكان طفلاً في وقت الكائن بأهله وأقام بالقصر الغربي مع من أسره به إلى أن كبر وشب قال وذكر أن القصر الغربي قد استولى عليه الخراب وعلا على جدرانته التشعث والهدم وأنه يجاور اصطبلات فيها جعاعة من المفسدين وربما تسلق اليه للتطرق للنساء المعتقلات والمتسلق منه إذا قويت نفسه على التسحب لم تكن عقلته في القصر المذكور مانعة من التسحب قال وعدد من بقي من هذه الذرية بدار المظفر والقصر الغربي والايوان مائتان واثنتان وخمسون شخصاً ذكور ثمانية وتسعون واثان مائة وأربعة وخمسون تفصيله المقيمون بدار المظفر أحد وثلاثون

ذكورا أحد عشر كلهم أولاد العاضد لصلبه اثنا عشر بنات العاضد خمسة أخوته أربع جهات
العاضد أربع بنات الحافظ ثلاث جهات يوسف ابنه وجبريل ابن عمه أربع المعتقلون بالايوان خمسة
وخمسون رجلا منهم الامير أبو الظاهر بن جبريل بن الحافظ المقيمون بالقصر الغربي مائة وستة وستون شخصا
ذكورا ثمان وثلاثون اكبرهم عمره عشرون سنة وأصغرهم عمره سبع عشرة سنة اثنا مائة وأربع وثلاثون
بنات أربع وستون أخوات وعمات وزوجات سبعون * قال وفي جادى

الآخرة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة كانت عدة من فى دار المنظر بحارة

برجوان والقصر الغربى والايوان من أولاد العاضد وأقاربه ومن معهم

مضافا اليهم ثلثمائة واثنين وسبعين نفسا دار المنظر أحرار ومالك

مائة وست وستون نفسا القصر الغربى أحرار مائة وأربعون

نفسا الايوان تسعة وسبعون رجلا بالغون وأما منازل

العز فاستراها الملك المنظر نقي الدين عمر بن شاهنشاه بن

نجم الدين أيوب بن شادى فى نصف شعبان سنة ست

وستين وخمسمائة وجعلها مدرسة للفقهاء

الشافعية واشترى الروضة وجعلها وقفا

على المدرسة المذكورة والله تعالى

اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

وصلى الله على سيدنا محمد

وآله وسلم

تم الجزء المبارك بحمد الله وعونه ويتلوه الجزء الثانى الحارث

بيان الخطا والصواب في الجزء الاول من هذا الكتاب

خطا	صواب	صحيفة	سطر	خطا	صواب	صحيفة	سطر
به راقمه	به وراقمه	٢	١٧	وأولاد الافارق	ووالد الافارقة	١٩	٢٧
قد دثرت بعده	قد ثرت بعده	٥	٠٨	ان عبد شمس بن	ان عبد شمس بن	١٩	٣٨
معظم	معظم			يشجب	يشجب		
وخيره	وصيره	٧	٢٥	البراري الى عيونته	البراري الى عيونته	٢٠	٨
فالمااء يجري	لعل صوابه بقلب			بجميع	بجميع	٢٠	٨
من قلب سال	سال لانه من مخلف	٨	١٤	في الناس يجتروا	في الناس يجتروا	٢٠	١٤
والفرع المقدم	والفرغ المقدم	٩	٠٥	واثل بن جبر	واثل بن جبر	٢٠	٢٤
والفرع المؤخر	والفرغ المؤخر	٩	٠٥	السكسك	السكسك	٢٠	٢٤
كالخ	كالخ	٩	١٣ و ١٥	فلم يجبهه ولا أحد	فلم يجبهه ولا أحد	٢٠	٣٨ و ٣٧
ريقر اطس	ديمقراطس	٩	١٨	ابن لهيعة	ابن لهيعة	٢١	٠٥
تدبير	تدوير	٩	٢١	اسماء للبلد	اسماء للبلد	٢١	٣٦
ضرر رقوتها غير	ضرر رقربها عن	١٠	١١	ادخلوا مصران	ادخلوا مصران	٢١	٣٨
ساكنة	ساكنيه			شاء الله آمين	شاء الله آمين		
تمنع من سلوكه	تمنع من سلوكها	١١	٣٩	في كتاب ليس أحد	في كتاب ليس ليس	٢٢	٠٧
الجبال	الجبال			ثم ربنا الله	ثم ربنا الله	٢٢	١٥
صارت السنة	صارت القسمة	١٢	١٦	قضى لسته ايام	قضى لسته ايام	٢٢	٢١
يحسب بين	يحسب بيني	١٢	١٨	من خلقته	من خلقته		
ومن السماوة	ومن السماوة	١٣	٠٧	ضلعه	ضلعه	٢٢	٢٤
بيلاذ البيت	بيلاذ التبت	١٣	٢١	اجلا	اجلا	٢٢	٢٧
والصيصة	والمصيصة	١٣	٢٤	ابو بصرة	ابو بصرة	٢٢	٣٤
ومن السياة	ومن السبارة	١٣	٢٧	فاغاث الله	فاغاث الله	٢٢	٣٥
الاقسام السبعة	الاقاليم السبعة	١٤	٢٥	قال ذبيان	قال ذبيان	٢٢	٣٧
تشريفا	تشريفا	١٤	٣٣	وياخذ منكم من	(هكذا في النسخ)	٢٢	٣٨
المهالك	المهالك	١٤	٣٧	حب كما يمتار مصر	وهو محل تأتل		
متشرف	له (متسرب)	١٥	٣٥	ان غنم	ان غنم	٢٤	٠٤
بلا الصين	بلاد الصين	١٦	٣٦	السفاد	السفاد	٢٤	١٧
التعير من بلاد	التعير من بلاد			الجنند العربي	الجنند العربي	٢٤	٢٤
كران	مكران	١٦	٣٧	فاذا رايتهم رجلا	فاذا رايتهم رجلين	٢٤	٣٦
النخيه	البيج	١٧	٠٧	والطرمة	والطرمة	٢٦	٠١
نهر يردع هران	يردع نهر هيران	١٧	١٠	الحافري	الحافري	٢٦	٠٢
البر الرومي	البحر الرومي	١٨	٠٩	بكل ساحر	بكل ساحر	٢٧	٢٨
معدونية	معدونية	١٨	٣٥	جدر الكعبة	جدر الكعبة	٢٨	٣٩
ابنته قليمون	ابنة قليمون	١٩	١١				
عاصي	عابر	١٩	١٦				

خطا	صواب	صحيفة	سطر
ثم غسدت حتى	ثم غسدت حتى ينتهي	٥١	٢٩
وفي جودة	وفي جزيرة القمر	٥٢	٥٨
وكذلك اغضوا	ولذلك اغضوا عنه	٥٢	٢١
وكان فيما يذكر	له (فانه كان فيما يذكر الخ) ليكون جوابا لاما	٥٣	١٣
كتاب جعفر	كتاب جغرافيا	٥٣	٢٥
لان نسبة	لان نسبة	٥٥	٢٠
وانما استدلاله	واما استدلاله	٥٦	٢٥
الى بناء على	الى ما	٥٦	٢٩
العزير لدين الله	العزير لدين الله	٦١	٥٨
والجزيرة يعرف	والجزيرة التي تعرف	٦١	٣٣
والجزيرة أيضا	والجزيرة أيضا	٦١	٣٤
منها	منها	٦١	٣٤
يفترغ	تفرغ	٦٢	٢٩
الموزون من	له (الوزن من)	٦٢	٣١
الدستورات	الدستورات	٦٢	٣١
المتحجة	(المتحجة)	٦٢	٣١
مستكا	مصطكا	٦٣	٢٨
حيث الغشمة في	حيث الغشمة في	٦٤	٥٧
التشيل معتزل	التشيل معتزل	٦٤	٥٧
لامن دمة الشفق	ملق في دم الشفق	٦٤	٥٩
مدارة نفسه	مداراة نفسه	٦٤	١٩
بماء يتر	بماء يتر	٦٥	٢٢
انا متخرقة	انا متخرقة	٦٦	٣٢
ذلك الخراب	ذلك الخراب	٦٨	٢٥
يلا كاف	يلا غير كاف	٦٨	٢٩
اصناف الكواكب	اصناف الكواكب	٧٠	٢٩
تسمى المنهل	تسمى المنهل	٧١	٢٢
خمس ومائة	خمس ومائة	٧١	٣٧
بن نسب	بن نسب	٧٢	١٨
الشرالك والقرى	الشرالك التسع قرى	٧٣	١٤
وهي من قوص	وهي من قوص	٧٤	٥٥

خطا	صواب	صحيفة	سطر
الكافي الله به	الكافي لئيبه عيا سواه	٢٩	١٠
فقد ما سواه	(هكذا في بعض النسخ فليتناقل)	٢٩	١٠
ويترك اصحابه	وينزل اصحابه	٢٩	٢٤
ثم شرحه	ثم شرحه	٢٩	٣٠
ثم دعا رجلا عاقلا	(هكذا في النسخ وفيه تأمل)	٢٩	٣٦
ثم لم يدع الخ	ابو يعقوب	٣٠	٥٤
اسمه ابن عبد الله	اسمه جبير بن عبد الله	٣٠	٥٧
لمسلة بن محمد	لمحمد بن مسلة	٣٠	١٣
ولا يتغير	ولا يتغير	٣٢	٣٧
جزأ	جزأ	٣٣	٥١
جارويه	خارويه	٣٤	٣٧
اذا خرج	اذا أخرج	٣٧	٣٤
غطاه	تخطاه	٣٧	٣٨
بيت	يتب	٣٨	١٣
واحد	واحد	٣٩	٢٥
بعضها	يقصدها	٣٩	٣٩
واجرة	واجرة	٤١	٥٥
وآمنت بنوا	وآمنت بنوا	٤٢	٤٩
اسرائيل	اسرائيل	٤٢	٤٩
بمائلته	بمائلته	٤٢	٤٩
من الصنف	من الصنف	٤٢	٢٩
مصر واذا	مصر اذا	٤٣	١٨
اخبار البلدان	اخبار البلدان	٤٤	٢٤
النبيذ	كالنبيذ	٤٤	٣٦
وكثيرا	وكثير	٤٥	٥١
ضعيفة	صيفة	٤٦	١٢
واحد	وافد	٤٧	١٧
بوضع جرب	بوضع جرب	٤٧	٢٢
سيرهم	سفرهم	٤٧	٢٦
يعرض الهواء	يعرض للهواء	٤٧	٣٢
تعدباقية	بعدباقية	٤٨	٥٧
القرينة	القرينة	٤٨	١٩
الابدان في	الابدان في	٤٨	٢٠
قوة عليه	قوة عليه	٤٩	٥٣

خطا	صواب	صفحة	سطر	خطا	صواب	صفحة	سطر
فذان	(وفي بعض النسخ)			ونخرج بجيش	ونخرج بجيش رجل	٧٩	٢٩
والباقي	فذان ويقال ان احمد			رجل			
	ابن مدبر اعقب برما يصلح	٧٥	٠٩	بعبد الملك	عبد الملك	٧٩	٣٠
	للزراعة بأرض مصر			فقتل بجيش	فقتل بجيش	٧٩	٣٠
	فوجدته أربعة وعشرين			بضراية	بضرائب	٨٢	٠٩
	ألف ألف والباقي			القاتل	القائد	٨٣	٠٤
الشريف	الشريف الجواني			غيرها	عبرتها	٨٣	١٤
الحزاني				الامرين	الامرين	٨٤	٣١ و ١٤
له الامراء	له الامراء	٧٧	٥				
تنوذي	تنوذي	٧٩	٢٦				

هذا ما وجدناه في الم لازم الاول من الجزء الاول مما يلزم التنبيه عليه وأغلبه من تحريف نسخ الاصل التي طبع منها هذا الكتاب كما يعلم بالوقوف عليها والله اعلم بالصواب

فهرست الجزء الاول من كتاب الخطط للعلامة المقرئ

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢	خطبة الكتاب	٢٦	الخليج الناصري
٣	ذكر الرؤس الثمانية	٧٢	ذكر ما كانت عليه ارض مصر في الزمن الاول
٤	فصل اول من رتب خطط مصر وأثارها الخ	٧٢	ذكر أعمال الديار المصرية وكورها
٥	ذكر طرف من هيئة الافلاك		ذكر ما كان يعمل في اراضي مصر من حفر
٩	ذكر صورة الارض وموضع الاقاليم منها		الترع وعمارة الجسور ونحو ذلك من أجل
	ذكر محل مصر من الارض وموضعها من	٧٤	ضبط ماء النيل وتصريفه في اوقاته
	الاقسام السبعة	٧٥	ذكر مقدار خراج مصر في الزمن الاول
	ذكر حدود مصر وجهاتها		ذكر ما عمل المسلمون عند فتح مصر في الخراج
	ذكر بحر القلزم	٧٦	وما كان من أمر مصر في ذلك مع القبط
	ذكر البحر الرومي		ذكر انتفاض القبط وما كان من الاحداث
	ذكر اشتهاق مصر ومعناها وتعداد اسمائها	٧٩	في ذلك
	ذكر طرف من فضائل مصر		ذكر نزول العرب بريف مصر واتخاذهم الزرع
	ذكر العجائب التي كانت بمصر من الطلسمات	٨٠	معاشا وما كان في نزولهم من الاحداث
	والبرابي ونحو ذلك		ذكر قبالات اراضي مصر بعدما فشا الاسلام
	ذكر الدقائق والكنوز التي يسبحها اهل مصر		في القبط ونزول العرب في القرى وما كان من
	المطالب	٨١	ذلك الى الزول الاخير الناصري
	ذكر هلاك أموال اهل مصر	٨٧	ذكر الزول الاخير الناصري
	ذكر اخلاق اهل مصر وطبائعهم وأمن جنهم	٩١	ذكر الديوان
	ذكر شيء من فضائل النيل	٩١	ذكر ديوان العساكر والجيش
	ذكر مخرج النيل وانبعائه	٩٥	ذكر انطاع والاقطاعات
	فصل في الرد على من اعتقد أن النيل من سبل	٩٨	ذكر ديوان الخراج والاموال
	بفيض	٩٨	ذكر خراج مصر في الاسلام
	ذكره قاييس النيل وزيادته	١٠٠	ذكر اصناف اراضي مصر واقسام زراعتها
	ذكر الجسر الذي كان يعبر عليه في النيل	١٠٣	ذكر اقسام مال مصر
	ذكر ما قيل في ماء النيل من مدح وذم	١١١	ذكر الاهرام
	ذكر عجائب النيل	١٢٢	ذكر الصم الذي يقال له ابو الهول
	ذكر طرف من تقدمه المعرفة بحال النيل في كل	١٢٣	ذكر الجبال
	سنة	١٢٣	ذكر الجبل المقطم
	ذكر عيد الشهيد	١٢٥	الجبل الاحمر
	ذكر الخلمان التي شقت من النيل	١٢٥	جبل يشكر
	خليج سخا	١٢٥	ذكر الرصد
	خليج سردوس	١٢٨	ذكر مدائن ارض مصر
	خليج الاسكندرية	١٢٩	ذكر مدينة امسوس وعجائبها وملوكها
	خليج الفيوم والمنهى	١٣٤	ذكر مدينة منف وملوكها
	خليج القاهرة	١٤٤	ذكر مدينة الاسكندرية
	بحر ابى المنجا	١٥٠	ذكر الاسكندر

صحيفة

٢٠٣

٢٠٣

٢٠٣

٢٠٤

٢٠٤

٢٠٤

٢٠٥

٢٠٥

٢٠٥

٢٠٥

٢٠٥

٢٠٧

٢٠٨

٢٠٨

٢٠٨

٢٠٨

٢٠٩

٢٠٩

٢١٠

٢١١

٢١٢

٢١٣

٢١٣

٢٢٦

٢٢٦

٢٢٧

٢٢٨

٢٢٨

٢٣١

٢٣٢

٢٣٢

٢٣٣

٢٣٤

٢٣٥

٢٣٥

٢٣٦

٢٣٧

٢٣٧

صحيفة

١٥١

١٥٣

١٥٤

١٥٥

١٥٨

١٥٩

١٦٢

١٦٣

١٦٧

١٦٩

١٦٩

١٧٢

١٧٥

١٧٦

١٨٢

١٨٢

١٨٣

١٨٤

١٨٦

١٨٦

١٨٨

١٨٨

١٨٩

١٨٩

١٩٠

١٩١

١٩٤

١٩٧

١٩٩

١٩٩

١٩٩

١٩٩

٢٠٢

٢٠٣

٢٠٣

ذكر تاريخ الاسكندر

ذكر الفرق بين الاسكندر وذي القرنين وانما

رجلان

ذكر من ولي الملك بالاسكندرية بعد الاسكندر

ذكر منارة الاسكندرية

ذكر الملعب الذي كان بالاسكندرية وغيره

من العجائب

ذكر عود السواري

ذكر طرف مما قيل في الاسكندرية

ذكر فتح الاسكندرية

ذكر ما كان من فعل المسلمين بالاسكندرية

واتنقاض الروم

ذكر بحيرة الاسكندرية

ذكر خليج الاسكندرية

ذكر جل حوادث الاسكندرية

ذكر مدينة اريب

ذكر مدينة تنيس

ذكر مدينة صا

رمل الغرابي

ذكر مدينة بليس

ذكر بلد الورداء

ذكر مدينة ايلة

ذكر مدينة مدين

بقية خبر مدينة مدين

ذكر مدينة فاران

ذكر ارض الجفار

ذكر صعيد مصر

ذكر الجنادل ولع من اخبار ارض النوبة

ذكر شعب النيل من بلاد علوة ومن يسكن

عليه من الامم

ذكر الحجة ويقال انهم من البربر

ذكر مدينة اسوان

ذكر بلاق

ذكر حائط العجوز

ذكر البقط

ذكر صحراء عذاب

ذكر مدينة الاقصر

ذكر البليتا

ذكر سمهود

ذكر ارجنوس

ذكر ابوبطر

ذكر ماوى

ذكر مدينة انصنا

ذكر القيس

ذكر دروط بلهاصة

ذكر سكر

ذكر منية الخصيب

ذكر منية الناسك

ذكر الجيزة

ذكر سجن يوسف عليه السلام

ذكر قرية ترسا

ذكر منية اندونة

ذكر وسيم

ذكر منية عقبة

ذكر حلوان

عبد العزيز بن مروان

ذكر مدينة العرش

ذكر مدينة الفرما

ذكر مدينة القايم

التيه

ذكر مدينة دمياط

ذكر شطا

ذكر الطريق فيما بين مدينة مصر ودمشق

ذكر مدينة حطين

ذكر مدينة الرقة

ذكر عين شمس

المنصورة

العباسة

ذكر مدينة قفط بصعيد مصر

ذكر مدينة دندرة

ذكر الواحات الداخلة

ذكر مدينة سنتريه

ذكر الواحات الخارجة

ذكر مدينة قوص

ذكر مدينة اسنا

ذكر مدينة ادفو

صفحة	مصر	صفحة	اهناس
٣٠٤	ذكر العسكر الذي بنى بظاهر مدينة فسطاط	٢٣٧	ذكر مدينة الهنسا
٣٠٦	ذكر من نزل العسكر من امراء مصر من حين بنى الى أن بنيت القطائع	٢٣٨	ذكر مدينة الاشموين
٣١٣	ذكر القطائع ودولة بنى طولون	٢٣٩	ذكر مدينة اخميم
٣٢٧	ذكر من ولي مصر من الامراء بعد خراب القطائع الى أن بنيت القاهرة المعز على يد القائد جوهر	٢٤٠	ذكر مدينة العقاب
٣٣٠	ذكر ما كانت عليه مدينة الفسطاط من كثرة العمارة	٢٤١	ذكر مدينة الفيوم
٣٣٤	ذكر الامار الواردة في خراب مصر	٢٤٧	يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام
٣٣٥	ذكر خراب الفسطاط	٢٤٧	ذكر ما قيل في الفيوم وخلقها وما ضياعها
٣٣٩	ذكر ما قيل في مدينة فسطاط مصر	٢٤٩	ذكر فتح الفيوم ومبلغ خراجها وما فيها من المرافق
٣٤٢	ذكر ما عليه مدينة مصر الان وصفتها	٢٥٠	مدينة النحريرية
٣٤٣	ذكر ساحل النيل بمدينة مصر	٢٥٠	ذكر تاريخ الخلقة
٣٤٥	ذكر المنشأة	٢٥٠	ذكر ما قيل في مدة ايام الدنيا ما ضياعها وما فيها
٣٤٧	ذكر ابواب مدينة مصر	٢٥٨	ذكر التواريخ التي كانت للام قبل تاريخ القبط
٣٤٨	ذكر القاهرة القاهرة المعز لدين الله	٢٦١	ذكر تاريخ القبط
٣٤٨	ذكر ما قيل في نسب الخلفاء الفاطميين بناء القاهرة	٢٦٢	ذكر دقلطيانوس الذي يعرف تاريخ القبط به
٣٤٩	ذكر الخلفاء الفاطميين	٢٦٣	ذكر اسابيع الايام
٣٥٩	ذكر ما كان عليه موضع القاهرة قبل وضعها	٢٦٤	ذكر اعياد القبط من النصرى بديار مصر
٣٦٠	ذكر حدة القاهرة	٢٦٩	ذكر ما يوافق ايام الشهور القبطية من الاعمال في الزراعات وزيادة النيل وغير ذلك على ما نقله اهل مصر عن قدمائهم واعتمدوا عليه في امورهم
٣٦٠	ذكر بناء القاهرة وما كانت عليه في الدولة الفاطمية	٢٧٣	ذكر تحويل السنة الخراجية القبطية الى السنة الهلالية العربية
٣٦٤	ذكر ما صارت اليه القاهرة بعد استيلاء الدولة الايوبية عليها	٢٨٥	ذكر فسطاط مصر
٣٦٥	ذكر طرف مما قيل في القاهرة ومنزعاتها	٢٨٦	ذكر ما كان عليه موضع الفسطاط قبل الاسلام الى أن اختطه المسلمون مدينة
٣٧٢	ذكر ما قيل في مدة بقاء القاهرة ووقت خرابها	٢٨٧	ذكر الحصن الذي يعرف بقصر الشمع
٣٧٣	ذكر مسالك القاهرة وشوارعها على ما هي عليه الآن	٢٨٨	ذكر حصار المسلمين بالقصر وفتح مصر
٣٧٧	ذكر سور القاهرة	٢٩٤	ذكر ما قيل في مصر هل قحت بصلح او عنوة
٣٨٠	ذكر ابواب القاهرة	٢٩٤	ذكر من شهد فتح مصر من الصحابة رضی الله عنهم
٣٨٠	باب زويلة	٢٩٥	ذكر السبب في تسمية مدينة مصر بالفسطاط
٣٨١	باب النصر	٢٩٦	ذكر الخطط التي كانت بمدينة الفسطاط
٣٨١	باب القنطرة	٢٩٦	ذكر امراء الفسطاط من حين قحت مصر الى أن بنى العسكر
٣٨٢	باب القنطرة	٢٩٩	
٣٨٣	باب الشعيرة		

صفحة		صفحة	
٤٠٤	المنظر الثلاث	٣٨٣	باب سعادة
٤٠٤	قصر الشوك	٣٨٣	الباب المحروق
٤٠٤	قصر أولاد الشيخ	٣٨٣	باب البرقية
٤٠٤	قصر الزمرذ		ذكر قضاة الخلفاء ومناظرهم والامناع
٤٠٥	الركن المخلق		بطرف من ما ترهم وما صارت اليه أحوالها
٤٠٥	السقيفة	٣٨٣	من بعدهم
٤٠٦	دار الضرب	٣٨٤	القصر الكبير
٤٠٧	خزانة السلاح	٣٨٥	قاعة الذهب
٤٠٧	المارستان العتيق	٣٨٧	كيفية سماع شهر رمضان بهذه القاعة
٤٠٧	التربة المغزية	٣٨٧	عمل سماع عيد الفطر بهذه القاعة
٤٠٨	القصر النافعي	٣٨٨	الايوان الكبير
٤٠٨	الخزانة التي كانت بالقصر	٣٨٨	عبد الغدير
٤٠٨	خزانة الكتب	٣٩٠	المحول
٤٠٩	خزانة الكسوات	٣٩١	وصف الدعوة وترتيبها
٤١٤	خزانة الجوهر والطيب والطرائف	٣٩١	الدعوة الاولى
٤١٦	خزانة الفرش والامتعة	٣٩٣	الدعوة الثانية
٤١٧	خزانة السلاح	٣٩٣	الدعوة الثالثة
٤١٨	خزانة السروج	٣٩٣	الدعوة الرابعة
٤١٨	خزانة الخليم	٣٩٤	الدعوة الخامسة
٤٢٠	خزانة الشراب	٣٩٤	الدعوة السادسة
٤٢٠	خزانة التوابل	٣٩٥	الدعوة السابعة
٤٢٢	دار التعبية	٣٩٥	الدعوة الثامنة
٤٢٢	خزانة الادم	٣٩٥	الدعوة التاسعة
٤٢٢	خزانة دارا فكتين	٣٩٥	ابتداء هذه الدعوة
٤٢٣	خبر نزار واقفكتين	٣٩٧	الدواوين
٤٢٣	خزانة البنود	٣٩٧	ديوان المجلس
٤٢٥	دار الفطرة	٤٠٠	ديوان النظر
٤٢٧	المشهد الحسيني	٤٠١	ديوان التحقيق
٤٣٠	ما كان يعمل في يوم عاشوراء	٤٠١	ديوان الجيوش والرواتب
٤٣٢	ذكر أبواب القصر الكبير الشرقي	٤٠٢	ديوان الانشاء والمكاتبات
٤٣٢	باب الذهب	٤٠٢	التوقيع بالقلم الدقيق في المظالم
٤٣٢	جلوس الخليفة في الموالد بالمنظرة علو باب	٤٠٢	التوقيع بالقلم الخليل
٤٣٣	باب البحر	٤٠٣	مجلس النظر في المظالم
٤٣٤	باب الريح	٤٠٣	رتب الامراء
٤٣٥	باب الزمرذ	٤٠٤	قاضى القضاة
٤٣٥	باب العيد	٤٠٤	قاعة الفضة
٤٣٥	باب قصر الشوك	٤٠٤	قاعة السدرة
			قاعة الخليم

صيفة

٤٦٥	باب الديلم
٤٦٥	باب تربة الزعفران
٤٦٥	باب الزهومة
٤٦٥	ذكر المنجر
٤٦٥	ذكر دار الوزارة الكبرى
٤٦٧	ذكر رتبة الوزارة وهيئة خلعتهم ومقدار
٤٦٩	جاريهم وما يتعلق بذلك
٤٧٠	ذكر الحجر التي كانت برسم الصيان الحجرية
٤٧٠	ذكر المناخ السعيد
٤٧٠	ذكر اصطبل الطارمة
٤٧٩	ذكر دار الضرب وما يتعلق بها
٤٨٠	دار العلم الجديدة
٤٨٠	موسم أول العام
٤٨١	ذكر ما كان يضرب في خيس العدس من
٤٨١	خرايب الذهب
٤٨١	ذكر دار الوكالة الاميرية
٤٨٢	ذكر مصلى العيد
٤٨٣	ذكر هيئة صلاة العيد وما يتعلق بها
٤٨٤	ذكر القصر الصغير الغربي
٤٨٥	الميدان
٤٨٦	البستان الكافوري
٤٨٦	القاعة
٤٨٧	ابواب القصر الغربي
٤٨٧	باب السباط
٤٨٧	باب التبانين
٤٨٨	باب الزمرد
٤٨٩	ذكر دار العلم
٤٩٠	ذكر دار الضيافة
٤٩٠	ذكر اصطبل الحجرية
٤٩٠	ذكر مطبخ القصر
٤٩٠	درب السلسلة
٤٩٠	ذكر الدار المأمونية
٤٩٠	المأمون البطائحي
٤٩٠	حبس المعونة
٤٩٠	ذكر الحسبة ودار العيار
٤٩١	اصطبل الجيزة
٤٩١	دار الديباج
٤٩١	الاهراء السلطانية
٤٩١	ذكر المناظر التي كانت للخلفاء الفاطميين
٤٩٠	ومواضع زعمهم وما كان لهم فيها من امور
٤٩٠	جيلة
٤٩٠	منظرة الجامع الازهر
٤٩٠	ذكر ايام الوقود
٤٩٠	منظرة اللؤلؤة
٤٩٠	منظرة الغزالة
٤٩٠	دار الذهب
٤٩٠	منظرة السكرة
٤٩٠	ذكر ما كان يعمل يوم فتح الخليج
٤٩٠	منظرة الدوكة
٤٩٠	منظرة المقس
٤٩٠	منظرة البعل
٤٩٠	منظرة التاج
٤٩٠	منظرة الخس وجوه
٤٩٠	منظرة باب الفتوح
٤٩٠	منظرة الصناعة
٤٩٠	دار الملك
٤٩٠	منازل العز
٤٩٠	الهودج
٤٩٠	قصر القرافة
٤٩٠	المنظرة بركة الحبش
٤٩٠	البساتين
٤٩٠	قبة الهواء
٤٩٠	بحر أبي المتجا
٤٩٠	قصر الورد بالخاقانية
٤٩٠	بركة الحب
٤٩٠	المشهي
٤٩٠	ذكر الايام التي كانت الخلفاء الفاطميون
٤٩٠	يتخذونها اعياد او مواسم تسبح بها احوال
٤٩٠	الرعية وتكثر عندهم
٤٩٠	موسم رأس السنة
٤٩٠	موسم أول العام
٤٩٠	يوم عاشوراء
٤٩٠	عيد النصر
٤٩٠	الموايد الستة
٤٩٠	ليالي الوقود الاربع
٤٩٠	موسم شهر رمضان

ابطال

صفحة	الميلاد	صفحة	ابطال المسكرات
٤٩٤	الغطاس	٤٩١	ذكر مذاهبهم في اول الشهور
٤٩٤	نجس العهد	٤٩٢	قافلة الحاج
٤٩٥	ايام الركوبات	٤٩٢	موسم عيد الفطر
٤٩٥	صلاة الجمعة	٤٩٢	عيد النحر
	ذكر ما كان من امر القصرين والمنابر بعد	٤٩٢	عيد الغدير
٤٩٦	زوال الدولة الفاطمية	٤٩٣	كسوة الشتاء والصف
		٤٩٣	موسم فتح الخليج
		٤٩٣	ذكر التوروز

تمت فهرست الجزء الاول من كتاب الخطط